اهل السير كزبير بن بكار الاخبره ان كنانة خلف على برة بعد ابيه خزيمة على عادة العرب فى الجاهلية فى ان اكبر ولد الرجل يخلف على زوجته اذا لم يكن منها و هذا مشكل لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كلنا نكاح ليس فينا سفاح ماولدت من سفاح اهل الجاهلية وذكر السهيلى وغيره فى هذا اعذارا منها ان الله تعالى يقول ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الاماقدسلف اى من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء ان لايعاب نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى و بعده لايخفى وذكر الحافظ ابو عثمان عمرو بن بحر فى كتاب له سماه كتاب الاصنام قال وخلف كنانة بن خزيمة بن مدركة على زوجة ابيه بعد وفاته وهى برة بنت ادبن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة و انما غلط كثير من الناس لماسمعوا ان كنانة خلف على زوجة ابيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبها قال وهذا الذى عليه مشايخنا من اهل العلم بالنسب قال ومعاذالله انيكون اصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقت بنكاح و قال من اعتقد غيرهذا فقد اخطأ و شك فى الخبر و يؤيد ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم تنقلت فى الاصلاب الزاكية الى الارحام الطاهرة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى و تقلبك فى الساجدين) اى كما رواه ابن سعد والبزار وابونعيم فى دلائله بسند صحيح عنه انه (قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك) و فى نسخة صحيحة حتى اخرجتك (نبيا) ولايخفى ان المراد به ان بعض الاباء كانوا من الانبياء وفى الاية عنه وعن غيره معانى اخر (وقال جعفر بن محمد) اى ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الهاشمى المدنى المعروف بالصادق امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابى بكر وكان يقول ولدنى الصديق مرتين متفق على امامته وجلالته وسيادته قال البخارى فى تاريخه ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان واربعين ومائة انتهى وقد اخرج له مسلم والاربعة وكذا البخارى فى كتابه ادب المفرد (علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته) اى عن معرفة مايطلب منهم فعلا وتركا من طاعته بغير واسطة رسول و بعثته لبيان عبادته (فعرفهم) بتشديد الراء اى فاعلمهم (ذلك) اى العجز (لكي لايعلموا انهم لاينالون الصفو من خدمته) اى الخالص من طاعته بل انماينالون بالواسطة من فضله ورحمته كما قال الله تعالى قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا وفى قضية ابليس ايماء الى ان كثرة الخدمة غير مفيدة مع قلة الرحمة (فاقام الله بينهم و بينه مخلوقا من جنسهم فى الصورة) اى مباينا لصنفهم فى السيرة (البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا) اى واظهره مرسلا اليهم حال كونه رسولا مصلحا لمابينهم (صادقا) اى مطابقا قوله فعله وموافقا حكمه خبره (وجعل طاعته طاعته) بنصبهما اى كطاعة الله تعالى اى فيما يأمره وينهاه و هو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة وهو ان طاعته عين طاعته و كذا قوله (وموافقته موافقته) اى فى امر دينه ودنياه فلاتجوز مخالفته فى طريق مولاه كما قال سبحانه وتعالى فى حقه فليحذر الذين يخالفون عن امره (فقال من يطع الرسول فقداطاع الله) وقد روى من احبنى فقد احب الله ومن عصانى فقد عصى الله تعالى وكذا قوله تعالى ان الذين يبايعونك انمايبايعون الله (و قال الله تعالى ومأارسلناك الارحمة للعالمين) وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انماانارحمة مهداة على مارواه الحاكم عن ابى هريرة (قال ابو بكر بن طاهر) وفى نسخة محمد بن طاهر اى ابن محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلى القيسى و بهذا يعرف ان ليس المراد به عبدالله بن طاهر الابهرى الذى هو من اقران الاشبيلى خلافا لما توهمه التلمسانى قال العسقلانى هو معافرى شاطبي روى عن ابيه و ابن على النسائى و غيرهما واجازله ابو الوليد الباجى (زين الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة) اى بزيادة المرحمة (فكان كونه) اى وجوده (رحمة) واغرب الدلجى فى قوله مكان كونه موصوفا بالرحمة رحمة (وجميع شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق بالضم و المراد بها اخلاقه الباطنة (وصفاته) الظاهرة من نحو كرمه وجوده (رحمة) الاولى مرحمة لتغاير الاولى والمعنى محل رحمة نازلة (على الخلق) اى عامة وخاصة (فمن اصابه شئ من رحمته فهو الناجى) قال التلمسانى اى الخالص والصواب المخلص (فى الدارين) اى حالا ومآلا (من كل مكروه) اى ومغضوب (والواصل فيهما) اى وهو الواصل فى الكونين (الى كل محبوب) وفيه ايماء الى ماورد من ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه فقدضل وغوى (الاترى) بصيغة الخطاب المعلوم ويجوز ان يقرأ بصيغة الغائب المجهول اى الاتعلم (ان الله تعالى يقول و ماارسلناك الارحمة) اى ذا رحمة و اريد بهما المبالغة (للعالمين) اى من غير تقييد للمؤمنين اولامته دون غيرهم من المخلوقين ويستفاد من نسبة الرحمة الالهية انها ليست من الامور العارضية (فكانت حياته رحمة ومماته رحمة) بل و ليس هناك موت ولافوت بل انتقال من حال الى حال وارتحال من دار الى دار فان المعتقد المحقق انه حى يرزق (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيمارواه الحارث ابن ابى اسامة فى مسنده والبزار باسناد صحيح (حياتى خير لكم) وهو ظاهر (ومونى خير لكم) قال الدلجى بسهادة

وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم حيا وميتا انتهى وغرابته لا تخفى فالاظهر ان يقال لانه تعرض على اعمالكم فاشفع في غفران سيئاتكم وادعو لكم في تحسين حالاتكم والمعنى انى متوجه اليكم وراحم عليكم وشفيع لكم حيا وميتا بالنسبة الى حاضركم وغائبكم او التقدير وموتى قبلكم خير لكم فيوافق ما اراده المصنف بقوله (وكما قال) اى على ما رواه مسلم (اذا اراد الله تعالى رحمة امة) قال الحافظ المروزى المعروف رحمة امة وكذا رواه مسلم كذا ذكره الحجازى قلت وفي الجامع الكبير ايضا بلفظ ان الله تعالى اذا اراد رحمة امة من عباده (قبض نبيها قبلها) اى قبل موت جميعها (فجعله لها فرطا وسلفا) اى بين يديها كما في الصحيح وهما بفتحتين اى متقدما وسابقا فانها ما اصيبت بمصيبة اعظم من موت نبيها واصل الفرط هو الذى يتقدم الواردين ليهيئ لهم ما يحتاجون اليه عند نزولهم في منازلهم ثم استعمل للشفيع فيمن خلفه ثم تتمة الحديث على ما في صحيح مسلم عن ابى موسى مرفوعا واذا اراد هلكة امة عذبها و نبيها حى فاهلكها وهو ينظر فاقر عينيه بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره (وقال السمرقندى) اى ابو الليث امام الهدى الحنفى كما ذكره الدلجى (رحمة للعالمين) بالنصب على الحكاية (يعنى) اى يريد سبحانه وتعالى بالعالمين (للجن والانس) اى المؤمنين بقرينة تقابله بقوله (وقيل لجميع الخلق) اى المكلفين لقوله (للمؤمن رحمة) بالنصب ويجوز رفعها اى رحمة خاصة (بالهداية) وكان الاولى ان يقول رحمة للمؤمن بالهداية ليطابق الاية وليوافق قوله (ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب) اى الى العقبى ولا يبعد ان يكون تقديم المؤمن اشارة الى حصر الرحمة المختصة بالهداية كما قال الله تعالى هدى للمتقين اى بالدلالة الموصلة التى هى خلق الهداية في خواص الانسان من اهل الايمان مع انه هدى للناس باعتبار عموم الهداية بالدلالة المطلقة التى هى بمعنى البيان (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى فيما رواه ابن جرير وابن ابى حاتم في تفسيرهما والطبرانى والبيهقى في دلائله (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة) اى من انواع العقوبة ومآل هذا القول الى ما قبله ثم الاظهر ان العالمين يشمل الملائكة ايضا ويدل عليه قوله (وحكى) بصيغة المجهول وقال الحجازى ويروى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام هل اصابك من هذه الرحمة) اى المنقسمة على هذه الامة من نبى الرحمة (شئ) اى من الرحمة مختص بك فالاشارة الى موجود في الذهن اذ الرحمة معنى يوجده الله تعالى فيمن يشاء من خلقه وفيها يتفاوتون (قال نعم كنت اخشى العاقبة) اى آخر امرى من سوء الخاتمة لما وقع لابليس من الزلة (فامنت) بفتح فكسر وضبطه التلمسانى بصيغة المجهول ففى القاموس الامن ضد الخوف امن كفرح وقد امنه كسمع ائتمنه واستأمنه انتهى ولا يخفى ان بناء المجهول غير ظاهر في المعنى اذ المراد فصرت آمنا ببركة القرآن الذى نزل عليك (لثناء الله عز وجل على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين) اى صاحب مكانة (مطاع) اى بين الملائكة (ثم) اى فيما هنالك (امين) اى على امر الوحى وغيره ووجه استدلاله به انه تعالى حيث مدحه في محكم كتابه العظيم واخبر عن حسن حاله للنبى الكريم لا يتصور تبدل حاله ولا تغير مآله ولا يبعد ان يحمل قوله امين بمعنى مأمون العاقبة وقد سنح بالبال والله تعالى اعلم بالحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم رحمة لجميع خلق الله تعالى فان العالمين لا شك انه حقيقة فيما سواه ولا صارف بالاتفاق يصرفه عن دلالة الاطلاق ثم من المعلوم انه لولا نور وجوده وظهور كرمه وجوده لما خلق الافلاك ولا اوجد الاملاك فهو مظهر للرحمة الالهية التى وسعت كل شئ من الحقايق الكونية المحتاج الى نعمة الايجاد ثم الى منحة الامداد و ينصره القول بانه مبعوث الى كافة العالمين من السابقين و اللاحقين فهو بمنزلة قلب عسكر المجاهدين و الانبياء مقدمته والاولياء مؤخرته و سائر الخلق من اصحاب الشمال و اليمين ويدل عليه قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ومن جملة انذاره للملائكة قوله سبحانه وتعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ويقويه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الخلق كافة وقد بينت وجه ارساله الى الموجودات العلوية والسفلية في رسالتى المسماة بالصلاة العلية في الصلاة المحمدية (وروى عن جعفر بن محمد) اى الباقر (الصادق) نعت لجعفر (فى قوله تعالى فسلام) اى فسلامة من كل ملامة (لك) اى لرحمتك (من اصحاب اليمين) خبر سلام اى حاصل من اجلهم ولو كان من اعظمهم واجلهم (اى بك) اى بسبب وجودك او بسبب كرمك وجودك (انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بالشفاعة العظمى فانها شاملة للنفوس العليا والسفلى من الاولى والاخرى فشملت رحمته في الابتداء والانتهاء في الدنيا والعقبى وقال التلمسانى لمحمد روى باللام والباء واللام تعليلية والباء سببية فتكون كرامته مضافة الى ضمير الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى انتهى والنسخ المصححة والاصول المعتمدة على الاضافة الى المفعول وهو الظاهر في المعنى قال الدلجى اى من اجل اكرام الله اياه فوضع الظاهر موضع المضمر والاظهر انه التفات من الخطاب الى الغيبة ثم اغرب الدلجى ان من على هذا زائدة و يجوز ان تكون بمعنى لام التعدية

﴿ اى ﴾

اى لسببك وقع السلام لاصحاب اليمين من اجل اكرام الله تعالى اياك وماقاله تكلف بعيدا نتهى والكل تكلف وتطويل تعسف والتحقيق انه اراد ان الخطاب فى ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم والتقدير فسلامة عظيمة لاجلك وبسببك حاصلة لاصحاب اليمين وقوله من اجل توضيح لقوله بك اما بطريق عطف البيان اوعلى سبيل الاستيناف والالتفات فى التبيان وهذا التأويل خلاف ماقاله اهل التفسير فسلام لك ياصاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يقال له سلام لك اى مسلم لك انك منهم اويامحمد انك لاترى فيهم الاماتحب من سلامتهم من العذاب وان منهم من يقول يوم القيمة سلام عليك (وقال الله تعالى الله نور السموات والارض) اى منورهما كما قرئ به ومظهر ماخلق فيهما اوموجد انوارهما (الاية) بالنصب ويجوز رفعها وخفضها اى اقرأها اوهى معلومة اوالى آخرها والمراد مابعدها وهو قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولاغربية يكاد زيتها يضئ ولولم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم وقد اوضحت معنى الاية فى الرسالة المسماة بالصلات العلية فى الصلاة المحمدية عند قوله اللهم صل وسلم على نورك الاسنى واعلم ان النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة ويستحيل اطلاقه على الله تعالى الابتقدير مضاف ونحوه من نوع تأويل (قال كعب) وفى نسخة كعب الاحبار بالحاء المهملة وهو كعب بن ماتع بالمثناة فوق ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره واسلم فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وقيل ادرك الجاهلية وصحب عمر واكثر عنه روى عنه ايضا عن جماعة من الصحابة وروى عنه ايضا جماعة من الصحابة والتابعين وكان يسكن حمص وكان قبل اسلامه على دين اليهود ويسكن اليمن توفى فى خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين متوجها للغزو ودفن بحمص ويقال له كعب الحبر ايضا بفتح الحاء وكسرها لكثرة علمه اخرج له البخارى وابوداود والترمذى والنسائى واغرب شارح حيث قال هو كعب بن مالك الانصارى (وابن جبير) وهو سعيد بن جبير احد اكابر التابعين والعلماء العاملين روى عن ابن عباس وغيره وعنه امم من المحدثين اخرج له الجماعة فى كتبهم الستة وكان اسود الصورة وانور السيرة مستجاب الدعوة قتل سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع واربعين شهيدا فى شعبان ومايدل على كماله فى اليقين وتمكنه فى الدين ماروى انه لما دخل على الحجاج بعد ارساله اليه قام بين يديه فقال له اعوذ منك بما استعاذت مريم اذ قالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقال له مااسمك قال سعيد بن جبير قال شقى بن كسير فقال امى اعلم باسمى قال شقيت وشقيت امك فقال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى فقال لوعلمت ان ذلك بيدك مااتخذت الها غيرك قال لاوردنك حياض الموت فقال اذا اصابت اسمى امى يعنى اذا كنت شهيدا اكون سعيدا قال فما تقول فى محمد قال نبى ختم الله تعالى به الرسل وصدق به الوحى وانقذبه من الجهالة امام هدى ونبى رحمة قال فما تقول فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل وانما استحفظت امر دينى قال فايهم احب اليك فقال احسنهم خلقا وارضاهم لخالقه واشدهم منه فرقا قال فما تقول فى على وعثمان افى الجنة هما ام فى النار فقال لودخلت فرأيت اهلهما لاخبرتك فما سؤالك عن امر غيب عنك قال فما تقول فى عبد الملك بن مروان قال فمالك تسألنى عن امرئ انت واحد من ذنوبه قال فمالك لم تضحك قط قال لم ار مايضحكنى وكيف يضحك من خلق من التراب والى التراب يعود قال فانى اضحك من اللهو قال لبست القلوب سواء قال فهل رأيت من اللهو شيئا قال لا فدعا بالزمر والعود فلما نفخ فيه بكى فقال له الحجاج مايبكيك قال ذكرنى يوم ينفخ فى الصور واما هذا العود فمن نبات الارض وعسى ان يكون قطع فى غير حقه واما هذه المثانى والاوتار فان الله سيبعثها معك يوم القيامة قال فانى قاتلك قال ان الله قد وقت وقتا انا بالغه فان اجلى قد حضر فهو امر قد فرغ منه ولامحيص ساعة عنه وان تكن العافية فالله اولى بها قال اذهبوا به فاقتلوه قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له استحفظ لها ياحجاج حتى القاك يوم القيامة فامر به ليقتل فلما تولوا به ليقتلوه ضحك فقال له الحجاج مااضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك ثم استقبل القبلة فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وماانا من المشركين قال حولوه عن القبلة قال فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم قال اضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى قال اضربوا عنقه قال اللهم لاتحل له دمى ولاتمهله بعدى فلما قتله لم يزل دمه يغلى حتى ملأ اثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره فلما رأى ذلك هاله وافزعه فبعث الى ياذوق المتطبب فسأله عن ذلك فقال لانك قتلته ولم يهله ذلك ففاض دمه ولم يخمد فى نفسه ولم يخلق الله شيئا اكثر دما من الانسان فلم يزل به ذلك الفزع حتى منع منه النوم فيقول مالى ولك ياسعيد بن جبير ستة اشهر ثم ان بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الارض وبقى بعد سعيد بن جبير ستة اشهر ونقل ان المسجون عرضت بعد موته فوجد فيها ثلاثة وثلاثون الفا من المظلومين وقد احصى

من قتله صبرا فوجد مائة الف وعشرين الفا (المراد بالنور) اى بنوره (الثانى هنا) اى فى تتمة هذه الاية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لقوله (وقوله مثل نوره اى نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) على انه عطف بيان لما قبله و بهذا يندفع ماقاله الدلجى فى قوله هنا اى فى هذه الاية من قوله مثل نوره هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضميره لله تعالى وقوله مثل نوره اى نور محمد عليه الصلاة والسلام ان كان قولهما فهو مناقض لما قبله الا ان يقال الاضافة بيانية اى مثل محمد الذى هو نور وهو بعيد اولغيرهما فلا تناقض انتهى والاظهر ان يقال المراد بالنور محمد و التقدير مثل نور الله الذى هو مشرق ظهوره ومظهر نوره فى عالم الكون بخلقه وامره حسب قضائه وقدره كمشكاة الى آخره فان النور عبارة عن الظهور و قد انكشف به الحقائق الالهية و اسرار الاحدية و الاستار الصمدية و به اشرقت الكائنات وخرجت عن حيز الظلمات و به صلى الله تعالى عليه وسلم فسر بعض المفسرين قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (وقال) وفى نسخة وقاله وهو غير صحيح (سهل بن عبدالله) هو التسترى منسوب الى تستر قال النووى هو بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة مدينة بخوزستان وقال التلمسانى والتاآن مضمومتان وقيل بضم الثانية وتفتح وقيل بفتح فقط وقيل بفتح الاولى و بضم الثانية و يقال ششتر بشينين معجمتين من عمل الاهواز وقيل بخوزستان انتهى وفى القاموس تستر كجندب بلد و بشينين معجمتين لحن وسورها اول سور بعد الطوفان وقد روى انه كان صاحب الكرامات ولم يكن فى وقته له نظير فى المعاملات ولم يزل يشتغل فى الرياضة العملية الى ان كان يفطر فى كل يوم على اوقية من خبز الشعير بلا ادام فكان يكفيه لقوته درهم واحد فى عام و هو مع ذلك يقوم الليل كله ولاينام واسلم عند وفاته يهود نيف على السبعين لما رأوا الناس انكبوا على جنازته وشاهدوا اقواما ينزلون من السماء فيتمسحون بجنازته و يصعدون و ينزل غيرهم فوجا بعد فوج وقد توفى فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين (المعنى) اى معنى الاية كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (الله هادى اهل السموات والارض) اى فهم بنوره يهتدون و بظهوره يوحدون ففسر النور بالهادى لان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وقدر المضاف ليتعلق كمال هدايته بارباب ولايته (ثم قال) اى سهل بن عبدالله (مثل نور محمد) اى صفة نوره العجيبة الشان الغريبة البرهان (اذ كان) اى حين صار (مستودعا) بفتح الدال اى مودعا (فى الاصلاب) اى اصلاب الاباء اولهم آدم عليه الصلاة و السلام من الانبياء فنوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل صلب انتقل اليه (كمشكاة صفتها كذا) اى كصفة كوة غير نافذة موصوفة بكونها فيها مصباح اى سراج اوفتيلة المصباح فى زجاجة اى قنديل من الزجاج الزجاجة كانها الى آخرها فشبه مادة جسمه وقالبه فى اصلاب الاباء السالفة بالكوة فى الحائط التى ليست نافذة فصح قوله (واراد بالمصباح قلبه والزجاجة) اى واراد بالزجاجة (صدره اى كانه) يعنى صدره المعبر به عن الزجاجة (كوكب) اى نجم (درى) بضم اوله وتشديد آخره اى مشرق يتلألأ كانه منسوب الى الدر المضيء و تخفيف ياء فهمز نسبة الى الدرء بمعنى الدفع فكانه يدفع الظلام بنوره و يرفع الحجاب لظهوره و بكسر اوله مع التخفيف والهمز ولعله من تغيرات النسب كما يقال فى بصرى بصرى (لما فيه من الايمان والحكمة) اى من نور الايمان والاتقان والمراد بالحكمة نور النبوة والايقان على وجه العيان (توقد) بصيغة المجهول اى من اوقد مذكرا ومؤنثا وتوقد بصيغة الماضى المعلوم فقراءة التأنيث مرجعها الزجاجة و قراءة التذكير مرجعها مصباح الزجاجة على حذف المضاف (من شجرة مباركة) اى مبتدأة منتشئة من شجرة كثيرة البركة زيتونة لاشرقية و لاغربية (اى من نور ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اذ هو اصل شجرة التوحيد وفضل ثمرة التفريد (وضرب) بصيغة المفعول اوالفاعل اى بين وعين (المثل بالشجرة المباركة) فطوبى لشجرة لها هذه الثمرة فجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه معدن اسرار عوارف المنافع وانوار لطائف السرائر الذين هم اكابر الانبياء واتباعهم الاصفياء اذ غالبهم بل كلهم بعده من ذريته فهو شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة لكثرة نفعها اذهو فاكهة وادام ودواء ودهن له ضياء والحاصل ان نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتقل من آبائه الكرام الى ان ظهر ظهورا بينا فى ظهر ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ صار علما فى علم التوحيد ولا سيما فى باب التفويض والاستسلام فهو شجرة كثيرة الخير لان من بعده من الانبياء كلهم من ذريته وكان اكثرهم فى جهة الشام من الارض التى بارك الله تعالى حولها وكان الزيتونة اشارة اليها وقوله لاشرقية ولاغربية اى حيث لاتقع الشمس عليها حينا دون حين بل حيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة جبل مرتفع اوصحراء واسعة فان ثمرها تكون انمى وزيتها اصفى اولانابتة فى شرق المعمورة و لاغربيها بل فى وسطها وهو توابع الشام فان زيتونه اجود الزيتون فى غيرها وهذا بطريق العبارة واما بتحقيق الاشارة فايماء الى قبلة اهل التوحيد وكعبة اهل التفريد حيث انها ليست شرقية كقبلة النصارى و لاغربية ككقبلة اليهود و بالجملة اشارة الى ان الملة الحنيفية اعدل الملل

الاسلامية فاهلها متوسطون بين الخوف والرجاء فلا خوف لهم يزعجهم الى بعد القنوط ولارجاء يجرهم الى بساط الانبساط وقال بعضهم لادنيوية ولا اخروية بل جذبة الهية الى مكانة معنوية (وقوله يكاد زيتها يضيء اى يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى المقتبسة من شجرة النبوة (تبين) بفتح فوقية وكسر موحدة اى تظهر (للناس قبل كلامه) اى بادعاء النبوة حالة الرسالة لقوة ما فيها من الانوار الالهية ولكونه مظهرا لاسرار الصمدية (كهذا الزيت) اى فى صفاء ظاهره و باطنه حيث يضيء ولو لم تمسسه نار من الانوار الحسية و بعد اجتماع النبوة والرسالة والجمع بين الخلوة والجلوة نور على نور كما فى اجتماع النار مع ضياء الزيت فى كمال الظهور يهدى الله لنوره اى لاجل نوره و بواسطة ظهوره اوالى حضرة نوره واخذ النور من حضوره من يشاء من خواص اوليائه واكابر اصفيائه و يضرب الله الامثال للناس فيه اشعار بان ما قبله انما هو مثل للاستئناس لبد رك المعنى فى قالب المبنى لكن لا يعقلها الا العالمون العاملون المخلصون الكاملون رضى الله تعالى عنهم وجعلنا بفضله منهم (وقد قيل فى هذه الآية) اى على ما ذكره المفسرون وارباب العربية (غير هذا) اى غير ما ذكرنا مما يتعلق بالعبارة والعاقل تكفيه الاشارة لان الزيادة على العلامة ربما تورث الملالة والسآمة (والله تعالى اعلم وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غير هذا المواضع نورا) اى عظيما مطلقا (وسراجا منيرا) اى شمسا مضيئة حقا ولعل وجه التذكير انها كوكب والظاهر انه من باب التشبيه البليغ وكون المشبه به اقوى من حيث شهرته ووضوح دلالته العامة للخاص والعام من عالم الخلق (فقال) اى الله تعالى (قد جاءكم من الله نور) اى لظهور الحق وابطال الباطل واطلق عليه عليه الصلاة والسلام لانه يهتدى به من الظلمات الى النور (وكتاب مبين) بين الاعجاز ومبين الاحكام بالايجاز وهذا شاهد للمدعى الاول وبيانه ان الاصل فى العطف المغايرة وقد حاول بعض المفسرين بانه من باب الجمع بين الوصفين باعتبار تغايرهما اللفظى وان المراد بهما القرآن وقد يقال فى مقابلهم واى مانع من ان يجعل النعتان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور عظيم لكمال ظهوره بين الانوار وكتاب مبين حيث انه جامع لجميع الاسرار ومظهر للاحكام والاحوال والاخبار (وقال) اى الله سبحانه مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى على من بعثتك اليهم بتصديقهم وتكذيبهم اوشاهدا على جميع الشهداء من الانبياء كما يستفاد من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وهو وما بعده احوال مقدرة مخبرة بحيازته جميع الجهات المعتبرة (ومبشرا ونذيرا) اى منذرا ولعل وجه العدول رعاية الفواصل اوتفنن العبارة فى المحل القابل فهو بشير ونذير ومبشر ومنذر للمطيعين بالجنة والوصلة وللعاصين بالحرقة والفرقة (وداعيا) اى جميع الخلق (الى الله) اى الى دينه وحبه ومقام قربه (باذنه) اى بامره وتيسيره (وسراجا منيرا) يميز بين الحق والباطل فى المعتقدات و بين الحلال والحرام فى المعاملات وبين محاسن الاخلاق ومساويها فى الرياضات فهو الداعى بالشريعة والطريقة والحقيقة الى المراتب الحقية والدرجات العلية عليه افضل الصلاة واكمل التحية (ومن هذا) اى الباب اوالنوع اوالقبيل (قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة) استفهام افاد انكار نفى الشرح مبالغة فى اثباته اذ انكار النفى نفى له ونفى النفى اثبات اى قد شرحناه لك ومن ثم عطف عليه قوله و وضعنا عنك وزرك اشارة الى المبنى ورعاية للمعنى (ومعنى قوله شرح وسع) بالتشديد (والمراد بالصدر هنا القلب) لان الصدر غير قابل للتضييق والتوسيع اى وسع قلبه لتجليات ربه وتنزلات حكمه بعد ما كان يضيق صدره لما ينعكس عليه من غبار غيره لقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون اى فينا اوفى القرآن اوفيك ثم قال تعالى كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه فهذا نهى تكوين كما ان قوله تعالى كن امر تكوين فيكون المأمور ولا تكون النهى وبه ينتفى التلوين ويتحقق التمكين المعبر عنه بمرتبة جمع الجمع بين مناجاة الحق ومعاداة الخلق بحيث لا يحجبه الكثرة عن الوحدة ولا عكسه (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن ابى حاتم عن عكرمة وابن مردويه وابن المنذر فى تفسيرهما عنه انه قال (شرحه بنور الاسلام) وفى نسخة بالاسلام وفى اخرى بالايمان والمعانى متقاربة البيان اى فسح قلبه ووسعه بسبب نور الانقياد وتفويض الامر الى المريد المراد العالم بالعباد والعباد فى جميع البلاد وفيه ايماء الى قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (وقال سهل بنور الرسالة) اى شرحه به خصوصا فلا ينافى ما تقدم عموما (وقال الحسن) اى ابن ابى الحسن البصرى وهو من افاضل التابعين ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت امه خادمة ام سلمة رضى الله تعالى عنها من امهات المؤمنين فكان اذا بكى فى صغره جعلت ثديها فى فمه فاصاب لذلك بركة عظيمة حتى صار عالما زاهدا يضرب به المثل فى كمال العلم والعمل اخرج له الجماعة فى الكتب الستة (ملأه) بالهمز اى ملأ قلبه (حكما) اى ما يحكم من الاحكام (وعلما) اى بجميع ضروريات الانام وفى نسخة بكسر الحاء وفتح الكاف جمع الحكمة فلعله

اراد بها السنة وبالعلم مايتعلق بالكتاب من جهة دلالة المعنى وقراءة المبنى (وقيل معناه الم نطهر قلبك) من الاستئناس بالناس (حتى لايؤذيك) وفى نسخة لايقبل (الوسواس) اى لايشوش عليك الموسوسون من الانس والشياطين حالة الحضور فى حضرة العيان وهو اتم واعم من تفسير بعضهم الوسواس بالشياطين والحاصل ان الهمزة للتقرير فى البيان والمعنى قد طهرنا لك صدرك ولذا عطف عليه قوله (ووضعنا عنك وزرك) اى اثمك واصله مايحمل على الظهر ولذا قال (الذى انقض ظهرك) اى اثقله حتى ظهر نقيضه ونقيض الظهر صوته (وقيل) اى فى المراد من قوله وزرك (ماسلف من ذنبك) يعنى من التقصيرات اواللهوات والغفلات (يعنى) اى يريد صاحب القيل بهذا القول (قبل النبوة) لانه كان بعدها فى مرتبة العصمة (وقيل اراد) اى الله تعالى به (ثقل ايام الجاهلية) وهو بكسر المثلثة وفتح القاف ضد الخفة ويجوز تسكينها تخفيفا وهو لاينافى ان الثقل بالكسر والسكون واحد الاثقال لانه لاشك ان المراد به نوع من اثقال الاحمال وهو الواقع فى ازمنة الجاهلية من اصحاب الفترة قبل ظهور نور الدولة الاسلامية وقبل اعلاء اعلام العلوم الدينية ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان اى تفاصيل مايتعلق به على وجه الايقان ومنه قوله تعالى و وجدك ضالا اى جاهلا عن كمال المعرفة فهدى اى فهداك هداية كاملة وهدى بك جميع الامة واماالثقل بفتحتين بمعنى متاع المسافر فلايبعد ان يكون مرادا هنا اشعارا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم حال سلوكه وسيره كان حاملا لامور ثقيلة على ظهره فرفعها الله تعالى عنه حتى تمكن فى مقام تفويضه وتسليم امره (وقيل اراد ماانقل ظهره من الرسالة) اى من اعبائها فانه من باب التوجه من الحق الى الخلق وهو مستثقل عند ارباب الولاية الا بعد حصول مرتبة جمع الجمع الذى يزيل تفرقه بالكلية بحيث لاتشغله الكثرة عن الوحدة ولاالوحدة عن الكثرة (حتى بلغها) بتشديد اللام اى حتى بلغ الرسالة بعد مابلغ تلك الحالة (حكاه الماوردى) من علماء الظاهر وهو ممن تفقه على ابى حامد الاسفرائنى وصنف فى الفقه والتفسير والاصول توفى سنة خمسين واربعمائة وهو ابوالحسن على ابن حبيب الشافعى (والسلمى) من علماء الباطن وهو ابوعبدالرحمن ابن عبدالله بن حبيب الكوفى سمع عليا وابا موسى وغيرهما توفى فى زمن بشر بن مروان بالكوفة سنة اثنتى عشرة واربعمائة وهو بضم السين وفتح اللام منسوب الى سليم كذا ذكره التلمسانى وهو غير صحيح فانه متناقض الاخر والاول فتأمل والصواب ماذكره الحلبى بقوله هو ابوعبدالرحمن السلمى النيسابورى شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفى فى شعبان سنة اثنتى عشرة واربعمائة له ترجمة فى الميزان (وقيل عصمناك) اى حفظناك من ارتكاب الذنوب فى فعلك (ولولا ذلك) اى عصمتنالك (لانقلت الذنوب ظهرك) وهذا معنى بديع (حكاه السمرقندى) اى ابو الليث و بقى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم) اى ابن سليمان الاموى مولاهم الكوفى احد الاعلام اخرج له اصحاب الكتب الستة توفى سنة ثلاث ومائتين (بالنبوة) اى ورفعنا ذكرك بسبب النبوة بين الملائكة او بالنبوة المقرونة بالرسالة بين جميع الامة او بالنبوة الروحانية المختصة قبل خلقة آدم بين ارواح المرسلين والملائكة المقربين (وقيل) اى فى معناه (اذا ذكرت ذكرت معى) وسيأتى ان هذا حديث مرفوع (قيل فى قوله) كذا بالاضافة الى الضمير اى فى قول القائل والاظهر ان يقال فى قول (لااله الاالله محمد رسول الله) كما فى نسخة وهو مجرور كما هو ظاهر واغرب الحلبى حيث تبع ضبط بعضهم بالرفع وحاول وجهه بما لاطائل تحته ولعله مبنى على انه وجد فى نسخة قول بلاحرف الجر (وقيل فى الاذان) والاول اعم ولايبعد ان يقال المراد برفع ذكره انه جعل ذكره ذكره كما جعل طاعته طاعته ولامقام فوق هذا فى الرتبة وهو تشبيه بليغ يمنع الاتحاد القائل به اهل الالحاد (قال القاضى ابوالفضل الفقيه رحمه الله) اى المصنف (هذا) اى ماذكر فى هذه السورة من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر (تقرير) اى تثبيت وتمهيد (من الله جل اسمه) اى عظم اسمه فضلا عن مسماه (لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على عظيم نعمه لديه) اى دال على عظمة نعمه السابقة الظاهرة الباطنة له عنده سبحانه وتعالى (وشريف منزلته) اى قربه ومرتبته (عنده) اى عنديته المعبر بها عن المكانة (وكرامته) اى وعلى شريف اكرامه واعظامه (عليه) سبحانه وتعالى (بان شرح قلبه للايمان) اى الكامل الايقان (والهداية) اى الموصلة الى مقام الاحسان اوهداية افراد الانسان الى مراتب حقايق الايمان (ووسعه) بتشديد السين اى وجعل قلبه وسيعا (لوعى العلم) اى حفظه (وحمل الحكمة) اى وتحمل مايحكم العلم به من امر النبوة (ورفع عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه) بتشديد الغين المعجمة اى جعله مبغوضا (لسيرها) بكسر ففتح جمع سيرة والضمير الى الجاهلية اى لقواعدها وكان الظاهر ان يقول و بغض سيرها له ولعله من باب القلب على قصد المبالغة واما ماضبط بصيغة المصدر فى بعض النسخ فلاوجه له اصلا لانوعا ولافصلا (وما كانت) عطف على سيرها اى ولما كانت الجاهلية (عليه بظهور دينه) متعلق برفع اى بغلبة امر دينه وتعليته (على الدين كله) اى على

الاديان جميعها (وحط) اى وضع الله (عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة) اى تكليف ثقلهما وحملهما وهو الجمع بينهما بالاخذ عن الحق وهو مرتبة النبوة والايصال الى الخلق وهو منزلة الرسالة وهو امر صعب الا لمن وفقه الله تعالى وقواه ومنه قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا والاعباء بفتح الهمزة جمع عبء بكسر فسكون فهمز (لتبليغه) باللام وفى نسخة بالباء ومآلهما واحد اذ اللام تعليلية والباء سببية اى لابلاغه صلى الله تعالى عليه وسلم (للناس ما نزل اليهم) اى متلوا كان اوغيره من امر ونهى ووعد ووعيد وهذا مقتبس من قوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (وتنويهه) اى ورفعه قدره المشعر (بعظيم مكانه) اى مكانته وشانه (وجليل رتبته) اى عظيم مرتبته (ورفعه) اى ورفع الله (ذكره) وفى نسخة ورفعة ذكره ويروى ورفيع ذكره (وقرانه) اى وجمع الله اى فى كلامه بامره وحكمه (مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله عز وجل ذكره فى الدنيا والآخرة) اى رفعة حسية ومعنوية (فليس خطيب) اى فوق منبر (ولامتشهد) اى عند ايجاد الايمان اوتجديد الايقان (ولاصاحب صلاة) اى فى قعدة اخيرة (الا يقول اشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله) اوعبده ورسوله وان الاولى مخففة من المثقلة (وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) كما فى صحيح ابن حبان ومسند ابى يعلى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتانى جبريل) عليه الصلاة والسلام (فقال ان ربى وربك يقول تدرى) اى اتدرى كما فى نسخة صحيحة (كيف رفعت ذكرك قلت) وفى نسخة فقلت (الله ورسوله اعلم) الظاهر ان قوله ورسوله سهو قلم وان وقع فى نسخة زيادة يعنى جبريل فانه لايلايم المقام (قال) اى الله سبحانه وتعالى (اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء) هو ابو العباس احمد بن محمد بن سهل ابن عطاء الآدمى الزاهد البغدادى احد مشايخ الصوفية بالعراق كان قانتا مجتهدا فى العبادة لاينام من الليل الاساعتين ويختم القرآن فى كل يوم وله احوال ومعارف وكرامات سنية مات سنة تسع وتسعين وثلاثما ئة كذا ذكره الحافظ ابن حجر العسقلانى والحاصل انه قال معنى رفعنا لك ذكرك (جعلت تمام الايمان بذكرى معك) وفى نسخة بذكرك معى وهو الاظهر فلا يصح ولايعتد به شرعا مالم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقية وحدانيته تعالى وحقية رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على اشتراط التلفظ بهما فى صحته من قادر وبه قال الجمهور والحق ان اشتراطه مع اظهاره انما هو لاجراء احكام الاسلام عليه فى الدنيا من عصمة دمه وماله ونحو ذلك فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله تعالى وكان تاركا للافضل كذا ذكره الدلجى وفيه ابحاث ليس هنا محلها (وقال) اى ابن عطاء (ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى) اى نوع ذكر من اذكارى (فمن ذكرك ذكرنى) اى فكانه ذكرنى وهو قريب مما قدمناه (وقال جعفر بن محمد الصادق) بالرفع (لايذكرك احد بالرسالة) اى بالارسال للعبودية (الا ذكرنى بالربوبية) اى وبتوحيد الالوهية (واشار بعضهم كالماوردى (بذلك) اى بقوله ورفعنا لك ذكرك (الى مقام الشفاعة) فانه يظهر رفعته فى تلك الحالة على جميع البرية ثم لامنع من ارادة الجمع (ومن ذكره) جار ومجرور ومضاف (معه تعالى) اى مع ذكره (ان قرن) بفتح ان المصدرية (طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (بطاعته) سبحانه وتعالى (واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول) وكان الاظهر ان يقال واطيعوا الله واطيعوا الرسول كما فى نسخة (وآمنوا بالله ورسوله) وربما يقال الآية الاولى هى الاولى للدلالة على الاتحاد فى المدعى بحسب المعنى فجمع بينهما اى من غير اعادة العامل (بواو العطف المشركة) بتشديد الراء وفى نسخة بتخفيفها اى الجاعلة للمعطوف شريكا للمعطوف عليه بالنسبة الى الفعل المسند اليه وهو لاينافى ان بينهما تفاوتا فى المرتبة حيث ان الايمان بالله يقتضى الاصالة والايمان برسوله يوجب التبعية (ولايجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه) اى فى حق احد غير حقه (عليه الصلاة والسلام) اى ممن لايكون فى مرتبته من وجوب الايمان والاسلام والافيقال آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وامثاله وكان الاظهر ان يقال ولايجوز لاحد غير الله سبحانه وتعالى ان يجمع هذا الجمع فى الكلام كما يدل عليه استدلاله بالاحاديث الواردة عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال (حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى) بفتح الجيم وتشديد التحتية نسبة الى بلدة بالاندلس مات سنة ثمان وتسعين واربعمائة له كتب مفيدة فى تقييد الالفاظ وغيرها (الحافظ) وهو فى اصطلاح المحدثين من احاط علمه بمائة الف حديث (فيما اجازنيه وقرأته على الثقة) بكسر المثلثة وهو المعتمد وهو ابو على ابن سكرة الصدفى اوغيره من مشايخه (عنه) مرويا عن الجيانى وقد اجاز وكان يمكنه السماع منه (وقال) اى الجيانى فى الاجازة اوالراوى عنه فى القراءة (انبأنا ابو عمر النمرى) بفتحتين وقد سبق انه الحافظ ابن عبد البر (قال حدثنا ابو محمد ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر ابن داسه) سبق ذكره (حدثنا ابو داود السجزى) بكسر مهملة وسكون جيم فزاى نسبة الى سجستان بكسر اوله وقيل بفتحه على غير قياس وهو اقليم ذو مدائن بين خراسان والسند وكرمان (حدثنا ابو الوليد) هشام بن عبد الملك الباهلى (الطيالسى) اخرج له الجماعة الستة قال احمد هو اليوم شيخ الاسلام مات سنة

سبع وعشرين ومائتين (حدثنا شعبة) هوابن الحجاج سمع كثيرا من التابعين ومات سنة مائة وستين (عن منصور) اى ابن المعتمر ابو عتاب السلمي توفى سنة احدى وثلاثين ومائة (عن عبدالله بن يسار) بتحتية مفتوحة وسين مهملة هذا هوالجهني الكوفي اخرج له ابوداود والنسائي وهواخو سليمان وسعيد توفى عام احدى وثلاثين ومائة (عن حذيفة) اى ابن اليمان (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اسنده المصنف هنا من طريق ابي داود ورواه ايضا النسائي وابن ابي شيبة (قال لايقولن احدكم ماشاء الله وشاء فلان) اى مع اعادة الفعل بصريحه فكيف مع حذفه وتقديره لتوهم الاشتراك فى معية المشيئة وان كانت الواو مقيدة لمطلق الجمع والاشتراك لا شك انه من الاشراك وفلان يشمل جميع الخلق ولو من الانبياء والاصفياء (ولكن) اى يجوزله ان يقول (ماشاءالله ثم شاء فلان) على مافى الاصول المصححة اى مشيئة تابعة لمشيئته موافقة لارادته لان للمشيئة ولو تأخرت تأثيرا فى قضيته فان ماشاء الله كان سواء شاء وابى فلان ومالم يشأ لم يكن سواء شاء اوماشاء فلان مع ان العبد لم يكن له مشيئة الابعد تعلق مشيئة الله بمشيئته كما قال سبحانه وتعالى وماتشاؤن الا ان يشاء الله (قال الخطابي) بفتح معجمة وتشديد مهملة هوالامام الحافظ ابو سليمان البستي نسبة الى جده ويقال انه من سلالة زيد بن الخطاب كان اماما كبيرا تفقه على القفال وغيره توفى ببست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (ارشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب) اى الواجب مراعاته من جهة الرب (فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها) قال الحجازى ويروى واحتازها بمهملة وزاى والظاهر انه تصحيف اى واختار العبارة فى تغييرها لتعبيرها (بثم التي هي للنسق) بفتحتين اى للعطف بالترتيب (والتراخي) اى المهلة فى الوجود والرتبة (بخلاف الواو التي هى للاشتراك) وهو قد يكون بالمعية والقبلية والبعدية وبخلاف الفاء التعقيبية (ومثله) اى مثل الحديث المتقدم فى النهي (الحديث الآخر ان خطيبا خطب عندالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل هوثابت بن قيس بن شماس (فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد) بفتحهما وبكسرالثاني بمعنى اهتدى (ومن يعصهما) اى فقد غوى كما فى نسخة صحيحة اى ضل عن طريق الهدى (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم) اى من هذا المجلس (اوقال اذهب) اى فانك قليل الادب والحديث اخرجه النسائي فى اليوم والليلة وابوداود فى الادب ورواه مسلم ايضا (قال ابو سليمان) اى الخطابي (كره) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) اى من الخطيب (الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) مأخوذة من الكن وهو الستر وهو تعبير كوفى بمعنى الضمير المأخوذ من الضمور والضمار الذى هوالخفاء ويقابلها الظهور والظاهر وهوضد المضمر وهو تعبير بصرى (لمافيه) اى فى الجمع بينهما بالكناية (من التسوية) اى توهمها المقتضي للشركة بينهما وفيه ان توهم التسوية موجود ظاهرا فى المظهر ايضا مع ان طاعتهما وعصيانهما متلازمان فى ترتب الهداية والغواية كما يشير اليه قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه بافراد الضمير الشامل لكل منهما وان كانت رتبته تعالى اجل واعظم من ان تقابل بمرتبة مخلوق وان كان تشرف وتكرم ولذا قال النووى والصواب ان سبب النهي والذم هو ان الخطيب شانه الايضاح واجتناب الرمز والاشارة لاكراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد فى مواضع منها قوله عليه الصلاة والسلام ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومما يقوى كلام النووى ان كلام الخطيب جملتان مستقلتان (وذهب غيره) اى غيرالخطابي واراد بعضهم (الى انه انما كره الوقوف) اى التوقف (على يعصهما) لوصح هذا الوقف سواءاتى بعده بقوله فقد غوى او اقتصر اكتفاء بما يعرف من الضد فانه مقصر لامحالة لعدم تمام الكلام وننظام المرام ووجود الايهام (وقول ابى سليمان) اى الخطابي (اصح) اى من قول القائل السابق (لماروى فى الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر) اى فى هذا الحديث (الوقوف على يعصهما) وانت قد عرفت الاحتمالين ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والاثبات مقدم على النفي (وقد اختلف المفسرون) للقرآن (واصحاب المعاني) اى من ارباب البيان (فى قوله تعالى ان الله وملائكته) الاكثر على النصب عطفا على اسم ان (يصلون على النبي هل يصلون) اى جملتها باعتبار كتابته العائدة (راجعة الى الله تعالى وملائكته جميعا) وخبر عنهم مشتركة بينهم فى ضمير واحد (ام لا) اى بل هى راجعة الى الملائكة فقط ويقدر لله عامل آخر لتغاير الصلاتين (فاجازه بعضهم) اى ممن قال بالجمع بين المعنيين المشتركين فى اطلاق واحد فان الصلاة من الله تعالى انزال الرحمة ومن الملائكة الاستغفار والدعوة ومنهم الشافعي واتباعه (ومنعه آخرون) اى منع رجوعها اليهم (لعلة التشريك) اى بين المعنيين ومنهم ابوحنيفة واشياعه اولاجل توهم الاشتراك فى الفعل واجازه الاولون لظهور المغايرة عند ارباب العقل ونهى الخطيب انما كان لترك الادب الذى هو كما مر شان الخطبة من الايضاح واجتناب الرمز (وخصوا) اى البعض الآخرون (الضمير) اى فى يصلون (بالملائكة وقدروا الآية) اى هكذا (ان الله يصلي وملائكته يصلون) اى وجعلوا خبر الثاني

دليلا على خبر الاول كما في نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف والمحققون يجعلونه من باب عموم المجاز ويقولون التقدير ان الله وملائكته يعظمون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كل بما يناسبه من انواع التعظيم واصناف التكريم والاولى عندى ان يقال الضمير راجع الى الكل والمعنى يثنون عليه فالله تعالى عند الملائكة المقربين وفى كتابه المبين وعلى لسان جبريل الامين والملائكة فيما بينهم لاسيما اذا قلنا انه ايضا مبعوث اليهم فيجب حينئذ تعظيمه لديهم وثناؤه عليهم وهذا المعنى لغوى حقيق على ماذكره صاحب القاموس من ان الصلاة هى الرحمة والدعاء والاستغفار وحسن الثناء هذا وقراءة ابن عباس ورويت عن ابى عمرو وملائكته بالرفع اما عطفا على محل اسم ان اومبتدأ خبره محذوف وهومذهب البصريين (وقدروى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الديلمى ولم ادر من رواه (انه قال) اى مخاطبا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (من فضيلتك عندالله تعالى) اى من جملة فضائلك فى حكمه (ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الله فقد اطاع الله وقد قال تعالى) الظاهر انه لبس من قول عمر وعطفه عليه لقربه منه معنى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الايتين) يعنى و يغفر لكم و الله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين فالاية الثانية تدل على ماتقدم من ان اطاعة الرسول كاطاعة الله وقوله فان تولوا اى اعرضوا اوتعرضوا عن كل من اطاعة الله واطاعة الرسول فان الله لايحب الكافرين بالاعراض عن طريق المؤمنين المطيعين واما الاية الاولى فهى فى رتبة مقام المحبوبية اولى حيث جعل متابعة حبيبه شرطا لتحقق محبته ثم رتب على محبته المقرونة باتباعه محبة ثانية مجازاة من الله سبحانه وتعالى على محبتهم فما بعتهم له محفوفة بمحبتين لله سابقة ولاحقة ازلية وابدية عليه وتجبرية بل المحبة الاولية هى التى اوجبت المحبة الآخرية كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم و يحبونه والحاصل انه تعالى سد باب المحبة على جميع الخلق الا بملازمة باب الحبيب ومتابعة آداب الطبيب الجامع بين مرتبة المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية والطالبية والمطلوبية و السالكية و المجذوبية فابواب ارباب الهدى سدت السدى ومن جاء هذا الباب لايخشى الردى ثم المحبة ميل نفس الى مافيه كمال يحملها على مايقرب اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل كمال فى نفسه اوغيره انما هو من الله وبه واليه لم يكن حبه الا له تعالى وفيه تعالى وذلك يدعوالى طاعته المستلزمة لطاعة رسوله و لكونها بالارادات اشد منها بالادراكات فسرت بارادة طاعته و التحرز عن معصيته ومحبته تعالى لعباده ارادة هدايتهم و توفيقهم فى الدنيا وحسن ثوابهم فى الاخرى والعقبى (وروى) اى عن جماعة كابن المنذر عن مجاهد وقتادة (انه لما نزلت هذه الاية) اى قل ان كنتم تحبون الله (قالوا) اى بعض الكفار (ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا) اى ربا ذارحمة (كما اتخذت النصارى عيسى حنانا) ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا وقيل محببا وقيل متمسحا به ومنه قول ورقة بن نوفل حين مر ببلال وهو يعذب والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اى لاجعلن قبره موضع حنان اى مظنة رحمة من الله فاتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الامم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم وسبة عند الناس راجعة اليكم (فانزل الله عز وجل) اى بعد تلك الاية (قل اطيعوا الله و الرسول) تأكيد للمتابعة (فقرن طاعته بطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تعظيما لقدره وتسيرا لامره (رغما لهم) بفتح الراء وهو الاشهر اى غيظا لا نوفهم وكرها لالوهم ففى القاموس الرغم الكره ويثلث و اصل هذه الكلمة من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه بالكسر اذا لصق بالرغام فالمعنى الصاقا لانوفهم بالتراب جزاء لا نفتهم من ملازمة هذا الباب ومتابعة هذا الجناب على وفق الكتاب وآداب رب الارباب لاولى الالباب (وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى ام الكتاب) اى اصل الكتاب المشتمل على اجمال جميع الابواب من الثناء على الله والتعبد له والاستعانة به وطلب الهداية اليه والوعد والوعيد منه وهو سورة الفاتحة الخاتمة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) اى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا اولى ماقيل فى الاية وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيه دخولا اوليا بلامرية (فقال ابو العالية والحسن البصرى) اما الحسن ابن ابى الحسن البصرى فقد تقدمت ترجمته مجملة واما ابو العالية فهما اثنان تابعيان من اهل البصرة فاحدهما ابو العالية الرياحى بكسر الراء و بالتحتية واسمه رفيع بن مهران اسلم بعد عامين من موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن عمر وابى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم وروى عنه قتادة وغيره اخرج له الجماعة توفى سنة تسعين والثانى ابو العالية البراء بفتح موحدة وتشديد راء بعده همزة واسمه زياد يروى عن ابن عباس وغيره وروى عنه ايوب السختيانى وغيره اخرج له الشيخان والنسائى والثانى بالكنية اشهر والمراد هنا الاول وله تفسير وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعظمه و يجلسه معه على السرير وبقريش تحته (الصراط المستقيم) بالنصب على الحكاية وهو اولى من الرفع المبنى على الاعراب بالابتدائية (هو رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه) بشهادة حديث خير القرون قرني وحديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولا يخفى انه لا يصح الحمل الا بتقدير وهو طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار اتباعه او يحمل عليه مبالغة كرجل عدل فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه لكمال اتباعه عين الطريق في عالم التحقيق فان من المعلوم انه ليس هناك صراط حسي فليس المراد الا انه طريق معنوي فمن تبعه اوصله الى مطلوبه و بلغه الى محبوبه (حكاه) اي روى هذا التفسير (عنهما ابو الحسن الماوردي) تقدم ذكره اي عن ابي العالية والحسن ورواه في المستدرك عن ابي العالية وصححه (وحكى مكي عنهما نحوه) اي بمعناه لا بلفظه ومكي هذا هو ابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي اصله من القيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من اهل التبحر في علوم القرآن والعربية كثير التأليف في علم القرآن توفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة بقرطبة (وقال) اي مكي (هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) ولعل وجه تخصيصهما انهما مما اتفق الامة على حقيتهما وجلالتهما وعلى ثبوت احكامهما بمحضر بقية الصحابة في مجالسهما فكان اقوالهما وافعالهما بمنزلة الاجماع التقريري او السكوتي بخلاف من بعدهما فانه وقع الاختلاف في امورهم من حيث تنكير بعض الصحابة وتقرير آخرين منهم في شانهم ولا عبرة بطعن كلاب اهل النار من المبتدعة الرافضة طريق الابرار الخارجة عن الصراط المستقيم والدين القويم (وحكى ابو الليث السمرقندي مثله) اي مثل المحكي السابق في الصراط المستقيم عن المكي راويا له (عن ابي العالية في قوله عز وجل) اي في تفسير قوله (صراط الذين انعمت عليهم) اي انه رسول الله وصاحباه ومآلهما واحد لان الثاني بدل او عطف بيان للاول (قال) اي ابو الليث (فبلغ ذلك) اي فوصل تفسير ابي العالية هذا (الحسن) اي البصري من عاصم (فقال صدق والله) اي في البيان (ونصح) اي الامة في هذا التبيان (وحكى الماوردي ذلك) اي القول المذكور (في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد) اي ابن اسلم المدني روى عن ابيه وابن المنكدر وعنه اصبغ وقتيبة وهشام ضعفوه له تفسير وقد اخرج له الترمذي وابن ماجه ووالده زيد يروي عنه البخاري بواسطة (وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم) اي بعض العارفين (في تفسير قوله تعالى فقد استمسك) اي تمسك (بالعروة الوثقى انه) اي العروة الوثقى وتذكيره باعتبار خبره وهو (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ من وثق به نجا ومن تبعه اهتدى (وقيل) اي المراد بالعروة (الاسلام وقيل شهادة التوحيد) والمآل متحد عباراتنا شتى وحسنك واحد (وقال سهل) اي التستري (في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال) اي سهل (نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى نعمته محمد عليه الصلاة والسلام والاول هو الصحيح لعدم صحة الحمل في الثاني اللهم الا ان يقال التقدير نعمته نعمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاضافة الى الجلالة نظرا الى الحقيقة والاصالة والمراد بنعمته انعامه به علينا اذ انعامه اصل النعم لصدورها عنه فائضة علينا لا يحصى عدا نواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا (وقال تعالى والذي جاء بالصدق) اي بالحق المطابق للواقع (وصدق به) اي جمع بين مجيء الصدق واتيان التصديق (اولئك هم المتقون) اي في التحقيق وجمع المشار اليه بالنظر الى ان معنى الموصول الجنس المفيد للعموم فالمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع من حيث انه الفرد الاكمل للتعظيم او المراد هو وامته وهذا اظهر في باب التكريم (الايتين) فيه ان البقية ليس لها دخل في القضية (اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اي لان الكلام فيه فالمراد هو وحده او من معه من الانبياء او وامته من الاصفياء (وقال بعضهم وهو الذي صدق به) وهو الظاهر لعدم اعادة الموصول (وقرئ صدق به بالتخفيف) وهو يؤيد انه هو الذي صدق به لان الثاني متعين فيه (وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون) وفيه اشعار بتقدير الموصول وهو جائز عند بعض ارباب الاصول (وقيل هو ابو بكر رضي الله تعالى عنه) اي واتباعه او جمع لتعظيمه (وقيل علي رضي الله تعالى عنه) اي واتباعه واشياعه او جمع لتكريمه والاظهر ان تفسير الجمع بينهما لارادة امثالهما وخصا بالذكر لانهما اول من وقع منه التصديق على خلاف بين المرتضى والصديق (وقيل غير هذا من الاقوال) ومن جملتها ما اشرنا اليه في سابق الحال (وعن مجاهد رضي الله تعالى عنه) اي ابن جبر بفتح جيم فسكون موحدة وقيل جبير بالتصغير وروى عن ابي هريرة وابن عباس وعنه قتادة وابن عون كان اماما في القراءة والتفسير حجة في الحديث قال كان ابن عمر يأخذ لي ركابي ويسوي علي ثيابي اذا ركبت قيل انه رأى هاروت وماروت وكاد يتلف اخرج له الستة (في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه) اي بما يذكر ويروى عنه وعن اصحابه لما يفيد من الدلالات اليقينية والافادات العلمية في الامور الشرعية مما تطمئن به القلوب وتسكن به النفوس او بمجرد ذكره

﴿ وذكر ﴾

وذكر اصحابه فان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وعند نزول الرحمة يحصل للقلوب الاطمئنان والسكينة

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى وصفه تعالى له) وفى نسخة فى وصفه له تعالى وهو خطأ فاحش (بالشهادة ومايتعلق به من الثناء والمدح والكرامة) المراد بالشهادة شهادته صلى الله تعالى عليه وسلم بالتزكية للامة او بالتبليغ للانبياء فى موقف القيامة بناء على الاحتمالين المفهومين من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا وقوله ومايتعلق به اى بوصفه فهو تعميم بعد تخصيص ببعضه وفى نسخة صحيحة ومايتعلق بها والمتبادر انها ترجع الى الشهادة والتحقيق انها المعنى ماالمبين بمابعدها (قال الله تعالى ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم يوم القيامة او شاهدا لله بالوحدانية اومشاهدا له بالصمدانية (ومبشرا) اى للمؤمنين بالجنة والوصلة (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا للكافرين بالحرقة والفرقة ولعل وجه العدول عن منذرا الى نذيرا مراعاة للفاصلة اوتفنن فى العبارة ولذا لم يقل بشيرا مع انه بمعنى مبشر (الاية) وتمامها وداعيا الى الله اى الى الاقرار به وبتوحيده باذنه اى بتيسيره او بامره وهو قيد لجميع ماتقدم لا للدعوة وحدها كما يستفاد من البيضاوى والله تعالى اعلم وسراجا منيرا اى يستضاء به من ظلمات الجهالة و يقتبس من نوره مايتخلص به عن الضلالة (جمع الله تعالى له فى هذه الاية) اى بعد ماتعلق به عين العناية وتحقق له كمال الرعاية (ضروبا) اى انواعا واصنافا (من رتب الاثرة) بضم راء وفتح تاء جمع رتبة بمعنى المنزلة والمرتبة المخصوصة والاثرة محركة و بالضم و بالكسر مايستأثر به على غيره والاثرة بالضم المكرمة المتوارثة كالمأثرة على مافى القاموس وقال النووى بالفتحتين هو الافصح (وجملة اوصاف) اى وجمع له نعوتا جملة اوكثيرة (من المدحة) بكسر الميم اى الثناء والذكر الحسن واذا فتحت الميم قلت المدح (فجعله) اى الله (شاهدا على امته لنفسه) اى لذاته الشريفة (بابلاغهم الرسالة) من اضافة المصدر الى مفعوله اى بابلاغه اياهم مايتعلق بامر الرسالة (وهى) اى هذه الخصلة التى هى الشهادة لنفسه على الامة بدون البينة (من خصائصه عليه الصلاة و السلام) اى حيث لم يجعل غيره شاهدا بنفسه لنفسه على امته فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا جحدت اممهم تبليغهم اياهم فشهدوا لانفسهم به فان الله تعالى يطالبهم بالبينة وهو اعلم فتشهد لهم به فتقول اممهم لنا بم عرفتم ذلك فتقول باخبار الله تعالى لنا فى كتابه فيسئل الله تعالى نبينا عنا فيزكينا بشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية وكفى بها حاكما على كون الاجماع حجة (ومبشرا لاهل طاعته) اى بالثواب العظيم (ونذيرا لاهل المعصية) اى بالعقاب الاليم (وداعيا الى توحيده وعبادته) اى من الدين القويم وفى اصل الدلجى وداعيا الى الله باذنه على وفق الاية اى بتيسيره وتسهيله (وسراجا منيرا) اى مضيئا (يهتدى به للحق) بصيغة المجهول اى يهتدى الخلق به الى الحق كما يهتدى بنور السراج نور الابصار والى صراط مستقيم (حدثنا الشيخ ابو محمد ابن عتاب رحمه الله) بفتح مهملة وتشديد فوقية فموحدة قال الحجازى ليس للقاضى عياض رواية عن محمد بن عتاب وانما يروى عن ابى محمد ابن عبد الله بن محمد بن عتاب انتهى وكذا قال التلمسانى هو عبدالله بن محمد بن عتاب سمع منه القاضى فى رحلته الى الاندلس انتهى وقال العسقلانى هو مسند الاندلس فى زمانه عبدالرحمن بن محمد بن عتاب القرطبى الاندلسى سمع من ابيه وكان واسع الرواية فاكثر عنه وعن حاتم بن محمد الطرابلسى وغيرهما واجازله جماعة من الكبار منهم مكى بن ابى طالب المقرى وكان ابن عتاب عارفا بالقراآت ذاكر الكثير من التفسير والعربية واللغة والفقه كريما متواضعا زاهدا ومات سنة عشرين وخمسمائة (حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) اى ابن عبدالرحمن بن حاتم التميمى المعروف بابن الاطرابلسى وقد قرأ عليه ابو على الغسانى صحيح البخارى مرات (حدثنا ابو الحسن) اى على بن محمد بن خلف المغافرى القروى (القابسى) بكسر الموحدة وانما قيل القابسى لان عمه كان يشد عمامته شدة اهل قابس توفى سنة ثلاث و اربعمائة بمدينة القيروان و دفن بباب تونس (حدثنا ابو زيد المروزى) وهو محمد بن احمد بن عبدالله بن محمد الامام البارع المحقق المدقق النحرير الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته قال الحاكم جاور بمكة وحدث بها و ببغداد بصحيح البخارى عن الفربرى وهو اجل الروايات بجلالة ابى زيد توفى بمروسنة احدى وسبعين وثلاثمائة (حدثنا ابو عبدالله محمد بن يوسف) بتثليث السين وبالهمز والابدال كيونس وهو ابن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفربرى وكان ثقة ورعا توفى سنة عشرين وثلاثمائة قال ابو نصر الكلاباذى كان سماعه لهذا الكتاب يعنى صحيح البخارى من محمد بن اسمعيل البخارى مرتين مرة بفربر سنة ثمان واربعين ومائتين ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين انتهى وروى انه قال سمعت الجامع بفربر فى ثلاث سنين وفربر مدينة بخراسان بكسر الفاء او بفتحها وفتح الراء الاولى فقيل الكسر اكثر وقيل الفتح اشهر (قال حدثنا البخارى) وهو اظهر من ان يذكر وهو ابو عبدالله محمد بن اسمعيل البخارى وقد روى عنه الترمذى وابن خزيمة و جماعة والصحيح

ان النسائي لم يسمع منه وكان اماما حجة حافظا في الحديث والفقه مجتهدا من افراد العالم مع دينه وورعه وتألفه ذهب بصره في صباه فرده الله تعالى عليه بدعاء امه ومات يوم الفطر بعد الظهر سنة خمسين ومائتين (حدثنا محمد بن سنان) بكسر الشين مصروف وممنوع وهو ابو بكر العوقي الباهلي البصري روى عنه البخاري وابوداود والترمذي وابن ماجه (حدثنا فليح) بضم فاء وفتح لام وسكون تحتية تصغير فالح او افلح مرخما وهو ابن سليمان العدوي روى عن نافع وغيره وعنه جماعة واخرج له الائمة الستة (حدثنا هلال) اي ابن علي وهو هلال بن ابي ميمونة يروي عن انس وعطاء ابن يسار وابي سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عطاء بن يسار) بفتح تحتية وخفة مهملة و روى عن ميمونة و ابي زيد وابي ذر وعدة وعنه زيد بن اسلم وشريك وخلق وكان من كبار التابعين وعلمائهم اخرج له الائمة الستة (قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاصي) اختلف في كتابته والجمهور كما قاله النووي على كتابته بالياء وهو الفصيح عند اهل العربية و يقع في كثير من كتب الحديث والفقه واكثرها بخلاف الياء وهي لغة انتهى وقال ابن الصلاح في الاملاء على المسلسل بالاولية بقول كثير من اهل الضبط في حالة الوصل بالياء جريا على الجادة و المتداول على الالسنة و المشهور حذف الياء وهو مشكل على من استطرف من العربية ولم يوغل ورد بما انكره ولاوجه لانكاره فانه لغة لبعض العرب شبه ما فيه الالف واللام بالمنون لما بينهما من التعاقب و بها قرأ عدة من القراء السبعة كما في قوله تعالى الكبير المتعال وشبهه انتهى و قد اثبت ابن كثير ياء المتعال وصلا و وقفا والجمهور على حذفها في الحالين واراد بشبهه التلاق والتناد فان قالون بخلاف عنه و ورشا وافقا ابن كثير في اثبات الياء وصلا لا وقفا والحاصل ان المنقوص لا خلاف في جواز حذف لامه في اسم الفاعل واثباته وانما الكلام على ان العاص هل هو اسم الفاعل من عصى بمعنى مرتكب العصيان او حامل العصا او الضارب بها او هو معتل العين فلا يكون من هذا الباب و حينئذ اثبات الياء فيه خلاف الصواب وهو الذي اقتصر عليه صاحب القاموس حيث قال في الاجوف والاعياص من قريش اولاد امية بن عبد شمس الاكبر و هم العاص و ابو العاص والعيص و ابو العيص هذا و ترجمة عبد الله مشهورة في الكتب المطولة مسطورة قيل بينه و بين ابيه عمرو في السن اثنتا عشرة وقيل احدى عشرة سنة وقد اسلم قبل ابيه و اخرج البخاري هذا الحديث منفردا عن بقية اصحاب الكتب الستة في موضعين احدهما في التفسير وثانيهما في البيوع وهو الذي ساقه القاضي ابو الفضل منه حيث قال (فقلت) وفي نسخة قلت (اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبي وقع في روايتنا اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم في التوراة ولم يذكر ههنا القاضي يعني بل ذكره فيما سيأتي (قال) اي ابن عمرو (اجل) اي نعم اخبرك فكان قوله اخبرني متضمنا لمعنى اتخبرني اولا تخبرني على ما هو مقتضى حسن الادب في العبارة و ان كان الامر ايضا هنا محمولا على الالتماس دون التحكم والاجبار (والله) قسم ورد ردا للكذبين من اليهود والنصارى والمشركين (انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) و فيه اشعار بانه حافظ للكتابين وان ما يوجد في القرآن مع ايجازه و اعجازه اكثر مما يوجد في غيره من التوراة ونحوه او ايماء الى ان اليهود حذفوا بعض صفاته من التوراة او غيروا مبانيه او معانيه قال الحلبي فان قيل ما الحكمة في سؤال عطاء بن يسار لعبدالله بن عمرو عن صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة وهو قرشي سهمي قيل لانه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب عنه انه رأى في المنام كان في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وكانه يلعقهما فاصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرأهما انتهى و الظاهر ان العسل معبر بالقرآن حيث فيه شفاء للناس وايماء الى حلاوة الايمان واشعار بانه اعلى واغلى من الادهان و ان الجمع بينهما نور في عالم الاتقان بالنسبة الى اهل الاتقان (يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا) حال مقدرة من الكاف (ومبشرا ونذيرا) وهذا منصوص في القرآن ولعل معناه مذكور في التوراة (وحرزا) اي حفظا او حافظا (للاميين) اي يمنعهم بهدايته اياهم من كل مكروه والاميون جمع الامي وهو من لا يحسن الكتابة و القراءة نسبة الى امة العرب حيث كانوا لا يحسنونهما غالبا او الى الام بمعنى انه كما ولدته امه وهذا المعنى مستفاد من القرآن حيث قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية وفي تخصيصهم تشريف لهم (انت عبدي و رسولي) وهذا ايضا موجود في القرآن حيث اضافه بوصف العبدية والرسالة اليه سبحانه وتعالى (سميتك المتوكل) حيث قال وتوكل على الله اولكونه رئيس المتوكلين في قوله سبحانه وتعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون (ليس بفظ) فيه التفات تنشيطا للسامع والمعنى ليس هو سيئ الخلق قليل التؤدة (و لا غليظ) اي قاسي القلب قليل الرحمة كما قال سبحانه وتعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك و اما تفسير الحلبي وغيره الغليظ بالشديد القول فلا يلائم مبنى الاية وان كان شدة القول والجفاوة متفرعة على غلظ القلب و القساوة

ولاصخاب) بصاد وتشديد معجمة وهو وسخاب بالسين المهملة من السخب وهو لغة ربيعة بمعنى رفع الصوت وصيغته فعال للنسبة كتمار لان المراد به نفيه مطلقا من غير قيد قليل وكثير وقوله (فى الاسواق) قيد واقعى لان الغالب ان يقع فيها ارتفاع الصوت للمصاحة والمتاجرة على وفق المشاهدة او احترازى فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع صوته فى التلاوة حال الامامة وفى الموعظة حال الخطبة (ولايدفع بالسيئة) اى منه (السيئة) اى الواصلة اليه من غيره مع انه جائز لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وسميت الثانية سيئة للمشاكلة والمقابلة اوبالاضافة الى المتحملى والصبر كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وهى مقابلة السيئة بالحسنة لكن الافضل والاكمل ماقاله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ادفع بالتى هى احسن وهى المقابلة بالاحسان وهذا طريق اهل العرفان (ولكن يعفو) اى ولكن يدفعها بالتى هى احسن فكان يعفو اى عن الخطائين فى الباطن (ويغفر) اى فى الظاهر وكان حقه ان يقول ثم ويحسن اليهم على ماهو المتبادر مماسبق ومايفيهم من قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ولذا حكى ان بعض الاكابر دخل عليه خادم بطعام حار فانكب على بدنه فقرأ الخادم والكاظمين الغيظ قال كظمت فقرأ والعافين عن الناس قال عفوت فقرأ والله يحب المحسنين قال اعتقتك وقد وقع مثل هذا كثيرا فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حلم على جفاوة الاعراب فيما اغلظوا اليه بالقول والفعل احسن اليهم بالمال الكثير (ولن يقبضه الله حتى يقيم) اى الله (به) اى بسببه وبهركته (الملة العوجاء) اى غير المستقيمة ولان العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالعوجاء والمراد بها ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهى العادلة المائلة عن الاديان الباطلة الى دين الحق الذى هو التوحيد المطلق كما اشار اليه بقوله (بان يقولوا لااله الا الله) اى ومحمد رسول الله فهو من باب الاكتفاء او من اطلاق الجزء وارادة الكل اوعلى ان الكلمة المذكورة هى علم للشهادتين ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من قال لااله الاالله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لااله الاالله دخل الجنة اذ من المعلوم ان اليهود والنصارى وامثالهم يقولون لا اله الاالله ولاتفيدهم هذه الكلمة من دون اقرارهم بان محمدا رسول الله وفى الحديث ايماء الى قوله سبحانه وتعالى هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (ويفتح) بالنصب عطفا على يقيم او يقولوا (بها اعينا) جمع عين (عميا) جمع اعمى (وآذانا) بالمد جمع اذن (صما) جمع اصم (وقلوبا غلفا) جمع اغلف والغلف غشاء القلب وغلافه المانع من قبول الحق ووصول الصدق وتعقل امر المبدأ والمعاد كما اخبر الله تعالى عن احوالهم بقوله صم بكم عمى اى عن سماع الحق والنطق به وادراكه ببصرهم فهم لايعقلون اى الحق ولايعلمون الصدق ولعله لم يعد والسنة بكما لانه يلزم من الصمم الاصلى البكم الفرعى والله اعلم (وذكر مثله) بصيغة المجهول ولعل مثله مروى لابن عمر ولعطاء بن يسار كما فى البخارى تعليقا واسنده الدارمى (عن عبد الله ابن سلام) بتخفيف اللام وقيل تشد د ابن الحارث الاسرائيلى ثم الانصارى الخزرجى الصحابى كان حليفا لبنى الخزرج كنيته ابو يوسف بابنه وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وكان اسمه فى الجاهلية حصينا فسماه عليه الصلاة والسلام عبدالله اسلم اول قدومه عليه الصلاة والسلام المدينة ونزل فى فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله وكذا قوله سبحانه وتعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب شهد مع عمر فتح بيت المقدس وشهد له صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة روى عنه ابناه محمد ويوسف وغيرهما توفى سنة ثلاث واربعين اخرج له اصحاب الكتب الستة (وكعب الاحبار) بالحاء المهملة وسبق بعض ترجمته والمعنى وذكر مثله ايضا عن كعب الاحبار فيما رواه الدارمى من طريق ابى واقد الليثى (وفى بعض طرقه) اى طرق هذا الحديث (عن ابن اسحق) كما رواه ابن ابى حاتم فى تفسير سورة الفتح عن وهب بن منبه وفى بعض النسخ ابى اسحق بالياء وهو تصحيف وصوابه بالنون وهو الامام صاحب المغازى رأى عليا واسامة والمغيرة بن شعبة وانسا وروى عن عطاء والزهرى وطبقته وعنه شعبة والحمادان والسفيانان وخلق وكان من بحور العلم صدوقا وله غرائب فى سعة ماروى تستنكر واختلف فى الاحتجاج به وحديثه حسن بل وفوق الحسن وقد صححه جماعة مات سنة احدى وخمسين ومائة اخرج له البخارى فى التاريخ ومسلم والاربعة فى سننهم (ولاصخب) بفتح فكسر على الوصف وسبق معناه ويفهم من بعض الحواشى انه رفع الصوت فى السوق فقوله (فى الاسواق) للتأكيد اولقصد التجريد (ولامتزين بالفحش) بالضم اى ولامتجمل ولامتخلق ولامتصف بالقول الفاحش والفعل الفاحش قال الحجازى ويروى ولا متدين وكذا قال التلمسانى بالدال من الدين وبالزاى من الزينة والظاهر انه مصحف وان تكلف له السيد قطب الدين عيسى بان معناه لايجعله دينا وطريقة انتهى ولايخفى انه لايفيد نفى الفحش عنه بالكلية وهو المطلوب فى المدحة الجلية وفى حاشية التجانى ولامتزى بالفحش اى متصف به والزى غالبا انما يكون فى الاوصاف الحسنة وقد يجيء فى خلافها وقرئ قوله تعالى هم احسن اثاثا ورئيا بالراء والزاى

وعين زيء واو وانما قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ماقبلها وفيما تصرف منه من الافعال لطلب الخفة والفحش البذاء بالمنطق واصل الفحش فى كل شئ الخروج عن المقدار والحد حتى يقبح وقيل نفى تزيينه به عنه مع كونه لايراه زينة انما هو باعتبار كون اهله يرونه زينة وفخرا بشهادة افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فزين لهم الشيطان اعمالهم (ولاقوال) بتشديد الواو (الخنا) بفتح الخاء المعجمة مقصورا الكلام القبيح ومنه قول زهير شعر

﴿ اذا انت لم تقصر عن الجهل والخنا * اصبت حليما اواصابك جاهل ﴾

فهو من باب التخصيص بعد التعميم وفعال ليس للمبالغة بل للنسبة كما فى قوله تعالى ومار بك بظلام للعبيد واللام فى الحديث والآية لمجرد التقوية (اسدده) قطعه عماقبله لكمال انقطاع بينهما لانه حكاية عن صفات نفسية سلبية وهذا عن هبات الهية ثبوتيـة اى اقيمه واوفقه (لكل جميل) اى نعت جزيل (واهب له) بفتح الهاء اى اعطيه من فضلى (كل خلق كريم) اى من مكارم الاخلاق المتعلقة بالخالق والمخلوق ولذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم (ثم اجعل) ويروى واجعل (السكينة) اى سكون القلب واطمئنانه ورزانة القالب ووقاره فهى فعيلة من السكون والكاف منها مخففة عند الكافة الا ما حكاه القاضى فى مشارق الانوار عن الكسائى والفراء من جواز تشديد ها قال التجانى وهو نقل غريب وند فع غرابتـه بجعل التشديد للمبالغة كما فى السكيت والسكين ثم رأيت صاحب القاموس قال السكينة والسكينة بالكسر مشددة الطمانينة وقرئ بهما فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم اى ماتسكنون به اذا اتاكم (لباسه) اى دثاره وهو ممايظهر آثاره (والبر) اى الطاعة لله اوالاحسان بخلق الله (شعاره) بكسر اوله اى دأبه وعادته (والتقوى ضميره) اى فى صدره كما فى الحديث التقوى هنا وفيه ايماء الى ان كمال التقوى محصور فيه (والحكمة) اى العلمية والعملية (معقوله) اى بحيث يظهر وجه منقوله فى معقوله و قال التلمسانى الحكمة اى النبوة والعلم ومعقوله مكتومه وسره ولايخفى خفاء امره (والصدق) اى فى المنطق (والوفاء) اى بالوعد (طبيعته) اى غريزته وجبلته التى لايمكنه مخالفتها (والعفو) اى عن الاساءة (والمعروف) اى الاحسان فى محله شرعا وعرفا (خلقه) بالضم اى دأبه وعادته (والعدل) اى فى حكمه اوالاعتدال فى حاله (سيرته) اى طريقته (والحق) اى اظهاره (شريعته) اى دينه وملته (والهدى) بضم الهاء اى الهداية (امامه) بكسر الهمزة اى قدوته مما يقتدى به فى جميع حالاته وفى نسخة معتمدة بالفتح اى قدامه ونصب عينيه لايتعدى منه ولايميل عنه (والاسلام) اى الاستسلام الظاهر والباطن (ملته) اى دينه الذى يمليه ويقرره (واحمد اسمه) اى فى التوراة والانجيل وهو لاينافى ان يكون له اسماء اخر بل فيه ايماء بانه ابلغ الاسماء وذلك لافادة المبالغة الزائدة التى لاتوجد فى غيره من الابنية ولو كانت من هذه المادة كمحمد ومحمود فانه بمعنى احمد كل من حمد وحمد فله النسبة الجامعة بين كمال صفتى الحامدية والمحمودية المترتبة على جمال نعتى المحبية والمحبوبية فتأمل فانها من الاسرار الخفية والانوار الجلية (اهدى به) بفتح الهمزة اى ارشد الخلق بسببه (بعد الضلالة) اى بعد تحقق حضور حصولها منهم اوبعد تعلق ثبوت وصولها بهم وفيه ايماء الى ان ظلمة ضلالتهم لاترتفع الابنور هدايته لهم مشيرا الى الحديث القدسى والكلام الانسى ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه فقد غوى وارتدى ولايبعد ان يكون المراد بعد ضلالته مشيرا الى قوله تعالى و وجدك ضالا فهدى اى جاهلا بالطريق اوعاشقا بالتحقيق (واعلم) بتشديد اللام المكسورة اى اجعل الناس ذوى معرفة (به) اى بالوحى وانزال القرآن عليه (بعد الجهالة) اى بعد ظهور زمان الجاهلية ايام الفترة اوبعد جهالته لقوله سبحانه وتعالى ما كنت تدرى ماالكتاب ولاالايمان يعنى تفصيله (وارفع به) اى ببركته رتبة هذه الامة (بعد الخمالة) بفتح الخاء المعجمة بمعنى الخمول اى بعد ان لم يكن لهم ذكر وقدر وشان و برهان فى الظاهر وان كانوا فى علم الله تعالى وفى اللوح خير امة اوارفع شانه بتعليمنا اياه بيانه بعد خمول ذكره وخفاء امره كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك (واسمى به) بتشديد الميم المكسورة كذا ضبطه السراج ولايبعد ان يجوز بتخفيف الميم اى اشهره بالمعرفة (بعد النكرة) بضم النون (واكثر به) من التكثير ويجوز من الاكثار اى اجعل الكثرة ببركته (بعـد القلة) اى فى ماله وفى عدد اتباعه (واغنى) من الاغناء اى اجعله غنيا اوامته اغنيـاء (به) اى بنبوته وجهاده ور ياضته وصبره على فاقته (بعد العيلة) بفتح العين وهى الفقر ومنه قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (واجمع به بعد الفرقة) ايماء الى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وهذا معنى قوله (واؤلف) اى اوقع الالفة والمودة (به بين قلوب مختلفة) اى فى اغراض فاسدة (واهواء متشتتة) اى اراء مبتدعة غير مجتمعة (وامم متفرقة) وجماعات من قبائل متباينة قال التلمسانى وقع هنا بخط المصنف بتقديم التاء على الفاء من التفرق و بتقديم الفاء على التاء من الافتراق وهى

﴿ نسخة ﴾

نسخة العوفى (واجعل امته خيرامة اخرجت للناس) كان حقه ان يقول به هنا ايضا لان خيرية امته انما هى لاجل افضلية نبوته بناء على الملازمة العادية لكن جعله سببا اولى من عكس القضية كما اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله

﴿ لما دعا الله داعينا لطاعته ❊ باكرم الرسل كنا اكرم الامم ﴾

(وفى حديث آخر) رواه الدارمى عن كعب موقوفا والطبرانى وابو نعيم فى دلائله عن ابن مسعود (اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته فى التوراة عبدى) اى المخصوص عندى (احمد المختار) اى على سائر الاخيار وفى نسخة بالجر فاللام للجنس الاستغراقى اى احمد كل من اخترته واصطفيته من الانبياء والملائكة والاصفياء (مولده) اى مكان ولادته وظهور رسالته (بمكة ومهاجره) بضم الميم وفتح الجيم اى موضع هجرته ومحل تقلبته (بالمدينة) ليحصل للحرمين الشريفين بركته اولا وآخرا وباطنا وظاهرا وليكون زيارة البقعتين بمنزلة ابداء الشهادتين (اوقال طيبة) بفتح الطاء وهو اسم من اسماء المدينة كطابة والتقدير انه قال بالمدينة اوبطيبة كما فى نسخة فا والشك فى الاسم لافى المسمى وقد روى ان لها فى التوراة احد عشر اسماهذان منها وكانت قبل الاسلام تسمى بيثرب باسم رجل من العماليق قبيلة منسوبة الى عملاق كان يسكنها فلما جاء الاسلام وسكنها عليه الصلاة السلام كره لها هذا الاسم لما فيه من لفظ التثريب فسماها طيبة وقد جاء فى القرآن لفظ يثرب ولكن الله سبحانه وتعالى لم يسمها بذلك وانما قاله حكاية عن الكفار والمنافقين واذ قالت طائفة منهم يااهل يثرب لامقام لكم فارجعوا فنبه سبحانه وتعالى بما حكى عنهم انهم قد رغبوا عن اسم سماها به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابوا الا ما كانوا عليه من جاهليتهم وقد سماها الله سبحانه وتعالى المدينة بقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله وقد روى فى معنى قوله تعالى وقل رب ادخلنى مدخل صدق انه المدينة وان مخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار وقد ورد من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هى طابة هى طابة رواه احمد فى مسنده عن البراء (امته الحمادون لله) اى المبالغون فى حمده سبحانه وتعالى تبعا لنبيهم احمد فكما انه احمد الخلق فهم احمد الامم ومما يدل على كثرة حمدهم ودوام شكرهم تقييده بقوله (على كل حال) اى من السراء والضراء وفى حاشية التجانى امته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفى رواية حماد بن سلمة عن كعب انه قال وجدت فى التوراة زيادة على هذا وهى يوضئون اطرافهم ويتزرون على انصافهم فى قلوبهم اناجيلهم يصلون الصلاة لوقتها رهبان بالليل ليوث بالنهار ولم تزل اليهود بعد ماغيرت من صفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تغار على ظهور شئ مما بقى فيها وتكتم اشد الكتم وقد اخرج ابن ابى شيبة عن عبدالله بن مسعود فى مسنده انه قال ان الله تعالى عز وجل ابتعث نبيه لادخال رجل الجنة وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل كنيسة فاذا هو بيهود فاذا يهودى يقرأ التوراة فلما اتوا على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امسكوا وكان فى ناحيتها رجل مريض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم امسكتم فقال المريض انهم اتوا على صفة نبى فامسكوا يعنى على عادتهم اولاجل حضورك عندهم قال ثم جاء المريض يحبو حتى اخذ التوراة وقال للقارئ ارفع يدك فرفع يده فقرأ حتى اتى على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى بكمالها فقال هذه صفتك وصفة امتك ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولوا اخاكم واخرج الواقدى فى مصنفه مما يتعلق بصفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان النعمان السابى حبرا من احبار اليهود فلما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدم عليه فسأله عن اشياء ثم قال ان ابى كان يختم على سفر ويقول لاتقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه مايحل و مايحرم واذا فيه انك خير الانبياء وان امتك خير الامم واسمك احمد وامتك الحامدون قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم لايحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن عليهم تحنن الطير على فراخه ثم قال اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من اوله فرؤى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم وقال اشهد انى رسول الله والنعمان هذا هو الذى قتله الاسود العبسى و قطعه عضوا عضوا وهو يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانك مفتر كذاب على الله (وقال تعالى) اى فى حق المتقين من المؤمنين (الذين يتبعون الرسول النبى) اى الجامع بين مرتبة النبوة وهى اخذ الفيض من الحضرة بالحق المسمى بالولاية و بين مرتبة الرسالة وهى تبليغ الاحكام الشرعية الى الخلق فهو برزخ جامع بين الاستفادة والافادة و بين الكمال والتكميل الذى هو اعلى مقامات ارباب السعادة ولعل وجه تقديم الرسالة فى الذكر مع تأخر تحققها فى الوجود هو الاهتمام بنعت الرسالة اوالترتيب بحسب التدلى لا الترقى فى المرتبة

(الامى) اى مع كونه عاريا عن الكتابة والقراءة السابقة الدالة على ان معارفه كلها من العلوم اللدنية والفتوحات العندية (الآيتين) اى الى آخر الآيتين الدالتين على نعوته الجلية وصفاته البهية وهو الذى يجدونه اى يصادفون نعته ويعلمون صفته مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وهما زبدة الكتب المنزلة على اليهود والنصارى يأمرهم بالمعروف استيناف مبين لاوصافه المزبورة عندهم اومطلقا اى يأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمايعرفه جميع ارباب المعرفة بالمنقولات ويستحسنه ارباب الطبيعة المستقيمة من اصحاب المعقولات حيث يأمرهم بمكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وينهاهم عن المنكر اى جنس المنكرات شرعا وعرفا نقلا وعقلا ويحل لهم الطيبات اى الحلالات والمستلذات ويحرم عليهم الخبائث اى المحرمات والمضرات ويضع عنهم اى عن من تبعه من اليهود والنصارى خصوصا اصرهم اى عهودهم الثقيلة التى اخذ عليهم العمل بها فى التوراة من العبادات والرياضات والسياحات والاغلال التى كانت عليهم من التكاليف الشاقات كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض مواضع النجاسات وتعين القصاص فى العمد والخطأ واحراق الغنائم وظهور الذنوب على ابواب فاعليها فالذين آمنوا به وعزروه اى عظموه فى نفسه ونصروه على عدوه واتبعوا النور الذى انزل معه اى مع رسالته وهو القرآن او الوحى الشامل للكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية قل ياايها الناس اى الشامل لليهود والنصارى وغيرهم عامة انى رسول الله اليكم جميعا اى كافة بخلاف موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا مبعوثين الى بنى اسرائيل خاصة ولعله من هنا قال عليه الصلاة والسلام لوكان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى يعنى لما كان هو وغيره كعيسى الا اتباعى الذى له ملك السموات والارض اى بحيث يعم ملكه العلويات والسفليات شملت رسالته جميع الموجودات على مابيناه فى بعض المصنفات لااله الاهو فكانه لارسول له الاهو فانه لولاهو لماخلق غيره ولما وجد من يعرف معنى هو لامن حيثية مبناه ولامن طريقة معناه يحيى ويميت بالابقاء والافناء وبالهداية والاغواء فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى تأكيد وتثبيت اوتبكيت لتوقفهم عن الايمان بمثل هذا النبى الذى يؤمن بالله ايمان مشاهدة وعيان ومراقبة وايقان وكلماته وبجميع كلمات الله المنزلة على الانبياء مجملة ومفصلة واتبعوه لان متابعته تورث المحبة لعلكم تهتدون لكى تهتدوا ببركة متابعته الى طريق محبته وآداب مودته (وقد قال تعالى فبما رحمة) قيل مامزيدة للمبالغة والاظهر انها مبهمة مفسرها رحمة والمعنى فبرحمة عظيمة ونعمة جسيمة كائنة (من الله لنت لهم) اى تلطفت للخلق وتوجهت اليهم من الحق حيث وفقك للرفق وفيه اشارة خفية الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يزيد الثبات على النبوة التى هى الولاية الخاصة الموجبة ان لايغفل صاحبها عن الحضرة لحظة ولالمحة ممايوجب التفرقة المانعة عن مقام الجمعية واراد الله سبحانه وتعالى له الترقى الى مقام جمع الجمع بحيث لايحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة وبهذا تبين ان مقام الرسالة اعلى مرتبة من ولاية الرسول المعبر عنها بالنبوة خلافا لمن توهم خلاف ذلك فقال الولاية خير من الرسالة وان اول كلامه بان المراد بالولاية النبوة لاجنس الولاية معللا بان الولاية هى اخذ الفيض اللازم منه توجه صاحبه الى الحق وان الرسالة هى الافادة باضافة المستلزمة للاقبال على الخلق فانا نقول اذا استغرق فى عين الجمع بحيث انه فنى عن الجميع ولم يوجد فى عين الشهود غيره موجود ولافى الدار غيره ديار فانى يتصور منه الاقبال والادبار وهذا بحر بلاقعر فيرجع الى ساحل بلا وعر (الآية) وتمامها قوله ولوكنت فظا اى سيء الخلق مع الخلق بناء على ان الاستيناس بالناس من علامة الافلاس غليظ القلب اى شديدة بالعزلة عنهم لانفضوا من حولك اى تفرقوا عن مجلسك ولم يحصل لهم حظ من انسك فاعف عنهم ماصدر من الغفلة منهم واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى اتماما للشفقة عليهم وشاورهم فى الامر تلطفا بهم فاذا عزمت بعد المشاورة اوالاستخارة فتوكل على الله ولاتعتمد على ماسواه ان الله يحب المتوكلين المعتمدين على ماقدره وقضاه فيهديهم الى الصلاح وينصرهم بالنجاح والفلاح (قال السمرقندى ذكرهم الله تعالى) وفى نسخة ذكر الله تعالى بتشديد الكاف (منه) اى امتنانه وفى نسخة بنونين على صيغة الجمع لاشتمال هذه المنة على منن كثيرة (انه) اى سبحانه وتعالى (جعل) ويروى ان جعل (رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا) اى للمتقين فان الرأفة ارق من الرحمة (لين الجانب) اى مع الاقارب والاجانب فى جميع المراتب (ولو كان) اى بالفرض (فظا) اى سيء الخلق فى الفعل (خشنا) اى غليظا (فى القول لتفرقوا من حوله) اى ولم ينتفعوا بفعله وقوله (ولكن جعله) اى الله سبحانه وتعالى (سمحا) اى جوادا زيادة على ماطلب منه فى معاملاتهم اومسامحا لهم فى فرطاتهم وزاد فى نسخة سهلا اى لينا (طلقا) بفتح فسكون اى منبسط الوجه (برا) بفتح الباء اى بارا كثير الاحسان الى امته كالولد البار بابويه وقرابته اوجامعا للخير كله فانه من البر الذى هو وسيع الفضاء (لطيفا) اى رفيقا شريفا يراعى قويا وضعيفا (هكذا) اى مثل ماسبق لفظا اومعنى (قاله الضحاك)

وهوابن مزاحم الهلالى الخراسانى يروى عن ابى هريرة وابن عباس وابن عمروانس رضى الله تعالى عنهم وعنه خلق وثقه احمد وابن معين وضعفه شعبة اخرج له اصحاب السنن الاربع وتوفى سنة خمس ومائة (وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا) اى خياراوعدولاومعتدلين فى الاخلاق غير واقعين فى طرفى الافراط والتفريط من التشبيه والتعطيل والاسراف والتقتيروالتهور والجبن وامثال ذلك (لتكونوا شهداء على الناس) اى بتبليغ رسالة انبيائهم اليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اى مطلعا ومشاهداومشرفا (قال ابوالحسن القابسى) بكسر الموحدة وسبق ذكره (ابان الله تعالى) اى اظهر ظهورابينا (فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية) اى بسببها اوفيها بقوله (وفى قوله) اى سبحانه وتعالى (فى الآية الاخرى وفى هذا) متعلق بماقبله وهواى الله سبحانه وتعالى سماكم المسلمين من قبل يعنى فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بالتبليغ اليكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ رسلهم اليهم (وكذلك) اى ومثل هذا المعنى يفيده (قوله فكيف) اى كيف حال الكفرة يوم الحسرة (اذاجئنامن كل امة بشهيد) اى بنبى يشهد على امته (الاية) وفى بعض النسخ بتمامها وجئنابك على هؤلاء اى على الشهداء من الأنبياء اوعلى امتك من الاصفياء و الاولياء شهيدا حين يشهدون على الامم المكذبة بتبليغ الانبياء اليهم الرسالة (وقوله وسطا) اى (عدولا) وفى نسخة عدلا اى موصوفين بالعدالة والديانة (خيارا) اى مختارين من هذه الامة ان كان الخطاب للصحابة وان كان الخطاب بجميع الامة فهم خيار الامم السالفة (ومعنى هذه الاية) اى بناء على مبنى هذه العاطفة على الجملة المقدرة المعبرعنها بقوله (وكما هديناكم) اى المستفاد من قوله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فالمعنى كماهديناكم الى الصراط المستقيم والدين القويم المشترك بين عامة اهل التوحيد والتسليم (فكذلك خصصناكم) بتشديد الصاد ويجوز تخفيفها (وفضلناكم) اى على عامة الامم الماضية (بان جعلناكم امة) اى جماعة مجتمعة غيرمتفرقة بل متفقة على حقيقة واحدة (خيارا) اى مختارين بخير الرسل (عدولا) عادلين عاملين بافضل الكتب (لتشهدوا للانبياء) اى الرسل (على اممهم) اى بتبليغ الرسالة يوم القيامة (ويشهد لكم الرسول بالصدق) اى بصدق القول وحق الامانة والديانة (قيل) قد ثبت بطرق متكاثرة كادت ان تكون متواترة فكان حقه ان يقول صح ونحوه ولايعبربقيل المشعر بضعفه اذرواه البخارى وغيره (ان الله جل جلاله) اى عظم كبرياؤه (اذاسأل الانبياء هل بلغتم) اى اممكم فيماارسلتكم به اليهم (فيقولون نعم فتقول اممهم ماجاءنا من بشير ولانذير فتشهد امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبى عليه الصلاة والسلام) ويجيز الله تعالى شهادتهم بتزكيته لهم (وقيل معنى الآية انكم) بالفتح ويجوز الكسر اى ايها الامة (حجة) اى ذو شهادة ثابتة (على كل من خالفكم) اى من الامم المكذبة (والرسول حجة) اى بينة واضحة دالة (عليكم) اى على صدقكم وصدق من وافقكم (حكاه السمرقندى) اى نقل هذا القول عن بعض المفسرين (وقال الله تعالى) اى فيما اثنى عليه وبين اكرامه لديه (وبشر الذين آمنوا) اى من امتك لامن غيرهم (ان لهم قدم صدق عند ربهم) ماقدموه من الاعمال الصالحة كما قاله الخطابى وغيره من المفسرين وقال بعضهم ماقدم لهم عند ربهم من السعادة السابقة فى اللوح المحفوظ وقدقال حسان بن ثابت

﴿ لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع ﴾

(وقال قتادة والحسن) تقدم ذكرهما (وزيد بن اسلم) هوابواسامة مولى عمر بن الخطاب توفى سنة ست وثلاثين ومائة (قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا) اى فى رواية اخرى (هى) اى قدم صدق وانث الضمير لتأنيث خبره وهوقوله (مصيبتهم بنبيهم) سواء ادركوا وقت الموت اوحصل لهم جملة الفوت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ يكون لهم فرط حق وقدم صدق عند ربهم وقال الحجازى يروى هى فضيلتهم بنبيهم اى فيمابينهم ولايخفى عدم ملايمته للمقام ولعله تصحيف اوتحريف ولوكان فضيلتهم بنبيهم لكان وجهاوجيها فانه حينئذ لهم سبق حال صدق وتقدم مقام حق عند ربهم وهذامعنى نسخة هى محبتهم لنبيهم (وعن ابى سعيد الخدرى) نسبة الى خدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة قبيلة (هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هوشفيع صدق عند ربهم) ولعل التعبيربها عن القدم لاقدامه عليها وتقدمه على سائر اهلها (وقال سهل بن عبدالله التسترى هى سابقة رحمة اودعها فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى وفى امته ببركة متابعته على وفق محبته ووجه الاختصاص مع ان الرحمة بكل امة لاحقة على وفق سابقة لان سبق وجوده واثر كرمه وجوده وظهور نوره ونشر سروره ممالايلحقه احدمن اخوانه كما اشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قوله اودعها بصيغة الفاعل وهى نسخة المصنف وفى نسخة العوفى على بناء المفعول وجعله التلمسانى مضارعا وهو مستقيم باسناد الفعل اليه سبحانه وتعالى واما قوله ويتجه اذا سقط فى ٭ [illegible] الكلام ومحمد مرفوع اذ هو النائب عن الفاعل وهوالله سبحانه وتعالى فكلام

ساقط الاعتبار كما لا يخفى على المعتبر بين الاخيار (وقال محمد بن على الترمذى) هو من كبار المشايخ له تصانيف في علوم القوم ومن تأليفه نوادر الاصول في الحديث باسانيده وهو ابو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر الزاهدى المؤذن روى عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما واعتنى بهذا الشان ورحل فيه وروى عنه يحيى بن منصور وخلق كثير من علماء نيسابور فانه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وهو معظم جليل علما وعملا واعتقادا عند اكابر ماوراء النهر من العلماء والسادة الصوفية لاسيما الطائفة السادة النقشبندية وتكلم على اعتقاده ابو العباس ابن تيمية من اجل كتابه ختام الولاية ولعله مافهم مقصوده من الاشارات الخفية وقد سبق تحقيق الترمذى مبنى ومعنى ومنها ابو عيسى الحافظ الترمذى كما تقدم والله اعلم (هو) اى قدم صدق (امام الصادقين والصديقين) بكسر الهمزة اى قدوتهم و مقتداهم او بفتحها اى مقدمهم خلقة ورتبة و قدامهم فى مقام الشفاعة كما اشار اليه بقوله (الشفيع المطاع) اى المقبول الشفاعة و لعله عدل عن الشفيع المشفع للايماء الى قوله سبحانه و تعالى ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع يعنى بخلاف المؤمنين فانه لهم شفيع مطاع مع ان النفى فى الآية منصب على القيد والمقيد جميعا (والسائل المجاب) اى المستجاب فى سؤاله الاعم من الشفاعة و بقية احواله (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمى)

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة و المبرة) اى فى عتابه المنزل فى كتابه والمورد بفتح الميم وكسر الراء محل ورود الكلام ومقصد المرام والمبرة بفتحتين وتشديد الراء بمعنى البر وهو الاتساع فى الاحسان على مافى القاموس (من ذلك) اى من هذا القبيل (قوله تعالى عفا الله عنك) معاتبة على وجه الملاطفة (لم اذنت لهم) اى للمنافقين حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (قال ابو محمد المكى) مر الكلام عليه وفى نسخة مكى (قيل هذا) اى قوله عفا الله عنك (افتتاح كلام) اى ابتداء كلام الله سبحانه له فى كتابه عند خطابه (بمنزلة اصلحك الله) وماصنعت فى حاجتى (واعزك الله) هلا شرفتنى بزيارتك لى ونحو ذلك فيما يخاطب به الملوك والعظماء بتقديم الدعاء والثناء على ابناء الانباء ونظيره ماورد فى الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه مااخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجونى والحاصل ان العادة جارية فى مقام التبجيل والاكرام لمخاطبة الكرام بنحو هذا الكلام و ان لم يكن هناك شئ من الاثام ثم التشبيه لايقتضى المشابهة من جميع الوجوه فلا يرد ان مثل هذا الكلام انما يكون بين المتساويين فى الاقدام او من الادنى فى مخاطبة الاعلى لا بالعكس كما لايخفى (وقال عون ابن عبد الله) اى ابن عتبة بن مسعود الهندى الكوفى الزاهد الفقيه اخو عبيد الله الذى هو احد الفقهاء السبعة بمدينة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل روايته عن الصحابة مرسلة لكن حديثه عن ابن عمر فى مسلم ولم يلحقه وعنه الزهرى وابو حنيفة وقد اخرج له مسلم و الا ربعة توفى فى حدود ستين و مائة (اخبره الله بالعفو قبل ان يخبره بالذنب) تسلية له فى هذا الباب وملاطفة معه فى مقام العتاب و قوله يخبره من باب الافعال اوالتفعيل و هما بمعنى واحد و اما قول الحلبى وكانه اراد التنويع فى الكلام لبس له نتيجة فى المرام لان التشديد فى هذا المقام لبس للتنويع المتفرع على التكثير بل للتعدية كما صرح به صاحب القاموس والجوهرى فى التقرير (و حكى السمرقندى) اى ابو الليث (عن بعضهم ان معناه عافاك الله تعالى باسليم القلب) من غير ذكر الرب كما فسر به قوله تعالى الامن اتى الله بقلب سليم (لم اذنت لهم قال) اى السمرقندى او بعضهم المنقول عنه ماتقدم (ولو بدأ) بالهمزة اى ابتدأ الله (النبي) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة ولو بدأه (بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه) اى ينصدع و ينقطع (من هيبة هذا الكلام) اى المشعر بانه وقع فى الآثام (لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو) اى مبتدئا بالمسامحة عن اجازته (حتى سكن قلبه) اى وسلم من الدهش لبه وفى نسخة يسكن قلبه وفى بعض النسخ بتشديد الكاف فقلبه منصوب (ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف) اى عن غزوة تبوك (حتى يتبين لك الصادق فى عذره من الكاذب) اى فى عذره لما حكى عن مجاهد ان بعضهم قالوا فى غزوة تبوك نستأذنه فى الاقامة ان اذن لنا اقمنا وان لم يأذن لنا اقمنا واعتذرنا له بعد ذلك بعذر يقبله منا (وفى هذا) اى الخطاب فى مقام العتاب وفى نسخة وهذا (من عظيم منزلته عند الله تعالى مالا يخفى على ذى لب) اى صاحب عقل سليم من وهم سقيم (ومن اكرامه اياه و بره) اى انعامه له (ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) بكسر النون عرق من الوتين ينوط القلب به من جانب الصلب اذا قطع مات صاحبه وقال بعض المفسرين هو الوريد ويروى فى غير الشفاء مناط القلب (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح طاء مهملة وواو وسكون تحتية فهاء

مكسورة وفي نسخة بضم الطاء وسكون الواو وفتح الياء والتاء المنقلبة عنها الهاء وقفا على وفق القياس وقيل بسكون الهاء وصلا ايضا و يؤيده ماذكره ابن الصلاح ان اهل العربية يقولون فيه وفي نظائره بواو مفتوحة مفتوح ماقبلها ساكن مابعدها ومن ينحو بها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة مضموم ماقبلها مفتوح مابعدها وآخرها هاء على كل قول والتاء خطأ وسمعت الحافظ ابامحمد عبدالقادر بن عبدالله يقول سمعت الحافظ اباالعلاء يقول اهل الحديث لايحبون و يه اى يقولون نفطو يه مثلا بواو ساكنة تفاديا من ان يقع في آخر الكلام و يه انتهى وهو ابوعبدالله محمد بن ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدى النحوى الواسطي ظاهرى المذهب له التصانيف الحسان في الآداب توفي سنة ثلاث وثلثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة (ذهب ناس) اى من المفسرين (الى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية) بصيغة المفعول (وحاشاه من ذلك) اى منزه عن ان يعاتب او ينسب اليه ذنب (بل كان مخيرا) ضبط بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة في حاشية الحلبي وهو تصحيف وتحريف والصواب انه بتشديد التحتية المفتوحة اى مختارا بين الاذن وعدمه اذلم يتقدم له في ذلك نهي من الله سبحانه كما ذكره الزمخشري واقول بل التخيير مصرح به في قوله تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم (فلما اذن لهم) اى في هذه القضية وفي نسخة فلما ان اذن (اعلمه الله) بما اضمروه مما هو من دأبهم (انه لو) وفي نسخة ان (لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم) اى وظهر خلافهم وتحقق شقاقهم (وانه لاحرج) اى لاإثم (عليه في الاذن لهم) زاد القشيري بعد ذكر هذا المعنى في تبيين المبنى ان عفا ههنا ليس بمعنى غفر بل كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل و الرقيق وهي لم تجب عليهم قط فكذلك قوله تعالى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنب اوانما يقول العفو لايكون الاعن ذنب من لم يعرف كلام العرب انتهى ولعل الاولى ان يقال وقع العتاب ولايلزم من العتاب تحقق العقاب المحتاج الى العفو وانماهو بيان ان عدم اذنهم كان اصلح بخصوص شانهم لفضاحة حالهم وخزية مآلهم خلاف مااختاره صلى الله تعالى عليه وسلم من الاخذ برضاهم بدناءة افعالهم استبقاء لهم على احوالهم و اعتمادا على الله في ادبارهم واقبالهم (قال الفقيه القاضي ابو الفضل) اى المصنف (يجب على المسلم) اى الكامل (المجاهد نفسه) اى في مرضاة ربه (الرائض بزمام الشريعة خلقه) بضمتين و يسكن الثاني وهو منصوب والمراد به تدريبه وتمرينه بما شرعه الله الينا من انواع تهذيبه و الرائض بهمزة مكسورة اسم فاعل من رضت المهر اروضه رياضة ذللته وجعلته طوع ارادتك و الزمام بالكسر بمعنى اللجام وهو مستعار للاحكام (ان يتأدب بآداب القرآن) اى من المستحسنات كما قال الله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وفي نسخة بادب القرآن فهو مصدر بمعنى المفعول اى بما يتأدب به منه (في قوله وفعله) اى مع الحق فيتسم بالعدل والصدق في معاملاته (ومعاطاته) اى عطائه واخذه ومناولاته (ومحاوراته) بالحاء المهملة اى مخاطباته ومجاوباته و مراجعاته ومعارضاته مع الخلق فان الصالح من قام بحقوق الله وحقوق العباد وكلها مستفاد من القرآن على احسن البيان ولذا لماقيل لعائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن تعني كان يمتثل لمأموراته و يجتنب عن منهياته وفيه ايماء الى انه لايكون كمن قال لاخيه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا مفتخرا بذلك متغررا به كافر النعمة ربه معرضا نفسه لسخطه مستوليا عليه حرصه متماديا في غفلته تاركا نظره في عاقبته ولعمرى ان اكثر الاغنياء الاغبياء وان لم يلهجوا بنحوه فالسنة احوالهم ناطقة مع شهود افعالهم (فهو) اى القرآن (عنصر المعارف الحقيقية) اى اساسها و منبعها من الامور العلمية و الاحوال العملية بضم العين و الصاد و بفتح الاصل (و روضة الآداب الدينية و الدنيوية) اى المحتاج اليها في امور الدين والدنيا مماله تعلق بامر العقبى وطريق المولى لقوله تعالى ولارطب ولايابس الا في كتاب مبين مافرطنا في الكتاب من شيء او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والعجب كل العجب من المؤمن بالكتاب و السنة المبينة للخطاب ان يعدل عن تعلمهما والعمل بهما مع ان بعضهما فرض عين خاصة ومنهما فرض كفاية عامة وهو يقدم عليهما اكتساب العلوم المذمومة او المباحة من المنطق و الكلام و الهيئة و الحساب و الفلسفة ودقائق العربية وغيرهما مماكان السلف لم يتداولوها ولم يتناولوها بل طعنوا فيها وفي من اقبل عليها (وليتأمل) اى وليتدبر المسلم المذكور (هذه الملاطفة العجيبة) اى والمخاطبة الغريبة الكائنة (في السؤال) اى في سؤاله سبحانه وتعالى بصورة الاستفهام عنه عليه الصلاة والسلام (من رب الارباب) اى المنزه عن المناسبة بينه و بين ما خلق من التراب (المنعم على الكل) اى عموما وخصوصا (المستغني عن الجميع) اى جميع العباد من السعداء والاشقياء اوعن عبادة جميعهم هذا وقال الجوهري كل و بعض معرفتان ولم يجيئا عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة اضيفت او لم تضف انتهى وقال ابن فارس كل اسم موضوع للاحاطة يكون مضافا ابدا الى مابعده

وقد صرح الزجاج بقوله بدل البعض من الكل كما حكاه عنه ابو حيان (ويستثر) بفتح التحتية وسكون المهملة وفتح الفوقية و كسر المثلثة من ثار الشئ اذا ارتفع و انتشر واستثاره طلب ظهوره ويروى ويتبين وجعله الحجازى اصلا كما فى نسخة والظاهر ان يكون مجزوما للعطف على يتأمل كما جزم به الدلجى ويجوز رفعه كما فى نسخة اى يظهر و ينشر و يبحث ويستخرج (مافيها) اى فى هذه الملاطفة العجيبة (من الفوائد) اى المنافع الغريبة (وكيف) اى ومن جملتها ان يعلم انه سبحانه وتعالى كيف (ابتدأ) اى فى الخطاب (بالاكرام) اى بتعظيمه بقوله عفا الله عنك مصدرا فى الكتاب (قبل العتب) بفتح وسكون اى قبل بيان العتاب (وآنس) بالمد وفى نسخة بالفتح والشد واصل الايناس ضد الايحاش فالمعنى كيف اذهب وحشة الانس واظهر لذة الانس من حضرة القدس (بالعفو) اى بذكره (قبل ذكر الذنب) من اضافة المصدر الى مفعوله وفى نسخة قبل ذكره الذنب وجعله الحجازى اصلا والاخر رواية والمراد الذنب باعتبار الصورة الظاهرة المأخوذة من المعاتبة المعبر عنها بخلاف الاولى لما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين من حيث الغفلة فى تلك الحالة عن مشاهدة المولى ولذا استدركه المصنف بقوله (ان كان) اى بالفرض والتقدير (ثم) بالفتح فتشديد اى هناك (ذنب) و المعنى انه لاذنب هناك حقيقة و انما وقع فى صورة المعتبة (وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) المعنى ولو لاثبوت تثبيتنا اياك لقد قاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من ادنى الميل اذ ذاك لكن امتنع قرب ميلك وهواك لوجود تثبيتنا اياك و نظيره لولاك لما خلقت الافلاك وهذا لان لولا حرف امتناع للشئ لوجود غيره وان مع الفعل فى تأويل المصدر والجملة فى محل الرفع على الابتداء والخبر محذوف لعلم السامع به واللام جواب لو كقولهم لولا زيد اى موجود لهلك عمرو و المحققون يقدرون مضافا قبل المبتدأ ليستغنى به عن تقدير الخبر مع قيام لو مقامه واختلفوا فى سبب نزول الاية فقيل وهو المحكى عن مجاهد وابن جبير ان قريشا قالوا لاندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس اوثاننا فخطر فى باله انه يفعل ليتمكن من استلام الحجر فى مآله وقيل فى استدعاء الاغنياء طرد الفقراء وقيل غير ذلك و قد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين (قال بعض المتكلمين) اى من جملة المفسرين (عاتب الله الانبياء) اى كآدم ونوح و داود عليهم الصلوة والسلام (بعد الزلات) اى العثرات الصورية والخطرات البشرية الضرورية فان الزلة ماصدر من سالك الطريقة من غير قصد المخالفة (وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه) اى قبل وقوع الزلل وحصول الخلل (ليكون) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) اى بسبب ذلك العتاب على وجه الاهتمام (اشد انتهاء) اى عن المخالفة (ومحافظة لشرائط المحبة) اى واكثر مراعاة لشرائط المودة من الموافقة و المتابعة فى الطاعة (وهذه) اى الحالة (غاية العناية) اى ونهاية الرعاية فى الحماية فان المعاتبة انما تكون على حسب المكانة اما ترى ان الله تعالى آخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمثاقيل الذر لقربهم عنده وحضورهم وتجاوز عن العامة امثال الجبال لمكان بعدهم وغيبتهم فان الزلة على بساط الاداب ليست كالذنب على الباب كما لايخفى على اولى الالباب (ثم انظر) اى ايها الناظر بعين الاعتبار وتفكر فيما يشار اليه من علو المقدار لاحمد المختار صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بدأ) اى الله (بثباته) اى على الموافقة (وسلامته) اى من المخالفة (قبل ذكر ماعتبه عليه) وفى نسخة عاتبه عليه (وخيف ان يركن اليه فى اثناء عتبه براءته وفى طى تخويفه) اى فى ضمن اخافته (تأمينه) اى جعله مأمونا من المخالفة (وكرامته) اى بالثبات على الموافقة (ومثله) اى فى هذا المعنى (قوله تعالى قد نعلم انه) اى الشان (ليحزنك الذى يقولون) قرأ نافع من احزنه يحزنه والباقون من حزنه يحزنه بفتح الزاى فى الماضى وضمها فى الغابر وكلاهما متعديان بمعنى واحد واما حزن يحزن من باب علم فهو لازم فاعلم والزم والمعنى بالتحقيق او فى بعض اوقاتك من التضييق نعلم ان الشان ليوقعك فى الحزن ما يقولون فى شاننا او فى حق القرآن او فى حقك كقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (فانهم لايكذبونك) بالتشديد للجمهور وبالتخفيف لنافع والكسائى والمعنى لاينسبونك الى الكذب ولايتهمونك به ولاينكرون امانتك وديانتك او لايكذبونك فى الحقيقة (الآية) اى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون يعنى ينكرونها او ينكرون عليك بسبب اتيان آياتنا فقط وفى هذا نوع تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد لهم ولكن لم يظهر لايرادها وجه مناسبة ولاجهة ملايمة لما نحن فيه من مرتبة المعاتبة وقضية الملامة (قال على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى وصححه الحاكم (قال ابو جهل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لانكذبك) اى فى الصدق والامانة (ولكن نكذب بما جئت به) اى من القرآن الدال على التوحيد والديانة (فانزل الله تعالى فانهم لايكذبونك الاية) وفى نسخة فنزلت وانما هو شهادة من الله تعالى له بالصدق والديانة وبيان ان هذا مما اتفق عليه الامة عامة (و روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه) وفى نسخة اكذبه

(قومه حزن) بكسر الزاي اي اغتم (فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال مايحزنك) بالوجهين السابقين (فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق) لكن جئت بشئ لبس لغرضهم موافقا (فانزل الله تعالى الاية) اي المتقدمة قال الدلجي وحديث جبريل هذا اورده بصيغة روى ولم اعرف من رواه (ففي هذه الاية منزع) بفتح ميم فسكون نون وفتح زاي اي مأخذ ومشرع (لطيف المأخذ من تسليته تعالى عليه الصلاة والسلام) اي باذهاب حزنه وجلب انسه (والطافه به) بكسر الهمزة اي اكرامه (في القول) اي في قوله (بان قرر عنده) اي بما اطمأنت به نفسه (انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له) اي في الحقيقة بل مكذبين لنا اوغير مكذبين في الباطن (لانهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا) اي عامة المشركين (يسمونه) سماه وسماه بمعنى والمراد هنا يصفونه و يعدونه (قبل النبوة الامين) اي من الامانة في القول والفعل والعهد والوعد ضد الخيانة (فدفع) اي الله سبحانه وتعالى (بهذا التقرير) اي المذكور في الآية بالتحرير وهو في اصل المصنف بالزاء ثين و جعل التلمساني اصله بالدال بعد القاف بمعنى الفرض والتصوير قال و بالراء بمعنى تبينه وتمهيده وكل منهما قريب من الآخر فتدبر (ارتماض نفسه) اي اقلاقها واحراقها (بسمة الكذب) بكسر السين اي بوسمه وعلامته من الوسم واصلها في المكي للامارة والكذب بفتح فكسر هو الافصح ويجوز بكسر فسكون وهو انسب اذا قوبل بالصدق للمشاكلة اللفظية كما قال به بعض ارباب العربية في الابواب الادبية (ثم جعل) اي الله سبحانه وتعالى (الذم لهم بتسميتهم) اي بتسميته اياهم (جاحدين) اي منكرين عنادا (ظالمين) اي بوضع التكذيب موضع التصديق (فقال الله تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه) اي نزهه سبحانه وتعالى (من الوصم) اي العيب وهو بسكون الصاد وضبط في حاشية بكسر الصاد وهو وهم لانه حينئذ وصف لامصدر ولاوجه له هنا (وطوقهم) اي الزم اطواقهم في اعناقهم (بالمعاندة) اي بسبب المناظرة على وجه العناد (بتكذيب الايات) متعلق بالمعاندة (حقيقة المعاندة) منصوب على المفعول الثاني لطوق وفي بعض النسخ حقيقة الظلم اي تحقيقا للظلم (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشئ ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا) اي تعديا وتكبرا ونصبهما على العلة لجحدوا والجملة بينهما معترضة بالحالية لا يقال ان الجحد بمعنى الانكار في الماضي مطلقا كما هو مقرر في علم التصريف فوجود العلم يؤخذ من جملة واستيقنتها لانا نقول الجحد في اللغة هو الانكار مع العلم كما صرح به صاحب القاموس ففي الاية تجريد اوتاكيد ثم حاصل كلام المصنف رحمه الله تعالى ان الجمع بين الامرين وهو نفي تكذيبهم واثبات جحدهم انهم كانوا غير مكذبين له بقلوبهم فانهم يعلمون صدقه في كل قضية ولكنهم جحدوا بناء على عنادهم كما تدل عليه الاية الثانية وهذا تأويل حسن ومسلك مستحسن ويصححه ماروى ان الاخنس بن شريق لقي اباجهل يوم بدر فقال له يا اباالحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا غيري وغيرك فقال له والله ان محمدا لصادق وماكذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنوا قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فما ذا يكون لسائر قريش وقيل وجه ثان في الجمع بينهما وهو ان يكون معنى الاية ان الله عزوجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انهم لما اصروا على تكذيبك مع ظهور المعجزات الخارقة على وفق دعواك لم يكذبوك وانما كذبوني انا وهذا كما يقول القائل لرجل اهان عبدا له انك لم تهن عبدي وانما اهنتني وهنا وجه ثالث وهو ان الظالمين ما خصوك بالتكذيب بل عم تكذيبهم لسائر المرسلين ولايلائمه ماذكره المصنف بقوله (ثم عزاه) بتشديد الزاي اي سلاه وصبره (وآنسه) بالضبطين اي سكنه وازال وحشته (بما ذكره عمن قبله) اي من الانبياء (ووعده النصر) اي على الاعداء (بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية) يعني فصبروا على ماكذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين (فمن قرأ لايكذبونك بالتخفيف) وهو نافع والكسائي (فمعناه لايجدونك كاذبا) فهو من باب ابخلته وجدته بخيلا (وقال الفراء) بتشديد الراء وهو الامام النحوي اللغوي الكوفي مات سنة سبع ومائتين في طريق مكة ولم يكن يعمل الفرو ولا يبيعها وانما قيل له ذلك لانه يفري الكلام اي يصنعه ويأتي بالعجب منه (والكسائي) بكسر الكاف لانه كان ملتفا بكساء عند قراءته على حمزة وقيل لانه احرم بكساء وهذا القول جزم به ابوعمرو الداني في التيسير ونظمه الشاطبي في كتابه وهو احد القراء السبعة والامام في النحو واللغة من اهل الكوفة روى عن ابي بكر بن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم وعنه الفراء وابوعبيد القاسم بن سلام وغيرهما توفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري وقيل بطوس والحاصل انهما قالا في معنى لايكذبونك بالتخفيف (لايقولون انك كاذب) فيكون معناه النسبة كالاكفار والتكفير وهو انسب للجمع في المعنى بين القرائتين (وقيل لايحتجون) اي لايستدلون (على كذبك ولايثبتونه) اي شبهة فضلا عن حجة وهو راجع الى قولهما في المعنى وان اختلف في المبنى (ومن قرأ بالتشديد) وهم الباقون (فمعناه لاينسبونك

الى الكذب وقيل لايعتقدون كذبك) وهو خلاصة المعنيين وزبدة القراتين (ومما ذكر من خصائصه) اى الدالة على زيادة قدره (و براءة تعالى به) اى اكرامه له من بين اصفيائه (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام) اى المذكورين فى القرآن (باسمائهم) اى باعلامهم دون اوصافهم الدالة على اعظامهم (فقال يا آدم) انبئهم باسمائهم (يانوح) اهبط بسلام (يا ابرهيم) قد صدقت الرؤيا (ياموسى) انى انا الله (ياداود) انا جعلناك خليفة (ياعيسى) انى متوفيك (يازكريا) انا نبشرك (يايحيى) خذ الكتاب بقوة وامثال ذلك (ولم يخاطب) بفتح الطاء ويروى ولم يخاطبه كذا ذكره الحجازى لكن لايلايمه قوله (هو) ولعله غير موجود فى تلك الرواية (الا ياايها النبي ياايها الرسول ياايها المزمل ياايها المدثر) يعنى فهذا كله دال على رفعة منزلته عنده فان السيد اذا دعا احد عبيده باوصافه المرضية واخلاقه العلية ودعا غيره باسمه العلم الذى لايشعر بوصف من الاوصاف الجلية دل على ان عزته عنده اكثر من غيره كما فى عرف المخاطبة وآداب المحاورة ومعنى المزمل واصله المتزمل المتغطي بالثوب وكذا المدثر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لخديجة رضى الله تعالى عنها حين رجع من غار حراء بعد ماحاوره الملك ماحاوره زملونى زملونى وفى رواية اخرى دثرونى دثرونى على ماورد فى الصحيح وانما خوطب بالمزمل والمدثر فى هذا المقام للملاطفة والتأنيس اذ من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمي المخاطب باسم تشتقه من الحالة التى هو فيها كقوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة قم يا نومان ولعلي بن ابي طالب وقد نام فى التراب قم يا اباتراب هذا بحسب دلالة الخطاب ومن ذلك انه تعالى منع الخلق صريحا ايضا فى الكتاب اى لسد هذا الباب حيث قال لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقد قال كثير من العلماء اى لاتقولوا يا محمد يا احمد ونحوهما ولكن قولوا يارسول الله يا نبي الله وان مناداته عليه الصلاة والسلام باسمائه الاعلام من نوع الحرام فى الاحكام

﴿ الفصل الرابع ﴾

(فى قسمه تعالى بعظيم قدره) القسم بفتحتين الحلف (قال الله تعالى لعمرك) اى قسمي يامحمد لعمرك (انهم لفى سكرتهم) اى غرتهم وغفلتهم (يعمهون) اى يتحيرون ويترددون والضمير لقوم لوط وقيل راجع الى قريش وهو بعيد جدا غير ملايم للسابق واللاحق على ماذكروه والاظهر ان الجملة قسمية معترضة فيما بين القصة فلا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى كفار قومه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الملايم لخطابه وحكاية غفلتهم عن جنابه ثم رأيت الطبرى جزم بان ضمير يعمهون لقريش والجملة اعتراض بين الاخبار بقبائح قوم لوط و بين الاخبار بهلاكهم تنبيها على ان من كان هذا دأبه فجدير ان لاينفعه تأديب ولايؤثر فيه تأنيب وتنفيرا للسامع عن هذه القبائح المورثة للفضائح (اتفق اهل التفسير فى هذا) اى فى قوله لعمرك (انه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وقيل المراد به لوط كما ذكره البيضاوى فالمراد باهل التفسير اكثرهم وجمهورهم مع ان البغوى ايضا اقتصر على الاول ثم اذا كان المراد به لوطا فالقائل الملك لئلا ينافى مارواه البيهقى وابن ابى شيبة وابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما ما حلف الله تعالى بحياة احد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك بل اخرجه ابن مردويه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا قال ما حلف الله بحياة احد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك (واصله) اى اصل الاستعمال لعمرك (بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) والاظهر ان يقال العمر بضمتين وهو الافصح الوارد فى القرآن وبالضم والفتح ايضا على مافى القاموس الا انه لايستعمل فى القسم الا بالفتح لخفة لفظه وكثرة دورانه كما فى البيضاوى وغيره (ومعناه) اى كما رواه ابو الجوزاء عن ابن عباس (وبقائك) اى ومدة بقائك فى الدنيا (يامحمد) كقوله تعالى والعصر اى عصر نبوته فى قول او بقائك بناء بعد فنائك فينا (وقيل) اى كما رواه ابن ابى طلحة عن ابن عباس ايضا وعزى الى الاخفش (وعيشك) اى وطيب معيشتك فى الكونين لقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة اى فى الدنيا بالزهد فيها والتقليل منها والصبر على مامرها والشكر على حلوها (وقيل وحياتك) اى باسمك الحيي والتخصيص للتشريف والكل بمعنى واحد وانما ذكرها لاختلاف الفاظها (وهذه) اى المعانى كلها (نهاية التعظيم وغاية البر) اى التكريم (والتشريف قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى فيما رواه البيهقى فى دلائله وابو نعيم وابو يعلى (ماخلق الله) اى ماقدر (وماذرأ) اى خلق وكانه مختص بالذرية وفى الحديث انهم ذرء النار اى انهم خلقوا لها (ومابرأ) اى خلق الخلق من البرا وهو التراب اومختص بذات الروح ولذا يقال ياباريء النسمة اومعناه خلق خلقا بريئا من التفاوت اواريد بالثلاثة معنى واحد وكرره للتأكيد كما فى الحديث نعوذ بالله الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه من شرماخلق وذرأ و برأ والمراد ماوجد من العدم (نفسا) اى شخصا ذا نفس (اكرم عليه) اى انفس عنده وافضل لديه (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ثم كان كالدليل عليه (وماسمعت الله عز وجل) اى ماعلمته (اقسم بحياة احد

غيره وقال ابو الجوزاء) بجيم وزاى مفتوحتين بينهما واو ساكنة فالف بعده همزة اوس بن عبدالله الربعي البصري روى عن عائشة وغيرها وعنه قتادة وعدة اخرج له الجماعة الستة واما ابو الحوراء بالحاء المهملة والراء فراوى حديث القنوت (ما اقسم الله عز وجل بحياة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده) والبرية بالهمز والتشديد بمعنى الخليقة ومنه قوله تعالى اولئك هم خير البرية وهى فعيلة بمعنى مفعولة وانثت لانها خرجت عن الصفة واستعملت استعمال الاسماء المحضة واما ماجزم به الحجازى من انها غير مهموزة فغفلة عن القراءة لان نافعا وابن ذكوان قرآ فى الاية بالهمزة (وقال تعالى يس والقرآن الحكيم) عطف على يس ان جعل مقسما به والا فواوه للقسم واسند اليه الحكمة لانه صاحبها اوناطق بها (الاية) اى انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (اختلف المفسرون فى معنى يس على اقوال) اى صدرت من بعض المتأخرين اقوال فالجمهور من السلف وجمع من الخلف على ان الحروف المقطعة فى اوائل السور مما استأثر الله تعالى به علما ويقولون الله اعلم بمراده بذلك (فحكى ابو محمد مكى) وقد مر ذكره (انه روى) اى فى دلائل ابى نعيم وتفسير ابن ابى مردويه من طريق ابى يحيى التيمى قيل وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لى عند ربى عشرة اسماء) وهو لاينافى الزيادة لانها قاربت الخمسمائة (وذكر) اى ابو محمد مكى ويحتمل ان يكون مرفوعا لكن عبارته تأبى عنه وهى (ان منها طه و يس اسمان له) ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح وقد ضعفه القاضى ابو بكر بن العربى على ماذكره الحجازى ثم قال واما هذا القول وهو انه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب اليه سعيد بن جبير وقد جاء فى الشعر مايعضده وذلك قول السيد الحميرى

﴿ يانفس لاتمحضى بالنصح جاهدة * على المودة الا آل ياسينا ﴾

يريد الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون حرف النداء على هذا محذوفا من الاية وكان الاصل ان يكتب ياسين على اصل هجائها ولكن اتبعت فى كتبها على ماهى عليه المصا حف الاصلية والعثمانية لمافيها من الحكمة البديعية وذلك انهم رسموها مطلقة دون هجاء لتبقى تحت حجاب الاخفاء ولا يقطع عليها بمعنى من المعانى المحتملة ومما يؤيد هذا المعنى قوله تعالى سلام على آل ياسين بمد الهمزة على قراءة نافع وابن عامر فقد قال بعض المفسرين معناه آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قيل اصل طه معناه طاء من الوطئ فابدل الهمزة هاء واجرى الوصل مجرى الوقف وقيل معناه يارجل بالحبشية اوالعبرانية اوالقبطية اوالنبطية (وحكى ابو عبدالرحمن السلمى عن جعفر الصادق انه اراد) بقوله يس (ياسيد) اى بطريق الرمز (مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ملاطفة ومطايبة ومخافتة وهذا مختصر مانقله السلمى عنه بقوله قال الصادق فى قوله يس ياسيد مخاطبا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولم يمدح بذلك نفسه ولكنه اخبر عن مخاطبة الحق اياه بقوله يس وهذا شبيه بقوله صلى الله تعالى عليه و سلم حيث قرأ على المنبر ونادوا يامال فلما اخبر الله تعالى عنه بالسيادة وامره بتصرمحه صرح بذلك فقال ان الله تعالى دعانى سيدا وانا سيد ولد آدم ولا فخر اى ولا فخر لى بالسيادة لان افتخارى بالعبودية اجل من اخبارى عن نفسى بالسيادة انتهى والحاصل ان الياء منها للنداء والسين اشارة الى لفظ سيد اكتفاء ببقاء الكلمة لدلالتها على باقيها وهذا مذهب العرب يستعملونه فى كلامهم واشعارهم وقد حكى سيبويه ان الرجل منهم يقول للآخر الاتا اى الاتفعل فيقول الآخر بلى سا اى بلى سافعل ويكتفون بذلك عن ذكر الكلمتين بكمالهما وقد ورد فى الحديث كفى بالسيف شا واستغنى بذلك عن ان يقول شاهدا (وعن ابن عباس) اى على مارواه ابن ابى حاتم (يس) اى معناه (ياانسان) ولما كان الانسان اسما لعموم افراد الانس قال (اراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لانه الفرد الاكمل والمقصود من الخلق الاول (وقال) اى ابن عباس كما رواه ابن جرير (هو) اى يس (قسم) اى اقسم به سبحانه وتعالى بحذف حرف القسم قالوا وفى قوله والقرآن الحكيم عاطفة اومعادة (وهو) اى يس اسم على مارواه ابن ابى طلحة عنه (ايضا من اسماء الله تعالى) اى تصريحا اوتلويحا وهو لاينافى ان يكون من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الاسماء بمعنى الاوصاف لابمعنى الاعلام وقد اطلق بعض صفات الله تعالى على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم كالرؤف والرحيم و امثالهما مع الفرق بين اوصافه سبحانه وتعالى ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره (وقال الزجاج) هو ابو اسحق ابراهيم النحوى نسبة الى الزجاج لصنعته مات سنة عشر وثلاثمائة ببغداد (قيل معناه يا محمد) اى بطريق الايماء كما سبق فى ياسيد وغيره (وقيل يارجل) اى بالحبشية كما روى عن الحسن وسعيد بن جبير ومقاتل انها لغة حبشية يعنى انهم يسمون الانسان سين (وقيل ياانسان) اى بلغة طى كما رواه الكشاف وعن ابن عباس على ان اصله ياانيسين بالتصغير فاقتصر على شطره لكثرة النداء به (وعن

ابن الحنفية) كما رواه البيهقي في دلائله وهو محمد ابن علي ابن ابي طالب نسبة الى امه وهي خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلم من سبي بني حنيفة واشتهر بها وهو من كبار التابعين دخل على عمر بن الخطاب وسمع عثمان بن عفان وغيره واخرج له الجماعة مات سنة ثمانين وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر (يس يا محمد) اى يا احد التأويلات السابقة (وعن كعب) اى كعب الاحبار (يس قسم اقسم الله تعالى عز وجل به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام) الظاهر ان المراد به الكثرة الخارجة عن التعديد لا التحديد وان المقصود به هو انه سبحانه وتعالى اقسم برسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم في كلامه القديم (يا محمد انك لمن المرسلين) فكانه اراد ان التقدير اقسم بك يا محمد انك لمن المرسلين (ثم قال تعالى) اى اظهارا بعد ذكره اضمارا وتأكيدا بعد اقسامه تأييدا (والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) على انه لابدع انه سبحانه اقسم به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل خلق الكائنات بالفي عام عند ابداع روحه الشريف وابداء نوره اللطيف صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال في كتابه القديم مطابقا لما اقسم برسوله العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يندفع ما ذكره التلمساني من ان هذا القول عندي في غاية الاشكال لان القرآن كلام الله وكلامه صفة من صفاته القديمة فلا يصح ان يذكر في تقدمه عن خلق الارض مقدارا معينا لان خلقهما محدث فالاولى ان تضعف الروايات الواردة عن كعب بهذا ما امكن فان صح ذلك عنده فليترك علمه الى الله سبحانه وتعالى اذ لا يقول كعب هذا الا بتوقيف وليس ذلك مما يدرك بالاجتهاد والرأي انتهى وفيه ان كعبا ممن ينقل عن الكتب السالفة والعلماء الماضية فلا يقال في حقه انه لا يقول الا بتوقيف فان هذا الحكم مختص بالاقوال الموقوفة المروية عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ممن ليس لهم رواية عن غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فهم حينئذ حكم مرفوعهم كما هو مقرر في علم اصول الحديث حتى لم يعدوا عمرو بن العاص ممن لا يقول الا بالتوقيف فافرق بين القول الصحيح والضعيف وقد يجاب بان المراد به انه ابرزه في ام الكتاب اى اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه ثم قال المصنف (فان قدر) اى فرض وفي نسخة قرر (انه) اى يس (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه) اى في القول (انه قسم) اى ايضا (كان فيه من التعظيم ما تقدم) اى من ان الله تعالى ما اقسم بحياة احد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (ويؤكد فيه القسم) اى المستفاد من المقدر المرموز (عطف القسم الآخر) بالفتح ويجوز الكسر وهو المذكور المصرح (عليه) اى على ذلك القسم فتكون الواو الثانية عاطفة او مؤكدة كما اشرنا اليه (وان كان) اى مجموع يس (بمعنى النداء) يعني وليس المراد به انه من الاسماء وان كان يس بمعنى المنادى (فقد جاء قسم آخر فيه) اى قسم آخر ليس وجهه مما يظهر (بعده) اى بعد ندائه (لتحقيق رسالته) اى بقوله انك لمن المرسلين (والشهادة بهدايته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حيث قال على صراط مستقيم (اقسم الله تعالى باسمه) اى بناء على القول الاول في يس (وكتابه) اى في قوله والقرآن الحكيم (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه) اى الموجب لايقانه والمقتضى لاكمال اعمال اركانه (اى) يعني معنى صراط مستقيم انه من الثابتين (على طريق لا اعوجاج فيه) اى لا ميل الى طرفي الافراط والتفريط من تشبيه وتعطيل وجبر وقدر (ولا عدول عن الحق) اى عن الحكم الثابت بالوجه الصدق او عن الوصول اليه سبحانه وتعالى والحصول على رضاه عز شانه (قال النقاش) ابو بكر محمد ابن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي البغدادي المفسر المقري توفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وقد اثنى عليه ابو عمرو الداني وقد طعنوا في رواية حديثه (لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام بالرسالة في كتابه) اى القرآن لعدم علم النقاش بسائر خطابه ولا يبعد ان يراد به جنس كتابه (الا له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه) اى وفي هذا التخصيص (من تعظيمه وتمجيده) اى تكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم (على تأويل من قال) اى في يس (انه يا سيد ما فيه) اى الذي فيه من غاية التفخيم الذي يعجز عن بيانه نطاق التكليم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر) قال الحجازي واكثر الروايات في هذا الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة وهكذا رواه مسلم والترمذي قلت وفي الجامع الصغير انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع رواه مسلم و ابو داود عن ابي هريرة ورواه احمد والترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد ولفظه انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر انتهى ولا شك ان زيادة الثقة مقبولة والمعنى لا اقوله افتخارا لمقامي بل تحدثا بنعمة ربي او المعنى لا افتخر بهذا بل بما فوقه مما لا يعبر ثم السيد في اللغة الشريف الذي فاق قومه في الخير وهو فيعل بكسر العين من ساد يسود وهو المعتمد الذي عليه البصريون ونظيره صيب وثيب والحاصل ان المصنف اتى بهذا الحديث عاضدا للقول بان المراد في الاية يا سيد كما بيناه سابقا (وقال جل جلاله) اى عظم شانه وعز سلطانه

﴿ لا اقسم ﴾

(لااقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) ادخال النافية للتأكيد شايع فى كلام العرب وسائغ عند علماء الادب فالمعنى انه سبحانه وتعالى اقسم بالبلد الحرام وقيده بحلول رسوله عليه الصلاة والسلام به اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وهذا المعنى باعتبار مفهومه يفيد ما عبر عنه المصنف بقوله (قيل لااقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى) اى هذا القول عن بعضهم وعاقررناه وبيناه وحررناه اندفع ماقاله التجانى من ان هذا الذى حكاه عن مكى لايستقيم تنزيله على الاية لانه عكس مقتضاها الاترى ان الواو من قوله تعالى وانت حل واو الحال واذا كانت كذلك فيكون معنى الاية لااقسم بهذا البلد اذا كنت فيه وهو ضد ما قال مكى وانما تأول الاية على ان تكون لازائدة فيها اى اقسم بهذا البلد وانت حل به ساكن فيه والى هذا ذهب الزجاج انتهى ولعل منشأ هذا الاعتراض هو المقابلة بقوله (وقيل لازائدة) وليس كذلك فان مراده مستقيم على تقدير عدم زيادة لا ايضا كما قال مجاهد انها رد لكلام تقدم والمعنى ليس الامر كما توهم من توهم واقسم بعدها اثبات للقسم ويؤيده قراءة الحسن البصرى لاقسم بدون الالف وعلى التنزل يمكن ان يكون مراده المغايرة فى معنى حل على القول بزيادة لا ايضا ولذا قال (اى اقسم به وانت به يامحمد حلال لك) اى من دخول الحرم بغير احرام والمعنى انت به حلال حال كونه خالصا لك (اوحل لك مافعلت فيه) اى من قتل بعض المسركين فى عام الفتح حيث قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان مكة حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس (على التفسيرين) اى على القولين للمفسرين فى معنى الحل انه من الحلول اومن الحلال لاتفسيرى كونها زائدة ونافية كما ذكره الدلجى (والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة) وهو المشهور عند الجمهور (وقال الواسطى اى نحلف) كان الاولى احلف (لك) وقال الحجازى يروى بحلولك (ابهذا البلد الذى شرفته بمكانك) اى بكونك واقامتك (فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة) فيه بحث لانه يحتمل انه اراد به مكة ايضا لانه شرفها بمكانه فيها حيا ويصل اليها بركاته مماتا وان بعد عنها دفنا بل هذا هو الاظهر معنى والاوفق مبنى فلا يحتاج الى قوله (والاول) اى من قولى البلد اهى مكة ام المدينة (اصح لان السورة مكية) اى اتفاقا (ومابعده يصححه) اى يؤيده ويوضحه (قوله تعالى) بدل ممابعده (وانت حل بهذا البلد) وفيه انه لايظهر وجه تصحيحه ولابيان توضيحه لان حلوله فى المدينة اظهر لشموله حيا وميتا ولابدع ان الاية نزلت بمكة اشارة الى ماسيقع من القضية (ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين) اى الآمن اوالمأمون فيه يأمن فيه من دخله (قال) اى ابن عطاء (آمنها الله تعالى) بهمزة ممدودة ويجوز بالقصر والتشديد ففى القاموس آمنه وامنه فاندفع به اعتراض الحلبى اى جعل مكة ذات امن (بمقامه) اى بسكناه (فيها وكونه بها فان كونه) اى وجوده فيها (امان حيث كان) صلى الله تعالى عليه وسلم واغرب التلمسانى حيث قال والامين فعيل كفعل اومفعول وهذا على زيادة لا وعلى نفيها فالقسم به دونها انتهى ووجه غرابته لايخفى لان البلد الامين فى سورة التين وليست هى مصدرة بلااقسم حتى يستقيم هذا القسم والله اعلم وفى نسخة زيادة ثم هذا القول من ابن عطاء لايخلو عن نوع غطاء فان الله سبحانه وتعالى جعله بلدا آمنا قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والمراد بالبلد الامين مكة باتفاق المفسرين وهذه جملة معترضة بين المتعاطفين بقوله (ثم قال عز وجل ووالد وما ولد من قال) اى كمجاهد (اراد آدم) اى بقوله تعالى ووالد (فهو عام) اى فى جميع ولده ولايبعد ان يراد به خلاصة افراد الاولاد وسلالة العباد وسيد الانبياء وسند الاصفياء الذى قيل فيه لولا وجود الخاتم ماكان ذكر لآدم صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن قال هو ابراهيم وما ولد) اى من اولاده الصلبية يعنى اسمعيل واسحق واسباطه من انبياء بنى اسرائيل من نسل يعقوب وسبطه الاعظم وحافده الافخم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسمعيل الجميل بانى البيت الجليل مع والده الخليل وربما يقال هو المقصود بالذات من ابراهيم وولده الكريم كما انه زبدة الكائنات وخلاصة الموجودات ولذا قال المصنف (فهى) اى الاية المذكورة (ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتضمنت السورة) اى المسطورة (القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم فى موضعين) اى بحسب المتعاطفين من حيث كونه ولدا لابراهيم وكونه والدا بشهادة مافى الكشاف ونقله ابن الجوزى عن ابن عمران الجونى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره القرطبى بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد وقد ذكر البيضاوى القولين حيث قال ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم اوابراهيم وماولد ذريته اومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت يعنى موضوعا عجيب الشان غريب البرهان فاندفع ما قاله التجانى من ان ماتقع على ذوى العقول عند النحويين على ان كثيرا منهم قالوا

ان من يختص بذوى العقول وما عام و يؤيده قوله تعالى والسماء وما بناها و الارض وما طحيها و نفس وما سواها وان قال بعضهم ان المراد بها معنى الوصفية المنبئة عن العظمة كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته وجوده بناؤها وانت ترى ان هذا تكلف مستغنى عنه اذ جوز ان ماترد بمعنى من على ما فى القاموس كقوله تعالى ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم فانكحوا ماطاب لكم ثم وقع التناقض بين قولى المحشى حيث قال فيلزم على قول القاضى ان تكون ما فى الاية واقعة على النبى صلى الله تعالى عليه و سلم وذلك خروج بها عما قرر النحويون لهما والذى يظهر فى الاية والله تعالى اعلم ان الوالد والولد اسما جنس عامان لكل والد ومولود وهوقول ابن عباس فيكون قوله سبحانه وتعالى وما ولد على هذا التأويل جاء منبها على العاقل الذى لم يلد اذلو اقتصر فى الاية على ذكر الوالد لخرج منها من لم يلد ولدا البتة انتهى و وجه التناقض لايخفى اذ جنس المولود من قبيل ذوى العقول فى المعنى فيؤل الى قول القاضى فى المبنى غايته انه اراد الفرد الاكمل من الجنس الثانى بل لو اريد به الفرد الافضل من النوعين لايبعد لصدق الوالدية والولدية عليه ثم التنبيه الذى ذكره لايخفى على الفقيه النبيه حيث ان المراد بما ولد ما ولده الوالد من آدم او ابراهيم اوجنس الوالد (وقال تعالى الم ذلك الكتاب) قيل فيه صنعة التبديل من علم المعمى فى استخراج الاسما والتقدير الف لام الحمد ميم فيبقى محمد فهو نداء او مبتدأ خبره ذلك الكتاب اى هو النسخة الجامعة فى الرتبة اللامعة والمرتبة الساطعة واسطة بين الخالق والخليقة (لاريب فيه) وسيأتى الكلام فيه (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى فيما رواه ابن جرير وابن ابى حاتم (هذه الحروف) اى المقطعة فى اول هذه السورة وامثالها من سائر السور المسطورة (اقسام) جمع قسم بمعنى مقسم به (اقسم الله تعالى بها) وفى نسخة بهذا اى بما ذكر على طريق الاشارة والرمز الى اسماء الله سبحانه و تعالى و اوصاف نبيه صلى الله تعالى عليه و سلم بان يكون الالف رمزا الى ما اوله الهمز وكذا اللام وكذا الميم وكذا سائر الحروف وحروف القسم حينئذ محذوف (وعنه) اى ابن عباس (وعن غيره فيها غير ذلك) حتى قيل فيها سبعون قولا منها ما عليه العشرة وغيرهم ومنهم ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان الله تعالى اعلم بمراده بذلك وقيل معنى الم انا الله اعلم وعن ابن عباس ان الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هى اسماء الله بشهادة قول على يا كهيعص يا حمعسق و لعله اراد يا منزلهما و قيل اسماء للقرآن او للسور وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهى آخرها فجمع بينها تلويحا بان العبد ينبغى ان يكون اول كلامه ووسطه وآخره ذكر الله تعالى (وقال سهل بن عبد الله التسترى) وروى عن ابن عباس ايضا (الالف هو الله سبحانه وتعالى) اى اشارة الى لفظة الله بناء على الحرف الاول منه فى المبنى او الى وحدانيته بحسب المعنى لكن يؤيد الاول قوله (واللام جبريل) اى بناء على الحرف الاخير (والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) نظرا الى اوله و اوسطه كذلك وما انسبه حيث كرر مسمى الميم فى الاسم والمسمى (وحكى هذا القول السمرقندى) اى مطلقا (ولم ينسبه الى سهل) وهذا امر سهل اذ لامنافاة بين الاطلاق و التقييد مع احتمال التوارد فى مقام التأييد فلا ينافيه ما عزاه السجاوندى الى ابن عباس ايضا (وجعل) اى السمرقندى (معناه) اى معنى هذا القول المستفاد من الاشارة الى الاسماء المستورة بحسب التراكيب المفيدة المأثورة (الله انزل جبريل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القرآن لاريب فيه) اى فى المنزل او المنزل او المنزل به او المنزل عليه اوفى كل واحد منها وهو نفى عند ارباب التحقيق ومعناه نهى بالنسبة الى اهل التقليد والتضييق والله ولى التوفيق او المعنى لاريب فيه و توضيحه ان يقال من حيث انه لوضوح شانه و سطوع برهانه لايرتاب فيه عاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لامن حيث انه لايرتاب فيه احد لكثرة المرتابين بشهادة وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فانه لم ينفد عنهم بل عرفه بما يزيله منهم وهو ان يبذلوا قواهم فى معارضة سورة منه وغاية جهدهم فاذا عجزوا تيقنوا ان لاشبهة فيه ولاريبة ثم بهذا لايزول وجه اشكال تقديم جبريل على النبى الجليل (وعلى الوجه الاول) اى من قول ابن عباس وهو ان المراد بها القسم (يحتمل القسم) اى المقسم عليه (ان هذا الكتاب حق لاريب فيه ثم فيه) اى فى القسم اوالكتاب على الاحتمال الثانى (من فضيلة القرآن اسمه باسمه) وفى نسخة من فضيلته قران اسمه باسمه وهو بكسر القاف بمعنى مقارنته (نحو ما تقدم) اى فى التشهد و الخطبة كما قال حسان رضى الله تعالى عنه

﴿ وضم الاله اسم النبى الى اسمه ❊ اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد ﴾

(وقال ابن عطا فى قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم) اى الله تعالى (بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه و سلم) اى التى هو من حروفها اكتفى به عنها (حيث حمل الخطاب) اى من ربه (والمشاهدة) اى له ليلة الاسراء (ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله) اى مع وجود المجاهدة و يناسبه قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك الاية (وقيل هو) اى ق

﴿ اسم ﴾

(اسم للقرآن) اى بطريق الاشارة واما بطريق العبارة فهو اسم للسورة (وقيل هو اسم الله تعالى) اى بناء على رمزه الى الاسماء التى اولها القاف كالقادر والقاهر والقوى والقريب (وقيل هو اسم جبل محيط بالارض) اى فوقع القسم به لعظمته وهذا قول مجاهد ان ق اسم جبل محيط بالدنيا وانه من زمردة خضراء منها خضرة السماء والبحر لكنه ضعيف جدا (وقيل غيرهذا) اى غيرماذكر اى ايماء الى قيام الساعة وقال سهل رضى الله تعالى عنه اقسم بقدرته وقوته كما حكى عنه السلمى وقيل معناه قضى الامر من رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم او اخبار بقهر الكفرة وتنبيه على قيام الموتى من القبور فكلها منقولة عن المفسرين وجميعها داخل فى قول من قال هى حروف اخذت من اسماء وافعال واستغنى بها عن ذكرما بقى منها والله تعالى اعلم ولايبعد ان يكون ايماء الى الامر بالوقوف على الاحكام و التوقف فيما اشكل من المرام كقول الشاعر قلت لها قفى فقالت لى قاف (و قال جعفر بن محمد) اى الصادق (فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه النجم الاكبر والكوكب الانور وقوله اذا هوى اى اذا اصعد الى مقام دنا فتدلى او اذا احب المولى وترك السوى فكان قاب قوسين او ادنى (وقال) اى الصادق (النجم قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهوى الذى انشرح من الانوار) اى لما انبسط وانبث فيه من الاسرار واغرب التجانى حيث انكر على العالم الربانى بقوله هذا تحامل على اللغة فى تفسير الهوى وتحكم فيها والمنقول عن جعفر انه انما فسر الهوى هنا بالنزول ليلة المعراج كما حكى عنه ذلك فى تفسير النقرنوى و هو اقرب الى الاشتقاق اللغوى (وقال انقطع عن غيرالله) اى عن التعلق بماسواه (و قال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) اى تبين منه الايقان وظهر منه العرفان بنزول القرآن وحينئذ يناسب ان يفسر ليال عشر بالعشرة المبشرة لان الكواكب السيارة المنيرة فى ميدان الولاية تختفى فى زمان النبوة واوان الرسالة لان احوال الاصفياء بالنسبة الى احوال الانبياء لاتخلو عن ظلمة الكدورات النفسانية و المجازبات الشهوانية فناسب ان يعبر عنهم بالليالى العشر كما يلايم ان يومى الى مرتبة النبوة والرسالة بطلوع الصبح وظهور نور الفجر وبهذا اندفع ما قاله التجانى من ان هذا التأويل بعيد لان الفجر فى الاية مردف بالليالى العشر وفى حمله على ماذكر تنافر فى النظم وعدم تناسب فى اللفظ انتهى واما اقوال المفسرين فى معنى الفجر وليال عشر فمشهورة لاتخفى والمشهور ان الفجر هو الصبح والليالى العشر عشر ذى الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر عرفة او الفجر والعشر الاول من المحرم اولا واخر من شهر رمضان ونكرت لزيادة فضلها والله تعالى اعلم

﴿ الفصل الخامس فى قسمه ﴾

اى فى حلفه فى كلامه (تعالى جده) اى عظمته لقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ولما فى الحديث كان الرجل منا اذا اقرأ البقرة وآل عمران جد بدال مهملة فى انفسنا اى عظم وجل وعن انس والحسن رضى الله تعالى عنهما غناه بشهادة حديث ولاينفع ذا الجد منك الجد اى لاينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه ايمانه واحسانه (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (لتحقق مكانته) اى منزلته الرفيعة (عنده) بكسر العين افصح ويجوز فتحها وضمها ففى القاموس عند مثلثة الاول ظرف فى الزمان والمكان غير متمكن (قال الله جل اسمه) اى عظم وصفه ونعته فكيف مسماه وذاته (والضحى) اى اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد بقوله وضحاها او بوقته حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى عليه الصلاة والسلام والتى السحرة فيه سجدا بشهادة وان يحشر الناس ضحى ولعل هذا هو المأخذ فى فضيلة صلاة الضحى او بالنهار كله بدلالة ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا اومقابلة قوله تعالى (والليل اذا سجى) اى ركد ظلامه اوسكن اهله وقدم الليل فى السورة قبلها لانه الاصل بدليل قوله تعالى نسلخ منه النهار ولما ورد من ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره الحديث وعكس هنا لشرف النهار بحسن ضوئه ونوره وكمال ظهوره والانسب بهذا المقام فى تحقيق المرام ان يقال ان فى الضحى ايماء الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان فى الليل اشعار الى شعره عليه الصلاة والسلام او الى حاليه اشارة فيهما الى صبح الوصال وليل الفراق او ايماء بهما الى حاليه من مقامى القبض والبسط او الفناء والبقاء كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبى الحديث (السورة) وفى شرح الدلجى السورة منصوب بفعل كاعنى قلت او اقرأ ويجوز رفعها على ان تقديره السورة معروفة وجرها على نزع الخافض كما فى النسخة المشهورة والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة منه او محتوية على مافيها من العلوم كاحتواء سور المدينة على ما فيها هذا ان كانت واوها اصلية وان كانت مبدلة من همزة فلكونها قطعة من القرآن فمن السور الذى هو بقية الشئ وهذا المعنى هو الاولى كما لايخفى اذ المعنى الاول يدل على المغايرة بين السورة وماهى مشتملة عليه وليس كذلك فى السورة (اختلف فى سبب نزول هذه

السورة) اى سورة والضحى (فقيل كان ترك النبي صلى الله تعالى عليه و سلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام) اى بما لايليق ذكره لاهل الاسلام ويؤيده ماروا البخارى اشتكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقم ليلتين اوثلاثا فقالت له امرأة انى لارجوان يكون شيطانك قد تركك لمارأيت من عدم قيامك (فانزل) اى الله تعالى (والضحى) وروى مسلم نحوه وحديث الثعلبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصيب فى اصبعه فدميت فقال هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت فمكث ليلتين اوثلاثا لايقوم الليل فقالت له ام جميل امرأة ابى لهب ما ارى شيطانك الا قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث فنزلت وروى ابن السكن انها احدى عماته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عساكر وكانت عماته صلى الله تعالى عليه وسلم ستا وجميعهن من مشركات الاصفية بنت عبد المطلب ام الزبير ويؤيد الاول رواية الحاكم انها امرأة ابى لهب ولعلهما قالتا له ذلك ثم قيل هى اخت ابى جهل زوج ابى لهب وكان اسمها ام جميل وكان ابو بكر ابن العربى لايكنيها الابام قبيح وقد اجاد فيما افاد وقيل هى اخت ابى سفيان ابن حرب وهى زوج ابى لهب ايضا وكانت عوراء وكان احول والقول الاخير ذكره الحاكم فى مستدركه فى تفسير سورة والضحى وقال اسناده صحيح (وقيل) وعليه جمهور المفسرين على ماقيل (بل تكلم به المشركون) اى بمثل ذلك الكلام (عند فترة الوحى) اى عند انقطاعه وعدم اتصاله من الفتور بمعنى القصور وكانت المدة سنتين ونصفا وقيل بل كان ذلك بضعة عشر يوما (فنزلت السورة) اى والضحى وفى نسخة هذه السورة ويدل عليه حديث مسلم والترمذى ابطأ جبريل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله سبحانه وتعالى ما ودعك ربك وماقلى ويمكن الجمع بين القولين بانه لما فتر الوحى اتفق اذ ذاك انه اشتكى فلم يقم فقالت المرأة ماقالت وقال المشركون من الرجال ماقالوا وقال البيضاوى روى ان الوحى تأخر اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف اولزجره سائلا ملحا اولان جروا ميتا كان تحت سريره اوغير ذلك فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه اى تركه وابغضه فنزلت ردا عليهم (قال الفقيه القاضى ابو الفضل رحمه الله) كذا فى بعض النسخ وهو متروك فى بعضها (تضمنت هذه السورة) اى سورة والضحى (من كرامات الله تعالى) اى من انواع اكرامه سبحانه (له صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجى من مزيدة اوللتعظيم اى تضمنت شيئا عظيما اكرمه الله به انتهى ولايخفى ان كونها مزيدة لايناسب المقام لان الزائدة انما تكون للتنصيص على العموم فى النفى نحو ماجاءنى من رجل اولتوكيد العموم نحو ماجاءنى من احد وكونها للتعظيم غير معروف فالصواب انها للتبعيض فانه لاشك ان ماتضمنت هذه السورة من بعض كرامات الله له (وتنويهه به) من نوه بالشئ اى رفعه ونوهت باسمه اى رفعت ذكره والمقصود رفعة شانه وسطوع برهانه (وتعظيمه اياه) اى بما خصه الله تعالى واستثناه مما سواه (ستة وجوه) بالنصب على انه مفعول تضمنت وفى نسخة بستة وجوه وكان الوجه ان يقول ستة اوجه الا انه اوقع جمع الكثرة فى موضع جمع القلة توسعا اذ قد يكثر استعمال احدهما فى الآخر (الاول) اى الوجه الاول من الستة (القسم له) اى لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم (عما اخبره به) اى فى هذه السورة (من حاله) اى بما يدل على عظيم جاهه وكريم كماله فمن بيان لما اقسم له على نفيه (بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى) اى على حذف مضاف يكون هو المقسم به وذلك لانه لايقسم بمخلوق لان فيه تعظيم غير الله تعالى ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف بغير الله فقد اشرك والاظهر ان النهى فى ذلك بالنسبة الى المخلوق واما الخالق سبحانه وتعالى فيقسم بما شاء من خلقه تشريفا له وتعظيما لشانه (وهذا) اى القسم له على ذلك (من اعظم درجات المبرة) بفتحات وتشديد الراء من البر بمعنى الخير (الثانى) اى من الستة (بيان مكانته عنده) تقدم بيانه (وحظوته لديه) بكسر اوله ويضم على مافى الصحاح والقاموس وبسكون الظاء المعجمة بمعنى المنزلة والفضيلة والمحبة وقيل الحاء مثلثة لان كل اسم على فعلة ولامه واو بعدها هاء التأنيث فانه مثلث الفاء واصله من حظيت المرأة عند زوجها اذا كانت ذات حظ ونصيب منه وفى المثل ان لاحظية فلاالية يقول ان اخطأتك الحظوة فلاتأل ان تتودد الى الناس لعلك تدرك بعض ماتريد ذكره الجوهرى (لقوله) متعلق بقوله بيان مكانته (ماودعك ربك) بتشديد الدال وتخفف (وماقلى) حذف مفعول قلى لظهوره اواكتفاء بسبق ذكره مع كونه مراعاة للفاصلة (اى ماتركك) تفسير لودعك (وماابغضك) تفسير لماقلى على طريق اللف والنشر المرتب والمعنى ماقطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة فى الودع اى الترك اذ من ودعك فقد بالغ فى تركك وفى الحديث غير مودع ربى اى غير قاطع طاعته ولامفارق لعبادته وقرأ عروة وابنه هشام ودعك مخففا مع استغناء اكثر العرب عنه بترك فلم ينطق به ماضيا لكن قد جاء فى الحديث شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وفى الشعر ايضا كقوله

﴿وكان ماقدموا لانفسهم * اعظم نفعا من الذى ودعوا﴾

ومن التشديد قوله

﴿ ليت شعري من خليلي ما الذى * رابه فى الحب حتى ودعه ﴾

ثم قلى يائى وقيل واوى وعلى الاول يقال فى مضارعه يقلى و يقلى بالياء والالف الا ان الالف شاذ كما فى ابى يأبى (وقيل ما اهملك) اى ما تركك هملا (بعد ان اصطفاك) اى كلا قال ابن عباس رضى الله عنهما ما خلاك ولا قطعك منذ اصطفاك ورفعك (الثالث) اى من الستة (قوله) اى عز قائلا (وللآخرة) اى والدار الآخرة (خير لك من الاولى) اى من الدنيا او الحال الآخرة خير لك من الاولى ايماء الى انه دائما فى الترقى الى الدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم انه امام اهل المغازى (اى مآلك) بفتح ميم وهمز ممدود ورفع لام اى ما تؤل اليه ومصيرك (فى مرجعك) اى معادك باقيا خالصا من الشوائب مما اعدلك من المراتب (عند الله) فى العقبى (اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا) و يروى كما فى بعض النسخ ما لك على ان ما موصول والعائد محذوف يعنى الذى اعطاكه فى الاخرى خير لك من الذى اعطاكه فى الاولى (وقال سهل اى ما ادخرت) بتشديد الدل المهملة وقيل بالمعجمة من الذخيرة وهى الشئ النفيس يخبأ للنوائب وذاله معجمة ويقال ادخرته على افتعل يهمل ويعجم والمعنى واحد وقيل بالمعجمة ما يكون للآخرة وبالمهملة ما يكون للدنيا ونسب الى ائمة اللغة وهى غير مشهورة ودلالة قوله تعالى تدخرون فى بيوتكم عليه غير صحيحة والمعنى الذى خبأته (لك من الشفاعة) اى العظمى او الخاصة بهذه الامة (والمقام المحمود) اى المرتبة العلية الشاملة للشفاعة الكاملة لجميع الافراد البشرية (خير لك مما اعطيتك فى الدنيا) اى من الرفعة وعلو المرتبة ونفاذ الحكومة و يؤيده ما ورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر و يجوز ان يراد بالمقام المحمود كما هو ظاهر الاية كل مقام يتضمن كرامة وان كان الاكثرون على انه مقام الشفاعة الكبرى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون بشهادة حديث هو المقام الذى اشفع فيه لامتى اى خصوصا وسائر الامم عموما (الرابع) اى من الستة (قوله ولسوف) خبر مبتدأ محذوف دخله بعد حذفه لام الابتداء لتأكيد مضمون الجملة اى ولانت سوف (يعطيك ربك) اى ما يرضيك وتقر به عينك (فترضى) اى غاية الرضى والجمع بين حرفى التأكيد و التأخير للايماء بان العطاء كائن لا محالة وفى مصحف ابن مسعود ولسيعطيك ثم اكثر المفسرين على ان هذا العطاء فى الاخرى وعن بعض العلماء انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وهذه الاية) اى ولسوف وفى بعض النسخ وهذه آية (جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة) اى ما اعطاه فى الدنيا وما وعده فى العقبى (وشتات الانعام) بكسر الهمزة من انعم اذا زاد على الاحسان بفتحتين اى متفرقات انواع الاكرام مما لا يعلم كنهه احد من الانام (فى الدارين والزيادة) بالجر اى وجامعة للزيادة على ما اعطاه فى الدنيا ووعده فى العقبى من انواع الكرامة والدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم ذكره وقال التلمسانى وصاحب السير والمقدم فيها والمشهور بالمغازى والتاريخ توفى ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وكان بينه وبين مالك كلام ومحاورة وذلك ان الائمة اتفقوا على ان مالكا عربى صريح النسب من ذى اصبح حميرى يمانى وذهب ابن اسحق الى انه من الموالى وقوله شاذ رواه الائمة والله سبحانه وتعالى اعلم والحاصل انه قال فى سيرته (يرضيه) اى الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام (بالفلج) وهو على ما فى الصحاح بفتح الفاء واللام وبالجيم والاسم بضم الفاء وسكون اللام اى الفوز باحبائه والظفر باعدائه ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصف القرآن من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج قال ابن هشام معناه ظهر وغلب وظفر والحاصل ان فى الاصل نسختين مضبوطتين وفى المثل من يأت الحكم وحده يفلج اى يظهر على خصمه (فى الدنيا) كيوم بدر وقريظة والنضير وفتح مكة (والثواب فى الآخرة) اى مما اخفى لهم من قرة اعين وهذا القول من ابن اسحق ليس كقول سهل بل هو قول ثالث يشير الى ان الاية مقتضية رضاه فى الدنيا و العقبى معا قيل وهو الصواب فى معنى الاية (وقيل يعطيه الحوض) اى المورود (والشفاعة) اى المقام المحمود وهو داخل فيما قبله بلا مرا وكل الصيد فى جوف الفرا وفسر عطاء وغيره الحوض بالخير الكثير تمسكا بما فى رواية البخارى ومسلم اى عن انس بن مالك بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد اغفى اغفاء ثم رفع رأسه فقال نزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترده امتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء وفى رواية لهما الكوثر نهر فى الجنة عليه حوضى اى يمد ماؤه منه وفى مسلم ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من ورق ويغت بغين معجمة مضمومة فمثناة فوقية مشددة ومعناه يجرى جريا متتابعا له صوت (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو على بن ابى طالب كرم الله وجهه على ما ذكره الثعلبى

فى تفسيره (انه قال ليس آية فى القرآن ارجى منها) اى من آية ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم بين وجهه بقوله (ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار) ورواه عنه ايضا ابونعيم فى الحلية موقوفا والديلمى فى مسند الفردوس مرفوعا فبطل بهذا قول الحلبى قد ظهرلى والله تعالى اعلم ان هذا الرجل هو الحسن بن محمد ابن الحنفية وذلك انه اول المرجئة وله فيه تصنيف انتهى وروى انه لما نزلت قال اذن لا ارضى ان يكون واحد من امتى فى النار قال الدلجى وهذا ان صح فيشكل بما ورد مؤذنا بدخول بعض عصاتهم فيها ومن ثم قال ابن عبد السلام وغيره لايجوز الدعاء لجميع المؤمنين بمغفرة جميع ذنوبهم اذلابد من دخول بعض منهم فيه و يعارضه رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات انتهى ولا يخفى ان المعارضة مدفوعة اذ ليس فى الاية لفظ الجميع الشامل للافراد كلها والاشكال السابق ايضا مدفوع بانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى رضى كاملا الا اذا وقع شفاعته لجميع امته كاملا وهذا امر فى المستقبل فلاينافى دخول بعض الامة النار فى الماضى فتأمل هذا وفى حديث الترمذى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال ما فى القرآن آية احب الى من قوله سبحانه وتعالى ان الله لايغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء وقيل ارجى آية فى القرآن لاهل التوحيد قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور وقيل قوله تعالى انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفوعن كثير وقيل قل كل يعمل على شاكلته وقيل قوله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية وقيل قوله تعالى ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الاية ووجهه انه سبحانه وتعالى امرنا بالاحتياط لدنيانا الفانية التى نهانا عن الاغترار بها والركون اليها والاعتناء بها وامرنا بالاعراض عنها والزهادة فيها فاذا لطف بنا فيها بما ارشدنا اليه مع حقارتها فى طول آية من كلامه فكيف بالدار الباقية دار الخلد فى النعيم والالتذاذ الذى لايساوى بل لايدانى بالنظر الى وجهه الكريم وفيه قول آخر وهو ما فى صحيح مسلم من حديث الافك فانزل الله تعالى ولايأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى الى قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه ارجى آية فى كتاب الله عزوجل انتهى وقد اخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ارجى آية فى القرآن لهذه الامة قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبى هذا واخوف آية فى القرآن قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايه الثقلان وقيل قوله تعالى فاين تذهبون وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات وعن ابى حنيفة واتقوا النار التى اعدت للكافرين وعن الشافعى انها قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات انتهى واجتمعت الايات سبعة فى الخوف وعشرة فى الرجاء ايماء الى انه سبقت رحمته غضبه وغلب رجاء ثوابه خوف عقابه (الخامس) اى من الستة (ماعده الله تعالى عليه) اى ذكره له (من نعمه) اى نعمائه وهو انسب الى قوله (وقرره من آلائه) وهما مترادفان على ماقيل والاظهر ان وقت اجتماعهما يراد بهما نعمه الظاهرة والباطنة واختلف فى مفرد الآلاء فقيل الى بالفتح والتنوين كرحى وقيل بالكسر والتنوين كمعى وقيل بفتحها وسكون اللام وبالواو كدلو وقيل بكسرها وسكون اللام وبالياء كنحى وقيل بالفتح وترك التنوين وقوله (قبله) بكسر القاف وفتح الموحدة اى عنده وجهته ونحوه (فى بقية السورة) من الم يجدك يتيما الى فاما اليتيم تلويحا بانه تعالى كما احسن اليه سابقا يحسن اليه لاحقا كما قيل

﴿ لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى ﴾

فماعده وقرره موردا له على خلاف ترتيب السورة ما اشار اليه بقوله (من هدايته) مصدر مضاف الى فاعله اى من هداية الله اياه (الى ماهداه له) اى المستفادة بقوله تعالى ووجدك ضالا اى جاهلا بتفاصيل احكام الشريعة فهدى اى فهداك اليها ودلك عليها (اوهداية الناس به) اى فهدى الناس بك زيادة على هدايتك فى نفسك فجمع الله له بين الهداية القاصرة والمتعدية المعبر عنهما بالكمال والتكميل اللذين يصل بهما العبد الى مقام التعظيم ومرتبة التبجيل كما ورد عن عيسى عليه السلام من تعلم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما (على اختلاف التفاسير) اى فى هدى من التقادير على ما اشرنا اليها فى ضمن التحارير فهدى اما بمعنى هداه الله او بمعنى هدى به الناس (ولامال له) جملة حالية او التقدير ومن كونه لامال له (فاغناه الله بما آتاه) اى اعطاه من مال خديجة اومن الغنائم (او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى) اى غنى القلب كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وبقوله القناعة كنز لاينفد وهو من قنع بكسر النون فى الماضى قناعة اذا رضى بما اعطاه الله تعالى وبفتحه قنوعا اذا سأل عما سواه ومنه القانع و المعتر اى السائل تصريحا و المعترض تلويحا و ما احسن ما قال من قال من اهل الحال

﴿العبد حران قنع * والحر عبد ان قنع * فاقنع ولا تقنع فما * شئ اضر من الطمع﴾

وهذا المعنى مستفاد من قوله ووجدك عائلا اى فقيرا اومحتاجا الى الخلق فاغناك عنهم بغناه بل احوج اليك كل من سواه كما اشار اليه بقوله آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (ويتيما) ومن كونه يتيما اى لا اب له لموت ابيه قبل ولادته فآواه الى عمه ابى طالب (تحدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين اى رق له ورحمه وعطف (عليه عمه) واذهب عنه غمه وهمه حتى قال

﴿ والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا ﴾

﴿فاصدع بامرك ماعليك غضاضة * فابشر وقر بذاك منك عيونا﴾

وفى نسخة عمه منصوب ولا يستقيم الا اذا كان الدال مشددا (وآواه اليه) واحسن فى تربيته عليه حيث ضمه الى نفسه فى جملة حاله وجعله من عمدة عياله وآوى متعد ممدودا ومقصورا لكن التعدية فى المد اكثر كما ان اللزوم فى القصر اشهر (وقيل آواه الله) اى ملحوظا بعين عنايته وكفايته محفوظا فى ظل حمايته ورعايته وفى نسخة آواه الى الله اى اغناه بذاته عما سواه وروى آوى الى الله مقصورا ومعناه لجأ اليه وتوكل عليه واسلم الامر لديه وهذه المعانى الاخيرة انسب الى ماحكى عن جعفر الصادق انه سئل لم افرد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابويه فكان يتيما فى صغره فقال لئلا يكون عليه حق للمخلوق انتهى ويمكن ان يقال لئلا يكون له تعلق بغير الحق فان الاستيناس بالناس من علامة الافلاس اولئلا يتعلق قلبه الشريف بايمانهما لووجدهما غير مسلمين فى ايامهما ولبس الخبر كالمعاينة فى تحققهما (وقيل يتيما لامثال لك) اى لانظير يماثلك وهذا مراد من قال هو درة يتيمة عصماء اى محفوظة ممنوعة معصومة عن ان يكون لها نظير فى الصورة والسيرة وفى الكشاف انه من بدع التفاسير ومعناه الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير (فآواك اليه) والوجود فى السورة بمعنى العلم فيتيما وضالا وعائلا مفاعيل ثوانى له او بمعنى المصادفة فهى احوال من المفعول الاول ولعل وجه تقديم الهداية فى كلام المصنف ايماء الى رعاية العناية واشارة الى ان الواو لاتفيد الترتيب فى العبارة واما الترتيب الذكرى فى السورة فهو على وفق الوجود الوقوعى حيث يوجد اليتم قبل البلوغ وبعده تحقق الهداية الكاملة العلمية ثم رعاية القناعة العملية (وقيل المعنى الم يجدك) اى والناس فى ضلال (فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا) اى فقيرا حين وجدك وفيهم عيلة (وآوى بك يتيما) اذ وجدك وفيهم ايتام وهذا من بدع التفاسير ايضا وان كان بلا يتم فى الجملة مابعده من بقية السورة وهى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وتذكر حال يتمك واما السائل لكونه فقيرا فلا تنهر فلا تزجر ولاتقهر وتذكر حال فقرك واما بنعمة ربك فحدث باظهار الهداية والعلم بالبداية والنهاية وتذكر حال جهلك فيكون اللف والنشر مشوشا اعتمادا على فهم السامع ويمكن ان يكون مرتبا بان يكون المراد سؤال العلم كما هو قول ابى الدرداء وغيره وان التحدث بنعمة الرب هو الاحسان الى الفقير المنكسر القلب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ويمكن ان يحمل على المعنى الاعم ويستفاد منه المراد الاخص والله تعالى اعلم بمراده فى كتابه (ذكره) بتشديد الكاف اى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تذكيرا امتنانا لانا شئا عن نسيان (بهذه المنن) جمع المنة بمعنى النعمة والعطية (وانه) بكسر الهمزة والواو للحال اى السان اوالله سبحانه اوهو صلى الله تعالى عليه وسلم (على المعلوم من التفسير) اى بناء على ماعلم من انواع التفسير على ماسبق من التحرير (لم يهمله) من الاهمال اى لم يتركه ربه تعالى (فى حال صغره) اى جهله (وعيلته) اى فقره (ويتمه) اى فقد ابيه (وقبل معرفته) اى وفيما قبل معرفته الكاملة (به) تعالى (ولا ودعه) عطف على لم يهمله ولا تركه ولا دفعه (ولاقلاه) اى ولا ابغضه ولاقطعه (فكيف) اى حاله (بعد اختصاصه) بالكرامات السنية (واصطفائه) بالمقامات البهية والمعنى بعد ارساله واعلامه انه اصطفاه واجتباه على خليقته لكرامته عنده ومنزلته والا فقد كان اصطفاه فى ازليته قبل ظهور ابديته بدليل قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفى رواية وآدم منجدل فى طينته اى وآدم مراد ايجاده منهما فى وقته فلا بينية ولاانجدال حال نبوته ثم اعلم ان ملخص الاقوال فى تفسير قوله سبحانه وتعالى ووجدك ضالا فهدى ستة اقاويل اولها انه وجدك ضالا عن الشريعة واحكامها فارشدك اليها بتمامها وثانيها انه وجدك منسوبا الى الضلالة عند الاعداء فبين امرك بالبراهين القاطعة للاحباء وثالثها انه وجدك بين قوم ضلال فارشدك الى ماتميزت به عنهم الى مقام الوصال ورابعها انه وجدك ضالا بتزويج ابنتك فى الجاهلية لبعض الكفرة فبين لك ان المشرك لايتزوج المسلمة قال ثعلب وهذا هو قول اهل السنة فى هذه الاية وخامسها انه وجدك ضالا بين مكة والمدينة فاراك الطريق ودالك عليه وبينه اواشارة الى ضلالته وهو صغير فى شعاب مكة حيث وجده ورقة بن نوفل ورجل من قريش فرداه

الى جده عبد المطلب وسادسها انه وجدك ضالا اى عاشقا ومحبا فهداك الى محبوبك والقول الاول فى تفسير الاية هو المعول كما يتبه قوله تعالى ماكنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (السادس) اى من الستة (امره) فعل ماض على ماصرح به الحلبى والاظهر انه مصدر مضاف الى مفعوله (باظهار نعمته عليه) مصدر مضاف الى الفاعل عام فى جميع ماانعم به عليه اذا اضافة المفرد قد تفيد العموم (وشكر ماشرفه به) اى ما احسنه اليه وعظمه لديه (بنشره) اى يبسط ماشرفه به واظهاره تبجحا بالنعمة وقيا ماشكر المنعم لا افتخارا بالعطية والحال الملم (واشادة ذكره) اى وتشهير ذكر ماشرفه به ورفع قدره وتعظيم شانه واعلاء امره وبيانه وتعريف حاله (بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها) لحديث التحدث بالنعمة شكر وفى نسخة التحديث وفى اخرى الحديث ومن التحدث بها اظهارها فى الملبس والمركب ونحوهما لحديث اذا انعم الله على عبد احب ان يرى اثر نعمته عليه (وهذا) اى امره باظهارها (خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته) لانه اما مهم فامره كامرهم وقال مجاهد معنى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث بث الشرائع والقرآن المشتمل على البدايع والاولى حمل الاية على عموم النعمة ولعل هذا منشأ ماكان بعض الصالحين يخبر بجميع ما يفعله من الطاعات لكن كانه ينحو الى انها نعمة انعم الله سبحانه وتعالى بها عليه فيجب عليه التحدث بها مع انه قد يقصد ان الناس يقتدون به فى فعلها (وقال تعالى) حال لازمة من ضمير قال اى متعاليا عما لايليق بجنابه الكريم (والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم) اى فى المراد به اختلافا مصحوبا (باقاويل معروفة منها) اى من جملة الاقاويل قولهم (النجم على ظاهره) فالمراد به اما جنس النجوم اوالثريا لغلبته عليها وهى سبعة كواكب على ماذكره السهيلى ولايكاد يرى السابع منها لخفائه وفى الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يراها كلها بقوة جعلها الله تعالى فى بصره كما ذكر ابن خيثمة من طريق ثابت عن العباس عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوالزهرة لانهم كانوا يعبدونها فنبهوا على انتقالها وزوالها كما ذكره الغزنوى فى تفسيره اوالذى يرجم به فهواه غروبه اوانتثاره وانكداره يوم القيمة اوانقضاضه اوطلوعه اذ يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وبالضم اذا علا وصعد (ومنها) اى من جملة الاقاويل ان النجم هو (القرآن) لانه نزل منجما فى دفعات متعددة واوقات مختلفة فالهوى بمعنى النزول ويؤيده قوله فلا اقسم بمواقع النجوم الايات على ما اختاره بعض المفسرين وقيل انه اسم جنس للصحابة ولعلماء هذه الامة كما ورد عن سيد الائمة اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ذكره فى عين المعانى قال الدلجى فالهوى على هذا كناية عن الموت يعنى موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولايخفى بعده فان الاقتداء بهم والاهتداء اعم من زمن حياته وبعد وفاته فالهوى بمعنى الظهور والعلو (وعن جعفر بن محمد) اى الصادق (انه) اى النجم المقسم به (محمد عليه السلام) قال الدلجى وكثيرا مايذكر المصنف السلام بدون الصلاة مع كون افراد احدهما مكروها قلت المحققون كالجزرى وغيره على انه لايكره وانما الجمع افضل (وقال) اى جعفر (هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اقول بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم بقلبه وقالبه نور يستنار منه الانوار ويستضاء منه الاسرار وقد ورد اللهم اجعلنى نورا وقد سماه الله تعالى نورا على ما تقدم والله تعالى اعلم فالهوى بمعنى الظهور كما هو ظاهر فى معنى النور واما على ارادة قلبه فلعل المراد بهواه ميله الى ربه وغيبته عن غيره واستغراقه فى حبه ويؤيد ماقلناه من ارادة كله قوله (وقد قيل فى قوله تعالى والسماء والطارق) اى البادى ليلا واصله لسالك الطريق وخص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل فى البادى فيه (وماادراك ماالطارق) اى اى شئ اعلمك انه ماهو يعنى انه شئ عظيم لايعرفه احد ثم بينه انه (النجم الثاقب) اى المضئ كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه اى (ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عنه اولا بوصف عام ثم بين بما يخصه تفخيما لشانه وتعظيما لبرهانه بجامع ان كلا يهتدى به وان كان بينهما بون بين (حكاه السلمى) اى نقله فى تفسير الحقايق (تضمنت) فقد جمعت (هذه الايات) اى من قوله والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى (من فضله وشرفه) اى الزائد على غيره (العد) بكسر العين وتشديد الدال المهملتين اى الشئ الكثير الذى لاتنقطع مادته واصله فى الماء يقال ماء عد اذا كانت له مادة غير منقطعة كماء العين والبئر (مايقف) اى العد الذى يقف (دونه) اى ينقطع قبله والضمير للعد وقال الدلجى اى يقف دون كل منهما (العد) بالفتح اى الاحصاء والاستقصاء والعد ايضا العدد هنا ولما نسبت الكفار المسمى بالهدى الى الضلال والردى وان ماينطق به انما هو عن الرأى والهوى رد الله عليهم وكذبهم (واقسم جل اسمه) اى عظم كسماه (على هداية المصطفى وتنزيهه) اى براءة ساحته واغرب التلمسانى حيث قال اى تعظيمه (عن الهوى) اى فيما اخبر به للورى

﴿وصدقه﴾

(وصدقه فيما تلا) اى قرأ (وانه) اى متلوه (وحى يوحى اوصله اليه عن الله جبريل) اى علمه شديد القوى على خلاف في مرجع الضمير المنصوب هل هو القرآن او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) اى جبريل (الشديد القوى) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى شديد قواه لانه هو الواسطة في ابتداء خوارق العادة كاقتلاع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصياحه صيحة واحدة لقوم ثمود فاصبحوا جاثمين وقيل المراد به الحق جل جلاله يعني شديد القوة والقدرة والحكمة ونسب هذا القول الى الحسن (ثم اخبر) اى بعد قسمه وبراءة ساحته (عن فضيلته بقصة الاسراء) اى بقضية المعراج المبتدأ بعد الاسراء الى المسجد الاقصى كما اشار اليه بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) اى بقوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وهي عند اكثر المفسرين شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ينتهي اليها علم الخلايق (وتصديق بصره فيما رأى) اى بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يعني ما رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره من صورة جبريل اومن ذاته سبحانه اى ما كذب قلبه بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم بالبصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما رآه ببصره يقينا لا تخييلا اذ قد سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي والجمع بين روايات المحدثين وقول المفسرين واختلاف الصحابة والتابعين انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره واخرى ببصيرته هذا وقيل الضمير في رأى عائد على الفؤاد نفسه اى ما كذب الفؤاد ما رآه بل صدقه وتحققه والرؤية ههنا حينئذ بمعنى العلم وكذب بالتخفيف ككذب بالتشديد كما قرئ بهما (وانه رأى من آيات ربه الكبرى) اى بقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى رأى ليلة الاسراء عند عروجه الى السماء بعض آياته الملكية والملكوتية اوكلها فمن مزيدة والكبرى صفة للآيات (وقد نبه) اى الله سبحانه وتعالى (على مثل هذا) اى رؤيته من آيات ربه (في سورة الاسراء) اى بقوله لنريه من آياتنا والاظهر ان قوله لنريه من آياتنا في المسجد الاقصى وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى في السموات العلى (ولما كان ما كاشفه) اى الذى رآه (عليه السلام) اى برؤيته بمعنى اطلع عليه ورآه ابتداء لا بمعنى رفع غطاءه وان زعم لانه لو اراد هذا المعنى لقال وكشفه ولعدم مناسبته للمقام اذ لا يقال رفع غطاء ما هنالك (من ذلك الجبروت) بفتحتين فعلوت مبالغة من الجبر بمعنى القهر كالعظموت من العظمة والمراد انه رأى ما يدل عليه اذ هو معنى والمعنى لا يشاهد بالبصر الظاهر الا ان تحمل الرؤية على رؤية البصيرة فالمراد بها العلم والمعرفة (وشاهده من عجايب الملكوت) مبالغة من الملك كالرهبوت من الرهبة والرحموت من الرحمة والمحققون على ان الملك ظاهر السلطنة والملكوت باطنها وقيل المراد بالملك العالم السفلي وبالملكوت العلوي (لا تحيط به العبارات) اى لا تشمله انواع التعبيرات ولا تحويه اصناف التفسيرات لقصور الافهام عن ادراكه على وجه الحقيقة والجملة خبر كان (ولا تستقل) بتشديد اللام اى لا تستبد (بحمل سماع ادناه) اى اقله (العقول) لعجزها عن حمل اقله فضلا عن حمل اكثره (رمز) جواب لما اى اشار الله سبحانه وتعالى (عنه) اى عما كاشفه صلى الله تعالى عليه وسلم واطلع عليه (بالايماء) متعلق برمز ولعل الايماء اغمض من الرمز في الانباء من جهة الاخفاء كالاشارة بالعين والحاجب ونحوهما (والكناية) عطف على الايماء والمراد بهما التلويح وترك التصريح بدليل قوله (الدال على التعظيم) والحاصل انه سبحانه وتعالى رمز واوما وكنى عما كاشفه بما المبهمة الدالة على الفخامة والعظمة (فقال فاوحى) اى جبريل او الله تعالى (الى عبده) اى عبده الخاص الواصل الى مقام الاختصاص صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اوحى) اى شيئا عظيما لا يعلم كنهه سواه ففي ابهامه من التفخيم ما ليس في ايضاحه وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ما اوحاه جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال بعضهم اوحى الى عبده ان لا يدخل احد من الامم الجنة قبل امته ولعل المعنى ان هذا من جملة ما اوحى (وهذا النوع) اى الرمز بالكناية والايماء (من الكلام) اى من انواعه (يسميه اهل النقد) اى النظر السديد (والبلاغة) اى الفصاحة والمراد العارفون بجيد الكلام وبهرجه تشبيها لهم بصيارفة الذهب والفضة (بالوحى والاشارة) اى هنا لعدم الصراحة بالموحى به والمشار اليه فهما اسمان لمعنى واحد اذ هما احد ماصدقاته كالكناية والالهام والكلام الخفي قد يتفاوت وضوحا وخفاء (وهو) اى النوع المسمى بهما (عندهم ابلغ ابواب الايجاز) اى من حيث انه جوامع الكلم المشابهة لكونها مبهمة للالغاز حيث فيها مبان يسيرة ومعان كثيرة يذهب فيها الفكر كل مذهب يمكن الانصراف اليها هذا وقيل كل كلام اما ناقص عن معناه او مساوله او زائد عليه ايجازا او مساواة او اطنابا واعلاها الاول من حيث ان المعاني هي المقاصد والعبارات طرق لها فكلما قلت العبارة كان ذلك كالقرب في الطريق فكان احق بالسلوك ويليه المساواة في الاستحسان لاقتفائه اياه في القرب واكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب كالبعد في الطريق فتراه متروكا غالبا الا فيما يحتاج اليه من باب الخطب والمواعظ ومقام التوكيد ولكل مقام مقال بحسب اختلاف الاحوال كما قال قائلهم

﴿ يومون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء ﴾

(وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى الدالات على عظمته تعالى (انحسرت الافهام) جمع فهم وهو عبارة عن ازالة الوهم المستولى على القلب يقال فهم كذا اذا عقله والمعنى كلت العقول (عن تفصيل ما اوحى) اى اليه اذ لا تحيط به حد ولا تحصيه عدو والمراد بتفصيل الشئ بيان اجزائه مفصلة واغرب التلمسانى حيث فسره بالتميز (وتاهت الاحلام) اى وذهبت العقول متحيرة (فى تعيين تلك الايات الكبرى) فلم تهتد الى معرفة شئ منها لكثرتها وفى نسخة فى تعبير تلك الايات اى تبيينها وتفسيرها و العقل محله القلب لقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها (قال القاضى ابو الفضل) كذا فى نسخة (واشتملت) اى دلت (هذه الايات) اى السابقة (على اعلام الله) مصدر مضاف الى فاعله اى على اخباره سبحانه و تعالى (بتزكية جملته) اى بتطهير ذاته وتنقية صفاته عليه السلام (وعصمتها) اى و بحفظ الله جملته (من الافات) اى التى تجرى فى الذوات (فى هذا المسرى) بفتح الميم والراء مصدر ميمى او اسم مكان (فزكى فؤاده) اى مدح الله قلبه (ولسانه وجوارحه) اى اعضائه التى يكتسب العمل بها و ينتسب الفعل اليها والمراد هنا بصره لما سيجئ فى بيان حصره (فقلبه) وهو تفصيل لما اجمله والظاهر كما فى اصل الدلجى وغيره فزكى قلبه (بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) وتقدم ما تعلق به من المعنى (ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى) اى لا يصدر نطقه عن هواه بل بوحى من الاله جليا كالكتاب او خفيا كالسنة وقد تعلق بظاهر الاية من لم يجوز له الاجتهاد وهو بعيد عن طريق السداد وعن استنباط المعنى المراد واما ما ذكره ابن عطية من ان ضمير ينطق عائد الى القرآن وان لم يجر ذكره لدلالة الكلام عليه اى لا ينطق هذا القرآن بشهوتكم ومرادكم ونسب النطق اليه من حيث يفهم منه الامور كلها قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق فغير ملايم لمقام المرام (و بصره بقوله تعالى ما زاغ البصر) اى ما مال عما رآه الى ما سواه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يحول بصره عما رآه الى جهة من الجهات (وما طغى) اى ما تجاوز وما تعدى عن رؤية ما امر برؤيته غيره فى المقام الاعلى بل تثبت فيه ورآه رؤية صحيحة مستقيمة من غير وجل ودهشة وحيرة هذا وقد بقى الكلام على بقية الايات فيما بين ذلك وهو قوله سبحانه وتعالى ذو مرة فاستوى فظاهره ان الضمير فى استوى لجبريل عليه الصلاة و السلام والكناية بقوله تعالى وهو بالافق الاعلى عن النبى صلى الله تعالى عليه و سلم ولا مانع من عكس الترتيب فى هذا التركيب ولا يبعد ان يكون الضميران يرجعان الى احدهما والجملة حالية واما جعل الضمير بن لله سبحانه وتعالى فهو غير ظاهر كما لا يخفى ثم قوله تعالى دنا فتدلى اى دنا جبريل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى وزاد فى القرب وقيل اى دنا محمد من ربه فتدلى واما قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى اى مقدارهما بل ادنى فهو كناية عن كمال القرب فان كان بين الرسولين فلا اشكال وان كان بين الله و رسوله فهو كناية عن المكانة او من الايات المتشابهات وقد ذكرت بعض الفوائد المتعلقة باوائل سورة النجم فى رسالتى المعمولة للمعراج (وقال تعالى فلا اقسم بالخنس) اى بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما عدا النيرين وهو زحل والمشترى والمريخ والزهرة و عطارد ومجموع السبعة السيارة نظمت فى قوله

﴿ زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد الاقمار ﴾

(الجوار الكنس) اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه اى بيته (الى قوله تعالى وما هو بقول شيطان) وهو كل متمرد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (رجيم) اى مرجوم ومطرود ومبعد و ما بينهما هو قوله سبحانه و تعالى والليل اذا عسعس اى اقبل اوادبر والاول انسب بقوله تعالى والصبح اذا تنفس اى اسفر قال المصنف (لا اقسم اى اقسم) يعنى على القول بزيادة لا والا فالمعنى فلا عبرة بما قالوا فى حق القران وفى شان المنزل عليه بل اقسم اى بما ذكر (انه) اى القرآن (لقول رسول) اى قاله عن ربه (كريم) اى مكرم معظم (عند مرسله) وهو الله سبحانه وتعالى (ذى قوة) اى صاحب قوة وقدرة (على تبليغ ما حمله) بتخفيف الميم على صيغة الفاعل وكذا يجوز بصيغة المفعول مشددا وكذا بصيغة الفاعل على ما ضبطه فى بعض النسخ (من الوحى) اى مما اوحى اليه من الحق الى الخلق (مكين) اى ذى مكانة ومنزلة علية عارية عن المنقصة فى مرتبته (اى متمكن المنزلة) اى الجاه ولكون المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذى العرش مكين تلويحا بعظم مكانته ومنزلته وعلو مرتبته كما اشار اليه المصنف بقوله (من ربه رفيع المحل) بفتح الحاء وجوز كسره اى على الشان (عنده) اى عنده سبحانه و تعالى عندية منزهة عن المكان والزمان وقوله تعالى عند ذى العرش متعلق بقوله تعالى ذى قوة او بمكين (مطاع) اى ذى اطاعة مع كونه صاحب طاعة (ثم) بفتح المثلثة (اى فى السماء) اذ قد بلغ فيها ليلة الاسراء ملائكة السماء فاطاعوه اجمع فى ذلك الانباء وقرئ بضم المثلثة فالمراد بها التراخى فى الرتبة (امين) اى مأمون على تحمل ما اوحى اليه و تبليغ ما نزل عليه ومقبول القول لديه والظرف يحتمل وصله بما بعده وما قبله (قال على بن عيسى)

اى الرمانى النحوى المنسوب الى رمان الفاكهة و بيعه اولقصر الرمان موضع معروف بواسط وهو من اصحاب ابن دريد مات سنة اربع و ثمانين و ثلاثمائة وهو صاحب كتاب النكت فى اعجاز القرآن امام مشهور فى سائر العلوم وعن ابن السراج انه تمذهب الى الاعتزال والله تعالى اعلم بالحال (وغيره) اى من ارباب المقال (الرسول الكريم) كان الاولى ان يقول رسول كريم (هنا) اى فى هذا المقام العظيم (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بجميع الاوصاف) اى المذكورة هنا (بعد) اى بعد ذكره وفى نسخة تعد بضم منقوطة بنقطتين وفتح عين وتشديد مهملة اى تذكر (على هذا) اى على هذا القول (له) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غيره) اى غير على ابن عيسى وهم الاكثرون من العلماء (هو) اى الرسول الكريم (جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه) اى بخلاف وماصاحبكم بمجنون فان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم باجماع المفسرين وذلك ان المشركين قالوا ياايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فنفى الله سبحانه وتعالى عنه ذلك بهذه الاية وبقوله سبحانه وتعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وقد تمسك بعض المعتزلة وطائفة من اهل السنة فى تفضيل الملائكة بعده فضائل جبريل عليه الصلاة والسلام و اقتصاره على نفى الجنون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وضعف بان المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لاعد فضلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) اى بالافق المبين (يعنى) اى يريد الحق سبحانه وتعالى بالرائى (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل) اى نقل من ابن مسعود وغيره (رأى) اى محمد (ربه) وقدم هذا القول لانه اوفى بالغرض الذى هو مدح الرسول (وقيل رأى) اى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل فى صورته) اى التى خلق عليها فقيل ان ذلك اشارة الى رؤيته اياه عند سدرة المنتهى وقيل انه اشارة الى رؤيته اياه فى غار حراء حين رآه على كرسى بين السماء والارض حسبما ثبت فى الصحيح (وماهو) اى ليس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (على الغيب) اى على مايخبر به مما اوحى اليه وغيره من الامور الغيبية (بظنين) بالظاء المشالة وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو والكسائى (اى بمتهم) يعنى من الظنة وهى التهمة (ومن قرأه بالضاد فمعناه ماهو ببخيل) اى فى تبليغ رسالته الى عموم امته من الضنة وهى البخل (بالدعاء به) متعلق ببخيل اى بدعائه الخلق الى الحق وفى رواية كما فى نسخة بالدعاية بالتحتية كالبداية وقيل هى من الادعاء اذا قال فى الحرب انا فلان كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة حنين انا النبى لاكذب انا ابن عبد المطلب (والتذكير بحكمه) اى و بتذكيرهم باحكام ربهم (وبعلمه) يحتمل ان يعود ضميره الى الحكم اى وليس ببخيل بعلم كونه واجبا اومندوبا اوحراما اومكروها اومباحا لهم ويحتمل عوده اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اى ولا يبخل ان يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم شيئا (وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وهذه الاية وهى وما هو على الغيب بظنين على القراءتين صفة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (باتفاق) اى من المفسرين اذ لم يقل احد بعود ضميره الى جبريل عليه الصلاة والسلام (وقال تعالى ن) اسم للحرف او الحوت واريد به الجنس او الحوت الذى عليه الارض او للدواة فان بعض الحيتان يخرج منه شئ اشد سوادا من الحبر يكتب به و بنصر الاول سكونه ورسمه بصورة مسماه و يؤيد الثانى قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وحينئذ فالانسب ان يراد به ذلك الحوت بعينه اوالمراد جنسه الداخل فيه و يقوى الثالث قوله تعالى (والقلم) وهو ماكتب به اللوح المحفوظ اومايكتب به مطلقا (و مايسطرون) اى يكتبون والكتبة هم الحفظة كراما كاتبين اوالاعم والله اعلم (الايات) اى الواردة فى اول السورة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من حسن السيرة والصورة (اقسم الله تعالى بما اقسم به) لكثرة فوائده (من عظيم قسمه) اى تعظيما له وتكريما فى تخصيص ذكره (على تنزيه المصطفى) اى تبرئته وتبعيده (مما غمصته) بمعجمة ومهملة بينهما ميم اى عابه واحتقره (الكفرة به وتكذيبهم له) اى وعلى تكذيبهم للمجتبى فى قولهم له انه كذاب وساحر ومجنون (وانسه) من باب الافعال اوالتفعيل اى جعله ذا انس يقر به ومستأنسا بحبه (و بسط امله) اى نشر مأموله و مقصوده و اكرله رجاءه فيما شانه (بقوله محسنا) من باب التفعيل اوالافعال حال من ضمير ماقبله اى مزينا (خطابه) فى كتابه بقوله (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم فى الاية ومقول القول فى الاصل اى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وغيرها والمعنى انهم مجانين حيث قالوا انك لمجنون والحال انك اعقل العقلاء وافضل العلماء واكمل العرفاء وسيد الانبياء وسند الاصفياء والاولياء (وهذه) اى الحالة العظيمة اوالمنقبة الجسيمة المأخوذة من قوله آنسه و بسط امله اوالتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (نهاية المبرة فى المخاطبة) اى غاية الاحسان والملاطفة فى المكالمة والمجاوبة (واعلى درجات الاداب فى المحاورة) اى المراجعة والمرادة (ثم) اى بعد ان نزهه و برأه عما لايليق به مما نسبوا اليه (اعلمه بماله عنده من نعيم دائم) اى ابد الابدين (وثواب غير منقطع) اى غير ممتنع فى زمان وحين (لايأخذه عد) اى لايضبطه عدد ولايحيط به حد (ولايمتن به عليه) من الامتنان اى ولايجعله تحت الامتنان مع ان له المنة فى الاحسان افتعال من المن وهو الاحسان الذى تمن به على غيرك وفى نسخة ولايمن به عليه يقال من

وامتن عليه اذا عد عليه بمعروف اسداه اليه صنعه وقيل الامتنان عد الصنيع لاظهار الفضل (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) اى غير منقطع اوغير ممنون به عليك فانه يعطيك بلاواسطة (ثم اثنى عليه بما منحه) اى اعطاه (من هباته) جمع هبة اى موهوباته وتفضلاته (وهداه اليه) اى ودله عليه والحاصل ان المصنف رحمه الله تعالى جمع بين اقوال المفسرين فى معنى قوله غير ممنون اى غير منقطع وهو قول الاكثر اوغير محسوب ولامعدود وهو قول طائفة اوغير ممتن به وهوقول ضعيف ذكره الهروى فى غريبه (واكد ذلك) اى الذى يدل على ما منحه (تتميما للتمجيد) من المجد وهوالكرم والعظمة اى تكميلا للتعظيم والتكريم بنسبته اليه (بحرفى التأكيد) وهما ان واللام (فقال وانك لعلى خلق عظيم) قيل استعظمه لفرط احتماله اذى قومه مع مبالغتهم فى عداوتهم وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون (قيل) فى تفسير خلقه العظيم (القرآن) اى مافيه من مكارم الاخلاق ومن ثم قيل هوما امره الله بقوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى تفسيره صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وهذا القول هوالمروى عن عايشة رضى الله تعالى عنها انها لماسئلت عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه (وقيل الاسلام) وهوالمنقول عن ابن عباس والمراد بالاسلام ههنا هوالتوحيد الحقيقى والانقياد الظاهرى والباطنى لاوامر الله واحكامه وقضائه وقدره كما قال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين (وقيل الطبع الكريم) ولذا كان يخالق الناس بمكارم الاخلاق ويخالطهم بلطفه وارفاقه وهوالمنقول عن الماوردى (وقيل ليس لك همة) اى مقصد ونهمة (الا الله) اى الذى بيده كل رحمة ونعمة فكان مع الخلق بقالبه مباينا لهم بقلبه وهذا منسوب الى الجنيد (قال الواسطى اثنى عليه بحسن قبوله) اى اثنى الله على نبيه بقبوله الحسن (وحسن اقباله) اى ذى المنن (لما اسداه اليه من نعمه) اى لما اوصله اليه واولاه من نعمه الظاهرة والباطنة فى دنياه واخراه (وفضله بذلك) اى بما ذكر (على غيره) اى من جميع خلقه (لانه جبله) اى طبعه وخلقه (على ذلك الخلق) وفى نسخة على تلك الخلق فالخلق بمعنى الخصلة او السجية (فسبحان اللطيف) اى بعباده يرزق من يشاء (الكريم) اى الذى وسع كرمه كل شئ (المحسن) اى الذى لايستغنى احد عن احسانه وبره وامتنانه (الجواد) اى الكثير العطاء والجود بالنسبة الى كل موجود (الحميد) الذى يحمده كل احد من مخلوقاته وهو حامد لانبيائه واصفيائه القائمين بوظائف طاعاته وعباداته وفى اصل الدلجى المجيد اى ذى المجد والكرم ففى الحديث القدسى والكلام الانسى وذلك انى جواد ماجد رواه الترمذى والبيهقى (الذى يسر الخير) اى سهله وفى نسخة للخير اى هيأ اهلاله كما قال تعالى فسنيسره لليسرى (وهدى اليه) اى ودله عليه كما قال تعالى وهديناه الى صراط مستقيم (ثم اثنى على فاعله) اى فاعل الخير نحو قوله تعالى انه من عبادنا المخلصين (وجزاه عليه) اى اثابه بما منحه عليه فى الدنيا ووعده بالمزيد فى العقبى بنحو قوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم و يغفر لكم والله شكور حليم هذا (سبحانه) اسم للتسبيح بمعنى التنزيه وقد يجعل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف ثم نصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام للتنزيه عن السوء والملام فهذا ايضا معنى قوله (سبحانه) بدلا مما قبله (ما اغمر) بالغين المعجمة فميم وراء وفى نسخة ما اعم (نواله) بفتح النون والصيغة للتعجب اى ما اكثر عطائه (واوسع افضاله) بكسر الهمزة اى بره واحسانه (ثم سلاه) من التسلية وهى التعزية والتهنئة والمعنى ازال عنه ما حزبه من الغم وكربه من الهم (بعد هذا) اى بعد هذا المدح والثناء ووعد البر والعطاء وابعد الدلجى حيث قال اى بعد ما قالوه (عن قولهم) متعلق بسلاه اى عن مقول الكفار فى حقه مما لايليق بجنابه وهو فى اصل الدلجى متصل بسلاه وقوله بعد هذا (بما وعده به من عقباهم) بضم العين اى من سوء عاقبتهم الذى هو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وفى نسخة من عقابهم اى عذابهم وحجابهم (وتوعدهم) اى وبما اوعدهم وخوفهم (بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث آيات) اى الى قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين وهو منصوب باعنى او اقرأ ويجوز رفعه وخفضه كما تقدم والضمير فى فستبصر للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى ويبصرون للكفار وهذا الابصار اما فى هذه الدار واما فى دار القرار للابرار وفى دار البوار للفجار والمعنى فسترى او فستعلم ويبصرون بايكم المفتون اى ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما قالوا ليس له معقول اى عقل ما فالمعنى بايكم الفتنة وهى كناية عن الفساد والجنون الذى رموه به او باى الفريقين الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء على هذا ظرفية وخلاصته فى اى فريق منكم الرجل المفتون ثم ختم الله سبحانه وتعالى الاية بوعيدهم ووعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فاوعدهم بقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل

عن سبيله ووعده بقوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين فكانه قال هو اعلم بالمجانين على الحقيقة واليقين وهو اعلم بالمهتدين بمجازاتهم بكمال العقل فى الدين (ثم) اى بعد ان مدحه الله وسلاه متوعدا اياهم (عطف) اى التفت وكر (بعد مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم على ذم عدوه) قيل هو الاخنس بن شريق وكان ثقفيا ملصقا فى قريش والاظهر انه الوليد بن المغيرة ونقل الثعلبى فى تفسيره انه ابوجهل ونسب هذا الى ابن عباس رضى الله عنهما ايضا وقيل هو عتبة ابن ربيعة وكثير من المفسرين على ان جميع الصفات التى فى هذه الايات انما جاءت اجناسا ولم يرد بها رجل بعينه بل المراد ان كل من يكون متصفا بوصف منها فلاتطعه فيها (وذكر سوء خلقه) اى وعلى ذكر سوء خلق عدوه (وعد معايبه) اى وعلى تعداد قبائح مبغضه (متوليا) اى مباشرا بنفسه (ذلك بفضله) اى من غير وجوب شئ عليه (ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى منتقما لاجله من اعدائه (فذكر) اى الله سبحانه وتعالى فى كلامه بعد ذلك (بضع عشرة) بسكون الشين وتكسر وروى بضعة عشر (خصلة) بفتح الخاء اى خصلة قبيحة وخلة ذميمة والبضع بفتح الموحدة ويكسر ما بين الثلاث الى التسع وهذا هو المشهور واراد المصنف احدى عشرة خصلة وهذا على قول من يقول بدؤه الواحد ومنتهاه العشرة لانه قطعة من العدد ويجرى فى التذكير والتأنيث مجرى العدد المركب (من خصال الذم فيه) اى من بعض الخصال المذمومة فى عدوه (بقوله فلا تطع المكذبين) تهييج لتصميمه على معاصاتهم (الى قوله تعالى اساطير الاولين) وهو قوله ودوا لوتدهن فيدهنون اى لوتلين فتدع نهيهم عن الشرك فيلينون ايضا اليك فى بعض ماتدعوهم اليه وذلك ان قريشا قالوا فى بعض الاوقات لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لوعظمت آلهتنا لعبدنا الهك وعظمناه فنهاه الله عن ذلك بقوله فلاتطع المكذبين ودوا لوتدهن فيدهنون ولاتطع كل حلاف اى كثير الحلف حقا وباطلا وكفى به زاجرا لمن اعتاد الحلف حيث يخاف عليه من الكذب كما ورد كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ماسمع مهين اى ذى مهانة وحقارة وحاصله انه ضعيف وحقير ووزنه فعيل لامفعول والميم اصلية لازائدة هماز عياب فى اعراض الناس مشاهدة مغتاب فى حقهم غيبة مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية للفساد والنميم مصدر كالنميمة وهو نقل القبائح مناع للخير اى كثير المنع منه فقيل المراد بالخير هو المال فعلى هذا هو وصف بالشح وقيل بل هو على عمومه فى المال وجميع افعال الخير والخصال معتد متجاوز فى الظلم اثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله اى دفعه بعنف وشدة بعد ذلك اى بعد ما عد من مثالبه ومعايبه زنيم اى دعى كالوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قيل ان الله سبحانه وتعالى لايعيب احدا بالانساب ولكن ذكره ليعرف بذلك وما احسن قول حسان

﴿وانت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد﴾

ان كان ذامال وبنين علة لمابعده وقرأ حمزة وشعبة بهمزتين فالتقدير الآن كان ذامال كثير وبنين متعددة قيل كانوا عشرة وقيل اثنى عشر اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اى قال ذلك حين تتلى عليه والاساطير جمع اسطورة بضم الهمزة كاحدوثة واحاديث وقيل الاساطير جمع اسطار والاسطار جمع سطر بفتح الطاء كذا فى حاشية التجانى وفى القاموس السطر الصف من الشئ كالكتاب والشجر وغيره وجمعه اسطر وسطور واسطار وجمع الجمع اساطير والخط والكتابة ويحرك فى الكل انتهى واراد الكافر به الاباطيل المنسوبة الى المتقدمين وقائله النضر بن الحارث وسببه انه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم وغيره (ثم ختم) اى الله سبحانه (ذلك) اى ماذكره من مثالب ذلك الشقى (بالوعيد الصادق) وفى نسخة بالوعيد الصدق (بتمام شقائه) اى تعبه اوكمال شقاوته (وخاتمة بواره) اى هلكه ودماره بقوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) اى سنكويه على انفه اهانة له وخص الانف لان السمة عليه ابشع وظهورها اشنع واشيع وقيل اى نجعل على وجهه يوم القيمة سمة سواد تكون منبهة عليه ومعرفته قبل دخوله النار كما قال تعالى الله يعرف المجرمون بسيماهم اومعناه انه يعذب اذذاك بنار تجعل على انفه فتكون فيه كالسمة وقيل هذا فى الدنيا وهى كناية عن ضربة يضرب بها وجهه وانفه فتبقى فيه كالسمة قالوا وقد حل ذلك يوم بدر على انف الوليد جراحة ظاهرة وعلامة باهرة وقيل ليس السمة هنا على حقيقتها وانما هى كناية عن شهرته بمايبقى له مذموما ولايمكنه اخفاؤه كالموسوم بسمة على انفه والخرطوم فى الاصل انما هو للسباع كالفيل واستعمل فى الاية للانسان استعارة واشارة الى انه شبيه بالحيوان صورة وسيرة كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة عن الحضرة وقيل انما عدل عن الانف الى الخرطوم لان الانف محل العز والانف ولاكذلك الخرطوم لانه محل المذلة والاهانة ولذا قيل الانف فى الانف وقيل الخرطوم الوجه كله وهذا فى الانسان وربما قيل له فى الانف كغيره ومحل الكلام وزبدة المرام فى هذا المقام اى سنجعل له سمة اى علامة على الخرطوم اى انفه اماحسا كضرب انفه بالسيف يوم بدر وبقيت

علامة في انفه حتى يأنف من انفه او يكون سوادا في وجهه زائدا عن غيره من الكفار في القبح لشدة عناده وعتوه واما معنى كسوه ذكره بالذم والمقت والاشتهار بالشر بحيث لا يخفى ذلك بوجه فيكون ذلك كوسمة على انفه و يمكن تحقق الجميع في حقه (فكانت نصرة الله له) اي لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عدوه (اتم من نصرته) عليه الصلاة والسلام بنفسه (لنفسه) اي فان من كان الله كان الله له (ورده) اي كان رده (تعالى على عدوه ابلغ من رده) صلى الله تعالى عليه وسلم (واثبت في ديوان مجده) اي في ديوان كرمه وشرفه وهو بكسر الدال وتفتح والجمع دواوين ودباوين واصله ديوانه بالفارسية وذلك ان كسرى امر كتابه ان يجتمعوا في دار واحدة يعملوا حساب السواد في ثلاثة ايام واعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر اليهم فرآهم يحسبون باسرع ما يمكن وينسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال ابن ديوانه اي هؤلاء مجانين وقيل شياطين ثم قيل في كل محفل ديوان واول من دون في الاسلام عمر رضي الله تعالى عنه

﴿ الفصل السادس ﴾

(فيما ورد من قوله تعالى في جهته) اي في حقه (عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والاكرام) اي مورد الرحمة والكرامة وهو منصوب على المصدرية (قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه الصلاة والسلام) اي الحديث تقدم لي عند ربي عشرة اسماء وذكر منها طه وهو في حساب العدد المرموز في ابجد اربعة عشر ايماء الى ان بدر وجهه في غاية من النور ونهاية من الظهور (وقيل هو اسم لله تعالى) قاله ابن عباس رضي الله عنهما ولعله اشارة الى الطاهر والهادي والمعنيان صادقان في حق الله تعالى ورسوله حقيقة ومجازا وقد قيل المعنى طوبى لمن اهتدى بك (وقيل معناه يارجل) اي في لغة عك ولعل اصله ياهذا فقلبوا ياء طاء واقتصروا على ها (وقيل) اي في معناه (ياانسان) قلبوا واتوا بهاء السكت كذا ذكره الدلجي ووجهه غير ظاهر مع ان هاء السكت انما يكون ساكنا والاظهر ان اصله يا هذا المراد به الرجل اوالانسان (وقيل هي حروف مقطعة) اي يراد بها حروف هجائية بنائية (لمعان) اي موضوعة لمعان ايمائية والله اعلم بمراده بالطريقة القطعية (قال الواسطي اراد ياطاهر) وفي معناه ياطيب (ياهادي) اي اراد بالطاء افتتاح اسم و بالهاء ابتداء اسم (وقيل هو امر من الوطئ) اي بالهمز والهاء كناية عن الارض فامر بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه واصله طاء قلبت همزته هاء اوطأ ها قلبت همزته الفا واورد عليه كتابتهما على صورة الحرف وكذا على القول بان اصله ياهذا واجيب بانه اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما على صورة مسماهما في رسمهما (اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) اي فانه شاق عليك (وهو قوله) تعالى (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اي لتتعب في امر العبادة بل المراد به انك تعبد على وجه الراحة فانك انما بعثت بالحنيفية السمحة ثم الشقاء شائع بمعنى التعب ومنه سيد القوم اشقاهم ولعل الحكمة في عدوله عن تتعب للاشعار بانه انزل عليه ليسعد بحكم الضد اولمراعاة الفواصل الآتية (نزلت) وفي نسخة و نزلت (الاية) اي اول سورة طه (فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل) اي حتى تورمت قدماه وذلك لانه قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باية من القرآن ليلة كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وروى ايضا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي حتى تورم قدماه قال فقيل له اتفعل هذا وقد جاءك ان الله تعالى قد غفرلك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا (حدثنا) وفي نسخة اخبرنا (القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) اي ابن علي ابن شبرى بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة و بعد الراء منساة من اسفل احد العلماء الصالحين من رجال الاندلس مات سنة ثلاث وخمسمائة باشبلية (وغير واحد) اي وكذا حدثنا جمع كثير (عن القاضي ابي الوليد الباجي) بموحدة وجيم هو سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي صاحب التصانيف نسب الى باجة مدينة بقرب اشبلية وقيل هو من باجة القيروان التي ينسب اليها ابو محمد الباجي الحافظ مات بالمدينة سنة اربع وسبعين واربعمائة قيل كان يحضر مجلسه اربعون الف فقيه روى عنه الخطيب وابن عبد البر وهما اكبر منه والحميدي وابو علي الصدفي وغيرهم (اجازة) اي من طريق الاجازة (ومن اصله) اي كتابه الذي قرأ فيه على مشايخه (نقلت) فكان في سنده اجازة ومناولة (قال حدثنا ابو ذر الحافظ) اي المشهور بحفظ الحديث يعني به الهروي واسمه عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن عبد الله بن غفير بغين معجمة ابن خليفة بن ابراهيم المالكي توفي في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين واربعمائة في الحرم مجاورا فيه وهو منسوب الى الهرة بفتح الهاء والراء مع تخفيفه ودون همز موضع بين مكة

والطائف واما الهبراة فموضع بين مكة وعسفان كذا ذكره التلمسانى واما هراة بالكسر بلا همزة فبلدة عظيمة بخراسان قال الحلبي وسمع منه جماعة وروى عنه بالاجازة جماعة منهم الخطيب وابن عبدالبر وغيرهما (قال حدثنا ابو محمد الحموى) بفتح المهملة وضم الميم المشددة وكسر الواو وياء نسبة الى جده حمويه وهو عبدالله ابن محمد ابن حمويه السرخسى توفى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة (حدثنا ابراهيم بن خزيم) بضم خاء معجمة وفتح زاى قال التلمسانى هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن خزيم (الشاشى) بشينين معجمتين واما الشامى على ما فى بعض النسخ فتصحيف (حدثنا عبد بن حميد) بالتصغير اى ابن نصر القرشى الكشى بكاف وشين له تأليف فى كتاب الله العزيز ومعانيه توفى سنة تسع واربعين ومائتين قال الحلبي هو مصنف المسند وقد قرأت منتخبه بالقاهرة سمع يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدى وعلى بن عاصم وابن ابى فديك وغيرهم روى عنه مسلم والترمذى وعلق عنه البخارى فى دلائل النبوة من صحيحه فسماه عبدالحميد (حدثنا هاشم بن القاسم) هو ابو النصر يعرف بقيصر التميمى روى عن ابن ابى ذئب وعكرمة وعنه احمد والحارث ابى اسامة اخرج له الجماعة توفى سنة سبع ومائتين (عن ابى جعفر) هو محمد بن على بن الحسين بن على ابن ابى طالب هو والد جعفر بن محمد الصادق توفى عام عشرة ومائة وقال الحلبي ابو جعفر هذا اختلف فى اسمه فقيل عيسى بن ابى عيسى بن هامان مروزى كان يتجر الى الرى روى عن عطاء وابن المنكدر وعنه جماعة اخرج له الاربعة (عن الربيع بن انس) هو ولد انس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخديمه رضى الله تعالى عنه قال الحلبي الربيع تابعى وهو بفتح الراء بصرى نزل خراسان وروى عن انس وابى العالية وعنه الثورى وابن المبارك قال ابو حاتم صدوق توفى سنة تسع وثلاثين ومائة اخرج له الجماعة (قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الاية) اى الا تذكرة لمن يخشى اى لكن انزلناه موعظة لمن يخاف مخالفة المولى ويتبعه بالطريق الاولى فهذا الحديث اسنده المصنف هنا من تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن انس مرسلا ورواه ابن مردويه عن على كرم الله تعالى وجهه موصولا بلفظ لما نزل يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا فقام كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع اخرى فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام فقال طه اى طأ الارض بقدميك ما انزلنا عليك القرآن لتشقى والحاصل ان هذا التأويل فى طه هو مختار الربيع بن انس ويعزى الى مقاتل ايضا وله تأويلان احدهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتمد اذا صلى على احدى رجليه ويرفع الاخرى تحريا منه صلى الله تعالى عليه وسلم للامور الشاقة ونفورا من الراحة فقيل له طأ الارض برجليك معاولا تعتمد على قدم واحدة فتتعب بذلك نفسك وهذا التأويل هو الذى تأوله المصنف وثانيهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تدعوه مشقة الصلاة الى ان يتروح برفع احدى قدميه وحط الاخرى فقيل له طأ الارض بمعنى لا تلزم نفسك من القيام ما تتعب معه فتضطر الى الترويح باحدى قدميك قال التجانى وهذا التأويل احسن من التأويل الذى تأوله القاضى والا فالقيام على رجل واحدة لم يثبت فى الشرع انه من جملة التطوعات فيفعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اختيارا دون ان يوجب ذلك موجب من تعب او تورم قدم بل لم يبح ذلك الفقهاء لا للضرورة قلت لا مانع من انه كان فى الشرع من التطوع ثم نسخ ثم قال ومما يستغرب فى هذه الاية ما رواه الفراء فى كتاب معانى القرآن له مسندا عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان رجلا قرأ بحضرته طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فقال ابن مسعود اقرأ طه بكسر الطاء والهاء فقال له الرجل يا اباعبد الرحمن اليس امرا من الوطئ فقال له عبدالله اقرأ طه بالكسر فهكذا اقرأنيهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لعل روايته كانت بالامالة فيهما وهى لا تنافى كونهما من الوطئ والله اعلم (ولا خفاء بما فى هذا كله) الباء بمعنى فى وعدل اليه حذرا عن التكرار اى فيما ذكر من الاية والحديث (من الاكرام) اى اكرام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وحسن المعاملة) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم باعلام حسن القيام وهذا ان جعلنا معنى طه طأ الارض كما تقدم فيه الكلام (وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل) اى وقد سبق (او جعلت) اى هذه الكلمة (قسما) اى اقسم الله تعالى به (لحق الفصل بما قبله) اى اتصل هذا الفصل بالفصل الذى قبله لابانة بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته وافاد نهاية المبرة فى مخاطبته واعلاء درجات الاداب فى محاورته (ومثل هذا) اى ما ذكر من كون طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم او مقسما به او هما وما قبلهما (من نمط الشفقة) اى من نوع المرحمة (والمبرة) لمناسبة بينهما قال الدلجى اذ النمط فى الاصل الجماعة من الناس امرهم واحد وفى الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحقهم التالى ويرجع اليهم العالى انتهى ولا يخفى بعد هذا المعنى فى مقام المرام بل النمط بفتح النون والميم جاء بمعنى الطريق والنوع من الشئ ايضا على ما فى القاموس ويمكن

جل الحديث الذي ذكره عليه كما لا يخفى وقد قال الحلبي النمط الضرب من الضروب والنوع من الانواع يقال ليس هذا من ذلك النمط اى من ذلك النوع قاله الهروى فى غريبه واخذ منه ابن الاثير وحذف منه بعض شئ (قوله تعالى) خبر لقوله مثل هذا (فلعلك) اى لفرط اعراضهم وتباعدهم عن ما فيه تحصيل جميع اغراضهم (باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) اى المجدد انزاله (اسفا) اى حزنا وتأسفا وتلهفا (اى قاتل نفسك) و يجوز بالاضافة كما قرئ فى الاية (لذلك) اى لعدم ايمانهم بالقرآن (غضبا) اى عليهم (اوغيظا) اى فى نفسه (اوجزعا) اى قلة صبر وتحمل والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه لما تداخله من الوجد اسفا على توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن فارق اعزته فذهبت نفسه حسرات على آثارهم باخعها وجدا عليهم متلهفا على فراقهم (ومثله) اى مثل فلعلك باخع نفسك مما ورد مورد الشفقة والاكرام بشهادة لعل فانها للاشفاق (قوله تعالى ايضا لعلك باخع نفسك) وقرئ بالاضافة هنا اى اشفق على نفسك ان تقتلها غما (ان لا يكونوا مؤمنين) اى مخافة ان لا يؤمنوا اولئلا يؤمنوا (ثم قال) اى الله سبحانه وتعالى تسلية لشانه (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) اى دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاصرة على اهل الكفران والطغيان (فظلت) اى صارت (اعناقهم) اى جماعاتهم واشرافهم وساداتهم (لها خاضعين) اى لتلك الاية منقادين ولاقتضائها خاشعين اولتلك البلية ذليلين خاسئين وهو عطف على الجزاء اعنى ننزل اذلو قيل انزلنا مكانه لصح وقيل اصل الكلام فظلوا لها منقادين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع لان الاعناق لما وصفت بصفة لا تكون حقيقة الا لمن يعقل عوملت معاملة من يعقل فجمعت جمعه (ومن هذا الباب) اى باب الشفقة والاكرام (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر) اى فاجهر به واظهره من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهرا اوافرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما موصولة وعائدها محذوف اى بما تؤمر به وجوز الدلجى ان يكون ما مصدرية هنا وهو بعيد عن المعنى كما لا يخفى (واعرض عن المشركين) اى اهانة لهم ولا تلتفت الى ما يقولون واغرب التلمسانى حيث فسر اعرض بقوله اترك والغ (الى قوله) تعالى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) اى فينا اوفى القرآن اوفيك (الى آخر السورة) وهو قوله سبحانه وتعالى انا كفيناك المستهزئين اى دفعنا عنك شرهم بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة نفر فات كل واحد منهم بنوع من عذابه الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون اى عاقبة امرهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك اى فافزع اليه بالتسبيح والتحميد وقل تسبيحا مقرونا بالحمد جمعا بين الصفات السلبية والنعوت الثبوتية اوفنزهه عما يقولون من الباطل واحمده على انه هداك الى الحق وكن من الساجدين اى المصلين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت باتفاق المفسرين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند موت عثمان بن مظعون اما هو فقد رأى اليقين قال الحجازى ويحتمل ان يكون اشارة الى النصر الذى وعد الله سبحانه وتعالى على الكفار قلت هذا مع مخالفته للاجماع غير مناسب ان تكون النصرة غاية العبادة فان العبادة لا يجوز انفكاكها عن العباد مادامت الارواح فى الاجساد (وقوله) اى ومنه ايضا قوله (تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية له عما كان يرى من قومه ليقتدى بالرسل المتقدمين عن وقته حيث صبروا على ما كذبوا واوذوا وقد قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل (الاية) يعنى فحاق بالذين سخروا منهم اى من المستهزئين وقيل من المرسلين ما كانوا به يستهزؤن اى فاحاط بهم الذى كانوا به يستهزؤن حين هلكوا لاجله اونزل بهم جزاء استهزائهم قيل يجوز ان يكون ضميربه راجعا الى الشرع وماترتب عليه من الثواب وان يكون راجعا الى العذاب والله تعالى اعلم بالصواب واما ما جوزه الحجازى من رجعه الى القرآن فلا يناسبه المقام كما لا يخفى على ارباب المعانى والبيان (قال مكى) سبق ذكره (سلاه) اى الله (تعالى بما ذكره) اى من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك (وهون عليه ما يلقى) وفى رواية ما يلقاه (من المشركين) اى من فرط الايذاء (واعلمه ان) وفى نسخة انه (من تمادى) اى اصر واستمر (على ذلك يحل به) بضم الحاء اى ينزل به ومنه قوله تعالى اوتحل قريبا من دارهم واما يحل بكسر الحاء فمعناه يجب لكن لا يناسب المقام وان قرئ بهما قوله تعالى فيحل عليكم غضبى (ما حل) اى شئ عظيم نزل اوالذى حل (بمن قبله) اى من اعداء الانبياء (ومن هذا) اى الباب وفى نسخة ومثل هذه التسلية (قوله تعالى وان يكذبوك) اى قومك فلا يهولنك تكذيبهم لك (فقد كذبت رسل من قبلك) فكان الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تأس بمن قبلك من الانبياء فان هذه الانواع التى يعاملك بها قومك من التكذيب وغيره قد كانت موجودة فى سائر الامم قبلك مع انبيائهم عليهم الصلاة والسلام فلست منفردا بهذا وحدك وفيه ايماء الى ان البلية اذا عمت طابت فان اجل ما يخفف عن الانسان حزنه مشاركة غيره له فيه كما قالت الخنساء

﴿ ولولا ﴾

﴿ ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى ﴾
﴿ ومايكون مثل اخى ولكن * اعزى النفس منى بالتأسى ﴾

(ومن هذا) الباب او القبيل (قوله تعالى كذلك) اى مثل تكذيب قومك لك و قولهم افتراء عليك معلم مجنون (ماأتى الذين من قبلهم من رسول الاقالوا) اى ماجاءهم رسول الاقالوا فى حقه هو (ساحر) اى خداع (اومجنون) اى به جنون واوللتنويع باعتبار قوم دون قوم اووقت دون وقت ولايبعد ان تكون للشك مشيرا الى تحيرهم فى امره مع الايماء الى المناقضة بين اقوالهم فان الساحر هو العالم وهو لايكون الا فى كمال العقل و المجنون لايكون الا خاليا عنه (عزاه الله تعالى) بتشديد الزاى اى حمله على الصبر و سلاه (بما اخبربه عن الامم السالفة) اى عن الجماعات السابقة (و مقالها) اى و اقاويل تلك الامم وفى نسخة ومقالتها (لانبيائهم قبله و محنتهم) اى ابتلائهم و فى نسخة ومحنهم بفتح فسكون و هو مجرور و وهم الحجازى حيث قال بفتح النون اى و بامتحان انبيائهم واختبارهم فى ولائهم عند بلائهم وابتلائهم (بهم) اى بقومهم واقوالهم (و سلاه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) اى بما ذكر من ابتلاء الانبياء (عن محنته) اى بليته عليه الصلاة والسلام (بمثله) اى بنظير مافعل الامم بالانبياء (من كفار مكة) فى تأذيتهم له (وانه) اى وبانه (ليس اول من لقى ذلك) اى الايذاء من قومه (ثم) اى بعد ان سلاه (طيب نفسه) اى ارضاه (وابان عذره) اى اظهره (بقوله فتول عنهم) اشفاقا عليه بترك معالجتهم (اى اعرض عنهم) اى بعد مابذلت جهدك فى الدعوة والزمت عليهم الحجة (فما انت بملوم) فى مكالمتهم (اى) حينئذ (فى اداء مابلغت) اى من الاعلام (وابلاغ ماحملت) بضم حاء وتشديد ميم مكسورة اى كلفت من الاحكام والمعنى فلا تلام فى اعراضك عنهم بعدما كررت عليهم مبالغا فى تبليغ ماامرت به لهم (ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اى بمرأى منا (اى اصبر على اذاهم) اى وبقائك فى عناهم (فانك بحيث نراك ونحفظك) وجمع العين لجمع الضمير مبالغة فى اسباب الحفظ والعصمة (سلاه الله تعالى بهذا) اى بما ذكر (فى آى كثيرة من هذا المعنى) اى كما لايخفى على حفاظ المبنى

﴿ الفصل السابع ﴾

فيما اخبره الله تعالى به فى كتابه العزيز) اى الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه او الغالب على سائر الكتب بنسخه اياها او النادر فى الوجود لبقائه على صفحات الدهر الى اليوم الموعود (من عظيم قدره) اى مرتبته (وشريف منزلته) اى يشهدان بفضيلته (على الانبياء وحظوة رتبته) بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة وقد تقدمت ومن بيان لما (فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبين) هو كما اختاره المصنف على ظاهره من اخذ الميثاق عليهم بما ذكرا وميثاقهم الذى وثقوه على اممهم (لما آتيتكم) وفى قراءة نافع آتيناكم واللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف و ما شرطية و التقدير لمهما آتيتكم وهو ظاهر قول سيبويه و دخلت اللام عليها كما تدخل على ان اذا كان جوابها قسما نحو قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك او موصولة صلتها مابعدها والعائد محذوف اى الذى آتيتكموه (من كتاب وحكمة) من لبيان ما (الى قوله) تعالى (من الشاهدين) يعنى ثم جاءكم وهو عطف على صلتها وعائدها محذوف اى جاءكم به رسول مصدق وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب و الحكمة ثم مجيئ رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال اى الله تعالى للنبيين ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى قبلتم عهدى قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى بعضكم على بعض بالاقرار وانامعكم من الشاهدين على اقراركم و تشاهدكم وفى هذا توكيد عظيم و تعظيم جسيم مع علمه تعالى بانهم لايدركون زمانه ولايلحقون مكانه (قال ابو الحسن القابسى) سبق ذكره (احتص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل) اى بزيادة فضيلة (لم تؤته غيره) اى من فضلاء انبيائه (ابانه به) جملة استئناف اى اظهره الله تعالى بما آتاه من فضله وفى نسخة ضبط ابانة بالمصدر على انه منصوب على العلة اى اظهارا بفضله وكماله واشعارا بعلو شانه وتمام جماله (وهو ما ذكره فى هذه الاية) اى مما يدل على تلك الابانة (قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحى) اى الى انبيائه (فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته) اى وذكر له صفته كما فى التوراة و الانجيل و غيرهما على مامر (و اخذ عليه) اى على كل نبى (ميثاقه) اى الخاص به وهو (ان ادركه ليؤمنن به) بفتح النونين واليه اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله حين رأى عمر انه ينظر فى صحيفة من التوراة لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى اى لاجل اخذ الميثاق بذلك والا فكان الامر يقتضى عكس ما هنالك لان اللاحق يكون تابعا للسابق (وقيل ان يبينه) اى اخذه عليه ان يبينه (لقومه و يأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم) و فى نسخة لمن بعده اى وهكذا الى ان يبعث فيؤمنوا به كما بينه سبحانه

وتعالى بقوله واذاخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولايكتمونه الاية (وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد) اللام للتقوية وفى نسخة المعاصرين محمدا (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الذين كانوا فى زمانه ولايخفى ان هذا المعنى لايصح على القول بانه تعالى اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لايجعل الخطاب الا لهم وانمايصح عند من قال ميثاق معاصريهم واضافته فى الاية الى النبيين نظرا الى انهم هم الذين اخذوه على امهم وانهم يأخذونه على من بعدهم وهكذا الى ان يبعث فتقدير الاية واذاخذالله الميثاق الذى اخذه النبيون على امهم (قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن جرير فى تفسيره عنه انه قال موقوفا بحكون فى الحكم مرفوعا (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) اى نبيا بعد نبى (الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه) بفتح ما قبل النون الثقيلة فيهما لافراد الضمير بهما (ويأخذ) بالنصب بفتح الذال عطف على مادخله اللام ونون التوكيد مرادة كارادتها فى قوله

﴿ لاتهين الفقير علك ان تر * كع يوما والدهر قدرفعه ﴾

حيث اراد لاتهينن فحذفت لما استقبلها ساكن اى وليأخذن (العهد بذلك على قومه) وفى نسخة برفع يأخذ (ونحوه عن السدى) اى ونحو هذا القول المروى عن على منقول عن السدى (وقتادة) تقدم الكلام على قتادة وانه من اجلاء التابعين وعظماء المفسرين واما السدى فهو بضم السين وتشديد المهملتين كان يجلس فى سدة باب الجامع وهما اثنان كبير وصغير فالكبير هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن ابى كريمة السدى الكوفى يروى عن ابن عباس وانس وطائفة وعنه زائدة واسرائيل وابو بكر بن عياش وخلق وهو حسن الحديث اخرج له مسلم والاربعة واما الصغير فهو محمد بن مروان الكوفى روى عن هشام بن عروة والاعمش تركوه واتهمه بعضهم وهو صاحب الكلبى والظاهر ان المراد هنا الاول والله اعلم (فى آى) اى حال كون هذه الاية مندرجة فى ضمن آيات كثيرة (تضمنت فضله) اى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم (من غير وجه واحد) اى بل من وجوه متعددة (قال الله تعالى واذاخذنا من النبيين ميثاقهم) اى بتبليغ الرسالة وتحمل الدعوة الى الامة (ومنك ومن نوح الاية) اى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهو تخصيص بعد تعميم تلويحا ببيان فضلهم وزيادة شرفهم فانهم اولو العزم من الرسل ومشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما وتكريما وايماء الى تقديم نبوته فى عالم الارواح المشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما شانه ومؤكدا باليمين برهانه وكرر ليبان وصفه تعظيما لمقامه (وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله تعالى وكيلا) وفى نسخة صحيحة شهيدا وهو الصواب وفيه تلويح الى فضله حيث قدمه على رسله اذ كان يمكن ان يقال كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اوحينا اليك على نحوه والحاصل انه قدم من جهة الفضل والشان لا من جهة التقدم فى الزمان والواو وان لم تقتض الترتيب لكن العرب تؤثر تقديم المتقدم فى الذكر على المتأخر فى اللفظ واليه اشار رسول الله تعالى عليه وسلم حيث قال عند الصفا ابدأ بما بدأ الله به وحكى الحافظ فى كتاب البيان والتبيين ان عبد بنى الحسحاس لما انشد عمر رضى الله تعالى عنه قوله

﴿ هريرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ﴾

فقال له عمر لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك (روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وهو بعض خبر هنا ذكره الرشاطى كله فى اقتباس الانوار (انه قال) اى عمر (فى كلام بكى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بنصب النبى على انه مفعول والمعنى رثاه بعد موته من بكيته مخففا ومشددا اى بكيت عليه وذلك حين افاق من غشيته وتحقق عنده موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخطبة ابى بكر وموعظته قائلا بابى انت وامى يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم عليه فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم (فقال) اى عمر (بابى انت وامى) متعلق بمقدر ولحذفه ابدل من ضميره المتصل ضمير منفصل وحذفت الجملة لظهور المعنى حتى قيل الباء للتعدية وقد يذكر الفعل كقول الصديق فديناك بآبائنا وامهاتنا اى افديك بابى وامى (يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء) اى فى مقام الوجود (وذكرك فى اولهم) اى فى اول بعضهم عند ذكرهم اجمالا اى فى معرض الكرم والجود (فقال واذاخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية) اى على ماسبق (بابى انت وامى) اى افديك بهما مرة بعد اخرى لانك بذلك اولى واحرى (يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) اى عند الله سبحانه (ان اهل النار يودون) اى يتمنون ويحبون (ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها) اى طبقات النار (يعذبون يقولون ياليتنا

اطعنا الله واطعنا الرسولا) اى فلم يصبنا هذا العذاب تمنوا حيث لاينفعهم التمنى من جميع الابواب والرسولا بالالف مرسوم والجمهور على اثباتها وقفا ووصلا ومن جملة ما قال عمر رضى الله تعالى عنه بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو قبل ان يخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابى انت و امى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا يتفجر منه الانهار فماذلك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله تعالى عليك وسلم بابى انت وامى يارسول الله لئن كان سليمان بن داود اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فاذاك اعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله تعالى عليك وسلم بابى انت وامى يارسول الله لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه الله تعالى احياء الموتى فاذاك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك فقالت لاتأكلنى فانى مسمومة صلى الله تعالى عليك وسلم بابى انت وامى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك و ادمى وجهك و كسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا وقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون بابى انت وامى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنيك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنيه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بابى انت وامى يارسول الله لولم تجالس الا الاكفاء ما جالستنا ولو لم تنكح الا الى الاكفاء ما نكحت الينا و لو لم تواكل الا الاكفاء ما واكلتنا لبست الصوف وركبت الحمار و وضعت طعامك بالارض تواضعا منك صلى الله تعالى عليك وسلم (قال قتادة) اى كما رواه ابن ابى حاتم فى تفسيره وابن لال فى مكارم الاخلاق وابو نعيم فى دلائله عنه مرسلا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبياء فى الخلق) اى خلق روحه قبل ارواحهم اوفى عالم الذر اوفى التقدير بكتابته فى اللوح اوظهوره للملائكة (وآخرهم فى البعث) اى لكونه خاتم النبيين (فلذلك) اى فلاجل كونه اولهم خلقا (وقع ذكره مقدما) اى فى الاية السابقة (هنا قبل نوح وغيره) اى من اولى العزم فضلا عن غيرهم قال السهيلى واسم نوح عبد الغفار وسمى نوحا فيما ذكر لكثرة نوحه على نفسه اوعلى قومه (قال السمرقندى) وهو الامام ابو الليث من ائمتنا الجامع بين التفسير والحديث والفقه والتصوف (فى هذا) اى فى ذكر وقوعه مقدما (تفضيل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) اى اظهارا للكرم و الجود (وهو آخرهم) اى بعثا كما فى نسخة يعنى اى والحال انه آخرهم من جهة البعث والوجود (المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذا خرجهم من ظهر آدم كالذر) وهو صغار النمل والمعنى ان للانبياء ميثاقا خاصا بعد دخولهم فى الميثاق العام المعنى به قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى بتبليغ الرسالة واخص من هذا الميثاق ميثاق الانبياء اصالة وامهم تبعا انه صلى الله تعالى عليه وسلم لو فرض انه وجد فى اى زمان من الازمنة لتبعه جميع الانبياء وجميع اممهم من العلماء والاولياء والاصفياء فكانهم تابعون بالقوة وعلى فرض وقوعه بالفعل والحاصل انه تعالى قال للخلق فى عالم الذر بعد قوله لهم الست بربكم قالوا بلى اعلموا انه لا اله غيرى وانا ربكم فلا تشركوا بى شيئا فانى سانتقم ممن اشرك بى وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتبا فقالوا شهدنا انك ربنا و الهنا لارب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى فيهم الغنى والحسن وغيرهما فقال يارب لو سويت بينهم فقال انى احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده و اشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلب آدم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه وكان اعطاء الكافرين العهد اذ ذاك وهم كارهون على جهة التقية وقد وردت الاحاديث بهذا من طريق عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما رضى الله تعالى عنهم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام اول من قال بلى فذلك قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وفى قراءة ذريتهم اى اخرج ذريته بعضا من صلب بعض على مايتوالدون واكتفى بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذ كلهم بنوه واخرجوا من ظهره واشهدهم على انفسهم اى اشهد بعضهم على بعض واغرب الدلجى فى انه بعد ماذكر الميثاق على الوجه المسطور المطابق لمذهب اهل السنة المؤيد بالاحاديث النبوية والآثار عن الصحابة مال الى مذهب المعتزلة و تبع الزمخشرى و سائر اهل البدعة حيث قالوا وقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى تخييل وتصوير للمعنى اى نصب لهم ادلة ربوبيته واودع عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها فصار وابمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل انتهى والله يهدى من يشاء الى سواء السبيل وفى كتاب القصص لوثيمة ابن الفرات يرفعه الى ابى موسى الاشعرى انه قال لما خلق الله سبحانه و تعالى آدم عليه السلام قال له يا آدم فقال نعم يارب قال من خلقك فقال انت يارب خلقتنى قال فمن ربك قال انت لا اله الا انت قال فآخذ عليك الميثاق بهذا قال نعم

فأخرج الله سبحانه وتعالى الحجر الاسود من الجنة وهو اذ ذاك ابيض و لو لاماسوده المشركون بمسهم اياه لما امتشفى به ذوعاهة الا شفى به فقال الله سبحانه وتعالى امسح يدك على الحجر بالوفاء ففعل ذلك فامره بالسجود فسجد لله سبحانه وتعالى ثم اخرج من ظهره ذريته فبدأ بالانبياء منهم وبدأ من الانبياء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ عليه العهد كما اخذه على آدم ثم اخذ العهد على الانبياء والرسل كذلك وان يؤمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان ينصروه ان ادركهم زمانه فالتزموا ذلك وشهد به بعضهم على بعض وشهد الله سبحانه وتعالى بذلك على جميعهم و اخذ بعد ذلك العهد على سائر بنى آدم فسجدوا كلهم الا الكافرين و المنافقين لم يطيقوا ذلك لصياصى خلقت فى اصلابهم ثم امر الله سبحانه و تعالى آدم فرفع رأسه ونظر الى ذريته فرأى الانبياء والعلماء كالسرج والكواكب فقال يارب من هؤلاء قال هم الانبياء و العلماء من ذريتك فقال يارب و من هؤلاء الذين اراهم بيض الالوان قال هم اصحاب اليمين وقد اعددت لهم الجنة والكرامة وخلقتهم سعداء قال ومن هؤلاء الذين اراهم سوادا قال هم اصحاب الشمال وقد اعددت لهم الهوان وجعلتهم اشقياء فقال يارب لوسويت بين خلقك اجمعين فقال يا آدم خلقت الجنة وجعلت لها اهلا وخلقت النار وجعلت لها اهلا ثم اختلف العلماء فى محل اخذ هذا العهد ففى كتاب الثعلبى انه كان فى السماء وان الله سبحانه وتعالى اخرج آدم من الجنة ولم يهبط الى الارض فاخذ عليه وعلى ذريته العهد هنالك وفى تاريخ الطبرانى ان الله سبحانه وتعالى اهبط آدم من السماء الى نعمان و اخذ عليه وعلى ذريته هذا العهد هنالك ونعمان واد فى طريق الطائف يخرج الى عرفات وهو مفتوح النون و يقال له نعمان الاراك لكثرته به (وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية) الاشارة الى من ذكرت قصصهم فى السورة اوالى كلهم المعهودين فى العلم واللام استغراقية ثم فصله سبحانه وتعالى بقوله منهم من كلم الله بلا واسطة وهو موسى عليه الصلاة و السلام قبل ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكلم موسى ليلة الحيرة فى الطور و محمدا ليلة المعراج فى مقام النور حين كان قاب قوسين او ادنى وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله اذ قد كلم الله كما ان الله كلمه ومن ثمه قيل كليم الله (وقال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى رفعه على سائر من وجوه متعدد ومراتب متباعدة ومنها انه خص بالدعوة العامة (لانه بعث) اى بالحجج المتكاثرة والايات المتعاقبة المتواترة والفضائل العلمية والفواضل العملية (الى الاحمر والاسود) اى العرب والعجم لغلبة الحمرة والبياض على الوان العجم و الادمة و السمرة على الوان العرب وقيل الجن و الانس (و احلت له الغنائم) اى و لم تحل لاحد قبله (وظهرت على يديه المعجزات) اى الكثيرة (وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة) اى خصلة حميدة (او كرامة) اى خارقة عادة (الا و قد اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) اى مثل تلك الفضيلة او الكرامة بل مع الزيادة لكن جنسا لا نوعا كانشقاق القمر فى مقابلة انفلاق البحر لموسى عليه السلام وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى قيل وفى ابهام درجات تفخيم لجلال شانه وتعظيم لعلى برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين عند ارباب اليقين (قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم) اى كيا آدم و يانوح و ياابراهيم و ياموسى و ياعيسى (وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) اى كلامه القديم وخطابه العظيم (فقال ياايها النبى و ياايها الرسول) بل وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (وحكى السمرقندى عن الكلبى) هو ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى توفى فى السنة التى مات فيها الشافعى رضى الله تعالى عنه وهى سنة اربع و مأتين كذا ذكره التلمسانى (فى قوله تعالى وان من شيعته) اى اتباعه (لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه) اى طريقه الواضح (واختاره الفراء) يروى واجازه الفراء (وحكاه عنه مكى) ونسبه بعضهم الى الكسائى ايضا فكان الله اخبر ابراهيم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به وشايعه فى دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظا شائع سائغ كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وانما جعل منها لتقدمه عليه خلقا ونبوة كما يدل عليه حيث انه سئل متى وجبت لك النبوة قال و آدم بين الروح و الجسد وفى رواية و آدم منجدل فى طينته و هذا اولى مما قيل فى جواب الاشكال الوارد من ان المتعارف هو ان المتأخر فى الزمان هو الذى يكون من شيعة المتقدم لكن قد جاء عن العرب عكس ذلك ومالى الا آل احمد شيعة والسبب فى هذا ان من كنت على منهاجه ودينه فقد كان على منهاجك سواء تقدم او تقدمت (وقيل المراد نوح) و يروى على نوح (عليه الصلاة والسلام) وهو قول اكثر المفسرين كما هو الظاهر المتبادر من حيث تقدم مرجعه فابراهيم ممن شايع فى دينه لاتفاق شرعهما فى الفروع غالبا وان كان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وبينهما هود وصالح عليهما الصلاة والسلام كذا ذكره الدلجى *

﴿ فصل ﴾

(فى اعلام الله تعالى خلقه) اى مخلوقه (بصلاته عليه وولايته) بكسر الواو وقد يفتح و بهما قرئ قوله تعالى مالكم من ولايتهم من شئ والكسر قراءة حمزة من السبعة فتلحين الاصمعى قراءة الاعمش فى هذه الاية بكسر الواو خطاء ظاهر وقوله ان الولاية بالكسر انما هى فى الامارة والسلطان ونحوهما بصيغة الحصر مدفوع ولوسلم فالكسر مشترك فى المعنيين والله اعلم وقيل بالفتح بمعنى النصرة و بالكسر تولى الامر اى موالاته ونصرته له (ودفعه) مصدر مضاف الى فاعله اى ودفع الله (العذاب بسببه) اى من اجله وجهته وفى نسخة رفعه بالراء واختاره الحلبى وهو تصحيف فى مبناه وتحريف فى معناه اذ الرفع لايستعمل الا بعد الوقوع ولذا قيل الدفع اهون من الرفع (قال الله تعالى) اى حين قال الكفار مبالغة فى الانكار اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليم (وما كان الله ليعذبهم و انت فيهم) بيان لما كان موجبا لامها لهم مع علم الله سبحانه وتعالى باقوا لهم وافعا لهم (اى ما كنت بمكة) اى مدة كونك فيها اذ جرت سنته تعالى ان لايعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين اظهرهم ومن ثمه كان العذاب اذا نزل بقوم امر نبيهم بالخروج بمن آمن وفيه تلويح بانهم مرصدون بالعذاب اذاهاجر (فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة) اى مهاجرا الى المدينة (وبقى فيها من بقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهواما بمعنى وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المؤمنين ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين اوبمعنى نفى الاستغفار اى ولوكانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وعن الحسن ان الاية منسوخة بقوله تعالى ومالهم ان لايعذبهم الله والظاهر ان لاتنافى بينهما اذ النفى منصب على عذاب الاستئصال والاثبات محمول على غيره من الاسر والقتل وانواع الخزى والنكال قال التجانى وهذا

١٦١ تأويل قال به جماعة من المفسرين منهم ابن عباس والضحاك ومقتضاه ان الضمير فى قوله سبحانه وتعالى معذبهم عائد كفار مكة والضمير فى قوله تعالى وهم يستغفرون عائد على المؤمنين الباقين بمكة بعد رسول الله صلى الله تعالى سلم اى وما كان الله ليعذب الكافرين والمؤمنون يستغفرون بينهم فتكون الاية على هذا نحوا من قوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية وقوله تعالى لوتزيلوا لعذبنا الذين كفروا الاية ايضا وعلى هذا التأويل فالمؤمنون مفهومون من سياق الكلام والا فلم يتقدم لهم ذكر فى الاية واما التأويل الثانى الذى ذكره القاضى فى هذه الاية بقوله (وهذا مثل قوله تعالى لوتزيلوا الاية) اى وماذكر مما دل على امها لهم وتأخير العذاب فى آجا لهم لاجل من فيها من المؤمنين وتحسين افعالهم واقوالهم مثل قوله سبحانه وتعالى لوتزيلوا اى لوتفرقوا وتميز المؤمنون من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم اى من اهل مكة عذابا اليما بالقتل والاسر (وقوله) اى ومثل قوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون الاية) اى ونساء مؤمنات بمكة لم تعلوهم اى باعيانهم لاختلاطهم باهل كفرهم وطغيانهم ان تطؤهم بدل اشتمال من رجال و نساء اومن ضميرهم فى تعلوهم اى ان تدوسوهم فتهلكوهم ومنه الحديث آخر وطأة وطئها الله بعرج واد بالطائف فتصيبكم منهم معرة من عره اذا غشيه بمكروه اى فيغشاكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار لكم به والاثم بتقصيركم فى البحث عنهم بغير علم حال اى ان تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا مؤمنين ومؤمنات بين اظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم مكروه باهلاكهم لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء علة لما دل عليه كف الايدى عنهم صونا لمن فيها من المؤمنين اى كان ذلك لاجل ان يدخل الله فى رحمته من يشاء من مؤمنيهم اومشركيهم اومنهما بتوفيقه للاسلام اولزيادة الخير والانعام (فلما هاجر المؤمنون) اى من مكة (نزل ومالهم ان لايعذبهم الله) اى ومايمنع من تعذيبهم بعد ان فارقتهم والمؤمنون وكيف لايعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون (وهذا) اى ما ذكر من دلالة الاية على تأخير العذاب عنهم وهو فيهم (من ابين مايظهر مكانته) اى من اظهر دليل يبين علو مرتبته ورفعة شانه وعظمته (صلى الله تعالى عليه وسلم) لكل احد عند ربه (ودرأته) وقع بخط بعض الاكابر هنا درأبه على انه فعل ماض وجار ومجرور اى دفع به الظاهر انه تصحيف والصواب انه بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمزوتاء اى ومن ابين مايظهرها دفعه سبحانه (العذاب عن اهل مكة بسبب كونه) اى وجوده المتضمن لكرمه وجوده فيهم لانه بعث رحمة للعالمين (ثم كون اصحابه) بجر الكون عطفا على ما تقدم (بعد ه بين اظهرهم) اى بينهم وفى جوارهم فلفظ اظهرهم مقحم للمبالغة (فلما خلت مكة منهم عذبهم) اى الله كما فى نسخة (بتسليط المؤمنين عليهم) اى بتسليط رسوله اياهم وابعد التلمسانى حيث فسر التسليط بالقهر (وغلبتهم اياهم وحكم

فيهم سيوفهم) بتشديد الكاف المفتوحة اى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما فيهم حدا وصفحا قتلا وقطعا واسرا (واورثهم ارضهم) اى مزارعهم (وديارهم) اى بيوتهم وحصونهم ومعاقلهم (واموالهم) اى نقدهم واثاثهم ومواشيهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال لهم ان لكم منازلكم وروى انه قال لهم اما ترضون ان الناس يرجعون بالاموال الى بلادهم وانتم ترجعون برسول الله الى اهليكم وقال عمر رضى الله تعالى عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا انما جعلت هذه لى طعمة وهذا صريح بان مكة فتحت عنوة وعليه الامام ابوحنيفة والاكثرون من اهل العلم وعن الامام الشافعى انها فتحت صلحا ومن ثمه كان يجيز اجارة دورها وبيعها بدليل حديث وهل ترك لنا عقيل من رباع لكن لا يخفى بعد وجه الاستدلال به وابعد من قال فتح اعلاها صلحا واسفلها عنوة (وفى الاية) اى آية وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (ايضا تأويل آخر) وهو ان الضميرين راجعان الى الكفار فيحتمل ان يكون وهم يستغفرون فى موضع الحال بتقدير ان لو كان اى وما كان الله معذبهم وهم بحال توبة واستغفار من كفرهم لو وقع منهم واختاره الطبرى وان يكون اشارة الى من سبق فى علم الله انه يؤمن منهم اومن ذريتهم اى وما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيستغفر الله و يؤمن به واختاره الزجاج وان يكون اشارة الى قولهم فى دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله كما قال ابن عطية امانا لهم من عذاب الدنيا كما قرره الدلجى والاظهر ما حرره التجانى من ان التأويل * الآخر الذى ذكره القاضى فى هذه الاية مبنى على ان الضميرين معا عائدان على المؤمنين لما اسنده القاضى من الحديث ليبينه به * وهو قوله (حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله بقراءتى عليه) وهو الحافظ ابن سكرة كما سبق * (حدثنا ابو الفضل ابن خيرون) بالصرف وعدمه فعلون من الخير ضد الشر وقد تقدم ذكره (وابو الحسين) بالتصغير على الصحيح (الصيرفى) وهو المبارك ابن عبد الجبار وتقدم ترجمته (قالا) اى ابو الفضل وابو الحسين كلاهما (حدثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة) بضم حاء مهملة وتشديد راء وقد سبق (حدثنا ابو على السنجى) تقدم انه بكسر السين المهملة وسكون النون فجيم فياء نسبة (حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزى) بفتح الميم والواو نسبة الى مرو وهو ابو العباس راوى جامع الترمذى كما سبق (حدثنا ابو عيسى الحافظ) اى الترمذى صاحب السنن (حدثنا سفيان بن وكيع) اى ابن الجراح يروى عن ابيه ومطلب بن زياد وعنه الترمذى وابن ماجه شيخ صدوق الا انه ابتلى بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم فى ذلك فلم يرجع مات سنة سبع وتسعين ومائة (حدثنا ابن نمير) بضم نون وفتح ميم وسكون ياء فراء يكنى اباعبد الرحمن الهمدانى الكوفى واسمه عبد الله يروى عن هشام بن عروة والاعمش وعنه ابنه واحمد وابن معين حجة اخرج له الجماعة مات سنة اربع وثلاثين ومائتين (عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر) بكسر الجيم وهو ابو بشر الاسدى مولاهم البصرى يروى عن ابيه وعدة وعنه ابونعيم وطلق بن غنام ضعيف اخرج له الترمذى وابن ماجه (عن عباد بن يوسف) بفتح عين مهملة وتشديد موحدة وهو ابو عثمان الكندى ثقة وقيل ابن سعيد وقيل هو عبادة بن يوسف والاول اصح بصرى ثقة روى عن ابى بردة وروى عنه اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر كذا ذكره التلسانى واضطرب كلام الحلبى فيه (عن ابى بردة) بضم الموحدة والصحيح ان اسمه عامر وهو قاضى الكوفة (ابن ابى موسى) يروى عن ابيه وعن على والزبير وعنه بنوه عبد الله ويوسف وسعيد وبلال وحفيده بريد ابن عبد الله وكان من النبلاء توفى سنة اربع ومائة اخرج له الجماعة (عن ابيه) وهو ابو موسى الاشعرى عبد الله ابن قيس بن سليم بضم ففتح امير زبيد وعدن للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وامير البصرة والكوفة لعمر رضى الله تعالى عنهما روى عنه بنوه ابو بردة وابو بكر وابراهيم وموسى مناقبه جمة توفى سنة اربع واربعين اخرج له الجماعة والحديث الذى اخرجه المؤلف هنا انفرد الترمذى باخراجه من بين الستة ذكره فى التفسير وقال غريب واسمعيل يضعف فى الحديث انتهى ويقويه انه رواه ابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا وابو الشيخ نحوه عن ابى هريرة رضى الله عنه موقوفا ايضا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله على امانين لامتى) يحتمل امة الاجابة وهو ظاهر الاية ويحتمل امة الدعوة وهو الملائم لعموم الرحمة بالامنة (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) وهذه الامنة ظاهرة فى عمومهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذه الامنة لايحة لخصوصهم ويؤيده قوله (فاذا مضيت) اى انتقلت من دار الاكدار الى دار القرار (تركت فيكم الاستغفار) اى فعليكم بالاكثار منه فى الليل والنهار ولا يبعد ان يكون الاستغفار من الابرار سببا وباعثا لدفع عذاب الاستئصال عن الكفار ويؤيده قوله (ونحو منه) اى من هذا الحديث فى المعنى (قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب لاصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار واهل فسادهم امنهم به من الخسف والمسخ

﴿وعذاب﴾

وعذاب الاستئصال في بلادهم (قال عليه الصلاة والسلام انا امان لاصحابي) وفي لفظ انا امنة لاصحابي وهو حديث صحيح رواه مسلم عن سعيد بن بردة عن ابيه عن ابي موسى قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء فخرج علينا فقال مازلتم هنا قلنا نعم فقال اجدتم او احسنتم قال فرفع رأسه الى السماء وكان كثيرا مايرفع رأسه الى السماء فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ماتوعدوا فامنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي وامتي ما يوعدون قال التجاني وفي لفظ هذا الحديث امنة وفي الحديث الذي ذكره القاضي امان ولعلهما روايتان في الحديث اقول اونقل القاضي بالمعنى مع قرب المبنى اذ الامنة بضم الهمزة والميم والامن والامان بمعنى واحد على ماذكره التجاني والظاهر انه بفتحهما على مافي القاموس هذا ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد بذهاب النجوم انتثارها لقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت وباتيان السماء ما توعد انفطارها وتبديلها كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وباتيان اصحابه مايوعدون ما انذرهم به من الفتن والارتداد وباتيان امته ما يوعدون ما اخبرهم به من ظهور البدع واختلاف الآراء والهرج وغلبة الروم وتخريب الكعبة وغير ذلك مما وقع اكثره وبقي ما لا بد من وقوعه وبكونه امانا لاصحابه (قيل من البدع) فلم يكن منهم من ارتكب بدعة بشهادة حديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (وقيل من الاختلاف والفتن) قال الدلجي وفيه مافيه لكن يلزمنا الكف عما جرى بينهم بصدوره منهم اجتهادا بتأويلات صحيحة للمصيب اجران على اجتهاده واصابته وللمخطئ اجر على اجتهاده بشهادة حديث الشيخين ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطأ فله اجر واحد انتهى وفيه مافيه لان ماجرى بينهم ماجرى منهم الابعد غيبته صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم وارتفاع الامان منهم وليس معنى قوله امان لاصحابي انهم في امن من الفتنة الى آخر اعمارهم بل مقيد بمدة كونه فيهم ولذا قال واذا ذهبت اتى اصحابي مايوعدون (قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم) اى لاغيره وان كان اصحابه ايضا امانا (ماعاش ومادامت سنته) اى المستمرة المعتادة له (باقية) اى ثابتة موجودة وهي بالنصب خبر دام وماشرطية جزاؤها قوله (فهو باق) اى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم باق حكما لبقاء حكمه في امته (فاذا اميتت سنته) اى عدمت وفنيت وتركت ولم يعمل بها اوعمل بخلافها (فانتظر البلاء والفتن) الخطاب عام لمافي نسخة فانتظروا البلاء وكان الاولى ان يقال فينتظر البلاء والفتن اى المحن الدنيوية والفتن الدينية وقيل المعنى فاذا اميتت سنته بموت اهلها فانتظروا البلاء والفتن بدليل حديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عامل اولم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا (وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية) تقدم بعض الكلام عليها (ابان الله تعالى) اى اظهر وبين (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه) اى اولا تعظيما (ثم بصلاة ملائكته) اى ثانيا تكريما (وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه) اى بقوله تعالى ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفي نسخة وامر عباده بالجر والاضافة عطفا على صلاته اى وبامر عباده بهما عليه ثالثا بان يقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الخ على ماورد في حديث الصلاة اوبان يقولوا السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما في حديث التشهد وذلك يدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة كلما ذكر لحديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وجوز الصلاة على غير ملك ونبي تبعا ويكره استقلالا لكونها في العرف شعارا لذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن ثمه كره محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا وقيل المراد بالتسليم هو الانقياد لاوامره (فالصلاة) اى مطلقا (من الملائكة ومنا) اى بني آدم (لهدعاء) لحديث اذا دعي احدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل اى فليدع ووقع في شرح الدلجي من الملائكة استغفار وهو الملائم لقوله ويستغفرون للذين آمنوا والظاهر ان الاستغفار على ظاهره وقوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض عام اريد به خصوص المؤمنين اذ لايجوز الاستغفار للكافرين الابقصد طلب ايمانهم المستلزم استحقاق المغفرة في شانهم وقال الدلجي اى بسعيهم فيما يستدعي المغفرة من شفاعة والهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر وحيث خص به صلى الله عليه وسلم فالمراد به السعي فيمايليق بجنابه (ومن الله تعالى رحمة) اى رحمة عظيمة اورحمة خاصة جسيمة والمراد من الرحمة الاحسان وارادة الانعام لاستحالة معناها الذي هورقة القلب في حق الرب سبحانه وتعالى (وقيل يصلون) اى معناه (يباركون) من البركة وهي كثرة الخير اى يكثرونه ويزيدونه عليه ذكره الدلجي والظاهر ان معنى يباركون يدعون له بالبركة في ذاته وصفاته واهل بيته واتباعه من امته وحيث كانت المغايرة ظاهرة بين الصلاة والبركة قال المصنف (وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم) اى اصحابه (الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة) في حديث

قدامرنا ان نصلى عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد والاظهر ان يراد بقوله يصلون يعظمون ويثنون عليه ليشمل جميع الالفاظ الواردة التى من جملتها الترحم ونحوه (وسنذكر حكم الصلاة عليه) اى هل هوفرض اوسنة وهل هوفرض عين اوكفاية ومايتعلق بالمسئلة من الفروع والادلة (وقدحكى ابوبكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وهو غيرمنصرف للعلمية والعجمة وقيل منصرف امام جليل فقها واصولا وكلاما ونحوا ووعظا مع جلالة وورع زائد ومهابة وهواصبهانى ومات شهيدا بالسم فى سنة ست واربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها قال ابن عبدالغفار يستجاب الدعاء عنده (ان بعض العلماء تأول) اى فسر (قوله عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا) اى على هذا المعنى (اى فى صلاة الله على وملائكته وامره الامة بذلك) اى بالصلاة عليه كما فى نسخة (الى يوم القيامة) واعلم ان قوله وقد حكى الى هنا لم يثبت فى الاصل الذى هو خط المؤلف القاضى وثبت فى الاصل المروى عن ابى العباس الغرفى ثم اعلم ان القرة بمعنى السرور والفرحة واصلها من القر بمعنى البرد يقال اقر الله عينه اى ابرد الله دمعته لان دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ثم اكثر الاقوال واظهرها انها الصلاة الشرعية لما فيها من المناجاة وكشف المعارف وشرح الصدر وسيأتى الكلام بعد ان شاء الله تعالى (وذكر بعض المتكلمين) اى من المفسرين (فى تفسير حروف كهيعص) اى انها مأخوذة من كفاية الله وهدايته وتأييده وعصمته وصلاته عليه فزعم (ان الكاف من كافى) اسم فاعل من كفى يكفى (اى كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام قال) اى الله سبحانه وتعالى (اليس الله بكاف عبده) واستفهامه لانكار النفى مبالغة فى اثبات كفايته له والمراد بعبده عبده الخاص وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالاضافة شخصية اوالمراد به الفرد الاكمل والاضافة للجنس اوالمراد جميع عباده اوخواصهم من انبيائه واوليائه وينصره قراءة حمزة والكسائى عباده بلفظ الجمع وهو صلى الله تعالى عليه ' مدخل
فيهم دخولا اوليا وقيل فى الكاف اشارة الى انه الكافى فى الانعام والانتقام لعموم الانام وقيل،
الى انه الكاتب على نفسه الرحمة (والهاء) بالنصب ويجوز رفعه (هدايته له) اى هداية الله لنبيه صى
وكان الانسب ان يقال والهاء من هادى اى هدايته له (قال ويهديك صراطا مستقيما) اى يدلك بلطفه الى طر.
اوالى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة (والياء تأييده له قال وايدك بنصره) اى قواك بنصرته على اعدائك والاولى ان يقال الياء اشارة الى قوله تعالى يد الله فوق ايديهم اوايماء الى يسر المنحة بعد عسر المحنة اوالى يده المبسوطة بالرحمة على نبى هذه الامة اصالة وعلى اتباعه تبعية لئلا يرد عليه ماذكره الحجازى من ان صاحب هذا القول ان اراد ان هذه حروف اخذت من اوائل هذه المصادر على ما تقدم من اقتصار العرب على اول حرف من الكلمة فان لفظ التأييد ينغص عليه لان فاءه همزة لاياء وانما الياء عينها وان اراد انها احرف اخذت من هذه المصادر سواء كان كل حرف منها فاء الكلمة اوعينها فهو قول خارج عن القياس الصناعى (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) اواشارة الى علمه بحاله فى سره وجهره قال عز وعلا والله عليم بذات الصدور (والصاد صلاته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) اى يثنون شانه ويعظمون برهانه اوايماء الى اسمه الصادق فى وعده والصبور فى وعيده ثم اعلم ان اوائل السور على القول المعتبر من المتشابه الذى لايعلم حقيقته والمراد به الا الله سبحانه وتعالى وقيل اشارة للاعجاز بالقرآن وقيل اشارة لاسماء الله وقيل لاسماء رسوله وقيل بيان لمدة الامة المحمدية وجملة ذلك ثلاثون سنة ومائتان واربعة آلاف وان اسقط المكرر فتسعمائة وثلاثة وهو الاقرب لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث فى الالف السابعة وروى جعفر بن عبد الواحد القاضى حديثا يرفعه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان احسنت امتى فبقاؤها يوم من ايام الاخرة وان اساءت فنصف يوم وذلك خمسمائة وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها الفا وهوضعيف وروى موقوفا عن ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا سبعة ايام كل يوم منها الف سنة وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر يوم منها ويدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين يعنى الوسطى والسبابة وقد ورد عن على ابن ابى طالب كرم الله وجهه انه كان يقول فى دعائه اغفرلى يا كهيعص فيحتمل ان يكون كهيعص عند على رضى الله تعالى عنه اسما لله تعالى بجملتها ويحتمل ان يريد نداء الله سبحانه وتعالى بجميع اسمائه التى تضمنتها كهيعص من كاف وهاء ونحو ذلك (وقال وان تظاهرا) وقرأ الكوفيون بالتخفيف والخطاب لعائشة وحفصة رضى الله تعالى عنهما اى وان تتعاونا (عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمكر والحيلة فى قضية مارية والعسل لديه وبسائر ما يسوءه فانه لن يضره ولن يعدم من ينصره (فان الله هو مولاه الاية اى وليه) يعنى ناصره ومتوليه فيما اولاه (وجبريل) هو رسول الحق اليه

بعينه فيما هو عليه (وصالح المؤمنين قيل الانبياء) يعني والمرسلون (وقيل الملائكة) اى المقربون فيكون تعميما بعد تخصيص لكن فيه انه يتكرر مع قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير اى متظاهرون عليه (وقيل ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) اى وامثالهما من اكابر الصحابة لما ذكر الماوردى انهم اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقيل على رضي الله تعالى عنه) اى ونحوه من اهل البيت واقاربه (وقيل المؤمنون) اى جميعهم (على ظاهره) بناء على ان كل مؤمن بظاهره صالح والاظهر ان يقال المراد وصالح المؤمنين من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والخلفاء الراشدين وسائر الصحابة من السابقين واللاحقين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وصالح بغير واو وهو مفرد اوجمع حذف منه الواو لفظا فحذف رسما واما تعليل التلمسانى بقوله وسره دلالة السرعة فى النصرة لان مدة الواو تفيد مدا وبعدا ولاكذلك حذفها فهو فى غاية البعد هذا وان صح حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هم ابو بكر وعمر كان بينة صدق لكونهما المراد به فى القول الصدق اوذكرهما مثلا والمراد به امثالهما والله تعالى اعلم بكتابه ورسوله ببيان خطابه وقد ورد عن على بن ابى طالب كرم الله تعالى وجهه انه كان يقول فى دعائه اصغرلى بالكهيعص كما سبق ثم اعلم انه ورد فى صحيح البخارى ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال مكثت اريد ان اسئل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن آية سنة فما استطيع ان اسئله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له يا امير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ازواجه قال تلك حفصة وعايشة رضي الله تعالى عنهما قال فقلت والله انى كنت لاريد ان اسئلك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ماظننت ان عندى منه علما فاسئلنى فان كان لى علم اخبرتك به هذا وذهبت طائفة من العلماء الى ان ذلك كان فى قضية مارية القبطية وذلك ان المقوقس اهداها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية فلما كان فى بعض الايام وهو يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية فواقعها فجاءت حفصة فوجدتهما خارج البيت حتى اخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية وذهبت فدخلت حفصة غيرى متغيرة يارسول الله اما كان فى نسائك اهون عليك منى افى بيتى وفراشى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرضيالها ايرضيك ان احرمها فقالت نعم قال فانى قد حرمتها ثم قال لاتخبرى بهذا احدا وخرج عنها فقرعت الجدار الذى بينها وبين عايشة واخبرتها بذلك للسرها ولم تر فى افشائه لها حرجا واستكتمتها ذلك فنزلت الاية وهى قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا الى قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه واختلفوا هل حرمها بيمين اولا على قولين فقال قتادة والحسن والشعبى حرمها بيمين وقال غيرهم لم يحرمها بيمين ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وذهبت طائفة الى ان تظاهرهما عليه انما كان فى قصة شربه صلى الله تعالى عليه وسلم العسل فى بيت زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمكث عندها فتسقيه عسلا قالت عايشة رضي الله تعالى عنها فتواطأت اوقالت فتواصيت انا وحفصة على ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلتقل انى اجد منك ريح مغافير اواكلت مغافير وهو شجر كريه الرائحة فدخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على احدهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له واستكتمها ذلك فاخبرت به عايشة فنزلت يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك يعنى العسل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وان اعود له الى قوله سبحانه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه الاية والوجه الاول هو قول اكثر العلماء وروى مرسلا عن زيد بن اسلم من طرق صحاح رواه ابن وهب عن مالك رضي الله تعالى عنه قال حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ام ابراهيم رضي الله تعالى عنهما فقال هى حرام فانزل الله فى ذلك سورة التحريم واما الوجه الثانى فيه تواردت الاحاديث الصحيحة واخرجه البخارى عن عبيد بن عمير عن عايشة رضي الله تعالى عنها بنحو ماسبق وقال فيه انه شرب عند زينب كما تقدم وجاء فى صحيح مسلم انه شربه عند حفصة وان اللتين تظاهرتا عليه هما عايشة وسودة رضي الله تعالى عنهن واكثر المحدثين على ما فى البخارى والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ الفصل التاسع ﴾

(فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم) اعلم ان سورة الفتح نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منصرفه من الحديبية سنة ست من الهجرة وهو متوجه الى المدينة فهى على هذا فى حكم المدنى وقد قيل بل نزلت بالمدينة ولعل بعضها نزل بها وقد ثبت فى فضلها حديث لقد انزل الله على سورة هى احب الى مما طلعت عليه الشمس اى شمس الوجود (قال الله تعالى انا فتحنا) اى بعظمتنا (لك) اى لاعلاء امرك اولاجلك (فتحا مبينا) اى ظاهرا

(الى قوله يد الله فوق ايديهم) ومعناه قوله سبحانه وتعالى وهو القاهر فوق عباده وكثير من السلف و بعض الخلف على ان الله سبحانه وتعالى يدا لا بمعنى الجارحة بل انها صفة له تعالى على وجه يليق بذاته و كذا قالوا في الاستواء و سائر آيات المتشابه واحاديث الصفات ثم ما بينهما سيأتي مبينا و في اثناء الكلام معينا وقد اختلف في هذا الفتح فقال كثير ان هذا هو ما اتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم في طريق الحديبية من التيسير واللطف وذلك ان المشركين كانوا اذ ذاك اقوى من المسلمين فيسر الله سبحانه ان وقعت بينه و بينهم المصالحة ريثما يتقوى صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق له بعد ذلك بيعة الرضوان وهي الفتح الاعظم واستقبل صلى الله تعالى عليه وسلم فتح خيبر فامتلأت ايدي اصحابه خيرا ولم يشترك فيه مع اهل الحديبية احد ممن تخلف منهم ثم ما وقع في ذلك الوقت من الملحمة التي كانت بين الروم وفارس فظهرت فيها الروم وكان ذلك فتحا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه لانهضام شوكة الكفر العظمى ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم كونه فتحا له من سورة الروم فكانت هذه كلها من جهة الفتح الذي جاءت الاية منبهة عليه وقد ذكر ابن عقبة انه لما كان صلح الحديبية ونزلت الاية قال رجال من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم بالرواح عن بلادهم ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا واظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين وهو اعظم الفتوح فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح يا رسول الله وانت اعلم بالله و بامره منا و ذهب بعض المفسرين الى ان الفتح في الاية انما هو اشارة الى فتح مكة فمعنى فتحنا على هذا قضينا وقدرنا والاظهر ان فتح الحديبية كان سببا لفتح مكة وذهب بعضهم الى ان الفتح في الاية انما هو الهداية الى الاسلام اي على الوجه العام ومال الزجاج اليه واستحسنه لامكان الجمع بالحمل عليه قال المصنف (تضمنت هذه الايات) اي الواردة في صدر السورة (من فضله) اي من جملة فضائله (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما) اي الذي او شيئا (يقصر الوصف عن الانتهاء اليه) اي لقصور احاطة العارفة (فابتدأ جل جلاله باعلامه) اي باعلام الله نبيه (بما قضاه له من القضاء البين) اي بما حكم له وقدره من الفتح المبين حيث قال انا فتحنا لك فتحا مبينا اي انا قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل عام الحديبية (بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته) اي طريقته وفي نسخة شيعته اي امته بعد صده بها عنها وهذا قول آخر للمفسرين مغاير لما سبق من وجه اوهو وعد بفتح مكة كما تقدم وعبر بالماضي لتحققه او بما اتفق له بعد نزولها كفتح خيبر وفدك او بما ظهر له في الحديبية من آية عظيمة وهي ان ماءها نضب فلم يبق بها قطرة فتمضمض ثم مج فيها فدرت ماء حتى رووا كلهم (وانه) عطف على اعلامه اي و بانه صلى الله تعالى عليه وسلم (مغفور له غير مؤاخذ) بالهمز ويبدل واوا وهو تأكيد لما قبله لتضمنه معناه (بما كان وما يكون) حيث قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والمعنى لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك ولا يكون على هذا اثبات لوقوع الذنب ثم غفرانه خلافا لما يتوهم من كلام المصنف (قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك) اي بما يصح ان يعاتب عليه كما في قوله تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين عبس و تولى ان جاءه الاعمى و الاظهر ان في الاية ايماء الى ان العبد ولو وصل الى اعلى مرتبة المقدرة لم يحصل له استغناء عن المغفرة لقصور الاطوار البشرية في القيام بحق العبودية على ما اقتضته الربوبية وقيل عد الاشتغال بالامور المباحة و التفكر بالهمة في مهمات الامة سيئات من حيث انها غفلة عن مرتبة الحضرة في الجملة ولذا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ثم قوله تعالى ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار و السعي في اعلاء دينه و ازاحة شرك الاضداد وتكميل النفوس الناقصة اجبارا و اعتبارا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدي الظلمة اختيارا (وقال مكي جعل الله المنة) اي العطية والامتنان بالفتح او بالهداية الى الاسلام (سببا للمغفرة و كل) اي من المنة والهداية والمغفرة حاصل (من عنده) اي لقوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله (لا اله غيره) اي حتى يكون قضاء شيء من عنده و يروى لا اله الا هو (منة) اي عطية وامتنانا حال او مفعول مطلق (بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال) اي الله عز وجل (و يتم نعمته عليك) اي يجمع لك النبوة والملك وظهور دينك و فتح البلاد عليك و غير ذلك ومنها قوله (قيل بخضوع من تكبر لك) متعلق بخضوع والمعنى بتواضع من تكبر عليك لاجلك بالانقياد لك والخضوع والخشوع بين يديك والتذلل اليك و في نسخة بخضوع من تكبر عليك (وقيل بفتح مكة و الطائف) اي اقبال اهلهما اليك طوعا وكرها (و قيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك و يغفر لك) بصيغ الافعال تفسير على وفق المفسر وهو قوله و يتم وهو الاظهر وقال التلمساني بباء الجر وكلها مصادر و يجوز الفعل و كذا قال الحجازي و يروى برفع ذكرك و بنصرك و غفرك بالموحدة

وتنوين الاخير انتهى وفيه ان الغفر بمعنى المغفرة قليل الاستعمال ثم هذه اقوال تناولها عموم الاية ولا مرجح لها فالاولى حملها على عمومها ثم مجمل هذه الاقوال ومحصل هذه الاحوال ماذكره المصنف بقوله (فاعلمه) اى الله سبحانه (بتمام نعمته عليه) الاولى باتمام نعمته اى باكمال انعامه واحسانه اليه (بخضوع متكبرى عدوه له) الباء متعلق بنعمته او بدل مما قبله او بمعنى من البيانية له ولما بعده اى من تواضع اعدائه المتكبرين عليه سابقا غاية التواضع ولاحقا (وفتح اهم البلاد عليه) لان مكة كانت صقع المشركين وكانت العرب انما تنتظر بالاسلام ما يكون من اهل مكة مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان اسلموا اسلموا فكانت مكة لهذا المعنى اهم البلاد لان اسلام اهلها يستلزم اسلام جميع المشركين او اكثرهم ولهذا كثر المسلمون بعد فتح مكة ودخلوا فى دين الله افواجا وفى نسخة اسنى البلاد اى افضلها لكون القبلة فيها ومعدن النبوة بها وهى ام القرى ويتبعها ماحولها (واحبها له) اى على الاطلاق وانما صارت المدينة احب من سائر البلاد اليه بعد خروجه منها كما هو ظاهر حديث اللهم انك اخرجتنى من احب البقاع الى فاسكنى احب البقاع اليك فاسكنه المدينة كما اخرجه الحاكم فى مستدركه الا ان فى سنده عبدالله المقبرى وهو ضعيف جدا فلا يصلح لاستدلال المالكية لافضلية المدينة ومما يدل على قول الجمهور فى افضلية مكة مارواه الزهرى عن سلمة عن عبدالله بن عدى الحمراء وفى رواية عن ابى هريرة يرفعه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين خرج الى الهجرة هو وابو بكر رضى الله تعالى عنه وقف ينظر الى البيت ثم قال والله انك لاحب ارض الله الى وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجونى ماخرجت وما جاء فى حديث آخر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لمكة ماطيبك من بلد واحبك الى ولولا ان قومى اخرجونى منك ماسكنت غيرك فاندفع بهذا ماقيل من ان الاحب لايعارض الافضل خصوصا بحسب الجبلة الطبيعية (ورفع ذكره) اى مما نشأ عليه كله من نصره اياه على عدوه فعمومها شامل له بخصوصه وهو بالجر عطف على ماقبله واما قوله (وهدايته الصراط المستقيم) وكذا مابعده فبالجر الا انه عطف على تمام اى واعلمه بهدايته الى الصراط المستقيم اى بقوله ويهديك صراطا مستقيما وهو بالصاد والسين واشمام الزاى فى السبعة وبالزاى الخالصة فى الشاذة والهداية يتعدى بنفسه تارة كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وبالى اخرى كقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وباللام ايضا ومنه قوله سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم (المبلغ الجنة والسعادة) بكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها نعت للصراط اى الموصل الى اسباب الجنة وابواب السعادة واصناف السيادة (ونصره النصر العزيز) بقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا اى نصرا غالبا قويا فيه عز ومنعة وقوة وشوكة ظاهرة وباطنة او نصرا يعز به المنصور فوصف بوصفه للمبالغة وقال المجاشى عزيز فى هذه الاية بمعنى معز كاليم بمعنى مؤلم وحبيب بمعنى محب فنصر معز وهو المتضمن لغلبة العدو وقهره ونصر لابهذه الصفة وهو المتضمن لدفع اذى العدو فقط (ومنته) اى واعلمه بامتنانه (على امته المؤمنين بالسكينة) اى بانزال السكينة (والطمانينة) عطف تفسير وهو بضم اوله وبهمز ويسهل فيبدل مصدر اطمأن سكن ويروى الطمانينة والسكينة وقيل السكينة هى الرحمة وقيل الوقار والرزانة وقيل الاخلاص والمعرفة (التى جعلها الله فى قلوبهم) بقوله تعالى هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة اوليزدادوا ايمانا بالشرائع المجددة اللاحقة مع ايمانهم بالاحكام المقررة السابقة لان حقيقة الايمان وهى التصديق غير قابلة للزيادة والنقصان عند ارباب التحقيق والله ولى التوفيق (وبشارتهم) بكسر الباء بمعنى مايسر به اى واعلمه ببشارة امته (بمالهم) اى عند ربهم كما فى رواية (بعد) بضم الدال اى بعد حالهم (وفوزهم) اى نجاتهم وظفرهم (العظيم) اى فى مآلهم (والعفو عنهم) اى المحو لعيوبهم (والستر لذنوبهم) ان فيما جرى لهم والستر بالفتح مصدر وبالكسر اسم بقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عندالله فوزا عظيما واللام علة لمادل عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من التدبير وحسن التقدير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين على الكافرين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها فيدخلوا الجنة ويتنعموا بما فيها (وهلاك عدوه) اى اعداء النبى والمؤمنين (فى الدنيا والآخرة ولعنهم) اى طردهم (وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم) بفتح اللام اى قبح انقلابهم اى سوء مرجعهم ومصيرهم والمعنى انه اعلمه ذلك بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعدلهم جهنم وظنهم هو ان لاينصر الله رسوله والمؤمنين وعليهم دائرة ماظنوه وتربصوه بالمؤمنين لايتجاوزهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين فى دائرة السوء لافى مطلق السوء على مافى الجلالين وهما لغتان (ثم قال) اى الله سبحانه وتعالى (انا ارسلناك شاهدا) اى مزكيا

للاصفياء اومشاهد اللقاء فى مقام البقاء (ومبشرا) للمؤمنين الاحباء بما يحبونه (و نذيرا) للكافرين الاعداء بمايكرهونه وهى احوال مقدرة وردت ببعض ما اوتيه مخبرة (الاية) كما سيأتى (فعد) اى الله تعالى بذلك (محاسنه) اى فضائله الحسنة (وخصائصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم) اى بخلاف سائر الانبياء فانه لاتقبل شهادتهم على اممهم لانفسهم بل يحتاجون الى ان هذه الامة يشهدون على الامم بتبليغ انبيائهم لهم كما تقدم بيانه (وقيل شاهدا) اى يشهد يوم القيامة (لهم بالتوحيد) اى بتوحيدهم لله (ومبشرا لامته) اى و يبشرهم (بالثواب) اى فى دار النجاة (وقيل بالمغفرة) اى يبشر احباءه بحسن المآب (ومنذرا عدوه) اى يخوف اعداءه (بالعذاب وقيل) اى فى معنى منذرا (محذرا) اى يحذر امته (من الضلالات) اى من انواع الضلالة التى هى الكفر والفسق والبدعة (ليؤمن بالله) اى حق الايمان (ثم به) اى برسوله (من سبقت له من الله الحسنى) اى المنزلة الاسنى وهى الجنة العليا اوالمثوبة الحسنى و يدل عليه قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله (و يعزروه) اى يمنعوه و يحرسوه من اعدائه (اى يجلونه) وهو من الاجلال اى يعظمونه واثبات النون بناء على اصله قبل دخول لام الامر على مفسره (وقيل ينصرونه) اى على عدوه فى الجهاد اوفى الاجتهاد فى نصرة دينه (وقيل يبالغون فى تعظيمه و يوقروه اى يعظمونه) الاظهر ان يقال يهابونه و يكرمونه و يخدمونه و يعدونه من اهل الوقار (وقرأ بعضهم) اى من قراء السواذ وقد نسب الى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وتعززوه بزايين) بالياء بعد الالف و بالهمز وكلاهما صحيح ذكره التلمسانى والثانى غير صحيح لان الفرق المعروف بين الراء والزاى بالياء فى الثانى و بتركه فى الاول فتأمل ولذا لم يقل بالزاى المعجمة لاستغنائه بالصورة عن القيد و لاراء مهملة لما تقدم والله تعالى اعلم (من العز) اى العزة والتفعيل للتكثير و المبالغة و المعنى يعززوه غاية العزة واما جمهور القراء فقراءتهم بضم اوله وكسر الزاى مشددة و بعدها راء وقرأ الجحدرى بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وهو شاذ (والاكثر) اى القول الاكثر من المفسرين (والاظهر) اى من العلماء المعتبرين (ان هذا) اى ة له تعالى يعزروه و يوقروه ازل (فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه اقرب ذكرا فيرجع ضميراهما اليه ويمايد تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه (ثم قال و يسبحوه) اى ينزهوه او يصلوا له واصيلا) اى نهارا وليلا (فهذا) اى ضمير يسبحوه (راجع الى الله تعالى) و يؤيده ان ارباب الوقوف القرائية جعلوا الوقف المطلق فوق قوله سبحانه و تعالى و يوقروه ايماء الى قطع ماقبله عما بعده وقيل الضمائر الثلاثة لله واريد بتعزيره تعالى تقوية دينه وتأييد نبيه ثم اعلم ان ابن كثير و اباعمرو قرآ بالغيبة فى الافعال الاربعة والباقون بالخطاب له ولامته اولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم فعلى الاول تقدير الاية انا ارسلناك ليؤمنوا بالله و بك يا محمد وعلى الثانى تقديره ليؤمنن بك من آمن (وقال ابن عطاء جمع) بالبناء للمجهول لان فاعله معلوم والمعنى اجتمع (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه السورة) اى سورة الفتح (نعم مختلفة) اى متعددة متكثرة اومختلفة من حيث ذواتها وان كانت من حيث صفاتها مؤتلفة (من الفتح المبين) من بيانية للنعم المتقدمة (وهو) اى الفتح المبين (من اعلام الاجابة) بفتح همزة اعلام على انه جمع علم بفتح اللام اى من علامات قبول اجابة الله (لدعوته) صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قد سأله النصر فى مواطن كثيرة وفى الحديث من فتح له باب الدعاء فتح له باب الاجابة (والمغفرة) اى ومن المغفرة (وهى) اى المغفرة (من اعلام المحبة) لقوله تعالى ردا لاهل الكتاب فى محكم الخطاب و قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم والمعنى انكم لو كنتم احباءه لما عذبكم بذنوبكم كما يعذب اعداءه بل غفر لكم واكثر عليكم عطاءه ونعماءه و من المعلوم ان المحبة من الله تعالى اما ارادة انعام اونفس احسان واكرام لنزاهة ذاته القدسى عن الميل النفسى (وتمام النعمة) اى ومن تمام النعمة (وهى من اعلام الاختصاص) اى منة له بما لم يؤته احدا غيره كما يستفاد من قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى (والهداية) اى ومن الهداية (وهى من اعلام الولاية) اى التأييد والنصرة (فالمغفرة) بالرفع مبتدأ (تبرئة) اى تنزيه منه له (من العيوب) اى عيوب الذنوب و فى نسخة تنزيه من العيوب واما قول الحلبى وهو بكسر الراء المشددة ثم همزة مضمومة من البراءة فخطأ ظاهر فى العبارة اذ الصواب انه بفتح التاء وسكون الموحدة و بكسر الراء المخففة وفتح الهمزة مصدر برأه يبرئه تبرئة على وزن تفعلة والذى ذكره انما هو بضم الراء مصدر تبرأ منه وهو غير مناسب للمقام كما لايخفى على العلماء الاعلام (وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة) اى ايصاله تعالى له الى درجة لادرجة فوقها (و الهداية وهى الدعوة الى المشاهدة) اى الى الحضرة فى مقعد صدق وقرب مكانة وكرامة لاقرب مكان ومسافة (وقال جعفر بن محمد) اى ابن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه) اى اصطفاه وخصه بكرامة تسبه كرامة الحبيب عند محبه فالمحبة اصفى ودا لانها من حبة القلب بخلاف الخلة فانها ود تخلل النفس وخالطها (واقسم بحياته)

اى فى قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اى وحياتك يا محمد وتقديره لعمرك قسمى والعمر بفتح العين لغة فى العمر بالضم خص به القسم ايثار الخفته لكثرة دوران القسم على السنتهم (ونسخ به شرائعهم غيره) لقوله عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (وعرج) بفتح الراء اى صعد (به الى المحل الاعلى) اى المنزل الاعلى وهو بفتح الحاء وكسرها والاول اولى والمراد به مقام قاب قوسين او ادنى (وحفظه فى المعراج) اى عن مطالعة السوى والمعراج الدرجة وقيل سلم تعرج فيه الارواح وجاء انه احسن شئ لا تتمالك الروح اذا رأته ان تخرج وان تشخص بصر الميت من حسنه (حتى ما زاغ البصر وما طغى) اى ما مال الى الهوى ولا تجاوز عن المولى (وبعثه الى الاسود والاحمر) اى الى العرب والعجم او الجن والانس لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وفى رواية بعثت الى الناس كافة ولقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا رسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فانها اذا عمتهم كفتهم عن ان يخرج منها احد منهم (واحل له ولامته الغنائم) لقوله عليه الصلاة والسلام احلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وفى رواية احلت لنا الغنائم (وجعله شفيعا) اى يوم الجمع لجميع الخلائق (مشفعا) بتشديد الفاء المفتوحة اى مقبول الشفاعة فى مقام محمود يحمده فيه الاولون والاخرون كما روى عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعا (وسيد ولد آدم) اى وجعله سيد البشر ولما كان بعض اولاد آدم افضل منه فيلزم منه انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من آدم عليه السلام بطريق البرهان الذى يسمى بالاولى ومنه قوله تعالى فلا تقل لهما اف اى فكيف الضرب بالكف وهو مقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر اى ولا اقول فخرا لنفسى بل تحدثا بنعمة ربى وتقييد يوم القيمة لانه وقت ظهوره ونظيره والملك يومئذ لله والحديث رواه احمد والترمذى وابن ماجه عن ابى سعيد مع زيادة وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى ولا فخر وفى رواية لمسلم وابى داود مع زيادة واول شافع واول مشفع ولا فخر وفى البخارى انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر (وقرن) اى جمع ووصل (ذكره بذكره) كما يستفاد من قوله تعالى الك ذكرك ومن قوله سبحانه وتعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول (ورضاه برضاه) لقوله تعالى والله ورسوله ضوه (وجعله احد ركنى التوحيد) اى المعتبر فى الدين (ثم قال ان الذين يبايعونك) اى يعقدون الميثاق معك ل اهل الشقاق (انما يبايعون الله) لانه المقصود بالبيعة بالاتفاق (يعنى) اى يريد الله بهذه المبايعة (بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم) استئناف مؤكد لما قبله (يريد) اى الله ان يده فوق ايديهم (عند البيعة) اى على طريق الخصوصية قال التلمسانى قوله يريد عند البيعة صوابه معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية فى كلام المخلوقين ولا ينبغى ان يقول المفسر يعنى ولا يريد ولكن يقول من معناه او يجوز او يحتمل ونحو ذلك مما يجرى على الالسنة (قيل) اى المراد بيد الله (قوة الله) اى وقدرته والمعنى قوته وقدرته فى نصر رسوله فوق قواهم وقدرهم وقد اشار الهروى فى غريبه الى هذا القول فيكون فى الاية على هذا ذكر نعمة مستقبلة وعد الله بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى النصر له وعلى القول الذى بعده يكون فيها ذكر نعمة حاصلة قد شرف الله بها المبايعين واستعمال اليد ايضا فى اللغة بمعنى القوة موجود ومنه قوله تعالى اولى الايدى اى اولى القوى (وقيل ثوابه) اى المترتب على مبايعتهم بايديهم وانقيادهم فى متابعتهم فاليد بمعنى النعمة (وقيل منته) اى عطيته ومنه يقال لفلان على يد وفى الحديث اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وقد قال الشاطبى رحمه الله اليك يدى منك الايادى تمدها والمعنى منه عليهم ونعمته لديهم بيعتهم بما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى العقبى فوق منتهم عليك بمبايعتهم لك على ان يبذلوا انفسهم واموالهم قال الحجانى واليه ذهب اكثر المفسرين واستعمال اليد فى اللغة بمعنى النعمة كثير ومنه قول الشاعر

﴿ لجودك فى قومى يد يعرفونها * وايدى الندى فى الصالحين فروض ﴾

والى هذا المعنى يرجع قول من قال هى من الله سبحانه الثواب اعنى اليد فى الاية المثوبة ومن المبايعين الطاعة فان الثواب من الله تعالى داخل تحت منته والطاعة منهم داخلة تحت ما يمنون به والا فليس اليد فى اللغة اسما للثواب ولا للطاعة (وقيل) اى المراد بيد الله (عقده) وفى نسخة عقوه وهو تصحيف وتحريف والمعنى انه تعالى اوجد البيعة واتم عقدها فاستعار لايجاد عقدها اسم اليد من حيث كان الادميون انما يفعلونه بايديهم وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب وجاء قوله سبحانه وتعالى فوق ايديهم مرشحا لهذه الاستعارة والايدى من المبايعين على هذا هى الجوارح على حقيقتها ولذا قال المصنف (وهذه) اى هذه الاقوال المختلفة المعانى فى لفظ اليد هل هى على سبيل الاشتراك والحقيقة او على سبيل النقل والمجاز والمختار انها (استعارات) اى اطلاقات مجازية لمناسبات سببية (وتجنيس فى الكلام) اى وتفنن فى العبارات الايمائية ولم يرد به التجنيس الصناعى وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى على ما ذكره التلمسانى وغيره بل اللغوى بمعنى المناسبة لان العقد مثلا اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد التى بمعنى

الجـا رحة فبينها وبين الايدى فى الاية منـا سبة والمنـا سبة كما ذكره التمسا فى ذكر الشئ مع مايناسبه على جهة الاستعارة والتشبيه (وتأكيد لعقد بيعتهم اياه) اى من حيث ان بيعتهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم كبيعتهم مع الله لاتفاوت بينها فيده التى تعلو ايديهم هى يدالله تخيلا (وعظم شان المبايع) بصيغة المفعول والمراد به محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله عظم بكسر العين وفتح الظاء مجرور عطفا على ماقبله اى وتأكيد لعظمة شانه وفخامة سلطانه من حيث جعل بيعتهم له بيعتهم لله سبحـا نه تجعل طاعته طاعته (وقد يكون من هذا) اى من قبيل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (قوله تعالى فلم تقتلوهم) اى كفار بدر بنصركم وتسليطكم اياه (ولكن الله قتلهم) اى بهما اذهو الخالق للقتل واسبابه وهم المباشرون له بقوة الله عند اكتسابه (ومارميت) اى رميا يوصل التراب الى اعينهم ولم تقدرعليه (اذرميت) اى يومى بدر وحنين وجوههم صورة واكتسابا اواخذا اوارسالا (ولكن الله رمى) اى حقيقة وتبليغا واصابة فبلغ رميه تعالى منهم حدا لم يبلغ رميك من ايصاله التراب الى اعينهم جميعا فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وتمكنتم منهم قتلا واسرا (وان كان الاول) يعنى ان الذين يبايعونك وان وصلية (فى باب المجاز) اى ادخل فى ذلك الباب والاظهر ان يقال من باب المجاز كما فى اصل الدلجى وكذا قوله (وهذا) اى فلم تقتلوهم الاية (فى باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة) وروى فى الحقيقة (هو الله وهو خالق فعله) اى فعل المباشر من قتله ونحوه (ورميه وقدرته عليه) اى ايجادا وابداعا وهو القاتل مباشرة واكتسابا ومن ثم اسند الفعل اليه حقيقة ايضا كما انه نفاه عنه ايضا لكن بين الحقيقتين بون بين وبيان ظاهر لمذهب اهل السنة والجماعة من ان العبد له نسبة الكسب فى الحقيقة على الجملة والحاصل انه سبحانه وتعالى وصف نفسه فى هذه الاية بالقتل والرمى من حيث كونه هو الذى حصل اثرهما ومنفعتهما وان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه هم الذين قتلوا ورموا فهو على هذا من باب اطلاق السبب الذى هو القتل والرمى على المسبب الذى هو الاثر والمنفعة كما سبق فى الاية المتقدمة واما من يقول ان الله تعالى هو الفاعل لكل شئ على الحقيقة ونسبة الفعل الى غيره مجاز فلا تشبيه فيه لهذه الاية السابقة ولا تفريق بينهما فافهم (ومسببه) اى وهو سبحانه وتعالى مسبب سبب فعل عبده وفى نسخـة مشيئته اى ارادته كذا ذكر فى حاشية وليس لها وجه ظاهر بل هو تصحيف كما لا يخفى (ولانه) اى الشان (ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت) اى الى وجوههم فاعمت ابصارهم (حتى لم يبق منهم من لم تملأ) اى تلك الرمية (عينيه) اى ترابا (وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) اى فى الصورة الكسبية والاضافة النسبية مثل اسناد القتل الى افراد البشرية وانما احتاج الى ذكرهم لئلا يتوهم ان القدرة الملكية ليست كقوى البشرية فى الاحتيـاج الى القوة الالهية والقدرة السبحا نيـة فان المخلوقات باسرها متساوية فى مرتبة العبودية فاندفع بتحريرنا ماتوهم الدلجى خلاف تقريرنا حيث قال وما احق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة ايضا بالنسبة اليهم هو الله وهو خالق فعلهم وقدرهم ايجادا وابداعا وهم القاتلون مباشرة واكتسابا فلاخصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة بدون اسناده الى الله حقيقة انتهى وظهر لى وجه آخر انه اراد بقوله حقيقة انه وقع من الملائكة نوع من المباشرة فى قتل الكفرة لانه انما كان نزول المعركة لمجرد وصول البركة وحصول النصرة (وقد قيل فى هذه الاية الاخرى) اى الاخيرة وهى قوله تعالى فلم تقتلوهم الاية (انها على المجاز العربى) بالباء اى اللغوى اعنى استعمال اللفظ فى غـير ماوضع له لعلاقة بين المعنى المجازى والحقيقى وهى هنا السببية وفى نسخة العرفى بالفاء قال العلامة محمد بن خليل الانطاكى الحنفى فى حاشيته المسماة بزبدة المقتفى اعلم ان المجاز ان تجوز مستعمله عن معنى وضع ذلك اللفظ له واضع اللغة فهو المجاز اللغوى كالاسد للشجاع وان تجوز عما وضعه الشارع له وهو الله ورسوله فهو المجـاز الشرعى كالصلاة للدعاء وان تجوز عما وضعه طائفة معينة فهو المجاز العرفى الخاص كالفعل للحدث وان لم تكن معينة فهو المجاز العرفى العام كالدابة للشاة (ومقابلة اللفظ) اى وعلى مقابلة اللفظ (ومناسبته) اى له لما بينهما من العلاقة المؤذنة باستعمال ماوضع للسبب من اللفظ فى مسببه (اى ما قتلتموهم) اى ايها الامة حين قتلتموهم بآلات القتل (وما رميتهم انت) ايها النبى (اذ رميت وجوههم بالحصباء) بالمد اى بالحصى او بالاحجار الصغار يخالطها التراب (والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) اى واوقع فى صدورهم الرعب والفزع (اى ان منفعة الرمى) اى وكذا فائدة القتل (كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى) اى الذى هو ابتلاءهم بالرعب وادخال التراب فى اعينهم حتى انهزموا (وانت) اى القاتل والرامى (بالاسم) اى من حيث مباشرتهما بالوسم وصورة المبنى وحذف قوله القـاتل والرامى فى الجملة الاخيرة للعلم به من الجملة المتقدمة اذهو من دلائل الاوائل على الاواخر والله اعلم بالظواهر والضمائر والحاصل فيه ماحكى عن المهدوى واوضحه هبة الله بن سلامة ان الرمى اخذ وارسال وتبليغ وايصال فالذى اثبت الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الاخذ

والارسال والذى نفى عنه واثبته لنفسه هو التبليغ والايصال والله تعالى اعلم بالحال ثم اعلم بطريق الانعطاف الى القضية الامنية ان السكينة الواقعة فى الاية المكنية هى كناية عن تسكين نفوس المؤمنين بتحصيل اليقين وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اخبرهم حين توجه للحديبية بانهم يدخلون مكة آمنين ويطوفون بالبيت رؤيا كان رآها فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الاية انه خلق فى نفوسهم ثقة بهذا وجعلها مستقرة فى نفوسهم ومستمرة الى ان يقع ماوعدهم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويشاهدوه معاينة فيزدادوا بذلك ايمانا مع ايمانهم وقد قضى الله ان يكون ماوعدهم به رسوله لان رؤيا الانبياء وحى ولكن فى غير ذلك التوجه ولهذا لما انكشف امر الحديبية عن الصلح قال بعض اصحابه يارسول الله الم تقل لنا انا ندخل مكة آمنين ونطوف بالبيت فقال لهم بلى افقلت لكم فى عامى هذا فكان تحقيق هذا فى عام الفتح والى ذلك اشار الله سبحانه وتعالى بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وجاء قوله سبحانه وتعالى فى هذه الاية ولله جنود السموات والارض باثر ذكر السكينة زيادة فى تسكين نفوسهم واشعارا بان الله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء ثم عقب ذلك بوصفه نفسه بالعلم والحكمة اى فلا تستعجلوا ماوعدكم به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان الله يعلم فى تأخير ذلك حكمة وهو معنى قوله تعالى فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وقوله سبحانه وتعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات اريد بهم الذين انزل السكينة فى قلوبهم فصدقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حديث الترمذى بسند صحيح من رواية قتادة عن انس رضى الله عنه قال نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يانبى الله قد بين الله لك مايفعل بك فمايفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم والواو لمطلق الجمع والا فتكفير السيئة قبل ادخالهم الجنة هذا وقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى الظانين بالله ظن السوء معنيين احدهما انه كناية عن قولهم لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا والاخر انه كناية عما يعتقدونه من صفات الله سبحانه وتعالى على غير ماهى عليه فهو ظن سوء باعتبار انه كذب وموصل لصاحبه الى جهنم ودائرة السوء المصيبة السوء وسميت دائرة من حيث انها تحيط بصاحبها كما تحيط الدائرة بمركزها على السواء من كل الجهات والى هذا مال النقاش فى تفسيره وذهب بعضهم الى انها سميت دائرة لدورانها بدوران الزمان لان الزمان لما كان يذهب ويجئ على ترتيب واحد صار كانه مستدير ومنه حديث وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فكان الخطوب والحوادث فى طيه تدور بدورانه ثم سميت بيعة الحديبية بيعة الرضوان لقوله سبحانه وتعالى فيها لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى سمرة من شجرة العضاة وذهبت بعد سنين من الهجرة ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته بذلك الموضع فاختلف اصحابه فى موضعها وكثر تشاجرهم فى ذلك فقال عمر هذا هو التكلف سيروا واتركوها وكان الذين بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الفا واربعمائة فى احدى الروايتين عن جابر والفا وخمسمائة فى الرواية الاخرى عنه فبايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يفروا قال جابر ولم يبايعوه على الموت وقال سلمة بن الاكوع فى حديثه بايعناه على الموت وكلا الحديثين صحيح لان بعضهم بايع على ان لا يفر ولم يذكر الموت وبعضهم بايع على الموت ولم يتخلف عن هذه البيعة احد ممن حضر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا الجد بن قيس فانه اختبأ تحت ناقته وكان عثمان رضى الله تعالى عنه غائبا بمكة فبايع عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال هذه يد عثمان رضى الله عنه وكانت هذه البيعة بسبب غيبة عثمان عند ماذكر ان اهل مكة قتلوه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عند ماتوجه الى مكة اراد ان يبعث رجلا الى قريش يخبرهم انه لايريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خراش بن امية الخزاعى فلما وصل اليهم ارادوا قتله فمنعته الاحابيش قال ابن قتيبة فى المعارف وهم جماعة اجتمعوا فتحالفوا ان يكونوا كلا على من سواهم والتحبش فى كلام العرب التجمع وخلوا سبيل خراش حتى اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بذلك فاراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يبعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم فقال عمر يارسول الله انى اخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من عدى بن كعب من يمنعنى وقد علمت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل اعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه الى ابى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت للحرب وانما جاء زائر البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص قبل ان يدخل مكة فترجل له وحمله على دابته واجاره بالزاى فانطلق عثمان حتى اتى اباسفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماارسله به فقالوا له حين فرغ ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ماكنت لافعل حتى يطوف به

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحتبسته قريش عند ها تبره وتكرمه فاتفق ان خرج صارخ فى عسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قتل عثمان فاغتم المؤمنون وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم وامر مناديه فدعا الى البيعة وبلغ بعد ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذى كان من امر عثمان باطل وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سالما فحمد الله على ذلك والمبايعة فى الاية مفاعلة من البيع لان الله سبحانه وتعالى باع منهم الجنة بانفسهم واموالهم وباعوه انفسهم واموالهم بالجنة وبقية قضية الحديبية فى المواهب اللدنية

﴿ الفصل العاشر ﴾

(فيما) اى فى ذكر ما (اظهره الله فى كتابه العزيز) اى المنيع الذى لايعتزى ساحة عزه ابطال وتحريف او الكثير النفع العديم النظير اللطيف (من كرامته عليه ومكانته عنده) الاولى لديه (وما) اى وفى بيان ما (خصه به من ذلك) اى الاكرام (سوى ما انتظم) اى غير ما دخل (فيما ذكرناه قبل) هو مبنى على الضم مقطوع عن الاضافة اى قبل ذلك فى الفصول السابقة من الفضائل المتقدمة (من ذلك) اى الذى اكرم به ولم ينتظم فيما ذكره قبل (مانصه الله تعالى) اى صرحه وفى نسخة قصه (من قصة الاسراء فى سورة سبحان) وفى نسخة فى قصة الاسراء من سورة سبحان وهى غير صحيحة (والنجم) اى وفى سورته وقد سبق الكلام عليه (وما انطوت) اى ومن ذلك ما اشتملت (عليه القصة) اى القضية (من عظيم منزلته وقربه) اى قرب مكانته المفهوم من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى (ومشاهدته) اى مطالعته (ماشاهده من العجائب) اى ما رآه من الغرائب المستفاد من قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى كرؤية الانبياء وتمثيلهم له ووقوفه على مقاماتهم وعجائب الملكوت وغرائب الجبروت ومشاهدة الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبيين ورؤية العرش المحيط بالسموات والارضين ورؤية رب العالمين مع كون ذهابه وايابه فى برهة من الليل مسيرة مالا يعلمه احد من المهندسين وقد ورد ان ما بين الارض وسماء الدنيا مسافة خمسمائة عام وكذا بين سماء وسماء وكذا غلظ كل سماء وجميع السموات والارضين بجنب الكرسى كحلقة فى فلاة وهو بجنب العرش كحلقة فى فلاة وقد تعجب قريش من ذلك واحالوه ولا استحالة فيه عند ارباب العقول اذ ثبت عند الحكماء فى علم الهيئة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ساعة وقد حكم علماء الكلام من علماء الانام بان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على جميع الممكنات فلاينكر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم او فى البراق كيف وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه والتعجب من لوازم المعجزات (ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس) اى يحفظك من تعرض اعدائك لك روى الترمذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله ولاينافيه ما فى البخارى وغيره من شج وجهه وكسر رباعيته يوم احد لخصوص العصمة بالقتل تنبيها على انه يجب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتحمل ما دون النفس لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اشد الناس من جهة البلاء او انهما بعد وقعته قال التجانى والمراد بالناس فى الاية الكفار بدليل قوله تعالى ان الله لايهدى القوم الكافرين قلت الظاهر هو العموم ولادلالة فى الاية على قصد الخصوص عند ارباب الفهوم وان كان الخصوص من الخارج هو المعلوم (وقوله) بالجر اى ومن ذلك عصمته منهم قبل نزول تلك الاية بقوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا الاية) ذكره سبحانه وتعالى بعد الفتح مكر قريش به بمكة قبل الهجرة ليشكر نعمة ربه بخلاصه من مكرهم به واحتيالهم عليه فالقضية مكية والاية مدنية اى واذكر اذ يمكرون بك فى دار الندوة متشاورين فى امرك بحضور عدو الله ابليس حيث دخل فيهم وقال انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا ليثبتوك بوثاق او حبس اشارة الى قول ابى البخترى ارى ان تحبسوه وتشدوا منافذه الى كوة تلقون اليه منها طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من قومه من يخلصه منكم او يقتلوك اشارة الى قول ابى جهل لعنة الله عليه ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما مع كل واحد سيف ويضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلايقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوه عقلناه فقال ابليس صدق الفتى او يخرجوك اشارة الى قول هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فتفرقوا على رأى ابى جهل فاخبره جبريل بذلك وقال له لاتبت الليل فى مكان نومك فامر عليا ان ينام فيه وخرج عليهم وقد اجتمعوا عشاء لقتله واخذ كفا من تراب فنثره على رؤسهم يقرأ يس والقرآن الحكيم الى قوله تعالى لايبصرون وهذا معنى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فمكر الله من باب المشاكلة

اومحمول على المعاملة (وقوله) بالجراى ومنه عصمته بقوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) اى ان لم تنصروه ولم تخرجوا معه الى غزوة تبوك فسينصره من نصره عند قلة اوليائه وكثرة اعدائه اذ اخرجه الذين كفروا وليس معه الا ابو بكر فحذف الجواب واقيم ماهو كالدليل عليه مقامه واسند اليهم الاخراج لتسبب اذن الله له فى الخروج عن همهم به فكانهم اخرجوه وقوله ثانى اثنين حال من ضمير اخرجه اى احد اثنين روى ان جبريل لما امره بالخروج قال من يخرج معى قال ابو بكر (ومادفع الله) اى ومنه مادفعه الله (به) اى بنصره (عنه فى هذه القصة) اى قصة مكرهم به لقوله تعالى ولايحيق المكر السيئ الا باهله و لما قيل من حفر بئرا لاخيه وقع فيه والمعنى ما حفظ الله له (من اذاهم) اى ليلة عزموا على قتله (بعد تحزبهم) اى تجمعهم ووقع فى نسخة بعد تحريهم براء مكسورة مشددة فتحتية اى بعد قصدهم (لهلكه) بضم اوله وسكون ثانيه اى هلاكه (وخلوصهم) اى و بعد انفرادهم واعتزالهم خالصين من مخالطة غيرهم (نجيا) مصدرا ووصف اريد به معنى الجمع وقد جاء مفردا فى قوله تعالى وقربناه نجيا وجمعا فى قوله تعالى خلصوا نجيا كما هو المراد هنا اى متناجين ومتشاورين (فى امره) اى على اى صفة يؤذونه ليظفروا بحاجتهم فيطلقوا بخيبتهم (والاخذ) بالجر فى اكثر النسخ واقتصر عليه الدلجى حيث قال والظاهر كما فى نسخة مصححة رفعه عطفا على مادفع لا على اذاهم لفساد المعنى كما لايخفى الا ان الاقرب و الاظهر الانسب انه مجرور عطفا على تحزبهم وخلوصهم والمعنى بعد الاخذ (على ابصارهم عند خروجه عليهم) اى مع ابى بكر الى الغار ليلة قصدوا قتله وكذا الكلام من حيث المبنى والمعنى على قوله (وذهولهم) اى غفلتهم (عن طلبه فى الغار) اى مع ترددهم حوله فلم يهتدوا اليه وذلك بآيات اظهرها الله فى الحال من نسج العنكبوت على الغار حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما ارى الا انه قبل ان ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم و بعث حمامتين على فم الغار فقالت قريش لو كان فه لما كانت الحمام هناك والمراد بالغار نقب باعلى ثور جبل عن يمين مكة مسيرة ساعة واللام فيه للعهد اى لهم (فى ذلك من الايات) اذ خرج عليهم وهم ببابه فلم يروه بناء على حجاب الله ونقابه تحت قبابه ونثره روسهم فلم يعلموا به حتى قيل لهم الى غير ذلك من الايات والمعجزات (ونزول السكينة عليه) اى ومن نزول ينة والامن الذى تسكن عنده النفوس على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيده قوله تعالى وايده بجنود لم تروها اوعلى ابى بكر رضى الله تعالى عنه لانه الذى كان منزعجا لقوله تعالى اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه ويؤيده ان بعض القراء جعل عليه وقفا لازما وجعل مابعده كلاما مستأنفا اوعطفا على صدر القصة مما يكون محلا قابلا لئلا يلزم تفكيك الضمير مع تجويز بعضهم ذلك كما فى قوله تعالى ان اقذفيه فى التابوت الاية واما قول الدلجى ان هذا هو الحق فليس فى محله لورود الخلاف عن اكابر المفسرين على ان التحقيق فى مقام الجمع على جهة التدقيق ان يقال المعنى فانزل الله سكينته على كل منهما بناء على ارادة زيادة الاطمئنان والسكون فيهما كما يدل عليه مافى مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما ولاينافيه ماورد فى تسلية الصديق من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما (وقصة سراقة) بالجر عطفا على الايات اى ومن قصة سراقة (ابن مالك) اى ابن جعشم وهو الذى اعطته قريش الجعائل واخذ فى طلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر وساخت قوائم فرسه عند ذلك وهو الذى البس له عمر رضى الله تعالى عنه سوارى كسرى وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقد كان اخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فهى معجزة دائمة باقية الى يوم القيمة (حسب) بفتح الحاء والسين وقد يسكن الثانى واقتصر عليه الحلبى وغيره اى على قدر (ماذكره اهل الحديث والسير) بكسر ففتح جمع سيرة وارباب السير من الشمائل والمغازى (فى قصة الغار وحديث الهجرة) اى مفصلا ومجملا انه تبعهما حين توجها من الغار مهاجرين الى المدينة ليفتك بهما فرده الله خاسئا ثم اسلم بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف قال الحلبى وفى الصحابة من اسمه سراقة ثمانية عشر غيره (ومنه) اى ومن ذلك (قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر) ومعناه سيأتى اى الكثير من انواع التفضيل الا ان فوعل ابلغ من فعيل وفيه تسلية له عن موت ابنه ابراهيم (فصل لربك) فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ مقتضى الظاهر فصل لنا اى فدم على الصلاة كما امرنا اوعلى صلاة العيد خالصا لوجهه وشكر الانعمه فانها جامعة لانواع شكره لاشتمالها على اصناف ذكره ويؤيد الوجه الثانى قوله تعالى (وانحر) اى ضح بالبدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحتاجين من الفقراء والمساكين وقيل المراد بالنحر وضع المصلى يده فى الصلاة عند نحره ويروى هذا عن على كرم الله وجهه (ان شانئك) اى مبغضك (هو الابتر) اى مقطوع الخير والبركة فى الدنيا والاخرة اوالذى انقطع عن بلوغ امله فيك (اعلمه الله) اى منة عليه فى هذه السورة (بما اعطاه) اى ببعض ما اولاه والا فعطاؤه لايمكن احصاؤه (والكوثر حوضه) اى لما فى مسلم

اتدرون ماالكوثر قيل الله تعالى و رسوله اعلم قال نهر وعد نيه ر بى عليه خير كثير هو حوضى ترده امتى يوم القيامة وضميرهوراجع الى النهر اشعارا بانه له نهرا من الجنة منصبا فى حوضه يوم القيامة فلاينافيه قوله (وقيل نهر) بفتح الهاء و يسكن (فى الجنة) كما يدل عليه حديث الترمذى رأيت فى الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ قلت ماهذا ياجبريل قال الكوثر الذى اعطاك الله وحديثه ايضا اعطانى الله الكوثر نهرا فى الجنة يسيل فى حوضى (وقيل الخيرالكثير) وهذاهوالاظهر لانه هوالحق كما عبربه الدلجى لانه فوعل من الكثرة بمعنى المفرط المبالغ فيها و يؤيده خبر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى البخارى الكوثر هوالخيرالكثير الذى اعطاه الله قيل لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر فى الجنة قال هو من الخيرالكثير الذى اعطاه (وقيل الشفاعة) اى العظمى الشاملة للخلائق كلها المستفاد منها الكثرة (وقيل المعجزات الكثيرة و قيل النبوة) اى لاشتمالها على خيرات كثيرة و اللام للعهد اى النبوة العظمية اوالنبوة المختوم بها ليتميز بها عن غيره بنوع المزية (وقيل المعرفة) اى الكاملة وهذه اقوال حسنة معانيها الا انه لادلالة على مافيها (ثم اجاب) اى الله سبحانه وتعالى (عنه) اى بدلا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (عدوه) اى العاص بن وائل وابا جهل ونحوه (ورد عليه) حين مات ابنه القاسم (قوله) اى ان محمدا قد اصبح ابتر اى قليل العدد مقطوعا من الولد اذا مات مات ذكره لانه لاعقب له (فقال ان شانئك هو الابتر اى عدوك ومبغضك) بالنصب تفسير لشانئك (والابتر الحقير الذليل) اى على ماقيل وهوالذى لاذكر حسن له ولاثناء جميل (اوالمفرد) بفتح الراء اى المنفرد (الوحيد) اى الذى لاولد له ولاعقب (اوالذى لاخير فيه) واما هو صلى الله تعالى عليه وسلم فذكره حسن وثناؤه جميل ونسبه مستمر وآثار انواره باقية الى يوم القيامة وما لايدخل تحت العبارة فى الاخرة (وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى و القرآن العظيم قيل) و هو المحكى عن ابن عمر وابن مسعود والمنقول عن ابن عباس (السبع المثانى السور الطوال) بكسر الطاء جمع الطويلة كما صرح به الشراح فاندفع به قول الحجازى هكذا وقع فى الكتاب وصوابه الطول مضموم الطاء دون الف فيه لان السورة مؤنثة فهى طولى والجمع طول لاغير وقوله (الاول) بضم همزة وفتح واو مخففة جمع الاولى وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع براءة لانهما فى حكم سورة واحدة ومن ثم لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل السابعة سورة يونس اويوسف بدل الانفال (والقرآن العظيم) بالنصب على الحكاية ويجوز رفعهما بناء على انه مبتدأ خبره (ام القرآن) اى اصله او بمنزلة امه لاشتمالها على كليات معانيه ومهمات مبانيه اذ اولها تمجد و اوسطها تعبد و آخرها وعد وتوعد فكانها هو فى التحقيق دون التعدد وفيه اطلاق الكل على الجزء لاسيما وهوالاكمل فى المعنى ولذا وجبت قراءتها فى الصلاة (وقيل) وهوالمحكى عن عمر وعلى و الحسن البصرى (السبع المثانى ام القرآن) لحديث البخارى ام القرآن هى السبع المثانى (و القرآن العظيم سائره) اى باقيه اوجميعه بناء على انه مأخوذ من السؤر بالهمزة بمعنى البقية اومن السور الذى هو الجمع و الاحاطة والشمول من سور الحصن فالعطف من باب عطف الخاص على العام (وقيل السبع المثانى مافى القرآن) اى هو جميع القرآن و تسبيعه لما فى القرآن (من امر) اى ايجابا كاقيموا الصلاة اوندبا كافعلوا الخير (ونهى) اى تحريما كلا تقربوا الزنا او كراهة كلاتيمموا الخبيث منه تنفقون اذ روى انهم كانوا يتصدقون بردى التمر فنزلت و المعنى لاتقصدوا الردى منه حال كونكم تتصدقون (و بشرى) اى ومن بشارة للمؤمنين (وانذار) اى تخويف للمخالفين (وضرب مثل) كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت (واعداد نعم) بكسر الهمزة على ما فى نسخة مصححة اى تعداد نعم كثيرة وتذكار منح غزيرة وهو بالمعنى المصدرى انسب للعطف على ماقبله من المصادر وقال الدلجى تبعا لبعضهم بفتح همزته جمع عدد بمعنى ونعم معدودة واغرب التلمسانى بقوله ولايصح الكسر هنا لمخالفة المعنى انتهى (وآتيناك نبأ القرآن العظيم) اى اعطيناك علم ما اشتمل عليه مما ذكر من قصص و مواعظ و اعجاز وثناء على الله بما هو اهله وغير ذلك كذا قرره الدلجى و الاظهر ان يخص النبأ بالقصص ليكون السابع للسبع المثانى ومع هذا لايظهر وجه العدول عن نمط السابق من ذكر المصادر الى الجملة الفعلية فى المرتبة التفصيلية (وقيل سميت ام القرآن) اى الفاتحة (مثانى لانها تثنى) بصيغة المجهول مثقلا ومخففا وهواظهر لان المثانى هو جمع المثنى كالمرامى جمع المرمى ونظيره المعنى والمعانى وقد ابعد التلمسانى فى قوله مثنى المعدول من اثنين اى تكرر (فى كل ركعة) اى صلاة تسمية للشئ باسم جزئه اوفى كل قومة باعتبار الركعة بعدها ففى الفائق انها تثنى فى قومات الصلاة اى فى كل قومة اوفى مجموع القومات وقيل سميت مثانى لان آياتها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ثم سميت سبعا لانها سبع آيات بالاتفاق غير ان منهم من عد التسمية آية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس (وقيل بل الله استثناها) اى خصها من بين الايات (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ودخرها) بالخاء المعجمة اوادخرها بالمهملة كما

فى نسخة اى جعلها ذخيرة (له دون الانبياء) لما فى مسلم والنسائى ورواه الحاكم ايضا وصححه من حديث ابن عباس بينا جبريل قاعد عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمع نقيضا اى صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة الحديث والمعنى انه خص باعطاء معانيهما المأخوذة من مبانيهما فاندفع قول الدلجى تبعا للمنجانى وهذا لايختص بالفاتحة بل جميع السور كذلك (وسمى القرآن مثانى لان القصص) بكسر القاف جمع القصة قيل وهى المرادهنا و بفتحها مصدر معناه الخبر و الحكاية (تثنى) بالتأنيث و التذكير اى تكرر (فيه) و المثانى جمع مثناة او مثنى من التثنية بمعنى التكرير اومن الثنى بمعنى اللين و العطف لمافيه ايضا من تكرير الاوامر و النواهى و الوعد و الوعيد والاخبار والامثال وغير ذلك اومن الثناء لما فيه من كثرة ذكره تعالى بصفاته العظمى واسمائه الحسنى (وقيل) اى عن الامام جعفر الصادق (السبع المثانى) اى معناه فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى هو انا (اكرمناك بسبع كرامات الهدى) هووما بعده مجرور بدل بعض من كل اومرفوع خبر مبتدأ محذوف اى هى الهدى اومنصوب بتقدير اعنى و المراد بالهدى الهداية الكاملة المتعدية المكملة ولايلائم المقام تفسير التلمسانى له بضد الضلالة (و النبوة) اى المتضمنة للرسالة وقال التلمسانى اى الرفعة ولايخفى انه احد معانيها اللغوية (والرحمة) اى لجميع الامة (والشفاعة) اى العظمى يوم القيامة (والولاية) وهى النصرة والانتقام من العدو بالغلبة (والتعظيم) اى ظهور العظمة (والسكينة) اى السكون والوقار والطمانينة قيل فمن اوتى السبع المثانى باعتبار اخذ جميع المعانى امن من الدخول فى سبعة ابواب جهنم (وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر) اى القرآن وسمى ذكرا لانه يذكر به الرحمن وموعظة و تنبيه للكسلان وشرف لاهل العرفان (الاية) يعنى لتبين للناس اى الجن و الانس ففيه تغليب و قيل يسملهما مانزل اليهم اى ما امروا به ونهوا عنه و ما اخبروا به و تشابه عليهم حكمه لاجماله والتبيين اعم من ان يكون بنص على المراد به او بارشاد الى مايدل عليه كأساس قياس و برهان عقل و ايناس (وقال تعالى وماارسلناك الاكافة للناس) اى حال كونك تكفهم وتمنعهم بشرعك عن ظلمهم وكفرهم فالتاء للمبالغة كما فى علامة (بشيرا) اى مبشرا للابرار (ونذيرا) اى مخوفا للفجار (وقال تعالى قل ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) حال من ضمير اليكم فانه مفعول فى المعنى (الاية) وتمامها الذى له ملك السموات والارض لااله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (قال القاضى) اى المصنف (رحمه الله فهذه) اى الاية (من خصائصه) جمع خصيصة اى خصلة لم يشاركه فيها احد لورودها شاهدة باختصاصه برسالة عامة و مشعرة بان كل رسول بعث الى قومه خاصة (وقال تعالى و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) اى بلغة قبيلته الذى هو منهم و بعث فيهم (ليبين لهم) ماامروا به ومانهوا عنه فيفهموا عنه بيسر وسهولة امر (فخصهم بقومهم) اى لغة ورسالة ودعوة ونذارة و بشارة (و بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق) اى المخلوقين (كافة) اى جميعا من الكف بمعنى الاحاطة و الجمع او من الكف بمعنى المنع اى لكفهم بدعوته عن ان يخرج منها احد منهم لاحاطتها بهم (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود) اى العرب والعجم كما تقدم وفى صحيح مسلم بعثت الى الخلق و فى حديث بعثت الى الناس كافة فان لم يستجيبوا لى فالى العرب فان لم يستجيبوا لى فالى قريش فان لم يستجيبوا لى فالى بنى هاشم فان لم يستجيبوا لى فالى وحدى ذكره السيوطى فى جامعه الصغير عن ابن سعد عن خالد بن معد ان مرسلا وفيه كما فى الاية السابقة ايماء الى حكمة انه بعث بلسان العرب وان العجم امروا بتتبع لغتهم مع كمال الادب ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام اهل الجنة عربى رواه الطبرانى والبيهقى والحاكم وغيرهم عن ابن عباس وفيه اشعار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل الى العرب و العجم وهم مختلفوا الالسنة من الفارسية و التركية و الهندية وغيرها مما يتعذر فى العادة ان يكون واحد يعرف جميع اللغات المختلفة فى اصناف المخلوقات اختار الله له سبحانه افضل انواعه و امر الغير بتعلمه واتباعه مع انه ايسر اللغات واسهلها واضبطها واجمعها واسملها وايضا كان من انفة العرب وغلاظتهم انه لونزل القرآن بلسان العجم او لم يتكلم الرسول الا بلغة غير العرب معهم لما آمنوا و تعللوا بما حكى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى و لو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمى وعربى و قال فى موضع آخر و لو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين و فى الايتين السريفتين تشريف لطائفة العجم ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لوكان الدين اوالعلم فى الثريا لناله رجال من فارس (وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين) اى احق بهم فى جميع امورهم اومقيد بامر دينهم (من انفسهم) اى من ارواحهم فضلا عن آبائهم وابنائهم (وازواجه امهاتهم)

جمع ام اصلها امهة وهي لغة قيل مختصة بالادميات و الامات بالحيوانات و قيل الهاء زائدة (قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ماانفذه) بالنون والفاء والذال المعجمة اى اظهره وامضاه (فيهم من امر فهوماض عليهم) اى نافذ وماض (كما يمضى حكم السيد على عبده) اذ لايأمرهم ولايرضى منهم الابما فيه صلاحهم فقوله كما يمضى كالتنظير لانه دون من تبته في التأثير (وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأى النفس) و هذا قول صحيح وعلى طبق ماتقدم صريح فتعبيره بقيل لبس لكونه كلاما غير مرضى بل لجلالة قائله اوجهالة حاله وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الى غزوة تبوك فقال اناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت و يدل على هذا المعنى ايات لاخر نحو قوله تعالى قل ان كان آباؤكم و ابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله و رسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لايهدى القوم الفاسقين وكما قال الله تعالى لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم اوابناءهم اواخوانهم اوعشيرتهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لايؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده و الناس اجمعين رواه الشيخان وغيرهما عن انس رضى الله تعالى عنه و قد ورد فى بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم كان لايصلى على ميت وعليه دين وكان يقول صلوا على اخيكم فلما نزلت هذه الاية قال انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفى و عليه دين فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته واخرج النسائى فى السنن نحوه الا انه قال فلما فتح الله الفتوح ولم يقل فلما نزلت الاية (وازواجه امهاتهم اى هن) على ما فى النسخ المصححة وقال التلمسانى اى هم فى الحرمة وضميرهم عائد الى الازواج وعليه الروايات هنا وعبر بضمير جماعة المذكرين اعتبارا للفظ الازواج (فى الحرمة) اى الاحترام والتعظيم (كالامهات) اى الحقيقية تنزيلا لهن فى العظمة بل اللايق ان يكون لهن مزية تعظيما لحضرة النبوة ثم انهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذا حجبن ولم يتعد التحريم الى بناتهن وهذا انما هو فيمن دخل بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النساء واما من تزوجها و فارقها قبل الدخول فليس لها هذا الحكم وقد كان عمر رضى الله تعالى عنه امر برجم امرأة فارقها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الدخول فتكحت بعده فقالت له لم وماضرب الله على حجابا و لادعيت ام المؤمنين فكف عمر عنها (حرم) بضم و ضم الراء و رفع قوله (نكاحهن) و يجوز ضم الحاء وكسر الراء المشددة ايضا و فى نسخة حرام بزيادة الالف وفى اخرى حرم بصيغة الفاعل من التحريم اى حرم الله اورسوله نكاحهن (عليهم بعده) اى بعد تزوجه لهن قبل ولوطلق قبل الدخول ببعضهن كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله و لا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وانما حرمهن عليهم (تكرمة له) اى لتكريمه وتعظيمه المستفاد من الاية (وخصوصية) اى بها يتميز عن غيره من افراد امته وهى بضم الخاء وقول الحجازى بفتحها سهو (ولانهن له ازواج فى الآخرة) قال البغوى وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ازواجهم لهم فى الآخرة وفى نسخة فى الجنة والظاهر ان هذا مقيد بمن مات منهن فى عصمته اوهو توفى عنهن وهن فى عدته لتخرج من اختارت الدنيا حين نزلت آية قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا الاية فانها كانت فى آخر عمرها تلتقط البعر فى سكك المدينة وايضا لما اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يطلق سودة قالت لاتطلقنى يارسول الله ويومى لعايشة رضى الله تعالى عنها لانى اريد ان اكون من نسائك فى الجنة اوقولا هذا معناه (وقد قرئ) اى فى الشواذ قيل وهى قراءة مجاهد ونسبت الى ابى ابن كعب ايضا (وهو اب لهم) اذ كل نبى اب لامته كما قال الله تعالى ملة ابيكم ابراهيم من حيث انه حياتهم الابدية وتعلم الآداب الدينية ومن ثم صاروا اخوة فى الدين كما قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة من حيث انتسابهم الى اصل واحد هو الايمان الناشئ عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولايقرأ به) بصيغة المجهول اى ولايجوز ان يقرأ به احد (الآن) اى فى هذا الزمان (لمخالفته المصحف) بتثليث الميم والضم اتم وهو ماجمع فيه القرآن لقول عايشة رضى الله تعالى عنها ما بين دفتى المصحف كلام الله والمراد من المخالفة عدم وجود تلك الجملة من جميع المصاحف العثمانية اذا حداركان القراءة هى المطابقة الرسمية وثانيها الموافقة العربية وثالثها النقل المتواتر الاجماعية والعمدة هى الاخيرة والاخر بان تابعتان لها لازمتان لوجودها واختلف فى محل الجملة الشاذة فقيل قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قبل قوله وازواجه امهاتهم و قراءة ابى بعده وروى عن عكرمة انه قال وهو ابوهم وهو اشبه بالتفسير وعلى جميع التقادير هو من باب التشبيه البليغ نحو زيد اسد اى كالاسد لا على الحقيقة اى الاقيس له الولادة واما ما ذكره الدلجى ان المراد بالمصحف هو الامام الذى نسخه عثمان وعليه الناس فقد يوهم انه مصحف خاص وليس كذلك بل المراد المصاحف التى كتبت بامره واختلف فى عددها فارسل واحدا الى مكة وآخر الى الشام وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وابقى عنده

واحدا فى المدينة والا لم يتحقق وجود واحد منها فى محالها (وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية) اى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اى فيما انعم عليك وبما علمك من خفيات الامور وامور الدين ومعارف اليقين وفى بعض النسخ وانزلنا عليك الكتاب والحكمة وهو لا يصح لمخالفته تنزيل الاية (قبل فضله العظيم بالنبوة) وفى نسخة النبوة اذ لا فضل اعظم منها اذا قرنت بالرسالة العامة (وقيل بماسبق له فى الازل) اى من تعلق العناية القديمة العظمى حيث جعل رئيس من سبقت له الحسنى كما يدل عليه خلق نوره اولا وجعله نبيا فى عالم الارواح قبل ظهور الاشباح (واشار الواسطى الى انها) اى هذه الاية (اشارة الى احتمال الرؤية) اى تحملها واطاقتها (التى لم يحتملها موسى عليه السلام)

﴿ الباب الثانى ﴾

اى من القسم الاول وفصوله سبعة وعشرون بعد صدر الباب على ما سبق فى اول الكتاب (فى تكميل الله له المحاسن) جمع حسن على غير قياس والمراد بها الاوصاف المستحسنة (خلقا وخلقا) بفتح الخاء فى الاول وبضمها وضم اللام اوسكونها فى الثانى وهما منصوبان على التمييز اى محاسن خلقه وخلقه من صورته الظاهرة وسيرته الباطنة الباهرة (وقرأنه) اى وفى مقارنة ذاته عليه الصلاة والسلام (جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا) بفتحتين اى من جهة كون بعضها تبعا لبعض من الصفات المتوالية والمكارم المتعاقبة (اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم) خطاب عام فى موضع التفخيم او خاص لمن سأله هذا التأليف المتضمن للتعليم ويؤيده قوله (الباحث) اى المفتش والمتفحص (عن تفاصيل جمل قدره) اى مجملات مقداره (العظيم) والجملة الندائية معترضة بين الخطاب وما خوطب به من الجملة الفعلية (ان خصال الجلال والكمال) وفى نسخة الجمال بدل الجلال والجمال تمام الصورة والجلال ظهور العظمة والاولى على ما عرف فى علم الاخلاق ان يقال ان خصال الجمال والجلال المقتضية للكمال (فى البشر نوعان ضرورى) احدهما ضرورى (دنيوى) اى مما لابد له منه فيها (اقتضته الجبلة) بكسر الجيم والموحدة وتشديد اللام اى دعته الخلقة التى خلق عليها وطبيعته التى جبل للميل اليها ومنه قوله تعالى والجبلة الاولين وقرأها الحسن بالضم وقال التلمسانى وبسكون الباء وفتح اللام مخففة فتثليث الجيم بالهاء وبدونها والجبل بضم ويشدد ومنه قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا (وضرورة الحياة الدنيا) اى واقتضته الحاجة الضرورية الكائنة فى الحياة الدنيوية مماليس اختياريا (ومكتسب) بصيغة المجهول اى وثانيهما مكتسب (دينى وهو ما يحمد فاعله) اى مما يتوقف اكتسابه على الشرع من الكمالات العلية التى اعظمها معرفة الله وصفاته العلية (ويقرب) بكسر الراء المشددة وفى نسخة بصيغة المجهول اى مايقرب به (الى الله زلفى) اى قربة اسم مصدر لازلف وفيه ان التقسيم غير جامع لانه غير شامل للوهبى الحاصل بالجذبة دون الخلقة الاصلية ولا بالتعلقات العارضية (ثم هى) اى الخصال (على فنين) بفتح فاء وتشديد نون (ايضا) اى صنفين (منها) اى من الخصال (ما يتخلص) اى يتمحض (لاحد الوصفين) اى من الضرورى والكسبى من غير امتزاج وتداخل بحيث لا يصدق عليه اسم الآخر ضروريا اوكسبيا (ومنها ما يتمازج ويتداخل) عطف تفسير اى يتخالط بان يكون ضروريا وكسبيا كما سيأتى بيانهما ويظهر شأنهما (فاما الضرورى المحض) اى الخالص الذى لا يكون مكتسبا (فما ليس للمرء) بفتح فسكون فهمز والحسن لا يهمز ويخفف وابن ابى اسحق بضم الميم والهمز والعقيلى بكسر الميم والهمز ومؤنثه المرأة كذا ذكره التلمسانى والاظهر انه الشخص بالمعنى الاعم والله اعلم (فيه اختيار) اى فى حصوله (ولا اكتساب) اى فى وصوله اى بل فيه اضطرار واضطراب فى تحصيله (مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته) فيه من البديع صنعة جناس لاحق بين كمال وجلال (وقوة عقله) اى تعقله قال التلمسانى مذهب اهل اللغة ان العقل هو العلم وقيل بعض العلوم الضرورية وقيل قوة يميز بها بين حقايق المعلومات ومحله عند اهل السنة القلب بدليل قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقالت المعتزلة محله الدماغ ووافقهم ابو حنيفة والفضل بن زياد (وصحة فهمه) اى ادراكه (وفصاحة لسانه) اى طلاقته وطراوة بيانه مع رعاية مطابقته ووضوح دلالته (وقوة حواسه) اى من سمعه وبصره وشمه وذوقه ولمسه (واعضائه) جمع عضو بضم العين وكسرها اى جوارحه وقد قيل ليس فى الانسان جارحة احب الى الله عز وجل من اللسان ولذلك انطقه الله بتوحيده فاذا خرس ولم يحل اللسان فبأى شئ يذكر ويناجى ويدعو ويتلو (واعتدال حركاته) اى وسكناته بسلامتهما من آفتهما وهو من باب الاكتفاء (وشرف نسبه) اذ فى الغالب ان من تحلى به ربأ بنفسه من سفساف الامور الى اعاليها ومن ذمائم الصفات الى معاليها (وعزة قومه) اى وغلبة قبيلته اذ المؤمن كثير باخيه كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام

واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا (وكرم ارضه) اى طيب مكانه الذى نشأ فيه بان يكون بلد المسلمين ومنزل الصالحين وابعد التلمسانى فى تخصيص ارضه بارض مكة اذ لبس الكلام فى خصوصه عليه الصلاة والسلام (ويلحق به) اى يتصل بالضرورى المحض وفى نسخة بصيغة المجهول واقتصر عليه الحلبى اى ويوصل به (ماتدعوه) اى كل شئ من الامور العادية تدعو المرء (ضرورة حياته) اى شدة احتياجه فيها (اليه من غذائه) بكسر الغين و بالذال المعجمتين على ما فى الاصول المصححة وعلى ماذكره اهل الحواشى المعتبرة مايتغذى به من الطعام والشراب ومابه نماء الجسم وقوامه واما الغداء بفتح اوله وبدال مهملة فهو طعام الغدوة من الطلوع الى الزوال ضد العشاء بالفتح وهو غير ملايم لمقام المرام فتجويز الدلجى الوجهين وتقديم الثانى على الاول وتفسيره بقوله هو الطعام بعينه لبس فى محله وكذا تقييد المحشى للاول بالقصر والثانى بالمد (ونومه) اى فى ليله ونهاره (وملبسه) بفتح الموحدة (ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها (ومنكحه) بفتح الكاف مصادرا واسماء لما يلبس ويسكن وينكح (وماله) اى جميع ما ينتفع به من الامور الحسية (وجاهه) اى قدره ومنزلته واعتباره من الاحوال المعنوية قيل هو والوجه بمعنى قلب منه لانه ان توجه بوجهه قبل منه (وقد تلحق) ضبط معروفا ومجهولا (هذه الخصال الاخرة) اى الاخيرة المتعلقة بالامور العادية الواقعة فى الاحوال الدنيوية (بالاخروية) اى بالخصال الاخروية (اذا قصد بها التقوى) مصدر تقوى من باب التفعل اى طلب القوة على الطاعة وفى نسخة التقوى بالتخفيف اى اذا كانت مقترنة بتقوى الله (ومعونة البدن) اى اذا قصد بها مساعده ومعاونته (على سلوك طريقها) اى سبيل الاخرة وابعد الدلجى تبعا للتلمسانى فى قوله اى طريق الخصال الاخروية (وكانت) اى تلك الخصال الملحقة (على حدود الضرورة) اى على طبق داعية الحاجة وقدر الكفاية من غير الزيادة (وقوانين الشريعة) وفى نسخة قواعد الشريعة اى وكانت ايضا على وفق الاصول الشرعية مما ابيح وجوزله من ارتكابه وهذا معنى قولهم فى حديث انما الاعمال بالنيات ان العادات تصير بالنيات عبادات (واما المكتسبة الاخروية) اى الخصال المكتسبة المستفادة المتعلقة بالامور الاخروية (فسائر الاخلاق العلية) اى جميعها وهى صفات واحوال وافعال واقوال يحسن بها حالة الاحسان بينه وبين خالقه وابناء جنسه (والاداب الشرعية من الدين) اى الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فيما يجب عمله وتركه (والعلم) اى معرفة النفس وماعليها ومالها مما به تمام معاشها ونظام معادها (والحلم) اى الصبر على الايذاء وعدم العجلة فى العقوبة على الاعداء (والصبر) اى على انواع المصائب واصناف البلاء واجناس القضاء (والشكر) اى بالثناء على المنعم بما اولاه من النعماء وان يصرف جميع النعم الى ماخلقت لاجله فى مقام رضى المولى (والعدل) ضد الميل عن الحق بالجور وهو ملكة يقتدر بها على اجتناب مالايحل فعله فى باب الحكومة وقد ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا (والزهد) اى عزوفة النفس وقلة ميلها الى الدنيا والمشتهيات وترك ماعدا الضرورات من المباحات اوترك ماسوى الله مريدا به وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) اى لين الجانب والتذلل للصاحب (والعفو) اى الصفح والمجاوزة وعدم المؤاخذة (والعفة) وهى قمع النفس عن المعصية اومختصة بالزنا ونحوها واغرب التلمسانى بقوله وهو العفو عما يشين ويعيب وتركه اختيارا (والجود) وهو الكرم المحمود بان يكون بين طرفى افراط يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلا وقد قيل لاسرف فى خير ولا خير فى سرف فهو بذل ماينبغى فيما ينبغى كما ينبغى (والشجاعة) وهى صفة حميدة متوسطة بين التهور والجبن (والحياء) بالمد وهو انقباض عن القبيح حذرا من الذم متوسط بين وقاحة وجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها وبين الخجالة والانحصار عن الفعل مطلقا وهو محمود اذا كف عن المعصية وذمائم الخسة ومذموم اذا كف عن تحصيل الفريضة واكتساب الفضيلة والاول من الرحمن والثانى من الشيطان (والمروة) بضم الميم والراء وتشديد الواو وقد يهمز وهو الانسانية وكمال المرء بالاخلاق الزكية والتبعد عن الامور الدنية (والصمت) اى السكوت عن غير الخير لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا اوليصمت (والتؤدة) بضم ففتح همز وقد تبدل واوا وهى بمعنى التأنى وعدم العجلة لما قيل

﴿ قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل ﴾

وفى نسخة التودد من المودة اى التحبب الى الصلحاء والفقراء والضعفاء فانهم فى الاخرة ملوك وشفعاء (والوقار) بفتح الواو اى الرزانة والطمانينة وعدم الطيش والخفة (والرحمة) اى التعطف والرأفة (وحسن الادب) فانه احسن من الذهب وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تأديبى وجعل حسن الادب من جملة الاداب الشرعية لانه حالة خاصة من عموم الاحوال المرضية لحديث ان من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه (والمعاشرة)

اى المخالطة بالمخالقة على وجه الموافقة لقوله عليه الصلاة والسلام خالق الناس بخلق حسن وقوله خياركم احسنكم اخلاقا ومن كلام الشيخ ابى مدين المغربى فى حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه (واخواتها) اى اشباهها من الاخلاق الجيدة المفصلة فى نحو كتاب الاحياء والعوارف والرسالة (وهى) اى هذه الملكات النفسانية المكتسبة (التى جماعها) بكسر الجيم اى جمعها واجتماعها كذا قيل وفى الحديث الخمر جماع الاثم لانها تجمع عددا منه والاظهر ان يقال مجمعها ومجمعها (حسن الخلق) اى المحمود عند جميع الخلق وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وانك لعلى خلق عظيم وكان خلقه القرآن يأتمر باوامره وينزجر بزواجره ويرضى برضاه ويسخط بسخطه ومجمله قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال جبريل عند نزوله هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك (وقد يكون من هذه الاخلاق ماهو فى الغريزة) اى مخلوق ومودع فى السجية والطبيعة وهى بفتح غين معجمة وكسر راء مهملة ثم زاى (واصل الجبلة) اى الفطرة (لبعض الناس) اى ممن طبع عليه فى اول خلقته وابتداء نشأته ومنه قول القائل

﴿كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق اخلاقا الى حين﴾

(وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) بالرفع اى فهو يحصلها للاقتداء بغيره فيها فتصير له كالغريزة وقال الحلبى هو بالنصب جواب النفى انتهى وفيه بحث لا يخفى (ولكنه لا بد ان تكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة) اى شائبة وقطعة خلق عليها ليرجع فيما يكتسبه اليها بميل طبعه الاول فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون) اى تصير (هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد) بصيغة المفعول اى لم يقصد (بها وجه الله تعالى والدار الاخرة) اى بخلاف ما اذا اريد بها ذلك فانها صارت حينئذ قربات عند الله فيثاب عليها (ولكنها) اى الغريزة وان لم يرد بها ذلك (كلها) بالنصب اى جميعها (محاسن وفضائل) اى باعتبار افرادها (باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها) بكسر الجيم لابفتحها كما قال التلمسانى وسبقه الانطاكى لانه بمعنى المقتضى وهو لايناسب المقام كما لايخفى اى سببها وباعثها (وتفضيلها) اى وفى تفضيلها على غيرها اوبعضها على بعض اهو ذاتى اقتضته ذواتها وطبايعها او بخلق الله تعالى له فى ذواتها قولان ثانيهما هو الحق لاسناد جميع الكائنات اليه ابتداء اذهو الخالق وحده وهى ملكات محمودة مكملة للانسان وان تفاوتت النفوس بحسب الفطرة فى الكمال باعتبار زيادة اعتدال الابدان فكلما كان البدن اعدل كانت النفوس الفائضة اكمل والى الخيرات اميل وللكمالات اقبل وعكسه عكسه كما قيل الظاهر عنوان الباطن ثم لانزاع فى انها من واجبات العقل لحكمه بها من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع مؤيدا له ومقررا لحكمه بها وانما النزاع فى ان العاقل قبل وروده او بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال او يحرم بعضها بمعنى استحقاق الثواب والعقاب فى الاخرة ام لا فعندنا لا اذ لاحكم له ولا اثابة ولا تعذيب قبل وروده وعند المعتزلة نعم بناء على مسئلة الحسن والقبح كذا حققه العلامة الدلجى وقال التجانى ذهب بعضهم الى ان جميع الاخلاق سيئها وحسنها جبلة وغريزة فى العبد ليس فيها اكتساب والى هذا مال الطبرانى وحكاه عن ابن مسعود والحسن وذهب بعضهم الى ان جميع هذه الاخلاق انما هى من كسب العبد باختياره وليس فى جبلته شئ منها مخلوقا وهذا مذهب طائفة كثير من السلف وذهب الباقون الى ما ذكره القاضى وعليه المحققون وقال الانطاكى لاشك ان الانسان لااختيار له فى تغيير خلقتها الاصلية وهيئتها الجبلية فالطويل لايمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ولا على عكس هيئته واما الاخلاق المكتسبة من الجود والشجاعة والتواضع والعفة فقد تكون فى بعضهم غريزة وجبلة بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق ويولد كامل الاخلاق والاداب كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعضهم لاتكون فيه فيكتسبها بالمجاهدة والرياضة بان يحمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فيتكلف تعاطى فعل الجود ويواظب عليه فانه يصير ذلك عادة له وطبعا فيصير جوادا وكذا من اراد ان يجعل لنفسه خلق التواضع فيواظب على افعال المتواضع مدة مديدة يصير التواضع له خلقا وكذا جميع الاخلاق المحمودة يمكن تحصيلها بهذا الطريق فاذا الاخلاق الحسنة قد تكون بالطبع اعنى الفطرة وقد تكون بالتطبع اعنى باعتبار الافعال الجميلة وزعم بعض من غلبت عليه البطالة واشتغل بالمجاهدة فى تهذيب الاخلاق ان الرياضة لاتؤثر فى تغيير الاخلاق وانها طباع لاتتغير كالخلقة لكنا نقول لو كانت الاخلاق لاتتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأويلات ولما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا فى حق الادمى وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التأديب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك تغيير الاخلاق بتوفيق الملك الخلاق

﴿ فصل ﴾ اى هذا فصل فى تعداد خصال حميدة اختص بها ذاته السعيدة مجملة وتذكر فيما بعده من الفصول العديدة مقتبسة من الكتاب والسنة (قال القاضى رحمه الله تعالى) كذا فى نسخة (اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه) اى فى الفصل السابق (ووجدنا) وفى نسخة ورئينا اى علمنا (الواحد منا بشرف) بضم الراء اى يصير شريفا رفيعا وفى نسخة بصيغة المجهول من التشريف اى يكرم و يعظم وفى اخرى يتشرف اى يفتخر (بواحدة منها) اى ولو فى اقل مراتبها (اواثنتين) اى منها (ان اتفقت) اى هذه الخصلة وفى نسخة ان اتفقنا (له فى كل عصر) متعلق باتفقت والعصر مثلثة وابعد الدلجى فى تجويز تعلقه بتشرف وتقديمه وفى نسخة زيادة (واوان) عطف خاص على عام فان العصر الدهر وهو الزمان والاوان زمان مخصوص كزمان الربيع والداعى الى عطفه الخطابة فى ان كل وقت لايخلو من احد يشرف بذلك ثم مايشرف به لايخلو من ان يكون (اما من نسب) اى رفعة نسب (اوجمال) اى حسن صورة (اوقوة) اى بدنية متحملة لمزاولة افعال شاقة والقدرة اخص منها لاشتراط الارادة فيها اذ هى التمكن من اظهار القوة مع الارادة (اوعلم اوحلم اوشجاعة اوسماحة) اى جود وعطاء ومسامحة ومساهلة (حتى يعظم قدره) غاية لوصفه بما ذكر اى يرفع شانه بين الرجال (ويضرب) بصيغة المجهول اى يبين ويعين (باسمه الامثال) فيقال اجود من حاتم واعدل من نوشروان اوهو حسان زمانه اومجتهد اوانه اواشجع اقرانه اواسخى اخوانه (و يتقرر) اى يثبت (له بالوصف بذلك) اى بسبب اتصافه اى بما ذكر من الصفات (فى القلوب) اى فى قلوب الخلق من اهل الحق (اثرة) بضم همزته وكسرها وفتحها وسكون المثلثة و بفتحهما اى مكرمة يتفرد بها (وعظمة) عطف تفسير فى المعنى (وهو) اى ذلك الواحد منا (منذ) بضم ميم وتكسر بمعنى مذ (عصور خوال) اى والحال انه من ابتداء دهور خالية وازمنة ماضية (رمم) بكسر راء وفتح ميم اى رميم جمع رمة عظامه (بوال) اى بالية متفتتة اعضاؤه واجزاؤه فالمغايرة حاصلة بينهما خلاف ما فهمه الدلجى وجعلها عطف بيان كابى حفص عمر ثم اذا كان الامر كما ذكر (فاظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) اى الحميدة العديدة على وجه الكمال وهو استفهام يورث تعجبا من هذه الحالة لاسيما وهى منضمة (الى مالا يأخذه عد) اى احصاء من خصال لاتوجد الا فى الانبياء والا صفياء وارباب الكمال (ولايعبر عنه مقال) اى لا يحصره قول (ولاينال) بضم الياء اى لايحصل (بكسب ولاحيلة) اى باكتساب ولا باحتيال (الا بتخصيص الكبير المتعال) اى بطريق التفضل والهبة والجذبة والعناية من العظيم الشان فى ذاته المستعلى على كل شئ بقدرته اوالكبير عن نعت المخلوقين والمتعال عن مشابهة الامثال (من فضيلة النبوة) بيان لما وهى بالهمز بناء على انه من النبأ بمعنى الخبر لانباء الله تعالى اياه واخباره عنه سبحانه وتعالى او بتشديد الواو بناء على ابداله اوعلى انه مأخوذ من النبوة بمعنى الرفعة فان النبى عليه الصلاة والسلام رفيع الشان عظيم البرهان (والرسالة) وهى كونه واسطة بين الله تعالى وبين عباده والرسالة اخص من النبوة فان الرسول هو المأمور بتبليغ الاحكام والنبى هو الذى اوحى اليه سواء امر بالتبليغ ام لا (والخلة) بضم الخاء اى الخصلة التى يوجب الاختصاص من صفاء المودة حيث تخلل النفس وتخالطها (والمحبة) وهى مودة تشق شغاف القلب وتصل الى سويداء الفؤاد (والاصطفاء) اى بالخصائص الروحانية والجسمانية لقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (والاسراء) اى الى السماء (والرؤية) اى رؤية الله تعالى بالبصر اوالبصيرة اورؤيته من آيات ربه الكبرى لحديث البخارى رأى رفرفا اخضر فى الجنة قد سد الافق وحديث مسلم رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح ومع وجود هذه الاحتمالات فى عبارة الرؤية لايرد ماقاله الحلبى من ان المؤلف لم يترجح عنده انه عليه الصلاة والسلام رأى ولامارأى كما سيأتى ذلك وهنا قد جزم بها فهذا تناقض على انه قد يقال تردد هناك وجزم هنا والله اعلم (والقرب والدنو) اى قرب مكانة ودنو رفعة (والوحى) اى فى ذلك المكان الاعلى (والشفاعة) اى العظمى (والوسيلة) وهى منزلة فى الجنة وهى اعلى العليا (والفضيلة) اى زيادة المرتبة على العامة والخاصة من حسن المنقبة (والدرجة الرفيعة) اى فى الجنة العالية اويوم القيامة اوليلة الاسراء (والمقام المحمود) لحديث ابى حاتم يبعث الله الناس يوم القيامة فاكون انا وامتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فاقول ماشاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود انتهى و به يحصل الفرق بينه و بين الشفاعة الكبرى (والبراق) اى ركوبه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والمعراج) من الصخرة الى السماء فالى الجنة والعرش وما فوقه من المقام الاعلى وهو بكسر اوله سلم من نور من السماء الى الارض فيه تصعد الملائكة وهو الذى يمد اليه الميت بصره على ماذكره التلمسانى وقد سبق مايتعلق بالبراق فى اول الكتاب مما يغنى هنا عن الاطناب (والبعث الى الاحمر والاسود) لحديث بعثت الى الاحمر والاسود اى العجم والعرب اوالانس والجن اوالخلق كافة لحديث مسلم بعثت الى الخلق كافة (والصلاة بالانبياء)

اى بيت المقدس عند الصخرة تارة و اخرى بالسماء (والشهادة بين الانبياء والامم) اى يوم القيامة كما هو عند قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس الاية (وسيادة ولد آدم) لحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولافخر بل سيادة جميع العالم لحديث انا سيد الاولين والاخرين ولافخر (ولواء الحمد) اى المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة وقوله بيدى لواء الحمد يوم القيامة وفى الرياض النضرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عنه فقال له ثلاث شقق مابين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وعلى الثانية لااله الا الله محمد رسول الله و على الثالثة ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذوالنورين على المرتضى (والبشارة و النذارة) بكسر اولهما لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا و نذيرا (و المكانة عند ذى العرش و الطاعة ثم والامانة) اى كونه مطاعا امينا لقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين على قول بعض المفسرين (والهداية) اى القاصرة لقوله تعالى و يهديك صراطا مستقيما والمتعدية لقوله سبحانه وتعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (ورحمة العالمين) لقوله تعالى وماارسلناك الارحمة للعالمين (واعطاء الرضى) لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى (و السؤل) بضم السين وسكون الهمزة ويبدل بمعنى المسئول ومنه قوله تعالى اوتيت سؤلك ياموسى ولاشك انه افضل الخلق فهو به احق (والكوثر) وقد مر (وسماع القول) لحديث الشفاعة وقل تسمع واشفع تشفع (واتمام النعمة) لقوله تعالى ويتم نعمته عليك (والعفو عما تقدم وتأخر) وفى نسخة وماتأخر لقوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) لقوله تعالى الم نشرح لك صدرك و وضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك (وعزة النصر) لقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا (ونزول السكينة) وهى الطمانينة (و التأييد) اى التقوية (بالملائكة) لقوله فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها اى بملائكته يوم بدر وحنين والاحزاب وعن كعب قال ما من فجر يطلع الانزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم و يصلون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج فى سبعين الفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه وفى صحيح الدارمى نحوه (وايتاء الكتاب و الحكمة) لقوله تعالى و انزل الله عليك الكتاب والحكمة (والسبع المثانى و القرآن العظيم) لقوله تعالى و لقد آتيناك سبعا من المثانى و القرآن العظيم (و تزكية الامة) اى امته يوم القيامة لقوله تعالى ويزكيهم اى اذا شهدوا للانبياء حين انكرت اممهم التبليغ و الانباء (و الدعاء الى الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه (و صلاة الله و الملائكة) اى وملائكته عليه لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى (و الحكم بين الناس بما اراه الله) اى بما اعلمه الله وبين حكمه والهمه لقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله (ووضع الاصر) بكسر الهمزة قيل وتضم اى حط العهد الثقيل والتكليف الوبيل وقيل المراد به العقوبة من نحو المسخ (والاغلال) اى العبادات الشاقة (عنهم) اى عن امته لقوله و يضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وهى جمع غل وهو ما يوضع فى العنق شبه ماكان لازما لهم من مشاق الاعمال بالاغلال (والقسم باسمه) اى الحلف بعمره لقوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (واجابة دعوته) اى فى مواطن كثيرة كبدر اذ قال اللهم انجزلى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم (وتكليم الجمادات) لحديث البخارى انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل الحجر المركوز فى جدار زقاق الحجر (والعجم) بضم فسكون جمع العجم وهو من الحيوان مالايقدر على الكلام ومنه الحديث اذا ركبتم هذه الدواب العجم وحديث العجماء جبار اى وتكليم البهايم كنطق الضب والظبى والجمل و حماره عليه الصلاة والسلام الذى قال له اسمى يزيد بن شهاب حين قال له يعفور (واحياء الموتى) اى المعنوية و الحسية لما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قفل من غزاة فات بعير بعض اصحابه دعا الله فاحياه حتى ركبه الى المدينة ثم مات وكماروى فى قصة البنت التى طرحها ابوها فى الوادى فماتت (واسماع الصم) كامره صلى الله تعالى عليه وسلم الحجارة ان يجتمعن لقضاء حاجته فتعاقدن حتى صرن ركاما على مافى الصحيح (ونبع الماء من بين اصابعه) لمافى البخارى عن جابر فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه (وتكثير القليل) لحديثى انس فى قصة ابى طلحة وزاد فى البخارى فانه امر بما بقى منه فجيئ بقليل منه فدعا و برك فيه فكثر حتى ملؤا كل وعاء معهم وانشقاق القمر قال انس سأله قريش آية فانشق مرتين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انفلق فلقتين ذهبت فلقة و بقيت فلقة وعن ابن مسعود رأيت حراء عليه فلقتى القمر (ورد الشمس) اى فى الخندق وصبيحة الاسراء واماماذكره التلسانى من انها وقفت ليلة الاسراء او زيد فى كمية الليل فلايصح بل هو من بسط الزمان من غير تغير فى ظاهر العيان (وقلب الاعيان) اى

الذوات الثابتة لحديث عكاشة كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر عصا فصارت بيده سيفا صارما (والنصر بالرعب) بسكون العين و يضم اى بالخوف لقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ولحديث نصرت بالرعب (والاطلاع على الغيب) اى اطلاعه على بعض المغيبات لحديث خروج الدجال والدابة و غيرهما فالاطلاع بتشديد الطاء وهو مطاوع الاطلاع بالتخفيف لان الله عزوجل هو الذى اطلعه و يمكن ان يكون هنا بالتخفيف والتقدير اطلاع الله اياه واما قول التلمسانى و لايشدد لفساد المعنى فغفلة عن تحقيق المبنى (وظل الغمام و تسبيح الحصى) اى فى كفيه الكرام (و ابراء الالام) لاحاديث بها رواها الاعلام والالام جمع الالم والله اعلم (والعصمة من الناس) لقوله تعالى و الله يعصمك من الناس (الى) اى منتهية هذه الفضائل البهية الى (مالايحويه محتفل) بكسر الفاء اى لايشمله جامع مهتم بجمعه لكثرة افراده (و لايحيط بعلمه الامانحه) اى معطيه صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ومفضله) اى ولايحيط بعلمه الامفضله على غيره (به لااله غيره الى) اى منضمة هذه الى (ماأعد له فى الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس) بضم وبضمتين اى المنزهة عن النقصان والزوال فى الجنة العالية (ومراتب السعادة والحسنى) اى و المثوبة الحسنى ممالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (والزيادة التى تقف دونها العقول و يحار) بفتح الياء اى يتحير فى معرفتها و يجبل احاطتها (دون ادانيها) اى عند اوائلها فضلا عن اقاصيها وفى نسخة عندادراكها (الوهم) اى اوهام الخواص والعوام ولعلها رؤية الملك العلام لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة و قد جاء تفسيرها فى الحديث الصحيح بالرؤية رزقنا الله تعالى تلك السعادة و ختم لنا بالشهادة قال التلمسانى وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه و سلم حاز خصال الانبياء كلها واجتمعت فيه اذ هو عنصرها ومنبعها فاعطى خلق آدم ومعرفة عيسى وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضى اسحق و فصاحة صالح وحكمة لوط و بشرى يعقوب وجمال يوسف وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال و وقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمس صلى الله تعالى عليه و سلم فى جميع اخلاق الانبياء عليهم الصلاة و السلام ليقتبسوها منه وقد افصح بذلك البوصيرى حيث قال

﴿ فكل آى اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم ﴾

﴿ فصل ﴾ اى فى جمل من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان قلت اكرمك الله) جملة دعائية معترضة بين القول ومقوله (لاخفاء على القطع بالجملة) اى بطريق الاجمال فى التفضيل لابطريق التفصيل اذقد يتوهم عدم القطع بان يوجد فى غيره نعت له بالخصوص يكون اعلى وبهذا تبين ان لايصح قول الدلجى فضلا عن القطع بالتفصيل (انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدرا) اى مرتبة (واعظمهم محلا) اى منزلة وكان الاحسن كما قال الدلجى ان يقال اعظمهم قدرا واعلاهم محلا اذ العظمة بالقدر اليق والعلو بالمحل اوفق (واكملهم محاسن وفضلا) والمنصوبات كلها تمييزات (وقدذهبت) خطابا للمصنف من جملة المقول حالية معترضة بين الشرط والجزاء اى وقد سلكت (فى تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) اى طريقا حسنا من كمال جماله (شوقنى) اى هيجنى واقلقنى (الى ان اقف عليها) اى اطلع على خصال الكمال (من اوصافه) اى شمائله وفضائله (تفصيلا) اى تبيينا وتفريعا فصلا فصلا (فاعلم) خطاب خاص اوعام لمن يصلح له (نور الله قلبى وقلبك وضاعف فى هذا النبى الكريم حبى وحبك) جملة دعائية معترضة بين العامل ومعموله وهو (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة) اى غير مستفادة (وفى جبلة الخلقة) عطف على غير اى فى اصل الخلقة وجبلة الطبيعة والاضافة بيانية (وجدته) اى صادفته (صلى الله تعالى عليه وسلم حائزا) بالحاء اى حاويا وجامعا (لجميعها محيطا بشتات محاسنها) اى متفرقاتها (دون خلاف) اى بلاخلاف (بين نقلة الاخبار) اى الاحاديث والاثار (لذلك) اى لماذكر من حيازته جميع خصال الابرار (بل قدبلغ بعضها مبلغ القطع) اى بسبب التواتر المعنوى ثم خصال كماله انواع كما فصله المصنف بقوله (اما الصورة) اى الصورة النبوية (وجمالها) اى و جمال تلك الصورة الخلقية (وتناسب اعضائه فى حسنها) اى ممالم يتصور ان تكون كسبية بل هى خلقية وهبية (فقدجاءت الاثار الصحيحة والمشهورة) اى المستفاضة (الكثيرة) نعت لهما (بذلك من حديث على وانس بن مالك وابى هريرة) واسمه عبدالرحمن على الصحيح من ثلاثين قولا ومنع هريرة من الصرف مع انه لبس فيه من العلل الا التأنيث لان العلم الاضافى قد ينزل منزلة كلمة و يجرى عليه احكام الاعلام (و البراء بن عازب) وهما صحابيان انصاريان (وعايشة ام المؤمنين و ابن ابى هالة) اى من خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه هند شهد بدرا اوقتل مع على كرم الله وجهه يوم الجمل (وابى جحيفة) بضم جيم وفتح حاء (وجابر بن سمرة) بفتح وضم (وام معبد) بفتح الميم والموحدة عاتكة بنت خالد وهى التى نزل عليها النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم حين هاجر الى المدينة وكان منزلها بقديد مصغرا (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما اى عبدالله (ومعرض ابن معيقيب) بتشديد الراء المكسورة والتصغير فى معيقيب وقال التلمسانى معرض بكسر الميم وفتح الراء وهو مخالف للاصول المصححة والحواشى المصرحة (وابى الطفيل) مصغرا واسمه عامر بن واثلة مات بمكة وهو آخر من مات من الصحابة فى الدنيا شيعى تفضيلى (والعداء بن خالد) بفتح عين وتشديد دال مهملتين ممدودا (وخريم بن فاتك) بكسر التاء وتصغير خريم بالخاء المعجمة والراء (وحكيم بن حزام) بكسر الحاء وبالزاى ولد فى الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ولا يعرف احد ولد فى الكعبة غيره على الاشهر وفى مستدرك الحاكم ان على بن ابى طالب كرم الله وجهه ولد ايضا فى داخل الكعبة عاش مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام روى انه لما حج فى الاسلام اهدى مائة بدنة مجللة بالحبر واهدى الف شاة ووقف بمائة وصيف بعرفة فى اعناقهم اطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله (وغيرهم) اى ومن حديث غيرهم (رضى الله تعالى عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ازهر اللون) اى نيره وحسنه ومنه زهرة الحياة الدنيا اوابيضه لحديث ابيض مشرب حمرة وهو افضل الوان البياض ومعنى قوله ليس بالابيض الامهق ولا بالادم بل هو ازهر وهو بين البياض والحمرة وقيل معنى ازهر ما قابل السمرة وابيض ماسواه ودليله قول عائشة رضى الله تعالى عنها كنت ادخل الخيط فى الابرة حال الظلمة لبياض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قول ابى طالب فى مدحه عليه الصلاة والسلام

﴿ وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل ﴾

(ادعج) اى شديد سواد الحدقة (انجل) بالنون والجيم اى ذا نجل بفتحتين وهو سعة شق العين مع حسنها (اشكل) اى فى بياض عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب ففسره فى مسلم بانه طويل شق العين (اهدب الاشفار) اى كثير شعر حروف اجفان عينيه وهو الهدب جمع شفر بضم وفتح وهو شفير حرف العين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا ان الله تعالى لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق يعنى من المسلمين قال التلمسانى والظاهر انه لا يعذبهم وهم فى تلك الصورة بل يسود وجوههم ويزرق اعينهم كما يدل عليه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (ابلج) بالموحدة والجيم اى ابلج الوجه وهو مشرقه ولم يرد ابلج الحاجبين اى نقى ما بينهما لحديث ام معبد فى دلائل البيهقى وغيره انها وصفته بانه ابلج الوجه اقرن اى متصل الحاجبين (ازج) بالزاى والجيم المشددة اى دقيق شعر الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس (اقنى) اى مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها هذا والمشهور انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اشم الانف اى مرتفع قصبته مع استواء اعلاه قال فى الصحاح فان كان فيها احديداب فهو القنى وقد يجمع بينهما بان ارتفاعها كان يسيرا جدا من رآه متأملا عرفه اشم ومن لم يتأمله ظنه اقنى (افلج) بالفاء والجيم اى متباعد ما بين ثناياه وقلته ممدوحة (مدور الوجه) اى لكن الى الطول اميل لما ورد فى شمائله ان وجهه لم يكن مدورا وقد يشبه تدوير الوجه بالدينار لاستواء دائرته (واسع الجبين) وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال فهما جبينان فيما بين الحاجبين (كث اللحية) بتشديد المثلثة اى كثير شعرها بحيث (تملأ صدره) اى ما يقابلها مع قصر فيها وانبساط اذ كان يأخذ منها مازاد على القبضة وربما كان يأخذ من اطرافها ايضا والحاصل انه لم يكن كوسج ولا خفيف اللحية ولا مقصوصها غير نازلة الى صدره وقال التلمسانى روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سعادة المرء خفة عارضيه ويروى لحيته ومعناه انها لا تكون طويلة فوق الطول وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وعن الحسن بن المثنى انه قال اذا رأيت رجلا ذا لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان فى عقله شئ وقيل ما طالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله مقدار ما طال من لحيته ومنه قول الشاعر

﴿ اذا كبرت للفتى لحية * فطالت وصارت الى سرته ﴾

﴿ فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ما طال من لحيته ﴾

(سواء البطن والصدر) بالاضافة اليهما ونصب سواء اى كان مستويهما تلويح باعتدالهما خلقا واشعار بان خروجهما او احدهما عن الاعتدال بروزا او تطامنا ليس بمحمود وروى برفع سواء منونا مع رفع البطن والصدر (واسع الصدر) اى حسا ومعنى اذ وسع كل احد شفقة وحلما (عظيم المنكبين) بكسر الكاف تثنية المنكب وهو مجمع عظم العضد والكتف (ضخم العظام) اى غليظها مطلقا وخصوصا كان (عبل العضدين) مثنى عضد بفتح وضم هو الصحيح وهو الساعد من المرفق الى الكتف والعبل بفتح عين وسكون موحدة اى ضخمهما وكذا قوله (والذراعين) وهو ما بين مفصل الكف والمرفق (والاسافل) اى الفخذين والساقين وهذا كله مما يؤذن بكمال قوته لحديث البخارى

انه اعطى قوة ثلاثين رجلا (رحب الكفين) بفتح الراء وسكون الحاء اى واسعهما صورة ومعنى اذ وسع كل واحد عطاء
وقال الدلجى فى نوع الترشيح من بديعيته

﴿ عمّ الورى بيد سحاء يرشحها * عطاؤه لبس يخشى الفقر من عدم ﴾

(القدمين) اى واسعهما طولا وعرضا (سائل الاطراف) اى تام الايدى والارجل والاصابع طويلها وهو بالسين المهملة وروى بالمعجمة (انور المتجرد) بفتح الراء المشددة اى كان ما تجرد من بدنه اشرق من غيره (دقيق المسربة) بفتح ميم وسكون سين مهملة وضم راء وقال التلمسانى و بفتحها وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة ودقيق بالدال قال التلمسانى ويجوز فيه الراء قلت بينهما فرق دقيق (ربعة القد) بفتح الراء وسكون الموحدة اى مربوع القامة كما رواه البيهقى وابن ابى حيثمة فى تاريخه (لبس) اى هو وقده (بالطويل البائن) اى المفرط فى الطول من بان بمعنى بعد او ظهر (ولا بالقصير المتردد) بكسر الدال وهو الذى كانه تردد بعض خلقه على بعض من قصره والجملتان بيان لما قبلها (ومع ذلك) اى مع كونه ربعة (فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله) اى غلبه النبى (عليه الصلاة والسلام) فى الطول مزية خص بها لئلا يحاليه لم يكن احد عند ربه افضل منه لا صورة ولا معنى (رجل الشعر) بكسر الجيم وبفتح وقد يسكن وبفتح العين وتسكن اى بين الجعودة والسبوطة (اذا افتر) بتشديد الراء اى اذا ابدى اسنانه حال كونه (ضاحكا) اى متبسما (افتر) اى انكشف (عن مثل سنا البرق) بقصر سنا وقد يمد وقيل بالقصر النور وبالمد الشرف والعلو اى يشبه ضوءه (وعن مثل حب الغمام) اى السحاب وهو البرد بفتحتين يعنى مثله فى البياض والصفاء وامتزاج الماء فهو بهذا الاعتبار العالى اولى من تشبيه الاسنان باللآلئ ثم التشبيه الثانى ابلغ من الاول فتأمل وقد ابعد الدلجى فى تفسير حب الغمام بقطراته ثم قال شبه بياض ثغره فى صفائه ونقائه بضوء البرق وما يطفو على ثنا ياه من ريقه بقطرات الغمام تشبيها بليغا انتهى موهما ان التركيب من التشبيه البليغ ولبس كذلك كما لايخفى على ارباب المعانى والبيان وقيل اول مايضحك تلألأ كالبرق وان بدت اسنانه فهو كالبرد (اذا تكلم رئى) بكسر راء وسكون ياء فهمزة مفتوحة وروى رئى بتقديم الهمز مجهولا من الرؤية وهو ظاهر ولعل الاول من قبيل القلب دخل فيه الاعلال قال التلمسانى وهو الافصح والمعنى ظاهر (كالنور) اى شئ مثل النور (يخرج من ثناياه) اى يبدو منها اومن سناها بكثرة بياضها وشدة صفائها او ايماء الى درر كلماته وغرر بنائها والحديث رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى (احسن الناس) بالنصب عطفا على ماسبق ويجوز ان يكون بالرفع على ان التقدير هو احسن الناس (عنقا) اى جيدا لاعتداله فى كماله (لبس بمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة اى لم يكن مدور الوجه على ما فى الصحاح وغيره وقيل هو السمين الفاحش وقيل المنتفخ الوجه وقيل النحيف الجسم (ولا بمكلثم) بفتح المثلثة اى لايجتمع لحم الوجه بل مسنون الوجه والحاصل انه لم يكن وجهه مفرطا فى الاستدارة واما حديث على وفى وجهه تدوير فمعناه ان فيه نوع تدوير اى قليلا منه وابعد اليمنى فى قوله يريد عنقه اى لبس بمدور ولا بمجتمع بل انه مستطيل (متماسك البدن) اى لبس برهل ولامسترخ لحمه بل يمسك بعضه بعضا ويقويه ويشده (ضرب اللحم) اى خفيفة ولطيفة لايابسة وكثيفة وقيل هو اللحم بين اللحمين لا بالناحل ولا بالمطهم (قال البراء) بن عازب اى كما رواه الشيخان وغيرهما (مارأيت من ذى لمة) بكسر لام وتشديد ميم وهى من شعر الرأس مايجاوز شحمة الاذن ويلم بالمنكبين (فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ظاهره انها ثوب واحد بشهادة وصفها بحمراء مع اتفاق اهل اللغة انها لاتطلق الاعلى ثوبين بشهادة حديث وعليه حلة اتزر باحداهما وارتدى بالاخرى ولك ان تجيب بان وصفها باعتبار لفظها لا باعتبار معناها وكفى به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا كراهة كالشافعى ومالك رحمهما الله تعالى كذا ذكره الدلجى وفى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء بردا وغيره ولاتكون حلة الا من ثوبين اوثوب له بطانة وكذا قال الخليل وغيره لان كل واحد يحل على الآخر او على الجسم وقيل الثوب الجديد الذى يحل من طيه فاندفع دعوى اتفاق اهل اللغة على الاطلاق بل قال الحجازى ان هذا الحديث يرد عليهم انتهى ولبس فى الحديث الذى استشهد به دلالة الاعلى احد استعمال الحلة واما كون هذا الحديث دليلا كافيا لتجويز لبس الاحمر فهو كاف مع قطع النظر عما ورد فيه انواع من الخبر والاثر مما يدل على كراهة لبسه فى الحضر والسفر مع ان الحديث لبس فيه تصريح انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس الاحمر بل يدل على انه مارأى من كان صاحب لمة ولابس حلة حمراء مع ان الحسن فى تلك الحالة على غاية من الصفاء فنفى ان يكون احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اى لبس كان او على تقدير لابسه ثم على تسليم لبسه يحمل على بيان الجواز وان النهى وارد على سبيل الكراهة لا التحريم اوانه قضية واقعة يحتمل وقوعها قبل النهى مع انه قد قال الثوب الذى فيه خطوط حمر كثيرة انه احمر فتدبر فان الجمع بين الاحاديث المتعارضة هو المعتبر وقد قال ابو عبيد الحلل برود اليمن ثم الدليل المبيح والمحرم اذا اجتمعا يقدم دليل المحظور مع انه يكفى فى دليل

امتناعه التشبه بالنساء ولاشك ان تركه احوط فى حق الرجال العقلاء ومع وجود هذه الانواع من الاحتمال كيف يكفى للاستدلال والله تعالى اعلم بالحال واغرب الا نطاكي الحنفى حيث قال فى حاشيته وفى هذا دليل على جواز لبس الاحمر للرجال وادعى النووى الاجماع على جواز لبسه فى المهذب انتهى ولا يخفى ان دعوى الاجماع باطلة مع وجود مخالفة الامام الاعظم فى المسئلة وغيره من الائمة ولعله اراد به الاتفاق فى مذهبه والله تعالى اعلم بمقالة ومشربه هذا وقد قال التجانى وقد اختلف السلف الماضون فى ذلك فكره بعضهم لبسها هي والمصبوغة بالصفرة واجازهما قوم آخرون وفرق بعضهم فى هذا بين المشبع فى الصبغ وغير المشبع فاجاز مالم يكن مشبعا وكره ما اشبع صبغه ورأى آخرون ان ما اتخذ من هذه الثياب للمهنة جاز مطلقا وما اتخذ للباس كره ودليل الاولين ماورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يتعصفر الرجل او يتزعفر وروى فى الصحيح عن ابن عمر قال رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال القهما فانها ثياب الكفار وقال ابراهيم الخزاعى حدثتنى عجوز قالت كنت ارى عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأى على الرجل الثوب المعصفر ضربه وقال دعوا هذه الثياب للنساء واما ماذكره التجانى من نسبة عدم الكراهة لابي حنيفة فغير صحيح والله تعالى اعلم (وقال ابوهريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والمساواة منفية ايضا بالمشاهدة العرفية (كان الشمس تجرى فى وجهه) ان يتوهج كتوهج الشمس لحسنه وصفائه وبهاء ضيائه وقال التلمسانى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هبط علىّ جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت نور وجهك من نور عرشى (واذا ضحك يتلألأ) بهمزتين اى تلمع ثناياه كاللآلى (فى الجدر) بضمتين جمع الجدار وهو حائط الدار رواه احمد والترمذى وابن حبان (وقال جابر بن سمرة رضى الله عنه كما رواه الشيخان وغيرهما (وقال) اى والحال انه قال (له رجل كان) وفى رواية اكان (وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال) اى جابر (لا) اى لقصور ضيائه واحتمال فناء صفائه ولتوهم طول بسائه (بل مثل الشمس والقمر) اى بل كان نظيرهما لاشتمالهما على كمال النور وعلى نوع من الاستدارة فى مقام الظهور ولذا قال تصريحا بما فهمه تلويحا (وكان) اى وجهه (مستديرا) اى لامستطيلا فلا ينافى ميلانه الى الطول (وقالت ام معبد فى بعض ماوصفته به) اى من رواية البيهقى فى دلائله عن اخيها حبيش بن خالد عنها (اجمل الناس) اى اتمهم جمالا وحسنا صوريا (من بعيد واحلاه) اى احلى الناس وافرد لانه اسم جنس فروعى لفظه دون معناه وكذا قوله (واحسنه من قريب) اى تبين حلاوة ملاحته وطراوة فصاحته (وفى حديث ابن ابى هالة) اى الاتى (يتلألأ) اى يضئ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر خص به لانه زمان كماله وسمى بالبدر لمبادرته الشمس للغروب ليلة تمامه ومبادرتها اياه للطلوع فى صباحه (وقال على رضى الله تعالى عنه) على ما فى جامع الترمذى وشمائله (فى آخر وصفه) اى نعت على له صلى الله تعالى عليه وسلم (من رآه بديهة) اى مفاجأة من غير روية كناية عن اول الوهلة (هابه) اى خافه مخافة العظمة ووقع فى قلبه منه المهابة (ومن خالطه معرفة) اى من حيث عرف ماكان عليه من حسن العشرة ودوام البشاشة فنصبها على التمييز وابعد التلمسانى فى جعلها مفعولا له اوحالا (احبه يقول ناعته) اى واصفه (لم ار) احدا من الناس (قبله ولابعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكرم شمائله وشرف فضائله والمراد من قوله قبله اى قبل وجوده ولابعده استيفاء زمانه والا فعلى كرم الله وجهه اصغر سنا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا اذا كانت الرؤية بصرية واما اذا كانت علمية فلا اشكال والله اعلم بالحال (والاحاديث فى بسط صفته) اى تفصيل نعوته (مشهورة) اى عند المحدثين (كثيرة) اى عند المؤرخين (فلانطيل) اى الكتاب (بسردها) اى بذكرها متصلة مفصلة فى الابواب (وقد اختصرنا) اى اوردنا على وجه الاختصار (فى وصفه نكت) وفى نسخة على نكت (ماجاء فيها) بضم النون وفتح الكاف جمع نكتة اى لطائف ودقائق ماورد فى تلك الاحاديث (وجملة) اى واوردنا جملة مجملة (بما فيه الكفاية) ومن بيانية اوتبعيضية (فى القصد الى المطلوب) اى من وصف المحبوب (وختمنا هذه الفصول) اى الكافلة باعتبار كل فصل بابراز ماورد فى وصفه وفضله (بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شاء الله تعالى)

﴿ فصل ﴾

(واما نظافة جسمه) اى لطافة بدنه (وطيب ريحه) اى الخارج منه (وعرقه) اى وطيب عرقه وهو بفتحتين رطوبة تلحق الانسان بسبب حرارة اوغيرها (ونزاهته) اى تباعده وبراءته (عن الاقذار) بالذال المعجمة اى الاوساخ والادناس الحسية والمعنوية بل كما قيل عن الانجاس الحقيقية (وعورات الجسد) اى ونزاهته عن عيوب توجد فى اجساد الناس مما يشين الانسان والعورة بسكون الواو ويحرك مأخوذة من العار الذى يلحق الذم بسببه كنقص فيه وخلل فى عضو منه

(فكان قد خصه الله فى ذلك) اى ماذكر (بخصائص لم توجد فى غيره) الجملة صفة كاشفة لماقبلها (ثم تممها) اى كل تلك الخصائص الحسية (بنظافة الشرع) اى بلطائف الاداب الشرعية والخصائص المعنوية التى من جملتها قوله (وخصال الفطرة) وهى اصل الخلقة فان الله تعالى خلق عباده قابلين للحق حتى لوخلوا وماخلقوا عليه لاهتدوا به كما ورد حديث كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وقال ابو بكر بن العربى هى عبارة عن اصل الخلقة فان الانسان يخلق سليما من عشرة اقذار ثم تطرأ عليه ثم امر بالتنظيف منها اوالمراد بالفطرة هى الاسلام والمذكورة فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة ولذلك اتى بالالف واللام للمعهود علما كقوله تعالى اذهما فى الغار وان لم يتقدم لهاذكر فقد علم ضرورة فالمعنى خصال دنية (العشر) اى خصوصا لما فى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب بن شيبة راويه ونسيت العاشرة الاان تكون المضمضة وقال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء وروى ابوداود نحوه الا انه قال بدل انتقاص انتضاح وفى رواية انتفاض بفاء وضاد معجمة وكلها كناية عن الاستنجاء هذا وحلق اللحية منهى عنه واما اذا طالت زيادة على القبضة فله اخذها هذا وقال المؤلف فى شرح مسلم ولعل العاشرة الختان لانه مذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة خمس اوخمس من الفطرة قلت فاذن يعد المضمضة والاستنشاق خصلة واحدة لاتحاد حكمهما والله تعالى اعلم (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى قال بدون واو (بنى الدين على النظافة) اى الطهارة الباطنة والظاهرة وهذا الحديث وان قال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم اجده هكذا بل فى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضى الله عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود رضى الله عنه النظافة تدعو الى الاسلام انتهى فقد روى الرافعى فى تاريخه بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه بعض حديث مرفوعا تنظفوا بكل مااستطعتم فان الله تعالى بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف وينصره حديث الترمذى ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا افنيتكم (حدثنا سفيان بن العاص) بتثليث سين سفيان سمع الباجى وابن عبدالبر وغيرهما واخذ عنه المصنف واكثر (وغير واحد) اى كثيرون من مشايخنا (قالوا حدثنا احمد بن عمر) صاحب كتاب الاعلام باعلام النبى عليه السلام (حدثنا ابو العباس الرازى) وهو ابن بندار الخراسانى (حدثنا ابواحمد الجلودى) بضم الجيم بلا خلاف ذكره الدلجى وغيره وقال التلمسانى بضم الجيم وفتحها منسوب لجلود قرية ببغداد وقيل بالسام سكة نيسابور الدارسة وقيل بافريقية وقيل كان يبيع الجلود وكان شيخا صالحا نيسابوريا ينتحل مذهب سفيان الثورى (حدثنا ابن سفيان) اى المروزى او النيسابورى (حدثنا مسلم) اى النيسابورى صاحب الصحيح روى عن احمد بن حنبل وغيره وعنه الترمذى وابن خزيمة وابوعوانة وغيرهم (حدثنا قتيبة) هو ابن سعيد الثقفى البلخى يكنى ابا رجاء سمع الليث ومالكا وابن عيينة وغيرهم (حدثنا جعفر بن سليمان) الضبعى سمع ثابتا البنانى ومالك بن دينار وروى عنه ابن المبارك قيل مع كثرة علمه كان اميا (عن ثابت) هو ثابت كاسمه وهو ابن اسلم البنانى بضم الموحدة يروى عن انس وابن عمر وابن الزبير وخلق وعنه الحمادان وامم وكان رأسا فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته اعبد منه اخرج له الجماعة وهو ثقة بلا مدافعة (عن انس) خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جاوز عمره المائة وكذا اولاده وفى الصحابة من اسمه انس اثنان وعشرون وفيهم انس ابن مالك اثنان هذا وهو المشهور وانس ابن مالك ابو امية القشيرى وقيل الكعبى وانتقل انس الى البصرة فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ليفقه الناس بها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (قال ما شممت) بكسر ثانيه ويفتح (عنبرا) هو شئ لفظه البحر اى رمى به ويقال انه روث دابة من دواب البحر ولا يصح واصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند الاالزعفران والعنبر واجود العنبر هو المدور الابيض كبيض النعام اودون ذلك (قط) اى فيما مضى من عمرى وهو بفتح قاف وتشديد طاء مهملة مضمومة وتنون وهى للابد الماضى وقد تكسر الطاء ويضمان وتخفف الطاء مع ضمها واسكانها (ولا مسكا) واطيب المسك ماخرج من الظباء بعد بلوغ النهاية فى النضج وغزلان المسك نوع خاص من الظباء (ولاشيئا) اى آخر من انواع الطيب (اطيب) اى افيح (من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وتتمته ولامسست قط ديباجا ولاحريرا ولاشيئا الين لمسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث كما ترى فى مسلم وكذا فى الشمائل (وعن جابر بن سمرة) اى فيما رواه مسلم ايضا عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي احدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدي فوجدت ليده بردا
اوريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا في مسلم اوريحا بالف وكثيرا ما يوجد بدونها فلعله رواية فيه ولهذا رواه بلفظ
(انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) اى جانب وجهه مما يلي الوجنة من الاسفل (قال فوجدت ليده بردا اوريحا
كانما اخرجها من جونة عطار) وهو بضم الجيم وسكون الواو وقد تهمز اوهمزتها اصلية وقد تبدل لانها تحذف
كما قاله الدلجي وهي سفط مغشي بجلد يجعل فيه العطار طيبه والعطار فعال نسبة لا مبالغة (قال غيره) اى غير جابر
ابن سمرة (مسها بطيب اولم يمسها يصافح) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (المصافح) اى له (فيظل) بفتح ظاء معجمة
وتشديد لام يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ففي الكلام تجريد اوتأكيد وقد يجيء بمعنى دام وصار والمعنى فيصير
ذلك المصافح له (يومه) اى طول نهاره (يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي) اى مثلا (فيعرف) بصيغة المجهول اى
فيميز (من بين الصبيان) بكسر الصاد وبضم جمع الصبي (بريحها) اى بسبب ريح يده صلى الله تعالى عليه وسلم على
رأس ذلك الصبي (ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه مسلم (في دار انس) اى على فراش امه ام سليم
بضم السين بنت ملحان بكسر الميم وقيل بفتحها واما ما وقع في بعض كتب الشافعية ان ام سليم جدة انس رضي الله عنه
فخطأ (فعرق) بكسر الراء (فجاءت امه) اى ام انس (بقارورة) اى باناء من زجاج (تجمع فيها عرقه) اى تبركا
وتطيبا (فسألها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) اى عن جمعها اياه المستفاد من الفعل (فقالت نجعله في طيبنا
وهو) اى طيبه اوطيبنا باختلاط طيبه (من اطيب الطيب) بل اطيب الطيب وفي رواية نرجو بركته لصبياننا زاد
البخاري فاوصى انس ان يجعل منه في حنوطه قال الدلجي وانما نام على فراشها لانها واختها ام حرام كما في الكمال
المصنف خالتاه من الرضاعة وانكر فان صح ففي الحديث جواز الخلوة بين بينها وبينه محرمية اوالنوم عندها لعصمته
صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وهو غريب اذ ليس في الحديث ما يدل على وقوع الخلوة مع ان جوازها مع المحرم
لا يعرف له خلاف وقد ورد لا يخلون رجل بامرأة ثيب الا ان يكون ناكحا اوذا محرم ثم قوله لعصمته ينافي ما استدل به
على جوازه لكونها علة لاختصاصه فكان حقه ان يقول والا اى وان لم يصح فالنوم عندها لعصمته صلى الله تعالى
عليه وسلم هذا وفي صحيح مسلم انه كان يدخل بيت ام سليم وينام على فراشها اذا لم تكن فيه فجاء ذات يوم فنام عليه فاتت
فقيل لها هذا النبي نائم على فراشك فجاءت وقد عرق الحديث (وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر)
اى ابن عبد الله صحابيان انصاري آخر من مات بالمدينة من الصحابة وعنه استغفر لي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم خمسا وعشرين استغفارة كل ذلك اعده بيدي يقول اديت عن ابيك دينه فاقول نعم فيقول يغفر الله لك (لم يكن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر في طريق) اى من طرق المدينة وغيرها (فيتبعه) بتخفيف التاء وفتح الباء وبتشديد
التاء وكسر الباء ويرفع وينصب اى فيجيء عقبه (احد الاعرف) اى ذلك الاحد (انه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
(سلكه) اى دخل ذلك الطريق ومر به (من طيبه) متعلق بعرف اى من اجل طيبه وبسببه وروى البزار وابو يعلى
بسند جيد عن انس رضي الله عنه كان اذا مر في الطريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا الطريق (وذكر اسحق بن راهويه) بضم هاء ثم فتح باء وتاء على الصحيح وهو مروزي عالم
خراسان روى عنه الجماعة الا ابن ماجه (ان تلك) اى الرائحة (كانت رائحته) بالنصب وفي نسخة ان تلك رائحته
اى في اصل خلقته (بلا طيب) اى من غير استعمال طيب في ثوبه او بدنه وروى ابن ابي بكر في سيرته ان ام سلمة وضعت
يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته فمكثت جمعا لا آكل ولا اتوضأ الا وجدت ريح المسك
بين يديها (وروى المزني) بضم ميم وفتح زاي فنون وياء نسبة مصري كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا
قال الشافعي رحمه الله في حقه لو ناظر الشيطان لغلبه له تصانيف كالمبسوط والمختصر وغيرهما وصنف كتابا مفردا
على مذهبه لا على مذهب الشافعي وهو مدفون بالقرافة بالقرب من قبر الشافعي وفي نسخة صحيحة الحربي وهو بحاء
مهملة وباء موحدة وهو ابراهيم ابن اسحق حنبلي المذهب اصله من مرو ونسب الى الحربية وهي محلة معروفة ببغداد
وهي تنسب الى حرب بن عبد الله صاحب المنصور (عن جابر اردفني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اركبني (خلفه)
الردف بكسر الراء من يركب خلف راكب يقال اردفني وردفني (فالتقمت خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها يقال
لقمه والتقمه اى ادخله في فمه كاللقمة والمراد بخاتم النبوة الذي كان كالتفاحة اوبيضة الحمامة اوكزر الحجلة بين
كتفيه وقد اوضحته في شرح الشمائل (بفمي) وفي نسخة بفي بكسر الفاء وتشديد الياء وذكره من باب التأكيد
كقولهم رأيت بعيني وسمعت باذني (فكان) اى الخاتم (ينم) بكسر النون وتضم وبتشديد الميم اى يجلب الريح ويفوح
(على مسكا) اى ريح مسك اوكمسك ومنه النميمة والطيب نمام اى يفوح وان لم يرد صاحبه ذلك والزجاج كذلك

لان المرآة ترى للانسان ما فيه من حسن او قبح ولا تستر شيئا وفى المثل انم من الزجاج وفى رواية بثج بضم مثلثة وقد تكسر اى يسيل تشبيها له بثج دماء الهدى اى سيلانها بسرعة ومعناه ههنا يفوح وتسطع رائحته بكثرة هذا وقد جمع بعضهم من اردفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغ نيفا وثلاثين ولم يذكر منهم جابرا (وقد حكى بعض المعتنين) اسم فاعل من الاعتناء اى المهتمين (باخباره وشمائله) اى سيره وآثاره (صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط) اى يريد اخراج الغائط وهو ما يبرز من ثفل الطعام من المحل المعتاد و يطلق على المطمئن من الارض كما فى قوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط (انشقت الارض فابتلعت غائطه و بوله وفاحت) بالفاء وفى نسخة بالباء الموحدة بدل الفاء اى ظهرت (لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم) ذكره البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقال انه موضوع كما سيأتى (واسند محمد بن سعد) روى عن ابن عيينة وعنه ابن ابى الدنيا (كاتب الواقدى) وهو صاحب الطبقات وله تأليف جيد مفيد فى تعريف رجال الحديث قال ابن جماعة هو ثقة لكنه يروى عن الضعفاء منهم شيخه محمد بن عمر الواقدى والواقدى ولى القضاء ببغداد للمأمون وروى عن مالك حديثا كثيرا وروى عنه الشافعى وغيره واستقر الاجماع على ضعفه كما فى الميزان (فى هذا) اى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رائحة طيبة (خبرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم انك تأتى الخلاء) هو بالمد (فلا نرى منك شيئا) ويروى فلا يرى منك شئ (من الاذى) بالقصر وهو ما يكره و يتقذر به (فقال يا عائشة اوما) اى اجهلت وما (علمت ان الارض تبتلع) وفى نسخة تبلع بفتح اللام (ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ) وروى الدارقطنى فى افراده عنها قالت قلت يا رسول الله اراك تدخل الخلاء ثم يجئ الرجل يدخل بعدك فما يرى لما خرج منك اثرا فقال اما علمت ان الله امر الارض ان تبتلع ما خرج من الانبياء (وهذا الخبر) اى الذى اسنده ابن سعد (وان لم يكن مشهورا) اى معروفا بين المحدثين وليس المراد به المشهور المصطلح عندهم نعم قال ابن دحية بعد ان اورده هذا سند ثابت قيل وهو اقوى ما فى الباب ومع هذا (فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عن الخارجين بهما استهجانا للتصريح باسمهما (وهو قول بعض اصحاب الشافعى رحمه الله) وعليه كثير من الخراسانيين لكن المعتمد فى المذهب خلافه كما ذكره الدلجى وقال ابو بكر بن العربى بول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونجوه طاهران وهو احد قولى الشافعى وقال النووى فى الروضة ان بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة على احد الوجهين وفيه ان الحديث السابق لا يدل على المدعى كما لا يخفى بل على ضده كما يدل عليه الابتلاع اللهم الا ان يقال الريح الطيبة تدل على الطهارة وفيه بحث نعم قال البغوى بذلك مستدلا بشهادة الاستشفاء ببوله ودمه على ما نقله الدلجى وقرره وفيه نظر ايضا من جهة عدم لزومه اذ وقع الاستشفاء ببول الابل والجمهور ومنهم القائل به على نجاسته (حكاه) اى القول بطهارتهما (الامام ابو نصر ابن الصباغ) بالباء الموحدة المشددة (فى شامله) هو بغدادى شافعى المذهب له تأليف منها الشامل ومنها الكامل (وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك) اى فى كونهما طاهرين او نجسين (ابو بكر) وفى رواية ابو الحسن (ابن سابق) بكسر الموحدة (المالكى فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم) اى للمالكية (منها) اى من الفروع التى هى (على مذهبهم) اى ولم يخرجوها وانما خرجت (من تفاريع الشافعية) والظاهر المتبادر ان قوله وتخريج مجرور عطفا على فروع كما اشار اليه التلمسانى وصرح به الانطاكى وابعد الدلجى وجعله منصوبا عطفا على القولين ثم قال والتخريج فى اصطلاحهم ان ينص الشافعى على حكمين مختلفين فى صورتين متشابهتين ولم يظهر لهم ما يصلح فارقا بينهما فينقلوا نصه فى كل صورة منهما الى الاخرى كمسئلتى الاجتهاد فى الاوانى والقبلة اذ قد منع فى الاولى العمل بتغير الاجتهاد وجوزه فى الثانية فنقلوا منعه فى تلك الى هذه وتجويزه فى هذه الى تلك فصار فى كل قولان منصوص عليهما ومخرج المنصوص فى كل هو المخرج فى الاخرى (وشاهد هذا) اى دليل هذا القول على طهارة ما ذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) وفيه انه منقوض بما صح عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تغسل المنى من ثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبانه كان يستنجى بنحو حجر ومدر وايضا انه لو كان الخارجان منه طاهرين لما كانا حدثين ناقضين كالعرق والدمع والبزاق والمخاط ونحوها والاجماع على انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى نواقض الوضوء كالامة الا ما صح استثناؤه كالنوم بدليل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينام عيناه ولا ينام قلبه كما سيأتى (ومنه) اى ومن الشاهد بانه لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب (حديث على رضى الله تعالى عنه) اى فيما رواه ابن ماجه وابو داود فى مراسيله انه قال (غسلت النبى عليه الصلاة والسلام) بتشديد السين وتخفيفها وهو اظهر (فذهبت) اى شرعت وقصدت (انظر ما يكون من الميت) اى من خروج دم وغيره من النجاسات عند خروج روحه او حين غسله (فلم اجد شيئا) اى منها خرج منه (فقلت طبت حيا وميتا) ونصبهما على الحال او على نزع الخافض اى فى الحياة

والممات اوعلى التميز ذكره التلمسانى ولايخفى بعد ما عدا الاول فتأمل فانه موضع زلل ومحل خطل ثم انت ترى ان هذا الحديث لايصلح ان يكون شاهدا كمالايخفى وقدروى عن على كرم الله تعالى وجهه انه حين غسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بطنه فلم يجد شيئا فقال طبت حيا وميتا وفى رواية فاح ريح المسك فى البيت لما فى بطنه قيل وانتشر فى المدينة (قال) اى على (وسطعت) اى ارتفعت وانتشرت وفاحت (منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله) اى ومثل قول على طبت حيا وميتا (قال ابو بكر) رضى الله تعالى عنه (حين قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) رواه البزار عن ابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر فى البخارى (ومنه) اى ومن الشاهد (شرب مالك بن سنان) بكسر السين المهملة واما الشرب فبضم المعجمة ويجوز فتحها وكسرها (دمه) اى دم النبى صلى الله عليه وسلم (يوم احد ومصه اياه) قيل شربه ابتلاعه ومصه اخذه من الجرح بفيه اوشربه ابتلاعه دفعة ومصه ابتلاعه قليلا قليلا وروى انه ذاك مرفوعا من مس دمه دمى لم تصبه النار (وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تجويزه (ذلك له وقوله له لن تصيبه النار) رواه الطبرانى عن ابى سعيد الخدرى عن ابيه مالك بن سنان قتل يوم احد وهو جبل معروف يخفف ويثقل وقيل يخفف ذكره التلمسانى والتشديد فيه غريب ورواه البيهقى عن عمر بن السائب ثم فى الحديث قد يقال ان الضرورات تبيح المحظورات (ومثله) وفى اصل الدلجى ومنه اى ومن الشاهد كما رواه الحاكم والبزار والبيهقى والبغوى والطبرانى والدارقطنى وغيرهم فالعجب من ابن الصلاح انه قال هذا حديث لم اجد له اصلا بالكلية وهو فى هذه الاصول (شرب عبدالله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلاة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه) وفيه ان هذا حكم مسكوت عنه بعد وقوعه ولم يدخل تحت تقريره اذلم يطلع على شربه حال فعله مع ان فى قوله ويل لك من الناس وويل لهم منك نوع نكير عليه اذالويل الفضيحة المترتبة على الفتنة وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته امه رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هو هو فسمعته امه فامسكت عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب فى ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات اذقد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفات معاوية اطاعه اهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان وحج بالناس ثمانى سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعيد على المدينة نائبا لعبد الملك بن مروان فكان يبعث البعوث اليه منها الى مكة حتى ارسل له عبد الملك الحجاج فابتدأ حصاره غرة ذى الحجة سنة اثنين وسبعين وحج تلك السنة الحجاج ووقف بعرفة عليه درع ومغفر ولم يطف الناس بالبيت فى تلك الحجة فحاصره ستة اشهر وسبعة عشر يوما ثم قتل فى نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنتان وسبعون سنة والله اعلم على ماذكره الدلجى وروى الشعبى قال هاج الدم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحجمه ابو طيبة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشكموه فاعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعنى الدم قال فتوارى ابن الزبير فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله فقال اما انه لاتصيبه النار اولاتمسه النار قال الشعبى فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال اما الطعم فطعم العسل واما الرائحة فرائحة المسك اقول فهذا من باب قلب الاعيان الذى عد من معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبهذا يندفع نزاع الفقهاء ويؤيده ماذكره التلمسانى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وذكرت انها لاتجد فى الخلاء شيئا فقال انا معاشر الانبياء تنبت اجسادنا على ارواح الجنة فماخرج منها من شئ ابتلعته الارض ولكن رواه البيهقى فى الدلائل عنها ثم قال هذا من موضوعات الحسين بن علوان لاينبغى ذكره ففى الاحاديث الصحيحة المشهورة من معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى و روى ان رجلا قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد فى المذهب فلما خرج نظرت فلم ار شيئا ورأيت فى ذلك الموضع ثلاثة الاحجار اللاتى استنجى بهن فاخذتهن فاذا بهن يفوح منهن روايح المسك فكنت اذا جئت يوم الجمعة المسجد احذتهن فى كمى فتغلب رائحتهن روايح من تطيب وتعطر (وقد روى نحو من هذا عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى امرأة شربت بوله) اى من غير علم بانه بول كما سيأتى (فقال لها لن تشتكى) باسكان الياء على ان النون حذفت للناصب (وجع بطنك ابدا) وفى رواية لن تلج النار بطنك والحديث رواه الحاكم واقره الذهبى والدارقطنى (ولم يأمر واحدا منهم) اى احدا ممن شربه وفيه تغليب الرجال على النساء (بغسل فمه) لا دلالة فى الاحاديث على الامر ولا على عدمه مع ان غسل الفم من البول كان عندهم من قبيل المعلوم بالضرورة ولا على تسليم عدم الامر لا يثبت طهارته لاحتمال الذهول او للاعتماد على الظهور الا ان يثبت انه رأى احدا منهم يصلى من غير غسل فم وسكت عليه واقره كما هو مقرر عند ارباب الاصول (ولانهاه) اى الا د (عن عوده) اى عن عود شرب بوله وفيه انه لايحتاج الى النهى عن العود الا اذا وقع ذلك الفعل عن العمد من غير ضرورة ولا حالة جذبة وسيأتى اعتذارها بانها شربته بغير علمها وفى نسخة صحيحة بلفظ عودة بالتاء

الوحدة هذا وروى ابن عبد البر ان سالم بن ابى الحجاج حجمه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ازدرد اى ابتلع دمه فقال اما علمت ان الدم كله حرام وفى رواية لا تعد فان الدم كله حرام (وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صحيح) اى ولصحته (الزم الدارقطنى) بفتح الراء وتسكين نسبة الى دارقطن محلة ببغداد وهو صاحب السنن وروى عنه الحاكم وابو ذر الهروى وابو نعيم وغيرهم (مسلما والبخارى) اى كلا منهما (اخراجه) اى تخريج الحديث وذكره باسناده (فى الصحيح) اى فى كل من صحيح البخارى ومسلم اذ رجاله كرجالهما فى الضبط والعدالة وغيرهما لكن انما يتوجه هذا الالزام عليهما لو التزاما تخريج جميع الصحيح ولم يلتزماه والحاصل ان هذا الحديث فى مرتبة الحديث الذى اتفق عليه الشيخان من كمال الصحة وان يخرجاه فى جامعيهما لكن انتقد عليه فانه جاء من جهة ابى مالك النخعى وانه ضعيف وفى علل الدارقطنى ايضا انه مضطرب من جهة ابى مالك والله تعالى اعلم (واسم هذه المرأة بركة) بالفتحات (واختلف فى نسبها) فقيل هى بنت يسار مولاة ابى سفيان بن حرب بن امية كانت هى وزوجها قيس بن عبيد الله هاجرا مع ام حبيبة بنت مولاها ابى سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج ام حبيبة وبقيت على الاسلام خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزوجها له النجاشى واصدقها عنه اربعمائة دينار او اربعمائة اوقية ذهب ثم بعثها اليه مع شرحبيل بن حسنة وقدمت بركة هذه معها وكانت تخدمها وتخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى اسم لثلاثة منهن ام ايمن (وقيل هى ام ايمن) اى الحبشية مولاته وحاضنته ومرضعته ورثها من ابيه ثم اعتقها لما تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بنى الحارث فولدت له ايمن وبه كنيت ثم تزوجها بعد النبوة زيد بن حارثة فولدت له اسامة حبه صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذا القول ذهب ابن عبد البر وغيره وقال الواقدى كانت ام ايمن عسيرة اللسان فكانت اذا دخلت قالت سلام لا عليكم يعنى سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقول سلام عليكم او السلام عليكم كذا ذكره التلمسانى تبعا للحلبى وفيه ان هذا جائز لغيرها ايضا فلا وجه للترخيص لها ولعل الرخصة ان تقول سلام بدون عليكم ويؤيده قولهم ان ذلك كان تكرمة لها وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال هى امى بعد امى (وكانت تخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الدال وتكسر على ما فى القاموس فاندفع قول التلمسانى ولا يصح الكسر كما تقوله العامة (قالت) اى المرأة (وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) بفتح عين مهملة ووزنه فعلان او فيعال جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة وقيل بكسرها جمع عود (يوضع) اى القدح (تحت سريره فيبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده) اى طلبه ليصبه (فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه) اى عن بوله الذى كان فى القدح (فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم) اى انه بول قال الدلجى تبعا لغيره من المحشى الصواب عطشى لانه مؤنث عطشان الا ان تكون لغة قلت الصواب ان عطشانة جاء فى لغة كما فى القاموس وقيل هى لغة بنى اسد ثم القدح اناء يشرب منه ويقال للصغير الغمر بضم الغين وهو اول الاقداح وهو الذى لا يبلغ الرى ثم القعب وهو قدر رى الرجل ثم القدح وهو يروى الاثنين والثلاثة ثم غيرها على ما فى كتب اللغة والسرير مرفع يصنع من خشب ويوضع فى ناحية من البيت او السطح يتخذ للرقاد وقاية من الارض ومافيها (روى حديثها) اى بكماله (ابن جريج) بالجيمين مصغرا مجمع على كونه ثقة ولد سنة ثمانين ومات سنة خمسين ومائة روى عن مجاهد وعطاء وطاوس وابن ابى مليكة وعنه ابن عيينة والثورى وغيرهما وهو مجمع على ثقته وهو اول من صنف الكتب فى الاسلام وقد روى عن حكيمة بنت امية بنت ابى صيفى عن امها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره ليبول من الليل فيه فبال فيه ليلة ووضع تحت سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدمه ما فعل بالبول الذى كان فى هذا القدح فقالت يارسول الله انى شربته وروى عبد الرزاق عنه قال اخبرت ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا هو ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جاءت معها من ارض الحبشة اين البول الذى كان فى القدح قالت شربته قال صحة يا ام يوسف وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت قط حتى ماتت (وغيره) اى ورواه ايضا غير ابن جريج كابى داود وابن حبان والحاكم عن امية عن امها وروى الحاكم والدارقطنى عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام ايمن قومى فاهرقى ما فى تلك الفخارة قلت قد والله شربته فضحك ثم قال اما والله لا يجعن بطنك بعدها ابدا وهذا يدل على انهما واقعتان وقعتا كما قال ابن دحية لبركة ام يوسف وبركة ام ايمن وينصره ما فى خصائص تدريب البلقينى انهما شربتاه هذا وقد شرب ايضا دمه عليه الصلاة والسلام ابو طيبة عاش مائة واربعين سنة وسفينة مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه البيهقى عن على بن ابى طالب

كرم الله وجهه ذكره الرافعي في الشرح الكبير قال ابن الملقن ولم اجده في كتب الحديث (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا) اي لاقلفة له (مقطوع السرة) بضم السين رواه ابو نعيم والطبراني في الاوسط وفي دلائل البيهقي بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن ابيه انه ولد معذورا مسرورا اي مقطوع السرة مختونا يقال عذره واعذره ختنه وروى الخطيب عن انس رضي الله تعالى عنه مرفوعا وصححه ايضا في المختار من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ار احد سوءتي وقال الحاكم تواترت الاخبار بولادته مختونا وتعقبه الذهبي بقوله ما اعلم صحته فكيف يكون متواترا قلت يجوز ان يكون الشيء متواترا عند بعض دون بعض وقيل ختن لماشق قلبه عند مرضعته حليمة اي ختنته الملائكة عندها كما ذكره التلمساني وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وصنع له مأدبة وسماه محمدا (وروى في بعض الروايات عن امه امنة) بالمد على وزن فاعلة وهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ولم تلد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوج غيرها عبدالله على الاصح فيهما وفي اسم آمنة امان امنه وفي حليمة حلم وفي بركة بركة فتلك امنة من سائر النقم وذكر السهيلي ان الله عزوجل احيى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابويه فآمنا به ثم اماتهما وكذلك نقله السيوطي في خصائص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه حديث موضوع كما صرح به ابن دحية وقد بينت هذه المسئلة في رسالة مستقلة (انها قالت ولدته نظيفا) اي نقيا (ما به قذر) بفتحتين اي وسخ ودرن كذا رواه ابن سعد في طبقاته وروى انه ولدته امه بغير دم ولا وجع قال المسعودي ولد عليه السلام في شهر ربيع الاول من سنة ار بعين من ملك كسرى نوشروان في دار ابن يوسف وهذه الدار بنتها بعد ذلك الخيزران ام الهادي والرشيد مسجدا (وعن عايشة رضي الله تعالى عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) اي اما حياء منه اومنها اومنهما والحديث رواه ابن ماجه والترمذي في شمائله وروى عنها انها قالت ما رأيت منه ولا رأى مني اي العورة (وعن علي رضي الله تعالى عنه اوصاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا) اي بان لا (يغسله غيري) بتخفيف السين وتشديدها (فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه) بصيغة المجهول وابعد التلمساني في قوله بفتح الميم مع انه قال والطمس المحو والمطموس العين هو الذي لاشق بين جفنيه انتهى والمعنى عميت قال الدلجي قوله فانه علة لترك غسله لغير علي كرم الله وجهه وتحذير من اقدام غيره عليه وخصه بذلك لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بان له قدرة على غض بصره انتهى وفيه نظر لان غض البصر من كل احد ممكن اذا اوصاه به وفي السيرة عن يونس بن بكر انه نودي وهو يغسله ان ارفع طرفك الى السماء وفيه اشكال اذ لايمكن غسله بكماله مع غض البصر ورفعه واذا لا يخلو من انه يغسل مجردا او مستورا بما يغطي عورته من سرته الى ركبته او في قميصه ولا اظن ان الاحتمال الاول يصح اذ لا يجوز لغيره ان يفعل هذا به فكيف بمثله صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله فانه اي الشان لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه فهو بيان وتنبيه لعلي وغيره ممن كان يعينه في غسله من اهل البيت ان لا يقصدوا رؤية عورته ليحترسوا ويحترزوا عن كشفها ووقوع نظرهم عليها هذا وعن ابن اسحق لما اختلفوا هل يغسلونه في ثوبه اولا نودوا ان غسلوه في ثوبه انتهى والمراد بثوبه قميصه كما بينته في شرح الشمائل للترمذي (وفي حديث عكرمة) وهو مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واحد فقهاء مكة وتابعيهم ومفسريهم لكنه اباضي خارجي (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له) بصيغة المفعول (غطيط) اي صوت يخرج مع نفس النائم (فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) اي من ان يخامر قلبه نوم وان خامر عينيه لحديث انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا واما نومه عن صلاة الصبح في الوادي وعن صلاة التهجد احيانا فالاظهر انه تجديد للوضوء ويجوز ان يكون عن نقض قبله او بعده وقيل عن مخامرة قلبه مع ندرة ليبين لامته لكنه مردود لما سبق من عموم الاوقات المفهوم من الحديث الذي تقدم والله اعلم

﴿فصل﴾

(واما وفور عقله) اي زيادته على عقل غيره (وذكاء لبه) بفتح الذال المعجمة ممدودا اي حدة فهمه وسرعة دركه واللب اخص من العقل فانه مختص بالعقل السليم والفهم القويم من لب الشيء خالصه وسره ومنه قوله تعالى ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب (وقوة حواسه) بتشديد السين جمع حاسة من حس بمعنى احس وهي اسباب علمه من سمع وبصر وذوق وشم ولمس بل جمع البدن (وفصاحة لسانه) اي حسن تعبيره وبيانه (واعتدال حركاته) اي وسكناته من قيام وقعود ومشي ورقود ونحو ذلك (وحسن شمائله) اي من خلقه وخلقه (فلا مرية) بكسر الميم وتضم كما قرئ بهما في قوله تعالى فلا تك في مرية الا ان الضم شاذ اي فلا شك (انه كان اعقل الناس واذكاهم) بالذال المعجمة اي احدهم طبعا واطيبهم نفسا (ومن تأمل) اي تفكر (تدبيره) اي نظره باعتبار عاقبته (امر بواطن الخلق وظواهرهم) اي بتصرفه فيهما الى حسن مآلهما (وسياسة العامة والخاصة) من سست الرعية سياسة امرتها ونهيتها والظاهر انها بكسر السين وابدلت الواو ياء لحركة ماقبلها

كالقيام والصيام فانها من مادة السوس على مافى القاموس وقال الحلبي بفتح السين والظاهر انه سبق قلم اوزلة قدم ثم المراد بالخاصة العالم و المتعلم و بالعامة من عداهم كما ورد الناس اثنان عالم ومتعلم و الباقى همج رعاع اتباع لايعبأ الله بهم وعن على كرم الله وجهه وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق واجمع الناس فى تسميتهم على انهم غوغاء و هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا و اذا تفرقوا لم يعرفوا انتهى والغوغاء مأخوذ من غوغاء الجراد لانه يركب بعضه بعضا فسميت العامة باسمه لاجل الشبه الحاصل بينهما فى الارتكاب اى يتبع بعضهم بعضا من غير فائدة ولامنفعة وانما هم يقلبون لالشئ و يدبرون لا لشئ (مع عجيب شمائله) اى اخلاقه العجيبة (و بديع سيره) بكسر ففتح جمع سيرة اى سيره الغريبة (فضلا) مصدر لفعل محذوف يقع متوسطا بين نفى واثبات لفظا ومعنى فالمعنى لم يتل احد حقله يفضل فضلا (عما افاضه) اى زيادة عما ابداه و بينه واذاعه وافشاه (من العلم) اى اعتقادا وعمليا (وقرره) اى اثبته وحرره (من الشرع) بيان لما افاضه وقرره وذلك كله (دون تعلم سبق) اى له من غيره (ولاممارسة) اى ملازمة (تقدمت) اى منه لشئ من ذلك (ولامطالعة للكتب منه لم يمتر) من الامتراء وهو جواب الشرط اى لم يشك (فى رجحان عقله وثقوب فهمه) بضم المثلثة اى فى سرعة دركه (الاول بديهة) اى فى اول وهلة بدون تفكر ومهلة فكانه يثقب العلم بقوة فهمه كما يثقب النجم الظلام بقوة ضوئه (وهذا) اى ماذكر (مما لا يحتاج الى تقريره) اى ذكره وتحريره (لتحقيقه) وفى نسخة لتحققه اى لظهور تحققه وثبوت امره عقلا ونقلا (وقد قال وهب بن منبه) بتشديد الموحدة المكسورة وهو تابعى جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية روى عن ابن عباس وغيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وروى عنه ابن دينار وعوف الاعرابى وآخرون واتفقوا على توثيقه و يقال انه ماوضع جنبيه على الارض ثلاثين سنة وكان يقول لان ارى فى بيتى شيطانا احب الى من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وله اخوة منهم همام بن منبه وعمر بن منبه وهم من ابناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن (قرأت فى احد وسبعين كتابا) اى من كتب الله المنزلة و فى معارف ابن قتيبة قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا (فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس) اى الخلق (عقلا وافضلهم رأيا) اى تدبيرا ناشئا من العقل الكامل الذى ينظر فى بدء الامر ودبره واوله وآخره وقيل الرأى رأى القلب وهو ماراه من حالة حسنة (وفى رواية اخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الاكحبة) اى لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الاكتسبة حبة (رمل من بين رمال الدنيا) اى بالنسبة الى رمالها وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس والظاهر انه كان افضلهم رأيا فى الامور الدينية وكذا فى الاعمال الدنيوية باعتبار الاكثرية اوحالة جزمه بالقضية فلاينافيه حديث البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى اهل المدينة يأبرون النخل بكسر الباء وضمها فسألهم عنه فقالوا كنا نفعله فقال لعلكم لولم تفعلوا لكان خيرا فتركوه فقسد ذلك العام فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوه واذا امرتكم بشئ من رأيى اى مع تردد فيه و عدم جزم بحسنه فانما انا بشر اخطئ واصيب اى فى غير ما اوحى اليه وحيا جليا اوخفيا كما اشار اليه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الاية (وقال مجاهد) اى كما رواه عنه ابن المنذر والبيهقى مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلاة) وفى نسخة الى الصلاة والاظهر هو الاول فتأمل (يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) من فيهما جارة ويجوز ان تكون موصولة وكذا ماورد مثلها مماسيأتى (به) اى وبما ذكر من انه يرى من خلفه (فسر) اى مجاهد (قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) بالنصب عطفا على الضمير المفعول فى قوله سبحانه وتعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم والمعنى ويرى تردد بصرك فى من وراءك من المصلين لتصفح احوالهم من الكاملين والغافلين (و فى الموطأ) للامام مالك عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (عنه عليه الصلاة والسلام) وصدره اترون قبلتكم هذه فوالله لايخفى على ركوعكم ولاسجودكم (انى لاراكم من وراء ظهرى ونحوه) اى نحو حديث الموطأ بحسب المعنى (عن انس) رضى الله تعالى عنه (فى الصحيحين) وهو مارواه عن انس مرفوعا اقيموا الركوع والسجود فوالله انى لاراكم من بعدى و ربما قال من بعد ظهرى اذا ركعتم وسجدتم (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها مثله) اى مثل ما فى الصحيحين لفظا ومعنى (قالت) اى عائشة رضى الله تعالى عنها (زيادة) على ماسبق اى هذه المعجزة العظيمة والخصلة الكريمة زيادة فضيلة (زاده الله اياها فى حجته) اى لصحة نبوته (وفى بعض الروايات) اى لعبد الرزاق والحاكم (انى لانظر من ورائى كما انظر الى من بين يدى) فالموصولة متعينة فيهما وفى نسخة الى ما وفى رواية كما انظر من بين يدى فالاحتمالان فى من جائزان (وفى اخرى) اى وفى رواية اخرى لمسلم (انى لابصر من قفا ى كما ابصر من بين يدى وحكى بقى بن مخلد) بفتح الموحدة وكسر القاف وتشديد التحتية ومخلد بفتح الميم

واللام بينهما ثاء مثلثة وهو ابو عبد الرحمن القرطبي الحافظ صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه ابن حزم ما صنف تفسير مثله اصلا سمع ابن ابي شيبة وغيره وكان مجتهدا ثبتا لا يقلد احدا قال ابن حزم كان بقي ذا خاصة من احمد بن حنبل وجاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي انتهى وكان مجاب الدعوة وقيل انه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزوة (عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء) وفي رواية كما يرى في النور قال البيهقي اسناده ضعيف كما رواه ايضا من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وقال ليس بقوي وقال ابن الجوزي لا يصح ولا ينافيه ما في روضة الهجرة للسهيلي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما تزوج ام سلمة دخل عليها في ظلمة فاصابت رجله زينب فبكت ثم في ليلة اخرى دخل في ظلمة ايضا فقال انظروا ربائبكم لا امشي عليها لاحتمال حمل ما سبق على حالة من احواله المسماة بالمعجزة والكرامة وهي لا تستدعي استيفاء الاوقات والمداومة فتحمل احداهما على الندرة او تخص تلك الحالة بوقت الصلاة هذا وقد ذكر النووي في شرح مسلم قال العلماء معناه ان الله خلق له صلى الله تعالى عليه وسلم ادراكا في قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم باكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به وذكر المصنف كما سيأتي انه قال احمد بن حنبل وجمهور العلماء هذه الرؤية رؤية العين حقيقة وذكر مختار بن محمود مصنف القنية الزاهد من اصحابنا الحنفية وشارح القدوري في رسالته الناصرية انه عليه الصلاة والسلام كان بين كتفيه عينان مثل الخياط وكان يبصر بهما ولا يحجبهما الثياب (والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين) اما الاول فكرواية البخاري وغيره انه رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح على كرسي بين السماء والارض قد سد الافق وقد رأى كثيرا منهم ليلة الاسراء وربما قيل انه امر فيهم ونهي واما الثاني فكحديث البخاري ان عفريتا تفلت علي البارحة في صلاة المغرب وبيده شعلة من نار ليحرق بها وجهي فامكنني الله منه فدفعته ثم اردت ان اربطه بسارية من سواري المسجد فذكرت دعوة اخي سليمان وفي رواية لولا دعوة اخي سليمان لاصبح يلعب به ولدان المدينة (ورفع النجاشي) بفتح النون وتكسر وبتشديد الياء وتخفف وقيل هو اول لقب من ملك الحبشة واسمه كما في البخاري اصحمة وقيل صحمة او صحمة كتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا قد بايعتك واسلمت لله رب العالمين ورفع بصيغة المجهول والنجاشي وما عطف عليه مرفوع على نيابة الفاعل كما صرح به الحلبي وابعد الدلجي وجعله مخفوضا حيث قال وجاءت ايضا يعني الاحاديث في رفع النجاشي (له حتى صلى عليه) اي يوم مات في رجب سنة تسع من الهجرة وقد اخرج ابو داود من طريق يزيد بن مروان عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه لما مات النجاشي كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور واما حديث صلاته عليه فرواه الشيخان وغيرهما وبه استدل الشافعي على جواز الصلاة على الغائب واما حديث رفعه له فظاهره ان المرفوع هو على نعشه حتى قيل انه احضر بين يديه فلم تقع الصلاة الا على حاضر وقيل رفع له الحجاب وطويت له الارض حتى رآه قال الدلجي وجميع ما ذكر وان كان ممكنا وقوعه فدعوى بلا بينة اذ لم يشهد به كتاب ولا سنة ومن ثمه انكره ابن جرير لعدم وجوده في خبر ورواية عالم في اثر وانما الوارد في رواية ابي علي والبيهقي ان معاوية بن معاوية المزني رفع له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك حتى صلى عليه انتهى ولا يخفى ان ثبوت هذه القضية في الجملة مع ذلك الاحتمال ينفي التعلق بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم في مقام الاستدلال كيف وقد جاء في المروي ما يومي اليه وهو ما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عمران بن حصين انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان اخاكم النجاشي توفي فقوموا وصلوا عليه فقام عليه الصلاة والسلام وصفوا خلفه فكبر اربعا وهم لا يظنون ان جنازته بين يديه فهذا اللفظ يشير الى ان الواقع خلاف ظنهم لانه هو فائدته المعتد بها فاما ان يكون سمعه منه عليه الصلاة والسلام او كشف له وقد صرح القسطلاني في شرح البخاري ناقلا عن اسباب النزول للواحدي عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه وصلى عليه وقال التلمساني ذكر ابن قتيبة في آداب الكتاب والكلاعي في النقاية انه توفي ورفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه حين منصرفه من غزوة تبوك هذا مع انه قد يقال ان ذلك خص به النجاشي فلا يلحق به غيره ودليل الخصوصية انه لم يصل على غائب الا عليه وعلى بعض آخر صرح فيه بانه رفع له كما رواه الطبراني من حديث ابي امامة وابن سعد في الطبقات عن انس ان معاوية ابن معاوية المزني ويقال الليثي نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بتبوك فقال يارسول الله ان معاوية بن معاوية المزني مات بالمدينة اتحب ان اطوي لك الارض فتصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فرفع له سريره فصلى عليه وخلفه صفان

من الملائكة في كل صف سبعون الف ملك ثم رجع فقال عليه الصلاة والسلام لجبريل بم ادرك هذا قال بحبه سورة قل هو الله احد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال (وبيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وجوز ضم ميمه وفتح داله المشددة وهو بالرفع اى ورفع له ايضا بيت المقدس كما في الصحيحين (حين وصفه لقريش) الظاهر حتى وصفه لقريش حين كذبوه في اخباره انه اسرى به اليه ثم الى ما شاء الله تعالى ثم رجع الى مكة في ليلة وارتد كثير ممن اسلم واخبروا ابابكر بذلك فقال لهم والله لقد صدق انه ليخبرني ان الخبر يأتيه من السماء في ساعة واحدة من ليل اونهار فاصدقه وهو ابعد مما تعجبون منه ثم قال يانبي الله صفه لي فاني جئته فرفعه له حتى نظر اليه فطفق يصفه له ويصدقه وفي مسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراى فسألتني عن اشياء من بيت المقدس فكربت كربة ماكربت مثلها قط فرفعه الله لي فما سألوني عن شئ منه الا انبأتهم به (والكعبة) اى ورفع الكعبة له ايضا حتى رآها (حين) وفي نسخة حتى (بنى مسجده) اى بالمدينة ليجعل محرابه اليها على مارواه الزبير بن بكار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم مرسلا قال الدلجي وهو غريب والمعروف ان جبريل هوالذي اعلمه بها واراه سمتها لا انها رفعت له حتى رآها بشهادة ما في جامع العتبية من سماع مالك قال سمعت ان جبريل هو الذي اقام له قبلة مسجده انتهى ولايخفى انه يمكن الجمع بينهما بان اخبره جبريل ثم رفع له البيت الجليل او بان يحمل كل قضية على مسجد من مسجد المدينة وقبا فان قيل لاخلاف في انه اول قدومه المدينة كان يصلي الى بيت المقدس الى ان حولت بعد بنائه مسجده فكيف يجعل محرابه الى الكعبة فالجواب انه يمكن تقديم بناء المسجد وتأخير بناء المحراب الى الكعبة بعد التحويل مع انه قد يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بعض الصلاة اول البناء الى الكعبة ثم حول الى بيت المقدس ثم حول الى الكعبة ويؤيده خبر بعض نساء الانصار كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة وهذا ايضا يؤيد الجمع الاول فتأمل (وقد حكى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمساني جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس عمه عليه الصلاة والسلام ذكره ابن خيثمة (انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما) والثريا تصغير ثروى وهي المرأة الكثيرة المال من الثروة وهي الكثرة والنجم المعروف لكثرة كواكبه مع ضيق المحل وقال السهيلي الثريا اثناعشر كوكبا وكان يراها كلها كما جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس وقال القرطبي لا تزيد على تسعة فيما يذكرونه انتهى ولعله بالنسبة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فذلك لحدة بصره وقوة نظره ويقال لها النجم وهي انجم لانها لا تفترق فهي كالواحدة (وهذه) اى الاخبار المذكورة والآثار المسطورة (كلها محمولة على رؤية العين وهو) اى هذا القول او هذا الحمل و ابعد الدلجي في قوله ذكره نظرا الى مابعده وهو (قول احمد بن حنبل وغيره) اى من المحققين وهم الجمهور كما سبق والامام احمد من مرو وسكن ببغداد من صغره ومات بها رحمه الله تعالى وروى عنه الشيخان قال الانطاكي تبعا للحلبي وروى عنه البغوي والظاهر انه وهم (وذهب بعضهم) اى كالنووي في شرح مسلم (الى ردها الى العلم) اى رؤية علم وكشف قال التجاني ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى خلق علما له بجميع ما يفعل وراءه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عن ظاهر الحديث وانما تميل اليه المعتزلة لانهم يشترطون في الادراك بنية مخصوصة تخلق له واغرب الدلجي في قوله اى خلق الله تعالى له في قفاه قوة ادراكية يدرك بها من ورائه على طريق خرق العادة انتهى ولايخفى ان مآله الى ان الرؤية بصرية واغرب من ذلك انه لما ذكر هذا قال واغرب مختار بن محمود الحنفي حيث قال وكان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط لايحجب بصرهما الثياب والله اعلم بالصواب (والظواهر تخالفه) اى ظواهر هذه الاخبار تخالف ماذهب اليه البعض من العلماء الاخيار وابعد بعضهم على ماذكره المصنف في مشارق الانوار حيث قال انما هي بالتفاته يسيرة الى من ورائه معللا بانه لوكان يرى من خلفه لما قال ايكم الذي ركع دون الصف فقال ابو بكرة انا يارسول الله فقال زادك الله حرصا ولا تعد والجواب ان في نفس الحديث مايدل على مدعانا اذ صرح بانه رأى رجلا ركع قبل دخوله في الصف وعدم علمه بخصوص فاعله اما لبعده عنه واما لكثرة الصفوف او لاستغراق ونحوه مما يمنع التوجه الى صوبه وتعمقه في قصده فرآه مجملا لامفصلا مع ان خوارق العادات لايلزم تحققها في جميع الاوقات وقال ابن عبدالبر هذا قبل ان تمم الله بهذه القضية فقد كانت خصائصه تزايد في كل وقت وحين والله الموفق والمعين (ولا احالة) مصدرا حاله والمحال هو الشئ الممتنع فالمعنى لاامتناع شرعا وعقلا وعادة (في ذلك) اى في كونه رؤية عين بطريق المعجزة (وهي من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصالهم) اى المختصة بهم (كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد) اى التميمي البستي (العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرى) اى العالم بعلم القراءة وهو نزيل مكة (الفرغاني) نسبة الى فرغانة بالفتح بلد بالمغرب على مافي القاموس وآخر بالمشرق والظاهر انه المراد ههنا لقوله (حدثتنا ام القاسم بنت

ابى بكر عن ابيها) وهو ابو بكر محمد بن اسحق الكلاباذى مؤلف كتاب الاخبار عن فوائد الاخبار وقيل الاخبار بفوائد الاحبار وكان بعد الاربعين والثلثمائة (حدثنا الشريف ابو الحسن على بن محمد الحسنى) قال التلمسانى هو الشريف ابو الحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم قلت ولايصح هذا لان النسخ كلها متفقة على نسبة الحسنى بفتحتين والله سبحانه وتعالى اعلم (حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) هو البصرى يروى عن يزيد ابن هارون ومحمد بن عبدالله الانصارى (حدثنا همام) بفتح هاء فتشديد ميم وهو ابن يحيى بن دينار العودى قال الحلبى وغيره وصوابه هانئ بن يحيى وقال التلمسانى هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعى انتهى والظاهر انه وهم منه كما لا يخفى على من علم مرتبة الاسناد والله اعلم بالصواب والسداد فى المراد (حدثنا الحسن) اى ابن ابى جعفر الجفرى كما سيأتى قريبا وهو بضم الجيم وسكون الفاء نسبة الى مكان بالبصرة وهو احد الضعفاء (عن قتادة) تابعى جليل (عن يحيى بن وثاب) بتشديد المثلثة ثقة مقاله خاشع مقرئ يروى عن ابن عباس وابن عمر وعلقمة وعنه الاعمش وغيره (عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى) اى ظهر بلا كيف (لموسى عليه الصلاة والسلام) اى فى ضمن تجليه للجبل كما يشير اليه قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلا يحتاج الى ماتكلف له الدلجى تبعا للمنجانى بقوله ولايعزب عنك ان المتجلى له كما ذكر فى الاية انما هو الجبل فالتقدير لما تجلى الله للجبل لاجل سؤال موسى ان يراه وتعسفه ظاهر مع انه يفيد انه لم يقع تجلى لموسى فلم يحصل ترتب بين لما وجوابها وهو قوله (كان يبصر) اى يرى كما فى اصل التلمسانى (النملة على الصفا) بالقصر اى الصخرة الملساء ولايبعد ان يكون بالمد لمشاكلة قوله (فى الليلة الظلماء) اى شديدة الظلمة (مسيرة عشرة فراسخ) اى مقدارها تحديدا اوتقريبا اوتكثيرا والفرسخ فارسى معرب وهو ثلاثة اميال والميل منتهى البصر او اربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة اقدام معتدلة بوضع قدم امام قدم يلصق به قال التلمسانى يصح فى شين عشرة الفتح والكسر والسكون وهو وهم منه لان الوجوه الثلاثة انما تجوز اذا ركبت العشرة مع غيرها من الاعداد المؤنثة المقدمة عليها كاحدى عشرة وامثالها واما عند الانفراد بها فلا يجوز الا الفتح فيها ثم اعلم ان هذا الحديث رواه الطبرانى فى الصغير بنحو هذا الاسناد وقال لم يروه عن قتادة الا الحسن تفرد به هانئ قال الحلبى اما هانئ بن يحيى السلمى فذكره ابن حبان فى الثقات وقال يخطئ واما الحسن بن ابى جعفر الجفرى فضعيف (ولايبعد على هذا) اى على طبق هذا الحديث ووفقه من المعجزات المترتبة على التجلى الموجب لتجلية الغين وتحلية العين (ان يختص) بصيغة الفاعل او المفعول اى يصير مخصوصا (نبينا بما ذكرناه من هذا الباب) يعنى زيادة قوة باصرة ذلك الجناب وادخل الدلجى فى العبارة ماليس فى الكتاب (بعد الاسراء) اى بعد اسرائه الى سدرة المنتهى (والحظوة) بضم الحاء وتكسر اى وبعد الحظ والحظاء (بما رأى من آيات ربه الكبرى) اى من عجائب الملكوت وغرائب الجبروت ورؤية الرب بنظر العين او ببصر القلب على ما تقدم والله اعلم وهذا بالنظر الى القوة البصرية الحسية والمعنوية (وقد جاءت الاخبار) اى الدالة على قوته البدنية كخبر ابى داود والترمذى (بانه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (صرع) اى رمى وضرب على الارض فى حالة المصارعة (ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف (اسد اهل وقته) اى اقواهم فى غلبة المصارعة وهو بالنصب بدل ويجوز رفعه (وكان) اى النبى عليه الصلاة والسلام (دعاه الى الاسلام) جملة حالية قال الترمذى اسناده ليس بالقائم وقال البيهقى مرسل جيد وروى باسناد موصولا الا انه ضعيف وفى سيرة ابن اسحق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال ياركانة الا تتقى الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال لو اعلم ما تقول حقا لاتبعتك فقال ارأيت ان صرعتك تعلم ان ما اقول حق قال نعم فلما بطش به صلى الله تعالى عليه وسلم اضجعه لايملك من امره شيئا ثم قال عد يامحمد فصرعه ايضا فقال يامحمد ان ذا العجب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم واعجب من ذلك ان شئت ان اريكه ان اتقيت الله واتبعت امرى قال ما هو قال ادعو لك هذه الشجرة فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها ارجعى مكانك فرجع ركانة الى قومه فقال يابنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم اهل الارض فوالله ما رأيت اسحر منه ثم اخبرهم بما رأى قال الحجازى واسلم قبل الفتح قيل توفى بالمدينة سنة اربعين فى زمن معاوية وقيل انه من اجداد الشافعى قال المنجانى ولابنه يزيد ايضا اسلام وصحبة (وصارع) يعنى ايضا (ابا ركانة فى الجاهلية) صفة للملة او الامة او الفترة (وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك) بالنصب على نزع الخافض ويجوز رفعه اى كل ما ذكر من المرات (يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجى هذا وخبر انه صارع اباجهل

فصرعه فلم يصح بل لا اصل لهما وفيه انه فى مراسيل ابى داود ويزيد بن ركانة او ركانة بن يزيد على الشك لكن الظاهر ان الصحيح ركانة كما قاله الحلبى وغيره لا كما قاله النووى انه الصواب والله اعلم ثم مصارعة ابى جهل لا تصح اتفاقا هذا وقد ذكر السهيلى ان ابا الاسد بن الجمحى واسمه كلدة بفتح اللام وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتخرق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى امنت بك فصرعه صلى الله تعالى عليه وسلم مرارا ولم يؤمن به (وقال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى فى شمائله والبيهقى فى دلائله (ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيه) وفى نسخة مشيته بكسر الميم وزيادة التاء اى فى هيئة مشيه وهى غير ملائمة لاسرع كما قاله التلمسانى فتأمل فى تحقيق المبانى والمعانى (كأنما الارض) بالرفع لزيادة ما الكافة المانعة ماقبلها عما بعدها من العمل (تطوى له) بصيغة المجهول اى تنزوى وتجمع وتقرب وتدنو وقيل تطوى كطى الملاءة واما المشى فى الهوى وعلى الماء كما وقع لبعض الاصفياء فانه يصدر باذن رب السماء ثم بين وجهه بقوله (انا) اى معشر الصحابة (لنجهد انفسنا) بفتح النون والهاء وفى نسخة بضم النون وكسر الهاء من جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها فالمعنى لنتعب انفسنا بالجهد فوق طاقتها (وهو غير مكترث) بكسر الراء اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مبال بمشينا ولا متأثر بمشى هونا ورفقا لقوله تعالى الذين يمشون على الارض هونا ولقوله تعالى واقصد فى مشيك ومع ذلك يسبق من سايره كرامة خص بها اذ اعطى قوة زائدة على قوى سائر البشر لحديث كما تحدث انه اعطى قوة ثلاثين رجلا اى فى المشى والبطش والجماع ونحوها وكان يطوف على نسائه فى غسل واحد وكن تسعا (وفى صفته) اى نعته من جهة حسن شمائله (ان ضحكه كان تبسما) لما فى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يبتسم ويشير اليه قوله تعالى فتبسم ضاحكا وفيه ايماء الى ان الاقتصاد فى الضحك هو الذى ينبغى وان كان الضحك جائزا لما ورد فى بعض الروايات انه ضحك حتى بدت نواجذه وعن عبد الرزاق انه سئل ابن عمر اكان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحكون اى احيانا قال نعم وان ايمانهم لاعظم من الجبال نعم يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وكما يشير اليه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ولان كثرة الضحك تنبئ عن الغفلة والبكاء ينبئ عن الرحمة وروى عن الحسن انه كان لا يضحك وهذا لما غلب عليه من الخوف والقبض بخلاف من غلب الرجاء والبسط فانه يضحك ولا يبكى والاعدل هو الاعتدال من هذه الخصال على وفق شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم من تفصيل الاحوال (اذا التفت) كذا فى بعض النسخ والظاهر كما فى اصل الدلجى واذا التفت اى الى احد الجانبين (التفت معا) وفى رواية جميعا اى بجميع نظره لا بمؤخر عينيه كما هو دأب سارق النظر ويسمى نظر العداوة ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين فاندفع قول الدلجى اى بجميع بدنه وينبغى ان يخص هذا بالتفاته وراءه واما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه (واذا مشى) اى فى مسيره (مشى تقلعا) بضم اللام المشددة اى رفع رجليه رفعا بقوة لا احتيالا لشدة عزمه ولان تقريب الخطى من مشية النساء والاغنياء الاغبياء (كانما ينحط من صبب) بفتح المهملة والموحدة الاولى اى كانما ينحدر من مرتفع قاله الدلجى تبعا للسمنى وفى القاموس الصبب محركة تصبب نهر اوطريق يكون فى حدوره وما انصب من الرمل وما انحدر من الارض وكل هذه المعانى تشير الى ان الصبب بمعنى المنخفض لا بمعنى المرتفع وقد صرح الحجازى وغيره بانه ما انحدر من الارض واغرب الحلبى حيث قال من موضع مرتفع منحدر فالاولى ان يقال من بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ويؤيده انه جاء فى رواية كانما يهوى فى صبوب بفتح الصاد وضمها فالمعنى كانما ينزل من علو الى سفل فانه حينئذ يكون المشى بقوة لكن لا بابطاء ولا بسرعة والمقصود من الحديث هذه الفقرة الدالة على كمال قوته البدنية فى مسيرته الحسية واما مسيرته المعنوية فقد علم فى القضية الاسرائية

﴿ فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول ﴾ اى فى معرض البيان وخص الفصاحة باللسان لنطقه بالمفرد والمركب المطابقين لمقتضى الحال وهما يوصفان بها كالمتكلم والبلاغة بالقول اذ لا يكون الا كلاما ذا اسناد يبلغ به المتكلم ارادته ويوصف بها الكلام كالمتكلم دون الكلمة لانها لا يبلغ بها الغرض فراعى اه ثم اصطلاح علماء المعانى والبيان فى تقرير هذا الشان (فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) اى مما ذكر من الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل) بصيغة المجهول اى الظاهر بالوجه الاكمل (سلاسة طبع) بفتح السين ونصبت بنزع الخافض اى بسهولة جبلة وانقياد طبيعة وفى نسخة مع سلامة طبع (وبراعة منزع) بفتح الميم والزاى اى مأخذ ومطلع والبراعة بفتح الموحدة مصدر برع الرجل فاق اقرانه ووصفها

بصفة صاحبها مبالغة اى منزعا بارعا وحاصله جودة لسان ولطافة بيان واما قول التلمسانى [illegible] الذى نزع به واستعاره القاضى للسان مجازا اذ هو آلة الكلام ففى غاية من البعد مع مخالفته [illegible] مقطع) اى ومقطعا موجزا من اوجزاى بكلام قل مبانيه وكثر معانيه والمقطع بفتح الميم والطاء [illegible] المنزع مبدأ الكلام فالمعنى ان كلامه حسن الابتداء ومستحسن الانتهاء وهو المطلع [illegible] المقطع بالمطلوب السعراء من الفصحاء والبلغاء واما ماذكره التلمسانى من انه بكسر الميم وهو فى الاصل شفرة خاذقة يقطع بها الشئ استعاره للقول مجازا اذ هى آلة فهو مع مخالفته للنسخ المصححة فى غاية من التكلف ونهاية من التعسف (وناصاعة لفظ) بفتح النون اى ولفظا ناصعا اى خالصا من شوائب تنافر الحروف و غرابة الالفاظ وارتكاب الشذوذ (وجزالة قول) اى وقولا جزلا لاركاكة فيه ولاضعف تأليف و تركيب ينافيه بل نسجت حبرة الحريرية على منوال تراكيب العربية (وصحة معان) اى ومعان صحيحة يستفاد منها مقاصد صريحة قال التلمسانى ومعان جمع معنى بالياء وبدونهما ولاخفاء لمافيه من ايهام انهما لغتان وليس كذلك بل اختلافهما بحسب تفاوت اعرابهما (وقلة تكلف) اى قلة طلب كلفة فى التأدية بعد تأمل وتفكر وتروية وكان الاولى ان يقال وعدم تكلف لقوله سبحانه وتعالى حكاية عنه وماانا من المتكلفين ولعله اراد بالقلة العدم والله اعلم ومنه قول ابى اوفى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقل اللغو اى لايلغو رأسا ومنه ايضا قوله تعالى فقليلا مايؤمنون اى لايؤمنون اصلا (اوتى جوامع الكلم) جملة مستأنفة مبينة ومؤكدة لماقبلها اى اعطى الكلمات الجامعة للمعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة وقد جمعت اربعين حديثا يشتمل كل حديث على كلمتين وهو اقل ما يتركب منه الكلام الاسنادى كقوله الايمان يمان والعدة دين والسماح رباح وامثالها مما ادرجته فى شرح الشمائل للترمذى والكلم بفتح كاف وكسر لام اسم جمع الكلمة ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل جمع لها وهو ضعيف (وخص ببدائع الحكم) بكسر ففتح جمع حكمة اى الحكمة البديعة المتضمنة للمعانى المنيعة (وعلم السنة العرب) اى وخص بمعرفة لغات طوائف العرب من قومه وغيرهم لانه بعث الى جميعهم فعلمه الله الالسنة ليخاطب كل قوم بما يفهمون لقوله تعالى وماارسلنا من رسول الابلسان قومه وفى نسخة وعلم بصيغة الماضى المعلوم وفى اخرى بصيغة المجهول من التعليم عطفا على اوتى وقيل كان يعلم جميع الالسنة الا انه لم يكن مأمورا باظهارها اواراد ان يكون التكلم بالعربية هو السنة لانه افضل انواع اللغة لان كلام الله عربى ولسان اهل الجنة فى الجنة عربى واصل النبى عربى قيل ومن اسلم فهو عربى ولانه ايسر اللغات واضبط للكليات كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى فانما يسرناه بلسانك (يخاطب) وفى نسخة فكان يخاطب (كل امة) اى طائفة (منها) اى من طوائف العرب (بلسانها ويحاورها) بالحاء المهملة اى ويجاوبها (بلغتها) وفى نسخة بلغتها (ويباريها) بالراء والياء اى يعارضها ويروى بدله ويبانها (فى منزع بلاغتها) اى مأخذها ومرجع لغتها (حتى) هى مستأنفة ههنا على ماذكره الدلجى والاظهر انها للغاية اى الى حد (كان كثير من اصحابه) اى من اتباعه واحبابه (يسألونه فى غير موطن) اى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه) اى بيان مرامه (وتفسير قوله) عطف تفسير والاول مختص بالجمل والمركبات والثانى بالمفردات اوالاعم والله اعلم وقد صرح التلمسانى بان الصحابة كانوا يسألون عن كثير من مفردات اللغة نحو حتى تزهى وتزهو وحتى تسقح وسؤالهم عن لفظ الطاعون ونحو ذلك انتهى ثم هذا الذى ذكرناه امر ظاهر وشان باهر (من تأمل حديثه وسيره) اى احاديثه فى كتب المحدثين والائمة المجتهدين واقواله فى كتب ارباب السير والمؤرخين وفى نسخة وسبره بالموحدة على انه فعل ماض اى نظر فى صناعة اساليبه وصياغة تراكيبه (علم ذلك) اى تفصيله (وتحققه) اى وثبت عنده وزال الريب عنه (وليس كلامه) اى لم يكن تكلمه (مع قريش) اى من اهل مكة (والانصار) اى من اهل المدينة (واهل الحجاز ونجد) اى وحواليهما (ككلامه مع ذى المشعار) بكسر ميم وسكون معجمة فمهملة او معجمة بعدها الف وراء وهو ابو ثور مالك بن نمط (الهمدانى) بميم ساكنة فمهملة نسبة الى همدان قبيلة من اليمن قدم عليه عليه الصلاة والسلام مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين فقال هذا وفد همدان مااسرعها الى النصر واصبرها على الجهد واما همذان بفتح الميم مع الذال المعجمة او المهملة فبلد بعراق العجم [illegible] جر ذو المشعار فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه الى الشام ومعه اربعة آلاف عبد فاعتقهم كلهم وانتسبوا الى همدان (وطهفة) بكسر المهملة وسكون هاء وفاء (النهدى) بفتح فسكون قبيلة باليمن قدم عليه بعد فتح مكة كما قال ابن سعد وغيره (وقطن بن حارثة) بقاف ومهملة مفتوحتين وحارثة بالمثلثة (العليمى) بالتصغير نسبة الى بنى عليم قدم عليه فسأله الدعاء له ولقومه فى غيث السماء فى حديث فصيح كثير الغريب على مارواه ابن شهاب عن عروة (والاشعث بن قيس) قدم عليه مع كثير من قومه وعليهم الحبرات قد كففوها بالحرير فقال لهم

الم تسلموا قالوا بلى قال فاهذا الحريق فى اعناقكم فرموا به ثم ارتد بعد وفاته عليه الصلاة و السلام ثم رجع الى الاسلام وجيء به الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه اسيرا فعد د عليه فعلاته فلم ينكرها ثم قال يا ابا بكر استبقنى لحربك و زوجنى اختك فزوجه ثم خرج ودخل سوق الابل فلم يلق ذات اربع تؤكل الاعقرها ثم قال ياقوم انحروا وكلوا هذه وليمتى ولو كنت فى بلدى لاولمت كما يولم مثلى اغدوا على فخذوا اثمان ما عقرت لكم ثم خرج مع سعد الى العراق وشهد معه مشاهد كثيرة فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وسكن الكوفة الى ان توفى بها بعد على بار بعين يوما وصلى عليه الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم اجمعين (ووائل بن حجر) بضم حاء وسكون جيم فراء واما وائل فبهمز كقائل وقول الحلبى بالمثناة تحت قبل اللام فى غير محله لانه بناء على ماقبل اعلا له (الكندى) بكسر الكاف قال الدلجى تبعا للمنجانى كذا ههنا ولعله تأخير من تقديم اذ هى نسبة الاشعث ونسبة وائل هى الحضرمى قلت لايبعد ان يكون كنديا حضرميا ثم رأيت الحلبى صرح بان وائل بن حجر كان من ملوك حمير الكندى الصحابى شهد مع على فى صفين وكانت معه راية حضرموت بشر صلى الله تعالى عليه وسلم به قبل قدومه عليه ثم قدم فاسلم فرحب به وادناه من نفسه و قرب مجلسه و بسط له رداءه واجلسه عليه ودعاله بالبركة ولولده ولولد ولده وولاه على اقيال حضرموت وارسل معه معاوية بن ابى سفيان فخرج معه معاوية راجلا ووائل على ناقته راكب فشكا اليه معاوية حر الرمضاء فقال انتعل ظل الناقة فقال معاوية وما يغنى ذلك عنى لو جعلتنى ردفا فقال له وائل اسكت فلست من ارداف الملوك ثم عاش وائل بن حجر حتى ولى معاوية فدخل عليه فعرفه معاوية واذكره بذلك ورحب به واجازه لوفوده عليه فابى من قبول جائزته وقال يأخذه من هو اولى به منى فانا عنه فى غنى (وغيرهم) اى و مع غير المذكورين ايضا (من اقيال حضرموت) بفتح همزة وسكون قاف فتحتية جمع قيل بفتح فسكون واصله قيل بالتشديد اى المنفذ قوله و يدل عليه انه يجمع على اقوال بالواو ايضا وقال السهيلى القيالة الامارة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى تسبيحه الذى رواه الترمذى سبحان من لبس العز وقال به اى ملك به وقهر على ما فسره الهروى وهم بلغة حمير صغار الملوك دون الملك الاعظم من ملوك اليمن وحضرموت بسكون الضاد وفتح الباقى و بضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت غير منصرف للتركيب والعلمية و يضاف فيقال حضرموت بضم الراء على اعراب الاول بحسب عامله واعراب الثانى باعراب ما لا ينصرف وان شئت نونت الثانى (وملوك اليمن) تعميم بعد تخصيص (وانظر كتابه) اى مكتوبه الذى بعث به ذا المشعار بعد قدومه عليه عليه الصلاة و السلام على ما ذكره ابى عبيدة و غيره (الى همدان) اوله بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارق و يام و اهل خباب الضب وحقاف الرمل من همدان مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم الى آخره (ان لكم) بكسر الهمزة و فتحها وفى اصل الدلجى ان لهم و هو الملايم لما سيأتى من قوله ولهم (فراعها) بكسر الفاء اى ما ارتفع من الارض (و وهاطها) بكسر الواو جمع وهط بالطاء المهملة وهى المواضع المطمئنة منها (وعزازها) بفتح مهملة فزايين ما خشن و صلب منها و ما يكون الا فى اطرافها ومنه قول ابن مسعود للزهرى بعد خدمته و ملازمته مدة مديدة زاعما انه بلغ الغاية ووصل النهاية انك فى العزاز اى فى الاطراف من العلم لم تتوسط بعد و فى الحديث نهى عن البول فى العزاز اى حذرا عن الرشاش (تأكلون) بالخطاب او الغيبة (علافها) بكسر العين جمع علف وهو ما يعتلف منها او ما تأكله الماشية (وترعون عفاءها) بفتح مهملة وتخفيف فاء ممدودا وروى بكسر العين وهو ما ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشئ اى خلص وصفا و فى الحديث اقطعهم من ارض المدينة ما كان عفاء وهو احد ما فسر به قوله تعالى خذ العفو (لنا من دفئهم) بكسر مهملة وسكون فاء فهمز ومنه قوله تعالى لكم فيها دفء اى ما تستدفؤن به من اصوافها واوبارها واما فى الحديث فهو كناية عن الانعام وفى المجمل الدفء نتاج الابل والبانها والانتفاع بها وقيل هى الغنم ذات الدفء وهو الصوف والاظهر ان يراد به الانعام وسميت دفئا لانها يتخذ من اوبارها واصوافها و اشعارها ما يستدفأ به من الاكسية وغيرها قال الدلجى فصله عما قبله ملتفتا من الغيبة الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذاك مما خصهم به من اراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خص به نفسه او من معه من مواشيهم اى من ابلهم وغنمهم ضأنا ومعزا و ما ينتفع به منها سميت دفئا لانه يتخذ منها ما يستدفؤ به انتهى ولا يخفى انه ليس ههنا التفات من الغيبة الى التكلم بل من خطاب فى قوله لكم بناء على الاصول المصححة الى غيبة فى قوله لنا من دفئهم (وصرامهم) بكسر اوله و بفتح جمع صرمة اى من نخيلهم او من ثمراتهم لانها تصرم وتقطع (ماسلموا) بتشديد اللام المفتوحة اى استسلموا لنا و اطاعونا (بالميثاق) اى العهد والحلف المؤكدة قيل ولعله اراد الاسلام اى لاتقبل صدقة الامن مسلم وقيل اراد بالميثاق انه لا يفرق بين مجتمع و لا يجمع بين متفرق

و لايغر بزكاته ولايخفى بعض ماله (و الامانة) اى من دون الخيانة من المالك اوالعامل وقيل المراد بالامانة الطاعة وقيل هي الامان و يؤيده ماسيأتى من قوله عليه الصلاة والسلام لنهد من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة (ولهم من الصدقة) اى من الاموال التى تجب عليهم فيها الصدقة والزكاة (الثلب) بكسر المثلثة وسكون اللام فموحدة اى الهرم من ذكور الابل الذى سقطت اسنانه قيل وتناثر هلب ذنبه (و الناب) اى و لهم الهرمة من اناثها التى طال نابها وهى من امارات هرمها (والفصيل) وهو ما فصل عن امه وفطم عنها من اولاد الابل وقد يطلق على اولاد البقر و المراد صغارها (و الفارض) اى المسن من الابل و قيل من البقر ايضا بدليل قوله تعالى لا فارض و لا بكر ويروى العارض بالعين المهملة و هي المريضة والمعيوبة (الداجن) وفى اصل الدلجى بالعطف وهو الظاهر وهو بكسر الجيم ما يألف البيوت ولايرسل الى المرعى و اغرب الانطاكى فى جعله وصفا للفارض اوالعارض على اختلاف الروايتين فى الداجن اعتبارا للعادة لان المنقطع عن السوم يعلف فى الاهل غالبا (و الكبش الحورى) بفتحتين و هو كبش يتخذ من جلده نطع فان جلده احمر وروى الحوارى اى الابيض والمعنى لايؤخذ منهم فى هذه الاشياء التى خصوا بها وقيل المعنى لاتؤخذ هذه الاشياء منهم اما لنفاستها كالحورى و اما لخساستها كغيره و انما يؤخذ الوسط العدل (وعليهم فيها) اى فى الصدقة (الصالغ) بكسر لام فمعجمة ما دخل فى السنة السادسة من البقر والغنم و السين لغة فيه وفى النهاية لابن الاثير وعليهم الضالع بالضاد المعجمة والعين المهملة فليس بتصحيف كما زعمه التلمسانى (و القارح) بالحاء المهملة بعد الراء المكسورة ما دخل من الخيل فى خامس سنة (وقوله) اى وانظر قوله (لنهد) بفتح فسكون اى لاجل قبيلة من اليمن وهو يحتمل ان يكون مشافهة ومكاتبة فيقال وانظر قوله فى كتابه لنهد لا كما قال الدلجى وانظر كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه ابونعيم فى معرفة الصحابة والديلمى فى مسند الفردوس (اللهم بارك لهم فى محضها) اى لبنها الذى لم يخالطه ماء ذكره التلمسانى والظاهر ان المراد به ما لم يخرج منه زبده حلوا كان او حامضا وهو بميم مفتوحة فخاء مهملة ساكنة وضاد معجمة ومنه الحديث وذلك محض الايمان (ومخضها) بالخاء المعجمة اى ما مخض من لبنها واخذ زبده مصدر بمعنى المفعول والمخض تحريك سقاء اللبن لاستخراج زبده وفيه صنعة التجنيس والتصحيف (ومذقها) اى ما خلط من لبنها بالماء من المذق بالذال المعجمة والقاف بمعنى المزج والخلط وقيل اللبن الرقيق وهو التحقيق وبالله التوفيق (وابعث راعيها) اى مالكها ومربيها و قد يكون مالكها وهى بمنزلة رعيته كما ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (فى الدثر) بفتح مهملة فسكون مثلثة اى المال الكثير وقيل المراد به هنا الخصب والنبات (و الجر) بضم الجيم و منه قوله تعالى حتى تفجرلنا من الارض ينبوعا قرئ بالتشديد والتخفيف فى السبعة (له الثمد) بفتح مثلثة وميم فدال مهملة وقد تسكن ميمه اى الماء القليل الذى لامادة له والمعنى اجره لهم حتى يصير كثيرا (وبارك لهم فى المال) اى الحلال والا فبعض المال وبال فى المآل ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح (والولد) اى الصالح والا فبعض الولد كدوكبد وفى بعض النسخ وبارك له بصيغة الافراد والمتبادر منه انه راجع الى الراعى والاظهر انه خطاب عام لهم على الانفراد الذى هو اتم من الاجتماع فالمعنى بارك لكل منهم فى ماله وولده (من اقام الصلاة) اى واظب عليها وقام بشرائطها واركانها (كان مسلما) اى منقادا واسلم نفسه من التعرض اليها بقتلها واسرها وقد قيل فى الصلاة جميع العبادات من قيام و قراءة وركوع وسجود ودعاء وثناء و صبر و هو حبس النفس و الحواس و الخواطر وزكاة وهو بذل المال فى الماء و اللباس وصيام وهو الامساك عن الاكل و الشرب و اعتكاف وهو لزوم المكان الواحد لادائها وحج وهو التوجه للكعبة وجهاد وهو مجاهدة النفس ومحاربة الشيطان وشهادة وهى ذكر الله ورسوله (ومن اتى الزكاة) اى اعطاها مستحقيها (كان محسنا) اى فى اسلامه او يبذله الى اخوانه (ومن شهد) اى بقلبه و اقر بلسانه (ان) اى انه (لا اله الا الله) اى وان محمدا رسول الله (كان مخلصا) اى فى ايمانه واقتصر على احد ركنيه لانهم كانوا عبدة اصنام فقصد به نفى الهية ما سوى الله مع اشتهاره عندهم بانه رسول الله وايناسه منهم الايمان به بدليل قدوم كبرائهم عليه مؤمنين فهو من باب الاكتفاء اولان هذه الكلمة علم لمجموع الشهادتين باطلاق البعض وارادة الكل ولذا ورد من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة واذا عرفت ذلك فقوله مسلما يراد به المعنى اللغوى فلايحتاج الى قول الدلجى كان مسلما ومؤمنا ايضا اذ مآلهما واحد شرعا و ان اختلفا مفهوما فان الاسلام هو الانقياد الظاهرى و الايمان هو الاذعان الباطنى و لايستغنى احدهما عن الآخر لكن تخصيصه باقامة الصلاة يوهم انها و امثالها جزء الايمان على ما ذهب اليه المعتزلة فالاولى ان يقال المعنى كان مسلما كاملا وان الواو فى الجمل الشرطية لمجرد الجمعية (لكم يا بنى نهد ودائع الشرك) جمع وديع من قولهم اعطيته وديعا اى عهدا وميثاقا

اى اقررتكم على العهود والمواثيق التى كنتم تتعاهدونها مصالحة ومهادنة قبل الاسلام والاظهر انها جمع وديعة والمراد بها مااستودعوه من اموال الكفار الذين لم يسلموا فاحله لهم لانه مال كافر قدر عليه بلا عهد وشرط و يؤيده رواية مالم يكن عهد ولاوعد (ووضائع الملك) بكسر الميم جمع وضيعة وهى الوظيفة التى تلزم المسلمين فى املاكهم من صدقة وزكاة و المعنى ولكم الوظائف التى تلزمكم لانتجاوزها منكم ولانزيدها عليكم فصح قوله لكم دون عليكم او بضم الميم اى ولكم ما وظفه ملوككم فى الجاهلية عليكم و ماااستأثروا به دونكم من مغنم و غيره والمعنى لاناخذها منكم ثم قول الحلبى بعد الالف مثناة تحت ليس على ظاهره بل باعتبار اصله والا فهو مقلوب بالهمز كنظائره من الودائع والصحائف (لاتلطط) كلام مستأنف وهو بضم مثناة فوق فسكون لام فمهملتين نهى لم يرد به واحدا معينا كمارواه البيهقى بل لكل من يأتى منه توجيه الخطاب وتوجه الكتاب (فى الزكاة) اى لا تمنعها من لط الغريم والط اذا منع الحق اونهى اراد به جنس المخاطب كمارواه غيره بصيغة الجمع وكذا قوله (ولاتلحد) ومابعده وهو من الالحاد اى لاتعدل عن الحق ولا تمل الى الفساد وظلم العباد فى البلاد (فى الحياة) اى فى مدة حياتك فى الدنيا وقيل الفعلان بصيغة النفى مجهولان وروى الزمخشرى بالنون فيهما و اغرب التلسانى فى قوله اى لاتمسك الزكاة و منه قوله عليه الصلاة والسلام الظوابيا ذا الجلال والاكرام اى الزموا هذا القول و تمسكوا به انتهى وهو و هم فان الظوا فى الحديث بالظاء المعجمة (ولاتثاقل) اى تكاسل (عن الصلاة) وفى نسخة بصيغة الجمع و فى اخرى بصيغة المجهول والمعنى ادهابالقيام بشرائطها واركانها (وكتب لهم) قال الحجازى ويروى لكم ويروى عليكم (فى الوظيفة الفريضة) بالنصب اى الهرمة المسنة وهى الفارض ايضا والمعنى هى لكم لانأخذ منكم فى الزكاة كذا قاله الدلجى وغيره و تبعهم الانطاكى الا انه قال الفريضة بالرفع على الحكاية و لايخفى ان هذا الحكم قد استفيد مماسبق مع انه كان الملايم بسياق الكلام من سياقه و لحاقه ان يقال و كتب لكم فى الوظيفة الفريضة بالرفع على ان الجملة المصدرة بقوله لكم هى المكتوب لهم وفى حاشية الحجازى ان الوظيفة هى مايقدر كل يوم من رزق اوعمل ولايخفى عدم مناسبته لفحوى الكلام ومقام المرام وقال التلسانى الفريضة بالرفع على الحكاية انتهى وفى رواية عليكم فى الوظيفة الفريضة اى عليكم فى كل نصاب مافرض فيه وفى نسخة وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة بالجر فالمكتوب لهم قوله (ولكم الفارض) بالفاء فى اكثر النسخ المعتمدة وقد سبق انه المسنة من الابل اوالبقر وروى بالعين المهملة وهو الاظهر لئلا يتكرر فتدبر اى ولكم المريضة التى عرض لها آفة من قولهم بنوا فلان اكالون للعوارض تعيرا لهم اى لايأكلون الا ماعرض له مرض حذر موته و المعنى لانؤخذ منكم فى الزكاة فهى لكم (و الفريش) بفاء مفتوحة ثم شين معجمة اى الحديثة العهد بالنتاج كالنفساء من النساء ففى الصحاح هى كل ذات حافر بعد نتاجها لسبعة ايام وقيل مالايطيق من الابل حمل الاثقال و يؤيده قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا وقد جاء فرش وفريش بمعنى واحد وقيل ماانبسط على الارض من نبات لاساق له (وذوالعنان) بكسر العين المهملة سير اللجام اى والفرس (الركوب) بفتح الراء ورفع الباء وهو الصواب اى الذلول الذى يلجم و يركب بلا كلفة ومشقة لتكرر ركوبه لان فعول من اوزان المبالغة (والفلو) بفتح فاء وضم لام وتشديد واو كعدو و يضم اوله مع التشديد كسمو وقد تكسر فاؤه مع سكون لامه وتخفيف واوه كجرو وهو ولد الفرس المسمى بالمهر بالضم اذاكان صغيرا بلغ السنة اوفطم عن الرضاعة لانه يفلى عن امه اى يعزل عنها قال التلسانى و يروى الفلو بدون الواو العاطفة انتهى وهو لايصح (الضبيس) بفتح معجمة فكسر موحدة فتحتية فمهملة اى الصعب العسر الاخلاق الذى لم يرض و قيد الصفة للغلبة لا للاحتراز اذ غالب احوال الخيل الصعوبة واما تخصيص الفلو فللدلالة على ان الخيل فيها الزكاة كماهو مذهب ائمتنا الحنفية والمعنى لايؤخذ منكم شئ فى المذكورات واما ما روى من ان الله قد عفالكم عن صدقة الخيل و الرقيق فمحمول على الخيل التى تركب كما ان الرقيق يراد به مايخدم فالخيل السائمة والرقيق للتجارة فيهما الزكاة (لايمنع سرحكم) بصيغة المفعول نفى بمعنى النهى و فصل عما قبله لعدم مناسبة بينهما و يقال سرحت الماشية مخففا و سرحت هى متعد و لازم و اذا رجعت يقال راحت تروح وارحتها انا ومنه قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون اى حين تردونها من مرعاها الى منازلكم وحين تخرجونها اليه ولعل تقديم الاراحة لما فيهما من زيادة افادة الراحة و المعنى لايمنع ما شئتكم السارحة من مرعى مباح تريده (ولايعضد) بصيغة المفعول اى لايقطع (طلحكم) وهو شجر عظام من شجر العضاة له شوك كالسدر و هو شجر حسن اللون لخضرته اى نضرته او رطيبة الرايحة ولكون العرب يستحسنونه لخضرته وحسن لونه و عطره نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع ماالفوه جبر الخواطرهم ووعدا لهم ببقاء مايحبون وهو المراد بقوله تعالى وطلح منضود وهو فى الاية الموز وقيل الطلع وقرى بالعين (ولايحبس دركم) بمهملة

مفتوحة فراء مشددة اى لاتمنع ماشيتكم التى هى ذات الدر اى اللبن عن الخروج الى المرعى لتجتمع بموضع بعدها فيه المصدق لمافيه من الاضرار بها لعدم رعيها وفى رواية لايحشر دركم اى لاتجبر الى المصدق فى ليعدها بل ياخذها بعد ها عند اصحابها واغرب اليمنى فى تفسيره الدر هنا بمعنى المطر ولعل وجهه انه جعل قوله ولايحبس خبرا منفيا بقوله مالم تضمروا واما على ذهب اليه الجمهور فتعلق مادام مقدر ثم المعنى لكم ماقررو عليكم ما حرر (مالم تضمروا الرماق) من الاضمار ضد الاظهار والرماق بالكسر بمعنى النفاق يقال رامقته رماقا نظرت اليه نظر العداوة اوالمعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيشه رماق اى ضيق قاله ابن الاثير و يروى الاماق بفتح الهمزة وكسرها واصله الاماق فخفف همزه قال فى المجمل يقال اماق الرجل اذا دخل فى المأقة وهى الانفة وفى الحديث مالم تضمروا الاماق اى مالم تضمروا الانفة انتهى والانفة التعاظم وقيل هو الغدر وقيل الرمق القطيع من الغنم فارسى معرب فالمعنى لاتخفوا القطيع من الغنم والله اعلم (وتأكلوا الرباق) بالكسر جمع ربقة بكسر فسكون وهى فى الاصل عروة تجعل فى حبل يربط بها ماخيف ضياعه من البهم فشبه مايلزم الاعناق من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقض العهد فان البهيمة اذا اكلت الربقة خلصت من الرباط والمعنى مالم تنقضوا عهود الاسلام التى الزمها اعناقكم ومالم تخلعوها ومنه حديث حذيفة من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه قال التلمسانى والربقة بكسر وتفتح وفى بعض النسخ الرفاق بالفاء بدل من الباء جمع رفقة اى بحيث لاتقطعون الطرق وتظهرون الحرب اذكل ذلك يقتضى نقض العهد ونكث البيعة وقد يقع التصحيف فى مثل هذا والله اعلم (من اقر) استيناف آخر اى من ثبت واستقر واعترف مذعنا منقادا بالملة (فله الوفاء بالعهد) اى بما عوهد عليه (والذمة) اى وبالامان اوالضمان الحاصل لديه (ومن ابى) اى امتنع عن مقتضيات الملة اوتقاعد وتقاصر عن اداء الزكاة والصدقة (فعليه الربوة) بكسر الراء ويجوز ضمه وفتحه اى الزيادة فى الفريضة الواجبة عليه عقوبة له وفى رواية من اقر بالجزية فعليه الربوة اى من امتنع من الاسلام هربا من الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه من الزكاة واعلم انه روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول فى كل اربعين بنت لبون من اعطاها مؤتجرا فله اجرها ومن ابى فانا آخذها وشطر ماله عزمة ربنا رواه ابوداود وقال احمد هو عندى صالح فقيل يأخذ الامام معها شطر ماله وهو اختيار ابى بكر من الحنابلة وقول قديم للشافعى وعند الجمهور يأخذها من غير زيادة بدليل ان العرب منعت الزكاة ولم ينقل انه اخذ منهم زيادة عليها وقال الحربى غلط بهز فى هذه الرواية وانما قال وشطر ماله يعنى يجعل شطرين فيتخير عليه المصدق فيأخذ الصدقة من خيار الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة واما ما لايلزم فلا (ومن كتابه لوائل بن حجر) اى على ما رواه الطبرانى فى الصغير والخطابى فى الغريب والمعنى من مكتوبه لاجل وائل بن حجر وهو بضم الحاء كما سبق (الى الاقيال) اى الملوك الصغار لحمير وقيل الذين يخلفون الملوك اذا غابوا جمع قيل مخففا وقيل مشددا وقد تقدم (العباهلة) بفتح عين مهملة فموحدة اى ملوك اليمن الذين اقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه والتاء فيه لتأكيد الجمع كما فى الملائكة (والارواع) جمع رائع كالانصار والاشهاد جمع ناصر وشاهد اوجمع اروع اى الحسان الوجوه والهيئات اوالذين يروعون الناس اى يفزعونهم بجمالهم وحسن حالهم وقيل السادة واحدهم اروع (المشابيب) جمع مشبوب اى الرؤس السادة الحسان المناظر الزهر الالوان كانما وجوههم تتلألأ نورا وتلمع سرورا وقيل الرجال الذين الوانهم بيض وشعورهم سود وقيل الاذكياء واما قول الحجانى والمشبب دخول الرجل فى حد الشيب من الرجال فوهم منه فى الخيال لاختلاف المادة فى ميزان الافعال فالصواب ماقاله غيره من انه من شب من الشباب اوشب النار اوقدها (وفيه) اى وفى كتابه لوائل (فى التيعة) بكسر فوقية وسكون تحتية فمهملة اى فى الاربعين من الغنم (شاة لامقورة الالياط) بفتح الواو والراء المشددة من الاقورار بمعنى الاسترخاء فى الجلد والالياط بفتح الهمزة جمع ليط بالكسر وهو فى الاصل القشر اللازق بعوده اى اللازق به شبه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزل والمعنى لامسترخية الجلد لهزالها وقيل لامقطوعة الجلد (ولاضناك) بكسر المعجمة ثم كاف منونة وقال التلمسانى بفتح الضاد وكسرها والنون الخفيفة وجوز الحجانى ضمها يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع اى ولا مكثرة اللحم وممتلئة الشحم لكرمها يريد ان هذه الشاة لا سمينة ولاهزيلة بل متوسطة الحال (وانطوا) بهمزة قطع وضم مهملة لغة يمانية اى واعطوا فى الزكاة (الثبجة) بفتح مثلثة وكسر موحدة فجيم مفتوحة بعدها تاء اى الشاة الوسطى التى ليست بادنى ولا اعلى من ثبج كل شئ وسطه والتاء لانتقالها من الاسمية الى الوصفية قال التلمسانى ويروى السجة بالسين والجيم من سج ساربشدة (وفى السيوب) بضمتين جمع سيب وهو الركاز (الخمس) بضمتين ويسكن الميم لان السيب لغة العطاء والركاز عطاء من الله تعالى وقال الزمخشرى هى المعدن اوالمال المدفون فى الجاهلية لانه من فضل الله وعطائه لمن اصابه

(ومن زنى مم) بسكون الميم الثانية (بكر) بتنوين في الراء خلافا لبعضهم لانها نكرة عامة في سياق الشرط ثم ابدلت نون من ميما لكثرة استعمالهم ذلك لفظا في مثل من ماء سيما اذا كان بعدها باء كما هنا ونحو منبر وعنبر ولو كان معرفة بلغتهم لقيل ومن زنى من امبكر كما قال ليس من امبر امصيام في امسفر ومن الجارة تبعيضية او بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطي وترجمة عنه اى ومن زنى من الابكار (فاصقعوه) بهمزة وصل وقاف مفتوحة اى اضربوه كما قاله ابن الاثير واصل الصقع الضرب ببطن الكف وقيل اى فاضربوه على صوقعته اى في وسط رأسه قال التلمسانى وعند الشارح فاصفعوه بالفاء عوض القاف اى فاضربوه (مائة) اى مائة ضربة (واستوفضوه) بالفاء والضاد المعجمة اى اطردوه اوانفوه وغربوه (عاما) اى سنة (ومن زنى مم ثيب) يجرى فيه ما جرى في مم بكر الا ان هناك القلب الحقيقى لاجل الباء وهنا الاخفاء المتولد من قبل الثاء وقيل القلب فيه للمناسبة والمشاكلة كقولهم ماقدم وحدث بضم دال حدث لمناسبة قدم وقيل هي لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف اى ومن زنى من ذوى الاحصان (فضرجوه) بمعجمة مفتوحة وتشديد راء مكسورة فجيم اى فارجوه حتى تدموه وتضرجوه اى تلطخوه بدمائه (بالاضاميم) اى برمى الحجارات جمع اضمامة بالضاد المعجمة وهى ماجمع وضم من الحجارة لان بعضها يضم الى بعض كالجماعات من الناس والكتب قال التلمسانى يريد انه لايرجم بحجرههنا وحجر في موضع آخر لان ذلك تعذيب له ولا في محل فيه حجارة صغيرة اوقليل الحجارة ولا يرجم بحجر في وقت ثم بحجر في وقت آخر وهذا كله يشمله الاضاميم (ولا توصيم) اى لاتوانى ولا محابات (في الدين) اى في اقامة الحدود لقوله تعالى ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله وقيل التوصيم التكسير والمعنى ولا تقصدوا تكسيره بالحجارة وقيل المعنى لاعيب ولا هوان ولا كسر ولاعار في الدين (ولاغمة) بضم غين معجمة وتشديد ميم اى لاستر ولاغطاء وفي رواية ولاعمه بمهملة فميم مخففة مفتوحتين فهاء اى لاحيرة ولا تردد وفي رواية ولاغمد بكسر معجمة وسكون ميم فدال مهملة اى لاستر ولاخفاء اولاتستر ولا الباس (في فرائض الله) بل هى واضحة والمعنى لاتستر فرائض الله ولاتخفى بل تظهر ويجهر بها وقال التلمسانى لاغمة بضم الغين المعجمة وبفتحها اى لاضيق ولا كربة وقيل لا ابهام ولا الباس ولا سترة اى لاتخفى فرائض الله لانها من اعلام الاسلام وتاركها يستحق الملام فحقها ان يعلن بها اماطة للتهمة عن تركها بخلاف التطوع فانه لايلام بتركه ولا تهمة فيه فحقه ان يخفى (وكل مسكر) خمرا اوغيره كثيرا اوقليلا على خلاف في الأخير فيما عدا الخمر (حرام) اى شربه واضرب التلمسانى في ذكره قاعدة منطقية بقوله هذه نتيجة وكيفية تركيب المقدمتين هو ان تقول كل مسكر خمر وكل خمر حرام فينتج كل مسكر حرام انتهى ولم يعرف ان الكبرى ممنوعة هنا (ووائل بن حجر) مبتدأ (يترفل) بفاء مشددة اى يتأمر ويترأس (على الاقيال) خبر معناه الامر لقوله بعده في آخر كتابه امره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمعوه وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتاب الآخر وكان وجه الى المهاجر بن ابى امية مع وائل هذا فكان فيه من محمد رسول الله الى المهاجر بن ابو امية ان وائلا يستسعى ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت اى يستعمل على الصدقات ويصير اميرا على الاقيال ويفتخر عليهم بكتابه عليه الصلاة والسلام كما قال الشاعر

﴿ اذا نحن امرنا امرأ ساد قومه * وان لم يكن من قبل ذلك يذكر ﴾

ولما كان ابو امية مشتهرا تركه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله كما يقال على بن ابو طالب كرم الله وجهه وحكى ابو زيد في نوادره عن الاصمعى عن يحيى بن عمران قريشا كانت لاتغير الاب في الكنية تجعله مرفوعا في كل وجهه من الرفع والجر والنصب والحاصل انه اما رئه بالثوب لانها لتلبسه بها كانها هو واستعير لها ترفيله وهو اطالة ثوبه واسباله فكانه يرفل فيها اى يجرد ذيلها عليهم زهوا وقول التلمسانى هنا الى وائل الى كالالام وروى بها فلبس في محله ولعله فيما تقدم والله تعالى اعلم ثم جملة (اين هذا) اى كلامه هذا مع ماذكر من الاقيال وكتابه لهم (من كتابه لانس رضى الله عنه في الصدقة المشهور) نعت لكتابه كما رواه ابو داود والترمذى والدارقطنى وختمه ولم يدفعه له فدفعه ابو بكر بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم حين وجهه الى البحرين مصدقا فان ذا بمحل من جزالة الفاظ مألوفة وسلاسة تراكيب مأنوسة وذاك بمحل من غلاقة الفاظ غريبة وقلاقة اساليب عجيبة حتى انها في النطق عسرة بالنسبة الى غير اهل تلك اللغة وسبب هذا التغاير ما بينه المصنف بقوله (لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد) اى هذا المقدار غريبا غير مألوف (وبلاغتهم على هذا النمط) اى هذا النوع وحشيا غير مأنوس (واكثر استعمالهم هذه الالفاظ) اى التى هى غير مألوفة لغيرهم وان كانت مأنوسة لهم وجواب لما قوله (استعملها معهم ليبين للناس مانزل اليهم) اى مما نشا به عليهم من امر ونهى ونحوهما بنص اوارشاد اى دال على ذلك كالقياس واستحسان العقل (وليحدث الناس بما يعلمون) اى بما يفهمون ويعقلون لاجما لابد ركون فينكرون كما سبق من كلامه وكتابه (وكقوله في حديث

عطية السعدى) اى المنسوب الى قبيلة بنى سعد وهوابن عروة ويقال ابن عمرو بن عروة على مارواه الحاكم والبيهقى وصححه عنه قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى مااغناك الله فلا تسأل الناس شيئا (فان اليد العليا هى المنطية) اى المعطية (واليد السفلى هى المنطاة) اى المعطاة وان مال الله مسئول ومنطى (قال) اى عطية (فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلغتنا) اى فى الانطاء بمعنى الاعطاء كما قرئ بالنون فى قوله تعالى انا انطيناك الكوثر وهذا الحديث فى المعنى نحو حديث مالك والشيخين وابى داود والنسائى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هى منفقة والسفلى هى سائلة قال ابوداود وقد اختلف عن ايوب عن نافع فى هذا الحديث فقال عبدالوارث اليد العليا هى المتعففة وكذا قال واقد عن حماد بن زيد عن ايوب وقال اكثرهم عن حماد هى المنفقة قال الخطابى رواية المتعففة اشبه واصح فى المعنى لان ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف عنها فعطف الكلام على سببه الذى خرج عليه وعلى مايطابقه فى معناه اولى وقد توهم بعضهم ان معنى العليا هو كون يد المعطى مستعلية فوق يد الآخذ من علو الشئ اى فوقه وليس ذلك عندى بالوجه وانما هو من علو المجد والكرم يريد التعفف عن المسئلة والترفع عنها انتهى كلامه وفى غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم ان العليا هى الآخذة والسفلى هى المعطية فقال وما ارى هؤلاء الا انهم استطابوا السؤال فاحبوا ان ينصروا مذهبهم ونسبه فى المشارق للمتصوفة واقول لعل وجه قولهم هذا انه ينبغى للمعطى ان يتواضع لله فى حال عطائه ويجعل يده تحت يد الفقير الآخذ وان يعلم ان الله تعالى هو الآخذ حقيقة وان كان هو المعطى ايضا لما ورد من انه يأخذ الصدقة ويربيها وينميها كما يربى احدكم فلوه ولقوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ من اموالهم صدقة ولان الآخذ هو سبب المراتب العالية للمعطى فلو لم يأخذ احد ذلك لم يحصل له الثواب والله اعلم بالصواب ثم هنا دقيقة اخرى بالتحقيق احرى وهى انه اذا كانت اليد العليا خيرا من اليد السفلى واليد العليا هى المعطية فيشكل بما اجمعت عليه السادة الصوفية وجمهور القادة الفقهية من ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر فالجواب على ماذكره بعض المحققين ان هذا الحديث بعينه يدل على المدعى فان المعطى لم يحصل له المرتبة العليا الا باخراج شئ من الدنيا والاخذ لم يتسفل عن مرتبته القصوى الا باخذ شئ منها والحاصل ان الاول قول ظاهرى حسى للفقهاء والثانى قول باطنى معنوى للاولياء والجامع بينهما هو المحقق والله الموفق وقيل ان تفسير اليد العليا بالمعطية والسفلى بالسائلة مدرج فى الحديث وقيل معنى المتعففة المقبضة عن الاخذ وروى عن الحسن البصرى انه قال معنى الحديث يد المعطى خير من اليد المانعة (وقوله) اى وكقوله على ماذكره ابونعيم فى دلائله (فى حديث العامرى) اى مخاطبا له بلغته (حين سأله) اى العامرى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سل عنك اى عم شئت) اى عما شئت كما فى نسخة ويجوز سل عن امرك وشانك (وهى) وفى نسخة وهو (لغة بنى عامر واما كلامه المعتاد) اى المأنوس لجميع العباد (وفصاحته المعلومة) اى لسائر البلاد (وجوامع كلمه) اى لمعان كثيرة بالفاظ يسيرة (وحكمه) جمع حكمة (المأثورة) اى المروية عنه الدالة على اتقان علمه واحكام عمله (فقد الف الناس فيها الدواوين) جمع ديوان بكسر داله وقد يفتح وهو فارسى معرب واصله دوان اعل اعلال دينار وجمعه دنانير وقد سبق الكلام فيه والاظهر مما قالوا فى وجه التسمية ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين فسمى الكتاب من الحساب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق وقد يسمى مكانهم باسمهم واول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه لحفظ ما يتعلق بالناس والمراد هنا الكتب المؤلفة من الجوامع والمسانيد وامثال ذلك (وقد جمعت فى الفاظها ومعانيها الكتب) اى فى بيان غرائبها وجمعت بصيغة المجهول وكان الاولى ان يقال وجمعوا فى مبانيها ومعانيها الكتب (ومنها) اى ومن جوامع كلمه وحكمه (مالا يوازى) بهمز ابدل واوا من آزيته بمعنى حاذيته وهو بازائه اى بحذائه ولا تقل وازيته على مافى الصحاح وهو بصيغة المجهول اى لا يماثل ولا يقابل (فصاحة) تمييز للنسبة اى من جهة الفصاحة (ولايبارى) اى ولا يعارض ولا يساوى (بلاغة كقوله) على مارواه ابو داود والنسائى (المسلمون تتكافأ) بالهمز فى آخره وفى نسخة بحذف احدى التاءين اى تتماثل وتتساوى (دماؤهم) اى فى العصمة والحرمة خلاف مافى الجاهلية فكل مسلم شريفا اووضيعا كبيرا اوصغيرا حرا اوعبدا فى ذلك سواء اوفى القصاص والدية فيقاد الشريف بالوضيع والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم الدية الا انه يخص منه العبد اذ لايكافئ حرا فى بعض الصور على خلاف فى المسئلة (ويسعى بذمتهم) اى بعهدهم وامانهم (ادناهم) اى اقلهم منزلة كعبد وامرأة فانه اذا اعطى احدهما امانا لاحد اوالجيش فليس لاحد منا اخفاره اى نقض امانه لحديث البخارى ذمة المسلمين واحدة يسعى بها

اذنا هم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولحديث الترمذي ان المرأة لتأخذ على القوم اى تجير على المسلمين ولحديث ابي داود ان كانت المرأة لتجير على المؤمنين ومنه حديث ذمة المسلمين واحدة (وهم) اى المسلمون (يد) اى قوة (على من سواهم) اوجماعة يتعاونون على اعدائهم من اهل الملل لايخذل بعضهم بعضا اوهم مع كثرتهم قد جمعتهم اخوة الاسلام وجعلتهم فى وجوب الاتفاق بينهم تعاونا وتعاضدا على من آذاهم وعاداهم كيد واحدة فيجب ان ينصر كل اخاه على من آذاه فهو تشبيه بليغ (وقوله) اى وكقوله فيمارواه ابن لال فى مكارم الاخلاق (الناس) اى فى تساوى اجراء الاحكام عليهم (كاسنان المشط) بضم الميم وتكسر وقد تفتح وتضم اوتكسر وتفتح شينه وهومثل فى التساوى وهو قريب من قوله تتكافأ دماؤهم وقيل فى تساوى الاخلاق والطباع وتقاربها ويؤيده ماجاء فى رواية اخرى الناس سواسية كاسنان المشط لافضل لعربى على عجمى ولافضل لعجمى على عربى وانما الفضل بالتقوى (والمرء) اى وكقوله فيمارواه الشيخان المرء (مع من احب) اى فى كل موطن خيرا وفى المحشر اوفى الجنة وفيه ايماء الى ان الله يتفضل على من احب قوما بان يلحقهم بهم فى منازلهم وان لم يكن له مثل اعمالهم وقيل شرطه اتباع عمل محبوبه والا فلا فائدة لهذه المحبة والاظهر انه شرط للكمال وانه يكفى فى اثبات المحبة مجرد التوحيد وثبوت النبوة لما فى صحيح مسلم ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله كيف ترى رجلا احب قوما ولما يلحق بهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من احب (ولا خير) اى وكقوله فيما رواه ابن عدى فى كامله بسند ضعيف المرء على دين خليله ولاخير (فى صحبة من لايرى لك) اى من الحق (مثل ماترى له) اى مثله اغترارا بما له من كثرة المال وسعة الجاه فيتكبر مع جهله على العلماء والصلحاء والفقراء المتواضعين له وروى يرى له بالياء والتاء للفاعل والمفعول على ماذكره التلمسانى والظاهر بناء الفاعل على الخطاب بل هو الصواب هذا وروى لاخير فى صحبة من لايرى لك مثل مايرى لنفسه فيؤول معناه الى حديث لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه (والناس معادن) اى وكقوله على مارواه الشيخان الناس معادن اى لمكارم الاخلاق كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا بضم القاف اى مارسوا الفقه وضموا الحسب الى النسب وجمعوا بين الشرع والطبع فى الطلب وحكى بكسر القاف وهو متعين اذا كان الفقه بمعنى الفهم وحاصله ان الناس مختلفون بحسب الطباع كالمعادن وانهم من الارض كما ان المعادن منها وفيها الطيب والخبيث فان منها مايستعد للذهب الابريز ومنها مايستعد للفضة ومنها مايستعد لغير ذلك ومنها مايحصل منه بكد وتعب كثير شئ يسير ومنها ماهو بعكس ذلك ومنها مالايحصل منه شئ اصلا فكذلك بنوآدم منهم من لايعى ولايفقه ومنهم من يحصل له علم قليل بسعى طويل ومنهم من امره عكس ذلك ومنهم من يفاض عليه من حيث لايحتسب كما هو معلوم فى كثير من الاولياء والصالحين والعلماء العاملين وروى معادن فى الخير والشر كالذهب والفضة (وماهلك امرؤ عرف قدره) رواه السمعانى فى تاريخه بسند فيه مجهول ويقرب منه ماروى عن على رضى الله عنه ماضاع امرؤ عرف قدره لان الضايع بمنزلة الهالك (والمستشار مؤتمن) اى على مااستشير فيه استظهارا برأيه والحديث رواه الاربعة والحاكم والترمذى ايضا فى الشمائل فى قضية ابى الهيثم وفى بعض الروايات زيد فيه (وهو بالخيار مالم يتكلم) وفى رواية احمد وهو بالخيار انشاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه قال الدلجى وهما شاهدا صدق بان الاشارة به بمجرد الاستشارة غيرواجبة انتهى والاظهر ان المراد به انه لم يكن له رأى يسكت والا فيتكلم ويظهر رأيه لان الدين النصيحة وفى الاخفاء نوع من الخيانة المنافية للامانة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها المستشير معان والمستشار مؤتمن وعن على كرم الله وجهه اذا استشير احدكم فليشر بما هو صانع لنفسه (ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم) اى بقوله الخير (اوسكت) اى عما لاخير فيه (فسلم) اى عن الشر بسكوته رواه ابو الشيخ فى الثواب والديلمى ومنهم من فضل السكوت لانه اسلم للنفس وآمن من سوء العاقبة ومنهم من فضل الكلام لوجود الغنيمة والاولى ان يقال لكل مقام مقال على ان الاظهر هو الاول لقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا اوليسكت (اسلم) بحذف العاطف وفى نسخة صحيحة وقوله اسلم وهذا امر بالاسلام جوابه (تسلم) بفتح اللام من السلامة وهذا القدر من الحديث متفق عليه بين الشيخين فى كتابه عليه الصلاة والسلام لهرقل ولمسلم زيادة (واسلم يؤتك الله اجرك مرتين) وللبخارى فى الجهاد اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين اى ان تسلم يعطك الله اجرك مرتين مرة لايمانه بعيسى عليه الصلاة السلام ومرة لايمانه بمحمد عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث مع ايجازه جامع لمراتب الاسلام وما يترتب عليه من انواع السلامة فى الدنيا والآخرة مع المناسبة اللفظية فى العبارة الزاخرة (وان احبكم) اى وقوله فيمارواه الترمذى ان احبكم (الى) اى فى الدنيا والعقبى (واقربكم منى مجالس) لعل وجه الجمع اعتبار الانواع (يوم القيامة احاسنكم اخلاقا) جمع احسن والمراد بالاخلاق الشمائل

والاحوال واستدل بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة جاز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لانه عليه السلام افرد احب و اقرب وجمع احاسن ففيه جمع بين اللغتين في العبارتين (الموطئون) بصيغة المفعول من التوطئة اي المذللون (اكنافا) جمع كنف بكسر ويفتح وهو الجانب اي الذين جوانبهم وطيئة يتمكن منها من يصاحبهم و لايتأذى منهم مأخوذ من فراش وطيء لايؤذي جنب النائم و المراد منهم المتواضعون اللينون الهينون كما ورد في اوصاف المؤمنين (الذين يألفون) بفتح اللام (و يؤلفون) بصيغة المجهول اي يألفون الناس والناس يألفونهم وذلك لحسن اخلاقهم وسهولة طباعهم ولين قلوبهم وصفاء صدورهم وروى في الحديث وان ابغضكم الى و ابعدكم منى مجالس يوم القيمة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وروى ابغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون للاحبة الملتمسون للبراء العيب (وقوله) اى وكقوله فيما رواه البيهقي في شعبه اصيب رجل يوم احد فقالت امه لتهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومايدريك (لعله كان يتكلم بما لايعنيه) بفتح اوله وسكون المهملة وكسر النون اي بمايهمه من امر دنياه وعقباه (و يبخل) لعل الواو بمعنى او (بما لايغنيه) بضم اوله وسكون المعجمة اى من اقوال وافعال وطلب رياسة وحب محمدة و امثال ذلك مما يجلب له شرا ولايذهب عنه ضرا وقد قال الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لايعنيه و في رواية للبيهقي كما رواه الترمذي ان رجلا توفي فقالوا ابشر بالجنة فقال فلعله قد تكلم بما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه قال الترمذي و هذا هو المحفوظ اقول لكن لايخفى حسن صنعة التجنيس بين يعنيه و يغنيه في الحديث الاول (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الشيخان (ذو الوجهين) اى الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه بمعنى انه يأتي كلا بما يحب من خير او شر وهذه هي المداهنة المحرمة وقيل هو الذي يظهر لكل طائفة وجها يرضيها به و يوهمها انه عدو للاخرى و يبدي لها مساويها (لايكون عند الله وجيها) اى ذا قدر ومنزلة لما يتفرع عليه من الفساد بين العباد بخلاف المصلح بين الناس في البلاد واصل الوجيه هو المستقبل بالخير والتعظيم وذلك كناية عن المحبة لان من احب احدا يديم النظر الى وجهه و يستقبله بالتكريم وفي رواية الطبراني عن ابي سعيد ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة له وجهان من نار (ونهيه) اى وكنهيه فيما رواه الشيخان (عن قيل وقال) بفتح لاميهما و خفضهما منونا اى عن فضول ما يتحدث به في المجالس من قولهم قيل كذا وقال كذا و يجوز بناؤهما على انهما ماضيان في كل منهما ضمير راجع الى مقدر وهو الاشهر الاكثر بناء على الحكاية و يجوز اعرابهما اجراء لهما مجرى الاسماء ولاضمير فيهما وعن ابي عبيد انهما مصدران تقول قلت قولا وقيلا وقالا وقد قرئ قال الحق يدل قول الحق والمراد النهي عن نقل اقوال الناس مما لافائدة فيه وقيل المراد النهي عن كثرة الكلام ابتداء و جوابا مما يوقع في الخطأ ومالايجدي نفعا فيرجع الى حديث كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ماسمع ونسب للشافعي

﴿ لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال ﴾

﴿ فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال ﴾

(و كثرة السؤال) اى عما بايدي الناس بان يسأل الناس اموالهم او عن اخبارهم مما لافائدة فيه من التجسس وقيل النهي عن الاغلوطات وفي كثرة السؤال دليل جواز القلة وشرطه الحاجة و لله در القائل

﴿ بلوت مرارة الاشياء طعما * فلاشيء امر من السؤال ﴾

وقيل السؤال عن المتشابهات وقيل كثرة سؤال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مالم ينزل ولم تدع الحاجة اليه ومنه قوله تعالى لاتسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ومنه حديث وسكت عن اشياء غير نسيان فلاتبحثوا عنها و الكثرة بالفتح وتكسر (واضاعة المال) اى بصرفه في غير مرضاة الله عز وجل و يدخل فيه الاسراف في النفقة والبناء والملبوس والمفروش وامثال ذلك وقيل اهماله وترك القيام عليه . وقيل دفعه الى السفهاء وقيل عدم صرفه في موضعه اللايق به كما قيل

﴿ و ماضاع مال اورث المجد اهله * ولكن اموال البخيل تضيع ﴾

(ومنع) بالجر منونا وفي نسخة بفتح العين (وهات) بالكسر وفي نسخة بالفتح ويروى على بناء الماضي اى منع مايجب عليه اعطاؤه وطلب ماليس له (وعقوق الامهات) اى و الآباء فهو من باب الاكتفاء اولان اكثر العقوق يقع بهن لضعفهن ورحمهن ولانهن ماكان عند العرب كثير حرمة لهن اوللايماء بان عصيانهن اقبح لانهن اكثر محبة واشد شفقة لقوله تعالى و وصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين الاية و لما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قيل له من احق الناس بحسن صحابتي يارسول الله قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك (ووأد البنات) بهمزة ساكنة وتبدل اى دفنهن حيات انفة و غيرة ومنهم من وأد تخفيفا لمؤنتهن وخشية الاملاق بهن

ولذا خصهن بالذكر والا فالوأد حرام وكثر ذلك الفعل بهن ومنه حديث العزل الوأد الخفى ومع هذا جاء فى الحديث ان
دفن البنات من المكرمات ونعم الصهر القبر وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا للمرأة ستران قيل وماهما
قال الزوج والقبر قيل فايهما استر قال القبر (وقوله) اى وكقوله فيما رواه احمد والترمذى والحاكم والبيهقى عن
ابى ذر (اتق الله حيث كنت) وفى الاصول من كتب الحديث حيثما كنت وكذا فى اصل الدلجى ولذا قال وزائدة
بشهادة رواية حذفهما والمعنى اتق الله باكتساب اوامره واجتناب زواجره فى كل مكان وزمان فانه معك اينما كنت
وحيثما كنت والخطاب لراويه من صحابته اوعام لكل فرد من افراد امته (واتبع) بفتح الهمزة وكسر الموحدة اى
اعقب والحق (السيئة) اى الصادرة منك (الحسنة) اى من صلاة اوصدقة ونحوهما وروى بحسنة (تمحها) بفتح اوله
وضم الحاء مجزوما بجواب الامر وهو مقتبس من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقيل المعنى بالحسنة فى
الحديث التوبة ثم المراد بمحوها ازالتها حقيقة بعد كتابتها اومحوها كناية عن عدم المؤاخذة بها والظاهر ان جنس الحسنة
يمحو جنس السيئة فلاينافى ما ورد من ان الحسنة تمحو عشر سيئات وخص من عمومها السيئة المتعلقة بالعبد كالغيبة
فلايمحوها الا الاستحلال ولو بعد التوبة نعم قبل وصولها واليه ترتفع بالحسنة لحديث اذا اغتاب احدكم من خلفه
فليستغفر له فان ذلك كفارة له وقيل تمحها بحسنة يضاد اثرها اثر السيئة التى ارتكبها فسماع الملاهى يكفر بسماع
القرآن ومجالس الذكر وشرب الخمر يكفر بتصدق شراب حلال ونحو ذلك فان المعالجة بالاضداد (وخالق الناس)
اى خالطهم وعاشرهم (بخلق حسن) اى بطلاقة وجه وكف اذى وبما تحب ان يعاملوك به فان الموافقة مؤنسة
والمخالفة موحشة (وخير الامور اوساطها) هذا حديث مستقل رواه ابن السمعانى فى تاريخه اى المتوسطة بين
الافراط والتفريط فى الاخلاق كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن وفى الاحوال كالاعتدال بين
الخوف والرجاء والقبض والبسط وفى الاعتقاد بين التشبيه والتعطيل وبين القدر والجبر وفى المثل الجاهل امامفرط
وامامفرط وفى التنزيل ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا والحاصل ان الانسان مأمور ان يجتنب
كل وصف مذموم بالبعد عنه وابعد الجهات والمقادير من كل طرفين وسطهما فاذا كان فى الوسط فقد بعد عن
الاطراف المذمومة ولعل هذا معنى قولهم كن وسطا وامش جانبا (وقوله) اى وكقوله عليه الصلاة والسلام فيما
رواه الترمذى والبيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (احبب) من احبه فان احببته احبه بالكسر شاذ وقوله
(حبيبك) بمعنى محبوبك والمعنى احبب الذى تحبه مما سوى الله ورسوله (هونا ما) مازائدة للمبالغة فى القلة اى حبا
يسيرا ولاتسرف فى حبه ولاتبالغ فى تعلق القلب به كثيرا فانه (عسى ان يكون) اى يصير وينقلب (بغيضك)
اى مبغوضك (يوما ما) اى حينا من الاحيان وتمته وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما اذ ربما
انقلب ذلك الحب بتغير الاحوال بغضا فتندم عليه اذا ابغضته اوانقلب البغض حبا فتستحيى منه اذا احببته
ويقرب من هذا الكلام قول عمر رضى الله تعالى عنه لايكن حبك كلفا ولابغضك تلفا وفى معنى هذا الحديث

انشد ابو عمر وابن عبد البر فى بهجة المجالس

﴿ واحبب اذا احببت حبا مقاربا * فانك لاتدرى متى انت نازع ﴾
﴿ وابغض اذا ابغضت بغضا مقاربا * فانك لاتدرى متى انت راجع ﴾

والمقارب المقتصد (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الشيخان (الظلم) اى على النفس اوعلى الغير (ظلمات) بضم الظاء
واللام وقال التلمسانى ويفتح ويضم الثانى اى انواع الظلم القاصر اوالمتعدى ظلمات حسية على اصحابه فلايهتدون بسببه الى
الخلاص (يوم القيامة) اى فى يوم يسعى نور المؤمنين الكاملين بين ايديهم وبايمانهم بسبب ايمانهم واحسانهم ويحتمل
ان يراد بها الشدائد كما فى قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الترمذى وغيره
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (فى بعض دعائه) اى فى بعض دعواته لما فرغ من صلاته ليلة الجمعة (اللهم انى
اسئلك رحمة من عندك) اى من فضلك وكرمك لابمقابلة عمل من عندى الحديث كذا فى اصل الترمذى وليس فى بعض
النسخ لفظ من عندك (تهدى بها قلبى) اى تدله اليك وتقربه لديك (وتجمع بها امرى) اى حالى عليك (وتلم) بضم
اللام وتشديد الميم (بها شعثى) بفتحتين اى تجمع بها تفرق خاطرى وتضم بها تشتت امرى بمقام جمعى وحضورى
(وتصلح بها غائبى) اى قلبى اوباطنى بالاخلاق الرضية والاحوال العلية (وترفع بها شاهدى) اى قالبى اوظاهرى
بالاعمال البهية والهيئات السنية اويراد بهما اتباعه الغائبون والحاضرون (وتزكى بها عملى) اى تزيد ثوابه وتنميه او
تطهره وتنزهه عن شوائب الرياء والسمعة وسائر ما ينافيه (وتلهمنى بها رشدى) اى صلاح حالى فى حالى ومألى

(وترد) اى تجمع (بها الفتى) بضم الهمزة اسم من الائتلاف واما الالفة بالكسر فالمرأة تألفها وتألفك والفه كعلم سابقها بالكسر والفتح على ما فى القاموس فقول الدلجى بضم الهمزة وكسرها [illegible] بمعنى المفعول ليس فى محله والمراد بها الالفة فى العبادة او حسن الصحبة مع ارباب السعادة ومنه حديث المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف على مارواه الدارقطنى عن جابر مرفوعا ومنه قوله تعالى ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (وتعصمنى) اى تحفظنى وتمنعنى (بها من كل سوء) اى تصرفنى عنه وتصرفه عنى وهو بضم السين وقد يفتح الضرر الحسى والمعنوى (اللهم انى اسئلك الفوز) اى النجاة (فى القضاء) اى فيما قضيته وقدرته على من البلاء وفى نسخة عند القضاء اى حين حلول القضاء وضيق الفضاء بتوفيق الرضى وروى التجانى فى العطاء ثم قال و يروى فى القضاء كما ذكره المصنف فى الشفاء (ونزل الشهداء) بضمتين وتسكن الزاى واصله ما يعد للضيف اول نزوله والمراد هنا جزيل الثواب وجميل المآب وقيل النزل بمعنى المنزل و يؤيده رواية ومنازل الشهداء (وعيش السعداء) اى الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير التعب والعناء وفى رواية زيادة ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) اى من النفس والشياطين وسائر الكافرين والحديث طويل كما ذكره بعض السراح وفى هذا الحديث دليل واضح على ان السجع فى الدعاء انما يكون مكروها على ما ذكره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره اذا كان عن تكلف وتعسف يمنعه عن حسن الثناء و يشغله عن حضور الدعاء ثم هذه الروايات من الكلمات الجامعات منضمة (الى ما رووه الكافة عن الكافة) اى جميع الرواة عن الثقاة وحكى عن سيبويه انه لا يجوز استعمال كافة معرفا بل نكرة منصوبة على الحالية كقاطبة (من مقاماته) بيان لما والمعنى من مقالاته فى اختلاف مقاماته وحالاته ومجالس وعظه ودلالاته (ومحاضراته) اى فى محاوراته (وخطبه) اى فى جمعه و جماعاته (وادعيته) اى وقت مناجاته (ومخاطباته) اى فى مجاوباته (وعهوده) اى فى مبايعاته (مما لا خلاف) اى بين علماء الانام (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل) فعل ماض وقد وهم التلمسانى فى ضبطه بضم النون والزاى منونا وذكر معانيه التى هى غير ملائمة للمقام فالمعنى انه تنزل وحل ووصل (من ذلك) اى مما ذكر من علو المقام (مرقبة) بقاف فموحدة اى موضعا مشرفا كما فى الصحاح و فى نسخة بقاف فالف وكلاهما بمعنى مرتبة كما فى نسخة وقال التلمسانى هى الصواب والحاصل ان النسخ كلها بمعنى درجة عالية (لا يقاس) اى عليه (بها غيره) فاين الثريا من يد المتناول فى الثرى ولا يقاس الملوك بالحدادين فى السلوك (وحاز) بالحاء والزاى اى ضم وجمع (فيها سبقا) بفتح فسكون مصدر سبق وهو التقدم فى السير و يستعار لاحراز الفضل والخير و بفتحهما ما يجعل من المال رهنا فى المسابقة واغرب الحلبى من بين الشراح فى قوله انه يتعين ههنا فتح الباء (لا يقدر قدره) بصيغة المجهول اى لا يعرف عظمة شانه و رفعة برهانه (و قد جمعت) بصيغة المتكلم فى اكثر النسخ وضبطه الدلجى بتاء تأنيث ساكنة مبنيا للمفعول (من كلماته) من تبعيضية او زائدة وانث الضمير نظرا الى الكلمات كذا ذكره الدلجى و الظاهر كون من تبعيضية لقلة وجودها زائدة فى الكلام الموجب مع ان كلماته لا تستقصى فى مقام الرواية و المفعول او نائب الفاعل قوله (التى لم يسبق اليها) بصيغة المجهول اى ماسبقه واحد الى تلك الكلمات البالغة لاصابتها نهاية البلاغة وغاية الفصاحة (و لا قدر احد ان يفرغ) من الافراغ اى (فى قالبه) بفتح اللام و تكسر ففى القاموس القالب كالمثال يفرغ فيه الجواهر وفتح لامه اكثر والمعنى لم يقدر احد ان يسكب جواهر المعانى فى قوالب زواهر المبانى (عليها) اى على نهج تلك الكلمات التى ليس لها مثانى (كقوله) اى يوم حنين على مارواه مسلم والبيهقى الآن (حمى الوطيس) بفتح الحاء وكسر الميم اى اشتد الحرب والوطيس فى الاصل التنور شبه به الحرب لاشتعال نارها وشدة ايقادها فاستعار لها اسمه فى ايرادها استعارة تحقيقية لتحقق معناها حسا و قرنهـا بقوله حمى ترشيحا للمجاز و قيل هو الوطئ الذى يطس الناس اى يدقهم وقال الاصمعى هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر احد على وطئها عبر به عليه الصلاة و السلام عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق فهو كلام فى غاية الايجاز ومما يشبه الغاز وكاد ان يكون من باب الاعجاز (ومات حتف انفه) اى وكقوله فيما رواه البيهقى فى شعب الايمان ولفظه من مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله يعنى اذا خرج مجاهدا فى سبيل الله والمعنى مات بلا مباشرة قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق وخص الانف لانه اراد ان روحه تخرج من انفه بتتابع نفسه اولانهم كانوا يتخيلون ان المريض تخرج روحه من انفه والجريح من جراحته (ولا يلدغ المؤمن من جحر) بضم جيم فسكون حاء (مرتين) اى كما رواه البخارى وغيره و روى لا يلسع وهو اما خبر فمعناه ان المؤمن الفطن هو اليقظ الحازم الحافظ الذى لا يؤتى من جهة الغفلة فيخدع وهو لا يشعر مرة بعد مرة واما نهى فمعناه لا يخدعن المؤمن من باب واحد من وجه واحد مرة بعد اخرى فيقع فى مكروه بل فليكن حذرا يقظا فى امر دنياه واخراه وسبب الحديث ان اباعزة الجمحى اسر يوم بدر فمن عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يهجوه ولا يحرض عليه

البزار ثم اسر باحد فقال يارسول الله قلبت اقلنى فقال لادعك تحج عارضيك بمكة تقول خدعة محمدا مرتين وان المؤمن لايلدغ من جحر مرتين ثم امر بضرب عنقه (والسعيد من وعظ) بصيغة المجهول اى اتعظ (بغيره) كما رواه الديلمي وروى تمامه والشقى من وعظ به غيره (فى اخواتها) اى اشباه هذه الكلمات والمعنى انها جمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة واشالها من الكلمات الجامعات منها كل الصيد فى جوف الفرا اى الحمار الوحشى قاله لابى السبيعى لما اسلم اى اجتمع كمال خصال الناس فيه واياكم وخضراء الدمن ولايجنى على المرء الا يده والبلاء موكل بالمنطق وترك الشر صدقة وسيد القوم خادمهم والخيل فى نواصيها الخير وان من الشعر لحكمة ونية المؤمن خير من عمله والدال على الخير كفاعله ونعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والندم توبة ونحو ذلك (مما يدرك الناظر العجب) اى مما يتصوره و فى نسخة بنصب الناظر ورفع العجب فالمعنى مما يلحقه العجب اذا نظر (فى مضمنها) بفتح الميم المشددة و فى نسخة من ضمنها اى مضمونها ومايتضمنها من المعانى البديعة فى المبانى المنيعة (ويذهب به) اى ومما يذهب بالناظر (الفكر فى ادانى حكمها) بكسر ففتح جمع حكمة والمعنى فيتعجب بتأمله فى فهمها باعتبار اداينها فما ظنك باقاصيها (وقد قال له اصحابه) اى كما رواه البيهقى فى شعب الايمان (ما رأينا الذى هو افصح منك) الجملة من المبتدأ والخبر صلة الموصول وهو عائد الموصول لاضمير افصح كما توهم الدلجى فان ضميره راجع الى المبتدأ كما لايخفى على المبتدى (فقال ومايمنعنى) اى من ان اكون افصح (وانما انزل القرآن) اى الذى هو فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة مع ايجاز المبانى وحسن البيان والمعانى (بلسانى لسان عربى مبين) اى واضح او موضح ولسان بدل او بيان (وقال مرة اخرى) اى كما رواه اصحاب الغرائب ولم يعرف له سند (انا افصح العرب بيد) اى غير (انى) او على انى (من قريش) فيكون من باب المدح بمايشبه الذم كقول القائل

﴿ ولاعيب فيهم غيران سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب ﴾

(ومنه قول النابغة)

﴿ فتى كملت اخلاقه غير انه * جواد فمايبقى من المال باقيا ﴾

وفى مشارق الانوار المصنف ان بيد بمعنى لاجل وفى المعنى هنا بمعنى من اجلى انى من قريش (ونشأت) اى تربيت وفى رواية ارضعت (فى بنى سعد) اى وهما طائفتان فصيحتان من العرب العرباء وفيهم البلغاء من الشعراء والخطباء وللطبرانى انا اعرب العرب ولدت فى قريش ونشأت فى بنى سعد فانى يأتينى اللحن واما حديث انا افصح من نطق بالضاد بيد انى من قريش فنقله الحلبى عن ابن هشام لكن لا اصل له كما صرح به جماعة من الحفاظ وان كان معناه صحيحا والله اعلم واغرب التلمسانى فى قوله وتكسر همزة انى على الابتداء وقال روى الحديث محمد ابن ابراهيم الثقفى عن ابيه عن جده (فجمع له) بصيغة المجهول اى فاجتمع له بجمع الله له (بذلك) اى بسبب ما ذكر من اصالة قريش وحضانة بنى سعد (صلى الله تعالى عليه وسلم) كان محله بعد له (قوة عارضة البادية) اى حلاوة كلام اهل البادية (وجزالتها) بالرفع وهو ضد الركاكة (ونصاعة الفاظ الحاضرة) اى وخلوص الفاظ اهل الحضور فى القرى من شوائب خلط الخلطة بغيرهم (ورونق كلامها) اى وحسن تعبير اهل الحاضرة المفهومة للعامة والخاصة حال كون ذلك كله منضما (الى التأييد الالهى الذى مدده) بالرفع اى زيادته المتوالية وامداده (الوحى الذى لايحيط بعلمه بشرى) اى منسوب الى البشر وهم بنوا آدم ولو قال الادمى بدله كان انسب معنى واقرب مبنى لسجع الالهى والحاصل ان كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم مثناه فى الفصاحة والبلاغة ولكن لايبلغ مرتبة المعجزة خلافا لبعض المتكلمين حيث قال ان اعجازه دون اعجاز القرآن ولعله اراد باعتبار المعنى دون المبنى (وقالت ام معبد) بفتح ميم وموحدة وهى عاتكة بنت خالد الخزاعية (فى وصفها له) اى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) حين نزل بها فى طريق المدينة سنة الهجرة كما ذكره اصحاب السير واصحاب الشمائل تضمنا للمعجزات وخوارق العادات حينئذ فمن جملة ما وصفته (حلو المنطق) اى مستلذه ومستحلاه لاشتماله على حلاوة كلامه وعذوبة مرامه وسلاسة سلامه وحسن بدئه وختامه ونظام تمامه (فصل) اى مفصول مبين ومفهوم معين او فاصل بين الحق والباطل او حق لاباطل ومنه قوله تعالى فى التنزيل انه لقول فصل اى فاصل قاطع (لانزر) بفتح نون فسكون زاى اى لايسير فيسير الى خلل (ولاهذر) بفتح هاء وسكون ذال معجمة اى ولا كثير فيميل الى الملل واما الهذر بفتح الذال فمعناه الهذيان واغرب الانطاكى حيث اقتصر فى ضبطه على الفتح (كان منطقه) اى منطوقه (خرزات) اى جواهر متعالية ولآلئ متغالية (نظمن) بصيغة المجهول اى سلكن فى سلك كماله وضمن عباراته متتابعة متناسقة متناسبة متوافقة والحاصل انه تشبيه بليغ لارادة زيادة المبالغة على ما صرح به الدلجى الا انه مبنى على انه مبنى على ان كان منطقة من الافعال الناقصة

وفى بعض النسخ المصححة بتشديد النون على انها من الحروف المتبهة فحينئذ لايكون تسبها بليغا كما لايخفى على البلغاء (وكان جهير الصوت) اى عاليه وهو مما يمدح فى احوال الرجال ولذا مدح ايضا بسعة الفم والله تعالى اعلم (حسن النغمة) بفتح النون وسكون الغين المعجمة اى حسن الصوت حيث تقبله الاسماع وتألفه الطباع كما روى ان الله لم يبعث نبيا الا حسن الصورة وحسن الصوت (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اولا وآخرا والله تعالى اعلم

﴾ فصل واما شرف نسبه ﴿ اى المنسوب الى قومه (وكرم بلده ومنشأه) اى الذى ولد وتربى فيه وقيل المراد من منشأه محل من ضعته حليمة من بنى سعد (فما لايحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه) اى مماينسب اليه (فانه) اى باعتبار نسبه (نخبة بنى هاشم) اى خيارهم (وسلالة قريش) اى خلاصتهم وصفوتهم سلت من خالصيهم والظاهر انه مرفوع وجعله التلمسانى مجرورا على انه بدل من بنى هاشم (وصميمها) بالرفع اى قوامهم ومدارهم ومحضهم وخالصهم من غير خلطة غيرهم واصل الصميم العظم الذى به قوام العضو وظاهر كلام الدلجى ان صميمها مجرور عطفا على قريش (واشرف العرب) لانه من بنى هاشم وبنوا هاشم من قريش وهم اشرف العرب فى النسب وفى شرح الدلجى افضل العرب من غير عاطفة بالجر صفة لقريش (واعزهم) اى وهو اقواهم واشجعهم واسخاهم (نفرا) اى جماعة وقرابة (من قبل ابيه وامه) اى من قبيلة ابويه (ومن اهل مكة) اى وهو من اهل مكة (اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده) وفى هذا حجة على بعض المالكية فى تفضيلهم المدينة السكينة على مكة المكينة وفى بعض النسخ من اكرم ولعله تصرف من بعضهم والله تعالى اعلم نعم يستثنى ماحوى بدنه الكريم فانه افضل حتى من الكعبة بل من العرش العظيم وعن المحب الطبرى ان بيت خديجة يلى المسجد الحرام فى الفضيلة ولم يذكر المصنف فى هذا الفصل شيئا مما جاء فى فضل مكة لظهوره وكمال وضوح نوره (حدثنا قاضى القضاة) اللام للعهد اذ لايجوز هذا الاطلاق على سبيل الاستغراق الا على الملك الخلاق نحو ملك الملوك وسلطان السلاطين وامثال ذلك (حسين بن محمد الصدفى) بفتحتين ففاء فياء نسبة (رحمه الله) وقد سبق ترجمته (حدثنا القاضى ابوالوليد سليمان ابن خلف) وهو الباجى (حدثنا ابوذر عبد بن احمد) اى الهروى وهو عبد من غير اضافة فلا يكتب همزة ابن البتة ولو وقع اول الصفحة (حدثنا ابومحمد السرخسى) هو الحموى وقد سبق ضبطه (وابو اسحق) اى المستملى وكان من الثقات (وابوالهيثم) وهو محمد بن المكى ابن الزراع الكشميهنى بضم الكاف وسكون السين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وفتح الهاء بعدها النون وياء النسبة نسبة الى قرية قديمة من قرى مرو (حدثنا) اى قالوا حدثنا كما فى نسخة (محمد بن يوسف) وهو الفربرى (قال حدثنا محمد بن اسمعيل) اى الامام البخارى (حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدم ذكره (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) اى ابن محمد بن عبد الله بن القارى بالتشديد نسبة الى القارة (عن عمرو) بالواو وهو مولى المطلب اخرج له الائمة الستة واختلف فى كونه ثقة (عن سعيد المقبرى) بفتح الميم وضم الموحدة ويجوز فتحها وقال التلمسانى بتثليث الموحدة وقيل له ذلك لانه كان يسكن قرب المقابر وهو سعيد بن ابى سعيد المقبرى واما مافى بعض النسخ عن ابى سعيد فخطأ على ماذكره الحلبى وفيه بحث لان البخارى صرح بان كنيته ابوسعيد وابوه كيسان وكنيته ابو سعيد ايضا (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا) اى خلقت وجعلت من خير طبقاتهم كائنين طبقة بعد طبقة (حتى كنت من القرن الذى كنت منه) اى حتى وجدت من بين الجمع الذى ظهرت منهم والقرن من الاقتران يطلق على اهل كل زمان يقترنون فى اعمارهم واحوالهم وفى مقداره اقوال عشر عشرون ثلاثون اربعون خمسون ستون سبعون ثمانون مائة سنة مائة وعشرون مطلق من الزمان فتلك عشرة كاملة والاظهر انه من الزمان ماغلب فيه وجود الاقران ولذا قيل

﴾ اذا ذهب القرن الذى انت منهم ＊ وخلفت فى قرن فانت غريب ﴿

والمراد بالبعث تقلبه فى اصلاب آبائه اباها كانتقاله من ثابت بالنور بن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ولله در القائل

﴾ كم من اب قد علا بابن ذرى شرف ＊ كما علا برسول الله عدنان ﴿

(وعن العباس) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة والترمذى وحسنه (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق) اى انسا وملائكة وجنا ويحتمل تخصيصه بالثقلين (فجعلنى من خيرهم) اى فخيرهم وجعلنى من خيرهم وهم الانس (من خير قرنهم) بصيغة الافراد وهو بدل مما قبله (ثم تخير القبائل) اى اختارهم (فجعلنى من خير قبيلة) اى من العرب وهم قريش (ثم تخير البيوت) اى البطون (فجعلنى من خير بيوتهم فانا) اى بفضل الله على ونظر لطفه فى سابق

عليه الخ (خيرهم نفسا) اى ذاتا اذ خلقنى خاتم النبوة وتمم بى دائرة الرسالة وجعلنى مدار الوجود ومظهر الكرم والجود (وخيرهم بيتا) اى مكانا فى النسب والحسب من جهة الام والاب (وعن واثلة) بمثلثة مكسورة (ابن الاسقع) وهو من ارباب الصفة وضبط بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح قاف فعين مهملة وقال التلمسانى بالسين والصاد ويجوز الزاى كما رواه مسلم والترمذى واللفظ له (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم) قيل هو معرب اب رحيم والولد بفتحين اوبضم فسكون اى اختار من اولاده وكانوا ثلاثة عشر (اسمعيل) اذ كان نبيا رسولا الى جرهم ومما ليق الحجاز واغرب التلمسانى حيث قال اسمعيل باللام والنون (واصطفى من ولد اسمعيل) وكانوا اثنى عشر ولدا على ماذكره ابن اسحق (بنى كنانة) وهو بكسر الكاف ابن نابت وبين كنانة ونابت فيما ذكر ابن اسحق ثلاثة عشر ابا (واصطفى من بنى كنانة) وكانوا اربعة منهم النضر (قريشا) وهم اولاد النضر روى ان فى الرجل من قريش قوة اربعين من غيرهم (واصطفى من قريش بنى هاشم) اسمه عمرو وسمى بذلك لانه اول من هشم الثريد لقومه واضيافه من الحجاج وغيرهم فى سنة القحط (واصطفانى من بنى هاشم) اى ابن عبد المطلب بن هاشم (قال الترمذى وهذا حديث صحيح) اى اسناده قال الحجانى وقد خرجه مسلم فى صحيحه (وفى حديث عن ابن عمر رواه الطبرانى) اى محمد بن جرير احد الاعلام وصاحب التصانيف من اهل طبرستان وسمع خلائق واخذ القراءة عن جماعة توفى سنة عشر وثلاثمائة وكذا الطبرانى فى معجميه الكبير والاوسط (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) اى تخيرهم وقيل اوجدهم لان المختار عند المتكلمين هو الفاعل لا على سبيل الاكراه (فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم) اى تنقاهم (فاختارهم منهم العرب ثم اختار العرب) اى انتقدهم (فاختار منهم قريشا) وهم اولاد النضر بن كنانة وسموا قريشا لان قصيا قرشهم اى جمعهم فى الحرم بعد ما كانوا متفرقين (ثم اختار بنى هاشم فاختارنى) اى منهم (فلم ازل خيارا من خيار الا) التنبيه على تحقيق ما بعده من الامر النبيه (من احب العرب فبحبى) اى فبسبب حبه اياى (احبهم ومن ابغض العرب فببغضى) اى فبسبب بغضه اياى (ابغضهم) والمعنى انما احبهم لانه احبنى وانما ابغضهم لانه ابغضنى فثبت بذلك قول بعض المالكية من سبهم وجب قتله لكن قد يقال المعنى فبسبب حبى وبغضى اياهم احبهم وابغضهم لا بسبب آخر فمن احبهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الايمان يجب محبتهم ومن ابغضهم من اهل العدوان يجب عداوتهم واما الطعن فى جنس العرب فهذا محل بحث وسيأتى تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) على ما رواه ابن ابى عمر والعدنى فى مسنده (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانت روحه) وفى اكثر النسخ ان قريشا اى من حيث هو فيهم كانت (نورا بين يدى الله تعالى) اى مقربا عنده سبحانه وتعالى (قبل ان يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك النور) اى قبل عالم الظهور (وتسبح الملائكة بتسبيحه) اى بسببه او بما يقوله من تسبيحه على طبقه ووفقه (فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه) بضم فسكون وفى القاموس بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب وقال التلمسانى هو عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاهبطنى الله عز وجل الى الارض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح) اى بعد ما كان فى صلب شيث وادريس (وقذف بى) اى بعد ذلك (فى صلب ابراهيم) اى من صلب سام بن نوح (ثم لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجنى) اى اظهرنى (من) وفى نسخة بين (ابوى لم يلتقيا) اى ابواى من آدم وحواء الى عبد الله وآمنة (على سفاح) بكسر السين اى على غير نكاح (قط) اى اصلا وقطعا (ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس) وهو قوله من قبلها طبت فى الظلال الخ (المشهور فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما سياتى فى كلام القاضى والله اعلم)

﴿ فصل ﴾

(واما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) اى مما بيناه فيما تقدم اول الباب من فضائله فيه (فعلى ثلاثة ضروب) وفى بعض النسخ اضرب اى على ثلاثة انواع او اصناف (ضرب الفضل) اى هو الفضل ويجوز فيه الاضافة (فى قلته) وهو الذى اورده هنا (وضرب الفضل فى كثرته) اورده فى فصل ثان (وضرب يختلف الاحوال فيه) ذكره فى فصل ثالث (فاما ما) اى ضرب (التمدح والكمال بقلته اتفاقا) اى بين العلماء والحكماء من العرب والعجم وغيرهم من العقلاء (وعلى كل حال) اى وفى قلته على كل حال باصل الخلقة او بحكم المجاهدة (وعادة وشريعة) اى عقلا ونقلا او عادة وعبادة (كالغذاء) بكسر المعجمة الاولى ما يتغذى به من الطعام والشراب وهو اعم من الغداء بفتح المعجمة والدال المهملة وهو ما يؤكل اول النهار كما ان العشاء بالفتح ما يؤكل بعد الزوال الى العشاء بالكسر فتجويز الدلجى ضبطه بالمعجمة والمهملة من المهمل الذى ليس فى محله المستعمل وكذا قول اليمنى واما الغداء بفتح الغين المعجمة والدال المهملة فهو الطعام بعينه وهو خلاف العشاء انتهى مع ما فيه من التناقض بين قوله هو الطعام بعينه وبين قوله وهو خلاف العشاء (والنوم) اى وكالنوم (ولم تزل العلماء والعرب) اى من العقلاء

(والحكماء) اى منهم ومن غيرهم من القدماء (تمادح) اى تتفاخر (بقلتهما وتذم) اى وتعايب (بكثرتهما) اوالتقدير تذم المتقيد بكثرتهما وفى نسخة وتذم بكثرتهما (لان كثرة الاكل والشرب) بتثليث الشين والضم ثم الفتح اشهر واما الكسر ففى معنى النصيب اكثر (دليل على النهم) بفتحتين اى الافراط فى شهوة الطعام (والحرص) اى على جمع المال لنيل المنال اوعلى طول الحياة لحصول اللذات (والشره) بفتحتين اى غلبة الحرص وقيل هو ان يأكل نصيبه ويطمع فى نصيب غيره فهما مجروران عطفا على النهم بفتحتين للتفسير والتأكيد ثم قوله (وغلبة الشهوة) مبتدأ خبره قوله (مسبب) بكسر الباء والمسبب فى الحقيقة هو الله تعالى فكان الاولى ان يقول سبب اى امر موجب وباعث مجتلب (لمضار الدنيا والآخرة) وفى بعض النسخ ضبط الحرص والشره وغلبة الشهوة كلها بالرفع فيكون مسبب خبرا ثانيا لان ويؤيده قوله (جالب) بلا عاطف وليس كما قال الدلجى عطف على دليل اومسبب ثم المعنى جاذب ومكسب (لادواء الجسد) جمع الداء بمعنى المرض (وخثارة النفس) بضم الخاء المعجمة اى ثقلها بلا طيب ونشاط (وامتلاء الدماغ) وهواعلى الرأس من القحف اى من رطوبات ابخرة متصاعدة تورث استرخاء اعضائه الذى به النوم الذى يفوت خيرا كثيرا (وقلته) عطف على كثرة الاكل وهواسم ان اوعلى محلها اى قليل من الاكل (دليل على القناعة) اى الرضى باليسير والتسليم للقسمة (وملك النفس) بكسر الميم اى وعلى قدرتها وحكمها على قمعها ومنعها من الميل الى الشهوات واتباعها (وقمع الشهوة) بالرفع مبتدأ خبره (مسبب للصحة) وجوز الدلجى جره عطفا على ماقبله فيكون مسبب خبرا ثانيا لقلته وهو بعيد لفظا ومعنى وجوز الحجازى رفع ملك النفس ايضا فتأمل والمراد من الصحة صحة الظاهر وهو الجسد من الآلام والاسقام لان التخمة اصل كل علة (وصفاء الخاطر) اى وسبب لخلوص الباطن من الكدورات المتولدة بانهماك النفس فى المستلذات (وحدة الذهن) اى لذكائه وهى شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الاراء المستقيمة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة اى الرذالة وفتور النفس (والضعف) بالضم والفتح اى ضعف البنية (وعدم الذكاء والفطنة) اى وعلى عدمها وقوله (مسبب) خبر ثان لان اوعدم الذكاء مبتدأ خبره مسبب (للكسل) اى الملالة فى الطاعة (وعادة العجز) اى وتعود العجز عن القيام بالعبادة روى ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام انه كان لايتثاءب ولايتمطى لانهما من عمل الشيطان (وتضييع العمر) بضمهما ويسكن الثانى (فى غير نفع) اى بلا منفعة حقيقية لان النفس اذا توجهت الى معرفة شئ ومزاولة عمل ولم تجد لها آلة تساعدها من صدق تخيل وصحة فكر وتأمل وجودة حفظ وتعقل لفقد اعتدال المزاج بسبب كثرة الاكل والنوم فترت همتها عن العلم والعمل واعدادها الكسل مع حصول عجز البدن عن وصول الامل واضاعة العمر فى غير نفع مدة الاجل (وقساوة القلب) اى وفى شدته وغلظته (وغفلته) اى اهماله وتركه عن تحصيل منفعته (وموته) اى وموت قلبه لان حياته بذكر ربه وفكر حبه (والشاهد على هذا) اى والدليل الظاهر على ماذكرناه من ان كثرة الاكل والنوم تورث ماقدمناه (ما يعلم ضرورة) اى بديهة باوائل الفطرة من غير حاجة الى الفكرة كالعلم بجوع النفس وعطشها وقبضها وبسطها وكالعلم بان الواحد نصف الاثنين والاثنين اكثر من واحد ونصب ضرورة على التمييز (ويوجد مشاهدة) اى معاينة منا ومن غيرنا وهى منصوبة على المفعولية (وينقل) اى يروى الينا ممن سبق علينا (متواترا) اى نقلا متتابعا مرة بعد مرة وفى الاصطلاح خبر اقوام عن امر محسوس يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) اى السابقة كقول الحارث بن كلدة افضل الدواء الازم يريد قلة الاكل والحمية وقول بعض الحكماء خصلتان يقسو بهما القلب كثرة الاكل وكثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان عليهما السلام اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس الى اعمالهم (واشعار العرب واخبارها) ومن الاول قول الاعشى

﴿ تكفيه جذة لحم ان الم بها ✽ من الشواء وتروى شربة الغمر ﴾

ومن الثانى قول قس بن ساعدة وقد قال قيصر ما افضل اكل قال ترك الاكثار منه قال فما افضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما افضل العقل قال وقوف الانسان عند علمه (وصحيح الحديث) كما سيأتى (وآثار من سلف وخلف) اى من الصحابة والتابعين كما سيجئ (مما لايحتاج الى الاستشهاد عليه) اى لكونه مما لايخفى (وانما تركنا ذكره هنا اختصارا) اى فى اللفظ (واقتصارا) اى فى المعنى (على استهار العلم به) اى بناء واعتمادا على شهرته لكمال كثرته (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين) اى النوعين من الغذاء والنوم (بالاقل) اى بالحد الاقل الذى لايجوز التجاوز عنه ويجب الانتفاع به حفظا للبنية وقوة على الطاعة (هذا) اى هذا الحد الذى اخذه منهما واكتفى فيه عن طلب غيرهما (مالايدفع) بصيغة المجهول اى لاينكر ولايمنع (من سيرته) لكمال شهرته وكثرة نقلته (وهو الذى امر به) اى غيره (وحض عليه) اى من وافق سيره (لاسيما) مركبة من لا وسى و ما وسى اسم بمنزلة

مثل و زنا ومعنى اى لامثل ما وتكون ما زائدة او موصولة قال ثعلب من استعمله بلا واو وخفف الياء اخطأ وليس كما قال بل تحذف واوه ويخفف كقوله

﴿ وبالعقود وبالايمان لاسيما * عقد وفاء به من اعظم القرب ﴾

كذا قرره الحجازى وفيه بحث لايخفى (بارتباط احدهما بالآخر) اى خصوصا مع ملاحظة ارتباطهما وانعقادهما فى تلازمهما من حيث ان النفس اذا شبعت تشوقت الى الراحة بالنوم وفترت عن العبادة فتنام كثيرا فتحسر فى حياته كثيرا وتندم عند مماته كثيرا لقلة زاده ليوم معاده بدليل ماسيأتى من الاخبار والآثار منها ماقال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا ابو على) اى ابن سكرة (الصدفى) بفتحتين (الحافظ) اى للكتاب والسنة (بقراءتى عليه) اى هذا الحديث دون املائه لى وهذا بيان لاحد نوعى الاخذ ودليل على كمال الحفظ وقد سبقت ترجمته (حدثنا ابو الفضل) وهو احمد ابن خيرون وقد سبق ذكره (الاصفهانى) بفتح الهمزة وتكسر والفاء مفتوحة ويروى بالباء بدل الفاء واما النطق بموحدة بين الباء والفاء فلفظ فارسى قيل واهل المشرق يقولون بالفاء واهل المغرب بالباء وهى مدينة عظيمة من بلاد العجم من نواحى العراق ومن شرف اصبهان انها لاتخلو ابدا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم لدعوة الخليل عليه السلام لما حمل منهم نمرود ثلاثين للحرب فلما رأوا الخليل آمنوا به فدعا لهم بذلك كذا ذكره التلمسانى (حدثنا ابو نعيم الحافظ) قال الحلبى هذا هو الحافظ الكبير محدث العصر ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهانى الصوفى الاحول سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وله مصنفات كثيرة (حدثنا سليمان بن احمد) هذا هو الامام الواسطى الحافظ الكبير الثبت مسند الدنيا ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمى بالمعجمة الشامى ولد سنة ستين ومائتين واعتنى به ابوه ورحل به فى حداثته وسمع بمدائن الشام والحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة واصفهان والجزيرة وغير ذلك وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب عليه وكان يقول هو روحى والمعجم الصغير يذكر فيه عن كل شيخ حديثا وله مصنفات كثيرة مفيدة وعاش مائة سنة (حدثنا ابو بكر بن سهل) اى الدمياطى روى عن عبد الله بن يوسف وكاتب الليث وطائفة وعنه الطحاوى والطبرانى وجماعة توفى سنة تسع وثمانين (حدثنا عبد الله بن صالح) اى الجهمى كاتب الليث على امواله روى عن معاوية بن صالح وموسى بن على وطائفة وعنه البخارى وابن معين وخلق قال الفاضل الشمرانى مارأيته الايحدث اويسبح (حدثنى معاوية بن صالح) هو الحضرمى الحمصى قاضى الاندلس روى عن مكحول وغيره وعنه ابن وهب وابن مهدى وجمع (ان يحيى بن جابر) اى الطائى الشامى قاضى حمص (حدثه عن المقدام) بكسر الميم (ابن معدى كرب) بعدم الانصراف وقد يصرف قال الحلبى فيه لغات رفع الباء منونا والاضافة مصروفا وممنوعا انتهى ولايخفى ان الرفع لاوجه له هنا (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) ويروى من بطن لما فيه من الضرر الكثير به وسائر الاوعية انما استعملت فيما هى له وهو انما خلق ليتقوم به الصلب من الطعام فامتلاؤه يفضى الى فساد الدين والدنيا فيكون شرا منها فى مقام المرام (حسب ابن آدم) بسكون السين اى كافيه (اكلات) بضمتين وقد تفتح الكاف وتسكن ايضا على ماصرح به بعضهم جمع اكلة بالضم والسكون لما يجعل فى الفم من اللقمة وهو المراد ههنا وفى جمعها للقلة وهو لما دون العشرة ارشاد الى قلة عددها وفى رواية لقيمات اشارة الى قلة قدرها قال التلمسانى وكان ذلك عادة عمر رضى الله تعالى عنه يقتصر على سبع اوتسع واما بفتحتين فهو جمع الاكلة بمعنى المرة من الاكل وتجويزه ههنا للدلجى لبس فى محله ويروى حسب المسلم وحسب المؤمن ورواية الترمذى بحسب ابن آدم اكلات (يقمن صلبه) بضم اوله اى يقوين ظهره بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب كما فى القاموس فقول الدلجى تسمية للكل باسم جزئه اذ كل شئ من الظهر فيه فقار فهو صلب فيه بحث نعم خص الصلب لانه عمود البدن وفيه النخاع الساقى للبدن وهو اصله ولذا من قطع نخعه مات وهو كناية عن انه لايتجاوز مايحفظه من ضعفه ويتقوى على طاعة ربه والاسناد فى الجملة مجازى لان الاقامة صفة الهية (فان كان لامحالة) بفتح الميم ويضم اى لابد ولا حيلة ولافراق من التجاوز عن الاقامة البتة (فثلث) بضمتين وتسكن اللام مبتدأ والتقدير ثلث منه (لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) بفتح الفاء اى لتنفسه وبه يحصل نوع صفاء ورقة وكسر شهوة ورفع غفلة وسهولة مواظبة على الطاعة والعبادة والتخلص من القساوة والبلادة ومحافظة صحة البدن واعتدال المزاج غير المحتاج للمعالجة وقيل التقدير فان كان لابد ان يملأ بطنه ولم يقنع بما فيه قوة فليملأ ثلث بطنه بالطعام وثلثه بالشراب ويترك ثلثه خاليا لخروج النفس ثم الاصول المعتمد والنسخ المصححة بضمير الغائب وتوهم الدلجى وذكره بلفظ طعامك وشرابك ونفسك وعلل بانه التفات من الغيبة الى الخطاب والله تعالى اعلم بالصواب وسمع

﴿ عمر ﴾

عمر رضى الله تعالى عنه قول عنترة

﴿ ولقد ابيت على الطوى واظله * حتى انال به كريم المأكل ﴾

فقال ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأول كريم المأكل بالجنة ولقد صدق فى تأويله رضى الله تعالى عنه وروى انه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماوصف لى اعرابى قط فاحببت ان اراه الا عنترة ثم احسن ماقيل فى الحديث ان لامحالة عائد الى ضرورة الاكل وان الثلث فى حيز الاستحسان والاباحة وقيل المستحسن نصفه وهو السدس واقل منه شيئا وهو السبع لقوله فان كان لابد ولا محالة هذا وقيل لسهل بن عبدالله الرجل يأكل فى اليوم اكلة واحدة قال اكل الصديقين قيل فاكلتين قال اكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اراد ان يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان اكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الاكل من الشوم (ولان كثرة النوم من كثرة الاكل و الشرب) اى انما تنشأ من اجل كثرتهما غالبا و الافقد تكون من الضعف وغيره من العلل (قال سفيان الثورى) نسبة الى ابى قبيلة وهو احد الائمة الاعلام من علماء الانام روى عن ابن المنكدر وغيره وعنه الاوزاعى ومالك وشعبة وامثالهم واخرج له الائمة الستة قال ابن المبارك ما كتبت عن افضل منه ولاعبرة بمن تكلم فيه و فى امثاله اذقل من لم يتكلم فى حقه (بقلة الطعام يملك سهر الليل) بصيغة المجهول (وقال بعض السلف لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا) اى فتندموا كثيرا لنقص العمر الذى هو انفس الجواهر كذا فى الاصول المعتمدة وقال الحجانى زاد الغزالى فتخسروا كثيرا (وقد روى) اى عن جمع كابى يعلى وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف) بفتح المعجمة والفاء الاولى (اى كثرة الايدى) يعنى على الطعام و فيه حث على ان الاولى ان لايأكل احد وحده لما فيه من الدلالة على كرم النفس والسخاوة والمساواة والسماحة وحصول الكفاية مع توقع البركة لما فى حديث مسلم طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية حملا للاكل على الاكتفاء بنصف الشبع قال ابن راهوية عن جرير تأويله شبع الواحد قوت الاثنين وهلم جرا وقد فسر الضفف بعضهم بكثرة العيال و بعضهم بالضيق والشدة واستشهد فى المجمل بان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف اى على كثرة الايدى على الطعام وقال مالك بن دينار سألت رجلا من اهل البادية عن الضفف فقال هو التناول مع الناس وقيل هو ان يكون الاكلة اكثر من مقدار الطعام والجفف بالجيم وقيل بالحاء ان يكونوا بمقداره ويروى على شظف بالشين والظاء المعجمتين بمعنى الضيق و الشدة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح ويسكن (قط) تقدم ضبطه قال الدلجى لم اعرف من رواه ولايعارضه ما افهم شبعة فى الجملة كحديث مسلم عنها ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وفى رواية من خبز شعير يومين متواليين فان دلالة المفهوم ضعيفة فلبست بحجة كما قاله ابو حنيفة ولان الامتلاء صفة زائدة على الشبع (وانه) بالفتح فيكون من جملة رواية عائشة رضى الله تعالى عنها او بالكسر على الاستيناف والضمير للشان او له صلى الله تعالى عليه وسلم (كان فى اهله لايسألهم طعاما ولايتشهاه) لعدم التفاته الى غير مولاه (ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وماسقوه) ويجوز اسقوه (شرب) وهذا كان دأبه فى آدابه وغالب حاله فى سائر افعاله كما هو طريق الانبياء والاولياء فى مقام الفناء والبقاء والمصنف لما استشعر اعتراضا واردا على ظاهر الحديث من حيث العموم دفعه بقوله (ولايعترض) بصيغة المجهول اى ولايجوز لاحد ان يعترض (على هذا) اى قولها لايسألهم طعاما (بحديث بريرة) بفتح فكسر اى بحديث وقع فى حق بريرة وهى مولاة لعائشة رضى الله تعالى عنها واختلف انها قبطية او حبشية (وقوله) اى فيما رواه الشيخان عنه (الم ار البرمة) بضم الباء وهى القدر من الحجارة اواعم (فيها لحم) بفتح فسكون وبفتح (اذلعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم انه لايحل له) اى ولو بعد ان ملكته (فاراد بيان سنته) وهى انه اذا ملك المتصدق عليه الصدقة حل له اكلها هدية و يؤيد ظنه جهلهم حله له بعد ملكها اياه قوله (اذ رأهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لايستأثرون) اى لايختصون (عليه به فصدق عليهم ظنه) بتشديد الدال وتخفيفها كما قرئ به فى الاية والمعنى فصدق فى ظنه جهلهم ذلك فيكون من باب الحذف والايصال وجوز تعديته بنفسه كما فى صدق وعده على ماورد وكقوله سبحانه و تعالى ولقد صدقكم الله وعده او حقق ظنه او وجده صادقا فى جهلهم ذلك (و بين لهم ماجهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) اى ففيه مبادلة معنوية واختلاف من حيثية فان هذا اللحم باهدائها اياه له انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة كما لو اشتراه منها غنى او ورثه عنها (و فى حكمة لقمان) روى انه كان عبدا حبشيا نجارا وقيل نوبيا فرزق العتق

وكان خياطا وقيل هو ابن اخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود واخذ منه العلم والاكثرون على انه كان وليا وذهب الاخرون الى انه كان نبيا و يروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله تعالى فاحبه فمن عليه بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفته يحكم بالحق فقال يارب ان خيرتني قبلت العافية وان عزمت علي فسمعا و طاعة فانك ستعصمني (يابنى) وهو تصغير الشفقة و يجوز فتح يائه وكسرها كما قرئ بهما في الاية (اذ امتلأت المعدة) اى طعاما وشرابا وهي بفتح فكسر و يجوز كسرهما واسكان عينها مع فتح الميم وكسرها على مانقله الحلبي و في القاموس المعدة ككلمة و بالكسر موضع الطعام قبل انحداره الى الامعاء وهو لنا بمنزلة الكرش لغيرنا (نامت الفكرة) اى غفلت اوماتت و يؤيده ماورد لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وقد قالت الصوفية في قوله تعالى ان الله لايستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة هذا مثل ضربه الله للاولياء ليفهموا الدنيا واهلها و ذلك ان البعوضة تحيي اذا جاعت وتموت اذا شبعت وكذلك اهل الدنيا اذا امتلؤا من الدنيا وركنوا اليها اخذتهم واماتت قلبهم واهلكتهم (وخرست الحكمة) بكسر الراء اى سكنت وماظهرت وهي كمال النفس باقتباس العلوم العقلية واكتساب الحقائق النقلية ولذا قيل الحكمة اتقان العلم والعمل (وقعدت) وفي رواية وكلت (الاعضاء عن العبادة) اى فترت وثقلت منها وكسلت عنها بسبب مايعتريها من النوم المانع عنها (وقال سحنون) بفتح السين وضمها قبل نون وهو مصروف وقيل ممنوع وهو ابوسعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون الفقيه المالكي قرأ على القاسم بن وهب واشهب ثم انتهت اليه الرياسة في العلم بالمغرب وادرك مالكا ولم يقرأ عليه وصنف كتاب المدونة في مذهب مالك وحصل له مالم يحصل لاحد من اصحاب مالك توفي سنة اربعين ومائتين وقال التلمساني وعند القرافي ذوالنون وهو ابو الفيض المصري العابد مات سنة خمس واربعين ومائتين فيمكن ان يكون احدهما راويا عن الآخر لانهما في عصر واحد (لايصلح العلم) اى على الوجه الانفع (لمن يأكل حتى يشبع) قال التلمساني وتمامه ولا لمن يهتم بغسل ثيابه (و في صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه البخاري (اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء) اى المراد منه ههنا (هو التمكن) على الوطاء (للاكل والتقعدد في الجلوس له) اى كال الاعتماد في القعود والتقعدد المراد منه هو القعود (كالمتربع وشبهه) اى على اى هيئة (من تمكن الجلسات) بكسر الجيم جمع جلسة للهيئة (التي يعتمد فيها الجالس على ماتحته) اى من الاوطئة (والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل) اى الكثير (و يستكثر منه) اى بشهوة نفس وشره طبع (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز) اى كجلوس المستوفز وهو اسم فاعل من استوفز في قعدته انتصب فيها غير مطمئن او وضع ركبتيه ورفع اليتيه او استقبل على رجليه ولم يستو قائما وقد تهيأ للوثوب كذا في القاموس فقوله (مقعيا) حال مؤكدة في بعض الوجوه اذ الاقعاء ان يجلس على ركبتيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقيل اى ملصقا مقعده بالارض ناصبا ساقيه وفخذيه و يضع على الارض يديه (و يقول) اى كما رواه البزار عن ابن عمر بسند ضعيف وابو بكر الشافعي في فوائده من حديث البراء انه عليه الصلاة والسلام كان يقول (انما انا عبد) اى تواضعا منه وارشادا اليه (آكل كما يأكل العبد) لا كما يأكل الملوك والمترفين وزاد ابن سعد وابو يعلى بسند حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا (واجلس كما يجلس العبد) وزاد الديلمي وابن ابي شيبة وابن عدي واشرب كما يشرب العبد (وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين) بل هو المعنى الاعم الشامل له ولغيره بخلاف مافهم العامة من ان الاتكاء منحصر في الميل الى احد شقيه او الاستناد الى ماوراءه و بهذا يجمع بين ماقاله المصنف ههنا وماذكره في الاكمال من ان الخطابي خالف في هذا التأويل اكثر الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على انه الميل على احد الجانبين ولذا انكره عليه ابن الجوزي وقال المراد به المائل على جنبه و الله سبحانه وتعالى اعلم (وكذلك) اى ومثل كون اكله قليلا (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) اى ليصرف اوقاته النفيسة في طاعته و عباداته الانيسة (شهدت بذلك الاثار الصحيحة) اى و الاخبار الصريحة التي اغنت شهرتها عن ايراد كثرتها (ومع ذلك) اى مع كون نومه قليلا (فقد قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان عيني تنامان ولاينام قلبي) كما رواه الشيخان فنومه كله يقظة ليعي الوحي اذا اوحي اليه في المنام اذ رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي بدليل قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام اني ارى في المنام اني اذبحك (وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا) اى استعانة بذلك (على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ) بفتح نون فهمز اى الذ واشهى و يروى اهدأ اى اسكن واوفق (لهدوء القلب) بالهمز و يسهل اى سكونه واطمئنانه (ومايتعلق به) اى ولهدوء مايتعلق به (من الاعضاء الباطنة حينئذ) اى حين اذ ينام على الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي) جزاء شرط محذوف

اى اذا كان النوم عليه اهنأ بسبب ماذكرنا فيستدعى (ذلك الاستقال فيه) اى الاستغراق في النوم و يروى الاستقلال ولعله بمعنى الاستبداد (و الطول) اى وطول مدته (واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق) بفتح قاف وكسر لام اى لم يستقر ولم يطمئن (فاسرع) اى ذلك (الافاقة) اى من النوم وسهلت اليقظة (ولم يغمره) بضم الميم اى لم يستوعبه اولم يعله ولم يغلبه (الاستغراق) اى فى عالم النوم لوضع القلب مائلا طرفه الاسفل الى الايسر لتوفر الحرارة عليه فيعتدل الجسم اذالحرارة كلها مائلة الى الايمن لوضع الكبد فيه ثم هذا التعليل فى بيان حكمة نومه على الجانب الايمن دون الايسر لاينافى ماثبت فى الحديث الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التيامن فى امره كله ولما فى التيامن من اليمن لفظا ومعنى ولثناء الله سبحانه وتعالى على اهل اليمين واعطاء كتبهم بايمانهم ونحو ذلك

﴿ فصل والضرب الثانى ﴾ اى مما تدعو ضرورة الحياة اليه فهو (مايتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره) اى الافتخار بزيادته مماحاز منه المصطفى الحظ الاوفى وفاز بالنصيب الاصفى (كالنكاح والجاه) اى المحمودين (اما النكاح فمتفق فيه) اى فمجمع عليه (شرعا) اى من جهة شرايع الانبياء كافة (وعادة) اى العقلاء والحكماء عامة (فانه) اى النكاح مع ذلك (دليل الكمال) اى فى خلقة الرجال خصوصا مع قلة الاكل (وصحة الذكورية) بالرفع والجر كالتفسير لماقبله (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة) اى بحيث ان انكاره مكابرة (والتمادح به سيرة عادية) بتشديد الياء اى طريقة قديمة لاحادثة (و امافى الشرع) اى واما التفاخر بكثرته والتمادح به فى الشريعة (فسنة مأثورة) اى مروية منقولة كثيرة (وقدقال ابن عباس) كمارواه البخارى (افضل هذه الامة) اى اكمل افرادها ثناء (اكثرها نساء) حيث ابيح له تسع منهن (مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) وقدتزوج عليه الصلاة والسلام احدى عشرة توفى قبله اثنتان خديجة وزينب والباقيات بعده (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكره ابن مردويه فى تفسيره عن ابن عمر مرفوعا (تناكحوا) زيد فى نسخة تناسلوا (فانى مباه بكم) اسم فاعل من المباهاة اى مفاخر بكثرتكم (الامم) اى السالفة يوم القيامة كما فى نسخة ولفظ الطبرانى فى الاوسط تزوجوا الولود فانه مكاثر بكم الامم وفى رواية ابى داود والنسائى وابن ماجه فانا مكاثر بكم الامم (ونهى) كمارواه الشيخان (عن التبتل) قال الحيمى فى حاشيته التبتل الانقطاع عن الدنيا ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا انتهى وعدم صحته فى المقام لايخفى فالصواب ان المراد بالتبتل هنا هو انقطاع الرجل عن النساء وعكسه فانه من شريعة النصارى وطريقة الرهابين وهذا لاينافى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اذمعناه انقطع عن تعلق القلب بالخلق الى التوجه بالحق انقطاعا خاصا يعبر عنه بكائن بائن وقريب غريب وعرشى وفرشى على اختلاف عبارات الصوفية نظرا الى الاعمال الصادرة من الاحوال الباطنة و الظاهرة (مع مافيه) اى فى النكاح من فوائد كثيرة كما بينه بقوله (من قمع الشهوة) اى دفعها للرجل والمرأة (وغض البصر) اى خفضه وغمضه لهما (اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) اى فيمارواه الطبرانى (من كان ذاطول) بفتح الطاء اى قدرة وسعة على المهر والنفقة ولفظ الشيخين من استطاع منكم الباءة (فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج) اى امنع و احفظ له وهو مقتبس من قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بمايصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وباقى الحديث ومن لا فالصوم له وجاء على مارواه النسائى (حتى لم يره العلماء) اى من الاولياء مع كونه من قضاء الشهوة (مما يقدح فى الزهد) اى فى هذه الدنيا وشهواتها ومستلذاتها وكان شيخنا المرحوم على المتقى يقول كل شهوة تظلم القلب الاالنكاح فانه ينوره و يصفيه (وقال سهل بن عبدالله) اى التسترى و هو من اجل الزهاد و اكمل العباد (قد حبين) بصيغة المجهول من التحبيب اى جعلت النساء محبوبة (الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن) بصيغة المجهول اى فكيف يجوز ويتصور الزهد فى حقهن والميل عنهن (ونحوه لابن عيينة) وهو من علماء السنة روى عنه احمد وخلق قال ابو نعيم ادرك ابو سفيان ستة وثلاثين من اعلام التابعين وقد قال سفيان الثورى ايضا ليس فى النساء سرف والله انى لمشتاق الى العرس (وقدكان زهاد الصحابة) كعلى وابنه الحسن وابن عمر (كثيرى الزوجات و السرارى) بتشديد الياء وتخفف جمع سرية وكل ماكان مفرده مشددا جاز فى جمعه التشديد والتخفيف كذا قال بعضهم قال الجوهرى وهى الامة التى بوأتها بيتا وهى فعلية منسوبة الى السر وهو الجماع اوالاخفاء لان الانسان كثيرا ما يسرها و يسترها عن حرمه وانماضمت سينه لان الابنية قدتغير فى النسبة خاصة كما قالوا فى النسبة الى الدهر دهرى والى الارض السهلة سهلى وكان الاخفش يقول انها مشتقة من السرور لانه يسر بها ويقال تسررت جارية و تسريت ايضا كما قالوا تظننت وتظنيت انتهى (كثيرى النكاح) اى الجماع و يبعد ان يراد به العقد لانه علم فى ضمن ماتقدم واعاد لفظ الكثير اهتماما بالقضية قال عمر رضى الله تعالى عنه انى اتزوج

المرأة ومالى فيهامن ارب واطؤها ومالى فيهامن شهوة فقيل له فى ذلك فقال حتى يخرج منى من يكاثر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وحكى فى ذلك عن على) بن ابى طالب روى انه نكح بعد وفات فاطمة رضى الله تعالى عنها بسبع ليال فكان لعلى اربع نسوة وتسع عشرة وليدة غيرمن مات اوطلقن (والحسن) اى وعن الحسن الظاهر انه ابن على كرم الله تعالى وجهه ويحتمل الحسن البصرى بناء على قاعدة المحدثين من انه المراد عند الاطلاق لكنه يبعد هنا لتقديمه على قوله (وابن عمر) وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم وانه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وروى انه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة (وغيرهم) اى وعن غيرهم (غيرشئ) اى شئ كثير فكان الحسن بن على اشد الناس حبا للنساء قيل انه ارخى ستره عن مائتى حرة لانه كان مطلاقا وكان ربما عقد على اربع فى عقد واحد ولما خطب بنت المسيب الفزارى وخطبها اخوه الحسين وابن عمهما عبدالله بن جعفر شاور عليا فقال له اما الحسن فمطلاق والحسين شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له (وقد كره غير واحد) اى من العلماء (ان يلقى الله عزبا) بفتح الزاى قيل ويسكن من لااهل له كذا قيل وهو من العزب بمعنى البعد ومنه قوله تعالى لايعزب عنه مثقال ذرة فالعزب هو البعيد عن النساء وكانه اراد ان يلقاه عاملا بجميع مايرضاه ولذا قيل فى تفسير قوله تعالى ولاتموتن الا وانتم مسلمون اى متزوجون لان من كمال الاسلام القيام بسنته عليه الصلاة والسلام وهذه الكراهة رويت عن ابن مسعود وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجونى فانى اكره ان القى الله عزبا (فان قيل) وفى نسخة صحيحة فان قلت (كيف يكون النكاح) اى اصله (وكثرته من الفضائل) اى التى اجمع عليها فى كل شريعة (وهذا يحيى بن زكريا) عليهما الصلاة والسلام (قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا) اى ممنوعا من النساء بالعجز عنهن اولعدم الالتفات اليهن (فكيف يثنى الله عليه بالعجز) اوعدم الميل (عما يعد فضيلة) اى شرعا وعادة (وهذا عيسى) اى ابن مريم كما فى نسخة (عليه الصلاة والسلام قد بتل من النساء) اى انقطع عنهن ولم يمل اليهن وابعد الدلجى فى قوله منقطعا الى ربه ومنه وتبتل اليه تبتيلا اى انفرد له بالطاعة ووجه بعده لايخفى على ارباب الصفاء مع ما تقدم فى كلامنا اليه من الايماء (ولو كان) اى النكاح (فضيلة) كما قررته (لنكح) اى لتزوج كل منهما (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه الصلاة والسلام بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا) فعول من الهيبة اى جبانا عن النكاح وخائفا من النساء وفى الحديث الايمان هيوب اى صاحبه يهاب الذنب فيتقيه (اولاذكر له) وفى رواية معه اى لاهمة له فيه (بل قد انكر هذا) اى ماذكر من القولين (حذاق المفسرين) اى مهرتهم (ونقاد العلماء) اى محققوهم (وقالوا هذه نقيصة وعيب) اى لايوجب الثناء (ولاتليق بالانبياء) اى لا تضاف اليهم (وانما معناه) اى معنى كونه حصورا (انه كان معصوما من الذنوب اى لايأتيها كانه حصر عنها) بصيغة المجهول اى حبس ومنع وحفظ وعصم منها وهذا بناء على انه فعول بمعنى مفعول (وقيل مانعا نفسه من الشهوات) اى المستلذات من المباحات لامن المستحبات فهو بمعنى فاعل (وقيل ليست له شهوة فى النساء) اى شهوة كثيرة اومطلقا لكنه يباشر هذه الخصلة لمافيها من الفضيلة كما سبق عن عمر رضى الله تعالى عنه واحسن الاجوبة اوسطها واما تقييد الدلجى بانه الذى لا يقرب النساء مع القدرة فلاوجه له فى هذه الحالة التى تفوته الفضيلة هذا وقد ذكر التلمسانى ان عيسى عليه الصلاة والسلام يتزوج فى آخر الزمان بعد نزوله وقتله الدجال امرأة من جهينة ويولد له ولد ذكر ويتوفى عيسى عليه الصلاة والسلام ويدفن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين ابى بكر واما يحيى فانه لم يمت حتى ملك بضع امرأة لكنه لم يبن عليها ففعله هذا انما كان لنيل الفضيلة واقامة السنة وقيل لغض البصر ودفع الفتنة (فقد بان لك من هذا) اى الذى ذكرناه (ان عدم القدرة على النكاح نقص) اى للكمل (وانما الفضل فى كونها) اى القدرة (موجودة) اى قائمة بمحلها ثابتة (ثم قمعها) قال الدلجى مبتدأ والظاهر انه مجرور عطفا على كونها اى ثم الفضل فى قمع القدرة عن النكاح مخالفة للشهوة (امابمجاهدة) اى برياضة نفسانية (كعيسى عليه الصلاة والسلام او بكفاية من الله) اى لهذه المؤنة بالعصمة من غير الحاجة الى المجاهدة (كيحيى عليه الصلاة والسلام فضيلة زائدة) بالنصب على التمييز من قوله موجودة وجعله الدلجى خبر المبتدأ بناء على اعرابه فى رفع قمعها فاحتاج الى ان يقول زائدة على فضيلة القدرة على قمعها وكان حقه ان يقول مع عدم قمعها والظاهر ان المصنف اراد ان القوة مع القدرة على قمعها فضيلة زائدة لاخصلة راتبة كما عبر الفقهاء بالسنن الزوائد والرواتب ولاشك ان الزوائد قد تترك لبعض العوارض الموجبة لكون تركها حينئذ افضل من فعلها بالنسبة الى بعض الاشخاص والاحوال واوقاتها فهذه الفضيلة زائدة قد تترك (لكونها شاغلة) وفى رواية مشغلة بضم الميم وكسر الغين او بفتحها (فى كثير من الاوقات) اى عن الطاعات التى تورث الدرجات العاليات

في روضات الجنات (حاطة) بتشديد الطاء اى واضعة منزلة عن علو الحالات لكنها [illegible] وجارة (الى الدنيا) اى محبتها اوجعها والاشتغال بها لحصول تلك الفضيلة الزائدة والحاصل ان كل فضيلة لها مضار ومنافع كالنكاح والتبتل والعزلة والخلطة والغنى والفقر فينظر الى زيادة المنفعة وقلة المضرة بالنسبة الى طالبها وصاحبها فيحكم بمقتضاه ولايجوز الاطلاق فيما استقصاه ولذا قال المصنف (ثم هي) اى الفضيلة الزائدة (فى حق من اقدر عليها) بصيغة المجهول من الاقدار اى من اعطى له الاقتدار عليها (وملكها) بان لم يتزلزل فيها وهو بفتح الميم واللام وقال التلمساني هو بضم الميم وكسر اللام مشددة على طبق اقدر قلت والاول اولى واظهر و يؤيده قوله (وقام بالواجب فيها ولم تشغله) بفتح اوله وثالثه وفى لغة بضم اوله وكسر ثالثه اى لم تمنعه (عن ربه) اى طاعته وحضوره (درجة عليا) بالرفع اى مرتبة قصوى وهى مضبوطة فى النسخ المعتبرة بضم العين مقصورا وضبط محس بفتح العين والمد (وهى درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه) اى طاعته وحضوره لوصوله الى مقام جمع الجمع فى كمال حصوله وهو ان لاتحجبه الكثرة عن الوحدة ولاتمنعه الوحدة عن الكثرة فكل من له حظ فى هذا المقام بمتابعته عليه الصلاة والسلام وله مؤنة القيام فتحصيل هذه الفضيلة الزائدة له من كمال المرام دون من لم يصل الى هذه المرتبة فان عليه ترك هذه الزيادة والاشتغال بالامور المهمة والفضائل المؤكدة (بل زاده ذلك) اى ماذكر من كثرتهن (عبادة لتحصينهن) اى لتحصينه اياهن (وقيامه بحقوقهن) اى من امر المعيشة وحسن العشرة (واكتسابه لهن) اى مايتعلق بهن من آدابهن (وهدايته اياهن) اى بالعلوم الدينية لاسيما مايجب عليهن (بل صرح انها) اى كثرتهن (ليست من حظوظ دنياه) اى التى تغيبه عن حظوظ مولاه (هو) اى بخصوصه (وان كانت من حظوظ دنيا غيره) اى دائما اوفى بعض الاوقات لارباب الحالات (فقال) اى كما رواه الحاكم والنسائى (حبب الى من دنياكم) تمامه النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة وليس زيادة ثلاث فى صحيح الروايات وانما اضاف الدنيا اليهم اشارة الى تبريه عنها وتقلله منها وعدم مبالاته بها والتفاته اليها لقلة بقائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها واورد الفعل بصيغة المجهول ايماء بان حبه لها لم يكن الا ماخلق فى جبلته وميل طبيعته وانه كالمجبور عليه فى محبته واما قول الدلجى تلويحا بان حبه لها لم يكن من جبلته فهو خلاف موضوع الصيغة كما لايخفى على ارباب الصنعة (فدل) اى هذا الحديث على (ان حبه لما ذكر) اى بنفسه (من النساء والطيب الذين هما) كما فى نسخة التى هى (من امر) وفى نسخة من امور (دنيا غيره) اى فى الاصالة بحسب العادة (واستعماله لذلك) اى وان استعماله لما ذكر من النساء والطيب وفى رواية واشتغاله بذلك (ليس لدنياه) اى لمجرد حظها (بل لاخرته) اى قصد مثوبته ورفع درجته (للفوائد التى ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب) اى لمحبتهم اياه (ولانه) اى الطيب (ايضا مما يحض) اى يحث ويحرض (على الجماع ويعين عليه) اى على ذاته اوكثرته (ويحرك اسبابه) اى مقدماته كالقبلة والشهوة (وكان حبه لهاتين الخصلتين) اى مباشرة النساء والطيب (لاجل غيره) كبا هاته بالكثرة مثوبا ولقائه الملائكة والنساء مطيبا (وقمع شهوته) اى ولاجل قمعها بمنع الخواطر الردية ودفع الوساوس النفسية ولوكان قادرا على قمعها بمجاهدة رياضية اوبكفاية الهية فان هذه السيرة اعلى المراتب البهية واولى بقواعد الملة السمحاء الحنيفية ولما كان هذا الحب جعليا وعارضيا كسائر محبة الاشياء مما سوى الله تعالى من حيث انها لا تحب الا ابتغاء المرضاة قال المصنف (وكان حبه الحقيق المختص بذاته) اى بذات الله (فى مشاهدة جبروت مولاه) اى عظموت قدرته ومطالعة ملكوت عظمته (ومناجاته) اى فى مقام حضور حضرته بغيبته عن الشعور بذاته المعبر عنه بمقام الفناء والبقاء والمحو والصحو (ولذلك ميز بين الحبين) اى غيريا وذاتيا (وفصل بين الحالين) اى فرق بين المقامين الجليلين بالجملتين من الفعلية والاسمية المشير بالاولى الى الحالة الجعلية العارضية وبالثانية الى المستمرة الذاتية كما فى الرواية المشهورة بلفظ وقرة عينى فى الصلاة واما ماذكره المصنف بقوله (فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ففيه اشارة لتعبيره بالقرة الى هذه المحبة ايماء الى زيادة هذه المودة وقال الدلجى بين الحالين اى محبة ومناجاة وكانه قصد بهذا ان المراد بقرة عينى فى الصلاة الصلاة التى هى معراج المؤمن ومناجاة الموقن خلافا لمن قال المراد بها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم (فقد ساوى) اى المصطفى (يحيى وعيسى فى كفاية فتنتهن وزاد) اى عليهما (فضيلة) اى كاملة (بالقيام بهن) مع انه لم يشغله ذلك عن قيامه بحقوق مولاه لاجلهن فهذا الحال اكمل لمن قدر عليهن (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن اقدر على القوة) بصيغة المفعول من الاقدار اى ممن اعطى القدرة على قوة الشهوة بكثرة الجماع (فى هذا) اى الامر الذى حبب اليه مما يتعلق بدنياه وخدمة مولاه (واعطى الكثير منه) اى الحد الكثير الزائد على العادة من امر الجماع وقوة الباءة (ولهذا ابيح له من عدد الحرائر) وهو التسع (مالم يبح لغيره) اى من هذه الامة وهو الزائد

على الاربع (وقد روينا) بفتح الراء والواو مخففة وبضم الراء وكسر الواو مشددة ولا يبعد ان يكون بضم الراء وكسر الواو المخففة بناء على الحذف والايصال اي روى الينا (عن انس) كما في البخاري والنسائي (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) اي يجامعهن (في الساعة) اي الواحدة والمراد بها الزمن القليل لا الساعة النجومية (من الليل) اي مرة (والنهار) اي تارة (وهن) اي مجموعهن (احدى عشرة) بسكون الشين وتكسر والمعنى منهما تسع سريتان مارية وريحانة فلا ينافي رواية وهن تسع (قال انس وكنا) اي معشر الصحابة (نتحدث) اي فيما اختص به صاحب النبوة من القدر والقوة (انه اعطى قوة ثلاثين رجلا) اي في الجماع (خرجه النسائي) اي ذكره في سننه وهو هكذا في صحيح البخاري في كتاب الغسل هذا وليس احد من اصحاب الكتب الستة توفي بعد الثلاثمائة الا النسائي فانه توفي في سنة ثلاث وثلاثمائة (وروى) بصيغة المجهول (نحوه عن ابي رافع) وهو مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اخرج الترمذي وابن ماجه في الطهارة والنسائي في عشرة النساء عنه انه عليه الصلاة والسلام طاف على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه الحديث (وعن طاوس) وهو ابن كيسان اليماني من ابناء الفرس يقرأ بواو بن قبل وبهمز قال ابن معين لقب بذلك لانه كان طاوس القراء روى عن ابي هريرة وابن عباس وعائشة رضي الله تعالى عنهم وتوفي بمكة سنة ست ومائة (اعطي عليه الصلاة والسلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير امام كبير قدوة ممن يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره ويقال لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة وانه مات وهو ساجد ويقال ان جبهته نقبت من كثرة السجود روى عن ابن عمر وغيره وعنه مالك وطبقته وفي الحلية لابي نعيم عن مجاهد قوة اربعين رجلا كل رجل من رجال اهل الجنة وروى الترمذي ان رجال اهل الجنة قوة كل رجل منهم بقوة سبعين رجلا وصححه وروى بقوة مائة رجل وقال صحيح غريب قلت فعلى هذا كان صابرا عنهن غاية الصبر لكثرة الاشتيا ق اليهن ثم اعلم ان قوله طاوس الى آخر ما ههنا زيادة على ما في بعض النسخ المصححة والاصول المعتمدة (وقالت سلمى) بفتح السين المهملة والميم مقصورا (مولاته) وخادمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هي مولاة صفية عمته وهي زوج ابي رافع وداية فاطمة الزهرا وقابلة ابراهيم بن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الصحابيات من اسمها سلمى غير هذه خمس عشرة وقد روى ابن سعد وابو داود عنها عن زوجها ابي رافع عن رافع ولده منها (طاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) اي دار (على نسائه التسع) وهو كناية عن جماعهن (وتطهر من كل واحدة) اي اغتسل من اجل قربان كل واحدة (قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا) اي التفريق بالغسل (اطهر) اي انظف (واطيب) اي الذ وانشط وفي رواية احد ازكى واطيب فالمراد بازكى انمى واقوى وقيل الطهارة للظاهر والطيب والتزكية للباطن اي زيادة الصفاء والضياء لان اولاهما لازالة الاخلاق الذميمة واخرا هما التحلي بالشيم الجيدة كما ذكره الدلجي فانه لا يناسب بالنسبة الى الشمائل المصطفوية فانها منزهة عن الاخلاق الردية ومحلية على الدوام بالشيم الرضية البهية السنية (وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام) على مارواه الشيخان (لاطوفن الليلة) من الطواف بمعنى الدوران وكذا الاطافة ومن ثمه ورد في رواية لاطيفن الليلة (على مائة امرأة او تسع وتسعين) على الشك من الراوي وفي رواية على ستين وفي اخرى على تسعين ولمسلم على سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي فلم تأت واحدة منهن الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو قال ان شاء الله لم يحنث اي لم يفته متمناه وكان ادرك لحاجته فيما قضاه (وانه فعل ذلك) فدل ذلك على كمال قوته ولا تعارض بين هذه الروايات اذ ليس في اثبات قليلها نفي لكثيرها ومفهوم العدد ليس بحجة عند الجمهور من ارباب الاصول مع احتمال تعدد الوقعات والله اعلم بالحالات (قال ابن عباس) كما رواه ابن جرير في تفسيره عنه موقوفا (كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش) وفي نسخة وغيره كذا رواه الحاكم عن محمد بن كعب بلغني انه (كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية) وفي المستدرك للحاكم في ترجمة عيسى ابن مريم ان سليمان كان له تسعمائة سرية (وقد كان لداود عليه الصلاة والسلام على زهده) اي مع كمال زهده وتورعه المفاد من قوله (واكله من عمل يده) ويروى من يده (تسع وتسعون امرأة) هذا هو الصواب وفي اصل التلمساني تسعة وتسعون وفي الكشاف كان لداود ايضا ثلاثمائة سرية (وتمت بزوج اوريا) بضم همزة وقيل بفتحها فواو ساكنة وراء مكسورة وتحتية ممدودا اي بزوجته (مائة) بالرفع على انها فاعل تمت اي من النساء بتزوجه اياها بعد نزول اوريا له عنها بسؤاله على ما كان من عادتهم في زمانه او بعد ما مات عنها زوجها لما رآها بغتة واحب جمالها فتنة وطلب به مغفرة واناب اليه معذرة هذا وقيل انها ام سليمان عليه الصلاة والسلام (وقد نبه) اي الله سبحانه وتعالى (على ذلك) اي على ماذكر من العدد (في الكتاب العزيز بقوله تعالى) اي حكاية عن لسان

﴿ احد ﴾

احد الملكين الذين اتياه فى صورة الخصمين (ان هذا اخى) اى فى الدين (له تسع وتسعون [illegible] الانثى من الضأن وقعت ههنا كناية عن للمرأة فان الكناية ابلغ من الصراحة من حيث التأثير مع مافيه من [illegible] فى التعبير لاسيما وهو فى مقام التعبير (وفى حديث انس) بسند جيد للطبرانى (عنه عليه الصلاة والسلام فضلت على الناس باربع) اى من الخصال (بالسخاء) اى الكرم والجود مع الاحباء (والشجاعة) بالنسبة الى الاعداء (وكثرة الجماع) اى للنسائى (وقوة البطش) اى الاخذ حال العطاء واماتفسيره بالاخذ الشديد بقوة كماذكره بعضهم فلايخفى انه لايناسب المقام فانه حينئذ من جزئيات الشجاعة لاخصلة مستقلة من الاربع (واما الجاه) اى الذى يتوسل به الى مساعدة الضعفاء (فمحمود عند العقلاء) من الحكماء والعلماء (عادة) اى مستمرة لكنها مقيدة بما اذا كانت على وفق الشريعة حتى تكون معتبرة (وبقدر جاهه) اى جاه الشخص فى العيون (عظمه) بكسر ففتح فضمير اى عظمته (فى القلوب) اى قلوب الخلق او بقدر جاهه صلى الله تعالى عليه وسلم عند الحق كان عظمته فى قلوب الخلق ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام اخذ من ابى جهل للاراشى ثمن ابله التى اشتراها ابوجهل منه ومطله فقالت قريش لابى جهل مارأينا مثل ماصنعت من انقيادك لامر محمد مع فرط اذاك له وعداوتك اياه فقال ويحكم ما هو الا ان ضرب بابى وسمعت صوته فملئت رعبا (وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها) اى ذاجاه ووجاهة عظيمة (فى الدنيا والآخرة) اى عند اهلهما وفى الدنيا بالرسالة وفى العقبى بالشفاعة (لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس) وفى رواية يبعض الناس (لعقبى الآخرة) اى فى الآخرة التى هى عقبى كما قال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولافسادا والعاقبة للمتقين (فلذلك) اى فلكون الجاه مضرا ببعضهم (ذمه من ذمه ومدح ضده) من الخمول وعدم الاعتبار فيما بين الخلق (وورد فى الشرع مدح الخمول) وهو بضم الخاء المعجمة ضد الشهرة كما ورد فى حديث رب اشعث اغبر ذى طمرين لايؤبه له لواقسم على الله لابره وفى الحديث ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا (وذم العلو فى الارض) اى وورد فى الشرع ذم الجاه والشهرة كما فى الحديث ماذئبان جائعان ارسلا فى غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وفى رواية من حب الشرف والمال والحاصل ان الجاه والمال مضران لارباب الكمال الجامعين بين العلم والعمل والحال (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة) اى الوقار والهيبة (والمكانة) اى التمكن فى مرتبة الجلالة (فى القلوب والعظمة) اى الاجلال والمهابة فى العيون (قبل النبوة عند الجاهلية) كما مر عن ابى جهل فى تلك القضية وما روى عنه ايضا انه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خيرة ابله ثلث ثمنها فامتنع الناس عن الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث واعطى ثمنه ارامل بنى عبد المطلب وابو جهل مخزى ينظره ولايتكلم ثم قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اياك ان تعود لمثل ماصنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما تكره فقال لااعود يامحمد فقال له امية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى رأيتم منى لما رأيت معه رجالا عن يمينه ويساره يشيرون برماحهم الى لوخالفته لكانت اياها اى لاهلكونى (وبعدها) اى ورزق الجاه بعد النبوة عندهم (وهم يكذبونه) بالتشديد والتخفيف اى والحال ان اهل الجاهلية ينسبونه الى الكذب ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه (فى نفسه خفية) بضم الخاء وكسرها وسكون الفاء اى مخفيا لما تمكن من هيبته فى صدورهم وعظمته فى قلوبهم (حتى اذا واجههم) اى قابلهم علانية (اعظموا امره) اى حسموا قدره (وقضوا حاجته) اى مقصده اليهم فى سيره وهذا باعتبار غالب معاملاتهم معه فلاينافى ماوقع من وضع ابى جهل سلا الجزور على ظهره وهو ساجد فى الحجر (واخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها) اى فى محله ان شاء الله سبحانه وتعالى (وقد كان يبهت) على صيغة المجهول صورة مع ذكر فاعله كما فى قوله تعالى فبهت الذى كفر من البهت وهو الحيرة وفعله كعلم ونصر وكرم وعنى وهو افصح فيجوز بناؤه على الفاعل ايضا اى يدهش ويتحير (ويفرق) بفتح الباء والراء اى يخاف ويفزع (رؤيته) وفى نسخة من رؤيته (من لم يره) لماالقى عليه من الهيبة والعظمة فى قلوبهم (كما روى عن قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية وهى بنت مخرمة العنبرية وقيل الكندية وقيل التميمية (انها لما رأته ارعدت) بصيغة المجهول اى اخذتها الرعدة بكسر الراء وهى اضطراب المفاصل خوفا والمعنى انها ارتعدت (من الفرق) بفتحتين وهو الخوف ورواية ابى داود والترمذى فى الشمائل عن عبد الله بن حسان عن جدته عنها انها رأته فى المسجد وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيته المتخشع فى الجلسة ارتعدت من الفرق وزاد ابن سعد (فقال يامسكينة عليك السكينة) بالنصب اى الزمى الطمانينة وفى رواية بالرفع اى السكينة لازمة عليك ولم يثبت هنا ما ثبت فى بعض النسخ انما انا ابن امرأة تأكل القديد وذلك غير صحيح على ماذكره التلمسانى والمسكينة بكسر الميم والسكينة بفتح السين

مخففة هو الفصيح (وفي حديث ابي مسعود) اي عقبة بن عمرو الانصاري كما رواه البيهقي عن قيس عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم وصححه (ان رجلا قام بين يديه) اي قدامه صلى الله تعالى عليه وسلم (فارعد فقال له هون) اي سهل امرك (عليك فاني لست بملك) بكسر اللام قيل وتسكن اي بسلطان من سلاطين الظلمة حتى تفزع مني (الحديث) اي الخ ولم يذكره لطوله (فاما عظيم قدره بالنبوة) وهي اخذ الفيض من الحق (وشريف منزلته بالرسالة) وهي ايصال الفيض الى الخلق (واناقة رتبته) بكسر الهمزة و بالقاف وفي نسخة بالباء والنون اي رفعة رتبته وزيادتها اوظهورها (بالاصطفاء) اي على سائر الانبياء (والكرامة في الدنيا) اي بانواع المعجزة منها الاسراء ومقام دنا فتدلى ووصوله الى سدرة المنتهى (فامر هو مبلغ النهاية) من اثر العناية ليس فوقه غاية (ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم) كما في حديث البخاري انا سيد ولد آدم ولا فخر والمراد انه سيد هذا الجنس وهو نوع البشر الذي هو افضل انواع المخلوقات بدليل حديث البخاري ايضا انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وزيد في بعض الاصول هنا ولا فخر لكنه لا يصح لان يكون حكاية (وعلى معنى هذا الفصل) اي الاخير (نظمنا هذا القسم) يعني الاول (باسره) اي جميعه في سلك مدحه بصفات شريفة وسمات منيفة

﴿ فصل واما الضرب الثالث ﴾

اي مما تدعو ضرورة الحياة اليه وليست فضيلة ذاتية محتوية عليه (فهو) من هذه الحيثية واختلاف النية (ما تختلف الحالات في التمدح به) اي بنفسه او بكثرته (والتفاخر بسببه) اي فيما بين العامة (والتفضيل لاجله) اي عند الخاصة (ككثرة المال) فانها تمدح في بعض الاحوال (فصاحبه على الجملة) اي على الاجمال لا على تفصيل جميع الاحوال (معظم عند العامة) من حيث ان قلوبهم بيد حبه اسيرة (لاعتقادها توصله به) اي توصل صاحب المال بسببه (الى حاجاته) اي قضاء مهمات صاحبه و في نسخة حاجته (وتمكن اغراضه) بالغين المعجمة وتمكن بالرفع او الجر (بسببه والا) اي وان لم يكن هذا الاعتقاد الموجب لتعظيم صاحب المال عند العامة في الجملة (فليس) اي المال (فضيلة) وفي نسخة فضيلته (في نفسه) اي في حد ذاته وباعتبار جميع جهاته وعموم صفاته (فمتى كان المال بهذه الصورة) اي من قضاء الآمال (وصاحبه منفقا له في مهماته من اعتراه) اي غشيه واعترضه (وامله) بتشديد الميم اي ومن رجا كرمه ومنه قول القائل

﴿ املتهم ثم تأملتهم * فلاح لي ان ليس فيهم فلاح ﴾

وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر تقله والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة (وتصريفه) بالجراي وتصرفه بوضعه (في مواضعه) بالملا ثقة به (مشتريا به المعالي) جمع معلاة اي مستبدلا به المفاخر العالية ومختارا به الاوصاف المتعالية (والثناء الحسن والمنزلة) اي الجاه والمرتبة (من القلوب) وفي نسخة في القلوب (كان) اي المال (فضيلة في صاحبه) اي في الجملة (عند اهل الدنيا) اي من العامة مع انه لا عبرة بهم عند الخاصة (واذا صرفه في وجوه البر) اي الطاعة والاحسان (وانفقه في سبيل الخير) وفي نسخة سبيل الخير (وقصد بذلك) اي الصرف (الله تعالى) اي رضاءه اثابا (والدار الاخرة) اي ثوابا (كان) اي ماله (فضيلة) اي لما يؤدي الى الفضيلة (عند الكل) اي الخاصة والعامة (بكل حال) اي مطلقا لا في الجملة (ومتى كان صاحبه ممسكاله) من الامساك اي بخيلا به (غير موجهه وجوهه) اي غير منفقه ومصرفه في وجوه ماذكر من صرفه في مهماته ومهمات من تأمل منه قضاء حاجاته او اكتساب محمدة اواجتلاب محبة (حريصا على جمعه) مبالغا في منعه (عاد كثره) بضم الكاف وتكسر اي رجع كثيره وفي نسخة كثرته بفتح الكاف وتكسر واما قول التلمساني ويصح بفتح الكاف والراء وضم الثاء فلا يصح (كالعدم) بمنزلة يسيره او مشبها بعدمه حيث لم ينتفع به فيكون كمن لا مال له وقد ورد الدنيا دار له من لا دار ومال من لا مال له ويجمع من لا عقل له وقد ورد ان الحسن البصري رحمه الله تعالى رأى رجلا يقلب دنانير في كفه فقال له الك هي قال نعم قال انها ليست لك حتى تخرجها من يديك يعني ان حظك منها وحظ غيرك اذا لم تنفقها وتخرجها واحد اذ لا نفع فيها باعيانها وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت اولبست فابليت يعني ان المال الذي لم ينفقه ولم يتصدق به قد تساوى فيه مع غيره ممن لا مال بيده اذ لا فائدة في عين المال بل فيه الوبال في المآل (وكان منقصة) بفتح القاف وكسرها اي وكان المال نقيصة (في صاحبه) اي في حقه دنيا واخرى كما ورد تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وكما ورد ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة (ولم يقف) اي المال (به) اي بصاحبه (على جدد السلامة) بفتح الجيم والدال المهملة الاولى اي طريقها المستوية تقول العرب من ملك الجدد امن العثار وبضم الجيم جمع جدة كمدة اي طرقها من الجادة التي تسلم المارة فيها من العثرة ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض اي طرائق واما ماضبط في بعض النسخ والحواشي بضمهما فلا مناسبة له هنا فانه جمع جديد

على ما فى القاموس (بل اوقعه) اى ماله عند مأله (فى هوة رذيلة البخل) بضم هاء وتشديد واو المكان المنخفض وفى وهدة دناءته وعمق نقيصته والبخل بضم فسكون وبفتحهما قرأتان فى السبع (ومذلة) وفى نسخة ومتاهة (النذالة) بفتح النون والذال المعجمة اى الخساسة والسفالة (فاذا) بالتنوين وفى نسخة بالنون والفاء فصيحة معربة عن شرط مقدر اى ومتى كان المال كما وصف كان حينئذ (التمدح) اى تمدح صاحبه لنفسه ويروى المتمدح (بالمال) اى على توهم الكمال (وفضيلته) اى وفضيلة المال اوصاحبه (عند مفضليه) اى مرجحيه من العامة وفى نسخة بصيغة الافراد (ليست لنفسه) اى ذاته (و انما هو) اى المال او التمدح به (للتوصل به الى غيره و تصريفه) بالجر اى انفاقه (فى متصرفاته) بفتح الراء اى فى محاله (فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) اى من مهماته ومهمات من يرجوه (ولا وجهه وجوهه) اى من انواع البر واصناف الخير (غير ملئ) بفتح الميم وكسر اللام فتحتية فهمزة و يجوز ابدالها وادغامها اى غير ثقة (بالحقيقة) اى فى نفس الامر (ولا غنى بالمعنى) اى بل بمجرد الصورة و المبنى فكانه فاقد لا واجد (ولا ممتدح) وفى نسخة ولا ممدح بالمفعولين اى ولا ممدوح (عند احد من العقلاء) فضلا عن العلماء والفضلاء (بل هو فقير ابدا) اى بقلبه ولو كان غنيا ابدا قال المتنبى

﴿ ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر ﴾

(غير واصل الى غرض من اغراضه) اى لخسته وبخله (اذ ما بيده من المال الموصل) بالتشديد او التخفيف (لها) وفى نسخة اليها اى الذى من شانه ان يوصل صاحبه الى اغراضه (لم يسلط عليه) بصيغة المجهول اى لم يمكن منه ولم يفوض اليه (فاشبه خازن مال غيره) الى حافظه (ولا مال له) اى الا وديعة عنده (فكانه ليس فى يده منه شئ) اى من الاشياء (والمنفق) اى فى وجوه البر والخير من صدقة وصلة (ملئ) اى ثقة (غنى) واجد لا فاقد (بتحصيله فوائد المال) من جميل الحال وحسن المآل (وان لم يبق فى يده من المال شئ) حيث يدل على كمال كرمه واعتماده على رزق ربه وقد قال الله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وورد اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وهذا المعنى فى حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح (فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى طريقته (وخلقه) اى سجيته (فى المال) اى فى حق اخذه واعطائه وامتناعه عن التلبس بوجوده وبقائه (تجده) بالجزم اى تعلمه (قد اوتى خزائن الارض) اى عرضت عليه (ومفاتيح البلاد) اى اعطيت له وفى نسخة ورواية صحيحة مفاتح البلاد ومنه قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب وهو كناية عن فتحها عليه وعلى امته بعده وجباية اموالها اليهم واستخراج كنوزها لديهم وتلويح بالتوصل اليها كما يتوصل بالمفاتيح الى ما اغلق عليه من ابوابها و قد روى مرفوعا فى صحيح مسلم بينا انا نائم اوتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى اى فى تصرفى وتصرف امتى (واحلت له الغنائم) اى لزيادة الفضيلة (ولم تحل) بصيغة المجهول المناسب لاحلت او بفتح اوله وكسر ثانيه اى والحال انه لم تحل (لنبى قبله) انجاء فى الآثار انهم كانوا يجمعون الغنائم فتأتى نار من السماء فتأكلها و فى حديث مسلم لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا و ذلك لان الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا (وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز) سميت بها لحجزها بين نجد والغور (واليمن) بالرفع والجر سمى به لكونه عن يمين الكعبة لمن وقف بالباب ووجهه خارج وهو المعتبر لكونه بمنزلة المنبر (وجميع جزيرة العرب) وهى ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا و من جدة وما و الاها من ساحل البحر الى طرف الشام عرضا وقال مالك هى الحجاز واليمن واليمامة وقيل هى المدينة وقيل مكة والمدينة واليمامة واليمن ولعل هذا معنى قول مالك (وما دانى ذلك) اى ما قارب بلاد الحجاز وجزيرة العرب (من الشام) بالهمز الساكن وابداله الفا ويقال بفتح الشين والمد وهو من العريش الى الفرات طولا وقيل الى نابلس وعرضا من جبل طئ من نحو القبلة الى بحر الروم و ما سامت ذلك من البلاد قال ابن عساكر فى تاريخه دخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واشتقاقه منه لكونه عن شمال الكعبة واما قول الحلبى قد دخله عليه الصلاة و السلام اربع مرات فغير معروف بل لم يدخل دمشق اصلا وانما بلغ الى بصرى مدينة حران (والعراق) اى عراق العرب من الكوفة والبصرة قيل فارسى معرب وقيل سمى المكان عراقا لكثرة عروق اشجاره (وجبلت اليه) ويروى وجلب وروى وجبيت اى وجئ له (من اخماسها) فى الغنيمة (وجزيتها) من اهل الذمة (وصدقاتها) من اغنياء الامة (ما لا يجبى) اى ما لا يؤتى به (للملوك الا بعضه) اى لكثرته مع زيادة بركته روى ان اعظم مال اتى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مال الجزية ما قدم عليه من البحرين وقدره مائة الف درهم وثمانون الفا (وهادته) اى صالحه وفى نسخة هادنه بمعنى اهدته (جماعة من ملوك الاقاليم) اى بارسال هدايا اليه فقبلها منهم كما كتب السير دلالة عليه (فما استأثر) اى ما انفرد و ما استبد وما اختص (بشئ منه) اى مما هادوه (ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه) اى انفقه فى مواضعه من انواع الخير

واصناف البر (واغنى به غيره) اى لغناه بربه واستغنائه بقلبه (وقوى به المسلين) على مهماتهم وقضاء حاجاتهم ونصرهم على اعدائهم ودفع بلائهم وكان يعطى عطاء من لبس يخشى الفقر انتهاء (وقال) اى كما رواه الشيخان عنه (صلى الله تعالى عليه وسلم مايسرنى) اى لم يوقعنى فى السرور ولم يفرحنى (ان لى احدا) بضمتين ووجد بخط المبرد باسكان الحاء جبل عظيم بالمدينة (ذهبا) تمييز لرفع الابهام عن جبل احد (يبيت) اى يثبت ليلة (عندى منه) اى من مقدار احد ذهبا (دينار الاديناراً) بالنصب على الاستثناء وفى نسخة بالرفع على البدل (ارصده لدينى) وفى نسخة لدين وهو بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر من الارصاد اى احفظه منتظرا لقضاء دينى وقال بعضهم رصدته رقبته وارصدت اعددت قال تعالى شهابا رصدا وارصادا لمن حارب الله ولعل التعبير بالبيتوتة لارادة المبالغة لان الليل مظنة فقد الفقير والغيبوبة توهم حصول الذهول والغفلة ووقع فى اصل الدلجى درهم الاديناراً فتكلف وقال نصبه على الاستثناء من عام عبر عنه بالدرهم ورفعه على البدل وكانه قال مايسرنى ان يبيت عندى شئ منه الاما ارصده لدين لى بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر (واتته دنانير مرة) وهى كثيرة (فقسمها) اى على من استحقها (وبقيت) وفى نسخة بقى (منها ستة) وفى نسخة بقية اى قليلة يسيرة (فدفعها لبعض نسائه) لنظر الى حدوث حاجة لهن اليها وفى رواية فرفعها بعض نسائه باراءه وهو اما بامره واما على عادة النساء فى حفظ المال لامر المعاش وغيره (فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها) اتكالا على كرم ربه عند الاحتياج اليها (وقال الان) وهو اسم للزمان الحاضر (استرحت) اى حصل الراحة لقلبى المعتمد على رزق ربى وفيه دلالة واضحة على ما كان عليه من التقلل للدنيا وملازمة الفاقة فى ايام حياته الى اوان مماته كما يدل عليه قوله (ومات ودرعه مرهونة) اى عند يهودى هو ابو الشحم وقيل ابو شحمة (فى نفقة عياله) اى الى سنة فى ثلاثين صاعا من شعير على ما فى البخارى والترمذى والنسائى وفى البزار اربعين وفى مصنف عبد الرزاق وسق شعير وهو ستون صاعا ويمكن الجمع بتعدد الواقعة حقيقة او حكما عند نزول قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية ولعل عدوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الصحابة الى معاملته بيان للجواز او قلة الطعام عند غيره اوحذرا من ان يضيق على اصحابه اولانهم لا يأخذون منه رهنا ولا يتقاضون منه ثمنا بل ولا يعطونه دينا وهو لا يريد صنيعة لاحد عليه او ليكون حجة على اليهود فى قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء حيث لم يقتض القرض لصاحبه الافتقار وعدم الاقتدار ولعله كان منعوتا فى كتابهم انه يكون مختارا الفقر على الغنى وانه لا يبالى بكلام الاعداء من الاغنياء الاغبياء الذين يدعون الاستغناء (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها اى من اجلها اوفى حقها (على ماتدعوه ضرورته اليه) اى على مقدار قليل لابدله منه مما تقتضيه الحاجة الضرورية اليه (وزهد) بكسر الهاء اى ولم يرغب (فيما سواه) فزهد فعل ماض عطف على اقتصر ووقع فى اصل الدلجى وزهده بالضمير فتحير فى امر مرجعه فقال عطف على الضمير المجرور بالى او على ضرورته اى والى زهده او ويدعوه زهده فيما سواه اليه ذهابا الى الاقتصاد المحمود اذ ما قل وكفى خير مما كثر والهى (فكان يلبس) بفتح الياء والباء معا (ماوجده) اى اصابه وصادفه اى تيسر له من غير كلفة وشهوة (فيلبس فى الغالب الشملة) وهى كساء يشتمل به وقال ابن حجر هى شبه العباء وهى اكسية فيها خطوط سود وكل كساء خشن فهو شملة ثم هى ضبطت فى النسخ بالفتح لكن فى القاموس الشملة هيئة الاشتمال وبالكسر كساء دون القطيفة يشتمل به انتهى والظاهر انه وهم منه فان صيغة الهيئة وهى النوع انما هى بالكسر والفعلة موضوعة للمرة وقد تكون للاسم كما هنا ولذا اطلق صاحب النهاية حيث قال الشملة كساء يتلفف به (والكساء) بكسر الكاف معروف (الخشن) بفتح وكسر اى الغليظ ضد الرفيع (والبرد) اى اليمانى وهو الثوب الذى فيه خطوط (الغليظ) اى الخشن واختار هذا كله زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من لاخلاق له تفاخرا وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان الله يحب المتبذل الذى لا يبالى ما لبس (ويقسم) بالتخفيف ويجوز تشديده بقصد التكثير (على من حضره اقبية الديباج) بكسر الدال وقد يفتح وهو نوع من الحرير والاقبية جمع القباء بالمد كالاكسية جمع الكساء وهو صنف من الثياب (المخوصة) بتشديد الواو المفتوحة اى المنسوجة (بالذهب) اى بمثل خوص النخل وهو ورقه وقيل فى طرائق من ذهب مثل خوص النخل او المكفوفة به وفى رواية المزرورة بالذهب اى التى لها ازرار منه او المطوقة به او التى زينت ازرارها به وفى الحديث مثل المرأة الصالحة مثل التاج المخوص بالذهب (ويرفع) اى منها (لمن لم يحضر) اى يغيب من اصحابه المستحقين لها كمخرمة بن نوفل كما فى حديث الصحيحين عن ابن المسور قال ابى يا بنى بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت عليه اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال لى ادعه لى فاعظمت ذلك فقال لى يا بنى انه ليس بجبار فدعوته فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا وجعل يريه محاسنه ثم اعطاه له ولمسلم فنظر اليه فقال رضى مخرمة زاد

زادالبخارى وكان فى خلق محرمة شدة هدا وكان يفعل ذلك ايثار الغيره وتنزها عما يتباهى به العوام به ([illegible]) اى المنافسة والمفاخرة (فى الملابس) اى الثمينة (والتزين بها) اى فى المنازل المكينة (ليست من خصال الشرف والجلالة) اى شمائل ارباب الشرافة واصحاب العظمة المعنوية (وهي) اى تلك الملابس (من سمات النساء) بكسر السين اى من خصال النسوة وعلاماتهن المتزينة بالحلى الصورية (والمحمود) اى الممدوح (منها) اى من الملابس المطلقة (نقاوة الثوب) بفتح النون النظافة و فى نسخة بضمها وهي خياره لكنه غير ملايم للمرام فى هذا المقام (والتوسط فى جنسه) لورود الذم عن لبس الشهرتين (وكونه لبس مثله) اى لباس بعض امثاله حال كونه (غير مسقط لمروءة جنسه) اى ابناء جنسه و فى نسخة حسبه بفتحتين فوحدة (مما يؤدى) اى يؤل (الى الشهرة فى الطرفين) اى المكتنفين من الاعلى و الادنى للتوسط افراطا و تفريطا و خير الامور اوساطها و قد قال الثورى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقد ورد النهى عن الشهرتين ايضا (وقد ذم الشرع ذلك) اى ماذكر من الشهرتين ايضا اوالمباهاة فى الملابس (وغاية الفخر فيه) اى فى ذلك المذموم (فى العادة عند الناس انما تعود) اى ترجع غايته (الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) اى وسعة الجاه وكثرة المال وقد سبق ان هذا مذموم فى المآل (وكذلك التباهى) اى و مثل الفخر حكم الافتخار (بجودة المسكن) اى بتجصيصها وتزيينها وتبييضها (وسعة المنزل) بفتح السين اى من جهة طولها وعرضها زيادة على مقدار الحاجة (وتكثير آلاته) اى امتعته وظروفه ومفارشه (وخدمه) اى من عبيده وجواريه (و مركوباته) اى زيادة على مقدار حاجاته (ومن ملك الارض وجبي اليه) بصيغة المجهول اى اتى اليه (مافيها) من كل زوج كريم وصنف جسيم (فترك ذلك) اى مع القدرة عليه (زهدا وتنزها) اى رفعة للنفس و بعدا لها عما يشينها فان الزهد هو عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة فى العقبى وهذا فى الحقيقة لايتصور ممن لامال له ولاجاه على وجه الكمال ولهذا لما قيل لابن المبارك يازاهد قال الزاهد عمر بن عبدالعزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت والزهد اعلى المقامات واعلى الحالات وقد ورد ازهد فى الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله له (فهو حائز) اى جامع ومشتمل (لفضيلة المالية) التى هى اسباب التلذذ بالاعراض الدنيوية والاغراض الشهوية (ومالك للفخر) اى للافتخار فى العادة بين العامة (بهذه الخصلة) اى الكثرة المالية و الوسعة الجاهية (ان كانت فضيلة) بسبب مامر من كونه وسيلتها والا فليست هى فضيلة فى ذاتها فان شرطية تقديرية وقال التلمسانى هى بفتح الهمزة وهي تفسيرية ولايخفى بعد ما قاله (زائد عليها فى الفخر ومعرق) بضم الميم وكسر الراء وتفتح اى له عرق اى اصل (فى المدح) والمعنى هو زائد بهما على فضيلة المال (باضرابه) بكسر الهمزة اى بسبب اعراضه (عنها وزهده فى فانيها وبذلها فى مظانها) بفتح ميم وتشديد نون اى محالها من صلة رحم ووجه بر وهو بالظاء المشالة وقد تصحف على التلمسانى فضبطه بالضاد وقال اراد مواضع البخل

﴿ فصل ﴾

(واما الخصال المكتسبة) و تسمى ملكات نفسانية لانها تخلقات كسبية لاسجية جبلية (من الاخلاق الحميدة) اى المحمودة من الشمائل المعدودة من الاحوال السعيدة (والآداب الشريفة) اى الناشئة من النفوس النفسية اللطيفة (التى اتفق جميع العقلاء) اى من الفضلاء والعلماء اذ لاعبرة بالجهلاء (على تفضيل صاحبها) اى بالنسبة الى فاقدها (وتعظيم المتصف) بتشديد التاء المثناة اى المتلبس والمتخلق (بالخلق الواحد منها فضلا عمافوقه) اى اكثر منه مما اجمع على حسنها وطوبى لمن جمعها باجمعها (واتى الشرع على جميعها وامر بها) اى جمعا وافرادا مجملا ومفصلا (ووعد السعادة الدائمة) اى تعلقها (للمتخلق بها) اى للذى اتخذها خلقا كما هو مذكور فى الترغيب والترهيب وكتب الاخلاق من الاحياء وغيره (ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة) كحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزأ من النبوة وحديث ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة والمعنى ان هذه الخصال منحها الله تعالى انبياءه فهى من شمائلهم وفضائلهم وانها جزء من اجزائها فاقتدوا بهم فيها لا ان النبوة تتجزأ ولا ان من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هى كرامة مختصة بمن تعلقت به المشيئة اوالمعنى ان هذه الخصال جزء من خمس وعشرين جزأ مما جاءت به النبوة ودعت اليه اصحاب الرسالة وتأنيث اربع وخمس على معنى الخصال اوالقطعة مع ان الاجزاء تجرى مجرى الكل فى التذكير والتأنيث (وهى) اى الخصال المكتسبة التى ورد باستحسانها الكتاب والسنة هى (المسماة بحسن الخلق) اى فى الجملة (وهو) اى حسن الخلق (الاعتدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها) فان لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها عفة وغضبية اعتدالها شجاعة فللنطق طرف افراط هو الجربزة كاستعمال الفكرة واشتغال الآلة فيما لاينبغى وتفريط وهو الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم وافادتها واستفادتها وللشهوة

طرف افراط هو الفجور كالانهماك في اللذات وتفريط هو الخمود كترك ما رخص شرعا وعقلا من اللذات والغضب طرف افراطه هو التهور كالاقدام على ما لا ينبغي وتفريطه هو الجبن كترك الاقدام على ما ينبغي فالبينهما هو التوسط في الاخلاق المسماة مثلا بالحكمة والعفة والشجاعة واما قول الدلجي فللحكمة والعفة والشجاعة طرف افراط وتفريط خبط وتخبيط (بجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها) يحتمل عطف الاعتدال على الانتهاء وهو الظاهر الانسب في المعنى والعطف على كمالها وهو خلاف المتبادر لكنه الاقرب في المبنى (حتى) اى الى حد (اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) وقد قيل هو ما امر به من قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هو ما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من منعك والاكمل في تفسيره ما ذكره المصنف بقوله (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) اى وقد سألها سعيد بن هشام عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان خلقه القرآن) بالرفع ويجوز نصبه زاد البيهقي في دلائله على ما هو في بعض النسخ (يرضى برضاه) اى يرضى ما فيه من الواجب والمندوب والمباح (ويسخط بسخطه) اى ويغضب ويكره ما ينافيه من الحرام والمكروه وخلاف الاولى وزاد في نسخة يعني التأدب بادابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره (وقال عليه الصلاة والسلام) على ما رواه احمد والبزار (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) ورواه مالك في الموطأ ولفظه بلغني ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن الاخلاق ورواه البغوي في شرح السنة بلفظ ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال اى الملكات النفسية والحالات القدسية التي يجمعها حسن الخلق المتضمن لاداء حق الحق والخلق مما لا يستحصى ولا يتصور ان يستقصى وفيه ايماء الى ان الانبياء كانوا موسومين بالاخلاق الرضية والشمائل البهية الا انها لم تكن على وجه الكمال الذي لا يكون فوقه كمال وانه صلى الله تعالى عليه وسلم مجمع الاخلاق العلية ومنبع الاحوال السنية بحيث لا يتصور فوقها كمال حتى من تعدى عن ذلك الحد وقع في النقصان في المآل ويدل على ما قررنا على وجه حررنا حديث مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت انا سددت موضع اللبنة ختم بي النبيون ويشير الى هذا المبنى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم (قال انس رضي الله عنه) فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس) اى من الاولين والاخرين (خلقا) بشهادة الله الكريم وانك لعلى خلق عظيم (وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه مثله وكان) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما ذكره المحققون مجبولا) اى مخلوقا ومطبوعا (عليها من اصل خلقته) اى من ابتداء نشأته الروحية (واول فطرته) اى خلقته الجسدية وفي بعض النسخ في اصل خلقته بالظرفية بدلا من من الابتدائية (لم تحصل له باكتساب ولا رياضة) خلافا لما قاله الفلاسفة والحكماء الرياضية (الا بجود الهي) اى لكن حصلت له بجذبة صمدانية (وخصوصية ربانية وهكذا) اى وكذا فعل الله (لسائر الانبياء) وفي رواية سائر الانبياء اى باقي الانبياء الماضية واما وجود الاخلاق الجيدة في غيرهم فقيل انها جبلية وطبيعية مثل الانبياء وهذا بعيد عن مشرب الاصفياء ولو مال اليه الطبراني من العلماء وقيل مكتسبة لا جبلية ولا طبيعية وهذا قول ظاهر البطلان لمشاهدة تفاوت الاحوال في اخلاق الاطفال والصبيان كما يدل عليه حكاية حاتم الطائي واخيه ورواية امهما في ابتداء ارضاعهما وقيل منها ما هي جبلية طبع عليها في اول الخلقة ومنها ما هي كسبية تحصل بالرياضة وتصير لصاحبها ملكة ويؤيده حديث اشج عبد القيس حيث قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله اشيء من قبل نفسي او جبلني الله عليه فقال جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يرضاهما الله ورسوله والتحقيق ان حال الانسان مركب من الاخلاق المحمودة الملكية ومن الاخلاق المذمومة الشيطانية فان مال الى الاولى فهو خير من الملائكة المقربين وان مال الى الثانية فهو شر من الشياطين وتحقيق هذا المرام لا يسعه الكلام في هذا المقام وقد صنف في هذا البحث كتب الاخلاق منها الناصرية ومنها الدوانية ومنها الكاشفية وقد حقق الامام الغزالي في الاحياء الادلة على وجه الاستقصاء (ومن طالع سيرهم) اى سلوك الانبياء في سيرهم (منذ صباهم الى مبعثهم) اى من مبدأهم الى منتهاهم (حقق ذلك) اى عرف حقيقة ما ذكر من ان اخلاقهم مرضية وهبية لا رياضية كسبية (كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم بل غرزت) بصيغة المجهول اى طبعت وغرست (فيهم هذه الاخلاق في الجبلة) اى الطبيعة الاصلية (واودعوا العلم والحكمة في الفطرة) اى اول الخلقة الانسانية (قال الله تعالى وآتيناه) اى اعطينا يحيى (الحكم) اى النبوة واتقان المعرفة (صبيا) اى صغيرا (قال المفسرون اعطي يحيى العلم) بصيغة المجهول او المعلوم ويؤيده نسخة اعطى الله (بكتاب الله) اى التوراة

او مضمون كتب الله تعالى مجملة او مفصلة (فى حال صباه) فيه ايماء الى ان صبيا نصب على الحال حتى قال بعضهم ويروى انه نبى وفهم العلم بالكتاب وهو ابن ثلاث اوسبع (وقال معمر) بفتح الميمين ابن راشد ابو عروة الازدى مولاهم عالم اليمن تابعى عن الزهرى وهمام وخلق وعنه ابن المبارك وعبد الرزاق اخرج له الائمة الستة (كان) اى يحيى (ابن سنتين او ثلاث) على مارواه عنه احمد فى الزهد وابن ابى حاتم فى تفسيره والديلمى عن معاذ ولم يسنده والحاكم فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بسند واه والتحقيق ان يحيى عليه الصلاة والسلام اعطى هذا المقام وهو فى بطن امه كما ورد من ان السعيد من سعد فى بطن امه وانما قيد سبحانه وتعالى بحال الصبى لتعلق علم الخلق به حينئذ فاختلاف الروايات مبنى على اختلاف اطلاع الناس على مابه من الحالات (فقال له الصبيان لم لاتلعب فقال ا للعب خلقت) فهمزة الاستفهام للانكار على ما فى الاصول المصححة واللعب فيه لغتان فتح اللام وكسر العين وكسر اوله وسكون ثانيه ووقع فى اصل الدلجى ما للعب خلقت بما النافية ولعله رواية فى المبنى اونقل بالمعنى ثم اغرب واعترض على معمر فى قوله اوعلى المصنف فى اعتماده على نقله حيث قال والذى قاله معمر كان يومئذ ابن ثمان سنين وهو الاصح وماذكر ههنا فغريب فى الرواية عنه بشهادة مارواه ابن قتيبة عن عبدالله بن عمرو بن العاص دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر الى العباد به واجتهادهم فرجع الى ابويه فمر فى طريقه بصبيان يلعبون فقالوا هلم فلنلعب فقال انى لم اخلق للعب فذلك قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا انتهى ووجه الغرابة لا يخفى اذ لايبعد ان يكون ظهور آثار النبوة عليه كان وهو ابن سنتين اوثلاث ثم وقع له هذا المقال عقب هذا ولو بعد سنين مع الاطفال مع انه لامانع من تعدد الواقعة ولو بالاحتمال (وقيل فى قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى) اى آمن به (وهو ابن ثلاث سنين) وحكى السهيلى عن ابن قتيبة انه كان ابن ستة اشهر (فشهد) وفى نسخة وشهد (له انه كلمة الله وروحه) فهو اول من آمن به وسمى كلمة لوجوده بامره تعالى بلا اب فشابه المخترعات التى هى عالم الامر المعبر عنه بقول كن كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (وقيل) كما فى تفسير محمد بن جرير الطبرى (صدقه) اى آمن به يحيى (وهو فى بطن امه) حال من ضمير الفاعل (فكانت) بالفاء وفى نسخة وكانت (ام يحيى) اى وهى حامل به (تقول لمريم) اى اختها اذا دخلت عليها وهى حامل بعيسى والله انك خير النساء وان مافى بطنك خير مولود (وانى اجد مافى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية له) اى تعظيما وتسليما وتكريما وهذا يدل على ان مريم حملت مدة الحمل كما عليه الاكثر وهو لاينافى ما تقدم والله اعلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حملته ووضعته فى ساعة واحدة فتصديقه انما كان وهو ابن ثلاث كما سبق (وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لاتحزنى) الاولى ان لاتحزنى (على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم والتاء كما قرأ به ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر (وعلى) اى وكذا على (قول من قال ان المنادى عيسى) كابى بن كعب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد لانه خاطبها من تحت ذيلها لما خرج من بطنها وفيه احتراز عن قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعلقمة والضحاك ان المنادى جبريل لانه كان بمكان منخفض عنها قال الدلجى لاوجه لتخصيص القراءة الاولى بالخلاف فى المنادى مع وقوعه فى الثانية قلت حيث تعارض القولان عن الائمة ولا يتصور الجمع بينهما الابتعدد القضية اشار المصنف الى ان القراءة الاولى حملها على المعنى الاول اولى وهو ان يكون المنادى عيسى فلاينافى احتمال وجود آخر فى المعنى على ما لايخفى (ونص) اى صرح الله سبحانه وتعالى (على كلامه) اى نطق عيسى (فى مهده فقال) اى الله فى كلامه حكاية عنه (انى عبدالله) رد على اثبات اله سواه وافتخارا بالعبودية واحترازا عن دعوى الربوبية (آتانى الكتاب) اى اعطانى الله من فضله علم الانجيل اوجنس الكتاب (وجعلنى نبيا) فى سابق قضائه اوتنزيلا للمحقق وقوعه منزلة الواقع به كما فى اتى امر الله كذا ذكره الدلجى والظاهر المتبادر انه جعله نبيا فى ذلك الحال من غير توقف على الاستقبال فلا يحتاج الى تأويله بالمآل ويؤيده مارووى عن الحسن اكمل الله عقله ونبأه طفلا وقضية يحيى صريحة ايضا فى هذا المعنى غايته ان اعطاء النبوة فى سن الاربعين غالب العادة الالهية وعيسى ويحيى خصا بهذه المرتبة الجليلة كما ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خص بما ورد عنه من قوله كنت نبيا وان آدم لمنجدل بين الماء والطين هذا وفى المستدرك عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم يتكلم فى المهد الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون ولفظ مسند احمد وابن ماشطة ابنة فرعون وزاد البغوى فى تفسير سورة الانعام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وممن تكلم صغيرا يحيى بن زكريا ومبارك اليمامة كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره فى الدلائل وهو رضيع المتقاعسة ورضيع التى مر عليها راكب فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا والصبى الذى فى حديث الساحر والراهب الذى قال لامه اصبرى فانك على الحق وهو فى اواخر مسلم وفى كلام السهيلى فى آخر روضته ان اول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرضع عند حليمة ان قال الله اكبر

قال السهيلي رأيته كذا في بعض كتب الواقدي (وقال) اي عز قائله (ففهمناها سليمان) اي الحكومة او الفتيا
اذ روى انه تحاكم الى داود صاحب غنم وصاحب زرع او كرم رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستواء قيمتها
وقيمة نقصه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم لصاحب
الحرث ينتفع بدرها ونتاجها واصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه فاذا عاد الى ما كان عليه ترادا ولعلهما قالا
مقالهما اجتهادا فقال داود اصبت القضاء ثم حكم بذلك والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني
نظير قول الشافعي بالغرم للحيلولة في العبد المغصوب اذا ابق اما في شرعنا فلا ضمان عند ابي حنيفة لحديث جرح العجماء
جبار اي هدر الا ان لا يكون معها حافظ او ارسلت عمدا واوجبه الشافعي ليلا لا نهارا لجري العادة في حفظ الدواب
بالليل دون النهار لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا على اهل الاموال حفظها بالنهار
وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وفي الحديث اشارة لطيفة الى قول ابي حنيفة في تقييد القضية بحالة العمدية
اذ تخلص الدابة ليلا اونهارا واتلافها من غير تقصير من صاحبها لا يوجب الغرامة المنفية في الملة الحنيفية حيث قال
ليس عليكم في الدين من حرج (وكلا) اي من داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) اي معرفة بموجب الحكومة وعلما بسائر
القضايا الشرعية (وقد ذكر) بصيغة المجهول (من حكم سليمان) كذا في النسخ المتعددة المعتمدة ووقع في اصل الدلجي
وقد ذكر عن سليمان (وهو صبي) اي في حال صباه (يلعب) اي مع الصبيان (في قصة المرجومة) اي التي كانوا يريدون
ان يرجموها وفي نسخة في قضية المرجومة وهي ما رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان امرأة حسناء في بني اسرائيل راودها عن نفسها اربعة من اكابرهم وقيل من قضاتهم الذين رفعت حكمها اليهم
فامتنعت فاتفقوا ان يشهدوا عليها عند داود انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها وهم به
فلما كان عشية يوم رجمها جلس سليمان واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيى اربعة منهم بزي اولئك الاربعة وآخر
بزي المرأة وشهدوا عليها بان مكنت من نفسها كلبا فسألهم متفرقين عن لونه فقال احدهم اسود وآخر احمر وآخر
اغبس وآخر ابيض فامر بقتلهم فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسألهم متفرقين عن لون كلبها فاختلفوا
فقتلهم (وفي قصة الصبي ما اقتدى) الذي اقتدى (به) اي بسليمان ورجع الى حكمه (داود ابوه) عطف بيان لدفع
توهم ان يكون غيره وهذه القضية رواها الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه بينما امرأتان معهما ابنان لهما
فاخذ ذئب احدهما فتحاكمتا الى داود في الآخر فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان وقال هاتوا السكين اشقه بينهما
فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى لها به مستدلا بشفقتها عليه بقولها لا تشقه ورضي الكبرى بشقه
لتشاركها في المصيبة اولما كان بينهما من العداوة ولعل داود عليه السلام حكم به للكبرى لكونه في يدها او اعتقادا
على نوع من الشبه وهو لا يخلو من الشبه فان قيل المجتهد لا ينقض حكم المجتهد فالجواب ان سليمان فعل ذلك وسيلة الى
حقيقة القضية فلما اقرت بها الكبرى عمل باقرارها ولعل في شرعهم يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد وقيل كان بوحي
ناسخ للاول قيل وكان قضاؤه وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وقيل كان حكم داود
باجتهاد وحكم سليمان بوحي والوحي ينقض غيره (وحكى الطبري) وفي نسخة وقال الطبري وهو محمد بن جرير (ان عمره)
اي سن سليمان (كان حين اوتي الملك اثنى عشر عاما) اي سنة (وكذلك) اي ومثل ما ذكر عن سليمان في صغره (قصة
موسى) قيل وزنه مفعل اوفعلل اوفعلى (مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل) وقصته ان فرعون كان يرى ان من
يأخذ بلحيته ويأخذ منها خصلة هو الذي يقتله ويسلب ملكه فبينا موسى في حجره اذ تناول لحيته فاخذ منها خصلة
فقال هذا عدولنا فقالت له امرأته المسلمة آسية بنت مزاحم انه صغير فالقي له الدر والجمر فاخذ الجمر وادخله في فيه فمنه
كان في لسانه عقد وفرعون هذا هو عدو الله الوليد بن مصعب بن الريان كان من القبط العماليق وعمر اكثر من اربعمائة
سنة وقد كتبت رسالة مسماة بفر العون ممن ادعى ايمان فرعون (وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده)
اي كمال هدايته وصلاح حالته (من قبل) اي قبل اوان معرفته (اي هديناه) ووقع في اصل الدلجي هداه بالاضافة
(صغيرا) اي قبل بلوغه (قاله مجاهد وغيره) وقال غيرهم قبل موسى وهرون وقيل قبل محمد عليهم الصلاة والسلام
(وقال ابن عطاء) هو ابو العباس احمد بن سهل بن عطاء مات سنة تسع وثلاثمائة (اصطفاه) اي في سابق قضائه في عالم
الارواح (قبل ابداء خلقه) اي اظهار جسده من العدم الى الوجود في عالم الاشباح (وقال بعضهم) كالكواشي وغيره
(لما ولد ابراهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه) اي المعرفة التامة الشاملة للافعال
والصفات والذات الكاملة (ويذكره بلسانه) بوصف المداومة (فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده) اي حيث بالغ
في الامتثال حتى عبر بالماضي عن الحال فكانه امتثله واخبره ومن هنا قيل النفي ابلغ من النهي (وقيل ان القاء ابراهيم

عليه السلام في النار ومحنته) اى بليته من نمرود (كانت وهو ابن ست عشرة سنة) وفي عين المعاني عن ابن جريج
ست وعشرين اذاقسم ليكيدن اصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا وسلاما (وان ابتلاء اسحق عليه السلام
بالذبح) اى كان كما في نسخة صحيحة (وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاث عشرة وهذا على احد القولين في الذبيح
مع خلاف في الترجيح حتى توقف فيه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي في رسالة مستقلة بعد ذكره من الطرفين
بعض الادلة لكن المشهور بل الصحيح انه اسمعيل لحديث انا ابن الذبيحين اى اسمعيل وعبدالله اذ قد نذر عبدالمطلب
ان يسر الله حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة ذبح احدهم فتم مثناه فاسهم فخرج على عبدالله ففداه بمائة من الابل
ومن ثم شرعت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في فتنة ابن الزبير ولان
بشارته باسحق كانت مقرونة بانه يولد له يعقوب المنافي للامر بذبحه مراهقا وايضا كانت مقرونة بالنبوة في آية
اخرى والغالب في الانبياء وصولهم الى حد الاربعين ولان اسمعيل كان اول ولده والابتلاء حينئذ اشق على ذبحه
وفقده قيل وهذا هو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين والقول بانه اسحق باطل منشاؤه الحسد من اليهود للعرب
بان يكون ابوهم هو الذبيح قال ابن قيم الجوزية في الهدى وهو مردود باكثر من عشرين وجها واما حديث سئل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله فاما الذى قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على مارواه البخارى وغيره الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فزوائده مدرجة من الراوى وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح
(وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان) اى في نفسه (وهو ابن خمسة عشر شهرا) فحكاه الله تعالى
عنه جهرا ولابدع انه كان زمان مراهقته واول مقام نبوته تنبيها لقومه على خطائهم بعبادة غيره سبحانه وتعالى وارشادا
لهم الى طريق الحق على سبيل النظر والاستدلال على حدوث عالم الخلق وان للشمس والقمر والكواكب وسائر
الاشياء النورانية والظلمانية محدثا دبر طلوعها وسيرها وانتقالها وزوالها من حالها الى حالها بدليل قوله تعالى ياقوم
انى برئ مما تشركون (وقيل اوحى) وفي نسخة اوحى الله (الى يوسف) بضم السين وفتحها وكسرها مع الهمزة وعدمه
وكان بخده الايمن خال اسود وبين عينيه شامة وبقى في الرق ثلاث عشرة سنة وقيل ثنتى عشرة قيل عدد حروف اذكرنى
عند ربك فان عد المضاعف اثنين فثلاث عشرة والا فاثنتا عشرة وعن على كرم الله وجهه ان احسن الحسن الخلق
الحسن واحسن ما يكون الخلق الحسن اذا كان معه الوجه الحسن (وهو صبى) او بالغ فمن الحسن وله سبع عشرة سنة
وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة ودفن بمصر بالنيل ثم حمله موسى عليهما الصلاة والسلام حين خرجت بنوا اسرائيل
من مصر الى الشام (عند ما همّ اخوته بالقائه في الجب) اى في قعر بئر وهي على ثلاثة فراسخ من منزل ابيهم (يقول الله
تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية) اى الى وهم لايشعرون ففيه بشارة الى مآل امره اى لتخلصنك ولتخبرن
اخوتك بما فعلوه وهم لايشعرون انك يوسف لعلو شانك ورفعة مكانك وكان الحال كما قال تعالى فعرفهم وهم له
منكرون وابعد من جوز تعلق جملة وهم لايشعرون باوحينا كما لايخفى لان الوحى لا يكون الا على وجه الخفاء
(الى غير ذلك من اخبارهم) ويروى ماذكر من اخبار غيرهم (وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم حين ولد) اى اول ماولد (ولد باسطا يديه الى الارض) اى معتمدا بيديه على الارض
وقد جاء كذلك مفسرا (رافعا رأسه الى السماء) ايماء الى بسط دينه وملكه على بساط الارض ورفعة شانه بالاسراء الى
جهة السماء (وقال في حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على مارواه ابونعيم في الدلائل (لما نشأت) اى انشأت
بحيث ميزت بين الخير والشر وفرقت بين الحق والباطل وهو اولى من قول الدلجى تبعا للتلمسانى اى شببت وصرت
شابا (بغضت) بالتشديد للمبنى لغة اى كره الله (الى الاوثان) اى عبادتها والمعنى انه خلق في جبلته وفطرته بناء على
تحقق عصمته محبة الله وبغض عبادة ماسواه (وبغض الى الشعر) لما اراد ان ينزهه عن كونه شاعرا وان يكون كلامه
شعرا وهو لاينافى ان يكون موزونا في طبعه كما حقق في موضعه (ولم اهم) بفتح فضم وتشديد ميم مضمومة او مفتوحة
اى لم اقصد (بشئ مما كانت الجاهلية تفعله) اى من المعازف وغيرها مما نهى الله عنه (الامرتين فعصمنى الله منهما)
اى من الاستمرار عليهما وفي اكثر النسخ منها اى من افعال الجاهلية بتمامها (ثم لم اعد) اى لم ارجع اليها ابدا فعن على
كرم الله وجهه على ما رواه البزار بسند صحيح عنه مرفوعا بلفظ ماهممت بشئ مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير
مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشئ حتى اكرمني الله برسالته ورواه الحاكم
في المستدرك في التوبة بلفظ ماهممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية الامرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله منهما قلت
ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما لاهله ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة كما يسمر الصبيان فجئت ادنى

دارمن دورمكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ماهذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فما ايقظني الاحر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لى مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيناي فما ايقظني الامس الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لى مافعلت فاقلت شيئا اى وذلك حياء قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ماهممت غيرهما بسوء مما يعمله اهل الجاهلية حتى اكرمني الله بنبوته وفيه تنبيه على ان هذا الهم انما كان حال الصغر دون البلوغ كما يشير اليه قوله كما يسمر الصبيان وهذا اوفى دليل على قبح سماع اللهو وضرب الدف الاماشرع له خلافا لما يفعله الجهلة من الصوفية حيث يجمعون بين الاذكار وضرب الدفوف ونفخ المزمار حتى فى مجالس الموالد ومزار قبور المشايخ الابرار والحاصل ان الانبياء مخلوقون على المكارم الرضية ومجبولون على الشمائل البهية وانه لايضر فى ذلك ماوقع لهم حال الصغر على سبيل الندرة (ثم يتمكن الامرلهم) اى يزداد (وتترادف) اى تتوالى وتتابع (نفحات الله) جمع نفحة اى عطياته ومعارفه وجذباته (عليهم وتشرق) من الاشراق اى تضئ (انوار المعارف فى قلوبهم) اى وآثار العوارف على صدورهم (حتى يصلوا الغاية) وفى نسخة الى الغاية اى نهاية ارباب الهداية واصحاب العناية (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) بالنصب مفعول يبلغوا والمراد بها النهاية التى مافوقها نهاية لكن كما قيل النهاية هى الرجوع الى البداية فهم بين فناء وبقاء ومحو وصحو فى مرتبة الكمال بين صفتى الجلال والجمال (دون ممارسة ولارياضة) اى من غير معالجة وملازمة رياضة كسبية بل بخلقه جبلية وجذبة الهبة (قال الله تعالى ولما بلغ اشده) اى وصل موسى نهاية قوته وغاية نشأته من ثلاثين الى اربعين سنة (واستوى) اى استحكم عقله واستقام حاله وبلغ اربعين سنة وهو سن بعث الانبياء غالبا فى سنة الله وعادته سبحانه وتعالى (آتيناه حكما) اى نبوة (وعلما) اى معرفة تامة وابعد الدلجى فى تفسيره الحكم بعلم الحكماء ثم فى ترجيحه (وقد نجد) اى نصادف (كثيرا غيرهم) اى غير الانبياء من العقلاء والحكماء والاولياء (يطبع على بعض هذه الاخلاق) اى الكريمة المستحسنة (دون جميعها) وفى اصل الدلجى دون بعضها (ويولد عليها) اى يولد بعضهم على تلك الاخلاق (فيسهل عليه اكتساب تمامها) بواسطة تخلقه واتصافه بها (عناية) اى بعناية (من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام (على حسن السمت) اى الهيئة والطريقة والتحلية بحلية اهل الحقيقة كما روى عن بعض ارباب هذا الشان انه لم يكن يرضع فى نهار رمضان (اوالشهامة) بفتح المعجمة اى على الجلادة وذكاء الفطنة (اوصدق اللسان) اى مع نطق البيان (اوالسماحة) اى الجود والكرم والصبر والحلم وقلة الاكل وكثرة الحياء وكمال الادب والرضى بما اعطى من المأكل والملبس وغيرهما (وكما نجد بعضهم) اى بعض غير الانبياء اوبعض الصبيان (على ضدها) اى فى الصغر والكبر (فبالاكتساب يكمل) بضم الميم اى يتم (ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها) بصيغة المجهول (ويعتدل منحرفها) اى مائلها لمن وفقه الله تعالى على اكمالها واستقامة احوالها (وباختلاف هذين الحالين) اى الجبلى والكسبى (يتفاوت الناس فيها) اى قلة وكثرة وتحصيلا وتعطيلا (وكل ميسر) اى معد ومهيأ (لما خلق له) وهو مقتبس من حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له امامن كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة (ولهذا) اى ولتفاوت الناس فيها وفى اكثر النسخ ولهذا ما اى وثبت لهذا ما (قد اختلف السلف فيها) اى فى الاخلاق (هل هذا الخلق) اى الحسن اوجنسه (جبلة اومكتسبة فحكى الطبرى) اى صاحب التفسير والتاريخ (عن بعض السلف ان الخلق الحسن) اى وكذا ضده (جبلة وغريزة فى العبد وحكاه) اى بعض السلف اوالطبرى (عن عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه والحسن) اى البصرى (وبه قال هو) اى ابن جرير الطبرى (والصواب مااصلناه) اى جعلناه اصلا فيما مر ان منهما ماهو جبلة غريزية ومنها ماهو كسبية رياضية وكان حق المصنف ان يقول والظاهر اوالصحيح كما فى نسخة مكان قوله والصواب مراعاة لما سبق من السلف كما يقتضيه حسن الآداب ثم التحقيق ماقدمناه (وقد روى سعد) اى ابن ابى وقاص كما فى مقدمة كامل ابن عدى وفى مصنف ابن ابى شيبة عن ابى امامة (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء جمع خلة بالفتح اى الصفات والخصال (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة) ضد الامانة (والكذب) اى فلا يطبع عليهما بل قد يوجدان فيه ويعرضان ويحدثان تخلقا وتكسبا (وقال عمر رضى الله تعالى عنه) اى ابن الخطاب كما فى اكثر النسخ (فى حديثه) اى الذى رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وسعيد بن منصور عنه موقوفا (الجرءة) على وزن الجرعة الشجاعة ويقال بفتح الراء وحذف الهمزة كما يقال للمرأة مرة وبفتح الجيم والراء والمد (والجبن) ضدها وهو بضم الجيم وسكون الباء وقد يضم (غرائز) جمع غريزة اى طبايع وقرايح (يضعها) وفى نسخة يضعها (الله حيث

يشاء) اى كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه (وهذه جملة من الصورة والخصال الجميلة) وفى نسخة النسر بقة بدلها وفى نسخة جمعهما (كثيرة ولكن) و فى رواية ولكنا نوفى بحمد الله يحسن (نذكر اصولها) اى فى فصولها (وننبه الى جميعها) اى باعتبار فروعها (ونحقق) اى نثبت (وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها) اى على وجه كمالها (ان شاء الله تعالى) اى اتمام ماقصدنا اليه ﴿ فصل ﴾ اى فى بيان اصول هذه الاخلاق تصريحا والاشارة الى جميعها تلويحا وتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها توضيحا (اما اصل فروعها) اى افرادها من حيث انبعاثها من العقل الذى هو معدنها (وعنصر ينابيعها) بضم العين والصاد و يفتح اى اصلها الذى كانها تنبع منه حين ظهورها و العطف تفسير فى العبارة و تفنن بالاشارة (و نقطة دائرتها) اى مركزها وقطبها الذى هو مدارها (فالعقل) اى ادراك النفس باشراق ظهوره وافاضة نوره كالشمس بالنسبة الى الابصار (الذى منه ينبعث العلم) بالكليات (والمعرفة) بالجزئيات (ويتفرع من هذا) اى من كونه اصلا (ثقوب الرأى) اى نفوذه واحكامه (وجودة الفطنة) بفتح الجيم اى احسن الفهم (والاصابة) بالرفع وفى نسخة بالجر والمراد بها ادراك الغرض على وجه الصواب (وصدق الظن) بالرفع لاغير والمراد موافقته للواقع فى الخارج او الذهن (والنظر للعواقب) اى التأمل و التدبر فى عواقب الامور ليتميز محمودها من مذمومها فيكتسب المدائح و يجتنب القبائح (ومصالح النفس) اى لمصالحها ومنافعها ومحاسن عاقبتها مما لها دون ما عليها (ومجاهدة الشهوة) اى لمدافعتها و فى بعض النسخ بالرفع اى و يتفرع منه مجاهدة النفس بترك الشهوات والهوات والغفلات وحملها على الطاعات والعبادات (وحسن السياسة) بالرفع اى سياسة الناس بالعدالة وصدق اللهجة ووفق النهجة (والتدبير) اى وحسن التدبير لامورهم معاشا ومعادا (واقتناء الفضائل) بالرفع اى تكسب الشمائل (وتجنب الرذائل) وبحصل الكل بمخالفة الشهوة والهوى وموافقة الشريعة والهدى (وقد اشرنا) اى فيما سبق (الى مكانه) اى محله (منه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لتمكنه من كمال العقل الذى هو اساس العمل بالعدل فى جميع مراتب القول والفعل (و بلوغه منه) اى والى وصوله منه على كمال فصوله فى حصوله (ومن العلم) اى وتمكنه من العلم الحاصل المتفرع على العقل الكامل (الغاية) اى بلوغه للغاية القصوى كما فى نسخة (التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك) اى من اجل جلالة محله من العقل والعلم (ومما تفرع) وفى نسخة ومما يتفرع (منه متحقق) ويروى متحققة اى ثابت مقطوع به فى امره لا ريب فى علو قدره (عند من تتبع) اى علم بالتتبع و فى نسخة بصيغة المضارع المجرد والاظهر ان يكون بالمضارع المزيد اى يطالع (مجارى احواله) اى الجارية على سنن الحق ووفق الصدق (واطراد سيره) جمع سيرة اى و يشاهد استمرار شمائله الرضية الظاهرية وفق احواله البهية الباطنة فان الظاهر عنوان الباطن والاناء يترشح بما فيه (وطالع) اى علمها بطريق المطالعة (جوامع كلمه) اليسير المبنى والكثير المعنى (وحسن شمائله و بدايع سيره) اى وطالع ورأى فى الكتب اخلاقه الحسنة وسيره البديعة وسير سلوكه المنيعة (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة اى احاديثه المشتملة على الحكم الكاملة الشاملة لاتقان العلم و العمل (وعلمه) اى طالع احاطة علمه (بما فى التوراة والانجيل) بكسر الهمزة ويفتح (والكتب المنزلة) اما مفصلة واما مجملة مما يحتاج اليه امر دينه فى الجملة (وحكم الحكماء) اى علمه حكمهم ومعرفته حكمهم (وسير الامم الخالية) اى الماضية (وايامها) اى وقايعها فى قصص الانبياء السالفة (وضرب الامثال) اى الواقعة فى الاقوال و الافعال (وسياسات الانام) اى انواع زجر العوام كالانعام لتحصيل تمام النظام فى الليالى و الايام (وتقرير الشرايع) اى بيان احكامها اصولا وفروعا (وتأصيل الآداب النفيسة) اى و تأسيس ابواب الاداب المرغوبة و فى نسخة النفسية و الظاهر انه تصحيف (والشيم الجيدة) اى الاخلاق و العادات المطلوبة (الى فنون العلوم) اى منضمة او منتهية الى غير ذلك من انواع المعارف واصناف العوارف (التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة و السلام فيها قدوة) بتثليث القاف والكسر اشهر ثم الضم اى مقتدى اقتدوا به (واشاراته حجة) اى واتخذوا اشاراته بها و بغيرها دلالة بينة واستدلوا بها (كالعبارة) بكسر العين مصدر عبر الرؤيا يعبر بمعنى التعبير والتفسير اى ذكر عاقبتها وآخر امرها ومثله التأويل اى ذكر مآلها ومرجعها (والطب) بتثليث الطاء و تشديد الباء والكسر اصح و افصح مصدر طب اى عالج و وصف الدواء وازال الداء وصار سبب الشفاء (والحساب) مصدر حسب اى عد وهو علم يعرف به مقادير العدد بنوع الجمع والتفريق (والفرائض) جمع فريضة من الفرض بمعنى التقدير وهو علم يعرف به علم الميراث ومراتب الورثة من اصحاب الفرائض والعصبة وحكم سائر القرابة (والنسب) بفتحتين من نسبت الرجل عزوته الى ابيه ورجل نسابة اى بليغ العلم بالانساب وتاؤه للمبالغة كالعلامة (وغير ذلك) اى من علوم ستى ظهرت عليه فى متفرقات حالاته (مما سنبينه فى معجزاته) اى فى اواخر الباب الرابع

فى ذكر معجزاته (ان شاء الله تعالى دون تعليم) اى من غير تعليم له من بشر ولا تعلم من احد (ولا مدارسة) اى بينه و بين من يدرس غيبا (و لا مطالعة كتب من تقدم) ليتعلم منها نظرا فيما لا يعلم (ولا الجلوس الى علمائهم) اى علماء اهل الكتاب و لا عرفاء المشركين فى كل باب (بل نبى امى) اى منسوب الى امه على وصف ما خلق حين توالده من غير قراءة وكتابة ومباشرة شعر وخطابة (لم يعرف) بصيغة المجهول اى لم يشتهر (بشئ من ذلك) اى مما ذكر (حتى شرح الله صدره) اى وسعه ونوره بالايمان والمعرفة والعلم والحكمة (وابان امره) اى واظهر قدره بايات طاهرة ومعجزات باهرة (وعلمه) اى ما لم يكن يعلم (واقرأه) اى ما لم يكن يقرأ و يتعلم كما قال سبحانه وتعالى فى مبدأ وحيه اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (يعلم ذلك) بصيغة المجهول اى يعرف جميع ما ذكر (بالمطالعة) فى دلائل نبوته وشمائل سيرته (والبحث عن حاله) اى التفحص عن افعاله (ضرورة) اى علما ضروريا يقارب ان يكون بديها (و بالبرهان) اى و يعلم ذلك بالدليل (القاطع) مما قام من الارهاصات بعد خلقته و المعجزات (على) دعوى (نبوته نظرا) اى علما نظريا واستدلاليا لا فكريا (فلا نطول بسرد الاقاصيص) اى بايراد قصص الانبياء متتابعة مما يفيده بالطريق الضرورى (وآحاد القضايا) اى ولا بسردها مجتمعة مما يقتضيه على السبيل الفكرى (اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر) يحصيه عددا (ولا يحيط به حفظ جامع) يضبطه علما ابدا (و بحسب عقله) بفتح الحاء والسين على ما فى الاصول المصححة وضبطه الانطاكى بسكون السين وقال اى بعقله فقط والصواب ما قلنا والمعنى و بمقدار كمال عقله (كانت معارفه عليه الصلاة و السلام) فى نهاية لا ترام وغاية الاتسام بل ولا انتسام من تقيا ومعتليا (الى سائر ما علمه الله) اى باقيه (واطلعه عليه من علم ما يكون) فى عالم الشهادة (وما كان) فى عالم الغيب من السعادة والشقاوة (وعجائب قدرته وعظيم ملكوته) اى من ظهور قوته ووضوح سلطنته (قال الله تعالى و علمك ما لم تكن تعلم) من تفاصيل الشريعة وآداب الطريقة واحوال الحقيقة (وكان فضل الله عليك عظيما) حيث انعم عليك انعاما جسيما (حارت العقول) اى دهشت وترددت (فى تقدير فضله عليه) اى فى تقرير علمه لديه ونصوير احسانه اليه (وخرست الالسن) بكسر الراء اى سكتت و بكمت الالسنة (دون وصف يحيط بذلك) اى عجزت عن ان تنطق بما يحصى مما من الله به عليه (او ينتهى اليه) اى دون نعت ينحصر لديه لانه مظهر الاسم الاعظم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ فصل ﴾

(واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكى كسرها بمعنى القوة وفى نسخة مع القدرة (والصبر على ما يكره) بصيغة المجهول اى ما تكرهه النفس و يخالفه الهوى (و بين هذه الالقاب) اى الاخلاق والآداب (فرق) اى فارق دقيق به يتميز كل عن الآخر فى هذا الباب (فان الحلم حالة توقر و ثبات) اى صفة تورث طلب وقار و ثبوت فى الامر و استقرار (عند الاسباب المحركات) اى للغضب الباعث على العجلة فى العقوبة (والاحتمال) بالنصب اوالرفع (حبس النفس) اى تحملها (عند الالام والمؤذيات) اى عند ورود ما يؤلمه و بوجعه من الامراض و يؤذيه و يتعبه من الاعراض فالالام من المحن الالهية و الاذى من جهة الحيوانات و الآدمية فليس هذا من عطف العام على الخاص كما توهمه الدلجى وفى نسخة المرديات بالراء والدال المهملة اى المهلكات (و مثلها) اى المذكورات (الصبر) فانه حبس النفس على ما تكرهه الا انه اعم منها فهو كالجنس وكل مما ذكر كالنوع فان الصبر يكون على العبادة وعن المعصية و فى المصيبة وهو فى الله و بالله ومع الله وعن الله والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم اى عنك او على بعدك (ومعانيها متقاربة) اى وان كانت حقائق مبانيها متباينة (واما العفو فهو ترك المؤاخذة) و اصله المحو ثم استعمل فى معنى المجاوزة عن مجازاة المعصية وهو مصدر وليس كما قال الدلجى انه من ابنية المبالغة (وهذا) اى ما ذكر من الاخلاق الكريمة (كله) اى جميعه على الحالة المستقيمة (مما ادب الله) تعالى (به نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تأديبى (فقال) اى من جملة ما ادبه به سبحانه وتعالى (خذ العفو) اى المساهلة والمسامحة (وأمر بالعرف) اى بالمعروف من حسن المعاشرة (الاية) اى واعرض عن الجاهلين بالمجاملة وحسن المعاملة وترك المقابلة كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى سلام الموادعة الذى فيه السلامة من المواقعة و قد قيل ليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها (وروى) اى كما فى تفسير ابن جرير وابن ابى حاتم وابى الشيخ فى مكارم الاخلاق وابن ابى الدنيا مرسلا ووصله ابن مردويه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية) يعنى خذ العفو الى آخرها (سأل جبريل) قيل جبر وميك اسمان اضيفا الى ايل او آل وهما اسمان لله تعالى ومعنى جبر وميك عبد بالسريانية ورده ابو على الفارسى بانهما لا يعرفان من اسماء الله سبحانه وتعالى و بانه لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم فى وجوه العربية و كان آخره مجرورا ابدا كعبد الله قال النووى وهذا الذى قاله هو الصواب انتهى وفى جبريل اربع قراآت وتسع لغات (عن تأويلها) اى تحقيق تفسيرها (فقال له) اى جبريل (حتى اسئل العالم) اى الحقيق الذى هذا كلامه

ولم يعرف غيره حقيقة مراده ومرامه فصاحب البيت ادرى بما فيه من بيان مباينة وتبيان [illegible] واتاه)
اى بعد سؤاله اياه (فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال) اى الله
تعالى (له) اى للنبي عليه الصلاة والسلام حكاية عن وصية لقمان لابنه يا بنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
(واصبر على ما اصابك) اى من انواع المحن واصناف الضرر خصوصا من جهة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
(الاية) اى ان ذلك من عزم الامور اى من مفروضاتها وواجباتها التى لارخصة فى اهمالها لارباب كمالها (وقال
فاصبر كما صبر اولوا العزم) اى اصحاب الثبات والحزم (من الرسل) اما بيانية واما تبعيضية وهو المشهور وعليه الجمهور
وهم الخمسة المجتمعة فى آية مختصة وهى قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى ابن مريم وقدم صلى الله تعالى عليه وسلم لما انه فى الرتبة قد تقدم وقيل هم الصابرون على بلاء الله فنوح صبر
على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على فقد
ولده وبصره ويوسف على الجب والسجن والرق وايوب على الضر وموسى على محن قومه وداود على قضبته وبكائه
اربعين سنة على خطيئته وعيسى على زهده وعدم بناء لبنة على لبنة وزكريا على قطع المنشار ويحيى على الذبح وقيل هم
المأمورون بالجهاد وقيل من يصيبهم فتنة منهم وقيل هم اهل الشرائع وقيل استثنى من الرسل آدم لقوله تعالى ولم نجد
له عزما ويونس لقوله سبحانه وتعالى ولاتكن كصاحب الحوت (وقال) اى الله له ولاتباعه (وليعفوا) اى مافرط
فى حقهم من بعضهم (وليصفحوا) بالاغماض منهم والاعراض عنهم (الاية) اى الاتحبون ان يغفر الله لكم اى لعفوكم
وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم واعتدى عليكم وفيه التفات يفيد الاهتمام بامرهم وقد روى البخارى
انه لما نزلت قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه بلى احب ورجع الى مسطح نفقته التى قطعها عنه لخوضه مع اهل الافك
وخطائه وصدر الاية ولايأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله
وكان مسطح قريب ابى بكر ومسكينا ومهاجريا وفى الاية دليل على فضل الصديق وسعة علمه بالتحقيق واذا كان هذا
العفو والصفح موصوفا اكابر الامة بهما فكيف صاحب النبوة لايكون موصوفا باعلى مراتبهما (وقال ولمن صبر) اى
على الاذى (وغفر) اى ستر ومحا وتجاوز وعفا (ان ذلك) ماذكر من الصبر والغفران (لمن عزم الامور) اى من افضل
الامور واما قول الدلجى اى ان ذلك الصبر والغفران منه لمن عزم الامور فحذف منه كما حذف فى نحو السمن منوان
بدرهم اى منه للعلم به فلبس فى محله اذ هو مستغنى عنه فى صحة حمله وحله (ولاخفاء) اى عند اهل الصفا (بما يؤثر)
اى فيما يروى (من حلمه) اى صبره مع احبابه (واحتماله) اى تحمله على اعدائه حتى قال ابو سفيان له ما احلمك حين قال
له يا عم اما آن لك ان تسلم بابى انت وامى (وان) بفتح الهمزة وفى نسخة بكسرها (كل حليم) اى صاحب حلم (قد عرفت
منه زلة) بفتح الزاى اى عثرة وفى الحديث اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته وفى الحديث ما اعز الله بجهل قط ولا اذل الله
بعلم قط وقيل ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من جبهته (وحفظت عنه هفوة) بالفاء اى معرة بمقتضى ما قيل نعوذ بالله من
غضب الحليم مع ان الكامل من عدت مساويه لكنه عصم عند باريه عصمة لايشاركه احد فيها ولايساويه فالكلية
عامة شاملة لاصحاب النبوة وارباب الفتوة ولذا قيل ان الانبياء كلهم معصومون صغرا وكبرا من الكبيرة والصغيرة فان
مراتب العصمة متفاوتة (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لسانه فى محامد صفاته (لايزيد مع كثرة الاذى)
اى الواصل منهم اليه (الاصبرا) اى تحملا عليهم بل احسانا اليهم (وعلى اسراف الجاهل) اى مجاوزته الحد فى التقصير
اليه ويروى الجاهلية اى على اسراف اهلها (الاحلما) اى تجاوزا وكرما (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على
التغلبى) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون غين معجمة وفتح لام وتكسر نسبة الى قبيلة واما ماوقع فى بعض النسخ من
الثاء المثلثة والعين المهملة فتصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى مات سنة ثمان وخمسمائة (وغيره) اى من المشايخ
المشاركين له فى هذه الرواية (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية وآخره باء موحدة
(انبأنا) اى قال اخبرنا (ابو بكر بن وافد) بالفاء المكسورة اوالقاف (القاضى وغيره) اى وغير ابى بكر (حدثنا)
اى قالوا حدثنا (ابو عيسى) اى الليثى واسمه يحيى بن عبيد الله بن ابى عيسى (حدثنا) اى قال حدثنا (عبيد الله)
يعنى اباه (انبأنا) اى قال اخبرنا (يحيى بن يحيى) لم يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطأ مشهور به وموطأه اصح
الموطآت (انبأنا) اى قال اخبرنا (مالك) اى ابن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحى امام المذهب قيل تابعى ولم يصح
(عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن عروة) اى ابن الزبير بن العوام من الفقهاء السبعة بالمدينة كان يصوم الدهر
ومات وهو صائم (عن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان وابو داود ايضا عنها (قالت ما خير رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماخيره الناس (فى امرين) اى فى اختيار احدهما (قط) اى ابدا (الا اختار

ايسرهما) اى اهونهما على المخير واسهلهما عنده لانه ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يسروا ولاتعسروا وان هذا الدين يسر وقال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر (مالم يكن) اى الايسر (اثما) اى ذا اثم (فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اى تنزها واجتنابا فبالاولى ان لايختاره ولو كان سهلا ففيه تلويح باستحباب الاخذ بالايسر والارفق مالم يكن حراما او مكروها فان الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه واما قول الدلجى بنى خير لمفعوله وحذف فاعله تعويلا على ظاهر القرينة وايذانا بعمومه اذ كان هو الله او غيره فالله ما جعل له الخيرة فى امرين جائزين الا اختار ايسرهما كاختياره حين قال له جبريل ان شئت جعلت عليهم اى على قريش الاخشبين بقاءهم بقوله دعنى انذر قومى رجاء ان يوحدوه او يخرج من اصلابهم من يوحده فلايخفى انه غفلة منه عما فى نفس الحديث مالم يكن اثما اذ من المعلوم ان الله سبحانه وتعالى او جبريل عليه الصلاة والسلام لايخيره بين امرين يحتمل ان يكون احدهما اثما ثم رأيت النووى ذكر عن القاضى انه قال يحتمل ان يكون تخيره من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار من القتال واخذ الجزية او فى حق امته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فكان يختار الايسر فى هذا كله قال واما قوله مالم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون فاما اذا كان التخيير من الله او من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى ولايخفى ان التخيير من المسلمين ايضا يتصور فيما لم يصل الى بعضهم كونه اثما فى الدين (وماانتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) اى ماانتصر ولم يعاقب احدا لاجل خاصة نفسه ما بلغت به الكراهة حدا يورثه انتقاما من احد على مكروه اتاه من قبله (الا ان تنتهك حرمة الله) بصيغة المجهول اى الا ان يبالغ احد فى خرق حرمة الله التى تتعلق بحقه سبحانه وتعالى او بحق احد من خلقه ومن جملته خرق حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يجب الانتقام من هاتكها والاستثناء منقطع اى لكن اذا انتهكت حرمة الله انتصر لله وانتقم له تعالى بسببها (فينتقم لله) اى لا لحظ نفسه (بها) بسبب حرمة الله ممن ارتكبها والحديث رواه البخارى ومسلم وابو داود كما اخرجه المصنف عن مالك فى موطائه وفى رواية مسلم ما نيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله اى ما اصيب باذى من احد وعاقبه به انتصارا لنفسه لكن اذا بالغ فى خرق شئ من محارم الله التى من جملتها حرمته انتصر لله وعاقبه له لا لنفسه فلم يكن انتقامه الا لله لا لغرض سواه وان كان فيه موافقة هواه لكن المدار على متابعة هداه والحاصل ان فى الحديث دلالة على كمال حلمه وعفوه وتحمل الاذى وترك الانتقام لنفسه مع مراعاة الله فى حقه فهو الجامع بين فضله وعدله تخلقا باخلاق ربه (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت) بصيغة المجهول اى انكسرت (رباعيته) على وزن الثمانية بفتح راء وكسر عين وتخفيف ياء تحتية وهى التى بين الثنية والناب وللانسان ثنايا اربع ورباعيات اربع وانياب اربعة واضراس عشرون وقد كسرها عتبة بن ابى وقاص وهو اخو سعد بن ابى وقاص رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكسرت رباعيته يعنى شطبت وذهبت منها فلقة (وشج وجهه) بصيغة المفعول شجه عبد الله ابن شهاب الزهرى كلاهما (يوم احد شق ذلك) اى ماذكرا وكل واحد منهما (على اصحابه شديدا) وفى نسخة شقا شديدا (وقالو الودعوت) اى الله (عليهم) اى بانزال العقوبة اليهم (فقال انى لم ابعث لعانا) اى صاحب لعن وطرد عن رحمة الله (ولكن بعثت داعيا) اى هاديا الى الحق (ورحمة) للخلق كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون) اى ولاتؤاخذهم بما يجهلون والحديث رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا وآخره موصولا وهو فى الصحيح حكاية عن نبى ضربه قومه زاد ابن هشام فى سيرته انها نيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان ابن قمئة جرحه فى وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته فنزعهما ابو عبيدة بن الجراح حتى سقطت ثنيته قال يعقوب ابن عاصم فكان حتف انفه ان سلط الله عليه كبشا فنطحه فقتله اوفالقاه من شاهق فمات واما ابن شهاب فاسلم واما عتبة ففى تهذيب النووى ان ابن مندة عده من الصحابة وانكره ابو نعيم اذلم يذكره فيهم احد قبله فالصحيح انه لم يسلم قال السهيلى ولم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم الا وهو ابخر او اهتم فعرف ذلك فى عقبه وفى مستدرك الحاكم انه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب بن ابى بلتعة فقال يارسول الله من فعل هذابك فاشار الى عتبة فتبعه حاطب حتى قتله فجاء بفرسه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى تفسير عبد الرزاق بسنده الى مقسم قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة بن ابى وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه انتهى فان قلت حديث عبد الرزاق فى تفسيره يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة حين كسرها وهذا الحديث بظاهره يدل ضده قلنا لايلزم من دعائه عليه عدم دعائه على الجميع مع ان النفى قد يوجه لكثرة اللعن لا لاصله فكانه قال لم ابعث كثير اللعن عليهم اذ قد روى البخارى وغيره اللهم عليك بقريش اللهم عليك قريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد والتحقيق انه عليه الصلاة [illegible] عليهم جملة بل دعا على من علم منهم انهم لايؤمنون فقوله عليك بقريش عام اريد به المخصوصون بقرينة المقام والله اعلم [illegible] (وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجي لم يعرف (انه قال فى بعض كلامه بابى وامى) اى فديتك بهما وانت مفدى بهما (يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض الآية) اى من الكافرين ديارا كما فى نسخة اى احدا يدور فى الارض فيعال من الدور (ولو دعوت علينا مثلها) اى مثل دعوة نوح (لهلكنا من عند آخرنا) اى الى عند اولنا فهو كناية عن الاستيصال (فلقد وطئ ظهرك) بصيغة المجهول وهمز فى آخره وكذا قوله (وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا) وهو الدعاء بالهداية والاعتذار عنهم بالجهالة والغواية (فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) اى المصنف (انظر) اى تأمل ايها المعتبر بنظر الفكر والعقل (ما فى هذا القول من جماع الفضل) بكسر الجيم اى ما يجمعه (ودرجات الاحسان) اى بالعقل (وحسن الخلق) اى مع شرار الخلق (وكرم النفس) اى على عموم الانام (وغاية الصبر) اى من العدو (والحلم) اى التحمل وعدم الجزع المؤدى الى الدعاء غالبا (اذ لم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم) اى فى التحمل منهم (حتى عفا) عنهم وصفا لهم (ثم اشفق) اى خاف (عليهم ورحمهم) اى من غاية الشفقة ونهاية الرحمة (ودعا) اى لهم (وشفع) اى عند ربه (لهم) وهو بفتح الفاء على ما فى القاموس شفعه كمنعه فقول الحجازى بكسر الفاء سهو من الكاتب (فقال اغفر) اى استر قومى ووفقهم لما يستحقون المغفرة لاجله (اواهد) اى اهدهم بالايمان واو للشك او للتنويع (ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) باضافتهم اليه (ثم اعتذر عنهم بجهلهم) اى بسبب جهلهم بحاله ومقام كماله (فقال فانهم لايعلمون) وليس المراد بقومه قريش وحدهم كما توهمه الدلجى وقال كل ذلك لكونهم رحمه اذ ما من بيت الا وله فيه قرابة بل لكونه رحمة للعالمين فالمراد بقومه جميع امته بدليل حديث الشيخين ان آل ابى فلان ليسوا لى باولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين لكن لهم رحم ابلها ببلالها اى اصلهم بما يظهر اثرها وقد ورد بلوا ارحامكم اى صلوها وكانه اراد بالبل حفظ اصلها وطراوة فرعها (ولما قال له الرجل) اى وحين قال له الرجل المنافق وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمى قتل فى الخوارج يوم النهروان على يد على كرم الله تعالى وجهه (اعدل فان هذه قسمة) اى قسمة غنائم بدر وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم ذهيبة فى تربتها بعث بها على رضى الله تعالى عنه من اليمن (ما اريد بها وجه الله لم يزده) بازاى اى ما زاد (فى جوابه ان بين له ما جهله ووعظ) عطف على بين اى ونصح صلى الله تعالى عليه وسلم (نفسه) اى نفس الرجل (وذكرها) بالتسديد اى وعرفها واعلمها (بما قال له فقال ويحك) قيل هو بمعنى ويلك وقيل هو كلمة ترحم يقال لمن وقع فى هلكة لايستحقها فلجهله رحمه مبينا له ما جهله من انه صلى الله تعالى عليه وسلم احرى الخلق بالعدل بقوله (فمن يعدل) بالرفع فان من استفهامية (ان لم اعدل) شرط حذف جزاؤه لدلالة ما قبله عليه والمعنى ايعدل غيرى وانا اجور كلا (خبت) بكسر الخاء (وخسرت) بكسر السين وضم تائيهما (ان لم اعدل) اى فرضا وتقديرا ارشادا الى ان من لم يعدل فقد باء بالخيبة والخسران واشعارا بكمال اتصافه بالعدل بل بزيادة الحلم والعفو والفضل وروى بفتح تائيهما فالمعنى حرمت كل خير وخسرته فى متابعتى ان لم اعدل فى قسمتى على فرض قضيتى فكانه قال خبت ايها التابع اذا كنت لا اعدل لكونك تابعا ومقتديا لمن لايعدل اوجبت وخسرت اذ لاتستقر فى الاسلام بما تقول ان نبيك ممن لايعدل ومعنى الخيبة الحرمان والخسران الضياع والنقصان وحاصله انك خبت فى الدنيا وخسرت فى العقبى اذا اعتقدت انى لم اعدل قال الحافظ المزى والضم اولى لانه تعليق بعدم العدل الذى هو معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال النووى الفتح اشهر ولعله اسقط ما وجب له عليه من قتله رعاية لايمانه الظاهر والله اعلم بالسرائر ولما ورد فى بعض طرق هذا الحديث من زيادة قوله عليه الصلاة والسلام ويخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (ونهى من اراد من اصحابه) وهو خالد بن الوليد او عمر وهو عند الاكثر او كلاهما فتدبر (قتله) بناء على ظهور ارتداده بسبب طعنه فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنفى عدله والحديث رواه الشيخان (ولما تصدى له) اى وحين تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم (غورث ابن الحارث) على ما رواه البيهقى وهو بفتح العين المعجمة وبضم وقيل بالمعجمة والمهملة وقيل مصغر (ليفتك به) بكسر التاء وضمها فتكا بالتثليث اى ليقتله غفلة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى والحال انه (منتبذ) بكسر الموحدة وبالذال المعجمة اى منفرد عن اصحابه (تحت شجرة) اى فى ظلها (وحده) حال مؤكدة اى ليس عنده احد من احبابه (قائلا) اسم فاعل من القيلولة وقت الظهيرة اى مستريحا او نائما (والناس قائلون)

اى نازلون للقيلولة (فى غزاة) وهى ذات الرقاع فى رابع سنة من الهجرة (فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم يستيقظ من نومه اولم ينتبه من غفلته عن عدوه (الا وهو) اى غورث (قائم) اى عند رأسه (والسيف صلتا) بفتح الصاد و يضم اى حال كونه مسلولا اوالتقدير صلته صلتا (فى يده فقال من يمنعك منى فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الله) اى مانعى او يمنعنى (فسقط) اى السيف كما فى اصل صحيح (من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال) اى لغورث (من يمنعك منى قال كن خير آخذ) بالمد اى متصفا بالحلم والعفو والكرم (فتركه وعفا عنه) وكان ذلك سببا لاسلامه (فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) ورواه الشيخان بدون سقوط السيف وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من يمنعك منى وجواب غورث وروى انه كان اشجع قومه فقالوا له قد امكنك محمد فاختار سيفا من سيوفه واشتمل عليه واقبل حتى قام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك منى قال الله فدفع جبريل فى صدره ووقع السيف من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقام به على رأسه وقال من يمنعك منى اليوم فقال لااحد ثم قال اشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله ثم اقبل فقال والله لانت خير منى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا احق بذلك منك (ومن عظيم خبره) اى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى العفو) اى فى جنس عفوه (عفوه عن اليهودية التى سمته) اى جعلت له السم (فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح) متعلق بعفوه (من الرواية) اى بعد اعترافها على مارواه الشيخان وكان ينبغى للمؤلف ان يقدم قوله على الصحيح من الرواية على قوله بعد اعترافها وهى زينب بنت الحارث بن سلام بتشديد اللام كما ذكره البيهقى فى الدلائل وموسى بن عقبة فى المغازى وقال ابن قيم الجوزية هى امرأة سلام بن مشكم وقال ابو داود هى اخت مرحب وفى رواية ابى داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم قتلها وفى شرف المصطفى قتلها وصلبها وروى ابن اسحق انه صفح عنها وجمع بانه عفا عنها لحق نفسه اذكان لاينتصر لها ثم قتلها قصاصا بمن مات من الصحابه باكلة منها كبشر ابن البراء اذ لم يزل معللا به حتى مات بعد سنة ويقال انه مات فى الحال لكن فيه اشكال لما جاء فى رواية انها اسلمت ففى جامع معمر عن الزهرى انه قال اسلمت فتركها قال معمر والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم والله اعلم بالاحوال و بالصحيح من الاقوال (وانه) بالكسر والاظهر انه بالفتح والتقدير ومن عظيم خبره فى العفو انه (لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) وقد هلك على التهود وقد حكى القاضى خلافا فى مؤاخذته عليه الصلاة والسلام لبيدا وسيجئ فى احياء الموتى ولعله اشار الى صحة عدم المؤاخذة (اذسحره) اى حين سحره (وقداعلم به) بصيغة المجهول اى اوحى الله اليه اوجاءه جبريل واخبره بانه سحره (واوحى اليه بشرح امره) اى ببيان حاله كما رواه احمد والنسائى والبيهقى فى دلائله سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك فجاء جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا فى بئر كذا فبعث عليا فجاء بها فحلها فكانما انشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى ولا اظهره فى وجهه حتى مات (ولاعتب عليه) اى اعرض عن معاتبته (فضلا عن معاقبته) وكان السحر اخذه عن النساء وهى امرأته زينب اليهودية و بناته منها قيل قال تعالى ومن شر النفاثات فى العقد ولم يقل النفاثين تغليبا لفعل النساء اوالمراد النفوس النفاثات قال الدلجى والسحر مزاولة نفوس خبيثة اقوالا وافعالا يترتب عليها امور خارقة للعادة وتعلمه للعمل به حرام وفعله كبيرة واعتقاد حله كفر ولتأثيره زيادة بيان تأتى فى محل تقريره ومكان تحريره وقال الامام الرازى استحداث الخوارق ان كان لمجرد النفس فهو السحر وان كان على سبيل الاستعانة بالخواص السفلية فهو علم الخواص وان كان على سبيل الاستعانة بالفلكيات فذلك دعوة الكواكب وان كان على سبيل تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية فذلك الطلسمات وان كان على سبيل النسب الرياضية فذلك الحيل الهندسية وان كان على سبيل الاستعانة بالارواح الساذجة فذلك العزيمة انتهى وقال غيره السحر اسم يقع على انواع مختلفة وهى السيميا والهيميا وخواص الحقايق من الحيوان وغيرها والطلسمات والاوفاق والرقى والاستخدامات والعزائم (وكذلك لم يؤاخذ) على مارواه الشيخان (عبدالله بن ابى) اى ابن سلول بفتح السين المهملة وهى امه فلابد من تنوين ابى وكتابة الالف بعدها ورفع ابن لان سلول ام عبدالله وزوجة ابى فلو لم يفعل ذلك لتوهم ان سلول ام ابى وليس كذلك وسلول غير مصروف للعلمية والتأنيث وقيل منصرف وقيل الصواب ان يكتب ابن بالالف لان علة الحذف وقوعه بين علمين مذكرين اومؤنثين فلو اختلفا لم يحذف وهو رئيس اهل النفاق وهو القائل

﴿ متى مايكن مولاك خصمك لم تزل * تذل وتصرعك الذين تصارع ﴾

﴿ وهل ينهض البازى بغير جناحه * وان جذ يوما ريشه فهو واقع ﴾

وابنه عبدالله بن عبد الله من فضلاء الصحابة (واشباهه) اى وكذا لم يؤاخذ امثاله (من المنافقين) قال ابن عباس كان

المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين (بعظيم ماتقل عنهم) وفى نسخة منهم (فى [illegible]) اى من الجرائم (قولا وفعلا) كقوله تعالى حكاية عن ابن ابى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل اراد بالاعز نفسه و بالاذل اعز خلق الله سبحانه وتعالى (بل قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على المريسيع ماء لبنى المصطلق (لمن اشار) اى من اصحابه (بقتل بعضهم) اى بعض المنافقين بعدان بلغه وقد هزم بنى المصطلق قول ابن ابى وقد لطم حليفاله جمال من فقراء المها جرين مسا عدة لأجير لعمر ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ماشلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله ان رجعنا الاية ثم قال لقومه و الله ان امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلاتنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلين ثم اخبره به الله فقال عمر يارسول الله دعنى اضرب عنقه فقال اذن ترغا ذلة انوف كثيرة فقال عمران كرهت ان يقتله رجل من المهاجرين فر سعد بن عبادة او محمد بن مسلمة اوعبادة بن الصامت فايقتلوه فقال (لالئلا يتحدث) بصيغة المجهول ويروى لايتحدث الناس وهو نفى معناه نهى وقال الدلجى لا آذن لك يتحدث وفى رواية فكيف اذا تحدث الناس (ان محمدا يقتل اصحابه) قيل هذا فى حكم العلة لترك قتله مع رعاية اسلامه الظاهرى وانكاره هذا القول فى اخباره ولعل حكمة العلة انه يكون تنفيرا عن دخول الانام فى الاسلام ولذا ورد يسروا ولاتعسروا وبشروا ولا تنفروا ولذا كان يتألف الكفار المصرحين لكونه رحمة للعالمين وفى هذا دليل على ترك بعض الامور التى يجب تغيرها مخافة ان يترتب عليها مفسدة اكبر منها (وعن انس) كما رواه الشيخان (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد) اى شملة مخططة اوكساء اسود مربع (غليظ الحاشية فجبذه) اى فجذبه كما فى نسخة والاول لغة فى معنى الثانى اومقلوبة فى حروف المبانى والمعنى فجره (اعرابى) مجهول لم يعرف اسمه (بردائه جبذة شديدة) اى دفعة عنيفة (حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه) اى جانب مابين كتفه ومنكبه ولم يتأثر هو صلى الله تعالى عليه وسلم من سوءادبه (ثم قال) اى الاعرابى على عادة اجلاف العرب (يامحمد احمل لى) بفتح الهمزة اى اعطنى مااحمل لى واغرب التلمسانى حيث قال المعنى اعنى على الحمل وفى نسخة احملنى والظاهر انه تصحيف فى المبنى لانه تحريف فى المعنى (على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك) زاد البيهقى (فانك لاتحمل لى) وفى نسخة لاتحملنى وفيه ماسبق الا ان يقال معناه اعطنى على التجريد وفى اصل التلمسانى لاتحمله (من مالك ولامن مال ابيك فسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حلما وكرما (ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ويقاد منك) فعل مجهول من القود اى يقتص منك ويفعل بك (يا اعرابى مافعلت بى) اى مثل فعلك معى من جذب ثوبى (قال لا) اى لايقاد منى (قال لم) اى لاى شئ (قال لانك لاتكافئ) بالهمز اى لاتجازى (بالسيئة السيئة) بل تجازى بالسيئة الحسنة (فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تعجبا (ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر) ويروى على بعيرتمر وقيل اذا احب الله عبدا سلط عليه من يؤذيه (وعن) وفى اكثر النسخ قالت (عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (مارأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة) بكسر اللام وتفتح اى مايطلب عند الظلم واما قول الحجازى وبفتح الميم الثانية وكسرها فلا وجه له (ظلمها) بصيغة المجهول (قط) اى ابدا (مالم تكن) اى المظلمة (حرمة من محارم الله) اى متعلقة بحقوق الخلق اوالحق خارجة عن خاصة نفسه وحرماته فرائضه اوماوجب القيام به وحرم التفريط فيه (وماضرب بيده شيئا قط) واحترزت بقولها بيده عن ضرب غيره بامره تأديبا اوتعزيرا اوحدا وهذا كله من باب الكرم والرحم على العامة والخاصة (الا ان يجاهد فى سبيل الله) اى فانه كان يضرب بيده مبالغة فى مقام جده واجتهاده فى جهاده ثم ماضرب احدا من اعدائه الاكان حتف انفه وعذابا له فى آخر امره بدليل قول ابى بن خلف وقد خدشه يوم احد فى عنقه فجزع جزعا شديدا بالم شديد فقيل له ماهذا الجزع فقال والله لو بصق محمد على لقتلنى (وماضرب خادما ولاامرأة) تخصيص بعد تعميم ودفع لتوهم ان النفى الاول متعلق بمن كان خارجا عن اهله واشعارا بان التحمل منهما اشد ثم فيه جواز ضرب المرأة والخادم للادب اذ لولم يكن مباحا لم يتمدح بالتنزه عنه (وجئ اليه برجل) على ماروى احمد والطبرانى بسند صحيح (فقيل هذا اراد ان يقتلك) اى فحصل للرجل روع فى روعه وفزع فى روحه (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع) بضم التاء اى لن تفزع بمكروه (لن تراع) كرره تأكيدا والمعنى لاتخف لاتخف قال التلمسانى وتضع العرب لن بمعنى لا كما ههنا (ولو اردت ذلك) اى قتلى (لم تسلط على) بصيغة المجهول اعلاما منه بان قتله محال لقوله تعالى والله يعصمك من الناس (وجاء زيد بن سعنة) بفتح سين فسكون عين مهملتين فنون وهو الاصح على ماذكره الذهبى فى تجريده والنووى فى تهذيبه وفى رواية بتحتية بدل النون (قبل اسلامه) وهو يهودى (يتقاضاه) اى حال

كونه طالبا (دينا) اى قضاء دين له (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فجبذ ثوبه) اى جذب رداءه وازاله وابعده (عن منكبه) بكسر الكاف (واخذ بمجامع ثيابه) جمع مجمع وهى اطرافه وسموا شبه اوزاره كله ويقال له التلبب (واغلظ له) اى فى القول بخصوصه (ثم قال) قصدا لعموم قومه (انكم يابنى عبد المطلب مطل) بضمتين ويسكن الثانى جمع مطول كفعول بمعنى فاعل اى مدافعون فى وعدكم (فانتهره عمر) اى زجره (وشدد له فى القول والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) حال مبينة لكمال حلمه وحسن خلقه وجميل عفوه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا) اى الذى صدر (منك) اى من الزجر الاكيد والقول الشديد (احوج) اى اكثر احتياجا (ياعمر) فكان الاولى بك انك (تأمرنى بحسن القضاء) اى الاداء لدينه (وتأمره بحسن التقاضى) اى المطالبة لحقه (ثم قال لقد بقى من اجله) اى من اجل دينه لاعمره (ثلاث) اى ثلاثة ايام وحذف تاؤه لحذف مميزه الذى هو ايام كما فى حديث من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانه صام الدهر كله (وامر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (عمر يقضيه ماله) اى ماله من الحق (ويزيده عشرين صاعا لما روعه) بتشديد الواو اى لاجل ما خوفه عمر زجرا فيجازيه برا (فكان) اى فصار ذلك (سبب اسلامه) والحديث رواه البيهقى مفصلا ووصله ابن حبان والطبرانى وابو نعيم بسند صحيح (وذلك) اى كونه سبب اسلامه (انه كان يقول) كما روى عنه عبد الله بن سلام (مابقى من علامات النبوة شئ الا وقد عرفتها فى محمد) وفى رواية فى وجه محمد (الا اثنتين لم اخبرهما) بفتح الهمزة وضم الموحدة اى لم اخبربهما فلم اعرفهما ويروى لم اجد تحققهما (يسبق حلمه جهله) اى جهل الذى يفعل به (ولا تزيده شدة الجهل) اى عليه (من احد الا حلما) بل لطفا وكرما (فاختبره) اى امتحنه (هو بهذا) اى الذى صدر منه فى حقه قولا وفعلا (فوجده) ويروى فاختبرته بهذا فوجدته (كما وصف) بصيغة المجهول اى نعت فى كتب الاولين فى صفة المرسلين وكان اعلم من اسلم من احبار اليهود واجلهم واكثرهم ما لا شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفى راجعا من غزوة تبوك الى المدينة (والحديث) اى الاحاديث الواردة المخبرة عن حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره وعفوه (عند المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكى كسرها بمعنى القدرة وهو احتراز عن توهم كون عفوه عن عجزه (اكثر من ان نأتى عليه) اى نذكر كله اومعظمه (وحسبك) اى كافيك ومغنيك (ماذكرناه مما فى الصحيح) اى فى الكتب الصحيحة (والمصنفات الثابتة) اى ولو لم تكن من الصحاح الستة او ولو لم تكن صحيحة بل ثابتة حسنة فانها حجة بينة (الى مابلغ) اى منضمة الى ما وصل بمجموعه (متواترا) اى فى المعنى (مبلغ اليقين) اى مبلغا يحصل به اليقين للمؤمنين فى امر الدين (من صبره) بيان لما اى من تحمله (على مقاساة قريش) اى مكايداتهم ومعارضتهم ومخالفتهم (واذى الجاهلية) اى وتأذيه من اهل جاهليتهم وسفلتهم (ومصابرته الشدائد) اى مغالبة المحن وفى نسخة ومصابرة الشدائد (الصعبة) اى الشاقة (معهم) اى مع اعدائه (الى ان اظفره الله عليهم) بنصره واظهره كما فى نسخة (وحكمه فيهم) بتشديد الكاف اى جعله حاكما عليهم متصرفا فى امرهم (وهم لايشكرون) اى لايترددون بناء على زعمهم وقياسه على انفسهم (فى استيصال شأفتهم) بفتح شين معجمة فسكون همزة ففاء فتاء اى جمعهم وقطع اثرهم وهى فى الاصل قرحة تخرج للانسان فى اسفل القدم فتكوى فتذهب فهم يقولون فى المثل استأصل الله شأفته اى اذهبه كما اذهبها وروى فى استئصاله بالاضافة ونصب شأفتهم التى فى استهلاكه دابرهم من اصلهم وفصلهم (وابادة خضرائهم) بفتح خاء وسكون ضاد معجمتين بعدهما راء فالف ممدودة اى اهلاك جماعتهم وتفريق جمعهم فالابادة بكسر الهمزة مصدر اباده الله اى اهلكه وخضراؤهم سوادهم ومعظمهم والمعنى لايشكون فى هلاكهم وذهابهم وفنائهم (فما زاد على ان عفا) اى تجاوز عن افعالهم (وصفح) اى واعرض عن اقوالهم (وقال) اى لهم تلويحا بلطفه اليهم وشفقته عليهم واستخراجا لما فى ضمائرهم واستظهارا لما فى سرائرهم (ما تقولون) اى فيما بينكم اوما تظنون بى (انى فاعل بكم) اى بعد ماظفرت عليكم (قالوا خيرا) اى نقول قولا خيرا اونظن ظنا خيرا اوتفعل خيرا (اخ كريم) اى هو او انت وهو فى معنى العلة اى لانك اخ كريم (وابن اخ كريم) اى فلا يجئ من مثلك الا مايوجب الكرم والعفو عمن ظلم (فقال اقول) اى فى جواب قولكم كما قال اخى يوسف) اى لاخوته فانا مقتد بالانبياء العقلاء لابالاغبياء الجهلاء (لاتثريب) لاتعيير ولاتوبيخ ولاتعييب (عليكم اليوم) اى هذا الوقت الذى ظهر فضلى لديكم اولا اذكر لكم الذنب فى هذا اليوم الذى محله التثريب فاظنكم بغيره من الزمان البعيد اوالقريب واما ماجوزه التلمسانى من الوقف على عليكم وجعل اليوم ظرفا لما بعده ففى غاية من البعد مبنى ومعنى (يغفر الله لكم) اى ما فرط منكم وظهر عنكم (الاية) اى وهو ارحم الراحمين وانما رحمتى اثر من آثار رحمته كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما فى الحديث الشريف انا رحمة مهداة اى رحمة لكم ومهداة اليكم (اذهبوا فانتم الطلقاء) بضم ففتح ممدودا جمع طليق بمعنى مطلوق وهو

الاسير يخلى عن سبيله اى الخلصاء من قيد الاسر فانهم كانوا حينئذ اسراء وقد قال ذلك يوم فتح مكة آخذا بعضادتى باب الكعبة على ما رواه ابن سعد والنسائى وابن زنجويه وجاء نوفل بن معاوية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله انت اولى الناس بالعفو و من منا من لم يعادك و يؤذك ونحن فى جاهلية لاندرى ما نأخذ و لاماندع حتى هدانا الله بك وانقذنا بوجودك من الهلكة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد عفوت عنك فقال فداؤك ابى وامى و قد روى سفيان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف اى اهل الطائف كما رواه ابن سيرين قال التلمسانى وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة وفيها رؤساء قريش فاخذ بعضادتى الباب وقال ماذا ترون انى صانع بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم ملكت فاسجح فقال انى اقول لكم كما قال اخى يوسف لاتثريب عليكم اليوم الاية وقال انتم الطلقاء و لكم اموالكم قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام (و قال انس) كما رواه مسلم وابوداود والترمذى و النسائى (هبط ثمانون رجلا من التنعيم) وهو اقرب اطراف مكة اليها وهو على ثلاثة اميال منها وقيل اربعة وهو من جهة المدينة والشام سمى بذلك لانه عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن شماله جبل يقال له ناعم والوادى نعمان بفتح النون (صلاة الصبح) اى نزلوا وقت صلاة الفجر (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بغتة و غفلة (فاخذوا) بصيغة المجهول (فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم) اى كفار مكة (عنكم وايديكم عنهم الاية) وهى ببطن مكة اى داخلها وقريبا منها من بعد ان اظفركم عليهم اى اظهركم وغلبكم فهزمهم وادخلهم بطنها وقد ذكر المفسرون ان سبب نزولها عام الحديبية ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة فهزمهم حتى ادخلهم بطن مكة او كان يوم فتح مكة وبه اخذ ابوحنيفة ان مكة فتحت عنوة ولاينافيه ماذكر من ان السورة نزلت قبله اذ هى من جملة المعجزات والاخبار عن المغيبات قبل وقوعها (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لابى سفيان) اى ابن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا واعطاه من غنائمها مائة واربعين اوقية وزنها له بلال كان شيخ مكة ورئيس قريش بعد ابى جهل اسلم يوم الفتح ونزل المدينة سنة احدى و ثلاثين ودفن فى البقيع (وقد سيق اليه) اى جيئ به اليه والجملة معترضة بين القول ومقوله مبينة لحال صاحبها و المعنى جاء به العباس ليلا مردفا له على بغلته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوجه لفتح مكة (بعد ان جلب) اى ساق (اليه الاحزاب) وهى جموع مجتمعة من العرب من قبائل متفرقة والمعنى بعد كثرة قبائحه وجملة فضائحه منها انه جمع احزاب كفار مكة وغيرهم واتى اهل المدينة على عزم قتلهم ونهبهم وهم اهل الخندق وكانوا ثلاثة عساكر وعدتهم عشرة آلاف قال ابن اسحق وكانت فى شوال سنة خمس وكان الحصار اربعين يوما (وقتل عمه) اى وتسبب بقتل عمه حمزة اذ قتله وحشى وهو من جملة عسكره ثم اسلم (واصحابه) اى وقتل سائر اصحابه مجازا قيل هم سبعون وقيل سبعون من الانصار خاصة وقيل مجموع القتلى سبعون اربعة من المهاجرين حمزة و مصعب بن عمير وشماس بن عثمان المخزومى وعبدالله بن جحش الاسدى و باقيهم من الانصار (ومثل بهم) بتشديد المثلثة اى امر ان يفعل بهم المثلة او تسبب بها على وجه المبالغة من قطع انف واذن ومذاكير وسائر اطرافهم والمثلة بحمزة زوجته هند بنت عتبة لقتل حمزة اباها فى بدر وفى صحيح البخارى عن ابى سفيان وستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى قيل و الذى فعل المثلة هند و من معها من النسوة و قال البغوى فى تفسيره لم يبق احد من قتلى احد الا مثل به غير حنظلة بن راهب فان اباه عامر الراهب كان مع ابى سفيان فتركوا حنظلة لذلك (فعفا عنه) اى مع هذا كله وجميع ماصدر عنه من الفعل (ولاطفه فى القول) اى بالغ فى اللطف والرفق معه حيث قال له (ويحك يا اباسفيان) اى ترحما له وتوجعا عليه اذ لم يؤمن به بعد ولم يسلم على يديه قبل ويح كلمة ترحم لمن وقع فى هلكة لايستحقها وقيل ويح باب رحمة وويل باب هلكة وويس استصغار (الم يأن) من انى يانى اى جاء اناه اى الم يقرب الوقت (لك ان تعلم) اى علما يقينا (وتشهد ان لا اله الا الله) اى توحده حق توحيده الموجب للعلم بحقية رسوله (فقال) اى ابوسفيان متعجبا من سعة حلمه وكثرة صلته وقوة كرمه (بابى انت وامى) اى افديك بهما (ما احلمك) صيغة تعجب من الحلم وفى بعض النسخ ما اجملك من الجمال فيكون بمعنى التجمل كما ان الاول بمعنى التحمل (و اوصلك) اى ما اكثر وصلك على رحمك اوما اكثر عطائك لاعدائك (واكرمك) اى ما اكثر كرمك على من اساء اليك وخالف عليك وابعد الدلجى فى قوله واكرمك عند ربك حيث لايلائم المقام كما لايخفى على ذوى المرام (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا) اى عليهم (واسرعهم رضى) اى لطفا اليهم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى وفى الحديث جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون

اعدائكم وهذا آخره والله اعلم ومما يناسب المقام ما ذكره التلمسانى فى شرح الشفاء انه قيل لا يكمل الانسان حتى يقبل الاعتذار ويعفو عند الاقتدار ويكون الاظهار منه مثل الاضمار وسأل معاوية صعصعة بن صوحان فقال صف لى الناس فقال خلق الله الناس اصنافا فطائفة للعبادة وطائفة للتجارة وطائفة للخطابة وطائفة للنجدة وطائفة فيما بين ذلك يكدرون الماء ويغلون الغلاء ويضيقون الطريق فى البناء والصحراء ﴿ فصل ﴾ (واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة) اى فى اطلاقات المحاورة (وقد فرق بعضهم) بتخفيف الراء وتشديد وقيل فرق بالتخفيف فى المعانى وبالتشديد فى الاجسام ويجوز استعمال كل مكان الآخر تجوزا اى فصل وميز بحم (بينها) اى بين معانى الالفاظ المتقدمة (بفروق) اى دقيقة (فجعلوا) اى هؤلاء البعض (الكرم الانفاق بطيب النفس) اى بنشاطها وانبساطها (فيما يعظم) بضم الظاء اى يجل (خطره) بفتحتين وبسكون الثانى اى قدره (ونفعه) اى يكثر الانتفاع به فلا يطلق على ما يحقر قدره ويقل نفعه (وسموه) اى الكرم (ايضا حرية) اى من رق العبودية للامور العارضية ولذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وفى بعض النسخ جرءة بضم جيم وسكون راء فهمزة ولعل وجهه وتلازم السخاوة والشجاعة فان احدهما بذل الروح والآخر بذل المال والاول اقوى كما لا يخفى على ارباب الكمال قال التلمسانى وحقيقة الحرية كمال العبودية وقيل هى ان لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحته سقوط التميز عن قلبه بين الاشياء فيتساوى عنده اخطار الاعراض (وهو ضد النذالة) بفتح النون فذال معجمة اى الرذالة والسفالة وما احسن هذه المقالة

﴿ اتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر ﴾

وهو من لم يستعبده هواه ولم تسترقه دنياه والاظهر ان يقال الكرم انما هو عطاء ابتداء من غير ملاحظة عوض وغرض انتهاء (والسماحة التجافى) بنصبهما عطفا على مفعولى جعلوا ويجوز رفعهما اى والسماحة هى التباعد والتنحى (عما يستحقه المرء عند غيره) اى من اداء عين اوقضاء دين (بطيب نفس) اى بلطافة نفاسته (وهو ضد الشكاسة) بفتح الشين المعجمة واهمال ما بعد الالف اى صعوبة الخلق والمضايقة وفى التنزيل متشاكسون اى مختلفون متعسرون هذا وفيه أن بعض الاحاديث يدل على ان المراد بالسماحة السخاوة الخاصة وهى المساهلة فى المعاملة كما ورد رحم الله من سمح فى البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وفى حديث السماح رباح (والسخاء سهولة الانفاق) اى على الاقارب والاجانب والفقير والغنى وسائر المراتب (وتجنب اكتساب ما لا يحمد) بصيغة المجهول اى تبعد اقتناء ما لا يمدح من البخل وارتكاب الذم الموجب لترك مدحه فى الاغلب الاعم (وهو الجود) اى مرادفه من غير اعتبار مخالفة وقيل الجود اعطاء الموجود وانتظار المفقود والاعتماد على المعبود وقيل الجود هو بذل المجهود ونفى الوجود وقد يقال من اعطى البعض فهو سخى ومن بذل الاكثر فهو جواد ومن اعطى الكل فهو كريم وقيل السخاء الانفاق من الاقتار ومنه

﴿ ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود ومالديك قليل ﴾

(وهو) اى السخاء الذى بمعنى الجود (ضد التقتير) اى التضييق فى الانفاق والامساك وهو نقيض الاسراف فى الانفاق والظاهر انه حال اعتدال بين البخل والاسراف فانظر فيه بعين الانصاف ولا تدخل فى حد الاعتساف هذا ولم يظهر وجه عدول المصنف عن النشر المرتب الى خلافه فيما ارتكب (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى) بصيغة المفعول مهموزا ومسهلا من آزيته واجاز بعضهم وازيته اى لا يقاوم ولا يقابل ولا يماثل به احد (فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى) بصيغة المجهول وهو بالباء الموحدة والراء اى لا يعارض فى هذه الشمائل الحميدة والفضائل العديدة وغيرها من الاحوال السعيدة كما اشار الى هذه الزبدة صاحب البردة بقوله

﴿ فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم ﴾

(بهذا) اى بما ذكر وامثاله (وصفه) اى نعته (كل من عرفه) اى معرفة مشاهدة ومعاينة اومعرفة شهرة ومطالعة سيرة كما يدل عليه الحديث الذى رواه بسنده عن البخارى وقد رواه ايضا غيره (حدثنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى) بفتحتين وهو الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (حدثنا ابوذر الهروى حدثنا ابو الهيثم) بفتح هاء وسكون تحتية فمثلثة (الكشميهنى) بضم فسكون سين معجمة وفتح ميم وتكسر وسكون ياء ففتح هاء (وابو محمد) واسمه عبد الله بن احمد بن حمويه (السرخسى) بفتح راء وسكون خاء وقيل بالعكس وضبطه التلمسانى بكسر السين الاولى والمشهور هو الفتح (وابو اسحق البلخى) وهو المشهور بالمستملى (قالوا) اى المشايخ الثلاثة

(حدثنا ابو عبد الله الفربري) بكسر فاء وفتح راء و سكون موحدة وقال المصنف [illegible] قال الحازمي والفتح افصح وقيل ولم يذكر ابن ماكولا غيره (حدثنا البخاري) اى امام المحدثين (حدثنا محمد بن [illegible]) بالثاء المثلثة العبدى البصرى (حدثنا سفيان) المراد به الثورى ههنا ثم رواه ابن عيينة (عن ابن المنكدر) عن جابر لكن انفرد به مسلم عن ابن المنكدر تابعى جليل (سمعت جابر بن عبد الله) اى الانصارى رضى الله تعالى عنهما (يقول) اى كما رواه البخارى فى الادب عنه ومسلم فى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم والترمذى فى شمائله (ماسئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا) اى عن شئ كما فى اصل التلمسانى والمراد شيئا من باب العطاء (فقال لا) اى لا اعطى والمعنى ماسأله احد من متاع الدنيا شيئا فمنعه بل كان يعطى او يعده بالعطاء لقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا فلا ينافيه قوله تعالى حكاية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لا اجد ما احملكم عليه اى الآن وارجو فى مستقبل الزمان وروى فى كتاب اخيار الخلفاء فى اخبار الظرفاء عن انس رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال الزبيران مفاتيح الرزق مقرونة بباب العرش ينزل الله تعالى ارزاق العباد على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر عليه ومن قلل قلل له انتهى ويؤيده قوله تعالى وماانفقتم من شئ فهو يخلفه وحديث اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا هذا وقد قال بعض ارباب الكمال

﴿ ما قال لا قط الا فى تشهده * ولا لم قط الاجاءت النعم ﴾

(وقال آخر)

﴿ فلولم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله ﴾

(وعن انس وسهل بن سعد) هو الساعدى الانصارى (مثله) اى نحوه فى المبنى والمعنى (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى عنه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير) اى بكل ماينفعهم فى دنياهم واخراهم وقد سقط لفظ بالخير من اصل الدلجى فقدر بكل ماينفع وقرر انه حذف للتعميم اولفوات احصائه كثرة (واجود ماكان) بالنصب عطفا على ماقبله ومامصدرية اى وكان اجود اكوانه باعتبار اختلاف زمانه حاصلا (فى شهر رمضان) فهو حال سد مسد الخبر وهذا لانه منبع النعم ومعدن الخير والكرم وفيه يسبغ الله نعمه على عباده فتخلق باخلاق الله فى اهل بلاده وقال النووى يجوز فى اجود الرفع والنصب والرفع اصح واشهر وفيه نظر اذ جاء فى الصحيح خلافه بالتصريح وكان اجود مايكون ثم وجه الرفع انه مبتدأ وفى شهر رمضان خبر واما القول بضمير الشان فى كان فلا محوج اليه ولا معول عليه (وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير) اى بجميع انواعه (من الريح المرسلة) بصيغة المجهول اى فى عموم المنفعة والسرعة على ان الريح قد تكون خالية من المطر وقد تكون جالبة للضرر وقيل المراد بالريح الصبا قال النووى وفيه الحث على الجود والزيادة فى رمضان وعند لقاء الصالحين وعلى مجالسة اهل الفضل وزيارتهم وتكريرها مالم يورث المزور كراهة ذلك واستحباب كثرة التلاوة سيما فى رمضان ومدارسة القرآن وغيره من العلوم الشرعية وان القراءة افضل من التسبيح والاذكار (وعن انس رضى الله تعالى عنه) على مارواه مسلم (ان رجلا) وهو صفوان بن امية الجمحى القرشى اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك فلما اعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اعطاه الله عليه واكثر قال اشهد بالله ماطابت بهذا الانفس نبى فاسلم يومئذ اخرج له مسلم والاربعة واحمد فى مسنده ومات بمكة فى خلافة معاوية (سأله) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من العطاء (فاعطاه غنما) اى قطيعة غنم والمراد غنما كثيرا ملأ واديا (بين جبلين) لسعة جوده وسماحة نفسه والظاهر انه كان بعد اسلامه او صار سببا لاسلامه لقوله (فرجع الى بلده) ويروى الى قومه (وقال اسلموا) فان اعطاءه من بين اخلاقه كالمعجزة (فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة) اى حاجة ابدا لكرم نفسه وشرف طبعه وتوكله على رزق ربه (واعطى غير واحد) اى كثيرا من المؤلفة (مائة من الابل) كابى سفيان بن حرب وابنيه معاوية ويزيد ومع مائة كل واحد منهم اربعين اوقية وكحكيم بن حزام والحارث بن هشام وغيرهم (واعطى) كما رواه مسلم (صفوان) اى ابن امية (مائة) من الابل (ثم مائة ثم مائة) اى فى وقت واحد اوفى ازمنة متعددة (وهذه) اى الخصال الممدوحة (كانت حاله) وفى نسخة خلقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) ايضا (قبل ان يبعث) لما خلقت هذه الشمائل وطبعت هذه الفضائل فى اصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد (وقد قال له ورقة) بتحريك الواو والراء فالقاف (ابن نوفل) وهو ابن عم خديجة رضى الله تعالى عنها وكان تنصر واختلف فى اسلامه (انك تحمل الكل) بفتح الكاف وتشديد اللام اى الثقيل من العيال واليتيم ومن لاقدرة له من ضعيف الحال اى فيما بين قومه وفى التنزيل وهو كل على مولاه اى ثقيل فى المؤنة ضعيف

فى الصنعة (وتكسب) بفتح اوله ويضم وبكسر السين (المعدوم) بالواو فى النسخ المعتبرة الحاضرة قال النووى فتح التاء هو الصحيح المشهور وروى بضمها وقال الدلجى وتكسب هنا بضم اوله والمعدم بدون واو اى المحتاج تفيده المعارف والمال وتعينه على تحصيلهما والذى رواه مسلم والبخارى انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها بزيادة اللام فى خبران والواو فى مفعول تكسب انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى وقال ابن قرقول فتح اوله اكثر الروايات واصحها ومعناه تكسبه لنفسك وقيل تكسبه غيرك وتعطيه اياه يقال كسبت مالا وكسبته غيرى لازم ومتعد وروى بضم اوله والمعنى تكسب غيرك المال المعدوم اى تعطيه واختاره النووى وقيل تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك من مكارم الاخلاق وانكر الفراء وغيره اكسب فى المتعدى وصوبه ابن الاعرابى وانشد فاكسبنى مالا واكسبته حمدا ثم المراد من المعدوم هو العاجز عن الكسب او الرجل المحتاج وسمى معدوما لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف كغيره ومن يجوز ضم التاء يقول صوابه المعدم بضم ميم وكسر دال (ورد على هوازن) وهى قبيلة معروفة (سباياها) اى اسراها (وكانت) وفى نسخة صحيحة وكانوا (ستة آلاف) اى من النساء والذرية ورد عليهم ايضا من الاموال اربعة وعشرون الفا من الابل واكثر من اربعين الفا من الغنم واربعة آلاف اوقية من فضة والاوقية اربعون درهما قيل وقوم ذلك فبلغ خمسمائة الف الف ومن جملة جوده اعطاؤه مال جزية البحرين فى يومه وكان مقداره مائة الف وثمانين الف درهم بعثه اليه عامله العلاء بن الحضرمى (واعطى العباس) على ما رواه البخارى عن انس تعليقا انه اعطاه (من الذهب ما لم يطق حمله) من الاطاقة اى شيئا لم يقدر على حمله وحده مع قوة بحمله (وحمل اليه) بصيغة المجهول اى اتى اليه (تسعون الف درهم) على ما رواه ابو الحسن ابن الضحاك فى شمائله عن الحسن مرسلا (فوضعت) بصيغة المجهول اى فسكبت ونثرت (على حصير) اى خصفة (ثم قام اليها يقسمها) حال وفى نسخة فقسمها (فما رد سائلا) اى ممن جاءه وحضر عنده (حتى فرغ منها) اى من قسمتها وهو غاية لقوله قام او يقسمها وابعد الدلجى فى جعله غاية لعدم رده سائلا اذ مفهومه انه حينئذ رد سائله وقد سبق انه لم يكن قائلا لا لمن يكون سائلا نوالا كما يدل عليه قوله (وجاءه رجل) كما رواه الترمذى فى شمائله انه جاءه رجل قال الدلجى هذا الرجل لا اعرفه (فسأله) اى شيئا معينا ومقدارا مبينا (فقال ما عندى شئ) اى مما عينت او على قدر ما بينت (ولكن ابتع على) امر من الابتياع بباء موحدة ثم مثناة فوقية اى اشتر واستلف مقدار ما تختار حوالة على فالمفعول محذوف وقال التلمسانى اى اعدد على او احسب هكذا ثبت الحديث بتقديم الباء على التاء انتهى وجوز الدلجى تقديم المثناة الفوقية على الباء الموحدة ولم تثبت عندنا فى النسخ المعتمدة (فاذا جاءنا) اى من عند الله (شئ) اى مما اولاه (قضيناه) اى حكمنا به لك او اديناه عنك (فقال له عمر) اى بناء على نظر الرحمة اليه (ما كلفك الله ما لا تقدر عليه) اى من تحمل الدين بمقتضى الوعد لما ورد من ان العدة دين والدين شين (فكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) بناء على جبر خاطر السائل وما يعتريه من خيبة الامل ولما سبق فى الآية من انه مأمور بالعدة (فقال) له (رجل من الانصار) قيل هو بلال لكنه من المهاجرين وقد يجمع بانهما قالاه والامام الغزالى مال الى جعل القائل نفس السائل حيث قال فى الاحياء فقال الرجل (يا رسول الله انفق) اى بلالا (ولا تخش) اى لا تخف كما فى نسخة (من ذى العرش اقلالا) اى تقليلا فان الملك كله ملك لصاحب العرش سبحانه وتعالى تعظيما وتبجيلا (فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى انسراحا بمن تكلم (وعرف البشر) بصيغة المجهول اى وظهرت البشاشة والطلاقة وآثار السرور وظهور النور

(فى وجهه) اى بتهلله واشراق خده ولله در القائل

﴿ تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى انت سائله ﴾

(وقال بهذا امرت) اى بهذا الكرم امرنى ربى قبل ذلك او جاءنى جبريل على وفق ما هنالك (ذكره الترمذى) اى فى شمائله وذكر ابن قتيبة فى كتاب مشكل الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا بتمر فجعل يجئ به قبصا قبصا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا قال والقبص بالصاد الاخذ باطراف الاصابع وبالضاد المعجمة بالكف كلها (وذكر) بصيغة المفعول وفى نسخة على بناء الفاعل اى وذكر الترمذى فى شمائله ايضا (عن معوذ) بكسر الواو المشددة وفتح والذال المعجمة وقيل مهملة (ابن عفراء) بفتح عين وسكون فاء فراء ممدودا اسم امه وهى من المبايعات تحت الشجرة واما اسم ابيه فالحارث بن رفاعة بن سواد بفتح السين النجارى الانصارى (قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع)بكسر قاف وفتح نون (من رطب) وفى اصل الدلجى بالاضافة من غير من (يريد) اى يعنى الراوى بقوله قناع (طبقا) بفتحتين اى وعاء مما يؤكل عليه واما قول الحجازى صوابه بالمثناة الفوقية فى الموضعين على تصحيح الرواية عن الربيع ففيه ان الربيع غير مذكور فى المتن بل معوذ لا غير

ولايجوز تغييرالتصنيف فالصواب بالياء التحتانية على انه يرجع الى معوذ اوالى الراوى بالمعنى الاتم (والقناع ايضا اجر) بفتح همزة وسكون جيم وكسرراء منونة جمع جرو مثلث الجيم والكسر اشهر اى قثاء صغار (زغب) بضم زاى وسكون معجمة جمع ازغب اى ذات زغب اى صغار الريش اول مايطلع شبه به ماعلى القثاء من الزغب وضبط فى حاشية بفتح الزاى والغين المعجمة ويعنى بها الشعرات الصفر على ريش الفرخ والفراخ زغب بضم فسكون على ماذكره الجوهرى وهذا وصف منه للقثاء باللطافة والغضاضة اذ القثاء اللطاف لاتخلو عن شئ يكون عليها سبه الزغب (يريد) اى يعنى باجر زغب (قثاء) اى موصوفا بما ذكر وهو بكسر القاف ويضم ممدودا (فاعطانى) اى لاجل بدله اوبما كان عنده فى نظيره (ملء كفه) وفى رواية ملء يديه وفى رواية ملء يدى وفى اخرى كفى (حليا) بفتح فسكون وجمعه حلى ووزنه فعول كضرب وضروب ثم دخله الابدال والادغام وكسرت اللام لتصح الياء وكسر الحاء ايضا حمزة والكسائى للاتباع وفى نسخة بضم فكسر فتشديد تحتية (وذهبا) تخصيص بعد تعميم اذ الحلى مايصاغ ولومن الفضة وغيرها قال الدلجى كذا هنا من رواية معوذ بن عفراء والذى فى مسند احمد وشمائل الترمذى بسند جيد عن ابنة الربيع مصغر ربيع قالت بعثنى معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثاء وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء فاتيت بها وعنده حلية قد قدمت عليه من البحرين فملأ يده فاعطانى وللترمذى فاتيته بقناع من رطب واجر زغب فاعطانى ملء كفيه حليا اوذهبا وابوها معوذ قتل ببدر ولم يعرف له رواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال انس رضى الله عنه) اى فيما رواه الترمذى (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لايدخر) بدال مهملة مبدلة من معجمة اذ اصله لايذتخر (شيئا لغد) اى لايؤخر لمستقبله من الزمان شيئا من مأكول ومشروب لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه اوالمعنى لايدخر لخاصة نفسه لقوة حاله فلاينافيه انه كان يدخر قوت سنة لعياله (والخبر) اى الاخبار الواردة المؤننة (بجوده وكرمه) اى بناء على اثر نور وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير) اى فلا يمكن احصاؤه ولايتصور استقصاؤه (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) لايعرف من رواه عنه (ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسئله) اى شيئا من العطاء (فاستلف) اى فاستسلف له كما فى نسخة والمعنى اخذ السلف واستقرض من رجل لاجله (نصف وسق) وهو بفتح الواو ويكسر وسكون السين ستون صاعا والنصف مثلث النون والكسر اشهر (فجاء الرجل) اى رب الدين (يتقاضاه) اى يطالبه بوفائه (فاعطاه وسقا) اى بكماله (وقال نصفه قضاء) اى وفاء (ونصفه نائل) اى عطاء ثم اعلم ان فى بعض النسخ هنا زيادة لاتخلو عن افادة وهى قوله وقال ابو على الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم فى الفتوة وهى غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم فى الفاظهم ان هذا الخلق لايكون الا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل واحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو يقول امتى امتى انتهى قال ابن مرزوق هذه الرواية ثبتت فى رواياتنا فى هذا الموضع من الشفاء وقال التلمسانى وقد ثبتت هذه الزيادة ايضا ملحقة بخط العراقى فى الطرة ثم قال نقل هذا من خط المؤلف رحمه الله انتهى وقال برهان الدين الحلبى هذا فى بعض النسخ ثابت وابو على المذكور هو الحسن بن على بن محمد بن اسحق بن عبد الرحيم بن احمد الاستاذ شيخ الاستاذ ابى القاسم القشيرى تعقب على الحصرى واعاد على القفال المروزى فى درس الحصرى ثم سلك طريق التصوف حتى صار انسان وقته وسيد عصره توفى فى ذى الحجة سنة خمس واربعمائة قال فيما يرويه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اكرم غنيا لغناه ذهب ثلثا دينه وذكر فيه حكمة ذكرها السبكى فى الطبقات

﴿فصل واما الشجاعة﴾

بفتح اولها معروفة (والنجدة) بفتح نون فسكون جيم فدال مهملة بمعنى الشجاعة على مقالة الجوهرى وقيل الاغاثة والاعانة وفرق المصنف بينهما بقوله (فالشجاعة فضيلة قوة الغضب) اى زيادتها (وانقيادها) اى مطاوعة تلك القوة ومتابعتها (للعقل) اى لتقع على ماينبغى من النعوت الادمية وهو احتراز عن الصفة السبعية البهيمية ولابد من قيد انقيادها للشرع لتكون من الاوصاف البهية (والنجدة ثقة النفس) اى وثوقها بربها واعتمادها على خالقها (عند استرسالها) اى اشرافها وطلبك ارسالها (الى الموت) اى حال ثبتها من ابتدائها الى زمان انتهائها باختياره الى حد فنائه وزوال بقائه (حيث يحمد فعلها) اى عقلا ونقلا (دون خوف) اى من غير خوف لها يمنعها عما هى بصدده من كمالها والحاصل ان النجدة قوة تنشأ عن الشجاعة لانها ضرها فى اصلها (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) اى من الشجاعة والنجدة وروى منها فالضمير لكل منهما (بالمكان) اى بالمحل (الذى لايجهل) وبيانه قوله (قد حضر المواقف الصعبة) بفتح فسكون اى الشديدة كبدر واحد وحنين وغيرها (وفر) اى هرب (الكماة) بضم كاف وتخفيف ميم جمع كمى بفتح فكسر فتشديد اى شجاع مكمى فى سلاحه اذ قد كمى نفسه وسترها بدرعه وبيضته كانه جمع كامى كقاض وقضاة (والابطال) بفتح الهمزة جمع بطل بفتحتين وهو الشجاعة والمغايرة بينهما من حيث الستر وعدمه اوالثانى

ابلغ والمعنى ولوامدبرين (عنه) اى عن مساعدته صلى الله تعالى عليه وسلم (غيرمرة) اى مرات كثيرة وان كان قصد بعضهم الكرة بعد الفرقة (وهو ثابت) اى بقلبه وقدمه (لايبرح) بفتح الياء والراء اى لايزول عن مكانه (ومقبل) على شانه وسأنه بكمال الاقبال (لايدبر) اى لا ينوى الادبار ولا التحول والانتقال (ولايتزحزح) اى ولا يتبعد عن مواجهة الكفار والجمل المنفية احوال مؤكدة لما قبلها والمعنى انهم فروا عنه حال ثباته واقباله على اعدائه (وماتجاع) بتثليث اوله والضم اشهر اى ماوجد احد شجيع من شجعان العرب والعجم (الاوقداحصيت له فرة) على صيغة المجهول اى ضبطت له ولومرة واحدة من الفرار والهزيمة (وحفظت عنه جولة) بفتح جيم وسكون واو اى تردد ونفرة (سواه) اى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم الفرار لكماله فى مقام الوقار والقرار (حدثنا ابوعلى الحيانى) بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية وفى آخره نون ثم ياء النسبة وهو الحافظ الغسانى وقيل بكسر الجيم والظاهر انه تصحيف (فيما كتب لى) اى من هذا الحديث ونحوه مقرونا بالاجازة له مع امكان السماع منه (حدثنا القاضى سراج) بكسر سين مهملة وتخفيف راء بعدها الف فجيم (حدثنا ابومحمد الاصيلى) بفتح فكسر صاد مهملة ويقال بالزاى ايضا نسبة الى بلد بالمغرب (حدثنا ابوزيد الفقيه) وهو المروزى (حدثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (حدثنا محمد بن اسمعيل) اى الامام البخارى (حدثنا ابن بشار) بموحدة فشين معجمة مشدد العبدى مولاهم قال ابوداود وكتبت عنه خمسين الف حديث (حدثنا غندر) بضم غين معجمة فنون ساكنة فدال مهملة مفتوحة وقد تضم فراء هذلى بصرى وهو منصرف (حدثنا شعبة) اى ابن الحجاج امير المؤمنين فى الحديث (عن ابى اسحق) اى السبيعى الهمدانى الكوفى تابعى جليل روى عنه السفيانان وابو بكر بن عياش وخلائق وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو يشبه الزهرى فى كثرة الرواية وقد غزا عشر مراة وكان صواما قواما (سمع البراء) بفتح الموحدة وتخفيف الراء وهو ابن عازب رضى الله عنهما (سأله رجل) لايعرف (افررتم يوم حنين) وهو واد بين مكة والطائف وتصحف حنين على التلمسانى بخيبر ولذا قال وكانت غزوة حنين فى السابعة من الهجرة وقدم جعفر بن ابى طالب ومن معه من الحبشة حينئذ وقد وقع فى صحيح البخارى فى غزوة الفتح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان الى حنين وقد تقدم انها كانت فى سوال وهو المعروف ولعل المراد الفتح لان الفتح تعقبه حنين والمعنى افررتم يوم حنين معرضين (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى نعم كما فى نسخة ولعله حذف استهجانا للتصريح به ثم استدرك بقوله (لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) بتشديد الراء المفتوحة ويجوز كسرها لكسر ما قبلها وقال التلمسانى انما لم يجبه ببلى او نعم لان موجب لاقد وقع ولم يكن قصدا بل رشقتهم هوازن بنبلها ذا اصباح وقد تفرقوا لحوائجهم ولم يعلموا ان للعدو كمينا فكان جولة ولبس هزيمة وقد وقع ذلك من الطلقاء لان منهم من لم يكن صادق الاسلام يومئذ انتهى ثم فى هذا الاستدراك دفع توهم فراره صلى الله تعالى عليه وسلم بعد فرارهم عنه ولا والله ما فر قط بل الاجماع قاض بتحريم اعتقاد فراره وهذا الحديث اخرجه البخارى فى الجهاد ومسلم فى المغازى والنسائى فى السير وهو كما فى الاصل بناء على ما فى بعض الطرق وفى بعضها افررتم يوم حنين ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذه الرواية قال النووى مانصه هذا الجواب الذى اجاب به البراء من بديع الادب لان تقدير الكلام افررتم كلكم فيقتضى انه عليه الصلاة والسلام وافقهم فى ذلك قال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا (ثم قال) اى البراء (لقد رأيته على بغلته البيضاء) كذا فى الصحيحين وفى مسلم انها التى اهداها له فروة بن نفاثة قال بعض الحفاظ واسمها فضة وفى رواية على بغلته الشهباء وكلتاهما واحدة وقال بعضهم هى التى تسمى الدلدل وكذا سماها النووى فى شرح مسلم فى غزوة حنين وقال قال العلماء لايعرف له صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة سواها انتهى وذكر الحلبى ان فروة بن نفاثة اهدى فضة والمقوقس اهدى الدلدل وقيل كان له صلى الله تعالى عليه وسلم ست بغلات وقيل سبع (وابوسفيان) اى ابن عمه الحارث بن عبد المطلب وكان رضيعه صلى الله تعالى عليه وسلم ارضعتهما حليمة وآلف الناس به قبل النبوة ثم كان ابعد هم عنه بعدها ثم اسلم يوم الفتح بالابواء موضع بطريق مكة ومات سنة عشرين بالمدينة (اخذ بلجامها) زاد البرقانى والعباس رضى الله عنه اخذان بلجامها يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو شفقة منهما عليه بمقتضى البشرية وان علما مرتبة عصمته النبوية وسيأتى رواية اخرى فى هذا المعنى مع اختلاف فى المبنى وفى ركوب البغلة حال الغزوة ايماء الى كمال تحقق النجدة وزوال تصور الجولة وكيف لا وهو يقول اللهم بك اصول وبك احول (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) والجملة حالية واما قول الدلجى وضع فيها مبتدأها موضع المضمر اى وهو يقول فغفلة منه عن المنقول اذلو اتى بالضمير لتوهم رجعه الى اقرب المذكور وهو ابوسفيان المسطور (انا النبى لاكذب) بسكون الباء للوزن او السجع وهو الرواية على ماذكره المازرى وضبط فى بعض النسخ بفتح الباء

على اصله فى البناء وقدورد على زنة منهوك الرجز وهوليس بشعر عند بعضهم وان كان مقصودا ثم لايسمى الكلام شعرا مالم يقصد بوزنه الشعر ومنه ماجاء فى التنزيل ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون وامثال ذلك واما قول الدلجى من رواه بفتح الباء ليخرج عن الوزن فقد نسب افصح الخلق الى النطق بغير فصيح فغير صحيح لان فتح الباء كما عرفت هو الاعراب الصحيح فلا يعدل عنه الاوقفا سواء اريد به نظم اوسجع والمعنى انا النبى صدقا لا افر اذا لقيت العدو محقا و روى بلا كذب بزيادة الباء ولعله حينئذ يخفف ياء النبى والمعنى لا كذب فى النبوة لظهور المعجزة اولا كذب فى النصرة اولا كذب فى النبوة لانها حق وماوعده ربه صدق (وزادغيره) اى غير البراء (انا ابن عبد المطلب) وهو بسكون الباء مع انها فى اصل الاعراب بالجر ومن قرأ بالكسر اراد اخراجه من وزن الشعر كما تقدم ثم انتسابه لجده لاشتهاره به لموت ابيه قبل ولادته مع كثرة نسبة الناس اياه اليه ولاينافى هذا نهيه عن الافتخار بالاباء الكفار اذ لم يقله افتخارا بل اظهارا واشتهارا اواعلاما بانه ماولى مع من ولى وتعريفا بموضعه ليرجع اليه اهل دينه (قيل فما روى) بصيغة المجهول ويقال فما رئى بالنقل والبدل اى ماابصر (يومئذ) اى يوم حنين (احد) كان (اشد منه) اى اقوى قلبا واشجع قالبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم قال البغوى بعد حديث البراء باسناده المتصل الى مسلم على ماسبق ورواه محمد بن اسمعيل عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن اسحق وزاد فما روى من الناس يومئذ اشد منه ورواه ابو زكريا عن ابى اسحق وزاد قال كنا اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذى به اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فوجه تعبير المصنف بقيل غير ظاهر كما لايخفى (وقال غيره) اى غير البراء اوغير قائل هذا القيل (نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته) وهذا يدل على كمال نجدته فى قضية شجاعته قال البغوى فى حديثه المسند الى مسلم عن ابى اسحق قال رجل للبراء ياابا عمارة افررتم يوم حنين قال لا والله ماولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح اوكثير سلاح فلقوا قوما رماة لايكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورسول الله على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحارث يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبى لاكذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم (وذكر مسلم عن العباس رضى الله عنه قال فلما التقى المسلمون) وهم ستة عشر الفا اواثنا عشر الفا اوعشرة آلاف على اختلاف (والكفار) وهم اربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان المسلمون يومئذ اكثر ماكانوا قط حتى قال رجل من الانصار لن نغلب اليوم عن قلة فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم كما اشار اليه سبحانه بقوله تعالى ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم نادوا ياحماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وهذا معنى قوله (ولى المسلمون) اى رجعوا وانهزموا (مدبرين) حال مؤكدة منهم قال الكلبى كان حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس مدبرين وقال آخرون لم يبق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غير العباس وابى سفيان وايمن ابن ام ايمن فقتل يومئذ بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فطفق) بكسر الفاء ويفتح اى جعل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار) اى يحركها ويدفعها الى صوبهم واصل الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك (وانا آخذ بلجامها) جملة حالية (اكفها) حال اخرى اواستيناف بيان (ارادة لاتسرع) بنصب الارادة على العلة للجملة السابقة اى امنعها من اجل ان لاتعجل الى جهة العدو وهو من الاسراع (وابو سفيان آخذ بركابه) وفى رواية بعكس القضيتين وتقدم انهما كانا آخذين بلجامها فالجمع بانه كان الآخذ بالمناوبة مرة وبالجمع كرة (ثم نادى) ابو سفيان اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوالعباس على الالتفات (ياللمسلمين) بفتح اللام الاولى اى اقبلوا (الحديث) بالنصب على الاصح اى انظر الحديث اوطالعه بكماله قال البغوى فى حديثه المسند الى مسلم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى عباس ناد اصحاب السمرة فقال العباس رضى الله تعالى عنه وكان رجلا صيتا فقلت با على صوتى اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقرة على اولادها فقالوا يالبيك يالبيك قال فاقتتلوا والكفار ثم اخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حصيات فرمى بهن فى وجوههم ثم قال انهزموا ورب محمد قال فوالله ماهو الا ان رماهم بحصياته فمازلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا وقال سلمة ابن الاكوع غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الاملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وقال سعيد بن جبير امد الله نبيه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كما قال تعالى وانزل جنودا لم تروها (وقيل) اى روى كما فى حديث ابن ابى هالة

(كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله) جملة حالية معترضة بين الشرط وجوابه وهو قوله (لم يقم لغضبه شئ) اى ما يدفعه عنه ويمنعه منه كما قال على كرم الله وجهه كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرف احدا ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له (وقال ابن عمر) كما رواه الدارمى (ما رأيت اشجع ولا انجد) من النجدة وقد عرفت الفرق بينها وبين ما قبلها ولا يبعد ان المراد بالجمع بينهما المبالغة فى وصف زيادة الشجاعة (ولا اجود) اى لا اسخى (ولا ارضى) اى باليسير فهو من باب القناعة او ولا اسرع رضى من الرجوع عن الغضب فهو من قبيل حسن الخلق وجميل العشرة قيل ولا ادوم رضى (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وضبط الدلجى ولا احوذ بمهملة ومعجمة من حوذ يحوذ اى اجمع وهو مما استعمل بلا اعلال اى ما رأيت احوذيا اجمع لاموره لا يشذ عليه منها شئ متمكنا منها حسن السياق لهامنه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حديث عائشة رضى الله تعالى عنها تصف عمر كان والله احوذيا نسيج وحده اى متمكنا فى اموره حسن السياق لها انتهى والظاهر انه تصحيف فى المبنى بل وتحريف فى المعنى لان الاحوذى ليس افعل التفضيل المناسب هنا للسياق من السباق واللحاق فقد قال صاحب القاموس الاحوذى الخفيف الحاذق والمشمر للامور القاهر لها لا يشذ عليه شئ كالحويذ واحوذ ثوبه جمعه والصانع القدح اخفه انتهى وقوله احوذ وكذا استحوذ بمعنى غلب واستولى جاء على اصله من غير اعلاله واما افعل سواء كان وصفا وتفضيلا فلا يعل كاسود واجود (وقال على كرم الله وجهه) كما رواه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى (وانا كنا اذا حمى البأس) بهمز ويلين ومعناه ما فى قوله (ويروى اشتد البأس) واما ما وقع فى اصل الدلجى اذا حمى الوطيس فلا اصل له فى النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (واحمرت الحدق) بفتحتين جمع حدقة وهى ما احتوت عليه العين من سوادها وبياضها وسبب احمرارها غضب صاحبها وفى الحديث الغضب جمرة توقد فى قلب ابن آدم اما ترى الى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه) اى تحفظنا به واخذناه وقاية لنا من عدونا واصل اتقى يقلب واوه ياء لكسر ما قبلها ثم تاء وادغمت (ولقد رأيتنى) اى قال على والله لقد رأيت نفسى (يوم بدر) اى وكذا غيرى لقوله (ونحن نلوذ) اى نلتجئ ونستتر (برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى الحديث اللهم بك اعوذ وبك الوذ وفى اصل الدلجى ونحن نتقى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفسره بنستتر ونحتمى الا انه ليس فى الاصول المعتمدة الحاضرة (وهو اقربنا الى العدو) اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم اقرب منا الى عدونا وهو تصريح بما سبق من تلويح (وكان من اشد الناس يومئذ) اى وقت البأس وشدة الحرب او يوم حنين (بأسا) اى قوة قلب فى شدة حرب واذا كان حاله هذا فى مثل هذا الوقت ففى سائر الاوقات بالاولى فلا يحتاج الى قول الدلجى بل اسد هم مطلقا كما لا يخفى وما احسن من قال من ارباب الحال

﴿ له وجه الهلال لنصف شهر * واجفان مكحلة بسحر ﴾
﴿ فعند الابتسام كليل بدر * وعند الانتقام كيوم بدر ﴾

(وقيل كان الشجاع) اى منا (هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) اى قاربوا (لقربه منه) اى لقرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العدو (وعن انس رضى الله عنه) كما فى حديث الشيخين (كان صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس) اى صورة وسيرة وصوتا وفصاحة وملاحة (واجود الناس) اى سخاوة وكرامة (واشجع الناس) اى قلبا وثباتا (لقد فزع) بكسر الزاى (اهل المدينة ليلة) اى خافوا تبييت العدو لما سمعوا صوتا اجنبيا فى ناحية من نواحى المدينة ولا حاجة الى قول الدلجى من ان الفزع هو فى الاصل الخوف ثم استعير ههنا للنصر والاستغاثة (فانطلق ناس) اى ذهب جمع من اهل المدينة (قبل الصوت) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة اى الى جانبه ونحوه ليتحققوا ما به (فتلقاهم) اى المنطلقين (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) حال كونه (راجعا قد سبقهم الى الصوت) اى منفردا (واستبرأ) ويروى وقد استبرأ (الخبر) اى تعرف حقيقة الاثر وكشف الامر وعرف عدم سبب الضرر وقال التلمسانى استبرأ استقصى بهمز ويسهل وفيه نظر اذ لا يجوز تسهيل الهمز المتحرك المتطرف الا وقفا والا ظهر من استبرأ اى بحث عن ذلك واستقى ما ينبغى هنالك (على فرس) اى حال كونه راكبا على فرس كائن (لابى طلحة) وهو احد اصحابه (عرى) بضم فسكون اى لا سرج عليها للاستعجال فى ركوبها والفرس هذا اسمه مندوب كما فى الصحيح (والسيف فى عنقه) اى متقلد به (وهو يقول) اى للمقبلين او لاهل المدينة اجمعين (لن تراعوا) بضم التاء والعين اى لا تخافوا مكروها يصيبكم (وقال) اى كما رواه ابو الشيخ فى الاخلاق (عمران ابن الحصين) وفى نسخة صحيحة حصين الخزاعى وقد كانت الملائكة تصافحه وتسلم عليه حتى اكتوى وقيل كان يراهم (ما لقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح كاف وكسر فوقية اى جماعة عظيمة من الجيش (الا كان اول من يضرب) اى يقبل

على ضربهم و بتوجه الى حربهم ولاينافى هذا ماسبق من انه عليه الصلاة والسلام ماضرب بيده شيئا قط لا امرأة
ولا خادما و لاغيرهما لانه ما من عام الاوخص فالمراد به ماعدا الكفار (ولما رأه ابى بن خلف) على ما رواه ابن سعد
والبيهقى وعبدالرزاق مرسلا والواقدى موصولا (يوم احد وهو) اى ابى (يقول اين محمد) سؤال عن مكانه (لانجوت
ان نجا) دعاء على نفسه فاجابه الله فاهلكه و نجى حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم و قد ورد البلاء موكل بالمنطق
(وقدكان) اى ابى (يقول للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل ذلك (حين افتدى) اى فك نفسه باعطائه الفدية
عنها (يوم بدر) متعلق بافتدى وظرف لقوله وهو (عندى فرس) اى عظيمة اسمها العود على مافى رواية (اعلفها) بفتح
همز وكسر لام اى اطعمها من العلف واصل الفرس للانثى وقد يطلق على الذكر (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء
و يسكن كيلا يسع ثلاثة اصع (من ذرة) بضم ذال معجمة وتخفيف راء نوع من الحبوب مختص بالدواب وفى النهاية
لابن الاثير ان الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا وهى اثنا عشر مدا وثلاثة اصع عند اهل الحجاز واما الفرق
بالسكون فمائة وعشرون رطلا (اقتلك عليها) اى اريد ان اقتلك حال كون عليها (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
انا اقتلك) اى عليها او على غيرها (ان شاء الله) وقد نال هواه بصدق متمناه والاستثناء امتثال لقوله سبحانه وتعالى
ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وهذه جمل معترضة بين لما وما دل على جوابها من افادة صدورها
فى بدر قبل رؤيته له فى احد (فلما رأه) اى ابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد شد ابى على فرسه) جواب
لما الثانية دال على جواب الاولى كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به بعد قوله و لما جاءهم كتاب الاية و المعنى
هنا حمل ابى مستعليا عليها بقوة كائنة (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترضه) اى حال بين ابى و بينه
صلى الله تعالى عليه وسلم (رجال من المسلمين) اى يصدونه عنه و يدفعونه منه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى لاصحابه (هكذا) اى مشيرا الى جانب ابى (اى خلوا طريقه) اى ابى فان جوابه على والمعنى تنحوا عنه ولاتحولوا
بينى و بينه (وتناول الحربة) اى اخذها (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد و تشديد الميم فتاء ابو عمرو بن عتيك
الخزرجى الانصارى ابو سعد آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه و بين صهيب وكسر بالروحاء فى غزوة بدر
فرده عليه السلام ثم ضرب له باجره وسهمه وثبت معه عليه الصلاة والسلام يوم احد هذا وقال ابن الاثير فى النهاية ان
كعب بن مالك ناوله الحربة ولامنع من الجمع (فانتفض بها) اى حرك بالحربة (انتفاضة) اى تحريكا شديدا وهزا شديدا
(تطايروا) من الطيران اى تنحوا وتبعدوا (عنه) اى تفرقوا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوعن ابى والمتفرقون اما
المسلمون واقتصر عليه الانطاكى واما المشركون وهو ابلغ وانسب بقوله (تطاير الشعراء) بفتح المعجمة وسكون المهملة
و بالمد جمعه شعر بضم فسكون اى كتطاير ذباب احمر او ازرق يقع على الحيوان فيؤذيه اذى شديدا وفى رواية تطاير
الشعارير قال صاحب النهاية وفى الحديث تطاير الشعر بضم الشين وسكون العين وهو جمع الشعراء ويروى الشعارير
وقياس واحده شعرور انتهى قال التلمسانى قوله الشعر كهذا بخط القاضى فى الاصل وفى تصحيح ابى العباس العرفى الشعراء
(عن ظهر البعير اذا انتفض) اى تحرك البعير تحركا شديدا (ثم استقبله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى توجه الى ابى
حتى وصله (فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ) بفتح فوقية وهمزة ساكنة بين دالين مهملتين ثم همزة مفتوحة قيل واصل
الهمزتين هاآن وقيل يبدلان اى تدحرج وقيل تمايل وفى اصل الدلجى تردى اى سقط (منها) اى من اجل ضربة
تلك الحربة (عن فرسه مرارا) لما غشيه من مرارة الالم وحرارة الهم (وقيل بل كسر) اى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم بقوة ضربه (ضلعا) بكسر معجمة ففتح لام وتسكن اى واحدا (من اضلاعه) اى عظام احد جوانبه (فرجع
الى قريش يقول قتلنى محمد وهم يقولون لابأس بك) وفى نسخة عليك (فقال لوكان مابى) اى لو نزل مثل مامعى من الالم
(بجميع الناس لقتلهم) اى صار سببا لقتلهم (اليس قد قال انا اقتلك) اى بقيد ان شاء الله تعالى (والله لو بصق على)
اى لو رمى ببزاقه على بدنى بقصد قتلى (لقتلنى) اى ابراز الكلامه واظهار المرامه (فمات) اى ابى المسرف فى عمره
للاشتغال بكفره (بسرف) بفتح مهملة وكسر راء ففاء ممنوعا ويجوز صرفه مكان على ستة اميال من مكة كان فيه زواج
ميمونة زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى عمرة القضاء واتفق انها ماتت به بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه قبرها
و بنى مسجد عليها (فى قفولهم) بضم قاف ففاء اى رجوع الكفار من احد وهو معهم وفى اصل الدلجى من رجوعه
(الى مكة) ولاينافيه ماذكره البغوى فى تفسيره انه مات بمكة لان سرف من توابعها هذا وقد قال النسفى فى تفسيره
ولم يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده غيره انتهى و بالجملة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشجع
الناس كما يومى اليه قوله تعالى ياايها النبى جاهد الكفار مع ماورد من اعطائه قوة ثلاثين رجلا و ربما يقاوم بعض
الرجال الفا كبعض اصحابه من المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم اجمعين بل له من القوة الالهية التى تعجز عنها

القوى البشرية والملكية هذا وقيل الشجاعة صبر ساعة وقيل الشجاع هو الذي يعبر التصرانى الذي يقصده هل هو أكحل الحدقة أوازرقها عند المقابلة وقيل هو الذي يميز كيف امسك عدوه الرمح وقيل هو الذي يأتي عدوه وهو يسير السير الرفيق الذي يسير به بين بيوت قومه ونقل عن بعض الشجعان انه اذا رأى القوم مقبلين اليه نزل عن فرسه وتوسد حتى اذا وصلوا اليه نهض نحوهم وسألوه عن حالته في المطاعنة فقال ماضربت قط برمحى الا وانا اميز بين ان اضرب به قائم السن اومنبسطا واتخير حيث اضرب وهذا نهاية الشجاعة والاقدام وقدسبق نزوله عليه الصلاة والسلام في اثناء محاربة الاقوام وقال مهلهل في هذا المرام ﴿لم يطيقوا ان ينزلوا فنزلنا * واخو الحرب من اطاق النزلا﴾ ﴿فصل﴾

(و اما الحياء) و هي حالة تعترى من له الحياة الكاملة و قال ابن دقيق العيد الحياء تغير و انكسار يعرض للانسان لخوف مايعاب به اويذم عليه وقيل الحياء حالة تنشأ عن رؤية التقصير (و الاغضاء) و هو لغة ارخاء الجفن الى حيث يقارب الانطباق فهودون الاغماض و قد يتوافقان معنى ومنه قوله تعالى الا ان تغمضوا فيه ومنه قول الفرزدق في على ابن الحسين

﴿ يغضي حياء و يغضى من مهابته * فما تكلم الا حين يتبسم ﴾

(فالحياء رقة تعترى وجه الانسان) اى تغشاه والمعنى تظهر من باطنه على ظاهره (عند فعل ما يتوقع) بصيغة المفعول اى عند ارادة فعل شئ يتوقع (كراهته) وفي نسخة كراهيته بزيادة ياء مخففة اومشددة (اوما) اى اوعند ارادة فعل شئ (يكون تركه خيرا من فعله) والاول حياء الابرار والثاني حياء الاحرار و اذا وصف به ربنا سبحانه وتعالى كما ورد في الكتاب والسنة فالمراد به الترك اللازم للانقباض (والاغضاء التغافل) اى التجاوز (عما يكره الانسان بطبيعته) اى بسجيته لابشر يعتد اذ المكروه شرعا هو الداعي الى الدين فان الدين النصيحة ولان الحياء من العلم مذموم على ما في الرواية الصحيحة (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس) اى اقواهم (حياء واكرمهم) بالنصب (عن العورات) متعلق بقوله (اغضاء) واخر مراعاة للسجع ولنصب حياء واغضاء على التمييز واثر الحياء بالاشدية لكونه سببا للاغضاء والسبب اقوى من مسببه لكونه منشأه و بعض اثره و العورات بسكون الواو جمع عورة و هي كل ما يجب ستره اذ الغالب عند كشفها ادراك المعرة لمن انكشفت منه فهي عورة مادامت منكشفة ومنه ما ورد اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (قال الله سبحانه و تعالى ان ذلكم) اى مكثكم في بيته مستأنسين لحديث بعضكم بعضا (كان يؤذى النبي) اى واثم ماتدركونه (فيستحيي منكم) اى من اخراجكم (الاية) اى قوله تعالى والله لايستحيي من الحق اى من اظهاره فلايترك بيان اسراره وكفى به شاهدا للعقلاء في تأديب الثقلاء (حدثنا ابو محمد بن عتاب) بفتح مهملة وتشديد فوقية وقدتقدم ترجمته (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتى عليه) اى الحديث الاتى (ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم حاتم بن محمد) اى التميمي المعروف بابن الطرابلسي قرأ عليه ابو على الغساني البخاري مرات (ثنا ابو الحسن القابسي) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون راء و فتح واو فزاى (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربري (ثنا محمد بن اسمعيل) اى الامام البخاري (ثنا عبدان) بفتح مهملة وسكون موحدة فدال يقال تصدق بالف الف (ثنا عبد الله) اى ابن المبارك المروزى شيخ خراسان و قال الحلبي ابوه تركي مولى تاجر وامه خوارزمية و قبره بهيت يزار و يتبرك به (انا) اى اخبرنا (شعبة عن قتادة سمعت عبد الله) اى ابن ابي عتبة (مولى انس) اى ابن مالك (يحدث عن ابي سعيد الخدرى) كما في الصحيحين واخرجه الترمذي في الشمائل وابن ماجه في الزهد (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء) بفتح المهملة فسكون المعجمة وبالراء والمد اى حياؤه اشد حياء من البنت العذراء و هي من لم تزل عذرتها اى جلدة بكارتها (في خدرها) بكسر خاء معجمة وسكون دال مهملة اى في كونها حال داخل سترها فانها حينئذ اشد حياء من غيرها و نهايته عنها عادة لمخالطتها ولذا نزل سكوتها منزلة اذنها في باب نكاحها ولوموع ولبهسا (وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه) اى عرفنا انه كرهه بتغير وجهه ولو لم يتكلم بوجهه لان وجهه مثل الشمس والقمر فاذا كره شيئا كسا وجهه ظل كالغيم عليهما (وكان لطيف البسرة) بفتحتين اى رقيق الجلدة العليا اى يتغير بادنى كراهة والجملة كالعلة المبينة للسابقة (رقيق الظاهر) تأكيد لماقبله اى يسرع اثر الحياء عليه ولله در القائل

﴿ اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * و لاخير في وجه اذا قل ماؤه ﴾

اومعناه كان لينا سهلا رفيقا مهلا (لايشافه) اى لايواجه (احدا بما يكرهه) اى لايخاطبه تصريحا بل يظهره تلويحا او لايخاطبه حاضرا و يؤيده ماسيأتي واصل المسافهة هو المخاطبة من فيه الى فيه ثم توسع فيه فقيل بمعنى واجهه ومنه حديث كلمه شفاها (حياء وكرم نفس) اى من اجل كثرة حيائه وكرم نفسه في سخائه وقد ورد ان الحياء خير كله ولا يأتي الا بخير وانه شعبة من الايمان (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه داود (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه

﴿ وسلم ﴾

وسلم اذا بلغه عن احد مايكرهه) اى شئ لايعجبه (لم يقل مابال فلان) اى حاله وشانه بتعيين [illegible] (يقول كذا) او يفعل كذا (ولكن يقول) اى منكرا له (مابال اقوام) بصيغة الجمع لافادة عموم الحكم له ولغيره مع الابهام (يصنعون) اى يفعلون (او يقولون) شك من الراوى او اريد به تنويع الصنفين من الفعل والقول (كذا) اشارة الى ماانكره (ينهى عنه) اى عما انكره تلويحا (ولايسمى فاعله) اى تصريحا اذ المقصود المعتبر هو نهى المنكر لاخصوص فاعله من البشر (وروى انس) كما رواه ابوداود (انه) اى الشان او النبى عليه السلام (دخل عليه رجل) وهو غير معروف (به اثر صفرة) اى بعينه او علامة من طيب كزعفران ونحوه (فلم يقل له شيئا) اى مشافهة (وكان لايواجه احدا) اى لايقابله (بما يكره) اى حياء (فلما خرج) اى الرجل (قال) اى لاصحاب مجلسه (لو قلتم له يغسل هذا) اى الاثر الذى به لكان حسنا فالجواب مقدر ولو للتمنى وقوله يغسل خبر معناه الامر او التقدير ليغسل (ويروى ينزعها) بكسر الزاى اى يزيلها او يفسخ المتلطخ بها وانما كرهها لانها من زى النساء وحليهن واما قول التلمسانى ينزع بفتح الزاى لاغير فوهم بناء على ماهو المفهوم من القاموس انه بكسر الزاى ومنه قوله تعالى ينزع عنهما بكسر الزاى اتفاقا ثم شرط الفتح موجود لكن لايلزم من وجود الشرط وجود المشروط بخلاف عكسه كما هو مقرر فى محله ثم اعلم ان هذه الاخلاق الحسنة و الاوصاف المستحسنة كانت غالبة عليه وسجية داعية اليه فلا ينافيه ما وقع من النوادر لحكمة من ارادة الزواجر ولبيان الجواز فى الظواهر من حديث سواد بن عمرو قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه و سلم و انا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشينى بقضيب فى يده الحديث كما اورده المؤلف فى اواخر القسم الثالث والله تعالى اعلم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى (فى الصحيح) اى من الحسن الصحيح فى جامعه و شمائله (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه و سلم فاحشا) اى ذا فحش فى كلامه وهذا يدل على كثرة حيائه و شدة صفائه و يروى فحاشا اى ذا فحش فالصيغة للنسبة لاللمبالغة واصل الفحش هو الخروج عن الحد والفواحش عند العرب القبايح (ولامتفحشا) اى متكلفا له و لله درها اذ نفت عنه الفحش طبعا و تكلفا (ولاسخابا) بتشديد الخاء المعجمة اى و لاصاحب رفع صوت (بالاسواق) لحسن خلقه و كرم نفسه و شرف طبعه وحيائه من ابناء جنسه و يروى فى الاسواق وفيه احتراز عن المساجد لضرورة رفع صوته حال القراءة والخطبة ثم السوق اما من قيام الناس فيها على سوقهم واما من سوق الارزاق اليها (ولايجزى) بفتح اوله وكسر الزاى وسكون الياء اى ولايجازى (بالسيئة السيئة) اى الواصلة اليه الحاصلة منه وسميت الثانية سيئة مشاكلة او صورة او لانها خلاف الاولى لقوله سبحانه و تعالى ادفع بالتى هى احسن السيئة كما حقق فى قوله تعالى و جزاء سيئة سيئة مثلها ومن هنا قالوا حسنات الابرار سيئات الاحرار وهو فى ذلك ممتثل لقوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله (ولكن) وفى نسخة ولكنه (يعفو) اى يمحوها بالباطن (ويصفح) اى يعرض عن صاحبها بالظاهر او يسامح عن الصغائر والكبائر مما ليس فيهما حق لاحد لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين (وقد حكى) بصيغة المفعول (مثل هذا الكلام) اى فى نعت سيد الانام عليه الصلاة و السلام (عن التوراة من رواية ابن سلام) بتخفيف اللام احد الصحابة الكرام من علماء اليهود حيث دخل فى الاسلام (وعبدالله بن عمرو بن العاص) اى ومن روايته ايضا وهو صحابى قرشى كان يطالع كتب العلماء الاعلام وقد جاء فى رواية انه رأى فى منامه ان فى احدى يديه سمنا وفى الاخرى عسلا فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظ الكتابين فحفظ القرآن والتوراة ولهذا سأله عطاء بن يسار عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة كما فى الصحيح ولعل هذا قبل نزول قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فان فيه الاكتفاء او ان العسل فيه شفاء والسمن منه داء ودواء (وروى عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الاحياء لكن لم يعرف العراقى وروده فى الانباء (انه كان من حيائه لايثبت) من التثبيت او الاثبات اى لايسبع (بصره فى وجه احد) اى ناظرا اليه لاستيلاء الحياء عليه (وانه كان يكنى) بضم ياء وتشديد نون او بفتح وتخفيف اى يلوح ولايصرح و يعرض (عما اضطره الكلام اليه) اى عن شئ لابد منه ولايسعه السكوت عنه (مما يكره) بصيغة الفاعل لاالمفعول كما ضبطه الحلبى اى مما لايستحسن التصريح به تخلقا باخلاق ربه واقتداء بادابه فى نحو اوجاء احد منكم من الغائط وقوله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث المستيقظ فانه لايدرى اين باتت يده حيث لم يقل فلعل يده وقعت على دبره اوذكره اونجاسة فى بدنه ونظائره كثيرة فى الاحاديث الصحيحة ثم هذا فيما اذا علم ان السامع يفهم المقصود بالكناية والا لكان يصرح ليتقى اللبس اولوقوع فى خلاف المطلوب وعلى هذا يحمل ماجاء من ذلك مصرحا به والله اعلم (وعن عايشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى فى الشمائل (ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) اى ابدا وهو يدل على كمال الحياء من الجانبين لكنها ما استفادت الحياء الا من حياء سيد الاصفياء وفى رواية عنها

مارأيت منه ولارأى مني بحذف المفعول وتريد العورة وهو نهاية المبالغة منها في باب حيائها حيث حذفت آلة الكتاية عنها و في الحديث إن من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ماشئت * وانشدوا *

﴿ اذا لم تخش عاقبة الليالي * ولم تستحي فاصنع ما تشاء ﴾

﴿ فلا والله ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء ﴾

ثم الحياء محمود فيما يجب على الانسان توقيه او يكره له فعله و مذموم فيما يؤدي الى ترك الواجب اوالسنة

﴿ فصل ﴾ (واما حسن عشرته) اي معاشرته ومخالطته مع امته ولولم يكونوا من عشيرته (وآدابه) الادب طبيعي وهوماجبل عليه الانسان من الاخلاق السنية والاوصاف الرضية وكسبي وهومايكتسب من العلوم الدينية و الاعمال الاخروية وصوفي و هو ضبط الحواس و مراعات الانفاس و وهبي و هو حصول العلم اللدني ومايتعلق به من الكشف الغيبي و هو يجوز رفعه عطفا على المضاف وجره على المضاف اليه وهوالاحسن لحصول تسلط الحسن عليه وكذاقوله (و بسط خلقه) اي نشر اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم ومجمل حسن الخلق هو بسط المحيا و بذل الندا و تحمل الاذى وكمال الصدق والاتصاف باخلاق الحق (مع اصناف الخلق) اي ليتوصل به الى انقيادهم لدينه (فمجيئ) بالفاء جواب اما اي فهو بمحل (انتشرت) اي كثرت واشتهرت (به) اي بماذكر من الامور الثلاثة (الاخبار الصحيحة) وكذا الآثار الصريحة منها خبر الترمذي في شمائله (قال علي رضي الله تعالى عنه في وصفه عليه الصلاة و السلام) اي في جملة مامدحه من الصفات الجيدة والنعوت السعيدة (كان اوسع الناس صدرا) اي لايمل ولايضجر في الاحتمال مايرد عليه من الاحوال واختلاف الخلق في الاقوال والافعال وفي اصل الدلجي كان اجود الناس صدرا قال اي قلبا وفي رواية اوسع الناس صدرا وقال التلمساني اجود بخط المؤلف واوسع بتصحيح العرفي انتهى لكن النسخ المعتمدة والاصول المصححة على ماقدمناه وهوالموافق لقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام وفسر الشرح بمعنى الانشراح والانفساح وقد ورد هونور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده فسئل هل لذلك من علامة فقال التجافي عن الدنيا و الاقبال على العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله (واصدق الناس لهجة) بفتح فسكون ويفتح اي وكان اصدقهم لسانا و بيانا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اسعارا بان الناس هم الصادقون في الانفاس (والينهم عريكة) اي وكان اسهلهم طبيعة سلسا منقادا هينا مطواعا (واكرمهم عشرة) اي صحبة وخلطة (حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف) بفتح الراء المشددة (الانماطي) بفتح فسكون نون (فيما اجاز نيه وقراءته على غيره قال ثنا) اي حدثنا (ابو اسحق الحبال) بفتح مهملة و تشديد موحدة محدث مصر (ثنا ابو محمد) بالتنوين ابدل منه (ابن النحاس) بتشديد الحاء المهملة يعني به عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق ابن ابراهيم بن يعقوب النحاس المصري (ثنا ابن الاعرابي) احد من روىت سنن ابي داود عنه (ثنا ابوداود) اي السجستاني صاحب السنن (ثنا هشام) اي ابن خالد بن يزيد وقيل زيد بن مروان (ابن مروان) اي الازرق الدمشقي (و محمد بن المثنى) على وزن المثنى هو المقرى ابو موسى الحافظ روى عنه البخاري و نحوه (قالا) اي كلاهما (ثنا الوليد بن مسلم) وهو احد اعلام الشام روى عنه احمد و غيره قيل صنف سبعين كتابا (ثنا الاوزاعي) روى عنه قتادة ويحيى بن ابي كثير شيخاه وهوامام اهل الشام في زمنه وكان رأسا في العلم والعبادة واختلف في بيان نسبته ذكر التلمساني ان الامام مالكا كان يقود دابته وهو راكبها وسفيان بن عيينة يسوقها و روى انه افتى في سبعين الف مسئلة روى عن كبار التابعين كعطاء ومكحول وعنه قتادة والزهري ويحيى ابن ابي كثير وهم من التابعين ولبس هو من التابعين فهذا من رواية الاكابر عن الاصاغر (سمعت يحيى بن ابي كثير) بفتح فكسر مثلثة ابو نصر اليماني روى عن انس وجابر كليهما مرسلا وعن ابي سلمة وخلق (يقول حدثني محمد بن عبدالرحمن بن اسعد بن زرارة) بضم زاي فراثين بينهما الف والى المدينة روى عنه شعبة وابن عيينة وطائفة وهواسعد بالهمز وله اخ يقال له سعد بن زرارة (عن قيس بن سعد) اي ابن عبادة وهو ابو عبدالله الخزرجي وهو صاحب السرطة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم روى عنه الشعبي وابن ابي يعلى وطائفة وكان ضخما مفرط الطول نبيلا جبلا جوادا سيدا من ذوي الرأي والدهاء والتقدم وهو ابو قيس سيد الخزرج واحد النقباء الاثني عسر ليلة العقبة وكان شريف قومه لبس في وجهه شعر ولالحية و كانت الانصار تقول لوددنا لونسترى لقيس لحية باموالنا وكان مع ذلك جميلا وكان اسود اللون توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية (قال زارنا) اي اتانا وواحدانا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذكان من عادته تعهد اصحابه وتفقد احبابه اذحسن العهد من الايمان وتمام الاحسان (وذكر) اي قيس (قصة) اي طويلة (في آخرها) اي وكان في آخر تلك القصة قوله (فلما اراد) اي النبي عليه الصلاة والسلام (الانصراف) اي الرجوع الى منزله

وكان قدجاء على رجله قصدالزيادة اجره (قرب) بتشديد الراء اى قدم (له) و[illegible] (بعد عماراً) اى [illegible] تعطفا اليه وترحما عليه (وطأ) بتشديد طاء فهمز اى رحل (عليه) اى فوق الحمار (بقطيفة) اى كساء له خمل وصاحب القطيفة اى الذى يعملها ويهتم بتحصيلها (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذالذهاب الى العبادة حقيقة العبادة بخلاف الاياب فانه من ضروريات العادة ومنه تسبيع الاكابر الى الجنازة مساة ورجوعهم ركبانا (ثم قال سعد) اى لولده (ياقيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الحاء اى كن فى صحبته وخدمته وفى اصل الدلجي اصحبه والظاهر انه اختصار منه غير لايق به كما فعل فى كثير من مواضع كتابه (قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) اى انت ايضا معي او على دابة اخرى (فابيت) اى امتنعت تأدبا معه اوحياء منه (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) بكسر اما فيهما (فانصرفت) اى فاخترت اهون الامرين واحسن الحكمين والحديث رواه ابو داود فى الادب والنسائى فى اليوم والليلة (وفى رواية اخرى) اى لهما اولاحدهما اولغيرهما (اركب امامى) بفتح اوله اى قدامى (فصاحب الدابة) اى ولو بالقوة (اولى بمقدمها) بفتح الدال المشددة وقد تخفف اى بالركوب فى صدرها الماجاء فى طرق متعددة صاحب الدابة احق بصدرها وفى رواية الامن اذن وفى اصل الدلجي احق بصدرها قال وفى رواية اولى بمقدمها وصنيعه هذا ايضا مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى شمائل الترمذى من حديث هند بن ابى هالة (يؤلفهم) بتشديد اللام اى يوقع الالفة فيما بينهم ويجمعهم كما يستفاد من قوله تعالى فالف بين قلوبكم وهو لاينافى اسناد التأليف الى الله تعالى فى الاية بل ولونفى التأليف ايضا فى آية اخرى من قوله تعالى والف بين قلوبهم لوانفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فان الآيتين من قبيل قوله سبحانه وتعالى وما رميت اذرميت ولكن الله رمى اوالمعنى كان يؤلفهم معه ويألف بهم كما يشير اليه قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية ولما ورد المؤمن يألف ويؤلف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف كما رواه احمد فى سنده عن سهل بن سعد ورواه الدارقطني عن جابر ولفظه المؤمن يألف ويؤلف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف (ولاينفرهم) بالتشديد وقيل بكسر الفاء المخففة اى لايعمل شيئا مما ينفر عنه طباعهم فهو كالتأكيد لما قبله اوالمعنى يبشرهم ولاينفرهم لحديث يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا على ما رواه احمد والنسائى وابن ماجه عن انس رضى الله عنه (ويكرم كريم كل قوم) هو كالتخصيص بعد التعميم وفى حديث رواه ابن ماجه وغيره عن جماعة من الصحابة مرفوعا اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وفى رواية اذا اتاكم الزائر فاكرموه (ويوليه) بتشديد اللام المكسورة اى ويجعله واليا واميرا (عليهم) ابقاء لما اختاروا لديهم (ويحذر الناس) بفتح الذال المعجمة اى يخافهم وتفسيره قوله (ويحترس منهم) اى يحترز من مكر شرارهم لما ظهر فى آثارهم فورد الحزم سوء الظن على ما رواه ابو الشيخ فى الثواب عن علي كرم الله وجهه وفى رواية احترسوا من الناس بسوء الظن كما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عدى عن انس رضى الله تعالى عنه (من غير ان يطوى) اى يدفع ويمنع (عن احد منهم بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة وجهه (ولاخلقه) اى ولاطلاقة خلقه وزيادة لاللمبالغة نفيا (يتفقد) وفى نسخة يتعهد (اصحابه) اى يطلبهم ويتجسس احوالهم بالسؤال عنهم ليعرف المانع عن خدمته وملازمة حضرته منهم فيزور مريضهم ويدعو لغائبهم (ويعطى كل جلسائه) اى جميع من جالسه (نصيبه) اى حظه بسلام اوكلام اوطلاقة وجه والتفات خداواشارة وبشارة (لايحسب) بكسر السين وفتحها اى لايظن (جليسه) اى مجالسه (ان احدا) اى من جلسائه (اكرم عليه) اى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) اى من ذلك الجليس بحسب حسبانه لما يناله من انواع الالفة واصناف المودة واجناس الكرامة (من جالسه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمصاحبة ومكالمة (اوقاربه لحاجة) اى دينية اواخروية واو للتنويع لا للترديد ومن خبرية لاشرطية وقاربه مفاعلة من القرب بالراء والباء وتصحف على الانطاكى فقال اوقاومه اى قام معه كما يقال جالسه اذا جلس معه (صابره) اى انتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس نفسه على ما يريد صاحبه متصبرا (حتى يكون) اى مجالسه اومقاربه (هو) ضمير فصل والاصح انه لامحل له (المنصرف عنه) بالنصب على خبر كان والمعنى بالغ فى صبره حتى ينصرف مجالسه من تلقاء نفسه وهذا كله لقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الاية (ومن سأله حاجة) اى طلب عطية (لم يرده) بفتح الدال المشددة ويجوز ضمها لضم ما قبلها (الا بها) اى بالحاجة بعينها حيث قدر عليها او بوعدها وهو معنى قوله (اوبميسور من القول) كتسهيل رزق عملا بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ومن القول الميسور الدعاء له بتحصيلها اوبازالة طلبها فاو على طريقة منع الخلو اى لايخلو حاله اذا سئل عن احدهما اما عطاء ونقدا واما دعاء ووعدا ثم قيل الميسور مصدر وقيل اسم مفعول (قد وسع الناس) بالنصب اى عمهم وشملهم (بسطه) اى سرور ظاهره

وطيب باطنه جودا ورحمة وحلما وعفوا ومغفرة وسلما اوالبسا طه فقوله (وخلقه) تفسيرله وعلى الاول تعميم بعد تخصيص (فصار لهم ابا) اى رحمة وشفقه وهو كما جاء فى قراءة شاذة عند قوله تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهواب لهم مع ان كل نبى اب لامته بل هوافضل واكمل تربية من الاب لولده اذالاب سبب لايجاده والنبى باعث لامداده واسعاده ويشيراليه قوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم (وصاروا) اى النـاس كلهم (عنده فى الحق) اى فى مراعاة حقهم بحسن خلقه معهم (سواء) اى مستوين لعصمته من الاغراض النفسية الحاملة على خلاف التسوية (بهذا) اى بما ذكرمن الاوصاف البهية (وصفه ابن ابى هالة) وهوهند ربيبه من خديجة (قال) اى ابن ابى هالة (وكان) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (دائم البشر) اى متهلل الوجه وهو لاينافى انه كان كثير الاحزان لاختلاف الظاهر والبـاطن فى العنوان فانه بالظاهر مع الخلق وبالباطن مع الحق والحزن من لوازم الانكسار والذل والافتقار (سهل الخلق) اى لاصعبه (لين الجانب) بتشديد الياء المكسورة اى لاشديد . (ليس بفظ) اى سيئ الخلق فى القول (ولاغليظ) اى فى الفعل قال ابن عباس رضى الله عنهما الفظ الغليظ فى القول وغلظ القلب فى الفعل (ولاسخاب) وفى رواية وكذا فى نسخة بالصاد اى كثير الصياح (ولافحاش) اى ذا الفحش فى قوله وفعله (ولاعياب) مبالغة عائب اى وكان لايعيب على احد مايفعله من مباح واذا كان حراما اومكروها نهى عنه من غيرتعييب وتعيير بل بقصد تبديل وتغيير قال التلمسانى هو والذى بعده فعال على النسب اى ليس بذى عيب ولابذى مدح وليسا بفعال مبالغة للزوم بعض الامر ومثله وما ربك بظلام للعبيد اى بذى ظلم والا لزم بعضه قلت ليس هذا نظيرهما الا انهما على النسبة يستقيم فى ذى عيب لا فى ذى مدح كما لايخفى (ولامداح) مبالغة مادح اى لايبالغ فى مدح احد بما يؤدى الى اطراء اولايمدح طعاما ولايذ مه كما جاء فى رواية لانه كان شاكرا للنعمة لاناظرا للذة ويؤيد قوله (يتغافل عما لايشتهى) اى لا يحبه قولا وفعلا مما لايترتب عليه ثم اصـلا (ولا يؤيس) بضم ياء فسكون همز وقد تبدل ففتح ياء من الاياس من باب الافعال الذى هو متعد لايئس اللازم من المجرد والضمير فى قوله (منه) راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى لاييأس احد من فيض جوده واثر كرمه و جوده واما تجويز الدلجى كونه مبنيا للفاعل تبعا لبعض المحشين وقوله والمعنى لايؤيس من نفسه او مما تغافل عنه احدا بتغا فله عنه بحيث لايكون كذلك فهو مخالف لما فى الاصول من صحة المبنى ومناف لما قدمناه من ظهور المعنى وجعل التلمسانى قوله ولايؤيس منه عطفا على لايشتهى وقال اى مالم يحضر فى وقته ولم يحصل له فيه شهوة فيتركه ويغفله وان كان مما يمكن حضوره فى وقته ويؤنس هو بضم اوله وسكون الواو ثم همزة مكسورة واليأس هو القنوط اى ماوجده مما يجوز له تناوله من المبـاح يستعمله وما لم يجده من ذلك لم يتكلف له ويفسر هذا حديث عائشـة رضى الله تعالى عنها انه كان فى اهله لايسئلهم طعاما ولايشتهيه فان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وماسقوه شرب الحديث انتهى ومافيه لايخفى وقال الانطاكى بعد نقله عن الحلبى انه ضبطه بكسر الهمزة وينبغى ان يجوز بضم اوله ثم بهمزة مفتوحة وياء مكسورة مشددة يقال ايس منه فلان مثل ايئس وكذا التأييس حكاه الجوهرى انتهى وينبغى ان تكون الدراية تابعة للرواية كما لايخفى (وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم) اى سهلت اخلاقك لهم وكثرا حتمالك عنهم والتقدير فبرحمة وما مزيدة للتأكيد كذا قالوا ولعلهم ارادوا تأكيد التعظيم المستفـاد من تنوين التنكير المفيد للتفخيم ولا يبعد ان يكون ما ابهامية ورحمة تفسيرية والجمع بينهما اوقع للمراتب النفسية فى افادة القضية (ولوكنت فظا) اى سيئ الخلق (غليظ القلب) اى قاسيه على الخلق (لانفضوا) اى تفرقوا (من حولك) ولم ينتفعوا بقولك ولم يصيبوا من رحمتك وفضلك وطولك ومابقية الاية وهى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفرلهم وشاورهم فى الامر فلبست فى نسخ الشفاء وان كان شرحها الدلجى ومزجها بتفسيرها (وقال ادفع بالتى هى احسن الاية) وهى تحتمل قوله تعـالى ادفع بالتى هى احسن السيئة واقتصر الدلجى عليها وقد قيل فى معنى هذه الاية ادفع بكلمة التوحيد سيئة الشرك ويؤيده مابعده من قوله سبحانه وتعالى نحن اعلم بما تصفون وقيل ادفع بالطاعة المعصية اى اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها كما ورد فى الحديث مضمونه او ادفع بالتوبة المعصية ويحتمل قوله تعالى ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة ادفع بالتى هى احسن اى اصفح عنها وقابلها بالحسنة التى هى احسن مطلقا وان كانت المعاقبة بمثلها حسنة ايضا او باحسن مايمكن ان يقابل به من الحسنات ما لم يؤد ذلك الى المداهنة فى امر الديانات وتمـام الاية فاذا الذى بينك وبينـه عداوة كانه ولى حميم ومايلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولاشك ان معنى الاية الثانية هو الملائم لباب حسن الخلق فى معاشرة الخلق ويؤيد ماروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جاء اعرابى فصيح فقال اصغ الى اواصك ثم قال

﴿ في ذوي الاضغان تسلي نفوسهم * تحيتك الحسنى فقد ترفع النغل ﴾
﴿ فان هتفوا بالقول فاعف تكرما * وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل ﴾
﴿ فان الذي يؤذيك منه استماعه * كان الذي قالوا وراءك لم يقل ﴾

فقرأ عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادفع بالتي هي احسن فقال الاعرابي لبس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه (وكان) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على مارواه ابن سعد مرسلا (يجيب من دعاه) اي ولو بعد منزل الداعي ومأواه ولم يكن له مال ولاجاه تواضعا لله وشفقة على خلق الله وجبرا لخواطرهم وتألفا لظواهرهم وليقتدي به امته مع معاشرهم من معاشرهم (ويقبل الهدية) على مارواه البخاري ايضا رعاية لزيادة المحبة وافادة الوصلة والمودة وتفاديا من المباغضة والمقاطعة لما ورد تهادوا تحابوا على مارواه ابو يعلى في مسنده عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وفي رواية احمد عنه تهادوا ان الهدية تذهب وحر الصدر اي غشه (ولوكانت) اي الهدية وهي فعيلة من الاهداء (كراعا) بضم اوله وهو مستدق الساق وهو دون من الذراع واما قول التلمساني اي ذا كراع ففوت للمبالغة المطلوبة وروى البيهقي عن انس ولفظه تهادوا فان الهدية تذهب بالسخيمة اي الحقد ولودعيت الى كراع لاجبت واهدي الى كراع لقبلت ولوهنا للتقليل كما في حديث ردوا السائل ولو بظلف محرق واتقوا النار ولو بشق تمرة والتمس ولو خاتما من حديد (ويكافئ) بكسر الفاء بعدها همز وتسهل اي يجازي (عليها) اي على الهدية واصل المكافأة المماثلة وهو اقل حسن المعاملة وكان يكافئ باكثر منها لما سبق عن بنت معوذ بن عفراء ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها على احد التفاسير فيهما من ان المراد بالتحية هي الهدية وفي رواية البخاري وينيب عليها من الاثابة وهو مطلق المجازاة او المجازاة الحسنى لقوله تعالى فاثابهم الله (قال انس رضي الله تعالى عنه خدمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) اي بعد الهجرة ومبدأ عمره عشر سنين ايضا (فما قال لي اف) بفتح الفاء وكسرها وبنون الثاني وفيها لغات عشر وهذه الثلاث عن السبعة ومعناه الاستقذار والاستحقار وقال الهروي يقال لكل مايضجر منه ويستثقل ونقل ابو حيان فيها نحو الاربعين وحصها من اللغة في الارتشاف وقد نظمها السيوطي (قط) اي ابدا في تلك المدة (وماقال لشئ صنعته) اي فعلته (لم صنعته ولالشئ تركته) اي ماصنعته (لم تركته) وهذا الحديث كما يدل على حسن خلقه وكمال حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ونظره الى قضاء الله وقدره يدل على كمال فضيلة انس رضي الله تعالى عنه وجمال منقبته وجميل ادبه في خدمته مع صغر سنه لكنها كلها مستفادة من بركة ملازمته ومداومة حضرته (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه ابو نعيم في دلائل النبوة بسند واه عنها (ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما قال حسان

﴿ تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذي انت سائله ﴾

(مادعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته) اي من ازواجه وذريته واقاربه واحبابه (الا قال لبيك) اي تأدبا معهم وتعليما لهم واحضارا لنداء ربه على لسان خلقه وقد ورد ادبني ربي فاحسن تأديبي على ما رواه ابن السمعاني عن ابن مسعود (وقال جرير بن عبدالله) البجلي اليمني (ماحجبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي مامنعني عن الدخول عليه (قط) اي ابدا (منذ اسلمت) اي تلطفا معه وتعظيما بجنابه ان يرده عن بابه ويكسر خاطره بحجابه (ولارآني الاتبسم) لانه كان مظهر الجمال مع كونه سيدا مطاعا عريض الجاه وسيع البال وقد بسط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه اكراما له (وكان يمازح اصحابه) كما ذكره الترمذي في باب مزاحه صلى الله تعالى عليه وسلم مع اصحابه من الرجال والنساء والكبار والصغار ولذا كان ابن سيرين مداعبا ويضحك حتى يسيل لعابه واذا اريد على شئ من دينه كان الثريا اقرب اليه من ذلك (ويخالطهم) اي تواضعا (ويحادثهم) اي يخاطبهم ويكالمهم تأنيسا (ويداعب صبيانهم) اي يلاعبهم ويمازحهم ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وتداعبك ففي القاموس الدعابة بالضم اللعب وداعبه مازحه (ويجلسهم) بضم اوله اي يقعد صبيانهم (في حجره) بفتح الحاء وتكسر اي في حضنه تلطفا بهم وتطييبا لقلوب آبائهم (ويجيب دعوة الحر والعبد والامة) اي اذا كانا معتقين اواذا جاآه وطلباه الى منزل سيدهما (والمسكين) تواضعا لربه وتمسكا بخلقه مع جلالة قدره ورفعة محله لحسن خلقه (ويعود المرضى في اقصى المدينة) اي ولوكانوا في ابعد منازلها (ويقبل عذر المعتذر) اي واوكانت اعذاره لبست على تحققها وفي الحديث انه قبل عذر من تخلف عن غزوة تبوك بحسب ما ابرزوا من اقوال ظواهرهم ووكل الى الله احوال سرائرهم (قال انس رضي الله تعالى عنه) كما رواه ابوداود والترمذي والبيهقي عنه (ماالتقم احد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الذال وسكونها فيه استعارة وضع اللقمة في الفم لوضع الفم عند الاذن اي ماجعل احد اذنه محاذية لفمه ليحادثه

مخافتة (فينحي) من التنحية اى فيبعد (رأسه) وهو فى حكم المستثنى اى الا فيستمر ملقماله اذنه غير منحي عنه وجهه (حتى يكون الرجل) الملتقم (هو) ضمير فصل (الذى ينحي رأسه) فى محل نصب على انه خبر كان وحتى غاية لقوله فينحي رأسه (وما اخذ احد بيده) اى مصافحة او مبايعة (فيرسل) اى فيطلق (يده) من وضع الظاهر موضع المضمر اى الا فيستمر يده فى يد آخذها (حتى يرسلها الآخر) بفتح الخاء المعجمة فراء نقيض الاول وفى اصل الدلجى بكسر خاء فذال معجمة وحتى غاية لتركها حتى يرسلها هو وهو تصحيف (ولم ير) بصيغة المجهول اى ولم يبصر حال كونه (مقدما) بكسر الدال المهملة المشددة اى لم يعلم مقدما (ركبتيه بين يدى جليس له) اى فضلا عن ان يمد رجليه عند احد من جلسائه وهذا كله تواضع وكمال تأدب وحسن عشرة (وكان) على ما فى حديث ابن ابى هالة (يبدأ) اى يبتدئ وفى رواية يبدر بضم الدال والراء اى يبادر ويسبق (من لقيه بالسلام) فان هذه السنة افضل من الفريضة لما فيه من التواضع والتسبب لاداء الواجب والضمير البارز له صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير المستتر لمن ويحتمل العكس والاول اقرب الى الادب (ويبدأ اصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصاق صفحة الكف بالكف ويلزم منه مقابلة الوجه بالوجه عند اللقاء لانها ملحوظة فى معنى المصافحة خلافا لما يتوهم من كلام الدلجى ثم يستفاد من الحديث ان ما يفعله بعض العامة من مد الاصابع او اشارة بعضها ليس على وجه السنة ثم رأيت التلمسانى قال وصفتها وضع بطن الكف على بطن الاخرى عند التلاقى مع ملازمة ذلك على قدر ما يقع من السلام او من السؤال والكلام ان عرض لهما واما اختطاف اليد فى اثر التلاقى فهو مكروه هذا وزاد الدلجى عن ابى ذر ما لقيته قط الا صافحنى واسنده الى ابى داود وهو ليس بموجود فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة (لم ير) اى كما رواه الدارقطنى فى غريب مالك وضعفه والمعنى لم يبصر اولم يعلم (قط مادا رجليه) او احداهما (بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد) وهو كالعلة لتركه مدهما اى كان يترك مدهما حذرا من ان يضيق بهما على احد من جلسائه شفقة عليهم وهو لا ينافى قصد تواضعه وارادة ادبه معهم وفيه اقتباس من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم اى ولو بلسان الحال تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم (يكرم من يدخل عليه) اى استئنافا والجملة وقعت استئنافا كما وقع ما قبلها ولعله فصلها عما قبلها حذرا من توهم كونها تتمة حديث سبقها (وربما بسط له) اى فرش للداخل عليه (ثوبه) اكراما له منهم وائل بن حجر الحضرمى ولعل المراد بثوبه رداؤه لقوله (ويؤثره) اى يقدمه على نفسه ويفرده (بالوسادة) اى بالجلوس عليها والاعتماد على المخدة (التى تحته) اى كانت تحته مفروشة اجلالا له وتكريما (ويعزم) اى يؤكد (عليه) اى على الداخل له (فى الجلوس عليها) لدفع الوحشة وحصول المعذرة (ان ابى) اى امتنع من الجلوس عليها تأدبا لتلك الحضرة (ويكنى) بتشديد النون (اصحابه) اى يجعل لهم كنى جمع كنية كابى تراب وابى هريرة وام سلمة وهو من الكناية لما فيها من ترك التصريح باسمائهم الاعلام وهو من آداب الكرام واما ابو لهب فعدل عن اسمه عبد العزى كراهة لذكره او تفاؤلا لمفرده او لاستهاره به وابعد من قال لتألفه (ويدعوهم باحب اسمائهم) اى تارة او المراد من الاسماء ما يعم الاعلام والالقاب والكنى والمعنى انه لا ينبزهم بما يكرهونه بل يدعوهم بما يحبونه (تكرمة لهم) اى تكريما لهم وتعليما لهم فى العمل باصحابهم والتكرمة بكسر الراء وقول التلمسانى بضم الراء وهم (ولا يقطع على احد حديثه) اى بادخال كلام فى اثنائه قبل تمامه (حتى يجوز) غاية لترك قطعه حديثه الى ان يتجاوز منه ويتعدى الى ما لا يليق به وقال التلمسانى اى يفرط ويكثر والاول هو الاظهر فتدبره (فيقطعه) اى فحينئذ يقطع حديثه (بنهى) اى صريح له او عام يشمله (او قيام) اى بتلويح والاول زجر له والثانى اعراض عنه وهو مفيد لنهيه عنه اذ لا يقر على مثله ويروى بانتهاء او قيام (ويروى) اى كما فى الاحياء وفى نسخة وروى (انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلى) اى والحال انه عليه الصلاة والسلام فى صلاة من النوافل (الا خفف صلاته) اى فى اطالة صلاته (وسأله عن حاجته) اى دنيوية كانت او اخروية (فاذا فرغ) اى عن قضاء حاجته (عاد الى صلاته) اى المعتادة بالاطالة قال العراقى ولم اجد له اصلا (وكان اكثر الناس تبسما) لكونه مظهر الجمال والبسط غالب عليه فى كل حال وهذا معنى قوله (واطيبهم نفسا) اى مستبشرا غير عبوس (ما لم ينزل عليه) بصيغة المجهول ويصح كونه للفاعل (قرآن) اى وحى متلو (او يعظ) اى ما لم ينصح الناس ويعلمهم التأديب بالترغيب والترهيب (او يخطب) اى فى المنبر عند الجمع الاكبر فانه حينئذ لم يكن متبسما ولا منبسطا بل كان يغلب عليه القبض لما فيه من مقال الاجلال باظهار مظاهر ذى الجلال ففى كل مقام مقال ولكل مقال حال لارباب الكمال (قال) اى على ما رواه احمد والترمذى بسند حسن (عبد الله بن الحارث) وهو آخر من توفى من الصحابة بمصر والمراد به ابن جزء بن عبد الله بن معدى كرب الزبيدى بضم الزاى وفى الصحابة من اسمه عبد الحارث اربعة عشر غيره على ما ذكره الحلبى وقال حديثه المذكور ههنا اخرجه الترمذى فى المناقب من الجامع وهو

فى الشمائل ايضا (مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس قال) كما رواه مسلم (كان خدم المدينة) بفتحتين جمع خادم والمعنى خدام اهلها (يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغدوة) اى صلاة الصبح (بآنيتهم) متعلق بيأتون والباء للتعدية اى يجيئون باوانيهم (فيها الماء فما يؤتى) بصيغة المفعول من اتى يأتى اى فما يجاء (بآنية الا غمس) اى ادخل (يده فيها وربما كان ذلك فى الغدوة الباردة) اى وهو مع ذلك لا يمتنع ما هنالك (يريدون به) اى يغمس يده فيها (التبرك) اى طلب البركة وحصول النعمة وزوال النقمة وكمال الرحمة هذا وفى الحديث المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم اعظم اجرا من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم

﴿ فصل ﴾

(واما الشفقة) اى الخوف على وجه المحبة (والرأفة) وهى شدة الرحمة (والرحمة) اى المرحمة العامة (لجميع الخلق) اى مؤمنهم وكافرهم وانسهم وجنهم وقريبهم وغريبهم وفقيرهم وغنيهم حتى مما ليكهم والحيوانات وسائر الموجودات وفى نسخة صحيحة بتأخير الرأفة عن الرحمة وهو الانسب فى مقام المرتبة لكن الاول اوفق بما جاء فى التنزيل فهو اولى (فقد قال الله تعالى فيه) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) كذا فى اكثر النسخ وفى بعضها بعد قوله فيه عزيز الخ اى شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فما مصدرية وعلى متعلق بقوله عزيز ويجوز ان يكون عزيز منقطعا عما بعده والمعنى عزيز الوجود غزير الجود بديع الجمال منيع الجلال منبع الكمال ويكون عليه ما عنتم جملة خبرها مقدم وعلى للضرر اى ويضره ولا يهون عليه تعبكم ومشقتكم حريص عليكم اى على منفعتكم دينا ودنيا بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم فى الدنيا والاخرة وقدم ابلغهما رعاية للفاصلة اوللتذييل والتتميم وقدم الجار لاختصاصهم برحمته فى الاولى والعقبى (وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) لانه ارسل لاسعادهم وصلاح معاشهم ومعادهم ان اتبعوه ولم يخالفوه (قال بعضهم) اى بعض العلماء وفصله عما قبله لاختلاف القائل قدما وحدوثا (من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اعطاه) اى من جملة ما فضل به على غيره ومما دل على كمال خيره ان الله تعالى اعطاه بخلقه سبحانه وتعالى فيه الرأفة والرحمة (اسمين من اسمائه) اى نعتين سماه بهما (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) وفى قراءة رؤف بالقصر (وحكى نحوه) اى نقل مثل ماذكر عن بعضهم (الامام ابو بكر بن فورك) بضم فاء وسكون واو وفتح راء وكاف منون وقد بلغت تصانيفه فى الاصلين ومعانى القرآن قريبا من مائة مصنف توفى سنة ست واربعمائة (حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشنى) بضم الخاء المعجمة وفتح الشين المنقوطة فنون فياء نسبة لقبيلة خشين (بقراءتى عليه ثنا امام الحرمين ابو على الطبرى) بفتح الطاء المهملة والموحدة هكذا هو فى الاصول المعتبرة والنسخ المعتمدة وقال الحلبى كذا وفى نسخة فى الاصل الذى وقفت عليه امام الحرمين ثنا ابو على الطبرى انتهى والطبرى منسوب الى طبرستان وقيل الى طبرية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء وهو النيسابورى صاحب تاريخ نيسابور وكتاب مجمع الغرائب والمفهم لشرح مسلم ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة سمع جده لامه ابا القاسم القشيرى وتفقه على امام الحرمين ولزمه اربع سنين حدث عنه جماعة وروى عنه ابن عساكر بالاجازة (ثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم واللام وقد تقدم (ثنا ابراهيم بن سفيان) سبق ذكره (ثنا مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا ابو طاهر) روى عن ابن عيينة والشافعى وخلق وعنه مسلم وابوداود والنسائى وابن ماجه (نا) اى انبأنا وفى نسخة انا بمعنى اخبرنا (ابن وهب) احد الاعلام سمع مالكا وغيره اخرج له اصحاب الكتب الستة طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع (نا) اى انبأنا (يونس) اى ابن زيد الايلى بفتح همزة وسكون تحتية روى عن عكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وغيره قال الحلبى وفى يونس ست لغات ضم النون وفتحها وكسرها مع الهمزة وعدمه (عن ابن شهاب) اى الزهرى (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) بالتصغير اى وذكر مايدل على انه اراد بها حنينا وهو واد بين مكة والطائف وراء عرفات على بضعة عشر ميلا من مكة وكانت غزوته فى شوال سنة ثمان (قال) اى ابن شهاب (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى تلك الغزوة من غنائمها (صفوان بن امية) تصغير امة (مائة من النعم) بفتحتين اى الابل والبقر والشاة وقيل الابل والشاة وهو جمع لا واحد له من لفظه وفى رواية من الغنم (ثم مائة ثم مائة) اى مائة تألفا اليه وشفقة عليه وانقاذا له من النار ولمن تبعه من الكفار (قال ابن شهاب ثنا) اى حدثنا كما فى نسخة (سعيد بن المسيب) بفتح التحتية المشددة عند العراقيين وهو المشهور وبكسرها عند المدنيين وذكر ان سعيدا كان يكره الفتح وهو امام التابعين وسيدهم جمع بين الفقه والحديث والعبادة والورع روى عنه انه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وعنه انه قال ما نظرت الى قفاء رجل فى الصلاة مذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الاول وقال ايضا ما فاتتنى التكبيرة الاولى

مذ خمسين سنة وكان يسمى حمامة المسجد وكان يتجر في الزيت (ان وصفوان قال والله لقد اعطانى) اى رسول الله (مااعطانى) اى الذى اعطانيه من المئين (وانه لابغض الخلق الى) الجملة الحالية (فمازال يعطينى) اى بعد ذلك (حتى انه) اى انه عليه الصلاة والسلام صار الآن (لاحب الخلق الى) وذلك لعلمه عليه الصلاة والسلام ان دواءه من داء الكفر ذلك المنتج اسلامه اذ الطبيب الماهر يعالج بما يناسب الداء وقد رأى ان دآء المؤلفة حب المال والانعام فداواهم باكرم الانعام حتى عوفوا من نقمة الكفر بنعمة الاسلام ثم اعلم ان الراوى اذاقدم الحديث على السند كأن يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا اخبرنى به فلان ويذكر سنده اوقدم بعض الاسناد مع المتن كهذا الحديث الذى نحن فيه فهو اسناد متصل لايمنع ذلك الحكم باتصاله ولايمنع ذلك من روى كذلك اى تحمله من شيخه كذلك بان يبتدئ بالاسناد جميعه اولاثم يذكر المتن كما جوزه بعض المتقدمين من اهل الحديث قال الشيخ ابوعمرو ابن الصلاح وينبغى ان يكون فيه خلاف نحو الخلاف فى تقديم بعض المتن على بعض فقد حكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية على المعنى لاتجوز والجواز على القول بان الرواية على المعنى تجوز ولافرق بينهما فى ذلك كذا ذكره الحلبى (وروى) بصيغة المجهول وقدروى ابوالشيخ والبزار (ان اعرابيا)وهوغيرمعروف (جاءه) اى اتى النبى عليه الصلاة والسلام (يطلب منه شيئا) اى من حطام الدنيا (فاعطاه اياه ثم قال) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أحسنت اليك) بهمزة ممدودة وسكون حاء لاجتماع همزة الاستفهام وهمزة الافعال للتقرير وهوحمل المخاطب على الاقرار بانه احسن اليه وانعم عليه (قال الاعرابى لا) اى لااعطيتنى كثيرا ولاقليلا (ولااجملت) اى ولا اتيت بالجميل اوولا اوصلتنى جميلا حيث لااحسنت جزيلا وقيل معناهما واحد كرر للتأكيد وقيل ما اجملت ما اكثرت وهو اولى كما لايخفى ولايبعد من غلظته وجلفته لديه ان اراد بقوله ولا اجملت دعاء عليه ويؤيده قوله (فغضب المسلمون وقاموا اليه) ليوافوه بما استحقه زجرا عليه (فاشار) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم ان كفوا) اى كفوا اوبان كفوا بضم فتشديد اى امتنعوا عنه وكفوا انفسكم منه شفقة عليه واحسانا اليه (ثم قام) اى النبى عليه الصلوة والسلام (ودخل منزله) اى للاهتمام (وارسل) وفى نسخة فارسل (اليه وزاده شيئا) اى على ما قدمه عليه (ثم قال أحسنت اليك) كما سبق (قال نعم فجزاك الله به) اى بسبب ما احسنت به الى (من اهل وعشيرة خيرا) بالنصب على انه مفعول ثان لجزى ومن تبعيضية والجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله نصب على الاختصاص اوعلى الحال اى اخصك من بينهما اوحال كونك منهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ماقلت) اى شيئا عظيما مستهجنا فيها (وفى انفس اصحابى) اى وفى نفوسهم وفى اصل التلمسانى وفى نفس اصحابى بصيغة المفرد (من ذلك) اى قولك (شئ) اى امر عظيم وخطب جسيم (فان احببت) اى اردت ازالة ذلك (فقل بين ايديهم) اى عندهم (ما) وفى نسخة مثل ما (قلت بين يدى) اى من المديح ليكون كفارة لذلك القبيح (حتى يذهب) اى بقولك لهم ذلك (مافى صدورهم عليك) اى من الغضب لماصدر عنك فان المعالجة بالاضداد (قال نعم) اى اقول لهم ذلك (فلما كان الغد) اصله غدو فحذفوا الواو بلا عوض (اوالعشى) بفتح فكسر فتشديد واولشك الراوى (جاء) اى الاعرابى (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ما قال) اى مما سمعتموه فى اول الحال (فزدناه) اى بعض المال (فزعم انه رضى) اى به عنا (اكذلك) استفهام تقرير اى احق ما نقلته عنك (قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا) فكان المراد بالاهل هوالاخص اوالاعم والله اعلم (فقال) اى النبى كما فى نسخة صحيحة (صلى الله تعالى عليه وسلم مثلى ومثل هذا). المثل بفتحتين فى الاصل هو النظير ثم استعمل فى القول السائر الممثل مضربه بمورده اى موضع ضربه بموضع وروده فالمورد هوالحالة الاصلية التى ورد فيها كحالة المنافقين والمضرب هوالحالة المشبهة كحالة المستوقد نارا ولايضرب الا بما فيه غرابة زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع للنفس واقمع للخصم ويريك المخيل محققا والمعقول محسوسا ثم استعير لما له شان عجيب وفيه امر غريب من صفة اوحال اوقصة نحو مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ولله المثل الاعلى ومثل الجنة التى وعد المتقون وامثالها والمعنى هنا شبهى وشبهه العجيب الشان والغريب البيان (مثل رجل له ناقة شردت عليه) اى نفرت وذهبت فى الارض عنه اوغلبت عليه (فاتبعها الناس) من الاتباع اوالاتباع اى فتبعوها ليلحقوها (فلم يزيدوها الانفورا) اى تنفرا منهم وتبعدا عنهم (فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى) اى اتركونى معها (فانى ارفق بها)اى اشفق عليها (منكم واعلم) اى بحالها وطبعها وطريق اخذها (فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض) بضم القاف وتخفيف الميم جمع قمامة وهى فى الاصل الكناسة اريد بها ههنا ما تلقمه من الارض فتأكله شبه بالكناسة لخسته فاستعيرله اسمها لمشاركة صفته (فردها) اى طمعها اليه (حتى جاءت واستناخت) اى طلبت

البروك وهو بنون قبل الالف وخاء معجمة بعدها يقال اناخ الجمل فاستناخ اي بركه فبرك (وشد عليها رحلها)
اى ربط عليها قتبها (واستوى عليها قتبها) اى استقر عليها جالسا (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل) اى حين قوله (ما قال)
اى شيئا قاله اولا (فقتلتموه دخل النار) اى عقوبة له بما ظهر من الكفر فى اساءة ادبه معه صلى الله تعالى عليه وسلم
فكان حسن ملاطفته وزيادة عطيته سببا لارضائه وباعثا لتوبته فهو ارفق بامته واعلم بحالهم منهم فانه بهم رحيم
وبد وانهم حكيم ومما يناسب المقام ويلائم المرام ماروى عن خوات بن جبير من الصحابة الكرام انه قال نزلت مع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمر الظهران فاذا نسوة يتحدثن فاعجبنى فاخرجت حلة من عيبتى فلبستها وجلست
اليهن فمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهبته فقلت يا رسول الله جمل لى شرود وانا ابتغى له قيدا فمضى وتبعته
فالقى على رداءه ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال ابا عبد الله ما فعل شراد جملك ثم ارتحلنا فجعل كلما
لحقنى قال السلام عليك يا ابا عبد الله ما فعل شراد جملك فتعجلت المدينة وتركت مجالسته والمسجد فطال ذلك على
فتحينت خلو المسجد ثم دخلت فطفقت اصلى فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين خففهما وطولت رجاء ان يذهب عنى
فقال طول ابا عبد الله ما شئت فلست والله ببارح حتى تنصرف فقلت والله لاعتذرن اليه فانصرفت فقال السلام عليك
ابا عبد الله ما فعل شراد الجمل فقلت والذى بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ اسلمت فقال رحمك الله مرتين او ثلاثا
ثم لم يعد (وروى عنه) بصيغة المجهول وهو مروى من طريق ابى داود عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يبلغنى
احد منكم) من التبليغ او الابلاغ كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى ابلغكم وهو يحتمل النهى والنفى وهو بمعنى النهى
كما هو ابلغ اى لا يوصلنى احد منكم بان ينقل (عن احد من اصحابى شيئا) اى مما ينكر فعله من ايهم كان فى اى وقت كان
وهذه النكرات وردت فى حيز نفى متوشحة بنهى فعمت جميع الاصحاب والاوقات والاشياء مكروهة او حراما بشهادة
المقام اذ لا يتعلق نهى بمباح ومأذون فيه (فانى احب ان اخرج) اى من الدنيا (اليكم وانا سليم الصدر) جملة حالية
وفيه ايماء الى قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم اى سالم من الغش والحقد للخلق ومن الغفلة عن ذكر الحق (ومن
شفقته على امته عليه الصلاة والسلام تخفيفه) اى عنهم اعباء التكاليف (وتسهيله عليهم) اى وتهوينه بما يقوى
قلوبهم عليه من الترغيب والترهيب (وكراهته) اى لهم (اشياء مخافة ان تفرض) اى تلك الاشياء (عليهم) ومخافة
منصوب على العلة للافعال الثلاثة وفى نسخة بدلها خوف ان تفرض عليهم وهذا حكم اجمالى اورد لكل ما يناسبه
جمعا وتقسيما (كقوله) على ما رواه الشيخان (لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك مع كل وضوء) اى امر وجوب
فيؤخذ استحبابه فى كل حال ولو كان للصائم بعد الزوال فان لولا لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى امتنع الامر
بالفريضة لوقوع المشقة (وخبر صلاة الليل) بالجر وهو الصحيح وفى نسخة بالرفع على انه مبتدأ خبره يأتى ولعله اراد به
ما رواه الشيخان فى قيام الليل من خبر خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه
النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يريد يستغفر الله فيسب نفسه وما روياه فى حديث عبد الله بن عمرو
ابن العاص حيث قال واما انا فارقد واقوم واصلى ومنعه عن قيام الليل كله وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم
خرج ليلة فى شهر رمضان فصلى بالقوم عشرين ركعة واجتمع الناس فى الليلة الثانية فخرج وصلى بهم فلما كانت
الليلة الثالثة كثر الناس فلم يخرج وقال عرفت اجتماعكم لكن خشيت ان تفرض عليكم (ونهيهم) بالوجهين
اى ونهيه اياهم (عن الوصال) كما روياه وهو ان لا يفطر اياما متوالية (وكراهته) اى لاجلهم (دخول الكعبة)
اى دخوله فيها على ما رواه ابو داود وصححه الترمذى (لئلا يتعب امته) من الاتعاب وهو الايقاع فى التعب
والمشقة وفى نسخة لئلا تتعب امته بفتح التاء والعين ورفع امته وفى نسخة صحيحة لئلا يعنت من اعنت غيره اذا اوقعه
فى العنت وهو المشقة وفى نسخة بتشديد النون المكسورة (ورغبته لربه) اى دعاؤه اياه على طريقة الميل والرغبة
(ان يجعل سبه) اى شتمه عليه الصلاة والسلام (ولعنه لهم) اى بان دعا عليهم بالطرد والبعد ان صدر شئ منهم
لبعضهم او لكلهم (رحمة بهم وانه) ضبط بالكسر والفتح وهو الاظهر اى ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان انه (كان
يسمع بكاء الصبى) اى الصغير والبكاء يمد ويقصر (فيتجوز) اى فيقتصر ويخفف (ويتجل فى صلاته) اى المعقودة
للجماعة رحمة لهم وحذرا من ذهاب خشوع من صلى معه من والديه (ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم
ان دعا ربه) اى سأله (وعاهده) اى واخذ عهده سبحانه وتعالى فيما بينه وبينه (فقال ايما رجل) وكذا حكم المرأة تبعا
(سببته او لعنته) ليس او للشك بل للتنويع (فاجعل ذلك له زكاة) اى نماء وبركة يتبارك بها (ورحمة) اى ترحمه بها
(وصلاة) اى ثناء او عبادة وقال الدلجى عطف تفسير اذ هى منه تعالى رحمة وقال الانطاكى عطف الصلاة على
الرحمة وان كانت فى معناها لتغاير اللفظ ولا يخفى ان ما اخترناه هو السديد لان التأسيس اولى من التأكيد (وطهورا)

بتطهر به وجعله الدلجي ايضا من باب التأكيد حيث فسر الزكاة بالطهارة خلافا لما قدمناه (وقربة) اى وسيلة (تقربه بها اليك يوم القيمة) قال الدلجي انما اعاده لما فيه من الزيادة اقول وكان الاولى للمصنف ان يجمعهما من غير فصل بينهما واعلم ان اول الحديث اللهم ان محمدا بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما رجل سببته اولعنته الحديث قيل وانما يكون دعاؤه عليهم رحمة وزكاة ونحو ذلك اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن بان كان مسلما كما جاء في الحديث كذلك في بعض الروايات فايما رجل من المسلمين سببته الحديث والافقد دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك رحمة بلاشبهة فان قيل كيف يدعو صلى الله تعالى عليه وسلم على من ليس باهل للدعاء عليه اوسبه اولعنه فالجواب ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الامر ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية وهو مأمور بحكم الظواهر والله يتولى السرائر (ولما كذبه قومه) اى ومما يدل على كمال شفقته على امته حديث الشيخين انه لما كذبه قريش من كفار مكة (اتاه جبريل) اى تسلية لحاله وتسكينا لتألمه (فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك) اى لاجلك (وماردوا عليك) اى من تكذيب وغيره في حقك وقيل المعنى وما اجابوك وذلك لانه سبحانه وتعالى لايعزب عن علمه مسموع الا ان سمعه صفة تتعلق بالمسموعات من غير جارحة على هيئة الموجودات فانه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فنزه سبحانه وتعالى اولا عن التشبيه والتمثيل ثم اثبت ردا على اهل التعطيل (وقد امر ملك الجبال) اى اذنه بالانقياد لك (لتأمره) اى لاجل ان تأمره (بما شئت فيهم) اى فيطيعك في حقهم (فناداه ملك الجبال) اى فحضره الملك وناداه باسمه او بوصف من اوصافه (وسلم عليه) الواو لمطلق الجمع لمناسبة تقديم السلام على النداء والكلام (وقال مرني بما شئت) اى في قومك وحذف مفعوله للتعميم ثم خصص بقوله (ان شئت ان اطبق) بضم الهمزة وكسر الموحدة اى اوقع وارمي (عليهم الاخشبين) اى فعلت وفي اصل الدلجي اطبقت وهو الاوفق لكنه مخالف للاصول المصححة والنسخ المصححة والمراد بالاخشبين وهو بالخاء والشين المعجمتين فموحدة تثنية الاخشب وهو الجبل الخشن وانشد ابو عبيدة * كأن فوق منكبيه اخشبا * جبلان مطبقان بمكة قيل هما ابوقبيس وقعيقعان اوالجبل الاحمر الذي اشرف على قعيقعان وعن ابن وهب هما جبلان تحت عقبة منى فوق المسجد (قال) وفي اصل الدلجي فقال (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل ارجو) اى لاارى استيصالهم بل اتوقع (ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده) اى منفردا (ولايشرك به شيئا) اى شيئا من الاشراك لاجليا ولاخفيا والجملة الثانية كالمؤكدة لما قبلها ويمكن اعتبار مغايرتها لها وماذاك الالكونه رحمة للعالمين وقد امضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا لهم بالخير ولو بواسطة تحمل الضير (وروى ابن المنكدر) تقدمت منقبته وانه تابعي جليل فالحديث مرسل الاانه ليس مما يقال بالرأي فيكون له حكم الموصول كما قالوا في موقوف الصحابي بهذا المعنى انه يكون في حكم المرفوع لاسيما ويعضده الحديث السابق المروي في الصحيحين والحاصل انه روي (ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك) اى باطاعتك (فرهم بما شئت فقال اؤخر عن امتي) اى العذاب (الذي استحقوه بكفرهم لعل الله ان يتوب عليهم) اى على بعضهم بتوفيق ايمانهم او يخرج مؤمنا من اصلابهم (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الااختار ايسرهما) اى اهونهما كما اختار تأخير العذاب عن امته كما صرح به صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الاول بقوله بل للاضراب عما خير فيه من الاطباق وعدمه وحديث عائشة رضي الله تعالى عنها سبق الكلام عليه وذكر السيوطي في جامعه الصغير برواية الترمذي والحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله تعالى عنها بلفظ ماخير بين امرين الااختار ارشدهما هذا وما احسن ما قيل في المداراة

﴿ودارهم مادمت في دارهم * وارضهم مادمت في ارضهم﴾

﴿وقوله﴾

﴿مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما انت في دار المداراة﴾

﴿من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات﴾

(وقال ابن مسعود) اى فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا) بالخاء المعجمة اى يتعهدنا (بالموعظة) اى بالنصائح المفيدة وقيل هو تخويف بسوء العاقبة وقال ابو عمرو ابن الصلاح والصواب بالمهملة اى يتحرى الحال التي ينشطون فيها للموعظة فيعظهم فيها ولايكثر عليهم فيملوا منها ورواه الاصمعي يتخوننا

بالنون بدل اللام مع الخاء المعجمة بمعنى يتعهد نا (مخافة السآمة) بهمزة ممدودة اى الملالة (عليناً وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها ركبت بعيرا) بفتح اوله ويكسر اى جملا (وفيه صعوبة فجعلت ترده) اى من الترديد وهوالرد بالتشديد (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بالرفق) اى الزمى اللطف مع كل شئ فى كل حال والباء زائدة والمعنى استعملى الرفق وقد ورد مرفوعا ما كان الرفق فى شئ الا زانه ولا نزع من شئ الا شانه كما رواه عبد بن حميد والضياء عن انس رضى الله تعالى عنه وفى صحيح مسلم بروايته عن عائشة رضى الله تعالى عنها ايضا مرفوعاً ولفظه عليك بالرفق ان الرفق لايكون فى شئ الا زانه ولاينزع من شئ الا شانه وروى البخارى فى تاريخه عنها ايضا عليك بالرفق واياك والعنف والفحش ﴿فصل﴾

(واما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوفاء) اى القيام بمقتضى الوعد (وحسن العهد) اى وفى تعهد العقد ومراعاة الوجد (وصلة الرحم) بالاحسان الى ذوى القرابة خصوصا (حدثنا القاضى ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتى عليه) والقراءة احد وجوه الرواية على اختلاف فى انها الافضل اوالسماع من الشيخ هو الاكمل وتحقيق الفصول فى الاصول (قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد) وفى نسخة ابن احمد (حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح مهملة فتشديد موحدة (حدثنا ابو محمد ابن النحاس) بفتح نون وتشديد مهملة (حدثنا ابن الاعرابى حدثنا ابوداود) اى صاحب السنن (حدثنا محمد بن يحيى) امام جليل نيسابورى روى عن ابن مهدى وعبد الرزاق وعنه البخارى والاربعة وغيرهم ولايكاد يفصح البخارى باسمه لماجرى بينهما قال ابوحاتم هوامام اهل زمانه (حدثنا محمد بن سنان) بكسر اوله مصروف روى عنه البخارى وغيره (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح مهملة وسكون هاء وهو ابوسعيد الخراسانى يروى عن سماك بن حرب وثابت البنانى وعنه ابن معين وخلق وثقه احمد وابوحاتم وكان من ائمة الاسلام فيه ارجاء اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن بديل) بضم موحدة وفتح دال مهملة وسكون تحتية فلام وهو ابن ميسرة العقيلى يروى عن انس وجماعة وعنه شعبة وحماد بن زيد (عن عبد الكريم بن عبدالله بن سقيق) وفى نسخة ابن شقيق (عن ابيه) ابوه هو عبدالله بن شقيق وهو عقيلى بصرى يروى عن عمر وابى ذر وعنه قتادة وايوب ونقه احمد وغيره (عن عبدالله بن الحساء) بمهملتين بينهما ميم ساكنة فالف ممدودة وفى نسخة بخاء معجمة فنون وهو تصحيف كما قال الحلبى وقال التلمسانى وهو الاكثر فى الرواية والصواب بالميم وفى نسخة عن ابى الحساء وابوالحساء لااسلام له ولارواية (قال بايعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) اى بعقد بيع لابعهد بيعة (قبل ان يبعث) اى بالرسالة (وبقيت له بقية) اما من الثمن اوالمثمن فان البيع من الاضداد (فوعدته) وفى نسخة وهى الاظهر فواعدته (ان آتيه بها) اى اجيئه بالبقية (فى مكانه) اى الذى صدر فيه البيع او غيره (فنسيت) اى ان آتيه بها (ثم ذكرت بعد ثلاث) اى ثلاث ليال اوثلاثة ايام ولم يلحق التاء به لحذف مميزه وقيل المراد الليالى بايامها والليل سابق والحكم للسابق وابعد من قال ويحتمل ثلاث ساعات واغرب التلمسانى بقوله وهو الاقرب ووجه الغرابة ان الانتظار ثلاث ساعات مما لايستغرب (فجئت) وفى نسخة فجئته بابراز ضميره (فاذا هو فى مكانه) اى مكان وعده (فقال يافتى لقد اشققت على) اى اوقعت المشقة على وثقلت على (اناهنا منذ ثلاث) يفيد انه ماتحول من مكانه ذلك (انتظرك) اى لتأتينى هنالك وهذا من جملة اخلاق جده اسمعيل عليه السلام حيث قال تعالى واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد قال مجاهد لم يعد شيئا الاوفى به وقال مقاتل وعد رجلا ان يقيم مكانه عليه السلام حتى يرجع اليه الرجل فاقام اسمعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقال الكلبى انتظره اسمعيل حتى حال عليه الحول (وعن انس رضى الله عنه) كما رواه البخارى فى الادب المفرد (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان كان للاستمرار الغالبى اولمجرد الربط التركيبى (اذا اتى) اى جئ (بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) كناية عن علم امرأة وهى هنا لايعرف من هى (فانها كانت صديقة لخديجة وانها كانت تحب خديجة) وهو للتأكيد اذ تفيد الجملة الاولى ان خديجة كانت تحبها ايضا وفيه الحث على البر والصلة وحسن العهد (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ماغرت) بكسر غين معجمة وسكون راء وفى نسخة صحيحة قالت ماغرت (على امرأة) اى من نساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ما غرت) اى كغيرتى (على خديجة لما كنت) علة لغيرتها اى لاجل كونى دائما (اسمعه) اى اسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يذكرها) اى ذكرا جميلا وثناء جزيلا قال الطبرى وغيره الغيرة من النساء مسموح لهن ومغسوح فى اخلاقهن فهن لماجبلن عليه وانهن لايملكن عندها انفسهن ولهذا لم يزجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عائشة عليها ولارد عليها عذرها لماعلم من فطرتها وشدة غيرتها قال الزبيدى والعامة تكسرها والصواب فتحها (وان كان) بكسر الهمزة على ان ان مخففة من المثقلة اى وانه عليه الصلاة والسلام كان (ليذبح الشاة) بفتح اللام

وهي المسماة بالفارقة نحو قوله تعالى وان كانت لكبيرة (فيهدي بها) بضم الياء اى فيرسلها هدية (الى خلائلها) جمع خليلة اى صدائقها الكل واحدة منها قطعة (واستأذنت عليه اختها) اى طلبت الاذن في الاتيان صلى الله تعالى عليه وسلم اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن اسد ام ابى العاص ابن الربيع زوج زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه لقيط بن الربيع ذكرها ابن مندة وابو نعيم في الصحابة (فارتاح لها) وفي نسخة صحيحة اليها اى ففرح بمأتاها واكرمها ورحب بها ونظر اليها (ودخلت عليه امرأة) اى اخرى في وقت آخر (فهش لها) بتشديد شين معجمة اى فرح بها واستبشر منها (واحسن السؤال عنها) زيادة الاستئناس بها بسبب طول عهده ها (فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة) اى في زمانها (وان حسن العهد من الايمان) وفي الجامع الصغير ان حسن العهد من الايمان رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا (ووصفه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بعضهم) اى بعض السلف (فقال كان يصل ذوى رحمه) اى يحسن اليهم ويعطف عليهم وان بعدوا عنه اواساؤا اليه (من غير ان يؤثرهم) اى يختارهم ويفضلهم (على من هو افضل منهم) اى من غيرهم عدلا منه واعطاء لكل ذى حق حقه لقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ولقوله سبحانه وتعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فلا يفضل احد بنى هاشم اوغيرهم على عالم من علماء الدين واكابرهم كما يستفاد من حديث الشيخين الذى ذكره بقوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل ابى فلان) وفي اصل الحجازى ان آل بنى فلان ثم قال وفي بعض النسخ ان آل ابى فلان قال ابن قرقول وهو المشهور انتهى وقال بعضهم ان آل بنى فلان غلط بل هو آل ابى فلان والمراد الحكم ابن ابى العاص وقال بعضهم هو ابو العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف كنى عنه الراوى حذرا من آل بنى امية اذ كانوا حينئذ امراء (ليسوا لى باولياء) وقال ابن قرقول وفي الحديث المشهور ان آل ابى ليسوا اولياء قال وبعد قوله ابى بياض في الاصول كأنهم تركوا الاسم تورعا اوتقية وعند ابن السكن ان آل ابى فلان كنى عنه بفلان انتهى ولا يخفى ان قوله تورعا لا وجه له اذ نص صلى الله تعالى عليه وسلم على اسمه ثم على تقدير آل ابى فلان لا يبعد ان يكون كناية مبهمة ليشمل جميع اقاربه وقد يحمل عليه رواية آل ابى من غير فلان اذ الظاهر ان المقصود ليس منحصرا في جميع قريبه دون غيرهم كما يدل عليه عموم قوله ليسوا لى باولياء اى حقيقة حتى اواليهم صداقة لقوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون ولقوله سبحانه وتعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين هذا وقد قال التلمسانى والذى لم يسم ذلك يحتمل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز غيره وهو اولى وراوى الحديث هو عمرو بن العاص وفي بعض الروايات قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان آل ابى سفيان ليسوا لى باولياء ثم ساق الحديث ومعنى الحديث من كان غير صالح فليس بولى لى وان قرب نسبه منى (غيران لهم) اى لآل فلان (رحما) اى قرابة (سأبلها) بضم موحدة ولام مشددة اى سأصلها واراعيها واقوم بحقها (ببلالها) بكسر الموحدة وفتحها قال البخارى في صحيحه وبلالها اصح يعنى بكسر الباء قال وبلالها يعنى بفتحها لا اعرف له وجها وسقط كلام البخارى هذا من الاصل الاصيل انتهى والبلال جمع بلل وهو ما يبل الحلق به من ماء اولبن وفيه استعارة ومعناه ان القطع حرارة كالنار والوصل برودة كالماء وهو يبرد حرارة القطيعة ويطفئها اى اصلها في الدنيا ولا اغنى عنهم من الله شيئا في العقبى شبهت قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وتندى بالصلة ومنه حديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام كما رواه البزار والطبرانى والبيهقى اى صلوها كما في رواية (وقد صلى عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (بامامة) بضم الهمزة (ابنة ابنته زينب) اى بنت ابى العاص بن ربيعة بن عبد شمس من زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم (يحملها على عاتقه) جملة حالية وفي نسخة صحيحة فجعلها على عاتقه وقال التلمسانى يحملها بفتح الميم وكسرها معا الا ان الفتح افصح وروى فحملها على عاتقه والعاتق ما بين المنكب والكتف (فاذا سجد) اى اراد ان يسجد (وضعها) اى على الارض بعمل يسير (واذا قام) اى اراد القيام (حملها) وهذا بيان لكيفية صلاته بها ومثل هذا لا يشغل ارباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع الذى لا تحوم حولهم التفرقة بان لا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح الشريفة كما قال قائلهم

﴾ رق الزجاج ورقت الخمر ﴾ فتشابها وتشاكل الامر ﴾

﴾ فكأنما خمر ولا قدح ﴾ وكأنما قدح ولا خمر ﴾

فالذى ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشغل قلبه عن ربه قطعة من لحم ولكن هذا مشرب ارباب السرائر دون مذهب اصحاب الظواهر وقد علم كل اناس معراج مشربهم وسلك كل طائفة منهاج

مذهبهم قال الخطابي واسناد وضعها وحملها في كل خفض ورفع فيها اليه مجاز لانه يشغله عن صلاته ولعلها كانت قد الفته وانست به فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة الى ان يركع فيرسلها الى الارض فاذا سجد فعلت كذلك قاله الدلجي وظاهر قوله فاذا سجد وضعها واذا قام حملها يأباه اذ لا قرينة صارفة الى المجاز وقال ابن بطال كان في صلاة نافلة ونقله اشهب عن مالك ورواه النووي بما رواه ابن عيينة عن ابي قتادة قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يؤم الناس وامامة بنت ابي العاص على عاتقه ويبصره رواية ابي قال بينا نحن ننتظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لصلاة الظهر او العصر فخرج الينا وامامة على عاتقه فقام في مصلاه وقمنا خلفه قال النووي وزعم بعض المالكية انه منسوخ قال ابن دقيق العيد وروى عن مالك وقال ابن عبد البر لعله نسخ تحريم العمل في الصلاة بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الصلاة لشغلا ورد بانه كان قبل بدر عند قدوم راويه عبد الله ابن مسعود من الحبشة وقدوم زينب بامامة كان بعد ذلك ونقل اشهب وغيره ان حملها كان لضرورة دعت اليه اذ لم يكن من يتعهدها حتى يفرغ وتركها بلا متعهد اشق واشغل عليه من حملها مصليا وزعم بعضهم انه خاص به قال النووي وهذه كلها دعاوى مردودة لا بينة عليها ولا ضرورة اليها والحديث قاض بجواز ذلك صريحا ليس فيه ما يخالف قواعد الشرع وما في جوفها من نجاسة معفو عنه لكونه في معدنه وثياب الاطفال واجسادهم على طهارتها وادلة الشرع شاهدة بان هذه الافعال لا تبطلها هذا وانما فعل ذلك تشريعا وبيانا للجواز وقد افاد ان لمس المحارم لا ينقض وضوء والعمل اليسير لا يبطل صلاة انتهى كلامه وابو امامة ابو العاص اسر يوم بدر فمن عليه بلا فداء اكراما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب زينب ثم اسلم قبيل فتح مكة وحسن اسلامه ورد صلى الله تعالى عليه وسلم زينب عليه بنكاح جديد او بالنكاح الاول ثم بعد موته تزوجها علي بوصاية فاطمة اليه في ذلك ثم بعد علي تزوجها المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم وليس لزينب ولا لرقية ولا لام كلثوم رضي الله تعالى عنهن عقب وانما العقب لفاطمة رضي الله تعالى عنها وزينب اكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمساني روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال لادفعنها الى احب اهلي فقال النساء ذهبت بها ابنة ابن ابي قحافة فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امامة بنت زينب فاعلقها في عنقها (وعن ابي قتادة) كما رواه البيهقي وهو انصاري فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف بذلك (قال وفد) بفتح الفاء اي قدم (وفد النجاشي) اي جماعة من عنده رسلا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق ضبط النجاشي وترجمته (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم) بضم الدال وتكسر وانما خدمهم بنفسه تواضعا لربه وارشادا لامته (فقال له اصحابه نكفيك) اي خدمتهم (فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين) اي حين هاجروا اليهم ونزلوا عليهم (واني احب ان كافئهم) بكسر فاء بعدها همزة مفتوحة اي اجازيهم بمثل ما فعلوا بهم من الاحسان جزاء وفاقا (ولما) اي وحين (جيء باخته من الرضاعة) بفتح الراء وتكسر وفي نسخة من الرضاع (الشيماء) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية ممدودة وفي اصل الدلجي بلا ياء وهي رواية ذكرها المحب الطبري وهي مجرورة بيانا لاخته ويجوز رفعها ونصبها كما هو معلوم في امثالها عند اربابها قال الحلبي الشيماء فيها قولان هل هي بنت حليمة او اختها قال الحجازي ابوها الحارث ادرك الاسلام واسلم بمكة واسلمت واسمها جدامة بجيم مضمومة فمهملة فالف فميم وقيل خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة وبفاء وقيل بميم (في سبايا هوازن) متعلق بجيء اي في اسارى قبيلة هوازن من بني سعد بن بكر (وتعرفت له) اي اعلمت باسمها ومكانها واطلعته على شانه مما وقع له معها في زمانهما وهو عطف على جيء وجعله الدلجي جملة حالية اعتراضية بين لما وجوابها وهو قوله (بسط لها رداءه) اجلالا لها واكراما لاجلها ومكافأة لفعلها اذ هي التي كانت تربيه مع امها حليمة (وقال لها) اي على وجه التخيير (ان احببت اقمت عندي مكرمة) بضم ميم وفتح راء اي معظمة (محبة) بضم ميم ففتح فتشديد اي محبوبة وفي اصل التلمساني محببة قال وروى محبة وهما بمعنى والاول اكثر والثاني قليل اضعف عنه محبوبة في الثلاثي (او متعتك) اي ان كنت تريدين المراجعة اعطيتك متاعا حسنا ودفعت اليك ما تتمتعين به وتنتفعين منه وزودتك (ورجعت الى قومك) اي رجوعا مستحسنا (فاختارت قومها) لعلها لضرورة الجأتها اليه (فمتعها) اي فزودها واعطاها اشياء تتمتع بها فقيل اعطاها غلاما له اسمه مكحول وجارية فزوجت احدهما من الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية قيل وقد فازت هي وابواها واخوها بسعادة الاسلام وزيادة الاكرام ببركته عليه الصلاة والسلام والحديث رواه ابن اسحق والبيهقي (وقال ابو الطفيل) تصغير طفل وفي نسخة ابن الطفيل وهو تصحيف وهو عامر بن واثلة بالمثلثة الكناني آخر من مات من الصحابة على الاطلاق كان مولده عام احد وتوفي سنة مائة من الهجرة وقد روى اربعة احاديث وكان تفضيليا وقد روى ابو داود

بسند صحيح عنه (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وكان جالسا يوما بالجعرانة يقسم لحما (وانا غلام) اى حال كونى غير بالغ وقيل الصبي اذا فطم سمى غلاما الى سبع سنين (اذا قبلت امرأة حتى دنت منه) اى قربت ووصلت اليه (فبسط لها رداءه) تكريما لها (فجلست عليه) اى بامره (فقلت لمن عنده من هذه قالوا امه التى ارضعته) فقيل هي حليمة وقيل ثويبة قال الحافظ الدمياطى لايعرف لحليمة صحبة ولااسلام وقال المرأة التى بسط لها رداءه اختها الشيماء وروى ابن عبد البر في استيعابه عن عطاء بن يسار ان حليمة بنت عبد الله مرضعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه وفى سيرة مغلطاى وصحح ابن حبان وغيره مايدل على اسلامها (وعن عمرو بن السائب) كذا فى النسخ المصححة المعتبرة عمرو بالواو وقال الحجازى وهو ابن واشه المصرى مولى بنى زهرة تابعى ذكره الحافظ عبدالغنى فى اكماله فبين اسمه عمرو ووهمه الحافظ المزى وقال اسمه عمر بضم العين قال الحلبي وهو غلط صريح صوابه عمر بن السائب بضم العين وحذف الواو وهو يروى عن اسامة بن زيد وجماعة وعنه الليث وابن لهيعة وغيرهما ذكره ابن حبان فى الثقات والحديث رواه ابو داود مرسلا عنه انه بلغه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة) هو الحارث بن عبد العزى واختلف فى اسلامه (فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه) اى حليمة (فوضع لها شق ثوبه) بكسر الشين اى طرفه (من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة) وهو عبدالله بن الحارث المذكور على ما هو الظاهر فيهم جميعا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له مراضع خمس وقيل ثمان (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه) اى تكريما له وتعظيما لوالديه (وكان يبعث) اى يرسل من المدينة الى مكة (الى ثويبة) بضم مثلثة وفتح واو فسكون تحتية فموحدة (مولاة ابى لهب) بفتح الهاء وتسكن عمه عليه الصلاة والسلام يقال انها اسلمت (مرضعته) بالجر بيان اوبدل لثويبة (بصلة) اى نفقة (وكسوة) قال التلمسانى بضم الصاد وكسرها وكسوة بضم وبكسر وقرئ بهما فى السبع انتهى ولا نعرف احدا من القراء انه قرأ بضم الكاف وكذا ضم الصاد غير معروف فى اللغة (فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها فقيل لااحد) اى مابقى منهم احد والحديث رواه ابن سعد عن الواقدى عن غير واحد من اهل العلم وفى الروض الانف كان يصلها من المدينة فلما فتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فقيل ماتا (وفى حديث خديجة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ابشر) بفتح الهمزة وكسر الشين المعجمة اى استبشر وافرح ولاتحزن (فوالله لايخزيك الله) بضم الياء وسكون الخاء المعجمة وكسر الزاى اى لايهينك ولايذلك ولمسلم ايضا لايحزنك من الحزن وهو بفتح الياء وضم الزاى و بالنون اوبضم اوله وكسر ثالثه كما فى بعض الروايات وبعض النسخ وقد قرئ بهما فى السبعة (ابدا) اى دائما سرمدا (انك لتصل الرحم وتحمل الكل) بفتح فتشديد اى ثقيل الحمل العاجز عن تحمل مؤنة عياله (وتكسب المعدوم) اى تصل كل معدوم من فقير محروم وفى رواية بضم اوله اى تعطى الناس الشئ المعدوم (وتقرى الضيف) بفتح اوله وكسر الراء اى تطعمهم (وتعين) اى الخلق (على نوائب الحق) بالاضافة البيانية اشعارا بانها تكون فى الحق والباطل قال لبيد

﴿ نوائب من خير وشر كلاهما ﴾ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب ﴾

وقال التلمسانى المراد بالحق هو الله سبحانه وتعالى لانه الخالق لها قال العلماء ومعنى كلام خديجة رضى الله تعالى عنها انك لايصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفى هذا دلالة على ان خصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء

﴿ فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾

وهو هضم نفسه من الملكات المورثة للمحبة الربانية والمودة الانسانية (على علو منصبه) بكسر الصاد اى مع سمو منزلته (ورفعة رتبته) اى مرتبته من تمام نبوته ونظام رسالته وفى نسخة رتبه جمع رتبة واغرب الدلجى فى جعل على على صرافته وصرف عبارته الى تمحيل تمكنه منهما واستقراره عليهما بحال من اعتلى شيئا واقتعد غاربه وغرابته لايخفى على ارباب الصفاء (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا) اى لمعظم قدره وكرم امره (واقلهم كبرا) كذا فى الاصول المصححة ولعله اراد بانه كان يتكبر احيانا لظهور كبرياء الله سبحانه وتعالى فيه بالنسبة الى بعض المتكبرين لما ورد من ان التكبر على المتكبر صدقة وفى اصل الدلجى واعدمهم كبرا وذكر الحجازى انه رواية والمعنى افقدهم وهو يرجع الى المعنى الاول لكنه باعتبار اللفظ فيه انه لايصاغ اسم التفضيل الا من فعل وجودى والحاصل انه بلغ من هذا المعنى السلبي مبلغا لايشاركه فيه احد ثم قال وفى نسخة واقلهم كبرا والاولى اجود لافتقار الثانية الى حملها على نفيه من اصله لكونه فى مقام مدحه انتهى وقد ذكر عند قوله تعالى فقليلا مايؤمنون انه وصف مصدر محذوف اى ايمانا قليلا وقيل لا قليلا ولا كثيرا يقال قلما يفعل اى لا يفعل اصلا ومن استعمال القلة بمعنى النفى حديث النسائى

عن ابن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو (وحسبك) [illegible] الجملة بعده اي وكافيك (انه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على مارواه احمد والبيهقي (خير بين ان يكون نبيا ملكا) بكسر اللام اي سلطانا (اونبيا عبدا) اي اوان يكون نبيا عبدا من جملة عباد الله تعالى داخلا في الرعايا والضعفاء وسلك المساكين والفقراء (فاختار ان يكون نبيا عبدا) اي تباعدا عما هو من شان الملوك من التكبر والتجبر والتكاثر للخدم والترفع عن الخدمة وتقربا الى ما هو من صفات العبيد من التقلل في الدنيا والتكثر في خدمة المولى (فقال له اسرافيل عند ذلك) من اختيار النعت الجليل (فان الله قد اعطاك بما تواضعت له) اي في هذا العالم (انك سيد ولد آدم يوم القيامة) وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله كما رواه ابونعيم في الحلية عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وكقوله عليه الصلاة والسلام تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر رواه ايضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه وقوله تواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمونه ولاتكونوا جبابرة العلماء رواه الخطيب في الجامع عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وقوله التواضع لايزيد العبد الارفعة فتواضعوا يرفعكم الله تعالى رواه ابن ابي الدنيا ثم تقييده بقوله يوم القيمة لظهور سيادته فيه عيانا لكل احد كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم مع كون الملك له مطلقا (واول من تنشق الارض عنه) للبعث (واول شافع) اي يوم القيمة العامة اوفي الجنة لرفع درجات الخاصة لحديث مسلم انا اول شفيع في الجنة (حدثنا الفقيه ابوالوليد ابن العواد) بتشديد الواو (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتي عليه في منزله بقرطبة) بضم قاف وطاء بلد بالمغرب (سنة سبع وخمسمائة) والمقصود بما ذكره كله كمال استحضاره لروايته عنه(قال حدثنا ابو علي الحافظ) اي الغساني وقد تقدم (حدثنا ابو عمر) بضم العين وهو يوسف بن عبدالله بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي وانتهى اليه مع امامته علو الاسناد الدال على جلالته وترجمته مسطورة ومصنفاته مشهورة (حدثنا ابن عبدالمؤمن) وهو ابو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن (حدثنا ابن داسة) بتخفيف السين المهملة (حدثنا ابو دود) اي صاحب السنن (حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة) صاحب التصانيف الجمة عن شريك وابن المبارك وعنه الشيخان وغيرهما قال الفلاس ما رأينا احفظ منه وقال الذهبي في الميزان ابو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى في الثقة (حدثنا عبدالله بن نمير) بضم نون وفتح ميم عن هشام ابن عروة والاعمش وعنه احمد وابن معين حجة واخرج له الائمة الستة (عن مسعر) بكسر ميم وفتح وبفتح عين وهو ابن كدام ابوسلمة الهلالي الكوفي اخذ العلم عن عطاء وغيره وعنه القطان ونحوه وله الف حديث وهو من العباد القانتين اخرج له الائمة الستة (عن ابي العنبس) بفتح عين فسكون نون فموحدة مفتوحة فسين مهملة (عن ابي العدبس) بفتح العين والدال المهملتين وتشديد الموحدة فسين مهملة (عن ابي مرزوق) قال ابن حبان لايجوز الاحتجاج بما انفرد به (عن ابي غالب) اختلف في توثيقه (عن ابي امامة) اي الباهلي (قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) اي متحملا ومعتمدا (على عصا) اي لعارض من ضعف او مرض (فقمنا له) اي تعظيما وتكريما (فقال) اي تواضعا (لاتقوموا) اي لي اومطلقا (كما تقوم الاعاجم) اي بطريق الالتزام اوعلى سبيل الوقوف على الاقدام (يعظم بعضها) اي بعض تلك الجماعة (بعضا) على ما هو دأب الملوك الفخام والاكابر العظام ولا يعارضه حديث قوموا لسيدكم خطابا للانصار حين اقبل سعد راكبا على الحمار وهوشاكي يحتاج الى استعانة في نزول الى محل القرار وابعد من استدل به على استحباب القيام المتعارف بين الانام والاقرب ان يحمل النهي على التنزيه اوخاص لطائفة العرب لان يستمروا على عاداتهم من غير تكلف في المقام الادب قال التلمساني والقيام اربعة اقسام فمحظوره القيام لمن يحب ان يقام له ومكروهه القيام لمن لايحب ان يقام له ومجاوزه القيام للعالم المتواضع وحسنه القيام للقادم من سفر وانما خشي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من فعلهم ان يتخذوه سنة وكان لايحب التشبه باهل الضلالة (وقال) اي تواضعا لله وترحما على خلق الله (انما انا عبد) اي مشابه للعبيد في مقام التواضع وعدم التكلف والتصنع (آكل كما يأكل العبد) اي من غير سفرة خوان وجمعه واخونة واخوان (واجلس كما يجلس العبد) على التراب من غير سرير وفرش حرير وفي رواية لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما يأكل العبد (واجلس كما يجلس العبد) وربما جثى على ركبتيه وربما نصب اليمنى وجلس على ظهر قدمه اليسرى وعن عبدالله بن جعفر قال رأيت في يمين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قثاء وفي شماله رطبا يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم) اي من كمال تواضعه مع قدرته على ركوب الفرس والبغل والناقة (يركب الحمار) اي وحده تارة ومع غيره اخرى كما ورد عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه في طريق قبا (ويردف خلفه) من الارداف اومن الثلاثي بكسر الدال في الماضي وفتحها في المستقبل اي ويركب وراء ظهره على الناقة وغيرها من اراد من اصحابه كالصديق وذي النورين

والمرتضى وعبدالله بن جعفر وزيد واسامة والفضل ومعاوية وغيرهم ممن بلغ عددهم خمسة وار بعين (و يعود المساكين) من المرضى (ويجالس الفقراء) اى ويجتنب مجالسة الاغنياء و يقول اتقوا مجالسة الموتى والمغايرة بين الفقراء والمساكين من تفنن العبارة وان اختلف الفقهاء فى الفرق بينهما فى مصرف الصدقة (و يجيب دعوة العبد) اى الى بيت سيده او المراد به العبد المعتوق با ن يأتى بيته جبرا لخاطره وتواضعا مع ر به وامتثالا لامره سبحانه وتعالى بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (ويجلس) كما فى حديث هند بن ابى هالة كان يجلس (بين اصحابه) اى فيما بينهم (مختلطا بهم) لايتخير مجلسا يترفع به عليهم بل كان من دأبه معهم انه (حيث ماانتهى به المجلس) اى وخلا فيهم المكان المؤنس (جلس) اى تواضعا له سبحانه وتعالى وارشادا لاصحابه ليتأدبوا بادابه (وفى حديث عمر) اى من رواية البخارى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاتطرونى) من الاطراء وهو المبالغة فى الثناء الى حد يقع الكذب فى الاثناء اى لاتجاوزوا الحد فى مدحى بان تنسبوا الى مالايجوز فى وصفى (كما اطرت النصارى عيسى بن مريم) حتى زعموا انه ابن الله وغير ذلك (انما انا عبد) اى من عبيد ربى (فقولوا عبدالله ورسوله) وفيه ايماء الى ماقيل

﴿ لاتدعنى الابيا عبدها * فانه اشرف اسمائيا ﴾

والنهى انما هو عن الاطراء لا لمطلق المدح والثناء لتقريره صلى الله تعالى عليه وسلم خديجة على مدحها له واما حديث اذارأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب فمحمول على المجاوزة عن الحد بالكذب ونحوه فى هذا الباب كما تشير اليه صيغة المبالغة وقد اشار صاحب البردة الى زبدة هذه العمدة بقوله

﴿ دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم ﴾

(وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (ان امرأة) قيل لعلها ام زفر ماشطة خديجة اذقد ورد مرسلا انها كانت صحابية و يحتمل غيرها (كان فى عقلها شئ) اى من جنون (جاءت فقالت ان لى اليك حاجة قال اجلسى يا ام فلان) لعل الراوى لم يعرف اسم ابنها فكنى عنه (فى اى طرق المدينة) اى اجزائها (شئت) اى اردت انت مما هو اهون عليك او اقرب اليك (اجلس اليك) اى معك او متوجها اليك وهو مجزوم لجواب شرط مقدر بعد الامر اى ان تجلسى اجلس اليك (حتى اقضى حاجتك) اى من الكلام او طلب المرام (قال) اى انس (فجلست فجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها) من كمال تواضعه لها وملاطفته معها (قال انس رضى الله تعالى عنه) على مارواه ابوداود والبيهقى (كان رسول الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار) بل عريانا احيانا (ويجيب دعوة العبد وكان يوم بنى قريظة) اى زمن غزوهم وهى عقب غزوة الخندق (راكبا على حمار مخطوم) اى فى رأسه خطام وهو حبل كالزمام (بحبل من ليف) اى ورق نخل (عليه اكاف) جملة حالية من ضمير مخطوم والاكاف بكسر الهمزة اوضمها البردعة او ما يشد فوقها (قال) اى انس رضى الله تعالى عنه (وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة وهى بكسر الهمزة كل مايؤتدم به من الادهان وقيل ماأذيب من الشحم والالية (السنخة) بفتح السين المهملة و بكسر النون اى المتغيرة الرائحة الزنخة (فيجيب) اى من دعاه الى ذلك (قال) اى انس (وحج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رحل) اى كور او قتب وهو للبعير كالسرج للفرس (رث) بتشديد المثلثة اى خلق بال (وعليه) اى وعلى كتفه او على رحله (قطيفة) اى كساء له خمل (مايساوى اربعة دراهم فقال) اى مع هذا كله (اللهم اجعله حجا) بفتح الحاء وكسرها على ماقرئ بهما فى السبع وزيد فى نسخة مبرورا (لارياء فيه ولاسمعة) بل اجعله خالصا لوجهك الكريم (هذا) مبتدأ محذوف الخبر من اسمى فعل امر واشارة يورد كما بعد للانتقال من اسلوب مقال الى مقال آخر من الاحوال والواو بعده للحال ويذكر بعده خبره كما فى قوله تعالى هذا ذكر اى تأمل هذا الصنيع الجليل والقصد الجميل يورثك تعجبا من حجه على تلك الهيئة من التواضع والاستكانة كذا حققه الدلجى والاظهر ان يقال انه مركب من كلمتى التنبيه والاشارة اى تنبه لهذا (وقد) اى والحال انه قد (فتحت عليه الارض) اى والقت افلاذها من ذهب وغيره من فلذاتها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واهدى) كما روى مسلم عنه (فى حجه ذلك) اى عام الوداع (مائة بدنة) اى ناقة تقربا الى ربه وارشادا لمن يقتدى به وايماء الى ان ترك تكلفه فى ثوبه ومركوبه لم يكن عن افتقار به وقد نقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بقدر سنى عمره وامر عليا كرم الله وجهه بنحر البقية فى يومه (ولما فتحت عليه مكة) على ماروه ابن اسحق والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها والحاكم والبيهقى وابو يعلى عن انس رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتحت عليه مكة (ودخلها بجيوش المسلمين) اى باصنافهم منهم (طأطأ) بهمزتين اولاهما ساكنة وقد تبدل وثانيتهما مفتوحة اى خفض واطرق وارخى (على رحله) اى حال كونه راكبا فوقه (رأسه) مفعول طأطأ (حتى كاد) اى قارب صلى الله تعالى عليه وسلم (يمس) بفتح الميم كقوله

تعالى لايمسه وقال التلمسانى بضم الميم لاغير والظاهر انه وهم منه اى يصيب برأسه اوقارب رأسه انجس (قادمته) اى مقدمة رحله تختى غاية لطأ طأة رأسه وقوله (تواضعالله) مفعول لاجله وفيه ايماء الى مايشير اليه قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الى ان قال وادخلوا الباب سجدا اى متواضعين لا متكبرين كا لجبارين (ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس) مثلث النون وبالهمزة ست لغات (ابن متى) بفتح ميم وتشديد مثناة فوق وهى ام يونس ولم يشتهر نبى بامه غيرعيسى ويونس كذا ذكره ابن الاثير فى الكامل اما يونس فالغلبة واما عيسى فلانه لااب له ومنه قول القائل

﴿ الا رب مولود وليس له اب ❊ وذى ولد لم يلده ابوان ﴾

مشيرا الى آدم عليه السلام ولم يلده بفتح الياء وسكون اللام وفتح الدال للضرورة وقد قيل انه من بنى اسرائيل وانه من سبط بنيامين قال الحجازى وما ذكر فى قصص الكسائى من ان متى ابوه ليس بصحيح فان قيل ما الجمع بين قوله فى صحيح البخارى لا تفضلونى على يونس ابن فلان ونسبه الى ابيه وظاهره ان متى ابوه واجيب بان متى مدرج فى الحديث من كلام الصحابى لبيان يونس بما اشتهر به ولما كان ذلك موهما ان الصحابى سمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دفع ذلك بقوله ونسبه الى ابيه اى لا كما فعلت انا من نسبته الى امه كذا ذكره الحجازى وتبعه الدلجى وغيره ولكن لايخفى ان مثل هذا التصرف لايجوز للراوى مع مافيه من قلة ادب فى نسبته الى امه لولا انه منقول من اصله هذا ثم الحديث بهذا اللفظ غيرمعروف ولفظ البخارى لايقولن احدكم انى خير من يونس بن متى ولعل وجه تخصيصه نفيه سبحانه وتعالى عنه العزم بقوله تعالى فاصبرلحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اولما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من المعراج العلوى وليونس عليه السلام من المعراج السفلى ايماء الى ان الامكنة بالاضافة الى قرب الله تعالى على حد سواء تستوى فيه الارض والسماء وقد اجاب العلماء عن هذا الحديث باجوبة منها انه قاله تأدبا وتواضعا ومنها انه قاله قبل ان يعلم انه افضلهم فلما علم قال انا سيد ولد آدم بل وفى البخارى انا سيد الاولين والآخرين ولافخر ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدى الى الخصومة كما ثبت سببه فى الصحيح بورود لا تفضلونى على موسى كما سيجئ ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدى الى نقص بعضهم لاعن كل تفضيل لثبوته فى الجملة كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات ومنها انه نهى عن التفضيل فى نفس النبوة لا فى ذوات الانبياء وعموم رسالتهم وزيادة خصائصهم ومزية حالاتهم وهذا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماوراه الشيخان (ولاتفضلوا بين الانبياء) واما قوله عليه الصلوة والسلام (ولاتخيرونى على موسى) فسببه مارواه الشيخان وابوداود والنسائى من انه استب مسلم ويهودى قال والذى اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجهه وذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل المسلم عنه فاخبره فقال لاتخيرونى على موسى اى تخيير مفاضلة يؤدى الى مخاصمة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (ونحن احق بالشك من ابراهيم) اى اذ قال رب ارنى كيف تحيى الموتى انما صدرعنه تواضعا لربه وهضما لنفسه لااعترافا به فى حق ابراهيم ولافى حقه فكانه قال اذا كنت لم اشك فى احياءالله الموتى فابراهيم بعدم الشك اولى فاثبته لهما بنفى الشك عنهما وقيل بل قال ذلك على سبيل التقديم لابيه اى انه لم يشك ولوشك لكنت انا احق بالشك منه ثم قوله رب ارنى كيف تحيى الموتى شاهد صدق بان سؤاله لم يكن من قبل الشك والشبهة بل من قبل رؤية تلك الكيفية العجيبة الدالة على كال قدرته الباهرة شوقا الى معرفتها مشاهدة كاشتياقنا الى رؤية الجنة معاينة والحاصل انه عليه الصلاة والسلام اراد بقوله ارنى الترقى من علم اليقين الى عين اليقين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ويدل عليه بقية الآية حيث قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ولو لبثت) اى لومكثت (فى السجن) فرضا وتقديرا (مالبث يوسف) بتثليث السين مهموزا وغيره ست لغات اى مدة لبثه فى السجن (لاجبت الداعى) وهو رسول الملك والمعنى لاسرعت الى اجابة دعوته مبادرة الى الخلاص من السجن ومحنه قال ذلك هضما لنفسه ورفعة لمقام يوسف ورتبته وايثارا للاخبار بكمال تثبته وحسن نظره فى بيان نزاهته واظهار برآءته وجدا لصبره وترك عجلته وتنبيها على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا من الله بمكان لايرام فهم بشر يطرأ عليهم من الاحوال مايطرأ على غيرهم من الانام وان ذلك لايعد نقصا لهم فى مقام المرام وتمام النظام (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام على مارواه مسلم وابوداود والترمذى والنسائى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (للذى قال له) اى خاطبه بقوله (ياخير البرية) بالتشديد والهمز على ما قرئ بهما فى السبع اى الخليقة (ذاك ابراهيم) تعظيما لابوته وتعليما لامته ودفعا للافتخار عن ذاته (وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث) اى على حل مافيها من الاشكال الذى

تقدم بعض الاجوبة عنه (بعد هذا) اى فى محل اليق منه (ان شاء الله تعالى) اى بيانه فيه (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها والحسن) اى البصرى (وابى سعيد) اى الخدرى وكان حقه ان يقدم على الحسن اللهم الا ان يراد به الحسن ابن على كرم الله وجهه لكن قاعدة المحدثين ان الحسن اذا اطلق فهو البصرى (وغيرهم) اى وغير المذكورين ايضا كما رواه البخارى وغيره (فى صفته) اى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم (وبعضهم يزيد على بعض) اى وبعض الرواة منهم يزيد على بعضهم بعض العبارات فى تفصيل الصفات وبجمله قوله (وكان فى بيته فى مهنة اهله) بفتح الميم وكسره وانكره الاصمعى ورجحه المزى بقوله وهو اوفق لزنته ومعناه اى خدمة اهله وفى الحديث ما على احدكم لو اشترى ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته فى اهله بما يتعين عليهم رفقا بهم ومساعدة لهم وتواضعا معهم وبيانه قوله (يفلى ثوبه) بكسر اللام اى يزيل قمله كراهة لوجوده وتنظيفا لوسخه لما فى الشفاء لابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط ولم يكن القمل يؤذيه تكريما له وتعظيما فيه وروى ان ام حرام كانت تفلى رأسه (ويحلب شاته) بضم اللام وتكسر ويرقع ثوبه بفتح القاف وفى نسخة من الترقيع (ويخصف نعله) بكسر الصاد اى يخرزها ويطبق طاقا على طاق من الخصف وهو الجمع والضم ومنه قوله سبحانه وتعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يطبقان ورقة على ورقة على بدنهما بالخرز اوالربط اواللصق ومن احسن ما قيل فى مثال نعله صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿ امرغ فى المثال بياض شيبى * لما عقد النبى له قبالا ﴾

﴿ وما حب المثال يشوق قلبى * ولكن حب من لبس النعالا ﴾

(وقال بعضهم)

﴿ يا لاحظا لمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لاتتكبرا ﴾

﴿ والثم له فلطال ما عكفت به * قدم النبى مروحا ومبكرا ﴾

﴿ اولا ترى ان المحب مقبل * طللا وان لم يلق فيه مخبرا ﴾

اقول وانا فى هذا الحال اقبل خيال المثال تعظيما لنبى ذى الجلال (ويخدم نفسه) بضم الدال وكسرها وهو تعميم بعد تخصيص ثم ذكر ما يعم نفسه ولغيره بقوله (ويقم البيت) بضم القاف وكسرها وتشديد الميم اى يكنسه (ويعقل البعير) بكسر القاف اى يربط ركبته بالعقال وهو ما يعقل به من الحبال ومنه العقل لانه يمنع صاحبه عما يضره ويبعثه على ما ينفعه (ويعلف) بكسر اللام قبل ويضم اوله (ناضحه) اى بعيره الذى يستقى عليه الماء (ويأكل مع الخادم) اى مملوكا اوغيره وهو يحتمل المذكر والمؤنث (ويعجن معها) اى مع الخادمة من الجارية وغيرها وخص العجن بها لان الغالب انه من عملها (ويحمل بضاعته) اى مشتراه من مأكول وغيره (من السوق) اى الى محله فى بعض اوقاته اذ ثبت انه عليه الصلاة والسلام كان له خدم يقومون بما له من المرام (وعن انس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه البخارى فى الادب تعليقا ووصله ابن ماجه (ان) هى المخففة من المثقلة والمعنى ان الشأن (كانت الامة من اماء اهل المدينة) اى من جنسها (لتأخذ) بفتح اللام الفارقة (بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به) اى تذهبه (حيث شاءت) اى من طرق المدينة وبيوتها (حتى تقضى حاجتها) اى منه عليه الصلاة والسلام بشفاعة ونحوها (ودخل عليه رجل) هو غير معروف (فاصابته من هيبته) اى مخافته وعظمته (رعدة) بكسر الراء اى اضطراب او برودة (فقال له هون عليك) اى يسر امرك ولا تخف (فانى لست بملك) اى سلطان جائر والحديث سبق الا انه اعاده هنا لما فيه من زيادة قوله (انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) وهو اللحم المجفف فعيل بمعنى المفعول تنبيها له على انه مأكول المساكين (وعن ابى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه انه قال (دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فارسى معرب شابه من كلام العرب ما لا ينصرف معرفة ونكرة (وقال للوزان) بتشديد الزاى اى وازن الفضة من الصيرفى وغيره (زن) بكسر الزاى (وارجح) بفتح همز وكسر جيم اى اعطه راجحا على وزنه بالزيادة (وذكر القصة) اى بطولها ومن جملته (قال) اى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه (فوثب) اى فقام الوزان بسرعة متوجها (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) بتشديد الموحدة جملة حالية اى حال كونه مريدا لتقبيلها لما رأى فيها من زيادة السخاوة وحسن المعاملة (فجذب يده) اى تواضعا وتباعدا عما يوجب النخوة والعجب والغرور (وقال هذا) اى التقبيل (تفعله الاعاجم) اى اهل فارس (بملوكها) اى ويورثهم كبرا وفخرا ولاصحابهم ذلا (ولست بملك) اى من جنس ملوكهم (انما انا رجل منكم) بسر منكم او واحد من جنس عربكم اعاملكم بمعاملة ادبكم وهذا لاينافى ما ورد من انهم كانوا يتبركون به وبآثاره ولا ما ذكره النووى وغيره من ان تقبيل يد الغيران كان لجاه وغنى فكروه او اصلاح وعلم فستحب (واخذ السراويل) اى من بايعه بعد تسليم ثمنه

(فذهبت) قصدت (لاحمله فقال صاحب الشئ احق بشيئه) اى بمتاعه المختص به (ان يحمله) لانه ابقى على التواضع والنفى لتكبره وقد قيل لم يثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس السراويل لكن اشتراها قيل باربعة دراهم وفى الاحياء بثلاثة ولم يلبسها وجاء فى الهدى لابن القيم من انه لبسها قالوا وهو من سبق القلم لكن السيوطى صحح لبسه صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم هذا وقد ذكر التلمسانى انه اخرج ابوداود الحديث عن سماك بن حرب قال حدثنى سويد ابن قيس قال جلبت انا ومخرمة العبدى بزا من هجر فاتينا به مكة فجاءنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى فساومنا بسراويل فبعناه وثم رجل يزن بالاجر فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زن وارجح وكذلك ذكر الترمذى الحديث وصححه وابوعمرو فى الاستيعاب ثم نقل عن شيخه ان فى الحديث فوائد منها الرجحان فى الوزن وهو من الورع الظاهر الفضل لان التطفيف حرام والتحرى فيه طول او شغب تام والرجحان يقطعه والفضل يظهره قال وفيه رد على ابى حنيفة المانع هبة المجهول قلت انما نشأ هذا من جهله بمرتبة الامام وعدم فرقه بين الشايع الحاضر والمجهول الحاضر فى هذا المقام والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة المرام

فصل

(واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حكمه على وفق الحق ومنهاج الصدق (وامانته) اى فى اداء روايته وقضاء ديانته (وعفته) اى عما لا يليق بحضرته (وصدق لهجته) اى منطقه وحكايته (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) بهمزة ممدودة اى اعظمهم امانة وامنا من ان يقع منه خيانة (واعدل الناس) لانه اعلمهم واحكمهم وارجحهم وكان الاظهر ان يقدم اعدل على آمن ليكون النشر مرتبا (واعف الناس) اى اكثرهم عفة واصبرهم على ما يوجب نزاهته (واصدقهم لهجة) اى اكثرهم صدقا من جهة الناطقة (منذ كان) اى من ابتداء ما وجد لما جبل عليه من الاخلاق الحسنة ولا وجه لقول الدلجى من حين اعترف لان قوله (اعترف) استيناف بيان وفى نسخة ثم اعترف (له بذلك) اى بما ذكر من الشمائل الرضية (محادوه) بتشديد الدال المضمومة اى مخالفوه ومنه قوله تعالى ومن يحاد الله لكون كل واحد منهما فى حد كما قيل فى وجه اشتقاق قوله سبحانه وتعالى ومن يشاقق الله (وعداه) بكسر عينه مقصورا اسم جمع اى اعداؤه ومعادوه (وكان يسمى قبل نبوته) اى ظهورها ودعوتها (الامين) لغاية امانته ونهاية ديانته (قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة) اى لان تستعمل فى طريق الحق وسبيل الخلق (وقال تعالى) اى فى حقه (مطاع) اى مكرم (ثم) اى عند الملأ الاعلى والحضرة العليا (امين) موصوف بالامانة فى دعوى النبوة ووحى الرسالة (اكثر المفسرين على انه) اى المراد بالمطاع الامين (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه السلام وسياق النظم يؤيده وسباق الكلام يؤكده وعلى كل فاتصافه بالوصفين لا احد ينكره (ولما اختلفت قريش) على ما رواه احمد والحاكم وصححه الطبرانى انه حين اختلفت اكابر قريش ورؤساؤهم (وتحازبت) بالزاى اى وصارت احزابا وطوائف مجتمعة وضبطه بعضهم بالراء وهو تصحيف (عند بناء الكعبة) حين اجرت امرأة فطارت شرارة فاحترقت الكعبة فهدموها وارادوا تجديد بنائها فوقع خلافهم (فيمن يضع الحجر) اى الاسود والركن الاسعد فى موضعه الاصلى قبل هدمه وكل يقول انا وانا بى نضعه افتخارا بوضعه لانه الركن الاعظم فى ذلك المقام الافخم وكادان يقع بينهم القتال لكثرة منازعة الرجال (حكموا) جواب لما اى حكموا فيما بينهم لدفع النزاع عنهم (ان يكون الواضع اول داخل عليهم) اى ولا يكون واحدا منهم (فاذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اى ففاجأهم دخوله وباغتهم وصوله (وذلك) اى ما ذكر (قبل نبوته) اى دعوى نبوته وظهور رسالته (فقالوا) اى مقرين له بوصف امانته (هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) ففرش صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وامر كل رئيس ان يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته الذى فوض فيه الامر اليه ووضعوه فى موضعه (وعن الربيع بن خثيم) بضم معجمة وفتح مثلثة روى عن ابن مسعود وغيره وعنه الشعبى ونحوه وكان ورعا قانتا مخبتا حتى قال ابن مسعود له لو رآك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبك فطوبى له ثم طوبى له قال التلمسانى وهو من الزهاد الثمانية ومن رجال حلية ابى نعيم (كان يتحاكم) بصيغة المجهول (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام) اى قبل زمن البعثة وظهور النبوة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه (والله انى لامين فى السماء) اى عند الله وملائكته المقربين (امين فى الارض) عند المؤمنين وغيرهم من المجربين لكمال امانته وظهور ديانته وعدم خلفه فى وعده وتحقق صدقه فى قوله (حدثنا ابو على الصدفى) بفتحتين (الحافظ) اى المعروف بحفظ الحديث (بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (ابوالفضل ابن خيرون) بفتح معجمة وضم راء بصرفه ومنعه والاول اظهر (ثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة) تقدم (ثنا ابو على السنجى) بكسر مهملة فسكون نون فجيم مروزى (ثنا محمد بن محبوب المروزى) اى راوى جامع الترمذى عنه (ثنا

ابو عيسى) اى الترمذى (الحافظ) اى المعروف وهو جامع السنن وصاحب الشمائل (ثنا ابو كريب) بالتصغير
الهمدانى الكوفى روى عن ابن المبارك وخلق وعنه اصحاب الكتب الستة روى انه ظهر له بالكوفة ثلاثمائة الف حديث
(ثنا معاوية بن هشام) اى القصار الكوفى روى عن حمزة والثورى وعنه احمد وغيره وهو من الزهاد الثمانية
(عن سفيان) اى الثورى على ماصرح به عبدالغنى الحافظ وان اطلق على غيره (عن ابى اسحق) اى الهمدانى الكوفى
احد الاعلام الشهير بالسبيعى روى عن كثير من الصحابة والتابعين وقد رأى عليا كرم الله وجهه (عن ناجية بن
كعب) بنون فالف فجيم مكسورة فتحتية مخففة تابعى ولبس بصحابى (عن على) اى ابى طالب كرم الله وجهه (ان ابا
جهل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لانكذبك) بالتشديد والتخفيف اى لاننسبك الى الكذب لثبوت صدقك
(ولكن نكذب) بالتشديد لا غير (بما جئت به) اى من القرآن والايمان بالتوحيد والبعث ونحو ذلك فدلت هذه
المناقضة الظاهرة على ان كفر اكثرهم كان عنادا (فانزل الله تعالى) اى فى شانه وعظيم برهانه (فانهم لايكذبونك)
بالتشديد وقرأ نافع والكسائى بالتخفيف (الاية) وهى قوله سبحانه وتعالى ولكن الظالمين بايات الله اى المتلوة
اوالمصنوعة يجحدون اى ينكرون فتكذيبهم فى الحقيقة راجع الى ربهم ففيه وعيد اكيد وتهديد شديد لهم وتسلية له
صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى غيره) اى غير الترمذى زيادة عليه (لانكذبك وما انت فينا بمكذب) تأكيد لنفى
الكذب عنه وهو بتشديد الذال المعجمة المفتوحة وفى نسخة بمكذوب (وقيل) اى روى كما اخرجه ابن اسحق والبيهقى
عن الزهرى وكذا ابن جرير عن السدى والطبرانى فى الاوسط (ان الاخنس) بفتح همزة وسكون معجمة وفتح نون فمهملة
(ابن شريق) بفتح معجمة وكسر راء له صحبة وقال التلمسانى ذكره الحلبى قتل يوم بدر كافرا وفيه نزل قوله تعالى ومن الناس
من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا (لقى اباجهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة اثنتين
من الهجرة (فقال له) اى بحكم العادة اولتلطف العبارة (يا اباالحكم) بفتحتين كنيته فى الجاهلية فغيرها النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وكناه اباجهل (ليس هنا غيرى وغيرك) اى احد (يسمع كلامنا) اى فيمابيننا (تخبرنى) خبر معناه امر
اى اخبرنى (عن محمد) اى عن وصفه (صادق) وفى نسخة زيادة هو والتقدير اصادق هو فى معتقدك (ام كاذب) عندك
والمراد من الاستفهام حمله على الاقرار بما يعرفه من صدقه عليه الصلاة والسلام (فقال ابو جهل والله ان محمدا
لصادق) اى لموصوف بالصدق ولايخفى مافى الجملة من زيادة الادوات المؤكدة (وماكذب محمد قط) اعتراف بالحق
وروى ان اباجهل قال بعد قوله وماكذب محمد ولكن اذا ذهب بنوا قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة
فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه مامنعه عن توحيد الله الاطلب الجاه فالخلق حجاب عظيم عن الحق (وسأل
هرقل) بكسر ففتح وضبط بكسرتين وكذا بضمتين بينهما ساكن ولاينصرف للعجمة والعلمية وهذا اسمه العلم واما قيصر
فهو لقب كل من ملك الروم (عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اباسفيان) بن حرب على مارواه الشيخان
(فقال) اى هرقل مخاطبا لابى سفيان ومن معه (هل كنتم تتهمونه) بتشديد التاء الثانية (بالكذب) اى هل كنتم
تنسبونه الى الكذب ولو بالتهمة بناء على المظنة (قبل ان يقول ماقال) اى من دعوى الرسالة (قال لا) وهذا السؤال يدل
على كمال عقل هرقل ومعرفته بصفة الانبياء لكن لم ينفعه علمه حيث لم يقترن بعمله اذهلك كافرا بعد فتح عمر رضى الله
تعالى عنه بلاده وتوغل فى بلاد الكفر هربا من الاسلام ولا تغتر بمن شذ فزعم اسلامه ذكره الدلجى وقال الحلبى
فى الاستيعاب انه آمن وهذا مؤول اى بانه اظهر الايمان وتمنى الامان لكنه غرته سلطنة الزمان (وقال النضر بن
الحارث) اى العبدرى وهو بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وكان شديد العداوة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اخذ اسيرا ببدر فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فقتله بالصفراء عقيب الواقعة واما
النضير بالتصغير فهو اخوه وكان من المؤلفة واعطى يوم حنين مائة من الابل فاحذر ان يتصحف عليك كما توهم
الحلبى ثم حديثه هذا رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (انه قال لقريش) اى لاكابرهم
(قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين اى من حال صغره قبل اوان كبره والانسب ان يراد به ههنا ما قيل من ان
الغلام هو الصغير الى حد الالتحاء (ارضاكم فيكم) الظرفان حالان لازمان (واصدقكم حديثا) اى قولا ووعدا
(واعظمكم امانة) اى صدقا وديانة وهذه الشهادة لكونها من اهل العداوة حجة لما قيل الفضل ماشهدت به الاعداء
(حتى اذا رأيتم فى صدغيه) بضم فسكون الشعر المتدلى على مابين الاذن والعين (الشيب) اى بياض الشعر (وجاءكم
بما جاءكم) اى بما اظهر لكم من الحق وكلام الصدق (قلتم) اى فى حقه (انه ساحر) فى غيبته وحضوره (لا والله ماهو
بساحر) الجملة القسمية مؤكدة لما يفهم من الجملة المقدرة المنفية بلا النافية (وفى الحديث) وفى نسخة عنه اى عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم على مارواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها (مالمست) بفتح الميم (يده يد امرأة قط لايملك

رقها) بكسر راء وتشديد قاف اى لايملكها نكاحا اوملكا فقد قال لاسماء التزويج رق المرأة فلتنظر اين تضع رقها
واما فى البخارى اتت امرأة تبايع فقبض يدها فمحمول على المحرم اومن فوق الثوب (وفى حديث على) اى ابن ابى طالب
كرم الله وجهه (فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة) اى لسانا وبيانا وقد تقدم (وقال) اى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصحيح) اى فى الحديث الذى صح عنه وقد تقدم ذكره (ويحك فمن يعدل) بالرفع
(ان لم اعدل خبت وخسرت) بالتكلم اوالخطاب لرئيس الخوارج (ان لم اعدل وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى
على ماسبق من رواية الترمذى وغيره عنها (ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين) وزيد فى نسخة قط
(الااختار ايسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه) سبق حل مبناه وبيان معناه (قال ابو العباس)
اى البصرى (المبرد) بفتح الراء المشددة وكان اماما فى النحو واللغة مات ببغداد ودفن بمقابر باب الكوفة (قسم) بتخفيف
السين اولى من تشديدها وان اقتصر الانطاكى على الثانى (كسرى) بكسر الكاف وفتح الراء مقصورا اسم
لكل من ملك الفرس واسمه الخاص پرويز (ايامه) اى زمان دولته واوان مملكته (فقال) اى كسرى فى قسمته وقته
يصلح يوم الريح للنوم) المبنى على السكون لكون الوقت غيرقابل للحركة من القيام للخدمة ولا للقعود فى الصحبة (ويوم
الغيم للصيد) لعدم التأذى بشدة الحرارة التى تقتضيها كرة حركة المعالجة (ويوم المطر للشرب واللهو) لعدم امكان
الخروج (ويوم الشمس لقضاء الحوائج) جمع حاجة على خلاف القياس اى لحوائج الخلق والنظر الى مهماتهم بالعدل
وفق الصدق (وقال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون التحتية وكسر هاء ويقال بضم لام وسكون واو وفتح
تحتية فتاء تقلب هاء وقفا نحوى لغوى اصله من همذان بفتح الميم والذال المعجمة دخل بغداد وادرك اجلة العلماء
مثل ابن الانبارى وابن مجاهد المقرى وتوفى بحلب سنة سبعين وثلاثمائة وله تصانيف كثيرة (ماكان اعرفهم بسياسة
دنياهم) كذا فى النسخ بثبوت ما قبل كان والظاهر زيادتها ويمكن جعلها موصولة اوموصوفة اوكان زائدة وما
تعجبية وحاصله انه انما كان اعرفهم بسياسة دنياهم ولم يكن يعرف مايتعلق بآخرتهم من مراتب عبادة مولاهم
ولذلك استشهد بقوله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون) وحاصله انه ليس فى
تقسيمه كبير منفعة بخلاف تجزية صاحب النبوة ولهذا استدركه بقوله (ولكن) بالتخفيف اولى (نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم) على مارواه الترمذى وغيره عنه (جزأ) بتشديد الزاى فهمز اى قسم (نهاره) اى ساعات يومه (ثلاثة
اجزاء) اى اقسام (جزءا) بالنصب وجوز بالرفع وقد يضم زايه (لله) تعبدا لرضاه وقياما بالاشتغال بذكره عما سواه
(وجزءا) بالوجهين (لاهله) ايثارا لهم على حقه (وجزءا لنفسه) لحديث ان لنفسك عليك حقا ثم لعل هذا الجزء
الاول من الصبح الى الظهر والثانى الى العصر والثالث الى المغرب والمعنى حصته لنفسه لادخل فيها لغيره من الاهل
خاصة دون العامة لقوله (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) اى عموما بحسب حاجاتهم والحاصل انه جعل ذلك
الوقت ايضا وقتا للحق لنفعه بنفسه عموم الخلق فان كان احد منهم احتاج اليه وحضر لديه اقبل عليه وافاده
بالفوائد الدينية والدنيوية والعوائد الحسية والمعنوية النافعة فى الدرجات الاخروية والا فاشتغل بمراعاة نفسه
خاصة لفراغه من الواجبات المفروضة عليه من جهة حق الله تعالى وحقوق الاهل بحسب تقديم الاهم فالاهم والله
تعالى اعلم (فكان) اى من عادته فى جزء خاصة نفسه (يستعين بالخاصة) اى من ارباب صحبته واصحاب خدمته
(على العامة) اى قضاء حاجتهم والمجاهدة فى منفعتهم لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولقوله عليه الصلاة
والسلام الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود والمعنى يأمر الخاصة
بتبليغ العامة اذ ليس كل انسان يتوصل الى ذلك ويقول ابلغوا) اى وكان يقول لهم اوصلوا الى (حاجة من لا
يستطيع ابلاغى) اى ابلاغ حاجته لى (فانه) اى الشان (من ابلغ حاجة من لايستطيع) اى ابلاغها كما فى نسخة صحيحة
(آمنه الله) بهمزة ممدودة اى جعله فى امن من الضرر (يوم الفزع الاكبر) وهو وقت النفخة الثانية او حالة الانصراف
الى العقوبة والحديث رواه الطبرانى فى الكبير بسند حسن عن ابى الدرداء ولفظه ثبت الله قدميه على الصراط يوم
القيامة وكذا لفظ الترمذى فى الشمائل برواية الحسن عن اخيه الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (وعن الحسن) اى
البصرى على مارواه ابوداود فى مراسيله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لايؤاخذ احدا) اى لايؤاخذه
ولايجازيه (بقرف احد) بفتح قاف وسكون راء اى بذنبه وكسبه ومنه قوله تعالى ومن يقترف اوبظن احد ورميه وفى
نسخة بقذف احد بسكون الذال المعجمة من قذفه بالمكروه اى نسبه اليه (ولايصدق احدا على احد) اى ولايقبل
كلام احد فى حق احد سواء ترتبت عليه المؤاخذة ام لافهو تعميم بعد تخصيص (وذكر ابوجعفر) وهو محمد بن جرير
(الطبرى) بفتحتين نسبة الى طبرية وكذا رواه ابن راهويه فى مسنده والبيهقى فى دلائله عن على كرم الله وجهه (عنه

عليه الصلاة والسلام ماهممت بشئ) اى ماقصدت عملا (مما كان اهل الجاهلية يعملون) وانما اعاد المصنف هذا الحديث ههنا مع تقدمه لافادة زيادة قوله (غير مرتين كل ذلك) ضبط بالرفع والنصب وهو اظهر اى فى جميع ماذكر من الكرتين (يحول الله) اى يصير بحوله حائلا ومانعا (بينى و بين ما اريد من ذلك) اى عمل اهل الجاهلية وهذا معنى قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اى يحجز و يمنع وقال ابو عبيد يملك عليه قلبه فيصرفه كيف شاء (ثم) اى بعد ماهممت بهما (ماهممت بسوء) اى ابدا بتوفيقه وعصمته (حتى اكرمنى الله برسالته) ومن المعلوم ان بعد تحقق نبوته لم يتصور وجود مخالفته ثم بين المرتين من الحالتين المذكورتين بقوله (قلت ليلة لغلام) اى لفتى لو علوك (كان يرعى معى) اى غنمي اوغنم غيرى وهو الاظهر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن نبى الا رقد رعاها يعنى الغنم قيل ولا انت يارسول الله قال نعم كنت ارعاها على قرار يط لاهل مكة ولعل الحكمة ان يتدرب على سياسة الرعية على سبيل الشفقة والرحمة ولايبعد ان تكون الغنم له اولغيره لكن كانت فى عهدته بقوله (لوابصرت الى غنمى) اى تمنيت والتمست منك ان راعيت حفظ مايتعلق بى (حتى ادخل مكة فاسمر بها) بفتح الهمزة وضم الميم اى احادث ليلا مطلقا اوليلا مقمرا والسمر فى اصله ضوء القمر وجعل الحديث فيه سمرا ومنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون كانوا يجتمعون حول البيت بالليل وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميتهم اياه سمرا فلهذا ذمهم الله بقوله تهجرون (كما يسمر الشاب) اريد به الجنس و وقع فى اصل الدلجى بلفظ الشباب والمعنى فاسمر سمرا مشابها لسمرهم فى مشاهدة قرهم حال سهرهم ورقادهم فى سحرهم لغلبة سكرهم وكثرة نكرهم وقلة مكرهم (فخرجت لذلك) اى لقصد السمر (حتى جئت اول دار من مكة) اى مما فيها آلات لذات الشهوة (سمعت عزفا) بفتح مهملة فسكون زاى ففاء اى لعبا بالمعازف وهى الملاهى اوصوتا جسنا وغناء فى الطباع مستحسنا مختلطا (بالدفوف والمزامير) اوبسبب ضرب الدفوف واصوات الملاهى كالعود والطنبور ونحوها (لعرس بعضهم فجلست) اى خارج الباب اوداخله اوبعد الاذن وبعد رفع الحجاب (انظر) اى حال كونى انظر لعبهم واسمع لهوهم اومن اجل ان انظر اليهم واسمع لديهم (فضرب) بصيغة المجهول (على اذنى) بضم الذال وتسكن وبفتح النون وتشديد ياء المتكلم اوبكسر النون وتخفيف ياء الاضافة على ارادة الجنس اى انامنى الله انامة ثقيلة لايمنعني عن النوم اضطراب اصوات ولاكثرة حركات ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم اى انمناهم (فنمت) بكسر النون (فما ايقظنى الامس الشمس) اى اصابة حرها على بدنى (فرجعت ولم اقض شيئا) اى مماقصدت من المعصية وارتكاب السيئة ولعل سماع المزامير كان مباحا فى الشرايع المتقدمة (ثم عرانى) اى اصابنى (مرة اخرى مثل ذلك) اى مماهممت به فى المرة الاولى فعصمنى منها المولى (ثم لم اهم) بضم هاء وتشديد ميم مفتوحة و يجوز ضمها اوكسرها اى لم اقصد (بعد ذلك) اى ماذكر من المرتين (بسوء) اى بهم سوء قط وهو بضم السين ويفتح

﴿ فصل ﴾

(واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الواو اى رزانته ورصانته وحلمه وتحمله (وصمته) اى سكوته وسكونه وطمانينته وسكينته (وتؤدته) بضم ففتح همز و يبدل اى تأنيه فى قوله وعمله وتثبته ومهلته بلاعجلة (ومروءته) بضمتين فسكون واو فهمز وتبدل وتدغم فتشدد (وحسن هديه) اى سيرته وطريقته المشتملة على حقايق شريعته ودقايق حقيقته (فحدثنا) كذا بالفاء ههنا على مافى النسخ المصححة (ابو على الجيانى) بفتح جيم وتشديد تحتية ثم نون وهو الغسانى (الحافظ اجازة) اى نوعا من انواع الاجازة ومنها المناولة ولو بالمكاتبة (وعارضت) اى قابلت (اصلى بكتابه) اى المروى عن مشايخه (قال ثنا) اى حدثنا (ابو العباس الدلائى) بكسر دال مهملة فلام مشددة وقد تخفف بعدها الف ممدودة (انا) اى اخبرنا وفى نسخة ثنا (ابوذر الهروى) تقدم ذكره (انا) اى اخبرنا (ابو عبد الله الوراق) بتشديد الراء (ثنا) اى حدثنا (اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى (ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا عبد الرحمن) اى ابن محمد (ابن سلام) بتشديد اللام قيل وهو يكتب بهمزة الابن ههنا ايماء لوجود الفاصلة روى عن ابن المبارك وابن فضالة وروى عنه ابو زرعة (قال حدثنا الحجاج) وفى نسخة صحيحة حجاج (ابن محمد) وهو الاعور المصيصى عن ابن جريج وشعبة وعنه احمد وغيره قال ابن ماجه بلغنى ان ابن معين كتب عنه نحوا من خمسين الف حديث (عن عبد الرحمن بن ابى الزناد) وهو عبد الرحمن بن عبد الله ابن ذكوان روى عن ابيه وشرحبيل بن سعد وعنه هناد وعلى بن حجر (عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب) بالتصغير وفى نسخة عن وهب وهو تصحيف قال الحلبى هو عمر بن عبد العزيز بن وهيب الانصارى مولى زيد بن ثابت روى عن خارجة بن زيد وعنه عبد الرحمن بن الزناد واخرج له ابوداود فى المراسيل هذا الحديث قال الذهبى فى الميزان لا يعرف من ذا (سمعت خارجة بن زيد) اى ابن ثابت الانصارى وهو احد الفقهاء السبعة بالمدينة المقول فيهم

﴿ الا كل من لايهتدى بائمة ❊ فقسمته ضيزى عن الحق خارجة ﴾

وكنيته ابو زيد (يقول) اى خارجة وهو تابعى فيكون حديثه هذا مرسلا وهو حجة عند الجمهور (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوقر الناس) اى اكثرهم حلما واعظمهم تحملا فى جميع اوقات انسه لاسيما (فى مجلسه) اى المعد لمصاحبة جنسه محافظة على رعاية آدابه تعليما لاصحابه واحبابه وطلبة حديثه وحملة كتابه (لايكاد يخرج شيئا من اطرافه) اى من بزاق فمه او مخاط انفه اوقطع ظفره اوقلع وسخه ووقع فى اصل الدلجى شئ بالرفع وقال فى قوله لايكاد يخرج مبالغة فى لايخرج اى لا يقرب ان يظهر من تحت ثيابه شئ من اطرافه فضلا عن ان يظهر منها شئ انتهى فتدبر واختر ماصفا ودع ماكدر (روى ابوسعيد الخدرى) كما اخرجه عنه ابوداود وكذا الترمذى فى شمائله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ جلس فى المجلس) اى فى جنس مجلسه او مجلسه الخاص فيما بين اصحابه احتبى بيديه) بان جمع بين ظهره وساقيه اما بيديه او بثوبه كما فى رواية والاسم الحبوة بضم الحاء وكسرها والعامة تقول حبية (وكان اكثر جلوسه) اى هيئات جلوسه وحالات قعوده (محتبيا) لكثرة التواضع لديه وعدم التكلف فيما كان سلف العرب عليه ولذا قال اكثر الاوقات اليه وفى الحديث الاحتباء حيطان العرب واحيانا يقعد على هيئة التحية (وعن جابر بن سمرة) كما روى مسلم وابوداود (انه تربع) اى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا جلس فى المجلس تربع احيانا لقوله (وربما) بالتشديد والتخفيف (جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء وروى بكسرهما وبمد وقصر فيهما وعن الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت ومعناه عن ابى عبيد ان يجلس على اليتيه ملصقا بطنه بفخذيه محتبيا بيديه (وهو) اى جلوسه القرفصاء على مارواه الترمذى (فى حديث قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية بنت مخرمة العنبرية وقيل العدوية وقد تقدم (وكان كثير السكوت) لتفكره فى مشاهدة الملكوت وتذكره مطالعة الجبروت (لايتكلم فى غير حاجة) اى من قضية ضرورية دينية اودنيوية اومسئلة علمية اوعملية لقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون ولحديث ان من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه (يعرض عمن تكلم بغير جميل) اى بما لايستحسن ذكره ولايباح امره اذا صدر عمن تكلم بناء على جهله لقوله تعالى واعرض عن الجاهلين والظاهر ان المراد بالاعراض هو الصفح وعدم الاعتراض فيختص بالمكروهات التنزيهية على مقتضى القواعد الشرعية واما المحرمات القطعية وكذا المكروهات التحريمية فلابد للشارع من ان يأمر ويزجر قياما بحق النبوة والرسالة واما قول الدلجى فى تفسير غير جميل حراما اومكروها اذ لايقر على باطل واعراضه كاف عن انكاره صريحا لاشعاره بعدم رضاه به فهو لبس من الحمل الجميل لان الانكار القلبي لا يكون كافيا الا للعاجز عن انكاره بيده ولسانه وهذا غير متحقق فى زمانه لاسيما بالنسبة الى عظمة شانه وان كان زماننا هذا يكتفى فيه بالسكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوة الى ان تموت على محبة الحى الذى لايموت (وكان ضحكه) بكسر فسكون وروى بفتح فكسر (تبسما) اى من جهة الابتدائية كقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها اومن طريقة الاغلبية لما فى الشمائل للترمذى من حديث عبد الله بن الحارث مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما القهقهة فنفية ويمكن حمله على ظاهره من عمومه لما فى الشمائل ايضا من حديث جابر بن سمرة وكان لايضحك الاتبسما لكن الشراح حملوه على غالب حاله وقيل كان لايضحك فى امر الدنيا الا تبسما اما فى امر الاخرة فكان قد يضحك حتى تبدو نواجذه على مافى الترمذى ايضا وهو توفيق حسن وجمع مستحسن (وكلامه فصلا) اى وكان كلامه فرقا بين الحق والباطل اوفاصلا بين الحلال والحرام اوبينا يتبينه كل من سمعه ولايشتبه على من يتفهمه وماذلك الا لجعله تعالى له مبينا للانام فى مشكلات الاحكام كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم اومختصرا ملخصا لقوله (لافضول) بالفتح اى لازيادة فى كلامه (ولا تقصير) اى ولا نقصان عن قدر الحاجة اولا ايجاز ولااطناب بل التوسط المحمود فى كل باب بالجمع بين المبانى اليسيرة والمعانى الكثيرة (وكان ضحك اصحابه عنده) اى فى حضرته (التبسم) اى لاغير (توقيراله) اى تعظيما لحرمته (واقتداءبه) اى فى كيفية ضحكه وهيئته (مجلسه مجلس حكم) بضم فسكون اى مجلس علم بالاحكام اوعمل بالعدل فى حق الانام ولو ثبت كسر حاء وفتح كاف لكان له وجه وجيه فى المرام بان يكون مجلسه للصحبة ملآن من انواع الحكمة ويؤيده ان رواية الترمذى مجلس علم وفى نسخة بكسر حاء وسكون لام وكذا وقع فى اصل الدلجى وهو ملكة تورث التؤدة وعدم العجلة عند حركة الغضب وداعية العقوبة (وحياء) اى ومجلس حياء مشتمل على صفاء وضياء وهى ملكة تمنع مما لايليق فعله فى الحضرة والغيبة (وخير) اى ومجلس كل خير من خيرى الدنيا والاخرة فهو تعميم بعد تخصيص (وامانة) اى مجلس امانة دون خيانة تخصيص للاهتمام بامرها لتعلقها بغير صاحبها ولذا ورد لاايمان لمن لاامانة له على مارواه احمد وابن حبان فى صحيحيهما عن انس رضى الله تعالى عنه (لاترفع)

بصيغة المجهول مذكرا ومؤنثا (فيه) اى فى مجلسه (الاصوات) تأدبا لسيد الكائنات ولقوله سبحانه وتعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآيات (ولاتؤبن) بضم فسكون همز وتبدل وفتح موحدة مخففة وقد تشدد اى لا ترمى بصريح ولا تذكر بقبيح (فيه الحرم) بضم جمع الحرمة وهي ما لا يحل انتهاكه وروى بضمتين بمعنى النساء من الاهل وما يحميه الرجل والمعنى لا تقذف ولا تعاب من ابنته لى ربيته بسوء ومنه حديث النهى عن شعر نؤبن فيه النساء وكذا حديث الافك اشيروا على فى اناس ابنوا اهلى وحاصله ان مجلسه كان يصان من رفث القول وفحش الفعل وقد تصحف على الحنفى حيث قال مأخوذ من الأبر واحدها مأبرة ويحتمل لاتؤبر اى لاتلدغ من ابرة العقرب لدغته انتهى (اذا تكلم) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (اطرق جلساؤه) اى خفضوا رؤسهم وسكنوا نفوسهم (كانما) بزيادة ما الكافة (على رؤسهم الطير) يجوز فى مثله ثلاثة اوجه بحسب القراءة وهي كسر الهاء وضم الميم وكسرهما وضمهما وفى التسبيه تنبيه على المبالغة فى وصفهم بالسكوت والسكينة وعدم الخفة لان الطير لا يكاد يقع الا على شئ ساكن من الحركة (وفى صفته) اى وجاء فى نعت مشيه على مافى الشمائل وغيره (يخطو) بضم طاء وسكون واو اى يمشى (تكفؤا) بضم فاء مشددة فهمزة وتبدل وفى نسخة بكسر فاء وفتح تحتية اى تمايلا الى قدام قال النووى وزعم كثيرون ان اكثر مايروى بلاهمز وليس كما قالوا انتهى وقال صاحب النهاية هكذا روى غير مهموز والاصل الهمز وبعضهم يرويه مهموزا لان مصدر تفعل من الصحيح تفعلا كتقدم تقدما وتكفأ تكفؤا والهمزة حرف صحيح واما اذا اعتل انكسر عينه نحو تسمى تسميا وتخفى تخفيا فاذا خففت الهمزة التحق بالمعتل فصار تكفيا بالكسر (ويمشى هونا) اى مشيا هونا لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اى سكونا لا سريعا ولا بطيئا ولا خيلاء بل افتقارا للحق وتواضعا للخلق وفى رواية الهوينى تصغير هونى تأنيث اهون فالتقدير مشية هوينى (كانما يحط) بتشديد الطاء اى ينزل (من صبب) بفتحتين وموحدتين اى منحدر ويلزم منه الميل الى القدام لا السرعة المنافية لمقام المرام كما زعم من لبس له فى هذا الفن المام وفى رواية للترمذى فى صبب وهو اظهر فتدبر (وفى الحديث الآخر اذا مشى) اى فى جميع اوقاته (مشى مجتمعا) اى مشيا معتدلا مستويا مجتمعا بين قوابل حركاته لا متفرقا فى حركاته وسكناته وقال الهروى اى ماكان يمشى مسترخيا (يعرف فى مشيته) بكسر الميم اى هيئة مشيه وضبط فى نسخة بفتحها وهو سهو قلم من كاتبها (انه غير غرض) بفتح معجمة وبكسر راء وتنوين معجمة مأخوذ من الغرض بفتحتين وهو الضجر والملال ومنه قول الحسن علم الله انه بلد غرض فرخص لعباده من ساء ان ينفر فى النفر الاول ومن شاء ان ينفر فى النفر الآخر وروى بلد غرض بالاضافة والصفة (ولاوكل) بفتحتين على مافى النسخ المصححة ففى القاموس رجل وكل محركة عاجز وقال الدلجى بكسر هما وقال التلمسانى الغرض بفتح الراء وروى بكسرها والوكل بفتح الكاف وحكى كسرها والله تعالى اعلم اى غير ضجر) تفسير من المصنف لغرض على وزانه اى غير قلق وملل (ولا كسلان) تفسيرا وكل يعنى ولا عاجز يكسل فى فعله اى الهداية والدلالة فيكل امره الى غيره معتمدا على تحصيله (وقال عبدالله بن مسعود) فيما رواه البخارى عنه موقوفا (ان احسن الهدى) بفتح فسكون اى السيرة والطريقة المستقلة على جهة السريعة وحقيقة الحقيقة وفى نسخة بضم ففتح مقصورا اى الهداية والدلالة (هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نفس الامر هديه هدى ربه لفنائه فى بقائه فيصح اسناده اليه تارة والى ربه اخرى كما قال تعالى قل ان الهدى هدى الله وفى آية اخرى قل ان هدى الله هو الهدى (وعن جابر بن عبدالله) صحابيان انصاريان رضى الله تعالى عنهما (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل) اى تبيين لحروف البناء وتمهيل فى كيفية الاداء لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقوله لتبين للناس مانزل اليهم (وترسيل) عطف تفسير وهو موافق لما فى المصابيح وفى نسخة صحيحة بأو على انه شك من الراوى (وقال ابن ابى هالة) واسمه هند وامه خديجة رضى الله تعالى عنهما فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان سكوته على اربع) اى على اربعة احوال والحال يذكر ويؤنث لانها بمعنى الوصف والصفة (على الحلم) على جهة التحمل مع القدرة والمجاوزة عن المؤاخذة (والحذر) اى الحراسة من الاعداء المخالفة (والتقدير والتفكر قالت عائشة) رضى الله تعالى عنها كما رواه الشيخان (كان رسول صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد) اى لو احصى عدد حروفه المحصى من اهل الحساب (لاحصاه) اى لقدر على احصائه وعد عدده وجمعه وجمعه وهذا مبالغة فى الترتيل والتبيين وقد روى انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تكلم تكلم ثلاثا ولعل الاول للسماع والثانى للتنبيه والثالث للتفكر والاظهر ان الثلاث باعتبار مراتب مدارك العقول من الاعلى والاوسط والادنى (وكان يحب الطيب والرائحة الطيبة) اى الحاصلة من غير جنس الطيب كبعض الازهار والاثمار (واستعملهما كثيرا) استعمالا مناسبا لكل منهما مع انه بذاته بل وبفضلاته طيب كما هو مقرر فى محله فكان استعمالهما زيادة

المبالغة بنفية ملاقاة الملائكة ولانهما يورثان النشاط والقوة (ويحض عليهما) اى يحث ويحرض على استعمالهما (ويقول حبب الى من دنياكم النساء) وفى رواية تأخيره (والطيب) كما رواه النسائى والحاكم فى مستدركه من حديث انس باسناد جيد وضعفه العقيلى وليس فيه لفظ ثلاث وانما وقع فى بعض الكتب كالاحياء وغيره فما وقع فى بعض النسخ من لفظ ثلاث بعد دنياكم خطأ فاحش ومما يدل على بطلانه تغير سياق الحديث وتغييره بقوله (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ايماء الى ان قرة العين ليست من الدنيا لاسيما من الدنيا المضافة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ودفعا لما تكلف بعضهم من ان الصلاة حيث كانت واقعة فى الدنيا صحت اضافتها اليها فى الجملة على اختلاف فى ان المراد بالصلاة هل هى العبادة المعروفة او الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام والله تعالى اعلم بحقيقة المرام ثم تحقيق الكلام ما ذكره حجة الاسلام فى الاحياء حيث قال الدنيا والآخرة عبارة عن حالتين من احوال القلب فالقريب الدانى منهما يسمى دنيا وهى كل ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهى ما بعد الموت ثم الدنيا تنقسم الى مذمومة وغير مذمومة فغير المذمومة ما يصحب الانسان فى الآخرة ويبقى معه بعد الموت كالعلم والعمل فالعالم قد يأنس بالعلم حتى يصير الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمشرب فى لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا له فى الدنيا ولكن لا يعد ذلك من الدنيا المذمومة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذ بها بحيث لو منعت عنه لعظم ذلك عليه حتى قال بعضهم ما اخاف الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل فقد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو وعلى هذا ينزل جعله عليه الصلاة والسلام الصلاة من حكم ملاذ الدنيا اولا ن كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك اضافها عليه الصلاة والسلام الى الدنيا الا انها ليست من الدنيا المذمومة فى شئ فان الدنيا المذمومة هى حظ عاجل لا ثمرة له فى الآخرة كالتنعم بلذائذ الاطعمة والمباهاة بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والقصور والدور ونحوها مما يزيد على قدر الضرورة والحاجة (ومن مروءته) اى اخلاقه المرضية وشمائله البهية (نهيه) كما رواه احمد (عن النفخ فى الطعام والشراب) اى جميعا ولابى داود وابن ماجه والترمذى وصححه نهيه عن النفخ فى الاناء وللترمذى فى الشراب لانه فى الطعام يؤذن بالعجلة وشره النهمة وقلة التؤدة وفى الاناء يورث رائحة كريهة ولانه قد ينفصل بالنفخ فيهما من الفم ما يكون موجبا لنفرة الطبيعة وقيل نفس الادمى سم (والامر) كان الاولى ان يقال وامره ليحسن عطفه على نهيه اى ومن مروءته ايضا الامر (بالاكل مما يليه) اى الاكل بصيغة الفاعل لحديث الشيخين قل بسم الله وكل بيمينك مما يليك على الخلاف فى ان الامر للوجوب او الندب وعليه الاكثر (والامر بالسواك) اى وكذا امره به من جملة مروءته كما فى حديث لامرية فى صحته ومن فوائد السواك ازالة تغير الفم وتنظيف الاسنان وتطييب النفس وغيرها مما يبلغ اربعين آخرها انه يذكر الشهادة عند الخاتمة على ضد اكل الافيون نسأل الله العافية (وانقاء البراجم) بالجر عطفا على بالسواك وفى نسخة بالرفع على ان التقدير ومن مروءته تنظيف البراجم (والرواجب) وهما جمع برجمة بالضم وراجبة والمراد بهما مفاصل الاصابع من ظهر الكف وباطنها (واستعمال خصال الفطرة) بالاحتمالين وهى فيما رواه الشيخان خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط زاد مسلم المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابو داود من حديث عمار الانتضاح ومن حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرق الرأس هذا والاستنشاق فى معنى المضمضة وقد سبق فى معانيها ما يغنى عن اعادتها

﴿ وصل ﴾

(واما زهده فى الدنيا) اى عدم ميله اليها وقلة المبالاة بوجودها وفقدها اعتمادا على خالقها (فقد تقدم من الاخبار) اى الاحاديث الواردة عن الثقاة الاخيار (اثناء هذه السيرة) اى سيرة سيد الابرار (ما يكفى) اى يغنى عن الاعادة والتكرار (وحسبك من تقلله منها) اى كافيك من مقتها (واعراضه عن زهرتها) بفتح الزاى اى زينتها وبهجتها (وقد سيقت اليه) اى والحال انها جلبت لديه وعرضت عليه (بحذافيرها) جمع حذفار وقيل حذفور اى باسرها من اولها وآخرها (وترادفت) اى تتابعت (عليه فتوحها) والجملتان معترضتان بين المبتدأ وخبره وهو قوله (ان توفى) بصيغة المجهول بعد ان المصدرية والمعنى كافيك مما ذكر حال حصول ما ذكر وفاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة الى ان توفى وفيه انها متعلقة بتقلله ايماء الى اختيار زهده فى الدنيا باعتبار الحالة الاولى والاخرى دفعا لما توهم بعضهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر عمره اختار الغنى ومما يأبى هذا المعنى قوله (ودرعه) اى والحال انها (مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله) كما سبق تفصيل احواله (وهو يدعو) اى والحال انه مع ذلك يطلب من ربه كفاية امره وامر من يتعلق به من اهله وآله (ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) اى بلغة تسد رمقهم لتقويهم على عبادتك من غير تكثير(?) وفى رواية لمسلم

والترمذي وابن ماجة اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان لئلا يموت والظاهر ان المراد به هنا قدر الكفاية لما في رواية كفافا (حدثنا سفيان ابن القاضي والحسين بن محمد الحافظ) هو ابن سكرة ولبس بالغساني كما حرره الحلبي (والقاضي ابو عبدالله التيمي قالوا) اي كلهم (ثنا) اي حدثنا (احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابواحمد الجلودي) بضم الجيم (ثنا ابوسفيان) وفي نسخة صحيحة ابن سفيان (ثنا ابوالحسين مسلم بن الحجاج) اي صاحب الصحيح (ثنا ابو بكر ابن ابي شيبة) تقدم ذكرهم (ثنا ابومعاوية) وهو محمد بن خازم بالخاء المعجمة والزاي احد الاعلام وحفاظ الاسلام روى عن الاعمش وهشام وعنه احمد واسحق وابن معين وكان مرجئا اخرج له الائمة الستة (عن الاعمش) تابعي جليل روى عن ابن ابي اوفى وزربن وابي وائل وعنه شعبة ووكيع وخلق له الف وثلثمائة حديث (عن ابراهيم) هو النخعي ابوعمران الكوفي الفقيه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها وروى عن خاله الاسود وعلقمة وجماعة وكان عجبا في الورع رأسا في العلم (عن الاسود) اي ابن يزيد النخعي عن عمر وعلي ومعاذ حج ثمانين مرة كل مرة بعمرة وكان يصوم حتى يخضر ويختم في ليلتين (عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ماشبع) بكسر الموحدة اي ما اكل حتى شبع (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام) اي بلياليها (تباعا) بكسر التاء الفوقية مصدر تابع اي متابعة وموالاة (من خبز) اي مطلقا ووقع في اصل الدلجي من خبز بر وليس من البر (حتى مضى سبيله) اي الى ان توفاه الله تعالى بحسب ما قدره وقضاه والحديث في اواخر مسلم وقد اخرجه البخاري وغيره ايضا (وفي رواية اخرى) اي له اولغيره اوللشيخين كما قاله الدلجي (من خبز شعير يومين متتابعين ولوشاء) اي الله كما في نسخة صحيحة ويدل عليه قوله (لاعطاه) اذ لو كان التقدير لوشاء رسول الله لكان المناسب ان يقول لاعطاه الله اولاعطى اي متمناه (مالايخطر) بكسر طاء وبضم اي مالم يمر (ببال) اي لايحدث في خلال خيال (وفي رواية اخرى) اي لهما (ماشبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر) لقلة وجوده اولكثرة زهده (حتى لقي الله) وفي نسخة زيادة عزاي تعالى شانه وجل اي اعظم برهانه (وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه مسلم (ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي بعد وفاته (دينارا) اي من الذهب (ولادرهما) اي من الفضة وهو بكسر الدال وفتح الهاء وتكسر ولله در القائل

﴿ النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجاري ﴾

﴿ والمرء بينهما ان لم يكن ورعا * معذب القلب بين الهم والنار ﴾

(ولا شاة ولا بعيرا) اي وانما ترك ما في التمسك به نجاة الثقلين والفوز بسعادة الكونين وهو الكتاب والسنة فمن اخذ بهما ظفر بكنوز الجنة (وفي حديث عمرو بن الحارث) اخو جويرية من امهات المؤمنين له ولابيه صحبة كما رواه البخاري عنه (ماترك) اي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة (الاسلاحه) بكسر اوله والمراد سيوفه ورماحه وقسيه ودروعه ومغافره وغير ذلك مما علقه الحلبي على البخاري (وبغلته) اي البيضاء وهي دلدل (وارضا جعلها صدقة) الاقرب ان الضمير الى الارض وجعلها صدقة لاينفي كونها مخلفة عنه بطريق تكلمه عليها لكونه ناظرا لها والانسب عوده الى الجميع والمعنى جعلها بعد موته صدقة كما حقق في حديث نحن معاشر الانبياء لانورث ماتركناه فهو صدقة ثم الاستثناء مفرغ اي ما ترك شيئا يعتد به الا ما ذكر ونحوه ان ثبت انه ترك غيره (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (ولقد مات ومافي بيتي) اللام ابتدائية اوقسمية والواو حالية اي لهو قد او والله لقد مات والحال انه ليس في بيتي (شيء يأكله ذوكبد) بفتح فكسر ويجوز سكونه مع كسر وفتح اي ذو حياة وخص الكبد لانه منبع الدم (الاشطر شعير) لعله نصف صاع وقال الترمذي اي شيء من شعير ثم المختار رفعه على البدلية ويجوز نصبه على الاستثناء (في رف لي) بفتح راء وتشديد فاء خشب يرفع عن الارض في جدار البيت يرقى عليه ما يراد حفظه وهو الرفرف ايضا وفي الصحاح الرف شبه الطاق وتمام الحديث فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني وهو متفق عليه ثم قالت (وقال لي) اي تسلية لحالي (اني عرض علي) بني للمفعول وحذف فاعله اجلالا له (ان يجعل لي) بالتذكير والتأنيث اي بصير ويقلب لاجلي (بطحاء مكة) اي حصاها او مسيلها (ذهبا فقلت لا) اي لااختاره (يارب) فاختر لي (اجوع يوما) اومعناه لااريد بل اريد ان اجوع يوما اي وقتا (فاصبر) وقدمه لانه مذكر للافتقار اليه وباعث للاتكال عليه ومبالغة في احتقار عرض عروض الدنيا لديه (واشبع يوما) اي وقتا آخر (فاشكر) لاكون مؤمنا كاملا فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر كما في حديث واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وهذا مقام الانبياء والاولياء من ارباب الكمال وهو التربية بنعتي الجلال والجمال ثم بين مايترتب على كل منهما من حسن الحال بقوله (فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك) اي اتذلل

والتجیء (وادعوك) بما اؤمل لديك (واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك) اى فاشكرك (واثنى عليك) وصنيعنا فى تفسير الحمد بالشكر اولى من قول الدلجى ان العطف تفسيرى فان التأسيس اولى من التأكيد لاسيما ومقام النعمة يقتضى الشكر الموجب للمزيد ومما يؤيده ايضا مارواه الترمذى بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك (وفى حديث آخر) قال الدلجى لاادرى من رواه بهذا اللفظ قلت فكان ينبغى ان يذكر من رواه بهذا المعنى ليكون مؤيدا له فى المبنى والحاصل من كلامه ونقل غيره (ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام) اى يسلم عليك وفى القاموس قرأ عليه السلام ابلغه كاقرأه ولا يقال اقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا وفى الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء رباعيا فاذا قلت يقرأ عليك السلام فبفتح الياء وقيل هما لغتان وبهذا يندفع ما تكلف الدلجى بقوله يقال اقرأ فلانا السلام كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرأ السلام ويرده (ويقول) اى الله سبحانه وتعالى (لك) اى اعتبارا اواختبارا (اتحب ان اجعل هذه الجبال) من الصفا وابى قبيس وغيرهما مما حوالى مكة واطرافها او جنس هذه الجبال بانواعها واصنافها (ذهبا وتكون) اى جبال الذهب (معك حيثما كنت) اى من جهة السرق والغرب وما بينهما وما مزيدة للتأكيد (فاطرق ساعة) اى خفض رأسه تأدبا وتفكرا مع سكوته انتظارا لما يلهمه ربه من الخيرة كما ورد فى دعائه اللهم خرلى واخترلى ولا تكلنى الى اختيارى (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له) اى فى المآل (قد) للتقليل (يجمعها) اى يريد جمعها (من لاعقل له) اى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها ولمنافاتها للآخرة باعتبار درجاتها (فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) الجملة دعائية اوخبرية والمراد ههنا بالقول الثابت هو الحق المطلق المحقق وان ورد فى التنزيل فى جواب المؤمن للملكين فى القبر حيث قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة مع ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فقول الدلجى فى هذا المقام اى اداملك على قول لا اله الا الله لا يناسب المرام كما لا يخفى على الكرام فى الحديث برهان على امكان قلب الاعيان هذا وقد رواه احمد الدنيا دار من لا دار له قد يجمعها من لاعقل له والبيهقى ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل يوما ماامسى لآل محمد كفة سويق ولاسفة دقيق فاتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ماذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وامرنى ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية لاحمد والله لوشئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة ولابن سعد وكذا لابن عساكر لو شئت لسارت معى جبال الذهب وللطبرانى لو سألت الله ان يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل (وعن عائشة) كما رواه الشيخان (قالت ان) قال الانطاكى ان كلمة تأكيد بمعنى قد واللام للتأكيد ايضا وقيل ان نفى واللام استثناء والاظهر الاشهر ان ان مخففة من المثقلة وقد روى انا (كنا آل محمد) يجوز رفعه على البدل من المضمر ونصبه على الاختصاص والثانى اظهر (لنمكث شهرا) اى قدره (ماتستوقد نارا ان هو) اى ماقوتنا (الا التمر والماء) وفى رواية الا الاسودان (وعن عبد الرحمن بن عوف) على مارواه الترمذى والبزار بسند جيد (هلك) واعترض بان الصواب نحو توفى وقبض لان الهلاك اكثره فى العذاب وفى موت الكفار ويمكن دفعه بانه قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك وفى نسخة قال هلك اى مات (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير) اى فضلا عن خبز البر فلا عبرة بمايتوهم من قيده باعتبار مفهومه من حصول شبعه من غيره (وعن عائشة وابى امامة وابن عباس نحوه) اى بمعناه مع اختلاف مبناه (قال ابن عباس) كما روى ابن ماجه والترمذى وصححه (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالى المتتابعة) اى فيها بايامها (طاويا) حال منه لانه الاصل والاعلى او من اهله فهو بالاولى (لا يجدون) اى اهله وهو واهله (عشاء) وهو تأكيد لما قبله ولعل الاقتصار على العشاء للايماء بانه الاهم من الغداء (وعن انس) برواية البخارى (قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر اوله وبضم اى مائدة اوهو مايؤكل عليه من نحو كرسى على عادة المترفهين لئلا يفتقروا الى الانحناء حال اكلهم وسئل قتادة على م كانوا يأكلون يعنى الصحابة قال على السفر (ولا فى سكرجة) بضم الثلاثة وتشديد الراء وجوز فيها الفتحة اناء صغير يؤكل فيه القليل من الادم فارسى معرب واكثر ما يوضع فيه وامثاله مايعتاده المترفهون من احضار المخللات ونحوها من المهضمات والمرغبات فى اطراف المأكولات (ولاخبز له) بصيغة المجهول الماضى (مرقق) بصيغة المفعول اى ارغفة واسعة رقيقة وتسمى الرقاق كطويل وطوال وقيل اللين الابيض المسمى بالحوارى (ولا رؤى شاة سميطا قط) فعيل بمعنى مفعول اى مسموطا

يعني مشويا بجلده فان الغالب سمطها بان ينزع صوفها بالماء الحار بعد تنظيفها من القاذورات واخراج ما في بطنها من النجاسات والا لحرام في اصح الروايات وكذا حكم الرؤس والدجاجات والسمط لا يحسن الا في صغار الغنم (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) برواية الصحيحين (انما كان فراش صلى الله تعالى عليه وسلم) اي الخاص كما بينته بقولها (الذي ينام عليه ادما) بفتحتين اي جلدا مدبوغا وقيل الاحمر منه وقال الدلجي جلدا اسود (حشوه ليف) بكسر اللام اصول سعف النخل (وعن حفصة رضي الله تعالى عنها) اي ابنة عمر ام المؤمنين كما في الشمائل للترمذي (كان فراش النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتي) اي مكاني المنسوب الي ووقع في اصل الدلجي بلفظ في بيته وتصحح الاضافة بادنى الملابسة وانما الكلام في ثبوت الرواية (مسحا) بكسر الميم بلاسا من شعر ابيض وقيل من شعر اسود (نثنيه) بكسر النون المخففة اي نطويه (ثنيتين) بكسر المثلثة اي عطفتين اوطيتين وفي نسخة ثنيين بالتذكير على المصدر وفي اخرى ثنتين اي مرتين (فينام عليه) وهذا من دأبه وعادته في كل وقته (فثنيناه له ليلة باربع) اي اربع طاقات والباء من باب الزيادة وبات عليه من غير شعوره ابتداء به لاستغراقه في شهود نوره ووجود حضوره (فلما اصبح قال ما فرشتم لي الليلة) استفهام انكاري اواستعلام (فذكرنا ذلك له) اي ثنيه اربعا ليوجب له راحة ونفعا (فقال ردوه بحاله) اي على وفق عادتي (فان وطاءته منعتني الليلة صلاتي) اي ليلته منعتني كمال حضوري في طاعتي اوشغلتني عن القيام لصلاتي وقراءتي (وكان) كما رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه (ينام احيانا) اي في بعض الاوقات (على سرير مرمول بشريط) اي منسوج بحبل مفتول من سعف (حتى يؤثر) اي يظهر اثر خشونة الشريط (في جنبه) لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه قيل حتى ابتدائية والصيغة المضارعية حكاية الحال الماضية وقيل مرادفة لكي التعليلية والاول اظهر فتدبر (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ) بهمز هو الصحيح وفي نسخة بلام مفرده ولعل وجهها التخفيف المسهل ثم معاملته معاملة المعتل فتأمل اي ما امتلأ (جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح وقد يسكن وقبل الاول نقيض الجوع والثاني ماشبع من الشيء فالمعول هو الاول اذ نصبه على التمييز فتأمل (قط) اي ابدا ولعل مرادها غالب احواله اوشبعا مفرطا غير مناسب لكماله (ولم يبث) بضم موحدة وتشديد مثلثة اوبضم اوله وكسر ثانيه اي لم ينشر ولم يظهر (شكوى) اي شكايته ولا يطريق حكايته في جميع حالاته (الى احد) من اصحابه وزوجاته لقوله تعالى في ضمن آياته حكاية عن يعقوب في شدة ما ابتلاه قال انما اشكو بثي وحزني الى الله (وكانت الفاقة) اي الحاجة الملازمة من الفقر المقتضي للصبر (احب اليه من الغنى) المقتضي للشكر وهذا صريح في تفضيل الصبر على الشكر كما ذهب اليه اجلاء الصوفية واكثر علماء الفقهية هذا وقد ورد لو تعلمون مالكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة على مارواه الترمذي عن فضالة بن عبيد (وان) مخففة من المثقلة اي وانه (كان ليظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام اي يكون في طول النهار (جائعا) بهمزة مكسورة (يلتوي) اي حال كونه يتقلب ويضطرب (طول ليلته من الجوع) اي من استمرار جوعته اومن اجل حرارة لذعته ولذا ورد اللهم اني اعوذبك من الجوع فانه بئس الضجيع كما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن مسعود مرفوعا وهذا كله لكمال زهده في الدنيا واقباله بقلبه على الاخرى بناء على رضى المولى (فلا يمنعه) اي جوعه (صيام يومه) اي الذي فيه ولو كان نفلا اوصيام يوم عادته في مستقبله وهذا بيان بعض شدة حاله (ولوشاء) اي الغنى ومايترتب عليه من التنعم وحصول المنى ووصول الهدى (سأل ربه جميع كنوز الارض) اي استدعاه لاسيما وقد عرضها عليه مولاه (وثمارها) يجوز نصبها وهو الاشهر في المبنى وجرها وهو الاظهر في المعنى اي جميع ثمارها واشجارها اوجميع فوائدها وعوائد فرائدها (ورغد) والرغد بفتحتين ويسكن على ما في القاموس (عيشها) اي سعة معيشتها وطيب منفعتها (ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع) اي من اثر جوعه المختص به وهذا يدل على انه كان يطعم اهله ويؤثرهم على نفسه (واقول) اي والحال اني اقول حينئذ (نفسي لك الفداء) بالمد تماديا به من الم الجوع وشدته ومرارة حرارته (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) بضم قاف اي لو توسعت من البلغة وتوصلت الى المتعة بقدر مايقويك على قيام الطاعة ويعينك على زيادة العبادة لكان اولى من هذه الحالة فجواب لو مقدر وماقدرناه احسن من التقدير المشهور وهو لكان احسن ويجوز ان يكون لو للتمني ويشير الى مااخترناه ماصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من الجواب الدال على ان مااختاره هو الصواب (فيقول ياعائشة مالي وللدنيا) استفهامية انكارية اي لا حاجة لي اليها ولا اقبال لي عليها قال التلمساني قيل يجوز ان يكون ما استفهامية وتقديره اي الفة ومحبة لي معها حتى ارغب فيها وقيل يجوز ان يكون ما نافية اي ليس لي الفة الى آخره انتهى ثم بين سبب اعراضه عنها بقوله (اخواني من اولي العزم

من الرسل) اى كلهم واجلهم (صبروا على ما هو) اى على امر عظيم هو (اشد من هذا) اى مما انا صابر عليه لما روى ان بعضهم مات من الجوع وبعضهم من شدة اذى القمل وبعضهم من كثرة الجراحات وشدة الامراض والعاهات وقد خصني الله تعالى فيما حثني وحضني على الاقتداء بهم بقوله سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وفيه ايماء الى ان العبرة فى الكتاب والسنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فمضوا على حالهم) اى التى كانوا عليها مما يقتضى الصبر ولم يطلبوا من ربهم السعة ولا دفع المضرة نظرا الى كمال حسن مآلهم (فقدموا على ربهم) راضين بقضائه صابرين على بلائه شاكرين على نعمائه (فاكرم مآبهم) اى مرجعهم اليه (واجزل) اى اعظم (ثوابهم) لديه (فاجدنى استحيى) بيائين وفى نسخة بياء واحدة اى فارى نفسى مستحيية (ان رفهت) اى لو تنعمت (فى معيشتى ان يقصر بى) بتشديد الصاد المفتوحة (غدا دونهم) اى دون مرتبتهم وتحت درجتهم وهمتى ان اكون فوق جملتهم (وما من شئ هو احب الىّ من اللحوق باخوانى) اى فى الجملة (واخلائى) اى احبائى فى الملة (قالت فما اقام) اى فى الدنيا (بعد) بالضم اى بعد قوله ذلك (الا شهرا حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم) غاية لاقامته اى الى ان مات وانتقل الى رحمة ربه وهذا يدل على اختياره الفقر فى جميع امره الى آخر عمره قال الدلجى رحمه الله تعالى لم ادر من روى هذا الحديث لكن روى ابن ابى حاتم فى تفسيره عنها قالت ظل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من اولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله قال التلمسانى هنا مسئلة وهى من قال مالى صدقة على اعقل الناس فافتى الفقهاء على انه يعطى الزهاد لان العاقل من طلق الدنيا وانشدوا

﴿ طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها ﴾
﴿ انها زوجة سوء * لا تبالى من اتاها ﴾
﴿ انت تعطيها مناها * وهى تعطيك قفاها ﴾
﴿ فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها ﴾

﴿ فصل ﴾ اى ثالث (واما خوفه ربه) معمول للمصدر المضاف الى فاعله وفى نسخة من ربه (وطاعته له) اى كمال انقياده فى جميع حالاته (وشدة عبادته) اى كمية وكيفية (فعلى قدر علمه بربه) اى بمقدار معرفته بعظمته (ولذلك) اى لكون ما ذكر على قدر علمه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما حدثناه) اى فى جملة ما رواه لنا (ابو محمد ابن عتاب) بتشديد التاء الفوقية (قراءة منى) اى من بين اقرانى (عليه) ففيه دلالة على تسوية اطلاق الحديث على القراءة والسماع (قال ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم الطرابلسى) بضم الموحدة واللام (ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزى ثنا ابو عبد الله الفربرى) بكسر ففتح فسكون (ثنا محمد بن اسمعيل) اى البخارى صاحب الصحيح (ثنا يحيى بن بكير) بالتصغير روى عن مالك والليث قال ابو حاتم لا يحتج به وضعفه النسائى قال الذهبى كان ثقة واسع العلم وذكر فى الميزان انه وثقه غير واحد قال الحلبى كيف لا وقد احتج به البخارى وروى عنه (عن الليث) اى ابن سعد عالم اهل مصره روى عن عطاء وابن ابى مليكة ونافع قال ابو نعيم فى الحلية ادرك نيفا وخمسين رجلا من التابعين وعنه قتيبة وخلق وكان نظير مالك فى العلم وقال الشافعى الليث افقه من مالك ولكن اضاعه اصحابه وقيل كان دخله فى السنة ثمانين الف دينار فاوجبت عليه زكاة وقد حج واهدى اليه مالك طبقا فيه رطب فرد اليه على الطبق الف دينار واخرج ابو نعيم عن لؤلؤ خادم الرشيد قال جرى بين الرشيد وبين بنت عمه زبيده بنت جعفر كلام فقال لها هرون انت طالق ان لم اكن من اهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقى شيخ لم يتكلم وكان فى آخر المجلس فسأله فقال اذا خلا امير المؤمنين فى مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدننى امير المؤمنين فادناه فقال اتكلم على الامان قال نعم فامر باحضار مصحف فاحضر فقال تصفحه يا امير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال امسك يا امير المؤمنين قل والله فاشتد ذلك على هرون فقال يا امير المؤمنين الشرط املك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل انى اخاف مقام ربى فقال ذلك فقال يا امير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال الرشيد احسنت والله وامر له بالجوائز والخلع وامر له باقطاع وان لا يتصرف واحد بمصر الا بامره وصرفه مكرما

وقد ذكروا في ترجمته انه كان يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا عدد ايام السنة (عن عقيل) بضم مهملة وفتح قاف وهو ابن خالد الايلي اخرج له الائمة الستة (عن ابن شهاب) هو الزهري (عن سعيد بن المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر وهو من اجلاء التابعين وساداتهم (ان اباهريرة كان يقول) يدل على تكرر سماعه لهذا الحديث عنه (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اخرجه البخاري في الدقائق وروى احمد والبخاري ايضا ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن انس وزاد الحاكم عن ابي ذر ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابي الدرداء بزيادة ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لاتدرون تنجون اولا تنجون (زاد) اى شيخنا السابق او بعض مشايخنا وقد اخطأ الدلجي بقوله اى زاد ابوهريرة اوالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يصير التقدير انا احدهما زاد في روايتنا عن ابي عيسى رفعه الى ابي ذر وخطاؤه لايخفى على من له ذرة من العقل الذى يدرك مراتب النقل (في روايتنا) اى من غير قراءتنا (عن ابي عيسى الترمذي) اى صاحب السنن (رفعه) اى الترمذي اسناده وحديثه (الى ابي ذر) اى في قوله مرفوعا كما صرح به الترمذي في الزهد وقال حسن غريب وروى عن ابي ذر موقوفا واخرج ابن ماجه فيه نحوه ورواه محمد بن حميد الرازي ورفعه ايضا (انى ارى ما لا ترون) اى ابصر ما لا تبصرون من عجايب الملكوت (واسمع مالاتسمعون) اى من غرائب اخبار عالم الجبروت (اطت السماء) بتشديد الطاء اى صوتت (وحق لها) بصيغة المجهول اى وينبغي لها (ان تئط) لكثرة ما عليها من الملائكة فكانهم اثقلوها كثرة وقوة حتى اطت كالقتب وهو تمثيل للتلويح بكثرتها وان لم يكن ثم اطيط انها تقريرا لعظمة خالقها ومثله حديث العرش على منكب اسرافيل وانه ليئط اطيط الرحل الجديد بعظمته وعجزه عن حمله اذ من المعلوم ان اطيط الرحل وهو الكور براكبه انما يكون لقوة مافوقه من ثقله (مافيها موضع اربع اصابع) ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفي (الاوملك) حال من فاعل الظرف وهو موضع اى الاوفيه ملك (واضع) بالتنوين (جبهته) اى جبينه (ساجدالله) حال من الضمير قبله (والله لوتعلمون ما اعلم) اى من شدائد الاحوال وعظائم الاهوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) جواب القسم الساد مسد جواب لو وفيه مقابلة الضحك والقلة للبكاء والكثرة ووقع هنا للدلجي خبط وعدم ربط وتقديم وتأخير لايليق بضبط الكتاب ولا بحديث الباب لابد من اصلاحه على نهج الصواب (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش فهو من قبيل مقابلة الجمع بالجمع (ولخرجتم الى الصعدات) بضمتين جمع صعيد اى الطرقات (تجأرون) اى حال كونكم ترفعون اصواتكم وتستغيثون وتتضرعون في جميع حالاتكم (الى الله لوددت انى) بكسر الدال الاولى اى لاحببت وتمنيت ووقع في اصل الدلجي بزيادة الواو قبل وفي رواية ليتني (شجرة تعضد) بصيغة المجهول اى تقطع (روى) استيناف بصيغة المجهول اى نقل (هذا الكلام) اى بخصوصه مماسبق من المرام وهو قوله وددت انى شجرة تعضد (من قول ابي ذر نفسه) اى موقوفا عليه من غير رفعه (وهو) اى اسناده الموقوف (اصح) اى من اسناده المرفوع قال الحلبي ولما وقفت على قوله وددت الى آخره من زمن طويل قطعت بان هذا ليس من كلام النبوة ثم رأيت بعض الحفاظ المتأخرين من مشايخ مشايخي في اربعين له قال انه مدرج ثم رأيت كلام القاضي انه من قول ابي ذر وهو اصح وهذه العبارة ماهي مخلصة والذى ذكره بعض مشايخ مشايخي من انه مدرج هو الصواب فيما يظهر لي انتهى وقد تصحف قوله وهو اصح على الدلجي بما وقع له في اصله وهو واضح بزيادة واو ونقطة صاد يعني وهو ظاهر ثم بينه بقوله اى من حيث انه اشبه بكلامه واليق بحاله مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم بمكانته عند ربه وانزه من ان يتمنى عليه دون ما اعطاه انتهى ولايخفى ان الكلام في صحة الرواية والا فلا يخفى وجه ظهور الدراية لان مثل هذا الكلام انما ينشأ عن غلبة الخوف من مشاهدة الله بوصف عظمته ومطالعة نعت سخطه المقتضي لعقوبته الجائزة من حيث العقل المطابق للنقل انه سبحانه وتعالى لوعذب اهل سمواته وارضه يكون عادلا في قضائه وحكمه اذ لايسئل عما يفعل وهم يسئلون فمن نظر الى نعوت الجمال حصل له البسط في الحال والمقال ومن طالع صفات الجلال وقع في قبض الحال وضيق البال والكلال وبهذا يجمع بين قول بعضهم من عرف الله طال لسانه وقول آخرين من عرف الله كل لسانه هذا وقد ذكر الحافظ ابونعيم في الحلية ان عمر رضي الله تعالى عنه مر برجل من المنافقين جالس والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي فقال له الم تصل مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مر الى عملك فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ان لله تعالى في السموات السبع ملائكة يصلون له غنى عن صلاة فلان قال عمر ماصلاتهم يانبي الله قال فلم يرد عليه شيئا فاتاه جبريل عليه السلام فقال يانبي الله سألك عمر عن غنى صلاة فلان فقال اقرأ على عمر السلام

واخبره بان اهل سماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت واهل السماء الثانية ركع الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واهل السماء الثالثة قيام الى يوم القيمة يقولون سبحان الحى الذى لايموت انتهى وفى آخر الحديث مافيها موضع اربع اصابع الاوملك واضع جبهته ساجدالله (وفى حديث المغيرة) اى ابن شعبة كما رواه الشيخان وغيرهما عنه وهو من دهاة العرب وكذا زياد بن ابى سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية ابن ابى سفيان قال ابن وضاح احصن المغيرة فى الاسلام الف امرأة (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من كثرة صلاة الليل (حتى انتفخت قدماه) اى تورمت قال ابن مرزوق انما ذلك من طول القيام فتنصب المواد الى الاسافل فتستقر فى القدم فيرم لذلك وينتفخ وذلك لبعده من حرارة القلب قيل كان يصلى الليل كله حتى تورمت قدماه من طول القيام فانزل الله عليه من القرآن ماخفف به عليه وعلى من تبعه وهوقوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى وكذاقوله طه ماانزلنا عليك القرآن لتشقى (وفى رواية) اى لهما عنه (كان يصلى) اى النبى صلى الله عليه وسلم (حتى ترم قدماه) على زنة تعد مضارع ورم كورث بمعنى تورمت كما فى رواية واما تشديد الميم على مافى بعض النسخ فخطأ فاحش والعدول عن الماضى لحكاية الحال الماضية كقولهم مرض حتى لايرجونه فالظاهر انه مرفوع ومنه قوله سبحانه وتعالى حتى يقول الرسول بالرفع على قرآءة نافع (فقيل له اتكلف هذا) بحذف احدى التائين وتشديد اللام اى اتحمل هذا التحمل وجوز الدلجى كونه من كلف بكسر اللام ومنه حديث انى اراك كلفت بعلم القرآن وحديث كلفوا من العمل ما تطيقون لكنه غيرموافق لما فى القاموس فانه قال كلف كفرح اولع وهومناسب للحديث الاول ثم قال واكلفه غيره وهوالملايم للحديث الثانى اى كلفوا انفسكم اوغيركم ماتطيقون من اعمالكم ثم قال صاحب القاموس وتكلفه تجشمه والمتكلف المتعرض لما لايعنيه انتهى ولايخفى ان هذا المبنى هوالمناسب فى المعنى الوارد هنا بالجملة الحالية بقوله (وقد غفرلك ما تقدم من ذنبك وماتأخر) كما اخبرالله سبحانه وتعالى فى سورة الفتح بقوله ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخروفى عطف ماتأخراعتناء عظيم فتدبر وحاصله انك معصوم من ارتكاب الذنب المتعارف ولو فرض ان يقع منك ما لا يليق بمقامك فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فانه مغفور عنك ثم لماكان الغالب ان كثرة العبادة تنشأ من غلبة خوف العقوبة (قال افلا اكون عبدا شكورا) على ما انعم على من المغفرة وجاء الحديث طبق الآية فى مدح نوح عليه الصلاة والسلام انه كان عبدا شكورا وفى ذكر العبد ايماء الى انه لا بدله من القيام بوظائف العبودية ومبالغة فى اداء شكر حقوق الربوبية (ونحوه) اى مثله فى المعنى مع اختلاف يسير فى المبنى (عن ابى سلمة وابى هريرة) كذا فى النسخ بالعطف والظاهر تكرار عن لما فى الشمائل للترمذى باسناده بلفظ عن ابى سلمة عن ابى هريرة وابوسلمة هذا تابعى جليل احد الفقهاء السبعة وهو ابن عبدالرحمن بن عوف الزهرى احد العشرة ويحتمل ان يكون فى ذلك حديث لابى سلمة الصحابى موقوفا اومرفوعا والله اعلم (وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى فيمارواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال اى دائما باعتبار الغلبة فلاينافى تركه على سبيل الندرة وما الطف عبارتها بقولها ديمة فانها فى الاصل المطر الدائم فلا يبعد ان يجعل من التشبيه البليغ مع قصدها المبالغة فى عموم الفائدة (وايكم يطيق ما كان يطيق) اى لما كان له من قوة النبوة الموجبة للمداومة (وقالت) اى فيما روياه عنها ايضا (كان يصوم حتى نقول) بالنصب وروى بالرفع كما سبق وروى بالوجهين مخاطبا والمعنى حتى نظن (لايفطرو يفطر حتى نقول لايصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة) وهى آخر امهات المؤمنين توفيت فى امارة يزيد (وانس وقال) اى كل منهم رضى الله تعالى عنهم لاانس وحده كما اقتصر عليه الانطاكى لكونه اقرب مبنى فان الجمع انسب معنى (كنت) ايها المخاطب (لاتشاء ان تراه مصليا الارأيته مصليا ولانائما) اى ولا تشاء ان تراه نائما (الارأيته نائما) لماورد عنه اما انا فاصلى وانام واصوم وافطر (وقال عوف بن مالك) وهو من اكابر الصحابة وقد روى عنه ابوداود والنسائى والترمذى (كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) ولعله كان فى السفر (فاستاك) اى اول مااستيقظ (ثم توضأ) والظاهر انه اكتفى بالاستياك الاول ثم قام يصلى) اى التهجد (فقمت معه) يحتمل مقتديا ومتابعا (فبدأ) اى القراءة (فاستفتح البقرة) اى بعد الفاتحة لكونها كقدمتها اولبيان الجواز بترك قراءتها (فلا يمر بآية رحمة الاوقف) اى فى موقفها (فسأل) اى الله الرحمة (ولايمر بآية عذاب الاوقف فتعوذ) اى التجأ من العقوبة لكونه واقفا بين مقامى الخوف والرجاء وصفى الفناء والبقاء وملاحظا نعتى الجلال والجمال كما هو حال اهل الكمال (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وفتحها اى لبث فيه (بقدر قيامه يقول سبحان ذى الجبروت) فعلوت للمبالغة من الجبر بمعنى القهر والغلبة فانه هوالقاهر فوق عباده (والملكوت) مبالغة الملك اوباطنه كما ان الملك ظاهره وهذا المعنى متعين عند الجمع بينهما (والكبرياء) اى العظمة

المناسب ذكرها في الركوع ولذا لما نزل قوله سبحانه وتعالى فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم يعني قولوا فيه سبحان ربي العظيم (ثم سجد) اي سجودا طويلا كما هو الظاهر (وقال مثل ذلك) اي نظيره او بعينه لشمول معنى الكبرياء وصف العلاء الملائم ذكره في السجود لانه لما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اي قولوا سبحان ربي الاعلى (ثم قرأ آل عمران) اي في تلك الركعة ايضا او في اخرى وهو الظاهر لقوله (ثم سورة سورة) اي ثم قرأ في كل ركعة سورة (يفعل مثل ذلك) اي من تطويل الركوع والسجود والتسبيح المذكور وغير ذلك (وعن حذيفة مثله) اي مثل حديث عوف كما في مسلم (وقال) اي زيادة على تلك الرواية مع احتمال اطلاعه على غير تلك الحالة (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) اي قريبا من طوله (وقال) اي حذيفة (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) اي في ركعة والظاهر في اربع ركعات بتسليمة او تسليمتين (وعن عائشة) اي برواية الترمذي (قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باية من القرآن) وهي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اقتداء بعيسى عليه الصلاة والسلام في الكلام وايماء الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد المغفرة والرحمة ورفع العقوبة عن جميع امة الاجابة مع التسليم تحت الارادة وانما كررها للتدبر في معناها وما يتعلق بمبناها من آثار القدرة واسرار العزة وانوار الحكمة (ليلة) اي في ليلة من الليالي وهو يحتمل كلها او بعضها والاظهر اكثرها وظاهر القيام ان تكرارها كان في الصلاة حال الوقوف واما ما رواه احمد والنسائي بسند صحيح عن ابي ذر بلفظ قام حتى اصبح باية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم فلا يدل على احياء الليل كله لانه لم يكن من دأبه فيحتمل انه قام من الليل او قام لصلاة التهجد حتى اصبح (وعن عبدالله بن الشخير) بكسر شين وخاء مشددة معجمتين صحابي نزل البصرة وادرك الجاهلية والاسلام فهو مخضرم كما روى ابوداود والترمذي والنسائي عنه (اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي) جملة حالية (ولجوفه) اي صدره (ازيز) بكسر الزاي الاولى اي حنين من البكاء ويراد به هنا الخنين بالخاء المعجمة وهو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف (كازيز المرجل) اي كغليانه وهو بكسر ميم وفتح جيم قدر من نحاس على ما في الصحاح وسمي به لانه اذا نصب كانه اقيم على رجله (وقال ابن ابي هالة) وهو هند ربيبه عليه الصلاة والسلام من خديجة (كان متواصل الاحزان) اي متتابعها لعلمه بشدائد الاحوال وموارد الاهوال حالا ومآلا ولكونه في سجنه سبحانه المقتضي احزانه وما احسن قول ابن عطاء مادمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار واما ما ورد من قوله اعوذبك من الحزن فمحمول على حزن يتعلق بالدنيا كما قال سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم (دائم الفكر) اي في عاقبة الامر (ليست له راحة) لقيامه بما كلف من تحمل اعباء الرسالة ومن وظائف العبادة وقد بسطت تحقيق هذه الاحاديث كلها باعتبار مبناها ومعناها في جمع الوسائل لشرح الشمائل (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) اي فيما رواه مسلم وغيره (اني لاستغفر الله) اي اطلب مغفرته واسئل رحمته (في اليوم) اي الواحد بل ورد عنه في المجلس الواحد (مائة مرة) اي بلفظ استغفر الله او بزيادة الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه او بلفظ رب اغفرلي وتب علي انك انت التواب الرحيم (وروى) كما في البخاري والترمذي (سبعين مرة) وكل منهما يحتمل التحديد والتكثير وكانه صلى الله تعالى عليه وسلم عد اشتغاله بدعوة الامة ومحاربة الكفرة وتألف المؤلفة ومعاشرة الاهل والعشيرة ومباشرة الاكل والشرب وسائر ضرورات المعيشة مما يحجزه عن كمال الحضور وظهور نور السرور الحاصل من مراقبته ومشاهدته ولهذا المعنى لما سئل الشبلي عن سبب سد باب افادته فقال لان اكون طرفة عين مع رب العالمين خير عندي من علوم الاولين والآخرين وقد قال الغزالي ضيعت قطعة من العمر العزيز في تصنيف البسيط والوسيط والوجيز مع ان الاخير هو خلاصة مذهب الامام الشافعي من طريق النووي والرافعي وهذا بالنسبة الى قياس ما ظهر لنا من احوالنا والا فالامر كما روي عن الاصمعي في حديث انه ليغان على قلبي واني لاستغفر ربي من انه لو صدر هذا على قلب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفسرته ولله دراد به حيث عظم قلب حبيب ربه الذي هو مهبط وحيه (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) اي طريقته المبنية على شريعته وحقيقته (فقال المعرفة رأس مالي) لانها المقصودة من اصل الخلقة قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس اي ليعرفون (والعقل اصل ديني) اي بناء مداره ومحل اعتباره (والحب اساسي) اي اساس قلبي في حضوري مع ربي (والشوق مركبي) لان صاحب الشوق وطالب الذوق في سلوك الطائرين وفاقدهما سيره ضعيف في منازل السائرين (وذكر الله انسي) اي مؤنسي وسبب لان يكون جليسي لحديث انا انيس من ذكرني وجليس من ذكرني وفي نسخة انسي بضم فسكون (والثقة) اي بالله كما في رواية يعني ان الاعتماد على ربي

(كنزي) لماورد القناعة كنز لايفني ولما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ماعندكم ينفد وماعندالله باق (والحزن رفيق) حيث انه لاينفك عن قلبي لماسبق من انه كان متواصل الاحزان ولحديث ان الله يحب قلب كل حزين (والعلم سلاحي) لاني احارب به عدوي من نفسي وشيطاني وادفع عني به كيداخواني (والصبر ردآئي) اي موضع تحملي ومحل تجملي وسبب رفعتي وكبريائي (والرضى) بالقصر مصدر وفي نسخة بالمد على انه اسم (غنيمتي) لانه مغتنم في جميع مايجري من القضاء ولذا قيل الرضى بالقضاء باب الله الاعظم وقد قال تعالى ورضوان من الله اكبر وفيه ايماء بان رضى الله والعبد متلازمان لايتصور انهما ينفكان (والعجز فخري) اي افتخر باظهار العجز والافتقار في مرتبة العبودية الى الاحتياج للقدرة والقوة الربوبية كما يشير اليه قوله تعالى والله الغني وانتم الفقرآء ولعل هذا هو وجه ماوقع في نسخة من لفظ الفقر بدل العجز وان قال ابن تيمية ان حديث الفقر فخري كذب وقال العسقلاني انه باطل فان الحكم بوضعه انما هو باعتبار ما وصل من سنده لامن حيث مبناه المطابق معناه لماورد في كتاب الله ولايبعد ان يكون هذا من علي كرم الله وجهه موقوفا بمضمون ماسمعه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض احوال متفرقة مرفوعا (والزهد حرفتي) يعني ان ارباب الدنيا لاجل تمتعها وانتفاعها كل احد يتعلق بحرفة من حرفها لتحصيل طرف من طرفها وانا لقلة ميلي اليها وعدم اقبالي عليها جعلت زهدي عنها كسبي فيها اعتمادا على باريها (واليقين) بجميع مراتبه من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين (قوتي) اي قوة قلبي في معرفة ربي وفي نسخة بسكون الواو اي قوت روحي وسبب زيادة فتوحي (والصدق شفيعي) لماقيل من ان الصدق ينجي ولقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (والطاعة حسبي) اي كفايتي في مرضاة ربي (والجهاد خلقي) بضم وضمتين اي دأبي وعادتي وهو يشمل الجهاد الاكبر والاصغر (وقرة عيني في الصلاة) اي من جملة عباداتي اومن جملة عناياتي بناء على ان المراد بالصلاة العبادة المشهورة اوالدعوة المأثورة (وفي حديث آخر) اي برواية اخرى (وثمرة فؤادي) اي نتيجة معارف قلبي (في ذكره) اي ذكر ربي (وغمي) اي همي الذي يغمني في كل حالتي (لاجل امتي وشوقي الى ربي) اي في نهاية رتبتي فهذه كلمات جامعة معانيها مطابقة لما في الكتاب والسنة والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها الاعن بينة وان لم تكن عندنا بينة واماقول الدلجي قال الائمة موضوع يحتمل ان يكون باعتبار بعض افراده بناء على اختلاف اسناده كما بيناه والله اعلم

﴿ فصل ﴾ اي رابع

(اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء) اي نعوتهم عامة (والرسل) اي خاصة (صلوات الله عليهم) اي كافة (من كمال الخلق) بالفتح وتفسيره قوله (وحسن الصورة وشرف النسب) اي ممايقتضي جمال الحسب (وحسن الخلق) بالضم اي السيرة والسريرة والعشرة مع العشيرة (وجميع المحاسن) اي من الشمائل البهية والفضائل العلية (هي هذه الصفات) اي المتقدم ذكرها في الفصول الماضية ثم هذه الجملة خبر ان واللام فيه للعهد لاكما توهم الدلجي انها للاستغراق المبين بمن (لانها من صفات الكمال والكمال) بالرفع (والتمام) عطف تفسير كما قال الدلجي الا ان بينهما فرقا دقيقا وهو ان التمام مالايتم الشيء الا به حتى لوفقد يسمى ناقصا والكمال ليس كذلك لانه امر زائد على مقدار التمام فتأمل في مقام المرام (البشري) اي المنسوب الى جنس البشر جميعهم (والفضل) اي الامر الزائد على الكمال العرفي (الجميع) مبتدأ خبره (لهم) والجملة خبر لما قبلها من المبتدآت اي من حيث جميعها فيهم لافي غيرهم ومجموعها حاصل لهم في الجملة بحسب المشاركة وان كانت تختلف حالهم في مزية المرتبة بل هو المناسب لحال الملك العلوي ولذا لم يقل والكمال والتمام البشريان (اذ رتبتهم اشرف الرتب) اي رتب الموجودات الان في الملائكة خلافا لبعض الائمة اورتب البشر فهو باجماع الامة وهذا في الدنيا وقوله (ودرجاتهم ارفع الدرجات) اي في العقبى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) اي في الدنيا والآخره (قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) الاشارة الى من يعلمه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام للعهد وانما لم تحمل بالاستغراق لقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك على انه لايبعد انه سبحانه وتعالى اعلم نبيه بجميعهم وان لم يعلمه بقصصهم ثم المراد بالفضيلة هنا هو الامر الزائد على اصل معنى الرسالة لاستوائهم باعتبار تلك الحالة كما يدل عليه بقية الآية منهم من كلم الله اي تفضيلا له كموسى ليلة الحيرة في الطور وكمحمد ليلة المعراج ولعل تخصيص موسى بقوله وكلم الله موسى تكليما لتكرير تكليمه له اولاختصاصه به بالنسبة الى من تقدم كما يشير اليه قوله تعالى ورفع بعضهم اي على جميعهم لاعلى باقيهم كما قاله الدلجي درجات هو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تفضيلا على غيره بمناقب متكاثرة ومراتب متوافره كالدعوة العامة والفضيلة التامه الجامعة بين الرؤية والمكالمة وبين المحبة والخلة وكالآيات الكاملة والمعجزات الظاهرة الشامله فهو المنفرد العلم الاكمل الغني عن البيان في هذا المحل

اوهوابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث خص بالخلة التي هي من اعلى مراتب المقام اوادريس عليه الصلاة والسلام رفعه الله مكانا عليا وقيل بقية اولى العزم من الرسل (وقال ولقد اخترنا هم) اى بنى اسرائيل (على علم) اى بهم (على العالمين) اى عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم والمعنى انا اصطفيناهم عالمين بانهم احقاء باصطفائنا اياهم واذا كان بنوا اسرائيل مصطفين لوجود الانبياء فيهم فبالاولى ثبوت الاصطفاء لهم فتأو يلنا هذا لكلام المصنف اولى من قول الدلجى هذا على توهم جعل الضمير للانبياء والحق جعله لبنى اسرائيل قبله (وقد قال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الشيخان (ان اول زمرة) اى طائفة (يدخلون الجنة) بصيغة المعلوم او المجهول كما قرئ بهما فى السبعة (على صورة القمر) اى فى هيئته من كمال انارته (ليلة البدر) وهى ليلة اربع عشرة سمى بدرا لمبادرته الشمس فى الطلوع اولتمامه فيها (ثم قال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (آخر هذا الحديث) اى فى آخره بعد عد جميع زمره وانما اختصره المصنف لطوله (على خلق رجل واحد) اى كلهم على صورة رجل واحد وهذا على رواية فتح الخاء والاظهر رواية الضم بشهادة رواية اخلاقهم على خلق رجل واحد وبدلالة رواية اخرى لااختلاف بينهم ولا تباغض فى قلوبهم على قلب رجل واحد واغرب الدلجى حيث جعل الرواية الثانية شاهدة لرواية الخلق بالفتح نعم قد يرجح الفتح كما قال الحلبي لظاهر قوله (على صورة ابيهم آدم) اى صورة خلقه ولا يبعد ان يكونوا ايضا على سيرة خلقه خلافا للدلجى حيث اقتصر على الاول فتدبر وتأمل (طوله ستون ذراعا فى السماء) اى فى جهتها احتراسا من طول عرضه من جهة الارض فقد قيل عرضه سبعة اذرع وقيل التقدير وهو فى السماء (وفى حديث ابى هريرة) كما رويناه ايضا (رأيت موسى) اى فى ليلة المعراج اوفى المنام او فى بعض المكشوفات (فاذا رجل ضرب) بفتح فسكون اى خفيف اللحم مستدق الجسم على ماذكره الدلجى تبعا للخليل اومابين الجسمين كما قاله الحلبي وهو الاولى لانه الوصف الاعلى كما ذكره فى الشمائل المصطفى هذا وقد قال ابن قرقول وقع عند الاصيلى بكسر الراء وسكونها معا ولاوجه للكسر كما قاله القاضى وفى حديث آخر مضطرب وهو الطويل غير الشديد وفى صفاته فى كتاب مسلم عن ابن عمر جسيم سبط يحمل على هذا القول الموافق لرواية مضطرب لاعلى كثرة اللحم وانما جاء جسيم فى صفة الدجال (رجل) بكسر الجيم وروى فتحها اى شعره بين الجعودة والسبوطة (اقنى) اى طويل الانف مع ارتفاع وسطه ودقة ارنبته (كانه من رجال شنوءة) بفتح معجمة وضم نون فواو وهمزة وقد تبدل فتدغم قبيلة من اليمن ويمكن الوجهان فى قول الشاعر

﴿ نحن قريش وهمو شنوه * بنا قريش ختم النبوه ﴾

(ورأيت عيسى فاذا رجل ربعة) بفتح راء وسكون موحدة وقد تفتح اى بين الطول والقصر وهو لاينا فى كونه الى الطول اقرب كما هو انسب على مافى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير خيلان الوجه) باضافة الكثير اى شاماته جمع خال وهو نقطة سوداء تكون فى الجسد ويستحسن قليله فى الوجه (احمر) اى ابيض مائل الى الحمرة على ماحقق فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد اختلف فى صفة عيسى عليه السلام فروى ابو هريرة بان عيسى احمر وقال ابن عمر والله ماقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان عيسى احمر وانما اشتبه على الراوى وروى ابن عمر ان عيسى آدم والآدم الاسمر وفى البخارى من طريق مجاهد عن ابن عمر انه احمر فالمراد ماقارب الحمرة والادمة كما قدمنا فانه قد جاء فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم انه اسمر مع انه جاء ايضا كونه ابيض مشربا بالحمرة فتدبر (كانما خرج من ديماس) بكسر الدال وبفتح ويؤيد الاول قولهم اصل يقلب ميمه الاولى ياء لكسر ماقبلها فقيل معناه الكن اوالستر اى كانه مخدر لم ير شمسا وهو بظاهره لايلايم كونه احمر فالصواب ما جاء مفسر فى حديث بانه الحمام وفى الحديث رأيته يطوف بالبيت ثم رأيت بعده الدجال يطوف بالبيت واستشكل بانه كيف ذلك وقد حرم الله عليه دخول مكة واجيب بان التحريم مقيد بوقت فتنته اوحرمت على جسمه وهذا باعتبار روحه وفيه ايماء الى ان مرجع الكل الى باب المولى وان لايقدر احد ان يخرج عن حكمه تعالى (وفى حديث) لم اعرف من رواه كما قاله الدلجى (مبطن) بتشديد الطاء المهملة المفتوحة اى ضامر البطن وان كان قد يطلق على عظيمه (مثل السيف) اى لاستوائهما واعتدالهما كما ذكره الدلجى وغيره فهو تأكيد والاظهر انه نعت مستقل ومعناه انه مثله ضياء وصفاء وفى الشمائل للترمذى فاذا اقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود وهو ثقفى قتله رجل من ثقيف عند تأذينه بالصلاة (قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا اشبه ولد ابراهيم به) بفتح واو ولام وبضم فسكون اى اولاده من الانبياء (وقال فى حديث آخر) على ما رواه البخارى (فى صفة موسى عليه السلام كاحسن) ووقع فى اصل التلمسانى كاشبه (ماانت راء) بكسر همز من غير ياء اسم فاعل من باب رأى وما موصولة اوموصوفة (من ادم الرجال) اى من سمرهم وهو بضم همز وسكون دال مهملة

جمع آدم افعل شديد السمرة قال ابن الاثير الادمة فى الابل البياض مع سواد المقلتين وهى فى الناس السمرة الشديدة وهى من ادمة الارض وهو لونها وبه سمى آدم عليه الصلاة والسلام وقال النضر بن شميل انما قيل لآدم آدم لبياضه وقد استدل بعضهم على ان موسى اسمر بقوله سبحانه وتعالى تخرج بيضاء من غير سوء فدل ذلك على انها خالصة اللون وهذا احسن والله تعالى اعلم (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابو يعلى وابن جرير (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مابعث الله نبيا من بعد لوط الا فى ذروة من قومه) بكسر الذال المعجمة ويروى مثلثة فى رفعة اوفى عزة كما فى حديث سعيد بن منصور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا والمعنى فى منعة وحرمة وغلبة ونصرة (ويروى فى ثروة) بفتح المثلثة (اى كثرة) اى توجب غلبة (ومنعة) بفتحتين ويسكن النون اى قوة تمنع المذلة وقيل المنعة بالتحريك جمع مانع اى جماعة يمنعونه ويحمونه من اعدائه هذا والتقييد ببعدية لوط يفيد انه لم يكن فى منعة كما يشير اليه قوله لو ان لى بكم قوة اى بدنية او آوى الى ركن شديد اى قبيلة قوية واستشكل الدلجى قوله تعالى لليهود فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولو كانوا فى منعة لما قتلوا منهم ببيت المقدس فى يوم واحد سبعمائة نبى انتهى ويمكن دفعه بان منعتهم مقيدة بكونهم فى قبيلتهم والقضية واقعة فى غير محلتهم او المراد بالمنعة ماتعلق به من امر النبوة ومخالفة الامة مع انه قد تكون المغلوبية لارباب المنعة (وحكى الترمذى) بل روى فى الشمائل (عن قتادة) اى مرسلا (ورواه الدارقطنى) وهو الحافظ المشهور امام المحدثين فى زمانه تفقه على الاصطخرى وسمع البغوى وروى عنه الحاكم وغيره منسوب الى دار قطن محلة ببغداد (من حديث قتادة عن انس رضى الله تعالى عنه) اى موقوفا (مابعث الله نبيا الاحسن الوجه) فحسن الوجه يدل على معروف صاحبه كما قيل الظاهر عنوان الباطن وقد انشد

﴿يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه اهدى الدلائل﴾

وقد روى الدارقطنى فى الافراد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا ابتغوا الخير عند حسان الوجوه ورواه الطبرانى بلفظ التمسوا وقبح الوجه على عكسه باعتبار مفهومه كما قيل

﴿يدل على قبح الطوية مايرى * بصاحبها من قبح بعض ملامحه﴾

والظاهر ان الامرين غالبيان لتصور خلافهما فى بعض افراد الانسان وفى الحديث اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى فالجمع بينهما كمال الجمال (حسن الصوت) قال تعالى يزيد فى الخلق مايشاء قرئ بالحاء المهملة وان كانت المعجمة لهما شاملة (وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا) اى من الكل فيشمل حسن صورة يوسف وصوت داود باعتبار الصباحة والملاحة وزيادة البلاغة والفصاحة هذا وقد قيل يوسف اعطى شطر حسن آدم وقيل شطر حسن جدته سارة لانها لم تفارق الحور الا فيما يعترى الآدمية من الحيض وغيره وقد اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كمال الجلال والجمال من تمام الصباحة فما رآه احد الا هابه ومن تمام الملاحة فما رآه احد الا احبه وفى الحديث دلالة على جواز مثل هذه الاضافة اذا لم يرد بها المهانة او البراءة (وفى حديث هرقل) على ما فى الصحيحين من انه قال لابى سفيان (وسألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب) والزعم قد يستعمل بمعنى القول ولعله استعمل بمعنى الظن لما يوهم من معنى التهمة اولان امر النسب مبنى على غلبة الظن لا على الحقيقة كما روى عن ابن سلام فى قوله تعالى الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقد رفع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الوهم فى نسبه بما ورد عنه فى احاديث مضمونها انى ولدت من اب الى اب الى آدم كلهم من نكاح ليس فيهم سفاح وهذا كله على مقتضى ماوقع فى اصل الدلجى واما على ماصح عندنا من النسخ المعتمد فذكرت انه فيكم فلا اشكال (وقال تعالى فى ايوب) اى فى نعته (انا وجدناه) اى علمناه او صيرناه (صابرا) بتخليقنا او بتوفيقنا (نعم العبد) اى ايوب مبتدأ خبره ماقبله وخص بالمدح لصبره على بلائه ورضاه بقضائه ولا يضره شكواه مابه من ضر الى مولاه (انه اواب) اى كثير الرجوع الى الله وقال الانطاكى اى تواب والتحقيق هو الفرق بين اواب وتواب بان التوبة عن المعصية والاوبة عن الغفلة قيل كان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرب نوى وقربه عين جارية يتبركون بها على زعم انها المذكورة فى القرآن (وقال يايحيى خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) اى بجد وجهد ومبالغة فى مواظبته (الى قوله ويوم يبعث حيا) وهو قوله سبحانه وتعالى وآتيناه الحكم اى الحكمة او النبوة او المعرفة بالسر يعة صبيا وحنانا من لدنا اى رحمة وشفقة منا عليه او رحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وزكاة اى طهارة او نماء ورفعة وكان تقيا اى عن المعاصى نقيا وبرا بوالديه اى مبالغا فى برهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاقا وسلام اى من الله عليه يوم ولد اى من ان يمسه الشيطان كغيره من بنى آدم كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ويوم يموت اى من ضمة القبر ونحوها اى حين يدفن فى حجرته عليه السلام ويوم يبعث حيا من هول القيامة وخوف العقوبة قال سفيان بن عيينة اوحش مايكون الانسان فى هذه الاحوال الثلاثة يوم ولد

فيخرج مما كان ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه فى محشر لم يرنفسه فيه فخص يحيى بالسلامة فى هذه المواطن قلت ولعل وجه تخصيصه ماروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مامن احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام (وقال تعالى ان الله يبشرك) من التبشير او البشارة لثبوتهما فى السبعة (بيحيى الى الصالحين) يعنى قوله مصدقا بكلمة من الله اى مؤمنا بعيسى وسيدا اى رئيسا فى قومه وحصورا غير مائل الى الشهوة ونبيا من الصالحين اى القائمين بحقوق الله وحقوق عباده اجمعين (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا) اى اختارهما (وآل ابراهيم) اى اسمعيل واسحق واولادهما ومنهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسمعيل ويدخل ابراهيم فى من اصطفى دخولا اوليا كما لا يخفى (وآل عمران) اى موسى وهرون ابنى عمران بن يصهر او عيسى وامه بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة على ما ذكره الدلجى (الآيتين) يعنى قوله على العالمين اى على عالمى زمانهم او على المخلوقين جميعهم ذرية اى حال كونهم ذرية واحدة بعضها من بعض فى الديانة والله سميع عليم باقوالهم واحوالهم فاصطفاؤهم لعلمه بهم (وقال فى نوح انه كان عبدا شكورا) حامدا لله فى جميع حالاته مع القيام بوظائف طاعاته قيل كان نوح عليه الصلاة والسلام اذا اكل طعاما اوشرب شرابا اولبس ثوبا قال الحمد لله فسمى عبدا شكورا اى كثير الشكر (وقال) اى بعد قوله تعالى اذ قالت الملائكة يامريم (ان الله يبشرك) بالوجهين (بكلمة منه) اى بوجود من يخلق بامر كن من عنده سبحانه بغير واسطة وجود اب (اسمه المسيح) مبتدأ وخبر اى مسح بالبركة والميمنة او مسح الارض بالسياحة (الى الصالحين) وهو قوله عيسى بن مريم وجيها حال مقدرة اى ذا وجاهة فى الدنيا بالنبوة والآخرة بالكرامة والشفاعة ومن المقربين فى الحضرة وصحبة الملائكة وعلو الدرجة فى الجنة ويكلم الناس اى ومكلما لهم فى المهد وكهلا اى طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير قصور فى الحالين من تغير الانباء ومن الصالحين فيه اشارة الى ان مرتبة الصلاح غاية الفوز والفلاح (وقال تعالى) اى حكاية عن عيسى (انى عبد الله) انطقه الله به فى اول الحالات لكونه مبدأ المقامات وليكون ردا على من زعم الوهيته من اهل الضلالات (آتانى الكتاب) اى الانجيل (الى مادمت حيا) اى قوله تعالى وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اى نفاعا للغير معلما للخير اين ما كنت واوصانى اى امرنى بالصلاة والزكاة اى ان ملكت مالا او بالصدقة على حسب الطاقة او طهارة النفس من الخيانة مادمت حيا اى فى مدة حياتى الى ساعة مماتى (وقال) اى فى حق موسى عليه الصلاة والسلام (ياايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى الاية) يعنى فبرأه الله مما قالوا اى حيث قذفوه بعيب فى بدنه برصا او ادرة لفرط تستره حياء على وفق طبعه وشرعه فاطلعهم الله على براءته منه ونزاهته عنه وكان عند الله وجيها اى ذا وجاهة وقربة عند ربه عندية مكانة لا مكان لتنزهه سبحانه وتعالى (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان (كان موسى رجلا حييا) بكسر التحتية الاولى وتشديد الثانية فعيل بمعنى شديد الحياء فى جميع الاحوال (ستيرا) بكسرتين مع تشديد الثانية اى كثير التستر فى حال الاغتسال وفى نسخة صحيحة بفتح فكسر تحتية مخففة قال ابن الاثير ستير فعيل بمعنى فاعل اقول واختيار المبالغة ابلغ وانسب بقوله (مايرى من جسده شئ استحياء) وفى نسخة استحياء اى لاجل كمال حيائه من رفقائه (الحديث) وتمامه قوله عليه الصلاة والسلام فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ماتستر هذا التستر الا عن عيب بجلده اما برص او ادرة وهى بالضم نفخ الخصية وان الله اراد ان يبرئه فخلا يوما وحده اى منفردا ليغتسل فوضع ثوبه اى جبته وهو المناسب لدفع الادرة او ازاره عن ازاره ان كان البرص على زعمهم فوقه ففر الحجر اى بعد فراغه من غسله ويحتمل كونه من قبله فجمح بجيم فميم مفتوحة فحاء مهملة اى اسرع فى اثره يقول اى قائلا ثوبى اى القه اورده ياحجر حتى انتهى اى مشيه ووصل الى ملأ بنى اسرائيل فرأوه عريانا احسن خلق الله حالان من ضمير رأوه اذ الرؤية بصرية ليس لها الا مفعول واحد فقالوا والله مابموسى من بأس فاخذ ثوبه اى من فوق الحجر وقد ضربه حيث فر ولعله سبحانه وتعالى به امره فو الله ان بالحجر لندبا بفتح النون والدال المهملة والموحدة اى تأثيرا من اثر ضربه ثلاثا صفة لاسم اى مبينة لعدده وفى رواية اواربعا اوخمسا والظاهر ان الجملة القسمية من تمام الحديث وجوز الدلجى ان تكون مدرجة فيه من كلام الراوى لكن ليس فيه مايشعر به ولا ما يمجه وفى الحديث جواز الغسل عريانا فى الخلوة وان كان الافضل ستر العورة وبه قال الائمة الاربعة وفيه ايماء الى ابتلاء الانبياء والاولياء بايذاء السفهاء وصبرهم عليه فى حال البلاء وان الانبياء منزهون من النقائص خلقا وخلقا (وقال تعالى عنه) اى حكاية بعد قوله ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لى ربى حكما) اى نبوة وعلما (الاية) تمامها وجعلنى من المرسلين (وقال فى وصف جماعة منهم) موسى مدحا لهم (انى لكم رسول امين وقال) اى حكاية لقول بنت شعيب فى حق موسى (ياابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) روى ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلاله الحجر الثقيل الذى لايحمله الا اربعون او عشرون

وغضد البصرحين بلغته الرسالة وامره ابا ها بان تمشي ورائه وتدله بالحجارة ان اخطأ تلقائه (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) تقدم انه منهم ومن افضلهم اوهذا الوصف يعمهم (وقال ووهبناله) اى لابراهيم (اسحق) اى ابنه (ويعقوب) بن اسحق سبطه (كلا) اى منهما (هدينا الى قوله) اى فى كلام يطول منهيا الى قوله اجمالا (فبهداهم اقتده) بهاء السكت وفى قراءة ابن عامر بكسرها وفى رواية لابن ذكوان باشباعها على انه ضمير راجع الى المصدر وقرأ حمزة والكسائى بحذف الهاء وصلا والكل بسكونه وقفا والمعنى اقتد بطريقتهم وسيرتهم وسر برتهم او بما توافقوا عليه من امر التوحيد والنبوة والبعثة وامثالها دون الفروع المختلف فيها اذ لبست مضافة الى كلهم مع عدم امكان الاقتداء فى جميعها بهم لتباين احكامهم (فوصفهم) اى الله سبحانه وتعالى (باوصاف) اى لنعوت معنوية لا كما توهم الدلجى من زيادة حسية (جمة) اى كثيرة (من الصلاح) من بيانية وهو مستفاد من قوله وكل من الصالحين (والهدى) اى من صدر الاية وختمها (والاجتباء) من قوله واجتبيناهم (والحكمة) اى الحكم والنبوة من قوله تعالى اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة وكان ينبغى ان يذكر نعت الاحسان قبل الصلاح فانه مستفاد من قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين (وقال فبشرناه) اى ابراهيم (بغلام عليم) اى كثير العلم (وحليم) اى وفى آية اخرى بغلام حليم اى ذى حلم وحاصله انه جامع بين العلم والحلم ولا يخفى حسن تقدم العلم ولعل هذا وجه تقديم المصنف له مع ان ترتيب القرآن عكس ذلك حيث جاء فى الصافات حليم بالحاء وفى الذاريات عليم بالعين على احتمال خلاف ذلك باعتبار حال النزول لكن كان حقه ان يقول فبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم فان ما فعله اقتصار مخل لاسيما اقتصاره على قوله فبشرناه فانه لا يصح الا مع قوله بغلام حليم بالحاء والا فيلزم منه التركيب الممنوع فى علم القراءة كالتلفيق المنهى فى المعاملة ثم المبشر به اسمعيل وهو اصح من القول بانه اسحق وقد تقدم والله تعالى اعلم (ولقد فتنا) اى امتحنا (قبلهم) اى قبل كفار مكة (قوم فرعون) اى معه بارسال موسى اليهم وايقاع الفتنة بالامهال فى العقوبة وتوسعة الرزق عليهم (وجاءهم رسول كريم) اى على الله والمؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (انى امين) وهو قوله ان ادوا الىّ اى حق الدعوة من الاجابة وقبول الطاعة عباد الله اى يا عباد الله او سلموهم الىّ وارسلوهم معى الى حيث ما امر الله انى لكم رسول امين غير متهم فى امر الدين (وقال) اى حكاية عن اسمعيل خطابا لوالده ابراهيم عليهما السلام عند قصد ذبحه بامر ربه لما رأى فى نومه (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) اى على حكم الله وقضائه اوفى ابتلائه من امر بذبحه (وقال فى اسمعيل انه كان صادق الوعد) وخص به لانه وعد بالصبر على ذبحه وقد وفى بوعده (الايتين) اى تمامها وهو قوله وكان رسولا اى الى قبيلة جرهم نبيا لعله اخر للفاصلة اودفعا لتوهم كونه رسولا بالواسطة كقوله سبحانه وتعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين اى من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام وكان يأمر اهله اى اهل بيته او جميع امته بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا اى فى مقاله وفعاله وحاله (وفى موسى) اى وقال فى حقه (انه كان مخلصا) اى لربه فى عبادته عن الرياء وعن متابعة هواه بل طالبا لرضاه اذ اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وفى قراءة للسبعة بفتح اللام اى اخلصه الله واختاره لنفسه واجتباه وهذا اكمل مقام فى منازل السائرين وافضل حال فى مراحل الطائرين وتمام الاية وكان رسولا نبيا (وفى سليمان نعم العبد) اى قال فى حقه هذا القول (انه اواب) اى كثير الرجوع الى رب الارباب (وقال) اى فى حق جماعة منهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا فالمراد به ابراهيم لخصوصية اوالاضافة جنسية فتوافق الجمعية وهو اولى كما لا يخفى (اولى الايدى والابصار) اى اصحاب القوة فى مباشرة الطاعات العملية وارباب البصيرة فى الامور العلمية وفيه تعريض بالبطلة والجهلة الواقعين فى تحصيل الشهوات النفسانية واللذات الحيوانية (الى الاخيار) يعنى قوله سبحانه وتعالى انا اخلصناهم بخالصة اى جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لهم هى ذكرى الدار اى دار القرار لما فيها من قرب الجوار كما قال مجنون العامرى شعر

﴿ وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا ﴾

فالخواص لا يذكرون الجنة ولا يطلبونها بالمرة الا لما فيها من وعد الرؤية ومنزلة القربة وقرأ نافع وهشام باضافة الخالصة اضافة بيانية وانهم عندنا لمن المصطفين اى المجتبين بين امثالهم الاخيار اى المختارين بافعالهم واحوالهم (وفى داود انه اواب) اى حيث كان يفطر يوما ويصوم يوما وينام بعض الليل ويقوم بعضه (ثم قال وشددنا ملكه) اى قويناه بالهيبة وكثرة الجنود فى الخدمة ودوام النصرة والغلبة (وآتيناه الحكمة) اى اتقان العلم والعمل او الحكومة والنبوة (وفصل الخطاب) اى الخصام بتمييز الحق عن الباطل فى الاحكام او الكلام المخلص الذى يتبينه المخاطب فى كل باب اوقوله اما بعد فى كل خطبة اوفى اول كل كتاب (وقال عن يوسف) اى اخبارا عما خاطب به الملك بقوله

(اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) فدل على غاية حفظه ونهاية علمه بتقرير الحق سبحانه وعظم شانه وقد روي عن مجاهد ان الملك اسلم على يديه اي لما رأى من وفور علمه وحفظه وشفقته وحسن جنده على خلق الله من خاصة وعامة حتى ما كان يشبع في حالته مع وجود الخزائن تحت تصرفه وحيز ارادته مما شهدت اموره الخارقة عن العادة بصحة نبوته ورسالته (وفي موسى) حيث قال الخضر (ستجدني ان شاء الله صابرا) اي معك غير منكر لك وتعليق الوعد بالمشية للاشارة الى ان افعال العباد جارية على وفق الارادة الالهية (وقال تعالى عن شعيب) لعل المصنف اختار تزيين التلويح والتفنن في مقام التحسين فتارة عبر بفي واخرى بعن (ستجدني) اي مخاطبا لموسى (ان شاء الله من الصالحين) اي في حسن المعاملة والوفاء بالمعاهدة والمعاشرة بالمجاملة والتعليق للاتكال على توفيقه سبحانه وتعالى ومعونته لا للاستثناء في معاهدته بكونه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فان هذا ليس من شان الكمل (وقال) اي في حقه ايضا (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه) من قولهم خالفت فلانا الى كذا اذا قصدته مع اعراضه عنه والمعنى ما اريد ان آتي ما انهيتكم عنه لاستبد به لعلمي بانه خطأ وفي ارتكابه خطر فلو كان صوابا لآثرته ولم اتركه فضلا عن ان انهى غيري عنه (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) اي ما اريد بامركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر الا حصول الصلاح ووصول الفلاح ما دمت استطيعه والقدر الذي اطيقه قال الثعلبي نقلا عن عطاء وغيره انه من نسل مدين ابن ابراهيم الخليل ويقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وعمي في آخر عمره قال قتادة بعثه الله رسولا الى امتين مدين واصحاب الايكة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان شعيبا كان كثير الصلاة فلما طال تمادي قومه على كفرهم بعد المعجزة وكثرة المراجعة وآيس من صلاحهم ورجوعهم الى فلاحهم دعا الله عليهم بقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين فاستجاب الله للدعوة واهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة واهلك اصحاب الايكة بعذاب الظلة قال السمعاني في الانساب قبر شعيب في خطين وهي قرية بساحل بحر الشام وعن ابن وهب ان شعيبا ومن معه من المؤمنين ماتوا بمكة وقبورهم غربيها بين دار الندوة وبين باب بني سهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر اسمعيل في الحجر وقبر شعيب مقابل الحجر الاسود انتهى وما صح قبر نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام غير قبر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايماء الى ان غيره من الانبياء كالبدور السائرة المستورة عن عين الشهود عند ظهور نور شمس دائرة الوجود (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) اي حكمة ونبوة وحكومة في الخصومة قال الثعلبي نقلا عن وهب بن منبه خرج لوط من ارض بابل في العراق مع عمه ابراهيم تابعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة امرأة ابراهيم عليه السلام وخرج معهما آزر ابو ابراهيم مخالفا لابراهيم في دينه مقيما على كفره حتى وصلوا حوران فمات بها آزر فمضى ابراهيم وسارة ولوط الى الشام ثم مضوا الى مصر ثم عادوا الى الشام فنزل ابراهيم فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم وما يليها وكانوا الفا يأتون الفوا حش قال ابو بكر بن عياش عن ابي جعفر استغنت رجال قوم لوط يوطئ رجالهم واستغنت نساؤهم بنسائهم (وقال انهم) اي الانبياء المذكورين في سورتهم (كانوا) اي بجملتهم (يسارعون في الخيرات) اي يبادرون الى الطاعات (الاية) وهي قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا اي للرغبة في المثوبة والقربة والرهبة عن العقوبة بالحرقة والفرقة وكانوا لنا خاشعين اي خاضعين او لاجلنا مع خلقنا متواضعين او خائفين وجلين حزنين ولعله اشار الى هذا المعنى بقوله (قال سفيان) اي الثوري او ابن عيينة وهما تابعيان جليلان وجزم التلمساني بالاول (هو) اي معنى الخشوع (الحزن الدائم) اي المورث للمسارعة الى الخير (في آي كثيرة) متعلق بقوله وقال تعالى في ايوب اي قد ورد ما ذكر من الايات الشاهدة على شرف حالهم وكمال جمالهم مما هي نبذة يسيرة مندرجة في آيات كثيرة لا يمكن احصاؤها واتيانها باسرها (ذكر فيها من خصالهم) اي بعض نعوتهم الشاهدة على جميل حالهم (ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك) اي من قبيل ما ذكر في الآيات (في الاحاديث كثير) مما ينبغي ان يروى منها قدر يسير (كقوله) اي على ما رواه البخاري وابن حبان والحاكم (وانما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم) وفي اتيان انما ايماء بحصر كرم النسب وشرف الحسب فيه اذ لم يتفق لاحد انه (نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي) غيره مع ايذان تعريف المبتدأ والخبر به ايضا لتأكيده فلا ينافيه ما رواه احمد والبخاري عن ابن عمر واحمد ايضا عن ابي هريرة بلفظ ان الكريم الخ مع انه اوفق لموازنة ما بعده حتى قيل انه موزون بلفظه ثم الظاهر ان قوله نبي ابن نبي الخ مدرج من كلام الراوي او تفسير للقاضي (وفي حديث انس) اي كما رواه البخاري بعد قوله تنام عيني ولا ينام قلبي (وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) اي فلا ينطرق اليهم ما يحجزهم من اشراق الانوار الاحدية او يحجبهم عن الاسرار الصمدية (وروى) اي من طريق الطبراني عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا

(ان سليمان كان معما) ويروى فيما (اعطى من الملك) مما يقتضى تكبرا وتجبرا وترفعا (لايرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا) اى لله كما فى نسخة (وكان) اى سليمان على ماروى احمد فى الزهد عن فرقد السنجى (يطعم الناس لذيذ الاطعمة) وفى اصل التلمسانى لذائذ جمع لذيذة وهو مايوافق الطبع وبلا ثمه (ويأكل خبز الشعير واوحى اليه) وفى نسخة واوحى الله تعالى اليه (يارأس العابدين) اى من الملوك اوالموجودين (وابن محجة الزاهدين) اى على غيره وفى نسخة محجة بفتحات وتشديد جيم اى مجمعهم اومعظم طريقهم وفيه غاية المبالغة (وكانت العجوز) ووقع فى اصل الدلجى وان كانت فقال هى المخففة من المثقلة (تعترضه) اى تأتيه من عرض طريقه (وهو على الريح فى جنوده) اى وهو معهم فى تلك العظمة (فيأمر الريح) اى بالوقوف لاجلها (فتقف) اى بامره لها (فينظر فى حاجتها) اى يتأمل فيها ويقضى بها (ويمضى) اى يتوجه الى مقصده (وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض) جملة حالية (قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع) اى جنس الجايعين واغفل عن تفقد المحتاجين وفى نسخة الجياع بكسر الجيم جمع الجيعان (وروى ابوهريرة عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى (خفف على داود القرآن) اى قراءة الزبور (فكان يأمر بدوابه) اى لاجله واصحابه وروى بدابته فيحتمل اضافة الجنسية لكن ارادة الواحدية ابلغ فى مقام خرق العادة (فتسرج له فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) اى فيختمه فى زمن يسير مع انه كتاب كبير بناء على خرق العادة من بسط الزمان اوطى اللسان وقد وقع نظير هذا لبعض اكابر هذه الامة (ولايأكل الامن عمل يده قال الله تعالى وألنا له الحديد) اى كالشمع يتصرف فيه كيف يشاء من غير طرق واحماء (ان اعمل) بان المصدرية بتقدير الباء السببية اى واوحينا اليه اوامرناه ان اعمل فان مصدرية اومفسرة واما قول التلمسانى ان التقدير تكلف لعدم الدليل على الحذف ففى غير محله نشأ من قلة تأمله (سابغات) اى دروعا واسعات (وقدر فى السرد) اى اجعله على قدر الحاجة فى النساجة والسرد فى اللغة اتباع الشئ بالشئ من جنسه ومنه سرد الحديث والمعنى لاتصغر حلقه فتضيق حال لابسها ولا توسعها فينال لابسها من خلالها وقيل لاتقصد الحصافة فتثقل فى الجملة ولا الخفة فتزيل المنعة وفى البخارى ولا تدق المسمار فيتسلس هو من قولهم سلس اى لين وروى فيتسلسل اى فينصل فيسرع كسره بانه قاقه (وكان سأل ربه ان يرزقه عملا يغنيه عن بيت المال) اى فعلمه الله صنعة الدرع وسبب ذلك ماروى عنه انه كان يسئل الناس عن نفسه فيثنون عليه فرأى ملكا فى صورة آدمى فسأله فقال نعم الرجل الا انه يطعم عياله من بيت المال قيل وكان عليه الصلاة والسلام بعد ذلك يأخذ الحديد بيده فيصير كالعجين فيعمل منه الدرع فى بعض يوم يبيعها بالف درهم فيأكل ويتصدق ويجعل ثلثه فى بيت المال (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان واحمد وابو داود والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر (واحب الصلاة) اى انواع صلاة الليل (الى الله صلاة داود واحب الصيام) اى صيام النافلة (الى الله صيام داود وكان ينام) كذا فى النسخ والاظهر كان بلا عاطفة ليكون بيانا لقضية سالفة اى كان ينام (نصف الليل) للاستراحة الموجبة للتقوية على العبادة (ويقوم ثلثه) من اول النصف الثانى لانه افضل اجزائه (وينام سدسه) لينشط لعبادة اول نهاره (ويصوم يوما ويفطر يوما) امارعاية لحالة الاعتدال لئلا يضعف بالصوم على وجه الاتصال اولتتصور له مداومة الاعمال ففى الصحيحين احب الاعمال الى الله ادومها وان قل ولئلا يصير الصوم عادة فلا يتخلص عبادة اولان هذه الكيفية اشق على النفس والاجر على قدر المشقة ثم فى الجملتين الاخيرتين بيان علية الاحب فى المقدمتين ولفظ الجامع الصغير احب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه انتهى (وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر) اى نفسه اومايصنع منه تواضعا به ولذا اختاره الصوفية (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) ولعله اراد به مااختلط بالخبز واستهلك فيه والافاكل الرماد حرام لمافيه من مضرة العباد (ويمزج شرابه بالدموع) كما رواه ابن ابى حاتم عن وهب بن منبه ومجاهد موقوفا (ولم يرضاحكا بعد الخطيئة) اى المعهودة المسماة بالخطيئة وان لم تكن خطيئة فى الحقيقة الاان حسنات الابرار سيئات الاحرار اذلم يثبت عنه سوى انه خطب امرأة كان قد خطبها اوريا فزوجها اهلها من داود رغبة فيه اوسأله ان ينزل له عنها فتزوجها وكان ذلك فى زمانه عادة لهم فارسل الله اليه ملكين تنبيها له على ان ذلك خلاف الاولى فيما هنا لك لاستغنائه بتسع وتسعين امرأة فلما تنبه فى هذا الباب استغفر ربه وخر راكعا واناب وقد بالغ فى تضرعه وبكائه لماله من عظيم المرتبة وكريم المنزلة فى مقام حياته (ولاشاخصا ببصره) اى ولارؤى رافعاله مع تحديد نظره (الى السماء) اى الى جهتها وفى نسخة نحو السماء (حياء من ربه) اى لكمال قربه والحديث رواه احمد فى الزهد عن عطاء بن السائب عن ابى عبد الله الجدلى بلفظ مارفع داود رأسه الى السماء بعد مااصاب الخطيئة حتى مات وبهذا الرواية مع ماقدمناه من الدراية اندفع قول الحلبى لوقال القاضى غير هذه العبارة كان احسن (ولم يزل باكيا حياته كلها)

اى فى جميع مدة عمره الى حالة مماته بعد تلك الواقعة (وقيل بكى) بل روى ابن ابى حاتم عن انس رضى الله تعالى عنه مرفوعا ومن مجاهد وغيره انه بكى (حتى نبت العشب) بضم فسكون هو الحشيش (من دموعه) اى من كثرة وقوع دموعه على الارض (وحتى اتخذت الدموع فى خده اخدودا) اى شقا مستطيلا ممدودا والمعنى اثرت فى خده اثرا كالشق والحفر الطويل فى الارض ومنه قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وهو مفرد جمعه اخاديد (وقيل) كما فى الكشاف وغيره (كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه) اى فى غيبته (فيزداد تواضعا) اى لربه شكر المزيد نعمته (وقيل لعيسى عليه السلام) كما روى احمد فى الزهد وابن ابى شيبة فى مصنفه (لو اتخذت لك حمارا) اى لو اخترته لتركبه احيانا عند الحاجة اليه (قال انا اكرم على الله من ان يشغلنى بحمار) اى بان يتعلق قلبى به وبكلفته وخدمته ويشغلنى بفتح الغين فان الاشغال لغة رديئة (وكان) كما روى احمد فى الزهد عن عبيد بن عمير ومجاهد والشعبى وابن عساكر فى تاريخه انه كان (يلبس الشعر) اى ثوبه (ويأكل الشجر) اى ورقه (ولم يكن له بيت) اى مسكن يأوى اليه (اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامى) جمع الاسماء (اليه ان يقال له مسكين) وقد رواه احمد فى الزهد عن سعد بن عبد العزيز بلفظ بلغنى انه ما من كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم احب اليه من ان يقال هذا المسكين (وقيل) كما رواه احمد ايضا فى الزهد وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه موقوفا (ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين) سمى بابن ابراهيم الخليل (كانت ترى خضرة البقل) اى الذى كان يأكله بعد خروجه من مصر خائفا يترقب متوجها الى مدين (فى بطنه من الهزال) بضم الهاء نقيض السمن على ما فى القاموس فبطل قول التلمسانى هو الضعف قيل وصوابه لو قال من الطوى او الجوع انتهى ولا يخفى بعده عن المدعى وهو متعلق بقوله كانت ترى وتعليله كما ترى (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الحاكم وصححه عن ابى سعيد مرفوعا (لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم بالفقر) اى بشدة الحاجة فى مطعمه (والقمل) اى بكثرته فى ثوبه وبدنه (وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم) رضى بقضاء المولى وعلما بان ما عند الله لهم خير وابقى وقد اورد المؤلف هذا الحديث فى الفصل الاخير من القسم الثالث بطريق آخر وهو قوله وفى حديث ابى سعيد ان رجلا وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى قوله فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبى ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبى ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء (وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لخنزير لقيه اذهب بسلام) اى منا ومنك (فقيل له فى ذلك) استعظاما لمرتبته مع الخنزير فى حقارته (فقال اكره ان اعود لسانى المنطق بالسوء) اى النطق به لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى احسن ولقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وقال مجاهد) كما رواه ابن ابى حاتم واحمد فى الزهد عنه (كان طعام يحيى العشب) اى زهدا وقناعة ورفضا للنعمة (وكان) اى مع ذلك (يبكى من خشية الله عز وجل) اى مخافته مع انه قط ماهم بمعصية (حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده) اى موضع جرى كالنهر فى وجهه من اثر دمعه لشدة معرفته بربه لقوله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس) لان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس (وحكى الطبرى) وهو الامام محمد بن جرير (عن وهب) اى ابن منبه (ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش) هو بيت من عيدان تنصب ويظلل عليها قال التلمسانى هو بسقوط لا فى اصل القاضى وبثبوته فى رواية العراقى اى لا يستظل انتهى ولا يخفى بعده وعدم مناسبته لما بعده من قوله (ويأكل فى نقرة) بضم نون وسكون قاف اى حفرة ومنه نقرة القفاء (من حجر) اى بدلا من ظرف خشب او خزف (ويكرع) بفتح الراء (فيها) اى يأخذ الماء بفيه من غير كف ولا اناء فيشرب به منها (اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة) اى حين لم تلق وعاء الماء (تواضعا لله) اى لاكرامه (بما اكرمه الله من كلامه) وفيه ايماء الى ان زهده هذا كان مستمرا الى كماله وآخر حاله (واخبارهم) اى آثار الانبياء (فى هذا كله) اى فى هذا المعنى جميعه (مسطورة) اى مكتوبة ومضبوطة ومحفوظة (وصفاتهم فى الكمال) اى فى كمال ذواتهم (وجميل الاخلاق وحسن الصورة) ووقع فى اصل التلمسانى الصور جمع الصورة وهو الانسب لجمع ما قبله من الاخلاق وما بعده من قوله (والشمائل معروفة مشهورة) اى مذكورة فى محلها وقد سئل محمد بن سالم بماذا يعرف الاولياء فى الخلق فقال بلطف لسانهم وحسن اخلاقهم وبشاشة وجوههم وسخاء انفسهم وقلة اعتراضهم وقبول عذر من اعتذر اليهم وتمام الشفقة على اخوانهم (فلا نطول بها) اى بذكر جميعها (ولا نلتفت) ايها المخاطب (الى ما تجده فى كتب بعض المؤرخين) بالهمز والواو اى المدعين علم تواريخ الانبياء وغيرهم (والمفسرين) اى التابعين لهم فيما نقلوه من اخبارهم (مما يخالف هذا) اى الذى ذكرناه عنهم فى سيرهم الثابتة عن علماء السلف وخيارهم

﴿ فصل ﴾

(قد آتيناك) بالمد اى اعطيناك واعلمناك وفى نسخة صحيحة اتيناك بالقصر اى جئناك والاول اولى لقوله بعد الجملة المعترضة

الدعائية وهى قوله (اكرمك الله من ذكر الاخلاق الجيدة) اللهم الا ان يدعى ان من بمعنى البا ثم الاخلاق الجيدة هى الشمائل السعيدة (والفضائل الحميدة) اى الكريمة العظيمة (وخصال الكمال العديدة) جمع خصلة بمعنى الخلة بفتح اى المعدودة المتعددة الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (واريناك) اى اظهرنا لك (صحتها) اى صحة روايتها ونسبة ثبوتها المناسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وجلبنا) بجيم فلام فموحدة اى اوردنا ورويناو وتصحف على الدلجى بقوله وحكينا (من الآثار ما فيه مقنع) بفتح ميم ونون اى ما يقنع به ويكتفى بذكره (والامر) اى الشان (فى مناقبه اوسع) اى اكثر من ان يذكر هنا جميع مراتبه (فمجال هذا الباب) بالجيم وزيادة الميم اى سعته وكثرته (فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من جهة نعته وصفته (ممتد) اى طويل لا يكاد ينتهى الى حد معتد (ينقطع دون نفاده) بفتح نون ثم دال مهملة اى قبل تصور فراغه او من غير تحقق فنائه وجوز اعجام الدال بمعنى مضيه (الادلاء) جمع ادلة جمع دليل اى دال على مساحة البر (وبحر علم خصائصه) اى الذى لسعته وكثرته (زاخر) اى ممتلىء كثير ممدود عرضا وطولا قال التلمسانى ووصف ابن عباس عليا رضى الله تعالى عنهم فقال هو قمر باهر فى ضوئه وبهائه واسد خادر فى شجاعته ومضائه وفرات زاخر فى جوده وسخائه وربيع باكر فى خصبه وحيائه وروى عن على رضى الله تعالى عنه انه وصف به رسول صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تكدره الدلاء) جمع دلو اى لا تؤثر فيه حين اخذ بعضه بنقص يورث صفوه كدرة فى ساحته وفيه ايماء الى انه لم يصل احد من العلماء الى غاية بره وحمله ولا نهاية من ساحل كرمه وعلمه ولذا قال (ولكنا اتينا فيه بالمعروف) اى اختصرنا فى وصفه على ما هو معروف من الروايات (مما اكثره فى الصحيح والمشهور) اى فى مرتبة الحسن (من المصنفات واقتصرنا فى ذلك) اى المعروف مما هنالك (بقل من كل) بضم كل من القاف والكاف وتشديد اللامين وهما لغتان فى القلة والكثرة اى على نقل قليل من كثير وفى الحديث الربا وان كثر فانه الى قل اى الى قلة وانتقاص لقوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات (وغيض من فيض) بالضاد المعجمة فيهما والغيض النقص والفيض الزيادة يقال اعطى غيضا من فيض اى قليلا من كثير ويقال غاض الكرام وفاض اللئام والمعنى واتينا هنا بنعت يسير من وصف غزير وهو اولى من جعله تفسيرا لما قبله وتأكيدا واعتبار تفننا كما ذكره الدلجى (ورأينا ان نختم هذه الفصول) اى الواردة فى هذا الباب من جملة الكتاب (بذكر حديث الحسن) اى ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما الوارد بالاسناد الحسن عنه (عن ابن ابى هالة) وهو خاله هند (لجمعه) علة لقوله رأينا او نختم اى لاستجماع حديثه او استحضاره نفسه (من شمائله) اى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم (واوصافه كثيرا) اى شيئا كثيرا مما لم يجمعه غيره الا نزرا يسيرا (وادماجه) اى ولادخال هند او الحسن فى حديث جملة كافية) اى جلا وافية (من سيره) اى من شمائله الخلقية (وفضائله) اى الوهبية (ونصله) عطف على نختم اى ورأينا ان نلحق حديثه بعد تمامه (بتنبيه لطيف) فى تبيين مجمله (على غريبه) من جهة المبنى (ومشكله) من طريقة المعنى (حدثنا القاضى ابو على الحسين بن محمد الحافظ) اى ابن سكرة وقد تقدم (رحمه الله بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة ثنا) اى حدثنا (الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر) بطاء مهملة (التميمى قراءة عليه) بالنصب وفى نسخة قرأت عليه (اخبركم) اى قال اخبركم فى ضمن اخبارى لكم (الفقيه الاديب) اى الجامع بين علمى المسائل الشرعية والقواعد العربية (ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابورى) بفتح نون فتحتية ساكنة فسين مهملة معرب المعجمة بلد بخراسان (والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى) اى المنسوب الى مسمى بمحمد بصيغة المفعول (والقاضى ابو على الحسن بن على بن جعفر الوخشى) بفتح واو وسكون خاء فشين معجمتين وقيل بالحاء المهملة قرية من اعمال بلخ سمع ابا بكر الحيرى بخراسان وابا نعيم الحافظ باصبهان وابا عمر الهاشمى بالبصرة وابا عمر بن مهدى ببغداد وتمام الرازى بدمشق وابا محمد ابن النحاس بمصر روى عنه طائفة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن بن البلخى سنن ابى داود (قالوا) اى كلهم (ثنا ابو القاسم على بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى) بضم خاء معجمة منسوب لقبيلة خزاعة (انا) اى اخبرنا (ابو سعيد الهيثم بن كليب) بالتصغير (الشاشى) بمعجمتين منسوب الى بلد مشهورة من بلاد ما وراء النهر صاحب المسند ومحدث ما وراء النهر (انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة) بفتح المهملة والراء (الحافظ) هو الترمذى صاحب الجامع والشمائل (قال حدثنا سفيان بن وكيع) اى ابن الجراح ضعيف (ثنا جميع) بضم جيم وفتح ميم وسكون تحتية (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى) بكسر مهملة فسكون جيم منسوب الى قبيلة عجل (املاء من كتابه) اى رواية من كتابه المقروء على شيخه وهو اقوى من الاملاء عن ظهر قلبه وثقه ابن حبان وضعفه غيره (قال حدثنى رجل من بنى تميم) قال الانطاكى هو ابو عبد الله التميمى (من ولد ابى هالة) بفتح الواو واللام وبضم فسكون اى احفاده (زوج خديجة) بالجر بدل من ابى هالة (ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها

اى قبل وصولها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (يكنى اباعبدالله) بفتح الكاف وتشديد النون المفتوحة و بسكون الكاف وتخفيف النون اى يعرف ذلك الرجل بهذه الكنية (عن ابن لابى هالة) اى بلاواسطة وهوغيرمعروف كما صرح به الذهبى فى ميزانه واصل هالة علم لدارة القمر فهو اقوى فى منع الصرف من هريرة فى ابى هريرة لان هريرة اسم جنس ثم هذا الاسناد ظاهره الاتصال ولكنه منقطع لان الرجل لم يسم بل لم يسم فيه رجلان ومثل هذا يسمى منقطعا ولكنه ان سمى فيه الرجل من طريق آخر فهو متصل من وجه ومنقطع من وجه وان لم يسم مطلقا فهو منقطع ابدا كذا ذكره بعض الائمة وقال بعض علمائنا انه لايضر الاسناد مثل هذه الجهالة فهو فى حكم المرسل وهو حجة عند الجمهور والله تعالى اعلم (عن الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما قال) اى الحسن (سألت خالى هند بن ابى هالة قال القاضى) كان حقه ان يكتب رمز (ح) اشارة الى التحويل من سند الى آخر اويأتى بالعاطفة فيقول وقال القاضى (ابو على رحمه الله) وهو ابن سكرة (وقرأت على الشيخ ابى طاهر احمد بن الحسن) وروى فيه الحسين بالتصغير (ابن احمد بن خداداد) بضم خاء فذال معجمتين فالف فدال مهملة بعد ها الف فدال مهملة اومعجمة لغة فارسية ومعناه بالعربية عطاء الله (الكرجى) بفتح كاف فسكون راء فجيم (الباقلانى) بتشديد اللام وبعد الف نون فياء نسبة لباقلاء على غيرقياس (واجازنا الشيخ الاجل) اى الجليل القدر اواجل زمانه واكمل اقرانه (ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية فضم راء يصرف ويمنع (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابوعلى الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بمعجمتين (ابن مهران) بكسر الميم (الفارسى) بكسر الراء ويسكن (قراءة عليه فاقربه) اى اعترف بجواز نقله عنه وهو شرط فيمن قيل له اخبركم فلان اواخبرنى فلان عنك اونحوه وان لم يقربه فلايكون دليلا ولاحجة ولابد من الاقرار وفيه تصحيح الرواية (قال) اى ابو على المذكور (انا) اى اخبرنا (ابو محمد الحسن ابن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن على بن الحسين) بالتصغير فى الثلاثة (ابن على بن ابى طالب المعروف بابن اخى طاهر العلوى) بفتحتين قال الحلبى هذا الرجل ترجمه الذهبى فى الميزان ونسبه كما هنا ثم قال روى بقلة حياء عن الديرى عن عبدالرزاق باسناد كالشمس على خير البشر وعن الديرى عن عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن عبدالله بن الصامت عن ابى ذر مرفوعا قال على وذريته يختمون الاوصياء الى يوم القيمة فهذان دالان على كذبه وعلى رفضه عفا الله عنه ولولا انه متهم لازدحم عليه المحدثون فانه معمر انتهى ولايخفى انهما يدلان على كذبه و وضعه وعلى تفضيله ايضا واما على رفضه بمعنى سبه و بغضه فلا غايته ان الحديث ضعيف اوموضوع من طريقه لكنه لايضر حيث انه ثابت باسناد الترمذى فى شمائله وانما اراد المصنف ان يتبرك بذكر مشايخه فى اسناده و يسلك بنفسه فى سلك اسناده والافكان يكفيه ان يسند الحديث الى الترمذى المعروف بثبوت سنده اما بكونه صحيحا اوحسنا اوضعيفا لانه وغيره ملتزمون ان لايذكروا حديثا فيه راوى حكم بوضعه (ثنا) اى حدثنا (اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين) بالتصغير (ابن على بن ابى طالب حدثنى) وفى نسخة قال حدثنا (على بن جعفر) اى الصادق (ابن محمد بن على بن الحسين) قال الحلبى على هذا يروى عن ابيه واخيه موسى والثورى وعنه احمد البزى وجماعة اخرج له الترمذى فقط قال الذهبى مارأيت احدا لينه ولاوثقه و لكن حديثه منكر جدا ما صححه الترمذى ولا حسنه وقد رواه عن نصر بن على عنه عن اخيه موسى عن ابيه عن اجداده من احبنى انتهى والحديث هو من احبنى واحب هذين واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيمة اخرجه الترمذى فى المناقب وانفرد بالاخراج له كذا ذكره الحلبى (عن اخيه موسى بن جعفر) اى ابن محمد العلوى الكاظم روى عن ابيه وعبدالله بن دينار ولم يدركه وعنه ابنه على الرضى واخواه على ومحمد وبنوه ابراهيم واسمعيل وحسين قال ابو صالح حاتم ثقة امام مات فى حبس الرشيد اخرج له الترمذى وابن ماجه وقال المسعودى قبض موسى ببغداد مسموما لخمس عشرة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن اربع وخمسين سنة (عن جعفر بن محمد) اى الصادق (عن ابيه محمد بن على) هو ابو جعفر الباقر سمى به لتبقره فى العلم اى لتوسعه فيه روى عن ابويه وجابر وابن عمر وطائفة وعنه ابنه جعفر الصادق والزهرى وابن جريج والاوزاعى وآخرون اخرج له الائمة الستة (عن على بن الحسين) هذا زين العابدين روى عن ابيه وعائشة رضى الله تعالى عنها وابى هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهرى وابو الزناد وخلق قال الزهرى مارأيت قرشيا افضل منه اخرج له الائمة الستة قال المسعودى وكل عقب الحسين فهو من على بن الحسين هذا (قال قال الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهما واللفظ) اى لفظ الحديث الآتى (لهذا السند) اى لاهل هذا السند الثانى وهو بالنون لا بالياء التحتية قال التلمسانى هذا اسناد شريف لانه مروى عن اهل البيت ومثله الاسناد المروى فى صفة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قال فيه الائمة اسناد لوذكر على ذى علة اوحمى لبرئ اوعلى مصاب لافاق ولوقرئ به

ملسوع لبرىٔ (سألت خالى هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر حاء وسكون لام فهتية اى وصفه ونعته (وكان) اى هند (وصافا) اى كثير الوصف له عليه الصلاة والسلام جملة مترضة (وانا ارجو) جملة حالية اى اتمنى واحب كما فى رواية (ان يصف لى منها) اى من حليته (شيئا) اى بعضا منها (اتعلق به) اى اتشبث به علما وعملا وهذا الحديث من طريق الترمذى فى الشمائل وقد انفرد باخراجه عن اصحاب الكتب الستة وقد بسطت الكلام على دقايق مبانيه وحقايق معانيه فى جمع الوسائل لشرح الشمائل وهنا اتبع المصنف فى ضبط مبناه اولا وربط معناه ثانيا و بالله التوفيق وهو الهادى الى سواء الطريق (قال) اى هند (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما) اى مهيبا عظيما فى العيون (مفخما) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة اى معظما مكرما فى القلوب كما يشير الى هذا المعنى ماورد انه من رأه بجأة هابه ومن خالطه عشرة احبه وليس المراد بهما بيان ضخامته فى جسمه وخلقته لما سيأتى خلافه فى نعته ولا يبعد ان يقال معنا هما عظيم عند الحق ومعظم عند الخلق (يتلألأ وجهه) اى يضئ من كمال نوره وجمال ظهوره (تلألأ القمر ليلة البدر) اى كاضاءته حال بدره و بدوره (اطول من المربوع) اى القصير المربوع القامة (واقصر من المشذب) بتشديد الذال المعجمة المفتوحة اى الطويل البائن (عظيم الهامة) بتخفيف الميم اى كبير الرأس المشير الى الوقار والرزانة (رجل الشعر) بكسر الجيم وفتح العين و يسكن اى منكسره قليلا (ان انفرقت عقيقته) اى افرق شعر رأسه من ذات نفسه (فرق) اى تركه مفروقا (والافلا) اى وان لم ينفرق فلا يفرقه عن قصد منه والفرق هو الطريق الابيض الذى هو حاجز بين نا حيتى شعر الرأس (يجاوز شعره) اى شعر رأسه (شحمة اذنيه) اى احيانا ويروى شحمة اذنه بالافراد والشحمة معلق القرط وهو مالان من اسفلها (اذا هو وفر) بتشديد الفاء وقيل بتخفيفها وفى نسخة صحيحة وفره بزيادة الضمير اى تركه وافرا اوجعله وفرة اذ لا يسمى وفرة الا اذا وصل الى الشحمة (ازهر اللون) اى ابيض نيرا وقد جاء من حديث على رضى الله تعالى عنه انه كان ابيض مشربا بحمرة على ما اخرجه ابو حاتم عنه وكذا اخرج عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ابيض اللون وفى المسند من رواية عبد الله من طريقين ان رجلا سئل عليا عن نعته عليه الصلاة والسلام فقال فيه انه ابيض شديد الوضح ولعل الاول باعتبار الوجه والاعضاء التى تبدو للشمس وهذا باعتبار سائر البدن والمراد بالوضح كمال صفاء بياضه فلا ينافى ماجاء فى الصحيح من حديث انس انه عليه السلام لم يكن بالابيض الامهق ولا بالادم واما ما فى المسند لاحمد من حديث انس انه عليه الصلاة السلام كان اسمر فالمراد به اسمر الى البياض كما ذكره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (واسع الجبين) اى من جمال خلقه و يمكن ان يكون كناية عن كمال خلقه واصل الجبين ما بين الصدغين (ازج الحواجب) بتشديد الجيم الاولى اى دقيقها مع غزارة شعرها و تقوس اصلها (سوابغ) اى كوامل طولا وشوامل اصلا والسين اعلى من الصاد (من غير قرن) بفتحتين وقد يسكن اى من دون اجتماع واتصال بين الحاجبين و وقع فى حديث ام معبد وصفه بالقرن ولعل منشأ الخلاف من جهة قرب الرائى و بعده اوالمراد بالاثبات قرب القرن و بالنفى بعده لان المطلوب اعتداله المحمود من كل وجه واما ماجوزه الحلبى من انه كان بغير قرن ثم حدث له القرن فيبعد تصوره (بينهما) اى بين حاجبيه (عرق) بكسر اوله (يدره) من الادرار اى يكثر دمه ويحركه ويهيجه (الغضب) اى عند مشاهدة مخالفة الرب فلا يخالف حديث لا يغضب (اقنى العرنين) بالكسر اى طويل الانف مع دقة ارنبته وحدب فى وسطه على ما فى نهاية ابن الاثير و يكنى به عن العز الذى معه منعة وذلك لشموخ انفه وارتفاعه على قومه هذا وقال الجوهرى وعرنين كل شئ اوله وعرنين الانف تحت مجتمع الحاجبين وهو اول الانف حيث يكون فيه الشمم (له) اى لانفه بخصوصه (نور يعلوه) اى يظهر عليه او يرفعه من كثرة ضيائه وشدة بهائه وقوة صفائه (يحسبه) بكسر السين وفتحها اى يظن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او انفه الوضئ (من لم يتأمله) اى وجهه (اشم) مفعول ثان ليحسبه والاشم الطويل قصبة الانف قال الجوهرى وهو من ارتفع وسط قصبة انفه مع استواء اعلاه واشراف ارنبته قليلا من منتهاه فان كان فيه احد يداب فهو اقنى (كث اللحية) بتشديد المثلثة اى غزير شعرها وكثير اصلها وفى رواية كان كثيف اللحية وفى اخرى عظيم اللحية ذكره ميرك شاه رحمه الله تعالى كما فى شرح الشمائل لابن حجر المكى من قوله غير دقيقها ولا طويلها ينافى الرواية والدراية لان الطويل مسكوت عنه مع ان عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا كما ان الطول الزائد على القبضة غير ممدوح شرعا ثم هذا لا ينافى ماورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا من سعادة المرء خفة لحيته كما رواه الاربعة فان الكثيف والخفيف من الامور الاضافية فيحمل على الاعتدال الذى هو الكمال فى جميع الاحوال ولا يبعد ان يحمل الكثيف على اصله والخفيف على عدم طوله وعرضه واما قول الفقهاء فى تعريف اللحية الخفيفة هى ما تظهر البشرة

من تحتها لحادث اصطلاحا ومبنى الاحاديث هذه على المعنى اللغوى تصحيحا واصلاحا (ادعج) اى فى العين وهو شدة
سواد الحدقة مع شدة بياضها (سهل الخدين) اى سائلهما غير مرتفع الوجنتين (ضليع الفم) اى عظيمه اوواسعه
والعرب تمدح عظيمه وتذم صغيره ولعله للايماء الى سعة الفصاحة وظهور اثر الملاحة (اشنب) بمعجمة فنون فموحدة
اى ابيض الاسنان والشنب رونقها وماؤها وبهاؤها (مفلج الاسنان) بتشديد اللام المفتوحة اى مفرج الثنايا لحديث
على افلج الثنايا ولان تباعد الاسنان كلها عيب (دقيق المسربة) بضم الراء مادق من شعر الصدر كالخيط سائلا الى السرة
(كأن) بتشديد النون (عنقه) اى رقبته وجيده (جيد دمية) بضم المهملة صورة تعمل من عاج اورخام اوغيرهما
ويتأنق فى تحسينها ويبالغ فى تزيينها حال كون عنقه فى صفاء الفضة (معتدل الخلق) بفتح الخاء اى متناسب
الاعضاء فى الحسن والبهاء (بادنا) اى عظيم البدن من جهة اللحم اوخلقه العظيم وليس معناه السمين الضخم بل صلب
الجسم غير مسترخى اللحم كما قال (متماسكا) اى ليس بمسترخى اللحم وروى متماسك بالرفع اى هو متماسك يمسك بعضه
بعضا لشدته ولاينافيه ماورد من انه عليه السلام كان ضرب اللحم اى خفيفه يعنى بالاضافة الى السمين البطين
(سواء البطن والصدر) بالاضافة اى مستويان لايرتفع احدهما على الآخر فهما معتدلان (مسيح الصدر) بضم ميم
وكسر معجمة فتحتية فمهملة اى باديه وظاهره لاتطامن ولاانخفاض به كما انه لاارتفاع له وروى بفتح الميم ومهملتين
من المساحة اوالسياحة اى عريضه وهو ايماء الى سعة صدره فى امره وانسراح قلبه بحكم ربه (بعيد ما بين المنكبين)
اى وسيع ما بين الكتف والعنق قال ههنا بعيد وفيما سبق عظيم فعظمه اما لبعده فهما سواء اوهناك كثير اللحم وهنا
بعيد فهما موصوفان وما موصولة (ضخم الكراديس) اى عظيم رؤس العظام وحسيمها جمع كردوس وهو رأس العظم
اوكل عظمين التقيا فى مفصل كالمنكبين والوركين (انور المتجرد) بفتح الراء المشددة وهو ماجرد عنه ثوبه من جسده
(موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الموحدة اى موضع القلادة وهو الصدر اوالنحر وما موصولة (والسرة
بشعر) متعلق بموصول (يجرى كالخط) بتشديد الطاء المهملة اى يمتد مشابها للخط المستطيل وهو ماسبق من معنى
المسربة شبهه بجريان الماء وهو امتداده فى سيلانه (عارى الثديين) بفتح فسكون اى ليس عليهما شعر وقيل لحم ويؤيد
الاول قوله (ماسوى ذلك) اى ماسوى الخط والمعنى الاماسبق من شعر المسربة وروى مما سوى ذلك (اشعر الذراعين
والمنكبين واعالى الصدر) جمع اعلى اى مافوقه فان جميعها كثير الشعر لما تقدم ان ما بعده قليل الشعر واما ماورد
عن على كرم الله وجهه على مافى حسان المصابيح من انه عليه الصلاة والسلام كان اجرد والاجرد هو الذى لاشعر عليه
فمحمول على انه اريد بالاجرد ضد الاشعر والمعنى انه لم يكن على جميع بدنه شعر لا الاجرد المطلق (طويل الزندين) بفتح
فسكون اى عظمى الذراعين من اليدين (رحب الراحة) بفتح فسكون وقد يضم اوله اى وسيع الكف وهو قد يكون
كناية عن نهاية الجود وغاية الكرم (شثن الكفين والقدمين) بسكون المثلثة وقيل بالفوقية وهما لغتان
على مافى القاموس اى يميلان الى غلظ وقصر اوالى غلظ فقط ويحمد ذلك فى الرجال لانه اشد لقبضهم وبطشهم
واقوى لمشيهم وبيانهم ذكره ابن الاثير فى المثلثة (سائل الاطراف) بالسين المهملة واللام اسم فاعل (اوقال) شك
من الراوى (سائن الاطراف) بالنون وهما بمعنى اى ممتدها وقد تبدل اللام نونا ذكره الدلجى وزيد فى نسخة صحيحة
وسائر الاطراف بالراء ويدل عليه ذكره فى كلام المصنف عند حل مشكله وقد قال ابن الانبارى روى سائل
الاطراف اوقال سائن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى
وسائر الاطراف فاشارة الى ضخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث قال الانطاكى هو بواو العطف اى وسائر
اطرافه ضخم (سبط العصب) بفتح سين مهملة وسكون موحدة وفى نسخة بكسرها وروى بتقديم الموحدة والعصب
بفتح المهملتين على مافى الاصول المصححة والنسخ المعتبرة واما قول الحلبى هو تصحيف والصواب بالقاف فهو عن
صوب الصواب تحريف والمعنى ممتدة اطناب مفاصله وممتلئة من غير تعقد ونتو وروى القصب بالقاف قال الهروى
وهو كل عظم عريض كاللوح وكل اجوف فيه مخ كالساعد رواه ابن الانبارى قالوا وهو الاشبه والمراد عظام ساعديه
وساقيه باعتبار طولهما (خمصان الاخمصين) بضم الخاء المعجمة الاولى مبالغة من الخمص اى شديد تجافى اخمص
القدم عن الارض وهو الموضع الذى لايلصق بها منها عند الوضع (مسيح القدمين) اى ملساوين لينين لانتوء بهما وهو
بفتح الميم وكسر المهملة قال الحجازى ويروى بضم الميم وشين معجمة (ينبو عنهما الماء) على زنة يدعو اى يأبى عن قبولهما
ووقوفه فيهما لملاستهما (اذا زال) اى عن مكانه (زال تقلعا) بضم اللام المشددة ويروى قلعا بكسر اللام وسكونها
ويروى اذا مشى تقلع اى رفع رجليه من الارض رفعا بقوة كانه يتثبت فى المشية بحيث لايظهر منه العجلة وشدة
المبادرة عملا بقوله تعالى واقصد فى مشيك اى لامشى الخيلاء ولامشى متماوت كالنساء وروى اذا مشى مشى تقلعا

وزيد فى نسخة صحيحة (ويخطو تكفؤا) بضم فاء مشددة فهمز او واو وسبق بيان مبناه وتبيان معنـاه (ويمشى هونا)
اى برفق وسكون ووقار وسكينة من غير دفع ومزاحمة لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
وهو لاينافى قوله (ذريع المشية) بالذال المعجمـة وكسر الميم اى سريعها بسعة الخطوة كما يشير اليه قوله (اذامشى
كانما ينحط) اى ينزل (من صبب) اوفى صبب كما فى رواية اى منحدر من الارض لقوة مشيه وثبت خطوه فى وضعه
وحطه قال الازهرى الانحطاط من صبب والتكفؤ الى قدام والتقلع من الارض قريب بعضها من بعض فى المعنى
وان اختلفت الفـاظها فى المبنى واما حديث ابى هريرة رضى الله تعـالى عنه مارأيت احدا اسرع فى مشيه من
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمحمول على السرعة المرتفعة عن دبيب المماوت لانه عليه الصلاة والسلام
كان يثب وثوب الشطار اوعلى ان السرعة كانت تقع فى مشيه عليه السلام لسعة خطوه من غير قصد له كيف
وقد روى انه عليه السلام قال سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن على مارواه جماعة من الحفاظ (واذا التفت) اى يمنة
او يسرة اوالى احد من جانبيه (التفت جميعا) اى مجتمعا اليه ومقبلا بكليته عليه فلايسارق النظر ولا يكون كالطير
الخفيف الطيش بل يقبل جميعا ويدبر جميعا (خافض الطرف) اى بصره حياء من ربه وتواضعا لاصحابه (نظره الى
الارض اطول) اى اكثر مدة (من نظره الى السماء) لانه اجمع للفكرة واوسع للعبرة (جل نظره) بضم الجيم وتشديد
اللام اى معظمه (الملاحظة) مفاعلة من اللحظ وهو مراعاة النظر بشق العين مما يلى الصدغ وكانه اراد بها هنا حال
مكثرة تفكره فى امره المانع من توجهه بجميع نظره الى جانب من طرفه اوالى احد من اهله (يسوق اصحابه) اى
يقدمهم امامه ويمشى خلفهم تواضعا لربه وتعليما لاصحابه وهذا فى الحضر واما فى السفر فلزيادة مراعاة اضعف القوم
ومحـافظتهم من ورائهم وكان لايدع احدا يمشى خلفه ويقول دعوا خلفى للملائكة قال النووى وانمـا تقدمهم
فى سور صنعه جابر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعاهم اليه فجاؤا تبعـا له كصاحب الطعام اذا دعا طائفة مشى
امامهم انتهى ولا يبعد ان يقال انما تقدمهم مبادرة الى ماارادمن تكثير الطعام بوضع يده الشريفة عليه عليه
الصلاة والسلام (ويبدأ) وفى رواية ويبدر بضم الدال اى يتبادر (من لقيه بالسلام) لانه الاكمل وثوابه الافضل لما
فيه من التواضع اولا والتسبب لفرض الجواب ثانيا ولذا عدت هذه الخصلة من السنن التى هى افضل من الفريضة
وفيه اشارة الى انه يستحب للاكبر ان يبتدئ به على الاصغر كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسراء لما وصل
الى مقام الانتهاء وقال التحيات لله والصلوات والطيبات وبالغ فى الثناء قال الله تعالى السلام عليك ايها النبى ورحمة
الله وبركاته فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم انت السلام ومنك السـلام واليك يرجع السلام السلام
علينا وعلى عبادالله الصالحين فقالت الملائكة اشهد ان لااله الاالله واشهد ان محمدا عبده ورسوله والحديث الى هنا
اتفق عليه الترمذى والطبرانى والبيهقى فى روايتهم عن ابن ابى هالة وقد اقتصر عليه السيوطى فى جامعه الصغير واما
باسناد المصنف على وفق مافى الشمائل للترمذى فقد قال الحسن بن على لخاله هند لما وصل الى هذا المحل وقد حصل له
الحظ الاكمل من بعض فعله الاجل (قلت صف لى منطقه) اى كيفية آداب نطقه وبيان اخبار صدقه (قال) اى هند
(كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) اى وهو مما يوجب تكليل اللسان وتقليل البيـان
(دائم الفكرة) اى فى امر الآخرة (ليست له راحة) لانه فى دار محنة وهذا كله مما يقتضى قوله (ولا يتكلم فى غير
حاجة) وكونه (طويل السكوت) ثم ليس المراد بحزنه المـا بفوت مطلوب عاجل ولابتوقع مكروه آجل فان ذلك
منهى عنه لقوله سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم ولما ورد من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم
انى اعوذ بك من الهم والحزن وانما المراد به التيقظ والاهتمام لما يستقبله من الامور العظام كما اشار اليه قوله تعالى
حكاية عن اهل الجنة حال وصولهم الى غاية المنن الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور واما مانقـله
الحلبى عن ابن امام الجوزية من ان حديث هند بن ابى هالة فى صفته عليه الصلاة والسلام انه كان متواصل الاحزان
لايثبت وفى اسناده من لايعرف وكيف يكون وقد صانه الله تعالى عن الحزن على الدنيا واسبابها ونهاه عن الحزن
على الكفار وغفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر فمن اين يأتيه الحزن فمدفوع بمانقله الحلبى ايضا عن شيخ الاسلام ابى
العباس بن تيمية فى حديث هند بن ابى هالة انه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان
مالفظه فالصمت والفكر للسان والقلب واما الحزن فليس المراد به الالم على فوت مطلوب اوحصول مكروه فان
ذلك لم يكن من حاله انتهى وهذا تقرير لثبوت الحديث فى المبنى واحتياج تأويله فى المعنى ثم هذا كله من هند يدل على
كماله حيث ذكر هذه المقدمة توطئة فى مقام مقاله اجمالا ثم بينه تفصيلا بقوله (يفتتح الكلام ويختمه) اى لطلب
ابتدائه وانتهائه (باشداقه) اى جوانب فمه لرحب شدقه والعرب تتمدح به (ويتكلم بجوامع الكلم) جمع جامعة اى

بالكلم الجوامع لمباني يسيرة ومعاني كثيرة وفي الحديث كان يستحب الجوامع من الدعاء اي الجامعة لمقاصد صالحة وفوائد صحيحة (فصلا) اي يتكلم حال كون كلامه كلاما بينا يعرفه كل احد هينا ومنه قوله سبحانه وتعالى انه لقول فصل اي بين الحق والباطل اوقاطع جامع مانع (لافضول فيه) اي ضربا من الفائدة فيكون مملا (ولاتقصير) اي فيه عن اصل معناه وما يتعلق بمبناه من منافعه الزائدة فيكون مخلا (دمثا) بفتح مهملة وكسر ميم مثلثة اي كان لين الخلق سهلا (ليس بالجافي) اي غليظ الطبع اوالذي يجفوا اصحابه (ولاالمهين) بفتح الميم وضمها قال ابن الاثير فالضم من الاهانة اي لايهين احدا من الناس فتكون الميم زائدة والفتح من المهانة اي الحقارة فتكون الميم اصلية انتهى ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين اي حقير (يعظم النعمة) اي نعمة الله (وان دقت) اي قلت وصغرت (لايذم شيئا) اي من نعمه سبحانه وتعالى اواحدا من خلقه لنزاهته عن البذاء والاذى مع قوله (لم يكن يذم) اي يعيب (ذواقا) بفتح اوله وتخفيف واوه اي مأكولا ومسروبا واما حديث ان الله لايحب الذواقين والذوقات فيعني بهما سريع النكاح وسريع الطلاق (ولايمدحه) اي لنزاهة ساحة قلبه عن الرغبة الى غير ربه فيميل الى التمتع بمتاع الحياة الدنيا والتوجه الى حظ نفسه منها ليترتب عليه مدحها وذمها قيل لبعضهم مابال عظة السلف تنفع وعظة الخلف لاتنجع فقال علماء السلف ايقاظ والناس نيام وعلماء الخلف نيام والناس موتى اوكالانعام (ولايقام لغضبه اذا تعرض للحق) بيناء المفعول فيهما والمعنى لايقوم احد من الخلق لدفع غضبه اذا تعرض احد له في امر ربه (بشيء) اي بسبب مأمور اومنهي وروي لشيء باللام اي لاجل امر وحاصله انه اذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء (حتى ينتصر له) اي يقوم بنصرة الحق الواجب في حقه وهذا غاية لعدم التعرض لغضبه (ولايغضب لنفسه) اي لحظها و بسببها (ولاينتصر لها) اي لمجرد حقها (اذا اشار) اي وقت خطابه فيما بين اصحابه (اشار بكفه) كلها قصدا للافهام ودفعا للابهام واستثني منه حال ذكر التوحيد والتشهد حيث كان يشير بالمسبحة الى تحقيق المرام (واذا تعجب) اي من شيء عظم وقعه عنده (قلبها) بتشديد اللام وتخفيفها اي قلب كفه الى السماء للايماء الى انه فعل الرب وانه ينقلب عن قريب حال مابه التعجب (واذا تحدث) اي تكلم (اتصل) اي كلامه (بها) اي مقرونا بحركته واشارته اليها تأكيدا بسببها وتصحف الدلجي حيث وضع الفاء موضع التاء ثم قال اي قصد من قولهم فصل علينا اي خرج من طريق اوظهر من حجاب قاصدا بها (فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى) و يروى براحته اليمنى باطن ابهامه ولعل اختلاف الرواية بناء على تعدد الحالة في الرؤية هذا بيان كيفية اتصال كلامه بها وهذا عادة من تحدث بامر مهم وفعل ملم تأكيدا بالجمع تحريك اللسان و بعض الاركان على ان له وقعا في الخطب والشان وتوجها من جانب الجنان فكانه بكليته متوجه الى حصول قضيته (واذا غضب) اي ظهر اثر غضبه على احد (اعرض) اي عنه ليبعد منه و يسهل امره (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة في آخره اي مال وانقبض ذكره الانطاكي تبعا للمصنف والاظهر ان يقال بالغ في اعراضه بصفح عنقه عنه ممتثلا لقوله سبحانه وتعالى فاعرض عنهم واصفح (واذا فرح) اي حصل له سرور (غض طرفه) بفتح فسكون اي غمض عينيه اوخفض بصره واطرق رأسه تواضعا له وتباعدا عن حصول شره واشره (جل ضحكه التبسم) اي معظم انواع ضحكه التبسم وهو مالاصوت فيه مطلقا وقد روى ان يحيى اذالقي عيسى عليهما السلام يلقاه عيسى متبسما و يلقاه حزينا يسبه باكيا فقال يحيى لعيسى اراك تتبسم كانك امن وقال عيسى ليحيى اراك تحزن وتبكي كانك آيس فاوحى الله اليهما احبكما الي اكثركما تبسما ولعل يحيى كان غلب عليه القبض والخوف لكونه مظهر الجلال وعيسى غلب عليه البسط والرجاء لانه مظهر الجمال والكمال وهو كون الجلال ممزوجا بغلبة الجمال لقوله الانسي في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وفي رواية غلبت (ويفتر) بتشديد راء اي يبدي اسنانه ضاحكا (عن مثل حب الغمام) اي البرد النازل من السحاب حال البرد (قال الحسن) اي ابن علي (فكتمتها) اي اخفيت هذه الحلية اوهذه الرواية (عن الحسين بن علي زمانا) اي اختبارا وامتحانا (ثم حدثته) اي اخبرته بهذا الحديث اي ليتبين اطلاعه عليه (فوجدته قد سبقني اليه) اي مع زيادة فضيلة وجدت لديه كما بينه بقوله (فسئل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه) بفتح العين فيهما (ومجلسه) بكسر اللام اي عن كيفية دخوله وخروجه وجلوسه اوعن احوال مجالسه وهو مكان جلوسه وهو بكسر اللام سواء كان مصدرا اومكانا وقال الحلبي هو بفتح اللام اي هيئة جلوسه وهو خطأ فاحش لان الجلسة بكسر الجيم هو الموضوع للنوع والهيئة (وشكله) بفتح اوله وجوز كسره وهو يحتمل صورته وسيرته لكن الثاني هو المراد هنا لتقدم ماتعلق بالاول ولقوله قياسا في فسألته عن سيرته (فلم يدع منه شيئا) اي فلم يترك الحسن شيئا من متعلقات جميع ماذكر الا وقدسأله وحققه وهذا من كمال انصاف الحسن وجمال خلقه المستحسن ثم هذا بطريق الاجمال واما بطريق

التفصيل فكما بينه بقوله (قال الحسين سألت ابي) اي عليا كرم الله وجهه (عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي زمان دخوله وكيفية وصوله وهذا من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر او من رواية الاقران فانما بينهما تفاوت قليل من الزمان (فقال) اي علي (كان دخوله) اي في بيته (لنفسه) اي لحقه خاصة ولاهل بيته عامة حال كونه (مأذونا له) اي من عند ربه (في ذلك) اي فله الاجر الجزيل والثناء الجميل لما هنالك وقيل كان مأذونا له ان يدخل حيث شاء من بيوته لانه سبحانه وتعالى لم يوجب قسما عليه في زوجاته لاندخل وقيل معناه انه لايدخل بغير استئذان (فكان اذا اوى) بالقصر هو الاولى ومنه المأوى اي وصل الى منزله واستقر في محله (جزأ) بتشديد الزاي فهمز اي قسم (دخوله) اي زمنه (ثلاثة اجزاء) اي اقسام (جزأ لله تعالى) بالنصب يعبده في النوافل كالاشراق والضحى ونحوهما من الامور الكوامل (وجزأ لاهله) اي يدبر امورهم وحالهم ويصلح شانهم وما اهمهم فيما اهم (وجزأ لنفسه) اي لاستراحتها كالقيلولة ونحوها ولورود وفود وضرورة قضية الحاجات بعض الناس الى الدخول عليه والمشورة بين يديه وعرض احوال الجهاد واعمال العباد وامثال ذلك عليه وهذا معنى قوله (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) اي من خواص اصحابه وزمرة احبابه (فيرد) اي في بعض زمن نفسه (ذلك) اي نفعه لما هنالك (على العامة) اي الذين لم يقدروا عليه في تلك الحالة (بالخاصة) اي بواسطتهم وحصول رابطتهم وقد قال ابن الاثير اراد ان العامة كانت لاتصل اليه في هذا الوقت فكانت الخاصة تخبرهم بما سمعوا منه فكانه اوصل الفوائد الى الخاصة بالعامة وقيل ان الباء بمعنى عن اي يجعل وقت العامة بعد الخاصة فيكونون بدلا منهم (ولايدخر) اي لايخفي من العلم او المال (عنهم شيئا) اي مما ينفعهم واصل يدخر بالدال المهملة المشددة يذتخر بالمعجمة قلبت التاء دالا مهملة لاتحادهما مخرجا فصار يذدخر بمعجمة فمهملة ثم ادغم المهملة بعد قلب المعجمة بها وهذا نطق الاكثر ومنه قوله تعالى وادكر (فكان) كذا في النسخ وكان الظاهر بالواو (من سيرته) اي من حسن طريقته (في جزء الامة) اي امة الاجابة لسر يعته (ايثار اهل الفضل) اي اختيارهم لاعتبارهم (باذنه) اي بامره اكراما لهم ونفعا لمن تبعهم او بامر اهل الفضل ومنه حديث السراب في العلام وهو ابن عباس رضي الله تعالى عنه مع الاشياخ ابي بكر وعمر فاستأذن فأذنوا له (وقسمه) بفتح القاف اي قسمته كما في نسخة صحيحة وهو مصدر مضاف اما الى الفاعل او المفعول اي قسمة الجزء او قسمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياه (على قدر فضلهم) اي الافضل فالافضل (في الدين) اي بالعلم والعمل المتعلق به المسمى بالتقوى لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم لابمجرد النسب ومقتضى الحسب او كثرة الذهب ثم هم مع تفاوتهم في مراتب الفضيلة متفاوتون في مقدار استحقاقهم بحسب الحاجة كما يشير اليه قوله (منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) اي ثلاثا فاكثر وهو جمع حاجة من غير قياس وقيل جمع حائجة (فيتشاغل بهم) اي على حسب منافعهم (ويشغلهم) بفتح الياء والعين لابضم اوله وكسر ثالثه فانه لغة رديئة (فيما اصلحهم) اي ذلك الوقت وفي نسخة يصلحهم واما له من قبيل حكاية الحال الماضية (والامة) بالنصب عطفا على الضمير فالتقدير ويصلح عامة الامة (من مسئلته) وروي من مسئلتهم (عنهم) اي من اجل سؤاله عن احوالهم وتفقده لاعمالهم وجعل الدلجي من بيانا لما وهو غير صحيح في المعنى لانه لو اريد هذا المعنى لقال من مسألتهم عنه كما لا يخفى (واخبارهم) اي ومن اجل اخباره اياهم (بالذي ينبغي لهم) اي يصلحهم خاصة او للعامة كافة (ويقول) اي في جميع المراتب (ليبلغ) بالتشديد والتخفيف (الشاهد) اي ليوصل الحاضر (منكم الغائب) اي الموجود او من سيوجد في عالم الوجود ما سمعه مني ولو بالمعنى خلافا لبعضهم من الصحابة كالصديق ومن التابعين كابن سيرين وابي حنيفة وبعض علماء الامة وقيل المراد بالشاهد الصحابي الاكبر والغائب الاصغر او الشاهد الصحابي والغائب التابعي او الشاهد العالم والغائب الجاهل ومنه قول القائل شعر

﴿ اخو العلم حي خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم ﴾

﴿ وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يعد من الاحياء وهو عديم ﴾

او الشاهد الحضري والغائب البدوي او الشاهد السامع والغائب من لم يسمع او الشاهد الذكور والغائب الاناث او الشاهد المسلم والغائب الكافر وروى الشاهد الغائب بدون منكم (وابلغوني) اي اوصلوا الي (حاجة من لايستطيع ابلاغي حاجته) وروى ابلاغ حاجته (فانه) اي الشان (من ابلغ سلطانا) اي نبيا او خليفة او قاضيا او حاكما او اميرا او وزيرا ولو سلطانا جائرا (حاجة من لايستطيع ابلاغها) اي بنفسه الا بكلمة وشفعة (ثبت الله قدميه) اي على الصراط او في الموقف (يوم القيامة) لما قام بحق الاخوة وثبت في مقام الرحمة والشفقة (لايذكر عنده) بصيغة المجهول (الا ذلك) اي الذي يسأل عنه نفعهم ويترتب عليه رفعهم (ولايقبل) اي هو (من احد غيره) اي غير ما فيه منفعة

هنا لك ولايبعد ان يقرأ ولايقبل بصيغة المفعول فتأمل (قال) اى علي - (في حديث سفيان بن وكيع) اى بروايته خاصة (يدخلون روادا) بضم فتشديد اى حال كونهم طالبين منه العلم وملتمسين منه الحكم وروى بكسر اوله مخففا على انه مصدر اى يحضرون وقت الوصول اليه وروى لواذا باللام والذال المعجمة اى ملتجئين اليه ومحصنين متشبثين به اومتقربين لما عنده (ولايتفرقون) اى لا يفترقون بعد دخولهم (الاعن ذواق) بفتح اوله اى عن علم وحكم وحلم يكتسبونها منه اوعن مذوق من مأكول اومشروب يحضر عنده واقتصر اهل الذوق على الاول فتأمل وان كان الجمع ان تصور اوتيسر فهو الاكمل بالنسبة الى الكمل (و يخرجون ادلاء) جمع دليل اى هداة (يعني فقهاء) اى علماء بالكتاب والسنة قال التلمساني هذا القول لابن شاذان على ما نقله بعض الشيوخ وروى بذال معجمة اى متواضعين اومنقادين (قلت) القائل هوالحسين بالتصغير لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرني عن مخرجه) كيف كان يصنع فيه لا تبع في جميع افعاله من دخوله وخروجه وسائر احواله (قال) اى علي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه) بضم زاى اى يجعله مخزونا ومحبوسا وممنوعا (الافيما يعنيهم) بكسر النون اى يهمهم وينفعهم وفي نسخة من الاعانة اى يساعدهم ويقوى دينهم من جواهر لفظه وزواجر وعظه ومنه (شعر)

﴿ اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخازن ﴾

(ويؤلفهم) بتشديد اللام اى يوقع الالفة بينهم من سحائب كرمه وسواكب نعمه فيجمعهم (ولا يفرقهم) بتشديد الراء اى لايتكلم بما ينفرهم لانه برحمة من الله لان لهم (يكرم) من الاكرام اى يعظم (كريم كل قوم) اى رئيسهم وشيخهم ويقول ايضا اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه كما رواه ابن ماجه وغيره (ويوليه) بتشديد اللام اى يجعله واليا (عليهم) اى تألفا به وبهم (ويحذر الناس) اى لقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ثم عطف بالتفسير قوله (ويحترس منهم) اى يتحفظ منهم ففي الحديث الحزم سوء الظن وفي لفظ احترسوا من الناس بسوء الظن والمعنى لا تثقوا بكل احد منكم فانه اسلم لكم فهو لاينافي قوله تعالى ان بعض الظن اثم اوفيحذر من الغائب ويحترس من الحاضر والمراد من الناس جنسهم كالاعرابي لاجميعهم في هذا الباب (من غير ان يطوى) بكسر الواو اى يمنع (عن احد) وفي نسخة على احد (بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة بشرة وجهه وطلاقته (وخلقه) اى حسن عشرته وطراوته وهذا في حق من حضر منهم في خدمته اذا وجدوا (ويتفقد اصحابه) اى يتعرف احوالهم اذا غابوا وفقدوا (ويسئل الناس عما في الناس) اى مما يوجب التفقد والتفحص للاستيناس (ويحسن الحسن) بتشديد السين وتخفف اى يبين حسن مايكون حسنا ويجعله مستحسنا (ويصوبه) بتشديد الواو اى يحكم بكونه صوابا ترغيبا فيه وتحريضا عليه وروى ويقويه (ويقبح القبيح ويوهنه) بتشديد الباء والهاء مشددة اومخففة بعدها نون اوياء اى يظهر قبحه وضعفه تنفيرا عنه وتحذيرا منه (معتدل الامر) اى كان امره وشانه كله في غاية من الاعتدال ونهاية من كمال الجمال مما القلب فيه راحة والعين قرة (غير مختلف) حال مؤكدة اى غير مفرط ولامفرط اوغير متناقض ولامتعارض (لايغفل) بضم الفاء اى لايظهر الغفلة بالمرة لارباب الصحبة (مخافة ان يغفلوا ان يملوا) بفتح ميم وتشديد لام اى يسئموا اوالتنويع (لكل حال) اى من احوال الدنيا والعقبى (عنده عتاد) بفتح مهملة ومثناة فوقية اى عدة زاد ومعد معاد (لايقصر عن الحق) اى لايفرط في اقامته (ولايجاوزه الى غيره) اى ولا يتعدى عن غاية مرتبته (الذين يلونه) اى يقربونه (من الناس خيارهم) مبتدأ وخبر (وافضلهم عنده اعمهم نصيحة) اى لله وكتابه ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم كافة وقد ورد خير الناس انفعهم للناس والنصيحة الخلوص لغة وهي كلمة جامعة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح بها خالصة (واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة) اى مشاركة في الرزق والمعيشة قلبت همزتها واوا وابدليل حديث ما احد عندي اعظم يدا من ابي بكر آساني بنفسه وماله وآساه بالهمز اعلى من واساه وقيل لا تكون المواساة الامن كفاف (وموازرة) اى معاونة من الوزر بمعنى الملجأ او بمعنى الحمل وروى بالهمز مكانه من الازر بمعنى الظهر لان منه قوة البدن فوازره بمعنى قواه ووقع في اصل الدلجي تقديم موازرة وهو مخالف للاصول المعتبرة (ثم قال) اى الحسين بن علي رضى الله عنهما (فسألته) اى ابي (عن مجلسه) اى جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم اومكانه وكيفية حاله ومراتب شانه ولذا ابدل منه بقوله (عما كان يصنع فيه) اى في جلوسه او مجلسه وقد اغرب الدلجي حيث قال هنا ايضا ماسبق له من انه بفتح اللام كما تقدم قريبا والظاهر انه يجوز بكسر اللام وقد تقدم ان فتحها خطأ مبنى ومعنى (فقال) اى علي - (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس) اى بعد قيامه من نوم اوغيره (ولايقوم) اى بعد جلوسه (الاعلى ذكر) اى من افادة علم وذكر او بيان حمد وشكر عملا بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (ولايوطن الاماكن) من الايطان اوالتوطين اى لايجعل

﴿ لنفسه ﴾

لنفسه مجلسا معينا يعرف به بحيث لايجلس فى غيره (وينهى) اى غيره ايضا (عن ايطانها) اى اتخاذها معينة
وقيل مصلى لصلاته المبينة فروى الحاكم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يوطن الرجل المكان يصلى فيه
وفى رواية نهى عن ان يوطن الرجل فى المكان بالمسجد كما يوطن البعير والمعنى انه نهى ان يألف الرجل مكانا معلوما
من المسجد مخصوصا يصلى فيه كالبعير لايأوى من العطن الا الى مبرك قد وطنه واتخذه مناخا له ولعله اريد به
خصوص من لم يألف من المسجد مكانا يفتى به او يدرس فيه فان له ان يقيم من سبقه اليه لئلا يتفرق اصحابه عليه
ولكن الاولى ان لايلتزم جلوسه لمكان معين بحيث لايتقدم ولايتأخر عنه نظرا الى عموم النهى ورخص للامام
بوقوفه فى موضع معين من محراب المساجد للضرورة ولعل نهى غيره مخافة دخول الرياء والسمعة فى الطاعة
ثم رأيت النووى صرح به حيث قال وانما ورد النهى عن ايطان موضع من المسجد للخوف من الرياء ونحوه والا
فلابأس بملازمة الصلاة فى موضع من البيت لحديث عتبان بن مالك فلم يجلس يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
حين دخل البيت ثم قال اين تحب ان اصلى من بيتك فاشرت الى ناحية من البيت الحديث وقال التلمسانى كان مقعد
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند العمود المخلق وكان لاصحابه مواضع فيه معروفة الاماكن وقال بعض الشيوخ
نهيه عن ذلك لوجوه احدها خوف الرياء والسمعة والتظاهر بالملازمة والثانى ان يغيب فيقع الناس فيه فيأثمون به
والثالث يرى انه استحقه دون غيره قلت والرابع انه يعتقد عدم جوازه فى غيره كما قيل فى كراهة تعيين سورة
فى صلاته وينبغى ان يستثنى ملازمة المواضع المأثورة كما انه استثنى ماورد فى قراءته الاثار المسطورة ولايبعد ان النهى
مختص بموضع يتبارك الناس بالصلاة فيه كتحت الميزاب والمقام والمحراب والله اعلم بالصواب (واذا انتهى الى قوم)
اى جالسين اوالى مجلسهم (جلس حيث ينتهى به المجلس) ولم يتقدم عليهم ولم يتميز عنهم بل كان يجلس حيث
اتفق معهم فان شرف المكان بالمكين دون العكس المبين (ويأمر بذلك) تأكيدا للامر بالقول بانضمامه الى الفعل
ويقول ان الله يكره عبده ان يراه متميزا عن اصحابه (ويعطى كل جلسائه نصيبه) اى من مباشرته ومحادثته (حتى
لايحسب جليسه) اى لا يظن مجالسه (ان احدا اكرم عليه منه) اى من غاية استجلاب خاطره ونهاية جبر حال
ظاهره (من جالسه اوقاومه) اى وافقه فى جلوسه اوقيامه بمعنى جلس معه او قام معه (لحاجة) اى عارضة
لصاحبه (صابره) اى بالغ فى حبس نفسه للصبر معه (حتى يكون هو المنصرف عنه) اى بعد انقضاء حاجته منه
(من سأله حاجة لم يرده) بفتح الدال وضمها (الابها) اى الابقضائها او وصدادئها كما بينه بقوله (اوبميسور) اى
بما تيسر له (من القول) وهو يشمل دعاء له بحصولها فاو للتنويع وفيه ايماء الى قوله تعالى واما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا (قد وسع الناس) بالنصب اى عمهم (بسطه وخلقه) اى
بسط يده وانبساط خلقه وسماحة نفسه وسعة كرمه (فصار لهم ابا) اى من كمال الشفقة وحسن تأديب التربية
لان نبى كل قوم بمنزلة ابيهم كما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم وفى قراءة شاذة بعد قوله سبحانه وتعالى وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم (وصاروا عنده فى الحق) اى فى حق الرحمة والرأفة (متقاربين) اى كالاولاد عند الوالدين متساوين
فى اصل المحبة (متفاضلين فيه بالتقوى) اى عن المعصية (والتقوى) اى على الطاعة لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقيكم (وفى الرواية الاخرى) اى عنه اوعن غيره (وصاروا عنده فى الحق سواء) اى فى حكم الحق للخصومة
اوفى اصل حق المودة مستوين (مجلسه مجلس حلم) اى وقار وسكينة (وحياء وصبر وامانة) اى لامقام وقاحة وخفة
وخيانة (لا ترفع فيه الاصوات) لقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وهذا بيان لحلمهم
وحيائهم (ولا تؤبن فيه الحرم) وضبطهما تقدم اى لايذكرون فيه بسوء وهذا بيان لصبرهم وامانتهم (ولاتنثى)
بضم اوله فسكون نون وفتح مثلثة اى لاتشاع ولا تذاع ولا تذكر من النساء وهو اعم من ذكر الحسن والقبح وخبر الخير
والشر وقيل مختص بالشر وهو فى هذا المقام اظهر فتدبر وفى نسخة بمثناة فنون اى لاتمادد (فلتاته) بفتحتين
وقد تسكن اللام اى زلات مجلسه وعثرات من حضر فى مقام انسه والمعنى لم يكن لمجلسه فلتة فتنقل فالنفى منصب
على القيد والمقيد كقوله تعالى لا يسئلون الناس الحافا اى اصلا (وهذه الكلمة) اى الجملة الاخيرة وهى
ولا تنثى فلتاته ثابتة (فى غير الروايتين) اى المذكورتين فى سند هذا الحديث (يتعاطفون) اى فيه كما فى نسخة صحيحة
اى فى مجلسه خصوصا يتحابون ويتراحمون (بالتقوى) اى بسببها الحديث ابى داود والترمذى لاتنزع الرحمة الامن شقى
او بحسب تفاوت مراتبها حال كونهم (متواضعين) اى بعضهم لبعض كما قال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين وكما قال اشداء على الكفار رحماء بينهم (يوقرون فيه) اى فى مجلسه خصوصا (الكبير) اى فى السن
اوالرتبة بما يجب له من العظمة (ويرحمون الصغير) اى بمقتضى الشفقة (ويرفدون) بضم الفاء وكسرها وحكى فتحها

وفى نسخة من الارفاداى يعينون و يغيثون (ذاالحاجة) ويعطون صاحب الفاقة وقيل رفد اعطى وارفده اعانه والرفد بالكسر هو العطاء (ويرحمون الغريب) اى لبعده عن بلاده واصحابه ومفارقة اولاده واحبابه (ثم قال) اى الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما (فسألته) اى ابى (عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه) اى عن طريقته فى حضورهم فى خدمته (فقال) اى على (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) اى غيرمقيد طلاقة وجهه وبشاشة بشرته بوقت دون وقت فى حالته (سهل الخلق) اى لين الطبع مع عموم الخلق (لين الجانب) بتشديد التحتية وتخفف اى فى كمال من الرفق (ليس بفظ) اى سيئ الخلق (ولاغليظ) اى سيئ القلب (ولاسخاب) اى صياح وفى رواية ولاسخوب والصاد لغة فيهما وكلاهما للمبالغة الا ان النفى لاصل المعنى لا للزيادة والاظهر ان الكلمة بوضعها للنسبة كتمار ومنه قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وجاء فى حديث المنافقين خشب بالليل سخب بالنهار اى اذا جن عليهم الليل سقطوا نياما كالخشب فاذا اصبحوا تساخبوا على الدنيا تهالكا عليها وتمالؤا اليها وفى رواية فى الاسواق فالمراد نفى رفع الصوت بالمخاصمة والمشاجرة على ما هو المعروف فى العادة فلا ينافى ماورد من انه كان اذا دخل السوق قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الى آخره مع غيره مما ثبت من الادعية فى اثره (ولافحاش) اى ذى فحش من كلام غليظ (ولاعياب) اى على احد قولا وفعلا حضورا او فى غيبة احدا ولمأكول ومشروب كما سبق (ولامداح) اى مبالغ فى مدح احد ويروى بالزاى اى كثير المزح لما ثبت فى وصفه من مدحه ومزحه احيانا واما ماوقع عند شارح بالراء فتصحيف لمخالفته الاصول وان قال انه من المرح وهو الفخر والتجبر (يتغافل عما لايشتهى) اى مما لايجب على احد فيه ان ينتهى (ولايؤيس منه) بالبناء للفاعل اوالمفعول من اليأس ضد الرجاء على ماحرر له من بيان المعنى (قدترك نفسه) اى لم يجعل لها حظا (من ثلاث) اى ثلاث خصال بينها بافادة ابدال مع اعادة من بقوله (من الرياء) وكذا من السمعة فانهما من الشرك الاصغر وهذا انما يبتلى به من لا يعرف الله ممن يلتفت الى ماسواه ووقع فى اصل التلمسانى الرياء بدون من فجوز جره على بدل المفصل من المجمل كقوله تعالى حكاية نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ورفعه على انه خبر لمحذوف قلت لوصحت هذه الرواية لجاز نصبه بتقدير اعنى كما لايخفى على ارباب الدراية (والاكثار) اى ومن اكثار القول الممل للحضار او من اكثار متاع الدنيا لكمال توجهه الى المولى والدار الاخرى التى هى بالاستكثار اولى واحرى (ومالايعنيه) اى ومما لايهمه ولاينفعه ولايغنيه وكيف لاوفى حديث الترمذى من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه وقد قال سبحانه وتعالى والذين هم عن اللغو معرضون وهو يشمل القول والفعل وتوجه القلب واقبال العقل (وترك الناس) اى ابعدهم عن ساحة ماينقصهم (من ثلاث) بينها لابابدالها كما قال الدلجى بقوله (كان لايذم احدا) اى بما يضع قدره (ولايعيره) بتشديد التحتية اى لايعيبه بعيب سبق امره اذورد فى حديث الترمذى عن معاذ مرفوعا من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قال التلمسانى هما واحد والاكان العدد اربعا قلت الصواب انهما عددان لا لهما متغايران وان الثالث قوله (ولايطلب عورته) اى لايسيئ ظنه به فيتجسس عن امره ويتفحص عن خلله لقوله سبحانه وتعالى ولاتجسسوا ولحديث ابى داود على المنبر يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته بمعنى كشف الله حاله وفضحه فهو من باب المشاكلة لوروده بالمقابلة وقدتمت الثلاث فعطف على ما قبلها قوله (ولايتكلم الافيما يرجو ثوابه) اى فى فعله او يخاف من عقابه فى تركه ولعله ترك للاكتفاء اولكمال ظهوره (اذاتكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير) اى اكراما له واحتراما لقوله وسبق تحقيقه (واذاسكت تكلموا) اى تأدبا معه وزيادة استفادة منه (لايتنازعون عنده الحديث) اى لايتجاذبونه بينهم كما بينه بقوله (من تكلم عنده انصتواله) اى سكتوا له اواسكت بعضهم بعضا لاجله (حتى يفرغ) اى من كلامه وتحصيل مرامه (حديثهم حديث اولهم) مبتدأ وخبر متضمن للتشبيه بليغ اى حديث آخرهم كحديث اولهم فى الرغبة اليه والنشاط لديه وعدم الملالة والسآمة عليه وفى رواية حتى يفرغ حديث اولهم وروى حتى يفرغ من كلامهم حديثهم حديث اولهم (يضحك مما يضحكون منه) اى بحكم المؤانسة وحق المجالسة (ويتعجب مما يتعجبون منه) تطييبا لخواطرهم وتحسينا لسرائرهم وظواهرهم (ويصبر للغريب على الجفوة) بفتح جيم فسكون فاء اى الغلظة والسقطة والغلطة (فى المنطق) اى فى العبارة وهذا كله كان دأبه فى العادة (ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها) جملة حالية اواستينافية بيانية (فارفدوه) بهمزة قطع او وصل اى اعطوه ولوبعض كفاية اواعينوه على قضاء حاجته (ولايطلب الثناء) اى ولايقبله كما فى رواية (الامن مكافئ) بكسر فاء فهمز اى معتقد لثنائه اومقتصد فى ثنائه غير متجاوز الى اطرائه الا تراه يقول ولاتطرونى

كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاذا قيل هو نبي الله اورسول الله فقد وصف بما لايوصف به احد من امته فهو مدح مكافئ له وما احسن قول البردة في هذه الزبدة

﴿دع ماادعته النصارى في نبيهم ۞ واحكم بماشئت مدحا فيه واحتكم﴾

(ولايقطع على احد حديثه) اى كلامه في اثنائه بل ينصت له (حتى يجوزه) اى يتعداه ويتخلص (فيقطعه بانتهاء) اى لحديثه ولو بعد في قعوده (اوقيام) اى له على طريق وداعه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) اى شيخ الترمذي (وزاد الآخر) اى بسند المصنف من طريق ابي على الحافظ ابن سكرة منتهيا الى الحسن بن على راويا عن اخيه الحسين رضي الله تعالى عنهما (قلت) اى لابي (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى على (كان سكوته على اربع) اى حالات اوصفات (على الحلم) اى الوقار والسكينة دون الخفة والعجلة (والحذر) اى عما يخشى فيه من الضرر (والتقدير) اى تقدير الشئ بمعنى التصوير (والتفكر) اى فيما يحتاج اليه من التقدير (فاما تقديره) تفصيل على خلاف ترتيب مااجمل به (ففي تسوية النظر) اى التأمل في الامر او مساواة النظر بالبصر (والاستماع بين الناس) كما قرر في آداب القضاء من العدالة بين الخصماء على حد سواء في الاستواء وروى الاستماع بمعنى الانتفاع (واما تفكره ففيما يبقى) اى من اعمال العقبى (ويفنى) اى من احوال الدنيا كقوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا اوفيما يبقى عند المولى ويفنى عند السوى كقوله تعالى ماعندكم ينفد وماعند الله باق (وجمع له الحلم صلى الله تعالى عليه وسلم في الصبر) اى في حال صبره (فكان لايغضبه) بضم اوله وكسر ضاده اى لا يحمله على الغضب (شئ يستفزه) بتشديد الزاى اى يستخفه ويفزعه (وجمع له في الحذر) اى التيقظ في الحضر والسفر والتحرس عن الضرر (اربع) اى من الخصال الجيدة والاحوال السعيدة احداها (اخذه بالحسن) اى قولا اوفعلا (ليقتدى به) اى علما وعملا سواء كان واجبا اومندوبا اومباحا فهو مرفوع على انه مبتدأ خبره مقدر مقدم اوعلى انه خبر مبتدأ محذوف هو هو اوعلى انه بدل من اربع بدل الكل بتأخير الربط او بدل البعض بتقديره على وجه شموله ويجوز نصبه بتقدير اعني ايضا لاكما توهم الدلجي في اقتصاره على ضبط نصبه على انه مفعول من اجله (وتركه القبيح) اى حراما اومكروها اوما هو خلاف الاولى (لينتهى عنه) بصيغة المفعول اى لينتهي عنه غيره تبعا له والمعنى انه كان يترك ما يعد قبيحا في حق غيره وان كان وجوده صحيحا في حقه ليكون دليلا على انتهائه صريحا وليعلم انه عامل بعلمه ومتعظ بوعظه كما قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام ومااريد ان اخالفكم الى ماانهيكم عنه (واجتهاده الرأى) اى بذل الجهد في ظهور الاحرى (بمااصلح امته) اى بسبب صلاح امرهم وموجب فلاح اجرهم (والقيام لهم) اى لمصالحهم ونظام احوالهم (بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة) بنصب الامر على ما في الاصول المعتمدة على انه مفعول جمع ووقع في اصل الدلجي من امر الدنيا والآخرة بزيادة من وهو يحتمل ان تكون تبعيضية اوبيانية وهو الاولى كما فسره بقوله من معاش ومعاد قال المصنف (انتهى الوصف) اى وصف نبي الله (بحمد الله) اى مقرونا بحمده حيث لا يستحق الحمد سواه ولا ينبغي ان يحمد الا اياه

﴿فصل﴾ (في تفسير غريب هذا الحديث) اى باعتبار مبناه (ومشكله) اى من جهة معناه وانما سمي غريبا لغرابة استعماله حيث غيره في المداولة اكثر نصيبا ويكون الى الفهم قريبا (قوله المشذب) بفتح الذال المعجمة المشددة (اى البائن الطول) بالاضافة اى المفرط فيه المباين عن قد الطوال اوالمفارق عن رتبة قامة الربعة (في نحافة) اى حال كونه واقعا في صفة النحافة التي هي ضد الضخامة (وهو) اى المشذب (مثل قوله في الحديث الآخر) اى للترمذي والبيهقي (ليس بالطويل الممغط) بتشديد الميم الثانية فمعجمة فمهملة اى المتناهي طولا والممتد قامة واصله منمغط اسم فاعل من باب الانفعال والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت يقال مغطت الحبل اذا مددته وانمغط النهار اذا امتد وفي نسخة بكسر العين المهملة ويروى بصيغة المفعول من باب التفعيل بالغين المعجمة والكل بمعنى (والشعر) بفتح العين وتسكن (الرجل) بفتح راء فكسر جيم مبتدأ موصوف خبره (الذى كانه مشط) بضم ميم فتخفيف سين معجمة مكسورة (فتكسر قليلا) اى فبقيت جعودته يسيرة وسبوطته كثيرة ومنه الترجيل وهو تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه لا انه من الترجيل كما توهمه الدلجي لان المزيد يؤخذ من المجرد لا بالعكس (ليس) اى شعره الرجل (بسبط) بسكون الموحدة وتكسر والاول انسب بقوله (ولاجعد) والجملة تفسير لماقبلها او بيان لما كان عليه من اصل خلقه والحاصل انه لم يكن شديد السبوطة والجعودة وقد روى احمد وابوداود انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الترجل الا غبا ولعل العلة ماينشأ عن الكثرة مما يشعر ببطر النعمة قال النووى والسبط بفتح الباء وكسرها لغتان مشهورتان ويجوز اسكان الباء مع كسر السين ومع فتحها على التخفيف كما في كتف وبابه

(والعقيقة) وهي في الاصل الشعر الذي يولد به يقال عق عن المولود اذا حلق عقيقته يوم سابع ولادته وذبح عنه شاة وسميت باسمه عقيقة كما سمي به (شعر الرأس) لانه نبتت اصوله (اراد) اي الراوي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايفرق شعر رأسه باختياره بل دأبه انه (ان انفرقت) اي عقيقته (من ذات نفسها) وروى من ذاتها (فرقها) اي تركها متفرقة (والا تركها) اي على حالها (معقوصة) اي وفرة واحدة قيل وكان هذا في صدر الاسلام وروى الشيخان وغيرهما انه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به وكانوا يسدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون فسدل صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد ومن ثمه قال النووي المختار جوازهما والفرق افضل (ويروى عقيصته) اي انفرقت عقيصته فرقها والا تركها على حالها وهي فعيلة بمعنى معفولة كضفيرة بمعنى مضفورة زنة ومعنى واصله اللي وادخال اطراف الشعر في اصوله (وازهر اللون نيره) بتشديد التحتية المكسورة اي ابيض مشرق متلألئ ومنه الزهرة نجم مشهور (وقيل ازهر حسن ومنه) اي من هذا القبيل اوالاشتقاق (زهرة الحياة الدنيا اي زينتها) يعني حسنها اوبهجتها (وهذا) اي كونه ازهر (كما قال) اي واصفه (في الحديث الآخر) اي مما رواه الشيخان والترمذي (ليس بالابيض الامهق) اي الشبيه بالابرص (ولابالآدم) اي بالاسمر القريب الى الاحمر بل كان بياضه مشربا بحمرة (والامهق هوالناصع البياض) اي خالصه كلون الجص (والآدم الاسمر اللون) واما ماورد في حديث انه كان اسمر اللون فمحمول على ان مابرز منه للشمس كان اسمر وماسترته ثيابه كان ابيض والحاصل ان اصل خلقته ابيض وقد كان تعتريه السمرة فلا ينافي كونه اسمر فتدبر (ومثله) اي ومثل كون لونه بينهما المفاد بلاولا (في الحديث الآخر) اي الذي رواه الترمذي والبيهقي (ابيض مشرب) بضم ميم وفتح راء مخففة اومشددة للمبالغة اي مشرب بحمرة كثيرة ولذا قال اي (فيه حمرة) وهذا احسن الوجوه واحسن الالوان من افراد انواع الانسان كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنه في القرآن بقوله في وصف الحور البيض كانهن الياقوت والمرجان ولاعبرة ببعض الطباع العادية من ميلهم الى الصفر اوالخضر اوالسودان هذا وفي شرح المصابيح لابن القفاعي الاشراب خلط لون بلون كان احد اللونين يسقي الآخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف فاذا شدد كان للتكثير والمبالغة قلت ومنه قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي اخلط حبه في قلوبهم (والحاجب الازج) افعل من الزجج وهو دقة الحاجبين مع سبوغهما الى مؤخر العين وحسنهما (المقوس) بفتح الواو المشددة اي المشبه بالقوس في نوع من الارادة فلا ينافيه انه (الطويل) اي طرفه وهو احتراز من كونه قصيرا فلاينافي انه لم يكن اشم (الوافر الشعر) احتراز من كونه خفيفا (والاقنى السائل الانف) اي طويله وممده مع دقة ارنبته (المرتفع وسطه) احتراز من حدبته فان كثرتها غير مستحسن (والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين وتكسر الراء (اتصاله شعر الحاجبين) اي طرفيهما حتى يتلاقيا (وضده البلج) بفتحتين بعدهما جيم وهوالذي بينهما فصل بين والجمع بين الروايات ان شعر حاجبيه لم يكن في غاية من الاتصال ولا في نهاية من الانفصال بل على حد الاعتدال المطلوب في جمال ارباب الكمال فلا تنافي بين ماسبق من المصنف وبين ماذكره بقوله (ووقع في حديث ام معبد) بفتح ميم فسكون عين مهملة فموحدة وهي التي رأته صلى الله تعالى عليه وسلم في طريق الهجرة من مكة الى المدينة (وصفه) اي وصفها اياه (بالقرن) وقد يجمع بينهما بان ام معبد رأته من بعد فظننت انه اقرن لقرب طرفيهما التقاء فوصفته بالقرن وعلي كرم الله تعالى وجهه حققهما من قرب فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالبلج واما قول الدلجي من ان الصحيح وصفه بالبلج اذهو المحمود عند العرب دون القرن فغير صحيح لانه صلى الله تعالى عليه وسلم خلق على جمال موصوف بكمال عند العرب والعجم نعم يستبعد تجويز الحلبي حدوث القرن له عليه الصلاة والسلام بعد فانه ينزه عليه الصلاة والسلام عن حدوث مايعد عيبا فيه (والادعج) من الدعج وهو السواد في العين وغيرها وقيل هو شدة سواد العين في شدة بياضها وهو المراد ههنا وقوله (الشديد سواد الحدقة) اي حدقة العين من باب الاقتصار اومن قبيل الاكتفاء والاختصار اولتحقق البياض في غالب العادة وانما تختلف الحدقة باعتبار السواد والزرقة والشهلة (وفي الحديث الآخر) اي الذي رواه مسلم (اشكل العين واسجر العين) بمهملة فجيم وهما بمعنى واحد (وهوالذي في بياضها حمرة) اي يسيرة والشكلة بالضم شكلة محبوبة محمودة ثم اعلم ان في القاموس عين سجراء خالطت بياضها حمرة فاضبط في بعض النسخ الصحيحة بالحاء المهملة ليس في محله لما في القاموس من ان السحر بفتحتين هو البياض يعلو السواد واما ضبط بعضهم بالشين المعجمة فلاوجه له اصلا (والضليع) اي الفم كما سبق اي عظيمه وهو ممدوح في الرجال كما مر وقيل كما قال المصنف (الواسع) فالمراد به الوسع في الجملة كما اعتدال الخلقة لا ضيقه بالمرة (والشنب) بفتح النون (رونق الاسنان وماؤها) اي صفاؤها وبهاؤها وانما يتمادح بكثرة الريق في المحاورات والخطب والحرب لانه

يدل على ثبات جنان المتكلم ورباطة جاشه ففؤاده رطب بخلاف الجبان اذا تكلم في هذه المحل فل جف ريقه في فمه وما الذ قول العارف ابن الفارض قدس سره

﴿ عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعد لك عن ظلم الحبيب هو الظلم ﴾

(وقيل) اى في معناه (رقتها) بالراء بمعنى دقتها (وتحريزفيها) بزايين اى تحديدفيها (كما يوجد في اسنان الشباب) اى لانهم في زمان ازد ياد قوا هم النا مية واشتعال حرارتهم الغريزية الموروثة لابتهاج نضارة الاعضاء وبها نما وحسن رونقها وبريق مائها (والفلج) بفتحتين (فرق بين الثنايا) واحدتها ثنية ومجموعها اربع وهي الاوائل المبدوءة (ودقيق المسربة) بضم الراء (خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة) اى هوالذى لدقته وقلته وطوله كالخيط الدقيق الممتد من الصدر الى السرة (بادن ذولحم) اى البادن باعتبار اصله هوالضخم من الدانة وهى كثرة اللحم ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم سمينا بدينا ولذا عطف عطف تفسير بقوله (ومتما سك) ثم بينه بعطف بيان حيث قال (معتدل الخلق) اى متوسطه ومع ذلك (يمسك بعضه بعضا) اى ولم يكن لحمه مسترخيا فلم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم ضخما بل كان فخما فافرق بينهما فهما ولاتتبع ماقال بعضهم وهما والحاصل ان مضمون هذا الحديث في افادة اعتدال خلقه من جهة لحمه وغيره (مثل قوله في الحديث الآخر) اى على ماروا الترمذى والبيهقى (لم يكن بالمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة (ولا بالمكلثم) بفتح المثلثة (اى ليس بمسترخى اللحم) تفسير للمطهم اى لم يكن فاحش السمن والاوجه ان معناه لم يكن منتفخ الوجه لانه من لوازم كثرة اللحم (والمكلثم القصير الذقن) بفتحتين اى الحنك الدانى اليه والمشهور تفسيره بمدور الوجه سواء كان مع خفة لحمه اوكثرته (وسواء البطن والصدر) هكذا الرواية بتقديم البطن على الصدر وان كان الاظهر عكسه كما وقع في اصل الدلجى لكنه ليس بمعتبر حيث يخالف الاصول (اى مستويهما) يعنى لاينبو احدهما عن الآخر بان لايكون بطنه ضخما مرتفعا ولاصدره منخفضا (ومشيح الصدر) بضم ميم فشين معجمة مكسورة على مافي النسخ المعتبرة (ان صحت هذه اللفظة) اى بالضبط المذكورة (فيكون) اى المشيح (من الاقبال) اسم فاعل من اشاح بمعنى اقبل فالمراد انه مقبل الصدر (وهو) اى الاقبال (احد معانى اشاح) ومنها اعرض ذكره الدلجى وفي القاموس الشيح بالكسر الجاد في الامور كالشائح والمشيح والحذر وقد شاح واشاح على حاجته والمشيح المقبل عليك والمانع لماوراء ظهره (اى انه كان بادى الصدر) بالباء اى ظاهره (ولم يكن في صدره قعس) بفتحتين وهوخروج الصدر ودخول الظهر ضدالحدب (وهوتطامن فيه) بفتحتين فسكون همز وقد يبدل اى انخفاض (وبه) اى بكون المعنى باديا صدره الى آخره (يتضح قوله قبل) اى يتبين معنى ماروى من قبل ذلك (سواء البطن والصدر) بالاضافة وقيل بتنوين سواء ورفع مابعده (اى ليس بمتقاعس الصدر) اى غير منخفضة ولامفاض البطن) مجرور بالعطف على متقاعس وزيد لاللتأكيد وهو بضم ميم ففاء فجيمة اى ضخمه ومرتفعه (ولعل اللفظ) اى صحف على ان اصله (مسيح بالسين) اى المهملة (وفتح الميم) اى لابضمها (بمعنى عريض) اى وسيع الصدر مأخوذ من المساحة وهو طول المسافة ومنه الساحة وهي فناء الدار المتسعة (كما وقع في الرواية الاخرى) اى بهذا اللفظ صريحا وينصره تلويحا حديث كان مسيح القدمين اى ممسوح ظاهرهما وهما ملساوان اذا مسهما الماء نباعنهما (وحكاه ابن دريد) بالتصغير (والكراديس) جمع الكردوس (رؤس العظام وهو) اى قوله والكراديس رؤس العظام (مثل قوله في الحديث الآخر) اى الذى رواه الترمذى والبيهقى (جليل المشاش) بضم الميم اى ضخم رؤس العظام كالركبتين والمرفقين والكتفين على مافي النهاية اورؤس العظام اللينة التى يمكن مضغها على مافي الصحاح وهو اقرب الى مادة المشمشة يقال تمشمش العظام تمشمشا (والكتد) بالجر عطف على المشاش وهو بفتح التاء افصح من كسرها وهذا لفظ الحديث ثم قال المصنف (والمشاش رؤس المناكب) جمع منكب وهوما بين الكتف والعنق (والكتد مجمع الكتفين) بفتح الميم الثانية وهوالكاهل وقيل مابين الكاهل الى الظهر (وشثن الكفين والقدمين لحيمهما) وهوخلاف مامر في تعريفهما (والزندان) تثنية الزند (عظما الذراعين) اى رأساهما على طبق ماسبق اوقصبتاهما على خلاف ماتحقق قال الاصمعى اخبرنى ابى انه لم يرا حدا اعرض زندا من الحسن البصرى كان عرضه شبرا (وسائل الاطراف اى طويل الاصابع) اى من اطراف يديه ورجليه (وذكر ابن الانبارى) بفتح الهمزة بعدها نون ساكنة منسوب الى مدينة الانبار مدينة بالفرات وهو محمد بن القاسم ابن بشار وقد جاء في بعض الاحاديث قال الانبارى ولم يسمه وهو محمد بن سليمان الانبارى فاعلم كذا ذكره التلمسانى (انه) اى هذا اللفظ (روى سائن الاطراف) اى بالشك في روايته لقوله (اوقال) اى الراوى (سائن بالنون قال) اى الانبارى (وهما بمعنى) اى واحد كجبريل وجبرين (تبدل اللام من النون) يعنى فالاصل هو النون والاظهران

الاصـل هو اللام وان النون تبدل منها لتقاربهما فى مخرجيهما اولتجانسهما فى حيزهما وهذا كله (ان صحت الرواية بها) اى بالنون فان الرواية باللام ثابتة بلا مرية (واما على الرواية الاخرى) اى بالراء كما بدئه بقوله (وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث) اى كما مر فى فصل قبله (ورحب الراحة) بفتح الراء وضمها (اى واسعها) وهى الكف حقيقة وهو ظاهر (وقيل كنى) اى واصفه (بها) اى بالراحة وفى نسخة صحيحة به اى بقوله رحب الراحة (عن سعة العطاء والجود) ولا منع من الجمع بين العبارة والاشارة (وخمصان الاخمصين) بضم اوله (اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لاتناله الارض من وسط القدم) وفى النهاية ان خمصان للمبالغة قال وسئل ابن الاعرابى عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهواحسن مايكون واذا ارتفع جدا فهومذموم فالمعنى ان اخمصه معتدل الخمص (ومسيح القدمين اى املسهما ولهذا) اى لكونهما ملساوين (قال) الراوى فى الحديث السابق (ينبو عنهما الماء) وقد تقدم معناه (وفى حديث ابى هريرة) اى كما رواه البيهقى (خلاف هذا) اى خلاف كون قدميه اخمصين لانه (قال اذا وطئ بقدمه) بكسر الطاء اى داس بهما اووقف عليهما (وطئ بكلها ليس له اخمص) ويمكن الجمع بينهما بان مراده ابى هريرة انه وطئ بكلها لابيعضها كما يفعله بعض ارباب الخيلاء وان قوله ليس له اخمص محمول على نفى المبالغة كما تقدم اوانه مدرج من الراوى بحسب مافهمه من حديثه وهذا الجمع اولى مما اختاره المصنف حيث قال (وهذا) اى معنى قوله ليس له اخمص (يوافق معنى قوله مسيح القدمين) وفيه انه لامنافاة بين كونه اخمص وبين كونه مسيحا لما سبق من ان قدمه كانت ملساء كانها ممسوحة واما قول الانطاكى من ان باطن ذكر فى المعنى فى صفته عليه الصلاة والسلام انه كان رجله اخمص فمحمول على ماذكرناه من الجمع بانه كان له بعض الخمص لا انه لم يبلغه حديث ابى هريرة اولم يصح الحديث عنده كما اختاره الانطاكى (وبه) اى بمسيح القدمين (قالوا) اى بعضهم (سمى المسيح ابن مريم اى لم يكن له اخمص) اى بطريق المبالغة لابالكلية مع ان الانسب ان يقال لكون قدمه ملساء ممسوحة (وقيل لالحم عليها) وفيه انه لايظهر وجه المناسبة الاشتقاقية حينئذ اصلا (وهذا) اى قوله لالحم عليها (ايضا يخالف قوله شثن القدمين) اى عند من فسره بلحيمهما كالمصنف واما عند من فسره بميلهما الى غلظ وقصر اوفى انا ملهما غلظ بلاقصر فلا اذ لا تلازم بين اللحمية والغلظ فقد يكون الغلظ بلا كثرة اللحم (والتقلع رفع الرجل بقوة) اى مع تثبت فى المشى بحيث لايظهر فيه شدة ولاسرعة (والتكفؤ الميل الى سنن المشى) بفتحتين وفى نسخة الممشى على انه مصدر ميمى اواسم مكان اى الى صوبه (وقصده) اى من جهته معتدلا بها من غير انحراف عنها وفى الحديث القصد القصد تبلغوا اى الزموا الامر الوسط فى العمل تصلوا ما تقصدونه من المحل فنصبه على الاغراء وتكراره للتأكيد بالبناء (والهون) مبتدأ وخبره (الرفق والوقار) وفى رواية كان يمشى الهوينا تصغير الهونى تأنيث الاهون فيكون القصد منه المبالغة فى الهون المندوب فى قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وفى الادب المفرد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما اى لاافراط فيه بل قليلا قليلا بشهادة ضم ماليه (والذريع الواسع الخطو) اى من الذرع وهو الطاقة وهو الوسع ومنه قوله سبحانه وتعالى وضاق بهم ذرعا (اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة) اى بقوة (ويمد خطوه) اى فى مشيه (خلاف مشية المختال) اى لعصمته من الاختيال واقوله عز وجل ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا والمشية بكسر الميم لانه مصدر للنوع (ويقصد) بكسر الصاد (سمته) اى مقصده فى طريقه بدون ميل عن وسطه لقوله سبحانه وتعالى واقصد فى مشيك (وكل ذلك) اى ماذكر من المراعاة فى مشية انما كان (برفق) اى وفق لطف (وتثبت) اى طلب ثبات دون عجلة اذهى ايضا مذمومة كالخيلاء فكان مشيه معتدلا (كما قال) الراوى (فكانما ينحط) اى ينزل (من صبب) وفى رواية فى صبب وهو بفتحتين اى منحدر وروى كانما يهوى من صبوب بضمتين (وقوله يفتح الكلام ويختمه باشداقه) اى بجوانب فمه جمع شدق بالكسر (اى لسعة فمه) يعنى انما كان ذلك لاتساع فيه (والعرب تمادح بهذا) اى بوسع الفم وعظمته لدلالته على فصاحة صاحبه وبلاغته (وتذم بصغر الفم) الباء زائدة اوسببية اى تذم الانسان لصغر فمه ولايعارض حديث ابغضكم الى الثرثارون المتشدقون لان المراد بهم المتوسعون فى الكلام بدون احتياط واحتراز فى نظام المرام والمستهزؤن بالناس بلى الشدق ونأى الجانب والتمطى ونحو ذلك من افعال اللئام (واشاح) اى بناء على احد معانيه (مال) اى الى كذا مانعا لماوراء ظهره (وانقبض) اى مما ارهقه واغضبه اذالمشيح هو الحذر والجاد فى الامر اى المقبل عليه وفى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر النار ثم اعرض واشاح اى حذر منها كانه ينظر اليها اوجد فى الايصاء باتقائها اواقبل ومال فى خطابه اليه (وحب الغمام) اى السحاب (البرد) بفتحتين

شبه بجب الارض ولو من بعض الوجوه (وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة) ولما كانت الجملة المضارعية لحكاية الحال الماضية صح تفسيره بقوله (اى جعل من جزء نفسه) اى بعض اوقات حظ نفسه (ما يوصل الخاصة اليه) اى زمانا مجعولا يكون وسيلة الى توصيل الخاصة اليه (فتوصل عنه العامة) اى بالواسطة لعدم امكان الزمان اوالضيق مكانه عن وصول كافة الخلق الى حصول ادراك شانه ومالا يدرك كله لايترك كله (وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة) وقد عرفت وجه ضعفه فيما تقدم والله تعالى اعلم (ويدخلون) اصحابه عنده (روادا) بضم راء وتشديد واو وجمع رائد (اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده) لما لديه من هداية ومعرفة نازلة عليه (ولاينفرقون) اى لاينصرفون كما في نسخة (الاعن ذواق) بفتح اوله بمعنى مذوق من الذوق المعنوى او الحسى (قيل عن علم يتعلمونه) اى ثم يصيرون هداة للناس بعلومهم ومثل هذا يروى عن ابى بكر بن الانبارى وزاد عليه فقال فيقوم لهم ما يتعلمونه مقام الطعام والشراب لانه عليه الصلاة والسلام كان يحفظ ارواحهم كما يحفظ الطعام والشراب اجسامهم واشباحهم (ويشبه) اى والاشبه (ان يكون) اى ذواقهم (على ظاهره) اى من مأكول ومشروب باعتبار الاكثر الاغلب والى هذا المعنى قال الامام الغزالى فى الاحياء والحمل على المعنى الاعم هو الاتم والله تعالى اعلم (والعتاد) بالفتح (العدة) بالضم (والشئ الحاضر المعد) بصيغة المجهول اى المهيا لما يقع من الامور الملمة والاحوال المهمة (والموازرة المعاونة) من الوزر وهو فى الاصل الحمل والثقل ومنه قوله تعالى واجعل لى وزيرا من اهلى اى معينا يحمل عنى بعض حملى وفى حديث البيهقى نحن الامراء وانتم الوزراء جمع وزير وهو من يوازر السلطان فيحمل عنه ما حمله من اثقال الزمان (وقوله لايوطن الاماكن) بتشديد الطاء وتخفيفها (اى لايتخذ لمصلاه موضعا معلوما) اى لايصلى الافيه (وقد ورد نهيه عن هذا) اى ايطان المكان فى المساجد (مفسرا) اى مصرحا ومبينا (فى غير هذا الحديث) اى من حديث الحاكم وغيره كما سبق (وصابره اى حبس نفسه على مايريد صاحبه ولاتؤبن فيه) اى فى مجلسه (الحرم) بضم ففتح (اى لايذكرن فيه بسوء ولا تنثى فلتاته اى لايتحدث بها) اى مطلقا وهو يحتمل احتمالين كما بينه بقوله (اى لم تكن فيه فلتة) فالنفى الى القيد والمقيد (وان كانت) اى فلتة فرضا وتقديرا (من احد) اى من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (سترت) اى فى ذلك المجلس وما ذكرت فى غيره لقوله عليه الصلاة والسلام المجالس بالامانة (ويرفدون يعينون) اى كل من يريد الاعانة او الاغاثة (والسخاب الكثير الصياح) بكسر الصاد (وقوله لا يقبل الثناء الا من مكافئ) استثناء مفرغ (قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه) اى لم يتجاوز به عن حده ورتبته وصفه الى اطرائه (وقيل الا من مسلم) اى كامل فان ثناءه لايكون الافى محله اللائق به وتوضيحه انه كان لايقبل الثناء عليه الامن رجل يعرف حقيقة اسلامه وحقيقة مرامه ولايدخل عنده فى جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم فاذا كان المثنى عليه بهذه الصفة قبل ثناءه وكان مكافئا ما سلف من نعمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده واحسانه اليه (وقيل الامن مكافئ على يد) اى نعمة (سبقت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى من احسان صورى والافلا يخلو احد منه من انعام معنوى (ويستفزه) بتشديد الزاى (يستخفه) بتشديد الفاء (وفى حديث آخر) اى كما رواه مسلم (فى وصفه عليه الصلاة والسلام منهوس العقب) بمهملة ومعجمة على ما ذكره ابن قرقول فى مطالع لغة ثم فسره المصنف (اى قليل لحمها) يعنى كانه نهس فان النهس هو اخذ اللحم بالاسنان ثم قال وقيل هو بالمعجمة ناتئ العقبين معروقهما وفسر فى الحديث شعبة المهملة قال قليل لحم العقب انتهى ولا يخفى ان تفسير شعبة الراوى هو الاولى هنا وفى رواية منهوس الكعبين وفى اخرى القدمين (واهدب الاشفار) اى اشفار العين جمع شفر بالضم وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر وذلك الشعر هو الهدب وجمعه اهداب وحرف كل شئ شفره وشفيره (اى طويل شعرها) وعن الشعبى كانوا لايوقتون فى الشفر شيئا اى لايوجبون فيه شيئا مقدارا وهو مخالف للاجماع على وجوب الدية فى الاجفان ذكره الدلجى وفيه انه انما نفى الشئ المقدر فى الشعر بعد وهو لاينافى ماذكره الفقهاء بطريق الحكومة

الباب الثالث

اى من القسم الاول (فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها) اى عند المحدثين فهو متوسط بين المتواتر والاحاد والغالب فيه ان يكون صحيحا او بما يكون حسنا ولايكون ضعيفا او عند العامة فيشمل الصحيح وغيره وربما يكون موضوعا والاظهر ان الشيخ اراد به النوع الاول كما يقتضيه مقام المرام فتأمل وعلى كل فهو من قبيل عطف العام على الخاص لاعكسه كما زعم من توهم ان كل مشهور صحيح (بعظيم قدره) متعلق بوردوالباء للتعدية اى بمقداره المعظم (عند ربه ومنزلته) اى وبرفعة مرتبته عند ربه الاكرم (وماخصه به فى الدارين) اى الاولى والاخرة (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما (لاخلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر) لما فى الترمذى والدارمى

انا اكرم الاولين والآخرين ولافخر كذا ذكره الدلجي وكانه ذهب وهمه الى ان اللام في الاولين والاخرين للعهد او للجنس المراد بهم البشر والاظهر ان اللام للاستغراق وانه اكرم الخلائق بالا تفاق ولاعبرة بخلاف المعتزلة وارباب الشقاق (وسيد ولد آدم) لحديث الترمذي انا سيد ولد آدم يوم القيامة و بيدي لواء الحمد ولافخر ومامن نبي يومئذ آدم فمن دونه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولافخر (وافضل الناس منزلة عندالله) اي مرتبة ومكانة (واعلاهم درجة) اي ارفعهم قربة (واقربهم زلفى) اي تقربا واكثرهم حبا لكونه حبيب رب العالمين (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على غير قياس (الواردة في ذلك) اي في بيان ماذكر (كثيرة جدا) بكسر جيم وتشديد دال منصوب منون مصدر والمراد به المبالغة في الكثرة (وقداقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها) اي مشتهرها الشامل لحسنها دون ضعيفها لعدم اقتضاء الاقتصار (وحصرنا معاني ماورد منها في اثني عشر فصلا) اي تفاؤلا باثني عشر نقيبا

﴿ الفصل الاول ﴾

(فيما ورد من ذكر مكانته) اي قرب منزلته (عند ربه والاصطفاء) اي اجتبائه في رفعة مرتبته (ورفعة الذكر) اي بين خلقته (والتفضيل) اي وبيان زيادة فضيلته (وسيادة ولد آدم) اي وسيادته لابناء جنسه المكرم على غيره (وماخصه) اي الله (به في الدنيا من مزايا الرتب) اي من الرتب الدالة على مزيته (وبركة اسمه الطيب) اي الدال على طيب مسماه من ذاته وصفاته (حدثنا) وفي نسخة اخبرنا (الشيخ ابو محمد عبدالله بن احمد الملقب بالعدل) بفتح العين وسكون الدال التميمي مات عام احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) اي بعبارته دون اشارته (حدثنا ابو الحسن الفرغاني) بفتح اوله منسوب الى فرغانة ناحية بالمشرق قال التلمساني هو علي بن عبدالله المقري (حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر ابن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بالتصغير وقال التلمساني هو بفتح العين وكسر القاف ابن المهتدي المرادي اللؤلؤي (عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الالف نون ثم ياء نسبة حافظ كوفي روى عن شريك وخلق وعنه ابوحاتم وابن ابي الدنيا والبغوي وطائفة وثقه يحيى بن معين وغيره واما احمد فقد كان يكذب جهارا وقال النسائي ضعيف كذا ذكره الحلبي وغايته ان الحديث بهذا الاسناد ضعيف لكن يتقوى بما رواه الطبراني والبيهقي كما نقله الدلجي فلايضر قول الحلبي هذا الحديث ليس في الكتب الستة (حدثنا قيس) قال الحلبي الظاهر انه ابو محمد قيس بن الربيع الكوفي روى عنه ابونعيم وغيره اختلف في توثيقه (عن الاعمش) هو امام جليل (عن عباية) بفتح مهملة فموحدة فالف بعدها تحتية وقيل بهمزة فهاء واصلها الباس فيه خطوط سود (بن ربعي) بكسر راء وسكون موحدة فمهملة بعدها ياء نسبة روى عن علي وعنه موسى بن طريف وكلاهما من غلاة الشيعة له عن علي انا قسيم النار (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق) اي من الثقلين (قسمين) بكسر اوله اي شقيا وسعيدا لافاضلا وافضل كما ذكره الدلجي مقدما على مااخترناه (فجعلني من خيرهم قسما) اي من قسم السادة التي هم ارباب السعادة كما يدل عليه قوله (فذلك) اي جعلهم قسمين يؤذن به (قوله تعالى واصحاب اليمين) اي السعادة في انواع من النعيم المقيم (واصحاب الشمال) اي الشقاوة في اصناف من عذاب الجحيم فقيل سموا بهما لاخذهم كتبهم بايمانهم وشمائلهم اولانهم اصحاب اليمين والشأمة على انفسهم (فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين) واغرب الدلجي حيث قال بعد قوله فجعلني من خيرهم قسما وهم العرب بشهادة فذلك قوله تعالى واصحاب اليمين (ثم جعل) اي الله سبحانه وتعالى (القسمين) اي المذكورين في اثناء السورة المراد بهما اصحاب اليمين واصحاب الشمال (اثلاثا) اي ثلاثة اصناف في آخر السورة بجعل القسم الاول الذين هم ارباب السعادة صنفين كما سيأتي لا اثلاثا متفاوتين شقاوة وسعادة كما ذكره الدلجي اذ لم يذكر تفاوت ارباب الشقاوة في هذه السورة اصلا وان كانوا متفاوتين في الدركات كما ان اهل الجنة متفاوتون في الدرجات (فجعلني من خيرها ثلثا) وهم المقربون (وذلك) اي جعلهما اثلاثا يؤذن به (قوله تعالى فاصحاب الميمنة) اي المنزلة السعيدة (واصحاب المشئمة) اي المنزلة السفلية (والسابقون السابقون) اي في مرتبة القربة العلية (فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل) اي من العرب وغيرهم (فجعلني من خيرها قبيلة) وهم العرب وابعد الانطاكي حيث قال هم قريش (وذلك) اي جعلها قبائل يشير اليه (قوله) اي بعد قوله تعالى ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بالفتح لابالكسر كما توهم بعضهم فانه طريق بين الجبلين واما بالفتح فما تتشعب منه القبيلة (وقبائل لتعارفوا الاية) تمامها ان اكرمكم عند الله اتقيكم ثم الشعب جمع عظيم ينسب الى اصل واحد وهو يجمع القبائل (فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولافخر) اي ولااقول افتخارا به بل تحدثا بنعمة الله لامرءاو ولافخر لي بذلك لانه ليس من قبلي ولابقوتي وحولي بل من فضل الله وتوفيقه من اجلي او ولافخر لي بهذا

المقام بل افتخاري بقرب ربي الذي هو غاية المرام (ثم جعل القبائل) اى قبائل العرب (بيوتا) اى بطونا وافخاذا وفصائل متفاوتة فى الشرف والفضائل من قريش وغيرهم (فجعلني من خيرها بيتا) وهو بيت بني هاشم من بطن قريش (فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اى وسخ الشرك ودنس المعصية (اهل البيت) نصبه على المدح اوالنداء وهذا معنى ثالث لاهل البيت على ماقرر فى محله (ويطهركم) اى من الاخلاق الدنية (تطهيرا) اى مبالغا بحيث يسرع فى تبديلها بتنوير الامور الدينية المشتملة على الاحوال الدنيوية والاخروية (الآية) كذا فى بعض النسخ وهو ليس فى محله لانه آخر الآية وما بعدها ليس له تعلق بما قبلها فمحله اللائق به بعد قوله اهل البيت كما فى نسخة صحيحة واما تخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما بحديث ادخالهم فى كسائه ثم قرآءتهم هذه الاية واحتجاجهم بها على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فضعيف لمنافاة التخصيص ما قبل الاية وما بعدها ثم الحديث قاض بانهم اهل البيت وخواصهم لابانه ليس غيرهم منهم (وعن ابي سلمة) اى ابن عبدالرحمن بن عوف احد الفقهاء السبعة عند الاكثر (عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه الترمذي وصححه (قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) اى فى اى زمان ثبتت لك مرتبة النبوة (قال وآدم بين الروح والجسد) جملة حالية وردت جوابا لقولهم متى وجبت اى وجبت لي فى الحالة التي كان آدم فيها بين تصوير جسمه وبين اجراء روحه فى بدنه وفى الحديث ايماء الى ان الغايات والكمالات سابقة شهودا لاحقة وجودا هذا وفى حديث احمد اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته (وعن واثلة) بالمثلثة (ابن الاسقع) وكان من اصحاب الصفة اسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتجهز لغزوة تبوك وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين توفي بدمشق وله مائة سنة وقد روى مسلم وغيره عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) كذا فى النسخ المصححة ووقع فى اصل الدلجي زيادة ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل الحديث وقال انما اعاده هنا لزيادة صدره (واصطفى من ولد اسمعيل كنانة) بكسر الكاف (واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس رضي الله تعالى عنه) اى الذي رواه الترمذي وصدره انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي و(انا اكرم ولد آدم على ربي ولافخر) زاد الدارمي يطوف علي الف خادم كانهم بيض مكنون اولؤلؤ منثور (وفى حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه) اى الذي رواه الترمذي والدارمي وصدره جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ان الله كلم موسى تكليما وقال آخر عيسى كلمة الله وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولافخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولافخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المهاجرين ولافخر و(انا اكرم الاولين والآخرين) اى على الله كما فى رواية (ولافخر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقي وابو نعيم والطبراني (اتاني جبريل فقال قلبت) بتخفيف اللام وتشديدها وهو ابلغ اى فتشت وتفحصت وقيل نظرت ورأيت (مشارق الارض ومغاربها) اى بجميع اطرافها وجوانبها (فلم ار رجلا افضل من محمد) عدل الى الغيبة مصرحا باسمه المفيد للمبالغة الدالة على كثرة صفاته الحميدة وسماته السعيدة (ولم ار بني اب) اى اهل بيت (افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما فى الصحيح (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بالبراق) اى جيء به وسبق بيان مبناه ومعناه (ليلة اسري به) بصيغة المجهول (فاستصعب) اى البراق (عليه) اى عند ارادة ركوبه (فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا) فيه ايماء الى ان هذا كان دأبه لغيره كما يشير اليه تقديم المتعلق على فعله والهمزة لانكار استصعابه كما علله بقوله (فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا) بتشديد الضاد المعجمة اى سال عرقه من شدة ما اعتراه من الهيبة (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن ابي عمر العدني (لما خلق الله آدم اهبطني) اى من الجنة حال كوني (فى صلبه) بضم اوله وقدم التلمساني فتحه (الى الارض) يعني وهكذا ينقلني من صلب كريم الى رحم طاهر بعده (وجعلني فى صلب نوح) فى السفينة (وقذف بي) اى القاني (فى النار فى صلب ابراهيم) اى حين القاه نمرود فيها وقد وقع فى اصل الدلجي حتى مكان الواو العاطفة فى وجعلني وقذف وهو مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (ثم لم يزل ينقلني) اى يحولني (فى الاصلاب الكريمة) كذا فى النسخ بلفظ فى ولعله بمعنى

من الملائم لقوله (الى الارحام الطاهرة) جمع رحم وهو هنا مقر الولد من المرأة كما ان الصلب مقر المنى من الرجل (ثم) وفى نسخة صحيحة حتى (اخرجنى) اى اظهرنى (بين ابوى) اى فيما بينهما لقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب (لم يلتقيا) اى لم يجتمعا فى جماع (على سفاح) بكسر السين اى على حال غير نكاح (قط) اى لا حين شهودى ولا قبل وجودى (والى هذا) اى هذا المعنى وهو نفى السفاح فى المنى (اشار العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه) وفى اصل التلمسانى عمه من العمومة وهو بدل من العباس (بقوله) اى فيه كما فى نسخة اى فى حقه وفى اخرى فيه بقوله (من قبلها) اى قبل الدنيا او الولادة من غير ذكر لها كما فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب اى الشمس وكل من عليها فان اى الارض وانا انزلناه اى القرآن واما رجع الضمير الى النبوة كما ذكره الدلجى وغيره فغير مناسب لمقام المرام نعم لو وضع الرسالة موضعها لو قع فى الجملة موقعها وقيل من قبل نزولك الارض (طبت فى الظلال) اى فى ظلال الجنة قال التلمسانى ثبت بخط القاضى الظلال وروى العرق طبت فى الجنان (وفى مستودع) بفتح الدال كما فى قوله تعالى فمستقر ومستودع اى طبت فى مستودع من صلب آدم بقوله (حيث يخصف الورق) بصيغة المجهول وهو مستفاد من قوله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة والمعنى يضم بعضه الى بعض ويلصق ورقة فوق اخرى (ثم هبطت البلاد) اى من الجنة الى الدنيا فى صلب آدم (لا بشر انت ولا مضغة ولا علق) اى والحال انك لم تكن حينئذ واحدا منهما والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم والعلق اسم جنس مفرده علقة وهى قطعة من دم جامد ورتب بينهما فى التنزيل للترقى وهنا للتدلى ولذا قال (بل نطفة تركب السفين وقد) اى بل نزلت وانت فى صلبه نطفة ثم صرت الى نوح حال كونك تركب السفينة وانما اتى بلفظ الجمع لكبره او هو اسم جنس وان صرح صاحب الصحاح بانه جمع لما فيه من المسامحة او لعدم الفرق بينهما عند بعض اهل اللغة وقيل جمع للتعظيم او لضرورة الوزن واما ماروى بحذف بدل نطفة فلا يلائم مقام المرام ثم قد للتحقيق فى قوله (الجم نسرا واهله الغرق) بفتحتين اى منعهم من الكلام وظهور المرام وهو مأخوذ من اللجام وفى قوله نسرا اشارة الى قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد روى انه كان لادم عليه السلام بنون خمسة يسمون بهذه الاسماء وكانوا عبادا فاتوا فحزن اهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين مثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فكرهوها فى القبلة فجعلوها فى مؤخر المسجد فلما هلك ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه آلهة آبائكم فاعبدوها ثم ان الطوفان دفنها فاخرجها اللعين للعرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل بساحل البحر ويغوث لغطيف من مراد ويعوق لهمدان ونسر لذى الكلاع من حمير ثم احدثوا للاصنام اسماء اخر (تنقل من صالب الى رحم) بصيغة المفعول وصالب بكسر اللام وفتحها لغة فى الصلب بالضم الا انه قليل الاستعمال كما قاله ابن الاثير (اذا مضى عالم بدا طبق) العالم بفتح اللام والمعنى اذا ذهب قرن ظهر قرن وقيل للقرن طبق لانه طبق الارض بكسر الطاء اى ملئها ثم ينقرضون ويأتى طبق آخر ومنه طبقات المشايخ وغيرهم وقد قيل الطبق الجماعة من الناس ويرجع معناه الى الاول فتأمل وزيد فى بعض النسخ ابيات اخر ويدل على صحة وجودها كلام بعض المحشين فى بيان الفاظ ورودها وهو قوله (ثم احتوى) اى اجتمع وانضم وفى اصل الدلجى حتى احتوى فهى غاية لما دل عليه البيت قبله اى متنقلا من صلب الى رحم قرنا فقرنا الى ان احتوى (بيتك المهيمن) اى الشاهد (خندف) بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الدال المهملة وقد تفتح بعدها فاء وهو فى الاصل مشية كالهرولة والمراد به امرأة الياس بن مضر سميت بها القبيلة واسمها ليلى وهى القضاعية ام عرب الحجاز فهو غير منصرف قوله (علياء) بفتح العين ممدودة منصوبة اى منزلة علياء مفعول احتوى (تحتها) وفى نسخة دونها (النطق) بضم النون والطاء جمع نطاق قال ابن الاثير وهى اعراض من جبال بعضها فوق بعض اى نواح واوساط فيها شبهت بالنطق التى يشد بها اوساط الناس ضرب به مثلا له فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد بيته شرفه فى عشيرته او نفسه فى حد ذاته والمهيمن نعته اى حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك اعلى مكان من نسب خندف فان اصل النطق هو الجبل الاشم اذا السحاب لا يبلغ اعلاه وقال القشيرى وغيره ايها المهيمن على ان النداء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم ثم قيل فى الياس انه موافق اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصحح السهيلى انه اليأس الذى هو ضد الرجاء واما الياس فجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه يقول لا تسبوا اليأس فانه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالحج وهو اول من اهدى البدن الى البيت (وانت لما ولدت اشرقت الارض ونارت بنورك الافق) وفى نسخة صحيحة وضاءت اى اضاءت وهما لغتان ومنه الضوء اى استنارت بنورك نواحيها (فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق) بسكون موحدة السبل لغة فى ضمها جمع السبيل وهو مجرور عطف على ما قبله

وقوله نخترق بفتح نون فسكون خاء معجمة اى ندخل ونقتحم وقال التلمسانى اى وسبل الرشاد نخترقها بمعنى نقطعها فالسبل منصوب والابيات عن العباس رضى الله تعالى عنه رواه ابو بكر الشافعى والطبرانى عن خريم بن اوس ابن حارثة وذكر هذه الابيات فى الغيلانيات بسنده الى خريم بضم الخاء المعجمة وفتح الراء قال هاجرت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعت العباس يقول يارسول الله انى اريد ان امتدحك فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل لايفضض الله فاك قال فانشد العباس يقول فذكرها سبعة ابيات آخرها نخترق وكذا قال ابن عبدالبر فى استيعابه فى خريم وذكر ابن امام الجوزية فى كتاب هدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك نحوه وزاد بعضهم بيتا آخر وجد بخط ابى على الغسانى وهو

﴿ يا بردنار الخليل ياسبب العصمة اذ ما بالنا رنحترق ﴾

اى نحرق (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ابوذر) كما رواه احمد والبيهقى والبزار وكان خامسا فى الاسلام روى عنه ابن عباس رضى الله تعالى عنه وعبادة بن الصامت وخلق توفى بالربذة (وابن عمر) كما رواه الطبرانى وابو نعيم (وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه احمد وابن ابى شيبة والبزار (وابوهريرة رضى الله تعالى عنه) كما اخرجه الشيخان (وجابر بن عبدالله) كما رواه الشيخان والنسائى (انه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (قال اعطيت خمسا) اى خمس خصال (وفى بعضها ستا) رواه مسلم عن ابى هريرة فضلت على الانبياء بست فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى اولا خمسا فحدث بها ثم زيد السادسة فحدث بها مع انه لايلزم استيفاؤها حيث ماينها بل قد يكتفى بالحالة اللائقة ببعضها لاسيما والعدد لامفهوم له حتى عند القائل به (لم يعطهن نبى قبلى) وفى رواية جابر لم يعطهن احد من الانبياء قبلى (نصرت بالرعب) بسكون العين وضمها اى الفزع والخوف بالقاء الله تعالى اياه فى قلوب عداه ممن كانت المسافة بينه وبينهم (مسيرة شهر) اى قدر سير فى شهر وفى رواية شهرا امامى وشهرا خلفى (وجعلت لى) اى لاجلى اصالة ولامتى تبعا (الارض) اى جميع وجهها ولا وجه لقول التلمسانى كلها اومكة وما حولها اوما رأته امته (مسجدا وطهورا) حيث لا يختص جواز الصلاة بمكان دون مكان لامتى بخلاف غيرنا فانه لاصلاة لهم الا فى كنائسهم وبيعهم كما ينبه بقوله (فايما رجل من امتى ادركته الصلوة) اى بعد دخول وقتها (فليصل) اى فى ذلك المكان اما بطهارة اصلية ان وجد الماء واما بطهارة خلفية من التراب ان لم يجد الماء كما فهم من قوله طهورا فالتفريع مترتب عليهما وفى بعض النسخ بالواو وفى رواية واظنه مصحفا فانما ومامزيدة فيهما (واحلت لى الغنائم ولم تحل) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة المعلوم (لنبى قبلى) اى فضلا عن امة له بل كانوا يجمعونها فى موضع فتنزل نار من السماء فتحرقها (وبعثت الى الناس) اى الانس والجن ولعل اقتصاره ايماء الى الاكتفاء ثم المراد بالناس مؤمنهم وكافرهم ولذا قال (كافة) وفى رواية كافة عامة وفى رواية جابر قبله وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وفى رواية لمسلم وبعثت الى الخلق كافة فلايرد ان نوحا عليه الصلاة والسلام بعد خروجه من الفلك كان مبعوثا الى جميع اهل الارض لان هذا العموم فى رسالته لم يكن فى اصل البعثة وانما وقع لاجل حدوث الحادثة وهى انحصار الخلق فى الموجودين معه بخلاف نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى عموم رسالته فى اصل بعثته وشمول دعوته (واعطيت الشفاعة) وفى رواية عد هذا رابعا واللام فيها للعهد اذ المراد بها الشفاعة العظمى فى المقام المحمود وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات اخر يحتمل اختصاص بعضها به منها فى جماعة يدخلون الجنة بغير حساب ومنها فى اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها ومنها فى اناس دخلوا النار فيخرجون منها ومنها فى رفع درجات اناس فى الجنة ومنها شفاعته لمن مات بالمدينة ومنها شفاعته لمن صبر على لأوائها ومنها شفاعته لفتح باب الجنة كما رواه مسلم ومنها شفاعته لمن زاره عليه الصلاة والسلام لما روى ابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عمر مرفوعا من زار قبرى وجبت له شفاعتى ومنها شفاعته لمن اجاب المؤذن وصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فى الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حلت له شفاعتى ومنها تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها كما فى حق ابى طالب لقوله ولعله تنفعه شفاعتى ولقوله ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار قال القرطبى فى تذكرته فى الجواب عن الاية مانصه فان قيل فقد قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لاتنفع فى الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة وقال الحلبى انها شفاعة بالحال لابالمقال فبسببه صلى الله تعالى عليه وسلم يخفف عن ابى طالب اى لانه يطلبها وهو لايخلو عن الاحتمال فلايكفى لدفع الاشكال بخلاف ماسبق من جواب السؤال والله تعالى اعلم بالاحوال (وفى رواية اخرى) اى عن ابى ذر (بدل هذه الكلمة) وهى قوله اعطيت الشفاعة (وقيل لى سل تعطه) بصيغة المفعول فهاء السكت وفى نسخة بالضمير (وفى رواية اخرى) اى للبزار والبيهقى رحمهما الله تعالى (وعرض على امتى فلم يخف)

لم يكتم (على التابع من المتبوع) اى فى الخير والسر وقيل المراد بالتابع الوضيع الذى يقتدى بغيره و بالمتبوع الشريف الذى يقتدى به ويرجع الى قوله (وفى رواية) اى عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه (بعثت الى الاحمر والاسود) وظاهره عموم الخلق كما ذهب اليه بعضهم وقال بعثت حتى الى الحجر والمدر والشجر وجميع الكائنات كما بينته فى بعض المقامات (قيل السود) وهو جمع الاسود (العرب لان الغالب على الوانهم الادمة) بضم الهمزة اى السمرة الشديدة (فهم من السودان) فى الجملة (والحمر) بضم فسكون جمع الاحمر (العجم) اى لان الغالب على الوانهم الشقرة مع البياض وكأنه اراد بالعجم الفرس ومن يشاركهم فى هذا المعنى من الترك بناء على الاطلاق العرفى واما العجم المقابل للعرب بحسب الوضع اللغوى فلا يلائم المقام لدخول الهنود والسنود والحبوش والسودان وغيرهم معهم (وقيل البيض والسود من الامم) اى على الوجه الاعم وهو فى افادة التعميم اتم (وقيل الحمر الانس) اى لنورهم وظهورهم (والسود الجن) لاجتنانهم وتسترهم (وفى الحديث الآخر عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم) اى القرآن العظيم والفرقان الحكيم اوالاحاديث الجامعة والكلمات اللامعة التى مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة و يؤيده مارواه ابو يعلى فى مسنده عن عمر ولفظه اعطيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا (وبينا) اى بين اوقات (انا نائم) اى فى بعضها (اذجئ بمفاتيح خزائن الارض) جمع مفتاح واما مفاتح بدون الياء فجمع مفتح بمعنى مخزن (فوضعت فى يدى) بفتح الدال وتشديد التحتية كذا ضبطه الحفاظ ولعل فى اختيار التثنية اشعارا بكثرة المفاتيح والمراد بها مافتح الله على امته من الكنوز الحسية والمعنوية لحديث اوتيت مفاتيح الكلم وفى رواية مفاتح الكلم وفى سيرة الكلاعى ان رستم امير جيش يزدجرد رأى فى منامه وقد جاءهم سعد بن ابى وقاص من قبل عمر لفتح بلادهم ان ملكا نزل من السماء فاخذ جميع اسلحتهم واعطاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاها لعمر فكان الفتح والغنيمة والنصر الذى يكاد يفوت الحصر (وفى رواية) اى رواها مسلم (عنه) اى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (وختم بى النبيون) هذا وقد روى احمد فى مسنده عن على كرم الله وجهه مرفوعا اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل لى التراب طهورا وجعلت امتى خير الامم ثم اعلم ان له خصوصيات اخر كاعطاء الايات من خواتيم سورة البقرة والمفصل من القرآن وجعل صفوف امته كصفوف الملائكة وغير ذلك مما يحتاج الى تأليف مستقل لبيان تفصيل ماهنالك (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) صحابى جهنى مضرى (انه عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (انى فرط لكم) واما ماوقع فى اصل الدلجى من قوله انافرطكم فليس فى الاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة والمعنى انامتقدمكم وفرط صدق لكم واصل الفرط الذى يتقدم لطلب الماء بالحبل والرشاء واسباب ضرب الخباء (وانا شهيد عليكم) اى بالثناء الجميل والوفاء الجزيل (وانى والله لانظر الى حوضى) اى والى من يشرب منه ومن يذب عنه فى الموقف والمحشر (الان) اى فى هذا الحاضر من الزمان (وانى قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض) بمعنى عرضت على فلم اقبلها لعدم الالتفات الى الدنيا والتوجه الكلى الى الآخرة ولا قبال القلبى الى المولى والعلم بان الاخرة خير من الاولى وبان الجمع بينهما على وجه الكمال من جملة المحال كما بينه حديث من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى كما رواه احمد والحاكم عن ابى موسى ويؤيد ماقررناه من المراد بمفاتيح الارض هنا بخلاف ماسبق من ان المراد بها مايسره الله عليه وعلى امته من فتح البلاد واتساع العباد معانه لايبعد ايضا عن المراد قوله (وانى والله ماأخاف عليكم ان تشركوا بعدى) اى جميعكم (ولكنى اخاف) اى عليكم كما فى نسخة صحيحة (ان تنافسوا) بفتح اوله على انه حذف احدى التائين منه اى ترغبوا (فيها) اى فى الدنيا الدنية الخسيسة كما يرغب فى الاشياء الغالية العالية النفيسة فهو مأخوذ من ميل النفس الى النفيس ومنه قوله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومنه اقتباس امامنا الشاطبى رحمه الله بقوله

﴿ عليك بها ماعشت فيها منافسا * وبع نفسك الدنيا بانفاسها العلى ﴾

واغرب الحلبى كغيره فى رجع ضمير فيها الى خزائن الارض نعم ذكر المفاتيح سابقا يدل على كون الضمير للدنيا لاحقا نحو قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة لدلالة الناس اوالدابة على الارض مع ان قرينة المقام كافية فى تعيين المرام (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو وفى نسخة بتركها وقد رواه احمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبى الامى) اى المنسوب الى ام القرى وهى مكة او الى امة العرب لكون غالبهم اميين لايقرؤن ولايكتبون اوالمضاف الى الام بمعنى انى على اصل ولادتى وجبلتى من غير قراءتى وكتابتى وذلك شرف له وعيب فى غيره وهذا المعنى هو الاولى بالمدعى كما افاد صاحب البردة هذه الزبدة بقوله كفاك بالعلم فى الامى معجز

﴿ وقد ﴾

وقد قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون (لا نبي بعدي) اى وان وجد احد يكون تابعا لى (اوتيت جوامع الكلم) اى مع كونى اميا (وخواتمه) قيل هو وجوامع بمعنى اى ختم على بيان اجمع المعنى الكثير فى المبنى اليسير اوالمراد بخواتمه انه لا يكون بعد وجود ختمه احتياج الى غيره وهو المناسب لكونه خاتم النبيين (وقد علمت) بضم عين وتشديد لام مكسورة ويجوز تخفيفها مع فتح اوله كما قال تعالى وعلمك مالم تكن تعلم (خزنة النار) اى الملائكة الموكلين عليها وكبيرهم يسمى مالكا مشتق من الملك وهو القوة (وحملة العرش) اى من الملائكة فهم اليوم اربعة ويكونون يومئذ ثمانية كما اخبر الله عنهم لكن على خلاف فى تمييز العدد دين من الصفوف اوالالوف اوالصنوف (وعن ابن عمر) كما روى احمد بسند حسن (بعثت بين يدى الساعة) اى قدامها وقريبا من وقوعها كما رواه احمد والشيخان والترمذى عن انس رضى الله تعالى عنه بعثت انا والساعة كهاتين (ومنه رواية ابن وهب) هو عبدالله بن وهب المصرى احد الاعلام عن ابن جريج وعنه احمد وغيره قال يونس بن عبدالاعلى طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع اخرج له الائمة الستة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى على مارواه البيهقى من حديث اسماء فى الاسراء حيث اتى سدرة المنتهى (قال الله تعالى سل يا محمد) اى ماشئت (فقلت ما اسئل يارب) اى من المقامات العالية حيث اعطيت جميعها للانبياء الماضية كما بينه بقوله (اتخذت ابراهيم خليلا) اى بقولك واتخذ الله ابراهيم خليلا (وكلمت موسى تكليما) كما قلت وكلم الله موسى تكليما (واصطفيت نوحا) كما قلت ان الله اصطفى آدم ونوحا (واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى) اى لا يكون (لاحد من بعده) حيث بينته بقولك فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب الاية (فقال الله تعالى ما اعطيتك) اى الذى اعطيتكه (خير من ذلك) اى كله (اعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير وفى النهاية هو نهر فى الجنة وجاء فى التفسير انه القرآن ولعل هذا هو المراد فى هذا المقام ويشير اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وفيه اشارة الى مزية العلم والمعرفة على كل مقام وحال ومرتبة قال ابن عرفة انظر فى قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اهو انشاء ام خبر فان قيل الانشاء هنا مستحيل لان كلام الله تعالى قديم ازلى فالجواب انه باعتبار ظهور متعلقه فان قلت فى تعلقه خلاف هل هو قديم او حادث قلنا التعلق التنجيزى حادث واما التعلق الصلوحى فيصح هنا كذا ذكره التلمسانى (وجعلت اسمك مع اسمى) اى مقرونا به فى كلمة الشهادة (ينادى به) بصيغة المفعول (فى جوف السماء) اى وقت الاذان والخطبة اوفيما بين اهل السماء (وجعلت الارض طهورا) اى حكميا (لك ولامتك) اى خاصة (وغفرت لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر) اى جميع ما افرط وما يفرط منك مما يصح ان يعاتب عليك (فانت تمشى فى الناس) وفى نسخة بالناس وفى اخرى بين الناس (مغفورا لك) حال من ضمير تمشى (ولم اصنع ذلك) اى غفران ماتقدم وما تأخر ذكره الدلجى والاظهر ان الاشارة الى جميع ما تقدم والله تعالى اعلم وحينئذ لا اشكال فى قوله (لاحد قبلك) بخلاف ما اختاره ودفعه بقوله ولعله من غير الانبياء والا فهم كذلك وفيه انهم ليسوا كذلك اذ لم يعلم انهم بشروا بغفران ما تقدم وما تأخر ويؤيده ان غفرانهم مشوب بمخافة المعاتبة بدليل حديث فيأتون نوحا فيقولون الا تشفع لنا فيقول نفسى نفسى است لها الحديث (وجعلت قلوب امتك مصاحفها) فيه منقبة عظيمة لحفاظ القرآن من الامة كما يشير اليه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتنبيه نبيه على ان الامم السالفة غالبهم لم يكونوا يحفظون شيئا من صحفهم (وخبأت لك شفاعتك) اى ادخرتها عندى لليوم الموعود والمقام المحمود وهى الشفاعة العظمى لفصل القضاء حين يفزع الناس حتى الانبياء (ولم اخبأها لنبى غيرك) بل اوفيت اجابة دعواتهم فى الدنيا فلم يبق لهم حينئذ شفاعة شاملة فى العقبى (وفى حديث آخر رواه حذيفة) كما فى تاريخ ابن عساكر مرفوعا (بشرنى يعنى ربى) تفسير من المصنف اوممن قبله (اول من يدخل الجنة معى) اى بقرب زمانى لا آنى (من امتى) اى من الصحابة والتابعين وغيرهم (سبعون الفا) اى اصالة (مع كل الف سبعون الفا) تبعا فى العلم والعبادة (ليس عليهم حساب) فلا يكون لجميعهم عذاب ولا حجاب وروى سبعمائة الف مع كل واحد سبعمائة الف ذكره التلمسانى (واعطانى ان لا تجوع امتى) اى جوعا شديدا بجدب وقحط بحيث يهلك جميعهم (ولا تغلب) بصيغة المجهول اى وان تغلب بعد ويستأصلهم اى يأخذهم من اصلهم لحديث انى سألت ربى لامتى ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم الحديث (واعطانى النصرة) اى الاعانة على الاعداء (والعزة) اى القوة والغلبة والمنعة (والرعب) اى الخوف مع بعد المسافة كما بينه بقوله (يسعى بين يدى امتى) اى يتقدم الرعب لاعدائى قدامهم (شهرا) يعنى وكذا من خلفهم شهرا لما تقدم وفيه تنبيه نبيه ان الرعب غير مخصوص بحضرته بل يوجد فى عموم امته (وطيب) بفتح التحتية المشددة اى واحل (لى ولامتى الغنائم) جمع غنيمة ووقع فى اصل الدلجى المغانم جمع مغنم وهما قريبان فى الدراية واما الكلام فى صحة الرواية (واحل لنا)

اى بخصوصنا على وجه يعمنا (كثيرا مما شدد) اى الله تعالى (على من قبلنا) اى بتحريمه عليهم او بتكليفه لديهم كقتل النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال فى الصدقة (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) اى تضييق وهو تعميم بعد تخصيص وتنبيه على ما اباح لنا من الرخص عند الاعذار كما لتيمم والقصر والافطار كما بينه بقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد ورد فى ذلك ان الله رأى ضعفنا وعجزنا (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى برواية الشيخين (عنه عليه الصلاة والسلام ما من نبى من الانبياء) من الاولى مزيدة للتأكيد مفيدة والثانية تبعيضية مشيرة الى المبالغة (الا وقد) بالواو (اعطى من الآيات ما) منه (امن عليه البشر) ما موصولة او موصوفة وفى بعض الروايات الصحيحة او من عليه البشر وكتبه بعضهم ايمن وروى القاضى امن من الامان ولا يظهر له وجه فى هذا الشان والمعنى ان الله تعالى ايد كل نبى بعثه من المعجزات بما يصدق دعواه وتقوم به الحجة على من عاداه (وانما كان الذى اوتيته) اى من الآيات المتلوة المشتملة على انواع من المعجزات من الفصاحة والبلاغة فى المبنى والانباء الواقعة فى الازمنة السابقة واللاحقة فى المعنى الباقية على صفحات الدهر الى يوم القيمة النافعة فى امور الدنيا واحوال الآخرة مع ما فيهما من معرفة الذات والصفات الاسنى والاسماء الحسنى (وحيا) اى وحيا يتلى ومعجزة تدوم وتبقى (اوحى الله الى فارجو) وفى نسخة بالواو ولكن الفاء التفريعية مع افادة التعقيبية هى الاولى والمعنى اتوقع (ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة) اى لاستمرار تلك المعجزة بخلاف معجزة سائر الانبياء حيث انقضت فى حال الاحياء وانما اراد بقوله الذى اوتيته معظم ما اعطى من المعجزات المشتملة على انواع من الانباء والا فقد اعطى معجزات كثيرة من جنس معجزات الانبياء (ومعنى هذا) اى الحديث بجملته (عند المحققين بقاء معجزته) اى الخاصة به وهى الاية الكبرى والنعمة العظمى (ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها (وسائر معجزات الانبياء) اى بقيتها (ذهبت للحين) اى حين وقوعها فى حياة نبيها (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) اى حال معاينتها ووقت مشاهدتها (ومعجزة القرآن) اى مبنى ومعنى باقية دون كل معجزة (يقف عليها قرن بعد قرن) اى جماعة بعد انقراض جماعة (عيانا) بكسر العين اى معاينة (لا خبرا) اذ ليس الخبر كالمعاينة كما ورد (الى يوم القيمة) وقد وقع فى اصل الدلجى يقف عليها عيانا لا خبرا قرن بعد قرن وهو مخالف للاصول المصححة (وفيه) اى فى هذا الحديث او فى هذا المعنى (كلام يطول) اى من جهة المبنى (هذا نخبته) اى خلاصته (وقد بسطنا القول فيه) اى اطنبنا فى هذا الحديث (وفيما ذكر فيه) اى فى هذا المعنى (سوى هذا) اى الكلام الذى قدمناه (آخر باب المعجزات) اى فى آخره لانه المحل الاليق به (وعن على رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه (كل نبى اعطى سبعة) قال الحجازى ويروى اربعة والظاهر انه تصحيف او وهم (نجباء) اى نقباء فضلاء وزيد فى رواية وزراء رفقاء (واعطى نبيكم) عليه السلام (اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضى الله تعالى عنهم) ولفظ الترمذى قلنا من هم قال انا وابناى وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وابن مسعود ولم يذكر ابن عبد البر مصعبا وزاد تكملة لهم حذيفة واباذر والمقداد وقال التلمسانى ذكر ابو نعيم عن على مرفوعا ولفظه لم يكن نبى من الانبياء الا وقد اوتى سبعة نقباء نجباء وزراء وانى قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعبد الله بن مسعود وابو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وبلال انتهى وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والابدال اربعون والاخيار سبعة والعمدة اربعة والغوث واحد وحكى ابو بكر المطوعى عمن رأى الخضر وتكلم معه وقال له اعلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قبض بكت الارض فقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى على نبى الى يوم القيامة فاوحى الله تعالى اليها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا اخليك منهم الى يوم القيامة قلت له وكم هم قال ثلاثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهم الغوث فاذا مات الغوث نقل من الثلاثة واحد وجعل مكان الغوث ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة هكذا الى يوم ينفخ فى الصور انتهى ولا ينفخ فيه وفى الارض من يقول الله ولا حول ولا قوة الا بالله جعلنا الله من خواص المسلمين وحشرنا معهم يوم الدين (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى الصحيحين (ان الله قد حبس عن مكة الفيل) اى لما جاء به ابرهة الحبشى فى جيشه لتخريب الكعبة فاهلكهم الله بطير ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل (وسلط عليها رسوله والمؤمنين) اى امرهم بالغلبة عليها واذن لهم بقتال اهلها ففتحوها سنة عشر من الهجرة (وانها لم تحل) وفى نسخة لا تحل وفى اخرى لن تحل والفعل يحتمل معروفا ومجهولا (لاحد بعدى) اى من بعدى كما وقع فى اصل الدلجى وفيه

التفات من الغيبة (وانما احلت لى ساعة من نهار) يعنى فان ترخص احد بقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقولوا له كما فى الحديث كذا ذكره اكبرهم اجمالا وقال ابو بكر ابن العربى فى العارضة اراد بذلك دخوله بغير احرام لاجل القتال لا انه احلت له لاجل القتال ساعة من نهار لان القتال فيها حلال ابدا بل واجب حتى لو تغلب فيها كفار او بغاة وجب قتالهم فيها بالاجماع انتهى وهو الاقرب الى قواعد مذهبنا والله تعالى اعلم (وعن العرباض) بكسر اوله (ابن سارية) وهو من اكابر الصحابة الصفة سلمى سكن الشام ومات بها (قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين) كذا فى النسخ المعتبرة بالواو العاطفة ووقع فى اصل الدلجى بغير واو فضبطه بالنون بمعنى لديه وهو الموافق لرواية المصابيح وقال وفى رواية انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين ثم الخاتم بكسر التاء وفتحها كما قرئ بهما فى السبعة (وان آدم لمنجدل) اى والحال انه لساقط (فى طينته) او مطروح على الجدالة وهى الارض الصلبة والمراد بطينة خلقته المركبة من الماء والتربة ومنجدل خبر لان والجار خبر ثان (وعدة ابى ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال اى وعده بمقتضى دعائه بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ويؤيده ما فى نسخة دعوة ابى ابراهيم وصدر الحديث وساخبركم ببادئ امرى اوبادئ نبوتى وبعثتى هو عدة ابراهيم وللحاكم وغيره وسانبئكم بتاويل ذلك هو دعوة ابى ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (وبشارة عيسى ابن مريم) يعنى قوله تعالى حكاية عنه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وزاد الحاكم ورؤيا امى التى رأت انه خرج من فرجها نور اضاءت له قصور الشام وصححه لكن تعقبه الذهبى بان ابا بكر ابن ابى مريم احد رواته اسناده ضعيف (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البيهقى والدارمى وابن ابى حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء) اى من الملائكة المقربين (وعلى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم) اى اجمعين (قالوا) اى اصحاب ابن عباس (فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم انى اله من دونه الآية) اى فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية) وهى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه بحث لا يخفى اذ قال تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين مع ان القضية فرضية وتقديرية والا فعصمة الانبياء والملائكة قطعية ولذا قال الكشاف هذا على سبيل التمثيل مع احاطة علمه سبحانه وتعالى بان لا يكون كما قال تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون انتهى فلعل مراد الخبر هو انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم كما يفيده قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وانذاره للملائكة قطعى بقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم والله سبحانه وتعالى اعلم (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية) اى ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة) اى رسالة عامة (للناس) وقد يقال المراد بالناس عمومهم الشامل للاولين والآخرين على تقدير وجودهم فى المتأخرين كما يستفاد من قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وكما اشار اليه حديث لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى وكما يقع بالفعل متابعة عيسى عليه السلام بعد نزوله لشريعته ويكون مفتخرا بكونه من امته (وعن خالد بن معدان) بفتح ميم وسكون عين فدال مهملتين كلاعى شامى روى عن ابن عمر وثوبان ومعاوية رضى الله تعالى عنهم كان يسبح فى اليوم والليلة اربعين الف تسبيحة اخرج له الائمة الستة وقد اخرج عنه ابن اسحق ووصله احمد والدارمى (ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك) اى مبدأ امرك (وقد روى نحوه) بصيغة المجهول والواو للحال اى مثله معنى لا مبنى (عن ابى ذر) رضى الله تعالى عنه صحابى جليل (وشداد) بتشديد الدال الاولى (ابن اوس) بفتح فسكون وهو ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء صحابى انصارى ابن اخى حسان بن ثابت نزل بيت المقدس ومات بالشام (وانس بن مالك رضى الله تعالى عنهم فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى جواب كل منهم (نعم) اى اخبركم باول قصتى وما ظهر من نبوتى على لسان ابراهيم وغيره (انا دعوة ابى ابراهيم يعنى قوله) اى حكاية عن ابراهيم واسمعيل واقتصاره على الاول لانه المعول (ربنا وابعث فيهم) اى فى الامة المسلمة المذكورة فى الآية الماضية (رسولا منهم) ولم يبعث فيها من ذريته من نسل اسمعيل غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما (وبشرى عيسى) اى بشارته حين قال لقومه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وفى نسخة وبشر بى عيسى بالموحدة وياء الاضافة والظاهر انه تصحيف لمخالفة ما قبله وان كان يلائم قوله (ورأت امى) وفى بعض الروايات ورؤيا امى ولعل العدول لئلا يتوهم ان رؤيا منامية (حين حملت بى) بالباء للتعدية وفى رواية حين

وضعتني ويمكن جمعهما بالحمل على مرتين واما تجويز الدلجي كون رؤيا منامية فبعيد جدا من حيث استدلاله صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيتها فان رؤيا غير الانبياء ليست معتمدا عليها حتى لا يعمل بمقتضاها (انه خرج منها نور اضاء له) اى استنار لذلك النور (قصور بصرى) بضم موحدة فسكون مهملة مقصورا مدينة بحوران (من ارض الشام) وهى اول مدينة فتحت صلحا وذلك فى شهر ربيع الاول لخمس بقين منه سنة ثلاث عشرة وقد وردها صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين (واسترضعت) اى كنت رضيعا (فى بنى سعد بن بكر) قبيلة معروفة (فبينا انا) اى بين اوقات كنت انا (مع اخ لى) اى رضاعا (خلف بيوتنا نرعى بهما لنا) بفتح موحدة وسكون هاء جمع بهمة ولد الضأن ذكرا كان او انثى وقيل ولد الضأن والمعز مجتمعة ولعله باعتبار الغلبة والا فولد المعز حال انفراده يسمى سخلة (اذ جاءنى رجلان) اى على صورة رجلين فقيل هما جبرائيل واسرافيل (عليهما ثياب بيض) تركيب توصيف (وفى حديث آخر ثلاثة رجال) قيل ثالثهم ميكائيل اى جاؤا (بطست) بفتح طاء وجوز كسره وضمه فسين مهملة وكذا بمعجمة على ما فى القاموس فلا عبرة بمن قال انه لغة العامة وانه خطأ وهو اناء معروف يكون من نحاس او صفر واصله الطسس ابدل من احدى السينين تاء (من ذهب) فيه ايماء الى ذهاب حظ الشيطان عنه بعصمة ربه وذهابه عن الامة بسببه قال التلمسانى وفيه دليل على جواز تغشية آلات الطاعة بالذهب والفضة كالمصحف وآلات الغزو انتهى والاظهر ان استعمال آنية الذهب والفضة حرام لا اعلم فيه خلافا بين علماء الانام لكن الملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلا يقاس الانسان بالملك كما لا يقاس الحداد بالملك هذا وقد ذكر البغوى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم هى طست ذهب من الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء عليهم السلام (مملوءة) يجوز همزه وابداله مدغما ولعل التاء للمبالغة او باعتبار كونه آنية (ثلجا) بسكون اللام وهو ماء جامد لانه يبرد القلب وينظفه وقد روى حكمة وفسرت بالنبوة والاولى تفسيرها باتقان العلم واحسان العمل (فاخذانى) اوفأخذونى (فشقا بطنى) اوشقوه (قال) ووقع فى اصل الدلجى وقال (فى غير هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى) بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف لا واحد له من لفظه وميمه زائدة اى من اعلى صدرى الى مارق ولان من بطنى (ثم استخرجا) اى اخرجا واخرجوا (منه قلبى فشقاه) اى قلبى (فاستخرجا منه علقة) اى قطعة دم منعقدة (سوداء) يكون فيها الحسد والحقد والشهوة النفسية وسائر الاخلاق الرديئة (فطرحاها) اى رمياها بقوة وفى رواية مسلم وقالا هذا حظ الشيطان منك قال العلامة تقى الدين ابن السبكى تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن فيه مكان قابل لان يلقى الشيطان فيه شيئا قال فهذا معنى الحديث فلم يكن للشيطان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حظ قط فان قلت لم خلق هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان لا يخلقه فيها قلت لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تكملة للخلق الانسانى ونزعه امر ثان طرأ بعده انتهى ونظيره خلق الاشياء الزائدة فى بدن الانسان من القلفة وتطويل الظفر والشارب وامثال ذلك فلله الحكمة البالغة وعلى العبد احتمال الكلفة (ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى نقياه) اى نظفاه عن تلوث تعلق العلقة قال التلمسانى شق قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين مرة فى صغره عند ظئره وذلك ليذهب عنه حظ الشيطان ومرة عند الاسراء ليدخل على طهارة ظاهرة وباطنة على الرحمن قلت ومرة عند نزول القرآن فى جبل حراء على ما ذكره ابو نعيم والطيالسى وغيره على ما فى المواهب اللدنية وقد قيل شق صدره مرة فى صباه ليصير قلبه مثل قلوب الانبياء ومرة ليلة المعراج ليصير قلبه مثل قلوب الملائكة قلت ومرة عند نزول الوحى ليصير مثل قلوب الرسل والله تعالى اعلم (وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور يحار) بفتح اوله اى يتحير (الناظر دونه) اى عنده فلا يدرى كيف يهتدى الى معرفة كنهه (فختم به قلبى) اى لئلا يصل اليه ما لا يليق بجناب ربى (فامتلاء ايمانا وحكمة) اى ايقانا واحسانا او علما وفهما (ثم اعاده) اى رده (مكانه ثم امر) بتشديد الراء اى اذهب (الاخر) اى منهما (يده على مفرق صدرى) بفتح الميم والراء وبكسر الراء ذكره الشمنى والحلبى وقال الدلجى بكسر الميم مع فتح الراء وبفتحها مع كسرها انتهى ولا يخفى ان كسر الميم الموضوع للآلة غير مناسب هنا فانه وسط الرأس حيث يفرق فيه الشعر فى اصل اللغة الا انه استعير هنا لموضع الشق (فالتأم) بهمزة مفتوحة بعد التاء اى فاجتمع والتحم وانتظم (وفى رواية) اى للدارمى وابى نعيم فى الدلائل (قال قلب) اى هذا قلب (وكيع اى شديد) تفسير من احد الرواة ومعناه متين فى العلم ومحكم فى الفهم كما يشير اليه قوله (فيه) وفى اصل التلمسانى له (عينان تبصران) اى تدركان للامور العقلية (واذنان سميعتان) وفى نسخة تسمعان اى تعيان العلوم النقلية وضمير فيه راجع الى القلب وهو اقرب اوالى القالب وهو انسب (ثم قال) اى احدهما (لصاحبه) اى من الملكين (زنه) بكسر الزاى امر من الوزن

(بعشرة من امته) اى فى الفهم والعقل اوفى الاجر والفضل (فوزنني بهم) اى حسا اومعنى (فرجحتهم) بتخفيف الجيم اى فغلبتهم فى الرجحان (ثم قال) اى احدهما لصاحبه (زنه بمائة من امته فوزنني بهم) اى بمائة منهم (فوزنتهم) اى رجحتهم فى الوزن (ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك) اى اترك وزنه (فلو وزنته بامته) اى جميعهم (لوزنها) اى لما منح من المنح السنية ومن المنن العلية (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (فى الحديث الآخر) اى فى الرواية الاخرى وهى حديث ثلاثة رجال بشهادة قوله (ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي) اى اشعارا برياستي وانى رئيس امتى (وما بين عيني) بصيغة التثنية لا غير ايماء الى انه قرة العينين فى الكونين (ثم قالوا لى يا حبيب) اى يا محبوب لمطلق الخلق والحق ويروى فقالوا انك حبيب الله (لم ترع) بضم ففتح فسكون من الروع اى لا تفزع وفى التعبير بالماضى مبالغة فى تحققه وفى رواية لن تراع بتأكيد نفي الاستقبال (انك لو تدرى ما يراد بك من الخير) اى الذى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (لقرت عيناك) بفتح القاف وتشديد الراء اى لطابت نفسك وسكن قلبك اولسررت وفرحت واصله برد الله تعالى دمعة عينيك لان دمع السرور بارد وقيل معناه بلغك الله تعالى امنيتك حتى ترضى وتسكن عينك فلا تستشرف الى غيره (وفى بقية هذا الحديث) اى حديث ثم ضموني (من قولهم) بيان للبقية (ما اكرمك على الله ان الله معك) معية مكانة وقربة وحضور وجمعية لا معية مكانية واجتماعية واتصالية واتحادية على ما تقوله الطائفة الالحادية (وملائكته) اى معك كذلك فى الحفظ والحراسة والنصرة والمعونة (قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث ابى ذر) كما رواه الدارمى (فما هو) اى الامر والشان (الا ان وليا) اى ادبر الملكان ورجعا (عنى فكانما ارى الامر) اى امر النبوة والرسالة (معاينة وحكى ابو محمد المكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما ان ادم عليه السلام عند معصيته) اى الصورية وهى التى خرج بسببها من الجنة (قال) كما رواه البيهقى والطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف (اللهم بحق محمد) اى المغفور من ذريتى (اغفر لى خطيئتى) ويروى تقبل توبتى ولا منع من الجمع (فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا) اى ولا رأيته ابدا (قال رأيت فى كل موضع من الجنة) اى من شرف قصورها وصدور حورها او اطراف انهارها وانحاف اشجارها (مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى) اى بدلا من هذه الجملة اوزائدا بعد هذه الكلمة (محمد عبدى ورسولى) اى المختص بى من بين عبيدى ورسلى الشامل للملائكة (فعلمت انه اكرم خلقك عليك) اى حيث خصصته بتشريف الاضافة اليك ولم تذكر غيره من الخلق لديك (فتاب الله عليه وغفر له) اى رجع عليه بقبول توبته وحصول مغفرته ووصول هدايته كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (وهذا) اى قوله اللهم بحق محمد لا كما توهم الدلجى انه لا اله الا الله محمد رسول الله (عند قائله) اى راويه وناقله (تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات) اى تلقاها من الهامه واعلامه وان كان المشهور عند الجمهور ان المراد بالكلمات هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية (وفى رواية آجرى) بمد الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء بعدها ياء نسبة قال الحلبي الظاهر انه الامام القدوة ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة فى السنة والاربعين وغير ذلك روى عنه ابو نعيم الحافظ وخلق وكان عالما عاملا سكن مكة ومات بها سنة ستين وثلاثمائة وفى نسخة وفى رواية اخرى بضم همزة وسكون خاء معجمة (فقال آدم) اى فى جواب ما تقدم (لما خلقتنى) اى حين خلقتنى فى اول وهلتى (رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه) اى فى قوائمه كما فى رواية (مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) يعنى وليس فيه ذكر رسول سواه (فعلمت انه) اى الشان (ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) اى مقرونا به فى عرشك الذى هو اعظم خلقك (فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى) اى وعظمتى (انه لآخر النبيين من ذريتك) ايماء الى انه بمنزلة الثمرة لهذه الشجرة وانه فى مرتبة العلة الغائية فى الخلقة الانسانية واشارة الى انه الغاية القصوى والمقصد الاسنى من مظاهر الاسماء الحسنى كما يدل عليه قوله (ولولاه ما خلقتك) ويقرب منه ما روى لولاك لما خلقت الافلاك (قال) اى الآجرى (وكان آدم يكنى) بصيغة المجهول مخففا ومثقلا (بابى محمد) كما رواه البيهقى عن على مرفوعا ووجه تخصيصه لكونه افضل اولاده او للتشرف باسنائه (وقيل بابى البشر) اى عموما وفيه تنبيه انه لم يكن يكنى بغيره من اولاده وذريته اشعارا بخصوصيته ولما تحت العموم من اندراج قضيته ولا يبعد تقدير مضاف بان يقال كان يكنى بابى خير البشر فاقتصر فتدبر (وروى عن سريج بن يونس) اى ابن ابراهيم الحارث البغدادى العابد القدوة احد ائمة الحديث روى عنه مسلم والبغوى وابو حاتم وهو بضم مهملة وفتح راء وسكون تحتية فجيم واما ضبطه بالشين المعجمة فى نسخة فتصحيف وكذا بالحاء المهملة (انه قال ان لله تعالى ملائكة سياحين) بتشديد التحتية اى سيارين على وجه الارض للعبادة (عبادتها) بالتحتية اى زيارة تلك الجماعة من الملائكة السياحة وتفقدها من عاد يعود اذا زار ورجع

للزيارة وفي نسخة بالموحدة ولايخفى مزية العبادة على العادة بالتعمية الخفية (على كل دار) وفي نسخة على دار اي واقعة للمحافظة على كل دار (فيها احد اومحمد) اي مسمى باحد هما وفي نسخة عبادتها كل دار واقتصر عليها السمني حيث قال عبادة بالباء الموحدة مبتدأ خبره كل دار على حذف مضاف اي حفظ اهل كل دار او اعانة اهل كل دار اكراما منهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث عظموا دارافيها اسميه (وروى ابن قانع القاضي) بالقاف وكسر النون فمهملة هوابن مرزوق واسمه عبد الباقي صاحب معجم الصحابة وكتاب اليوم والليلة وتاريخ الوفيات من اول سنة الهجرة فروى في معجم الصحابة له وكذارواه الطبراني (عن ابي الحمراء) بفتح حاء مهملة فسكون ميم فراء ممدودة قال الحجازي هو مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه بلال بن الحارث وقال التيمي هو اسم لصحابيين احد هما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرج هذا الحديث ابن ماجه عنه والآخر مولى ابي عفراء ولا يعلم له رواية وقال الحلبي كان ينبغي للقاضي ان يذكر بقية هذا السند من ابن قانع الى ابي الحمراء حتى نعرفهم ونعرف من ابو الحمراء فان ابا الحمراء في الصحابة اثنان احدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث ابن ظفر اخرج حديثه ابن ماجه في التجارات اعني غير هذا الحديث المذكور في الاصل واما هذا فليس له شئ في السنة والله تعالى اعلم روى عنه ابوداود والاعمش وغيره قال ابن معين كان بحمص وقال البخاري يقال له صحبة ولا يصح حديثه انتهى واما الثاني فيقال مولى الحارث بن رفاعة شهد بدراواحد اولا اعلم له رواية وان كان ابو الحمراء من التابعين اومن بعدهم فلا اعلم فيهم احدا يقال له ابو الحمراء وقد وقفت على الحديث المذكور لكن من رواية انس وقد قال الذهبي فيه شئ تراه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته) اي قويته (بعلي) اي لغاية قوته وعلو همته قال الدلجي وقد ورد انه حمل باب حصن خيبر وتترس به ورواه ابن عدي عن عيسى بن محمد عن الحسين بن ابراهيم البابي عن حميد الطويل عن انس بلفظ لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي نصرته بعلي قال في الميزان وهذا اختلاف من الحسين بن ابراهيم (وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الخطيب فيما رواه مالك عنه (في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما) وقد رواه البزار مرفوعا من حديث ابي ذر وموقوفا على عمر وعلي (قال) اي ابن عباس وكذا من روى نحوه من غيره (لوح) اي الكنز المذكور جامع في المبنى والمعنى فانه لوح (من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر) اي بتقديره الذي لا يتصور تغييره (كيف ينصب) بفتح الصاد اي كيف يتعب ومافقد ر له يأتيه ان تعب وان لم يتعب لكن قد يقال ان من جملة ماقدر تقديره ان يتعب فكيف لا يتعب قال البغوي القدر سر من اسراره سبحانه وتعالى لم يطلع عليه ملكا مقربا ولانبيا مرسلا ولايجوز الخوض فيه ولا البحث عنه بل الله تعالى خلق خلقه فمنهم شقي ومنهم سعيد وقال رجل لعلي اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لاتسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق لاتلجه فاعاد فقال سر الله قد خفي عليك (عجبا لمن ايقن بالنار) اي بوجودها (كيف يضحك) اي قبل ورودها (عجبا لمن يرى) وفي نسخة لمن رأى (الدنيا وتقلبها باهلها) اي في انقلاب احوالها لاسيما في الها الى زوالها (كيف يطمئن اليها) اي يغتربها ولا يعتبر عن مضى فيها (اني انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي) اي الى الخلق كافة كما ان الاله الههم عامة (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) قال الدلجي لا اعلم من رواه عنه (قال على باب الجنة مكتوب انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها) اي من صميم قلبه وتوفيق ربه على ثباته الى مماته (وذكرانه وجد) بصيغة المفعول فيهما وضميرانه للشان (على الحجارة القديمة) اي العتيقة (مكتوبا محمد تقي) اي من الشرك و(تقي) من السك (مصلح) اي لما افسد الخلق من الحق تغييرا وتبديلا و(سيد) اي للخلق (امين) اي عند الخلق والحق (وذكر السمنطاري) بكسر مهملة وميم وسكون نون فمهملة من جملة المحدثين والائمة المصنفين له تأليف كثيرة في فنون العلوم على ماذكره التلمساني (انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله) اقول اذا ثبت ماسبق من كونه مكتوبا على العرش وغيره بروايات معتبرة فلا يحتاج الى مثل هذه الرواية التي يحتمل ان تكون معتمدة وكذا قوله (وذكر الاخباريون) بالخاء المعجمة (ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض) اي منقوش به بجعل الاحمر على اطرافه او بالابيض كالاسفيداج ونحوه وفي نسخة صحيحة مكتوبا على الورد الاحمر بالابيض (لا اله الا الله محمد رسول الله) وعن الحافظ المزي اخبرني من سافر الى بلاد الهند ان فيه شجرة معروفة يسقط منها في كل سنة ورقة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقال ابن القيم في تاريخه في ترجمة الحسن بن احمد بن الحسن الوراق الخواص المصيصي مسندا عنه الى علي بن عبد الله الهاشمي الرقي انه قال دخلت في بلاد الهند الى بعض قراها فرأيت وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط ابيض

لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شئ كثير واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى انتهى وقال الشيخ عبد الله بن اسعد اليافعى فى كتابه المسمى بروض الرياحين قال بعض الشيوخ دخلت بلاد الهند فدخلت مدينة فيها شجر يحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا من الغيث فحدثت بهذا ابا يعقوب الصياد فقال لى ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيتها قذفتها فى الماء احتراما لما عليها كذا ذكره السمنى والذى يخطر بالبال القاتر والله تعالى اعلم بالظواهر والسرائر ان هذه كلها كشوفات مكشوفات لاهلها لا يراها من لم يتأهلها وربما يقال ان اسمه سبحانه وتعالى مع اسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرسوم على كل شئ من الاشياء بحكم قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك اى جعلنا ذكرنا معك فى كل شئ من ملك وفلك وبناء وسماء وفرش وعرش وحجر ومدر وشجر وثمر ونحو ذلك ولكن اكثر الخلق لا يبصرون تصويرهم ونظيره قوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وروى عن جعفر) اى الصادق (ابى محمد عن ابيه) اى محمد الباقر وهو من اكابر اهل البيت واجلاء التابعين ادرك جابرا وغيره (اذا كان يوم القيامة نادى مناد) اى فى الموقف كما فى رواية (الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لاظهار كرامته واشعار شفاعته واليه اشار صاحب البردة بقوله

﴿ فان لى ذمة منه بتسميتى * محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم ﴾

وروى ابن القاسم) اى العتقى واسمه عبد الرحمن جمع بين الزهد والعلم صحب مالكا عشرين سنة ومات بمصر اخرج له البخارى وابو داود والنسائى (فى سماعه) اى عن مالك وورد عنه انه قال خرجت الى مالك اثنى عشرة مرة انفقت فى كل مرة الف دينار اخرج له البخارى وغيره (وابن وهب) وقد سبق ترجمه قريبا وهو ممن تفقه على مالك وابن دينار والليث ابن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطأ الاصغر وكان مالك يكتب اليه الى ابى محمد المفتى (فى جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة) اى بعض علمائهم (يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما) من النمو اى زاد وزكا يعنى كثر بركته وفى نسخة نمى بناء على ان المادة واوية ويائية وفى اخرى الا وقوا بضم واو وقاف اى حفظوا (ورزقوا ورزق جيرانهم) اى ببركة اسمائهم وايمانهم وايقانهم واحسانهم (وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال) اى على ما رواه ابن سعد من حديث عثمان العمرى مرفوعا (ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة) اى واكثر ويميز بينهم مثلا بالاصغر والاوسط والاكبر هذا وفى مسند الحارث بن ابى اسامة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم احدهم بمحمد فقد جهل (وعن ابن مسعود) كما رواه احمد والبزار والطبرانى (ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد) اى جميعهم من اولهم الى آخرهم (فاختار منها قلب محمد عليه الصلاة والسلام فاصطفاه لنفسه) اى اختاره لذاته ان يكون مظهر صفاته (فبعثه برسالته) اى الى جميع كائناته (وحكى النحاس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية) تمامها ان ذلكم كان عند الله عظيما (قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلنى عليكم تفضيلا) اى زائدا يليق بقدره وهو على وفق محله (وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا) اى احتراما له وتكريما ورفعا لشانه وتعظيما

﴿ فصل ﴾

(فى تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة) اى المكالمة (والرؤية) اى البصرية او القلبية (وامامة الانبياء) اى امامته لهم فى بيت المقدس (والعروج به الى سدرة المنتهى) فانها ينتهى اليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من تحتها (وما رأى من آيات ربه الكبرى) هذا بيان قضيته اجمالا واما تفصيل قصته فى الجملة كما لا فقوله (ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى من جملة ما خص به فى الاعطاء ولم يعط مثله لسائر الانبياء (قصة الاسراء) اى اسرائه الى السماء (وما انطوت) اى اشتملت (عليه من درجات الرفعة) اى بحسب ما ثبت فى انباء الانبياء (مما نبه عليه الكتاب العزيز) اى من بعض الاسرار (وشرحته صحاح الاخبار) اى وبينته الاحاديث والآثار وفى نسخة صحائح الاخبار قال الحلبى وكلاهما جمع صحيح والاطلاق كل منهما صحيح (قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده) [illegible] (ليلا) منصوب على الظرفية وتنكيره لتقليل مدة [illegible] الاسراء مع ما فيه من [illegible] والاسراء [illegible] الى الحلية [illegible] (المسجد الاقصى) [illegible] اى الذى باركنا

حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ثم سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه ولعل ايراده هنا للتنبيه على انه منزه عن المكان وان اسرائه عليه الصلوة والسلام لاعلاء الشان ولاطلاعه على عجائب الملكوت فى ذلك الزمان وهو مضاف الى الموصول الذى بعده كما يدل عليه قوله فسبحان الله ونحوه ونصبه على المصدرية واغرب الشمنى فى اعرابه حيث قال وهو غير منصرف لوجود الزيادة والعلمية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقد الفت رسالة مستقلة فى خصوص هذه المسئلة وبدأتها بتفسير صدر سورة الاسراء وختمتها بتفسير صدر سورة النجم وذكرت فيما بينهم بعض ما يتعلق بهذه الكرامة العظمى وسميتها المدراج العلوى فى المعراج النبوى وههنا اتبع كلام الشيخ فى تبيين مبناه وتعيين معناه واتبع كلام شراحه وحواشيه واختار ما القاه من مقتضاه ثم الظاهر من الاية المذكورة ان ابتداء الاسراء كان من نفس المسجد لحديث بينا انا فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اتانى جبريل بالبراق وليطابق المبدأ المنتهى لانه ليس حرم للمسجد الاقصى او من الحرم كما قال صاحب البردة ✻ سريت من حرم ليلا الى حرم ✻ وسماه مسجدا لاحاطته به ولحديث انه كان فى بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص عليها من قصته ويمكن الجمع بينهما بان كان فى بيت ام هانئ فرجع بعد صلوة العشاء الى المسجد واتى الحجر عند البيت كما يشير اليه قوله بين النائم واليقظان ثم عند نزوله رجع اليها وقص عليها القصة وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ثم وجه تسميته الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام والمراد ببركة حوله بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى الى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالانهار والاشجار والازهار والاثمار وفى الحديث بارك الله فيما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس ذكره الدلجى ومن جملة اراءة الآيات ذهابه فى لحظة مسيرة اربعين ليلة ورؤيته بيت المقدس للانبياء وامامته لهم مع علو حالاتهم ووقوفه على مقاماتهم (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (والنجم) اى الثريا اونجوم السماء اوالرجوم من النجوم اوالكواكب اذا انتثرت اونجوم القرآن (اذا هوى) اى غرب اوطلع اوانقض اوانتثر اونزل وانتشر (الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولا خلاف) كذا بالواو بلا خلاف فى النسخ المصححة وفى اصل الدلجى فلا بالفاء فالاولى ان الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فلا ريب (بين المسلمين) اى من اهل السنة وطائفة المعتزلة وغيرهم (فى صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام) اى بطريق اجمال المرام (اذ هو نص القرآن) اى وعليه اجماع ائمة الاسلام الا ان المعتزلة ومن تبعهم من المبتدعة قصروا الاسراء الى بيت المقدس لا الى السماء فمن انكر مطلق الاسراء فهو كافر بلا امتراء (وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه) اى بسط غرائبه (وخواص محمد فيه) اى وظهور خصوصياته فى اسرائه وتنزلاته فى مراتب سنائه (احاديث كثيرة منتشرة) اى مشتهرة كادت ان تكون متواترة (رأينا ان نقدم اكملها) اى اكمل الاحاديث الواردة فى الاسراء تسريحا وتوضيحا (ونشير الى زيادة من غيره) اى غير اكملها تلويحا وترشيحا (يجب ذكرها) اى يتعين بيانها تحقيقا وتصحيحا (حدثنا القاضى الشهيد ابو على) اى ابن سكرة (والفقيه ابو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة وهو ابن العاص (بسماعى عليهما) اى منهما اوواقع على كلاهما (والقاضى ابو عبد الله التميمى وغير واحد) اى وكثير (من شيوخنا) اى المحدثين (قالوا) اى كلهم (حدثنا ابو العباس العذرى) بضم مهملة وسكون ذال معجمة نسبة الى عذرة قبيلة (ثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا شيبان بن فروخ) بفتح فاء وضم راء مشددة فواو ساكنة فمعجمة غير منصرف للعجمة والعلمية وصرف فى نسخة قال التلمسانى وصرفه اكثر قيل عنده خمسون الف حديث وهو من التابعين (ثنا حماد بن سلمة) احد الاعلام روى عنه شعبة ومالك وابو نصر التمار قال عمرو بن عاصم كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر الفا (ثنا ثابت البنانى) بضم الموحدة وتخفيف النون بعدها الف فنون فياء نسبة الى قبيلة بنانة كان رأسا فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته اعبد منه اخرج له الائمة الستة وقال الذهبى هو ثابت كاسمه (عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت) بصيغة المجهول المتكلم (بالبراق) بضم الموحدة لشدة بريقه ولمعانه وسرعة سيره وطيرانه كالبرق (وهو دابة) اى مركوب (ابيض) وفيه ايماء الى ماقيل انه ليس بذكر ولا انثى (طويل) اى مائل الى الطول (فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) بفتح فسكون اى نظره وبصره (قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس) اى حضرته وهو بفتح فسكون فكسر وعلى زنة محمد ايضا لان فيه يتقدس من الذنوب اولانه منزه عن العيوب قال التلمسانى وروى باب المقدس (فربطته) اى البراق (بالحلقة) باسكان اللام وفتحها (التى يربط) بضم الموحدة وكسرها (بها الانبياء) اى دوابهم عند باب المسجد كما صرح به صاحب

الخمر يروسيأتي فيه ماينافيه اوالبراق انثبت أن له الاسراء ايضا الى بيت المقدس ويؤيده ان ابراهيم عليه السلام كان يزورهاجر بمكة عليه ويقويه قول جبريل له فاركبك احد اكرم على الله تعالى منه كما سيأتي وفي حديث الترمذي من طريق بريدة انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل عليه السلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق بها ويمكن الجمع بانه كان الخرق فيهما فسدودا فاظهر خرقهما في ربطه دليل على ان الايمان بالقدر لايمنع الحازم من توقي المهالك والحذر في السفر والحضر ومنه قوله عليه الصلوة والسلام اعقل وتوكل وقدقال وهب ابن منبه كذا وجدته في سبعين كتابا من كتب الله القديمة ثم اعلم ان نسخ الشفاء كلها اتفقت على لفظ بها بضمير المؤنث وهو ظاهر وقال النووي في شرح مسلم وهو في الاصول يعني اصول مسلم به بضمير المذكر اعاده على معنى الحلقة وهو الشيء انتهى ولايخفى ان الاولى رجع الضمير الى الخرق بها بحذف في مضاف اوارتكاب مجاز آخر فتدبر (ثم دخلت المسجد اي الاقصى (فصليت فيه ركعتين) اي تحية المسجد (ثم خرجت) اي منه (فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن) اي امتحانا من الله تعالى قال التلمساني هكذا في مسلم وفي البخاري واناء من ماء وروى ثلاثة لبن وخمر وعسل وروى اربعة لبن وخمر وعسل وماء ولعل هذا هوالاظهر حيث عرض عليه من الانهار الاربعة الموعودة في الجنة واختياره اللبن لانه مغن عن غيره بخلاف غيره وقيل العسل اشارة زهرة الحياة الدنيا ولذتها وحلاوتها والماء للغرق ولذاقيل لواخترته لغرقت وغرقت امتك ولعل المراد بغرقهم استغراقهم في جمع المال الذي يؤدي الى سوء الحال ونقصان المآل واما الخمر فاشارة الى جميع الشهوات (فاخترت اللبن) اي واعرضت عن الخمر وروى فاخذت اللبن (فقال جبريل اخترت الفطرة) اي علامة الاسلام والاستقامة لكونه طيبا طاهرا سهل المرور في الحلق سليم العاقبة سائغا شرابه وطيبا مذاقه والخمر ام الخبائث جالبة لانواع شرور الحوادث (ثم عرج بنا) اي صعدبنا (الى السماء) بنون المتكلم اما لتعظيمه اوله ولمن معه فالضمير الى الله تعالى او جبريل اوالبراق وفي نسخة صحيحة بصيغة المجهول وجزم به الانطاكي وكذا فيمابعده وهو في غاية من القبول مع الاشارة الى ان سيره من المسجد الاقصى الى السموات العلى لم يكن بالبراق بل بالمعراج الذي درجة له من ذهب واخرى من فضة وبه سميت القصة (فاستفتح جبريل) اي باب السماء الدنيا استئذانا للملائكة ولايبعد ان يكون الاستفتاح كناية عن مجرد الاستئذان فلا يكون هناك فتح واغلاق وهو الاظهر في مقام ادب الاجلال والاستحقاق (فقيل من انت قال) اي جبريل (جبريل) اي انا جبريل (قيل ومن معك) اي لما كوشف لهم ان احدا معه اواستدلوا باستئذانه على خلاف دأبه ومقتضى شانه (قال محمد) اي هو اومعي محمد (قيل اوقد بعث اليه) اي اطلب وقد بعث اليه للاسراء وصعود السماء ولبس استفهاما عن بعثة الدعوة لبلوغها من الظهور في الملكوت الى مالايخفى على الخزنة ولكونه اوفق بمقام الاستفتاح والاستئذان في الجملة وقيل كان سؤالهم استعجابا بما انعم الله عليه من القربة واستبشارا بعروجه لحصول الرؤية ثم هذا مؤذن بان للسموات ابوابا حقيقة وعليها ملائكة موكلة هذا وفي رواية صحيحة ارسل اليه وهو قابل للتأويل المذكور مع انه لايبعد ان تكون بعثة الرسالة خفيت على بعض الملائكة لكمال استغالهم بالعبادة على ماذكره الطبري (قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله تعالى عليه وسلم فرحب بي) بتشديد الحاء اي قال لي مرحبا كما ورد مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح اي لقيت رحبا وسعة (ودعالي بخير) اي في الدارين (ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا) فيه ايماء الى ان اهل كل سماء لايدرون عن حال اهل سماء اخرى اوارادوا التلذذ بهذه المذاكرة التي هي بالمحاورة احرى وفيه اشعار الى غاية بسط الزمان ونهاية طي المكان ولايبعد ان تكون هذه المكالمة على لسان الملائكة او بالمناداة من غير الواسطة استقبالا لصاحب الرسالة كما يشير اليه تعبير الافعال بقيل ونحوه في العبارة فيكون كلام الجبار مع سيد الابرار من وراء الاستار في لباس الاغيار كما يقتضيه معنى المعية والحالة الجمعية من شهود عين الوحدة في عين الكثرة (فاذا انا بابني الخالة) لان ام يحيى ايشاع اخت مريم (عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا) ممدودا ومقصورا (صلى الله تعالى عليه وسلم فرحبابي ودعوالي بخير) وفي نسخة صحيحة دعيا لي بالياء ففي القاموس دعيت لغة في دعوت (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول) اي مثل ماذكر فيما قبله من استفتاح الباب والسؤال والجواب وهذا اختصار من المصنف اومن غيره والله تعالى اعلم (ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله تعالى عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن) اي نصفه اوبعضه والمراد بالحسن جنسه اوحسن حواء اوحسن سارة اوحسن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر والله تعالى اعلم وروى في حديث مرفوع مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يارسول الله كيف رأيته وقال كالقمر ليلة البدر قال البغوي في تفسيره انه ورث ذلك الجمال من جدته وكانت قد اعطيت سدس الحسن

وقال ابن اسحق ذهب يوسف وامه يعني جدته بناتى الحسن انتهى فالمراد بالشطر البعض لا النصف كما قال البعض والله تعالى اعلم (فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه الصلاة والسلام) وهو سبط شيث وجد والد نوح اول مرسل بعد آدم عليه السلام واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم والحساب واما قولهم ادريس مشتق من الدرس اذ قد روى ان الله تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة فلقب به لكثرة الدراسة فمدفوع بعدم صرفه للعلمية والعجمة (فرحب بى ودعالى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة ومقام القربة وعن الحسن هو الجنة اذ قال لملك الموت اذقنى الموت ليهون على ففعل باذن الله تعالى ثم حيى فقال ادخلنى النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلنى الجنة ازدد رغبة ففعل ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما انا بخارج فقال الله تعالى باذنى دخل دعه وقيل هو فى السماء الرابعة لهذا الحديث (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا) بصيغة الفاعل منصوب على الحال كما فى مسلم وشرح السنة وفى بعض نسخ المصابيح مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اى وهو مسند (ظهره الى البيت المعمور) قال المصنف يستدل به على الاسناد الى القبلة وتحويل الظهر الى الكعبة وفى استدلاله نظر لاحتمال كون ابراهيم حينئذ متوجها الى الكعبة اوالى العرش على خلاف ايهما افضل فى باب الاستقبال اوباعتبار نظر ذى الجلال مع احتمال ان يكون التقدير مسندا ظهره الى شئ من اجزاء السماء او الى طرف من بابها متوجها الى البيت المعمور (واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه) اى لكثرتهم وقد روى عن على كرم الله وجهه انه قال البيت المعمور فى السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بمعجمة مضمومة ومهملة بينهما راء فالف من الضراحة بمعنى المقابلة اذ هو مقابل الكعبة كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومن رواه بصاد مهملة فقد صحف بصراح الغلط وروى ابو هريرة انه فى السماء الدنيا وقيل فى الرابعة وقيل فى السادسة ولعل كل بيت فى كل سماء يسمى البيت المعمور بالمعنى المذكور وانه فى السماء السابعة على القول المشهور الوارد فى حقه انه نقل من محل الكعبة الى السماء كما بين فى محله المسطور (ثم ذهب بى) اى جبريل وضبطه الانطاكى بصيغة المفعول (الى سدرة المنتهى) اى ينتهى علم الخلائق عندها وخصت السدرة لان ظلها مديد وطعمها لذيذ ورايحتها طيبة فشابهت الايمان الذى يجمع قولا ونية وعملا فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وامتداده وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورايحتها بمنزلة القول لظهوره (واذا اورقها كاذان الفيلة) بكسر فاء وفتح تحتية جمع فيل قيل والاذان بالمد جمع الاذن (واذا ثمرها) كذا فى النسخ المصححة ووقع فى اصل الدلجى واذا نبقها (كالقلال) بكسر القاف جمع قلة كقباب جمع قبة وفى رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة يعمل بها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قلة لانها تقل اى ترفع وتحمل وليست بهجر الذى هو من توابع البحرين (قال فلما غشيها) بفتح فكسر اى علاها وغطاها (من امر الله تعالى) اى من اجل امره وارادته او من آثار عظمته وانوار قدرته (ما غشى) اى ما غشيها كما فى نسخة وهو مستفاد من قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى (تغيرت) اى السدرة (بما غشيها) من اسرار القدرة (فما احد من خلق الله تعالى يستطيع) اى يقدر (ان ينعتها) اى يصف كيفية غشيتها وماهية ما غشيها (من حسنها) اى من غاية ضيائها ونهاية بهائها فقيل هو فراش من ذهب فقيل لعله شبه ما غشيها من الانوار التى تنبعث منها وتتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لاضائتها وصفاء ذاتها وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت (فاوحى الله الى ما اوحى) وهو تفسير لقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وفى ابهامه تفخيم للموحى كما لا يخفى (ففرض) اى الله تعالى كما فى نسخة (على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة) بيان لما اوحى كله او بعضه (فنزلت الى موسى) اى منتهيا اليه (فقال ما فرض ربك على امتك فقلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) اى تخفيف هذا التكليف وان كان متضمنا للتعريف والتشريف ويجوز فى فاسئله التخفيف بالنقل وغيره كما قرئ بهما فى السبعة (فان امتك) اى جميعهم (لا يطيقون ذلك) وكانه علم عليه الصلاة والسلام ضعفنا وتقصيرنا فرحمنا جزاه الله تعالى افضل الجزاء [illegible] ذلك بقوله (فانى قد بلوت بنى اسرائيل) اى جربتهم وبلاه وابتلاه بمعنى فى الحديث [illegible] الامم لا يبتليها الا التى هى احسن (فخبرتهم) بتخفيف الموحدة [illegible] اوا [illegible] اليه انه جربهم مدة بعد مدة والى ان [illegible] بما جهلهم واحسب منهم الشاق [illegible] عدم [illegible] تحمل الكلفة وقبول الطاعة (فرجعت الى ربى) قال النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته [illegible] ثانيا (فقلت رب خفف عن امتى) اى الضعفاء [illegible] الجمهور الابرار والصلحاء [illegible]

في اليوم والليلة وقد اشار موسى عليه السلام الى هذا المعنى فيما سبق من المبنى و بهذا يظهر ضعف قول الدلجي لم يقل خفف عني حياء من ربه لسؤاله التخفيف عنه (فحط عني) اى فوضع عنى فى ضمن الحط عن امتى (خمسا) ولم يقل عن امتى لئلا يتوهم بقاء فرضية الخمسين عليه وفيه اشارة الى ان من كان لله كان الله له (فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان امتك لايطيقون ذلك) اى لايقدرون على هذا القدر ايضا (فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربى) وفى نسخة بين يدى ربى (تعالى وبين موسى) اى بين موضعى مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى ويجوز ان يكون الرجوع بمعنى المراجعة فى السؤال واحضار البال والله تعالى اعلم بالحال (حتى قال) اى الرب سبحانه وتعالى (يا محمد انهن) ضمير مبهم تفسيره قوله (خمس صلوات) ذكره الدلجي والاظهر ان يقال التقدير ان الصلوة المفروضة او الخمسين خمس صلوات محتمة (كل يوم وليلة) بالنصب على الظرفية وفى نسخة فى كل يوم وليلة (لكل صلوة) اى من الخمس (عشر) اى ثواب عشر صلوات (فتلك خمسون صلوة) اى بحسب المضاعفة ولعل هذه المراجعة منهما لما الهم اليهما حيث لم يكن الوجوب حتما مبرما واوجبها اولا ثم رحمنا فنسخها ثانيا فيجوز نسخ وجوب الشئ قبل وقوعه كنسخ وجوب ذبح اسمعيل عليه السلام عند قصده تبيانا لمحل فضله وكرمه ثم لما كانت نية نبينا وهمة صفينا له اصالة ولا تباعه نيابة ان يقوم بوظيفة خمسين صلوة وجوزى بذلك حيث خفف عليهم فى الكمية وزيد لهم فى الكيفية ذكر قضية كلية وقاعدة مطردة قياسية فى ضمن الحديث القدسى و الكلام الانسى بقوله (ومن هم بحسنة) اى من صلوة نافلة وغيرها بان قصدها وعزم على فعلها (فلم يعملها) اى لعائقة عن عملها (كتبت له حسنة) بصيغة المجهول ونصب حسنة على المصدرية والمعنى كتبت له الحسنة التى هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم سببها وسبب الحسنة حسنة فوضع حسنة موضع المصدر وفى بعض النسخ بصيغة الفاعل والاسناد الى المتكلم وهو ظاهر لكن لايلايم مابعده لم تكتب (فان عملها كتبت له عشرا) وهذا اقل المضاعفة كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (ومن هم بسيئة فلم يعملها) اى فلم يقدر على عملها (لم تكتب) اى تلك السيئة التى هم بها (شيئا) اى ولاسيئة واحدة اذا ندم وتركها الله تعالى بل تكتب له حسنة لاجلها كما ورد كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة وقد زاد مسلم فى رواية انما تركها من جراى بفتح الجيم وتشديد الراء اى من اجلى اوسيئا من الزيادة اذا كان همها باقيا فان هم السيئة المصمم سيئة وشيئا وعشرا منصوبان وفى بعض نسخ المصابيح مرفوعان ولعله غلط من الناسخ (فان عملها كتبت له سيئة واحدة) اى باندراج الهم فى العمل حيث لامضاعفة فى السيئة كما يستفاد من الحصر من قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها (قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسئل التخفيف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة فقلت (قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه) بيائين وفى نسخة بياء واحدة ولعل وجه الحياء هو ان المبالغة فى تخفيف العبادة نوع من الجفاء والقيام بما تعين وتحتم من باب الوفاء فى تحمل البلاء لحصول الولاء هذا ولعل الحكمة فى وجوب الصلاة ليلة الاسراء للايماء الى انها معراج المؤمن الى اعلى كمالاته ومقاماته ومحل مناجاته من بين عباداته وكمال ترقى منازل سعاداته واما حكمة ظهور الانبياء المذكورين بخصوصهم من بين عمومهم وتخصيص كل بسماء المسير الى مراتب علوهم فلم يتكلم به احد من السلف ولم يظهر تحقيقه من الخلف فتبعنا السابقين كما هو وظيفة اللاحقين ثم الصلوات الخمس فرضت بمكة اتفاقا وكذا الزكوة مطلقا واما تفصيلها فبينت بالمدينة وفرض رمضان ثم الحج بها ايضا فما ذكره التلمسانى من انه فرضت الصلوة والزكوة والحج ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وفرض صيام رمضان وزكوة الفطر وهو بمكة خطأ فاحش (قال القاضى رضى الله تعالى عنه) كذا فى النسخ لكن الاولى ان يقال رحمه الله تعالى لان الترضية فى العرف مختصة بالصحابة كما ان التصلية والتسليم مختصان بالانبياء والعزة والجلالة بالله سبحانه وتعالى (جود) بتشديد الواو اى حسن (ثابت) اى البنانى (رحمه الله تعالى) وفى نسخة رضى الله تعالى عنه (هذا الحديث) اى بيان روايته وضبط عبارته الدالة على درايته (عن انس رضى الله تعالى عنه ماشاء) اى ماشاء الله تعالى من تجويده وتحسينه وتحريره (ولم يأت احد) اى من الرواة (عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (اصوب من هذا) اى اقرب الى الصواب من هذا المروى فى هذا الكتاب (وقد خلط) بتشديد اللام (فيه) اى فى هذا الحديث (غيره) اى غير ثابت من الرواة (عن انس) رضى الله تعالى عنه (تخليطا كثيرا) اى وتخبيطا كبيرا (لاسيما) اى خصوصا ماورد (من رواية شريك ابن ابى نمر) اى عن انس وشريك هذا بفتح الشين ونمر بفتح نون وكسر ميم فراء مدنى روى عن ابن انس وابن المسيب وجماعة وعنه مالك وانس بن عياض وطائفة قال ابن معين لابأس به وقال النسائى ليس بالقوى انتهى وشريك هذا تابعى صدوق وثقه ابوداود وقال ابن عدى روى عنه مالك رحمه الله تعالى فاذا روى عنه ثقة

فانه ثقة و وهاه الحافظ ابو محمد ابن حزم لاجل حديثه فى الاسراء الذى اشار اليه القاضى وله فيه اوهام معروفة وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فى صحيحه وقدم فيه شيئا واخر وزاد ونقص انتهى وقال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر رواية شريك هذا فقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يأت احد منهم بما اتى به شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث انتهى والاماكن فى حديث الاسراء معدودة عند اهل العلم فيقال اربعة ويقال ثمانية ذكره الحلبى (فقد ذكر) اى شريك (فى اوله) اى مبدأ حديثه (مجئ الملك له) اى لاجله (وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا) اى ماذكر كله (انما كان وهو صبى وقبل الوحى) فيه انه يمكن تعدده فلا وهم الابسبب مابينه المصنف بقوله (وقد قال شريك فى حديثه) اى هذا بعينه (وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء) اى معه (ولاخلاف انها) اى فى ان قصة الاسراء (كانت بعد الوحى) فثبت وهمه بهذا التعارض الواقع بين كلاميه ولكن قال الامام الحافظ ابو محمد الحسين البغوى هذا الاعتراض الذى اعترض به على رواية شريك لايصح عندى لان ذلك كان رؤيا فى النوم اراه الله تعالى عز وجل قبل الوحى بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى تحقيقا لرؤياه من قبل كما انه رأى عليه الصلاة والسلام فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق انتهى وبهذا الجمع يزول الاشكال عن قوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى اريناك الافتنة للناس فيكون التقدير تصديق الرؤيا وتحقيقها لاتترتب الفتنة على نفس الرؤيا كما لايخفى (وقد قال غير واحد) اى كثير من علماء المحدثين (انها كانت) اى قصة الاسراء (قبل الهجرة بسنة) فقد ذكر النووى ان معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على ان الاسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكى الاجماع على انه كان بمكة والذى نختاره ماقاله شيخنا ابو محمد الدمياطى انه قبل الهجرة بسنة وهو فى ربيع الاول انتهى وروى السيد جمال الدين المحدث فى روضة الاحباب انه كان فى سبعة وعشرين من شهر رجب على وفق ماهم عليه فى الحرمين الشريفين من العمل وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى رمضان وقيل فى شوال وقيل بعد نقض الصحيفة وقيل بعد بيعة العقبة وقيل اسرى به فى الجمعة لانه كان ابن احدى وخمسين سنة وتسعة اشهر وثمانية وعشرين يوما وقيل ليلة اثنى عشر من ربيع الاول ليلة الاثنين منه فيكون زمان معراجه كميلاده ومدراجه باعتبار يوم الاثنين وشهر ربيع الاول والله سبحانه وتعالى اعلم (وقيل قبل هذا) اى قبل ما قبل الهجره وفى نسخة غير هذا اى غير هذا القول الا انهم اتفقوا على انها كانت بعد الوحى (وقد روى ثابت) اى البنانى (عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجئ جبريل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان) جمع غلام بمعنى الصبيان (عند ظئره) بكسر اوله اى مرضعته حليمة اوزوجها الذى لبنها منه فانه يطلق عليهما (وشقه) اى وكذا روى ثابت شق جبريل (قلبه تلك القصة) بدل اشتمال على كل واحدة من القصة حال كونها (منفردة من حديث الاسراء) اى غير منضمة الى قصة المعراج (كما رواه الناس) اى كما رواه غيره من الرواة الثقاة (فجود) اى ثابت (فى القصتين) اى قصة الشق وقصة الاسراء حيث لم يخلط بينهما (وفى ان الاسراء) اى ولاخلاف فى ان الاسراء (الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس) اى اولا (ثم عرج من هناك) اى من بيت المقدس الى سدرة المنتهى عند من قال بالجمع بينهما من اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة (فازاح) اى ازال ثابت (كل اشكال اوهمه غيره) اى من شريك ونحوه فى روايتهم (وقد روى يونس) اى ابن يزيد الايلى وهو الحافظ ابو بكر السيبانى سمع ابن اسحق وابن سهاب والاعمش قال ابن معين صدوق وقال ابو داود ليس بحجة يواصل كلام ابن اسحق بالاحاديث (عن ابن سهاب) اى الزهرى (عن انس قال كان ابوذر يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج) بصيغة المجهول مشددا ومخففا اى كشف وفتح (سقف بيتى فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى) اى شق كما فى رواية ومنه قوله تعالى واذا السماء فرجت اى انشقت كما فى آية اخرى (ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها) اى الحكمة وما فى معناها اومن مقتضاها (فى صدرى ثم اطبقه) اى غطاه واصلحه (ثم اخذ بيدى فعرج بنا الى السماء وذكر) اى يونس (القصة) اى قصة المعراج بطولها (وروى قتادة الحديث) اى حديث الاسراء (بمثله) اى بمثل مروى يونس (عن انس) اى ابن مالك (عن مالك بن صعصعة) الخزرجى المازنى له حديث الاسراء اخرج له البخارى ومسلم والترمذى والنسائى واحمد فى مسنده وليس له فى الكتب غير حديث الاسراء على ماذكره الحلبى قال النووى فى تهذيبه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة احاديث اتفق البخارى ومسلم على احدها وهو حديث الاسراء والمعراج وهو احسن احاديث الاسراء

﴿انتهى﴾

انتهي وكذا ذكر ابن الجوزي في تنقيحه ان له خمسة احاديث (وفيها) اى وفي رواية قتادة عن انس بن مالك (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) اى في بعض مواضعها (وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات) اى بالنسبة الى بعضهم وبعضها (وحديث ثابت) اى البناني (عن انس اتقن واجود) اى من حديث قتادة عن انس عن مالك وكذا غيره مما قدمه على ما تقدم والله تعالى اعلم (وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات) اى من الفوائد على اختلاف روايات (نذكر منها) اى من جملتها (نكتا) بضم ففتح جمع نكتة وجمعها ايضا نكات وهي بمعنى النقط وتطلق على معاني لطيفة (مفيدة في غرضنا) اى مقصودنا في هذا الباب من الكتاب (منها في حديث ابن شهاب) اى الزهري (وفيه) اى وفي حديثه الذي رواه (قول كل نبي له) اى مخاطباله صلى الله تعالى عليه وسلم (مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) اى بدل والاخ الصالح لانه كان من ذرية اسمعيل ولقوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم واما ما يقوله اهل النسب والتاريخ ان ادريس اب من آباء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه جد نوح عليه والسلام فانه لاينافي كونه اباله فان قوله الاخ الصالح يحتمل انه قاله تأدبا وتلطفا وهو اخ له وان كان ابنا فان الانبياء اخوة والمؤمنون اخوة (وفيه) اى وفي حديث الزهري اوفي حديث الاسراء من طريق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) اى كما اخرجه البخاري (ثم عرج بي) بصيغة المفعول اوالفاعل (حتى ظهرت بمستوى) بصيغة المجهول في اوله باء اولام اى صعدت بمكان عال او في مكان مرتفع وقيل الباء بمعنى على وقيل هو عبارة عن فضاء فيه استواء (اسمع فيه صريف الاقلام) اى صوت حركتها وجريانها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من اقضية الله سبحانه وتعالى و وحيه وينسخ من اللوح المحفوظ ومنه قوله تعالى كل يوم هو في شأن وفي نسخة صرير بر ائين وهواشهر في اللغة على ماصرح به بعضهم ثم جمع الاقلام يحتمل ان يكون للتعظيم اولكبره في التجسيم (وعن انس رضي الله تعالى عنه) اى مرفوعا (ثم انطلق بي) بصيغة المجهول اوالمعلوم (حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان) اى اصناف من الانوار وانواع من الاسرار (لاادري ماهي) اى ماهيتها وحقيقتها (قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه) اى كما رواه الشيخان وغيرهما (فلما جاوزته يعني موسى عليه السلام) تفسير من بعض الرواة (بكى) اى تأسفا على قومه اذلم يتبعوه فينتفعوا به انتفاع هذه الامة بنبيهم اذ لا حسد في ذلك العالم لاحاد المؤمنين فضلا عن الانبياء والمرسلين كذاقرره الدلجي وغيره و يؤيده قوله يدخل من امته الجنة اكثر من امتي ولايبعد ان يراد به الغبطة على تلك المنزلة وكثرة الامة والظاهر انه لما جاوزته عن مقامه ومرتبته كما يشير اليه قوله فلما جاوزته ولما سيأتي صريحا من قول موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع على احد ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لقيت موسى في السماء السادسة فلما جاوزته بكى وقال يزعم بنواسرائيل انى اكرم ولد ادم وقد جاوزني هذا وكانه سلم التقديم لابراهيم لكونه جدا له يحق له التعظيم مع سبقه عليه سبعمائة سنة في مقام التقديم ولذا عبر عنه عليه الصلاة والسلام بالغلام فتأمل في هذا المقام لعله يتبين لك المرام ثم الاظهر ان وجه الغبطة في القربة امور كثيرة من انواع علو الرتبة (فنودي مايبكيك قال رب هذا غلام بعثته) وفي نسخة بعث (بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي) ولعله سماه غلاما مع كونه حينئذ كهلا اوشيخا على اختلاف القولين في تعريفهما والغلام انما يطلق فيمن بلغ سبعا اوعاني وقد يطلق على الطفل تفاؤلا وقد يقال له ما دام شابا فكانه نظر الى قصر عمره وتأخر عصره مع جموم مناقبه وعموم مراتبه (وفي حديث ابي هريرة) اى ومنها في حديثه الذي رواه البيهقي وغيره (وقد رأيتني) بضم التاء حكاية عن نفسه وفي اصل الدلجي ولقد رأيتني (في جماعة من الانبياء) اى باجسامهم اوبارواحهم ممثلة بصورهم التي كانوا عليها (فحانت الصلاة) اى دنت الصلاة الجامعة لعظمة تلك الواقعة وقد ابعد الدلجي في قوله ولعلها صلاة الصبح اذالاسراء لايكون الا آخر الليل وهي مما فرض على الانبياء انتهى وقد سبق ان ابتداء الاسراء كان بعد صلاة العشاء وهو لم يكن الا زمنا قليلا من الليل على ما يفيده تنكير ليلا فلا يتصور حمله على صلاة الصبح اصلا (فامنهم) بتخفيف الميم الثانية اى صليت بهم تلك الصلاة اماما وقال النووي في بعض فتاواه يحتمل ان تكون صلاته بالانبياء ليلة الاسراء ببيت المقدس قبل صعوده الى السماء ويحتمل ان تكون بعد نزوله منها قلت وهذا يتوقف على صحة ان يكون رجوعه اليه منها ثم قال واختلف العلماء في هذه الصلاة فقيل انها الصلاة اللغوية وهي الدعاء والذكر والثناء وقيل هي الصلاة المعهودة المعروفة وهذا اصح لان اللفظ يحمل على الحقيقة الشرعية قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر ها فوجب الحمل على الحقيقة الشرعية وكان قيام الليل واحياؤه واجبا قبل ليلة الاسراء ثم نسخ ليلة الاسراء و وجبت فيها الصلوات الخمس (فقال قائل منهم يا محمد هذا مالك خازن النار) فيه اشعار بان الصلاة كانت في السماء و في رواية انها كانت في المسجد

الاقصى ولامنع من الجمع ولالنزول مالك وان كان مقره في السماء (فسلم عليه) بصيغة الامر لانه عليه السلام كالقائم وهو كالقاعد والقائم يسلم على القاعد وان كان مفضولا (فالتفت) اى لنظرت اليه (فبدأني بالسلام) لانه كان يمتز له الوافدا وعملا بالافضل خصوصا مع التأدب بالنبي الاكل واما ما قيل انما بدأه به ليزيل مايستشعره من الخوف منه فليس في محله (وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) اى المحكي عنه ماتقدم من الزيادة (ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه) اى براقه (الى صخرة) اى قريبة من صخرة بيت المقدس او الى صخرة عظيمة معروفة مشهورة في وسط المسجد الاقصى قال البرقي في غريب المواطن قيل ان مياه الارض كلها تخرج من تحت صخرة بيت المقدس وهي من عجائب مخلوقات الله تعالى في ارضه ومن غرائبها فانها صخرة صماء في وسط المسجد الاقصى مثل الجبل بين السماء والارض قد انقطعت عن الارض كلها من كل جهة لايمسكها الا الله الذى امسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وفي اعلاها من جهة الجرف موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء قد مالت من تلك الجهة من هيبته ومن الجهة الاخرى اثر اصابع الملائكة التي امسكتها اذا مالت به ذكره التلمساني اعلم ان التعبير بالفرس جاء في تذكرة القرطبي برواية البيهقي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي هريرة وكذا رواه الطبراني وجاء في التفسير في سورة الملك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل والكلبي في قوله تعالى خلق الموت والحيوة ان الموت والحيوة جسمان فجعل الموت في هيئة كبش لايمر بشئ ولايجد ريحه شئ الا مات وخلق الحيوة على صورة فرس انثى بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لاتمر بشئ يجد ريحها الا حيي ولا تطأ شيئا الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها والقاه في العجل حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والماوردي عن مقاتل انتهى فلا يحتاج الى ما تكلف بعضهم من القول بتعدد الاسراء والله تعالى اعلم (فصلى مع الملائكة) اى الحاضرين من الزائرين (فلما قضيت الصلوة) بصيغة المجهول (قالوا ياجبريل من هذا معك فقال) وفي نسخة قال (هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله) جملة دعائية اما من الحياة بمعنى البقاء اى بقاه الله وابقاه بمعنى عمره او من التحية اى سلمه الله واسلم عليه (من اخ) اذ المؤمنون اخوة عموما والانبياء خصوصا لحديث الانبياء اخوة بنوعلات ابوهم واحد اى الايمان وامهاتهم شتى يعني الشرائع (وخليفة) اى لله في الارض حيث يحكم بحكمه من امره ونهيه (فنعم الاخ ونعم الخليفة) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم لقوا) اى النبي وجبريل ومن معه من الملائكة اولان الاثنين اقل الجمع اوجمع للتعظيم والمعنى ثم لقي (ارواح الانبياء) اى ممثلة اومنضمة الى اشباحهم ولعل الاقتصار على الارواح لكمال صفائهم وضيائهم ثم هذه الملاقاة امابيت المقدس بعد انقضاء الصلاة اوبعد العروج في مراتبهم من السموات (فاثنوا على ربهم) اى شكرا لما انعم عليهم (وذكر) اى ابوهريرة (كلام كل واحد منهم) اى مما اثنوا على ربهم (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما اثنى على ربه روى ان ابراهيم عليه السلام قال الحمد لله الذى اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا يؤتم بي وانقذني من النار وجعلها بردا وسلاما وقال موسى عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى كلمني تكليما واصطفاني وانزل على التوراة وجعل اهلاك فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدى وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون وقال داود عليه السلام الحمد لله الذى جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير واتاني الحكمة وفصل الخطاب وقال سليمان عليه السلام الحمد لله الذى سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ماشئت من محاريب وتماثيل وعلمني منطق الطير واتاني ملكا لاينبغي لاحد من بعدى وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب وقال عيسى عليه السلام الحمد لله الذى جعلني كلمته وجعلني مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله تعالى وجعلني ابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله تعالى ورفعني وطهرني واعاذني وامي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل (فقال) اى ابوهريرة رضي الله تعالى عنه (وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي الحمد لله الذى ارسلني رحمة للعالمين) اى لعامة الخلق (وكافة للناس) اى اجمعين كما في نسخة (بشيرا) اى بالثواب (ونذيرا) اى بالعقاب (وانزل على الفرقان) اى المبالغ في الفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فيه تبيان لكل شئ) اى من مهمات امور الدنيا والدين امابالنص اوبالاحالة على السنة لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهيكم عنه فانتهوا اوبالحث على الاجماع لقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غيرسبيل المؤمنين

او بالقياس لقوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار (وجعل امتى خير امة) اى اخرجت للناس الاية (وجعل امتى امة وسطا) اى خيارا عدولا اومعتدلين فى اعمارهم واخلاقهم وارزاقهم مقتصدين فى اعمالهم (وجعل امتى هم الاولون) اى فى دخول الجنة (وهم الآخرون) اى فى حصول الخلقة وفى اتيان ضمير الفصل تبيان انهم هم المختصون بهذا الفضل كذا ذكره الدلجى لكن فيه بحث اذهم فى هذا التركيب مبتدأ والاولون خبره والجملة فى محل نصب على انه مفعول ثان لجعل هذا وفى صحيح مسلم نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق نحن اول من يدخل الجنة (وشرح لى صدرى) اى ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق (ووضع عنى وزرى) اى ثقل حمل اعباء النبوة وما ترتب عليه من لأواء المشقة (ورفع لى ذكرى) اى باقتران اسمه لاسمه واشتراك طاعته لرسوله (وجعلنى فاتحا) اى لابواب التحقيق واسباب التوفيق وحاكما فى خلقه او بادئا فى ظهور امره و وجود نوره ويناسبه قوله (وخاتما) اى وجعلنى خاتم النبيين والاظهر ان يقال معناهما اولا وآخرا لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث (فقال ابراهيم بهذا) اى بمجموع ماذكر فيما حمده وشكره (فضلكم محمد) ايها الانبياء وهو بتخفيف الضاد اى بهذا صار افضلكم (ثم ذكر) اى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه (انه) اى جبريل (عرج به) وفى نسخة بصيغة المجهول فضميرانه للشان (الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم) فيه ايماء الى ان ملاقاته الانبياء هذه كانت ببيت المقدس والله تعالى اعلم (وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى مما رواه ابونعيم فى دلائله وابن عرفة فى جزئه (وانتهى بى) يعنى جبريل عليه السلام قاله الدلجى لكنه بصيغة المجهول فى النسخ المصححة (الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة) كذا فى مسلم قال النووى فى جميع اصوله وعن المصنف هو الاصح وقول الاكثرين ومقتضى تسميتها بالمنتهى انها فى السماء السابعة ولذا صحح فى بعض النسخ المعتمدة بلفظ السابعة وقد جمع بينهما النووى بان اصلها فى السادسة ومعظمها فى السابعة انتهى وفى الروايات الاخر من حديث انس رضى الله تعالى عنه انها فوق السماء السابعة قال المصنف وخروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصلها مؤذن بانه فى الارض انتهى وفيه بحث لا يخفى ومع تسليم ظاهر ما ادعى يمكن الجمع بان مبدأها فى الارض ومعظمها فى السماء السادسة وانتهاؤها ومحل اثمارها وغشيان انوارها فى السماء السابعة ويؤيده قوله (واليها) اى الى السدرة (ينتهى ما يعرج به من الارض) بصيغة المجهول وكذا قوله (فيقبض منها) اى تقبضه الملائكة الموكلون فيها باخذ ما صعد به من الاعمال والارواح اليها (واليها ينتهى ما يهبط) اى ينزل (من فوقها فيقبض منها) اى فيقبضه من اذن له بقبضه وايصاله الى من قضى له به وفى حاشية قال ابن عباس والمفسرون سميت سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (قال) اى الله سبحانه وتعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) اى يغطيها ما يغطى مما يصعد اليها من تحتها ويهبط عليها من فوقها وهذه عبارة لم ار من عبر بها و بهذا يجمع بين روايات مختلفة اذ روى انه يغشاها جم غفير من الملائكة وفى رواية رفرف من طير خضر وتقدم عن الحسن انه نور رب العزة (قال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فراش من ذهب) الفراش بفتح الفاء الطائر الذى يلقى نفسه فى ضوء السراج وقد يطلق على الحباب الذى يعلو النبيذ ونحوه وقد ذهب توجيهه (وفى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى ومنها فى روايته (من طريق الربيع بن انس رحمه الله تعالى) والربيع هذا بصرى نزل خراسان روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه الثورى وابن المبارك وطائفة (فقيل لى هذه) اى المشار اليها (سدرة المنتهى) وفى نسخة صحيحة السدرة بالالف واللام قال الانطاكى هذا ما وقع فى النسخ فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات سدرة المنتهى بدونهما وكذا وقع فى صحيح مسلم السدرة بالالف واللام فى قوله عليه الصلاة والسلام ثم ذهب بى الى السدرة المنتهى قال النووى فى شرحه وفى غيره من الروايات سدرة المنتهى يعنى بدون الالف واللام ولم يذكر لذلك علة (ينتهى اليها كل احد) اى روحه او عمله او بكليته عند دخول جنته (من امتك خلا على سبيلك) اى مضى على طريقتك ومنه قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اى مضى نبى منذر واما ما ضبط فى حاشية بضم الخاء وتشديد اللام على انه مبنى للمفعول فتصحيف وتحريف (وهذه سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن) بهمزة ممدودة او مقصورة كما قرئ بهما فى السبعة غير متغير طعما ولونا وريحا (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) لعل الاقتصار على الطعم لان مدار التنعم عليه اوللزوم تغيره بتغير لونه وريحه (وانهار من خمر لذة) تأنيث لذ اى لذيذة او ذات لذة (للشاربين) وقد يقال وصفها بلذة للمبالغة كأنها نفسها وعينها (وانهار من عسل مصفى) اى مخلص من خلط شمع وغيره من فضلات النحل وغيرها فانه مخلوق لا من صنع نحل (وهى) اى سدرة المنتهى (شجرة) اى عظيمة (يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما) وفى رواية الترمذى مائة سنة

(وان ورقة منها) اى من اوراق تلك الشجرة بسبب كبرها وكثرة طولها وعرضها (مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المعجمة من الاظلال وفى نسخة بفتحهما اى محل ظلا لهم والمعنى ان ظلها شامل لهم حافل عليهم والتشبيه السابق لورقها باذان الفيلة من حيثية الهيئة لاينافى كبرها باعتبار العظمة (فغشيها نور) اى نور عظيم من الانوار الالهية لقوله (وغشيتها الملائكة) اى بانوارهم الملكية فبقى نور على نور قيل غشيها ملائكة كامثال الطير يقعن على الشجر وهذا التقرير اولى من قول الدلجى فى قوله غشيها نور لعله نور الملائكة حين اقبلت اذقد خلقت من نور ثم رأيت فى حاشية انه فى التفسير فغشاها نور رب العزة وقد سبق انه قول الحسن فهو احسن (قال) اى الراوى (فهو قوله تعالى اذيغشى السدرة مايغشى) اى فاسبق هو معنى قوله تعالى مايغشى وايضاح له بعد ابهامه تفخيما وتعظيما وتكثيرا لمايغشاها (فقال تبارك) اى تكاثر خيره وترايد بره (وتعالى) اى تنزه شانه وتبين برهانه (له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) اى تعط (قال انك اتخذت ابراهيم خليلا) اى والخلة اعظم خلة اذ هى كرامة جليلة ومقامة جيلة تشبه كرامة الخليل عند خليله مأخوذة من الخلال فانها ود يتخلل النفس ويخالطها وقدروى ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر يمتار منه لأزمة اى شدة منداصابت الناس فقال لوان ابراهيم اراد ذلك لنفسه فعلت ولكن يريد لاضيافه وقد علم ابراهيم ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها اوعيتهم فوجده اهل بيته دقيقا حوارى فخبزوا منه فشم ابراهيم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقيل من خليلك المصرى فقال بل من خليلى الله فسماه الله تعالى خليلا (واعطيته ملكا عظيما) اى ملكا جسيما كما قال الله تعالى فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما اى آل ابراهيم معه ومنهم داود وسليمان (وكلمت موسى تكليما) اى وعظمته بذلك تعظيما وتكريما (واعطيت داود ملكا عظيما) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل ذكره البغوى فى تفسيره (والنت له الحديد) اى كالشمع لايحتاج الى احماء وطرق (وسخرت له الجبال) اى معه كما فى اصل الدلجى وقد قال الله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له اواب (واعطيت سليمان ملكا عظيما) اجمله ثم فصله بالعطف التفسيرى فى قوله (وسخرت له الجن والانس والشياطين) اى كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد (واعطيته ملكا لاينبغى) اى لايوجد (لاحد من بعده) وهذا تعميم بعد تخصيص واعادة لمافيه زيادة وتلويح الى ماحكاه الله عنه رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى وانما قاله ليكون له معجزة خارقة للعادة لانه قصد به الحسد فى الرياسة والمنافسة اولئلا يقع احد فيما وقع فيه من ابتلاء الحالة التى لاتخلو من نوع المحاسبة والمنا قشة وصنف من المخاطرة من نقصان كمال المرتبة (وعلمت عيسى التوراة) اى تبعية (والانجيل) اصلية يروى وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (وجعلته يبرئ الاكمه) اى من ولد اعمى اوهو الممسوح العين (والابرص) اى ممن ببدنه بياض امهق كالجص روى انه ربما اجتمع الالوف عليه ومن لم يطق اتيانه ذهب اليه ومايداوى الابالدعاء لديه والمعنى ان هذا فى حال الكبر (واعذته وامه من الشيطان الرجيم) اى فى حال الصغر (فلم يكن له) اى الشيطان (عليهما سبيل) اى لقوله سبحانه ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولاستعاذة جدته حنة امرأة عمران (فقال له ربه تعالى) اى تسلية لنبينا عن مرتبة الغبطة بالعطية من اعلى الرتبة (قد اتخذتك حبيبا) والمحبة اخص من الخلة فانها من حبة القلب ولان الفعيل يحتمل معنى الفاعلية والمفعولية فله الجمع بين مرتبتى المحبية والمحبوبية ويؤيده ان فى نسخة صحيحة خليلا وحبيبا وهى فى ارادة هذا المعنى صريحة واما قوله (فهو مكتوب فى التوراة محمد حبيب الرحمن) فلا ينافيه ماقدمناه من البيان اذا ذكر بما خص به من مقام الاعيان هذا وقد قال الدلجى هذا مدرج من كلام الراوى اقامة بينة لصحة زيادة رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولعل وجه تخصيص اضافته الى الرحمن لكونه رحمة للعالمين من عند ارحم الراحمين (وارسلتك الى الناس كافة) اى رسالة عامة فارساله الى الناس تعميما يفيد تعظيما بالنسبة الى من اوتى ملكا عظيما ثم زاد عليه بماضم اليه من قوله (وجعلت امتك هم الاولون) اى فى دخول الجنة شهودا (وهم الآخرون) اى فى الدنيا وجودا (وجعلت امتك) اى امة الاجابة (لايجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) اى ولو خارج الخطبة فلايرد على ابى حنيفة فى تجويز الخطبة على نحو تسبيحة وتحميدة اوالمراد بالامة امة الاجابة والمراد بنفى الجواز انه لاينبغى ترك الشهادة لاسيما حال القدرة فالمعنى على نفى الكمال كحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء اى ناقصة مقطوعة الفائدة كحديث كل امر ذى بال لايبدأ فيه بسم الله او بالحمد لله فهو اجذم اوابتر اواقطع روايات (وجعلتك اول النبيين خلقا) اى لانه سبحانه وتعالى خلقه قبل آدم فلما خلق آدم قذفه فى صلبه فلم يزل فى صلب كريم الى رحم طاهر من السفاح حتى خرج من بين ابويه فكان اولهم خلقا ووجودا (وآخرهم بعثا) وشهودا مع زيادة انه اعظمهم خلقا

(واعطيتك) اى خاصة (سبعا من المثانى) وهى الفاتحة على الصحيح من قوله سبحانه وتعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم الاية (ولم اعطها نبيا قبلك) تأكيد لما قبله وتأييد (واعطيتك خواتيم سورة البقرة) الظاهر انها من قوله آمن الرسول الى آخر السورة (من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك) اى بانزال مضمونها على احد منهم ادخارا لك وقال التوربشتى بل المعنى انه استجيب له ولمن سأل بحقه مضمون قوله تعالى غفرانك ربنا الخ قال الدلجى ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دعا بهن قيل له قد فعلت واوثر الاعطاء مناسبة للتعبير بكنز تحت العرش انتهى ولا يخفى انه لامنافاة بين الجمع فالحمل عليه اولى (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى مبدأ للخيرات ومنتهى للمبرات اولا وآخرا باعتبار الارواح والاشباح من بين الانبياء (وفى الرواية الاخرى) اى التى رواها مسلم (قال) اى ابن مسعود (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا) اى مما لم يعطها غيره (اعطى الصلوات الخمس) اى فريضة فى كل يوم وليلة (واعطى خواتيم سورة البقرة) اى قراءة واجابة (وغفر لمن لايشرك بالله شيئا) اى من الشرك (من امته المقحمات) اى السيئات المهلكات اهلها ولو من غير توبة وفيه اشارة الى انه من خصوصيات هذه الامة المرحومة ببركة نبى الرحمة لكنه هذا تحت المشيئة ومختص بمن تعلقت به الارادة لقوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فاندفع مااورده الدلجى من وجه الاشكال بقوله يفيد ظاهره العموم فيلزم انه لايعذب احد مع الاجماع على تعذيب بعض عصاة المؤمنين اى من هذه الامة والا فلا اشكال وابعد من قال اراد بغفرانها ان لايخلد احد منهم فى النار لاان لايعذب اصلا اذفيه انه لاخصوصية حينئذ قطعا ثم المقحمات بضم ميم وكسر حاء مهملة مخففة وقيل مثقلة الذنوب العظام التى من شانها ان تقحم صاحبها فى النار وتدخله الشدة فى دار البوار وهو مرفوع على انه نائب الفاعل لقوله غفر والمعنى انه اعطى الشفاعة لاهل الكبائر من الامة (وقال) اى ابن مسعود فى قوله تعالى (ماكذب الفؤاد مارأى الايتين) اى فى هذه الاية وما بعدها من قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (رأى جبريل فى صورته) اى التى خلق عليها فى اصل جبلته (له ستمائة جناح) اى مختص بزيادة الاجنحة على سائر الملائكة كما قال سبحانه وتعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء واشار اليه سبحانه وتعالى بقوله علمه شديد القوى ذومرة فاستوى لان القوة على قدر زيادة الاجنحة اللازمة لعظم الجثة ومنه حديث ابى داود وغيره ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم اما حقيقة صيانة لامره وحفظا لشانه او تواضعا تعظيما لحقه واما ماذكر السهيلى من انه قد قال اهل العلم فى اجنحة الملائكة انها ليست كما يتوهم من اجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لاتفهم الا بالمعاينة فهو خلاف الظاهر المتبادر من معنى الحقيقة التى لاينافيها عقل ولانقل وقد ابعد بقوله واحتجوا بالاية فانه لم يرطائر له ثلاثة اجنحة او اربعة حيث غفلوا عن انه لايقاس الغائب على الحاضر وجهلوا معنى قوله سبحانه وتعالى يزيد فى الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير وفى الاية قول آخر لبعض الائمة وهو انه رأى ربه تعالى والمعنى ماكذب بصره ماحكاه له قلبه (وفى حديث شريك) اى ومنها فى روايته (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى موسى فى السابعة) اى السماء السابعة كما فى اصل الدلجى وقد تقدم الجمع بينهما فلا يحتاج الى حمله على تعدد الاسراء او تكلفه بان احداهما موضع استقراره والاخرى غير موضع استيطانه او باعتبار طلوعه ورجوعه وهذا اولى مما قاله الانطاكى ولعله رآه فى السادسة ثم ارتقى الى السابعة وهذا وجه التوفيق بين ماروى فى صحيح مسلم انه عليه الصلاة والسلام وجد ابراهيم فى السادسة وبين روى انه وجده فى السماء السابعة انتهى والاظهر انه من وهم بعض الرواة فان النسيان يغلب الانسان (قال) اى شريك او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بتفضيل كلام الله تعالى) اى له كما فى اصل الدلجى والمعنى ان جعله فى السابعة مسبب عن ذلك قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اى ولاتطلب المعراج ولا الرؤية فى ذلك المدراج (ثم علا به) بصيغة المفعول وفى اصل الدلجى ثم علا بى اى جبريل (فوق ذلك) اى فوق ماذكر من السماء السابعة والسدرة (بما لايعلمه الا الله) اى بمقدار لايعلمه سواه فلا يحتاج الى ماتكلف له الدلجى بقوله انه بدل من فوق ذلك والباء للاستعلاء كما فى قوله تعالى من اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار اى عليه او بمعنى الى كما فى وقد احسن بى اى علا بى على مكان او الى مكان لايعلمه الا الله (فقال موسى لم اظن ان يرفع على احد وقد روى) بصيغة المجهول اى ومنها انه قد روى (عن انس رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اى اماما وهو لاينافى ماروى انه صلى بهم فى السماء او صلى مع الملائكة فى المسجد الاقصى (وعن انس رضى الله تعالى عنه) اى ومنها مارواه البزار والبيهقى عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز) بالواو والزاى اى دفع باطراف اصابعه او ضرب بكفه مجموعة (بين كتفى) بتشديد التحتية وهذا ضرب تلطف ومحبة او سبب قيام وخفة

ويشير اليه قوله (فقمت الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر) اى مكانين مماثلين للوكرين وهو بفتح الواو عش الطائر سواء كان فى جبر اوفى شجر وقيل ان كان فى شجر فهو عش اوفى جبر فهو وكر (فقعد) اى جبريل (فى واحدة) ولعل تأنيث الوكر باعتبار البقعة اوالقطعة من الشجرة (وقعدت فى الاخرى) وما ذكرناه اولى واحرى مما قاله الحلبى ان تأنيثه هنا حمل على الغالب اذ الغالب ان مايلازم الوكر الانثى للبيض والجلوس عليه وغير ذلك فاكتسب التأنيث بحسب الاضافة انتهى ويرده مافى القاموس من ان الوكر عش الطائر وان لم يكن فيه واما قول الدلجى انهما باعتبار ان كلا منهما بمعنى العش واهل مكة يذكرونه ويؤنثونه والغالب الآن على السنتهم التأنيث فليس فى محله لانه غير مسموع بل فى القاموس مايدل على انه من وجهين مدفوع حيث قال العش بالضم موضع الطائر يجمعه من دقاق الحطب فى افنان الشجر ويفتح (فنمت) بفتح النون والميم من النمو اى زادت وفى نسخة صحيحة فسمت بالسين المهملة والميم المخففة من السمو اى ارتفعت والضمير الى الاخرى (حتى سدت الخافقين) بتشديد الدال المهملة اى طرفى السماء والارض اوافقى المشرق والمغرب (ولو شئت) اى من كمال رفعتى (لمسست السماء) بكسر السين الاولى وتفتح وقد تحذف كما فى نسخة (وانا اقلب طرفى) بتشديد اللام والطرف بسكون الراء بمعنى النظر والجملة حالية اى والحال انى اردد بصرى تبعا لبصيرة قلبى فى آيات ربى فى الافاق وفى الانفس (ونظرت جبريل) اى رأيت كما فى نسخة اى وابصرته نازلا عنى وبعيدا منى (كأنه حلس) بكسر وسكون وفى نسخة بفتحهما اى كساء رقيق يلى ظهر البعير تحت قتبه شبهه به لرؤيته له (لاطئا) بكسر مهملة فهمزة اى لاصقا بما لطئ به من هيبة الله تعالى وشدة الخشية من كمال عظمته كذا قرره الدلجى بناء على نصب لاطئا فى اصله لكنه مخالف للاصول المصححة لانه مرفوع على انه نعت لقوله حلس ومنه حديث ابى بكر رضى الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة اومنية قاضية امره بلزوم بيته هذا وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسرى بى وجبريل بالملأ الاعلى ساقط كالحلس البالى من خشية الله تعالى (فعرفت فضل علمه بالله سبحانه على) لانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولان من يكون اعلم يكون اخشى واتقى وهذا من باب تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعليم لامته واتباعه وتنبيه نبيه على ان افضل الملائكة اذا كان يخشى هذه الخشية مع ظهور العصمة فغيره اولى بان يكون على تلك الحالة مع احتمال وجود السيئة وتحقق الغفلة (وفتح لى باب السماء) بصيغة المفعول (ورأيت) وفى نسخة ونظرت (النور الاعظم) اى نور الحضرة الالهية ذكره الدلجى والله تعالى اعلم (ولط) بضم لام وتشديد طاء مهملة اى ارخى وفى نسخة واذا ادنى باذا المفاجأة اى قرب ودنى (الحجاب) اى ستر باب الجناب لان رب الارباب منزه عن ان يدخل تحت الحجاب او يخرج من تحت النقاب (وفرجه) بالنصب وهو بضم الفاء وسكون الراء اى ومركوز فى شقه (الدر والياقوت) ويروى فوقه الدر والياقوت والظاهر انه تصحيف وضبط فى حاشية التلمسانى وغيره بضم الفاء وفتح الراء جمع فرجة وهو الاظهر فتدبر (ثم اوحى الله الى ماشاء ان يوحى) اى الى كما فى نسخة صحيحة (وذكر البزار عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة بخط مغلطاى البراء بفتح موحدة وخفة راء والصواب هو الاول وهو بموحدة فزاى مشددة فالف فراء نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا بلغة البغداديين وهو الحافظ العلامة ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعلل سمع عبد الاعلى بن حماد والحسن بن على بن راشد وطائفة وعنه ابو الشيخ والطبرانى وجماعة فانه ارتحل فى آخر عمره الى اصبهان والى الشام والى النواحى ينشر علمه ذكره الدارقطنى واثنى عليه وقال ثقة يخطئ ويتكل على حفظه مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين (قال لما اراد الله تعالى ان يعلم) بتشديد اللام اى يعلمه ويلهمه (الاذان) اى مايختار للاعلام بدخول اوقات الصلوات (جاء جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها) اى شرع واراد ان يركبها (فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكنى فوالله ماركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فركبها حتى اتى بها) اى انتهى بها (الى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى) اى عرشه سبحانه وتعالى (فبينا هو) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (كذلك) اى بالوصف الذى هنالك (اذ خرج ملك) اى فاجأه خروجه (من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل من هذا) اى من الملائكة (قال) اى جبريل (والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا) اى فى السماء او من الحجاب لا من رب الارباب لانه منزه عن المكان والزمان وسائر سمات الحدثان (وان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) يعنى فهو داخل تحت قوله سبحانه ومما لا يعلمون وقوله تعالى ويخلق مالا تعلمون (فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له) اى جوابا عن مقوله (من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر) هذا يحتمل انه امر ملكا ان يقوله عن امر ربه كعكسه حين حكى الله عن الملائكة فى قوله وما نتنزل الا بامر ربك (ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا انا) ووقع فى اصل

الدلجي انه لا اله الا انا وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وذكر) اى الراوى (مثل هذا) اى الذى ذكر قولا وجوابا (فى بقية الاذان الا انه لم يذكر) فقيل له من وراء الحجاب (جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح وقال) اى الراوى (ثم اخذ الملك) اى المؤذن (بيد محمد فقدمه) اى فى المقام الامام (فام اهل السماء) اى من الملائكة والانبياء (فيهم آدم) ابو البشر الاكبر (ونوح) ابو البشر الاصغر ولعل هذا وجه تخصيصهما فتدبر واما ما وقع فى اصل الدلجى من قول آدم وابراهيم ثم قوله وخصا بالذكر لانهما ابوا الانبياء فهو مخالف للاصول المعتبرة (قال ابو جعفر) اى الصادق وهو الباقر (محمد ابن على بن الحسين) اى ابن على ابن ابى طالب وهو زين العابدين رضى الله تعالى عنهما ويسمى سلسلة الذهب (راويه) اى راوى هذا الحديث الذى ذكره البزار فى مسنده حيث قال حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد حدثنا ابى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن ابيه عن جده على بن ابى طالب قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان فذكره وفى سنده زياد بن المنذر وهو كذاب وقد اخرج له الترمذى وقد مال السهيلى فى روضه الى صحته لما يعضده وبينا كله من احاديث الاسراء والله تعالى اعلم وقد تصحف فى اصل الدلجى فوقع رواية بالمصدر بدل راويه (اكمل الله تعالى) اى اكمل واتم (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) اى السيادة الاعم (على اهل السموات والارض قال القاضى رحمه الله تعالى ما فى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق) اى مقصور من جميع الابواب اذ الحجاب لغة المنع والستر وحقيقته للاجرام المحدودة الا انه قد يطلق مجازا ويقصد به التمثيل لما يفهم من مجرد المنع من رؤيته تعالى بالمشاهدة ليتصوره السامع حتى يكون مستحضرا كانه ينظر اليه متيقنا له متبصرا واما المعنى الحقيقى فهو منحصر فى حق المخلوق (لا فى حق الخالق) لانه منزه عن ذلك (فهم المحجوبون) اى حسا ومعنى (والبارى) اى الخالق البرى عن مشابهة المخلوقين (جل اسمه) اى وعز مسماه (منزه عما يحجبه) اى يستره عن خلقه ويجعله محجوبا فى حقه (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب (انما تحيط بمقدر) اى محدود (محسوس) اى داخل تحت نطاق حاسة البصر (ولكن حجبه) بضمتين جمع حجاب وبفتح فسكون مصدر اى قد يكون حجابه (على ابصار خلقه) بفتح الهمزة اى اعينهم الظاهرة (وبصائرهم) اى اعينهم الباطنة (وادراكاتهم) عطف تفسير (بما شاء) اى من انواع الحجاب وفى الحديث حجابه النور اى لكماله فى الظهور (وكيف شاء) اى فى هذا الباب (ومتى شاء) اى من اوقات تعلق الحجاب (كقوله) اى فى الكتاب (كلا انهم) اى الكفار (عن ربهم يومئذ لمحجوبون) اى لممنوعون عن رؤيتنا وشهود قدرتنا بخلاف المؤمنين فانهم فى عين عنايتنا وزين رعايتنا وحمايتنا عن غين الاغيار ورين الاوزار (فقوله فى هذا الحديث الحجاب) يجوز جره على الحكاية ورفعه على الاعراب فى قوله عليه الصلاة والسلام اذ خرج ملك من الحجاب (يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه) اى بحسب ظاهره (من ملائكته عن الاطلاع) بتشديد الطاء (على ما دونه) اى بحسب باطنه (من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته) وقد سبق ان الملكوت هو الملك العظيم والجبروت كمال العظمة بناء على ان بناء الفعلوت للمبالغة وما احسن قول ابن عطا فى كشف هذا الغطا * مما يدلك على وجود قهره سبحانه وتعالى ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه * وقد انشدوا فى هذا المعنى واطنبوا فى هذا المبنى

﴿ من ابصر الخلق كالسراب * فقد ترقى عن الحجاب ﴾
﴿ الى وجود يراه رتقا * بلا ابتعاد ولا اقتراب ﴾
﴿ ولم يشاهد به سواه * هناك يهدى الى الصواب ﴾
﴿ فلا خطاب به اليه * ولا مشير الى الخطاب ﴾

(ويدل عليه) ما ذكرناه (من الحديث) اى من بعض ما فى نفس الحديث (قول جبريل عن الملك الذى خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل على ان هذا الحجاب) اى تعلقه (لم يختص بالذات) بل اختص بالمخلوقات نعم الذات محتجب بالصفات والصفات محتجبة بالموجودات لا بمعنى ان ذلك الجناب يحجب بالحجاب بل بمعنى ان اكثر الكائنات احتجبوا بوجود الخلق عن شهود صفات الحق وبشهودها عن الموجود المطلق ثم منهم من حجب عن الله تعالى بالشهوات الدنيوية والدرجات الاخروية او المقامات العلية ومنه قولهم العلم حجاب فى هذا الباب وكل ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن انفسهم وارادتهم وبقوا بربهم فان الفناء على ثلاثة اوجه فناء فى الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله تعالى وفناء فى الصفات ومنه لا حى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله تعالى وفناء فى الذات اى لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا فى هذا المبنى لتصحيح المعنى

﴿ فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء ﴾

(ويدل عليه) اى على ما ذكرنا من تعلق الحجاب بالكائنات دون الذات (قول كعب) اى كعب الاحبار (فى تفسير سدرة المنتهى) اى فى بيان سبب تسميتها بها (قال اليها ينتهى علم الملائكة) يعنى وسببه انهم عندها (يجدون امر الله تعالى) اى لا عند غيرها (لايجاوزها علمهم) اى فهم محجوبون عما وراءها (واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى الذى يلى عرش الرحمن اوامرا ما) كذا بالنصب فى النسخ والظاهر كونه مجرورا او مرفوعا ولعله اراد ان اى بمعنى يعنى او اعنى امرا من الامور اللائقة بمرام هذا المقام وذهب الدلجى الى ان التقدير يلى امرا ما (من عظيم آياته ومبادى حقائق معارفه) اى المتعلقة بذاته وصفاته (مما هو اعلم به) اى من اسرار مكنوناته (كما قال تعالى) اى فى استعمال حذف المضاف (واسئل القرية اى اهلها) يعنى انه من قبيل مجاز الحذف وهو اشهر مما قيل انه من باب ذكر المحل وارادة الحال والله تعالى اعلم بالحال (وقوله فقبل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر) كما تقدم (ظاهره انه سمع) بصيغة المجهول وقال الدلجى اى سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب) قلت فيأول الاشكال فى هذا الباب مع ما فيه من سماع كلامه من جهة محصورة يوهم الحجاب ولهذا دفعه بقوله (كما قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب) فان المراد بالوحى على طريق المكاسفة لان الوحى اعلام فى خفاء اما بالالهام وهو القذف فى القلب كما اوحى الى ام موسى عليه السلام اوفى المنام كما اوحى الى ابراهيم عليه السلام فى ذبح ولده وبقوله من وراء حجاب ان يكون البشر من وراء حجاب البشرية المانعة من شهود وجود الذات الصمدية بان يسمعه ولايراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع او يدل على تحديد المحجوب وانما هو بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم فى هذا الباب والله تعالى اعلم بالصواب ولذا قال المصنف (اى وهو) اى البشر (لايراه) اى الحق سبحانه وتعالى (حجب بصره) اى منعه (عن رؤيته) اى لا ذاته عن بصره (فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه) اى بعين البصر (فيحتمل انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رآه (فى غير هذا الموطن بعد هذا) اى هذا الوقت (اوقبله) اى من الزمان بمعنى انه (رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) وفى اصل الدلجى فرآه (والله اعلم) اقول ولامانع من انه رآه فى ذلك الحين بعينه اذ لايختص برفع الحجاب وكشف النقاب مكان دون مكان ولا زمان دون زمان لارادة العيان كما لايخفى على الاعيان ولابن عطاء حكم توجب فى الجملة كشف غطاء فاحببت ان اذكرها وهى قوله كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى اظهر كل شئ ام كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو اظهر من كل شئ بل وهو الظاهر قبل وجود كل شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ فالحق ليس بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شئ لستره ما يحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده انتهى واذ قال الله تعالى لايحيطون به علما كيف يحيطون به جرما وانى للعدم حتى يغلب القدم نعم ان لله سبحانه وتعالى سبعين الف حجاب من النور فى عالم الظهور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليها نور بصره وقد قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه اى باطل ومضمحل وفان فى نظر ارباب العرفان فى كل آن وزمان ولذا قال بعض ارباب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وقال بعض الشطار ليس فى الدار غيره ديار فهو من غاية ظهوره باطن ومن نهاية بطونه ظاهر وفى عين ابديته اول وفى عين ازليته آخر وغيره كالهباء فى الهواء والسراب فى نظر مشتاق الشراب والا فما للتراب ورب الارباب والله تعالى اعلم بالصواب

﴿ فصل ﴾

اى من متعلقات هذا الباب (ثم اختلف السلف) اى الصحابة والتابعون (والعلماء) اى الخلف المجتهدون (هل كان) اى وقع (الاسراء بروحه) اى فقط (اوجسده) اى مع روحه فى جميع اسرائه اوفى بعضه كما سيأتى فى كلامه بندرج فيه ايضا قول آخر لبعضهم انه اسرى به مرتين مرة مناما ومرة يقظة جمعا بين الروايتين وكذا قول التوقف بان يقال اسرى به ولا يقال يقظة ولا مناما وهو قول غريب حكاه امام الجوزية فى اوائل كتابه الهدى ولعل وجهه انه ورد فى بعض طرق الخبر انه كان بين النائم واليقظان فلم يعرف حقيقة امره ولذا عبر بعضهم عنه بالنوم وبعضهم باليقظة اعتبارا بالغالبة وكان المصنف لم يلتفت الى هذه المقالة فينتظم قوله (على ثلاث مقالات) اى لطوائف ثلاث كما فصلها بقوله (فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رويا منام) بدل مما قبله اوعطف تفسير له اذ هو فى هذا المقام انما يكون فى حال المنام (مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق) اى ثابت غير كذب (ووحى) اى يعمل به بخلاف رؤيا غيرهم ويدل عليه قوله تعالى حكاية يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك وحديث تنام اعينهم ولاتنام قلوبهم (والى هذا ذهب معاوية رضى الله تعالى عنه) اى من الصحابة كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه وهو ابن

ابی سفیان کلاهما من مسلمة الفتح وهو احد کتبة الوحی وقیل انما کتب له کتبه الی الاطراف وتولی الشام فی زمن عمر رضی الله تعالی عنه ولم یزل بها حاکما الی ان مات وذلک اربعون سنة روی عنه ابن عباس وابو سعید الخدری رضی الله تعالی عنهما وکان عنده ازار رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم ورداؤه وقمیصه وشیء من شعره واظفاره فقال کفنونی فی قمیصه وادرجونی وفی روایة وأزرونی بازاره واحشوا منخری وشدوا مواضع السجود منی بشعره واظفاره وخلوا بینی وبین ارحم الراحمین (وحکی) ای مثل ذلک (عن الحسن) ای البصری (والمشهور عنه خلافه) وهو انه کان فی الیقظة (والیه) ای والی هذا القول (اشار محمد بن اسحق) ای ابن یسار امام المغازی (وحجتهم) ای لقولهم انه رؤیا منام (قوله تعالی وما جعلنا الرؤیا التی اریناک) ای ظاهرة اذ فی آخر الایة دلالة علی انه کان بالیقظة حیث قال (الافتنة للناس) ای ابتلاء وامتحانا فی تصدیق القضیة اذ انکرته قریش وارتد کثیر من اهل التقلید وصدقه الصدیق واهل التوفیق والتأیید اذ من المعلوم انه لافتنة الا اذا کان فی حال الیقظة فالرؤیا بمعنی الرؤیة ولعل تسمیتها بها لانها من غرابتها فی معنی الرؤیا وقد سبق جواز تعدد ما فی تحقیق الرؤیا وتصدیقها وبه یجمع بین الروایات فانه رأی اولا رؤیا وثانیا رؤیة فقد قال السهیلی وذهب طائفة منهم شیخنا ابو بکر الی ان الاسراء کان مرتین احدهما فی نومه توطئة له وتیسیرا علیه کما کان بدء نبوته الرؤیا الصادقة لیسهل علیه امر النبوة فانه عظیم تضعف عنه القوی البشریة وکذا الاسراء سهل علیه بالرؤیا لان هوله عظیم ورأیت المهلب فی شرح البخاری قد حکی هذا القول عن طائفة من العلماء وانهم قالوا کان الاسراء مرتین مرة فی نومه ومرة فی یقظته ببدنه صلی الله تعالی علیه وسلم انتهی ولا یبعد ان یقال اسراؤه بالروح کان مرات باعتبار المکاشفات فی الیقظات والمنامات واما اسراؤه بالجسد ففی مرة واحدة تحقیقا لتلک المقامات والحالات مع الزیادة الحاصلة بالکلام والرؤیة وسائر الدرجات هذا مع ان آیة وما جعلنا الرؤیا قد قیل المراد بها ما رآه عام الحدیبیة انه واصحابه دخلوا مکة بدلیل قوله تعالی لقد صدق الله رسوله الرؤیا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الایة فلما صدوا فیه عنه فتنوا فقیل لم یقل فی هذا العام فدخلها بعد اوما رآه فی وقعة بدر بدلیل قوله تعالی اذ یریکهم الله فی منامک قلیلا ووقع فی اصل الدلجی وقیل رآها عام الحدیبیة وهو یوهم انه من اصل الکتاب وهو لیس فی الاصول الصحیحة علی الصواب (وما حکوا) ای وحجتهم ایضا ما حکوه من روایة ابن اسحق وابن جریر (عن عائشة رضی الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم) ویبطله انه لم یدخل بها الا بعد الهجرة والاسراء انما کان بمکة بعد البعثة کما قال ابن اسحق بعد ان فشا الاسلام بمکة والاشبه انه کان بعدها بخمس سنین کما نقله النووی عن المصنف وروی عنها ما فقد جسد رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم بصیغة المفعول وهو اظهر فی الاحتجاج المنقول (وقوله) ای وحجتهم ایضا قوله (بینا انا نائم) ای فی الحطیم وربما قال فی الحجر (وقول انس رضی الله تعالی عنه) ای وحجتهم ایضا قوله فی حدیثه (وهو نائم فی المسجد الحرام وذکر القصة) ای قصة الاسراء وفیه ان کونه نائما فی اول الوهلة لاینافی وقوع القصة فی الیقظة آخر الدفعة (ثم قال) ای انس رضی الله تعالی عنه (فی آخرها) ای القصة (فاستیقظت وانا بالمسجد الحرام) وفیه ان المراد بالاستیقاظ هو الاستحضار والاستشعار عما کان له من الاستغراق فی مقام الابرار مع احتمال ان نومه فی حال رجوعه واستیقاظه وقت وقوعه (وذهب معظم السلف والمسلمین) ای من الخلق (الی انه اسراء بالجسد) ای مع الروح لا بالروح دون الجسد (وفی الیقظة) بفتح القاف ولا یجوز تسکینها وهی ضد المنام (وهذا هو الحق) ای الثابت عند اهله (وهو قول ابن عباس وجابر) ای ابن عبد الله (وانس رضی الله تعالی عنه) ای ابن مالک (وحذیفة) ای ابن الیمانی (وعمر رضی الله تعالی عنه) ای ابن الخطاب وکان حقه ان یقدم علی ما سبق من الاصحاب (وابی هریرة ومالک بن صعصعة رضی الله تعالی عنهما) مدنی سکن البصرة وروی عنه انس وغیره (وابی حبة) بفتح حاء مهملة وتشدید موحدة قبل بالنون وقیل بالتحتیة (البدری) قیل هو الانصاری وقیل هو غیره (وابن مسعود) رضی الله عنه وکان حقه ان یذکر بعد عمر لانه افضل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة وبه تم ذکر الصحابة رضی الله تعالی عنهم (والضحاک) ای ابن مزاحم الهلالی البلخی المفسر تابعی جلیل یروی عن ابی هریرة وانس وابن عباس وابن عمر رضی الله تعالی عنهم وثقه احمد وابن معین وذکره الشیرازی فی فقهاء خراسان من اصحاب عطاء الخراسانی وغیره (وسعید بن جبیر) یروی عن ابن عباس رضی الله تعالی عنهما وغیره قتل فی شعبان شهیدا اخرج له الائمة الستة (وقتادة) ای ابن دعامة (وابن المسیب) بفتح التحتیة المشددة وتکسر (وابن شهاب) ای الزهری (وابن زید) ای ابن اسلم وهو متکلم فیه (والحسن) ای البصری (وابراهیم) ای النخعی (ومسروق) ای ابن الاجدع الهمدانی یروی عن ابی بکر ومعاذ رضی الله تعالی عنهما وکان اعلم بالفتیا من شریح اخرج له الائمة الستة وهو من الزهاد الثمانیة یقال انه سرق صغیرا ثم وجد فسمی مسروقا وقد کانت عائشة تبنته

فسمي ابن عائشة وكني بها روى عنه الشعبي والنخعي وغيرهما (ومجاهد) اى ابن جبير (وعكرمة) اى المفسر مولى ابن عباس لكنه اباضي وسيأتي في كلام المصنف بيانه (وابن جريج) بالجيمين مصغرا فهؤلاء كلهم من اجلاء التابعين رحمهم الله تعالى (وهو دليل قول عائشة) اى مذهبها المختار لها وهو لا ينافى ما سبق مما نسب اليها وحكى عنها وهذا الاستعمال شائع فيما بين العلماء والفقهاء حيث يقال هذا قول ابي حنيفة ومالك رحمهما الله ويحكى عنهما خلاف ذلك وبهذا بطل اعتراض الدلجي على المصنف بقوله كيف يكون الاسراء يقظة دليل قولها مافقدت جسده المحتج به آنفا انه كان مناما وقد سمعت ابطاله وتعجب من حكاية المصنف له فى المذهبين مع امتناع كونه حجة للاول وكون الثانى دليلا له فانه سهو لاريب من ذى فهم ثاقب انتهى ومما يدل على ما قدمنا عنها انها نفت الرؤية البصرية وقالت بالرؤيا البصيرية ومثل هذه المسئلة الخلافية لا تتصور الا اذا كانت القضية فى اليقظة بخلاف الحالة المنامية (وهو قول الطبرى) اى محمد بن جرير (وابن حنبل) اى الامام احمد صاحب المذهب (وجماعة عظيمة) اى رتبة وكثرة (من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة) اى من الجامعين بين الروايات المختلفة (كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس) يروى يقظة فى المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والى السماء بالروح) اى مناما وهذا يشبه قول المعتزلة (واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) ووجه الاحتجاج مابينه المصنف بقوله (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجب فيه بعظيم القدرة) اى المؤثرة وفق الارادة حيث كان فى سيره ساعة طي مسافة كثيرة والتعجب من لوازم المعجزة وان صدر من اعدائه على طريق الاستحالة (والتمدح) اى ووقع التمدح (بتشريف النبي محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (به) اى بالاسراء نفسه (واظهار الكرامة له) اى و وقع اظهار الكرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) اى الى المسجد الاقصى بخصوصه (قال هؤلاء) اى الذاهبون الى المذهب الثالث فى الاسراء (ولو كان الاسراء بجسده زائدا على المسجد الاقصى لذكره) اى سبحانه فى كتابه (فيكون) اى ذكره فيه (ابلغ فى المدح) اى فى مقام مدحه من عدم ذكره ولعل الحكمة فى ذلك ان يكون الايمان فى هذه القصة ثابتا بمجموع الكتاب والسنة (ثم اختلفت هذه الفرقتان) اى الثانية والثالثة فى انه صلى الله عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس اولا) فقيل نعم (ففى حديث انس وغيره رضى الله عنهم ماتقدم من صلاته فيه) اى بالانبياء وسبق انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى مع الملائكة ولا مانع من الجمع (وانكر ذلك) اى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى فيه (حذيفة بن اليمانى وقال) اى حذيفة كما رواه احمد عنه (والله مازالا) اى النبي وجبريل عليهما السلام (عن ظهر البراق حتى رجعا) وهو بعيد جدا لما سبق صريحا فيما ورد صحيحا من ربط البراق بباب المسجد وصلاته فيه على ماهو اللائق بادب المسجد من التحية التى هي السنة فيه ثم من القواعد المقررة ان المثبت مقدم على النافى ومن حفظ حجة على من لم يحفظ (قال القاضى رحمة الله تعالى عليه والحق من هذا) اى ماذكر (والصحيح ان شاء الله تعالى) استثناء للتبرك بمنزلة والله تعالى اعلم (انه اسراء بالجسد والروح فى القصة كلها وعليه) اى وعلى هذا (تدل الاية وصحيح الاخبار) اى مجموعهما على جميعها غايته ان دلالة الاية على الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نص قاطع يكون جاحده كافرا اومنا فقا ودلالة الاحاديث على اسرائه الى السماء وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين اوادنى ظنية منكره يكون مبتدعا فاسقا (والاعتبار) بالرفع معطوف على ماقبله على ما اقتصر عليه الحلبي ولا يبعد ان يكون مجرورا بالعطف على الاخبار والمراد به المقايسة يعنى اذا ثبت اسراؤه من الحرم الى الحرم معجزة بدلالة الآية فيجوز اسراؤه الى السماء بالمقايسة المقرونة بالاحاديث الثابتة اذ لا فرق بينهما فى تعلق الارادة والقدرة (ولا يعدل عن الظاهر) بصيغة المجهول اى ولا يصرف عن ظاهر دلالة الآية والاخبار الواردة (والحقيقة) اى ولا عن ارادة الحقيقة اللغوية المنضمة مع الارادة العرفية (الى التأويل) اى فيهما او فى احدهما (الا عند الاستحالة) اى العقلية والشرعية (وليس فى الاسراء بجسده) اى الشامل لبدنه وروحه (وحال يقظته استحالة) اى لا شرعا ولا عقلا حتى يحتاج الى تأويل فى مآله بل يتعين ان يكون بكمال جماله ويقظة حاله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) اى لانه بحسب اطلاقه محمول على كمال افراده من عباده (وقوله) اى ويدل على كونه يقظة لامناما قوله (مازاغ البصر وماطغى) اذ ليس للروح بصر بل بصيرة وايضا لا يمدح عدم زيغ بصر النائم اذ لا حقيقة لحاله فلا يعد عدم الطغيان من كماله ومعنى الآية مامال بصره يمينا ولا شمالا فى مقام ادبه مع ربه وماجاوز ما امر به (ولو كان) اى الاسراء (مناما لما كان فيه اية) وقد قال الله تعالى لقد رأى من ايات ربه الكبرى (ولا معجزة) اى امر خارق للعادة وان كان رؤيا الانبياء حقا واخبارهم عنها صدقا (ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه) اى فى اخباره (ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به) اى ولا وقعوا به فى الفتنة فى انباء اسرائه (اذ مثل هذا) اى الحال (من المنامات

لاينكر) اى لايعد من المحال لان احد الناس يرى فى نومه انه يسير فى المشرق مرة وفي الغرب اخرى وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل حاله الاولى (بل لم يكن ذلك) اى الانكار والاستبعاد وعده من الاستحالة ووقوع الارتداد (منهم الاوقد علموا ان خبره) اى عن اسرائه (انما كان عن جسمه) اى معروحه (وحال يقظته) اى اخذا من خبره منضما (الى ماذكر) اى النبي عليه الصلاة والسلام وقال الحلبي انه بصيغة المجهول (فى الحديث) اى الحديث المشهور فى الاسراء (من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس) اى قبل اسرائه الى السماء (وفى رواية انس اوفى السماء على ماروى غيره) اى غيرانس كما تقدم ولا منافاة بينهما اذ لايخفى وجه جمعهما (وذكر مجيء جبريل عليه السلام له) عطف على قوله ذكر صلاته المجرور بمن البيانية اى ومن ذكر مجيء جبريل له عليه السلام (بالبراق وخبر المعراج) اى ومن ذكر خبر حال عروجه الى السماء بالاسراء والمراد بالمعراج آلة العروج كالسلم للصعود (واستفتاح السماء فيقال ومن معك) اى بعد مايقال من انت فيقول جبريل فيقال ومن معك (فيقول محمد) اى وامثال هذا من الدلالات فى الروايات (ولقائه) اى ومن ملاقاته عليه الصلاة والسلام (الانبياء فيها) اى فى السماء باصنافها (وخبرهم معه) اى خبر الانبياء معه بتفصيل مقاماتهم وتبيين حالاتهم (وترحيبهم به) اى وتحيتهم له كما فى نسخة واصل الترحيب قول مرحبا (وشانه) اى وقصته (فى فرض الصلاة) اى خمسين اولا (ومراجعته) اى ومكالمته (مع موسى فى ذلك) اى فى تخفيفها اومراجعته الى الله تعالى مع مساعدة موسى عليهما الصلاة والسلام فى ذلك (وفى بعض هذه الاخبار) اى ادلة صريحة على هذا المدعى وروايات صحيحة المبنى من طريق الشيخين عن انس رضي الله تعالى عنه (فاخذ يعني جبريل بيدى) تفسير من بعض الرواة (فعرج بى الى السماء) اى فلما جئت السماء الدنيا قال جبريل لخازنها افتح فلما فتح علونا السماء الدنيا اذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة الحديث بطوله (الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام) اى صريرها كما فى رواية وقد فرض الله هنالك عليه خمسين صلاة فرجع فمر بموسى فلم يزل بينه وبينه حتى قيل له هى خمس وهن خمسون (وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة) اى جنة المأوى (ورأى فيها ماذكره) اى من جنابذ اللؤلؤ وان ترابها المسك قاله الدلجى وظاهر هذا كله شاهد صدق بانهما نزلا عن البراق وان انكره حذيفة انتهى ولايخفى ان الظاهر عدم النزول عن البراق الا ان يدل دليل صحيح وصارف صريح فيما هنالك لذلك (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه البخارى (هى رؤيا عين رآها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى حال اليقظة (لارؤيا منام) اى وان كان رؤيا الانبياء حقا فى ثبوت المرام وقد قيل بتعدد المعراج الى سبع مرات فيمكن الجمع بذلك بين الروايات (وعن الحسن) اى البصرى (فيه) اى فى حديث معراجه كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه مرسلا (بينا انا نائم فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وقال النووى انه رأى لبعض المصنفين على المذهب انه يقال ايضا بفتح الحاء كحجر الانسان فقيل كله من البيت وقيل ستة اذرع وقيل سبعة هذا وقد سبق انه رأى بين النائم واليقظان ولايبعد ان يراد بالنائم المضطجع فانه على هيئة النائم وقد يعبر به عنه على انه لاتنافى بين كونه نائما فى اول القضية ومستيقظا فى آخر القصة مع انه روى بينا انا جالس فى الحجر (جاءنى جبريل فهمزنى) اى غمزنى (بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعى ذكر) اى الحسن اوالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ثلاثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى) بصيغة الافراد وفيه اربع لغات فتح العين مع ضم الضاد وكسرها وسكونها وضم العين مع السكون اى امسك ما فوق مرفقى (فجرنى الى باب المسجد) قال الدلجى الله اعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن ان يفعل به ذلك انتهى ولايخفى انه اذا ثبت من طريق امامين جليلين هذا المبنى ينبغى ان يحمل على محمل لطيف فى المعنى وهو مناسبة الرجل للرجل فى قوله فهمزنى بعقبه وقد نبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعض اصحابه من المنام بهذه الكيفية فهذا ليس من باب قلة الادب بل من طريق عدم التكلف الدال على كمال الخصوصية وقد قيل ان الهمز تنبيه الرجل بحركة لطيفة واما الاخذ بالعضد فلاخفاء فى المناسبة المساعدة للتقوية العضدية واما قوله فجرنى فكناية عن كمال الجذبة الملكية المتسببة عن الجذبة الالهية على ما تقتضيه القضية الاسرائية الى المراتب الاصطفائية وقد روى فجبذنى وهو مقلوب جذبنى (فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ) بكسر النون فهمز وهى بنت ابى طالب اخت على رضى الله تعالى عنهما اسلمت يوم الفتح وقد خطبها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت انى امرأة مصبية واعتذرت اليه فعذرها روى عنها على وابن عباس وعكرمة وعروة وعطاء وخلق كما روى ابن اسحق والطبرانى وابن جرير عنها انها قالت (ماأسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاوهو فى بيتى تلك الليلة) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان الحرام كله مسجد اى لاحاطته بالمسجد والتباسه به فلا ينافى قوله تعالى من المسجد الحرام (صلى العشاء الآخرة) اى بان خرج منه ودخل

الحجر فصلي فيه (ونام بيننــا) اى فيما بينناـابان رجع ونام مع اهل بيت ام هانئ وهو كناية عن انه كان بعد صلاة العشاء الآخرة عندهم فى مكة فبيننا بمعنى عندنا وقد تصحف على الدلجي بقوله سيئا اى نام شيئا من الليلة اوبعضا من النوم (فلما كان قبيل الفجر اهبنا) بتشديد الموحدة اى ايقظنا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وظاهر هذا الحديث ان الاسراء انما كان فى الثلث الاخير من الليل وهو وقت السحر وزمان التهجد للعبادة على انه لايلزم من ايقاظه لهم حينئذ ان يكون عقب نزوله اذ يمكن انه كان فى المسجد مشتغلا بالطواف والعبادة فلما قارب الصبح رجع اليهم وايقظهم (فلما صلى الصبح) اى نفلا اوكانت صلاتان فريضة قبل الاسراء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها والاظهر انه صلى الصبح المفروض فى ليلة الاسراء من جملة الخمس (وصلينا) اى معه او بدونه (قال ياام هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة) فيه نوع تغليب ان صلت معه صلى الله تعالى تعالى عليه وسلم حقيقة اومعنى (كما رأيت بهذا الوادى) اى وادى مكة لاحاطة الجبال بها (ثم جئت بيت المقدس) اى ذهبت اليه (فصليت فيه) اى صلاة التهجد مع الانبياء والملائكة (ثم صليت الغدوة) اى صلاة الغدوة وهى الصبح (معكم الآن كما ترون) اى كما رأيتم فالعدول عن الماضي الى المضارع لاستحضار الحال الماضية (وهذا بين) بتشديد التحتية المكسورة اى وهذا الحديث برهان ظاهر (فى انه) اى الاسراء (بجسمه) اى لابروحه فقط ولاينا فى قولها وصلينا انها اسلمت عام الفتح وهو بعد الاسراء بكثير لان المراد بضمير الجمع جماعة قد اسلموا قبل ذلك وصلوا هنالك واما قول الدلجي انه لبس من قولها بل ادرجه الراوى فى كلامها فمحمل بعيد وتأويل غير سديد وكذا تأويل التلمسني ان معنى صلينا هيأنا له مايحتاج اليه فى الصلاة ثم هذا كله مبنى على ان المعراج من بيت المقدس وانه مع الاسراء فى ليله واحدة واما على انه من مكة وانه لبس مع الاسراء فى ليلة واحدة فقولها صلى الصبح على حقيقته من غير تأويل لان الصلوات الخمس كانت ليلة المعراج وهو على هذا القول كان فى رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا والاسراء كان فى ربيع الاول قبل الهجرة بسنة (وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه من رواية شداد بن اوس عنه) اى كما رواه البيهقى وابن مردويه (انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك يارسول الله البارحة فى مكانك) اى فى محلك المعتاد اول الليلة اوآخرها (فلم اجدك فاجابه ان جبريل عليه السلام) اى بانه (حمله) وهو الظاهر المتبادر فلا يحتاج الى تكلف الدلجي من غير نص على كسر ان حيث قال التقدير فاجابه بقوله له ان جبريل حملنى اى على البراق (الى المسجد الاقصى) ثم هذا الحديث ايضا دليل ساطع على ان الاسراء كان يقظة (وعن عمر رضى الله تعالى عنه) اى كما رواه ابن مردويه من طريق عنه (قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد) اى المسجد الاقصى (ثم دخلت الصخرة) اى تحتها اومكانها (فاذا بملك) وفى نسخة فاذا ملك (قائم) بالجر والرفع بناء على النسختين (معه آنية ثلاث) اى من اللبن والخمر والعسل (الحديث) اى كما سبق (وهذه التصريحات) اى فى الروايات الصحيحات (ظاهرة فى ان القصة كانت يقظة غير مستحيلة) اى شرعا وعقلا وثبت نقلا (فتحمل على ظاهرها) اى ولايجوز العدول عنه (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين مرفوعا (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرج) بصيغة المفعول مخففا وجوز مشددا اى كشف وازيل (سقف بيتى) اضيف اليه تارة لانه كان ساكنا فيه واليها اخرى من حيث انه كان ملكها (وانا بمكة) جملة حالية (فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدرى) اى فعل بى مايوجب شرح صدرى وتصحف على الدلجي بقوله ففرج بالفاء والجيم وفسره بقوله سقه (ثم غسله بماء زمزم) لانه افضل مياه العالم وقد ابعد الدلجي حيث علله بقوله لانه قد الفه صغرا وكبرا (الى آخر القصة) اى كما سبقت (ثم اخذ بيدى فعرج بى وعن انس رضى الله تعالى عنه انيت) بصيغة المفعول اى اتانى آت وهو جبريل عليه السلام كما صرح به فى رواية (فانطلق) بصيغة المجهول اى فذهب (بى) وفى نسخة فانطلقوا بى (الى زمزم فشرح عن صدرى) الجار نائب الفاعل (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه مسلم (لقد رأيتنى) بضم تاء المتكلم (فى الحجر وقريش تسئلنى عن مسراى) بفتح ميم وسكون سين اى عن علامات سيرى اومكانه (فسألتنى عن اشياء) اى من بيت المقدس وطريقه (لم اثبتها) من باب الافعال اى لم احفظها ولم اضبطها وعدم اثباته تلك الاشياء لكمال ثباته فى مقام الاسراء باستغاله بالملائكة والانبياء وعجايب ملكوت الارض والسماء وابعد من توهم ان قوله لم اثبتها قرينة على ان القضية كانت مناما لان النائم اقل ضبطها من المستيقظ حيث لم يعرف انه لافرق بين ضبطه مناما ويقظة اذ الانبياء لاتنام قلوبهم ورؤياهم وحى واما الاحاطة بجميع علامات الطرق والمسجد الاقصى فلبس شرطا فى حصول العلم به اذ يكفيه اخباره ببعض العلامات مما يوجب كونه من الآيات وخوارق العادات (فكربت كربا) بفتح فسكون اى غما يأخذ النفس والفعل مبنى للمجهول كقوله (ماكربت مثله قط فرفعه الله تعالى

لى انظر اليه) فاسألونى عن شئ الاانبأتهم (ونحوه عن جابر) اى روى عن جابر نحو ماروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مع اختلاف فى المبنى دون المعنى (وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث الاسراء عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ثم رجعت الى خديجة) اى بسرعة (وماتحولت عن جانبها) اى الى جانب آخر منها وفيه اشعار بتقليل زمن الاسراء مع انه كان الى السموات العلى وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين او ادنى ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم اول مارجع دخل على خديجة ثم ذهب الى ام هانئ فى بيتها

﴿ فصل ﴾

(فى ابطال حجج من قال انها نوم) ويروى انها رؤيا نوم ثم الحجج بضم حاء وفتح جيم جمع حجة وهو بمعنى دليل وبينة وانث ضمير انها مع انه راجع الى الاسراء باعتبار القول بانه كان رؤيا منام (احتجوا بتشديد الجيم اى استدلوا (بقوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى اريناك فسماها رؤيا) بالتنوين يعنى والرؤيا مختصة بالنوم كما ان الرؤية باليقظة (قلنا قوله سبحان الذى اسرى بعبده يرده) اى يدفع الاحتجاج به (لانه لايقال فى النوم اسرى) لان الاسراء هو السير فى الليل وهو لايكون حقيقة الا فى اليقظة واعتبار الحقيقة اولى من المجاز مالم يصرف عنها صارف نعم الرؤيا ايضا فى النوم حقيقة وفى اليقظة مجاز لكن لنا اجوبة صارفة لها عن المعنى الحقيقى الى القصد المجازى كما بينه المصنف بقوله (وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء شخص) اى بجسده (اذليس فى الحلم) بضمتين وتسكن اللام بمعنى الاحتلام ورؤية المنام (فتنة) اى امتحان وخبرة (ولايكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون) اى حدوث شئ لم يكن والالف واللام بدل من المضاف اليه اى من كونه (فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة) اى فى اطراف مختلفة وجوانب مفترقة ونواحى متباعدة (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الاية) اى فى تفسيرها وفى المراد بمورد الرؤيا وتعبيرها (فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية) وهى بتخفيف التحتية قبل هاء التأنيث مصغرا ذكره الشافعى واهل اللغة وبعض المحدثين وكثير من المحدثين على تشديدها وهى قرية صغيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة على نحو مرحلة من مكة قريبة من حدة فى طريق جدة وتسمى الآن تلك البئر بئر شميس والاصح ان الشجرة التى وقع تحتها بيعة الرضوان غير معروفة الآن وهى كانت عند آخر الحل واول الحرم على ماقيل وقال مالك الحديبية من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحرم كذا قال الواقدى وهو الصحيح عندنا هذا والقضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا قال الانطاكى ومما يؤيد ان بعضها من الحرم ماروى ان مضارب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى معسكره وموضع خيامه عام الحديبية كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم والله تعالى اعلم وفى نسخة فى قصة الحديبية بكسر قاف وتشديد صاد مهملة وهى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى المنام انه دخل المسجد الحرام فصده المشركون فى ذلك العام (وماوقع) اى ونزلت فيما وقع (فى نفوس الناس) اى جماعة منهم (من ذلك) اى من جهة صدهم وعدم دخولهم حتى امتنع بعضهم من تحللهم فقيل انه لم يقل فى هذا العام فدخل من قابل المسجد الحرام واعترض بان الاية مكية واجيب بانه رآها بمكة واخبر بها يومئذ (وقيل غير هذا) اى غير ماتقدم فقيل رآها يوم بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا تثبيتا لاصحابك وتشجيعا لهم على عدوهم ولقوله حين ورد ماء بدر كأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فبلغ ذلك قريشا فسخروا منه (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث) اى المتقدم (مناما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان) بفتحتين (وقوله ايضا) اى فى الحديث (وهو نائم وقوله ثم استيقظت) اى كما فى حديث آخر (فلاحجة فيه) اى فى كل واحد منها لعدم تصريح فى الدلالة بها (اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم) اى كما يدل عليه حديث الحسن البصرى بينا انا نائم فى الحجر جاءنى جبريل عليه السلام فهمزنى بعقبه فجلست الحديث (واول حمله) اى ويحتمل ان اول اخذه (والاسراء به وهو نائم) اى فى حال نومه لحديث وهو نائم بالمسجد الحرام ولايلزم منه استمرار المنام (وليس فى الحديث) اى فى حديث مالا صحيح ولاضعيف (انه كان نائما فى القضية كلها) اى فى قضية الاسراء جميعها من اولها الى آخرها (الا ما يدل عليه) اى فى الجملة قوله (ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) لكن يحتمل احتمالات تمنع صحة الاستدلال بها على تصحيح المنام وتصريح المرام (فلعل قوله ثم استيقظت بمعنى اصبحت) اذ الاستيقاظ غالبا يكون حالة الاصباح فعبر به عنه مجازا وهذا لايخفى بعده (واستيقظ) وفى نسخة صحيحة او استيقظ (من نوم آخر) اى حدث حال نزوله (بعد وصوله بيته ويدل عليه) اى على كونه نوما آخر (ان مسراه لم يكن طول ليله) اى فى جميعه (وانما كان فى بعضه) اى ذهابا وايابا كما اشير اليه تنكير ليلا (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره) بالغين المعجمة ثم الراء اى لاجل ماعسيه وعلا قلبه

وغطاه (من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض) قال المحققون ان الملك ظاهر العالم والملكوت باطنه وقيل الملكوت الملك العظيم (وخامر) بالخاء المعجمة اى خالط ومازج (باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى) اى من ملائكة السماء واصل الملأ الجماعة من الاشراف والوجوه مما يملأ العيون كثرة وعزة واراد بالملأ الاعلى الملائكة المقربين وصفوا بذلك لعلو مكانهم اى لعلو منزلتهم وسائهم عند ربهم (وما رأى من آيات ربه الكبرى) اى وما حصل له من شهود الكثرة فى الوحدة ووجود الوحدة فى الكثرة ونور الوحدة بلا ظهور الكثرة والاستغراق فى بحور الشهود ولجة الوجود والذهول عن غير المعبود والمقصود (فلم يستفق) اى لم ينتبه (ويرجع) اى ولم يعد من مشاهدة التجليات الالهية (الى حال البشرية) اى من اقتضاء صفات العنصرية (الا وهو بالمسجد الحرام) هذا وقول الدلجى خامر اى ستر لبس فى محله وما ذكر فيه من الشاهد ايضا غير ملايم وهو قوله كتب ابو الدرداء الى سلمان يدعوه الى الارض المقدسة فكتب يا اخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفه خمر الارض يقع اى على اخصب ساتر فيها اراد ان وطنه ارفق له وارفق به فلا يفارقه (ووجه ثالث) اى فى الجمع بين الروايات المتفرقة والرد على من زعم ان الاسراء انما كان بروحه فقط (ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى الظاهر) اى المفاد منه بطرف فى حديث انس رضى الله تعالى عنه وهو قوله وانا نائم فى المسجد الحرام وقوله فاستيقظت وانا فى المسجد الحرام (ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق) اى ولو فى المنام (تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) اى كما ثبت فى الحديث ولعل الحكمة فى حمل جسده مع ان العمل حينئذ كله لروحه ان يشاهد الملائكة ذاته ويفاض عليهم من بركاته ويصير مرآة للتجلى الالهى فى تنزلاته وانعكاس ظهور كمال صفاته (وقد مال بعض اصحاب الاسارات) وفى نسخة اهل الاشارات (الى نحو من هذا) اى مما ذكرناه من كونه نائم العين حاضر القلب لشهود ملكوت الرب (قال) اى بعض اصحاب الاسارات (تغميض عينيه) اى سدهما نوما اوقصدا (لئلا يشغله) بفتح اوله وثالثه وجوز ضم اوله وكسر ثالثه (شئ من المحسوسات عن الله عزوجل) وفيه ان من وصل الى حالة الجمعية وزال عنه مرتبة التفرقة لا يحجبه شهود الكثرة عن وجود الوحدة وبالعكس وفيه ايضا ان المقام مقام مشاهدة عجائب الملكوت لقوله تعالى لنريه من آياتنا اذ المتبادر منه رؤية العين والمحسوسات من الحواس وهى خمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس وهى هيئة حالة فى جميع الجسد (ولا يصح هذا) اى تغميض العين (ان يكون فى وقت صلاته بالانبياء) لانه فى حال الصلاة مكروه عند عامة الفقهاء (ولعله كان له فى هذا الاسراء حالات) اى مراتب ومقامات فكان فى اوله نائما ووقت صلاته بهم قائما وفى شهود الآيات مطالعا وفى حال التجلى مستغرقا وفى حال الرجوع متحيرا والحاصل انه كان بين سكر وسكر وقبض وبسط وصحو ومحو وفناء وبقاء (ووجه رابع) اى شاهد بانه كان يقظة ويأول ما يكون فيه مخالفة (وهو ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع) ووقع للدلجى هنا زيادات وكذا فيما قبله مكررات ليست فى الاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة (ويقويه) اى ويؤيد التعبير بالنوم عن الاضطجاع (قوله) اى فى الحديث (فى رواية عبد بن) بالوصف لا بالاضافة (حميد) بالتصغير وهو حافظ كبير شهير واسمه عبد الحميد وعبد لقب له (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم امام حافظ يروى عن الحسن وعطاء وخلق وعنه ابن مهدى وغيره قال احمد ثبت عند كل المشايخ اخرج له اصحاب الكتب الستة (بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة بعدها موحدة وهو ابن خالد القيسى الجهنى ابو خالد البصرى الحافظ المسند ويقال له هداب عن همام بن يحيى وحماد بن سلمة وجرير بن حازم وعنه البخارى ومسلم وابو داود والبغوى وابو يعلى قال ابن عدى لا اعرف له حديثا منكرا قال الحلبى وفى نسخة معاوية بدل هدبة وهو غير صحيح (عنه) اى عن همام (بينا انا نائم فى الحطيم) قال الدلجى اى بين الركن والباب وفيه ان هذا حد الملتزم نعم قد يطلق ويراد به مابين الركن الاعظم والمقام وزمزم لكن الاظهر انه يراد به الحجر لقوله (وربما قال فى الحجر مضطجع) وسمى حطيما لما حطم من جداره فلم يسو ببناء البيت على ما ذكره البغوى وسمى حجرا لانه حجر عن البيت اى من ادخاله فيه فهما واحد وهو المستدير بالبيت جانب الشمال وعن مالك الحطيم مابين المقام الى الباب وعن ابن جريج مابين الركن والمقام والله اعلم بالمرام (وقوله) اى وكذا يقويه قوله (فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون) اى النبى عليه السلام (سمى هيئته) اى الاضطجاع (بالنوم لما كانت) اى تلك الهيئة (هيئة النائم غالبا) وقيده به اذ قد ينام وهو قاعد اومستلق ونحو ذلك (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم) اى من ذكره (وذكر شق البطن ودنو الرب) اى قربه المنزه عن المكان (الواقعة) بالنصب صفة الزيادات او بدل منه اى التى وقعت (وهذا الحديث) اى من احاديث الاسراء (انما هى من رواية شريك) وهو ابن عبد الله بن ابى نمر (عن انس رضى الله تعالى عنه فهى) اى

فهذه الزيادات المذكورة (منكرة) بفتح الكاف (من روايته) اى شاذة مخالفة لروايات سائر الثقات (اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان فى صغره عليه الصلاة والسلام) اى مرة عند مرضعته (وقبل النبوة) تأكيد لماقبله فان اول بعثة النبوة كان بعد اربعين سنة نعم ثبت شق صدره ايضا بجبل حراء عند نزول صدر سورة اقرأ ولايبعد ان يشق صدره عند الاسراء ايضا كما صرح به السهيلى ان الشق وقع مرتين مرة فى صغره ومرة فى كبره عند رقيه الى العالم العلوى وكان الاول لازالة حظ الشيطان والاخر لملئ الحكمة والايمان لكن شريك متفرد بذلك فى هذا الحديث وان وافقه السهيلى فيما هنالك هذا وقد روى الطيالسى والحارث فى مسند يهما من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها ان الشق وقع مرة اخرى عند مجيئ جبريل عليه السلام بالوحى فى غار حراء ومناسبته ظاهرة جدا وروى الشق وهو ابن عشر اونحوها فى قصة له مع عبد المطلب اخرجه ابونعيم فى الدلائل قال العسقلانى وروى مرة خامسة ولا يثبت لكن تعقبه بعض المتأخرين وقال رواه ابونعيم من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن آمنة قلت واذاضم الى ذلك قصة شق الصدر فى المنام فتكون سادسة (ولانه) اى شريكا (قال فى الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث) ويروى البعث (فهذا) اى ماذكر كله (يوهن) من الايهان اوالتوهين اى يضعف (ماوقع فى رواية انس رضى الله تعالى عنه) اى من طريق شريك لكن قال العسقلانى فى باب المعراج من كتاب المبعث استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الاسراء وقال انما وقع وهو صغير فى بنى سعد ولاانكار فى ذلك فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابونعيم فى الدلائل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا فى زمن الطفولية فنشأ على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند المبعث زيادة فى اكرامه ليبلغ ماأوحى اليه بقلب قوى فى اكمل الاحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة ويحتمل ان تكون الحكمة فى هذا الغسل المبالغة فى الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما فى شرعه انتهى وقال ايضا فى كتاب التوحيد قد تقدم الرد على من انكر شق الصدر عند الاسراء وبينت انه ثبت فى غير رواية شريك فى الصحيحين من حديث ابى ذر وان شق الصدر ايضا وقع عند البعثة كما اخرجه ابوداود والطيالسى فى مسنده وابونعيم والبيهقى فى دلائل النبوة انتهى وقال العراقى قد انكر وقوع الشق ليلة الاسراء ابن حزم وعياض وادعى انه تخليط من شريك وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق شريك فى الصحيحين وقال القرطبى لايلتفت لانكاره لانه رواية ثقات مشاهير هذا ووقع شق الصدر الكريم ايضا فى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه حين كان ابن عشر سنين وهى عند عبد الله بن احمد فى زوائد المسند ذكره العسقلانى وقال صاحب الآيات البينات فى حديث شق الصدر وهو ابن عشر سنين رواه ابن حبان والحاكم والضياء فى المختارة وصححوه (مع ان انسا قد بين من غير طريق) اى من طرق كثيرة (انه) اى انسا (انما رواه) اى الحديث (عن غيره) كمالك بن صعصعة وابى ذر مرفوعا (وانه لم يسمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من غير واسطة (فقال) اى انس (مرة) اى فى رواياته (عن مالك بن صعصعة) وهذا لايضر لان مراسيل الصحابة بالاتفاق مقبولة محجوج بها (وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) اى من الراوى عن انس (وقال مرة كان ابوذر يحدث) ولا منع من الجمع بان انسا سمع الحديث منهما جميعا فتارة اضاف الى واحد واخرى الى آخر فتدبر ثم رأيت الحلبى ذكر انه قال الحاكم فى الاكليل حديث المعراج صح سنده بلاخلاف بين الائمة نقله العدل عن العدل ومدار الروايات فيه على انس رضى الله تعالى عنه وقد سمع بعضه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضه من ابى ذر وبعضه عن مالك يعنى ابن صعصعة قال وبعضه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (واماقول عائشة) اى كما رواه ابن اسحق وابن جرير (مافقد جسده) بصيغة المجهول وفى اصل الدلجى وهو رواية مافقدت بصيغة المتكلم (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ) اى حين اذ وقع الاسراء (زوجه) بالاضافة وفى نسخة زوجة اى له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولافى سن من يضبط) بضم الموحدة وكسرها اى بل ولاكانت حينئذ فى سن من يحفظ الامور (ولعلها لم تكن ولدت بعد) بضم الدال اى تلك الساعة (على الخلاف فى الاسراء) اى بناء على الاختلاف الواقع للعلماء فى زمن الاسراء (متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام على قول الزهرى ومن وافقه بعد المبعث) وروى البعث بدل المبعث (بعام ونصف) وهو مخالف لما نقله الراوى فيما مر عنه من انه بعده بخمسة اعوام (وكانت عائشة فى الهجرة) اى زمنها (بنت نحو ثمانية اعوام) فكان الاسراء على هذا قبل ولادتها بنحو ثلاثة اعوام ونصف اذ قد مكث بمكة بعد البعثة ثلاث عشر عاما (وقد قيل كان الاسراء لخمس) اى من السنين (قبل الهجرة وقيل قبلها بعام والاشبه) اى الاظهر (انه لخمس) اى قبل الهجرة وهو مخالف

لما حكاه النووي عنه ثم اختلف في الشهر الذي اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقيل في ربيع الاول وجزم به النووي في الفتاوى وقيل في ربيع الآخر وبه جزم ايضا في شرح مسلم تبعا للقاضي المصنف وقيل في رجب وجزم به النووي ايضا في الروضة وقال الواقدي في رمضان وقال الماوردي في شوال والله تعالى اعلم بالحال هذا ومعظم السلف والخلف من المحدثين والفقهاء ان الاسراء كان بعد البعثة لستة عشر شهرا على مانقله النووي عن الحربي قال السبكي الاجماع على انه كان بمكة والذي نختاره ماقاله شيخنا ابو محمد الدمياطي انه قبل الهجرة بسنة وهو في ربيع الاول قال ولااحتفال بما تضمنته التذكرة الجد ونية انه في رجب واحياء المصريين ليلة السابع والعشرين منه بدعة (والحجة لذلك) اى لابطال كونه مناما ذكره الدلجي والاظهران يكون مراده لماذكره من الادلة والاقوال المختلفة في تاريخ وقت المعراج بخصوصه (تطول لبست من غرضنا) فضربنا صفحا عن اطالتها لئلا يقع احد في حد ملالتها (فاذالم تشاهد ذلك عائشة) اى سواء ولدت قبله او بعده (دل على انها حدثت بذلك عن غيرها) اى بناء المتكلم حكاية لقول من اخبرها باقيا على صورته الاولى كقولك لمن قال هذه تمرتان دعني من تمرتان قال ذوالرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا برفع الناس اى سمعت هذا القول فكانها قالت سمعت من فلان اوفلانة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) اى لروايتها له عن مجهول بل لعدم ثبوته (وغيرها يقول خلافه مماوقع نصا في حديث ام هانئ وغيره) اى وفي غير حديث ام هانئ كحديث ابي ذر ومالك بن صعصعة (وايضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع والمعنى وقلت معاودا (فليس حديث عائشة رضي الله تعالى عنها) اى مافقدت جسده (بالثابت) اى عند ائمة الحديث لقادح في سنده عنها اذ فيه ابن اسحق وقد تكلم فيه مالك وغيره (والاحاديث الاخر) بضم ففتح جمع آخر اى الواردة في الاسراء (اثبت) اى اكثر ثبوتا واصح رواية من حديثها (لسنا) وفي نسخة صحيحة ولسنا (نعني) اى لانريد بقولنا والاحاديث الاخرا ثبت (حديث ام هانئ) اى ماسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاوهو في بيتي (وماذكرت فيه خديجة) بصيغة المفعول اى ولانعني حديث عمر الذي ذكرت فيه خديجة لعدم ورودهما في الصحيح (وايضا فقدروى في حديث عائشة مافقدت) اى جسده (ولم يدخل بها الابالمدينة) جملة حالية مؤذنة بعدم صحة حديث مافقدت عنها اذالاسراء كان بمكة اجماعا (وكل هذا) اى وكل ذلك سابقا ولاحقا (يوهنه) اى بالوجهين اى يضعف حديث ما فقدت ويروى يوهنونه بفتح الواو وكسرالهاء مشددة وبالواو ضمير الجماعة ذكره الحجازي وفيه نظر (بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه) بفتح الهمزة وكسرها اى ان اسراءه كان (بجسده لانكارها انيكون رؤياه لربه) اى ليلة الاسراء (رؤيا عين ولوكانت عندها منا ما لم تنكره) اى لم تنكر كون رؤيته لربه مناما (فان قيل فقد قال الله تعالى ماكذب الفؤاد مارأى فقد جعل مارآه للقلب) اى لا للبصر (وهذا) اى الجعل (يدل على انه رؤيا نوم ووحي) بالرفع عطف على رؤيا وقدابعد الدلجي في قوله ووحي بالجر عطف على نوم اى ورؤيا وحي فيه (لامشاهدة عين وحس) اى لاعلى انه مشاهدة عين وحس بصري فهو عطف تفسيري وقال الانطاكي مشاهدة نصب اى لا رؤيا مشاهدة عين فحذف المضاف واعرب المضاف اليه باعرابه انتهى وبعده لايخفى (قلنا) اى في الجواب عنه (يقابله) اى يعارضه (قوله تعالى مازاغ البصر وما طغى) اى ما مال عمارآه وما تجاوزه (فقداضاف الامر) في الرؤية (الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى ماكذب الفؤاد ما رأى اى لم يوهم القلب) بالرفع (العين) بالنصب وفي نسخة عكس ذلك (غير الحقيقة) اى غير حقيقة مارآه (بل صدق رؤيتها) ويؤيده قرآءة التشديد (وقيل ما انكر قلبه ما رأت عينه) اى فيكون ضمير رأى راجعا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لاالى الفؤاد والله تعالى اعلم بالمراد وحاصله وماقبله انه لم يقل قلبه لما رأى لم اعرفك ولوقال لكذب اذقدعرفه كما عرفه بصره اذالامورالقدسية يدركها القلب اولاثم يوردها على البصر ثانيا بدليل حديث مسلم هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي كذاقرره الدلجي ولا يخلوعن خلجان في القلب لعله يظهر بعد ذلك بتوفيق الرب

﴿ فصل ﴾

(وامارؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه جل) اى عظم شانه (وعز) اى وغلب سلطانه (فاختلف السلف فيها) اى في رؤيته له سبحانه وتعالى بعين بصره (فانكرته عائشة رضي الله تعالى عنهما) اى كونها ووقوعها اوقول مسروق لها هل رأى محمد ربه وفي اصل الدلجي فانكرتها عائشة اى الرؤية المذكورة (حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ) اى للحديث (بقراءتي عليه قال حدثني ابي) اى عبدالملك ووهم الحلبي في قوله ابوه هو القاضي سراج وكانه وقع في اصله ابوالحسين ابن سراج وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وابوعبدالله ابن عتاب) بفتح فتشديد (قالا) اى كلاهما

(ثنا القاضي يونس بن مغيث) بضم ميم فغين معجمة مكسورة فتحتية فمثلثة قال ابن ماكولا في اكماله وابو محمد ابن عبد الله بن محمد بن مغيث الاندلسي يعرف بابن الصفار مشهور بالعلم والادب جمع من اشعار الخلفاء من بني امية كتابا وابنه يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ابو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة سمع ابابكر محمد بن معاوية القرشي المعروف بابن الاحمر والعباس بن عمرو الصقلي وروى عنه ابو عمر ابن عبد البر النمري وابو محمد ابن حزم قاله الحميدي (ثنا ابو الفضل الصقلي) بكسر الصاد وسكون القاف نسبة الى صقلية جزيرة من جزائر بحر الغرب ذكره الحلبي وغيره وضبط في بعض النسخ بضم الصاد وضبطه ابن خلكان بفتحتين وتبعه الحجازي وزاد تشديد اللام وقال التلمساني بفتح الصاد والقاف وكسرهما واللام مخففة فيهما (ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده) اى قاسم وثابت (قالا) اى كلاهما (ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود بن آدم) هو مروزي يروي عن ابن عيينة وابي بكر ابن عياش وجماعة وعنه البخاري وابو بكر ابن ابي داود وطائفة توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين (ثنا وكيع) تقدم ذكره (عن ابن ابي خالد) هو اسمعيل ابن سعيد البجلي الكوفي عن ابن ابي اوفى وابي جحيفة وقيس وخلق وعنه شعبة وغيره حافظ امام وكان طحانا تابعي ثقة احد الاعلام اخرج له الائمة الستة (عن عامر) وهو الصواب لاما وقع في بعض النسخ عن مجاهد ذكره الشمني وزاد الحلبي فانه ليس له شيء من الكتب الستة عن مسروق وهو عامر بن شرحبيل ابو عمرو الشعبي الهمداني قاضي الكوفة احد الاعلام ولد في خلافة عمر وروايته عن علي في البخاري وروى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه والمغيرة وخلق قال ادركت خمسمائة من الصحابة وقال ماكتبت سوادا في بياض ولاحدثت بحديث الاحفظته مات سنة ثلاث ومائة اخرج له الائمة الستة وقال الدلجي قد روى المصنف هنا حديث مسلم بسند آخر شاهدا لانكارها ذلك يقظة وهو بفتح الشين وسكون العين واختلف في نسبته وقد يضرب به المثل في الحفظ فيقال احفظ من الشعبي وقال الزهري العلماء اربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام وقال مكحول مارأيت افقه من الشعبي في زمانه (عن مسروق انه قال لعائشة ياام المؤمنين هل رأى محمد ربه) يعني ليلة الاسراء في حال اليقظة (فقال لقد قف شعري) بفتح القاف وتشديد الفاء من القفقفة وهي الرعدة اى اقشعر وقام شعر جسدي من الفزع (مماقلت) اى طالبا مني تصديقي بثبوت رؤيته لربه اولا ثبوتها اولكوني سمعت مالاينبغي ان يقال (ثلاث من حدثك) كذا بكاف الخطاب ثبت بخط القاضي المصنف وعند العزفي بحذفهما وكلاهما صحيح والمعنى من اعلمك اوروى واخبر (بهن فقد كذب) وفي نسخة كذبك اى افترى فرية بلامرية فيهن وبيانها قولها (من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) اى للاستشهاد على دعوى المراد (لاتدركه الابصار الآية) اى وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير واجيب بان الآية دالة على انه لاتحيط به ولابحقيقته حاسة بصر اذا تجلى بنور كماله وصفة كبرياء جلاله لحديث مسلم نور انى اراه اى حجابه نور فكيف اراه اذ كمال النور يمنع الادراك من غاية الظهور واما اذا تجلى بما يسعه نطاق القدرة البشرية من صفات جماله الصمدية فلا استبعاد لرؤيته بدون احاطة فنفي الآية رؤيته على سبيل الاحاطة لا يوجب نفي رؤيته بدونها لا محالة (وذكر) مسروق (الحديث) اى الخ قال التلمساني الاولى هذه والثانية قولها رضي الله تعالى عنها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحي ثم قرأت ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك الآية والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد اعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية انتهى وزاد الانطاكي ولكنه رأى جبريل مرتين وقال الغزالي في الاحياء والصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارأى الله تعالى ليلة المعراج لكن النووي صحح الرؤية في الفتاوى ونقله عن المحققين والله سبحانه وتعالى اعلم قال الحلبي هذا الحديث الذي ساقه القاضي هنا هو في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وهو في البخاري في التفسير عن يحيى عن وكيع بالسند الذي ساقه القاضي فهو بدل ولو رواه القاضي من طريق البخاري كان يقع له اعلى من هذا وسبب عدول القاضي عن اخراج هذا الحديث من احد هذه الكتب مع انه بين القاضي وبين شيخ الشيخ البخاري وكيع سبعة وهذا الذي ساقه بسنده وبين وكيع ثمانية فالذي في الصحيح اعلى ليتنوع وليظهر كثرة الشيوخ والمسموعات والله سبحانه وتعالى اعلم بالنيات وقال جماعة اى من المحدثين والمتكلمين (بقول عائشة وهو المشهور) اى كما رواه الشيخان (عن ابن مسعود) اى انه رأى جبريل (ومثله) اى في كونه مشهورا مارواه البخاري (عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) انه قال (انما رأى جبريل عليه السلام واختلف عنه) اى عن ابي هريرة اذ قد روى عنه انه قال رآه بعينه كابن مسعود وابي ذر والحسن وابن حنبل (وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين) جوز ان يكون المشار اليه ما لم يشتهر من قول ابي هريرة انه رآه بعينه

وان يكون ما انكرته عائشة اى بانكار ما انكرته وفاقا لها ولذا اكده بالجملة الثانية دفعا لتوهم كون انكارهم انكارا لانكارها كذا حققه الدلجى ونقل الحلبى انه حكى ابوعبدالله ابن امام الجوزية عن عثمان بن سعيد الدارمى الحافظ لما ذكر مسئلة الرؤية ما لفظه وهى مسئلة خلاف بين السلف والخلف وان كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى اجماعا للصحابة (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه رآه بعينه) وبه قال انس وعكرمة والربيع (وروى عطاء عنه) اى عن ابن عباس (بقلبه) اى انه رآه بعين بصيرته وعطاء هذا هو ابن ابى رباح بفتح الراء وبالموحدة ابو محمد المكى الفقيه احد الاعلام يروى عن عائشة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وخلق وعنه ابوحنيفة والليث والاوزاعى وابن جريج وامم اخرج له الائمة الستة وقد اخرج هذا الحديث مسلم عن عطاء عن ابن عباس فى صحيحه فى باب الايمان عن ابى بكر ابن ابى شيبة عن حفص بن غياث عن عبدالملك ابن ابى سليمان عن عطاء عنه به (وعن ابى العالية عنه) اى عن ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) وابو العالية هذا هو رفيع ابن مهران الرياحى بكسر الراء والمثناة تحت وهذه الرواية اخرجها مسلم فى الايمان (وذكر ابن اسحق) اى محمد ابن اسحق بن يسار الامام فى المغازى عن عبدالله ابن ابى سلمة (ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل رأى محمد ربه) اى بعين بصره اذ لاخلاف فى رؤيته ببصيرته (فقال نعم) والحاصل انه اختلفت الرواية عن ابن عباس فى مسئلة الرؤية (والاشهر عنه) اى عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينيه روى ذلك) اى القول الاشهر (عنه من طرق) اى باسانيد متعددة اقتضت الشهرة (وقال) اى فى بعض طرقه وهو مارواه الحاكم والنسائى والطبرانى ان ابن عباس قال تقوية لقوله انه رأى ربه بعينه (ان الله اختص موسى بالكلام) اى من بين سائر الانبياء عليهم السلام فلا ينافى فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع ايضا له الكلام على وفق المرام وكذا قوله (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء فانه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له بين كونه خليلا وحبيبا (ومحمدا بالرؤية) اى البصرية هذا ولامنافاة بين قول ابن عباس رآه بعينه وبين قوله رآه بفؤاده لامكان الجمع بينهما بثبوت الرؤية للبصر والبصيرة كما يشير اليه قوله تعالى ماكذب الفؤاد مارأى اى ما كذب فؤاده مرئيه بل صدقه وطابقه ووافقه (وحجته) اى دليل ابن عباس اى على انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (قوله تعالى ماكذب الفؤاد مارأى) اى بعينه اذ لايقال ماكذب الفؤاد مارأى بقلبه فالمعنى مااعتقد قلب محمد خلاف مارأى ببصره وهى مشاهدة ربه تعالى بفؤاده بجعل بصره فيه او ببصره بجعل فؤاده فيه لان مذهب اهل السنة ان الرؤية بالارآءة لا بالقدرة هذا والراجح كما قال النووى عند اكثر العلماء انه رآه بعينى رأسه ليلة الاسراء واثبات هذا ليس الا بالسماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما لاشك فيه وانكار عائشة وقوعها لم يكن لحديث روته ولو كان لحديث ذكرته بل احتجت بقوله تعالى لاتدركه الابصار قلنا المراد بالادراك الاحاطة اذ ذاته تعالى لاتحاط ولايلزم من نفيها نفى الرؤية بدونها وبقوله وماكان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا قلنا لاتلازم بين الرؤية والكلام لجواز وجودها بدونه كذا قرره الدلجى فيما نقله عن النووى وفيه انه لايعرف حديث مسموع مرفوع بل كل من عائشة وابن عباس مستدل باية من الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (أفتمارونه على مايرى) اى افتشككون اوافتجادلونه بالاستفهام الانكارى وانما وقع الجدل والشك فى رؤية البصر اذ لايشك احد فى رؤية البصيرة ولعل استدلال بهذه الآية بناء على ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب والاظاهر ان الشك انما وقع من الكفار فى نفس الاسراء وما رأى فى عالم السماء (ولقد رآه نزلة اخرى) وهى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت له فى تلك الليلة عرجات عدد الصلوات ولكل عرجة نزلة ذكره الدلجى وفى الاحتجاج بهذه الآية نظر ظاهر اذ جمهور المفسرين على ان ضمير المفعول راجع الى جبريل عليه السلام لاسيما ضعف الاحتمال لضعف الاستدلال (قال الماوردى) سبق ذكره قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين) اى حيث كان قاب قوسين اوادنى وعندسدرة المنتهى (وكلمه موسى مرتين) اى مرة وقت ارساله الى فرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه الى الطور وفيه ان قائل هذا مجهول فالاستدلال به غيرمعقول (وحكى ابوالفتح الرازى) الله اعلم به كذا ذكره الدلجى وقال التلمسانى هوسليمان بن ايوب مات غريقا سنة سبع واربعين واربعمائة (وابو الليث السمرقندى) تقدم ذكره (الحكاية) اى التى ذكرها الماوردى (عن كعب) وفيه ان كعب الاحبار هو من اهل الكتاب والتواريخ فلايكون قوله حجة فى هذه المسئلة (وروى عبدالله بن الحارث) هو زوج اخت محمد بن سيرين روى عن جماعة من الصحابة وروى هذا الحديث مرسلا كذا ذكره السمنى تبعا للحلبى وفى كون هذا الحديث مرسلا نظر ظاهر فى المنقول ولايخفى على من له المام بعلم الاصول وقال الانطاكى هو ابو الوليد عبدالله بن حارث البصرى

روى عن عائشة وابى هريرة وزيد بن ارقم وابن عباس وابن عمر وغيرهم وعنه ابنه يوسف والمنهال بن عمرو وعاصم الاحول وخالد الحذاء وجماعة وثقه ابوزرعة والنسائى واخرج له الائمة الستة (قال) اى عبدالله بن الحارث (اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنوهاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه عز وجل مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال) اى كعب اوابن عباس (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه) اى و بعينه ايضا قاله الدلجى اقول الظاهر ان هذا قول كعب وانه مخالف لقول ابن عباس وتكبيره كان لتعظيم الامر وتفخيم القدر واما ما قاله ابو الفتح اليعمرى فى سيرته فى الاسراء مالفظه وروينا من طريق الترمذى حدثنا ابن ابى عمر ثنا سفيان عن مجالد عن الشعبى قال لقى ابن عباس كعبا بعرفة فسئله عن شئ فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انابنو هاشم نقول ان محمدا رأى ربه فقال كعب ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين فقال الحلبى لم ارهذا الحديث فى اطراف المزى فان كان فى الجامع فلعله سقط من نسختى وان كان من طريقه فى غير الجامع فلم اقف عليه قلت وعلى تقدير ثبوته فلعله عنه روايتان (وروى شريك عن ابى ذر فى تفسير الاية) اى قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى (قال رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) فيه انه مبهم يحتمل احتمالين واغرب الدلجى هنا حيث قال اى بقلبه بشهادة اول الاية وهو مناقض لما سبق عنه من تقرير الرواية بالبصر فتدبر (وحكى السمرقندى) اى كرواية ابن ابى حاتم (عن محمد بن كعب) اى القرظى كما فى نسخة صحيحة وهو تابعى جليل (و ربيع بن انس) هو ايضا تابعى مشهور (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى) وهذا الحديث صريح فى طرفى الاثبات والنفى ولا يضر كون الحديث مرسلا لانه حجة عند الجمهور لاسيما وقد اعتضد بما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا واماقول الدلجى لعله فى المرة الاولى اذ قد روى ابن عباس انه رآه مرتين فلا يقاوم الحديث من وجوه يعلمها اهله (وروى مالك بن يخامر) بضم تحتية فخاء معجمة مخففة فالف فميم مكسورة فراء لاينصرف للعلمية و وزن الفعل يقال له صحبة والا صح انه تابعى روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف وروى عنه معاوية بن ابى سفيان وجماعة من التابعين وفى نسخة وروى عن مالك ابن يخامر (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فيه احتمالان ان كان فى الاسراء لكن قال المزى حديث مالك بن يخامر عن معاذ مبين فى بعض الروايات انه فى النوم (وذكر كلمة) اى جملة من الكلام وقال الانطاكى من دأب السلف اذا وقع فى الحديث لفظ يستعظمون التصريح به ان يعبروا عنه بقولهم وذكر كلمة اى كلمة عظيمة (فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث) وهذا حديث جليل ولفظه طويل ونفعه جزيل فلابد من ايراده ليقع الوقوف على مراده فقد رواه احمد وغيره عن معاذ قال صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغدوة ثم اقبل علينا فقال انى سأحدثكم انى قمت من الليل فصليت ماقدرلى فنعست وفى رواية فوضعت جنبى فاذا انا بربى فى احسن صورة وهو حال منه صلى الله تعالى عليه وسلم اومن ربه ولا اشكال فيه كما قال البيضاوى اذ قد يرى النائم غير المشكل مشكلا وعكسه ولا يعد ذلك خللا فى الرؤيا ولا فى خلد النائم فقال يامحمد فيم يختصم الملأ الاعلى ورواية المصابيح فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت انت اعلم اى رب مرتين قال فوضع كفه وفى رواية يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى وفى رواية فوجدت بردانامله بين ثديى فعلمت مافى السماء والارض وفى الرواية الثانية فتجلى لى كل شئ وعرفت مافى السماء والارض ثم تلا هذه الاية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت فى الكفارات قال وماهن قلت المشى على الاقدام الى الطاعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وفى رواية خلف الصلوات واسباغ الوضوء اماكنه على المكاره وفى رواية فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته امه ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام ثم قال قل اللهم انى اسئلك الطيبات وترك المنكرات وفعل الخيرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمنى وتتوب على واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون قال الانطاكى واعلم ان من العلماء من امتنع عن الكلام فى تأويل قوله عليه الصلاة والسلام فى احسن صورة منهم احمد بن حنبل روى انه هجرا با ثور فى تأويله قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق آدم على صورته ومنهم من تكلم فيه فقيل قوله فى احسن صورة يحتمل ان يكون حالا من الرائى وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه رأيته وانا فى احسن صورة وصفة من غاية انعامه ولطفه تعالى على و يحتمل ان يكون حالا من المرئى وهو الرب جل جلاله وصورته تعالى ذاته المخصوصة المنزهة عن المماثلة وقال الخطابى الصورة ترد فى كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشئ

وعلى معنى صفته يقال صورة هذا الامر كذا وكذا اى صفته وقال وهو المراد هنا وقال فى جامع الاصول المراد انه
اتاه فى احسن صفته ثم المراد بالاختصام تقاولهم فى فضل تلك الاعما ل واى بفتح الهمزة بمعنى يا وقوله مرتين
متعلق بقوله فقال فيم يختصم الخ اى جرى السؤال من ربى والجواب منى مرتين وقوله فوضع كفه بين كتفى كناية
عن تخصيصه تعالى اياه بمزيد الفضل وايصا ل الفيض اليه والا فلا كف ولا وضع حقيقة كما ان من عادة الملوك
اذا اراد احد هم ان يقرب بعض خدمه من نفسه ويذكر معه احوال مملكته انيضع يده على ظهره ويلق ساعده
على عنقه تلطفابه وتعظيما لشانه والبرد الراحة والضمير فى بردها يعود الى الكف واراد بقوله بين ثديى قلبه وهو كناية
عن وصول ذلك الفيض الى قلبه انتهى وهذا كله يحتاج اليه اذا صح الحديث فى اليقظة والله اعلم (وحكى عبد
الرزاق) وهو ابن همام بن رافع الحافظ الكبير الصنعانى احد الاعلام صاحب التصانيف روى عن عبيد الله
ابن عمر وعن الاوزاعى والثورى ومعمر وخلائق وعنه احمد واسحق وابن معين وجماعة وقد وثقه غيرواحد واخرج له
الائمة الستة ونقموا عليه التشيع وهو غير ثابت فيه بل كان يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويبغض من قاتله وقد قال
سلمة بن شبيب سمعت عبد الرزاق يقول والله ماانشرح صدرى قط ان افضل عليا على ابى بكر وعمر رضى الله تعالى
عنهم (ان الحسن) اى البصرى (كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه) فيه احتمالان (وحكاه) اى نقل مثله (ابو عمر
الطلمنكى) بفتح الطاء المهملة واللام والميم فنون ساكنة فكاف مكسورة وهو الامام الحافظ المقرئ ابو عمر بضم العين
روى عنه ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما وكان رأسا فى علم القراآت ذا عناية تامة بالحديث اماما فى السنة توفى
فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة (عن عكرمة) تقدم ذكره (وحكى بعض المتكلمين) قال الحلبى
لااعرفه (هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق) اى صاحب المغازى (ان مروان سأل اباهريرة هل رأى
محمد ربه قال نعم) ومروان هذا ابن عبد الحكم ابن ابى العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبدمناف القرشى الاموى
ولد سنة اثنتين ولم يصح له سماع ولا رؤية روى عن عثمان وعلى وزيد بن ثابت وروى عنه عروة ومجاهد وعلى بن
الحسين دولته تسعة اشهر وايام وتملك ابنه عبد الملك بعده اخرج لمروان الستة غير مسلم الا ان البخارى روى حديث
الحديبية عنه مقرونا بالمسور بن مخرمة (وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
بعينه رآه رآه) اى كرره (حتى انقطع نفسه) بفتح الفاء (يعنى نفس احمد) اى ابن حنبل كما فى نسخة صحيحة وهذا تفسير
من المصنف اوغيره قال بعض الحنابلة من العلماء كلاما معناه ان احمد لم يقل انه رآه ليلة الاسراء وانما رآه فى النوم يعنى
الحديث الذى فيه رأيت ربى فى احسن صورة الحديث يعنى رؤيا الانبياء وحى (وقال ابو عمر) الظاهر انه اراد به
ابن عبد البر فانه المفرد الاكمل الاشهر خلافا للحلبى ومن تبعه حيث قال الظاهر انه ابو عمر المتقدم يعنى الطلمنكى
(قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن) بفتح الجيم وضم الموحدة وقيل تفتح اى خاف احمد وتأخر (عن القول برؤيته
بالابصار) اى الحسية (فى الدنيا وقال سعيد بن جبير لااقول) اى انه (رآه ولا لم يره) وهذا يدل على غاية الاحتياط منه
وعلى تعارض الادلة عنده (وقد اختلف فى تأويل الاية) اى آية ما كذب الفؤاد مارأى اوقوله تعالى ولقد رآه نزلة
اخرى (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم فحكى) بصيغة المجهول (عن ابن عباس
وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل) هو الامام الحافظ الثبت
محدث العراق روى عن ابيه وخلائق وعنه النسائى وغيره (عن ابيه انه قال رآه) وقد سبق الكلام عليه من جهة مبناه
ومعناه (وعن ابن عطاء فى قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) اى اجابة
لدعائه عليه الصلاة والسلام رب اشرح لى صدرى ومابينهما بون بين اذ الاول مراد ومطلوب للمحبوب والثانى مريد
وطالب للمرغوب (وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى رضى الله تعالى عنه) كذا فى النسخ والاولى ان يقال
رحمه الله لانه ليس من الصحابة (وجماعة من اصحابه انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى الله تعالى ببصره
وعينى رأسه) قال الحلبى هذا هو الشيخ القدوة امام المتكلمين على بن اسمعيل ابن ابى بشر ابن سالم بن عبد الله بن
موسى بن بلال ابن ابى بردة ابن ابى موسى عبدالله بن قيس ابو الحسن الاشعرى كان اولا معتزليا ثم ترك ذلك برؤيا رآها
فى نومه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لايتكلم فى علم الكلام الا ان يجب عليه قياما فى الحق وكان حبرا عظيما
لايناضل ولايبارى قال القاضى ابو بكر الباقلانى افضل احوالى ان افهم كلام ابى الحسن ولد سنة اثنتين ومائتين
ومات قبل الثلاثين والثلاثمائة على الاصح قال الشيخ ابو محمد الجوينى والد امام الحرمين كان شافعيا تفقه على الشيخ
ابى اسحق المروزى وقال التلمسانى وابو الحسن هذا مالكى المذهب (وقال) اى الاشعرى (كل آية) اى معجزة
(اوتيها نبى من الانبياء عليهم السلام فقد اوتى مثلها) اى حقيقة ونظيرها صورة (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

وخص من بينهم بتفضيل الرؤية) اى بزيادة حصول الرؤية واللقاء ووصول الدرجة العليا فى ليلة الاسراء (ووقف) اى توقف (بعض مشايخنا) جمع مشيخة وهو القياس او شيخ على غير قياس (فى هذا) اى فى ذلك كما فى نسخة (وقال ليس عليه دليل واضح) اى على ثبوت وقوعه (ولكنه جائز ان يكون) اى وجائز ان لايكون وهذا يحتمل ان يكون من كلام القاضى وان يكون من كلام الاشعرى (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) اى المصنف (والحق الذى لاامتراء) افتعال من المرية اى لاشك (فيه ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا وليس فى العقل مايحيلها) اى شئ من توهم واحتمال يحكم باستحالتها لجزمه بجواز وقوعها فيها (والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى لها) اى حيث قال رب ارنى انظر اليك مع اعتقاده انه تعالى يجوز ان يرى فيها فسألها (ومحال) بضم الميم اى ومن المحال (ان يجهل نبى ما يجوز على الله وما لايجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير محال) اى غير مستحيل كما فى نسخة لاستحالة سؤال الانبياء مايكون من المحال (ولكن وقوعه ومشاهدته) اى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة (من الغيب الذى لايعلمه الا من علمه الله تعالى) بتشديد اللام اى اطلعه اياه (فقال له الله تعالى) اى لموسى اى غير ناف للجواز (لن ترانى) اى دون لن ارى المؤذن بنفيه اى المشعر بنفى جوازه بل فيه مايدل على نفى وقوعه فقط حيث قال لن ترانى (اى لن تطيق) اى تحمل تجلياتى (ولن تحتمل رؤيتى) اى فى الدنيا لانها دار الفناء واللقاء انما يكون فى دار البقاء وحال الاسراء يعد من امر الآخرة بدليل الكشوفات الذاخرة والمقامات الفاخرة المقتضية لخرق العادة فى قوة بنية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الحالة (ثم ضرب) اى بين (له مثالا) وفى نسخة مثلا (بما هو اقوى من بنية موسى) بكسر موحدة وسكون نون فتحتية اى من تركيب بناء جسده واعضاء جسمه (واثبت) تفسير لاقوى (وهو الجبل) اى بحسب الهيكل الصورى حيث قال ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى (وكل هذا ليس فيه مايحيل رؤيته فى الدنيا) اى يقتضى ردها ويروى وقوعها محالا (بل فيه جوازها على الجملة) اى دليل جواز وقوعها فى الجملة حيث علق وقوع رؤيته على استقرار الجبل فى مكانه بعد تجلى رؤيته والتعليق بالممكن يفيد الامكان اذ معنى التعليق هو ان يقع على تقدير وقوع المعلق عليه والمحال لايقع على تقدير اصلا (وليس فى الشرع) اى فى الكتاب والسنة (دليل قاطع على استحالتها) اى استحالة جوازها (ولا امتناعها) اى ولا دليل على امتناع وجودها (اذ كل موجود) اى لانه سبحانه وتعالى موجود بل واجب الوجود وكل موجود جائز الرؤية (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) كما قال الاشعرى (ولا حجة لمن استدل على منعها) اى امتناع جوازها (بقوله تعالى لاتدركه الابصار لاختلاف التأويلات فى الآية) اى ومع الاحتمال لايصح ان يكون حجة اذ قد قيل المراد بالادراك الاحاطة ولايلزم منه نفى مطلق الرؤية وقيل ليس عاما فى الاوقات فيخص ببعضها ضرورة الجمع بين الادلة ولا فى الاشخاص اذ هو فى قوة قولك لاكل بصر يدركه فيخص ببعضهم لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقد اغرب عز الدين بن عبد السلام فى قوله لاتراه الملائكة (واذ ليس) عطف على الاختلاف وقيل على قوله كل موجود ولا يخفى بعده اى ولانه (لايقتضى قول من قال فى الدنيا) اى بمنعها فى الدنيا (لاستحالة) اى الرؤية لانه ليس نصا فى المنع بل اخذ بتأويل واحتمال لايقتضى الاستحالة (وقد استدل بعضهم بهذه الآية) اى آية لاتدركه الابصار (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) اذ مفهوم نفى الاحاطة جواز الرؤية (وقد قيل) اى فى تأويل الآية (لاتدركه ابصار الكفار) على ان اللام للعهد بقرينة قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (وقيل لاتدركه الابصار لاتحيط به) اى كما مر مرارا (وهو قول ابن عباس وقد قيل) اى فى التأويل (لاتدركه الابصار) اى انفسها (وانما يدركه المبصرون) اى بسببها وبقوة الهيئة فيها وهو بضم الميم واسكان الباء وكسر الصاد قال تعالى فمن ابصر فلنفسه والمعنى ان الادراك انما يكون للمبصر بواسطة البصر لا للبصر نفسه (وكل هذه التأويلات لاتقتضى منع الرؤية ولا استحالتها) اى بل تقتضى جوازها (وكذلك لاحجة لهم) اى على منعها (بقوله لن ترانى الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه) اى للتأويل الذى قدمناه وهو قوله اى لن تطيق مما يؤذن بجوازها كسؤال موسى اياها (ولانها) اى آية لن ترانى (ليست على العموم) وفى نسخة من العموم اى فى نفيها لجميع افراد الانسان فى جميع الازمان لجواز ان يراه غير موسى مما يخلق الله فيه استعدادا لها فى ابانها كليلة الاسراء فان لن لنفى المستقبل فقط ولاتفيد توكيد النفى فى الاستقبال ولاتأبيده على ماعليه اهل السنة خلافا للزمخشرى واهل الاعتزال حيث يدعون انها تفيد التوكيد او التأبيد ورد بقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا وبقوله فلن اكلم اليوم انسيا اذ يلزم تكرار الابد وعدم فائدة التقييد باليوم (ولان من قال معناها لن ترانى فى الدنيا انما هو تأويل) اى مما لايقتضى استحالة ولامنعا فيها مطلقا لجواز اختصاص المنع فيها بموسى دون غيره على انه قد يقال ان حالة الاسراء مما لايعد من احوال الدنيا بل

انما هي من مقامات العقبى اوحالة اخرى كالبرزخ (وايضا ليس) وفى نسخة فليس (فيه) اى فى قوله تعالى لن ترانى (نص الامتناع) اى من الرؤية مطلقا (وانما جاءت) اى آية لن ترانى مفصحة بامتناعها (فى حق موسى) اى خصوصا ولا يلزم من منع الخصوص منع العموم مع انه قابل للتقييد بذلك المكان والزمان (وحيث تطرق التأويلات) بحذف احدى التائين اى تردد وتتابع وتزاحم و يؤيده انه فى نسخة تتطرق ويقويه قوله (وتسلط الاحتمالات) عطف تفسير (فليس للقطع) اى لقطع المنع (اليه) اى الى امتناع الرؤية (سبيل) اى طريق ودليل (وقوله تبت اليك) اى مأول بقولهم (اى من سؤالى) اى من الاقدام على دعائى (مالم تقدر لى) روى بضم التاء وفتحها وفتح القاف فلا يلايم الامع ضم التاء وتشديد الدال فيكون المعنى مالم تقدره لى فى الازل وكتبته على فى سابق علمك واما سكونها فمعناه مالم تجعله فى قدرتى ووسعى كذا ذكر التلمسانى (وقال ابو بكر الهذلى) بضم هاء وفتح ذال معجمة (فى قوله لن ترانى اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الى فى الدنيا) اى والاسراء ليس من الدنيا بل من الاخرى (وانه) اى الشان (من نظر الى) اى فى الدنيا (مات) اى فى الحال بدليل صعق موسى حين رأى الجبل قال المزى و يؤيده ما فى مسلم من حديث الدجال فاعلموا انه اعور وان الله سبحانه وتعالى ليس باعور وان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت (وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة) اى لا من حيث ذاتها لثبوت جوازها فيها كما مر الكلام عليها وانما امتنعت فيها (لضعف تراكيب اهل الدنيا) اى بنيتهم (وقواهم) بضم القاف وتخفيف الواو اى حواسهم (وكونها متغيرة عرضا) بفتحتين وضبطه بعضهم بفتح العين المهملة والراء وبالضاد المعجمة اى هدفا فالانسان غرض والافات سهام وفى نسخة صحيحة وكونها معرضة بتشديد الراء المفتوحة اى هدفا (للآفات) من نوائب مقلقة ونواكب للأكباد مقلقة تقتضى نقصانها (والفناء) اى مما يوجب زوالها (فلم تكن لهم قوة على الرؤية) اى فى الدنيا (فاذا كان) اى الشان (فى الآخرة وركبوا تركيبا آخر) اى اقوى وابقى من الاول (ورزقوا قوى) بضم وتخفيف قاف منونا جمع قوة اى اعطوا حواس وفى نسخة قوة (ثابتة) من الثبوت وفى نسخة ثانية بالنون والياء (باقية) اى تامة وافية (واتم) بصيغة الفاعل اوالمفعول اى اكمل (الله انوار ابصارهم) الظاهرة (وقلوبهم) اى وبصائر الباطنة (قووابها) بفتح قاف وضم واو وصله قويوا فأعل بالنقل والحذف وهو جواب الشرط اى صاروا ذوى قوة فى الآخرة (على الرؤية) وهذا امر ظاهر وقول باهر ولاغبار عليه ولاشقاق لديه اذلامرية ان الله تعالى يخلقهم فى العقبى على خلق اكمل منهم فى الدنيا من جهة جميع القوى كما جاءت الاخبار فيه فى الاكل والشرب والجماع وغير ذلك فلاينكر زيادة قوة السامعة والباصرة ونحوهما هنالك لاسيما وقد نفى الشرع اثبات الرؤية للعامة فى الدنيا واثبتها للخاصة فى العقبى فلابد من الجمع بين الادلة كما هو دأب الائمة وهو لاينافى استواء القدرة الكاملة فى حالتى الراهنة والمستقبلة الشاملة فاندفع قول الدلجى وهذا منهم دعوى بلابينة اذ القادر على خلق ذلك لهم فى الآخرة قادر على خلقه لهم فى الدنيا فلا وجه لتخصيص ذلك بالآخرة ولادليل عليه اذ الرؤية بمجرد خلقه غير مشروطة بشئ (وقد رأيت نحو هذا) اى مثل هذا القول المنقول عن بعض السلف بعينه (لمالك بن انس) وهو امام المذهب (رحمه الله قال لم ير) بصيغة المجهول اى مايرى الله سبحانه وتعالى (فى الدنيا لانه) اى الله تعالى (باق ولايرى الباقى بالفانى) اى بالحس الفانى اوبالمكان الفانى (فاذا كان) اى امر الرؤية (فى الآخرة ورزقوا ابصارا باقية) اى وبصائر قوية (رؤى الباقى بالباقى) وضبط الانطاكى رئى بكسر الراء وسكون الياء ثم بهمزة على بناء المجهول (وهذا) اى الذى قاله مالك وماسبق هنالك (كلام حسن مليح) اى ومرام مستحسن صريح ولاعبرة بمنع الدلجى هذه العلة (وليس هو) اى امتناعه وفى نسخة صحيحة وليس فيه اى فى امتناعه فى الدنيا (دليل على الاستحالة) اى على كونه محالا فى العقبى اومطلقا اوفى ذاته بل ليس امتناعه واستحالته (الا من حيث ضعف القدرة) اى قدرة العبد وضعف بنيته وفناء حالته وقوته (فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده) اى على ماشاء من مراده (واقدره) وفى اصل الدلجى قدره بتشديد الدال اى وجعله قادرا (على حمل اعباء الرؤية) بفتح الهمزة وسكون العين فموحدة بعدها الف ممدودة جمع عبئ بالكسر وهو الحمل الثقيل ومنه العباء اى تحمل اثقالها تحت تجلى جمالها وجلالها (لم تمتنع) اى الرؤية (فى حقه) اى فى اى وقت كان وفى اى شخص بان روى ابن عطاء ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى ايوب عليه السلام انك لتنظر الى غدا فقال يارب ابهاتين العينين فقال اجعل لك عينين يقال لهما عينا البقاء فتنظر الى البقاء بالبقاء وحكى انه دخل على ابن الماجشون رجل ينكر حديث القيامة وان الله يأتيهم فى صورته فقال له يابنى ماتنكر هذا فقال ان الله تعالى اعظم من ان يرى فى هذه الصفة فقال ياأحمق ان الله تعالى ليس تتغير عظمته ولكن تتعمر عيناك حتى تراه كيف شاء فقال الرجل اتوب اليه ورجع عما كان عليه (وقد تقدم ماذكر فى قوة بصر موسى ومحمد

عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكهما) بالذال المعجمة اى مضيه وبلوغه (بقوة الهيئة منها ها) بصيغة المجهول اى اعطياها (لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه) اى فى الجملة اذ رؤية موسى كانت مترتبة على النظر حين تجلى الرب على الجبل بخلاف رؤية نبينا الاكمل (والله تعالى اعلم) اى بحقيقة الحال وحقيقة المآل (وقد ذكر القاضى ابو بكر) يحتمل الباقلانى لان القاضى ابابكر بن العربى معاصر للمصنف اذ مولده سنة ثمان وستين واربعمائة ومماته سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ومولد المصنف سنة ست وسبعين واربعمائة ومماته سنة اربع واربعين وخمسمائة ذكره السمنى ونسبه بالنون على غير قياس اذ القياس ان يقال بالهمز بدله (فى اثناء اجوبته عن الايتين) الدالتين على نفى الرؤية وهما لا تدركه الابصار ولن ترانى (مامعناه) اى الذى مؤداه لا لفظه ومبناه (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله تعالى) اى بواسطة تجلى ربه للجبل (فلذلك خر) بتشديد الراء (صعقا) بفتح فكسر ويروى بفتحتين اى سقط مغشيا عليه والا فالصعق بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد فى النظر السديد (وان الجبل رأى ربه فصار دكا) اى مدكوكا مدقوقا (بادراك) متعلق برأى (خلقه الله تعالى له) اى فى الجبل كما نقله الماتريدى عن الاشعرى وقال الامام الرازى فى المعالم خلق الله تعالى فى الجبل حياة وعقلا وفهما وخلق فيه الرؤية فرأى بها (واستنبط) اى القاضى ابو بكر (ذلك) اى رؤيتهما ربهما (والله تعالى اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) اى وبقى على حاله وشانه عند تجلى ربه (فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل) اى بلا كيف (جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له) اى ظهورا تاما بلا كيف (حتى رأه) اى بناء (على هذا القول) اى الذى عزاه للقاضى ابو بكر (وقال جعفر) اى الصادق (ابن محمد) اى الباقر فى حكمة الواسطة فى الرؤية (شغله) اى سبحانه وتعالى اى موسى (بالجبل حتى تجلى) الا ظهر حين تجلى (ولولا ذلك) اى الشغل بالجبل (لمات) اى موسى (صعقا بلا افاقة) اى بعده مطلقا قال المصنف (وقوله هذا) اى قول جعفر (يدل على ان موسى رأه) اى رؤية بواسطة من وراء حجاب فلا ينافى قوله تعالى لن ترانى بلا واسطة وهذا جمع سديد وقد ابعد الدلجى بقوله هنا وهذا بعيد (وقد وقع لبعض المفسرين) اى حيث قال (فى الجبل) اى فى حقه (انه رأه) اى رأى تجلى ربه بادراك وعلم حققه فى خلقته فاندك اذ الدك بمجرد التجلى بلا ادراك بعيد كيف وقد نقل الماتريدى عن الاشعرى ان معنى التجلى ان الله تعالى خلق فيه حياة وعلما ورؤية فرأه وهذا نص منهما على اثباتها كذا ذكره الدلجى (وبرؤية الجبل له) اى لربه تعالى (استدل من قال برؤية نبينا له) اى الله سبحانه وتعالى (اذ جعله) اى جعل الله تعالى ماذكر من رؤية الجبل له (دليلا على الجواز) اى للرؤية قال الدلجى ذكر الضمير نظرا لما بعده والاولى ما قدمناه مع ان المصدر يؤنث ويذكر فتدبر (ولا مرية) بكسر الميم وتضم اى ولاشك (فى الجواز) اى جواز الرؤية (اذ ليس فى الايات) اى اية لا تدركه الابصار واية لن ترانى واية فان استقر مكانه فسوف ترانى (نص فى المنع) اى للرؤية بل هى مشيرة الى الجواز فى مقام المرام كما سبق عليه الكلام (واما وجوبها) اى وجوب وقوعها (لنبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (والقول) اى الجزم (بانه رأه بعينه فليس فيه قاطع) اى من قواطع الادلة اى على وقوع الرؤية (ولا نص) اى دليل صريح يعول فى ثبوت وقوعه عليه (اذ المعول فيه) اى المعتمد عليه فى هذا الاستدلال (على آيتى النجم) اى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ما زاغ البصر وما طغى (والتنازع فيهما مأثور) اى والاختلاف فى معنى الايتين بين الائمة فى كتب التفسير والسير مذكور ومسطور (والاحتمال) اى العقلى والنقلى (لهما ممكن) اى من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها لعدم صراحتهما بها (ولا اثر قاطع متواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) اى بكونه رأه بعينه وفى نسخة صحيحة لذلك اى لما ذكر (وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه) اى الذى تقدم من انه رأه بعينه (خبر عن اعتقاده) اى الذى نشأ عن استنباطه (لم يسنده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حتى يعتبر (فيجب) بالنصب (العمل) وفى نسخة العلم (باعتقاد مضمنه) بتشديد الميم المفتوحة اى مفهومه ومضمونه من رؤية ربه بعينه (ومثله حديث ابى ذر فى تفسير الاية) اى قوله رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه (وحديث معاذ) اى رأيت ربى فى احسن صورة (محتمل) بكسر الميم (للتأويل) اى على ما تقدم من انه رأه بفؤاده او فى منامه (وهو) اى والحال ان حديثه (مضطرب الاسناد والمتن) اى ومن المعلوم ان اضطراب احدهما موجب لضعف الحديث فلا يصلح للاستدلال لاسيما مع ما سبق من الاحتمال ثم اضطرابه من حيث الاسناد فانه تارة يروى عن عبد الرحمن بن عايش الحضرمى مرسلا فان عبد الرحمن ليس بصحابى وتارة عن معاذ بن جبل واضطرابه من حيث المتن فانه رواه الطبرى فى كتابه باسناده عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال احتبس علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلاة الغدوة حتى كادت الشمس تطلع فلما صلى الغدوة قال انى صليت الليلة ما قضى لى ووضعت جنبى فى المسجد فاتانى ربى فى احسن صورة الحديث ورواه احمد بن حنبل

على هذا السياق وفيه انى قمت من الليل فصليت ماقدر لى فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فاذا انا بربى عز وجل فى احسن صورة الحديث فقد اختلف متن الحديث كما ترى وسياق الاسناد واحد والاختلاف فى متن حديث واحد موجب للاضطراب (وحديث ابى ذر الآخر) بالرفع على انه صفة لحديث (مختلف) بكسر اللام اى من حيث اللفظ والمبنى (محتمل) اى من حيث المعنى (مشكل) اى حيث لا يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح احدهما او يحتمل لان يكون رآه ولم يره او رآه بعينه او بقلبه مشكل من حيث اطلاق النور على الذات والنور بمعنى المنور من جملة الصفات (فروى) ويروى فيروى وهو حديث ابى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال (نور) اى هو نور عظيم (أنّى اراه) بهمزة مفتوحة فنون مشددة مفتوحة بمعنى كيف اى كيف يتصور انى ارى الله تعالى فان الشئ يرى بالنور وهو اذا غشى البصر حجبه عن رؤية ماوراءه من كمال الظهور فالضمير فى اراه عائد الى الله تعالى كما صرح الامام ابو عبد الله المازرى اى كمال النور منعنى عن الرؤية وتمام الظهور كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار فيمنعها من الابصار قال الحلبى هكذا رواه جميع الرواة فى جميع الاصول اى جميع اصول مسلم والروايات ومعناه حجابه النور فكيف اراه (وحكى بعض شيوخنا انه روى نورانى) اى بفتح النون والراء بعد الف فنون مكسورة وتحتية مشددة منونة و (اراه) بضم همزة على ماذكره الحجازى قال المزى وهذا تصحيف والصواب الاول ويدل عليه قوله رأيت نورا وقوله حجابه النور انتهى وقال الشمنى يحتمل ان يكون معناه راجعا الى ما سبق ولا يخفى بعده وغرابته اذ الاول دال على نفى رؤيته واستبعاده والثانى على اثباته واستعداده (وفى حديثه الآخر) اى وفى حديث اخر لابى ذر (سألته) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ربك (فقال رأيت نورا) اى رأيت نورا كيف اراه فى وشرح الدلجى قال المصنف وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها فى اصل من الاصول اى اصول مسلم ومحال ان يكون ذاته تعالى نورا اذ النور جسم يتعالى الله عنه ومن ثمة كان تسميته سبحانه وتعالى فى الكتاب والسنة نورا بمعنى ذى النور اى منوره اومنه النور كما قيل نور السماء بالشمس والقمر والنجم ونور الارض بالانبياء والعلم وروى بالنبات والاشجار اوالمراد بالنور ما لقد هذا وفى تخريج احاديث الاحياء للعراقى فى كتاب المحبة قال ابن خزيمة فى القلب من صحة اسناده شئ اى من حيث ان فى رواية احمد عن ابى ذر رأيته نورانى اراه ورجاله رجال الصحيح (وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما) اى من حديثى ابى ذر (على صحة الرؤية) اى وقوعها ونفيها لتعارض معنييهما وتناقض اسناديهما (فان كان الصحيح) اى متنا او اسنادا (رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم يرالله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى هذا) اى الى معنى قوله رأيت نورا (يرجع قوله نورانى اراه) اى كيف اراه مع حجاب النور المغشى) بصيغة الفاعل مخففا او مشددا اى المغطى (للبصر وهذا) اى حديث نورانى اراه (مثل ما فى الحديث الآخر) اى من حيث المعنى (حجابه النور) كما رواه الطيالسى عن ابى موسى الاشعرى واصله فى مسلم واوله ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام (وفى الحديث الآخر) اى الذى رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى) زيد فيه ههنا (مرتين وتلا) اى قرأ الراوى شاهدا لصحة رؤيته ربه بقلبه (ثم دنا) اى قرب نبينا (فتدلى) اى زاد فى التقرب اليه سبحانه وتعالى فكان قاب قوسين او ادنى (والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) اى على ان يجعله فى القلب (او كيف شاء) اى بان يخلق ادراك الرؤية فى السمع اوغيره وان يخلق ادراك السمع فى البصر ونحوه (لا اله غيره) اى حتى يمانعه ويدافعه عن مراده فى عباده (فان ورد حديث نص بين) بتشديد الياء المكسورة اى ظاهر لا يحتمل تأويلا (فى الباب) اى فى باب الرؤية من ثبوتها ووقوعها (اعتقد) بصيغة المجهول وفى نسخة احتمل (ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه) اى فى جواز الرؤية وحصولها (ولا مانع قطعى) اى من جهة شهود العقل او ورود النقل (يرده) اى عند المحقق (والله الموفق) اقول والله سبحانه وتعالى اعلم انه يمكن الجمع بين الادلة فى هذه المسئلة المشكلة بان ماورد مما يدل على اثبات الرؤية انما هو باعتبار تجلى الصفات وماجاء مما يشير الى نفى الرؤية فهو محمول على تجلى الذات اذ التجلى للشئ انما يكون بالكشف عن حقيقته وهو محال فى حق ذاته باعتبار احاطته وحياطته كما يدل عليه قوله تعالى لا تدركه الابصار وقوله سبحانه وتعالى ولا يحيطون به علما ومما يؤيده انه قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ففى ذكر الرب والجبل تلويح لما قررنا وكذا فى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة تلميح لما حررنا وكذا فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته تصريح بما قررنا والحاصل ان ماعلم يقينا من معرفته فى الدنيا يبصر عين اليقين بها فى العقبى مع ان التجليات الصفاتية الكاشفة عن الحقيقة الذاتية لا نهاية لها فى المقامات الابدية والحالات السرمدية فالسالك المنتهى فى السير الى الله تعالى يكون فى الجنة ايضا سائرا فى الله كما قال تعالى

وان الى ربك المنتهى معانه لانهاية لآخريته كما انه لابداية لاوليته فهو الاول والآخر والباطن والظاهر وهو اعلم بالظواهر والضمائر وما كشف للعارفين من الحقائق والسرائر

﴿ فصل ﴾

في فوائد متفرقة بما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة الاسراء (واما ما ورد في هذه القصة) اي قصة الاسراء (من مناجاته لله عزوجل) اي مكالمته سرا (وكلامه معه) جهرا او من محادثته صلى الله تعالى عليه وسلم له سبحانه وتعالى وكلام الله معه عز شانه (بقوله) اي بدليل ما ورد من قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث) اي مع ما وردت به السنة مما سيذكر في هذا المعنى (فاكثر المفسرين على ان الموحي هو الله تعالى الى جبريل وجبريل الى محمد الا الشذ وذ منهم) اي الاطائفة قليلة من المفسرين خارجة عن جمهورهم منفردة عنهم (فذكر عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر (قال اوحى الله اليه بلا واسطة) اي كما يقتضيه مقام الكرامة وحالة المباسطة (ونحوه عن الواسطي) اي منقول (والى هذا) اي قوله (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء) اي في ليلته او حالته (وحكي عن الاشعري) اي القول بانه كلمه فيها (وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره) اي نفي تكليمه بلا واسطة (آخرون) وسيرد ما يرد هم (وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله دنا فتدلى قال) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقني جبريل) اي في مقام معين له كما اخبر الله سبحانه وتعالى عن الملائكة بقوله وما منا الا له مقام معلوم وقال معتذر الود نوت انملة لاحترقت (فانقطعت الاصوات عني) اي بعد مفارقة جبريل مني وحصل الرعب والوحشة في قلبي (فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ) بكسر لام الامر فتح فسكون ففتح فهمز ساكن اي ليسكن (روعك) بفتح الراء اي فزعك وان روى بضم الراء فالمعنى ليطمئن نفسك فاني معك واصل الروع بالضم القلب ومنه الحديث نفث جبريل في روعي فيحتمل انه ذكره لانه محل الروع فسمي باسم ما حل فيه او سمي كله باسم القلب الذي فيه الروع فسمي باسم بعضه (يا محمد ادن) بضم همز ونون امر من الدنو (ادن) كررلتأكيد وافادة زيادة القرب والتأييد فالدنو بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم دنو رتبة وقربة ومكانة لادنو مكان ومسافة ومساحة او المراد الدنو الى عرشه المحيط بعلو العالم وفرشه (وفي حديث انس في الاسراء نحو منه) اي موقوفا عليه او مرفوعا عنه فان صح رفعه وكذا وقفه لانه يعطي حكمه فلا كلام فيه مع انه يمكن الجمع بان ما اوحى اليه من الوحي الجلي وهو القرآن المبين فلا يكون الا بواسطة جبريل الامين كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وما اوحى اليه من الوحي الخفي فهو بلا واسطة احد وبلا تقييد لغة كما هو قضية الالهام مما لا يخفى على العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام من هداة الانام (وقد احتجوا) اي الاخرون (في هذا القول) بانه كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر) اي لآدمي (ان يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك بسرعة لابتأمل وروية وهو اما بطريق المشافهة به كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم او على سبيل الهتف كما حصل لموسى عليه السلام في وادي الطور بطوى (او من وراء حجاب) اي كما وقع لسائر الانبياء من الوحي الخفي ولبعض الاصفياء من الالهام الجلي (او يرسل) اي الله تعالى الى البشر (رسولا) من الملائكة (فيوحي) اليه اي بالواسطة بان يبلغ الملك الرسول من البشر (باذنه ما يشاء) اي من الاحكام والانباء وهذا الذي ذكرناه اظهر مما ذكره المصنف بقوله (فقالوا هي) اي الآية الدالة على انواع الكلام او مكالمته تعالى للبشر على (ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى هذا) اي احدها (وارسال الملائكة) الاظهر الملك بصيغة الافراد لان المشهور ان جبريل هو صاحب الوحي ولعل وجه الجمع انه ما يخلو عن صحبته جماعة من الملائكة كما يستفاد من قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (كحال جميع الانبياء) الاولى كحال سائر الانبياء جميعها (واكثر احوال نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا هو القسم الثاني قال الواحدي المفسر في قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية الرسول الذي ارسل الى الخلق باخبار جبريل اليه عيانا ومحاورته شفاها والنبي الذي تكون نبوته الهاما اومناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا هذا كلام الواحدي قال النووي في تهذيبه فيه نقص في صفة النبي فان ظاهره ان النبوة المجردة لاتكون برسالة ملك وليس كذلك (والثالث قوله) اي ما افاده (الاوحيا) وهو وما بعده احوال اي الاموحيا اومسمعا من حجاب اومرسلا (ولم يبق من تقسيم صور الكلام) اي المنحصر في هذا المقام تم الكلام كذا في نسخ الكرام وقال التلمساني الكلام كذا ثبت بخط القاضي المصنف وبخط العرفي المكالمة وهو صواب بدليل قوله (الا المشافهة مع المشاهدة) فاختص بها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم وحاصل قوله انه لم يبق من تقسيم صور الكلام الخ انه ينبغي ان يحمل قوله وحيا

على المشافهة مع المشاهدة اذلم يبق من التقسيم الاهذا (وقد قيل الوحى ههنا) اى فى عالم السماء اوفى هذه الاية الاسمى (هومايلقيه) اى يقذفه الهاما (فى قلب النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم اى قلب نبينا اوالنبى من الانبياء (دون واسطة) اى من الوحى الخفى كما سبق اليه الاشارة (وقد ذكر ابو بكر البزار) بتشديد الزاى ثم راء نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا بلغة البغدا دين (عن على رضى الله تعالى عنه فى حديث الاسراء ماهو اوضح) اى اظهر واصرح (فى سماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله تعالى من الاية) اى من الاستدلال بمفهومها من الاقسام الثلاثة وقال الدلجى من اية فاوحى الى عبده مااوحى وهو بعيد كما لا يخفى (فذكر فيه) اى على مرفوعا او موقوفا يقتضى ان يكون فى الحكم مرفوعا (فقال الملك) بفتح اللام (الله اكبر الله اكبر فقيل لى) فيه دلالة على ان الحديث مرفوع وفى نسخة له اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى ان الحديث موقوف او نقل بالمعنى (من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر وقال) اى الله تعالى من وراء الحجاب (فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك) اى صدق عبدى مع ماينا سب ماقبله من النداء وفيه انه انما يدل على كلامه بلاواسطة لامع المشافهة والمشاهدة كما يقتضيه اقسام الاية (ويجيء الكلام فى مشكل هذين الحديثين) اى حديث ابن عباس وعلى (فى الفصل بعد هذا) اى الفصل (مع مايشبهه) اى مما ورد فى حديث غيرهما (وفى اول فصل من الباب منه) اى سيجيء الكلام على دفع اشكال المرام وضمير منه يعود الى مافى قوله مع مايشبهه (وكلام الله تعالى لمحمد) عليه الصلاة والسلام (ومن اختصه من انبيائه) كموسى عليه السلام (جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد قاطع فى الشرع يمنعه) اى يمنع جوازه نقلا (فان صح فى ذلك خبر) اى فى كلامه لغير موسى عليه السلام منهم (اعتمد عليه) بصيغة المجهول وفى نسخة احتمل عليه (وكلامه تعالى لموسى كائن) اى واقع (حق) اى ثابت (مقطوع به نص ذلك فى الكتاب) اى بقوله وكلم الله موسى (واكده بالمصدر) اى بقوله تكليما (دلالة) بفتح الدال وتكسر اى علامة (على الحقيقة) اى ودفعا لتوهم ارادة المجاز فى القضية بناء على ماذهب اليه المحققون من ان الفعل اذا اكد بالمصدر دل على الحقيقة ولذا يقال اراد زيد ارادة ولا يقال اراد الجدار ارادة لانه لايتصور منه حقيقة الارادة (ورفع مكانه) اى الحسى المشعر بعلو قربه المعنوى (على ماورد فى الحديث) اى جاء التصريح فى بعض طرق الحديث الصحيح بانه (فى السماء السابعة) اى على مارواه البخارى فى التوحيد ان موسى فى السماء السابعة وابراهيم فى السادسة ثم قال بتفضيله لكلام الله تعالى وهو موافق لما فى الاصل وقيل صوابه السادسة لان موسى فيها وابراهيم فى السابعة فالسابعة لموسى غلط ويؤيده انه قال الحاكم تواترت الاحاديث انه فى السادسة ثم هذه الرفعة فى المقام (بسبب كلامه) اى تكليم الله تعالى اياه عليه السلام (ورفع محمد فوق هذا كله) كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى ورفع بعضهم درجات (حتى بلغ مستوى) اى مكانا مستويا لا ترى فيه عوجا ولا امتا (وسمع صريف الاقلام) اى صوت جريانها بما تكتبه من الاقضية والاحكام (فكيف يستحيل فى حق هذا) اى النبى عليه الصلاة والسلام (او يبعد) اى يستغرب ويستبعد منه (سماع الكلام فسبحان من اختص) وفى نسخة من خص (من شاء بما شاء) اى من جزيل كرمه وجميل نعمه (وجعل بعضهم فوق بعض درجات) اى فى مقامات العاليات

﴿فصل﴾

اى فى متممات هذه القصة ومكملات هذه القضية (واما ما ورد فى حديث الاسراء) اى احاديث سيره الى السماء (وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى) اى حيث ظواهر الضمائر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى جبريل كما قيل (فكان قاب قوسين) اى قدرهما (اوادنى) اى بل اقرب وكون او للتنويع انسب (فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلى منقسم مابين محمد وجبريل عليهما السلام) اذقد دنا كل منهما من الآخر (او مختص باحدهما) اى بان محمدا اوجبريل دنا (من الاخر) وفيه انه لم يكن بينهما بعد حتى يقال دنا فتدلى فتدبر قال النووى المراد بالقاب فى الاية عند جميع المفسرين هو المقدار ثم اعلم ان من ذهب الى ان الدنو والتدلى مابين محمد وجبريل يقول المعنى دنا جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى اى نزل عليه وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأله ان يراه على صورته التى جبل عليها فقال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعنى قال فمنى قال لايسعنى قال فبعرفات قال ذلك بالحرى ان يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للوقت فاذا جبريل قد استوى له اى قام فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح وهو بالافق الاعلى اى فى جانب المشرق فى اقصى الدنيا عند مطلع الشمس فسد الافق من المغرب فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كبر وخر مغشيا عليه فتدلى جبريل عليه السلام فنزل عليه حتى اذا دنا منه قدر قوسين افاق فرآه فى صورة الادميين كما فى سائر الاوقات فضمه الى نفسه وقال لاتخف يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ماظننت ان احدا من خلق الله

هكذا قال كيف لو رأيت اسرافيل عليه السلام ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد خرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوضع يعني كالعصفور الصغير قيل ولم ير جبريل عليه السلام احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد فانه رآه فيها مرة في الارض ومرة في السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ذكره الانطاكي (اومن سدرة المنتهى) وهذا في غاية من البعد على ما لا يخفى (قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن ابي حاتم (هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب) بضم الراء (وتدلى زاد في القرب) اظن لامعنى له غيره (وقيل هما بمعنى واحد) اى جمع بينهما للتأكيد اى قرب غاية القرب والاول اظهر لان التأسيس هو الاكثر ولان زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى وقال ابن الاعرابي تدلى اذا قرب بعد علو (وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن جرير (هو الرب دنا من محمد) اى تجلى بوصف القرب له واما قول الدلجي دنو علم فلبس في محله اذ لاخصوصية له ولا بمقامه ثم لامعارضة بين قولي ابن عباس اذ نسبة القرب بينهما متلازمة بل اضافته الى الرب هو الحقيقة فانه لولا قربه لما تصور تقربه كما حقق في قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه (فتدلى اليه) اى نزل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (اى امره وحكمه) يعني على حذف مضاف او ارتكاب مجاز والانسب في معناه قرب الرب منه فتقرب اليه والاول يسمى قرب الفرائض والثاني قرب النوافل هكذا قرره بعض ارباب الفضائل (وحكى النقاش عن الحسن) اى البصري (قال دنا) اى الرب الامجد (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى فقرب منه) اى قرب مكانة لاقرب مسافة وقرب انعام لاقرب اقدام وقرب عناية لاقرب غاية (فاراه ماشاء ان يريه من قدرته وعظمته) اى مما لا اطلاع لاحد على تفصيل جملته وفيه ايماء الى تفسير قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (قال) اى الحسن او النقاش وهو الاقرب والانسب (وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو) اى مجموع قوله دنا فتدلى (مقدم ومؤخر) اى فيه تقديم وتأخير كما بينه بقوله (تدلى الرفرف) وهو بساط اخضر من نحو الديباج وقيل ما تدلى من الاسرة من غالي الثياب والبسط وقيل هي المرافق وقيل النمارق والطنافس وقيل كل ثوب عريض وقيل هو البساط مطلقا (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج بجلس عليه ثم) وفي نسخة حتى (رفع) اى بصيغة المجهول اى لربه (فدنا من ربه) اى دنوا بالنسبة اليه (قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما سبق عنه (فارقني جبريل) اى في مقام قرب الجليل وقال لو دنوت انملة لاحترقت (وانقطعت عني الاصوات) اى اصوات الملائكة وسائر المخلوقات (وسمعت كلام ربي) اى بجميع الحواس من جميع الجهات وهذا في المعنى هو تجلي الذات بجميع الصفات (وعن انس في الصحيح) اى على مارواه شريك ابن ابي نمير (عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار) اى القاهر لعباده على وفق مراده (رب العزة) اى الغلبة والقوة في القدرة (فتدلى) اى الجبار (حتى كان منه) اى من سيد الابرار (قاب قوسين) اى قدره وهو غاية القرب في الكونين (اوادنى) اى بل اقرب مما يوصف بالقرب للمريد فانه في مقام المزيد اقرب من حبل الوريد (فاوحى اليه بماشاء) اى من غير واسطة احد من العبيد ثم التقدير في الاية مكان مسافة قربه مثل قدر قوسين عربيين وفي انوار التنزيل والمقصود من الاية تحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفي البعد الملبس (واوحى اليه خمسين صلاة) اى بان يصلي هو والامة في كل يوم وليلة (ثم خففت حتى قال يامحمد هي خمس وهي خمسون) اى خمسون حقيقة او حكما لايبدل القول لدي في انها خمسون في الجملة وفي رواية انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة هذا الحديث في الصحيح من رواية شريك عن انس وقد استغرب الذهبي في الميزان هذا اللفظ فقال بعد ان ذكر حديث الاسراء الى ان قال ثم علا به فوق ذلك مما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذا من غرائب الصحيح كذا ذكره الحلبي (وعن محمد بن كعب) اى القرطبي كما في نسخة (هو) اى المراد بمن في الاية (محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين) اى في مقام قربه لكمال حبه ووقع في اصل الدلجي هو محمد دنا محمد فتكلف له بان وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بذكره الا انه مخالف لما في الاصول (وقال جعفر بن محمد) اى الصادق (ادناه ربه منه) اى غاية الدنو وهو يحتمل جعل فاعل دنا الرب او محمد والاول اقرب (حتى كان منه كقاب قوسين) ما احسن هذه العبارة من زيادة الكاف المفيدة بحسب الاشارة الى انه ليس مقدار قوسين في المسافة في مقام القرب المعنوي بل يشبهه باعتبار القرب الحسي كما يستفاد هذا المعنى من قوله الآتي (وقال جعفر بن محمد) اى الصادق ولم يطلقه لئلا يلتبس بجعفر الطيار (والدنو من الله لاحد له) اى لايدخل تحت حدود العبارة ولا في ضمن وجود الاشارة على وفق سائر حقايق صفاته فضلا عن حقيقة ذاته (ومن العباد بالحدود) اى والدنو من العباد لايتصور الا بالحدود الغائية المنتهية الى غاية ونهاية في الشهود (وقال) اى جعفر (ايضا)

اى حال كونه معاودا منتقلا الى معنى الكلام فى الدنو ومقام المرام (انقطعت الكيفية عن الدنو) اى عن معرفة كنهه وحقيقته (الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام) بفتح الحاء اى الرب الجليل (عن دنوه) اى دنو الخليل فكيف يطمع غيره الى معرفة سواء السبيل مع اختلاف فى القال والقيل (ودنا محمد الى ماأودع قلبه) بصيغة المفعول اوالفاعل (من المعرفة والايمان) اى من كمال المعرفة وزيادة الايمان المنتجة الى مقام الاحسان وشهود العرفان (فتدلى بسكون قلبه الى ماأدناه) اى قربه اليه واشرق بأنوار المعارف واسرار العوارف لديه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) اى عن توهم حلول الشك حول ذلك الجناب فى حصول فتح هذا الباب والله تعالى اعلم بالصواب وهذا معنى خاص فى الاية على طريق الاشارة القريب الى معنى العبارة (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) اى المصنف (اعلم ان ماوقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله) اى لعبده (او الى الله) اى من عبده (فليس بدنو مكان) اى مسافة بل دنو عناية ومكانة (ولاقرب مدى) بفتح الميم والدال منونا اى ولاقرب غاية ونهاية تعالى الله عن الاتصال والانفصال والحلول والاتحاد ومايقوله ارباب الضلال والاضلال (بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد) اى يحس ببصر او يدرك بنظر (وانما دنو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه) عطف تفسير (ابانة عظيم منزلته) اى اظهار عظمته ومرتبته (وتشريف رتبته) اى واظهار شرف رتبة قربته الناشئة من نهاية محبته وغاية طاعته (واشراق انوار معرفته) اى بذاته وصفاته (ومشاهدة اسرار غيبه) اى مغيباته فى ملكوت ارضه وسمواته (وقدرته) اى على ما تعلقت به مشيئة من وجود مخلوقاته (من الله تعالى) اى من جهته سبحانه وتعالى وهومتعلق بابانة ووقع فى اصل الدلجى زيادة الواو والعاطفة وهو مخالف لما فى الاصول المعتبرة (له) اى سبحانه وتعالى فى حق نبيه اولنبيه فى مقام قربه (مبرة) بفتح الميم والباء وتشديد الراء بمعنى البراى مزيد جزيل فوائده اليه وجميل عوائده عليه (وتأنيس) اى وزيادة انس (وبسط) اى غاية انبساط (واكرام) اى وظهور احسان وانعام (ويتأول) بصيغة المجهول (فيه) اى فى دنوه سبحانه وتعالى من نبيه (ماتؤول فى قوله) اى على ماورد فى الكتب الستة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا (ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة) اى يأول دنوه تعالى منه بمايأول به نزوله سبحانه وتعالى (على احد الوجوه) اى من ان نزوله انما هو يكون (نزول افضال واجمال وقبول واحسان) والمعنى انه تعالى يتجلى ذلك الزمان بهذه الصفات من افاضة الفضل وافادة الكرم ورعاية القبول ونهاية الاحسان (قال الواسطى من توهم) اى من المريدين (انه بنفسه) اى بحوله وقوته (دنا) اى قرب من ربه (جعل ثمه) بفتح المثلثة وتشديد الميم اى فى ذلك المقام (مسافة) اى ولامسافة فى قربه للاستحالة (بل كلما دنا بنفسه من الحق) اى بزعمه (تدلى بعدا) اى فى حقيقة امره ونتيجة حكمه (يعنى) تفسير من المصنف اوغيره اى يريد (عن درك حقيقته) بسكون الراء وفتحها اى بعد عن ادراك حقيقته وتصور حقيته اذ هو منزه عن شمول احاطته (اذلا دنو للحق ولابعد) اى دنو مسافة ولابعد مساحة واماقوله تعالى فانى قريب فتمثيل لكمال علمه واجابته (وقوله قاب قوسين اوادنى) يحتمل احتمالين فى المعنى (فمن جعل الضمير) اى فى دنا ويروى فان جعل الضمير (عائدا الى الله لاالى جبريل عليه السلام على هذا) اى يحتاج الى تأويل وهو انه (كان) اى الدنو (عبارة عن نهاية القرب) اى المعنوى (ولطف المحل) اى المقام الانسى (وايضاح المعرفة) من باب الافعال اوالافتعال اى وضوح المعرفة فى مقام المشاهدة ويروى المنزلة بدل المعرفة (والاشراف) بالفاء وفى نسخة بالقاف اى الاطلاع (على الحقيقة) اى المنزهة عن المسافة (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من جهته ورعايته (وعبارة) بالنصب عطف على عبارة السابقة (عن اجابة الرغبة) اى مرغوباته (وقضاء المطالب) باداء مطلوباته (واظهار التحفى) بفتح المثناة الفوقية والحاء المهملة وتشديد الفاء المكسورة اى المبالغة فى ظهور البر والاحسان اوفى اظهار العلم والايقان يقال تحفى فلان بصاحبه اى بالغ فى بره وتلطفه بالسؤال عن حاله ومنه قوله تعالى انه كان بى حفيا قال الزمخشرى هوالبليغ فى البر (وانافة المنزلة) اى رفعة الرتبة اوزيادتها ويروى ابانة من البيان (والمرتبة) اى القربة (من الله له ويتأول فيه) اى فى هذا الدنو (مايتأول فى قوله) اى المروى فى صحيح البخارى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا) هذا الحديث القدسى والكلام الانسى تمثيل لقرب معنى القرب المعنوى فى لباس القرب الحسى فانه واقع فى النفس الانسى (ومن اتانى يمشى) اى فى طاعته (اتيته هرولة) اى سقته مسرعا بجزاء عطيته او بتوفيق عبادته فالدنو فى الاية والقرب فى الحديث (قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول) اى واسراع لتحصيل المسئول لكن بين المقامين بون بين و بين القربين تباين متعين فلا تقاس الملوك بالحدادين لتفاوت مراتب المقربين ومنازل السالكين من المحبين والمحبوبين نفعنا الله ببركاتهم اجمعين

﴿ فصل ﴾

﴿ فصـل ﴾

(في ذكر تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي) اى الشهيد (ابو علي) اى الحافظ ابن سكرة (ثنا ابو الفضل) اى ابن خيرون (وابو الحسين) بالتصغير وفي نسخة ابو الحسن بفتحتين والاول هو الصواب على ما حققه الحلبي وهو المبارك بن عبد الجبار (قالا) اى كلاهما (حدثنا ابو يعلى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا السنجي) بكسر السين وسكون النون بجيم منسوبا (ثنا ابن محبوب) هذا هو ابو العباس المحبوبي راوى جامع الترمذى عنه (ثنا الترمذى ثنا الحسين بن يزيد الكوفي) هو الطحان (ثنا عبد السلام بن حرب) اى النهدى يروى عن عطاء بن السائب وغيره وعنه ابن معين ونحوه اخرجه الائمة الستة (عن ليث) اى ابن ابي سليم الكوفي احد الاعلام روى عن مجاهد وطبقته ولا نعلم انه لقي صحابيا وعنه شعبة وخلق وفيه ضعف يسيرة من سوء حفظه وكان ذا صلاة وصيام وعلم كثير وبعضهم احتج به (عن الربيع بن انس) تقدم (عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا) اى من القبر (اذا بعثوا) بصيغة المفعول اى اثيروا من قبورهم ولشروا (وانا خطيبهم) اى متكلم عنهم فيما بينهم (اذا وفدوا) اى قدموا على ربهم (وانا مبشرهم) اى بما يسرهم (اذا يئسوا) اى قنطوا من رحمة ربهم من شدة حسابهم وهول عذابهم (لواء الحمد) اى يومئذ كما في الجامع الصغير (بيدى) اى لانفراده بالحمد الذى يلهم به اولانه يحمده الاولون والآخرون تحت لوائه كما قال آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولذا سمي مقاما محمودا وهو قيامه بالشفاعة العظمى واصل اللواء الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش وموضوع اللواء شهرة مكان الرئيس ليعتمدوا عليه ويرجعوا اليه (وانا اكرم ولد آدم) اى هذا الجنس (على ربي) اى عنده (ولا فخر) اى ولا اقول هذا فخرا من اثر عجبي بل تحدثا بنعمة ربي (وفي رواية ابن زحر) بفتح زاي فسكون حاء مهملة فراء وهو عبيد الله بن زحر الافريقي العابد يروى عن علي بن يزيد وابن اسحق وطبقتهما وله مناكير ضعفه احمد وقال النسائي لا بأس به وقد اخرجه البخاري في الادب المفرد (عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث) لعله من طريق اخرى للمصنف غير طريق الترمذى فاندفع به قول الحلبي هذه الرواية ليست في الكتب الستة فضلا عن الترمذى وتوجيه قول الدلجي ان هذه رواية ابي نعيم في الدلائل عن ابن زحر ثم رأيت التلمساني ذكر انه ثبت بخط القاضي وفي رواية ابن زحر والربيع بن انس يعني بالعطف وعند العرفي عن الربيع عن انس يعني كما في الاصل وعلى كلا الوجهين المروى عنه هو انس بن مالك (انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا) اى مقدمهم وفي الحديث قريش قادة رادة (وانا خطيبهم اذا انصتوا) اى سكتوا ولم يقدروا ان يتكلموا فاعتذر لهم عما فعلوا (وانا شفيعهم اذا حبسوا) اى وقفوا يوم القيامة فيموج بعضهم في بعض فيفزعون الى الانبياء فيقول كل نفسي نفسي فيأتونه فيشفع لهم الشفاعة العظمى لفصل القضاء (وانا مبشرهم اذا ابلسوا) بضم همز وسكون موحدة وكسر لام فسين مهملة اى يئسوا وتحيروا ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون وبه سمي ابليس وكان اسمه عزازيل هكذا ذكره التلمساني وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمز من اليأس وروى بتقديم الهمز على الياء من الاياس وهو قطع الرجاء (لواء الكرم) اى الذى ترتب عليه الحمد (بيدى) اى بتصرفي واصل اللواء العلم والراية ويجوز ان يراد به حقيقته وهو الاولى لان الرئيس علامته اللواء ويجوز ان يكون اشارة لرفعة مقامه وظهور مرامه ويؤيد الاول ما ورد من انه يكون يوم القيامة لكل متبوع لواء يعرف به انه قدوة حق او اسوة باطل وجاء في حديث عقبة ابن عامر ان اول من يدخل الجنة الحمادون لله تعالى على كل حال يعقد لهم يوم القيامة لواء فيدخلون الجنة ثم قيل اللواء ما كان مستطيلا والراية ما كان مربعا والاظهر ان اللواء هو الراية العظيمة فهي اعم والله تعالى اعلم (وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) اى ولا اقول فخرا بل امتثل امرا (ويطوف على الف خادم) اى من افضل خدام اهل الجنة (كانهم لؤلؤ مكنون) اى مصون عن الغبار والصفار مثل الدر في الصدف على طراوته او المصان المدخر لنفاسته وفي اللؤلؤ اربع لغات الهمز فيهما وتركه وهمز الاولى مع ترك الثانية وعكسه ويسمى كباره المرجان لقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان لان المراد الحمرة والبياض والله تعالى اعلم وخلاصة المعنى انهم في الحسن والبياض والصفاء والضياء كانهم لؤلؤ مستور في صدفه لم تمسه الايدى من الكن وهو الستر (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما روى الترمذى وصححه (واكسى) بصيغة المجهول اى والبس (حلة) اى عظيمة (من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش) تلويح بقربه من ربه وكرامته في مقام حبه (ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى) يعني به المقام المحمود وصدر الحديث على ما في الجامع الصغير من رواية الترمذى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة الحديث (وعن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه) اى الخدرى

كما في نسخة وقد رواه احمد والترمذي وحسنه وابن ماجه عنه مرفوعا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة) قيد به لظهور سيادته ووضوح رياسته مطلقا فيه لكل احد من غير منازع ولا مدافع و في الاصول ولا فخر هنا ايضا (وبيدي لواء الحمد ولا فخر) اي الابمثل هذا (وما نبي) وفي نسخة ولا نبي وفي نسخة صحيحة وما من نبي (يومئذ آدم) بالنصب و يجوز رفعه (فمن سواه) بكسر السين وضمها اي فمن بعده ولو كان افضل منه كابراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام كما يستفاد من العطف بالفاء دون الواو (الا تحت لوائي) ووقع في اصل الدلجي آدم يومئذ فمن سواه فتكلف في توجيهه بقوله اعتراض بين النفي والاستثناء افاد ان آدم بالرفع بدلا او بيانا من محله (وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر) وفي الاصول هنا زيادة وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه مسلم وابوداود (انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع) بفتح الفاء المشددة اي اول مقبول في الشفاعة وانما ذكر الثاني باعادة اول لانه قد يشفع اثنان فيشفع الثاني منهما قبل الاول ذكره النووي ففي البخاري يحبس المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا الى ان قال فيأتونني فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء ان يدعني فيقول محمد ارفع وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما روى الترمذي والدارمي (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) اي الا بهذا قيل يعارض هذا الحديث ونحوه ماروي عنه عليه الصلاة والسلام اللواء يحمله يوم القيامة علي واجيب بان حديث علي هذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات قيل ولئن صح فالجواب ان عليا لما كان حاملا للواء بامره اضاف حمله الى نفسه والاولى ان يقال لواء علي خاص له اولاشياعه وكذا لابي بكر واتباعه وكذا لكل امام وشيخ مقتدى مع تلاميذه ومريديه لما تقدم والله تعالى اعلم (وانا ول سافع واول مشع ولا فخر) اي بهذا بل لي عندالله فوق ذلك مما افتخر به هنالك (وانا اول من يحرك حلق الجنة) اي بابها للاذن بدخولها والحلق بفتحتين وقد تكسر حاؤه جمع حلقة (فيفتح لي) بصيغة المجهول (فادخلها فيدخلها معي) اي من امتي (فقراء المؤمنين) اي المهاجرين وغيرهم على مراتبهم (ولا فخر) اي في هذا المقام الا بالفقر واما حديث الفقر فخري فموضوع كما صرح به الحفاظ ثم الفقر قد يكون مذموما كما ورد كاد الفقر ان يكون كفرا ومنه اعوذ بك من الفقر والمحمود منه انما هو بغنى النفس كما ورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونعم ماقيل

﴿ غنى النفس مايكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا ﴾

وقد قال الله تعالى والله الغني وانتم الفقراء والفقير الحقيق هو الذي يرى دوام افتقاره في حال اضطراره واختياره (وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر) اي الا بالغيبة عنهم وبالحضور مع ربهم (وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما روى مسلم (انا اول الناس يشفع) وفي نسخة يسفع بتسديد الفاء المفتوحة (في الجنة) اي لرفع درجات المطيعين ولدخول العصاة من المؤمنين (وانا اكثر الناس) اي من الانبياء (تبعا) ولعله في مسلم على ما في الجامع الصغير انا اكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وانا اول من يقرع باب الجنة (وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيحين (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك) كانه قيل الله ورسوله اعلم فقال اولما علم انهم لايدرون ماهنا لك قال (يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة) وهو اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم ليسفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فيأتونني فاقول انا لها الحديث اي انا الكائن لها والمتكفل بها ومن ثم قيل انت لها احد من بين البسر (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال اطمع ان اكون اكثر الانبياء اجرا يوم القيامة) لانه اعظمهم في المسقة بما كلف من عموم الدعوة مع تمرد الكفرة وعتو الفجرة اوالمعنى اكرهم اجرا لكون امته اكثرهم نفرا (وفي حديث آخر) اي عنه او عن غيره (اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم) اي محشورين في جملتكم (يوم القيامة) اما تخصيص ابراهيم عليه السلام فلقوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ولموا فقته في كمال التوحيد في مقام التفريد كما يسير اليه قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولكونه جده ومنه جده واما عيسى عليه السلام فلما انه يتبعه في ملته بعد نزوله من رفعته ويدفن بعد موته في تربته (ثم قال انهما في امتي يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي) اي اثر اجابة دعائي حيث قلت في ندائي ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم (وذريتي) اي وانت من ذريتي المذكورة في دعوتي ايضا بقولي ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد الآية ولانزاع انه من نسل ولده اسمعيل وانه لم يبعث منهم نبي سواه فهو المجاب به دعوته

﴿ واما ﴾

(واما عيسى عليه السلام فالانبياء) اى جميعهم (اخوة) اى اولاد اب واحد حقيقة وكذا حكما لا تفاقهم فيما بعثوا
لاجله من توحيد وايمان بما يجب تصديقه ودعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى نظام معاشهم وتمام مرادهم فى معادهم
فتساويهم فى اصولهم اعتقادا كان لهم كاب واحد ولتفاوتهم واختلافهم فى بعض فروعهم عملا (بنو علات) بفتح
عين مهملة وتشديد لام اى اولاد امهات مختلفات وابوهم واحد بنو الاخياف لمن امهم واحدة والاباء مختلفون
وبنو الاعيان لمن امهم واحدة وكذا ابوهم واحد كما بينه بقوله (وامهاتهم شتى) بفتح سين وتشديد تاء جمع شتيت
كرضى جمع مريض اى متفرقات فى نسبة الولادات التى يتولد منها الاختلافات (وان عيسى اخى) اى بالخصوص
من حيث انه بشر بى قبلى وقام بدينى بعدى ويروى وان عيسى (ليس بينى وبينه نبى) ففيه كمال اتصاله بى وكانه جارلى
فى مقامى (وانا) ويروى فانا (اولى الناس به) اى احقهم ببره واخصهم باتصاله بى وقد روى البخارى ومسلم انا
اولى الناس بعيسى ابن مريم فى الاولى والآخرة الانبياء بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبى
واما ماذكره فى مستدرك الحاكم من ان فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام بعض الانبياء كخالد بن سنان فاسانيده
لا تقاوم الصحيح وعلى فرض صحته يقال المعنى ليس بيننا نبى مرسل (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم اى فى الحديث السابق
(انا سيد الناس) وفى نسخة ولد آدم (يوم القيامة) اتى بقيده ليفيد ظهوره كقوله تعالى والامر يومئذ لله ومالك
يوم الدين والملك يومئذ الحق للرحمن (هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيامة) اى ومابعده من العقبى (ولكن اشار عليه
السلام لانفراده) اى الى اختصاصه (فيه بالسودد) بضم السين وسكون الواو وفتح الدال اولى (والشفاعة) اى
العظمى (دون غيره اذ لجأ الناس اليه فى ذلك) تحتمل اذان تكون تعليلية وان تكون حينية ظرفية (فلم يجدوا سواه)
اى ملجأ وملاذا يعتمدون عليه (والسيد هو الذى يلجأ الناس اليه فى حوائجهم) اى فى قضائها (وكان حينئذ) اى وقت
يلجأون اليه ويتضرعون لديه (سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى ذلك) اى ممن استحق السيادة (ولا ادعاه)
اى احد ممن لا يستحقها وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال تعالى) اى يوم القيامة (لمن الملك اليوم) فلا يجيبه
احد من هول ذلك المشهد فيجيب نفسه بقوله بعد (لله الواحد القهار والملك له تعالى) اى والحال ان حقيقة الامر
ناطقة بانه له الملك (فى الدنيا والآخرة لكن فى الآخرة) لكون زوال اسبابه وارتفاع وسائطه (انقطعت دعوى المدعين
لذلك) اى للملك او الملك فى الجملة (فى الدنيا) اى لغفلتهم عن نعت المولى (ولذلك لجأ الى محمد جميع الناس فى الشفاعة)
اى ليريحهم من هول تلك الساعة (فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى) اى من احد كان يدعى السيادة فى الدنيا
(وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى) بمد الهمزة اى اجئ (باب
الجنة يوم القيامة فاستفتح) اى فاطلب فتحها لادخلها (فيقول الخازن) اى رضوان (من انت) قيل واسم خازن
النار مالك وناسب كل اسم ما وكل عليه فالجنة دار الكرامة والرضى فناسب رضوان والنار دار المشقة والعذاب
والشدة فناسب مالك كذا ذكره التلمسانى ولا يبعد ان يقال لان الجنة انما تحصل بالرضى عن المولى والنار انما تنشأ
عن طلب الملك والملك فى الدنيا (فاقول محمد فيقول بك) اى بسببك (امرت ان لا افتح لاحد قبلك) او امرت
ان افتح لك حال كونى لا افتح لاحد قبلك (وعن عبد الله بن عمرو) اى ابن العاص كما فى الصحيحين (قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى) اى مسافته او دورته ومساحته (مسيرة شهر) اى قدر سير شهر
(وزواياه) بفتح الزاى جمع زاوية اى نواحيه (سواء) بفتح السين ممدودا اى مستوية اى لتربيع ارضه لا يزيد طوله
على عرضه قيل اركانه اربعة وسقاته اربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فمن ابغض
واحدا لم يسقه الآخرون واورد التلمسانى حديثا فى هذا المعنى ولكن الله تعالى اعلم بصحة المبنى (وماؤه ابيض)
افعل تفضيل وهو حجة للكوفى على البصرى اى اشد بياضا (من الورق) بكسر الراء وسكونها وحكى كسر الواو
وسكون الراء ونسب الى الفراء وحكى فتحهما الصغانى وادعى انه قرئ بها فى قوله تعالى بورقكم اى الفضة
او الدراهم المضروبة وفى نسخة من اللبن بدل من الورق والاول هو المذكور فى جميع نسخ صحيح مسلم والثانى وقع فى
نسخة المصابيح والجمع بتعدد الرواية (وريحه اطيب من المسك) اى من ريحه وفى تخصيصه ايماء الى انه افضل نوع من
جنس الطيب (كيزانه) جمع كوز (كنجوم السماء) اى كثرة واضاءة وهى من ذهب وفضة كما فى رواية ثم قيل المراد به
الكثرة لا عددها على الحقيقة والصواب ماقاله النووى من ان العدد على ظاهره ولا مانع شرعا ولا عقلا مما ثبت نقلا
لاسيما وقد ورد مؤكدا بالقسم فى حديث والذى نفسى بيده لاكثر من عدد نجوم السماء (من شرب منه لم يظمأ) اى لم
يعطش (ابدا) اى بعده وفيه اشكال سيذكر فى آخر الفصل حله (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه نحوه) اى على مارواه
مسلم (وقال) اى ابو ذر فى حديثه هذا (طوله ما بين عمان) بضم العين وتخفيف الميم من قرى اليمن وبفتح العين وتشديد

الميم من قرى الشام بالبلقاء من اقصى حوران والمعروف انه غير مصروف والمعنى ان مسافة مابين طرفيه طولا مثل المسافة منها (الى ايلة) بهمزة مفتوحة وتحتية ساكنة قرية في آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين المدينة ودمشق وثمان مراحل بينها وبين مصر قيل هي التي قال الله تعالى واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر هذا وقد قال ابن قرقول عمان التي في الحوض رويناه بفتح العين وتشديد الميم وهي قرية بالشام من عمل دمشق وكذا قاله الخطابي وحكى ايضا فيه تخفيف الميم وفي الترمذي من عدن الى عمان البلقاء والبلقاء بالشام قال البكري ويقال فيه ايضا عمان بالضم والتخفيف وزعموا انه المراد بالحديث لذكره مع ايلة جرباء واذرع والكل من قرى الشام واما عمان التي ببلاد اليمن فبالضم والتخفيف لاغير ووقع في كتاب ابن ابي شيبة مايدل على انها المراد في حديث الحوض لقوله مابين بصرى وصنعاء اليمن ومثله في البخاري وفي مسلم وعرضه من مقامي الى عمان بالفتح والتشديد عند الصدفي وعند غيره بالضم والتخفيف وقال ابن الاثير حديث الحوض من مقامي الى عمان هي بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين وله ذكر في الحديث وقال السهيلي بالضم والتخفيف قرية باليمن سميت بعمان بن سنان من ولد ابراهيم فيما ذكروا وبالفتح والتشديد قرية بالشام قرب دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان يسكنها فيما ذكر وقال الحافظ المزي يتعين الضم والتخفيف فان في الحديث الاخر ايلة وصنعاء . (ينخب) بفتح الخاء وضمها من شخب اللبن كنع ونصر اى يسيل سيلا نا شديدا متواليا وقيل يصب بصوت وفي رواية يغت بغين معجمة وتاء مثناة ومعناه اتباع الصب وروى يعب بعين مهملة وباء موحدة ومعناه الشرب بسرعة في نفس واحد وفي رواية ابن ماجه يثعب بثاء مثلثة وعين مهملة وباء موحدة ومعناه يتفجر (فيه) اى في ذلك الحوض (ميزابان) بكسر الميم وسكون الياء وقد يهمز اذ اصله الهمز وقد يشدد تثنية ميزاب وهو مثعب الماء اى الجدول الذي يجري منه الماء الى الحوض لكن في التعبير عنه بالميزاب اشعار بان ارض الموقف في اسفل (من الجنة) اى من انهارها (وعن ثوبان مثله وقال) اى ثوبان في روايته فيما رواه مسلم (احدهما من ذهب والاخر من ورق) اى فضة وانما نوع للزينة كما في الحلي المرصعة والعمارات المزخرفة (وفي رواية حارثة بن وهب) اى فيما رواه الشيخان عنه وهو بالحاء المهملة وبعد الراء ثاء مثلثة خزاعي له صحبة وهو اخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لامه (كما بين المدينة وصنعاء) بفتح الصاد وسكون النون ممدودة قاعدة اليمن ومدينته العظمى وهي من عجائب الدنيا كما قال الشافعي واما صنعاء الروم فقرية في ناحية ربوة دمشق والله تعالى اعلم (وقال انس رضي الله تعالى عنه ايلة وصنعاء وقال ابن عمر) اى فيما رواه الشيخان عنه (كما بين الكوفة والحجر الاسود) واختلاف الروايات يدل على ان المراد كثرة طوله وانما ورد تقديره تمثيلا لكل احد بحسب بعده وتقريبا لفهمه (وروى حديث الحوض ايضا انس) كما في الصحيحين (وجابر بن سمرة) فيما رواه مسلم وفي نسخة وجابر وسمرة فعلى تقدير صحته فقد روى جابر بن عبد الله حديثا في الحوض وهو في مسند احمد واما سمرة فلم يعرف حديثه فالصواب هو النسخة الاولى (وابن عمر) كما رواه الشيخان وابوداود (وعقبة بن عامر) كما رواه مسلم وغيره (وحارثة بن وهب الخزاعي) بضم اوله كما رواه البخاري والترمذي (والمستورد) بصيغة الفاعل على ما رواه الشيخان وهو ابن شداد بالشين المعجمة كما افاده الحلبي (وابو برزة) بفتح الموحدة وبتقديم الراء على الزاي (الاسلمي) فيما رواه ابو داود وابن حبان والبيهقي (وحذيفة بن اليماني) كما رواه مسلم وغيره (وابو امامة) على ما رواه ابن حبان والبيهقي وهو صدي بن عجلان على ما هو الظاهر والا ففي الصحابة خمسة يقال لهم ابو امامة (وزيد بن ارقم) فيما رواه احمد بن حنبل والبيهقي (وابن مسعود) كما رواه الشيخان (وعبد الله بن زيد) كما في الصحيحين (وسهل بن سعد) بروايتهما ايضا (وسويد) بالتصغير (ابن جبلة) بفتح الجيم والموحدة تابعي وقيل صحابي فكان ينبغي تأخيره عن من اتفق على صحبته رواه عنه البيهقي وابو زرعة الدمشقي في مسند اهل الشام ووقع في اصل الحلبي هنا زيادة قوله وابن بريدة وتفرع له اعتراض على المصنف لكنه مخالف لما في النسخ المصححة هذا وفي حاشية قال الصواب سويد بن غفلة بفتح الغين المعجمة والفاء وهو مخضرم عاش مائة وعشرين سنة ومات عام الفيل كذا في الاصل ولعله تصحيف وصوابه ولد عام الفيل (وابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه) فيما رواه مسلم (وعبد الله الصنابحي) بضم الصاد المهملة فنون بعده الف فموحدة مكسورة فحاء مهملة فياء نسبة قيل هو صحابي نسب الى جده صنابح رواه احمد وابن ماجه عنه (وابو هريرة رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيحين (والبراء) بفتح الباء وتخفيف الراء اى ابن عازب كما في نسخة رواه احمد والطبراني عنه (وجندب) بضم الجيم والدال ويفتح رواه الشيخان عنه وهو عبد الله بن سفيان البجلي والا ففي الصحابة من يقال له جندب غيره اثنا عشر قال ابن الاثير متى اطلق اسم جندب من غير ذكر ابيه فهو جندب بن عبد الله هذا والا فاسم ابي ذر

الغفارى جندب بن جنادة الغفارى مشهور بكنيته (وعائشة) كما فى مسلم (واسماء بنت ابى بكر رضى الله عنه) على ما فى الصحيحين (وابو بكرة) اى الثقفى رواه الطبرانى واسمه نفيع مصغرا وهو ممن اعتزل يوم الجمل ولم يقاتل مع احد من الفريقين وكان يقول انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال السهيلى وقد تدلى من سور الطائف على بكرة فتسمى ابابكرة وهو من افاضل الصحابة (وخولة) بفتح الخاء المعجمة (بنت قيس) كما رواه احمد وغيره عنها وهى انصارية نجارية زوج حمزة بن عبد المطلب (وغيرهم) رضى الله تعالى عنهم كابى بكر الصديق فى صحيح ابى عوانة والبيهقى وعمر للبيهقى فى البعث وابى بن كعب واسامة بن زيد وحذيفة بن اسيد بفتح فكسر والحسن بن على وسلمان الفارسى وسمرة بن جندب وابى الدرداء وابى معوذ كلهم فى الطبرانى واسيد بن حضير فى الصحيحين وابن عباس فى البخارى وام سليم فى مسلم وجابر بن عبد الله وعائذ بن عمرو وثابت بن ارقم وخولة بنت حكيم رواه احمد فى مسنده عنهم ولقيط ابن صبرة فى زيادات المسند وخباب بن الارت فى المستدرك وكعب بن عجرة فى الترمذى والنسائى وبريدة فى مسند البزار وعتبة بن عبيد والعرباض بن سارية فى صحيح ابن حبان والنواس بن سمعان فى كتاب ابن ابى الدنيا وعثمان ابن مظعون فى تاريخ ابن كثير وعبد الرحمن بن عوف فى الطبرانى ومعاذ بن جبل فى حادى الارواح ذكره الدلجى وقال زعم المصنف تواتر حديث الحوض والظاهر ان تواتره معنوى لا لفظى لقول ابن الصلاح وغيره لا يكاد يوجد شرطه هذا وفى نسخة بعد قوله وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر وابن بريدة ونقل عن ابن جبيران هذه الزيادة وقعت فى طرة الام بخط المؤلف بغير علامة يخرج اليها ثم ابن بريدة قال الحلبى هو تابعى فحديثه مرسل قلت المرسل حجة عند الجمهور فكيف اذا كان مع جمع حديثهم مشهور هذا وممن روى حديثا فى الحوض ولم يذكره القاضى خولة بنت حكيم وعبد الله بن عباس اخرجهما احمد فى مسنده كما ذكره الحلبى وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقى فى كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات واختلف فى ان الحوض هل هو قبل الصراط او بعده او له حوضان احدهما بعده والاخر قبله والله تعالى اعلم هذا وقد قال المصنف ظاهر الحديث ان الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار فهذا هو الذى لا يظمأ بعده قال وقيل لا يشرب منه الا من قدر له السلامة من النار قال ويحتمل ان من شرب من هذه الامة وقدر عليه الدخول لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد ومات كافرا قال وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من يشاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون خاصة قال وهذا مثله والله تعالى اعلم

﴿ فصل ﴾

(واما تفضيله بالمحبة والخلة) بضم المعجمة وتشديد اللام وسبق فيهما الكلام وسيأتى ما يتحقق به المرام فى هذا المقام (جاءت بذلك) اى بتفصيل تفضيله (الآثار الصحيحة) اى من الاخبار الصريحة (واختص) بصيغة المفعول اوالفاعل (صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله) يعنى والسنة الخلق اقلام الحق لاسيما وهذه الامة لا تجتمع على الضلالة مع كونه جاء صريحا فى بعض الاحاديث بانه حبيب الله (انا) اى اخبرنا (ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب) هو الامام المقرى يعرف بابن النخاس بالخاء المعجمة المشددة (وغيره) اى وغير ابى القاسم ايضا من المشايخ (عن كريمة) بفتح الكاف وكسر الراء هى الحرة الزاهدة (بنت احمد) اى ابن محمد بن حاتم المروزى سمعت جامع البخارى من الكشميهنى وسمعت زاهد بن احمد السرخسى وحدثت كثيرا وكانت مجاورة بمكة الى ان ماتت رحمها الله كذا ذكره الامير فى اكماله على ما نقله الحلبى فما فى بعض النسخ بنت محمد غير صحيح (نا) اى حدثنا (ابو الهيثم) اى الكشميهنى (وحدثنا) بالواو الدالة على تحويل السند وفى اصل الحلبى واخبرنا (حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه) هو ابن سكرة (نا القاضى ابو الوليد) اى الباجى (ثنا عبد بن احمد) بالوصف لا بالاضافة هو ابوذر الهروى (ثنا ابو الهيثم) اى الكشميهنى (ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) اى الفربرى (نا محمد بن اسمعيل) اى الامام البخارى (ثنا عبد الله ابن محمد) الظاهر انه المسندى ومستنداته انه من طلبة ابى عامر والا فقد روى البخارى عن اربعة كل منهم اسمه عبد الله بن محمد على ما ذكره الحلبى وقال الكلاباذى هو عبد الله بن محمد بن جعفر اليمان ابو جعفر المعروف بالمسندى لانه كان وقت طلبه يتتبع الاحاديث المسندة ولا يرغب فى المقاطيع والمراسيل (نا ابو عامر) اى عبد الملك بن عمرو ابن قيس اى العقدى بفتح العين والقاف بصرى اخرج له الستة (نا فليح) بضم الفاء وفتح اللام فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة ابن سليمان العدوى مولاهم المدنى واسمه عبد الملك ولقبه فليح محتج به فى الصحيحين وقال ابن معين وابو حاتم والنسائى ليس بالقوى اخرج له الائمة الستة (نا ابو النضر) بالضاد المعجمة هو سالم ابن ابى امية المدنى التابعى (عن بسر) بضم موحدة وسكون سين مهملة (ابن سعيد) اى ابن الحضرمى المدنى الزاهد مات ولم يخلف كفنا

(عن ابي سعيد) اى الخدرى (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لوكنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابابكر) اى خليلا والمعنى جعلته مخصوصا بالصداقة والمحبة وهو فعيل من الخلة بالضم وهى الصداقة التى تتخلل باطن القلب فالخليل الصديق الواد فعيل بمعنى الفاعل كما فى هذا الحديث وانما قال ذلك لقصر خلته على حب ربه وربما ورد بمعنى مفعول وهو المناسب لقوله (وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) كما سيأتى مصرحا فى حديث ابن مسعود وربما يفرق بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ابراهيم عليه السلام بهذا التغاير فى المعنى مع الاشتراك فى المبنى والحديث الاول رواه البخارى فى فضل ابى بكر وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى ايضا (ومن طريق عبدالله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا ومن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الدارمى والترمذى عنه (قال جلس ناس) اى جمع (من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينتظرونه) اى خروجه اليهم ووصوله لديهم رجاء انزال فيضه عليهم (فخرج) اى من مقامه متوجها اليهم (حتى اذا دنا منهم) اى قرب (سمعهم) وفى رواية فخرج سمعهم اى حال كونه قد سمعهم (يتذاكرون) اى متذاكرين كلاما فيما بينهم (فسمع حديثهم) اى حققه وفهمه (فقال بعضهم عجبا) اى نعجبا (ان الله) بالكسر او نتعجب عجبا ان الله بالفتح (اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) اى كما اخبره تعالى وقد سقط لفظ ابراهيم من اصل الدلجى فقال يريد ابراهيم عليه السلام (وقال آخر) اى بعض او صحابى آخر (ماذا) اى ليس هذا وهو اتخاذ الله ابراهيم خليلا (باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما) اى كما اخبر تعالى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) الفاء فصيحة اى اذا ذكرتم خليل الله وكليمه فى مقام الافتخار فاذكروا عيسى فانه كلمة الله خلقه بامر كن من غير اب او اضافة للتشريف اى كلمته مقدمة له عنده سبحانه ودعوته مستجابة لديه وهو روح مجرد من عند ربه نفخ فيه بغير واسطة او رحمة منه (وقال آخر آدم اصطفاه الله) اى فى اصل خلقته من غير واسطة من اب وام فى فطرته وجعله ابا البشر وجد الانبياء والاصفياء وذكره فى كتابه بوصف الاجتباء وحاصل كلامهم انه يتوهم من هذه الاوصاف لهم انهم افضل من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حيث ما بلغهم صريحا انه اختص ببعض المقامات العاليات كما يشير اليه قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات (فخرج عليهم) اى وصل اليهم (فسلم) فتكراره ليناط به غير ما نيط به اولا او خرج اولا من مكان الى آخر فسمع قولهم مارا ثم خرج منه وسلم عليهم (وقال قد سمعت كلامكم) اى فى تخصص بعض الرسل ببعض الفضائل (وعجبكم) اى واظهار تعجبكم باختصاصهم ببعض الشمائل كما بينه قوله (بان الله) الخ وتكلف الدلجى حيث قدر له عاملا بقوله اى ادركت عجبكم وجعله من قبيل قلدته سيفا ورمحا وعلفتها تبنا وماء باردا وتبعه الانطاكى ورأيت بخط قطب الدين عيسى الصفوى انه لا حاجة الى هذا التكلف فان المراد سماع ما يدل على تعجبهم هذا وفى نسخة صحيحة ان الله وهى بكسر الهمز او بفتحه (اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك) اى خليله او اتخاذه محقق (وموسى نجي الله) اى كما قال الله تعالى وقربناه نجيا من المناجاة وهى المكالمة سرا (وهو كذلك) اى نجيه او امره كذلك (وعيسى روح الله وهو كذلك) اى ذو روح منه خلقه بلا واسطة اب (وآدم اصطفاه الله) اى اجتباه (وهو كذلك) اى صفاه بالنبوة والرسالة كما قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (الا) اى تنبهوا لخصائصى مع اشتراكى معهم فى الاصطفاء كما قال (وانا حبيب الله) بمعنى محبوبه الذى هو اخص من كل مرتبة ومقام عند ربه (ولا فخر) اى ولا اقوله فخرا بل تحدثا بنعمته شكرا (وانا حامل لواء الحمد) كما قال فى حديث آخر وآدم ومن دونه تحت لوائى (يوم القيامة) اى فى المحشر الاكبر فى المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون (ولا فخر) اى الا بقربى لربى (وانا اول شافع) اى فى الشفاعة العظمى اى كل مرتبة من مراتب الشفاعات الحسنى (واول مشفع) اى مقبول الشفاعة (ولا فخر) اى بالنسبة الى ما لى من الذخر (وانا اول من يحرك حلق الجنة) بفتح الحاء واللام وبكسر اوله اى حلق بابها (فيفتح الله لى) اى بامره رضوان الجنة بان يفتح لى كما فى رواية (فيدخلنيها) اى الله بفضله وكرمه كما قال الا ان يتغمدنى الله برحمته (ومعى فقراء المؤمنين) اى بعمومهم على تفاوت مراتبهم مقدمون على اغنيائهم على اختلاف احوالهم وهو لا ينافى ما ورد بلفظ ومعى فقراء المهاجرين لانهم افضل فقراء المؤمنين ووقع فى اصل الدلجى ما يخالف الاصول المعتبرة (ولا فخر) اى بهذا ايضا لانه ورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وانا اكرم الاولين والآخرين) اى من الخلائق اجمعين وهذا فذلكة الكلام ونتيجة المرام (ولا فخر) اى فى هذا المقام ايضا اذ الفناء عن السوى والبقاء فى حضرة اللقاء هو المقام الاسنى والحالة الحسنى (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى من احاديث الاسراء (من قول الله تعالى) وفى نسخة فى قول الله اى فى جملة قوله سبحانه وتعالى (لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انى اتخذتك خليلا) اى كما اتخذت ابراهيم

فجمع له بين كونه خليلا وحبيبا فله فى المزية زيادة مرتبة المحبوبية كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله اى يحصل لكم حظ من المنزلة المحبوبية بواسطة المتابعة المطلوبية ويؤيده قوله (فهو مكتوب فى التوراة اسـ) كذا فى نسخة صحيحة من غير ضبط على هذه الصورة وهى الف بعدها سين مهملة ثم جرة وفى بعض النسخ مكتوب بازائها على الطرة ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه ان هذه اللفظة وقعت فى الام المبيضة بخط المؤلف كما هى هنا مبهمة فحكيتها كما وقعت ذكره السمنى ولا يبعد ان يكون بالتاء الفوقية فى آخر الكلمة وهى للربط فى الجملة بالفارسية وفى نسخة ضبط بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وضم الموحدة وقيل بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوق ولعلها كلمة سريانية بقرينة ذكرها فى التوراة اى انت كما فى نسخة (حبيب الرحمن) وفى نسخة احمد حبيب الرحمن ولعله مدلولها هذا وقد قال الانطاكى كذا وقع فى النسخ خليلا ولعله مصحف فقد تقدم حديث ابى هريرة هذا فى فصل ذكر تفضيله عليه الصلاة والسلام بما تضمنته كرامة الاسراء ولفظ الحديث هنالك قد اتخذتك حبيبا قال وايضا لفظ الحبيب هنا انسب بآخر الحديث وهو قوله انت محمد حبيب الرحمن قال ثم انى وقفت على نسخة قديمة قد كان اللفظ فيها اولا انى اتخذتك حبيبا ثم غيرته ايدى التحريف فصيرته خليلا وعلامة الاهمال تحت الحاء كانت باقية فيها بعد والله يعلم المفسد من المصلح قلت حمل جميع النسخ على التصحيف بعيد عن صوب الصواب وميل الى التحريف لاسيما والنسخة القديمة ايضا ظهرت سقيمة وصححت سليمة هذا من جهة المبنى واما من حيثية المعنى فلا شك ان التأسيس اولى من التأكيد مع ما فى مغايرة العبارة من الاشارة الى الجمع بين النعتين الجليلين والوصفين الجميلين ثم الظاهر ان هذا رواية اخرى عن ابى هريرة لمغايرة الفاظهما فى المحلين من الكتاب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) كذا فى الاصول المعتبرة ووقع فى اصل الدلجى هنا فصل (اختلف) بصيغة المجهول وفى نسخة اختلفوا (فى تفسير الخلة) بالضم (واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله) اى المعرض عما سواه بزيادة نعته بانه (الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) اى نقص وخلل لديه فعليه اشتقاقه من الخلال وهو وسط الشئ فان الود يتخلل النفس ويخالطها بحيث لا يخل بحصول خلل فيه حال خلا له وفى هذا المعنى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وقوله سبحانه وتعالى ففروا الى الله (وقيل الخليل المختص) اى بوصف الخلة سواء يكون مشتقا من الخلة بضم الخاء كما سبق ومن الخلة بالفتح بمعنى الفقر والحاجة من الخل اذ كل خليل محتاج الى ان يسد خلل خليله وفى الحديث اللهم ساد الخلة اى الحاجة والفاقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال كما ورد المرء على دين خليله وقيل هو المختص بخدمة مولاه والذى اختصه الله تعالى فجعله من خلاصة عباده وسلالة عباده ولكن لا يظهر وجه الاشتقاق فى هذين القولين وان كان الدلجى ذكرهما واقتصر عليهما ثم رأيت الانطاكى قال المختص يعنى بالصداقة والمحبة يقال دعا فلان فخلل اى خص (واختار هذا القول) اى الاخير (غير واحد) اى كثير من الاخيار (وقال بعضهم اصل الخلة) بالضم (الاصطفاء) اى الاختيار من الصفوة او الصفاء اى يختار كل خليل رضى خليله او يصفو معه فى كل حالة كخليله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه) اى يحب فى الله ويبغض فى الله اولابتغاء رضاه ليس له غرض سواه ففى البخارى الحب فى الله والبغض فى الله من الايمان اى من كماله (وخلة الله له) اى لابراهيم (نصره) اى على عدوه (وجعله اماما لمن بعده) كما قال تعالى انى جاعلك للناس اماما فلم يبعث نبى بعده الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته قال الدلجى وفى نسخة وجعله امانا لمن بعده بشهادة اجعل هذا بلدا آمنا والظاهر انه تصحيف وتوجيهه تحريف (وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع) اى عن الاعوان والاخوان او عما سوى الله تعالى فى الاكوان (مأخوذة من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) اى سد تها الملجئة الى الفاقة (فسمى بها) اى بالخلة يعنى بالاتصاف بها فى اطلاق الخليل ووقع فى اصل الدلجى به بالضمير المذكور وهو واضح دراية لو ثبت رواية اى فسمى بالخليل (ابراهيم لانه قصر حاجته) اى حصرها (على ربه) اى على طلبها من ربه او على حصول قربه ليس له مأمول غيره فى قلبه ويؤيده قوله (وانقطع اليه بهمه) اى بهمته ونهمته وعزيمته ونيته او المراد بالهم ما يهمه ويعمه لقوله (ولم يجعله) اى همه (قبل غيره) بكسر القاف وفتح الموحدة اى عند غيره والمعنى لم يكل همه الى احد غيره اذ ليس لغيره اثر وجود فى نظره وكان هذا حال الخليل فى المقام الجليل (اذ جاءه جبريل وهو فى المنجنيق) بفتح الميم والجيم وقيل بكسر اوله لانه آلة للرمى ويؤيد الاول ما فى كتب اللغة انها هى آلة ترمى بها الحجارة معربة واصلها بالفارسية من جه نيك اى ما اجودنى ويقال جنق اذا رمى بالمنجنيق قالوا كنا نجنق مرة ونرشق اخرى (ليرمى به فى النار) بصيغة المجهول (فقال الك حاجة قال اما اليك فلا) وزيد فى رواية فقال فاسئل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى (وقال ابو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء غير منصرف

وقد ينصرف (الخلة) بالضم (صفاء المودة) اى خلوص المحبة التى لا يتخللها نوع من المخالفة (التى توجب الاختصاص) اى فى حالتى المسرة والمضرة من المحبوب للمحب وعكسه (بتخلل الاسرار) بفتح الهمزة جمع سر اى يدخل فى قلوب الاخيار وصدور الاحرار والجملة حالية ولو قرئت بالباء الجارة وصيغة المصدر لكان له وجه وجيه (وقال بعضهم اصل الخلة المحبة) اى مطلقا فى اللغة (ومعناها) اى مؤداها (الاسعاف) بكسر الهمزة اى انجاز الحاجة بلا مهملة (والالطاف) بالكسر اى الاعانة على وجه اللطافة (والترفيع) اى رفعه على نفسه فى مقام انسه وهو معنى قول بعضهم الترفيع التعظيم والتكريم (والتشفيع) اى قبول شفاعته وحصول رعايته (وقد بين) اى الله تعالى (ذلك) اى هذا المعنى (فى كتابه) اى فى مفهوم المبنى (بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله) اى اتباع ابنيه عزير والمسيح على حذف المضاف المقدر او نزلوا انفسهم منزلتهما فى المقام المعتبر فتدبر وكذا قوله (واحباؤه) اى محبوبوه او محبوه ويلزم كونهم محبيه للملازمة الغالبية فى نسبة المحبية والمحبوبية كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى ان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم اذ من كان بهذه المكانة لا يعذب بهذه المثابة وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ والاصر وسيعذبكم فى النار الموقدة باعترافكم اياما معدودة (فاوجب) اى الله بطريق الاشارة المفهوم من العبارة (للمحبوب ان لا يؤاخذ) بفتح الخاء اى لا يعاقب (بذنوبه) وان كان قد يعاتب بعيوبه فالحبيب لا يعذب حبيبه بالنار والوالد لا يرمى ولده فى العار (قال) اى الله سبحانه وتعالى (هذا) اى هذا الكلام او قال ذلك البعض خذ هذا او الامر هذا او هذا كما ذكر (والخلة اقوى) اى فى النسبة (من البنوة) بتقديم الموحدة على النون وضمهما وتشديد الواو (لان البنوة قد يكون فيها) اى يوجد معها (العداوة) اى الموجبة للمخالفة (كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم) اى بعضهم (عدوا لكم) بالمخالفة الدينية او الدنيوية (فاحذروهم) اى عن المخالطة والمغالطة (الاية) اى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم (ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة) اى مع صداقة على الحقيقة فانهما ضدان لا يجتمعان على وجه الكمال نعم قد توجد عداوة من حيثية وصداقة من حيثية كمحبة ولد عاق وعداوة والد جاف وعلى هذه الحالة مدار معاشرة العامة بل ومداراة الخاصة (فاذا) بالتنوين اى فحينئذ (تسمية ابراهيم ومحمد) وفى نسخة تسميته اى تسمية الله ابراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام (بالخلة اما بانقطاعهما الى الله) اى بالكلية (ووقف حوائجهما عليه) اى حتى فى الامور الجزئية والانقطاع عما دونه) اى فى الاحوال الظاهرية (والاضراب) اى الاعراض والانصراف (عن الوسائط والاسباب) اى فى الخواطر السرية كما قال ارباب الاشارات التوحيد اسقاط الاضافات (او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) اى من بين الانبياء والاصفياء (وخفى الطافه) بفتح الهمزة اى ولزيادة الطافه الخفية (عندهما) اى من اخفى الشئ اذا ستره لا من خفيته بمعنى اظهرته وحديث خير الذكر الخفى يحتملهما على ما ذكره الدلجى لكنه بمعنى الظهور بعيد كما لا يخفى نعم لو قيل المعنى هنا ظهور الطافه لظهر له وجه وفى نسخة وحفى بالحاء المهملة وكسر همزة الطافه اى ولزيادة مبالغته فى اكرامه من حفى اذا بالغ فى الاكرام واستقصى عن سؤال المرام ومنه قوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها ومنه ايضا حديث ان امرأة دخلت عليه عليه الصلاة والسلام فسألها فاحفى وقال انها كانت تأتينا فى زمن خديجة وان كرم العهد من الايمان (وما خالل) اى خالط وباشر (بواطنهما من اسرار الهيته) اى وانوار صمديته (ومكنون غيوبه) اى ومن استار مغيباته (ومعرفته) اى تعريفاته بذاته وصفاته (او لاستصفائه) اى اختيار الله سبحانه وتعالى (لهما) ومنه حديث محمد خيرة الله من خلقه (واستصفاء قلوبهما عمن سواه) اى تخليصهما عن التعلق بالعوائق من الخلائق (حتى لم يخالطهما حب لغيره) بل اذا احبا احدا احباه لله سبحانه وتعالى ولذا دعا صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وبقوله اللهم انى اسئلك حبك وحب من يحبك (ولهذا) اى المعنى المستفاد من هذا المبنى (قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه) بتشديد التاء وكسر السين ويروى من لا يتبع قلبه (لسواه) اى على جهة الشركة فى المحبة الاصلية (وهو) اى هذا المعنى هو (عندهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه البخارى ان من امن الناس على فى صحبته وماله ابا بكر (ولو كنت متخذا خليلا) اى من الناس ارجع فى المهمات عليه والجأ فى الملمات اليه (لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام) ورواية المصابيح ولكن بالواو اى ليس بينى وبينه خلة لكن اخوة الاسلام ثابتة بينى وبينه فى اعلى المرتبة فيقوم مقام اتخاذى له خليلا قال التلمسانى كذا وقع فى النسخ الصحيحة من الشفاء اخوة بالالف وفى الاكمال خوة دون الف ثم قال كذا للعذرى ولغيره بالالف او قوله عليه الصلاة والسلام لو كنت متخذا خليلا الخ قال فى المشارق لو كنت متخذا خليلا افتقر اليه والتجئ اليه فى جميع امورى لكان ابا بكر ولكن الذى التجئ اليه وافتقر اليه هو الله تعالى او لو كنت منقطعا لحب

مخلوق لكان ابا بكر لكن مرافقة الاسلام انتهى وفيه ايذان الى ان الخلة فوق الاخوة والمودة (واختلف العلماء وارباب القلوب) اى اصحاب القلوب الصافية والالباب الواعية من المشايخ الصوفية الجامعين بين المعارف اليقينية البهية والاخلاق السنية الرضية (ايهما ارفع) اى اى الخصلتين اوالحالتين اعلى اواغلى فى الدرجة العلية والرتبة الجلية (درجة الخلة) اى درجة الخلة ارفع من درجة المحبة (اودرجة المحبة) اى ارفع من درجة الخلة فهما مرفوعان بناء على انهما بدل من ايهما المرفوع ويجوز نصب درجة على انه تمييز ذكره التلمسانى وهو بعيد جدا لاسيما مع وجود او الترديدية وكونهما معرفة بالاضافة نعم لو ثبت الجر لكان له وجه من حيث انه بدل من المضاف اليه فى ايهما والصحيح ما اشرنا اليه من انهما مرفوعان بالابتداء وان خبرهما ارفع مقدارا مع تقدير الاستفهام فى اولهما (فجعلهما بعضهم سواء) اى فى المرتبة ليس بينهما تفاوت فى الدرجة (فلا يكون الحبيب الاخليلا ولا الخليل الاحبيبا لكنه خص ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم المحبة) اى بناء على الغلبة ولكن فى هذا الاختصاص دلالة باهرة واشارة ظاهرة الى زيادة درجة المحبة على رتبة الخلة كما لايخفى على ارباب المعرفة (وبعضهم قال درجة الخلة ارفع) اى من مرتبة المحبة وهذا بعيد جدا الا ان يراد بالخلة معنى الخصوص وبالمحبة معنى العموم وليس الكلام فيه لافى المنطوق ولافى المفهوم (واحتج) اى ذلك البعض لمازعمه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما رواه البخارى (لو كنت متخذا خليلا غير ربى) اى لاتخذت ابا بكر خليلا (فلم يتخذه) اى غير ربه خليلا (وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها) اى الحسنين رضى الله تعالى عنهم (واسامة) اى وكذا لاسامة ابن مولاه زيد بن حارثة الملقب بحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان اسامة اسود كالغراب وابوه زيد ابيض كالقطن (وغيرهم) اى كابى بكر وعمر وعائشة فلو كانت المحبة ارفع من الخلة لم يتخذ غير ربه مما ذكر حبيبا كما لم يتخذ غيره خليلا وفيه انه لم يطلق على احد منهم بكونه حبيبا وانما اراد بمحبتهم المحبة الطبيعية الناشئة عن النسبة الجزئية اوالحالة الصادرة عن تحقق الشمائل الرضية مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمى حبيب الله بمعنى محبوبه فاين هذا المعنى من ذلك المبنى فليس له شريك فى هذا الوصف على وجه الكمال كما لايخفى وهذا هو المشهور عند الجمهور ولذا قال (واكثرهم جعل المحبة) اى الخالصة دون المودة العامة (ارفع) اى درجة (من الخلة) اى مع انهما من مراتب الخاصة (لان درجة الحبيب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام) يعنى اختصاص هذا الوصف بمن هو اكمل يدل على انه افضل من سائر اوصاف الكمل والا لكان الانعكاس اولى فتأمل فانه اندفع به ماذكره الدلجى بقوله وانت خبير بان ارفعية المحبة على الخلة انما هى من ارفعية موصوفها لامن حيث ذاتها ثم ممايدل على هذا التحقيق الموجب للتوفيق ان الخليل انما هو فعيل بمعنى الفاعل مسندا الى ابراهيم عليه السلام واما الحبيب فيحتمل ان يكون بمعنى فاعل اومفعول ولاشك ان نسبة المفعولية فى هذا المقام اتم من نسبة الفاعلية فى المرام كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه لاسيما ومحبة الله تعالى كاملة سابقة ذاتية ابدية ازلية ومحبة العبد ناقصة لاحقة عرضية غرضية واما حديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فهو محمول على انه اتخذه ان يكون خليلا خاصا لايتخذ غيره خليلا على مايدل عليه سياق الكلام وسباقه فهو بمعنى الفاعل على حاله وليس كما توهم الدلجى انه بمعنى المفعول والحاصل انه يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولايقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله وقد صرحوا بان المعنى الاول اصح بمعنى كونه مشتقا من الخلة بالضم لانها تتصور من الجانبين والحاجة لاتتصور من الجانبين فلا يجوز ان يقال الله تعالى خليل ابراهيم لما فيه من ايهام ان يكون مأخوذا من الخلة التى هى الحاجة (واصل المحبة) اى المأخوذة من حبة القلب اواصل معناها (الميل الى مايوافق المحب) اى يلائم طبعه ويستلذ به وهذا ظاهر فى كونه اسم الفاعل من احبه فهو محب على ماصرح به الانطاكى وضبطه الحلبى بضم الميم وفتح الحاء اى المحبوب وتبعه الدلجى وزاد عليه قوله من ارادة طاعاته وابتغاء مرضاته لكنه مخالف للرواية وغير مناسب للدراية لانه ليس اصل المحبة هذا بل نتيجة محبة المحب للمحبوب ان لايقع منه المخالفة كما قالت رابعة رضى الله تعالى عنها

﴿ تعصى الاله وانت تزعم حبه * هذا لعمرك فى الصنيع بديع ﴾

﴿ لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع ﴾

هذا وقد قال الانطاكى وفى بعض النسخ وقع محب بفتح الحاء والظاهر انه خطأ لما سيأتى فى كلام المصنف من ان حقيقة المحبة الميل الى مايوافق الانسان (ولكن هذا) اى التعريف (انما يصح فى حق من يصح الميل) اى وجود ميلان القلب (منه) اى الى محبوبه اومطلقا (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء اى وفى حق من يتصور منه الانتفاع

والارتفاق بالشيء الذي فيه الموافقة له اوعلى وفق ميل القلب وهوى النفس اليه (وهي) اى المحبة بمعنى الميل (درجة المخلوق) اى صفته ورتبته (فاما الخالق) اى الذى قدس عن القلب والميلان وسائر نعوت الحدثان (فمنزه عن الاغراض) بالغين المعجمة وهي العلل والحاجات وكذا عن الاعراض بالعين المهملة وهى الامراض والآفات (فمحبته لعبده تمكينه من سعادته) اى باقداره على طاعته وعبادته (وعصمته) بالرفع وابعد الدلجى فى تجويز الجراى ومحافظته عن ارتكاب معصيته (وتوفيقه) اى على ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات (وتهيئة اسباب القرب) بضم فسكون ولايبعد ان يكون بضم ففتح اى من النوافل كصلاة وصوم وصدقة وتسبيح وتحميد وتكبير وتهليل وسائر القرب (وافاضة رحمته عليه) اى بقبول ما منه اليه وجعله مقربا لديه (وقصواها) بضم القاف مقصورة اى غاية المحبة ونهايتها بالنسبة الى الخالق (كشف الحجب عن قلبه) اى كشف الرب الحجب النفسانية والنقب الانسانية عن قلب المحب لجمال الذات الربانية وكمال الصفات الصمدانية (حتى يراه بقلبه) اى يرى جمال ربه بعين قلبه (وينظر اليه) اى الى تجلي ربه فى مقام عظمته (ببصيرته) اى بعين بصيرته فيغنى عن نفسه وحجبه ويبقى ببقاء ربه فيكون محوا بعد ماكان صحوا وسكرا بعد ماكان فكرا وسكرا اوحاضرا فى الحضرة بعد ماكان غائبا فى الغفلة (فيكون كما قال) اى سبحانه وتعالى (فى الحديث) اى القدسي والكلام الانسي على مارواه البخاري لايزال العبد يتقرب الي حتى احبه (فاذا احببته) اى اظهرت حبي له فان حبه سبحانه وتعالى قديم غير حادث بعد تقرب عبده (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به) وفى رواية زيادة ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها اى كنت حافظ اعضائه وحامى اجزائه ان يتحرك بغير رضاى وان يسكن الى غير قضاى والحاصل انه جعل سلطان محبته لربه آخذا بمجامع قلبه فلايهم الابمرضاة محبوبه ولايسعى بجميع جوارحه الافى سبيل مطلوبه وقيل اى كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاسماع وبصره فى النظر ولسانه فى النطق وهنا معنى ادق من هذا وهو انه يظهر للعبد فى هذا المقام مايتم به المرام وهو انه يشاهد ان قوة سمعه وبصره ولسانه وسائر اركانه انما هى من آثار قدرة ربه وقوته عزشانه وليس المراد منه الحلول والاتحاد والاتصال على ماتوهمه اهل الضلال كما قال (ولاينبغى ان يفهم) بصيغة المفعول (من هذا) اى الحديث (سوى التجرد لله) اى تجرد القلب عن غير حب الرب (والانقطاع الى الله) اى ترك الالتفات الى ماسواه (والاعراض عن غير الله) اى بالتوجه الكلى الى مولاه حتى كأنه يسمع منه ومن اجله فيما يتحراه (وصفاء القلب لله) اى بحيث لايخطر بباله سواه كما قال العارف بالله ابن الفارض

﴿ولوخطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا حكمت بردتى﴾

(واخلاص الحركات لله) وكذا جعل السكنات فى رضاه لان من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وقد قال تعالى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين (كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن) اى فى جميع الشأن (يرضى برضاه ويسخط بسخطه) اى لاينشأ عنه شيء من الهوى ولاينظر فى جميع احواله غرض السوى بل يدوم على التخلق باخلاق المولى (ومن هذا) اى المرام (عبر بعضهم عن الخلة) اى التى هى خلاصة المرام لسلالة الكرام من الانام (بقوله قد تخللت مسلك الروح منى) اى تداخلت حبي اياك تخالط الروح من بدنى وهو كالماء فى العود الطرى وكالطراوة فى اللؤلؤ المعدنى (وبذا) اى وبذلك التخالل المأخوذ من الخلة (سمى الخليل) اى ابراهيم وغيره (خليلا فاذاما) زائدة (نطقت) اى عنك (كنت حديثى) اى منك لماقيل من ان الاناء يترشح بما فيه ولما ورد من احب شيئا اكثر من ذكره (واذا ماسكت) اى بك اوعن غيرك اوعن بيان حالى معك (كنت الغليلا) بالغين المعجمة والف الاطلاق اى حرارة العطش وفى نسخة الدخيلا اى الذى يداخل فى الامور ويخالل بما فى الصدور (فاذا) بالتنوين وقد يكتب بالنون اى فحينئذ (مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بما دلت عليه الآيات) وفى نسخة الآثار وهى ملائمة لقوله (الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة) كحديث لوكنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا وفى رواية ولكن اخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وكحديث انا حبيب الله ونحو ذلك من شواهد الاحاديث الصحيحة المطابقة للآيات الصريحة (وكفى بقوله تعالى) اى كفى شاهدا ودليلا قوله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله الآية) اى فاتبعونى يحببكم الله وفيه الغاية القصوى فى المقام الاسنى حيث جعل متابعته شرط صحة دعوى محبته له تعالى ورتب على متابعته محبته سبحانه وتعالى له ولعل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تمنوا كونهم فى امته ومتابعة ملته لتحصيل هذا المرام وهو مرتبة المحبوبية والمرادية المجذوبية المطلوبية لاهل الكمال من السادة الصوفية ولذا قالوا جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وقد قال تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب فالجملة الاولى اشارة الى مقام المراد

فی مرتبة المرید والثانیة الی مقام المرید فی حال الانابة ووصف المستزید والحاصل ان هذه الایة الشریفة لما کانت دالة علی المرتبة المنیفة (حکی اهل التفسیر ان هذه الایة لما نزلت قال الکفار انما یرید محمد ان نتخذه حنانا) بفتح الحاء المهملة وتخفیف النونین ای معبودا ومسجودا (کما اتخذ النصاری عیسی ابن مریم) وهذا باطل قطعا من وجهین احدهما انه صلی الله تعالی علیه وسلم لم یرد هذا المعنی اصلا بل لما قیل له انسجد لك قال لو امرت ان یسجد احد لاحد لامرت ان تسجد المرأة لزوجها و ایضا انما نزل القرآن من اوله الی آخره علی رد اهل الشرك العنید و اثبات التوحید علی وجه التجرید والتفرید فکیف یتصور له ان یرید خلاف ذلك حیث یکون منا قضا لما هنا لك ولکنهم علی زعمهم وقیاس الکاملین علی نفوسهم ومقتضی طباعهم صدر هذا الکلام عنهم وظهر هذا المرام منهم وثانیهما ان التشبیه فی کلامهم غیر صحیح لا ن عیسی ابن مریم لم یرد اتخاذ النصاری له الها معبودا کما ظنوا لا نه من صغره الی حال کبره کان یقول انی عبد الله وابرئ الاکمه والابرص واحیی الموتی باذ ن الله ولم یخطر ببا له وجود من سواه فضلا عن اشراکه مع مولاه واما ما ذکره الدلجی من قوله الحنان الرحمة او العطف ای نتخذه موضع حنان من الرحمة فنرجمه ولعطف علیه ونتبرك به کما اتخذ ت النصاری عیسی ابن مریم حنانا فلا یناسب التشبیه الذی یلائم التنزیه ولا یسبب لما قاله اهل التفسیر (فانزل الله غیظا لهم) ای زیادة غیظ فی حالتهم (ورغما) بفتح الراء و یضم وحکی کسرها ای ردا (علی مقالتهم هذه الایة) ای الایة وهی قوله (قل اطیعوا الله والرسول) لان اطاعة کل واحد مستلزمة لاطاعة الاخر وفیه ایماء له خفاء الی ان الرسول لایأمر بالمنکر فتدبر (فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم علی التولی) ای الاعراض (عنه) ای ابتداء وانتهاء (بقوله فان تولوا) یحتمل الماضی والمضارع ای تتولوا (فان الله لایحب الکافرین) ای لایرضی عنهم ولایثنی علیهم وفی وضع الظاهر موضع المضمر تسجیل علی کفرهم لئلا یشمل الفاجرین بنوع من التولی لایکون موجبا للکفر وفیه ایضا تنبیه نبیه علی ان مدار الامر علی الخاتمة ونوع حض علی التوبة الموجبة للمحبة والمغفرة والمثوبة (وقد نقل الامام ابو بکر بن فورك) بضم اوله وهو غیر منصرف للعلمیة والعجمة وقد یصرف (عن بعض المتکلمین کلاما فی الفرق بین المحبة والخلة یطول جملة اشاراته) ای وتفصیل عباراته (ترجع الی تفضیل مقام المحبة علی الخلة ونحن نذکر منه طرفا) بفتحتین ای شیئا یسیرا من الکلام (یهدی الی ما بعده) ای من مقام المرام (فمن ذلك قولهم الخلیل یصل) ای الی من اتخذه خلیلا (بالواسطة) ای اخذا لوصوله الیه بها دلیلا (من قوله تعالی وکذلك نری ابراهیم ملکوت السموات والارض) ای ولیکون بواسطة اراءة الله له ذلك من الموقنین لما هنالك (والحبیب یصل الیه) ای لحبیبه کما فی نسخة (به) ای بذاته دون واسطة من اراءة کائنا ته اخذا له (من قوله تعالی فکان قاب قوسین) ای قدرهما (او ادنی) ای بل ادنی من قابهما (وقیل الخلیل الذی تکون مغفرته فی حد الطمع) ای لانه من المریدین وهذا المعنی مأخوذ (من قوله تعالی والذی اطمع ان یغفر لی خطیئتی) ای یوم الدین (والحبیب هو الذی مغفرته فی حد الیقین) ای الناجز الذی غیر متوقف ولا متأخر الی حین لیکون صاحبه من المرادین (من قوله تعالی لیغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ای من جمیع ما یصح فیه العتاب دون العقاب لعدم مناسبته فی هذا الباب وفی عطف ما تأخر اعتناء عظیم فتدبر فان الغفران السابق یشمل الواقع واللاحق (الایة) ای ومع زیادة اتمام النعمة واکمال المنة بالهدایة الخاصة والنصرة العامة المستفادة من تتمة الایة التی هی قوله سبحانه وتعالی ویتم نعمته علیك ویهدیك صراطا مستقیما و ینصرك الله نصرا عزیزا هذا وقد ذکر فرقا آخر بینهما بقوله (والخلیل قال ولا تخزنی یوم یبعثون) ای لکونه طالبا فی الطریق (والحبیب قیل له یوم لایخزی الله النبی) ای لانه مطلوب فی مقام التحقیق وهذا المعنی فی التوفیق هو الذی بینه المصنف بقوله (فابتدئ) ای الحبیب (بالبشارة) ای بنفی الخزی والفضاحة عنه (قبل السؤال) ای بحصول المنال فی المآل بخلاف الخلیل حیث وقع منه السؤال ولم یقع جواب حصوله لا فی الحال ولا فی الاستقبال فیکون بین الخوف والرجاء فی تحسین المآل ثم ذکر فرقا آخر فقال (والخلیل قال فی المحنة) ای فی ابتلائه بنمرود حین القاه فی النار (حسبی الله) ای کافی فی دفع بلائی ورفع عنائی فکانت علیه بردا وسلاما (والحبیب قیل له یاایها النبی حسبك الله) و وجه الفرق ان بونا بینا بین من یقول هو حسبی و بین من یقال له انا حسبك فان کل احد یدعی انه محب لله ولکن الکمال هو ان یقول الله انا محبوبه او محبه ونظیر هذا الفرق ما وقع بین قول یحیی وعیسی علیهما السلام حیث قال فی الاول وسلام علیه یوم ولد و یوم یموت ویوم یبعث حیا وقال الثانی والسلام علی یوم ولدت ویوم اموت ویوم ابعث حیا ولاشك ان السلام الاول فی هذا المحل افضل لانه شهادة من الله تعالی علی سلامته فی جمیع حالاته بخلاف الثانی فانه یخبر به عن حال نفسه وان کان صادقا فی مقاله ولا یتصور تخلف فی وقوعه ثم هذا لاینافی کون عیسی افضل من یحیی لانه قد یوجد فی المفضول

مالايوجد في الفاضل مع انه قد يقال ان عيسى كان في مقام الانبساط والبقاء فطال لسانه وكان يحيى في مقام القبض والفناء فكل لسانه فمقام الحق عنه في الانتهاء كما قام هو بحقه سبحانه وتعالى في الابتداء حيث لم يهم بمعصية في الاشياء ومن كان الله له ومن ترك حظ نفسه قام الله معه هذا (والخليل قال واجعل لي لسان صدق) اي في الاخرين كما في نسخة اي ثناء جميلا وذكرا جزيلا فيمن يجيئ بعده الى يوم الدين فاستجيب لها فما من امة الاوهم محبون له ومثنون عليه ومتمنون ان ينتسبوا اليه ولا يبعد ان يقال المراد بالاخرين هذه الامة من السابقين واللاحقين (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) اي فوق المنابر والمنابر مقرونا بذكر ربه بل مكتوبا على ساق عرشه واشجار جنته وقصورها ونحورحورها (اعطي) اي الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك المنال في الحال (بلاسؤال) واجيب دعوة الخليل عليه السلام في الاستقبال (والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) اي بعدني واياهم عن عبادتها وهذه لغة نجد ولغة الحجاز جنبني واراد بنيه لصلبه حتى يصدق عليه ان دعاءه مستجاب عند ربه لظهور الكفر من بعض احفاده وفيه ايماء الى ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه (والحبيب قيل له) اي من غير سؤال منه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اي الذنب المدنس (اهل البيت) بالنصب على المدح اوالنداء ولعل المراد باهل البيت من كان في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اولاده وذريته وازواجه هذا والخليل قال الملائكة لسارة زوجته رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فمن هنا نشأ فرق آخر بين نسبة اهل بيت الحبيب ونسبة اهل بيت الخليل (وفيما ذكرناه) اي من الخلاف في تفسير الخلة والمحبة وما صدر من اهل المعرفة (تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال) اي للمحبة والخلة وتفاوت مرتبة كل منهما في الحال والمآل وهو بالضاد المعجمة او المهملة كما في النسخ المختلفة (وكل يعمل على شاكلته) اي طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال او على عادته وجبلته التي طبع عليها في اوائل الاحوال كما قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى الايتين (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اي وبمن هو اخطأ مسلكا ودليلا فسبحان من اراد جعله مهيبا عزيزا ولو شاء صيره مهينا ذليلا

﴿ فصل ﴾

(في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي على غيره (بالشفاعة) اي العظمى تحت اللواء الممدود (والمقام المحمود) كالتفسير لما قبله (قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك) اي يقيمك (مقاما محمودا) اي يحمده فيه الاولون والاخرون (اخبرنا الشيخ ابوعلي الغساني) بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة (الجياني) بفتح الجيم وبتشديد التحتية (فيما كتب) اي به كما في نسخة (الي) اي مرسلا او واصلا الي (بخطه) اي اجازة فان القاضي لم يسمع منه شيئا (ثنا) اي حدثنا (سراج بن عبدالله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابوزيد) اي المروزي (وابواحمد) اي الجرجاني (قالا) اي كلاهما (ثنا محمدبن يوسف) اي الفربري (ثنا محمد بن اسمعيل) اي البخاري (ثنا اسمعيل بن ابان) بفتح الهمزة وفيه الصرف وعدمه والاجود الصرف هو ابو اسحق الوراق ازدي كوفي روى عنه احمد بن معين والدارمي وابوحاتم وخلق ونقه احمد وجماعة وقال البخاري صدوق وقال غيره فيه تشيع ذكره الحلبي قلت هو لاينافي كونه صدوقا (ثنا ابوالاحوص) بحاء وصاد مهملتين له اربعة آلاف حديث (عن آدم بن علي) اي العجلي (قال سمعت ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول) اي موقوفا لكنه لكونه مما لايقال مثله من قبل الرأي يكون في الحكم مرفوعا (ان الناس يصيرون) اي يكونون (يوم القيامة جثى) بضم الجيم مثلثة مقصورا منونا جمع جثوة بضم جيمها وقد تكسر وحكي الفتح وهي ماجمع من تراب ونحوه ثم استعير للجماعة ومنه حديث عامر رأيت قبور الشهداء اجثاء اي اتربة مجموعة واما قول بعضهم جمع جاثي وهو الذي يكون معتمدا على ركبتيه فبعيد بل لايصح لان فاعلا لايجمع على فعل مخففا وفي نسخة جثاء مضموم الجيم ممدود الاخر اي جماعات واحدها جثوة وفي اخرى بتشديد المثلثة جمع جاث وهو من يجلس على ركبتيه ومنه حديث علي انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الله اي يصيرون فيه جماعات متخاصمين ومنه قوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها وهو الملايم لقوله (كل امة تتبع نبيها يقولون) اي قائلين لانبيائهم باسمائهم (يافلان اشفع لنا) اي لخصوصنا اولعمومنا (يافلان اشفع لنا) اي وهكذا واحدا بعد واحد وهو يقول لست لها (حتى تنتهي الشفاعة) اي العظمى (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك) اي الوقت (يوم) بالرفع وروي بالنصب اي فذلك الحال في يوم (يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) اي فيما رواه احمد والبيهقي (سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعني قوله) اي يريد ابو هريرة بضمير عنها آية هي قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا لمن سأل

(هي الشفاعة) اى المراد بها مقام الشفاعة الكبرى لاهل الموقف عامة ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى المقام المحمود وتأنيثه باعتبار الخبر فتدبر (وروى كعب بن مالك) اى كما رواه احمد (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتي على تل) اى مكان مرتفع (ويكسوني ربي حلة خضراء) لعله اشارة الى مقام سعادة السيادة (ثم يؤذن لي) اى في القول بعدان الخلق ما كانوا ينطقون (فاقول ماشاء الله ان اقول) اى من محامد الحق وشفاعة الخلق (فذلك المقام المحمود) وهذا لاينافي ماورد عن بعضهم منهم مجاهد ان المقام المحمود هو ان الله يجلس معه محمدا على كرسيه كما ورد به حديث وتعقبه القرطبي بانه قول غريب وانه ان صح يتأول على انه يجلسه مع انبيائه وملائكته ثم ذكر كلام ابن عبد البر قريبا منه على ما نقله الحلبي وفيه انه تأويل بعيد عن المقام غير مفيد في حصول المرام بل المراد بالمعية انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم عن البرية في مرتبة المزية كقول موسى ان معي ربي وسيأتي ما يؤيد هذا التأويل في مقام التفصيل (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) اى في رواية (وذكر حديث الشفاعة) اى العظمى (قال فيمشي) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى يأخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح (فيومئذ) اى فحينئذ (يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) بصيغة الفاعل اوالمفعول اى وعده الله سبحانه وتعالى ان يقيمه يوم القيامة وفي رواية فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني الى ان تلا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) كما رواه احمد وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه) اى المقام المحمود الموعود (قيامه عن يمين العرش مقاما لايقوم غيره يغبطه) بفتح الياء وكسر الباء اى يتمناه (فيه الاولون والاخرون) وفي اصل الدلجي به وجعلها اما ظرفية او سببية (ونحوه عن كعب) اى كعب الاحبار (والحسن) اى البصري (وفي رواية هو المقام الذى اشفع فيه لامتي) اى اصالة ولغيرهم تبعا او جعل الكل امة له لانه اخذ الميثاق منهم بانهم لوادركوه لامنوابه واتبعوه كما ورد لوكان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) على ما رواه احمد (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لقائم المقام المحمود) اللام المفتوحة للتأكيد في خبر ان وتوهم الدلجي حيث قال اى والله انى لقائم ثم قال وهذا مرشد الى جواز القسم في الامر العظيم انتهى ولا خلاف في جوازه مطلقا الا ان بعض العارفين لم يحلفوا من جهة امر الدنيا لحقارتها (قيل وماهو) وللدارمي عنه قيل له ما المقام المحمود (قال ذلك يوم) روى بالنصب على انه ظرف مضاف الى الجملة وبالرفع والتنوين فيقدر فيه (ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه) اى يتجلى عليه كتجليه سبحانه على الطور وهو صلى الله تعالى عليه وسلم جالس على الكرسي كما سبقت به الرواية ولايبعد ان يكون ينزل بضم اوله وكسر الزاى اى يوم يجلسه الله على كرسيه اشعارا للمقام عليه لكن يوافق المعنى الاول بقية الحديث الذى اشار اليه بقوله (الحديث) اى بطوله مع تتمة قوله فيئط اى يصوت كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به اى لعظمة تجليه عليه وهو اى الكرسي يسع السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا بضم فسكون اى قلفا غير مختونين لقوله تعالى كما بدأكم تعودون فيكون اول من يكسى ابراهيم لانه اول من عرى في ذات الله حين القى في النار والظاهر ان الاول هنا اضافي لقوله عليه الصلاة والسلام فيما سبق ويكسوني ربي حلة خضراء مع انه لا بدع ان يكون في المفضول بعض ما لا يوجد في الفاضل لاسيما وهو في مقام البنوة وحالة التبعية في مرتبة النبوة يقول الله تعالى اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين اى ملاءتين رفيعتين بيضا وين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره بفتحتين وبكسر فسكون اى على عقبه وهو يحتمل ان يكون خلعة اخرى بعد ماسبقت له الكسوة الاولى ثم اقوم عن يمين الله اى يمين عرشه اوكرسيه اوجانب يمينه حال تجليه مقاما يغبطني الاولون والاخرون اى يتمنون ان يعطوا مثل ما اعطي ولا ينالونه ابدا (وعن ابي موسى) اى الاشعري مات بمكة وقيل بالكوفة (عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن ماجه (خيرت) بصيغة المجهول اى جعلت مخيرا ورواية المصابيح اتاني آت فخيرني (بين ان يدخل نصف امتي الجنة) اى من غير حساب وعذاب (وبين الشفاعة) اى في هذا الباب (فاخترت الشفاعة) اى من اول الوهلة (لانها اعم) اى في المنفعة والظاهر ان هذه الشفاعة دون الشفاعة العظمى مختصة بهذه الامة اما لادخال جماعة الجنة بغير محاسبة اولمن استحق دخول النار فلا يدخلها اولمن دخلها فيخرج منها وفي الجملة الشفاعة ثابتة على ما جمع عليه اهل السنة لقوله تعالى يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ولاعبرة بمنع الخوارج وبعض المعتزلة مستدلين بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فانه مخصوص بالكافرين واما تخصيصهم احاديث الشفاعة بزيادة الدرجات في الجنة فباطل لتصريح الادلة باخراج من دخل النار من المؤمنين منها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم

(اترونها) بالاستفهام الانكاري بمعنى النفي و بضم التاء وفتح الراء اي لا تظنون الشفاعة التي اختزنتها (للمتقين) اي عن المعاصي خاصة (ولكنها) وفي نسخة لا ولكنها الشفاعة (للمذنبين الخطائين) وفي نسخة للمؤمنين اي الكاملين وفي اخرى للمنقين بفتح النون وتشديد القاف المفتوحة والظاهر انه تصحيف لم رواية ابن عرفة اترونها للمنقين ولكنها للمذنبين الملوثين فالتلويث يناسب التنقية في مقام المقابلة ثم رأيت الحلبي قال وهو كذا في اصلنا لسنن ابن ماجه وهو اصل صحيح وقفه الملك المحسن وقد كتب تجاهه على الهامش نقي وعليها التصحيح مرتين والله تعالى اعلم ثم الخطائين بتشديد الطاء اي المبالغين في الخطأ اي بالتعمد اوالكثرة اوالعظمة ويؤيده قوله عليه السلام فيما رواه ابوداود والترمذي شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وفي نسخة الخاطئين وفي اخرى للخاطئين باعادة العامل تأكيدا (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) اي قال كما في نسخة وقد رواه البيهقي عنه وكذا شيخه ابوعبدالله الحاكم وصححه (قلت يارسول الله ماذا ورد) من الورود اي نزل (عليك في الشفاعة) ما استفهامية وذا موصولة بمعنى الذي وصلته مابعده وفي نسخة صحيحة مارد بضم راء وتشديد دال اي ماذا اجيب عليك في مقام الشفاعة او في اهلها وفي اخرى بصيغة الفاعل لله اوالملك (فقال شفاعتي) اي ورد علي شفاعتي اواجيب شفاعتي (لمن شهد ان لا اله الا الله) اي وان لم يكن من امتي وقيل التقدير واني رسول الله اكتفاء باحد الجزئين عن الاخر علما بانه لابد من الاتيان به في صحة الاسلام وقيل هذه الكلمة صارت علما لكلمتي الشهادة (مخلصا) اي لا كرها ولا نفاقا ولا رياء (يصدق) بتشديد الدال اي يطابق و يوافق (لسانه) بالنصب على انه مفعول او بالرفع على انه فاعل وقوله (قلبه) عكس ذلك (وعن ام حبيبة) اي ام المؤمنين كما رواه البيهقي والحاكم (اريت) بضم الهمزة وكسر الراء اي اظهر الله لي (ماتلقى) اي من النوائب والمتاعب (امتي) وفي اصل الدلجي من امتي اي بعضهم (من بعدي) متعلق بتلقى وفي نسخة بعدي اي بعد ذهابي الى ربي (وسفك بعضهم دماء بعض) وهو مصدر مضاف الى فاعله معطوف على ماتلقى ولا يبعد ان يكون سفك ماضيا عطفا على ماتلقى اي وماسفك ويؤيده قوله (وسبق) اي وماسبق (لهم من الله ماسبق للامم قبلهم) اي من الابتلاء ببعض الالم (فسألت الله ان يؤتيني) اي يعطيني (شفاعة) وفي نسخة يوليني شفاعتهم بتشديد اللام المكسورة اي يجعلني متوليا لشفاعتهم (يوم القيامة فيهم) اي في حقهم (ففعل) اي اعطاه ما سأل (وقال حذيفة) كما رواه البيهقي والنسائي وهو وان كان موقوفا لكنه مرفوع حكما (يجمع الله الناس في صعيد واحد) اي ارض مستوية لاترى فيها عوجا ولاامتا (حيث يسمعهم الداعي) اي صوته وهو بضم الياء وكسر الميم وهذا على الفرض والتقدير وقال الدلجي لعله بعدالشفاعة لفصل القضاء ايتها الخلائق هلموا الى الحساب انتهى ويرد عليه ماسيأتي من بقية الحديث في الكتاب (وينفذهم البصر) بفتح الياء وضم الفاء والذال المعجمة وفي نسخة بضم الياء وكسر الفاء اي يبلغهم ويجاوزهم بصر الباصر بحيث لايخفى احد منهم من الاكابر والاصاغر لاستواء الصعيد الباهر وعن ابي عبيد ينفذهم بصر الرحمن اي يأتي عليهم جميعهم وفيه ان بصره تعالى دائما محيط بهم وقد يدفع بان اثباته مقيد الاتصاف دوامه ولعل وجه التخصيص هو افادة هول المقام وظهور ذلك الوصف على وجه الكمال والتمام على سائر الانام كما ذكروا في قوله سبحانه مالك يوم الدين وعن ابي حاتم ان المحدثين يروونه بالذال المعجمة وانما هو بالمهملة اي يبلغ اولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم من نفد الشيء وانفدته قال الحجازي وفيما قاله نظر اذ في الصحاح نفذ البصر بالمعجمة القوم بلغهم وجاوزهم ونفد بالمهملة فني ولعله من انفد فبضم اول مضارعه انتهى وقال النووي محصله خلاف في فتح الياء وضمها وفي الذال والدال وفي الضمير في ينفذهم والاصح فتح الياء وبالذال المعجمة وانه بصر المخلوق انتهى قال ابو عبيد وحمل الحديث على بصر المبصر اولى من حمله على بصر الرحمن لان الله يجمع الناس يوم القيامة في ارض يشهد جميع الخلائق حساب العبد الواحد على انفراده ويبصرون مايصير اليه هذا وقد روى ان صفوف اهل الجنة مائة وعشرون صفا منها ثمانون لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وباقيها لغيرهم زاد كعب مابين كل صفين كما بين المشرق والمغرب (عراة) الابدان على بدنهم ولانعال بارجلهم وفي رواية حفاة وزاد الشيخان في روايتهما غرلا بضم الغين المعجمة وسكون الراء جمع اغرل وهو الاقلف (كما خلقوا) اي اول مرة (سكوتا) اي غير ناطقين (لاتكلم) بحذف احدى التائين اي لاتتكلم (نفس) اي بما ينفع اوينجي من جواب اوشفاعة (الا باذنه) كقوله تعالى لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف واما قوله هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون ففي موقف آخر اوالمأذون فيه هوالجوابات الحقة والممنوع منه هو الاعتذارات الباطلة (فينادى) بصيغة المفعول (محمد) بالرفع والتنوين على انه نائب الفاعل وفي رواية بالضم على حذف النداء ويؤيد الاول قوله (فيقول لبيك) اي اجيبك اجابة (وسعديك) اي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة

(والخير في يديك) اي بتصرفك وفي حيز ارادتك وقدرتك في الدنيا والعقبى كما قال الله تعالى وان لنا للآخرة والاولى (والشر ليس اليك) اي منسوبا وان كنت خالقه ادبا اولا يتقرب به اليك اصلا اولا يصعد اليك وانما يصعد اليك الخير قولا وعملا اوليس الشر بالنسبة الى حكمك وحكمتك فانك لا تحكم باطلا ولا تخلق عبثا والا فمن المعلوم عند اهل الحق من اهل السنة والجماعة ان جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها وحلوها ومرها من الله تعالى ومنسوبة الى خلقه على وجه اراده (والمهتدى) اي في الحقيقة وفي نسخة والمهدي (من هديت) اي بخلق الهداية وتوفيق الطاعة وتحقيق الرعاية (وعبدك بين يديك) اي حاضر معتمد عليك (ولك) اي الحكم والقضاء (واليك) اي مرجع الخلق والامر في الابتداء والانتهاء (لاملجأ) بالهمز مقصورا (ولامنجى) بالقصر وقد يهمز للازدواج وقد يبدل همز الاول الفا للمشاكلة اي لامستند ولامعتمد ولا ملاذ ولامعاذ (منك) اي من قضائك (الااليك) اي بالرجوع الى ساحة فنائك (تباركت) اي تكاثر خيرك (وتعاليت) اي تعظم شانك (سبحانك رب البيت) بالنصب على النداء وجوز رفعه على الابتداء اي انت رب البيت والاضافة للتشريف (قال) اي حذيفة (فذلك) اي المجمع المذكور والمقال المسطور هو (المقام المحمود الذي ذكره الله) اي ذكره في كتابه المشهور بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس) لفظه موقوف وحكمه مرفوع (تدخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة) لعل تقديم اهل النار للاشعار بالهاهم من الابرار والفجار اولان ذكر النعمة ارقع في النفس بعد ذكر النقمة او ترهيبا في اول الوهلة من اهوالها وترغيبا في الجنة نظرا الى حسن مآلها (فتبقى آخر زمرة) اي جماعة (من الجنة) اي من زمر اهلها باقية في النار (وآخر زمرة من النار) اي ثابتة فيها (فتقول زمرة النار) اي من الكفار (لزمرة الجنة) اي الواقعة في النار من الفجار (ماانفعكم ايمانكم) اي المجرد عن الطاعة حيث لم يدخلكم الجنة (فيدعون ربهم ويضجون) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة وتشديد الجيم اي يصيحون ويجزعون من شماتة الاعداء في فظاعة البلاء ولذا قيل النار ولا العار (فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم) ولعل الحكمة في سؤالهم من غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اولا ليظهر اختصاصه بذلك المقام آخرا (وكل) اي فكل واحد منهم (يعتذر) اي بما عوتب عليه وبما نسب من صورة الذنب اليه (حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم) اي فيشفع في حقهم وتقبل شفاعته لهم (فذلك المقام المحمود) اي في الجنة وهو لاينافي كونه المقام المحمود ايضا في الموقف (ونحو) اي مثل قول ابن عباس فيما رواه احمد والطيالسي (عن ابن مسعود ايضا ومجاهد) اي موقوفا اومقطوعا (وذكره) اي مثله اونحوه (علي بن الحسين) اي ابن علي بن ابي طالب قيل لم ينجب من ولد السراري الاثلاثة علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب والقاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي مرسلا رواه الحاكم عن اهل العلم عنه موقوفا (وقال جابر بن عبد الله) اي كما رواه مسلم (ليزيد الفقير هو يزيد بن صهيب الفقير لانه كان يشكو فقار ظهره فهو فعيل بمعنى مفعول وفقرات الظهر خرزاته من عجب الذنب الى نقرة القفا ثنتان وثلاثون فقرة وفي حديث عائشة مثلا في عثمان فقالت ركبوا منه الفقر الاربع استعارته من فقار الظهر لماارتكبوا منه لانها موضع الركوب اي انتهكوا فيه اربع حرم حرمة الصحبة والصهورة والخلافة والبلدة روى عنه ابوحنيفة ومسعر وجماعة نبه احرج له الشيخان منهما (سمعت) بفتح التاء اي اسمعت (بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه) اي من المقام المحمود (قال) اي يزيد (قلت نعم) اي سمعت اللفظ الذي افاديته (قال) اي جابر (فانه مقام محمد) اي الخاص به (المحمود الذي يخرج الله به) اي بسببه (من يخرج) بضم ثم كسر اي من يخرجه من عصاة عامة المؤمنين الخاصة بهذه الامة والاول اظهر لما سبق فتدبر (يعني من النار) اي يريد اخراج من يخرجه من النار (وذكر) اي جابر (حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين) اي فوجا فوجا من النار على حسب مراتب الفجار (وعن انس رضي الله تعالى عنه نحوه) اي في رواية الشيخين (وقال) اي انس (فهذا) اي الاخراج المذكور (المقام المحمود الذي وعده) اي الله سبحانه وتعالى وفي نسخة بصيغة المجهول (وعن سلمان) اي الفارسي وهو سلمان الخير وسلمان بن الاسلام عاش مائتين وفي اصل التلمساني عن شيبان بدل عن سلمان قال وهو بشين معجمة وباء منقوطة من اسفل وبعد ها موحدة لعله شيبان بن عبد الرحمن النحوي انتهى والظاهر انه مصحف لمخالفته سائر النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيامة) اي بالاصالة وفي غيرهم بالتبعية اولانه هو البادي في مقام الشفاعة يتبعه الانبياء في تلك الساعة (ومثله عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيحين (وقال قتادة) تابعي مشهور (كان اهل العلم) اي من اكابر الصحابة واجلاء التابعين (يرون) بصيغة الفاعل من الرأي اوبصيغة المفعول اي يظنون (المقام المحمود شفاعته يوم القيامة) اي لعامة الخلق

فى اراحتهم من عذاب الموقف (وعلى) اى وكانوا على (ان المقام المحمود) اى هو كما فى نسخة (مقامه عليه الصلاة والسلام للشفاعة) اى العظمى فى الساعة الكبرى (مذا هب السلف) اى السالفين (من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين) اى من المجتهدين والمفسرين والمحدثين وسائر علماء الدين رضى الله تعالى عنهم اجمعين (و بذلك) اى وبطبق ماذكروعلى وفق ماسطر (جاءت) الشفاعة (مفسرة) اى مبينة (فى صحيح الاخبار) اى مما كادت ان تتواتر عن الاخيار (عنه عليه الصلاة والسلام وجاءت مقالة فى تفسيرها شاذة) اى منفردة (عن بعض السلف) وهو مجاهد مخالفة لنقل الثقات ضعيفة فى اصول الروايات وحصول الدرايات (يجب ان لا تثبت) اى عند الاثبات لعدم الاتيات (اذلم يعضدها) اى لم يقوها (صحيح اثر) من منقول (ولاسديد نظر) اى من معقول والنظر السديد والسداد ماكان موافقا للحق والرشاد ومنه قوله تعالى وقولوا قولا سديدا (ولو صحت) اى على فرض صحة بعض اسانيدها حيث لايقاوم مايعارضها (لكان لها تأويل غير مستنكر) اى معروف معتبر عند ارباب النظر جمعا بين الادلة كما هو طريق المحققين من الائمة وحاصله انه روى عن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش وعن عبدالله بن سلام قال يقعده على الكرسى وامثال ذلك مما ظاهره منكر من القول فيجب رده وانكاره على ناقله اوتأويله لحسن الظن بقائله وبعضهم اول ذلك بان يجلسه مع انبيائه وملائكته على ماحكاه الطبرى وقد قدمنا تأويلا آخر فتدبر (لكن مافسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرده) بتشديد الدال اى يرد ظاهر ماجاء بخلافه ويدفعه فيتعين ان يؤول غيره اليه ولاينعكس الامر عليه وفى نسخة ترده بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الدال اى ترد عليه و يلايمه قوله (فلا يجب ان يلتفت اليه) اى بتأويل وقال وقيل لانه تضييع عمر فى توضيح امر (مع انه لم يأت) اى خلافه (فى كتاب ولاسنة) اى ثابتة حتى يحتاج الى تأويل ومعالجة (ولااتفق) وفى نسخة ولااتفقت (على المقال به امة) اى جماعة من المجتهدين وعلماء الدين حتى يحتاج الى تأويل يجمعه ارباب اليقين (وفى اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة) بضم فسكون اى وشناعة فى العبارة يأتى دفعها بالاشارة (وفى رواية انس وابى هريرة وغيرهما) على مافى الصحيحين ونحوهما (دخل حديث بعضهم فى حديث بعض) اى فيما ذكرناه هنا عنهم (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة) اى ويقوم الناس لرب العالمين (فيهتمون) بتشديد الميم اى فيحزنون حزنا شديدا الا انه لايهتم احد الالنفسه ولايلتفت الى غيره ولوكان اقرب اهله ويقصدون ازالة هذا الهم العظيم والكرب الفخيم وذلك لماوجد فى حديث ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولابعده مثله (اوقال فيلهمون) اى الى طلب الشفاعة بالوسيلة الى واحد من كبراء البرية (فيقولون لواستشفعنا الى ربنا) اى لكان حسنا اولربما يكون فيه نجاتنا اولو للتمنى ولاجواب له (من طريق آخر) اى لهذا الحديث باعتبار اسناده اوراويه (عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ماج الناس بعضهم فى بعض) اى دخلوا فيمابينهم واضطربوا اضطراب ماء البحر حال شدة غليانه ايماء الى قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض واشارة الى قوله تعالى او كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج (وعن ابى هريرة) اى فى حديث الشيخين (فتدنو الشمس) اى تقرب من رؤسهم قدر الميل كما فى رواية على اختلاف فى ان المراد منه ميل الفرسخ اوميل المكحلة ثم قيل الشمس فى الدنيا وجهها الى جهة السماء وهى ظاهرة لنا من جهة القفا فينقلب امرها فى العقبى (فيبلغ الناس) بالنصب وقيل بالرفع (من الغم) بيان مقدم لقوله (مالايطيقون) اى الصبر عليه والتحمل لديه وهذا معنى قوله (ولايحتملون) اى لايقدرون ولايستطيعون (فيقولون) اى بعضهم لبعض (الاتنظرون) اى الاتختارون (من يشفع لكم) اى الى ربكم فى ازاحة الموقف عنكم (فيأتون آدم) بدؤا بما بدأ الله به ليظهر جلالة ما ختم الامر بسببه (فيقولون) اى لاجل مقصودهم من الشفاعة لمعبودهم (زاد بعضهم) اى فى بيان ماأجمل من القول (انت آدم ابو البشر) اى فيتعين عليك الشفقة والمرحمة على الذرية مع كونك معظما مكرما عنده سبحانه وتعالى من جملة الطائفة البشرية (خلقك الله بيده) اى بقدرته من غير واسطة فى خلقته (ونفخ فيك من روحه) اى الخاص بتشريفه وكرامته (واسكنك جنته) اى واظهر عليك نعمته ورحمته (واسجدلك ملائكته) اى تعظيما لشانك وتفخيما لبرهانك (وعلمك اسماء كل شئ) اى دليلا على ظهور سلطانك (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) من الاراحة بمعنى الازاحة واعطاء الراحة بالازالة من محل الغضب الى موضع حكم به الرب من دار الثواب اودار العقاب (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا) اى عظيما لكونه عميما (لم يغضب قبله مثله ولايغضب بعده مثله) اى فلايمكننى الشفاعة فيه لاسيما (ونهانى عن الشجرة) اى اكلها (فعصيت) اى بذوقها وهى شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها معلوم الله تعالى من كل لون وطعم ذكره الحلبى وفيها اقوال اخر وهى النخلة والتين والكافور ذكرها الحجازى (نفسى نفسى) اى اهم عندى من غيرى اوالزم

نفسي اواخلص نفسي ولااجترئ على غيرمقامي (اذهبوا الى غيري) من الانبياء والاصفياء عموما (اذهبوا الى نوح)
اي خصوصا لانه اول اولي العزم من الرسل (فيقولون) اي فيأتون نوحا فيقولون (انت اول الرسل الى اهل الارض)
اي من الكفار والفجار فلاينافي ان آدم ايضا مرسل الى اولاده الابرار وكذا شيث بن آدم وادريس جد نوح
ولد شيث على ما عليه علماء الاخبار (وسماك الله عبدا شكورا) اي وصفك به حيث قال في كتابه انه كان عبدا شكورا
اي مبالغا في الشكر مع انه تعالى قال وقليل من عبادي الشكور (الا ترى ما نحن فيه) اي من الغم والحزن (الا ترى
مابلغنا) بفتح الغين وجوز اسكانها اي وصلنا من الشدة (الا تشفع لنا الى ربك) اي ليكون خلاصنا بسببك
(فيقول ان ربي غضب اليوم) اي اظهر (غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اي لانقطاع تكليف
من يؤاخذ بترك ماكلفه (نفسي نفسي) فيه ايماء الى قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها (قال) اي
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في رواية انس ويذكر) اي نوح اعتذارا عن ترك الشفاعة في تلك الساعة
(خطيئته التي اصاب) اي اصابها وتابها (سؤاله ربه) بيان او بدل بماقبله (بغير علم) حال من الضمير في سؤاله ووجه
العتاب انه كان الاولى ان يفوض الامر الى المولى ولم يقل ان ابني من اهلي حتى لايقال انه ليس من اهلك عندي
(وفي رواية ابي هريرة) اي زيادة في قول نوح (وقد كانت لي دعوة) اي مستجابة في حق العامة (دعوتها على قومي
اذهبوا الى غيري) اي من بعدي من اكابر اخواني (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون
انت نبي الله تعالى) اي ورسوله (وخليله من اهل الارض) اي في زمانه (اشفع لنا الى ربك الا ترى مانحن فيه)
اي من الكرب (فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكرمثله) اي مثل آدم اومثل نوح اومثل ما تقدم
(ويذكر ثلاث كلمات) اي في صورة كذبات وهي اني سقيم وفعله كبيرهم هذا وانها اختي لسارة (كذبهن) اي
ولبست كذبات وانما هي معاريض وتوريات حيث اراد بقوله فعله كبيرهم هذا معنى التبكيت بدليل قوله تعالى
ان كانوا ينطقون وبقوله اني سقيم اي سأسقم لان من عاش يسقم او يهرم ويموت وبقوله اختي في الاسلام الاان الاولى
لمراتب الانبياء تركها (نفسي نفسي لست لها) اي للشفاعة العظمى لكوني متلوثا بنوع من الخطايا (ولكن
عليكم بموسى) استدراك لدفع ماارهقهم من خيبة الامل ووصمة الخجل وعليكم اسم فعل والباء زائدة لمزيد
الاستعانة اي الزموا موسى واستعينوا به على الشفاعة عند المولى (فانه كليم الله تعالى) ويقتضي انه ممن طال لسانه
لامن كل بيانه (وفي رواية فانه عبد) وفي نسخة عبدالله (آتاه الله التورية) اي وهي من اعظم الكتب الالهية واولها
(وكلمه) اي تكليما (وقربه) اي تشريفا وتكريما (نجيا) اي مناجيا (قال فيأتون موسى فيقول لست لها) اي للحال
التي ظننتم اني مستعد لها (ويذكر خطيئته التي اصاب) اي اصابها ووقع فيها (وقتله النفس) اي وقتله
القبطي وهوعطف تفسيري بدليل رواية بعض رواة البخاري بدون عاطفة وقد عده خطيئته كما عده من عمل الشيطان
في الاية وسماه ظلما واستغفر ربه منه جريا على عادة الانبياء في استعظا مهم محقرات جائزة صدرت عنهم اذلم يكن هذا
عن عمد بل وقع خطاء في كافر حربي ظالم على مسلم سبطي قبل الاذن بقتله وقدابعد الدلجي في شرحه للخطيئة بجعلته
الى ربه فانها في نفسها نقيصة ومن ثم عتبه عليها بشهادة وما اعجلك عن قومك ياموسى فانه سؤال عن سببها تضمن
انكارها من حيث انها نقيصة انضم اليها اعف لقومه انتهى ولايخفى ان هذه جرأة عظيمة ونقيصة فخيمة من الدلجي
حيث ابنت خطيئة لكليم الله تعالى هو عنها نزيه وقد لاطفه سبحانه وتعالى بقوله وما اعجلك عن قومك ياموسى ليترتب
عليه الجواب بالوجه الاولى كما قال تعالى وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي
ولي فيها مآرب اخرى فكذا في الجواب هنا قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى اي ما تقدمتهم
الا بخطى يسيرة ابتغاء لمرضاتك في المسارعة الى امتثال امرك والمبادرة الى الوفاء بوعدك (ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله تعالى) اي ذو روح خاص من خلقه اجراه فيه بنفخ جبريل في جيب درع امه فاحدثه في بطنها بلاتوسط
مادة اواضافته للتشريف كبيت الله وناقة الله (وكلمته) اي حيث كان بكلمة كن اوكان يكلم الناس في المهد
بطريق خرق العادة فكذا ينبغي ان يتكلم في مقام الشفاعة وهول الساعة في موقف القيامة (فيأتون عيسى فيقول
لست لها) اي مجازا اومأذونا لامرها (عليكم بمحمد) فان علمه ووصفه معلم بكون المقام المحمود له خاصة (عبد) بالجر
على انه صفة لمحمد وبالرفع على تقدير هو عبد (غفرالله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر) اي بالنص في كتابه واماغيره فمن
ابهم في جوابه والحاصل انه غير معاتب بما صدر عنه فيطلب هذا المقام منه (فأوتى) بصيغة المفعول المضارع المتكلم
من اتى يأتي وابدال الهمزة الثانية واوا للاجتماع الذي وقع فيه الاجماع والمعنى فيأتوني كما في رواية وهي
بتشديد النون اي فيجيئونني ويطلبون الشفاعة مني (فاقول انالها) اي كائن اومعدا ومختص اومد حرا ومأذون

اومخاوف (فانطلق) اى الى جهة العرش او باب الجنة (فاستأذن على ربى) اى فى الطلوع الى الكرسى او فى الدخول الى الجنة وفى مقام الشفاعة لما ورد مصرحا به فى مكان لايقف فيه داع الا اجيب لبس فيه بنه وبين ربه حجاب (فيأذن لى) اى ويتجلى على بظهور آثار الجمال وسر مكاشفة استار الكبرياء والجلال (فاذا رأيته) اى علمته بهذا الحال من اوصاف الكمال (وقعت ساجدا) اى شكرا لما انعم على من الافضال هذا ولابدع ان يكون المراد بالرؤية رؤية الذات الجامعة لجوامع كمال الصفات فانه جائز فى الآخرة عند اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة ومبين من سعادة الزيادة ثم الحكمة فى نقله صلى الله تعالى عليه وسلم من موقف العرض والحساب المؤذن بحالة السآمة والملامة الى موقف الرحمة والكرامة لتقع الشفاعة موقع الاجابة كن يتحرى بدعائه موقف الخدمة فانه احق بالاستجابة لموضع الحرمة وقد جاء فى مسند احمد ان هذه السجدة والسجدة الآتية بعدها مقدار كل سجدة جمعة من جميع الدنيا وجاء فى بعض الاجزاء ان كل يوم مقدار عشر سنين فهاتان السجدتان كل سجدة مقدار سبعين سنة (وفى رواية فآتى) اى فاجئ (تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية) اى بدل فآتى تحت العرش (فاقوم بين يديه) اى يدى العرش او بين يدى ربه فى مقام العبودية والخلوص عن الملاحظة الغيرية (فاحمده بمحامد لااقدر عليها) اى الآن كما فى نسخة يعنى لااعرفها فى الدنيا ولااقدر على ان اعبر عنها رواية ويلهمنى محامد احمده بها لاتحضرنى الآن (الا انه) اى لكنه سبحانه وتعالى (يلهمنيها) اى فى ذلك المقام لتكميل المرام وفى نسخة الا ان يلهمنيها وفى اخرى ان يلهمنيه الله وفى نسخة بمحامد لااقدر عليه قال النووى هكذا هو فى الاصول يعنى فى اصول مسلم قال وهو صحيح ويعود الضمير فى عليه الى الحمد (وفى رواية فيفتح الله على بمحامد) وفى نسخة من محامده (وحسن الثناء عليه) عطف تفسيرى على ما قاله الدلجى والاظهر هو التأسيس بالمغايرة فان الثناء اعم من الحمد كمالايخفى من ان الحمد قد يرد بمعنى الشكر (شيئا) اى عظيما (لم يفتحه على احد قبلى) اى ولابعدى من باب الاكتفاء او بالبرهان الاولى او المعنى قبل وقتى هذا (قال فى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فيقال يامحمد ارفع رأسك) اى رفع الله قدرك (سل) اى لنفسك (تعطه) بهاء السكت على بناء المفعول مجزوما على جواب الامر (واشفع) اى فى حق غيرك (تشفع) بتشديد الفاء المفتوحة اى تقبل شفاعتك ولاترد دعوتك (فاقول يارب امتى امتى) اى اسئلك عفوهم اولا وعفو غيرهم آخرا او لوحظ فى الامة معنى التغليب للاشرفية او كان جميع الامة فى تلك الحالة كامته لرجوعهم الى حضرته والتجائهم الى دعوته والتكرير للتأكيد او امتى حقيقة امتى مجازا وهذا كله اذا اريد به المقام المحمود من الشفاعة الكبرى هو الظاهر من السياق والسباق واللحاق (فيقول) اى الله سبحانه وتعالى او ملك بامره وفى نسخة فيقال (ادخل من امتك) اى من اهل الاجابة (من لاحساب عليه) اى لامؤاخذة ولاعتاب اما عدلا واما فضلا وهو الاظهر فضلا (من الباب الايمن) اى الابرك او الاقرب بكونه يمينا فان ابواب الجنة من جهة اليمين لاشك انها كثيرة كما يشير اليه قوله (من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) اى ان اختاروا دخولهم منها وهذا غاية التعظيم ونهاية التكريم انه يعرض عليهم جميع الابواب ويختار لهم الافضل الابرك الاقرب الى ذلك الجناب قال المؤلف فى شرح مسلم للجنة ثمانية ابواب باب الصلاة وباب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين ثم قال فهذه سبعة ابواب جاءت فى الاحاديث ولعل الثامن هو الباب الايمن الذى يدخل منه من لاحساب عليه والله تعالى اعلم (ولم يذكر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى رواية انس رضى الله تعالى عنه) اى عنه (هذا الفصل) اى من الكلام وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى رواية ابى هريرة فيقال يامحمد ارفع رأسك الى قوله فيما سواه من الابواب (وقال) اى فى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (مكانه) اى بدل ماسبق (ثم اخر) بفتح همز وكسر خاء معجمة فتشديد راء اى اسقط (ساجدا) اى لله متوسلا به لانه اقرب حال يكون العبد من ربه فى مقام قربه (فيقال لى يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك) اى كل كلامك (واشفع تشفع وسل تعطه) اى جميع مرامك (فاقول يارب امتى امتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة) اى وزنها (من برة) بضم موحدة وتشديد راء اى حنطة (اوشعيرة) شك من الراوى فى رواية مسلم (من ايمان) اى من ثمراته من اعمال القلب كشفقة على مسكين او خوف من الله تعالى اونية صادقة اونحو ذلك والله تعالى اعلم لان نفس الايمان لايتجزأ ويدل عليه ماجاء فى رواية اخرى وكان فى قلبه من الخير مايزن كذا (فاخرجه) اى من النار او من موقف العار (فانطلق) اى فاذهب (فافعل) اى ماامرت به من اخراج من يستوجب العذاب قال الغزالى وفى مفهوم هذا الحديث ان من ايمانه يزيد على مثقال حبة من برة اوشعيرة لايدخل النار اذلو دخل لامر باخراجه اولا قال ومن اهل النار من يعذب قليلا ومنهم من يعذب الف سنة

واقصاه في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة قال وذلك آخر من يخرج من النار على ما ورد في الاخبار (ثم ارجع الى ربي) اى مقام الخطاب (فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول) اى مثل ما تقدم او مثل ذكر الراوي الاول وهو قوله ثم اخر ساجدا الخ (وقال فيه) اى في هذا الحديث من رواية مسلم (مثقال حبة من حردل) اى من ايمان والحرد ل بالدال ويقال بالذال حب الرشاد والواحد خردلة (فافعل) وفي نسخة قال فافعل (ثم ارجع) اى الى ربي كما في نسخة صحيحة (وذكر مثل ما تقدم وقال) وفي نسخة ثم قال (فيه) اى في الحديث من رواية مسلم (من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى) ثلاث مرات كذا في اصول مسلم على ما ذكره النووي (من مثقال حبة من خردل) وهذا كله مثل للقلة لان الايمان والمعرفة عرض لا يوزن بالكمية وانما يختلف باعتبار الكيفية (فافعل) وفي نسخة قال فافعل اى في المرة الثالثة ما امرت به من الاخراج (وذكر في المرة الرابعة) اى من رواية البخاري (فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع كما في نسخة اى يجب قولك وتستجب دعوتك (واشفع تشفع وسل) وفي نسخة واسئل (تعطه فاقول يارب ائذن لي فيمن) اى في شفاعة من (قال لا اله الا الله) اى في اخراج من اكتفى بالتوحيد المقرون باقرار النبوة من النار وادخاله في دار الابرار وفي هذا اشعار بان ما سبق من تقدير مقدار حبة ونحوها من الايمان ثمرته المعبر عنها بالايقان او العمل بالاركان لا لمجرد الايمان الذي هو التصديق القلبي والاعتراف اللساني فكأنه اراد بمن قال لا اله الا الله من لم يصدر عنه عبادة سواه (قال ليس ذلك) اى الامر بالشفاعة في حقه راجعا (اليك) ولعل وجهه انه لم يصدر عنه ما يوجب المتابعة الباعثة على الشفاعة وانما وقع منه مجرد اطاعة الامر الالهي بالتوحيد الرباني وقبول ارسال النبي الصمداني هذا ولما كان النفي موهما ان لا سفاعة لهم اصلا ولا خلاص لهم فضلا وانما يجب عذابهم عدلا كما توهم المعتزلة في هذه المسئلة فصلا استدرك سبحانه واكده بالقسم وعظم شأنه بقوله (ولكن وعزتي وكبريائي) اى ارتفاع مقامي (وعظمتي وجبريائي) بكسر الجيم والراء ممدودا قيل اتى به كذا اتباعا والصحيح انه لغة في الجبروت اى وجبروتي المشعر بالجبر والقهر المشير الى اني لا ابالي (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) اى ولو مرة من غير تكرار واكثار يعني من شهد انه لا معبود موجود قادر على كل شيء سواه وبه خص عموم حديث البخاري اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه اى وعمل عملا صالحا لربه ويؤيده حديث الشيخين ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط اى غير لا اله الا الله (ومن رواية قتادة عنه) اى عن انس رضي الله تعالى عنه (قال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (فلا ادري في الثالثة او الرابعة) اعتراض بين قال ومقوله افاد صدور شك اما من انس او من قتادة في اثنيهما قال (فاقول يارب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن) اى منعه ترك الايمان بما نزل به القرآن وقوله (اى من وجب عليه الخلود) حاصل المعنى وخلاصة المبنى وهذا تفسير قتادة قيل ومعناه من اخبر القرآن انه مخلد في النار وهم الكفار (وعن ابي بكر) اى الصديق رضي الله تعالى عنه برواية احمد وابن حبان (وعقبة بن عامر) اى برواية ابن ابي حاتم وابن مردويه (وابي سعد) اى برواية الترمذي (وحذيفة) اى برواية ابي داود في البعث (مثله) اى مثل حديث انس (قال فيأتون محمدا فيؤذن له) اى في الشفاعة (وتأتي الامانة والرحم فتقومان) بالتأنيث تغليبا (جنبتي الصراط) بفتح النون ويسكن اى جانبيه وناحيتيه وطرفيه يمنة ويسرة والمعنى انهما يمثلان او يجسمان فيشهدان للامين والواصل وعلى الخائن والقاطع وقال بعضهم ويجوز ان تحمل الامانة على الامانة العظمى المؤذن بها آية انا عرضنا الامانة والرحم على صلتها الكبرى المشير اليها قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الى قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فيدخل في الحديث معنى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فكأنهما اكتنفتا جنبتي الصراط المستقيم والدين القويم هذا وقد جاء ان الصراط صعوده الف سنة واستواؤه الف سنة وهبوطه الف سنة وفي مسلم عن ابي سعيد بلغنا انه احد من السيف وادق من الشعر وهذا جاء مسندا مرفوعا عنه عليه الصلاة والسلام واما قول الحلبي فان قيل الصراط ثم هو فالجواب انه سعرة من جفون عين مالك فغير منقول المبنى ولا معقول المعنى فلا يجزم بهذا الجواب بل يقال في مثل هذا لا ادري لانه نصف العلم والله تعالى اعلم بالصواب (فذكر) وفي نسخة وذكر بالواو (في رواية ابي مالك) كما اخرجه ابو داود في البعث (عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط) بصيغة المجهول اى فيوضع على متن جهنم جسرا ممدودا ففي حديث الحاكم على شرط مسلم ورواه غيره ايضا يوضع الصراط مثل حد الموسى (فيمرون) اى عليه كما في نسخة وجاء في رواية فيتهافت اهل النار فيها وينجو اهل الجنة منها كما قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (اولهم كالبرق) اى الخاطف كما في رواية (ثم كالريح والطير) اى وكالطير (وشد الرجال) بالجيم اى عدوهم وجريهم ووقع خطئ من رواه بالمهملة وهو العرفي

وجعله جمع رحل وهي رواية ابن ماهان والمراد به هنا الناقة فان الرحل مايوضع على البعير ثم يعبر به تارة عن البعير
مجازا لكن الاول هو الصحيح المعروف بخط المصنف مضبوط بالجيم وهو كذا لكافة رواة مسلم وعند الهروي الرحال
بالحاء قال ابن قرقول وهو تصحيف هذا وقد اغرب بعضهم في قوله ان المرور للصراط بهم (ونبيكم) بالرفع يعني نفسه
على طريقة التجريد (على الصراط) اى مستعليا (يقول اللهم سلم سلم) التكرير للتكثير اى بالنسبة الى كل احد من
دعوة التقرير ويؤيده قوله (حتى يجتاز الناس) وحتى تحتمل الغاية والعلة (وذكر) اى النبي عليه الصلاة والسلام
(آخرهم جوازا) بفتح الجيم اى مرورا على الصراط ولو روى بكسرها لجاز ويكون معناه مجاوزة عنه (وفي رواية
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه فاكون اول من يجيز) بضم الياء وكسر الجيم وبالزاى اى من يمضي عليه ويقطعه وفي نسخة
يجوز وهما لغتان يقال جاز واجاز بمعنى كما ذكره النووي وزاد في نسخة صحيحة يومئذ (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
عنهما) اى كما رواه الشيخان (عنه عليه الصلوة والسلام يوضع) يجوز تذكيره وتأنيثه (للانبياء منابر) اى على قدر
مراتبهم (يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما) اى تاركا جلوسي حال قيامي (بين يدي ربي منتصبا) اى على
هيئة طالب الحاجة عند صاحب النعمة (فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) اى بتوفيق طاعته (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي) اى لتقصيره
في متابعتي (ولا ازال اشفع حتى اعطى) بصيغة المفعول للمتكلم (صكاكا) بكسر الصاد جمع صك بفتح الصاد فارسي
معرب اى كتبا (برجال) اى باشخاص كتب فيها اسماؤهم (قد امر بهم الى النار) اى اولا فيقع خلاصهم
بالشفاعة آخرا (حتى ان خازن النار) بكسر الهمزة وفتحها (ليقول) بفتح اللام المؤكدة (يا محمد ما تركت لغضب
ربك في امتك من نقمة) بكسر نون وسكون قاف ويقال انها كلمة اى عقوبة وفي نسخة بقية اى من نفس باقية
(ومن طريق زياد) اى ابن عبدالله (النميري) بضم النون وفتح الميم بصري اختلف في توثيقه وتضعيفه (عن انس)
كما رواه البيهقي وابو نعيم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنفلق) بالفاء بعد النون اى تنشق
وتنفرق (الارض عن جمجمته) بضم الجيمين اى عن رأسه ومنه قوله تعالى فالق الحب والنوى اى شاقهما للانبات
والمعنى انه اول من ينشق عنه القبر في البعث (ولا فخر) اى ولا اقول فخرا بل اتحدث شكرا او امتثل امرا (وانا سيد
الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من يفتح له الجنة) اى بابها (ولا فخر) اى فيه وفيما قبله
ايضا (فآتي) الفاء تفصيلية اى فاجيء (فآخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح والمعنى فاحركها كما في رواية (فيقال
من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى) اى يتجلى الصفات العلى (فاخر له ساجدا) اى استعطافا له على
مراده وطلبا منه لمرضاته على عباده (وذكر نحو ماتقدم) اى من رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (ومن رواية
انيس) تصغير انس وفي نسخة من رواية انس والاول هو الصواب وهو رجل من الانصار روى عنه شهر بن حوشب
ولم ينسبه ولم يرو عنه غيره حديثه كذا في الاستيعاب وقال اسناده ليس بالقوي (سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر) وقد رواه احمد بسند حسن عن بريدة اني
لاشفع الخ والمعنى لعدد هو اكثر مما في الارض جميعهما من حجر وشجر والقصد الكثرة او المراد بهما نوع من الحجر
والشجر فتدبر وقد ابعد الدلجي حيث قال ولا يستبعد ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم النباتات والجمادات
مما لا يعقل فرقا من حر نار جهنم وبرد زمهريرها نعوذ بالله منها (فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار) وفي نسخة
صحيحة من اختلاف الفاظ هذه الآثار اى الاخبار المنقولة عن الاخيار (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى للخلق (ومقامه المحمود) اى بين يدي الحق (من اول الشفاعات) وهو الشفاعة العظمى لفصل القضاء
(الى آخرها) وهو اخراج المؤمنين من النار (من حين يجتمع الناس) بفتح النون وفي نسخة بالتنوين اى من وقت فيه
يجتمع الناس (للحشر) وهذا الجار والمجرور خبران او ماقبله هو الخبر وهذا ظرف لوقوع الشفاعات وظهور مقامه
المحمود فيه ومن ابتدائية اى فابتداؤهما من حين اجتماعهم للحشر بعد سؤالهم الانبياء ليشفعوا كما يشير اليه قوله
(وتضيق بهم الحناجر) حتى لا يكاد احد منهم يخرج نفسا من تفاقم الهم وتراكم الغم بصوادع القول وصوارع الهول
فيرتفع الى الحنجرة وهي رأس الغلصمة حيث تراه نا تشا فيضيق ومنه قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وهذا كناية عن
ضيق الاحوال عند مشاهدة الاهوال (ويبلغ منهم) اى يؤثر فيهم (العرق) اى عرق الخجالة (والشمس) اى حرارتها
مع دنوها (والوقوف) اى تعب القيام على ارجلهم (مبلغه) اى نهاية وصوله وغاية حصوله (وذلك) اى وجميع
ماذكر من انواع التعب الحاصل لعامة الخلق (قبل الحساب) اى الذي يترتب عليه الثواب والعقاب (فيشفع حينئذ
لاراحة الناس من الموقف) بالراء اى لتخليصهم من تعبه وبالزاى لازالتهم وتبعيدهم من نصبه (ثم يوضع الصراط)

اى على ظهر جهنم كما ورد (ونجا سب الناس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما) اى كما سبق
(وهذا الحديث اتقن) بالتاء الفوقية والقاف اى احكم وبالقبول احق ولو روى بالياء التحتية لجاز ومعناه اثبت
فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة) اى اولا (كما تقدم فى الحديث) اى السابق (ثم يشفع فيمن
وجب عليه العذاب) اى استحق العقاب لارتكاب المعاصى من المؤمنين (ودخل النار منهم حسب) بسكون
السين وفتحها ونصبه على المصدر اى وفق ومثل (ماتقتضيه الاحاديث الصحيحة) اى بالدلالات الصريحة (ثم فيمن
قال لا اله الا الله) اى وعمل عملا بمقتضاه (وليس هذا) اى قبول شفاعته لمن قال لا اله الا الله (لسواه صلى الله تعالى
عليه وسلم) اى من بين الشفعاء (وفى الحديث المتنبس) اى المشتهر (الصحيح) اى الوارد فى الصحيحين (لكل نبى دعوة)
اى عامة (يدعوبها) اى لامته او عليهم وقد دعا بها كل منهم فى الدنيا كما وقع لنوح وصالح وهود وموسى عليهم
السلام (واختبات) وفى رواية ادخرت (دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة) اى لاجل النفع العام فى اهم المقام
(قال اهل العلم) اى بعضهم (معناه) اى معنى حديث لكل نبى دعوة لكل منهم (دعوة اعلم) بصيغة المجهول اى اعلم
(انها) اى تلك الدعوة (تستجاب لهم) اتى بضمير الجمع نظرا الى معنى كل وافرد فى اعلم باعتبار لفظه وفى رواية اعلموا
بصيغة الجمع مجهولا وهو ظاهر (ويبلغ) بصيغة المجهول اى يوصل (فيها مرغوبهم) ويحصل مطلوبهم (والا)
اى وان لم يكن كذلك ولم يحمل على ماهنالك (فكم) اى فكثيرا (لكل نبى منهم من دعوة مستجابة) اى استجيبت لهم
فى الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها) اى من اصناف الدعوة (مالايعد) اى مالايحصى (لكن حالهم) اى
فى باقى دعواتهم (عند الدعاء بها) اى بالدعوة التى لم يعلموا باستجابتها (بين الرجاء والخوف) وهو لاينا فى غلبة رجاء
المراد على خوف فوته فى بعض المواد (وضمنت لهم) بصيغة المجهول مخففا اى جعلت مضمونة (اجابة دعوة) اى
واحدة (فيما شاؤه) اى ارادوه واختاروه (يدعون بها على يقين من الاجابة) حال من ضمير يدعون (وقد قال
محمد بن زياد) اى الجمحى المصرى يروى عن ابى هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه شعبة
والحمادان واخرون ثقة (وابو صالح) اى السمان الزيات الكوفى هو من الائمة الثقات روى عن عائشة وابى
هريرة وغيرهما وعنه بنوه وخلق سمع منه الاعمش الف حديث توفى بالمدينة واسمه ذكوان بالدال المعجمة (عن ابى
هريرة رضى الله تعالى عنه فى هذا الحديث لكل نبى دعوة دعا بها) اى استعجل بها (فى امته) اى فى هلاكهم او نجاتهم
(فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتى) بهمز ويبدل وفى نسخة صحيحة ادخر بالدال المشددة اى اجعلها ذخيرة لوقت
الشدة (شفاعة لامتى يوم القيامة وفى رواية ابى صالح عن ابى هريرة) كما فى الصحيحين (لكل نبى دعوة مستجابة)
اى فى حق عامة امته (فتعجل كل نبى دعوته) اى طلب حصولها فى الدنيا وانى ادخرت شفاعتى لامتى فى العقبى
اى فان نفعها اعم وابقى زاد مسلم فهى نائلة اى واصلة وشاملة ان شاء الله تعالى من مات لايشرك بالله شيئا (ونحوه
فى رواية ابى زرعة عن ابى هريرة) وابو زرعة هذا هو هرم بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الكوفى يروى عن
جده وغيره وروى عنه خلق من التابعين وثقه ابن معين وغيره (وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابى هريرة فتكون
هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة) اى فى حق العامة (والا فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم
انه سأل) اى ربه (لامته) اى لبعضهم او لكلهم (اشياء من امور الدين والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها) اى من
حيث انها لم تكن مضمونة الاجابة (وادخر لهم هذه الدعوة) اى لعامة الامة التى هى مضمونة الاجابة (ليوم القيامة)
وفى نسخة صحيحة ليوم الفاقة اى لوقت شدة الحاجة (وخاتمة المحن) اى وغاية انواع المحنة ونهاية اصناف الشدة
(وعظيم السؤل) بسكون الهمز ويبدل هو الامنية (والرغبة) عطف تفسيرى (جزاه الله) اى عنا (احسن ما جزى)
اى الله تعالى (نبيا عن امته) اى ورسولا عن دعوته (وصلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا) اى سلاما كثيرا يترتب عليه
مراما كبيرا هذا وقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربى لامتى ثلاثا فاعطانى ثنتين ومنعنى واحدة
سألته ان لايهلك امتى بالسنة فاعطانيها وسألته ان لايهلك امتى بالغرق فاعطانيها وسألته ان لايجعل بأسهم بينهم
فمنعنيها وفى مسلم استأذنت ربى فى ان استغفر لها يعنى امه فلم يؤذن لى واستأذنت فى ان ازور قبرها فاذن لى والله
سبحانه وتعالى اعلم ثم قيل آخر من يخرج من النار هناد بعد سبعة آلاف سنة قال الحسن ياليتنى كنت هنادا يعنى
لقطعه بحسن الخاتمة خوفا من سوء العاقبة فنسئل الله تعالى العافية

﴿فصل﴾

(فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة بالوسيلة) وهى منزلة القربة والوصلة (والدرجة الرفيعة) اى العالية التى
ليس فوقها درجة (والكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير والعطاء الوفير وفى الحديث اعطيت الكوثر وهو نهر

في الجنة يعني ويصب منه في حوض الكوثر يوم القيامة (والفضيلة) اى الصفة الزائدة التي يعجز عن بيانها الواصفون مما لاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ولايبعد ان يراد بها انواع الفضيلة فهو تعميم بعد تخصيص حدثنا القاضي ابو عبدالله محمد بن عيسى التيمي) تقدم (والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد) سبق (بقراءتي عليهما قالا ثنا) اى حدثنا (ابو علي الغساني) بتشديد السين المهملة مر ذكره (قال ثنا النمري) بفتح النون هو الحافظ ابن عبدالبر (ثنا ابن عبد المؤمن) اى عبد الله بن محمد بن المؤمن القرطبي (ثنا ابو بكر التمار) بتشديد الميم نسبة الى التمر (ثنا ابو داود) وهو محدث العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن سلمة) اى المرادى ابو الحارث المصرى وكان احد الائمة الاثبات (ثنا ابن وهب) سبق ذكره (عن ابن لهيعة) بفتح فكسر حضرمي بصرى ضعيف وكان قاضي مصر (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية ابن شريح المصرى الحمصي كان حافظ مجاب الدعوة روى عنه البخارى وغيره (وسعيد ابن ابي ايوب) اى المصرى ثقة (عن كعب بن علقمة) وفي نسخة عن كعب عن علقمة والاول هو الصواب كما صرح به الحلبي وغيره وهو تابعي روى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة (عن عبد الرحمن بن جبير) بضم الجيم وفتح الموحدة مصرى فقيه مقرئ ثقة وكان مؤذنا (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وفي نسخة العاصي بالياء والصواب الاول (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) قال الحلبي هذا الحديث اخرجه القاضي كما ترى من سنن ابي داود وقد اخرجه ابو داود في الصلاة واخرجه مسلم ايضا فيها بالسند الذى اخرجه ابو داود سواء الا انه قال عن ابن وهب عن حيوة بن شريح وسعيد بن ايوب وغيرهم كلهم عن كعب بن علقمة به واخرجه الترمذي في المناقب وقال صحيح والنسائي في الصلاة في اليوم والليلة وانما اخرجه المصنف من عند ابي داود ولم يخرجه من عند مسلم للتنوع في الروايات ولان بينه وبين ابي داود في هذا الحديث خمسة اشخاص بالسماع ولو روى بالاجازة عن ابي علي الغساني كان بينه وبينه اربعة وليس كذلك مسلم فمسلم يقع له بالسماع بينه وبينه ستة وتارة خمسة فوقع له حديث مسلم موافقة في شيخه انتهى وحاصله انه انما اسنده الى ابي داود دون مسلم لقرب سنده اليه (اذا سمعتم المؤذن) اى صوته وفي نسخة يؤذن اى حال كونه يؤذن اوحين اذانه (فقولوا مثل ما يقول) اى من كلمات الاذان جميعها الا الحيعلتين لحديث مسلم وغيره عن عمر المستفاد منه انه يقال عند سماعهما لاحول ولاقوة الا بالله ثم هل الامر بالقول المعلق بالسماع واجب على من سمع حيث لامانع اومندوب قال النووى فيه خلاف ذكره الطحاوى والصحيح عن الجمهور ندبه واختلفوا هل يندب عند سماع كل مؤذن اوالاول فقط والاصح ندب اجابة الكل وكون الاول آكد (ثم صلوا علي) قال الحلبي صرفه عن الوجوب الاجماع (فانه) اى الشان (من صلى علي مرة) كذا في الاصول وكانها سقطت من اصل الدلجي فقال اى مرة بقرينة المقام (صلى الله عليه) اى بها كما في اصل الدلجي وقال بالمرة او بالصلاة مرة لكنه هو غير موجود في الاصول والمعنى رحمه وضعف اجره (عشرا) اى باعتبار اقل المضاعفة الموعودة بقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (ثم اسئلوا) وفي نسخة ثم سلوا (الله لي الوسيلة فانها منزلة) اى عظيمة كائنة (في الجنة لاتنبغي) وفي نسخة لاينبغي اى لاتحصل اولاتليق (الا لعبد) اى كامل (من عباد الله) اى من انبيائه واصفيائه (وارجو ان اكون انا هو) ثم جوزان يجعل انا مبتدأ خبره هو والجملة خبراكون وان يجعل تأكيد الاسمها وخبرها وضع موضع اياه اوموضع اسم اشارة اى انا ذلك العبد واتى بلفظ الرجاء تأدبا وايماء الى انه لايجب على الله شئ (فمن سأل الله الوسيلة) اى هذه الدرجة وفي معناه كل مايتوسل به الى زيادة الزلفة (حلت) بتشديد اللام اى نزلت ووقعت (عليه الشفاعة) اى وجبت وجوبا واقعا عليه وقيل غشيته وقيل حقت وثبتت له وفي الحديث ايذان بجواز سؤال الدعاء من المفضول ليفوز من الفاضل المدعو له مع ثواب الله سبحانه وتعالى لهما بفائدة عظيمة وعائدة جسيمة من نحو شفاعة وسعادة قربة مع الايماء الى ان مراتب القرب الى الله تعالى لايتصور فيها الانتهاء (وفي حديث آخر) كما رواه الترمذي (عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما في البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي) اى فاجأني وظهر لي (نهر) بفتح الهاء وتسكن (حافتاه) بتخفيف الفاء اى جانباه وطرفاه (قباب اللؤلؤ) بكسر القاف جمع قبة وهي بيت صغير مستدير ووقع في اصل الدلجي فيهما لؤلؤ مثل القباب وهو ليس من نسخ الكتاب ولااظنه انه رواية في هذا الباب بل هو من تصرف في الكتاب وفي اصل التلمساني اللؤلؤ والدار فقيل هما بمعنى وقيل اللؤلؤ الكبير (قلت لجبريل ماهذا) اى الذى اراه (قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله تعالى) اى خاصة (قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) اى جبريل (بيده الى طينه) بالاضافة وفي نسخة الى طينة بالتنكير وتاء التأنيث اى من طينه (فاستخرج مسكا) اى شيئا هو مسك اوكمسك وسماه طينا جريا على غالب العادة في كون مقر الماء طينا او بحسب الصورة (وعن عائشة وعبد الله بن عمرو) بالواو (مثله) اى مثل حديث

انس قبله (قال) اى فى حديثهما (ومجراه) اى جريان مائه (على الدر) اسم جنس واحده درة وكذا قوله (والياقوت) اى ومن تحتهما المسك كالطين تحت حصى الماء فلا منافاة بين حديثهم (وماؤه احلى) اى اكثر حلاوة واشد لذاذة (من العسل وابيض) وفى رواية واشد بياضا (من الثلج) وفى رواية ابيض من اللبن قال الدلجى ولا يلزم من كونه احلى من العسل الاستغناء به عن انهار العسل المصفى فى الجنة لانها لبست للشرب انتهى ولا يخفى ان نفى كونها للشرب يحتاج الى بيان حجة فى تحقيق المدعى والتحقيق ان الانهار الاربعة عامة لاهل الجنة والكوثر موضوع للخاصة مع انه قد يقال التقدير وماؤه احلى من العسل الموجود فى الجنة باعتبار كمال اللذة (وفى رواية عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا هو) اى ماؤه (يجرى) اى على وجه الارض من غير نهر (ولم يشق) بصيغة الفاعل وفى نسخة بصيغة المفعول (شقا) اى لم يمل الى شق من احد طرفيه بل يجرى جريا مستويا كما اراده سبحانه او تمناه صاحبه من اهل الجنة (عليه) اى على النهر (حوض) اى عظيم (ترد عليه) وفى نسخة صحيحة ترده (امتى) اى ضيافة فى الجنة او يوم القيامة والثانى اظهر لقوله (وذكر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الحوض) ومطلقه ينصرف الى الاشهر مع احتمال التعدد فتدبر ومعنى كون الحوض على النهر اعتماده عليه من حيث ان ماءه ممتد من مائه ومنتهى اليه اذ النهر فى الجنة والحوض خارجها لما ورد ليردن على الحوض اقوام اعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم فاقول انهم منى فيقال لا تدرى ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى (ونحوه) اى ونحو ما ذكر عن المذكورين مروى (عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا) كما فى البخارى (قال الكوثر الخير الذى اعطاه اياه) اى ومنه الحوض وغيره ولعله لم يصفه بالكثير كما فى بعض الروايات لما يستفاد من الصيغة للمبالغة (وقال سعيد بن جبير والنهر الذى فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله) اى لانه مقصور على النهر او الحوض بل الكوثر اتم واعم والله تعالى اعلم (وعن حذيفة فيما ذكر عليه الصلاة والسلام عن ربه) اى راويا عنه (واعطانى الكوثر نهرا من الجنة) بنصب نهرا على انه بدل او بتقدير اعنى او على المدح ووقع فى اصل الدلجى مخالفا للنسخ نهر بالرفع فقال خبر حذف مبتدأه اى هو بشهادة رواية اعطيت الكوثر وهو نهر فى الجنة (يسيل) اى ينصب (فى حوضى) اى يوم القيامة اوفى الجنة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى ابن جرير وابن ابى حاتم بسند صحيح (فى قوله) اى فى تفسير قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى قال) اى ابن عباس (الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه) اى وفى كل قصر او فيما ذكر من القصور وقد اخطأ التلمسانى بقوله صوابه فيهن (ما يصلحهن) بضم الياء وكسر اللام اى ما يصلح القصور ويزينهن ويحسنهن من الخدم والازواج والاثاث واصناف الحور وانواع الحبور (وفى رواية اخرى) اى مبينة للاولى (وفيه) اى وفى كل قصر (ما ينبغى) اى يليق له (من الازواج) اى نساء الجنة من الحور وغيرها من نساء الدنيا وهن افضلهن واكملهن جمالا لما قدمن فى الدنيا اعمالا (والخدم) اى من غلمان كانهن لؤلؤ مكنون والله تعالى اعلم وقد ذكر الدارقطنى من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى اعطانى نهرا يقال له الكوثر لا يشاء احد من امتى ان يسمع خرير ذلك الكوثر الا سمعه فقلت يا رسول الله كيف ذلك قال ادخلى اصبعيك فى اذنيك وسدى فالذى تسمعين فيهما من خرير الكوثر ونقله السهيلى ذكره التلمسانى

﴿ فصل ﴾

(فان قلت اذا تقرر) اى ثبت وتحرر (من دليل القرآن وصحيح الاثر) وفى نسخة الآثار ووقع فى اصل الدلجى الاخبار (واجماع الامة) اى من اتفاقهم (كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر) يعنى والبشر خير من الملك كما هو مقرر (وافضل الانبياء) وهم اعم من الرسل (فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل) اى بين الانبياء (كقوله فيما حدثناه الاسدى قال حدثنا السمرقندى ثنا) اى حدثنا (الفارسى) بكسر الراء وهو عبد الغفار (ثنا الجلودى) بضم الجيم واللام (ثنا ابو سفيان) وهو ابراهيم (ثنا مسلم) وهو صاحب الصحيح (ثنا ابن مثنى) وفى نسخة محمد بن مثنى بضم ميم وفتح مثلثة وتشديد نون منون (ثنا محمد بن جعفر) وهو غندر وقد تقدم (ثنا شعبة) اى ابن الحجاج (عن قتادة سمعت ابا العالية) يراد به هنا رفيع بن مهران فانه الذى يروى عنه قتادة واما زياد بن فيروز فيروى عنه ايوب السختيانى ومطر الوراق وبديل بن هيرة كما حققه الحلبى (يقول حدثنا ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى) اى يريد به (ابن عباس) وهو عبد الله (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبى وهذا الحديث فى البخارى ومسلم وابى داود (ما ينبغى) اى ما يصح او ما يصلح (لعبد ان يقول انا خير من يونس ابن متى) بفتح الميم وتشديد المثناة فوق مقصورا وقد تقدم انها امه والمراد بعبد كل مكلف ثم يختلف الحكم بمرجع انا فان لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من الانتقاص الذى

بمثله كفرابليس اذقال انا خير منه وان كان نبيا فينبغى له التواضع لما اكرم به النبوة كذا قرره الدلجي والظاهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد انه لا يجوز لاحد من امتي ان يعظمني وان يقول انا خير من يونس ابن متي تفضيلا لي عليه وهذا من كمال التواضع لديه قال التوربشتي وانما خص يونس بالذكر دون غيره من الرسل لما قصه الله تعالى في كتابه عنه من توليه عن قومه وتضجره منهم وقلة صبره فقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقال وهو مليم وقال اذ ابق الى الفلك المشحون فلم يأمن صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخامر بواطن ضعفاء امته ما يؤدي الى تنقيصه فبين ان ذلك ليس بقادح فيما منحه الله له من كرامة النبوة وشرف الرسالة وانه مع ما قصد منه كاخوانه من المرسلين انتهى وقد يقال وجه تخصيصه من بين الانبياء لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع عروجه الى السماء ليلة الاسراء وحصل له مقام قاب قوسين اوادنى مع سائر الكرامات وكان معراج يونس بطن الحوت في الظلمات فربما يتوهم متوهم ان معراج السموات اقرب الى الرب فيكون صاحبه افضل واحب فدفع بان الامكنة بالنسبة الى الله تعالى مستوية اذ هو بذاته تعالى منزه عن المكان ولو كان اعلى في ظهور الشان (وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني) اي يريد ابو هريرة بالقائل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث) اي الخ كما تقدم (وفي حديث ابي هريرة) اي كما رواه الشيخان (في اليهودي الذي قال) اي حين استب هو ورجل من الانصار (والذي اصطفى موسى على البشر) اي في زمانه ولكنه باطلاقه المتبادر كان يعم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب الظاهر (فلطمه رجل من الانصار) اي غيرة على نبينا المختار (وقال تقول ذلك) اي اتقول هذا القول (والنبي بين اظهرنا) اي بيننا موجود وطالعنا بطلوعه مسعود (فبلغ ذلك) اي الخبر (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي فدعا الانصاري فاخبره بذلك (فقال لا تفضلوا) بضم اوله وتشديد الضاد المكسورة اي لا توقعوا التفضيل (بين الانبياء) يعني بمجرد الاهواء والآراء وزاد بعضهم ثم قال ولا اقول ان احدا افضل من يونس ابن متي ثم ان النسخ والاصول بالضاد المعجمة واغرب الدلجي حيث قال ومعناه بالصاد المهملة اي لا تفرقوا بينهم بتفصيل وبالمعجمة لا توقعوه بينهم انتهى وهو صحيح المعنى وانما الكلام في ثبوت المبنى مع ما فيه من معارضته لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فلابد من اعتقاد التفضيل بالاجمال اوالتفصيل واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فالمعنى نؤمن بكلهم تعريضا لليهود فيما حكاه الله تعالى عنهم ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (وفي رواية) اي للشيخين ولابي داود والنسائي (لا تخيروني) بضم التاء وكسر الياء المشددة اي لا تفضلوني (على موسى) قاله تواضعا اوردعا عن تفضيل يوجب نقيصة اوفتنة مفضية الى عصبية وحمية جاهلية اوكان هذا قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والله تعالى اعلم (فذكر) اي الراوي (الحديث) اي بقيته وهي قوله قال فان الناس يصعقون يوم القيامة فاصعق فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي اوكان فيمن استثنى الله تعالى وفي رواية فلا ادري اجوزي بالصعقة ام لا وهي لغة ان يغشى على الانسان من صوت شديد سمعه وربما مات ثم استعمل في الموت كثيرا والمراد بها ههنا ما افاده وخر موسى صعقا قال المصنف رحمه الله تعالى وهذا من اشكل الاحاديث لان موسى مات فكيف يصعق وانما يصعق الاحياء فيحتمل ان تكون هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء ويؤيده قوله فافاق فانه انما يقال افاق من الغشي وبعث من الموت وبه جزم التوربشتي حيث قال واما الصعقة في الحديث فهي بعد البعث عند نفخة الفزع واما البعث فلا تقدم لاحد على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيه واختصاص موسى عليه السلام بهذه الفضيلة لا يوجب له تفضيلا على من فاز بسوابق جمة ولواحق عمة (وفيه) اي وفي هذا الحديث (ولا اقول ان احدا خير من يونس ابن متي وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما في رواية البخاري (ومن قال انا خير من يونس ابن متي) اي من جميع الوجوه (فقد كذب) اوقد يكون له خصوصية في نوع من الفضيلة قال الدلجي ويجوز رجوع انا كما هو اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اوالى كل قائل اي لا يقول ذلك احد وان بلغ في العلم والعبادة اوغيرهما من الفضائل ما بلغ اذ لم يبلغ ما بلغه يونس من درجة النبوة انتهى ولا يخفى ان انا في الحديث السابق يحتمل الاحتمالين واما هنا فالاحتمال الى القائل بعيد عن موضع تحقيق وتأييد لان جزاءه حينئذ فقد كفر كما سبق فتدبر وايضا ما كان احد يتوهم منه انه يدعي كونه افضل من يونس حتى ينهى عنه وانما كان يتوهم بعضهم ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل منه في امر النبوة والرسالة اوفي علو المرتبة وفضيلة الدرجة فنهاهم اما اعلاما بتسوية نسبة النبوة والرسالة واما تواضعا لربه وهضما لنفسه واما قبل علمه بعلو مقامه (وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس ابن متي وفي حديثه) اي ابن مسعود (الآخر) اي الذي رواه مسلم وابو داود والترمذي (فجاءه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل فقال يا خير البرية) اي الخلق من برأه الله

يبرأه برأ اى خلقه فهو فعيل بمعنى مفعول والتاء للمبالغة فى الكثرة واصله مهموز كما قرأ به نافع وابن ذكوان ثم ابدلت الهمزة ياء وادغمت وهى قراءة الباقين فقول صاحب النهاية ولم يستعمل مهموزا مبنى على عدم علمه بالقراءة (فقال ذاك) وفى نسخة ذلك باللام (ابراهيم) قاله تواضعا واكراما لكونه ابا اولانه امرنا باتباعه اوقبل العلم بانه افضل منه (فاعلم) جواب الشرط السابق اى فان قلت الخ فاعلم (ان للعلماء فى هذه الاحاديث) اى الناهية عن التفضيل بين الانبياء (تأويلات) اى وجوها اربعة اوخمسة تقدم بيان بعضها فى حل لفظها (احدها) اى الوجه الاول منها (انه نهيه عن التفضيل) اى فيما بينهم (كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) اى الى سماع فى تفضيل الانبياء اذلا درك فيه لعقول العلماء (وان من فضل) اى احدا منهم على غيرهم (بلا علم) اى يقينى اوظنى يصلح للاستدلال (فقد كذب) اى فى ذلك المقال (وكذلك) اى مأول (قوله لااقول ان احدا افضل منه) اى من يونس (لايقتضى تفضيله هو) اى يونس على اطلاقه وقد ابعد الدلجى فى قوله اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم على يونس لدخوله فى عموم النكرة فى سياق النفى انتهى ووجه غرابته لايخفى مع عدم ملايمته للمدعى بحسب المعنى (وانما هو) اى قوله هذا (فى الظاهر كف) بتشديد الفاء اى منع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره (عن التفضيل) اذ من شانه ان يكون منشأ للنقص اوالتجهيل (الوجه الثانى انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع) اى مع اخوانه واقرانه اولربه فى عظمة شانه (ونفى التكبر والعجب) اى عن باطنه تعليما لامته وارشادا الى طريقته (وهذا) اى الوجه من التأويل (لايسلم من الاعتراض) اى فى صحة التعليل فان عدم جريه على موجب علمه اخبار بخلاف وقوعه وهو ينافى منصب النبوة وفيه ان هذا الاعتراض انما يرد لوثبت نفيه تواضعا بعد علمه بكونه افضل الانبياء اوبتفصيل التفضيل بين الاصفياء واما قبل العلم فلا يرد اعتراض اصلا مع احتمال حمل التواضع من حيث انه لا مفضول الاوقد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل فليس احد منهم افضل مطلقا على ان من تواضع لله رفعه الله وقد ابعد التلمسانى حيث قال الاعتراض هوانه لايظهر حينئذ فائدة تخصيص يونس عليه السلام بالذكر انتهى وتبعه الانطاكى وبعد كلا منهما لايخفى لانه كما قال الخطابى انما خص يونس عليه السلام لان الله تعالى لم يذكره فى جملة اولى العزم من الرسل فكانه قال فاذا لم آذن لكم ان تفضلونى على يونس فلان لاتفضلونى على غيره من اولى العزم بالاولى (الوجه الثالث ان لايفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقص بعضهم) اى طلب نقصان فى المرتبة اوظهور منقصة فى المنقبة لبعضهم (اوالغض) بغين وضاد مشددة معجمتين اى النقص منهم جميعا كذا ذكره الدلجى وفيه ان النسخ كلها (منه) بضمير الافراد الراجع الى بعضهم فالاولى ان يفسر الغض بالاغماض الذى هو كناية عن الاعراض (لاسيما) كلمة استثناء مركبة من سى بمعنى مثل ومن ما وهى اماموصولة فيرتفع الاسم بعدها خبر مبتدأ محذوف كما فى جاء القوم لاسيما اخوك اى لامثل الذى هو اخوك واما زائدة فيجر مابعدها بسى لانها كما فى اكرم القوم لاسيما اخيك اى لامثل اخيك اكراما وقول امرئ القيس ولاسيما يوم بدارة جلجل ورد مرفوعا ومجرورا والمعنى هنا خصوصا اذا كان التفضيل المتنازع فيه (فى جهة يونس عليه السلام اذا خبر الله عنه بما اخبر) اى فى تنزيله بقوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وبقوله فالتقمه الحوت وهو مليم وبقوله اذ ابق الى الفلك المشحون فوقع النهى عن التفضيل عليه (لئلا يقع فى نفس من لايعلم) اى مقام قربه وانه تدارك نعمة من ربه (منه) متعلق بيقع اى لئلا يقع فى نفس الجاهل بمقامه من جهة منزلته (بذلك) اى بسبب مااخبر الله عنه (غضاضة) بفتح اوله مرفوعة على انها فاعل يقع اى نقص وحقارة (وانحطاط) اى تنزل (من رتبته) بضم الراء اى مرتبته (الرفيعة) اى العالية التى هى اصل النبوة والرسالة (اذ قال تعالى) بدل من قوله اذ اخبر الله تعالى (عنه) اى حكاية عن حاله ورواية عن مآله حيث قال فى موضع (اذ ذهب مغاضبا) اى فارق قومه وخرج عنهم حال كونه مغاضبا عليهم لاصرارهم على الكفر والعدوان وعدم رجوعهم الى الايمان والاحسان وكان خروجه وذهابه لم يكن عن اذن من الرحمن ولذا عبر عنه بقوله (اذ ابق) بفتح الباء وحكى كسرها (الى الفلك المشحون) اى المملوء فان اصل الاباق هو الهرب من السيد فحسن اطلاقه عليه ههنا الهرب من قومه بغير اذن ربه (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نضيق عليه اولن نقضى عليه بالعقوبة وينصره قراءته مثقلا وروى الزمخشرى ان معاوية قال لابن عباس رضى الله تعالى عنه ضربتنى امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسى خلاصا الا بك قال وما هى يامعاوية فقرأ هذه الآية فقال اويظن نبى الله ان لايقدر الله عليه فقال له هذا من القدر لامن القدرة قال ابن عرفة اى من الارادة اى فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل لمن لاعلم عنده خطيطته) اى حط مرتبته ونقص منزلته عن رتبة نبوته ورفعة رسالته (بذلك) اى بسبب ماذكر ومن جهة مااخبر (الوجه الرابع منع التفضيل) اى نهيه

(فى حق النبوة والرسالة) اى باعتبار اصلهما وحقيقة ماهيتهما لافى ذوات الانبياء وزيادة خصائص الاصفياء (فان الانبياء فيها على حد واحد) اى سواء غير متعدد (اذ هى) اى مادة النبوة والرسالة (شئ واحد) وهو البعثة المجردة الحاصلة بالوحى فقط وتسمى النبوة اومنضمة الى تبليغ الغير وتسمى الرسالة وهى فى حد ذاتها شئ واحد (لا تتفاضل) اى بالنسبة الى اصحابها فلايقال مثلا نبوة آدم افضل من نبوة غيره منهم ونظيرهما حقيقة الايمان فانها شئ واحد بالنسبة الى المؤمنين حال الايقان وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لاتفضلونى على اخوانى المرسلين فانهم بعثوا كما بعثت (وانما التفاضل فى زيادة الاحوال) اى الناشئة عنها من تحسين الاخلاق والاعمال (والخصوص) اى والخصوصيات فى مقامات ارباب الكمال (والكرامات) اى المعجزات وخوارق العادات (والرتب) اى ومراتب العبادات والمجاهدات (والطاف) اى وانواع الملاطفة واصناف المخالطة من حسن المعاشرة والمجاملة والمداراة مع الامة كاختلاف مراتب اهل الايمان من ظهور ثمرات الايقان ونتايج الاحسان ولوايح العوارف ولوامع المعارف وخوارق العادات للاولياء ومراتب الاجتهادات للعلماء والاصفياء (واما النبوة فى نفسها) وكذا الايمان فى حد ذاته (فلا تتفاضل) اى لاتتفاوت فى حالاتها ولا تتزايد فى مقاماتها (وانما التفاضل بامور اخر) اى كما سبقت الاشارة اليها (زائدة عليها) اى على حقيقتها (ولذلك منهم رسل) اى بعض الانبياء موصوفون بزيادة وصف الرسالة على نعت النبوة (ومنهم اولوا العزم) اى الجد والاحتياط والحزم (من الرسل) اى بناء على ان من تبعيضية وهو المعتمد لابيانية ثم هم مجموعون فى آيتين احداهما قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى تقديم منك اشعار باوليته وافضليته صلى الله تعالى عليه وسلم على بقيتهم والباقى ذكر على ترتيب وجودهم حين بعثتهم وان كان بعض افضل من بعض فى مقام كرمهم وجودهم وسيرتهم (ومنهم) اى وكان من الانبياء (من رفع مكانا عليا) كادريس عليه السلام وهو سبط شيث وجد نوح كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا اى رفع الى السماء وقيل الى الجنة (ومنهم من اوتى الحكم) اى النبوة اوالحكمة اوفهم التوراة (صبيا) اى حال صغره كيحيى عليه السلام كما قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل اوتى النبوة وهو ابن ثلاث سنين وقيل قرأ التوراة وهو صغير (واوتى) اى اعطى (بعضهم الزبور) وهو داود عليه السلام ووقع فى اصل التلمسانى ههنا الزبر بضمتين جمعا اى صحفا مزبورة اى مكتوبة كما قال تعالى وآتينا داود زبورا (وبعضهم البينات) اى المعجزات الظاهرات اوالمبينات للنبوة بحسب الدلالات كعيسى عليه السلام كما قال تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات اى كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات (ومنهم من كلم الله تعالى) كموسى كلمه مرتين ليلة الحيرة وعلى الطور (ورفع بعضهم درجات) تفضيلا له على غيره فى المقامات وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لايحصى درجات كمالاته ولايعد مراتب مقاماته وحالاته مع مشاركته لكل من الانبياء فى ظهور آياته واقتران زيادة معجزاته وخصوصياته ولعله ابهم اعتمادا على ما افهم لانه كالمتعين من حيث انه الفرد الاكمل لاسيما فى مقام الختم المؤذن بكونه الافضل (قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية) فالتفضيل ثابت مقطوع به فى الجملة بين ارباب النبوة وكذا بين اصحاب الرسالة لقوله (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) اى بفضائل سنية وشمائل بهية وفواضل انسانية منزهة عن علائق جسمانية وعوائق شهوانية ونحوها فى الدنيا ومراتب جلية ودرجات علية وامثالها فى العقبى فان الدنيا مزرعة للآخرة (قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا فى الدنيا) اى غير مقصور فى العقبى لانه غير موجود فى الاخرى (وذلك) اى سبب تفضيلهم فى الدنيا (بثلاثة احوال) اى يعرف بثلاثة اوصاف (ان تكون آياته) اى خوارق عاداته (ومعجزاته) المقرونة بالتحدى فهى اخص مماقبله (ابهر) اى اظهر (واشهر) ولاشك ان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر واشهر ولو لم يكن الا القرآن لكفى دليلا للبرهان (اوتكون امته ازكى) اى اتقى (واكثر) اى ازيد من غيرهم كيفية وكمية اما الكيفية فقد قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس واما الكمية فقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صفوف المؤمنين مائة وعشرون وامتى منهم ثمانون وفى نسخة اظهر بالظاء المعجمة بدل اكثر والاظهر هو الاول فتدبر وعلى تقدير صحته فلعل معناه اغلب (اويكون) اى النبى المفضل (فى ذاته افضل واطهر) بالطاء المهملة اى انور وقد تصحف بالمعجمة على الدلجى وفسره باشهر ثم ممايدل على افضلية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذاته انه سبحانه وتعالى خلقه قبل جميع موجوداته بل جعله كالعلة الغائية فى مراتب مخلوقاته وجعله اولا وآخرا فى مقامات كائناته وجعل نور مشكاته محل فيوض انوار ذاته واسرار صفاته ومعدن ظهور تجلياته هذا (وفضله) اى وفضل كل نبى (فى ذاته راجع الى ماخصه الله تعالى به من كرامته) اى من اكرام الله له بمناقب عظيمة ومراتب جسيمة (واختصاصه) بالجراى والى

اختصاص كل نبي بمقام علي وحال جلي (من كلام) اي كما وقع لموسى في الطور ولنبينا في مقام دنا بل ادنى في مقام الظهور (اوخلة) اي كما ثبت الخليل ولنبينا الجليل مع زيادة المحبة الخاصة والحالة الجامعة بين المحبية والمحبوبية بل الوسيلة لكل محب ومحبوب في المرتبة المطلوبية والمجذوبية (اور وية) اي بصرية كما اختص به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ماتقدم اور وية بصيرية وهي مقام المشاهدة برفع الحجب الجسمانية كما يحصل للكمل من الافراد الانسانية (اوماشاء الله من الطافه) اي الخفية وهي بفتح الهمزة جمع لطف وهو بردقيق (وتحف ولايته) اي العلية وهي بضم التاء وفتح الحاء جمع تحفة بمعنى الهدية (واختصاصه) اي اياهم بالمراتب الجلية (وقد روى) كما في تفسير ابن ابي حاتم ومستدرك الحاكم عن وهب بن منبه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة) اي المقرونة بالرسالة (اثقالا) اي تكاليف مثقلة ذات مرارة تعرض لها بسبب التبليغ بشارة ونذارة كما اشار اليه قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (وان يونس) اي لعدم تحمله وغلبة ضجره في مقام صبره عند ترك انقياد قومه واصرارهم وشدة عنادهم وتمادي اضرارهم (تفسخ منها) اي انسلخ منها وتجرد عنها (تفسخ الربع) بالنصب اي كتفسخه تحت الحمل الثقيل وهو بضم الراء وفتح الباء اي الفصيل وهو ولد الناقة يولد في الربيع والمعنى ان يونس عليه السلام لم يستطع ان يحمل اعباء النبوة كما ان الربع لايستطيع ان يحمل الاثقال الكبيرة (لحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي بنهيه عن التفضيل بينهم (موضع الفتنة من اوهام) اي التي هي اوهام (من يسبق اليه) اي الى فهمه من وهمه والوهم هو الاحتمال المرجوح عند تردد حكم العقل (بسببها) اي بسبب اثقالها من سأمة وضجر وضيق نفس وقلة صبر (جرح) بفتح الجيم وسكون الراء اي طعن (في نبوته) وفي نسخة بفتح حاء وراء وبجيم اي ضيق والظاهر انه تصحيف (او قدح) اي عيب (في اصطفائه) اي بالرسالة او في اجتبائه الثابت في قوله تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (وحط من رتبته) اي وضع من رفعته (او وهن في عصمته) اي ضعف فيها بتوهمه ذلك (شفقة) علة الحفظ اي راعى هذا المعنى المفاد من المنهي اي مخافة (منه صلى الله تعالى عليه وسلم على امته) ورحمة على اهل ملته كيلا يقع احد في وهدة غفلته ويزجر عن الاقدام على جرأته (وقد يتوجه على هذا الترتيب) اي على ما رتب من ان يونس ممن خصه الله تعالى بعهد النبوة والطاف الكرامة (وجه خامس وهو ان يكون انا) اي في الحديث السابق (راجعا الى القائل نفسه اي لايظن) يعني لايتوهم (احد) اي من العلماء والاولياء (وان بلغ من الزكاء) ان وصلية اي وان وصل من الفهم العالي وهو بالزاي في خط المصنف وعند العرفي بالذال المعجمة ومعناه قريب من الاول فتأمل (والعصمة) اي من الافعال الردية (والطهارة) اي من الاخلاق الدنية (مابلغ) اي من الغاية والنهاية في مرتبة الولاية (انه خير من يونس لاجل ماحكاه الله تعالى عنه) اي من ظهور تضجره وتبرمه وقلة صبره على تمادي قومه في ترك الايمان بما جاء به (فان درجة النبوة افضل) يروى اعظم (واعلى) اي من درجة الولاية ولهذا فرق بين الحفظ والعصمة حيث خصت العصمة للانبياء والحفظ للاولياء اذ لا يتصور حصول الذنب عمدا من ارباب النبوة بخلاف اصحاب الولاية ولذا لما سئل جنيد ايزني العارف اطرق مليا ثم قال وكان امر الله قدرا مقدورا وبهذا يتبين انه لا يوجد في النبي مايكون سببا لسلب النبوة اوالايمان والمعرفة بخلاف الولي فانه قد يخرج عن مرتبة الولاية بارتكاب الكبيرة ويخاف عليه من سوء الخاتمة نسئل الله العافية ولعل هذا التفصيل يبين لك معنى قوله (وان) بكسر الهمزة وفتحها (تلك الاقدار) اي المقدرات جمع قدر محركة وتسكن (لم تحطه عنها) بتشديد الطاء اي لم تنزله عن درجة النبوة (حبة خردل) وهي حبة الرشاد (ولا ادنى) اي اقل منها بقدر ذرة بل اقول انها كلها كانت اسباب زيادة مثوبة ورفعة درجة من حيث انها نشأت عن الغضب في الله والهجرة في مرضاته الا ان بعضها كان خلاف الاولى بالنسبة الى المقام الاعلى فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فعوتب في ذلك تنبيها لما هنالك (وسنزيد في القسم الثالث في هذا) اي المبحث (بيانا) اي شافيا كافيا (ان شاء الله تعالى) اي اراد كونه جامعا مانعا (فقد بان لك الغرض) بفتح الغين المعجمة والراء اي المقصود (وسقط بما حررناه شبهة المعترض) اي المردود (وبالله التوفيق) اي على طاعة المعبود (وهو المستعان) اي في كل مورود (لا اله الاهو) اي الواجب الوجود صاحب الكرم والجود وهو نعم الاله ولا اله سواه

﴿ فصل ﴾

(في اسمائه عليه الصلاة والسلام وما تضمنته من فضيلته) اي المشعرة بتفضيله على سائر الكرام اعلم ان ابن العربي المالكي في الاحوذي شرح الترمذي حكى عن بعضهم ان لله تعالى الف اسم وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الف اسم ثم ذكر منها على التفصيل نيفا وستين قال الحلبي وقد رأيت مجلدين في القاهرة مصنفا يقال له المستوفي في اسماء المصطفى لابن دحية الحافظ جمع فيه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوق الثلثمائة قلت وكان شيخ مشايخنا السيوطي

اختصره فى كراريس وسماها بالبهجة البهية فى الاسماء النبوية واقتصرت منها على التسعة والتسعين وفق عدد اسماء الله الحسنى الثابتة بالطرق المرضية اذ قد قال ابن فارس هي الفان وعشرون وفي الجملة كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى المشعرة بكثرة النعوت والاوصاف (حدثنا ابو عمران) بكسر اوله (موسى ابن ابى تليد) بفتح فكسر (الفقيه) بالرفع (نا) اى حدثنا (ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر (نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ) بفتح همزة وسكون مهملة وفتح موحدة فغين معجمة غير مصروف الامام الحافظ محدث الاندلس سمع ابن قتيبة وابن ابى الدنيا وروى عنه حفيده قاسم بن محمد والحافظ الباجى وفى آخر عمره قطع الرواية خوفا من الغلط وانتهى اليه علو الاسناد والحفظ والجلالة وتوفى بقرطبة سنة اربعين وثلاثمائة (نا محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (نا يحيى) اى راوى الموطأ (نا مالك) اى الامام (عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه) قال التلمسانى لم يثبت فى رواية يحيى هكذا وانما ارسله ابن شهاب عن محمد ابن جبير عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل وارساله هو الصحيح عن مالك فى الموطأ ووصله غيره عن مالك وغيره عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورواه ابن بكير والقعنبى وابن القاسم وعبد الله بن يوسف واسمعيل ابن ابى اويس كيحيى ووصله معن بن عيسى وعبد الله بن نافع وابو مصعب ومحمد بن المبارك الهروى ومحمد بن عبد الرحيم ورواه القعنبى عن مالك مرسلا وعن ابن عيينة مسندا والاكثر عن ابن شهاب عن محمد بن جبير ورواه حماد بن سلمة عن جعفر ابن ابى وحشية عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابيه يعنى جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل صحابى اسلم بعد الحديبية قال الحلبى هذا الحديث اخرجه القاضى من الموطأ كما ترى وهو فى البخارى ومسلم وابى داود والنسائى وانما لم يخرجه من عند البخارى مثلا فانه بين القاضى وبين مالك فى هذا الحديث ستة اشخاص ولو اخرجه من طريق البخارى كان بينه وبين مالك فى بعض الطرق ثمانية اشخاص فاجتمع له فى رواية هذا الحديث علو لا يجتمع له اذا رواه من عند البخارى وكذا يجتمع اذا اخرجه من بقية الكتب والله تعالى اعلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لى خمسة اسماء) اى عظيمة او شهيرة (انا محمد) اسم مفعول من التحميد مبالغة الحمد نقل من الوصفية الى الاسمية سمى به رجاء ان يحمده الاولون والاخرون بالهام الله تعالى وكان كذلك فى الدنيا والعقبى وعن ابن قتيبة ان من اعلام النبوة انه لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله تعالى لاسمه اذ قد سماه به فى كتبه وبشر به الانبياء قبله فلو تسمى به غيره وقع الاشتراك له وربما انتشرت دواعى النبوة و وقعت الشبهة وقامة الفتنة لكن لما قرب زمنه و بشر بقربه اهل الكتاب تسمى به قليلون لم يدع احد منهم النبوة لئلا تقع الشبهة والله تعالى ولى العصمة (وانا احمد) اسم تفضيل بمعنى الفاعل او المفعول كما سيأتى بيانه من المنقول (وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) اى الكفر العام او غلبته على دين الاسلام ولم يقل به ليعود ضمير الصلة الى الموصول لان قصده الاخبار عن نفسه مع ان ضميرها عبارة عنه فلم يبال بعوده اليه لامن اللبس لديه وقال التلمسانى روى الكفر ومعناه يذهب اصله والمسرع به حتى لا يكون معتقدا ومذهبا و روى الكفرة جمع كافر فالتقدير دين الكفرة اونفس الكفرة قتلا وسبيا وجلاء (وانا الحاشر) اى الجامع (يحشر الناس) بصيغة المجهول (على قدمى) بتخفيف الياء وكسر الميم على الافراد اى على سابقى كذا قيل وبتشديدها مع فتح الميم على التثنية قال النووى كذا ضبطوه بالوجهين اى على اثرى وبعد ظهورى وقيامى من قبرى بدليل حديث انا اول من تنشق عنه الارض كما ذكره البغوى فى شرح السنة وبهذا المعنى يغاير قوله (وانا العاقب) اى الآتى عقب الانبياء ليس بعدى نبى ففى الصحاح العاقب يعنى آخر الانبياء وكل من خلف بعد شئ فهو عاقبه وبالجمع بينهما اشار الى حديث نحن الاولون الآخرون وقيل معنى على قدمى على اثرى وزمان نبوتى وليس بعدى نبى بشهادة رواية وانا الحاشر الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون غيره فيكون قوله وانا العاقب كالتأكيد لما قبله (وقد سماه الله فى كتابه محمدا) اى بقوله وما محمد الا رسول ومحمد رسول الله (واحمد) اى بقوله حكاية عن عيسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد (فمن خصائصه تعالى له) مصدر مضاف الى فاعله اى فمن ما خصه الله سبحانه وتعالى به (ان ضمن) بتشديد الميم اى تضمين الله سبحانه (اسماءه) اى من نحو احمد ومحمد مع انهما اعلام له (ثناءه) اى ما يثنى به عليه (فطوى) بالفاء لا بالواو كما وقع فى اصل الدلجى اى فادخل (اثناء ذكره) اى خلال ذكر اسمه (عظيم شكره) كقوله وانك لعلى خلق عظيم وانك لتهدى الى صراط مستقيم (فاما اسمه احمد فافعل) اى للتفضيل (مبالغة) اى لافادته ثبوت زيادة الحمد وحذف متعلقه لافادة الشمول والا فافعل ليس من صيغ المبالغة كحماد لكن فى المعنى ابلغ منه (من صفة الحمد) اى مأخوذ منه (ومحمد مفعل مبالغة) اى للمبالغة (من كثرة الحمد) اى المحمودية المستفادة من مصدره الذى هو التحميد الموضوع باعتبار بنائه للتكثير والمبالغة فى التكرير قال التلمسانى وقد ضمن اسمه سورة الحمد انتهى وهذا اشار اليه العارف

الجامى حيث قال فى الم الف لام الحمد ميم يعنى بطريق التبديل على قواعد التعمية فيصير المعنى محمد ولك الكمال ونهاية الحمد في ذلك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه الكتاب الجامع واللباب اللامع (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد) اى اعظمه بفتح فكسر (وافضل من حمد) بضم فكسر اى اكرمه ففيه لف ونشر مرتب لمعنيى احمد ومحمد وضبط فى بعض النسخ بعكس ماذكر فيكون لفا ونشرا مشوشا ولا يبعد ان يكون المعنيان مستفادين من احمد وحده لان افعل قد يبنى للفاعل وقد يبنى للمفعول ويراد بقوله (واكثر الناس حمدا) كون مصدره بمعنى المفعول وان احتمل كونه للفاعل ايضا والحاصل ان صفة الحامدية والمحمودية فيه بلغت غاية الكمال ونهاية الجمال (فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة) اى المسمى بيوم الدين (ليتم له) بفتح ياء وكسر تاء وروى بصيغة المجهول (كمال الحمد ويشتهر) من باب الافتعال وفى نسخة ويشهر من باب التفعل اى وتظهر هيبته وتنشر (فى تلك العرصات) بفتح الراء جمع عرصة بسكون الراء وهو فى الاصل كل موضع واسع لا بناء فيه من فناء الدار وساحتها وجمع للمبالغة كما فى عرفات والمراد به مقامات يوم القيامة ومواقفها ولا يبعد ان يكون وجه الجمع هو ان لكل عرصة مخصوصة بامة (بصفة الحمد) اى العامة للخلق (ويبعثه ربه هنالك مقاما محمودا كما وعده) اى فى كتابه بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم) اى عامة وخاصة (ويفتح) اى الله تعالى (عليه فيه) اى فى ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى الحمد (كما قال عليه الصلاة والسلام مالم يعط غيره) اى احد من العالمين (وسمى امته) اى وصفهم (فى كتاب انبيائه بالحمادين) كما فى حديث الدارمى عن كعب يحكى عن التوراة قال نجد مكتوبا فيها محمد رسول الله عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء يحمدون الله فى كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها يأتزرون على انصافهم ويوضئون على اطرافهم مناديهم ينادى فى جو السماء صفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء لهم بالليل دوى كدوى النحل (فحقيق) اى واذا احتص بما تحمد الحق من مناقب حميدة ومراتب محمودة فجدير (ان يسمى محمدا واحمد) اى لاكثرية حامديته واظهرية محموديته (ثم فى هذين الاسمين) اى العظيمين الوسيمين (من عجائب خصائصه) اى غرائب خصوصياته (وبدايع آياته) اى الدالة على كمال صفاته (فن آخر) اى نوع آخر من انواع كراماته (وهو ان الله جل اسمه حمى) اى حفظ اسمى حبيبه ومنع بالقدرة ان يسمى بهما احد (قبل زمانه) اى لئلا يشاركه احد فى علو شانه كما يشير اليه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا (اما احمد الذى اتى فى الكتب) اى من نحو الانجيل (وبشرت به الانبياء) كموسى وعيسى عليهما السلام (فمنع الله تعالى بحكمته) اى وبارادته وقدرته (ان يسمى) وفى نسخة يتسمى (به احد غيره) اى على جهة العلمية (ولا يدعى به مدعو قبله) اى على نسبة الوصفية (حتى لا يدخل لبس) بفتح اللام اى التباس واشتباه صورى (على ضعيف القلب) اى ممن ينظر الى مجرد الاسم ولم يتفكر فى حقيقة مسماه (اوشك) اى تصورى فى معدن النبوة ومنبع الرسالة فيستوى عنده الاسمان مع ان مسميهما لا يستويان كما وقع لبعض ارباب العقول الخالية من المعقول والمنقول من التسوية بين اله العالمين وبين الاله المنحوت من الحجر والطين ولهذا قال الله تعالى قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور قال الانطاكى وهذا الذى ذكره المؤلف هو الصواب ونقل الحافظ ابو حفص الانصارى عن القشيرى قولا فى تسمية الخضر باحمد ثم قال وقد وهاه ابن دحية والله تعالى اعلم (وكذلك) اى وكاسمه احمد (محمد ايضا) اى حمى (لم يسم) وفى نسخة لم يتسم (به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع) اى باخبار الرهبان وغيرهم (قبيل وجوده عليه الصلاة والسلام وميلاده) اى وقبيل زمان ولادته (ان نبيا) اى عظيم الشان فى آخر الزمان (يبعث) اى يرسل (اسمه محمد فسمى قوم) اى جمع قليل من العرب (ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو) اى اياه يعنى النبى المبعوث (والله اعلم حيث يجعل رسالته) وفى قراءة رسالاته (وهم) اى المسمون بمحمد قبل ميلاده (محمد ابن احيحة) بضم همزة وفتح حاءين مهملتين بينهما تحتية ساكنة (ابن الجلاح) بجيم مضمومة وتخفيف اللام فى آخره مهملة وعده من الصحابة ابن عبد البر وابو موسى (الاوسى) بفتح الهمزة نسبة الى قبيلة من الانصار (ومحمد بن مسلمة) بفتح فسكون ففتح (الانصارى) احد بنى حارثة شهد بدرا وغيرها ومات بالمدينة وفى عده منهم نظر ذكره السمنى وغيره (ومحمد بن براء) بفتح موحدة وتشديد دال مهملة بعدها الف ممدودة وفى نسخة صحيحة بباء موحدة فراء ممدودة وعده من الصحابة ابو موسى (البكرى) بفتح فسكون (ومحمد بن سفيان بن مجاشع) بضم الميم وكسر الشين المعجمة واختلف فى صحبته على ما قاله ابو نعيم وابو موسى قال التلمسانى والصحيح انه لم يسلم (ومحمد بن عمران) بكسر العين

وسكون الميم وفى نسخة جران بضم الحاء من الجرة واقتصر عليه التلمسانى (الجعفى) بضم الجيم (ومحمد ابن خزاعى)
بضم الخاء وبالزاى المعجمة (السلمى) بضم ففتح (لاسابع لهم) وزاد بعضهم على المصنف اسماء اخر لافائدة فى ذكرها
(ويقال اول) وفى نسخة ان اول (من سمى) بصيغة المجهول وفى نسخة تسمى (بمحمد محمد بن سفيان) اى ابن مجاشع
التميى (واليمن تقول) اى واهل اليمن يقولون (بل) وفى نسخة محمد بن سفيان باليمن ويقولون بل (محمد بن اليحمد)
اى هو المسمى به اولا واليحمد بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم على ماضبطه المحققون كالنووى وغيره وفى نسخة
بفتح الياء وضم الميم وفى اخرى بالفتح والكسر وفى القاموسى يحمد كيمنع وكيعلم قال التلمسانى ور وى الحمد مصدر حمد
(من الازد) بفتح الهمزة وسكون الزاى قبيلة عظيمة فى اليمن فيكون هو السابع على ماهو السائغ (ثم حمى الله تعالى
كل من تسمى به ان يدعى النبوة) اى بنفسه (اويدعيها احد له) اى ويتبعه (او يظهر عليه سبب) اى من خرق
العادات (يشكك) بكسر الكاف الاولى اى يوقع فى الشك (احدا) اى من اهل زمانه (فى امره) اى شانه (حتى
تحققت السمتان) بكسر السين وفتح الميم اى العلامتان الدالتان على المحمدية والاحمدية (له صلى الله تعالى عليه وسلم)
وفى بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين والصواب الاول هذا وتحققت بصيغة الفاعل على ماهو المتبادر وضبطه
الانطاكى بضم التاء والحاء على بناء المجهول وهو خلاف الظاهر (ولم ينازع) بفتح الزاى يعارضه احد (فيهما) اى
فى النعتين الموسومين (واما قوله وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) اى يزيله ربى بسببى (ففسر) بصيغة المجهول
اى فبين (فى الحديث) اى نفسه من غير احتياج الى تفسير غيره غايته ان محوه مجمل محتمل كما بينه بقوله (ويكون
محو الكفر) اى ذهاب اثره (اما من مكة وبلاد العرب) اى ايام حياته (ومازوى) بضم الزاى وكسر الواو اى قبض
وجمع (له من الارض) كما ورد ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتى سيبلغ ملكها ما زوى لى
منها (ووعد) بصيغة المجهول (انه يبلغ ملك امته) اى بعد مماته فعلى هذا يكون المحو خاصا (او يكون) حقه ان يقول
واما ان يكون (المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة) اى فى الحجة على كل دين وملة فى جميع الامكنة والازمنة (كما قال
الله تعالى ليظهره) اى ليغلبه ويعليه والضمير الى دين الحق او الى الرسول المطلق (على الدين كله) اى على الاديان
جميعها بمحو ادلتها وبرهانها وظهور بطلانها وابطال سلطانها (وقد ورد تفسيره فى الحديث) اى على مارواه البيهقى
وابونعيم (انه الذى محيت به سيئات من اتبعه) قال الدلجى لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف
وفيه ان هذا حكم عام غير مختص به عليه الصلاة والسلام فالاولى ان تحمل السيئات على الصغائر والاتباع على معظم
الحسنات واجتناب الكبائر بشهادة قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات ولايبعد ان تكون هذه الخصلة من خصائص هذه الملة (وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى)
قد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه الا انه زاد الموصول هنا ثم لم يقل على قدمه لان قصده الاخبار عن نفسه
كما فى قول على * انا الذى سمتنى امى حيدره * واعاده هنا ايضا ليفسره بقوله (اى على زمانى وعهدى)
فالمراد بالناس الخلق الآتون بعده كما بينه بقوله (اى ليس بعدى نبى) اى يكونون على عهده وفيه ايماء الى ان عيسى
بعد نزوله يكون تابعا له فى دينه وحاكما على وفق قوله كما قال الله تعالى وخاتم النبيين بكسر التاء وفتحها (وسمى
عاقبا لانه عقب) بفتح القاف اى خلف (غيره من الانبياء) وجاء بعدهم لتكميل الخير وزيد فى بعض النسخ المصححة هنا
وفى الصحيح انا العاقب الذى ليس بعدى نبى (وقيل معنى على قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى) اى بمشهدمنى ومحضر
عندى (كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس) اى شاهدين لهم اوشاهدين عليهم (ويكون الرسول
عليكم شهيدا) اى شاهدا ومطلعا اومزكيا ومثنيا وبهذا الذى قررناه دفع قول الدلجى وهذا مخالف لظاهر الآية
المفاد فيها بالتعدية بعلى ولوكانت كما زعم لكانت باللام على ان على قد تأتى بمعنى اللام فى الكلام كقوله تعالى ولتكبروا
الله على ماهداكم وزيد فى بعض النسخ هنا (وقيل على قدمى) اى معناه (على سابقتى) اى سبق قدمى وتقدم قيامى
من قبرى وتحقق تقدمى فى مقامى (قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم) اى مراتب تقدم مترتب على تفاوت
صدق لهم فى حالهم عند ربهم ووقوفهم على قدر مقامهم (وقيل على قدمى اى قدامى وحولى اى يجتمعون الى
فى القيامة) يعنى ويلجأون الى فى طلب الشفاعة (وقيل قدمى على سنتى) اى على قدر متابعتى ومقدار طاعتى فى الدنيا
ليكون لهم القرب والمنزلة فى العقبى وفى نسخة وقيل قدمى سنتى (ومعنى قوله لى خمسة اسماء) اى مع ان له اسماء كثيرة
(قيل انها موجودة) اى الخمسة جميعها مذكورة ومسطورة (فى الكتب المتقدمة) اى باجمعها (وعند اولى العلم)
اى ومشهورة عند العلماء من الانبياء والاصفياء (من الامم السالفة) اى الماضية فهذا وجه تخصيصها (والله اعلم)
اى بما اراد نبيه بها (وقد روى) اى كما فى الدلائل لابى نعيم وفى تفسير ابن مردويه من طريق ابى يحيى التيمى وهو وضاع

عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة عليه الصلاة والسلام (لي عشرة اسماء) الجمهور على ان مفهوم العدد ليس بحجة فلا معارضة بينه وبين ماسبق من حديث لي خمسة اسماء (وذكر منها) اي من جملة العشرة (طه ويس حكاه مكي) اي كما سبق واعاده هنا لبيان مبناه وتبيان معناه (وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر ياهادي وفي يس ياسيد) ايماء بذكر الحروف الواقعة في اوائل المسميات الى تلك الصفات غايته انه مع تصريح ياء النداء في يس وتقديره في طه (حكاه) اي هذا التأويل (السلمي) بضم فتح وهو ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الخبير صاحب تفسير الحقايق (عن الواسطي) وهو الامام الجليل الصوفي محمد بن موسى (وجعفر بن محمد) اي وعنه ايضا وهو الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر احد اكابر ائمة اهل بيت النبوة (وذكر غيره) اي غير ابي محمد مكي (لي عشرة اسماء فذكر) اي ذلك الغير (الخمسة) اي الاسماء (التي في الحديث الاول) وهي محمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب (قال) اي ذلك الغير في بيان الخمسة الاخر (وانا رسول الرحمة) الخ واما تفسير الدلجي قال كما رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا فهو وان كان يناسب المقام الا انه ينافي المرام هذا وقد جاء انا رحمة مهداة وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (ورسول الراحة) اي لما يترتب على الراحة الرحمة في الدنيا والآخرة والاظهر ان المراد بالراحة نفي الكلفة ورفع المشقة عن هذه الامة لقوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ولقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ولقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بدين الحجازي (ورسول الملاحم) بفتح الميم وكسر الحاء المهملة جمع ملحمة وهو الحرب الشديد واصلها معركة القتال وهي موضعه ولفظ مجاهد فيما رواه ابن سعد عنه مرسلا انا رسول الرحمة انا رسول الملحمة واضيف اليهما لحرصه على المجاهدة المأمور بها ومن ثم قال علي كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن احد منا الى العدو اقرب منه ثم لا تعارض بين كونه رسول الرحمة ورسول الملحمة اذ هو سلم لاوليائه وحرب لاعدائه كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وكالقرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وداء ونقمة للمتكبرين وقد قال تعالى في حقه بشيرا ونذيرا اي للمطيعين والعاصين ولعل رحمته كانت غالبة تخلقا باخلاق ربه حيث قال في الحديث القدسي والكلام الانسي سبقت رحمتي غضبي كما يشير اليه تقديم البشير في مقام العموم وهو لاينافي تقديم الانذار حال خطاب الكفار المفيد في ذلك المحل تقديم التخويف فتأمل قال التلمساني وروي ان قوما من العرب قالوا يارسول الله افنانا الله تعالى بالسيف فقال ذلك انفى لآخركم فهذا معنى الرحمة المبعوث بها صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى اعلم (وانا المقتفي) بصيغة الفاعل من باب الافتعال وفي نسخة المقفي بضم ففتح فتشديد فاء مكسورة بصيغة الفاعل كما صرح به الشمني وهو انسب بقوله (قفيت) بتشديد الفاء وفي نسخة بتخفيفها وفي نسخة قفوت (النبيين) اي جئت بعدهم وتبعت هديهم اوارد به المولى الذاهب والمعنى انه آخر النبيين فاذا قفى فلا نبي بعده واما قول الدلجي قال الله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا فيوهم ان الوصف بصيغة المفعول وليس كذلك (وانا قيم) بتشديد الياء المكسورة (والقيم الجامع) اي للخير (الكامل) اي للفضائل والفواضل في تحسين الشمائل (كذا وجدته) اي بخط بعض العلماء اوفي تصنيف بعض العلماء (ولم اروه) اي عن احد من ائمة الحديث في طريق الانباء لكن رواه الديلمي في فردوسه ولم يسنده في مسند الفردوس وفي النهاية حديث اتاني ملك فقال انت قيم وخلقك قيم اي حسن مستقيم (واري) بفتح الهمزة والراء اي اذهب او بضم الهمزة وفتح الراء اي واظن (ان صوابه قثم بالثاء) اي المثلثة المفتوحة بعد القاف المضمومة وهو غير مصروف لانه معدول عن قاثم وهو المعطي (كما ذكرناه بعد) اي كما سيأتي ذكره بعد ذلك (عن الحربي) اي منقولا عنه بلفظ قثم بالمثلثة وهو المأخوذ من القثم بمعنى الجمع كما اشار اليه بقوله (وهو اشبه) اي من حيث اللفظ (بالتفسير) اي الذي سبق قريبا من قوله الجامع الكامل واستحسن كلامه الحلبي ولايبعد ان تكون الروايتان ثابتتين وكون احدهما اشبه بالتفسير لايفيد صوابها وتحقيق غيرها مع انه قد يكون التفسير حاصل المعنى لا اصل المبنى على ان قوام الشيء واستقامته لايكون الا بكماله وجامعيته في حد ذاته ويؤيد ماقررنا ويقوي ماحررنا قوله (وقد وقع ايضا) اي القيم بالتحتية (في كتب الانبياء) اي الماضية ومنها رواية المصنف (قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة) اي مقومها بطريق الوفرة (بعد الفترة) اي الفتور في الطاعة (فقد يكون القيم بمعناه) اي بمعنى المقيم الوارد بمعنى المقوم كما فسر الدعاء الوارد اللهم انت قيم السموات بمعنى مقومها ومقيمها ومديمها وقد ابعد الدلجي في تقييد قوله معناه بالمثلثة (وروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام في القرآن) اي مذكور ومسطور (سبعة اسماء محمد) وهو قوله تعالى محمد رسول الله (واحمد) وهو قول عيسى عليه السلام يأتي من بعدي اسمه احمد (وطه ويس) وفي نسخة تقديم وتأخير بينهما وسبق بيانهما (والمدثر والمزمل) اي في اوائل

سورهما (وعبد الله) كما في قوله سبحانه وتعالى وانه لما قام عبدالله ولعله اقتصر عليها لشهرتها والا فله فيه اسماء كثيرة كالنبي والرسول والخاتم والحريص والعزيز والرؤف والرحيم وامثال ذلك مما يدل على صفاته هنالك (وفي حديث) اي ثابت (عن جبير) بالتصغير (ابن مطعم) بضم ميم وكسر عين (رضي الله تعالى عنه هي) اي اسمائي (ست) الظاهر ستة ولعل وجه التذكير تأنيث الضمير (محمد واحمد وخاتم) بكسر التاء وفتحها (وعاقب وحاشر وماح) اسم فاعل من المحو وقدسبق معانيها في ضمن مبانيها (وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (انه كان عليه الصلاة والسلام يسمي لنا نفسه اسماء) اي متعددة (فيقول انا محمد واحمد والمقفي) بكسر الفاء المشددة اي الذاهب المولي فمعناه آخر الانبياء والمتبع اهم كالقفا فكل شيء يتبع شيئا فقدقفاه (والحاشر) اي الجامع للحشر والباعث للنشر (ونبي التوبة) اي من حيث انه يتوب على يده جمع كثير من اهل دينه اولان توبة هذه الامة حاصلة بمجرد الندامة ومايتبعها من العلامة بخلاف توبة الامم السالفة فانها كانت بارتكاب الامور الشاقة اوانه كثير التوبة بالرجعة والاوبة لحديث البخاري اني لاستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة اولان باب التوبة ينغلق في آخر هذه الملة (ونبي الملحمة) بفتح الميم والحاء القتال العظيم وهو كقوله بعثت بالسيف (ونبي الرحمة ويروى المرحمة والراحة) روايات اربع (وكل) اي من الالفاظ المذكورة (صحيح ان شاء الله تعالى) اي كما سيأتي وجوهها مسطورة (ومعنى المقفي معنى العاقب) وقد سبق بيانه وقيل المتبع للنبي (واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) يعني والرحمة مرادفة للمرحمة ومتضمنة للراحة ومنسببة عن التوبة (وكما وصفه) اي سبحانه وتعالى (بانه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه منعوتا بالرحمة الموجبة للراحة والباعثة على التوبة المقتضية للمرحمة (يزكيهم) اي يطهر امته عن دنس المعصية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) اي السنة وكلها اسباب الرحمة وبواعث التوبة (ويهديهم الى صراط مستقيم) اي ويدلهم على دين قويم (وبالمؤمنين رؤف رحيم) اي وعلى العاصين كافة كريم حليم (وقد قال) اي النبي عليه الصلاة والسلام (في صفة امته انها امة مرحومة) اي مغفور لها متاب عليها كما رواه الحاكم في الكنى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند ضعيف ورواه ابو داود والطبراني والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عقاب في الآخرة انما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا (وقد قال تعالى فيهم) اي في حقهم اصالة وفي حق غيرهم تبعا حيث نزل فيهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) اي بموجبات الرحمة او بها كافة على البرية (اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه الصلاة والسلام ربه تعالى) اي على وجه الاكرام (رحمة لامته) اي خاصة (ورحمة للعالمين) اي عامة اذ هو رحمة للكفار من عذاب الاستيصال في هذه الدار (ورحيما لهم) اي بخصوصهم وعمومهم بحسب استحقاقهم (ومترحما) اي متكلفا لاظهار الرحمة او مبالغا في استنزال المرحمة (ومستغفرا لهم) اي طالبا المغفرة لذنوب امة الاجابة وتوفيق الايمان لامة الدعوة (وجعل) اي الله سبحانه وتعالى (امته امة مرحومة) اي لكونه نبي الرحمة (ووصفها بالرحمة) اي بكونها راحمة كما قال تعالى رحماء بينهم لكونه نبي الرحمة فهم جامعون بين الراحمية والمرحومية كما يشير اليه قوله (وامرها بالتراحم) اي بان يترحم بعضهم على بعض (واثنى عليه) اي ومدح التراحم وبالغ فيه ليكون سببا لرحمته سبحانه وتعالى عليهم وفي نسخة واثنى عليها اي على صفة الرحمة (فقال ان الله يحب من عباده الرحماء) كما رواه الشيخان عن اسامة بن زيد الا انه بلفظ يرحم بدل يحب (وقال) اي في حديث آخر رواه ابوداود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم) بالجزم والرفع (من في السماء) اي من الملأ الاعلى او من في السماء ملكه وعرشه او من هو معبود في السماء زاد الترمذي والرحم شجنة من الرحمن اي قطعة مأخوذة من صفة الرحمن من وصلها وصله الله تعالى ومن قطعها قطعه الله تعالى وهو حديث مسلسل بالاولية لبعض ارباب الرواية لكن اسانيده غير صحيحة عند اصحاب الدراية لانقطاع التسلسل من عمرو بن دينار عن ابي قابوس عن مولاه ابن عمرو (واما رواية نبي الملحمة) على ما اخرجه ابن سعد عن مجاهد (فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف) اي وضرب السيف بعد انقطاع المقال وثبوت الحجة ووضوح المحجة حال الجدال بسببه (صلى الله تعالى عليه وسلم وهي) اي هذه الرواية او الاشارة (صحيحة) وعلى تصحيح المدعى صريحة قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وروى حذيفة مثل) حديث (ابي موسى) كما رواه احمد والترمذي في الشمائل (وفيه) اي وفي حديث حذيفة (نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي) اي كابي نعيم في الدلائل عن يونس بن ميسرة (في حديثه عليه الصلاة والسلام انه قال اتاني ملك فقال) اي لي كما في نسخة (انت قثم) بالمثلثة (اي مجمع) يعني لانواع العطاء فان القثم هو الاعطاء (قال) اي الحربي (والقثوم) بفتح القاف (الجامع للخير) وروى والقثم ويؤيده قوله (وهذا) اي قثم

(اسم هو فى اهل بيته عليه الصلاة والسلام معلوم) اى عند اهله وهو قثم ابن العباس وقثم عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا هذا وقال التلمسانى والجامع اما للخير وما افترق فى غيره اوجمع الله به شمل الامة وكان قد افترق الملة ثم قال وقثم عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شقيق الحارث بن عبد المطلب وبه سميت محلة بسمرقند لانه دفن فيها انتهى والصحيح ان قثم عمه مات صغيرا وان المحلة التى بسمرقند دفن فيها قثم بن العباس على ماذكره المغرب ونقله الانطاكى (وقد جاءت من القابه عليه الصلاة والسلام) وهى الصفات الغالبة عليه (وسماته) بكسر اوله جمع سمة وهى العلامة (فى القرآن) اى نعوته المعلمة المعلومة فيه مما نسب اليه (عدة كثيرة) اى جملة معدودة مبينة لديه (سوى ما ذكرناه) اى ومعناه قررناه (كالنور) اى فى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور (والسراج المنير) اى فى قوله تعالى وسراجا منيرا (والمنذر) اى فى قوله تعالى وتنذر يوم الجمع وليكون من المنذرين (والنذير والمبشر) اى فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والبشير) قال تعالى فقد جاءكم بشير ونذير (والشاهد) كما سبق لقوله تعالى وشاهد ومشهود (والشهيد) قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (والحق المبين) لقوله تعالى لقد جاءكم الحق من ربكم وهو اولى من قول الدلجى لما فى حديث البخارى اللهم انت قيم السموات والارض ومن فيهن وفيه ومحمد حق اذ فيه ان هذا ليس فى القرآن والكلام فى اسماء مذكورة فيه مع انه خبر عنه لا وصف له كما فى بقية الحديث والجنة حق والنار حق الا ان حق المصنف كان ان يقول والمبين بالعطف للاشارة الى انهما وصفان مستقلان وللاشعار الى قوله تعالى لتبين للناس مانزل اليهم فان وصفه عليه الصلاة والسلام بمجموع الحق المبين غير معروف لا فى الكتاب ولا فى السنة ولعله ذكرهما بحذف العاطف (وخاتم النبيين) كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهو بفتح التاء على الاسم اى آخرهم وبالكسر على الفاعل لانه ختم النبيين فهو خاتمهم ذكره الانطاكى والتحقيق ان المراد بالفتح مايختم به من الطابع فقوله اى آخرهم حاصل المعنى لاجل المبنى (والرؤف الرحيم) جمع بينهما من غير عاطف كما جاء فى الاية بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة شدة الرحمة فاخر لمراعاة الفاصلة اوللتعميم والتتميم (والامين) لقوله تعالى عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين على احد القولين فى تفسيره ولحديث انى لامين فى الارض امين فى السماء وكان قبل البعثة يسمى امينا (وقدم الصدق) اى من حيث انه اوحى اليه ان يبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم فهو اولى بهذا الوصف من غيره وكان حق المصنف ان يأتى به منكرا على طبق وروده وقيل سمى قدم صدق لانه يشفع لهم عند ربهم (ورحمة للعالمين) لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (ونعمة الله) اى انعم به على من آمن به فى الدارين ذكره الدلجى والاولى ان يقال لقوله تعالى وبنعمة الله هم يكفرون كما قاله المفسرون (والعروة الوثقى) اى من حيث ان من آمن به فقد تمسك من الدين بعقد وثيق لا تحله شبهة ذكره الدلجى والاظهر لقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى اى بعهد المصطفى وذمة المجتبى قال الانطاكى قيل انه محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام (والصراط المستقيم) اى من حيث هداية من آمن به اليه ودلالته عليه كذا ذكره الدلجى ولعله مأخوذ من قوله تعالى يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم اى الى نبى كريم ودليل قويم قال الانطاكى قوله الصراط المستقيم قيل هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو طريقه عليه الصلاة والسلام وقيل هو طريق الجنة وقيل طريق اهل السنة والجماعة وقيل هو الاسلام وقيل هو القرآن انتهى والكل متقارب البيان فى معرض البرهان وزيد فى نسخة هنا طه ويس وهى غير صحيح لقول المصنف سوى ماذكرناه وقد ذكرا فيما قدمناه وحررناه (والنجم الثاقب) اى المضيء كان يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه بظهوره وهو مأخوذ من قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ولعل فى ايراده ايماء الى انه مشبه به (والكريم) قال تعالى انه لقول رسول كريم (والنبى الامى) اى الذى لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبى الامى (وداعى الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه ولقوله سبحانه وتعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وكان الاظهر ان يقال والداعى الى الله ثم رأيت قوله تعالى اجيبوا داعى الله قال البغوى يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اوصاف كثيرة) اى مع صفات اخر كثيرة (وسمات جليلة) اى نعوت عظيمة شهيرة (وجرى منها) اى من اسمائه (فى كتب الله المتقدمة) كالتوراة والزبور والانجيل (وكتب انبيائه) اى الماضية من الصحف الوافية (واحاديث رسوله) اى الثابتة (واطلاق الامة) اى من العلماء والائمة (جملة شافية) فاعل جرى اى جملة من الاسماء والصفات شافية فى حصول المهمات (كتسميته بالمصطفى) وهو وان شاركه سائر الرسل حيث قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس الاية الا انه هو الفرد الاكمل من هذا الجنس الافضل وكذا قوله (والمجتبى) من قوله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب (وابى القاسم)

وهو كنية بولده القاسم (والحبيب) لما سبق من حديث الا وانا حبيب الله (ورسول رب العالمين) فانه اولى من يطلق عليه من بين المرسلين (والشفيع المشفع) اى المقبول شفاعته التى تعم امته وسائر اهل محبته (والمتقى) اسم فاعل من الاتقاء واصله الموتقى من الوقاية وهو من يقى نفسه مما يوجب العذاب ومما يقتضى الحجاب (والمصلح) اى لما افسده غيره من امر الدين ففى التوراة ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اى ملة ابراهيم وسميت عوجاء لتغير العرب اياها (والطاهر) اى بحسب الباطن والظاهر (والمهيمن) اى المبالغ فى المراقبة لاحوال الامة (والصادق) اى قولا ووعدا وفعلا (والمصدوق) اى من يأتيه الصدق من عند ربه شهادة فى حق امره (والهادى) اى الخلق الى الحق (وسيد ولد آدم) من المبدأ والختم عموما (وسيد المرسلين) اى خصوصا (وامام المتقين) اى من الاولياء الصالحين والعلماء العاملين (وقائد الغر) بضم الغين وتشديد الراء اى بيض الوجوه من آثار انوار الوضوء اطلاقا لاسم الجزء على الكل اذ الغرة بياض الجبهة قدر الدرهم (المحجلين) بتشديد الجيم المفتوحة اى المبيضين ايديا وارجلا من انوار الطهارة وآثار العبادة (يوم القيامة) وفيه اشارة الى ما استدل به الائمة على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل لا وانما المختص الغرة والتحجيل لحديث هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى واجيب بضعفه وعلى فرض صحته احتمل ان يكون الانبياء اختصوا بالوضوء دون اممهم (وخليل الرحمن) لحديث مسلم وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعنى نفسه (وصاحب الحوض المورود) اى يوم القيامة وقد ورد فيه احاديث صحيحة وفى بيان اختصاصه صريحة (والشفاعة) اى العظمى (والمقام المحمود) عطف تفسير او مغاير ان اريد بالشفاعة جنسها الشامل لجميع انواعها (وصاحب الوسيلة) لحديث مسلم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سئل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (والفضيلة) اى المرتبة على مرتبة الوسيلة لحديث الشيخين من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة وفى رواية النسائى وابن حبان والبيهقى المقام المحمود (والدرجة الرفيعة) اى العالية (وصاحب التاج) اى الخاص به فى الجنة يلبس فيها ليمتاز به عن اهلها فقد روى ابو داود عن سهل بن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا الحديث فما ظنكم بالذى جاء به ونزل عليه وهو سيد الاولين والآخرين وما ابعد الدلجى وغيره حيث فسروا التاج بالعمامة وقالوا كانت اذ ذاك خاصة بالعرب فهى تيجانهم ومن ثم قيل العمائم تيجان العرب انتهى ونعبيره بقيل غير مرضى اذ ورد فى حديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن على وابن عباس مرفوعا (والمعراج) اى وصاحبه الخاص به (واللواء) لحديث آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (والقضيب) اى السيف فعيل بمعنى الفاعل من قضب اذا قطع وقيل العصا فهو فعيل بمعنى المفعول لانه مقطوع من الشجر (وراكب البراق) اى فى ليلة الاسراء (والناقة) اى وراكبها فى حجة الوداع وغيرها (والنجيب) عطف تفسير للناقة فانه عرفا يطلق على الخفيف السريع من الابل ولعله زيد لمراعاة السجع فى مقابلة القضيب (وصاحب الحجة) اى القاطعة (والسلطان) اى السلطنة الغالبة والدولة القاهرة (والخاتم) اى وصاحب الخاتم بفتح التاء وهو بخاتم النبوة اقرب وبكسرها وهو بملبوس اليد انسب واما قول الدلجى لان الله تعالى ختم به انبياءه بشهادة وخاتم النبيين اى آخرهم فليس فى محله اذ يأباه اضافة الصاحب اليه (والعلامة) اى وصاحب العلامة الدالة على نبوته واد امته وكم من علامة ظاهرة على رسالته وكرامته (والبرهان) اى صاحب البرهان الظاهر والتبيان الباهر (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء اى العصا وهو القضيب قاله سطيح واراد به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان كثيرا ما تحمل بين يديه ويمسكها ويمشى بها وتغرز له فيصلى اليها وقد افردت رسالة لها وقال الهروى الهراوة هى العصا الضخمة وتبعه الجوهرى (والنعلين) اى وصاحبهما اذ كان يمشى بهما واما ما قيل بأخبره من يمشى بنعل فرد اى طاق واحدة لم تخصف مع غيرها على عادة عرب البادية وهم يعدون رقته ويجعلونه من لباس الملك ونعمته (ومن اسمائه فى الكتب) اى من التوراة وغيرها (المتوكل) اى على ربه دون غيره فى جميع امره (والمختار) اى من بين البرية (ومقيم السنة) كما ورد عن داود اللهم ابعث مقيم السنة اى مظهر الملة (والمقدس) اى المنزه عن المنقصة (وروح القدس) بضم الدال وسكونها وسمى به لمجيئه بما فيه حياة الارواح التى بها قوة الاشباح (وروح الحق) لاحياء الحق به فهو بمنزلة روحه (وهو معنى البارقليط) بالباء الموحدة وبفتح الراء وتكسر وبسكون القاف وقد تسكن الراء وتفتح القاف وكسر اللام بعدها ياء مثناة ساكنة فطاء مهملة (فى الانجيل)

اى باللغة العبرانية قيل واكثر النصارى على ان معناه المخلص (وقال ثعلب) هو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية
ابو العباس احمد بن يحيى البغدادى المقدم فى نحو الكوفيين مات سنة احدى وتسعين ومائتين (البارقليط الذى يفرق بين
الحق والباطل) اى فرقا بينا وفصلا مبينا بحيث لا يشتبه احدهما بالاخر اصلا وقطعا (ومن اسمائه فى الكتب السالفة)
باللام والفاء اى السابقة (ماذ ماذ) بفتح ميم فالف فذال معجمة منونة فيهما وفى نسخة بضم الذال من غير تنوين
على انه غير مصروف للعلمية والعجمة وفى نسخة بسكون الذال ولعله اجراء للفصل مجرى الوصل قال الحلبى ماذ بميم
ثم الف لاهمزة ثم ذال معجمة ساكنة كذا فى النسخة التى وقفت عليها وينبغى ان تضم الذال لانه لا ينصرف للعجمة
والعلمية اى انت ماذ اوياماذ وان كان فى الاصل صفة انتهى وفيه بحث لا يخفى واما ما ضبطه الدلجى بميم مضمومة
فاشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة فغير مطابق للرواية وغير موافق للدراية ثم رأيت الحجازى نسبه الى
السهيلى منقولا عن رجل اسلم من علماء بنى اسرائيل قال (ومعناه طيب) ولعل التكرار كناية عن غاية من الطيب
فان الظاهر ان مجموع اللفظين هو الاسم (وحمطايا) بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الميم وطاء مهملة ثم ياء
تحتية وفى نسخة بفتح الحاء والميم مشددة اى حامى الحرم ومحمى الحرم وفى النهاية لابن الاثير ما لفظه وفى حديث
كعب انه عليه الصلاة والسلام فى الكتب السابقة محمد واحمد وحياطا كذا بفتح الحاء وسكون الميم فياء تحتية
بعدها الف فطاء فالف قال ابو عمرو سألت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمى الحرم ويمنع من الحرام
ويعطى الحلال انتهى (والخاتم) بالخاء المعجمة (والحاتم) بالحاء المهملة وهذا هو المطابق للنسخ المعتمدة والحواشى
المعتبرة وهو الموافق لترتيب ما سيأتى من معنيهما وعكس الحلبى فى ضبطهما فقال الحاتم بالحاء المهملة
والخاتم هذا بالخاء المعجمة (حكاه كعب الاحبار) وقد سبق عنه الا انه بلفظ حياطا (وقال) الاظهر قال (ثعلب)
كما فى اصل الحلبى والدلجى (فالخاتم) اى بالمعجمة وفتح التاء اوكسرها (الذى ختم الله به الانبياء والحاتم) اى بالمهملة
وكسر التاء لاغير وهو من له السماحة والملاحة والحلاوة والرحمة والراحة (احسن الانبياء خلقا) بفتح الخاء اى
صورة وبشاشة (وخلقا) بضم الخاء اى سيرة ولطافة (ويسمى) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بالسريانية) بضم
السين وسكون الراء وتشديد الياء الثانية وهى اللغة الاولى التى تكلم بها آدم والانبياء والالسنة ثلاثة سريانى
وعبرانى وعربى وهو لاهل الجنة وفى الموقف سريانى قال السيوطى وسؤال القبر بالسريانية اقول ولعله مختص
بالامم الماضية لئلا يخالف ظواهر الاحاديث الواردة واما العبرانية فسميت بذلك لان ابراهيم عليه السلام انما نطق
بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود وقد كان النمرود قال للطلاب الذين ارسلهم فى طلبه اذا وجدتم من يتكلم
بالسريانية فردوه فلما ادركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبرانيا ذكره السهيلى (مشفح) بضم ميم وفتح شين معجمة
ففاء مشددة مفتوحة فحاء مهملة منونة وفى نسخة بالقاف بدل الفاء وهو اصل الحاشية الحجازية ولا يعرف له
معنى فى العربية واما قول الدلجى غير منصرف للعلمية والعجمة فغير ظاهر لانه مع مخالفته للنسخ المصححة غير صريح
فى العلمية بل ظاهر فى الوصفية (والمنحمنا) بضم ميم فنون ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فميم مكسورة فنون
مشددة مفتوحة وهو مقصور كذا فى النسخ بالقلم ذكره الحلبى وتبعه الدلجى وعبر عنه بقيل ثم قال وقيل جميع حروفه
مفتوحة الا المهملة فساكنة انتهى وهو اصل صحيح من النسخ المعتمدة وفى نسخة بضم الميم الاولى وكسر الميم الثانية
وضبطه الحجازى بفتح الميم والمهملة وسكون النون الاولى وتشديد الثانية ثم فى آخره الف فى اكثر النسخ وفى بعضها ياء
مبدلة من الف كالمستصفى هذا وقد قال ابو الفتح اليعمرى فى سيرته والمنحمنا بالسريانية هو محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم قال الحلبى وهذا الكلام يحتمل معنيين احدهما ان يكون معناه بالسريانية محمد بالعربية ويحتمل غير ذلك
قلت وفى سيرة ابن سيد الناس هو بالسريانية اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المعنى الثانى اظهر فتدبر
وقال ابن اسحق هو بالنجاشية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (واسمه ايضا فى التوراة احيد) بفتح همزة فسكون
حاء مهملة فكسر تحتية فدال مهملة مضمومة غير منونة وفى نسخة بضم الهمزة وكسر الحاء وسكون الياء
التحتية وفى نسخة وهى موافقة لما ذكر الحلبى بضم فسكون ففتح وفى اخرى بضم ففتح وفى اخرى بكسر التحتية وهى التى
اقتصر عليها الدلجى وفى اخرى بضم ففتح فسكون وفى اخرى بفتح فسكون ففتح وهو مختار الحلبى وصوبه الانطاكى
لحديث اورده ابو حذيفة اسحق بن بشر فى كتاب سماه المبتدأ واسنده الى ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال اسمى
فى القرآن محمد وفى الانجيل احمد وفى التوراة احيد قال سميت احيد لانى احيد امتى عن نار جهنم يوم القيامة انتهى
ووجه تصويبه غير ظاهر كما لا يخفى (روى) وفى نسخة وروى (ذلك) اى كون اسمه فى التوراة احيد (عن ابن سيرين)
وهو تابعى جليل وكان ثقة حجة كثير العلم والورع قيل كان يصوم يوم ويفطر يوم وله سبعة اوراد فى اليوم والليلة

هذا وقد قال المصنف بعد مانقل من المبنى فى الاسماء (ومعنى صاحب القضيب اى السيف) يعنى بدليل انه (وقع ذلك) اى اللفظ (مفسرا فى الانجيل) اى مبينا بقرينة اقترانه بمايدل عليه (قال) اى الله سبحانه وتعالى فى الانجيل عند نعته عليه الصلاة السلام (معه قضيب من حديد) اى معه سيف حديد مشابه للقضيب طولا وعرضا وطراوة ولطافة اوسيف قاطع من حديد حاد (يقاتل به) بكسر التاء اى يجاهد به اعدآءه (وامته كذلك) اى معهم قضبان يقاتلون بها اعداءه ويتابعون اهواءه و يتبعون اقتداءه (وقد يحمل) اى القضيب فى الحديث (على انه القضيب الممشوق) اى الطويل الدقيق (الذى كان يمسكه عليه الصلاة والسلام) اى بيده حال القيام وعند خطبته للانام وموعظته لاصحابه الكرام (وهو الآن عند الخلفاء) اى وكانوا يتداولونه واحدا فواحدا على سيرة الخطباء (واما الهراوة التى وصف بها) اى بكونه صاحبها وحاملها (فهى فى اللغة العصا) اى مطلقا اوالضخمة على ماذكره الجوهرى تبعا للهروى (واراها) بضم الهمزة اى واظنها ان المراد بهاههنا (والله تعالى اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض) اى حيث قال (اذود) بضم الذال المعجمة اى ادفع وامنع واطرد (الناس) اى العصاة (عنه) اى عن حوضى (بعصاى) اى التى فى يدى حينئذ (لاهل اليمن) اى اذود الناس لاجلهم حتى يتقدموا وفى هذا كرامة لاهل اليمن فى تقديمهم للشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم فى الاسلام وفى نسخة لاهل اليمين وهى رواية مسلم فى المناقب وهى التى جعلها الدلجى اصلا والحلبى صوبها وقال المراد بها الجهة المعروفة عن يمين الكعبة انتهى والاظهر ان المراد باهل اليمين اصحاب اليمين من ارباب الجنة ويدخل فى عمومهم اهل اليمن وخص بهم لان السابقين يفهم منه بالاولى كما لايخفى هذا وقد ضعف النووى هذا الظن من القاضى بان المراد من وصفه بها تعريفه بصفة يراها الناس معه ويستدلون بها على صدقه وانه المبشر به المذكور فى الكتب السالفة فلا يصح تفسيرها بعصا تكون فى الآخرة فالصواب ماقاله الائمة فى تفسير كونه صاحبها انه يمسك القضيب بيده كثيرا وقيل لانه كان يمشى والعصا بين يديه وتغرز له فيصلى اليها وهذا فى الصحيح مشهور هكذا ذكره الدلجى وقرره تبعا للحلبى حيث قال وتعقبه النووى بان هذا ضعيف وباطل الى آخر ماذكره واقول لعل وجه مااختاره المصنف هوالاخرى بحمل هذا النعت على الدار الآخرة لان اخذ العصا من سنن الانبياء فى الدنيا فاذا لم يحمل على هذا المعنى لم يتميز عن اخوانه بالوصف الاول بخلاف الصفة الاولى فانه النعت المختص به فى العقبى لاسيما وعامة العرب لايمشون الا بالعصا فلا يصلح ان يكون علامة لخاتم الانبياء مع ان اخذه اياها انما كان احيانا ثم لايلزم من ذكر نعوته فى الكتب السابقة ان لايكون بعضها متعلقا بالدار الآخرة وبعضها بالاحوال السابقة (واما التاج فالمراد به العمامة) فيه بحث فان المراد به غير معلوم الارب العباد واما باعتبار اللغة والعرف فهو مستعمل فى غير العمامة على اختلاف فى عرف العامة واما ما ورد فى الحديث فظاهره انه اراد المعنى المجازى حيث نزل العمامة منزلة التاج واقامها مقامه فى مرتبة الوقار والرواج كما يدل عليه اويشير اليه قوله (ولم تكن) اى العمامة (حينئذ) اى حين وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب) اى وكان الناس كلهم اصحاب التيجان امامع العمامة اوبدونها (والعمائم) اى بدون التيجان (تيجان العرب) اى اكتفاء بها عن غيرها وفيه اشعار بانهم من اهل القناعة الدنيوية وموصوفون بعدم التكلف فى موجبات الرعاية العرفية والحاصل ان الاصح ان يراد بقوله صاحب التاج تاج الكرامة يوم القيامة كما قدمناه (واوصافه) اى نعوته من اسمائه (والقابه) اى المشعرة بانواع مدحه وثنائه (وسماته) بكسر السين اى سماته وعلامات فضائله (فى الكتب) اى الماضية والمتقدمة (كثيرة وفيما ذكرناه منها) اى وان كانت قليلة يسيرة (مقنع) بفتح الميم والنون اى محل كفاية ومكان قناعة (ان شاء الله تعالى) اذ احصاؤها غير ممكن كما لا يخفى (وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم) لحديث البخارى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى السوق فقال رجل يا ابا القاسم فالتفت اليه فقال انما دعوت هذا فقال سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ولعل وجهه انه كان يدعى بالكنية تعظيما ولا يدعى باسمه للنهى الوارد عنه تكريما وزيد فى رواية فانى انما جعلت قاسما اقسم بينكم وفيه اشارة الى ان المراد بابى القاسم هو الموصوف بهذا الوصف وهو لاينافى كونه ابا لولد له مسمى بالقاسم (وروى عن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسند احمد والبيهقى (انه لما ولد له ابراهيم) اى ابن نبينا عليه الصلاة والسلام من مارية (جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم) فهى كنيته ايضا وهو يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قدسمى ولده ابراهيم قبل نزول جبريل عليه السلام ويحتمل ان تكون تسميته وقعت فى ضمن تكنيته اثناء تهنئته وفى الجملة صار صلى الله عليه وسلم ابا ابراهيم كما كان ابوه ابراهيم فكانه صلى الله عليه وسلم احيى اسم جده عليهما الصلاة والسلام ثم قيل وكنيته ايضا ابو الارامل وهو لقب فى المعنى وان كان كنية فى المبنى فان معناه مراعى الارامل ومحافظ احوالهن ومتفقد مالهن والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿فصل﴾

(فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى) تأنيث الاحسن لان الاسماء فى معنى الجماعة (ووصفه به من صفاته العلى) بضم العين جمع العليا ووصفه بفتح الواو والصاد والفاء عطفا على سماه ويحتمل كونه مصدرا معطوفا على تشريف الله (قال القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف نفسه (وفقه الله) اى لما يحبه ويرضاه (ماأحرى هذا الفصل) بالنصب فان الصيغة للتعجب اى ما احقه واخلقه واجدره واليقه (بفصول الباب الاول) اى من هذا الكتاب وهو المعنون بالفصل فى ثناء الله تعالى عليه واظهار عظيم قدره لديه كما اشار فى ضمن تعليله وجه الاحرى اليه بقوله (لانخراطه) اى لانضمامه (فى سلك مضمونها وامتزاجه) اى اختلاطه (بعذب معينها) بفتح ميم وكسر عين اى بحلوماتها وعلو صفاتها (لكن لم يشرح الله) وفى نسخة لكن الله لم يشرح (الصدر للهداية الى استنباطه) اى استخراجه من اماكنه وهو استدراك على وجه الاعتذار عما فاته من جعل هذا الفصل من تلك الفصول المناسبة لهذه الاسرار المتضمنة للانوار (ولا انار الفكر) بالنون اى لا اشرقه ولا اضاءه له وفى نسخة بالثاء المثلثة اى ولا بعثه ولا هيجه (لاستخراج جوهره والتقاطه) اى من بحره وبره الشامل لعموم كرم عمله وبرحمله (الاعند الخوض) اى الشروع والدخول (فى الفصل الذى قبله) اى فشرح الصدر للهداية الى ذلك اولا على وفق ما هنالك (فرأينا ان نضيفه اليه) اى بتعقيبه له زيادة عليه (ونجمع به شمله) اى تفرقه عند حصوله لديه (فاعلم) اى ايها الطالب الراغب (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء) اى الذين هم من جملة الاصفياء (بكرامة خلعها) اى القاها (عليهم) وفى نسخة عليه وعليهم اى البسهم خلعة الكرامة الواصلة اليهم والحاصلة لديهم وفى نسخة جعلها اى صيرها اعلاما عليهم (من اسمائه) بان ذكر فيهم صفات هى مبادى اشتقاق وصف له واخذ من بنائه (كتسمية اسحق واسمعيل) اى ابنى ابراهيم الخليل على خلاف فى المراد بالمبشر به من احد اولاد الخليل وكان الاولى تقديم اسمعيل لانه اكبر ولكونه جدا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولموافقة قوله سبحانه وتعالى الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق (بعليم) فى قوله تعالى وبشروه بغلام عليم (وحليم) فى قوله سبحانه وتعالى فبشرناه بغلام حليم وجمع بينهما للاشعار بان الكمال هو الوصف باجتماع العلم والحلم المنبعث عنهما جميع الفضائل البهية والشمائل السنية وقد اغرب الدلجى حيث جعل الوصفين نشرا مرتبا على الابنين اذ لم يقل احد بالتفصيل بينهما وانما اختلفوا فى ان ايهما المراد به مع الاتفاق على ان المبشر به احدهما ولذا قال الانطاكى ولعل المؤلف من اجل الاختلاف جمع ههنا بين اسحق واسمعيل وقد افرد السيوطى رسالة فى تعيين الذبيح وتوقف فى ان ايهما الصحيح لكن المعتمد عند المفسرين والمحدثين المعتبرين انه اسمعيل لحديث انا ابن الذبيحين وغيره من ادلة ليس هذا محل بسطها (وابراهيم بحليم) اى فى قوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ولعل الاكتفاء به للعلم بانه عليم اولزومه اولغلبة حلمه على علمه ولذا استغفر لوالده (ونوح بشكور) اى فى قوله سبحانه وتعالى انه كان عبدا شكورا (وعيسى ويحيى ببر) بفتح الباء وتشديد الراء مبالغة بار فى قوله تعالى وبرا بوالدتى وبرا بوالديه (وموسى بكريم) اى فى قوله سبحانه وتعالى وقد جاءهم رسول كريم فى الدخان (وقوى) اى فى قوله سبحانه حكاية عن بنت شعيب وتقريرا لكلامها ان خير من استأجرت القوى الامين وفى نسخة بدلهما بكليم والظاهر انه اصل سقيم (ويوسف بحفيظ عليم) اى فى قوله سبحانه حكاية عن يوسف مقررا شانه ومعتبرا بيانه حيث انطق لسانه بقوله انى حفيظ عليم (وايوب بصابر) اى فى قوله تعالى انا وجدناه صابرا وفيه ان الصابر غير معروف من اسمائه وانما الصبور من اسمائه سبحانه على المشهور (واسمعيل بصادق الوعد) اى فى قوله تعالى عند ذكره انه كان صادق الوعد ولعل وجهه قوله سبحانه وتعالى ولن يخلف الله وعده وحديث صدق الله وعده والافصادق الوعد والصادق المطلق ليس من الاسماء المشهورة (كما نطق به) وفى نسخة صحيحة بذلك اى بما خص انبياءه (الكتاب العزيز) اى بانبائه على وفق اشتقاق اسمائه (فى موضع ذكرهم) بالاضافة اى فى مواضع ذكرهم ووصفهم وشكرهم فيها كما قدمناه وفى نسخة صحيحة من مواضع بدل فى ولعلها بمعناها او بيان لما لابهام مبناها (وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على سائر الانبياء والاصفياء بزيادة اشتقاق بناء الاسماء فى الانباء (بان حلاه) بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام اى زينه (منها) اى من اسمائه سبحانه (فى كتابه العزيز) اى البديع المنيع المشتمل على التعجيز او القوى الغالب على سائر الكتب بنسخها على وجه التمييز وقد قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (وعلى السنة انبيائه) اى كما نقله بعض اوليائه (بعدة كثيرة) اى بجملة كثيرة وهى بكسر العين والباء الاولى بيانية اى بسبب تعداد نعوت كثيرة

واوصاف عزيزة (اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر) بكسر الهمزة اى استعماله (واحضار الذكر) بضم الذال وكسرها والمعنى بعد افراغ الوسع تفكرا وتذكرا (اذلم نجد) اى من العلماء المصنفين (من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها التأليف فصلين) اى ليعرف منديان فرعين اواصلين (وحررنا) بحاء وراءين مهملات و يروى جردنا بالجيم ودال اى اخرجنا (منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) اى مما اشتق من اسماء الله الحسنى والصفات العلى (ولعل الله تعالى) اى ارجو من كرمه انه (كما الهم) اى ارشد (الى ماعلم) بتشديد اللام اى عرف (منها وحققه يتم النعمة) اى يكملها (بابانة مالم يظهره لنا الآن) اى باظهار اسراره وابداء انواره (ويفتح غلقه) بفتحتين اى اغلاقه واشكاله وامثلته وامثاله اذا عرفت ذلك (فن اسمائه) اى الله سبحانه وتعالى (الحميد) وهو فعيل بمعنى المفعول اوالفاعل والاول اظهر ولذا قدمه بقوله (ومعناه المحمود لانه حمد نفسه) اى ازلا (وحمده عباده) اى ابدا وقد يقال هو المحمود فى ذاته سواء حمدا ولم يحمد على لسان مخلوقاته مع انه وان من شئ الا يسبح بحمده فى مراتب تعيناته فهو المحمود فى كل فعال وجميع حال اذ هو المولى لكل نوال (ويكون) اى الحميد (ايضا) اى كما يكون بمعنى المحمود (بمعنى الحامد لنفسه) اى فى نفسه اوفى كلام قدسه تعليما لعباده على وفق مراده (ولاعمال الطاعات) بمعنى شانه وشكر اهله وجزائه وقد يقال الحامدية والمحمودية فى جميع مراتب الربوبية فهو الحامد وهو المحمود لانه فى نظر الشهود سوى الله والله مافى الوجود (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نبيا وهو مرفوع او منصوب وهو الاظهر فتدبر (محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود) بل ابلغ منه (وكذا) اى محمد اومحمود (وقع اسمه فى زبر داود) بضم الزاى والباء اى فى صحفه المزبورة بمعنى المكتوبة والمراد بها الزبور ووقع فى اصل التلمسانى على ماضبطه بكسر الزاى وسكون الباء اى فى كتابه وهو غير معروف فى الرواية والدراية (واحمد بمعنى اكبر) اى اعظم (من حمد) بفتح الحاء (واجل من حمد) بضم الحاء وفيه ايماء الى ان افعل التفضيل قد يكون بمعنى الفاعل وهو اكبر وقد يكون بمعنى المفعول وهو هنا اظهر والجمع بينهما ابهر لحيازته شرف الحامدية والمحمودية المشيرة الى مرتبة المحبية والمحبوبية فاحمد بهذا الاعتبار يكون ابلغ من محمد فى نظر النظار مع مافيه من الاشارة الى الصفة الجامعة بين مرتبة المجذوبية والمطلوبية ومنزلة المرادية المحبوبية بالنسبة الازلية الممتدة الى الابدية بخلاف وصف الحامدية المشعرة بتعلق الحادثة الكونية كما علم تحقيق هذا المعنى فى قوله تعالى يحبهم ويحبونه من ذوق قبيل المبنى (وقد اشار الى نحو هذا) اى مما قررناه وحررناه (حسان) اى ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء الانصارى النجارى عاش هو والثلاثة فوقه من آبائه كل واحد مائة وعشرين سنة وقد عاش حسان ستين فى الاسلام وستين فى الجاهلية وقد شاركه فى الوصف الثانى حكيم بن حزام قيل وغيره ايضا (وشق) بفتح الشين اى الله تعالى (له) صلى الله عليه وسلم (من اسمه) قطع همزة الوصل ضرورة ولو قال من نعته اووصفه لخلص (ليجله) اى ليعظمه بالمشاركة فى الجملة الاسمية من حيث تلاقى اسميهما اشتقاقا من مأخذ واحد ولم يرد الاشتقاق الاصطلاحى لان مبدأ هما محمد بل اراد كون اسمه بمعنى اسمه كما يشير اليه قوله (فذو العرش محمود وهذا محمد) فمحمود مأخوذ من معنى الحمد على ماسبق وقد ورد بالله المحمود فى كل فعاله والحاصل ان لفظ شق من شق الشئ جعله شقين اى نصفين ومعناه انه اعطاه من معنى اسمه جزأ من مبناه وقيل شق بمعنى اشتق اخذه منه وصاغه من حروف اسمه هذا وقد قال الامام حجة الاسلام فى المقصد الاسنى فى اسماء الله الحسنى الحميد من عباد الله تعالى من حمدت عقائده واخلاقه وافعاله واقواله وهو نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن قرب منه من الانبياء والاولياء فكل واحد منهم حميد بقدر ما حمد من اوصافه والحميد المطلق هو الله سبحانه وتعالى (ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم) اى ذو الرأفة والرحمة وقدم الابلغ منهما المسامر غير مرة (وهما بمعنى) اى واحد (متقارب) اى فى المؤدى وان كانت الرأفة شدة الرحمة (وسماه) اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (فى كتابه بذلك) اى بما ذكر من الوصفين او بالجمع بين النعتين (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود) اى دوامه الثابت قيامه (والمحقق امره) لانه الثابت مطلقا الوجوب شانه واما غيره فلا وجود له فى حد ذاته لامكانه وهذا وجه قوله كل شئ هالك الاوجهه والى هذا المعنى اشار لبيد بقوله * الا كل شئ ماخلا الله باطل * وهذا ايراد شيخ مشايخنا ابو الحسن البكرى قدس الله سره السرى بقوله استغفر الله مما سوى الله (وكذا المبين اى البين) بمعنى الظاهر (امره) اى امر وجوده وشان ربوبيته (والهيته) اى بوصف احديته وواحديته ثم قوله (بان وابان بمعنى واحد) يعنى ان بان ههنا بمعنى ابان فهما لازمان وقد يكون ابان متعديا فيكون المبين بمعنى المظهر وهذا معنى قوله (ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم) اى ما يتعلق به من معاشهم فى دنياهم (ومعادهم) اى وامر معادهم فى عقباهم وهذا المعنى فى حقه تعالى (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

(بذلك) اى بما ذكر من الاسمين (فى كتابه فقال) اى بعد قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهذا على قول بعض المفسرين من ان المراد بالحق هو الرسول الامين خلافا لمن قال ان المراد بالحق هو الكتاب المبين (وقال وقل انى انا النذير المبين) اى ظاهر الانذار او مظهر الاخبار (وقال) اى بعد قوله يا ايها الناس (قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى به محمدا او القرآن (وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل) اى المراد بالحق (محمد) اى كذبوا بالنبى الثابت نبوته المحقق معجزته بدليل الآيات السابقة المشيرة اليه فلا التفات الى قول الدلجى وهذا القيل مما لا دليل عليه (وقيل القرآن) وكلا هما صحيح وفى المدعى صريح فان تكذيب كل منهما يستلزم تكذيب الآخر سواء تقدم الاول او تأخر فتدبر (ومعناه) اى ومعنى الحق (هنا) اى فى كل من التفسيرين (ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره) اى شأنه جميعه ثم المتحقق بكسر القاف الاول وهو مرفوع عطفا على ضد الباطل فهو خبر بعد خبر اشعارا بان للحق معنيين مشهورين واما قول الحلبى بفتح القاف الاولى المشددة وهو مبتدأ وصدقه الخبر وامره معطوف على الخبر فهو مرفوع ايضا فخطأ من جهة البناء الصرفى والاعراب النحوى (وهو بالمعنى الاول) اى فيما سبق فتأمل (والمبين) على انه نعت الرسول الامين معناه (المبين امره ورسالته) اى الظاهر والواضح بناء على ان ابان لازم (او المبين) بتشديد الياء المكسورة اى المظهر والمخبر (عن الله تعالى ما بعثه به) اى من امر الرسالة لتعليم الامة بناء على ان ابان متعد (كما قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم) اى من مرغوب ومرهوب (ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور) يعنى على مضاف مقدر (اى خالقه) او سمى نورا مبالغة كالعدل فمعناه النور ومبناه الظهور لانه تعالى ظاهر بذاته وصفاته ومظهر حقائق مخلوقاته او معنى ذى النوران حجابه النور بحيث لو انكشفت سبحات وجهه لاحرقت ما انتهى اليها بصره من خلقه اولان ظهور الاشياء انما هو بنوره وتبين الامور ليس الا لظهوره واما اطلاق النور عليه سبحانه بناء على ما هو فى عرف الحكماء من انه كيفية تدركها الباصرة اولا ثم بها تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من القمرين على الاجرام المحاذية لها فلا يصح حقيقة الا انه قد يتجوز من حيث ان ظهوره تعالى بذاته الموصوف بالقدم مبرأ عن ظلمة العدم وان ظهور غيره ووجوده فائض عنه تعالى ثم تحقيق هذا المعنى وتدقيق هذا المعنى عند قوله تعالى الله نور السموات والارض حيث قيل من جملة معانيه (او منور السموات والارض) اى كما قرئ به فى الآية على ان النور بمعنى التنوير مصدر بمعنى الفاعل وقوله (بالانوار) اى بسبب الانوار الحسية من الكواكب القمرية والشمسية (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) اى الوهبية اى بسبب امداد الانوار المعنوية فى الافلاك القالبية (وسماه) اى النبى عليه السلام (نورا) اى على احد التفسيرين (فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) اى المراد بالنور (محمد وقيل القرآن) وقيل المراد بهما محمد لانه كما هو نور عظيم ومنشأ لسائر الانوار فهو كتاب جامع مبين لجميع الاسرار (وقال فيه) اى فى حق نبيه (وسراجا منيرا) اى شمسا مضيئا لقوله تعالى وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ففيه تنبيه نبيه ان الشمس اعلى الانوار الحسية وان سائرها مستفيض منها فكذلك النبى عليه السلام اعلى الانوار المعنوية وان باقيها مستفيد منه بحكم النسبة الواسطية والمرتبة القطبية فى الدائرة الكلية كما يستفاد من حديث اول ما خلق الله نورى واما الحق فهو فى مقام المطلق (سمى بذلك) اى بما ذكر من النور والسراج المنير (لوضوح امره) اى امر رسالته وبيان نبوته (وتنوير قلوب المؤمنين) عموما (والعارفين) خصوصا (بما جاء به) وما ظهر لهم من الانوار والاسرار بسببه قال الحلبى ولعل ابن سبع استنبط من هذا ومن الحديث الذى سأل فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ان يجعل فى جميع اعضائه وجهاته نورا وضم ذلك لقوله واجعلنى نورا ما قاله من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خصائصه انه كان نورا وكان اذا مشى فى الشمس او القمر لا يظهر له ظل والله سبحانه وتعالى اعلم (ومن اسمائه تعالى الشهيد) من الشهود بمعنى الحضور (ومعناه العالم) اى بظاهر ما يمكن مشاهدته كما ان الخبير هو العالم بباطن ما لم يمكن احساسه (وقيل) اى فى معناه (الشاهد على عباده يوم القيامة) الاول اطلاقه لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا ولعل وجه تقييده المناسبة فى اطلاقه على صاحب الرسالة (وسماه) اى الله نبيه فى كتابه (شهيدا وشاهدا) كان الاولى تقديم شاهدا ليلايم ترتيب ما رتبه (فقال انا ارسلناك شاهدا) اى عالما او مطلعا (وقال) اى فى موضع آخر (ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول) اى الا انه ابلغ وادل والاظهر انه من مادة الشهادة فتأمل فانه المعول (ومن اسمائه الكريم ومعناه الكثير الخير) اى النفع (وقيل المفضل) بضم الميم وكسر الضاد اى ذو الافضال بالنوال قبل السؤال (وقيل العفو) وفيه ان عفوه من جملة كرمه (وقيل العلى) اى الرفيع الشان عظيم البرهان يتعالى كرمه عن النقصان (وفى الحديث المروى) اى مما رواه ابن ماجه (فى اسمائه تعالى الاكرم) وكذا جاء فى التنزيل اقرأ وربك الاكرم (وسماه كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل) اى المراد به

(محمد وقيل جبريل) وهو الاظهر وعليه الاكثر (قال عليه السلام انا اكرم ولد آدم) وسنده قد تقدم وفى لفظ انا اكرم الاولين والآخرين اى افضلهم (ومعانى الاسم) اى اسم الكريم والاكرم على ما تقدم (صحيحة فى حقه عليه السلام) اى بالكمال والتمام اذ من جملة ماصدر عنه من الكرم والانعام مايدل عليه قول صفوان ابن امية وقد اعطاه غنما بين جبلين ان محمدا يعطى عطاء من لايخشى الفقر وهذا غاية الكرم فى ابن آدم (ومن اسمائه تعالى العظيم) من عظم الشئ اذا كبر جسما وهيئة ثم استعير لما كبر قدرا ورتبة (ومعناه الجليل الشان الذى كل شئ دونه) اى فى الظهور والبرهان هذا وقيل الكبير اسم للكامل فى ذاته والجليل فى صفاته والعظيم فيهما فهو اجل منهما (وقال تعالى فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى كلامه القديم (وانك لعلى خلق عظيم) فله العظمة المعنوية باعتبار اخلاقه البهية (ووقع فى اول سفر) بكسر اوله اى اول دفتر (من التوراة) اى من اسفارها (عن اسمعيل) اى ابن الخليل والمعنى عن جهته وفى حقه (وستلد عظيما) بالخطاب وفى نسخه بالغيبة بناء على جهتى التعبير من رعاية المبنى والمعنى ستلد ولدا عظيما ويكون نبيا كريما (لامة عظيمة) اى فى الكمية اوالكيفية كما يشير اليه قوله تعالى كنتم خير امة وخيرية كل امة تابعة لخيرية نبيها (فهو عظيم) اى فى ذاته (وعلى خلق عظيم) اى فى صفاته وتعبيره بعلى الموضوع للاستعلاء تمثيل لتمكنه من غاية الاستيلاء (ومن اسمائه تعالى الجبار) فعال للمبالغة من الجبر ضرب من القهر على ماهو فى الاصل ثم قد يستعمل فى الاصلاح المجرد كقول على رضى الله تعالى عنه ياجابر كل كسير ومسهل كل عسير وتارة فى القهر المجرد ومنه ماورد لاجبر ولاتفويض ومن ثم قيل كما قال (ومعناه المصلح) اى لامور عباده على وفق مراده (والقاهر) اى فوق عباده فلا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته وهدف لارادته ومشيئته (وقيل العلى) اى الرفيع البرهان (العظيم الشان وقيل المتكبر) اى المستغنى عن كل احد فى كل زمان ومكان ولايستغنى عنه احد فى كل شان واوان (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتاب داود) وفى نسخة فى كتب داود اى زبوره اوزبره (بجبار) الاظهر ان يقول بالجبار لقوله (فقال) اى مناديا له فى عالم الارواح ومستحضرا له فى عالم الاشباح (تقلد ايها الجبار سيفك) اى للكفار (فان ناموسك) بالالف قال التلسانى يهمز ويسهل والناموس وعاء العلم وصاحب سرك الذى تطلعه على باطن امرك وجبريل عليه السلام قال الانطاكى والمراد هنا والله تعالى اعلم مايوحى اليه وهو القرآن انتهى والاظهر ان يقال فى المعنى اى اعتبارك واقتدارك وانوار علومك واسرارك (وشرايعك) اى احكامك واخبارك (مقرونة بهيبة يمينك) اى قوة تصرفك وغلبة قهرك وكثرة نصرك على وفق يقينك (ومعناه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى باعتبار معانيه فى حقه سبحانه والمناسبة التامة بما يقتضى شانه (اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم) اى باظهار العناية والرعاية بما يحتاجون فى البداية والنهاية (اولقهره اعداءه) اى ولجبره احبائه (اولعلو منزلته على البشر) اى جنس بنى آدم فى الفواضل النفسية والفضائل الانسية (وعظيم خطره) بفتحتين اى قدره ومزيته على غيره (ونفى) اى الله تعالى (عنه فى القرآن جبرية الكبر) التى لاتليق به وفى نسخة جبرية التكبر والاظهر جبرية القهر لقوله (فقال وما انت عليهم بجبار) اى بمسلط وقهار تقهرهم على الايمان وتقدرهم على العرفان اوما انت عليهم بوصف الجبابرة بل بنعت الرأفة والرحمة (ومن اسمائه تعالى الخبير) مبالغة من الخبرة وهى العلم بالامور الخفية (ومعناه المطلع بكنه الشئ) بضم الكاف اى على غايته ونهايته (العالم) وفى نسخة والعالم (بحقيقته) اى بماهيته وكيفيته (وقيل معناه المخبر قال الله تعالى فاسئل به خبيرا) واختلف فى المراد بالسائل والمسئول (قال القاضى بكر بن العلاء) هو بكر بن محمد بن العلاء بن محمد بن زياد القشيرى من اولاد عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه مات سنة اربع واربعين وثلثمائة ذكره التلمسانى وقال الانطاكى هو المالكى (المأمور بالسؤال هو غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فاسئل بماذكر او عماذكر مما تقدم من خلق الاشياء ووصف الاستواء عالما يخبرك بحقيقة الانباء اوهو سيد الانبياء (وقال غيره) اى غير بكر (بل السائل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسئول الله تعالى) وهو اظهر الاقوال وقيل جبريل اومن وحد الله فى كتبه المتقدمة (فالنبى خبير بالوجهين المذكورين) اى ماقدمه القاضى آنفا من قوله الخبير اما معناه العالم بحقيقة الشئ اوالمخبر (قيل) اى فى توجيه الوجهين (لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) يعنى فيصلح ان يكون سائلا (مخبر لامته عما اذن) اى ابيح (له فى اعلامهم به) اى بما ينفعهم معاشا ومعادا فيصح ان يكون خبيرا بمعنى مخبر فيصير مسئولا (ومن اسمائه تعالى الفتاح) اى كما قال الله تعالى وهو الفتاح العليم (ومعناه الحاكم بين عباده) كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اى احكم لان الحكم فتح امر مغلق بين الخصمين وقد بين الله الحق واوضحه وميز الباطل وادحضه بانزال الكتاب المبين

واقامة البراهين فى امر الدين (اوفاتح ابواب الرزق) اى على انواع الخلق من اسباب النعمة الدنيوية والاخروية (والرحمة) اى من قبول التوبة وحصول المغفرة (والمنغلق) بالنون الساكنة والغين المعجمة المفتوحة واللام المكسورة اى المشكل (من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم) اى اعين بصيرتهم فقوله (و بصائرهم) عطف تفسير وفى نسخة وابصارهم فالمعنى ابصارهم الباطنة والظاهرة (لمعرفة الحق) اى وتمييزه عن الباطل (و يكون) اى الفتاح (ايضا بمعنى الناصر) وكان الاظهر ان يقول ويكون الفتح بمعنى النصر (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه) اى معنى الفتاح (مبتدئ الفتح والنصر) يعنى ملاحظة المعنيين من الفتح وهو الافتتاح والفتح ولايبعد ان تكون الدال مفتوحة فمعنى جاءكم الفتح اى مبتدأه واوله وهذا كله بناء على النسخ المعتمدة من بناء الكلمة على الابتداء من باب الافتعال وفى اصل الدلجى مبدئ الفتح والنصر من الابداء من باب الافعال ولذا قال اى مظهرهما (وسمى الله تعالى نبيه محمدا عليه السلام الفاتح فى حديث الاسراء الطويل) اى على ماسبق بطوله (من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة) اى مرفوعا (وفيه من قول الله تعالى) يعنى الحديث القدسى (وجعلتك فاتحا وخاتما) بكسر التاء فيهما (وفيه من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه) اى قياما بشكره (ورفع لى ذكرى) اى مابعد ماشرح صدرى ووضع عنى وزرى (وجعلنى فاتحا وخاتما) اى اولا بالنبوة فى عالم الارواح وآخرا بالرسالة فى عالم الاشباح (فيكون) اى فيحتمل ان يكون (الفاتح هنا بمعنى الحاكم) اى بين الخصوم بما اعطى له من العلوم (اوالفاتح لابواب الرحمة على امته) اى لكونه رحمة للعالمين وامته امة مرحومة (والفاتح) الاظهر اوالفاتح (لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) اى على جهة الصدق (اوالناصر للحق) اى بخذ لان اعدائه وتبيان احبابه (اوالمبدئ بهداية الامة) بكسر الدال بمعنى البادئ المأخوذ من الفتح بمعنى الافتتاح ومنه الفاتحة (اوالمبدأ) بضم الميم وفتح الموحدة وتشديد الدال المهملة ثم همزة مقصورة اى المبتدأ كما فى نسخة (المتقدم فى الانبياء) اى عند خلق انوارهم وتقسيم اسرارهم (والخاتم لهم) اى بالمنع عن اظهارهم (كما قال عليه الصلاة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) اى فى حال الخلقة (وآخرهم فى البعث) اى فى بعثة الدعوة (ومن اسمائه تعالى فى الحديث) اى على مارواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا (الشكور) وفى القرآن ان ربنا لغفور شكور وهو مبالغة الشاكر (ومعناه المثيب) اى المجازى بالجزاء الجزيل (على العمل القليل) فيرجع الى صفة الفعل (وقيل المثنى على المطيعين) فيرجع الى صفة الذات وقيل الشكور لمن شكره فيكون من قبيل المقابلة واما قول الدلجى المجازى عباده على شكرهم فلبس من باب المشاكلة كما وهم بل يرجع الى الاخص من الاول فتأمل (ووصف بذلك نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام فقال انه كان عبدا شكورا) ولقد قال ايضا فى حق هذه الامة ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور اى لكل مؤمن كامل عالم عامل فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر فالاول باجتناب المعصية والثانى بارتكاب الطاعة وقد قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور وقيل الشكور هو المعترف بالعجز عن اداء الشكر هذا وقد قال الانطاكى لم يقع هذا من القاضى موقعه لانه فى معرض تحرير ما فضل الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وماخلع تعالى عليه من اسمائه واما من خص بكرامة غير محمد من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فقد قدمهم فى اول الفصل وذكر نوحا عليه الصلاة والسلام فى جملتهم وكان فى ذلك غنية عن اعادة ذكره هنا مرة اخرى (وقد وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك) اى الوصف (فقال) اى فى الحديث المتقدم كما ذكره الترمذى وغيره لما قيل له حين انتفخت قدماه من قيام الليل اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر (افلا اكون عبدا شكورا) يعنى وعلى مشقة عبادته صبورا (اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك) اى بمقدار انعامه عندى (مثنيا عليه) اى بلسانى وجنانى (مجهدا نفسى) اى فى القيام باركانى (فى الزيادة) اى فى تحصيلها (من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم) اى نعمة على نعمة والحاصل ان المبالغة فى القيام بشكر المنحة موجبة لزيادة مراتب المنة ومقتضية لازالة مثالب المحنة (ومن اسمائه تعالى العليم) قال تعالى و هو العليم الحكيم (والعلام) كان حقه ان يقول علام الغيوب اوعلام الغيب اذ لم يرد العلام فى اسمائه سبحانه وتعالى (وعالم الغيب والشهادة) اى فى آية وفى اخرى عالم الغيب اما للاكتفاء واما على برهان الاولى وغيبو بته بالنسبة الى غيره والا ففى الحقيقة لا غيب بالنسبة اليه تعالى (ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم) اى فى الجملة مع المشاركة لغيره (وخصه بمزية منه) اى بفضيلة زائدة منه على غيره لاختصاصه بفضل منه عليه (وقال وعلمك ما لم تكن تعلم) اى من المعارف الدينية والعوارف اليقينية (وكان فضل الله عليك عظيما) اى بالنسبة الى غيرك من الانبياء والاصفياء وان

اعطى كل منهم حظا جسيما (وقال) اى فى مرتبة التكميل بعد مزية الكمال (ويعلمكم الكتاب) اى قراءته مبنى (والحكمة) اى السنة لبيانه معنى (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) اى بعقولكم مالا طريق الى معرفته سوى الوحى بابداء نبوته واظهار رسالته وفى تكرير الفعل ايماء الى انه نوع آخر فتدبر لعل المراد به احوال الحقيقة وبما سبق من الكتاب والسنة احكام الشريعة والطريقة وقد روى الشريعة اقوالى والطريقة افعالى والحقيقة احوالى (ومن اسمائه تعالى الاول) اى وجودا بلا ابتداء (والآخر) اى شهودا بلا انتهاء (ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها) اى ازلا (والباقى بعد فنائها) اى ابدا لحديث اللهم انت الاول فليس قبلك اى قبل ابدائك شئ وانت الآخر فليس بعدك اى بعد افنائك شئ وانت الظاهر فليس فوقك اى فوق ظهورك شئ باعتبار مظاهر افعالك وصفاتك وانت الباطن فليس دونك اى دون بطونك شئ باعتبار حقيقة ذاتك اقض عنى دينى واغننى من الفقر يعنى فانك الغنى المغنى (وتحقيقه) اى تحقيق كونه اولا وآخرا (انه ليس له اول) يعنى وهو موجد الاشياء ومبدعها (ولا آخر) الا انه مفنى الاشياء ومعيدها فهما بهذا المعنى من صفات التنزيه له تعالى وان كان باعتبار مؤداهما من افادة كونه ازليا وابديا يكون وصفا ثبوتيا (وقال عليه الصلاة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) اى فى بدء عالم الخلق (وآخرهم فى البعث) اى فى نهاية عالم الامر (وفسر بهذا) اى بكونه اول الانبياء خلقا (قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى عهدهم بتبليغ دعوة الحق والرسالة الى الخلق (ومنك ومن نوح) اه وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وخصوا بالذكر لانهم اشهر ارباب الشرائع وهم اولو العزم من الرسل (فقدم) اى الله سبحانه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذكره على المتقدمين من الانبياء المذكورين مع انه متأخر فى الوجود عنهم فى عالم الاشباح لسبق رتبته وتقدم نبوته فى عالم الارواح وقد روى اول ماخلق الله نورى وفى لفظ روحى وورد انه اول من قال بلى فى الميثاق (وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) اى فيما تقدم من قوله بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك اولهم اى فى الانباء فقال واذ اخذنا من النبيين الآية (ومنه) اى ومن قبيل قوله كنت اول الانبياء الخ اى باعتبار النسبة الاولية والسابقية والقبلية فى الجملة من مرتبة المزية (نحن الآخرون) اى فى الخلقة (السابقون) اى فى الجنة يوم القيامة اوالمقضى لهم قبل الخليقة كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) اى ومنه قوله (انا اول من تنشق الارض عنه) وفى نسخة عنه قبل الارض (واول من يدخل الجنة) اى هو وامته من الباب الايمن من ابوابها كما ورد فى بعض طرق الحديث (واول شافع واول مشفع) اى مقبول الشفاعة (وهو خاتم النبيين) اى لا نبى بعده (وآخر الرسل) تأكيد لماقبله (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وعليهم اجمعين قال الدلجى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سمى بالاول والآخر انما هو من حيث كونه اولا فى الخلق وآخرا فى البعث لامن حيث معناهما فى حقه تعالى فلا التفات الى ماذكر هنا انتهى ولايخفى انه لاخصوصية للتفرقة بهذين الوصفين من بين سائر الصفات السابقة واللاحقة اذ لايتصور اشتراك المخلوق مع الخالق فى نعت من النعوت بحسب الوصف الحقيقى وانما يكون بملاحظة المعنى المجازى اوالعرفى فالله سميع بصير عليم حى قدير مريد متكلم وقد ثبتت هذه الصفات ايضا لبعض المخلوقات ولكن بينهما بون بين ولايخفى مثل هذا على دين وقد افرد المصنف كما سيأتى فصلا فى بيان هذا الفصل لئلا يعدل احد عن مقام العدل هذا وقد روى التلمسانى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل جبريل فسلم على فقال فى سلامه السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فانكرت ذلك عليه وقلت ياجبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلى وانما هذه صفة الخالق الذى لاتليق الا به فقال محمد اعلم ان الله امرنى ان اسلم بها عليك لانه قد فضلك بهذه الصفة وخصك بها على جميع النبيين والمرسلين فشق لك اسما من اسمه ووصفا من وصفه وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك بالآخر لانك آخر الانبياء فى العصر وخاتم الانبياء الى آخر الامم وسماك بالباطن لانه تعالى كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر فى ساق العرش قبل ان يخلق اباك آدم بالفى عام الى مالا غاية له ولانهاية فامرنى بالصلاة عليك فصليت عليك يا محمد الف عام بعد الف عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهرك فى عصرك هذا على الدين كله وعرف شرعك وفضلك اهل السموات والارض فما منهم من احد الا وقد صلى عليك صلى الله عليك فربك محمود وانت محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى فضلنى على جميع النبيين حتى فى اسمى وصفنى (ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين) وهو تفسير لماقبله (ومعناه القادر) اى التام القدرة لكامل القوة (ووصفه الله) اى نبيه (بذلك فقال

ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل) اى المراد به (محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق) اى به كما رواه
ابن ماجه فى الاسماء الحسنى (فى الحديث المأثور) اى المروى عن ابى هريرة مرفوعا وقد يؤخذ من قوله تعالى
ومن اصدق من الله قيلا والحمد لله الذى صدقنا وعده (وورد فى الحديث) اى الصحيح عن ابن مسعود (ايضا اسمه عليه
الصلاة والسلام بالصادق) اى فيما يقوله (المصدوق) اى فيما يخبره يعنى المشهود له بصدقه فى كلامه سبحانه وتعالى بقوله
وما ينطق عن الهوى (ومن اسمائه تعالى) اى فى القرءان (الولى) اى من قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا كذا ذكره الدلجى
وكانه غفل عن قوله تعالى فالله هو الولى وقوله تعالى وهو الولى الحميد (والمولى) قال تعالى فنعم المولى (ومعناهما) اى معنى
كل من الولى والمولى (الناصر) والاظهر المغايرة بينهما لقوله سبحانه وتعالى فنعم المولى ونعم النصير فالولى هو
المتصرف فى امر عباده على وفق مراده وكذلك المولى فى وصفه تعالى بالمعنى الاعم من معنى النصير كما لا يخفى على
الناقد البصير وهو لا ينافى انه قد يراد بالولى والمولى الناصر كما بينه المصنف بقوله (وقد قال الله تعالى انما وليكم الله
ورسوله وقال عليه الصلاة والسلام انا ولى كل مؤمن) رواه البخارى عن ابى هريرة وروى احمد وابو داود عن جابر
نحوه وقال الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم (وقال عليه الصلاة والسلام) اى على ما رواه الترمذى وحسنه
(من كنت مولاه فعلى مولاه) اى من احبنى وتولانى فليتوله فانه منى قال الشافعى ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان
الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقد قال عمر لعلى رضى الله تعالى عنهما اصبحت مولى كل مؤمن
اى وليه على لسان نبيه قيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلى لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال من كنت مولاه فعلى مولاه (ومن اسمائه تعالى العفو) اى كثير العفو (ومعناه الصفوح) اى كثير
الاعراض عن الاعتراض واصله امالة صفحة العنق عن الجانى ثم استعمل مجازا فى المعافى (وقد وصف الله تعالى نبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا) وفى نسخة صحيحة بهذا نبيه (فى القرءان و) فى (التوراة) اما التوراة فكما سيأتى واما
القرءان فكما قال المصنف (وامره بالعفو) ولا شك انه كان ممتثلا لامره فيتحقق وصفه به (فقال خذ العفو) اى هذه
الخصلة الحميدة وهى المجاوزة عن مرتكب السيئة اذا كانت بنفسك متعلقة وتمامه وأمر اى الناس بالعرف اى المعروف
شرعا وعرفا او نقلا وعقلا واعرض عن الجاهلين اى المعاندين من الحساد لين (وقال) اى عز وجل (فاعف عنهم
اى تجاوز (واصفح) اى تغافل (وقال له جبريل وقد سأله) اى النبى (عن قوله) اى عن معنى قوله تعالى (خذ العفو)
اى الاية (قال ان تعفو عمن ظلمك) اى وتصل من قطعك وتعطى من حرمك (وقال فى التوراة) زيد فى نسخة والانجيل
قال الانطاكى قال شيخنا برهان الدين الحلبى هذا الحديث ذكره البخارى فى صحيحه من رواية عبد الله بن عمرو وليس
فيه ذكر الانجيل (فى الحديث المشهور) اى الذى رواه عبد الله بن عمرو بن العاص فيما سبق (فى صفته) اى نعته
فى التوراة (وليس بفظ) اى سيئ الخلق (ولا غليظ) اى جافى القلب (ولكن يعفو) اى يعفو فى الباطن (ويصفح) اى
ويعرض فى الظاهر فاشتق له من اسمه العفو لاتصافه بكثرة العفو (ومن اسمائه تعالى الهادى وهو) اى الهداية فى صفة
الحق (بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده) ان يخلق الاهتداء فيه فيصير مهتديا به فالمراد بالهداية هنا الدلالة
الموصلة الى المطلوب ومنه قوله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وقد يستعمل بمعنى البيان
ومجرد الدلالة كما فى قوله تعالى واما ثمود فهديناهم وقوله سبحانه وتعالى وهديناه النجدين وهذا معنى قوله (وبمعنى
الدلالة) اى على طريق الحق وبيان سبيل الرشد (والدعاء) اى وبمعنى الدعاء وهو قريب مما قبله (قال تعالى والله
يدعو) اى عامة الخلق بدعوة الحق (الى دار السلام) اى دار الله التى فيها رؤيته التى هى اعز المرام او دار يسلم الله
تعالى وملائكته على من فيها بوجه الدوام او دار السلامة من الآفة والملامة (ويهدى) بتوفيقه (من يشاء)
بتخصيصه (الى صراط مستقيم) اى دين قويم (واصل الجميع) اى جميع انواع الهداية مما هو بمعنى التوفيق وهو
خلق الاهتداء وما هو بمعنى الدلالة وما هو بمعنى الدعاء (من الميل) اى والاقبال (وقيل من التقديم) يعنى مكان
من هدى مال الى ما هدى اليه اوقدم اليه وكلا القولين غير معروف فى كتب اللغة مع انه لا يظهر وجه الدلالة على
سبيل الاصالة ثم لا فائدة فيه غير الاطالة (وقيل فى تفسير طه انه) اى معناه باشارة مبناه (يا طاهر يا هادى يعنى)
اى يريد به او بهما (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى له) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (وانك لتهدى الى
صراط مستقيم) اى لتدعو كما قرئ به والمعنى تدل الخلق الى طريق الحق (وقال فيه وداعيا الى الله باذنه) اى بامره
اى بتيسيره زيد فى نسخة وسراجا منيرا والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم موصوف بكونه هاديا الا انه مختص بالمعنى
الثانى وهو مجرد الدلالة والدعاء (فالله تعالى مختص بالمعنى الاول) وهو التوفيق لمن يشاء بخلق الاهتداء (قال
تعالى انك لا تهدى من احببت) اى لا تقدر ان تخلق فيه قبول الهداية وانما وظيفتك مجرد الدعوة والدلالة

ولكن الله يهدى من يشاء) بتوفيقه للاجابة وقبول الهداية (و بمعنى الدلالة ينطلق على غيره) اى قد يطلق على غيره سبحانه وتعالى فاستعمال الهداية فى حق البارئ بالمعنى الاعم وهو ارادة المعنيين واختصاصه تعالى با لمعنى الاول واختصاص غيره بالمعنى الثانى ولذا زيد فى نسخة هنا فهو فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى الدلالة اى لاغير (ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن) بكسر الميم الثانية وقد تفتح (قيل هما بمعنى واحد) وهذا مبنى على قول فا سد كما سيجيئ معبرا عنه بقيل من ان الصيغة للتصغير وان الهمزة مبدلة بالهاء فان التصغير الذى وضع للتحقير غير مناسب لوصف العلى الكبير فالصحيح ان المهيمن مأخوذ من هيمن على كذا صار رقيبا اليه وحافظا عليه نعم قد يقال ان معناهما واحد من آمن غيره من الخوف على ان اصله مؤأمن قلبت الهمزة الاولى هاء والثانية ياء وقيل هو بمعنى الامين او المؤتمن (فمعنى المؤمن فى حقه تعالى المصدق وعد عباده) اى وعده عباده كما فى نسخة اى المنجز ماوعدهم فى الدنيا من نعيم العقبى كما جاء فى التنزيل وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده او بالمعنى الاعم كما فى الحديث صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده (والمصدق) اى بذاته (قوله الحق) بنصبه على انه نعت قوله اى من كلماته الثابتة فى اياته كما قال تعالى فورب السماء والارض انه الحق (والمصدق لعباده المؤمنين) كما اشار فى التنزيل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (ورسله) حيث قال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله (وقيل الموحد نفسه) اى بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله سبحانه اننى انا الله لا اله الا انا فهو مؤمن بتصديقه لنفسه (وقيل المؤمن) بتخفيف الميم بعد الهمزة الساكنة وفى نسخة بتشديد ها بعد الهمزة المفتوحة وهو مما لا حاجة اليه اى معطى الامن والامان (عباده فى الدنيا من ظلمه) اى لتنزهه عن وقوعه وفى نسخة من غضبه وهى فى غير محلها لعموم عباده كما يدل عليه عطف خواصهم عليه بقوله (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) اى من عذابه المخلد اومن تعذيبه فان مايقع لبعض المجرمين فهو من باب تهذيبه او اراد بالمؤمنين الكاملين (وقيل المهيمن بمعنى الامين) مفيعل من الامانة (مصغر منه) اى من الامين بزيادة ميم اولى فصار مؤيمن كذا ذكره الدلجى وهو غير متجه فى العربية بل الصواب انه مصغر على ماقيل من المؤمن على ان اصله مؤيمن (فقلبت الهمزة هاء) اذ كثيرا ما يتعا قبان قلبا كما قيل اراق وهراق وايهات وهيهات واياك وهياك وقد قدمنا مايتعلق به من التحقيق والله ولى التوفيق (وقد قيل ان قولهم) اى قول المؤمنين (فى الدعاء) اى فى عقبه (آمين) اى بالمد والقصر (اسم) وفى نسخة انه اى آمين اسم (من اسماء الله تعالى) والظاهر انه بكسر همزة وانه بجملته ساد مسد خبران الاول فتأمل وقال الانطاكى انه بفتح الهمزة وهو التعليل اى لانه اسم من اسماء الله تعالى كما روى ذلك عن مجاهد قال الانطاكى فمعناه يا آمين استجب انتهى ولا يخفى ان هذا تركيب فى المعنى بين القولين فى المبنى قال النووى فى التهذيب وهذا لا يصح لانه ليس فى اسماء الله تعالى اسم مبنى ولا غير معرب مع ان اسم الله تعالى لا يثبت الا قرآنا اوسنة متواترة وقد عدم الطريقان ذكره الحلبى ثم قال وقوله اوسنة متواترة كذلك آحادا وقد ذكر هو عن امام الحرمين انه يثبت اطلاقه عليه بالآحاد ذكره فى قوله ان الله جميل يحب الجمال انتهى ولا يخفى ان ورود آمين ثبت آحادا بل كاد ان يثبت متواترا باعتبار جمع معنى ماورد افرادا الا ان المراد به اسمه سبحانه فى محل الاحتمال والله تعالى اعلم بالحال نعم قد ورد فى الحديث آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين كما رواه ابن عدى والطبرانى فى الدعاء عن ابى هريرة لكن المشهور فى معناه استجب وهو اسم مبنى على الفتح بمد ويقصر والمد اكثر وورد فى حديث قال بلال يارسول الله لا تسبقنى بآمين اى بعد قراءة الفاتحة فى الصلاة ولعل الكلام وقع مقلوبا والمعنى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التأمين لبلال لا تسبقنى بآمين هذا وفى القاموس آمين بالمد والقصر وقد يشدد الممدود ويمال ايضا عن الواحدى فى البسيط اسم من اسماء الله تعالى ومعناه اللهم استجب اوكذلك مثله فليكن اوكذلك فافعل انتهى فتأمل (ومعناه معنى المؤمن) ولعله مأخوذ من الامين مقصورا بمعنى المؤمن كما ان البديع بمعنى المبدع ويكون المد متولدا من اشباع الحركة (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) فهو مغاير للمؤمن من جهة المعنى على ما قدمناه من تحقيق المعنى اذ معنى الشاهد العالم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة اوالذى يشهد على كل نفس بما كسبت من خير اوشر (والحافظ) اى وبمعنى الحافظ والواو بمعنى او اى الحافظ لعباده احوالهم والمحصى عليهم افعالهم واقوالهم (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم امين) اى مأمون يعنى معصوم ومصون اوصاحب الامانة وطالب الديانة (ومهيمن) اى بمعنى عالم ومشاهد ورقيب وقريب (ومؤمن) اى مصدق اومعطى الامن (وقد سماه) اى الله (امينا) اى عند بعض المفسرين (فقال مطاع ثم امين) وقيل المراد به جبريل الامين (وكان عليه الصلاة والسلام) اى فيما بين اهل الجاهلية (يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) اى لكمال امانته ووضوح ديانته وحفظ الله سبحانه اياه عن خيانته

(وسماه العباس) اى فى شعره كما فى نسخة (مهيمنا فى قوله) اى من ابيات انشأها او انشدها فى مدحه عليه السلام (ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وقد مر بيانه مبنى ومعنى فالمهيمن مرفوع على انه فاعل احتوى وهو المناسب للمرام فى هذا المقام (وقيل المراد يا ايها المهيمن) فيكون المراد به الله تعالى (قاله القتبى) بالتصغير وفى نسخة بدون التحتية وفى اخرى بالعين بدل القاف والظاهر الاول فانه الامام ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة وقد صرح به التلمسانى بانه منسوب الى قتيبة بالتصغير لكن ذكر الانطاكى عن الاصمعى ان الاقتاب هى الامعاء واحدتها قتبة وتصغيرها قتيبة وبها سمى الرجل والنسبة اليها قتبى كما تقول جهنى فى جهينة حكاه عن الجوهرى وغيره ثم هو عن الدينورى بكسر الدال وفتح النون وقيل المروزى النحوى صاحب كتاب المعارف وادب الكاتب كان فاضلا سكن بغداد وحدث بها عن اسحق بن راهويه وابى حاتم السجستانى فى تلك الطبقة وله تصانيف كثيرة مفيدة منها غرائب القرآن وغريب الحديث ومشكل القرآن ومشكل الحديث ومنها التاريخ وطبقات الشعراء وغير ذلك توفى سنة ست وسبعين ومأتين على ما صححه ابن خلكان (والامام ابو القاسم القشيرى) هو عبدالكريم ابن هوازن النيسابورى صاحب الرسالة وولى الله توفى سنة خمس وستين واربعمائة (وقال تعالى) اى فى حق نبيه (يؤمن بالله) اى يصدق بوجوده لما شاهد عنده من كرمه وجوده (ويؤمن للمؤمنين) اى يصدقهم بعلمهم بخلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان الشهود والتصديق وايمان الامان بوجود التحقيق فقوله (اى يصدق) تفسير لمطلق الايمان وقيل عدى بالباء واللام لانه قصد تصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم صادقين عنده ونحوه قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وقالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون (وقال) اى كما فى حديث مسلم على ما مر مبنى ومعنى (انا امنة) بفتحتين (لاصحابى) اى ذوا من او هو من باب رجل عدل (فهذا بمعنى المؤمن) اى معطى الامن والامان لاهل الايمان اذ كانت الصحابة فى ظل حرم كنفه آمنين واما قول الدلجى جمع امين ككبرة جمع بر فهو غير موافق اصلا لانه غير مطابق وزنا وجلا (ومن اسمائه تعالى القدوس) بضم القاف وبفتح صيغة مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة ولذا قال (ومعناه المنزه عن النقايص) اى ازلا (المطهر من سمات الحدث) بكسر السين جمع سمة وهى العلامة اى من صفات الحدوث ابدا وقد يقال فى معناه المبرأ من ان يدركه حس او يتخيله وهم او يحيط به عقل او يتصوره فهم لما قيل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك (وسمى بيت المقدس) اى على ما ورد وهو بفتح الدال المشددة وضم الميم وقيل بفتح الميم وكسر الدال مخففا والظاهر ان بيت مرفوع على نيابة الفاعل والمفعول الثانى مقدر وترك لظهوره وثقل تكرره اى سمى بيت المقدس بيت المقدس وجزم الانطاكى بان بيت بالنصب على انه المفعول الثانى لسمى والمفعول الاول القائم مقام الفاعل مستكن فيه اى وسمى بيت المقدس بيت المقدس انتهى ولا يخفى ان تقديرنا اولى لان المفعول الثانى بالحذف احرى لكونه فضلة والمفعول الاول بالثبات انسب لكونه كالعمدة (لانه يتطهر) بصيغة المجهول اى يتنظف (فيه من الذنوب) بناء على انه يعبد فيه علام الغيوب (ومنه الوادى المقدس) اى كما جاء فى القرآن وهو بمعنى المطهر او المبارك وهو الاظهر (وروح القدس) اى ومنه روح القدس بضم الدال وسكونها فى قوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس بضم الدال وسكونها اى قويناه بجبريل (ووقع فى كتب الانبياء) اى الكرام والمعنى فى جميعها او بعضها (فى اسمائه عليه الصلاة والسلام) اى فى بيان نعوته وصفاته (المقدس) اى وقع المقدس فى جملة اسمائه وسماته (اى المطهر من الذنوب) يعنى والمبرأ من العيوب (كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى على فرض وقوع ذلك فتدبر (او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها) اى عن العيوب (كما قال تعالى ويزكيهم) اى يطهرهم مما لا يليق بهم صدوره عنهم (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) اى من ظلمات انواع الكفر الى نور وحدة الايمان والشكر او من ظلمات الشبهة فى الدين بما يهديهم الله به ويلهمهم نور اليقين ولا يخفى بعد هذا المعنى من هذا المبنى فان صيغة المفعول بمعنى الالة للدلالة غير معقول ولا منقول وعلى تقدير انه منقول فيلزم منه ان يكون هذا النعت لاتباعه اكثر قبول (او يكون) اى النبى عليه الصلاة والسلام (مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالذال المعجمة اى الرديئة (والاوصاف الدنية) بتشديد الياء التحتية واصله الهمز من الدناءة بمعنى الرداءة كما فى نسخة وهذا المعنى يقارب ما سبق من قوله المطهر من الذنوب لان المراد به الطهارة من ذنوب الظواهر وعيوب السرائر (ومن اسمائه تعالى العزيز) من عز يعز بالكسر (ومعناه الممتنع) اى بذاته (الغالب) باعتبار صفاته (او الذى لا نظير له) من قوله فلان عزيز الوجود فى نظر ارباب الشهود وهو معنى البديع المنيع (او المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى مفعل كبديع بمعنى مبدع على قول وقد يقال معناه القوى

من عز يعز بالفتح ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث اى قوينا (وقال تعالى ولله العزة) اى القوة والغلبة والمنعة (ولرسوله اى الامتناع) يعنى بظهور السلطان (وجلالة القدر) اى بارتفاع الشان له سبحانه وتعالى ولمن اعزه كرسوله فعزته بربه فى الاية وكذا قوله تعالى وللمؤمنين لان عزتهم بربهم اولا وبنبيهم آخرا هذا وذكر الحلبى انه قال المعلق اراد به الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمنى فى الاكتفاء فى شرح الشفاء منه ولقائل ان يقول يجوز ان يكون هذا الوصف ايضا للمؤمنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبى والغرض اختصاصه وعجيب من القاضى كيف خفى عليه مثل هذا الشان انتهى ولا يخفى ان قوله والغرض اختصاصه يحتاج الى البيان فانه غير ظاهر فى معرض البرهان فان اكثر الاوصاف المتقدمة انما هى واقعة بالصفة المجتمعة ومنها المؤمن حيث اطلق عليه سبحانه وعلى رسوله وعلى كل فرد من افراد اتباعه على انه لايلزم من وصف الشئ بالشئ اختصاصه به ولانفيه عن غيره نعم كان الاحسن ان يستدل بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز على ان مابعده وهو قوله عليه ماعنتم كلام منقطع عما قبله وصفة اخرى له (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة) يعنى بطريق الاشارة لاعلى سبيل العبارة حيث اثبت له هذا الفعل وان لم يذكر بطريق الوصف (والنذارة) بكسر النون ولعل الانذار يؤخذ من قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا على ان ضمير يكون راجع الى الموصول على تجويز عوده الى الفرقان والى عبده المعنى به رسوله (فقال) اى عز وعلا (يبشرهم) بالتشديد والتخفيف (ربهم برحمة منه) للعامة (ورضوان) للخاصة (وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى) اى فى موضع (و) فى محل آخر يبشرك (بكلمة منه) اى اسمه المسيح عيسى (وسماه الله تعالى) اى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (مبشرا ونذيرا) اى فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وزيد فى نسخة وبشيرا اى وسماه بشيرا فى قوله سبحانه وتعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وهو فعيل بمعنى مفعل كالنذير (اى مبشرا لاهل طاعته) يعنى بدار الثواب (ونذيرا) اى ومنذرا ومخوفا (لاهل معصيته) يعنى دار العقاب (ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس) ولعل فى الطاء ايماء الى طاهر وفى الهاء الى الهادى وفى الياء الى يدالله مبسوطة وفى السين الى انه سيد او سميع (وقد ذكر بعضهم ايضا) اى من المفسرين (انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة وشرف وكرم فهو طاهر وهاد كما تقدم وقد سبق ان يس معناه ياسيد كما يدل عليه قوله سبحانه آل يس على ما ذكره بعض المفسرين وقد قال بعض العلماء المعتبرين ان طه ايضا منادى بحذف حرف النداء وان المعنى يامشبها بالقمر ليلة البدر فان الطاء والهاء اربعة عشر على حساب ابجد الجمل فتأمل واغرب الدلجى فى قوله ان هذا قيل بلا بينة ولا دليل يعتمد والله تعالى اعلم بمراده بهما انتهى ولا يخفى ان المراد خفى فى المقطعات وسائر المتشابهات وانما ذكر ماذكر بناء على الاحتمالات الناشئة من العبارات او المنبئة عن الاشارات

﴿ فصل ﴾

(قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وفقه الله تعالى) لما يحبه ويرضاه (وهاهنا) اى فى هذا المقام (اذكر نكتة) اى جملة مفيدة (اذيل بها هذا الفصل) بتشديد التحتية المكسورة اى اجعل لها ذيلا لتمام المرام فى مقام الفضل او وقع فى اصل الدلجى وغيره وها انا على ان ها حرف تنبيه بعده مبتدأ او خبر نبه به عن حاله فى ذكره بعد فكره وكذا ذكره الحجازى وقال وروى اذكر (واختم بها هذا القسم) اى من بين اقسام بيان الفضل بالفصل بين الفرع والاصل (وازيح الاشكال بها) بضم الهمزة وكسر الزاى اى وازيل بها الاغلاق الواقع (فى ماتقدم) اى من متشابه الحديث وغيره (عن كل ضعيف الوهم) بسكون الهاء ويحرك (سقيم الفهم) اى حذرا من وقوعه فيما يرديه (تخلصه) اى تلك النكتة تنجيه (من مهاوى التشبيه) بفتح الميم وكسر الواو جمع مهواة وهى الحفرة العميقة المهلكة اى مهالكه فى مبادیه اوتناهيه وروى وساوس جمع وسوسة وهى حديث النفس والشيطان (وتزحزحه عن شبه التمويه) بضم الشين وفتح الموحدة اى وتبعده عن الشبهات المموهة الخالية عن التنزيه لان الطريق القويم والدين المستقيم هو اعتقاد التنزيه المتوسطة بين التعطيل والتشبيه (وهو) قال الدلجى اى ضعيف الوهم وهو وهم والصواب اى ذلك الاشكال (ان يعتقد) اى ضعيف الخيال (ان الله جل اسمه) اى وصفه ورسمه (فى عظمته) اى فى ذاته (وكبريائه) اى فى صفاته (وملكوته) اى فى ارضه وسمواته (وحسنى اسمائه) اى واسمائه الحسنى (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصورا ومعناه الرفيعة اى وصفاته العلى وضبط فى نسخة صحيحة بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء مجرورا ومعناه الرفيع اى وصفاته العلية ونعوته السنية (لايشبه) اى الله سبحانه (شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به) بصيغة المجهول اى ولايمثل به شئ من مكنوناته لكمال ذاته وجلال صفاته (وان ماجاء) اى من الاسم والصفة

مما اطلقه الشرع) اى فى الكتاب والسنة (على الخالق) اى تارة (وعلى المخلوق) اى اخرى لما بينهما من الاشتراك فى اللغوى (ولا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) بل اطلاقه على غيره سبحانه وتعالى انما هو بالطريق المجازى (لاوصاف القديم) اى الازلى الابدى لان ماثبت قدمه استحال عدمه (بخلاف صفات المخلوق) اى المشاهد حدوثه بالدليل العقلى والنقلى (فكما ان ذاته تعالى لاتشبه الذوات) اى وان وقع الاشتراك فى اطلاق الذات (كذلك صفاته) كالعليم والحليم والصبور والشكور والسميع والبصير والحى والمريد والمتكلم والقادر (لاتشبه صفات المخلوقين) اى من جميع الجهات (اذ صفاتهم) اى لحدوثها (لاتنفك) اى لاتزول (عن الاعراض) بالعين المهملة (والاغراض) اى عن عروضهما (وهو تعالى منزه عن ذلك) اذ لاعرض يعرض هنالك لانه لايعترى ذاته عرض ولا تعلل افعاله بغرض واما مايشبه فى فعله من العلة فهو محمول على سبب الحكمة (بل لم يزل بصفاته واسمائه) اى موجودا ولايزال بذاته ونعوته فى نظر ارباب التوحيد واصحاب التفريد مشهودا واما صفات الافعال كالخالق والرازق والمحيى والمميت فهى قديمة ايضا على ما اختاره المحققون من الماتريدى ومتابعيه خلافا للاشعرى ومشايعيه وليس هذا محل تبيين مبانيها وتعيين معانيها واما قول الدلجى من انه سبحانه وتعالى موصوف بسمع وبصر يزيد الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم فهو خطأ نشأ من القياس حيث يوجب التشبيه باوصاف الخلق من قبول نعت الزيادة والنقصان باعتبار بعض الحواس مع انه سبحانه وتعالى يجب التنزيه عن ذلك اذ ليس كمثله شئ هنالك لاذاتا ولاصفة ولافعلا اصلا (وكفى فى هذا) اى حسبك فى كون ذاته وصفاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذات مخلوقاته وصفات مكوناته فى جميع حالاتهم وعلو مراتبهم ودرجاتهم (قوله ليس كمثله شئ) قيل الكاف زائدة فى هذا المقام اذ الكلام يتم بدونه فى حصول المرام وقيل بزيادة المثل مبالغة فى نفى المثل كما فى قولهم مثلك لايبخل فانه اذا نفى عن مشابهه ومناسبه كان نفيه عنه اولى فى مراتبه وقيل المعنى ليس كذاته وصفته شئ وقال التلمسانى والمحققون على ان لاصلة لان المراد منه نفى المماثلة من وجه وهذا لانه لم يقل احد بان لله مثلا من كل وجه وانما قالوا بالمماثلة من وجه فيحتاج الى نفى هذه المماثلة ومن شانهم انهم يقولون عند ثبوت المماثلة من كل وجه هذا مثله وعند ثبوتها من وجه هذا كمثله انتهى وهذا وجه ادق وهو بالبيان احق وهو ان نفى مثل المثل يوجب نفى المثل (ولله در من قال) الدر فى الاصل اللبن حال كثرته وقصد به هنا عمله او خيره (من العلماء العارفين) اى الجامعين فى العلم والمعرفة الباهرة بين الانوار الظاهرة والاسرار الباطنة (المحققين) اى فى تبيان المبنى والمدققين فى برهان المعنى (التوحيد اثبات ذات غير مشبهة) بكسر الباء مخففة او بفتحها مثقلة اى غير مشبهة (للذوات) اى لسائر ذوات الموجودات وفيه رد على الوجودية والاتحادية والحلولية (ولا معطلة من الصفات) اى الصفات الكاملات القديمات اذ التعطيل نفيها واليه ذهب المعتزلة هربا من تعدد القدماء مبالغة فى التوحيد قلنا لا محذور فى تعدد الصفات وانما المحظور تعدد الذات (وزاد هذه النكتة) اى معناها (الواسطى بيانا) اى وضوحا وبرهانا وظهورا وتبيانا (وهو مقصودنا) اى ليعرف معبودنا ومشهودنا (فقال ليس كذاته ذات) اى لاتصافه بالقدم وحدوث غيره بالعدم (ولا كاسمه) اى الخاص به (اسم) اى كاسم الله والرحمن فانهما لايطلقان على غيره (ولا كفعله فعل) اى من خلق ورزق واحياء وافناء وايجاد وامداد (ولا كصفته صفة) اى لقدمها وحدوث غيرها ولكمالها ونقصان ماعداها (الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ) اى مطابقة لفظة وصف الخلق لنعت الحق كالعليم والحليم وغيرهما مماسبق (وجلت) بتشديد اللام اى عظمت (الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة) اى حادثة وجدت او جديدة بعد عدم لانها ان كانت صفة كمال فخلوه عنها قبل حدوثها مع جواز اتصافه بها نقص اتفاقا ولا استحال اتصافه بها اجماعا وايضا لايجوز ان تكون ذات القديم محلا للحوادث كما فى علم الكلام تمام المرام (كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهو من العلوم الضرورية والامور البديهية (وهذا) اى الكلام من زبدة المشائخ الكرام (كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة) اى من العلماء والائمة (رضى الله عنهم) اى اجمعين (وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى قوله) اى قول الواسطى (هذا) اى المذكور سابقا (ليزيده بيانا) اى وبرهانا لاحقا (فقال هذه الحكاية) اى مازاده الواسطى آنفا مما تقدم عنه الرواية (تشتمل على جوامع مسائل التوحيد) اى مما عليها مدار ارباب الدراية وهى اعتقاد ان لاشريك له فى الالهية والصفات الذاتية والفعلية واستحقاق العبودية بمقتضى النعوت الربوبية (وكيف) استفهام تعجب او انكارى اى ولا (تشبه ذاته) اى الغنية بصفاته (ذات المحدثات) اى المفتقرة الى موجدها فى جميع الحالات (وهى) اى والحال ان ذاته تعالى (بوجودها) اى بوجوب وجودها وثبوت شهودها واتصافها بكرمها وجودها (مستغنية) اى عن جميع الاشياء كما قال والله الغنى وانتم الفقراء (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) يجوز كونه فاعلا

او مفعولا وفي نسخة من فعل الخلق (وهو) اى والحال ان فعـله لايعلل بغرض ولا عرض ولاعوض فصدوره
عنه (لغير جلب انس) لاستغنائه عن جليس وانيس (اودفع نقص) اى ولادفع نقص (حصل) اى تداركا لمابه
يتكمل (ولا لخواطر) باللام ويروى بالباء فاللام تعليلية والباء سببية اى ولا يكون بحصول خواطر باعثة له
عليه (واغراض) بالغين المعجمة (وجد) اى شئ منها لامتناع ان يكون فعله معللا بغرض وتصحف على الدلجي بقوله
وجد بكسر الجيم وتشديد الدال فقال ولايكون فعله تعالى باجتهاد على انه مستدرك بقول المصنف (ولا بمباشرة
ومعالجة) اى لا بانفراده ولا بالواسطة بل كما قال تعالى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون (وفعل الخلق لايخرج
عن هذه الوجوه) اى من الغرض والعرض والمباشرة والمعالجة (وقال آخر) غير معروف كما ذكره الحلبي
(من مشايخنا) اى مخاطبا لمريديه (ما توهمتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم) اى ولوفي اكمل احوالكم وافضل
مراميكم (فهو محدث) بفتح الدال اى حادث (مثلكم) واختصره بعض العارفين فقال ماخطر ببالك فالله وراء
ذلك (وقال الامام ابوالمعالى) عبد الملك اى ابن ابي محمد (الجويني) بالتصغير وهو المشهور بامام الحرمين ولد سنة
تسع عشرة واربعمائة وحج وجاور بمكة والمدينة اربع سنين ثم عاد الى وطنه نيسابور وهو من جلة مشايخ الغزالى
(من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره) اى وتقرر فيه ذهنه وتصور انه بعينه لايتصور غيره (فهو مشبه) بكسر
الموحدة والمشددة اى فهو من اهل التشبيه لله بذلك الموجود مماسواه (ومن اطمأن) اى سكن (الى النفي المحض)
اى ذاتا وصفة (فهو معطل) اى من اهل تعطيل الكون من ان يكون له مكون كالدهرية او المعتزلة (وان قطع
بموجود) اى من غير توهم تشبيه وتصور تعطيل (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بفتح الراء وسكونها اى ادراك
حقيقته من جهة ذاته وصفاته (فهو موحد) كما روى عن الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك ويؤيده
حديث سبحانك لانحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ويقويه قوله تعالى ولا يحيطون به علما وهذا احد
محامل ماورد عليكم بدين العجائز (وما احسن قول ذي النون المصري) وهو الزاهد الواعظ العارف بالله كان ابوه
نوبيا وصار عالما فصيحا حكيما توفي سنة خمس واربعين ومائتين قال الدارقطني روى عن مالك بن انس احاديث
في اسنادها نظر (حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء) اى في ايجادها (بلاعلاج) اى بلا معالجة
ومزاولة ومباشرة واستعمال آلة (وصنعه) اى وتعلم ان صنعه (لها بلا مزاج) اى بلا خلط شئ بشئ اوباشياء
لتركيبه في الابداء بل خلق الاشياء امابدا بدون مادة كالسموات اوتكوينا منها كالانسان من نطفة بحسب
ماتعلق القدرة بمقدورها على وفق الارادة (وعلة كل شئ صنعه) اى مجرد صنعته وظهور قدرته بحسب ارادته
(ولا علة لصنعه) لان افعاله لاتعلل (وماتصور) بصيغة المفعول والفاعل اى وماخطر (في وهمك فالله بخلافه)
اى بخلاف ذلك قال المصنف (وهذا كلام عجيب نفيس) اى مرام غريب (محقق) اى ثابت في مقام العلم مدقق
(والفصل الاخير) وفي نسخة الآخر بكسر الخاء وهو الفقرة الثالثة يعني قوله وما تصور في وهمك فالله بخلافه
(هو تفسير) اى توضيح وتعبير (لقوله ليس كمثله شئ والثانى) اى من الفصول وهو قوله وعلة كل شئ صنعه ولاعلة
لصنعه (تفسير لقوله تعالى لايسئل عما يفعل) اى كما اشار اليه الحديث القدسي والكلام الانسي خلقت هؤلاء للجنة
ولاابالي وخلقت هؤلاء للنار ولاابالي ومجمله في التفسير قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وغايته ان فعله وقع
اولا فضلا وثانيا عدلا (والثالث) اى من الفصول وهو قوله التوحيد الخ (تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون) اى ليس هنالك الاظهور اثر القدرة على وفق الارادة من غير تصور العلة (ثبتنا الله تعالى واياك
على التوحيد) اى على العلم بالوحدانية له سبحانه من جهة الذات (والاثبات) اى من جهة الصفات (والتنزيه) اى
واعتقاد ان ذاته ليست كسائر الذوات وصفاته ليست كصفات المحدثات (وجنبنا) اى بعدنا (طرق الضلالة والغواية
من التعطيل والتشبيه) اى من جهة ذاته وصفته (بمنه وفضله ورحمته) اذ لايجب عليه شئ لبريته

الباب الرابع

اى من القسم الاول (فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات) اى الامور الخارقة للعادة الشاهدة بصدق دعوى
الرسالة (وشرفه به من الخصائص) اى الخصوصيات (والكرامات) حتى لعلماء امته واولياء ملته قال الحلبي نقل
بعض مشايخي فيما قرأته عليه بالقاهرة عن الزاهد مختار بن محمود الخ في شارح القدوري ومصنف القنية في رسالته
الناصرية انه قيل ظهر على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الف معجزة وقيل ثلاثة آلاف انتهى ولعله اراد غير
المعجزات التي في القرآن كما يأتي في كلام المصنف من البيان (قال القاضي ابو الفضل) اى المؤلف رحمه الله تعالى
(حسب المتأمل) بسكون السين اى كافيه (ان يحقق ان كتابنا هذا) اى المسمى بالشفاء (لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا)

اى ورسالته (ولا لطاعن فى معجزاته فنحتاج) هو بالنصب بتقدير ان اى حتى نحتاج نحن معه فى بحث الذهن (الى
نصب البراهين) اى الادلة النقلية والعقلية (عليها) اى على اثبات معجزاته (وتحصين حوزتها) بمهملة مفتوحة فواو
ساكنة ثم زاى مفتوحة واصلها بيضة الملك ودارتها باجمعها من حواليها واطرافها وناحيتها اى وحفظ افرادها
مجموعة محصنة (حتى لايتوصل الطاعن اليها) اى الى مقدماتها بالتردد فى اثباتها (ونذكر) بالنصب عطفا على فنحتاج اى
وحتى نظهر (شروط المعجز) وهو النبى المدعى (والتحدى) بالنصب اى ونبين التحدى وهو بكسر الدال المشددة طلب
المعارضة وهو شرط كونه معجزة (وحده) بالنصب ايضا وهو بفتح الحاء وتشديد الدال اى وتعريفه بانه طلب
المعارضة (وفساد) اى ونذكر فساد (قول من ابطل نسخ الشرايع) كاليهود وغيرهم (ورده) اى ونذكر رد قول مبطله
والحاصل انا لم نجمعه لشئ من ذلك فلم نحتج الى ذكر مايدفع شبئا مماهنالك (بل الفنا) بتشديد اللام اى جمعنا كتابنا هذا
(لاهل ملته) اى لاهل اجابة دينه وشريعته من امته (الملبين) بتشديد الموحدة المكسورة اى المجيبين (لدعوته
المصدقين لنبوته ليكون) اى ما فى تأليفنا هذا (تأكيدا فى محبتهم له ومنماة) بفتح الميم مفعلة من النمواى ومزيدا
(لاعمالهم) اى وفق متابعتهم له (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) اى بضم ايقانهم الى مجرد ايمانهم (ونيتنا) اى قصدنا
وغرضنا (ان نثبت) بالتخفيف والتشديد اى نذكر (فى هذا الباب امهات معجزاته) اى معظماتها واصولها
(ومشاهير آياته) اى من فصولها (لتدل) بالتاء الفوقية اى تلك المعجزات الواضحات والكرامات البينات
(على عظيم قدره) وفى نسخة عظم قدره بكسر العين وفتح الظاء اى على عظمة مقدار قربه (عند ربه) اى وفق كمال
حبه وفى نسخة لندل بالنون اى بسبب تأليفنا ووقع فى اصل الدلجى بصيغة التذكير فقال اى مانواه من اثباتها
(واتينا) بفتح الهمز اى وجئنا (منها) اى بعد ان نوينا اثباتها (بالمحقق) بفتح القاف اى بالثابت وقوعه فى القرآن
القديم (والصحيح الاسناد) اى الواقع فى الحديث الكريم كحنين الجذع وتسبيح الحصى وتكثير الطعام والشراب (واكثره)
اى اغلب ماذكر فى هذا الباب (مما بلغ القطع) اى العلم القطعى اوالامر اليقينى (اوكاد) اى قارب ان يبلغه للتواتر
المعنوى دون اللفظى وحذف خبر كاد مراعاة لسجع ما سبق من الاسناد اوللاكتفاء للعلم بالمراد (واضفنا اليها)
اى الى المعجزات الثابتة بالكتاب والسنة (بعض ماوقع فى مشاهير كتب الائمة) من نحو صحاح الستة (واذا تأمل
المتأمل المنصف) اى الخارج عن وصف التعسف يقال انصف اذا اعطى الحق من نفسه (ماقدمناه من جميل اثره)
اى ماثره الجميلة ومفاخره الجزيلة (وحميد سيره) اى شمائله الحميدة وفضائله السعيدة (وبراعة علمه) اى وتفوقه
على جميع العلماء (ورجاحة عقله وحلمه) اى رزانتهما وزيادتهما على سائر العقلاء والحلماء (وجملة كماله) اى وجمل
كمالاته العلية (وجميع خصاله) اى اعماله واحواله السنية (وشاهد حاله) من ظهور شمائله البهية (وصواب مقاله)
اى من حكمه الجليلة (لم يمتر) جواب اذا اى لم يشك (فى صحة نبوته وصدق دعوته) اى فى نسبة رسالته بتبليغ
دعوة الحق الى عامة الخلق (وقد كفى هذا) اى ماذكرنا (غير واحد) اى ممن تأمل فى حال كونه داخلا (فى اسلامه)
اى من جهة انقياده (والايمان به) اى من حيث اعتقاده (فروينا) بصيغة المجهول وقد تشدد واوه وروى بصيغة
الفاعل ايضا والمعنى فوصل الينا رواية (عن الترمذى) وهو صاحب الجامع (وابن قانع) وهو الحافظ عبد الباقى
ابن قانع وهو بالقاف والالف والنون والعين المهملة وقد تصحف بابن نافع بالنون اولا والفاء بعد الالف وقد سبق
ترجمتهما (وغيرهما) اى من المخرجين (اسانيدهم ان عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام وهو من الصحابة الكرام
(قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينه) اى الامينة السكينة (جئته) جواب لما اى اتيته (لانظر اليه)
اى الى وجه امره وظهور شانه واتأمل فى تحقيق بيانه وتدقيق برهانه (فلما استبنت وجهه) اى رأيت ظاهر وجهه
الدال على صدق سره وباطنه وفى رواية فلما تبينت وجهه اى ابصرت وجهه ظاهر (عرفت) اى ظهر لى من امارات
صدقه اللائحة على صفحة وجهه لان الظاهر عنوان الباطن (ان وجهه ليس بوجه كذاب) وتركيبه
بالاضافة ويجوز بالوصفية للمبالغة (حدثنا به) اى بالحديث الآتى بعد اتمام سنده والمراد بحديث عبد الله بن سلام
هذا بعينه (القاضى الشهيد ابو على رحمه الله) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا ابو الحسين) بالتصغير هو الصواب على
ماتقدم فى صدر الكتاب (الصيرفى وابو الفضل بن خيرون) بفتح الخاء المعجمة وسكون التحتية وضم راء وسكون
واو ونون منصرف ويمنع (عن ابى يعلى البغدادى) بالدال المهملة اولا والمعجمة ثانيا وهو افصح من عكسه وكذا من
اهمالها واعجامهما وهو معروف بابن زوج الحرة (عن ابى على السنجى) بكسر المهملة فنون ساكنة فجيم
فياء نسبة (عن ابن محبوب) وهو المحبوبى (عن الترمذى) صاحب الجامع (ثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد
المعجمة (حدثنا عبد الوهاب الثقفى) اى الحافظ احد الاشراف عن ايوب ويونس وحميد وعنه احمد وابن اسحق وابن عرفة

وثقه ابن معين وقال اختلط بآخره اخرج له الائمة الستة (ومحمد بن جعفر) وهو غندر وقد سبق (وابن ابى عدى) بصرى سلمى يروى عن حميد وطبقته وعنه جماعة ثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) هذا هو القطان البصرى احد الاعلام عن هشام وحميد والاعمش وعنه احمد وابن معين وابن المدينى قال احمد مارأت عيناى مثله وقال بندار امام اهل زمانه يحيى القطان واختلفت اليه عشرين سنة فما اظن انه عصى الله قط (عن عوف ابن ابى جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم وهو عوف (الاعرابى) لدخوله درب الاعرابى قاله ابن دقيق العيد اخرج له الائمة الستة (عن زرارة) بضم الزاى فى اوله (ابن اوفى) وفى نسخة ابن ابى اوفى قال الحلبى والصواب الاول وهو قاضى البصرة ويروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعنه قتادة وغيره عالم ثقة كبير القدر ام فى داره فقرأ فاذا نقر فى الناقور فشهق فمات قال الحلبى وقد ذكر خبر موته كذلك الترمذى فى جامعه فى باب ماجاء فى وصف صلاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل بسنده اخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن سلام الحديث) اى على ماتقدم آنفا قال الحلبى وحديثه المذكور هنا على ما اخرجه القاضى عياض من جامع الترمذى اخرجه فى الزهد وقال صحيح وهو فى سنن ابن ماجه ايضا فى الصلاة عن محمد بن بشار بهاى بسنده وفى الاطعمة عن ابى بكر ابن ابى شيبة عن ابى اسامة عن ابى عوف نحوه وكما روى ان ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى اول امره كما نظر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وتأمل فى ذاته الكريمة كان يقول خلق هذا لامر عظيم فلما دعاه الى الاسلام قال هذا الذى كنت ارجومنك فى سابق الايام (وعن ابى رمثة) بكسر الراء وميم ساكنة ثم مثلثة (التميمى) بميمين وفى نسخة التيمى ويقالان فى حقه على ماذكره الحلبى (اتيت) وفى نسخة قال اتيت (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حضرته (ومعى ابن لى) لايعرف اسمه (فاريته) بصيغة المجهول اى فارانيه بعض من يعرفه من اصحابه وغيرهم (فلما رأيته) وظهر لى ماعليه من لوائح الصدق ولوائح الحق (قلت هذا نبى الله) رواه ابن سعد (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وهو ابن ثعلبة من ازد شنوءة وكان صديقا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته بالنبوة (لما وفد عليه) اى جاء اليه بمكة وقد سمع بعض قريش يقول محمد مجنون فقال يا محمد انى راق هل بك شئ ارقيك (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) نفيا لمانسب اليه باثبات كمال العقل بما يظهر من دلالة كلامه عليه (ان الحمد لله) بكسر الهمزة وتشديد النون ونصب الحمد وفى نسخة واقتصر عليها الشمنى بفتح الهمزة وكسر النون المخففة ورفع الحمد ووجهه غير ظاهر وان اختاره كثير من الشراح واقتصر عليه بعض المحشين نعم لفظ الحديث على ما فى الحصن الحصين وان تولى عقدا فخطبته ان الحمد لله فضبط هناك بالوجهين واما ههنا فلا يصح كون ان المصدرية بعد القول لاقتضائه الجملة ولا التفسيرية لوجود القول الصريح وهى لاتكون الا مقرونة بمافيه معنى القول كالوحى والنداء وامثال ذلك (نحمده) جمع بين الجملة الاسمية والفعلية تأكيدا للقضية فان الاولى تفيد الثبات والدوام والثانية تدل على تجدد الانعام اوالاولى خبرية والثانية انشائية اوالاولى نظرا الى افراده ووحدته والثانية اشتراكا لغيره من امته واهل ملته واما كون النون للعظمة على ماذكره الدلجى فلا يلائم مقام العبودية (ونستعينه) اى فى الحمد وغيره (من يهد الله) وفى نسخة صحيحة من يهده الله (فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له) بحذف المفعول فى جميع الاصول وفيه نكتة لاتخفى على اصحاب الوصول (واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له) تأكيد لماقبله (وان محمدا عبده ورسوله) افرد الفعل فى مقام التوحيد كما يناسبه مرام التفريد ولان الشهادة امر خفى لايطلع عليه كل احد بخلاف ظهور الحمد والاستعانة بالحق فانه ظاهر على جميع الخلق وهذا كله اولى مما حمله الدلجى على التفنن فى العبارة والتنوع فى الاشارة (قال) اى ضماد (له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اعد على كلماتك هؤلاء) اى كررها لدى واظهرها على فانه كما قيل

﴿ اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع ﴾

ثم هؤلاء اشارة الى الكلمات فان هؤلاء قد يستعمل لغير العقلاء وقد جاء فى رواية انه عليه السلام اعادها عليه ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء (فقد بلغن قاموس البحر) بالقاف والميم اى وصلن الى وسطه اوقعره اولجته وتموج حجته وتبين محجته تعجبا من فصاحة مبانيها وبلاغة معانيها وفى نسخة قاعوس بالعين المهملة وفى اخرى عابوس بالموحدة وفى اخرى ناعوس بالتاء الفوقية اوالنون مع العين المهملة والمعانى متقاربة ولعل بعض النسخ مصحفة (هات) بكسر التاء اى اعطنى (يدك) اى اليمنى (ابايعك) بسكون العين جزما على جواب الامر اى لابايعك على الايمان فبايعه وهو ممن اسلم فى اول الاسلام على ما ذكره ابن عبد البر واما قول الحلبى هات امر من هاتى يهاتى فهو خلاف المشهور وما عليه الجمهور من انه اسم فعل ولذا ذكره صاحب القاموس فى مادة هيت وقال هات بكسر التاء اى اعطنى لكن ذكره فى المعتل اللام ايضا

﴿ وقال ﴾

وقال هات يارجل اى اعط والمهاتاة مفاعلة منه ويؤيده انه يقال للمرأة هاتى (وقال جامع بن شداد) بتشديد الدال الاول وجامع هذا المحاربى اسدى كوفى يقال له ابو صخرة يروى عن صفوان بن محرز وجمعة وعنه القطان وابن عدى وهو ثقة توفى سنة ثمان عشرة ومائة على ماقاله ابن سعد ذكره الحلبى والحديث رواه البيهقى عنه انه قال (كان رجل منا) اى من اهل زماننا (يقال له طارق) وهو ابن شهاب ابو عبدالله المحاربى وله صحبة ورواية (فاخبرانه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام له ولرفقائه (هل معكم شئ تبيعونه قلنا هذا البعير) اى معنا للبيع (قال بكم) اى تبيعونه من الثمن (قلنا بكذا وكذا) لعل العطف لبيان عددين (وسقا من تمر) بفتح الواو وتكسر اى ستين صاعا على مافى حديث (فاخذ) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بخطامه) اى برسنه الذى يقاد به (وسار الى المدينة) وفيه دلالة على صحة المعاطاة فى المعاملة (فقلنا) اى فيما بيننا (بعنا) اى بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) اى باسمه ولا برسمه (ومعنا ظعينة) اى امرأة مسافرة اوفى هودجها او تحمل اذا ظعنت اى ارتحلت على راحلتها وقد ابعد الدلجى فى قوله اى امرأة سميت ظعينة لانها تظعن اى تسير مع زوجها حيث سار (فقالت انا ضامنة) اى متضمنة وفى نسخة بالاضافة وهى مصحفة (لثمن البعير) مبالغة فى ضمانها بقبول الذمة لكمال الهمة وزوال التهمة (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) اى فى وقت كماله من القدر (لا يخيس) بفتح الياء اى لايغدر (بكم فاصبحنا) اى على ذلك المنوال (فجاء رجل بتمر) اى كثير (فقال انا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر) اى مقدار ماشئتم ضيافة لكم (وتكتالوا) اى وان تكتالوا (حتى تستوفوا) اى حتى تقبضوا قيمة بعيركم وافية (ففعلنا وفى خبر الجلندى) بضم الجيم واللام وسكون النون ودال مهملة والف مقصورة او ممدودة على اختلاف فى اللغة وعبارة القاموس وجلنداء بضم اوله وبفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه انتهى وقوله (ملك عمان) بضم العين وتخفيف الميم على مااختاره الحلبى وقال وفى نسخة عوض عمان غسان انتهى والظاهر انه سهو اوتصحيف كما لايخفى وذكر الدلجى انه بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء واما ما هو بالضم والتخفيف فصقع عند البحرين وحاصله انه روى وسيمة فى كتاب الردة عن ابن اسحق فى خبر الجلندى ملك عمان (لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) اى مع سائر الانام وهو يحتمل ان يكون بالكتابة او بالرسالة (قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى) اى على صدق قضيته ونبوت حقيقته (انه) اى كونه عليه الصلاة والسلام (لايأمر بخير) اى احدا (الا كان اول آخذ به) بصيغة الفاعل اى عامل له (ولا ينهى عن شئ) اى احدا (الا كان اول تارك له) وفى نسخة عن شر بدل عن شئ وهو الملائم لمقابلة قوله بخير (وانه) اى عليه الصلاة والسلام (يغلب) بصيغة المعلوم اى على اعدائه (فلا يبطر) بفتح الطاء اى لايطغى ولايفخر عند احبائه (ويغلب) بصيغة المجهول (فلا يضجر) بفتح الجيم اى لايجزع ولايفزع بناء على قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ولما فى حكم ابن عطاء * مادمت فى هذه الدار لاتستغرب وقوع الاكدار * وكما قيل الحرب سجال ولقول بعضهم

* فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر *

وفيه تنبيه على حسن الرضى تحت حكم القضاء مع العلم بان فى غالبيته نصرة الاولياء وفى مغلوبيته كثرة الشهداء كما قال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين فكل امر المؤمن مقرون بخير فى الكونين وقد قال تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون (ويفى بالعهد وينجز) بضم الياء وكسر الجيم (الموعود) اى ويصدق الوعد (واشهد انه نبى) فلله دره وما اتم نظره حيث حملته محاسن جملته على الاقرار بنبوته من غير حاجة الى اظهار حجته وبيان معجزته (وقال نفطويه) بكسر النون وسكون الفاء وفتح الطاء المهملة والواو فتحتية ساكنة فهاء مكسورة وقد سبق ذكره (فى قوله تعالى يكاد زيتها يضيء) اى يفيض بالانوار من حيث ذاته (ولو لم تمسسه نار) تفيد انارته باستنارة صفاته (هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) اى كانه تعالى يقول (يكاد منظره) اى يعرب ظاهر رؤيته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) من التلاوة وروى وان لم يقل من القول والفاعل فيهما ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم اى وان لم ينضم لرؤيته تلاوة قراءته الدالة على انواع معجزته (كما قال ابن رواحة) اى فى نعته وهو بفتح الراء انصارى نقيب بدرى احد شعرائه صلى الله تعالى عليه وسلم حضر احدا والخندق واستشهد بمؤتة بضم الميم اميرا فيها سنة ثمان من الهجرة (لو لم تكن فيه آيات مبينة) بكسر التحتية وفتحها اى لو لم يوجد فى حقه آيات ظاهرة او معجزات باهرة (لكان منظره ينبيك بالخبر) اصله ينبئك بالهمز فسكن ضرورة ثم جوز ابداله لغة هذا وقد نسب الشيخ تقى الدين ابن تيمية هذا البيت الى حسان مع تغير شطره الثانى حيث قال

وما احسن قول حسان

﴿ لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تأتيك بالخبر ﴾

انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بالتوارد فى المبنى وان كان احدهما اظهر فى المعنى (وقد آن) اى حان (ان نأخذ) اى نشرع (فى ذكر النبوة) وهى حالة الولاية قبل الرسالة (والوحى) اى وبيان الوحى الشامل لحال النبوة (والرسالة) اى وبيان نعت الرسالة وما تميز به عن مرتبة النبوة (وبعده) اى وبعد فراغ هذا الشان نشرع (فى معجزة القرآن) اى وما يتعلق به من البيان (وما فيه) اى فى القرآن (من برهان) اى حجة (ودلالة) بفتح الدال وتكسر اى وبينة من آية وعلامة تبين مبانيها وتعين معانيها ثم فى هذا الباب ثلاثون فصلا

﴿ فصل ﴾

(اعلم ان الله تعالى قادر على خلق المعرفة) اى جميع المعارف الجزئية من العلوم الشرعية والعرفية (فى قلوب عباده) اى على وفق مراده كما حكى عن سنته سبحانه فى بعض الانبياء وكما روى عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره (والعلم) اى وعلى خلق العلم الكلى الاجمالى المتعلق (بذاته) اى الاسنى (واسمائه) اى الحسنى (وصفاته) اى العلى (وجميع تكليفاته) اى التى الزمها عقلاء مخلوقاته (ابتداء) اى بانا ضة جذبة من جذباته (ودون واسطة) اى من ارسال ملائكته (لوشاء) اى لو تعلقت به مشيئته واقتضته حكمته (كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء) اى وروى عن بعض الاولياء من امته حيث حصل لهم العلم اللدنى من الالهام الالهى فى امور خارقة للعادة ظهر تحقيقها عند اصحاب الارادة (وذكره بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) اى وحى الهام او رؤيا منام كما وقع لام موسى عليه السلام (وجائز) اى فى قدرته بعد تعلق ارادته وفق حكمته (ان يوصل اليهم جميع ذلك) اى ما ذكر من العلوم الكلية والمعارف الجزئية (بواسطة) اى من ملك او نبى او ولى (يبلغهم كلامه) اى بما يقتضى مرامه (وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم) وفى معناهم الاولياء مع اتباعهم فيما ينبغى لهم اتباعهم (ولا مانع لهذا) اى لما ذكر من حالتى الابتداء والواسطة فى الابداء (من دليل العقل) اى وقد ثبت بدليل النقل (واذا جاز هذا) اى نقلا وعقلا (ولم يستحل) اى ولم يعد ذلك محالا اصلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) اى الباهرة وآياتهم القاهرة (وجب) اى على المرسل اليهم (تصديقهم فى جميع ما اتوا به) اى من الامور الواجبة عليهم (لان المعجزة مع التحدى) اى طلب المعارضة (من النبى) اى ممن يصح ان يكون له نعت النبوة ولم يكن من اهل الاستدراج والسحر والمكر والحيلة (قائم مقام قول الله تعالى) اى شهادته فى تحقيق دعوته (صدق عبدى فاطيعوه) اى فى الاصول (واتبعوه) اى فى الفروع (وشاهد على صدقه فيما يقوله) اى من اخبار الاولين وانباء الاخرين واحوال الدنيا واهوال العقبى فان التصديق بالفعل كالتصديق بالقول وتوضيحه انه اذا ادعى نبى الرسالة ثم قال آية صدقى فى دعواى ان الله تعالى ارسلنى ان يفعل كذا ففعل الله تعالى ذلك كان ذلك من الله تصديقا له فيما يدعيه من الرسالة بما فعل من نقض العادة فيكون ذلك كقوله عقيب دعواه صدقت ويستحيل من الحكيم تصديق الكاذب اللئيم ونظير هذا ان الرجل اذا قام فى محفل عظيم وقال معشر الاشهاد انى رسول الملك اليكم ودعواه هذه بمرأى من الملك ومسمع ثم قال فان كنت ايها الملك صادقا فى دعواى فخالف عادتك وانتصب قائما وضع يدك على رأسى ثم اقعد فاذا فعل الملك ذلك اضطر الحاضرون الى تصديق الملك اياه وعلم صدقه بالضرورة فى دعواه (وهذا كاف) اى للمدعى (والتطويل فيه خارج عن الغرض) اى الاصلى ههنا (فمن اراد تتبعه) اى مستقصى (وجده مستوفى فى كتب ائمتنا) اى مصنفات ائمتنا كما فى نسخة (رحمهم الله) حيث بالغوا فى تحقيق امر التوحيد وما يتعلق به من امر النبوة وما يتبعه من اثبات المعجزة وغيرها مع الادلة العقلية والنقلية وبيان المذاهب الباطلة كالحكماء والدهرية ثم المراد بالائمة علماء هذه الامة وابعد الدلجى فى قوله يعنى المالكية اذ لا دخل لهذه المباحث فى الفروع الفقهية الخلافية (فالنبوة فى لغة من يهمز) وهو نافع من بين القراء (مأخوذة من النبأ وهو الخبر) وتعديته بالهمزة تارة كقوله تعالى انبئونى وبالتضعيف اخرى كقوله سبحانه نبئ عبادى (وقد لا تهمز على هذا التأويل) اى مع بقائه على هذا المبنى وارادته من المعنى (تسهيلا) اى تخفيفا او جبه كثرة الاستعمال لجعل الهمزة واوا وادغاما فى مثلها كالمروة واما فى نحو النبى فتخفيفه بجعل الهمزة ياء وادغامها فيما قبلها واما فى الانبياء فبابدال الهمزة ياء لانكسار ما قبلها (والمعنى) اى حينئذ على القراءتين (ان الله تعالى اطلعه على غيبه) اى بعض مغيباته او على غيبه المختص به من عند ربه (واعلمه انه نبيه فيكون نبيا) اى فى المعنى (منبأ) اى فى المعنى وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الموحدة بعدها الهمزة المنونة او بفتح النون

وتشديد الموحدة (فعيل بمعنى مفعول) اى ولوكان على زنة مفعل (اويكون) اى النبي (مخبرا عن ما بعثه الله به بتوسط الوحي) بالتخفيف اوالتشديد مكسورا اى معلما (بما اطلعه الله تعالى عليه ففعيل بمعنى فاعل او يكون) اى النبيّ (عند من لم يهمزه) اى ولم يقل بتسهيله وادغامه بعد تبديله (من النبوة) اى مأخوذا من النبوة بفتح النون وسكون الموحدة (وهو) ذكر باعتبار ما اخبر بقوله (ما ارتفع من الارض) او بمعنى الرفعة (ومعناه) اى حينئذ على طبق مبناه (ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة) اى منزلة لطيفة (عند مولاه منيفة) بضم الميم وكسر النون اى زائدة او مرتفعة واصلها من اناف اذا اشرف ثم هو ايضا بهذا المعنى يحتمل ان يكون في المبنى بمعنى الفاعل والمفعول اى مرتفع الشان اور فيع البرهان (فالوصفان في حقه مؤتلفان) اى الوصفان بالمعنيين من الخبر والرفعة وبالمبنيين من البناء للمفعول والفاعل باعتبار كل منهما في حق النبي مجتمعان بل متلازمان واما قول الدلجي فالوصفان من كونه منبأ او منبئا فقاصر عن استيفاء حق الموصوف كما لا يخفى على اهل المعروف (واما الرسول فهو المرسل) من ربه الى مكلفي خلقه لانفاذ حكمه (ولم يات فعول بمعنى مفعل الانادرا) اى قليلا وقوعه بل ولم يعلم لغيره وروده (وارساله) اى لكونه ليس بحقيقي بل على وجه حكمي هو (امر الله له بالابلاغ) وروى بالبلاغ اى بتبليغ امره (الى من ارسل اليه) قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ثم هذا الارسال قد يكون بواسطة الملائكة وقد يكون بدون الواسطة كما وقع لموسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى (واشتقاقه) اى اخذه من حيث المبنى (من التتابع) اى من حيث المعنى لقوله (ومنه قولهم جاء الناس ارسالا) بفتح اوله جمع رسل بفتحتين (اذا تبع بعضهم بعضا) اى في المأتى وقد ورد انهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسالا اى بعضهم تبع بعضا (فكأنه) اى الرسول (الزم) بصيغة المجهول (تكرير التبليغ) بالنصب على انه مفعول ثان وفي نسخة الزم تكرير التبليغ فهو مفعول اول (او) وفي نسخة بالواو (الزمت) وفي نسخة التزمت (الامة اتباعه) فهذا بيان التفرقة بين النبي والرسول بحسب المبنى وعلى مقتضى اصل اللغة في المعنى (واختلف العلماء) اى بحسب الاصطلاح الشرعي او العرفي (هل النبي والرسول بمعنى) واحد فيكونان مترادفين في اطلاق كل منهما على الآخر (او بمعنيين) اى متباينين او متغايرين بان يكون النبي اعم والرسول اخص (فقيل هما سواء) اى في المعنى فكل منهما انسان اوحي اليه بشرع مجدد اوغير مجدد (واصله) اى اصل هذا المعنى باعتبار المبنى مأخوذ (من الانباء) اى الاخبار (وهو الاعلام) يعني فيلزم معنى النبوة اذا كانت من الانباء معنى الرسالة التي بمعنى الاعلام والابلاغ وفيه انه لا يلزم من انباء الله تعالى لعبده امرا ان يكون مأمورا باعلامه لغيره (واستدلوا) اى لكونهما سواء في المعنى (بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت) اى الله تعالى (لهما الارسال معا) اى ولم يجعل للعطف حكما بمغايرة بينهما (ولا يكون) وفي نسخة قال ولا يكون والصحيح قالوا ولا يكون والاظهر فلا يكون (النبي الارسولا ولا) اى ولا يكون (الرسول الانبيا) اى بناء على ذلك المعنى وفيه ان الارسال هنا بالمعنى اللغوي وهو البعث والاظهار لا بالمعنى الاصطلاحي والا لكفى ان يقول وما ارسلنا من قبلك احدا وسيأتي زيادة بيان لهذا البحث (وقيل هما مفترقان من وجه) يعني ومجتمعان من وجه اذ العطف يقتضي التغاير في الجملة لاسيما مع وجود لا المزيدة للتأكيد والمبالغة (اذ قد اجتمعا) تعليل للقضية المطوية اى اجتمع مادتهما معنى (في النبوة) اى على تقدير انها مهموزة وهي مأخوذة من الانباء (التي هي الاطلاع) اى لهما من عنده سبحانه وتعالى (على الغيب) اى على بعض الامور الغيبية من الامور الدينية والدنيوية والاخروية (والاعلام) اى وكذا الاعلام لهما من عند ربهما (بخواص النبوة) اى والرسالة والمعنى باختصاصهما بامور لا توجد في غيرهما (اوالرفعة) اى او اجتمعا في الرفعة (بمعرفة ذلك) اى شان النبوة والرسالة (وحوز درجتهما) اى احاطة مرتبة كل منهما (وافترقا في زيادة الرسالة للرسول) اى باختصاص الارسال (وهو الامر بالانذار) وهو الاعلام بالشيء الذي يحذر منه (والاعلام) تفسيرا واخص مما قبله لشموله التبشير وتبيين احكام الاسلام (كما قلنا) اى ينافيما سبق من الكلام (وحجتهم) اى ودليل اصحاب هذا القيل من الاجتماع من وجه والافتراق من آخر لا كما قال الدلجي اى من قال بافتراقهما فتدبر (من الآية) اى من جهة الآية المتقدمة (نفسها) اى بعينها (التفريق بين الاسمين) اى ضرورة كون المعطوف غير المعطوف عليه كما هو الاصل في تغاير المتعاطفين (ولوكانا شيئا واحدا) اى هنا (لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ) اى البالغ غاية البلاغة المعجز لارباب الفصاحة عن قدرة المعارضة باقصر سورة (قالوا) اى هؤلاء (والمعنى) اى المراد بالآية (وما ارسلنا من رسول) وفي نسخة من نبي (الى امة) اى مأمور بالعبادة والدعوة (اونبي) اى مأمور بالعبادة فقط (وليس بمرسل الى احد) اى من الخلق بدعوة الى طريق فالاول كامل والثاني مكمل فهو اخص وذاك اتم واعم والله تعالى اعلم

(وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) اى مجدد بان لايكون مقررا الشرع من قبله (ومن لم يأت به)
اى بشرع مبتدأ وقداوحى اليه (فهو نبى غير رسول وان امر) اى ولوامر (بالابلاغ والانذار) لانه لم يأت بزيادة
من الاحكام والاثار (والصحيح) وكذا الشهير (والذى عليه الجماء) بفتح الجيم وتشديد الميم ممدودا وفى نسخة الجم
(الغفير) بالغين المعجمة والفاء اى الجمع الكثير وهم الجماهير (ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا) اذ النبى انسان
اوحى اليه سواء امر بالتبليغ ام لا بخلاف الرسول فانه نبى مأمور بتبليغ الرسالة سواء تكون هذه الرسالة تقدمت
او تجددت (واول الرسل آدم عليه السلام) اى الى بنيه وكانوا مؤمنين وكذا شيث وادريس عليهما السلام واما نوح
عليه السلام فاول رسول الى كفار قومه (وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اجماعا بشهادة قوله تعالى وخاتم
النبيين والحديث لانبى بعدى (وفى حديث ابى ذر عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا على ما رواه
احمد وابن حبان (ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبى وذكر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الرسل
منهم) اى من الانبياء (ثلاثمائة وثلاثة عشر) وفى رواية خمسة عشر جم الغفير اى الجمع الكثير فهو من باب مسجد
الجامع (اولهم آدم) اى اول الرسل آدم وهو فى مستدرك الحاكم ايضا فى ترجمة عيسى ابن مريم بسنده الى
ابى ذر قال دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المسجد فاغتنمت خلوته فقال لى يا اباذر ان للمسجد
تحية ركعتان فركعتهما ثم قلت يارسول الله انك امرتنى بالصلوة فما الصلوة قال خير موضوع فمن شاء اقل ومن شاء
اكثر ثم ذكر الحديث الى ان قال قلت كم النبيون قال مائة الف واربعة وعشرون الف نبى قلت كم المرسلون منهم قال
ثلاثمائة وثلاثة عشر وذكر با فى الحديث وتعقبه الذهبى فى تلخيص المستدرك فقال قلت السعدى ليس بثقة
انتهى وفى الصحيحين فى باب الشفاعة قالوا يانوح انت اول الرسل الى اهل الارض الحديث قال القاضى فى شرح
مسلم وتبعه النووى ومثل هذا يسقط الاعتراض بادم وشيث ورسالتهما الى من معهما وان كانا رسولين فان آدم
انما ارسل لبنيه ولم يكونوا كفارا بل امر بتبليغهم الايمان وطاعة الله وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة
نوح الى كفار اهل الارض قال القاضى وقد رأيت اباالحسن ابن بطال ذهب الى ان آدم وادريس رسولان هذا
وذكر بعضهم ان عدد اصحابه عليه السلام كعدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا وذكر ابو زرعة انه مات
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه مائة الف واربعة عشر الفا ولعله اقتصر على ذكر الصحابة الكبار
اوالرواة منهم والله تعالى اعلم ثم قيل والرسل ثلاثمائة واربعة عشر وقيل كعدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر
ولم يجاوزه الامؤمن وهم ثلاثمائة وبضعة عشر وكذا عدد اهل بدر وقيل ان عدد الرسل مأخوذ من لفظ حروف
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجملته ثلاثمائة واربعة عشر وان مد الحاء فخمسة عشر فالميم ثلاثة احرف ميم وياء
وميم والحاء حرفان حاء والف الميمان المضعفان ستة احرف والدال ثلاثة احرف دال والف ولام فاذا عددت
حروف اسمه كلها ظواهرها الجلية وبواطنها الخفية حصل لك ثلاثمائة واربعة عشر فالثلاثة عشر والثلاثمائة
على عدد الرسل الجامعين للنبوة ويبقى واحد من العدد وهو مقام الولاية المفرق على جميع الاولياء والاقطاب التابعين
للانبياء فاسمه جامع للنبوة والولاية وفيه انه هو اصلهم وماافترق فيهم اجتمع فيه ومن هذه الزبدة مافى البردة

﴿ وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر اورشفا من الديم ﴾

هذا وقد ذكر التلمسانى فى حديث ابى ذر بلفظ طويل جدا ومن جملته بابى انت وامى يارسول الله فكم كتاب انزل الله
قال انزل الله تعالى مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم
عشرا وروى عشرين وعلى موسى من قبل انزال التوراة عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان
الحديث ثم اعلم ان الاحوط ان لانعين فى الانبياء والرسل عددا معينا ولا احدا مبينا بل نؤمن ان اولهم آدم وآخرهم
نبينا الخاتم وان مابينهما من الانبياء والمرسلين كانوا على الحق المبين لانك متى حصرتهم على عدد يحتمل
ان يكونوا ازيد من ذلك اوانقص مما هنالك فيؤدى اما الى انكار بعض الانبياء او الى شهادة غير النبى بانه نبى وهذا
طريق الماتريدى (فقد بان) اى ظهر وتبين (لك معنى النبوة والرسالة ولبستا) اى النبوة والرسالة (ذاتا للنبى) لقضاء
البديهة به (ولاوصف ذات) اى قائمة بها (خلافا للكرامية) بتشديد الراء والياء التحتية للنسبة وفى نسخة بتخفيف
الراء على انه لغة بمعنى الكرم اوالكرامة وفى اخرى بكسر الكاف على انه جمع الكريم والمعول هو الاول على انه علم له
او لقب لكونه عاملا فى الكرم او حافظا له والله تعالى اعلم والحاصل انهم ينسبون الى محمد بن كرام ومحمد هذا كنيته
ابو عبدالله السجزى سمع على ابن حجر وغيره مات بالقدس سنة خمس وخمسين ومائتين وهو صاحب المقالة كذا ذكره
الحلبى وفى القاموس ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بان معبوده مستقر على العرش وانه جوهر تعالى

الله عن ذلك علوا كبيرا وكان قد سجن بنيسابور ثمانية اعوام لاجل بدعته ثم اخرج فسار الى بيت المقدس ومات بالشام (في تطويل لهم) اى فى كثرة تعليل (وتهويل) اى تخويف وتخييل (لبس عليه تعويل) اى اعتماد من جهة دليل اذ قالوا هما صفتان قائمتان بذات الرسول سوى الوحى وامر الله له بالتبليغ والمعجزة والعصمة وصاحبهما لاتصلقه بهما رسول وان لم يرسله الله ويجب عليه ارساله لاغير فهو اذا ارسل مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس اى وليس كل رسول مرسلا اذ قد لايرسله قالوا ويجوز عزل المرسل عن كونه مرسلا دون الرسول اذ لايتصور عزله عن كونه رسولا على مازعموا كذا ذكره الدلجى وقال التلمسانى ان الكرامية قائلون بان الانبياء والرسل مجبولون على النبوة والرسالة وانهم انبياء مذ خلقوا من دون ان يوحى اليهم واستدلوا على ذلك بماروى عن ابى هريرة قال قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد (واما الوحى) اى وان كان يطلق على معان من الصوت الخفى والالهام والاشارة ونحوها (فاصله الاسراع) لحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوجه اى فاسرع اليه وهاؤه للسكت كذا ذكره الدلجى والظاهر انه تصحف عليه وانه بالجيم وسكون الهاء الاصلى على انه امر من التوجه ويؤيده ان لفظ الحديث على ما فى الجامع الصغير للسيوطى اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فاذا كان خيرا فامضه وان كان شرا فانته رواه ابن المبارك فى الزهد عن ابى جعفر عبدالله بن مسور الهاشمى مرسلا وفى معناه حديث اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج رواه البخارى فى الادب المفرد والبيهقى فى شعب الايمان عن رجل من بلى مرفوعا (فلما كان النبى) اى جنسه (يتلقى) اى يأخذ ويتلقن (ما يأتيه من ربه بعجل) اى بسرعة من غير تؤدة (سمى وحيا) ولعله من هذا القبيل كان سرعة اخذ نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى تناول التنزيل عند قراءة جبريل حتى نزل تسلية له فى التحصيل قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (وسميت انواع الالهامات) اى الواردة لافراد الانسان والحيوانات (وحيا) كقوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقوله سبحانه وتعالى واوحى ربك الى النحل الآية (تشبيها) اى لها (بالوحى الى النبى) اى فى تلقيها بعجلة والالهام هو القاء شئ فى الروع يبعث على الفعل او الترك يختص به الله من يشاء من عباده ومخلوقاته (وسمى الخط) اى الكتابة (وحيا لسرعة حركة يد كاتبه) او لسرعة ادراك الخط من صاحبه ووحى الحاجب) اى اشارته (واللحظ) اى ايماء العين (لسرعة اشارتهما) اى حركتهما بهما (ومنه) اى ومن قبيل اطلاق الوحى على الاشارة المطلقة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اومأ ورمز) اى اشار باحد اعضائه (وقيل كتب) اى لهم على الارض ان سبحوا (ومنه) اى من كون الوحى بمعنى الاشارة بالسرعة (قولهم) كما فى حديث ابى بكر رضى الله تعالى عنه (الوحاء) بفتح الواو (الوحاء) يمد ويقصر على ماذكره الجوهرى وقيل ان كرر مد وقصر وان افرد مد والتكرير للمبالغة ونصبه على الاغراء ومعناه كما قال (اى السرعة السرعة) بضم السين وقيل بفتحها ايضا يعنى الزموها ويقال الوحاء الوحاء بكسر الواو اى البدار البدار بمعنى المبادرة والمسارعة (وقيل اصل الوحى السر) اى الاسرار (والاخفاء) ومن ثمة قالوا هو الاعلام على وجه الخفاء (ومنه) اى ومن كون الوحى هو السر (سمى الالهام وحيا) اى لخفائه على غير اهله (ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) يعنى من المشركين (اى يوسوسون فى صدورهم) يعنى لاغوائهم (ومنه واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها) بصيغة المجهول كما صرح به الحلبى وغيره ويجوز ان يكون بصيغة المعلوم اى قذف الله تعالى الهاما او مناما ان ارضعيه اى ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه الآية (وقد قيل ذلك) اى ماذكر من الوحى بمعنى الالهام او المنام (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه) يعنى الهاما او مناما (دون واسطة) اى كما يفهم من المقابلة بقوله او من وراء حجاب كموسى عليه السلام او يرسل رسولا كجبريل او غيره من الملائكة فالواسطة اما معنوية او صورية ودونها مختصة بالواقعة القلبية والله سبحانه وتعالى اعلم بحقائق القضية

﴿ فصــل ﴾

(اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء) اى من الآيات الخارقة للعادة (معجزة هو ان الخلق) اى المرسل اليهم (عجزوا) بفتح الجيم وهى اللغة الفصحى ومنه قوله تعالى اعجزت وتكسر على لغة فالمستقبل على عكسهما اى لم يقدروا وحيث ضعفوا (عن الاتيان بمثلها) فكانها اعجزتهم عن معارضة اظهار نظيرها والا فالمعجز فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى كما انه قادر على اقدار العبد بنحوها او على ابدائها على يد مظهرها والتاء للمبالغة او لكونها وصفا للآية الخارقة للعادة (وهى) اى المعجزة (على ضربين) اى صنفين من حيث كونها مقدورة للبشر وغير مقدورة لهم (ضرب هو من نوع قدرة البشر) اى فى الجملة او بالقوة على تقدير خلق القدرة فيه بان يمكن دخوله تحت قدرتهم (فعجزوا عنه) اى بناء

على صرفهم (فتعجيزهم) اى تعجيز الله تعالى اياهم (عنه) بصرف توجههم عنه (فعل الله دل على صدق نبيه) لانه كصريح قوله صدق عبدى فى دعواه الرسالة لجرى العادة بخلقه تعالى عقبه علما ضروريا بصدقه كمن قال لجمع انا رسول الله اليكم ثم نتق فوقهم جبلا ثم قال ان كذبتمونى وقع عليكم وان صدقتمونى انصرف عنكم فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم او بتكذيبه قرب منهم فانهم يعلمون حينئذ ضرورة صدقه مع قضاء العادة بامتناع صدور ذلك من الكاذب (كصرفهم) اى كصرف الله تعالى لكفار اليهود (عن تمنى الموت) بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم اخبر عنهم بقوله ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو تمنوا اليهود الموت لما تواو رأوا مقاعد هم من النار كما رواه البخارى وغيره (واعجازهم) بالجر عطفا على صرفهم اى وكاعجاز المشركين وغيرهم (عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم) اى انه بناء على صرفهم كالنظام من المعتزلة والمرتضى من الشيعة والحق ان عجزهم عنه انما كان لعلو درجته فى فصاحته و بلاغته وغرابة اساليبه وجزالة تراكيبه مع اشتماله على اخبار الاولين وآثار الآخرين وتضمنه للامور الغيبية الواقعة سابقا ولاحقا فهو معجزة من جهة المبنى ومن حيثية المعنى (ونحوه) اى وكتعجيزهم عن نحو الاتيان بمثل القرآن من سائر خوارق العادة (وضرب) اى نوع من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم) اى حتى بالقوة (فلم يقدروا على الاتيان بمثله) اى بالكلية (كاحياء الموتى) اذ ليس من جنس افعال البشر ولا الملك واما احياؤهم بدعاء عيسى معجزة له فانما كان من الله تعالى لامته بدليل قوله تعالى واحيى الموتى باذن الله (وقلب العصا حية) اى تسعى معجزة لموسى (واخراج ناقة من صخرة) اى بلا واسطة واسباب معهودة معجزة لصالح (وكلام شجرة) اى لموسى من قبل الله تعالى اولنبينا عليه الصلاة والسلام باظهار كلمة الاسلام (ونبع الماء من الاصابع) وفى نسخة من بين الاصابع معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما وردت به الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (وانشقاق القمر) معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما صح به الخبر ونص القرآن بقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والمعنى ان ذلك وامثاله (مما لا يمكن) وفى نسخة مما لا يجوز (ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك) اى هذا الضرب الذى لا يفعله الا الله وفى نسخة فكون ذلك (على يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى صورة (من فعل الله تعالى) اى حقيقة كما حقق فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (وتحديه) اى وطلب معارضة النبى (من يكذب به ان يأتى بمثله تعجيز) وفى نسخة تعجيز له اى عن ذلك (واعلم ان المعجزات التى ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته و براهين صدقه) اى فى دعوى رسالته واعلاء حجته كانشقاق القمر ومجىء الشجر وتسليم الحجر وحنين الجذع واما سقوط شرف بناء الاكاسرة وخرور الاوثان ليلة ولد واظلال الغمام قبل البعثة فهو من الارهاصات لا المعجزات خلافا لما توهمه عبارة الدلجى (من هذين النوعين معا) اى جميعا باعتبار البعض والبعض فمنها ماهو من نوع قدرة البشر ومنها ماهو خارج عنها (وهو) اى نبينا (اكثر الانبياء معجزة وابهرهم آية) اى انورهم (واظهرهم برهانا) اى حجة وبيانا (كما سنبينه) فى محله ان شاء الله تعالى وحده (وهى) اى معجزاته (فى كثرتها لا يحيط بها ضبط) اى لجزئياتها (فان واحدا منها) اى مما هو اعظمها (وهو القرآن) اى من حيث آياته وسوره المشتملة على دلالات بيناته (لا يحصى) بصيغة المجهول اى لا يحصر ولا يعد (عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر) لما اورثه من فنون البلاغة وصنوف الفصاحة من جملتها افادة المعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة الى غير ذلك من انواعها العجيبة واصنافها الغريبة التى عجز عنها الخطباء والبلغاء من العرب العرباء (لان النبى) وهو الرسول الاعظم والنبى الافخم صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (قد تحدى بسورة منه) اى طلب المعارضة باقصر سورة من سور القرآن (فعجز عنها) بصيغة المجهول اى فعجز جميع اهل المعانى والبيان عن الاتيان بمثل سورة من القرآن تصديقا لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى معاونا ونصيرا (قال العلماء واقصر السور) اى سور القرآن وفى نسخة سوره بالضمير (انا اعطيناك الكوثر) اى الى آخره وكان الاظهر الاخصر ان يقول واقصر السور سورة الكوثر لانها ثلاث آيات حروفها اقل من حروف آيات سورة هى ثلاث مثلها كقل هو الله احد كذا قرره الدلجى وهو وهم منه لان سورة الاخلاص اربع آيات نعم سورة العصر نحوها فى عدد الآيات لكنها اطول منها باعتبار الحروف والكلمات فى عددها (فكل آية) اى منه (او آيات منه) اى من القرآن وسورة (بعددها) اى طويلة بعدد اقصر سورة من جهة الآيات او الحروف او الكلمات (وقدرها معجزة) فقوله تعالى فأتوا بسورة اعم من ان تكون حقيقية او حكمية (ثم فيها) اى فى سورة الكوثر (نفسها) اى بعينها (معجزات) اى بخصوصها (على ما سنفصله) اى نبينه (فيما انطوى) اى اشتمل القرآن

واحتوى (عليه من المعجزات) اى التى لاتكاد تستقصى (ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الثابتة لديننا والواصلة الينا (على قسمين) اى باعتبار مايكون حصوله قطعيا ووصوله ظنيا (قسم منها علم) اى لنا من طريق كونه (قطعا) كذا قدره الدلجى بناء على جعله لفظ علم مصدرا والصحيح انه فعل ماض مجهول وان قطعا صفة لمصدر مقدر اى علم ذلك القسم علم قطع كما يدل عليه عطف قوله (ونقل الينا تواترا) اى نقل تواتر وفى نسخة متواترا (كالقرأن) فانه لكون طريق وصوله الينا تواترا صار علمه لدينا قطعا (فلامرية) بكسر الميم وقد تضم اى ولاشك ولاشبهة ويروى بلامرية (ولاخلاف) اى بين ائمة الامة (بمجيء النبى به وظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء اى من جهته وهو عطف تفسير لزيادة تقرير (واستدلاله بحجته) اى واستشهاد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحجية القرأن على صدق محجته وتصديق نبوته وارسال الله تعالى اياه الى كافة بريته (وان انكر هذا) اى ماذكر من مجيئه به وظهوره من قبله واستدلاله به (معاند) اى حائد يرد الحق مع علمه (جاحد) اى منكر له ملحد فى حكمه (فهو) اى انكار ذلك (كانكاره وجود محمد فى الدنيا) حيث انكر كل منهما انكار مكابرة ومجاهدة لتحقق وجودهما بثبوت مشاهدة وان كان احدهما حسيا والآخر معنويا والحاصل ان وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وشهوده لاينكره احد من الموجودين (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اى المنكرين والملحدين (فى الحجة فيه) اى فى كونه حجة له قال الدلجى والصحيح فى الاحتجاج به اوفى ثبوت الحجة بكتابه كما ورد فى طعن المشركين اذقالوا اساطير الاولين ماانزل الله على بشر من شيء هذا سحر مبين (فهو) اى القرأن (فى نفسه) اى فى حد ذاته (وجميع ماتضمنه) اى من سوره وآياته (من معجز) الاولى من معجزاته (معلوم ضرورة) اى بديهة لاتقتضى رؤية كما شهد به الاعداء من اهل الخبرة كالوليد بن المغيرة اذ قال فى حقه لما تلى عليه بعضه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمعرق وان اعلاه لمثمر وما هو من كلام البشر (ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا) كان الاولى ان يقال ووجه اعجازه مفهوم ضرورية ونظرية لئلا يقع تكرار صريح فى العبارة اما ضرورة فلان سلاسة مبناه وجزالة معناه ونظم آياته والفة كلماته وصباحة وجوه فواتحه وخواتمه فى بداياته ونهاياته فى اعلى مراتب البلاغة واعلى مناقب الفصاحة لايحتاج العلم به الى الدلالة فيحكم العقلاء باعجازه فى البداهة واما نظرا فلافتقار بعض وجوهه الى النظر والتفكر فى خصوص ذلك الامر (كما سنشرحه) اى نبين ذلك القدر (قال بعض ائمتنا) اى ائمة المالكية وفى نسخة صحيحة بعض مشايخنا (ويجرى هذا المجرى) اى يجرى كون القسم الاول من معجزاته الذى علم قطعا ونقل الينا تواترا (على الجملة) اى فى الجملة باعتبار المعنى لابطريق المبنى (انه) فاعل يجرى اى الشان (قد جرى على يده) وفى نسخة صحيحة على يديه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات) اى علامات ومعجزات (وخوارق عادات) اى شاملة لمعجزات وكرامات (ان لم يبلغ واحد منها) اى لم يصل امر واحد من تلك الامور (معينا) اى مشخصا ومبينا (القطع) بالنصب اى العلم القطعى بالنسبة الى غير الصحابى (فيبلغه) اى العلم اليقينى (جميعها) اى باعتبار معانيها دون مبانيها (على يديه) اى بناء على ماصدر لديه (ولايختلف مؤمن ولاكافر) كان الاولى ان يقول وكافر بدون لا اويقول ولا يخالف مؤمن ولا كافر (قد جرت على يديه عجائب) اى آيات غرائب مما ازاغت ابصارهم وحيرت بصائرهم (وانما خلاف المعاند) اى مخالفته مع الموحد (فى كونها) اى فى وصول العجائب فائضة (من قبل الله تعالى) اى من جهة المبدأ الفياض كما يقوله المؤمن الموحد اوحاصلة من تلقاء نفسه عليه الصلاة والسلام وانه شاعر اوساحر ونحوهما كما تفوه به المشرك الملحد (وقد قدمنا كونها) اى كون المعجزة فائضة (من قبل الله تعالى) اى لاواصلة من تلقاء نبيه (وان ذلك) اى المعجز مع التحدى (بمثابة قوله) اى الله سبحانه وتعالى (صدقت) اى ياعبدى فيما ادعيت من رسالتى (فقد علم وقوع مثل هذا) اى الذى قدمناه (ايضا من نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرورة) اى بديهة (لاتفاق معانيها) اى مع قطع النظر عن اختلاف مبانيها فى كونها خوارق عادات وعلى صدق صاحبها علامات (كما يعلم ضرورة) اى عند الاخباريين وكذا عند بعض العامة (جود حاتم) بكسر التاء اى ابن عبدالله بن سعد الطائى مشهور بين العرب والعجم مات على كفره (وشجاعة عنترة) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح التاء الفوقية فراء بعدها هاء وهو العبسى (وحلم احنف) اى ابن قيس التميمى (لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم) اى من المؤرخين والاخباريين (على كرم هذا) يعنى حاتما (وشجاعة هذا) يعنى عنترة (وحلم هذا) يعنى احنف فاشار الى كل واحد بما للقريب تنزيلا له فى ذهنه منزلته (وان كان كل خبر) اى من اخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) اى بانفراده ويروى فى نفسه (لايوجب العلم) اى القطعى (ولايقطع بصحته) لعدم تواتر كل واحد منها منفردا فى كل عصر وطبقة ثم اعلم ان حاتما هذا والده ى قدم المدينة ابنه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة تسع فى شعبان

وكان نصرانيا فاسلم واسلمت اخته بنت حاتم قبل عدي رضي الله تعالى عنهما واما عنترة فهو ابن معاوية بن شداد وكان عنترة شديد السواد وامه زبيبة امة سوداء كانت لابيه وكان من اشهر فرسان العرب واشدهم بأسا وفي القاموس عنتر كجعفر وجندب في اغية الذباب والعنترة صوته والشجاعة في الحرب هذا ولو قال كشجاعة علي لكان اظهر فانه بهذا الوصف بين العرب والعجم اشهر واما الاحنف فهو بفتح الهمزة ثم حاء مهملة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم فاء روى عن عمر وعثمان وعلي وعدة وعنه الحسن وحميد بن هلال وجماعة وكان سيدا نبيلا اخرج له الائمة الستة مخضرم وقد اسلم في عهده عليه السلام ودعاله ولم يتفق له رؤيته قال صاحب القاموس تابعي كبير (والقسم الثاني) اي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم هو (مالم يبلغ) اي لم يصل علمه (مبلغ الضرورة والقطع) اي قطعا يصير ضروريا بديهيا ولا فكريا قطعيا (وهو) اي هذا القسم الذي بمنزلة الجنس (على نوعين نوع مشتهر) اي عند الخاصة (منتشر) اي عند العامة وكلاهما بصيغة الفاعل (رواه العدد الكثير) اي من الصحابة والتابعين (وشاع الخبر به عند المحدثين) اي من المخرجين والمصنفين (والرواة) اي من المتأخرين (ونقلة السير) بفتح النون والقاف جمع ناقل والسير بكسر السين وفتح الياء جمع سيرة اي ومن الذين نقلوا سير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صفاته وآياته ومعجزاته (والاخبار) بفتح الهمزة اي الاحاديث المتعلقة بسيد الابرار صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة عن بقية العلماء الاخيار (كنبع الماء من بين اصابعه) اومن اصابعه كما في بعض طرقه (وتكثير الطعام) اي المأكول والمشروب كما في حديث انس وغيره (وحنين الجذع وكلام الضب والذراع مما رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه) وهو الذي غير مشتهر ولا منتشر (اختص به) اي بنقله (الواحد) اي تارة (والاثنان) اي اخرى (ورواه العدد اليسير) اي ولو وصل الى مرتبة الجمع في بعض طرقه (ولم يشتهر) اي هذا القسم (اشتهار غيره) اي الثابت بالعدد الكثير والجم الغفير (لكنه اذا جمع الى مثله) اي في المبنى (اتفقا في المعنى) اي المراد به ثبوت الاعجاز في المدعى (واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا) اي من انه لا مرية في جريان معا نيها على يديه وانه اذا ضم بعضها الى بعض افاد القطع لديه (قال القاضي ابو الفضل) اي المصنف (وانا قول صدعا بالحق) اي جهرا به ومنه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر (ان كثيرا من هذه الآيات) اي الواردات كمجيء الشجر اليه وتسليم الحجر عليه وتسبيح الحصى في يديه (المأثورة) اي المروية (عنه عليه السلام) اي ولو كانت آحادا مبنى (معلومة بالقطع) لتواترها معنى (اما انشقاق القمر) اي على يديه بمكة حين سأله كفار قريش آية (فالقرآن نص بوقوعه) اي في الجملة لانه ظني الدلالة واما قول الدلجي اما انشقاق القمر فانه متواتر لفظا اذ القرآن نص بوقوعه فلبس على اطلاقه (واخبر عن وجوده) اي ثبوته وحصوله لقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق اي اقتربت وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر قبلها (ولا يعدل عن ظاهره) اي من تحقق وقوعه وثبوت وجوده الى تأويله بانه سينشق يوم القيامة وانه جيء بالماضي لتحقق وقوعه في مستقبله (الا بدليل) موجب لحمله عليه وصرفه اليه (وجاء) اي وقد ورد (برفع احتماله) اي احتمال الدليل الدال على صرف الآية عن ظاهرها (صحيح الاخبار) اي الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (من طرق كثيرة) كخبر الصحيحين وغيرهما (ولا يوهن) وكان الانسب في ترتيب السبب ان يقال فلا يوهن بالفاء وهو بضم الياء وكسر الهاء مخففا ومثقلا اي لا يضعف (عزمنا) اي جزمنا (خلاف اخرق) اي مخالفة جاهل احمق افعل من الخرق ضد الرفق (منحل عرى الدين) بضم ميم وسكون نون وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مضاف الى عرى بضم العين وفتح الراء جمع عروة وهي ما يتمسك به في امر الديانة ومنه قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اي لا انقطاع لها (ولا يلتفت) بصيغة المجهول اي ولا ينظر (الى سخافة مبتدع) بفتح السين المهملة والخاء المعجمة اي رقة عقل ضال عدل عن الحق المبين (يلقي) بضم الياء وكسر القاف اي يوقع (الشك) اي التردد والشبهة (على قلوب ضعفاء المؤمنين) فربما قبلته ووقعت في ضلالة المبتدعين (بل نرغم بهذا انفه) بصيغة الفاعل المتكلم من ارغم انفه الصقه بالرغام بالفتح وهو التراب والمعنى نذله (وننبذ) بفتح النون الاولى وكسر الموحدة اي نطرح (بالعراء) اي بالصحراء والفضاء ومكان الخلاء (سخفه) بضم السين المهملة وفتح وسكون الخاء المعجمة اي رقة عقله وكثافة جهله والمعنى نلقي جهله بالعراء لا شيء يستره من البناء وفي بعض النسخ يرغم وينبذ بصيغة التذكير وبناء المجهول وانفه وسخفه مرفوعان (وكذلك) اي وكانشقاق القمر في كثرة الرواة طرقا صريحة واسانيد صحيحة (قصة نبع الماء) اي من بين اصابعه اومن اصابعه (وتكثير الطعام رواها) اي قصة النبع والتكثير (الثقاة) اي من الرواة (والعدد الكثير) اي من الاثبات والمراد منهم طبقة الاتباع (عن الجماء) وفي نسخة الجم (الغفير) اي عن الجمع الكثير من التابعين (عن العدد الكثير من الصحابة) فمن روى نبع الماء بالزوراء

بقرب مسجده بالمدينة السكينة الشيخان عن انس رضي الله تعالى عنه و بالسفر البخاري عن [illegible] تكثير الطعام البخاري والنسائي عن الشعبي عن جابر في قضاء دين والده والشيخان والترمذي والنسائي عن انس في قصة ابي طلحة يوم الخندق (ومنها) اي ومن جملة المعجزات او من جملة رواية الثقات (ما رواه الكافة) اي الجماعة (عن الكافة) اي عن مثلهم في الكثرة (متصلا) اي نقلا متصلا غير منقطع اصلا (عمن حدث بها) اي بالمعجزة او بتلك الرواية الدالة عليها (من جملة الصحابة) بيان لمن وفي نسخة من جلة الصحابة بكسر الجيم وتشديد اللام اي اكابرهم او معظمهم ويؤيده قوله (واخيارهم) على ما ضبط في نسخة صحيحة من فتح الهمزة ثم الياء التحتية لكن في اكثر النسخ اخبارهم بكسر الهمزة ثم الموحدة مجرورا ولا يظهر وجهه ولعله مرفوع عطفا على ما رواه اي ومنها نقل الصحابة (ان ذلك) اي ما ذكر من تكثير الطعام (كان في موطن اجتماع الكثير منهم) اي من الصحابة وغيرهم (في يوم الخندق) اي حول المدينة في غزوة الاحزاب وكانت سنة خمس (وفي غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وتفتح جبل من جبال جهينة وكانت سنة (وعمرة الحديبية) بتخفيف الياء الثانية وتشدد وكانت سنة ست في ذي القعدة ووهم من قال في رمضان وانما كان الفتح فيه (وغزوة تبوك) بفتح الفوقية وضم الموحدة ممنوعا وقد يصرف وكانت في السنة التاسعة وهي آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم بذاته وهو موضع بطرف الشام بينه وبين المدينة اربع عشرة مرحلة (وامثالها من محافل المسلمين) اماكن اجتماعهم (ومجمع العساكر) اي مكان جمع المجاهدين وكان الاولى ان يؤتى بصيغة الجمع فيهما او بافرادهما (ولم يؤثر) بصيغة المفعول من الاثر اي ولم ينقل (عن احد من الصحابة مخالفة للراوي) اي منهم في قصتهما (فيما حكاه) اي رواه (ولا) اي ولا نقل عن احد منهم (انكار لما ذكر) بصيغة المجهول اي ذكره بعضهم (انهم) اي بقية الصحابة (رأوه) اي شاهدوه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (كما رواه) اي عنه (فسكوت الساكت منهم) اي اذ وقعت الرواية في مكانهم اوزمانهم (كنطق الناطق) اي بمنزلة رواية الراوي منهم به (اذهم المنزهون) اي المبرأون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب) بفتح الكاف وكسر الذال او بكسر فسكون وهذا بشهادة قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ويدل له قوله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني فكلهم عدول رضي الله تعالى عنهم (وليس هناك رغبة) اي ميل وطمع (ولا رهبة) اي خوف وفزع والمعنى انه ما كان هناك موجبة من مداراة مع الخلق ومداهنة في الحق (تمنعهم) من الانكار وتحملهم على السكوت الذي هو بمنزلة الاقرار (ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم) اي ولو في الجملة (لانكروه) اي ذلك المسموع وانكروا على ناقله ايضا (كما انكر بعضهم) اي بعض الصحابة (على بعض) اي آخرين (اشياء رواها) اي نقلها بعضهم (من السنن والسير وحروف القرآن) بيان لاشياء والمراد بالسنن الاحاديث المتعلقة بالاحكام وبالسير الروايات المختصة بشمائله عليه الصلاة والسلام وبحروف القرآن قراآته كانكار عمر رضي الله تعالى عنه على هشام بن حكيم بن حزام اذ سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء به اليه فقال سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأتنيها فقال اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه رواه الائمة الستة (وخطأ بعضهم بعضا) بتشديد الطاء اي نسب بعضهم بعضا الى الخطأ في اجتهاداتهم واستنباطاتهم (ووهمه) بتشديد الهاء اي ونسب بعضهم بعضا الى الوهم في رواياتهم (في ذلك) اي في جميع ما ذكر من السنن والسير والقراآت (بما هو معلوم) اي عند ارباب الدرايات كتخطئة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نوفا البكالي في قوله ان موسى الخضر ليس موسى بني اسرائيل (فهذا النوع) اي الذي رواه العدد اليسير لا الجمع الكثير (كله) اي جميع افراده (يلحق) بفتح الياء على ما قاله الحلبي وغيره وكذا بفتح الحاء والاظهر ان يكون بصيغة المجهول ووقع في اصل الدلجي ملحق بالميم وصيغة المفعول وهو نسخة ايضا والمعنى يوصل (بالقطعي من معجزاته) ويعطى حكمه من كراماته (لما بيناه) مما يؤذن بان رواية بعضهم وسكوت بعضهم بمنزلة وقوع الاجماع فان هذه الامة لا تجتمع على الضلالة (وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها) اي كالموضوعات (وبنيت على باطل) اي غرض فاسد من الخيالات (لا بد مع مرور الازمان) اي مضي الاوقات (وتداول الناس) اي في الروايات (واهل البحث) اي عن حال الرواة (من انكشاف ضعفها) اي لا فراق من تبين ضعف امرها (وخمول ذكرها) اي وخموده عند اهل المعرفة بسندها (كما يشاهد) بصيغة المجهول وفي نسخة بضم النون وكسر الهاء اي كما يرى ويعلم ويظهر (في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة) بالهمزة ويبدل اي الحكايات العارضة (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة اي معجزاته التي هي لشهرتها وانتشارها كالاعلام جمع علم على عجز من ناواه وردمن عاداه (هذه الواردة) اي كل واحد منها (من طريق الاحاد) اي المفيدة للظن مبني لكنه اذا ضم بعضها الى بعض

صارت متواترة موجبة للقطع معنى (لا تزداد) اى بايراد تلك الآحاد (مع مرور الزمان الا ظهورا) اى اجلا لا للمؤيد بها وامدادا وارغاما لمنكرها عنادا (ومع تداول الفرق) اى للامور فرقة فرقة كذا قرره الدلجى بناء على ماوقع فى اصله وفى اكثر النسخ تداول القرون وهو المناسب لمقابلة ماسبق من قوله تداول الناس (وكثرة طعن العدو) اى الاعداء فانه يطلق على الجمع والمفرد مع افراد لفظه ولذا قال (وحرصه على توهينها) اى ابطالها (وتضعيف اصلها) اى باعتبار متنها واسنادها (واجتهاد الملحد) اى بذل الظالم وسعه ما دلا عن الحق قال الدلجى وفى نسخة واجهاد بلاتاء اى نفسه اى ايقاعها فى مشقة وجد وكد ومبالغة (على اطفاء نورها) يعنى وهى لا تزداد مع ذلك (الاقوة وقبولا) اى للمنصف المذعن للحق (ولاللطاعن) اى ولاتزداد للذام العائب (عليها الاحسرة وغليلا) بفتح الغين المعجمة اى حرارة وعطشا يهلك من كان عليلا (وكذلك) اى وكاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد (اخباره) بكسر الهمزة اى اعلامه (عن الغيوب) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما اخبربه عن المغيبات فى حديث الحاكم بلاء يصيب هذه الامة حتى لايجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم وقد وجد هذا عند اهل العلم (وانباؤه) بكسر الهمزة اى واخباره (بمايكون) اى فى الآخرين (وكان) اى وبما كان فى الاولين او بما يكون فى الغيوب وبماكان من العدم (معلوم) اى كل ذلك معلوم كونه (من آياته) اى علاماته الدالة على صدق حالاته وصحة معجزاته (على الجملة) اى من غير نظر الى الطرق المفصلة (بالضرورة) اى بالبداهة العقلية فهو فى الجملة قطعى الدلالة من غير احتياج علمنا بكونه منها الى كسب من تفكر واستدلال بالادلة (وهذا حق) اى امر ظاهر (لاغطاء عليه) ولامرية لديه (وقد قال به) اى بكون اخباره بما يكون الخ (من ائمتنا) اى الاشعرية (القاضى) قال الحلبى الظاهر انه ابو بكر الباقلانى المالكى (والاستاد) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة (ابو بكر) اى ابن فورك بضم الفاء من الشافعية وغيرهما) اى من الائمة الحنفية والحنبلية والمشايخ الماتريدية من اكابر اهل السنة والجماعة (وعندى اوجب قول القائل) بالنصب وفى اصل الدلجى مااوجب اى مااثبت قوله وفى نسخة وماعندى اوجب قول القائل (ان هذه القصص المشهورة) اى فى باب المعجزات وخوارق العادات (من خبر الواحد) اى انما هى من خبر الآحاد وهى لاتفيد الاظنا مبينا لاعلما يقينا وما الجأه الى قوله هذا الا (قلة مطالعته) اى ملاحظة هذا القائل (للاخبار) اى للاحاديث الصريحة (وروايتها) اى وقلة معرفته بالاسانيد الصحيحة (وشغله بغير ذلك من المعارف) بضم الشين وفتحها وبضمتين اى وكثرة اشتغاله بغير ماذكر من الادلة النقلية المفيدة للعلوم اليقينية من الآلات والادوات العربية والمعارف الجزئية التى مأخذها الامور الظنية والعوارف الوهمية (والا) اى وان لم يكن موجب قوله ذلك قلة اعتنائه بما هنالك (فمن اعتنى) اى اهتم (بطرق النقل) اى اسانيد المنقول فى هذا الباب (وطالع الاحاديث والسير) اى كتبهما على مارتب فى الابواب (لم يرتب) من الارتياب اى لم يشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) اى الروايات المأثورة والحكايات المذكورة وتبين له انها (على الوجه الذى ذكرناه) اى على الطريق الذى قررناه والمنهج الذى حررناه من انها من باب التواتر معنى وان كانت من احاديث الاحاد مبنى (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد) اى من اهل الحديث والقراءة مثلا (ولا يحصل عند آخر) اذا كان عاريا عن معرفتهما اصلا وفرعا (فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون) وفى نسخة ان وفى اخرى كون ان (بغداذ موجودة وانها مدينة عظيمة) اى كبيرة مشهورة (ودار الامامة والخلافة) ومحل العلماء ومنزل الاولياء بعد ان عمرت فى زمن ابى جعفر المنصور العباسى اخى السفاح سنة خمس واربعين ومائة وكانت قبل ذلك مسقلة وسبق انه يجوز فى داليها اعجام واهمال والمرجح اهمال الاول واعجام الثانى كما صرح فى رواية الشاطبية (وآحاد من الناس) اى الذين فى اطراف العالم واكنافه (لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها) اى من رسمها ووسمها (وهكذا) اى وكعلم بعض الناس ببغداد وجهل غيرهم بها (يعلم الفقهاء من اصحاب مالك) اى مثلا من حيث تقليدهم لماهنالك (بالضرورة) اى بالبديهة الضرورية من غير احتياج الى التفكر والروية (وتواتر النقل) وفى نسخة صحيحة والنقل المتواتر (عنه) اى عن مالك الامام (ان مذهبه ايجاب قرآءة ام القرآن) اى سورة الفاتحة من غير البسملة (فى الصلاة للمنفرد والامام) اى دون المأموم وان لم يسمع قراءة امامه بل يكره له فى الجهرية قرآءتها وهذا موافق لمذهب الامام ابى حنيفة رحمه الله على تفصيل فى كتبهم والشافعى يوجبها على المأموم ايضا (واجزاء النية) اى وان مذهبه الاكتفاء بالنية (فى اول ليلة من رمضان) اى لجميع ايامه (عما سواه) اى من بواقى لياليه (وان الشافعى) اى وكذا يعلم الفقهاء من اصحابه وربما يعلم غيرهم ايضا بالضرورة ونقل المتواتر عنه وكذا عن ابى حنيفة انه (يرى) اى وجوبا لا ندبا (تجديد النية كل ليلة) او قبل نصف النهار الشرعى عند ابى حنيفة (والاقتصار) اى وان الشافعى يرى الاقتصار (فى المسح على بعض الرأس) وهو ما يطلق عليه اسم المسح اخذا باليقين

﴿ ومالك ﴾

ومالك يرى وجوب مسح كله احتياطا اوابو حنيفة عمل بحديث مسلم فى مسحه صلى الله تعالى عليه وسلم على الناصية وهو ربع الرأس ودليلنا حجة عليهما (وان مذهبهما) اى مالك والشافعى (القصاص) اى القود (فى القتل بالمثقل) اى مما يجرح كالاسنان (وغيره) مما لا يجرح كالعصا (وايجاب النية فى الوضوء) اى فى اوله (واشتراط الولى فى النكاح) اى فى عقده (وان اباحنيفة يخالفهما فى هذه المسائل) اى لما قام عنده مما صح من الدلائل كما بيناه فى شرحنا المسمى بالمرقاة للمشكاة فى حل المشكلات لكل طالب وسائل وما يتوقف عليه من الوسائل (وغيرهم) اى من الفقهاء المذكورين ونحوهم كالحنبليين (ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى) وفى نسخة صحيحة ولا رأى (اقوالهم) اى وعلى عرف مشاربهم (لايعرف) وفى نسخة صحيحة ولايعلم (هذا) اى ماذكر من هذه المسائل وامثالها (من مذاهبهم) اى ولوكان على منهجهم وادعى بانه فى مشربهم لكنه ماباشر الاعلوما اخروضيع عمره فيما لا ينفعه فتدبر (فضلا عمن) وفى نسخة عما (سواه) اى ممن لم يباشر العلوم اصلا ولم يمارج كتابا ولافصلا ولافرعا ولا اصلا (وعندذكرنا آحاد هذه المعجزات) اى اجمالا كافيا (نزيد الكلام فيها بيانا) اى شافيا (ان شاء الله تعالى)

﴿فصل﴾

(فى اعجاز القرآن) اى بيان اعجازه فى اطنابه وايجازه (اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز) اى الغالب على سائر الكتب لكونه معجزا ولكونه ناسخا لغيره فى بعض احكامه (منطو) اى مشتمل ومحتو (على وجوه من الاعجاز) اى انواع (كثيرة) واصناف غزيرة (وتحصيلها) مبتدأ اى وتحصيل وجوهه الكثيرة بطريق اجمالها (من جهة ضبط انواعها) اى مع اندماج اصنافها واندراج اجناسها (فى اربعة اوجه) اى منحصرة فيها (اولها حسن تأليفه) اى تركيبه بين حروفه وكلماته وآياته وسوره وقصصه وحكاياته (والتئام كلمه) اى وانتظام كلماته فى سلك مبانيها المتناسبة لمقتضى معانيها المتناسقة بين اعاليها وادانيها (وفصاحته) اى ووضوح بيان معانيه مع اقتصاد مبانيه (ووجوه ايجازه) اى من قصر وحذف لاكتفاء وايماء (وبلاغته) اى فى عجائب التراكيب وغرائب الاساليب وبدائع العبارات وروائع الاشارات (الخارقة) اى المجاوزة (عادة العرب) من فصاحتهم وبلاغتهم (وذلك) اى ماذكر من عادتهم (انهم كانوا ارباب هذا الشأن) اى من جهة الفصاحة (وفرسان الكلام) اى فى ميدان البراعة (وقد خصوا من البلاغة والحكم) بكسر ففتح جمع حكمة وهى كمال العقل واتقان العمل (مالم يخص به غيرهم من الامم) اى سابقة ولاحقة (واوتوا من ذرابة اللسان) بفتح الذال المعجمة اى حدته وبساطته وسلاطته (مالم يؤت) اى منه (انسان) اى ممن عداهم وكان الاولى ان يقول الانسان ويراد به جنسه لانه انسب فى مقام سجعه (ومن فصل الخطاب) اى بيان المراد فى الفصول والابواب (مايقيد الالباب) بكسر التحتية الثانية المسددة اى يمنع ارباب العقول الخالصة ان يأتوا بمثل كلامهم وعلى نهج مرامهم (جعل الله لهم ذلك) اى ماخصوا به (طبعا وخلقة) اى سليقة وجبلة (وفيهم) اى وجعل ذلك فيهم (غريزة) اى سجية (وقوة) اى وقدرة بديعة (يأتون منه) اى من الكلام الوافى للمرام (على البديهة) من غير الروية (بالعجب) اى العجاب (ويدلون) بضم الياء واللام اى يتوسلون (به الى كل سبب) اى من الاسباب فى السؤال والجواب وسائر فصول الخطاب (فيخطبون) اى الخطب البليغة (بديها) اى من جهة البديهة (فى المقامات) اى على حسب مايلائمها من المقالات (وشديد الخطب) اى فى الامر العظيم الشان والحال الذى يقع فيه تفخيم البيان (ويرتجزون به) اى يوردونه مرتجزا فى حال الحرب (بين الطعن والضرب) فالطعن بالرمح ونحوه والضرب بالسيف وغيره (ويمدحون) اى بعضهم بعضا اظهار المفخرة او كسبا لمحمدة اوجلبا لفائدة (ويقدحون) اى ويطعنون ويذمون بعضهم بعضا ايضا لاحد الاغراض السابقة وهذا المعنى بحسب التقابل هو المناسب للمرام وابعد الدلجى فى قوله ويقدحون افكارهم فيستخرجون سحر الكلام فى احسن النظام (ويتوسلون) اى به الى من يقصدون منه نجاح مآربهم (ويتوصلون) اى به الى الفوز بمطالبهم (ويرفعون) اى بمدحهم من ارادوا (ويضعون) اى بذمهم من شاؤا (فيأتون من ذلك) الكلام على وجه الاجمال وطريق الكمال (بالسحر الحلال) وهو ما لطف مبناه وشرف معناه ويستعار للكلام البليغ وقد ورد ان من البيان لسحرا اى سواء كان نثرا اوشعرا فانه ربما سحر الانسان وصرفه عن حيز التبيان والسحر فى الشرع حرام الا انه حلال فى مقال وقع فى مقام مرام (ويطوقون) بكسر الواو المسددة اى يحملون (من اوصافهم) اى صفاتهم الجيدة وسماتهم المجيدة من ظنوه اهلا لتلك الاحوال نعوتا (اجمل من سمط اللآل) بكسر السين هو الخيط مادام فيه الخرز والا فهو سلك وفى نسخة بضمها على انه جمع سمط واختاره التلمسانى لكن فى القاموس ان جمعه سموط هذا وقد قال الحلبى اللؤلؤة الدرة وجمعها اللؤلؤ واللآلى انتهى وفيه مسامحة اذ اللؤلؤ جنس واللآلى جمع وقد حذف المصنف ياءه مراعاة

للسجع ونظيره فى الفواصل قوله تعالى الكبير المتعال (فيجدعون الالباب) فى ملهياتهم (ويذللون الصعاب) اى يهونونها فى مهماتهم بحسب مايزينون مراماتهم فى مقالاتهم على وفق مقاماتهم (ويذهبون) بضم الياء وكسر الهاء اى يزيلون (الاحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد والضغينة واضمار العداوة (ويهيجون) بتشديد الياء الثانية المكسورة وفى نسخة بفتح الياء الاولى وكسر الهاء وتخفيف الياء الثانية اى يحركون ويثيرون (الدمن) بكسر الدال المهملة وفتح الميم جمع دمنة وهى فى الاصل ماتدمنه الابل ونحوها بابوالها وابعارها اى تلبده فى مرابضها ثم استعمل فى الحقد لتلبده فى باطنه ولكونه من دمائم خاطره وفى نسخة الزمن بفتح الزاى وكسر الميم المقعد والمفلوج وفى نسخة الذمر بفتح الذال المعجمة وكسر الميم فراء وهو الشجاع وهو وان كان يخالف ماقبله من مراعاة السجع الا انه ابعد من التكرار المعنوى واقرب للمقابل اللفظى بقوله (ويجرئون الجبان) بتشديد الراء المكسورة اى يحملونه على الجرأة والشجاعة والجبان بفتح الجيم والموحدة المخففة ضد الشجيع (ويبسطون) بضم السين اى ويفتحون (يد الجعد البنان) اى البخيل اللئيم الشان واصل الجعد بفتح الجيم وسكون العين وهو الانقباض فى الشعر ضد البسط المسترسل والبنان بفتح الموحدة وتخفيف النونين اطراف الاصابع جمع بنانة ومنه قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوى بنانه (ويصيرون) بتشديد التحتية الثانية اى يحولون (الناقص كاملا) بحسن رعايتهم وعين عنايتهم (ويتركون النبيه) اى المشهور بالنباهة والتنبه عن نوم الجهالة (خاملا) اى متروكا شانه ومجهولا بيانه (منهم البدوى) اى من يسكن البادية لامع كون غالبهم عند المعرفة عادية (ذو اللفظ الجزل) بفتح الجيم وسكون الزاى اى صاحب الالفاظ التى فيها الجزالة والسلاسة الكاملة فى الدلالة من مراتب الفصاحة والبلاغة (والقول الفصل) اى البين امره والمبين حكمه (والكلام الفخم) اى العظيم المرام (والطبع الجوهرى) منسوب الى جوهر وهو معرب واحده جوهرة وهذا مدح جزيل ووصف جليل كذا ذكره الحلبى واقتصر عليه ووقع فى اصل الدلجى بلفظ الجهورى اى الشديد الصوت العالى والواو زائدة من جهر بصوته اذا رفعه بشدة وفى حديث العباس انه نادى بصوت جهورى انتهى والظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى اللهم الا ان يتكلف كما اقتصر عليه التلمسانى فقال المراد بالطبع الجبلة والجهورى الذى قد اشتهر من قولهم جهر بصوته اذا شهره ورفعه اذ الطبع لا يقبله والمقام لايلائمه كما لايخفى على من تأمله (والمنزع القوى) بفتح الميم والزاى اى والمشرب الصفى (ومنهم الحضرى) بفتحتين اى من يسكن الحاضرة ضد البادية من المصر والقرية (ذو البلاغة البارعة) اى الفائقة اللائقة (والالفاظ الناصعة) اى الخالصة من شوائب الركاكة لبلاغة مبانيها وفصاحة معانيها (والكلمات الجامعة) اى لمعان كثيرة فى ضمن مبان يسيرة (والطبع السهل) اى المنقاد للاهل كالماء فى سلاسته والنسيم فى لطافته (والتصرف فى القول القليل الكلفة) اى اليسير المؤنة لسهولة المعونة (الكثير) اى وفى القول الكثير (الرونق الرقيق الحاشية) اى الجزيل الحسن فى المبنى واللطيف الطرف فى المعنى (وكلا البابين) اى بابى كلام كل (فى كل مقام مطابق) لما قصد من المرام (فلهما فى البلاغة الحجة البالغة) اى الواصلة الى مقام النهاية والغاية واعاد المصنف الضمير فى فلهما الى معنى كلا وهو مذهب الكوفى والمختار رأى البصرى وهو ان يفرد الضمير بناء على لفظه وبه جاء القرآن فى قوله سبحانه وتعالى كلتا الجنتين آتت اكلها (والقوة الدامغة) اى الماحقة للامور الزاهقة ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وفى حديث على دامغ جيش الاباطيل (والقدح) بكسر القاف اى السهم والمراد به واحد الازلام لا الذى قبل ان يراش كما يتوهم من تقرير الحلبى نعم هو اصله لكن قصد هنا فصله بقرينة قوله (الفالج) بكسر اللام اى الفائز الغالب (والمهيع) بفتح الميم والتحتية اى الطريق الواسع (الناهج) اى السبيل السالك الواضح وفى حديث على اتقوا البدع والزموا المهيع (لاتشكون ان الكلام طوع مرادهم) اى منقاد لما يرون من ايرادهم (والبلاغة لاملك قيادهم) بكسر الميم ثم كسر القاف وهو حبل تربط به الدابة ذكره الحلبى فيكون من القيد اى يقيدونه بما ارادوا والاظهر انه ما يقاد به فهو من القود وهو السوق من قدام اى يقود ونه حيث شاؤا من روائع لطائفه وبدائع عوارفه (قد حووا) بفتح الواو اى حازوا وجمعوا (فنونها) اى من مبانيها (واستنبطوا عيونها) اى استخرجوا من معانيها لبابها (ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحها) اى ورفعوا بناء ظاهرا (لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطير والمهين) بفتح الميم اى فى العظيم والحقير (وتفننوا فى الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة اى المهزول (والسمين) ومنه قول ابن عباس لعلى ابنه الحق بابن عمك يعنى عبد الملك بن مروان فغثك خير من سمين غيرك والمعنى فغايروا فى كلامهم بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد بلطائف مبان وشرائف معان فى كل مراد (وتقاولوا) اى فيما بينهم (فى القل والكثر) بضم اولهما اى فى القليل والكثير مدحا وهجوا وايجازا واطنابا (وتساجلوا)

بالسين المهملة والجيم مأخوذ من السجل وهو الدلو اى تناوبوا وتراسلوا (فى النظم والنثر) اى تفاخروا وتكاثروا وعن ابن الحنفية رحمه الله تعالى انه قرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقال هى مسجلة للبر والفاجر اى مرسلة مطلقة فى الاحسان الى كل واحد من افراد الانسان ومنه قولهم الحرب سجال (فاراعهم) اى ما افزعهم شئ اليم (الا رسول كريم) اى جاءهم بخلاف هواهم لكن معه هداهم وطريق مناهم حين اتاهم (بكتاب عزيز) اى بديع منيع رفيع حيث لا نظير لمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) اى لا يتعلق البطلان به بوجه من وجوهه (تنزيل من حكيم حميد) يحمده خلقه بما ظهر عليهم من نعمه (احكمت آياته) اى نظمت نظما محكما متقنا لا يغشاه خلل لا لفظا ولا معنى (وفصلت كلماته) اى ميزت وبينت ما يحتاج اليه فى ابواب الدين من عقائد واحكام واخبار ومواعظ ووعد ووعيد على وجه اليقين (وبهرت بلاغته العقول) اى غلبتها (وظهرت فصاحته على كل مقول) اى لفظا ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة اى تظاهر وتغالب على غيره (ايجازه واعجازه) اى مبنى ومعنى ومنه قوله تعالى ان اظفركم عليهم وهو الموافق لما فى النسخ المصححة وتصحف على الدلجى فقال تصافر بالصاد من تصافر القوم تعاونوا (وتظاهرت حقيقته ومجازه) اى تعاونت لبلوغهما اقصى مراتبهما (وتبارت) بمثناة فوقية فموحدة اى تعارضت (فى الحسن مطالعه ومقاطعه) والمعنى تجارت فيه فواتح سوره وآياتها وقصصها وخواتمها تسارعا وتسابقا لا يتصور له لاحق فضلا عن ان يوجد له سابق ثم التبارى معتل لا مهموز وفى الحديث نهى عن اكل طعام المتباريين اى المسابقين المتعارضين بفعلهما ليغلب احدهما الآخر فى صنعهما وانما كرهه لما فيه من المباهاة والرياء اولا شتمالهما على عدم الرضى لاعطائهما بسيف الحياء ويمكن حمل كلام المصنف على هذا المعنى اى تعارضت مطالعه ومقاطعه فى الحسن وتغالبت كأن كل واحدة منهما غالبت اختها وعارضت شبيهتها (وحوت) اى جمعت (كل البيان) بالنصب اى جميع ما يحتاج الى البيان من جهة الاديان (جوامعه) اى بكلم قليلة وحكم جزيلة (وبدائعه) اى على اوفق ايجاز واوثق انجاز (واعتدل مع ايجازه) اى استقام قاله الدلجى والاظهر توسط بين غاية الاطناب ونهاية الايجاز (حسن نظمه) وفى نسخة حسن لفظه بجزالة بلاغته وغرابة براعته (وانطبق) اى احتوى (على كثرة فوائده) اى من معانيه (مختار لفظه) اى من ايجاز مبانيه (وهم افسح) اوسع (ما كان فى هذا الباب) اى باب السؤال والجواب (مجالا) اى قوة واحتمالا وفى نسخة صحيحة افصح بالصاد وهو ظاهر المراد (واشهر فى الخطابة) اى فى باب المخاطبة والمحاورة (رجالا) ولو قال فى الخطاب لكان سجعا لما فى الكتاب من لفظ الباب ثم نصب مجالا ورجالا كليهما على التميز المحول عن الفاعل فيهما والجملتان حاليتان اى مجالهم ورجالهم اذ مجالهم فى باب البلاغة اظهر ورجالهم فى باب الفصاحة اشهر (واكثر) اى من غيرهم (فى السجع) اى فى الكلام المقفى فى النثر (والشعر) بزيادة قيد الموزون فى النظم (ارتجالا) اى انتقالا من كلام الى كلام ومن مرام الى مرام بقوة تفننهم فى نوعى الكلام ووقع فى اصل الدلجى بالجيم فقال اى بدون تروى ومهلة اذ كان لهم سجية وطبيعة انتهى وفى القاموس ارتجل الكلام تكلم به من غير ان يهيئه وفى نسخة سجالا اى تارة وتارة باعتبار المناوبة او المغالبة (واوسع) اى ممن عداهم (فى الغريب) اى غريب الاستعمال (واللغة) بالمعنى الاعم المتناول للقريب والغريب على وجه الكمال (مقالا) اى قالا مما يوجب حالا ومنالا (بلغتهم) متعلق بكتاب او حال منه اى حال كونه بالسنتهم (التى بها يتحاورون) اى يتجاوبون فى محاوراتهم (ومنازعهم) بفتح الميم اى محال المنازعة بمعنى المجاذبة فى الاعيان والمعانى (التى منها يتناضلون) بالضاد المعجمة اى يتغالبون بالكلام من النظم والنثر (صارخا بهم) اى حال كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او القرآن المعظم داعيا لهم ومناديا عليهم (فى كل حين) اى زمان من ليل ونهار منفردين او مجتمعين تسجيلا عليهم بانكارهم للدين واستكبارهم عن الحق معرضين (ومقرعا) بتشديد الراء المكسورة بعد القاف اى وموبخا (لهم بضعا وعشرين عاما) بكسر الموحدة وقد تفتح ما بين الثلاث الى التسع والمراد به هنا ثلاثة على الصحيح من انه بعث على رأس الاربعين ومات ثلاثا وستين وقيل خمسا وستين وقيل ستين وقد جمع بين الاقوال الثلاثة كما هو مقرر فى محله ولعله المصنف لوقوع اختلاف ما اطلق بضعا وعشرين عاما (على رؤس الملاء) اى من اشرافهم ورؤسائهم (اجمعين ام يقولون افتراه) اقتباس اورده شاهدا بثبوت نبوته وام بمعنى بل والهمزة للانكار اى بل ايقولون اختلقه محمد وجاء به من عنده وكذب على ربه (قل) اى لهم ان كان الامر كما زعمتم وتوهمتم (فأتوا) على صورة الافتراء (بسورة) اى باقصر سورة (مثله) اى مماثله فى بلاغة مبانيه وفصاحة معانيه فانكم عربيون مثلى بل انتم مشهورون بالخطابة نظما ونثرا من قبلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) اى استعينوا بمن يمكن استعانتكم به من غيره تعالى على الاتيان بسورة مثله لانه تعالى قادر عليه بانفراده (ان كنتم صادقين) اى فى انه اتى به من عنده (وان كنتم فى ريب) اى فى شك وشبهة

(مما نزلنا على عبدنا) اى فى كل سورة (فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا) وهو قوله ان كنتم صادقين فى انه سبحانه وتعالى ماانزله عليه وماأوحاه اليه فان لم تفعلوا اى فى الحال ولن تفعلوا اى فى الاستقبال فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة فهذه الآية منادية عليهم بعجزهم عن المعارضة فى الازمنة الحاضرة مع اخباره سبحانه وتعالى بان الخلق كلهم عاجزون عن الاتيان بمثله الى يوم القيامة (وقوله) اى واصرح من هذا كله قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس) ومنهم اصناف العرب (والجن) ومنهم انواع الملائكة (على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى كمال مبناه وجمال معناه (الاية) يعنى قوله لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى معينا ونين على الاتيان بمثله وقال الدلجى ولم يدرج الملائكة فى الفريقين مع عجزهم ايضا عنه لانهما المتحديان به انتهى ولايخفى ان ادراجهم معهم كما حررنا هو الاولى فانه اظهر فى المدعى لاسيما وقد قال بعض العلماء بان نبينا مبعوث الى الملائكة بل الى الخلق كافة كما قررناه فى محله اللائق به (وقيل) اى فى آية اخرى وفى نسخة وقال (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اى مختلقات من عند انفسكم وحاصله انه الزمهم الحجة باتيان قرآن مثله ثم ارخى العنان بتنزله الى عشر سور مثله ثم تحداهم بسورة واحدة كائنة من عند هم تسهيلا للامر عليهم وتسجيلا بنداء العجز لديهم كذا قرره السراج وهو المستفاد تماسيا تى فى كلام المصنف على ماحرره وفيه انهم من اول الوهلة طولبوا المعارضة لابعد تمام القرآن سورة وسورة والقرآن كما يطلق على الكل يطلق على البعض كما عرف فى علم الاصول بمايؤيده من دليل المنقول والمعقول فالوجه ان المراد بالقرآن قد رما تتعلق به المعجزة وهو اقصر سورة اوقدرها من آيات وحروف وكلمات ويقويه قوله تعالى قل فأتوا بحديث مثله ان كنتم صادقين وعلى كل تقدير فالتحدى بعشر سور مثله تهكم بهم فى اثبات عجزهم (وذلك ان المفترى) بفتح الراء على ماصرح به الحلبى وغيره (اسهل) اى اهون تلفيقا (ووضع الباطل والمختلق) بفتح اللام اى المكذوب (على الاختيار) اى اختيار المعارض (اقرب) اى انسب تزويقا واروج تمنيقا ومع ذلك فلم يجدوا اليه طريقا (واللفظ) اى بعد وضعه فى المبنى الفصيح (اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب) اى ترتيبا واتعب تهذيبا وهذا ايضا وجه عجزهم عن المعارضة لان القرآن جمع بين غرائب المعانى وعجائب البيان (ولذلك) وفى نسخة ولهذا اى ولكون المبنى اذا تبع المعنى اصعب فى المدعى (قيل فلان يكتب كما يقال له) فيتفق الكلام ماقيل له من اخبار مبانيه عن ازهار معانيه ويراعى جميع مايوافيه بتحريره ويدفع كل ماينافيه بتقريره حتى يستحسنه المملى اذ صبر عن مراده فى شانه ماكان عاجزا هو عن ايراد بيانه (وفلان يكتب) اى مايقال له الا انه (كما يريد) اى بنفسه لا انه كما يراد منه بحسب انسه (وللاول) اى من الكاتبين (على الثانى فضل) اى مزيد سديد (وبينهما شأو بعيد) وفى نسخة صحيحة شأو وبعد وهو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة فواو منون اى مدى ونهاية وسبق وغاية والمعنى فرق بعيد وفصل عميق لاتيان الاول بالمأمور مفرغا فى قالب مراد آمره دون الثانى لاتيانه بمأموره فى قالب مراد نفسه اذا عرفت ذلك (فلم يزل) صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرعهم) بتشديد الراء (اشد التقريع) تفسيره قوله (ويوبخهم غاية التوبيخ) اى اسوءه ولا يبعد ان يكون احدهما بمعنى يهددهم بل هو اولى لان التأسيس بالنسبة الى التأكيد اعلى (ويسفه احلامهم) بتشديد الفاء اى ينسب عقولهم الى السفه ويعدهم سفهاء كقوله تعالى سيقول السفهاء وقوله الا انهم هم السفهاء (ويحط) بضم الحاء وتشديد الطاء اى ينكس (اعلامهم ويشتت) بتشديد التاء الاولى اى يفرق (نظامهم) ويمزق مرامهم (ويذم آلهتهم) اى يعيبها فى حد ذاتها بقوله الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها (واباءهم) اى ويعيبهم على عبادتها بقوله ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وامثالهما (ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم) اى بالاستيلاء عليها (وهم) اى والحال انهم (فى كل هذا) اى مما ذكر من الاحوال (ناكصون) اى راجعون القهقرى الى ورا (وعن معارضته محجمون) بحاء ساكنة فجيم مكسورة اى متأخرون (وعن مما ثلته) لظهور مباينته (يخادعون انفسهم بالتشغيب) اى بتهييج السر واثارة الفتنة والمخاصمة بين القريب والغريب وفى نسخة بالتكذيب وجمع بينهما اصل الدلجى وهو لايناسب التهذيب خصوصا مع تكرار الباء وعدم العاطف المفيد للجمع او الترتيب (والاغراء بالافتراء) اى الحث والالزام على وجه التزام نسبة سيد الانبياء بالافتراء على خالق الاشياء وقد تصحف الاغراء على الدلجى بتوهم الاعتراء على مافى بعض النسخ فقال من عراه اذا مسه واصابه الى آخر ماذكره (وقولهم) اى ويقول بعضهم كالوليد بن المغيرة كما حكى الله عنه بقوله ثم ادبر واستكبر فقال (ان هذا) اى ماهذا (الا سحر يؤثر) اى يروى عن اهل بابل وغيرهم وانما قال هذا الكلام حين سمع النبى عليه الصلاة والسلام يقرأ حم السجدة فقال لقد سمعت من محمد

﴿كلاما﴾

كلاما ليس بكلام انس ولاجن وانه ليعلو ولايعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق و زعمتم انه كاهن هل رأيتموه تكهن وانه شاعر هل رأيتموه يقول شعرا قالوا لا فقال ماهو الاساحر امارأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده ومواليه فاهتز النادى فرحا وفى نسخة زيدهنا ان هذا الاقول البشر (وسحر مستمر) اى وقول بعضهم كما حكى الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اى هو اوهذا سحر مطرد دائم صادر عنه اوذاهب باطل كما قاله قتادة ومجاهد رحمة الله تعالى عليهما اوقوى محكم يغلب كل سحر كما قاله ابو العالية والضحاك (وافك افتراه) اى وقال الذين كفروا ان هذا الاافك افتراه اى كذب صرفه عن وجهه واختلقه من تلقاء نفسه واعانه عليه قوم آخرون (واساطير الاولين) اى وقالوا هذا اوهو اقاويلهم المزخرفة التى سطرها المتقدمون اكتتبها اى استكتبها لنفسه فهى تملى عليه بكرة واصيلا (والمباهتة) اى والاغراء بالمباهتة من بهته اذا رماه بما يتحير منه والمعنى ومخادعون انفسهم باكاذيب وافتراآت يحيط بهم ضررها ويحيق بهم مكرها ولا يتخطاهم اثرها (والرضى بالدنيئة) بالهمز وقد يسهل اى و برضاهم منه بالخصلة الرديئة (كقولهم قلوبنا غلف) جمع اغلف اى هى مغشاة باغطية لايصل اليها هداية ولارواية (وفى اكنة) اى وقالوا قلوبنا فى اكنة اى فى اغطية (مما تدعونا اليه) اى مانعة من وصوله اليها فضلا عن حصوله لديها (وفى آذاننا وقر) اى ثقل وصمم (ومن بيننا وبينك حجاب) اى حاجز مانع من تقربنا اليك ومن نفعنا عما لديك وزيد من تلو بحابان الحجاب ابتدأ منهم وانتشأ عنهم وامتد مستوعبا للمسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ فيها (ولاتسمعوا) اى وقال الذين كفروا لاصحابهم واحبابهم لاتسمعوا (لهذا القرآن والغوا فيه) اى بخرافات الكلام وساقطات المرام (لعلكم تغلبون) اى قارئه بتشويش خاطره الباعث على ترك قراءته (والادعاء مع العجز) اى و بمجرد دعواهم مع ظهور عجزهم عن مداهم (بقولهم لونشاء لقلنا مثل هذا) ولعمرى اى مانع كان لهم لوساعدتهم الاستطاعة ان يساؤا ذلك حيث تحداهم وقرعهم بالعجز مع فرط الفتهم واستنكافهم ان يغلبوا الاسيما فى ميدان الفصاحة والبيان والتجأوا الى معالجة السلاح من السيف والسنان والعاقل لايترك الاسهل ويتبع الاثقل (وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فافعلوا ولاقدروا) فاخباره صدق وكلامه حق (ومن تعاطى ذلك) اى ومن تجرأ على قصد المعارضة فى ميدان الفصاحة والبلاغة (من سخفائهم) اى سفهائهم (كمسيلمة) اى الكذاب بهذيانات مخترعات منها قوله ياضفدع الا تنقين اعلاك فى الماء واسفلك فى الطين لاالماء تكدرين ولاالشراب تمنعين ومنها قوله حين سمع اول سورة النازعات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والباردات بردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وماسبقكم اهل المدر ومنها قول آخر الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى وقال آخر الفيل ماالفيل وماادراك ماالفيل له ذنب وبيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل (كشف عواره) بفتح العين المهملة وتضم وقيل الضم افصح اى اظهر عيب نفسه (لجميعهم) اى من عقلائهم اذلم يكن ماعارضه به من بديع كلامهم و بليغ نظامهم بل كان مما ينفر عنه الطبع السليم و ينبو عنه السمع القويم من قلة سلاسته وكثرة ركاكته واغرب من هذا انه لما قتل مسيلمة على يد المسلمين من الصحابة قال رجل من بنى حنيفة يرثيه

﴿ لهفى عليك ابا ثمامه * لهفى على ركن اليمامه ﴾

﴿ كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه ﴾

حكاه السهيلى وقال كذب بل كانت آياته معكوسة وراياته منكوسة فانه كما يقال تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فملح ماؤها ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد احدهما قد سقط فى البئر والاخر قد اكله الذئب ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه (وسلبهم الله تعالى ما الفوه) اى استعملوه (من فصيح كلامهم) اى فى صحيح مرامهم وهذا يوهم ترجيح القول بالصرفة كما فهم الدلجى وصرح بقوله ولا اقول به بل الصارف عن معارضته كمال بلاغته وانا اقول وانما صرفوا عن ما الفوا لما اراد الله بهم من فصاحتهم والا لوعارضوا بطبق كلمات محاورتهم لربما اوهموا الضعفاء انهم قاموا بمعارضتهم كما يشير اليه قوله والافلم يخف على اهل الميز) اى اصحاب التمييز (منهم انه) اى كلامهم هذا فى مقام معارضتهم (ليس من نمط فصاحتهم) بضم النون والميم اى من نوعها (ولاجنس بلاغتهم) اى فى فنها (بل ولوا) اى اهل الميز من عقلائهم ولوكانوا من فصحائهم وبلغائهم (عنه مدبرين) اى اعرضوا عن الاتيان بمثله مولين بادبارهم عن نحوه (واتوا مذعنين) اى منقادين مقرين بكونهم عاجزين غايته انهم صاروا مفترقين (من بين مهتد) اى مصدق به وبمن انزل عليه من جهة رسالته

(وبين مفتون) اى متحير فى بديع بلاغته ومنيع فصاحته متعجب من عجزهم عن معارضته (ولهذا) اى ولسكونه لبس من نمط فصاحتهم وجنس بلاغتهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) يعنى وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (قال) اى الوليد (والله ان له لحلاوة) وفى نسخة حلاوة اى لذة عظيمة يدركها من له سجية سليمة (وان عليه لطلاوة) بفتح الطاء وقد تضم اى رونقا وحسنا فائقا (وان اسفله لمغدق) بغين معجمة اسم فاعل من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء تلويحا بغزارة معانيه فى قوالب مبانيه وفى نسخة لعذق من غير ميم وضبط بفتح عين مهملة فسكون ذال معجمة استعارة من النخلة التى ثبت اصلها وهى العذق وهو رواية ابن اسحق وبفتح معجمة فكسر مهملة من الغدق وهو الماء الكثير وهو رواية ابن هشام قال السهيلى ورواية ابن اسحق افصح لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام اوله قال الحلبى فيوجه اللفظ الذى قاله القاضى من الكلام على رواية ابن اسحق وابن هشام (وان اعلاه لمثمر) اشارة الى غزارة نفعه وزيادة رفعه بكريم فوائده وعميم عوائده (مايقول هذا) اى مثل هذا (بشر) اى مخلوق وفى اصل الدلجى ماهذا يقول بشر وفى حاشية الحلبى قال الغزالى فى كتاب الاحياء عند آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الخ كما هو فى الاحياء وذكره ابو عمر وابن عبد البر فى استيعابه بغير اسناد ورواه البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قال القاضى وكذا ذكره ابن اسحق فى السيرة فان صح ماقاله الغزالى تبعا لما فى الاستيعاب فانهما قضيتان والله تعالى اعلم بالصواب (وذكر ابو عبيد) بالتصغير وفى نسخة ابو عبيدة بزيادة تاء وهو الامام الحافظ القاسم بن سلام بتشديد اللام البغدادى معدود فيمن اخذ عن الشافعى الفقه وكان اماما بارعا فى علوم كثيرة منها التفسير والقراآت والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ قال الخطيب كان ابوه سلام عبدا روميا لرجل من اهل هراة سمع ابو عبيد اسمعيل ابن جعفر وشريكا واسمعيل بن عياش وابن علية وغيرهم وروى عنه محمد بن اسحق الصاغانى وابن ابى الدنيا والحارث ابن ابى اسامة وآخرون توفى سنة اربع وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) ما مصدرية او موصولة وعائدها محذوف اى اجهر بامرك او بالذى تؤمر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل على ان اصل الصدع بالحجة هو التمييز والابانة وتتمة الآية واعرض عن المشركين اى ولا تبال بانكار من انكر واشراك من كفر (فسجد) اى الاعرابى لله وانقاد لما ابداه (وقال سجدت لفصاحته) اى لوصوله نهاية فصاحته وبلوغه غاية بلاغته (وسمع آخر) اى اعرابى آخر او رجل آخر من المشركين (رجلا) اى من المسلمين (يقرأ فلما استيئسوا منه) اى حين يئسوا من يوسف اذلم يجبهم وزيادة السين والتاء للمبالغة (خلصوا نجيا) اى انفردوا واعتزلوا متناجين فى تدبير امرهم ووحده لكونه مصدرا اوفعيلا (فقال اشهد ان مخلوقا) اى احدا من الانام (لا يقدر على مثل هذا الكلام) اى فى غاية النظام ونهاية المرام (وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يوما) اى من الايام (نائما فى المسجد) ولعله كان معتكفا فى مسجد سيد الانام (فاذا هو) اى عمر (بقائم) اى واقف (على رأسه) ووقع فى اصل الدلجى وعلى رأسه قائم فقال جملة حالية (يتشهد شهادة الحق) اى يأتى بكلمتى الشهادة على وجه الاخلاص وطريق الصدق (فاستخبره) اى عمر عن سبب ذلك الخبر والمعنى انه طلب منه خبره وما اوجب امره (فاعلمه) اى ذلك القائم (انه) اى باعتبار اصله (من بطارقة الروم) بفتح الباء الموحدة جمع بطريق بكسرها وهو كالامير والوزير فى لغتهم (ممن) اى وانه من جملة من (يحسن كلام العرب) اى فهمه (وغيرها) اى وغير لغة العرب او كلماتهم من كلام الترك والعجم والهند ونحوها (وانه سمع رجلا من اسراء المسلمين) اى من اسرائهم فى ايدى اعدائهم (يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا) اى هى كما فى نسخة (قد جمع) بصيغة المجهول اى اجتمع (فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا) اى من علائق المعاش (والآخرة) اى من لواحق المعاد (وهى) اى تلك الآية الجامعة (قوله تعالى ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) اى فى سنته اوفى جميع مايأمرانه وينهيانه (ويخش الله) اى ويخف خلافه وعقابه وحسابه (ويتقه) فيه قراآت مشهورة فى محلها مسطورة اى ويتق الله فيما بقى من عمره فى جميع امره (الآية) تمامها فاولئك هم الفائزون اى الظافرون بالمراد فى المبدأ والمعاد (وحكى الاصمعى) وهو عبد الملك بن اصمع المصرى صاحب اللغة والغريب والاخبار والملح ولد سنة ثلاث وعشرين ومائة (انه سمع جارية) اى بنتا او مملوكة خادمة تتكلم بعبارة فصيحة واشارة بليغة وهى خماسية او سداسية وهى تقول استغفر الله من ذنوبى كلها فقال لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت استغفر الله لذنبى كله * قتلت انسانا لغير حله

﴿مثل غزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم اصله﴾

(فقال لها قاتلك الله ما افصحك) اى هى حقيقة بان يقال لها ذلك تعجبا من فصاحة قولها كما يقال قاتله الله ما اعجب فعله اى بلغ فى الكمال غاية لم يصل غيره اليها فاستحق ان يحسد فيه فيدعى عليه (فقالت أو) بفتح الواو (بعدهذا) بصيغة المجهول والمفهوم من الدلجى ان اصله بصيغة الخطاب المعلومة حيث قال عطف على مقدر اى ايعجبك وتعده (فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى) اى اشرنا اليها الهاما اومناما (ان ارضعيه) اى اخفيه ما امكنك فيه (الاية) وهى قوله تعالى فاذا خفت عليه اى من لحوق الهم فالقيه فى اليم ولاتخافى عليه ضياعه ولاتحزنى فراقه انا رادوه اليك لتقرى عينا وجاعلوه من المرسلين عنا بمرأى منا (فجمع) اى الله سبحانه وتعالى (فى آية واحدة بين امرين) هما ارضعيه والقيه (ونهيين) اى لاتخافى ولاتحزنى (وخبرين) يعنى واوحينا فاذا خفت عليه (وبشارتين) اى رادوه وجاعلوه (فهذا) اى الجمع بين المذكور فى الآية ذكره الدلجى والاظهر ان هذا الذى ذكر من غاية الفصاحة ونهاية البلاغة فى هذه الآية وغيرها مماسبق ذكره (نوع من اعجازه) اى اعجاز القرآن (منفرد) وفى نسخة مستقل (بذاته غير مضاف الى غيره) اى من انواعه المتعلقة بصفاته من حيث اخباره عن مغيباته وانبائه عن احكام عباداته ومعاملاته ومأموراته ومنهياته (على التحقيق) اى عند اهل التوفيق (وعلى الصحيح من القولين) اى اللذين سبق ذكرهما بالتصريح فان الاول وهو الاولى هو القول بانه خارج عن قدرة البشر وثانيهما انه صرفهم عن معارضته خالق القوى والقدر فتأمل وتدبر (وكون القرآن) اى نزوله باعتبار ظهوره ووصوله (من قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الموحدة اى من جانبه وطرف حصوله (وانه اتى به معلوم ضرورة) اى بديهة لايفتقر الى اقامة بينة ولاقيام حجة (وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به) اى طالبا لمعارضته ولو باقصر سورة (معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به) اى المتحدين به الموجودين فى زمنه (معلوم ضرورة وكونه) اى القرآن (فى فصاحته) اى وبلاغته (خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالم) بكسر اللام وفى نسخة صحيحة للعالمين اى للعلماء (بالفصاحة ووجوه البلاغة) اى لمقاماتها المقتضية (وسبيل من ليس من اهلها) اى من المعرفة بفنون الفصاحة ووجوه البلاغة (علم ذلك) بكسر العين وفى نسخة بصيغة الماضى معلوما وقيل مجهولا والاول هو المعول اى هو ان يعلم كون القرآن فى الفصاحة والبلاغة معجزة خارقا للعادة (بعجز المنكرين) اى لكونه كلام الله تعالى (من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين) اى بكونه كلامه (و) اعتراف (المفترين) اى القائلين بافترائه (باعجاز بلاغته) اى لعجزهم عن مناقضته (وانت) اى ايها المخاطب (اذا تأملت) اى من جهة الايجاز الباهر فى الاعجاز الظاهر (قوله تعالى ولكم) اى ولغيركم (فى القصاص حيوة) اى المودع فيه من بدايع التركيب وروائع الترتيب مع مافيه من المطابقة بين معنيين متقابلين وهما القصاص والحياة ومن الغرابة بجعل القتل الذى هو مفوت الحياة ظرفا لها ومن البلاغة حيث اتى بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير فان الانسان اذا علم انه اذا قتل اقتص منه دعاه الى ردعه عن قتل صاحبه فكانه احيى نفسه وغيره فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضا فيكون القصاص حياة لهم مع مافى القصاص من زيادة الحياة الطيبة فى الآخرة وهو اولى من كلام موجز عندهم وهو ان القتل انفى للقتل فى قلة المبانى وكثرة المعانى وعدم تكرار اللفظ المنفر للحظ وفى الايماء الى ان القصاص الذى بمعنى المماثلة سبب للحياة دون مطلق القتل بالمقابلة اذ ربما يكون سببا لفتنة فيها قتل فئة وفساد جماعة (وقوله) بالنصب (ولوترى اذفزعوا) اى عند موتهم اوبعثهم اووقت هلاكهم (فلافوت) اى لهم من الله بهرب وسبب غريب (واخذوا من مكان قريب) اى من ظهر الارض الى بطنها اومن الموقف الى النار قعرها اومن نحو صحراء بدر الى قليبها (وقوله تعالى ادفع) اى سيئة من اساء اليك من الكائنات (بالتى) اى بالحسنة التى (هى احسن) الحسنات او بالخصلة التى هى احسن الاخلاق فى المعارضات من الحلم والصبر والعفو ومايمكن دفعها به من المستحسنات (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) اى صديق قريب رفيق (وقوله وقيل ياارض ابلعى ماءك) اى انشفى (وياسماء اقلعى) اى امسكى (الآية) يعنى (وغيض الماء) اى نقص (وقضى الامر) اى امر هلاك الاعداء وانجاء الاحباء (واستوت) استقرت السفينة (على الجودى) جبل بالموصل اوالشام روى انه ركبها عاشر رجب وهبط منها بعد استقرارها عليه عاشر شهر المحرم وصامه فصار سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) اى هلاكا لهم حين وضعوا العبادة فى غير موضعها وفى نداء الارض والسماء مع انهما ليستا من العقلاء ايماء الى باهر عظمته وقاهر قدرته حيث انقادتا لما اريد منهما ايجادا واعداما كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهما بقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين امتثالا لامره وانقيادا لحكمه مهابة من عظمته ومخافة من سطوته وان اردت تفصيل

مايتعلق بهذه الآية في الجملة فعليك بشرح الدلجي حيث ذكر بعض مايتعلق بها من حسن مبانيها ولطافة معانيها وبدايع الحكم التي اودعت فيها (وقوله تعالى فكلا) اى عقيب ارسالنا الانبياء الى اممهم وتكذيبهم بهم كلامنهم (اخذنا بذنبه) عاقبناه باصراره على كفره وعدم رجوعه الى توحيد ربه (فنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اى ريحا عاصفا فيه حصباء وهم قوم لوط (الآية) تمامها ومنهم من اخذته الصيحة وهم ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون ومنهم من اغرقنا وهم قوم نوح وفرعون مع قومه (واشباهها) بالنصب اى امثال هذه الآية ووقع في اصل الدلجي واشباهه فقال اى اشباه ماذكر (من الآي) اى من سائر آيات القرآن (بل اكثر القرآن) اي وبل اذا تأملت اكثر القرآن اي مما هو بمحل من ايجاز لايرام واعجاز لايسام (حققت) جواب اذا تأملت اى عرفت (مابينته من ايجازالفاظها) اى مبانيها (وكثرة معانيها وديباجة عبارتها) اى مما يكسوها زينة اشارتها (وحسن تأليف حروفها) اى من غير تنافر فيما بينها (وتلاؤم كلمها) بفتح فكسر اى توافق كلماتها وتناسبها في مقاماتها قال الدلجي وقد تخفف همزة تلاؤم فتصير ياء من الملايمة اى الموافقة لاواوا وما روى في الحديث بها فتحريف لااصل له لان الملاومة مفاعلة من اللوم انتهى ولا يخفى ان تخفيف الهمز المضموم بعد الالف لايعرف الابالواو كما لتناوش واما عروض المشابهة بعد التخفيف فلاعبرة به اصلا كما حقق في تخفيف رثاء وامثالها (وان تحت كل لفظة منها) اى من مبانيها (جملا) اى من جل الكلام الجملة (كثيرة) اى من معانيها (وفصولاجمة) اى غزيرة من الفصول المهمة والامور المتمة (وعلوما زواخر) لها في مقام الكثرة فواخر كما قال ابن عباس

﴿جميع العلم في القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال﴾

وقد سئل بعض الحكماء من بعض العلماء مافي كتاب الله تعالى من علم الطب فقال كله في نصف آية هي قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال صدقت وبالحق نطقت (ملئت الدواوين) اى الدفاتر (من بعض ما استفيد منها) اى مما يعسر احصاؤه (وكثرت المقالات في المستنبطات عنها) اى مما لا يمكن استقصاؤه (ثم هو) مبتدأ اى القرآن الكريم (في سرد القصص الطوال) اى في ايرادها متتابعة (واخبار القرون السوالف) اى اهلها السوابق متوالية (التي يضعف) اى يعجز (في عادة الفصحاء عندها الكلام) اى لطولها (ويذهب ماء البيان) اى عند ارادة تقرير فصولها (آية) خبر المبتدأ اى علامة ظاهرة (لمتأمله) اى لمتذكره وحجة باهرة لمتدبره (من ربط الكلام) اى من جهة ارتباط اجزاء كلامه (بعضه ببعض) في ترتيب مقامه وتحصيل مرامه (والتئام سرده) اى وتناسب ماقبله لما بعده (وتناصف وجوهه) اى توافق ضروبه وتعانق فنونه كأن كلا منها انصف الاخر في اخذ حظه من قولهم تناصفوا اذا انصف بعضهم بعضا من نفسه (فقصة يوسف على طولها) اى المشتملة على دررها وغررها من بيان ابوابها وفصولها (ثم اذا ترددت) اى تكررت (قصصه) بكسر القاف جمع قصة بخلاف فتحها فانه مصدر قص كما يستفاد من قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص وليس كما يتوهم جمع بانه جمع (اختلفت العبارات) اى ايجازا واطنابا وتفننا في بيانها غيبة وخطابا (عنها) اى عن تلك القصة (على كثرة ترددها) اى مع كثرة ترددها وتكرارها (حتى تكاد كل واحدة) اى من القصص (تنسي) بضم التاء وكسر السين مخففا اومثقلا اى تذهب على خاطر المستمع المصغي المتأمل (في البيان) اى في مراتب بيانه ومناقب شانه من القصص (صاحبتها) اى نظيرتها (وتناصف) بضم التاء وكسر الصاد اى وتحاكي (في الحسن) اى في حسن مطالعتها حال مقابلتها مرآة (وجه مقابلتها) بكسر الباء (ولانفور للنفوس من ترديدها) اى ولا تنفر للنفوس النفيسة من سماع تكريرها وتعداد تقريرها (ولامعاداة) اى من احد (لمعادها) بضم الميم اى لمكررها والضمير للقصص على منوال ماقبلها ووقع في اصل الدلجي لمعاده بافراد الضمير المذكر فقال اى القرآن والحاصل انه كما قال الشاطبي

﴿وخير جليس لايمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا﴾

وكما قال غيره ﴿اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ماكررته يتضوع﴾

ولكن هذا بالنسبة الى صاحب قلب سليم لاالى من له طبع سقيم

﴿فصل﴾

(الوجه الثاني من اعجازه) اى من وجوه ضبط انواع اعجاز القرآن (صورة نظمه العجيب) لما فيه من بدايع التركيب وروايع الترتيب (والاسلوب) بضم الهمزة واللام الفن (الغريب) وكان المناسب ان يقول واسلوبه الغريب (المخالف) اى بغرابته مع نهاية فصاحته وغاية بلاغته (لاساليب كلام العرب) اى لما اودع فيه من دقايق البيان

﴿وحقايق﴾

وحقايق العرفان وحسن العبارة ولطف الاشارة وسلامة التركيب وسلاسة الترتيب (ومناهج نظمها) الصناعية مبانيها الواضح البين عند اهلها (ونثرها) اى خطبا ورسائل وغيرها (الذى جاء عليه) اى نزل على وفقه القرآن ايماء بان ماعجزوا عنه انماهو كلام منظوم من عين ماينظم كلامهم منه ليعلموا انه ليس من كلام النبي الكريم بل هو منزل عليه من عند الله العظيم (ووقفت مقاطع آيه) اى اواخر وقوف فواصلها من التام والكافى والحسن باختلاف محالها وزيد فى اصل الدلجى هنا لفظ عليه فقال اى على الاسلوب الغريب الذى قصرت عن وصف كنه اعجازه العبارة اذ الاعجاز كالملاحة يدرك ولايوصف بالاشارة (وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله) اى من الكتب المتقدمة (ولابعده) اى ولايتصور ان يوجد بعده (نظيرله) اى شبيهه ومثله فى حسن المبانى ورونق المعانى (ولااستطاع احد مماثلة شئ منه) اى لجزالة فصاحته وفخامة بلاغته (بل حارت فيه عقولهم) اى تحيرت (وتدلهت) بالدال المهملة وفى نسخة تولهت بالواو اى اندهشت (دونه) اى عنده (احلامهم) اى فهو مهم فى تصوره وتدبره (ولم يهتدوا الى مثله) اى الى اتيان شبهه (فى جنس كلامهم من نثر اونظم اوسجع) اى فى احدها (اورجز) بفتح الراء والجيم وفى آخره زاى وهو من بحور الشعر وانواعه وقيل لايسمى شعرا ولذا عطف عليه بقوله (اوشعر) وعلى الاول يكون تعميما بعد تخصيص وضبط فى بعض النسخ بفتح الزاى وسكون الجيم فى آخره راء والظاهر انه تصحيف لعدم المناسبة بين السابقة واللاحقة (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) وهو والد خالد رضى الله تعالى عنه لكن هلك على دينه لقلة يقينه (وقرأ عليه القرآن رق) بتشديد القاف اى تأثر بسماعه لما القى عليه (فجاءه ابوجهل) وهو ابن اخيه (منكرا عليه) اى رقته لديه (قال) وفى نسخة فقال اى الوليد (والله مامنكم احد اعلم بالاشعار) اى بانواع الشعر (منى والله مايشبه الذى يقول شيئا من هذا) اى من جنس الشعر (وفى خبره الآخر) اى عن الوليد كما رواه البيهقى عن ابن عباس (حين جمع قريشا عند حضور الموسم) اى قرب ورود اهله وهو بفتح ميم وكسر سين قال اليمنى موسم الحاج مجمعهم سمى بذلك لانه معلم يجتمع اليه وهو يصلح ان يكون اسما للزمان والمكان انتهى والظاهر الاول فتأمل (وقال) وفى نسخة فقال (ان وفود العرب) جمع وفد وهو القوم يجتمعون ويردون البلدة والقرية لما رب نحو جهم الى النقلة (ترد) اى يجيئون اليكم وينزلون عليكم (فاجمعوا فيه رأيا) بفتح الهمزة وكسر الميم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه اى اجتمعوا بالعزم على رأى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قوله تعالى فاجمعوا كيدكم وقرأ ابوعمرو بهمزة الوصل وفتح الميم ووجهه ظاهر ولا يبعد ان يضبط هنا كذلك ايضا اى اجمعوا رأيا فيه لايوجد ماينافيه كما اشار اليه بقوله (لا يكذب بعضكم بعضا) وهو بتشديد الذال وتخفف كما قرئ بهما فى قوله تعالى فانهم لايكذبونك والمعنى لاينسب بعضكم بعضا الى الكذب (قالوا) وفى نسخة فقالوا (نقول كاهن) وهو من يزعم انه يخبر عن الكائنات فى الازمنة الآتية ويدعى معرفة اسرار المغيبات الماضية وكان فى العرب كهنة كشق وسطيح وهما اللذان خبرا ببعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمنهم من زعم ان له رئيا من الجن يلقى اليه اخبارا يسترقها من السماء ويلفظها بما يراه فى اطراف الارض ومنهم من زعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب من كلام من يسئله اوفعله اوحاله ويخصونه باسم العراف كمن يزعم معرفة المسروق ومكان الضال وحلوان الكاهن والعراف حرام (قال) اى الوليد (والله ماهو بكاهن) اذ لم يعهد منه صلى الله تعالى عليه وسلم انه سلك طريقهم فى تزوير اقاويل باطلة وروجها بسجع فى كلمات متقابلة اذ كانوا يروجون اخبارهم المزورة واقوالهم المصورة باسجاع مزخرفة تروق السامعين يستميلون بها قلوبهم واوهامهم ويستصغون اليها اسماعهم وافهامهم ولايتكلمون الا بالسجع المتكلف فى تأدية مرامهم ومن ثم عاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قول من قال فى حديث قتل الجنين كيف ندى من لا اكل ولاشرب ولااستهل ومثل ذلك يطل اى يهدر وفى رواية بطل انما هذا من اخوان الكهان لما تضمنه سجعه من الباطل ومالبس تحته طائل والا فقد ورد السجع فى كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ماهو) اى ليس كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم المعنى به القرآن اومطلق مايظهره فى عالم البيان (بزمزمته) اى بزمزمة الكاهن (ولاسجعه) وهو صوت خفى لايكاد يفهم فكانه والله تعالى اعلم اذا اراد حضور قرينه من الجن زمزم له فحضر عنده واخبره والنفى الثانى بمنزلة الدليل للنفى الاول فتأمل اومعطوف عليه بحذف الباء كما سيأتى فى قرائنه هذا وقيل زمزمة الكهان صوت يديرونه فى خياشيمهم وافواههم من غير صريح نطق وربما افهموا به من الفهم (قالوا مجنون) اى مصاب اختلط عقله من مس الجن على مايعتقدون فيما يزعمون ولقد رأى رجل قوما مجتمعين على انسان فقال ماهذا قالوا مجنون قال هذا مصاب انما المجنون الذى يضرب بمنكبيه وينظر فى عطفيه ويتمطى فى مشيته وما احسن مقابلته

بالمصاب فانه المخطئ في فعله عن صوب الصواب لكونه اصيب بآفة في عقله الخارج عن دائرة اولي الالباب (قال)
اي الوليد (ماهو بمجنون ولابخنقة) بفتح الخاء المعجمة وكسر النون وتسكن وتفتح و بالقاف مصدر لدخول حرف الجر
بعد لاالمزيدة لتأكيد النافية السابقة والمقصود انه ليس بفعل نفي كما توهم قال الحلبي الخنق بكسر النون كذا في
غير مؤلف في اللغة ولكن في مطالع ابن قرقول قال بضبط المصدر بفتح النون والاسكان ولم يتعرض الكسر فحصل
من ذلك ثلاث لغات في المصدر قلت وفي القاموس اقتصر على الاول حيث قال خنقه خنقا ككتف فهو خنق
ايضا وخنيق ومخنوق انتهى والمصدر هنا بمعنى المفعول اي ليس هو ممن اصابه الجن وخنقه ولاوسوس في صدره
لعدم ظهور اثره في امره كما افاده بقوله (ولاوسوسته قالوا فنقول شاعر قال) اي الوليد (ماهو بشاعر قد عرفنا الشعر
كله) اي اصنافه جيده ماخوذ من الشعور وقال الحنفي هو مصدر شعرت بالشيء بالفتح اشعر به اي فطنت له ومنه
قولهم ليت شعري اي ليتني علمت وفي الاصطلاح هو الكلام المقفى المقصود به الشعر ليخرج ما لم يقصد مما وافق
في الوزن والتقفية كما جاء في القرآن والسنة وعبارات الائمة من غير قصد ويقال في كلامه سبحانه وتعالى انه غير
مقصود بالذات والا فلا يتصور بدون ارادته وقوع شيء من الكائنات (رجزه وهزجه) بفتحتين فيهما (وقريظه
ومبسوطه ومقبوضه) بيان لبعض انواعه واصول اصنافه هذا وقوله قريظه في النسخ بالظاء المشالة وفي اصل الدلجي
بالضاد المعجمة فقال فعيل بمعنى مفعول من القرض وهو لغة القطع وسمي الشعر قريضا لانه قارضه اي الشاعر يورده
قطعا قطعا انتهى وهو الموافق لما في القاموس في حرف الضاد من قوله قرضه قطعه وجازاه كقارضه والشعر قاله
وقال الحنفي وسمي قريضا لكونه يقرض ويقال قرظته اذا مدحته ويجوز ان تكتب هذه اللفظة بالضاد والظاء
(ماهو بشاعر) تأكيد للاول وفي نسخة وماهو بشاعر انطقه الله تعالى بالصدق وماوافقه للحق فاقر به في الظواهر
ومابعده في السرائر فهو ممن اضله الله على علم بقدرته القاهرة وارادته الباهرة (قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر
ولانفثه ولاعقده) بالجر فيهما على انهما معطوفان على مدخول الباء اي ولاهو بنفث الساحر اي نفخه ولابعقده
في خيط عند نفثه ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد (قالوا فما نقول قال ماانتم بقائلين شيئا من هذا)
اي مما رميتموه به من الاباطيل (الا وانا اعرف انه باطل) اي وليس تحته طائل (وان اقرب القول انه ساحر) بفتح
الهمزة على انه مع اسمه وخبره خبر ان الاولى فتأمل ولاتتبع طريق الدلجي في ضبط الهمزة بالكسر على انه
مقول لقول مقدر حيث قال واقرب القول فيه ان يقال بانه ساحر (ثم قال) اي الوليد (فانه سحر) اي كلامه مشابهه
حال كونه (يفرق) اي به كما في نسخة اي بكلامه المماثل للسحر (بين المرء وابنه) اي اعز اولاده واقاربه وفي نسخة
وابيه اي والده الذي هو اقرب اسلافه واجداده (والمرء واخيه) اي شقيقه واقوى قرينه ورفيقه (والمرء
وزوجه) اي امرأته او الشخص الشامل للمرأة وزوجها باحد معنييه (والمرء وعشيرته) اي عموم قرابته بواسطة
المخالفة في دينه وملته (فتفرقوا) اي راضين على هذا القول من ذلك المجلس (وجلسوا على السبل) اي سبل
الوافدين وطرق الواردين (يحذرون الناس) اي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومتابعته واقتفاء سنته
وطريقته (فانزل الله تعالى في الوليد) اي مايشير الى الوعيد الاكيد تهديدا شديدا (ذرني ومن خلقت وحيدا) حال
من الياء في ذرني اي اتركني معه وحدي فانا اكفيكه اومن العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا لامال له
ولاولد بل فريدا اوتهكم به صرفا له عن كونه لقب مدح له بانه وحيد قومه في الدنيا تقدما ورياسة ويشار الى ذمه
وعيبه بمايقتضي ان يكون وحيدا في شره (الآيات) اي من قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا الى
قوله سبحانه وتعالى فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر (وقال عتبة بن ربيعة) اي ابن عبد شمس
ابن مناف قتل في بدر كافرا وقد قبل قتله حمزة حين كر هو وعلي عليه (حين سمع القرآن ياقوم قد علمتم اني
لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت) اي من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قولا
ماسمعت مثله قط ما هو) اي ليس قوله (بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي
حديث اسلام ابي ذر) اي الغفاري بكسر الغين وقد رواه مسلم (ووصف) اي والحال انه قد وصف
ابو ذر (اخاه انيسا) بضم الهمزة وفتح النون وسكون التحتية فسين مهملة وكان ابو ذر ارسله قبل اسلامه الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة والقصة مشهورة وهو صحابي معروف (فقال) اي ابوذر (والله ماسمعت باشعر)
اي باكثر شعرا واحسن نظما (من اخي انيس لقد ناقض) اي عارض (اثني عشر شاعرا) اي معروفا (في الجاهلية
انا احدهم وانه) اي انيسا (انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر) نقل بالمعنى اوالتفات في المبنى وفي نسخة وجاءني
(بخبر النبي) اي باخبار بعثته واظهار نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت فما يقول الناس) اي في وصفه ونعته

(فاك يقولون شاعر كاهن ساحر) اى هم مختلفون بين قول شاعر وكاهن وساحر اوهم قائلون بانه لايخلو عن واحد من هؤلاء الطوائف المذكورة اومدعون بانه جامع بين هذه الاوصاف الثلاثة المسطورة ثم قال اخو ابى ذر (لقد سمعت ماقال الكهنة) اى كثيرا (فاهو) اى قوله (بقولهم) اى لعدم المناسبة (ولقد وضعته) اى كلامه (على اقراء الشعر) بفتح الهمزة وسكون القاف فراء ممدودة اى طرقه وانواعه اى انواع بحوره (فلم يلتئم) اى لم يلايم على شيء من اوزانه (ومايلتئم) اى وما يتفق (على لسان احد بعدى) اى غيرى ايضا (انه شعر) اذالشعراء اتفقوا على ذلك لما استوزنوا كلامه على اقراء شعرهم هنالك (وانه) اى النبي عليه الصلاة والسلام (لصادق) اى فى دعوى الرسالة وفى قوله نقلا عن ربه وماعلمناه الشعر وماينبغى له (وانهم لكاذبون) فى كونه شاعرا اوكاهنا اوساحرا (والاخبار فى هذ) اى المعنى المذكور والمدعى المسطور (صحيحة) اى اسنادا (كثيرة) متنا صريحة دلالة (والاعجاز) اى عن الاتيان بمثل هذا القرآن (بكل واحد من النوعين) اى اللذين احدهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اى بانفرادها فهما مرفوعان كما فى بعض النسخ على انهما خبران لمبتدأ مقدر وفى بعضها بكسرهما على كونهما بدلين من النوعين وفى نسخة والايجاز والبلاغة بذاتهما على انهما عطف بيان لماقبلهما والحاصل ان الايجاز والبلاغة كلاهما نوع كما سبق ذكره حيث عبر عنهما بصورة نظمه العجيب والنوع الآخر وهو الذى بينه بقوله (اوالاسلوب الغريب بذاته) اى مع قطع النظر عن بقية صفاته وفى نسخة ان بدل او واوووجهه لايظهر فتأمل وتدبر ثم صرح بمقصوده فى ضمن وروده تحت قوله (كل واحد منهما) اى من النوعين وهو النظم العجيب والاسلوب الغريب (نوع اعجاز على التحقيق) اى عند ارباب التوفيق واصحاب التدقيق وفى نسخة نوع ايجاز والظاهر انه تصحيف اذ فى المعنى تحريف (لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما) اى لابالنظم العجيب ولا بالاسلوب الغريب (اذكل واحد) اى من النوعين (خارج عن قدرتها) اى عن قدرة العرب العرباء (مباين لفصاحتها وكلامها) اى مغاير لفصاحتهم وبلاغتهم من الشعراء والخطباء (والى هذا) اى القول بان كل واحد منهما نوع اعجاز بذاته (ذهب غيرواحد) اى كثيرون (من ائمة المحققين) بسلامة فطنتهم وصحة فطرتهم (وذهب بعض المقتدى بهم) بفتح الدال اى بعض من يقتدى الناس بهم ويميلون فى الجملة الى تقليدهم وقبول قولهم (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة) اى المتضمنة للفصاحة (والاسلوب) اى من جهة الغرابة والحاصل ان تحقق الاعجاز بهما مجتمعا لابكل واحد منهما منفردا (واتى على ذلك) اى واستدل على ماذهب اليه اى من ان الاعجاز فى مجموعهما (بقول تمجه الاسماع) بضم الميم وتشديد الجيم اى تدفعه الطباع السليمة وتقذفه الفهوم المستقيمة (وتنفر منه القلوب) اى من اول الوهلة ومبدأ المقدمة (والصحيح ماقدمناه) اى من كون الاعجاز لكل واحد منهما بذاته منفردا (والعلم بهذا كله ضرورة قطعا) عند اصحاب الذوق من ان وجه الاعجاز امر من جنس البلاغة يدرك كالملاحة ولايوصف ولاطريق اليه من جهة الصنيع الامعرفة علوم المعانى والبيان والبديع مع معونة فيض الهى يورث العلم بكون ذلك ضرورة قطعا (ومن تفنن) وفى نسخة ومن تكلم (فى علوم البلاغة) وفى نسخة فى فنون البلاغة اى ومن علم فنون البلاغة وصنوف الفصاحة (وارهف خاطره) بالنصب اى رقق وحدد ذهنه بتوجه جنانه (ولسانه) اى بتحصيل بيانه (ادب هذه الصناعة) فاعل ارهف والمعنى ان من اكثر ممارستها واطال اخذ منها حتى صارت له بديهة فعرفتها (لم يخف عليه ماقلناه) اى ماقدمناه كما فى اصل الدلجى من ان كلا منهما نوع اعجاز بذاته منفردا عند اهل التحقيق بصفاته (وقداختلف ائمة اهل السنة) وفى نسخة ائمة المسلمين (فى وجه عجزهم عنه) اى عن الاتيان بمثله (فاكثرهم يقول) اى قالوا مستمرين على قولهم (انه) اى وجه عجزهم (مماجمع) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى جمع الله (فى قوة جزالته) اى لطائف معانيه (ونصاعة الفاظه) اى شرائف مبانيه بخلوصها من شوائب الركاكة وتنافر الكلمات والغرابة (وحسن نظمه وايجازه) اى واستحسان نظم المعانى الكثيرة فى ضمن المبانى اليسيرة من غير خلل فى مبناه ولاقصور فى معناه (وبديع تأليفه واسلوبه) اى على صنيع منيع لبس على اسلوب نظم الشعراء ولانثر الخطباء (لايصح ان يكون فى مقدور البشر) لاشتماله على لطائف وشرائف فى باب البلاغة والفصاحة الى ان خرج عن طاقة الخلق فتعين انه من كلام الحق (وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق) بفتح الهمزة اى مقدوراتهم (عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى) اى مما لايقدر عليه غيره تعالى (وذهب الشيخ ابوالحسن) اى على بن اسمعيل بن اسحق بن سالم بن عبدالله بن امير العراقين بلال ابن ابى بردة ابن ابى موسى الاشعرى امام السنة (الى انه) اى القرآن (ممايمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) اى فى الجملة ممن هو ماهر فى وجوه البلاغة وباهر فى فنون الفصاحة (ويقدرهم الله عليه) بضم الباء

وكسر الدال اي وان يعطيهم القدرة والقوة على اتيان مثله لانه من جنس نتائج افكارهم وكرائم اسرارهم (ولكنه) الضمير للشان (لم يكن هذا ولايكون) اى هذا وفى نسخة زيد هذا هوالشان اى الشان عدم قدرتهم عليه (فنعهم الله هذا وعجزهم عنه) بتشديد الجيم اى وجعلهم عاجزين عن امر المعارضة فى ميدان المقاومة (وقال به جماعة من اصحابه) اى من علماء الامة لكن هذا هو القول بالصرفة وقدمر انه مرجوح عند اكابر الائمة (وعلى الطريقين) اى من ان كونه معجزا بذاته عن مقاومته اوبتعجيزه سبحانه وتعالى اياهم عن معارضته (فعجز العرب عنه ثابت) اى بلاشبهة (واقامة الحجة عليهم) اى واقع (بمايصح ان يكون فى مقدورهم) وفى نسخة مقدور البشر اى على ماذهب اليه الاشعرى وبعض اتباعه (وتحديه) اى وطلب معارضته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم (بان يأتوا بمثله قاطع) اى بلاريبة (وهو) اى تحديه ان يأتوا بمثله مع كونه ممايصح ان يكون فى مقدورهم (ابلغ فى التعجيز واحرى) اى اليق واولى (بالتقريع) اى بالتوبيخ (والاحتجاج) مبتدأ اى والاستدلال على عجزهم (بمجئ بشر مثلهم) وفى نسخة منهم اى من جملتهم (بشئ ليس من قدرة البشر لازم) اى على القول بانه معجز بنظمه العجيب واسلوبه الغريب (وهو) اى كونه ليس من قدرة البشر (ابهر آية) اى اظهر علامة (واقمع) اى اقهر (دلالة) اى فى ثبوت الحجة (وعلى كل حال) اى تقدير من قولى الاعجاز بالصرفة اوالبلاغة (فماأتوا) بفتح الهمزة اى فما جاؤا (فى ذلك) اى فى معارضته (بمقال) اى فى مقام جدال (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم اى الخروج من اوطانهم (والقتل) اى وعلى قتل انفسهم واخوانهم (وتجرعوا كاسات الصغار) بفتح الصاد الحقارة (والذل) اى المسكنة والمهانة (وكانوا) اى والحال انهم كانوا (من شموخ الانف) بضم الشين المعجمة اى من شماخته ورفعته كبرا وعتوا وهو بفتح الهمزة وسكون النون عضو معروف وجمعه انوف وفى نسخة بضمتين على انه جمع انف وضبطه الحلبى بهمزة ممدودة يعنى وضم نون على انه جمع آخر (وابائة الضيم) بكسر همزة فموحدة فالف بعدها همزة اوياء فتاء وفى نسخة بغيرتاء وفى اخرى الضير براء بدل الميم وكلاهما بفتح الضاد اى وكانوا من منوع الضرر تحاميا عنه وتباعدا منه (بحيث لايؤثرون ذلك) اى لايختارون ماذكر من الجلاء والقتل والصغار والذل (اختيارا) اى طوعا ولا يرضونه (الااضطرارا) اى كرها (والا) اى وان لم يكن الامر من عجزهم وصبرهم على ذلهم (فالمعارضة) اى للقرأن وسائر المعجزات (لوكانت من قدرهم) بضم وفتح اى مقدوراتهم (والشغل بما هو اهون عليهم) والظاهر ان يقال فالشغل بالفاء اولكان الشغل ولعله الجملة حالية وهو بضم فسكون وبضمتين وبفتح وبفتحتين اى الاشتغال بالمعارضة اسهل اليهم (واسرع بالنجح) بضم نون فسكون جيم اى بالظفر على المراد (وقطع العذر) اى المعذرة عند العباد فى البلاد (وافحام الخصم) اى الزامه (لديهم) اى عندهم (وهم) اى والحال انهم (ممن لهم اقتدار) وفى نسخة قدرة (على الكلام) وفى نسخة وهم من هم بفتح الميم قدرة بفتح القاف والدال جمع قادر وفى اخرى وهم ممن هم قدرة بفتحتين وقدرة فى الجميع مرفوعة وفى اصل الدلجى وهم منهم قدرة بالنصب فقال تمييز للضمير المنفصل قبله والجملة حالية من ضمير لديهم (وقدوة) عطف على قدرة وهو بضم القاف وكسرها وحكى فتحها اى اقتداء واسوة (فى المعرفة به) اى بالكلام (لجميع الانام) متعلق بالقدوة (ومامنهم) اى من احد (الامن جهد جهده) بضم الجيم وفتحه اى بذل جده و بالغ اجتهاده (واستنفد) بالفاء والدال المهملة اى استفرغ (ماعنده) اى من قوة طاقته (فى اخفاء ظهوره) اى ظهور نور القرأن اوعلو نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة رفعة الشان (واطفاء نوره ويأبى الله الا ان يتم نوره ويعلو ظهوره) وهو مقتبس من قوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره (فما جلوا فى ذلك) اى فما اظهروا فى مقام المعارضة مما اجتهدوا فيه غاية المجاهدة (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة اومبدلة مدغمة اى مخبوءة ومخفية (من بنات شفاههم) بفتح الموحدة قبل النون اى من كلمات صدرت من افواههم والشفاه بكسر الشين المعجمة جمع الشفة بفتحها وتكسر وشفتا الانسان طبقا فمه (ولااتوا بنطفة) اى ولاجاؤا بقطرة يسيرة (من معين مياههم) اى من ظواهر انهار بلاغتهم واسرار فصاحتهم بل صاروا بكما فى معارضتهم (مع طول الامد) اى الزمان (وكثرة العدد) اى الاعوان (وتظاهر الوالد وماولد) الاولى ان يقال والولد اى ومعاونتهم ومعاضدتهم فى مقام الرد واما مافى نسخة من الامل باللام بدل الامد بالدال فتصحيف وتحريف (بل ابلسوا) بصيغة الفاعل اى آيسوا من المعارضة ويئسوا من المقاومة (فانبسوا) بفتح النون والموحدة المخففة وقيل المشددة وبضم السين المهملة اى فانطقوا (ومنعوا) بصيغة المفعول اى فاعطوا القدرة على المقاومة (فانقطعوا) اى عن المعارضة (فهذان النوعان) وفى نسخة صحيحة نوعان (من اعجازه) اى اجتماعا اوانفرادا

﴿ فصل ﴾

(الوجه الثالث من الاعجاز) اى من وجوهه (ما انطوى) اى اشتمل واحتوى (عليه من الاخبار) بكسر الهمزة اى الاعلام (بالمغيبات) اى الكائنات فى الازمنة السابقة (وما لم يكن ولم يقع) اى بعد (فوجد) اى فى الايام اللاحقة (كما ورد) اى مطابقا لما ورد (على الوجه الذى اخبر كقوله تعالى) خطابا للنبى عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) تعليق لعدته بالمشيئة تعليما لعباده وايماء الى عدم وجوب شئ على الله تعالى فى تحقيق مراده وتلويحا بان بعضهم لايدخله لعلة من موت اوغيبة اوحكاية لما قاله ملك الرؤيا اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه حالة الرواية (آمنين) حال من واو لتدخلن والجملة الشرطية معترضة (وقوله وهم من بعد غلبهم) اى والروم من بعد غلبة الفرس لهم (سيغلبون) الفرس وكانوا مجوسا والروم نصارى فورد خبر غلبة الفرس اياهم مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون لاكتاب لنا وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت الآية الى قوله فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لايخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لايعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه لايقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس فى بضع سنين فقال ابى بن خلف كذبت اجعل بيننا و بينك اجلا فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده اى فى الابل وماده فى الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى بعد قفوله من احد بجرح من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسرف كافرا وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر القلائص من ورثة ابى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تصدق بها وبه اخذ ائمتنا الحنفية جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجاب الشافعية بانه كان قبل تحريم القمار والله تعالى اعلم (وقوله) اى وكقوله تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) اى ليغلب دين الحق ويعليه (على الدين كله) اى على جنس الدين جميعه بتمام افراده بتسليط المسلمين على اهله بالعزة والغلبة والقهر والقوة فضلا عن الحجة (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) اى فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم اى من الانبياء السالفة واممهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا (وقوله اذا جاء نصر الله والفتح) اى مكة (الى آخرها) اى الى آخر السورة اوالى آخر مايتعلق به معنى الآية وهو قوله ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا (فكان جميع هذا كما قال) اى وقع كله كما اخبر عنه اى فكان جميعه كما قال معجزة ومن اعلام النبوة (فغلبت الروم فارس فى بضع سنين) اى يوم الحديبية قيل عند رأس سبع سنين وكان حقه ان يقول ايضا ودخل اهل الاسلام فى المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين غير خائفين فى عام عمرة القضاء وكان صلح الحديبية مقدمة فتح مكة وهذا وان كان باعتبار الآية الواردة فيه مقدما لكن وقوعه عن قضية غلبة الروم صار مؤخرا (ودخل الناس فى الاسلام) اى بعد فتح مكة (افواجا) اى فوجا بعد فوج من اهل مكة والطائف واليمن وغيرها (فامات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف) اى الله تعالى كما فى نسخة (المؤمنين فى الارض) اى فى عامة البلاد (ومكن فيها دينهم) اى ثبته فيما بين العباد (وملكهم اياها) اى الارض وبلادها (من اقصى المشارق الى اقصى المغارب) اى ليتم نظام مرادهم ويكمل امور معاشهم ومعادهم (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما رواه مسلم عن ثوبان مرفوعا (زويت لى الارض) بضم الزاى وكسر الواو اى جمعت وطويت لاجلى (ماريت) بصيغة المجهول وفى اصل الدلجى فرأيت (مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى مازوى لى منها) اى باسرها (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى من التحريف بالزيادة والنقصان مما تواتر عند علماء الاعيان من قراء الزمان (فكان كذلك) اى بمقتضى حفظه (لايكاد يعد) بصيغة المجهول اى يحصر (من سعى فى تغييره) اى من مبانيه (وتبديل محكمه) اى فى معانيه (من الملحدة) اى المائلة عن الحق الى الباطل كالحلولية والاتحادية وامثالهما (والمعطلة) اى القائلة بتعطيل الكون من المكون كالدهرية ونحوها (لاسيما القرامطة) بالرفع على ان سى بمعنى مثل وما موصولة صدر صلتها محذوف اى ولامثل الذين هم القرامطة وبالجر على ان مازائدة و بالنصب على انها اداة استثناء وهم طائفة معروفة وقال بعضهم فرقة من الاباضية وهم اتباع حمدان القرمطى (فاجمعوا كيدهم وحولهم) اى جهدهم (وقوتهم) اى جدهم (اليوم) اى الى يومنا هذا (نيفا) بفتح النون وسكون الياء مخففة وقيل مشددة مكسورة اى زيادة (على خمسمائة عام) اى بالنسبة الى تاريخ زمن المصنف واما الآن فهو نيف والف (فاقدروا) اى القرامطة

وغيرهم من الملاحدة ونحوهم (على اطماء شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه) وفى نسخة صحيحة من كلمة بفتح فكسر ويجوز بكسر فسكون (ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه) اى لا من حروف مبانيه ولا من حروف معانيه ولا ترديد هم فى اعراب بل ولفظه عما يتأتى فيه فى باب (والحمد لله) اى على تمام هذه المنة وتمام هذه النعمة (ومنه) اى ومن اعجاز القرآن فى اخبار الغيب من مستقبل الزمان (قوله تعالى سيهزم الجمع) اى جمع اهل الكفر (و يولون الدبر) اى الادبار كما قرئ به وافرد لقصد الجنس اولارادة كل واحد ولمراعاة الفواصل وعن عمر رضى الله تعالى عنه لما نزلت لم اعلم ماهو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلبس درعه ويقول سيهزم الجمع فعلمته (وقوله تعالى) اى ومنه قوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) اى قتلا (الآية) اى ويخزهم اسرا وينصركم عليه نصرا ويشف صدور قوم مؤمنين اى مما امتلأت منهم ضجرا قيل هم خزاعة خلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطون من اليمن وردوا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصبروا فان الفرج قريب (وقوله تعالى) اى وكذا منه قوله تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى الآية) وقد سبق وهذا من التكرير فى التعبير (وقوله لن يضروكم الا اذى) اى ضررا يسيرا كطعن فى الدين وتهديد فى التخمين (وان يقاتلوكم الآية) اى يولوكم الادبار اى منهزمين ثم لاينصرون اى لاينصرا حد لهم ولايد فع بأس عنهم (فكان كل ذلك) اى فوقع هنالك كل ذلك كذلك من هزم جمعهم وتعذيبهم وشفاء صدور المؤمنين بنصرهم عليهم وانحصار الاذى فى ضررهم وانهزامهم كبنى قريظة والنضير وامثالهم (ومافيه) اى ومما فى القرآن من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم) اى من ايضاح اقوالهم وافضاح احوالهم (وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك) اى ومن توبيخ الله اياهم بسوء اعمالهم وتقبيح آمالهم وتفظيع مآلهم (كقوله) اى كما فى قوله سبحانه تعالى (ويقولون فى انفسهم) اى فيما بينهم اوفى نفوسهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) اى هلا يعاقبنا بقولنا فى محمد طعنا منا فيه وفى الاسلام ودفعا عنا بالسام بدل السلام قال الله تعالى وهو العليم الخبير حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله) اى وكقوله تعالى فى حق المنافقين (يخفون فى انفسهم مالايبدون لك الآية) يعنى لوكان لنا من الامر شئ كما زعم محمد ان الامر كله لله وان حزبه هم الغالبون ماقتلنا ههنا اى فى المعركة (وقوله) اى وكقوله تعالى فى حق اليهود (من الذين هادوا) اى بعض اليهود منهم قوم (سماعون للكذب الآية) اى اكالون للسحت الخ (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) اى يميلونها عن مواضعها التى وضعها الله تعالى فيها بازالتها من مكانها واثبات غيرها فى محلها او يتأولونها على مايشتهون فيها (الى قوله وطعنا فى الدين وقد قال مبديا) بالهمزة اوالياء اى حال كونه تعالى مظهرا (ماقدره الله) بتشديد الدال اى ماقضاه (واعتقده) ويروى وما اعتقده (المؤمنون) اى مقتضاه الواقع (يوم بدر) على وفق رضاه من الظفر باحدى طائفتين العير والنفير (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) اى القافلة الراجعة من الشام اوالطائفة الآتية من بيت الله الحرام (انها لكم) حاصلة من اموال احداها اوغنيمة اخراها (وتودون) اى تتمنون وتحبون (ان غير ذات الشوكة) وهى السلاح يعنى العير المقبلة مع ابى سفيان (تكون لكم) حيث لاحدة فيها ولاسدة بخلاف ذات الشوكة من النفير وهو الجمع الكثير ممن نفروا مع ابى جهل من مكة لاستنقاذ العير واستخلاصهم من ايدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه متقوين بكثرة عددهم وعددهم (ومنه) اى ومن اعجازه سبحانه وتعالى (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) اى الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى اوالحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن اسد قيل وكذا عمه ابولهب وعقبة ابن ابى معيط والحكم ابن ابى العاص الا انه اسلم يوم الفتح والباقون اهلكوا بانواع من العقوبة (ولما نزلت) اى هذه الآية فيهم على مارواه الطبرانى فى الاوسط (بشر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بان الله كفاه اياهم) اى شرهم واذاهم ورواه البيهقى وابونعيم بمعناه (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) اى جماعة مترصدين للواردين بها والصادرين عنها (ينفرون الناس عنه) بتشديد الفاء اى يصدونهم عن الايمان به (ويؤذونه) اى بهذا واضرابه (فهلكوا) اى بضروب البلاء وفنون العناء فتم نوره وكمل ظهوره (وقوله والله يعصمك من الناس) عدة من الله تعالى بعصمة روحه من غوائل عدوه (فكان كذلك) اى كما اخبر به من لاخلف فى خبره (على كثرة من رام ضرره) اى مع كثرة من قصد ضرره (وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة) اى مشهورة فى كتب المغازى فى باب السير (صحيحة) اى مذكورة عند ارباب الاثر فعصمه الله تعالى وحفظه حتى انتقل من دار الدنيا الى منازل الحسنى فى العقبى

﴿ فصل ﴾

(الوجه الرابع) اى من وجوه اعجاز القرآن (ماانبأ به) اى واعلمه (من اخبار القرون السالفة) اى الماضية (والامم

البائدة) اى الهالكة الفانية (والشرايع الدائرة) اى الدارسة (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ) بفتح
الفاء وتشديد الذال المعجمة اى الفرد الواحد المنفرد عن اقرانه فى علو شانه (من احبار اهل الكتاب) بالحاء المهملة
اى من علمائهم (الذى قطع عمره) اى صرفه (فى تعلم ذلك) اى الخبر الواحد من السنة كبرائهم او من كتب فضلائهم
(فيورده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) اذ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ويأتى به على نصه) اى
كما قرأه عليه جبريل من غير تصرف فى لفظه (فيعترف العالم) اى منهم كما فى نسخة (بذلك) اى بسبب ما اورده (بصحته
وصدقه) متعلق بيعترف (وان مثله لم ينله بتعليم) اى لم يصل اليه بواسطة تعليم وتعلم من الخلق وحينئذ قد يعترف من
بحر تحقيقه ويتصرف بتوفيق تصديقه لعلمه انه اخبر الخلق بوحى من الحق (وقد علموا) اى جميعهم قبل ذلك (انه
صلى الله تعالى عليه وسلم امى) اى فى جميع امره (لا يقرأ ولا يكتب) اى فى جميع عمره (ولا اشتغل بمدارسة) اى مع
العلماء (ولا مثافنة) بالمثلثة والفاء والنون اى ولا مجالسة مع الشعراء والفضلاء وفى نسخة بالقاف والموحدة ولعلها
مصحفة او يراد بها المزاحمة فى المعرفة من ثقوب الذهن وهو وصوله الى الصواب ثم هذا فيما بينهم (ولم يغب عنهم)
اى غيبة يمكنه التعلم فيها من غيرهم (ولا جهل حاله احد منهم) اى منذ كان صغيرا الى ان بعث كبيرا لانه كان من
اعيانهم والحاصل انه كما قال صاحب البردة ذائقا من هذه الزبدة * كفاك بالعلم فى الامى معجزة (وقد كان اهل
الكتاب) اى من اليهود والنصارى (كثيرا ما) اى فى كثير من الاوقات (يسألونه صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا)
اى عن اخبار القرون الماضية (فينزل) بصيغة الفاعل او المفعول مخففا او مشددا (عليه من القرآن ما يتلو
عليهم منه ذكرا) اى بيانا لاعمالهم واحوالهم وماجرى لهم فى مآلهم (كقصص الانبياء مع قومهم) اى اقوامهم
من امهم اجمالا تارة ومفصلا اخرى وعموما مرة وخصوصا كرة كما اشار اليه بقوله (وخبر موسى والخضر)
بفتح فكسر وروى بكسر فسكون قيل لانه اذا جلس او صلى اخضر ما حوله وفى البخارى انه جلس على فروة فاذا هى
تهتز خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة او الحشيش اليابس وفى اسمه اختلاف وكذا فى كونه نبيا او رسولا او غيره
او وليا وبه جزم جماعة واغرب ما قيل فيه انه من الملائكة وقيل انه ابن آدم وقيل ابن فرعون وقال الثعلبى نبى على
جميع الاقوال معمر محجوب عن الابصار واختلف فى حياته وقد انكرها جماعة منهم البخارى وقال ابن الصلاح
هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم على ذلك وانما شذ بانكارها بعض المحدثين قال الحلبى ونقل
النووى عن الاكثرين حياته وقيل انه لا يموت الا فى آخر الزمان وفى صحيح مسلم فى احاديث الدجال انه يقتل رجلا
ثم يحييه قال ابراهيم بن سفيان راوى مسلم يقال انه الخضر وكذا قال معمر فى مسنده واما ما استدل به البخارى
ومن تبعه كالقاضى ابى بكر ابن العربى على انه مات قبل انقضاء المائة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم
هذه فانه على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد فالجواب ان هذا الحديث عام فيمن يشاهده الناس
ويخالطونه لا فيمن ليس كذلك كالخضر بدليل ان الدجال خارج عن هذا الحديث لما روى مسلم من حديث الجساسة
الدال على وجود الدجال فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بقائه الى زمن ظهوره مع ان مسلما روى عن
ابن عمر ان المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد انخرام ذلك
القرن (ويوسف واخوته) كما هو مبين فى سورته باحسن صورته (واصحاب الكهف) قال الحلبى واختلف
فى بقائهم الى الآن فروى عن ابن عباس انه انكر ان يكون بقى منهم شئ بل صاروا ترابا قبل المبعث وقال بعض اصحاب
الاخبار غير هذا وان الارض لم تأكلهم ولم تغيرهم وانهم على مقربة من القسطنطينية وفى مكانهم اقوال وروى انهم
سيحجون البيت اذا نزل ابن مريم قال الامام السهيلى الغيث هذا الخبر فى كتاب البدء لابن ابى خيثمة هذا وقد اختلف
فى عدتهم ومدة اقامتهم (وذى القرنين) روى الحاكم فى المستدرك انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن ذى القرنين
فقال لا ادرى انبى هو ام لا وجاء فيه عنه عليه السلام انه كان ملكا مسح فى الارض بالاسباب وقيل فى قوله تعالى وآتيناه
من كل شئ سببا اى علما يتبعه وفى قوله تعالى فاتبع سببا اى طريقا يوصله وقال ابن هشام فى غير السيرة السبب جبل
من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه واختلف فى تسميته بذى القرنين كما اختلف فى اسمه واسم ابيه فاصح ما قيل
فى ذلك ما روى عن ابى الطفيل عامر بن واثلة قال سأل ابن الكوا على ابن ابى طالب فقال ارأيت ذا القرنين
انبيا كان ام ملكا فقال لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه
ضربتين وفيكم مثله يعنى نفسه وقيل ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر الفين ثم كان فى ذلك كلحظة عين
(ولقمان وابنه) تقدم ذكرهما وفى سورته بعض حكمته (واشباه ذلك من الانبياء) كخبر نوح وابنه وابنى آدم (وبدء
الخلق) اى ابتدائهم وانتهائهم (وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء)

اى من اهل الكتاب (بها) اى حين تلاها عليهم (ولم يقدروا) اى وما قدر واحد منهم (على تكذيب ماذكر منها) بصيغة الفاعل او المفعول اى تكذيبه فى شئ ذكر من الكتب المذكورة (بل اذعنوا) اى انقادوا له (لذلك) اى لعلمهم بصدقه (فمن موفق) بتشديد الفاء المفتوحة اى موافق (آمن) اى بالقرآن وما انزل عليه (بما سبق له) اى فى الازل (من خير) اى من سابقة ارادة السعادة له (ومن شقى) اى مخذول (معاند حاسد) وزيد فى نسخة خاسر جاهل وقال الحجازى يروى خاسر ويروى جاهل اى لم يصدقه بما سبق له فى الازل من سابقة ارادة الشقاوة له (ومع هذا فلم يحك عن احد) وفى اصل الدلجى وغيره عن واحد (من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) اى مع مبالغتهم فى مناقضتهم لحقه (وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم) اى مما اوجب العلم بانه رسول الله الى كافة الناس (وتقريعهم) اى توبيخهم رد حالهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) اى بما اشتملت عليه كتبهم وكان الاظهر ان يقول صحفهم او صحائفهم (وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام) اى اختبارا او امتحانا (وتعنيتهم اياه) اى تكليفهم له بما شق عليه بكثرة سؤالهم (عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم) اى كل ذلك تعنتا وعنادا لا تفهما وارشادا (واعلامه لهم بمكنون شرايعهم) اى مخفيها ومستورها (ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم) اى على لسان قريش اذ قالوا لهم سلوه (عن الروح) كما رواه الشيخان (وذى القرنين واصحاب الكهف) فيما رواه ابن اسحق والبيهقى فان اجاب عنها وسكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم كما رواه الشيخان قصتى اصحاب الكهف وذى القرنين وابهم امر الروح كما هو مبهم فى التوراة (وعيسى عليه الصلاة والسلام) اى وسؤالهم عن عيسى فبينه لاهل الكتابين (وحكم الرجم) فبينه لليهود (وما حرم اسرائيل على نفسه) اى وسؤالهم عنه كما روى الترمذى اى حرم باجتهاده او باذن من ربه لحوم الابل والبانها فبينه لهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الاما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية (وما حرم عليهم) بصيغة المجهول (من الانعام) اى وسؤالهم عنه فبينه بقوله سبحانه وتعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم) اى وسؤالهم عنها فبينه بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية (وقوله) اى ومثل قوله تعالى (ذلك) اى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل) اى كزرع اخرج شطأه فآزره الآية والمراد وصفهما العجيب الشأن فيهما (وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القرآن) اى لكشف مستورهم (فاجابهم) اى عن ذلك كله (وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك) اى من بيانه (انه) بفتح الهمزة متعلق بما سبق وما بينهما معترضة اى فلم يحك عن احد منهم انه (انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته) وفى نسخة صحيحة مقاله وفى اخرى بفتح الصاد وتشديد الدال على انه فعل ماض ومقاله مفعوله (واعترف بعناده) اى بعناد نفسه (وحسده اياه) وفى نسخة صحيحة وحسدهم (كاهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم طائفة من النصارى حين حاجوه فى عيسى فدعاهم الى المباهلة كما فى آيتها وسيأتى تفصيل حكايتها (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء مقصورا وفى نسخة ممدودا ويقال له ابن صورى وقد ذكر السهيلى عن النقاش انه اسلم نقل ذلك الذهبى فى تجريد الصحابة (وابنى اخطب) بالخاء المعجمة يهوديان معروفان هلكا على كفرهما (وغيرهم ومن باهت فى ذلك) اى فيما لم ينكر منه ولم يكذب فيه (بعض المباهتة) اى نوع من المباهتة (وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (مخالفة دعى) بصيغة المجهول اى فقد دعى من جانب ربنا سبحانه وتعالى (الى اقامة حجته وكشف دعوته) اى من ان عنده فيما حكاه مخالفة كموافقته لابراهيم عليه السلام فى تحليل لحوم الابل والبانها وروى وكشف صورته (فقيل له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين) روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجترئوا ان يأتوا بها وهذا برهان عظيم على نبوته وصدق دعوته (الى قوله الظالمون) يعنى فمن افترى على الله الكذب اى بزعمه ان ذلك حرم على بنى اسرائيل وعلى من قبلهم قبل نزول التوراة من بعد ذلك اى بعد ظهور الحق له وثبوت الحجة عنده فاولئك هم الظالمون بعدم انصافهم من انفسهم ومكابرتهم وعنادهم بعد ما تبين الحق لهم (فقرع) بتشديد الراء (ووبخ) بتشديد الموحدة اى فاظهر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقريع والتوبيخ لهم (ودعا) اى دعاهم (الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو الاتيان بالتوراة فلم يقدروا على ذلك وتفرقوا باختلافهم هنالك (فمن معترف بما جحده) اى انكره اما باسلامه او بانصافه (ومتواقح) بالقاف والحاء اى ومن قليل حياء (يلقى) بضم الباء وكسر القاف اى يضع (على فضيحته) اى الكاشفة لعيبه التى هى ظاهرة (من كتابه يده) بالنصب على انه مفعول يلق وفى اصل الدلجى من كتابة يده بالاضافة والظاهر انه تصحيف بل تحريف وهى آية الرجم سماها بالفضيحة لانها

سبب لهتك حالته قال الحلبي وقد جاء فى صحيح البخاري ان عبدالله بن سلام قال له ارفع يدك يا اعور وثمامة يعني الحافظ عبدالله بن صوريا الاعور الحبر الذي تقدم ذكره وانه اسلم بعده (ولم يؤثر) بصيغة المفعول اى ولم يروا احد (ان واحدا منهم) اى من اهل الكتاب (اظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتابه) وفى نسخة من كتبه (ولا ابدى) اى ولا اظهر (صحيحا ولا سقيما من صحفه) جمع صحيفة والظاهر من تغاير المتعاطفين ان الصحيفة تطلق على الكتاب الصغير والكتاب اذا اطلق فالمراد به الكبير وان كان معناه الاعم لاستحالة الجمع بينهما وهذا اولى مما قال الدلجي من انه جمع بينهما وتفننا وتزيينا ومما يؤيد ما قدمناه حديث عيينة بن حصين انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب له كتابا فلما حذه قال يا محمد اترى انى حامل الى قومي كتابا كصحيفة المتلمس وهو شاعر معروف قدم هو وطرفة الشاعر على عمرو بن هند فنقم عليهما امرا فكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما واعطى كلا صحيفة وقال انى كتبت لكما بجائزة فاجتازا بالحيرة فقرأ المتلمس صحيفته فاذا فيها الامر بقتله فالقاها فى الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة اقرأ صحيفتك والقها فانها كصحيفتي فابى ومضى الى العامل فقتله فصار مثلا (قال تعالى يا اهل الكتاب) اللام لام الجنس والمراد بهم اليهود والنصارى جميعهم (قد جاءكم رسولنا) يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم مما فى التوراة وبشارة عيسى به عليهما السلام مما فى الانجيل (ويعفو عن كثير) اى مما يخفونه مما لا ضرورة الى تبيينه او عن كثير منكم فله حيث لا يؤاخذه بجرمه (الآيتين) يعني قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

﴿فصل﴾

(هذه الوجوه الاربعة) اى المتقدمة فى فصولها السابقة (من اعجازه) اى اعجاز القرآن (بينة) اى واضحة ولا مجة لانزاع فيها) اى لبس لاحد فيها منازعة (ولا مرية) اى لاشك ولاشبهة (ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة الواردة فى حق تعجيز الامة (آي) بهمزة ممدودة اى آيات (وردت بتعجيز قوم) اى جماعة خاصة (فى قضايا) اى احكام مختصة (واعلامهم) بالجراى وباخباره تعالى عنهم (انهم لا يفعلونها) اى كقوله تعالى ولا يتمنونه ابدا واما شرح الدلجي بقوله ولن يفعلوا ففيه ان هذا من الامور العامة لا من القضايا الخاصة (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) اى بل عجزوا عن المعارضة هنالك (كقوله لليهود) على ما نص عليه فى سورة الجمعة بقوله قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله الآية (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) اى الجنة وما فيها من المثوبة (عند الله خالصة) اى لكم (من دون الناس) اى باقيهم او المؤمنين كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (الآية) اى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اى فى دعواكم على وفق متمناكم لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب الخلاص من دار الاكدار اليها ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم اى من الاعمال السيئة الموجبة لدخول النار المؤبدة (قال ابو اسحق الزجاج) بتشديد الجيم الاولى (فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه) اى الله سبحانه وتعالى (قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه احد منهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسي بيده لا يقولها) اى لا يتمناها بهذه التمنية او لا يتصور فى نفسه هذه الامنية (رجل منهم الاغص بريقه) بفتح الغين المعجمة وتشديد الصاد المهملة لا بضم اوله لانه لازم لا يبنى مفعول له ذكره الدلجي والظاهر ما ضبطه فى بعض النسخ من انه بصيغة المجهول وان معناه شرق بريقه فى خلقه بعد بلعه وفى القاموس الغصة الحزن وما اعترض فى الحلق فاشرق (يعني يموت مكانه) الاظهر مات مكانه ولفظ الحديث هذا رواه البيهقي من طريق الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس مرفوعا ورواه احمد بسند جيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (فصرفهم الله عن تمنيه) اى تمنى الموت (وجزعهم) بتشديد الزاى اى ادخل الخوف قلوبهم (ليظهر) بضم الياء وكسر الهاء او بفتحهما اى ليبين او يتبين (صدق رسوله) اى فى دعوى رسالته (وصحة ما اوحى اليه) بصيغة المفعول او الفاعل (اذلم يتمنه) اى الموت (احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص) اى من غيرهم (لو قدروا) اى على ما امكنهم من المكيد (ولكن الله تعالى يفعل ما يريد فظهرت بذلك) اى بصرفهم عن تمنيهم مع كونهم على تكذيبه احرص من غيرهم (معجزته وبانت) اى ظهرت (حجته قال ابو محمد الاصيلي) بفتح فكسر (من اعجب امرهم انه) اى الشان (لا يوجد منهم جماعة ولا واحد) اى منهم (من يوم امر الله بذلك نبيه) اى بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الى قوله فتمنوا الموت (يقدم عليه) بضم الياء وكسر الدال اى على تمنى الموت (ولا يجيب اليه) اى الى تمنيه اذا قيل له تمنه (وهذا) اى امتناعهم من تمنيه (موجود) اى ثابت فيما بينهم

(مشاهد) بفتح الهاء اى معلوم (لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك) اى مثل ماتقدم من آية التمني (آية المباهلة) بفتح الهاء من البهلة وتضم اللعنة فهى الملاعنة والدعاء باللعنة على الظالم من الفريقين وأهل بعضهم بعضا وتباهلوا اى تلاعنوا والابتهال الاجتهاد فى الدعاء واخلاصه (من هذا المعنى) اى من حيثية عدم الاجابة الى مادعت اليه الآية (حيث وفد) بفتح الفاء اى قدم (عليه اساقفة نجران) جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء رئيس دين النصارى وقاضيهم ونجران بنون مفتوحة وجيم ساكنة بلدة كان فيها النصارى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة (وابوا الاسلام) بفتح الهمزة والباء وضم الواو اى وامتنعوا عن قبول الاسلام والايمان واصروا على اعتقادهم الفاسد فى حق عيسى عليه السلام (فانزل الله عليه آية المباهلة) اى الملاعنة (بقوله فمن حاجك) اى جادلك وخاصمك (فيه) اى فى عيسى عليه السلام وانكر خلقه وزعم انه اله يعبد (الآية) يعنى فقل تعالوا اى هلموا بالعزم والرأى ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا نفسه واعز اهله والصقهم بقلبه فتقديمهم على الانفس لمخاطرة الانسان بنفسه لهم ومدا فعته عنهم كذا ذكره الدلجى والاظهر ان المراد بانفسنا اقرب اقاربنا كما سيأتى خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الحسنين وفاطمة وراءهما وعلى وراءها فترتيبهم على مراتبهم و يؤخذ منه علو منا قبهم ثم نبتهل اى نتضرع الى رب العالمين فنجعل لعنة الله على الكاذبين اى منا ومنكم فامتنعوا منها) اى بعد مادعاهم اليها (ورضوا باداء الجزية) اى عوضا عنها (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى) اى بماجاءكم من امر الحق من ربكم (وانه مالاعن قوما نبى قط) اى ابدا (فبقى كبيرهم ولاصغيرهم) وتمام الحديث فان ابيتم الاالف دينكم فوادعوا وانصرفوا فاتوه وهو محتضن حسينا وآخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى وراءه وعلى وراءها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يامعشر النصارى انى لارى وجوها لوسألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا له و بذلوا له الجزية كل سنة الفى حلة وثلاثين درعا من حديد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران حتى الطير على الشجر (ومثله) اى ومثل فمن حاجك فيه (قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) والاظهر ان المثل هنا بمعنى النظير فان المحاجة من القضايا الخاصة وهذه الآية من الامور العامة (الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم) اى الكفار وغيرهم (انهم) اى احد امنهم (لايفعلون) اى المعارضة فى الازمنة المستقبلة (كما كان) اى كما تحقق عدم فعلهم فى الايام الماضية (وهذه الآية ادخل) اى من جهة المعجزة (فى باب الاخبار عن الغيب) اى من حيث انه سبحانه وتعالى نفى عنهم صدور ماطلب منهم تحديا فى المستقبل ابدا (ولكن فيها) اى هذه الآية (من التعجيز) اى لقريش وامثالهم (مافى التى قبلها) اى من التعجيز لنصارى نجران بخصوصهم اذ كل منهما طلب منه الاسلام فابوا وادعوا انهم على الحق وكذبوا النبى المطلق فطولبوا بمصداقه فعجزوا

﴿ فصل ﴾

(ومنها الروعة) بفتح الراء اى الخشية (التى تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه) اى سماعهم له على لسان تاليه (والهيبة) اى العظمة (التى تعتريهم) اى تصيبهم وتحصل لهم (عند تلاوته لقوة حاله) اى حالته فى تمام حلاوته وفى نسخة لقوة جلالته (وانافة خطره) بفتحتين اى رفعة قدره وعظمة امره (وهى) اى روعته اوتلاوته (على المكذبين به اعظم) اى اصعب منها على المصدقين به (حتى كانوا) اى المكذبون (يستثقلون سماعه و يزيدهم نفورا) اى هربا من استماعه (كما قال الله تعالى) اى فيما اخبر عنهم واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا (و يودون انقطاعه) اى تلاوته (لكراهتهم له) اى كما قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون (ولهذا) اى ولماذكر من ودادهم انقطاعه وكراهتهم تلاوته واستماعه (قال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الدلجى وغيره عن الحكم بن عمير مرفوعا (ان القرآن) وفى نسخة صحيحة ان هذا القرآن (صعب) اى شديد (مستصعب) بكسر العين وتفتح وهو تأكيد (على من كرهه) وفى اصل الدلجى يكرهه (وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين اى الحاكم بين الحق والباطل والفاصل بين البر والفاجر المبين لكل نفس جزاء ماعملت من خير او شر المميز بين السعيد والشقى بالثواب والعقاب (واما المؤمن) اى به كما فى نسخة (فلاتزال روعته به) اى روعة القرآن بالمؤمن (وهيبته اياه مع تلاوته توليه) بضم التاء وسكون الواو اى تعطيه (انجذابا) وفى نسخة انجيابا اى اقبالا عليه (وتكسبه هشاشة) بفتح الهاء اى ارتياحا واستبشارا وفرحا وخفة (لميل قلبه اليه وتصديقه به) اى بمالديه (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) اى ترتعد وتنقبض مما فيه

من الوعيد بالعقوبة (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى تسكن وتطمئن الى ما فيه من ذكر الوعد بالرحمة والمغفرة (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية) اى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله اى منشقا ومتقطعا من هيبته (ويدل على ان هذا) اى ما يغشى قلوب سامعيه واسماعهم عند تلاوة تاليه (شئ خص) اى القرآن (به) اى دون سائر كتب الله تعالى وصحفه (انه) بدل من هذا او تقديره وهو انه (يعترى) اى يصيب (من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره) اى المتعلقة بمجمل مبانيه كما هو مشاهد فى كثير من العوام انه يحصل لهم هذا المقام من وصول المرام بل وقد يحصل لمن لم يكن مؤمنا به (كما روى عن نصرانى انه مر بقارئ) اى بمن يتلو القرآن (فوقف يبكى فقيل له لم) اوبم (بكيت) وفى نسخة مم تبكى (فقال للشجى) بفتح معجمة فسكون جيم وفى بعض النسخ بفتحتين مقصورا وهو الظاهر اى للحزن الذى اصابه من استماعه فرق قلبه وخشع بدنه او للطرب الذى حصل له من اثر كلام الرب (والنظم) اى لما جمع بين المعانى الدقيقة البيان وبين الفصاحة والبلاغة فى ميدان التبيان (وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده) اى فى قليل من الايام (فنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر) اى استمر على كفره اوكفر حينئذ ثم رجع بعده الى ربه ولعله تعالى اشار الى هذا المعنى فى قوله تعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اى اشتدت اواسودت (فحكى فى الصحيح) بل روى فى الصحيحين (عن جبير ابن مطعم قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور) اى بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شئ) اى من غير موجد ومحدث وخالق فلا يعبدونه (ام هم الخالقون) اى انفسهم (الى قوله المسيطرون) يعنى قوله تعالى ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون فى قولهم هو الله اذا سئلوا من خلق السموات والارض اذلو ايقنوا فى خالقيته لما اعرضوا عن عبوديته قضاء لحق ربوبيته ام عندهم خزائن ربك اى حتى يعطوا النبوة من شاؤا ام هم المسيطرون اى الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف ارادوا وام فى المواضع الثلاثة منقطعة بمعنى بل والهمزة لانكار القضية (كاد قلبى ان يطير) اى فزعا بما اعتراه من الروعة والهيبة اوفرحا لما حصل له من شرح الصدر وسعة القلب فى معرفة الرب ويؤيده قوله (للاسلام وفى رواية اخرى) اى عنه (وذلك اول ما وقر الايمان) اى تمكن وثبت واستقر (فى قلبى) وفى نسخة الاسلام بدل الايمان (وعن عتبة) بضم فسكون (ابن ربيعة) اى ابن عبد شمس بن عبد مناف قتل كافرا بالله فى بدر والحديث رواه البغوى فى تفسيره (انه كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) اى مما لم يوافق اعتقاداتهم الباطلة وضلالاتهم العاطلة (فتلا عليه حم كتاب فصلت الى قوله فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اى قوم هود وصالح (فامسك عتبة بيده على فيه) اى فم النبى عليه الصلاة والسلام كما فى نسخة (وناشده الرحم) اى اقسم وسئله بالقرابة التى بينهم (ان يكف) اى يمسك عن تلاوته ويقف فى قراءته (وفى رواية) اى لابن اسحق فى سيرته عن محمد بن كعب القرظى (فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ) اى مستمع اليه (ملق بيديه) وفى نسخة يديه اى مرسل لهما (خلف ظهره معتمد عليهما) اى مستند اليهما (حتى انتهى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الى السجدة) اى آيتها ونهايتها (فسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومن معه لله سبحانه وتعالى (وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه) اى يحاوره ويراده (ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه) اى جاؤا اليه وعاتبوا عليه بما جرى لديه (فاعتذر لهم) اى عن انقطاعه عنهم وعدم خروجه اليهم (وقال والله لقد كلمنى) اى محمد عليه الصلاة والسلام (بكلام ما سمعت اذناى بمثله قط) اى لجزالة مبانيه وفخامة معانيه (فادريت) اى ما علمت (ما اقول له) اى شيئا مما يناقضه وينافيه (وقد حكى عن غير واحد) اى عن كثيرين (ممن رام معارضته) اى قصد مناقضته (انه اعترته روعة وهيبة) اى اصابته فزعة وخشية (كف) اى منع نفسه وامتنع (بها) اى بتلك الروعة المقرونة بالهيبة (عن ذلك) اى عما قصده من محاولة المجادلة (فحكى ان ابن المقفع) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء المفتوحة اوالمكسورة فعين مهملة (طلب ذلك ورامه) اى قصده (وشرع فيه) اى فيما بداله على ظن ان كلامه يفيد مرامه من المعارضة لما فى القرآن من فنون البلاغة وفنون الفصاحة التى صار بها معجزة (فمر بصبى يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك فرجع) اى قبل ان يسمع بقية الآية (فمحا) اى مسح وغسل (ما عمل) اى على منوال القرآن ظنا منه ان مهملاته تصلح كونها معارضا فى مقام مناقضاته ومرام مجادلاته (وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر) اى حتى يناقض (وكان) اى ابن المقفع (من افصح اهل وقته) اى فى دقة فهمه وحدة فطنته (وكان يحيى ابن حكم) بفتح الحاء المهملة والكاف وفى المشتبه للذهبى ابن حكيم بزيادة ياء (الغزال) بتشديد الزاى وذكره الذهبى فى قسم المخفف من المشتبه واختاره الشمنى

(بلغ الاندلس) بفتح الهمزة والدال وقيل بضمهما اقليم بالمغرب وضم اللام متفق عليه (في زمنه فحكي) بصيغة المجهول (انه رام) اي اراد (شيئا من هذا) اي الذي ذكر من المعارضة (فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها) اي ليأتي على اسلوبها (وينسج) بكسر السين وضمها (بزعمه) بضم الزاي وفتحها اي وينظم الكلام ويسرد المرام بمقتضى ظنه وبموجب وهمه (على منوالها قال) اي يحيى المذكور (فاعترتني منه خشية ورقة) اي اصابتني هيبة ولينة (حملتني على التوبة) اي عن تلك الارادة التي هي اقبح المعصية (والانابة) اي وعلى الرجوع الى الله تعالى والاقبال عليه في طلب العفو والمغفرة

﴿ فصل ﴾

(ومن وجوه اعجازه المعدودة) اي عند علماء الاعيان (كونه آية باقية) اي على صفحات الزمان متلوة في كل مكان (لا تعدم ما بقيت الدنيا) اي لا تعقد مدة ما اراد الله تعالى بقاء الدنيا واهلها في خير وعافية (مع تكفل الله تعالى بحفظه) اي من النقصان والزيادة (فقال) اي الله سبحانه وتعالى ردا لانكارهم واستهزائهم في يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اي بحملنا القراء على حفظه ولذا ورد اهل القرآن اهل الله وخاصته (وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) اي لا يجد اليه سبيلا ليتعلق به (الآية) يعني تنزيل من حكيم حميد (وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام) اي عدا سائر معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (انقضت بانقضاء اوقاتها) اي مضت بانقطاع ساعاتها (فلم يبق) وفي نسخة ولم يبق (الاخبرها) اي عند اندراس آثارها (والقرآن العزيز) اي البديع المنيع (الباهرة آياته الظاهرة معجزاته) اي اللائحة مبانيه واللامعة معانيه (على ما كان عليه) اي في اول مباديه (اليوم) بالنصب اي الى يومنا هذا (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وفي نسخة وسبع عطف بيان وقال الدلجي اليوم خبر المبتدأ اعني القرآن ومابينهما صفات له هذا وفي نسخة منذ خمسمائة عام الخ وهذا تاريخ زمن المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال (لاول نزوله اي الى وقتنا هذا) ونقول وكذا مدة الف وزيادة عشر الى زماننا هذا (حجته قاهرة) اي بينته غالبة وفي نسخة ظاهرة اي مبينة (ومعارضته ممتنعة والاعصار) اي اهلها من ارباب القرى واصحاب الامصار (كلها طافحة) اي مملوءة وفائضة (باهل البيان) اي في الفصاحة (وحملة علم اللسان) اي اللغة (وائمة البلاغة وفرسان الكلام) اي في ميدان المرام (وجهابذة البراعة) اي المهرة في تقدم الصناعة وهو بفتح الجيم وكسر الموحدة جمع الجهبذ والبراعة مصدر برع اذا فاق (والملحد) اي والحال ان المائل عن الحق الى الباطل (فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد) اي المخالف والمناوي لهم حاضر مهيئ في مقام النكير وفي نسخة عنيد بالنون اي معاند شرير (فما منهم من اتى بشئ يؤثر) اي يروى (في معارضته ولا الف كلمتين) اي ولا ركبهما والف بينهما (في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح) اي لم يجد في القرآن محلا يتعلق به طعن صحيح او عيب صريح (ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك) اي في طعنه (الا بزند شحيح) اي باخراج النار عند وريه فلم يور بقدحه وتحقيقه ان الزند بفتح الزاي وسكون النون قد يراد به موصل طرف الذراع في الكف وقد يطلق على العود الذي يقدح به النار وهو الاعلى والزندة بالهاء هي السفلى وهو في المدن قطعة حديد تضرب بحجر صلد والظاهر ان القاضي قصد معنى الزند ووصف كلا منهما بالشحيح اما العضو فشحه ان لا يخرج درهما اودينارا واما زند النار فشحه كونه لا يخرج نارا وفي الجمع بينهما اشارة الى غاية القلة (بل المأثور) اي المروي والمحكي (عن كل من رام ذلك) اي قصد الطعن فيه (القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه) اي التأخر في الرجوع بالقهقرى اي الى الورى

﴿ فصل ﴾

(وقد عد جماعة من الائمة) وهم علماء السلف (ومقلدي الامة) بفتح اللام وهم فضلاء الخلف (في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله) بفتح الميم وتشديد اللام اي لا يسأمه (وسامعه لا يمجه) بضم الميم وتشديد الجيم اي لا يدفعه (بل الاكباب) اي الاقبال والادمان (على تلاوته يزيده حلاوة) اي لذة (وترديده) اي تكراره (يوجب له محبة) اي يقتضي زيادة مودة فقد ورد من احب شيئا اكثر ذكره (لا يزال غضا طريا) اي لا تزول طراوته وطلاوته (وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه) اي تمام نظام المرام (يمل مع الترديد) اي في السمع (ويعادى) بفتح الدال اي ويكره في الطبع (اذا اعيد) لقولهم المعادات معاداة ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضل كلام الله على غيره كفضل الله على خلقه (وكتابنا) اي الذي فيه خطابنا وعتابنا وثوابنا وعقابنا (يستلذ به في الخلوات ويؤنس) بالهمز ويسهل وبالنون مخففا ومشددا اي ويستأنس (بتلاوته في الازمات) بفتح الهمز والزاي جمع ازمة بفتح فسكون وهي الشدة اي في اوقات الآفات (وسواه من الكتب) اي المؤلفات المصنوعة والمركبات الموضوعة (لا يوجد فيه ذلك) اي

ماذكر من اللذة والانسة المطبوعة (حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم) اى تنشيط انفسهم وضرهم (على قرا تها ولهذا) اى لما اختص به القرآن من حسن البيان المستغنى عن الاتيان بانواع الالحان (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بانه لايخلق) كما رواه الترمذى وغيره عن على كرم الله وجهه مرفوعا القرآن لايخلق وهو بفتح الياء وضم اللام لاافصحها كما فى نسخة نقلها الحلبى وتبعه الحجازى او بضم ياء وكسر لام اى لايبلى (على كثرة الرد) اى مع كثرة ترديده وتكريره (ولا تنقضى عبره) بكسر ففتح جمع عبرة اى لاتنتهى مواعظة المعتبرة (ولاتفنى عجائبه) اى لاتنفد عجائب مبانيه وغرائب معانيه (وهو الفصل) اى البالغ فى الفرق بين الحق والباطل (ليس بالهزل) اى امره جد كله (لايشبع منه العلماء) اى تدبرا وتبصرا وعبارة واشارة (ولاتزيغ) اى ولا تميل (به الاهواء) عن طريق السواء (ولا تلتبس به الالسنة) اى ولا تشتبه به اللغات المختلفة المتناقضة (هو الذى لم تنته الجن) اى طائفة من جن نصيبين وفى صحيح مسلم انهم كانوا من الجزيرة ولامنع من الجمع (حين سمعته ان قالوا) اى لم يتوقفوا عن قولهم لبعضهم اولقومهم حين رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) اى مقروأ عجيبا من جهة جزالة مبانية ومد لولا غريبا من فخامة معانيه بديعا فى بلاغته ومنيعا فى فصاحته (يهدى الى الرشد) اى صوب الصواب اوالى طريق الثواب والعقاب هذا وذكر ابوعلى الغسانى فى مناقب عمر بن عبدالعزيز قال بينما عمر يمشى بارض فلاة فاذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها واذا قائل يقول ياسرق اشهد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لك ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل صالح فقال من انت يرحمك الله تعالى فقال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الاانا وسرق هذا سرق قد مات (ومنها جمعه لعلوم) اى كلية (ومعارف) اى جزئية (لم تعهد العرب عامة ولا محمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها) اى بعلم شئ منها (ولا القيام بها) اى الدوام والثبات عليها (ولايحيط بها احد من علماء الامم) اى من احبار اليهود والنصارى وغيرهم (ولايشتمل عليها كتاب من كتبهم) اى من السماوية وغيرها (فجمع) بصيغة المجهول اى فجمع الله (فيه من بيان علم الشرائع) اى اصولها وفروعها من النقليات (والتنبيه) اى فى اثناء التعبيرات (على طرق الحجج) اى انواع الدلالات (العقليات) وفى نسخة العقلية (والرد على فرق الامم) اى من ارباب الضلالات (ببراهين قوية) اى قاهرة (وادلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) اى المبانى (موجزة المقاصد) بصيغة المجهول اى مختصرة المعانى (رام المحذلقون) بالحاء المهملة والذال المعجمة من الحذق زيدت فيه اللام للمبالغة والتاء للمطالبة اى قصد المبالغون فى الحذاقة اذا ظهروا المهارة فى مقام الفصاحة والبلاغة (لبعد) اى بعد ورودها فى عالم وجودها (ان ينصبوا ادلة مثلها) اى مشابهتها فى الجملة (فلم يقدروا عليها) اى على ان يقربوا اليها وانى لهم المقدرة على مقاومة المعجزة (كقوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض) اى مع كبرهما وسعة قدرهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) اى مع صغر جرمهم بلى جواب من الله ايماء الى ان لاجواب سواه اى بلى قادر على خلقهم ابتداء وايجادهم انتهاء وهو الخلاق العليم يعنى الايعلم من خلق (وقل) اى وكقوله سبحانه وتعالى قل (يحييها الذى انشأها اول مرة) اى لبقاء قدرته وفق ارادته وقابلية المادة على حالته وهو بكل خلق عليم اى باعضائه واجزائه (ولو كان فيهما آلهة الا الله) اى غيره (لفسدتا) اى لخرجتا عن نظامهما واختلتا عن مراسمهما الوجود التمانع المانع من اتمامهما (الى ماحواه) اى منضما الى ماجمعه القرآن اومع مااشتمله الفرقان (من علوم السير) بفتح فكسر جمع سيرة اى المفهومة من اخبار الانبياء والاصفياء (وانباء الامم) اى احوالهم الاعم من الاحباء والاعداء (والمواعظ) اى بالترغيب فى ولائه والترهيب عن بلائه (والحكم) بكسر ففتح اى الكلمات المرشدة الى تكميل النفوس الانسانية باقتباس العلوم الربانية كقوله تعالى حكاية عن لقمان يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة اوفى السموات اوفى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير (واخبار الدار الآخرة) اى من النعيم المقيم والجحيم الاليم (ومحاسن الآداب والشيم) بكسر ففتح اى الاخلاق فى جميع الابواب (مما تقدم ذكره) اى بيانه بقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (قال الله جل اسمه) اى عظم اسمه ومسماه (مافرطنا فى الكتاب) اى القرآن الجامع للفصول والابواب (من شئ) يحتاج اليه ارباب الالباب (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) اى مما يحتاج اليه فى امر الدين (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) اى بينا لهم فيه بعض الامثال الحكمية ليقتبسوا المعانى الحقيقية من صور المبانى الحسية (وقال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الترمذى عن على وتقدم بعضه واورده هنا بتغيير بعض لفظه وبزيادة فى صدره (ان الله انزل هذا القرآن آمرا) اى بكل معروف واجبا كان اوندبا (وزاجرا) اى ناهيا عن كل منكر حراما كان اومكروها

(وسنة خالية) اى طريقة متبعة ماضية (ومثلا مضروبا) اى مبينا ومعيناقى الالسنة الجارية (فيدنبأ كم) اى الخبر المتعلق بكم (وخبر من كان قبلكم) اى من الامم السالفة (ونبأ مابعدكم) اى مما يكون الى يوم القيمة (وحكم ما بينكم) بفتح الحاء والكاف اى والحكم الذى تحتاجون اليه فيما بينكم مما لكم وعليكم (لا يخلقه) بضم الياء وكسر اللام اى لايبليه (طول الرد) اى كثرة تكراره وترديد اخباره (ولا تنقضي عجائبه) اى لا تنتهى غرائبه (هو الحق) اى الحكم العدل (ليس بالهزل) بل هو الجد فى بيان الفصل (من قال به صدق) اى فى قوله (ومن حكم به عدل) اى فى حكمه (ومن خاصم به فلج) بفتح الفاء واللام والجيم اى غلب على مرغوبه وظفر بمطلوبه (ومن قسم به) بتخفيف السين ويجوز تشديده اى عين قسط كل واحد ونصيبه فى حكم متعلق به (اقسط) اى عدل فى امره واصاب فى حكمه يقال اقسط فهو مقسط اذا عدل ومنه قوله تعالى ان الله يحب المقسطين وقسط فهو قاسط اذاجار ومنه قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فهمزة اقسط للسلب كما فى سكا اليه فاشكاه اى ازال شكواه (ومن عمل به اجر) بصيغة المفعول اى اثيب على عمله من عند ربه وفضله (ومن تمسك به) اى تشبث علما وتعلق عملا (هدى) بصيغة المجهول اى هداه الله فاهتدى (الى صراط مستقيم) اى مذهب قويم ودين كريم (ومن طلب الهدى من غيره) اى من غير بابه (اضله الله) اى اعما بحجابه (ومن حكم بغيره) اى عدولا عن حكمه وامره (قصمه الله) اى كسره واهلكه وفى الحديث استغنوا عن الناس ولو بقصمة السواك وهى بالكسر ماانكسر منه بابائه وفى رواية واوبشوص السواك على مارواه البزار والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس وفى النهاية سوص السواك غسالته وقيل ما يتفتت منه عند تسوكه (هو الذكر الحكيم) اى المشتمل على الحكم والاحكام والحاكم على وجه الاتقان والاحكام (والنور المبين) اى الظاهر والمظهر لليقين (والصراط المستقيم) اى ذو الاستقامة المنتهى الى الفوز بالسعادة والكرامة معاشا ومعادا (وحبل الله المتين) من المتانة وهى القوة اى عهده المحكم الذى لاينقطع وسبب وصول وعده الذى لايمتنع وقال ابن الاثير حبل الله نور هداه وقيل عهده وامانه الذى يؤمن من العذاب والحبل للعهد والميثاق انتهى (والشفاء النافع) اى لكل داء وبلاء (وعصمة لمن تمسك به) اى معتصم ونيق لمن تشبث به وتعلق بذيله وفيه وفيما قبله اقتباس من قوله واعتصموا بحبل الله (ونجاة لمن اتبعه) بتشديد التاء اى تبعه علما وعملا (لايعوج) بتشديد الجيم (فيقوم) بفتح الواو المشددة ونصب الميم اى لايميل عن صوب الاستقامة فيحتاج الى تقويم العدالة (ولايزيغ) اى ولايميل عن منهج الحق (فيستعتب) اى فيحتاج الى العتب فى عدوله عن نهج الصدق (ولاتنقضى عجائبه ولايخلق) بالوجهين (على كثرة الرد) اى الترداد والتكرار فى العد (ونحوه) اى نحو هذا الحديث فى المعنى مع اختلاف فى المبنى (عن ابن مسعود) كما رواه الحاكم عنه مرفوعا (وقال) اى ابن مسعود (فيه) اى فى مرويه (ولا يختلف) بالفاء اى ليس محلا للاختلاف بل وقع مبناه ومعناه على وجه الائتلاف والمعنى ماوجد فيه احد تخالفا يسيرا ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى نسخة بالقاف فهو بمعنى لايخلق على كثرة الرد كما سبق (ولايتشان) بتشديد النون بعد الالف مأخوذ من الشن كما صرح به الهروى وابن الاثير فى هذا الحديث وقال التمنى هو الصواب وهو الجلد اليابس البالى اى لاتذهب طلاوته ولاتبلى طراوته حين تكرر تلاوته وترداد قراءته لما اودع فيه من بدائع الكمال وروائع الجمال وفى نسخة صحيحة ولايتشاءا بنون مخففة بعدها همزة من الستثان ولكن ينبغى ان يضبط بصيغة المجهول واما ماذكره الحلبى من انه بفتح اوله ثم مثناة فوق مفتوحة ثم شين معجمة ثم الف ثم نون ثم همزة ممدودة ونسبه الى النسخة التى وقف عليها فلا يصح بوجه اى لايبنا غض ولايكره ولايمل (فيه نبأ الاولين والآخرين) اى بما وقع لهم فى الدنيا وبما سيقع لهم فى العقبى (وفى الحديث) اى القدسى من رواية ابن ابى شيبة مرسلا لكن بلفظ انزلت على محمد توراة محدثة فيها نور الحكمة وينابيع العلم ليفتح بها اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما وروى ابن الضريس فى فضائل القرآن عن كعب انه قال فى التوراة (قال الله تعالى لمحمد انى منزل عليك) بالتخفيف والتشديد اى ملق اليك (توراة) اى كتابا كالتوراة اوماجمع مضمون مافى التوراة (حديثة) اى جديدة الانزال اى قريبة العهد من الملك المتعال (تفتح بها اعينا عميا) اى عن سنن الحق (وآذانا صما) اى عن استماع الصدق (وقلوبا غلفا) اى ممنوعة عن طريق الوفق وممتنعة عن وصول الرفق (فيها ينابيع العلم) اى هى منابع العلوم الكثيرة والمعارف العزيزة (وفهم الحكمة) اى وفيها معرفة الحكم الربانية والاحكام المحكمة الصمدانية (وربيع القلوب) اى وفيها من الانوار والاسرار نظير مايشتمل عليه فصل الربيع من ازهار اثمار الاشجار بواسطة الامطار (وعن كعب) اى كعب الاحبار ويقال كعب الحبر (عليكم بالقرآن) اى خذوا بمبانيه والزموا بمعانيه (فانه فهم العقول) اى غاية فهوم عقول الفحول (ونور الحكمة) اى لعين البصر

والبصيرة ونظر العبرة (قال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) اى اليهود والنصارى (اكثر الذى هم
فيه يختلفون) اى كلهم فيما بينهم اوكل صنف منهم من التشبيه و التنزيه وعزير وعيسى وما فيه من انواع التنبيه
(وقال هذا بيان للناس) اى لاحوالهم واحكامهم وآمالهم فى مآلهم (وهدى) لما فيه كمالهم (الآية) اى وموعظة
للمتقين اى نصائح فى اعمالهم بمآلهم وخص المتقين لكونهم المنتفعين (فجمع فيه) بصيغة المجهول اى فجمع الله
فى كلامه ماأراد من مرامه (مع وجازة الفاظه) بفتح الواو اى مع اختصار مبانيه (وجوامع كلمه) اى باعتبار آثار
معانيه (اضعاف مافى الكتب) اى المنزلة على الانبياء (قبله التى الفاظها على الضعف) بالكسر اى الزائد
(منه) اى من القرآن (مرات) لاشتمالها على الاطناب الموجب لتكثير كلمات واحتواء القرآن على ايجاز بحسب
البلاغة والفصاحة موجب الاعجاز (ومنها جمعه فيه) اى جمع الله سبحانه وتعالى فى كلامه عزشانه (بين الدليل ومدلوله)
اى برهانه وتبيانه (وذلك) اى وسبب ذلك الجمع فى معرض البيان (انه احتج بنظم القرآن) اى بادخال جواهر
معانيه فى سلك مبانيه (وحسن وصفه) اى وبحسن وصفه حيث صيغ حلى كلماته فى قوالب مقاماته وفى نسخة
وصفه بالراء بدل الواو اى تركيبه وصفه من تهذيبه (وايجازه) اى باتيان معان كثيرة فى مبان يسيرة وفى اصل الدلجى
واعجازه اى كل منطيق فصيح (وبلاغته) اى الرائعة المنظمة الى فصاحته البارعة (واثناء هذه البلاغة) اى
فى خلالها (امره ونهيه و وعده و وعيده فالتالى له) اى ممن يدرك معانيه (يفهم مواضع الحجة والتكليف) باعتبار
مبانيه (معا) اى مجتمعين فى بيان علومه (فى كلام واحد) اى باعتبار منطوقه ومفهومه (وسورة منفردة) اى
باعتبار عبارتها واشارتها فيفهم مثلا من قوله تعالى فلا تقل لهما اف تحريم غير الاف بالاولى وان الكف عنه
اقوى ومن قوله فصل لربك وانحر انه حجة لوجوب صلاة العيد والاضحية وانه مكلف بهما فى القضية (ومنها ان جعله)
اى الله سبحانه (فى حيز المنظوم) بفتح الحاء وتشديد التحتية المكسورة اى فى مقامه (الذى لم يعهد) اى لم يعرف مثله
ولم يسبق قوله بمثله ذا قرائن لها فواصل معلومة القوافى كقوافى الابيات المنظومة (ولم يكن فى حيز المنثور) اى
المتفرق الخارج عن هيئة المنظوم (لان المنظوم اسهل) اى من المنثور (على النفوس) اى فى درك مبانيه (واوعى
للقلوب) اى واحفظ لها فى اخذ معانيه (واسمح) بالحاء المهملة افعل تفضيل من السماح وهو بمعنى الجود والكرم
والمسامحة هى المساهلة وتسامحوا تساهلوا ومنه حديث السماح رباح اى اسهل قبولا واقرب وصولا (الى الآذان)
بمد الهمزة جمع الاذن والمراد بها الاسماع واغرب الدلجى فى قوله اسمح بحاء مهملة من الاسماح لغة فى السماح
انتهى ووجه غرابته لا يخفى وقال الحلبى بالحاء المهملة من سمح العود اذا لان انتهى وهو تكلف مستغنى عنه
مع ان صاحب القاموس استاذه ذكر اسمحت الدابة لانت بعد استصعاب وعود سمح لاعقدة فيه انتهى
وكلاهما لا يلائم المقام كما لا يخفى على طباع الكرام هذا وقدم الحلبى على هذا قوله اسمح هو من سماخ الاذن اى
اسرع استقرارا فى سماخ الاذن انتهى ويؤيده انه فى نسخة اسمع بالعين المهملة (واحلى على الافهام) لاشتمال ما فيه
من التلاوة على انواع من الحلاوة مع زيادة الطراوة والطلاوة (فالناس اليه اميل و الاهواء اليه اسرع) اى
واقبل والحاصل ان منهجه ليس على طريق الشعراء فى نظمهم وقوافيهم ولا على طريق الخطباء فى التزام سجعهم
فى اواخر مبانيهم بل كلام بديع منيع يباين كلام غيره سبحانه وتعالى مع عظمة شانه وسلطنة برهانه (ومنها تيسيره)
اى تسهيله (تعالى حفظه لمتعلميه) اى طالبى تعلمه نظرا (وتقريبه) اى تهوينه (على مستحفظيه) اى طالبى حفظه
غيبا (قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) تمام الآية فهل من مدكر كما فى نسخة اى من متعظ واصله مذتكر
(وسائر الامم) اى وبواقيها (لا يحفظ كتبها الواحد) اى كل ما يطلق عليه اسم الواحد (منهم) فاللام للعهد الذهنى الذى
هو فى المعنى نكرة وهى فى سياق النفى تفيد العموم وحينئذ يناسب قوله (فكيف الجماء) وفى نسخة الجم اى فيستبعد
ان يحفظه الجم الغفير والجمع الكثير (على مرور السنين عليهم) وفى نسخة الاعوام جمع عام بمعنى سنة (والقرآن)
اى بحمد الله والمنة (ميسر) وفى نسخة متيسر (حفظه على الغلمان) بكسر الغين جمع غلام اى الاولاد الصغار
(فى اقرب مدة) اى كسنة واقل اواكثر بحسب مراتب جودة الذهن والفطنة والفطرة (ومنها مشاكلة بعض اجزائه
بعضا) اى مشابهته فى تناسب مبانيه وتجاذب معانيه (وحسن ائتلاف انواعها) اى امرا ونهيا ووعدا ووعيدا وقصة
وموعظة (والتئام اقسامها) اى توافقها فى سلامة التركيب وسلاسة الترتيب (وحسن التخلص) اى الانتقال
(من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه) اى المأخوذة من تفاوت مبانيه (وانقسام
السورة الواحدة الى امر ونهى وخبر واستخبار و وعد و وعيد واثبات نبوة) اقول وقد اجتمعت هذه الوجوه فى آية
وهى قوله تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده مع زيادة الاعتذار بقوله

وهم لايشعرون مع التنبيه لهم فى صدر الآية بالنداء وتنزيل النمل منزلة العقلاء وغير ذلك من الاشارات والايماء وتوحيد) اى فى الذات (وتفريد) اى فى الصفات (وترغيب) اى الى الطاعة بالمثوبة (وترهيب) اى عن المعصية بالعقوبة (الى غير ذلك من فوائده) اى منضمة الى ماعدا ذلك من منافعه وعوائده مما يلتقط من مساقط موائده كضرب مثال وبيان حال واشعار ايثار يوجب للسالك وصوله (دون خلل يتخلل فصوله) اى انواع ابواب مما يقتضى حصوله وابعد الدلجى فى جعل الفصل بمعنى الفاصلة (والكلام الفصيح) كان الاظهر ان يقول اذ الكلام او لان الكلام الفصيح ولو كان على المنهج الصحيح والغرض الصريح (اذا اعتوره) اى تداوله وفى اصل الدلجى اذا اعتراه اى غشيه والم به (مثل هذا) اى الذى يتخلل الفصول وهو فى الحقيقة بمعنى الفضول (ضعفت قوته) اى نزلت مرتبته فى فن البلاغة (ولانت جزالته) اى وهانت منزلته عن درجة عظمة الفصاحة (وقل رونقه) اى حسنه وبهجته فى تأديته الحلاوة (وتقلقلت الفاظه) اى اضطربت مبانيها واختلفت معانيها وفى نسخة تقلقت بلام واحدة مشددة اى صارت قلقة فى المبنى وغلقة فى المعنى (فتأمل) اى فى بيان المراد (اول ص) اى سورتها حيث صدرها بقوله ص اى ياصادق والقرآن ذى الذكر اى صاحب العز والشرف للموافق (وماجمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم) وخلافهم مع سيد الابرار بقوله تعالى حكاية عنهم بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى استكبار عن الحق واستدبار عن الصدق (وتقريعهم) اى ومن توبيخهم وتخويفهم (باهلاك القرون من قبلهم) بقوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص (وماذكر من تكذيبهم لمحمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وتعجبهم مما اتى به) اى حيث قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (والخبر عن اجتماع ملائهم) وفى نسخة عن اجماع ملائهم (على الكفر) وذلك لما روى ان عمر رضى الله تعالى عنه لما اسلم شق ذلك على قريش فقال اشرافهم لابى طالب انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فقال له هؤلاء قومك يسئلونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال ماتسئلوننى قالوا ارفضنا وآلهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ماسألتم امعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب اى فى غاية من العجب (وماظهر من الحسد فى كلامهم) اى من قوله تعالى حكاية عن مرامهم ءانزل عليه الذكر من بيننا (وتعجيزهم) اى بقوله تعالى فليرتقوا فى الاسباب (وتوهينهم) اى وتحقيرهم بقوله سبحانه وتعالى جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب (ووعيدهم بخزى الدنيا) وفى نسخة بخزى فى الدنيا اى بهزيمتهم فيها (والاخرة) اى بذوق عذاب النهما (وتكذيب الامم قبلهم) اى انبياءهم ورسلهم (واهلاك الله لهم) اى للمكذبين منهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب (ووعيده هؤلاء) يعنى قريشا واضرابهم (مثل مصابهم) بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حمله على الصبر (على اذاهم) اى الذى من جملته مابلغوا فى تكذيبهم له وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فسلاه بقوله تعالى اصبر على مايقولون اى لاتبال بقولهم ولاتكترث بفعلهم ولكن معنا مشاهدا لنا فى آياتنا وقدرتنا على كائنا تنا (وتسليته) اى الشاملة (بكل ماتقدم ذكره) اى بيانه عنهم (ثم اخذ) اى شرع بعد تسليته (فى ذكر داود) اى بقوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب اى كثير الرجوع الى ابواب رب الارباب فانت كذلك لازم الباب ولا تلتفت الى ماصدر من ارباب الحجاب واما ماذكره الدلجى هنا فمما لايصلح ان يفسر به فصل الخطاب ولذا اعرضت عن ذكره فى الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (وقصص الانبياء) اى حكاياتهم كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم عليهم السلام مع مااشتمل عليه من عظيم الثناء وكريم العطاء (كل هذا) اى الذى ذكره اول ص (فى اوجز كلام واحسن نظام) اى وتم مرام (ومنه) اى من اعجاز القرآن او من هذا القبيل الذى ذكر اول ص من ايجاز الفرقان (الجملة) الاولى الجمل (الكثيرة) اى من جهة المعانى (التى انطوت) اى اشتملت (عليهم الكلمات القليلة) اى من حيثية المبانى (وهذا) اى ماذكر (كله) اى جميعه (وكثير مما ذكرنا انه ذكر فى اعجاز القرآن الى وجوه) اى مع وجوه او منضما الى وجوه (كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها) اى نحن فى وجوه اعجازه (اذا كثرها داخل فى باب بلاغته) اى المتضمنة لمراتب فصاحته (فلا يجب ان يعد) بصيغة المجهول اى فلايليق ان يجعل على حدته وفى نسخة صحيحة فلانحب اى لانود ان نعد بنون المتكلم فيهما (فنا مفردا) وفى نسخة منفردا اى من انواع بلاغته (فى اعجازه الا فى باب تفصيل فنون البلاغة) وفى نسخة صحيحة بالضاد المعجمة (وكذلك) اى مثل ماهو داخل فى بابها (كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه) اى التى لاتوجد فى غيره (وفضائله) اى الزائدة عن نحوه

(لااعجازه) بالجر وفى نسخة صحيحة لافى اعجازه (وحقيقة الاعجاز) اى مابه العجز (الوجوه الاربعة التى ذكرناها) اى فى فصولها (فليعتمد عليها وما بعدها) واما ماعداها مما ذكرنا فانما هو (من خواص القرآن وعجائبه التى لا تنقضى) اى لا تنتهى غرائبه وهذا غاية التحقيق (والله ولى التوفيق)

﴿ فصل ﴾

(فى انشقاق القمر وحبس الشمس) قال اليمنى لا يسمى قمرا الابعد مضى ثلاث ليال من الشهر والكرة الارضية اكبر منه بمقدار مائة وعشرين مرة ومن جملة خواصه انه يبلى الكتان اذا ترك فى سمره ويعفن اللحم اذا ترك تحته واما الشمس فيقال انها تنور العالمين العلوى والسفلى وان الله جعل فيها خواص اصلاح العالم من الحيوان والنبات والمعدن (قال الله تعالى اقتربت الساعة) اى قربت غاية القرب (وانشق القمر) روى ان الكفرة سألوه آية فانشق ويؤيده قرآءة حذيفة وقد انشق القمر ويقويه قوله (وان يروا آية) اى معجزة (يعرضوا) اى عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) اى دائم لترادف الآيات وتتابع المعجزات (اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى) اى فيجب تحققه حقيقة ولا يجوز صرفه الى المجاز بلا ضرورة وحمله على انه سينشق يوم القيامة وانه عبر بالماضى لتحقق وقوعه فى المستقبل (واعراض الكفرة عن آياته) اى واخبر تعالى باعراضهم عن آياته وهذا مما يدل على وقوعه فانه لا يتصور الاعراض الحقيقى قبل تحققه (واجمع) وفى نسخة صحيحة بالفاء اى فلهذا اجمع (المفسرون) اى من السلف (واهل السنة) اى ارباب الحديث اواهل السنة والجماعة الجامعون بين الكتاب والسنة من السلف والخلف (على وقوعه) قال الانطاكى فى قول القاضى اجمع المفسرون نظر فقد نقل السجاوندى والنسفى فى تفسيرهما عن الحسن البصرى ان معناه سينشق عند الساعة وكذا ابو الليث قال فى تفسيره واكثر المفسرين قالوا ان هذا قد مضى انتهى ويمكن دفعه بانه اراد بالمفسرين المشهورين منهم اوانه لم يطلع على خلافهم وعلى تقدير الخلاف لا يلزم عدم وقوع انشقاق القمر فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اجمعوا على تحققه بالاحاديث السنة وانما الخلاف فى معنى الآية هل يراد به الانشقاق الماضى او الانشقاق الآتى والله سبحانه وتعالى اعلم (اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ) اى ابو على الغسانى (من كتابه) لان المصنف ليس له الا الاجازة فى بابه (ثنا) اى حدثنا (القاضى سراج بن عبد الله ثنا الاصيلى ثنا المروزى) تقدم ذكرهما (ثنا الفربرى) بكسر الفاء وفتح الراء وقيل غيره وقد سبق ذكره (ثنا البخارى) اى صاحب الجامع الصحيح (ثنا مسدد) بفتح الدال المهملة المشددة وهو كاسمه مسدد بصرى اسدى (ثنا يحيى) اى ابن سعيد روى عنه احمد وغيره واخرج له الائمة الستة (عن شعبة) اى ابن الحجاج امير المؤمنين فى الحديث (وسفيان) اى ابن عيينة احد الاعلام وهو الاعور الكوفى (عن الاعمش عن ابراهيم) اى النخعى (عن ابى معمر) بفتح الميمين ازدى كوفى مخضرم (عن ابن مسعود) اى موقوفا كما ساقه القاضى عن البخارى وقد اخرجه البخارى فى تفسيره وقد اخرجه ايضا عنه مسلم والترمذى والنسائى وقال الترمذى حسن صحيح (قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى زمانه (فرقتين) اى فلقتين كما فى رواية الترمذى عن ابن عمر بمعنى قطعتين وفى الصحيحين بلفظ شقين بكسر الشين المعجمة اى نصفين وفى لفظ فى حديث جبير فانشق القمر باثنتين وفى رواية ابى نعيم فى الدلائل فصار قمرين (فرقة) بالنصب على البدلية ويجوز رفعها على الابتدائية اى منهما فرقة (فوق الجبل) اى جبل حراء او ابى قبيس (وفرقة دونه) اى اسفل منه اوقريب منه هذا وقد قال الحجازى يجوز النصب والضم افصح منه ومنه قوله تعالى قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله قلت وقد يقال الضم اصح اذا فصل النعت والا فالبدل فى مثل هذا التركيب افصح كما حقق فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لما رآه منشقا (اشهدوا) الظاهر انه خطاب للكفار فانهم اهل الانكار والمعنى اشهدوا على نبوتى او الخطاب للمؤمنين فالمعنى اشهدوا على معجزتى واخبروا من بعدى من امتى (وفى رواية مجاهد) اى فى الصحيحين عن ابن مسعود زيادة قوله (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض طرق الاعمش ونحن بمنى) وفى نسخة زيادة قوله بمنى وهذا لا يعارض قول انس وذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلاة والسلام كان ليلته بمكة فمراده ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وفيه ايماء الى انه لم يشاهد القضية بالرؤية بل وصلت اليه بالرواية لانه اذ ذاك كان ابن اربع اوخمس بالمدينة (ورواه) اى الحديث المذكور (ايضا عن ابن مسعود الاسود) اى كما ذكره احمد فى المسند واسود هذا تابعى جليل روى عن عمر رضى الله تعالى عنه وعلى ومعاذ وغيرهم له ثمانون حجة وعمرة وكان يصوم حتى احضر ويختم القرآن فى ليلتين (وقال) اى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل بين فرجتى القمر) بضم الفاء وتفتح اى فلقتيه (ورواه) اى الحديث المسطور (عنه) اى عن ابن مسعود (مسروق انه) اى الانشقاق (كان بمكة) كما رواه البيهقى فى دلائله

(وزاد) اى مسروق فى رواية عنه (فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة) بفتح كاف فسكون موحدة فشين معجمة يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابو كبشة اسم رجل تأله قديما وفارق دين الجاهلية وعبد الشعرى فشبه المشركون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به وقيل بل كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخت من الرضاعة تسمى كبشة وكان ابوه من الرضاعة يكنى بها وقيل بل كان فى اجداده لامه من يكنى بذلك قيل وذكر بعضهم ان جماعة من جهة ابيه وامه يكنون بابى كبشة (فقال رجل منهم) وروى من القوم قيل انه ابو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) اى لعيونكم وقت السحر (فانه لايبلغ من سحره ان يسحر الارض) اى اهلها (كلها) اى جميعها (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا) اى الانشقاق (فأتوا) اى جاء بعضهم من بلد آخر (فسألوهم) اى اهل مكة من قريش (فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك) اى كما ذكر من انشقاق القمر فرقتين (وحكى السمرقندى نحوه) اى بمعناه مع اختلاف فى مبناه (وقال) اى السمرقندى فيما رواه (فقال) وفى نسخة قال (ابو جهل هذا سحر) اى نوع من الاختلاف (فابعثوا الى اهل الآفاق) اى بنسبتهم الى اختلاف المطالع فى حيز الخلاف والشقاق (حتى تنظروا ارأوا ذلك ام لا) اى اومارأوا ذلك كذلك هنالك (فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا) اى بوصف الانشقاق (فقالوا) يعنى الكفار (هذا سحر مستمر) اى دائم بنعت الاستمرار او ذاهب وماض وزائل ومار (ورواه) اى الحديث السابق (عن ابن مسعود علقمة) اى ابن قيس الليثى النخعى ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وروى عن اصحابه الكرام كابى بكر وعمر وعثمان وغيرهم (فهؤلاء الاربعة) اى مجاهد وابو معمر والاسود ومسروق وعلقمة (عن عبد الله) اى رووه كلهم عن ابن مسعود على وفق مارواه عنه معمر فتدبر (وقد رواه غير ابن مسعود) اى من الصحابة (كما رواه ابن مسعود) اى فليس هو شاذا فى هذه الرواية (منهم) اى ممن رواه (انس وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنهما وهما وان لم يدركا باعينهما فقد سمعا من حضر وروى ومرسل الصحابة بالاجماع حجة (وابن عمر) اى فيما رواه مسلم والترمذى (وحذيفة) اى ابن اليمان كما عند ابن جرير وابن ابى حاتم وابى نعيم فى الدلائل (وعلى) اى ابن ابى طالب قال الدلجى لايعرف مخرجه (وجبير بن مطعم) اى على مارواه احمد والبيهقى عنه (فقال على من رواية ابى حذيفة الارحبى) بفتح الهمزة فسكون الراء ففتح الحاء المهملة فموحدة مكسورة فياء نسبة الى قبيلة من همدان وقيل الى مكان اخرج له مسلم والترمذى والنسائى وفى نسخة الارجى بجيم بعد راء ساكنة وفى اخرى بزاى بدل الراء قال الحلبى وكلاهما تصحيف والصواب ماتقدم والله تعالى اعلم (انشق القمر) هذا مقول على كرم الله وجهه وفى نسخة وانشق القمر بالواو العاطفة اما على كلام سبق له او اراد الحكاية (ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وقد شاهدناه (وعن انس سأل اهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية) اى معجزة باهرة وعلامة ظاهرة على صدق ماادعاه من النبوة والرسالة (فاراهم انشقاق القمر مرتين) اى فرقتين كما فى نسخة صحيحة (حتى رأوا حراء بينهما) وهو جبل على ثلاثة اميال من مكة على يسار المار منها الى منى وهو بكسر الحاء المهملة ممدود ويقصر ويصرف ولايصرف ويؤنث ويذكر وقد خطأ الخطابى فتح الحاء وقصر الراء وقال النووى والصحيح انه مذكر مصروف (ورواه) اى الحديث (عن انس قتادة) اى بهذا اللفظ (وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) اى عن انس (اراهم القمر مرتين) اى شقين او فلقتين ويؤيده انه فى نسخة فرقتين وقيل بمعنى كرتين وقوله (انشقاقه) بالنصب بدل اشتمال من القمر وفى صحيح مسلم فاراهم انشقاق القمر مرتين قال الحلبى هذه المسئلة فتشت عنها كثيرا حتى وجدتها فى كلام ابى عبد الله ابن امام الجوزية ذكرها فى كتابه اغاثة اللهفان فذكر كلاما وفيه ان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان تارة واكثر ماتستعمل فى الافعال واما الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين اى شقين وفلقتين ولما خفى هذا على من لم يحط به علما زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة فى زمانين وهذا مما يعلم اهل الحديث ومن له خبرة باحوال الرسول وسيرته انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الامرة واحدة انتهى وقال شيخى العراقى فى سيرته التى نظمها انه انشق مرتين بالاجماع وان ذلك متواتر وقد راجعته بكتاب وذكرت له فيه كلام ابن القيم فلم يرد جوابه على اقول ولعله اعرض عن الجواب اكتفاء بما بين فى الكتاب ان ارادة الفلقتين بالمرتين هو الصواب وقال العسقلانى واظن قوله بالاجماع يتعلق بقوله انشق لابمرتين فانى لااعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق ولعل قائل مرتين اراد فلقتين وهذا الذى لايتجه غيره جمعا بين الروايات هذا (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) اى النوفلى (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) اى ابن مسعود ولد اخى عبد الله بن مسعود وهو الفقيه الاعمى احد الفقهاء السبعة معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم (ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة

ابو عبد الرحمن السلمي) بضم ففتح هو الامام مقرئ الكوفة يروي عن عمر وعثمان وعنه عاصم ابن ابي النجود وابو اسحق (ومسلم ابن ابي عمران الازدي) والمقصود نفي توهم ان يكون احد من الرواة وقع منفردا اوشاذا في الرواية بل ثبت تعدد الصحابة والتابعين في اسناد هذه الحكاية (واكثر طرق هذه الاحاديث) اي مما بيننا و بين السلف (صحيحة والآية مصرحة) بكسر الراء اي ودلالة الآية في هذه القضية صريحة فتكاد ان تصير متواترة معنوية وان لم تكن لفظية (ولا يلتفت) بصيغة المجهول اي ولا ينظر عن صوب اقبال قبول (الى اعتراض مخذول) اي متروك النصرة من المبتدعة كطبقة المعتزلة وجمهور الفلاسفة وعامة الملاحدة الواقع في قول مائل الى المجاز وعادل عن الحقيقة في مدلول الآية منسبئا باصلهم الفاسد بان الاجرام العلوية لا يتأتى فيها الانخراق والالتيام ومتمسكا (بانه) اي الشان (لو كان هذا) اي الانشقاق واقعا اولو وقع هذا الامر (لم يخف على اهل الارض) اي كلهم اذ هو شئ ظاهر لجميعهم وهذا المقدار بيان الاعتراض واما بيان خذلانه فهو قوله (اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) اي انتظروا انشقاق القمر حتى نظروا شقاقه اوراوا خلافه في تلك الليلة وهذا معنى قوله (فلم يروه انشق) اي مع ان القاعدة الاصولية مضبوطة بان رواية المثبت مقدمة على رواية النافي بلا شبهة كما في رواية الهلال مشاهدة هذا ومن المعلوم انهم لم يترصدوه لكونهم غافلين عن القضية ذاهلين عن المقدمة المطوية وانما اراد المصنف فرض الوقوع في البلية فبطل قول الدلجي بعد قوله فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف رصده على معرفة انه سينشق في ليلة فيرصدونه ثم قال المصنف على طريق ارخاء العنان مع الخصم في ميدان البيان (ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم) اي توافقهم وتواطؤهم (لكثرتهم) اي المتعاضدة (على الكذب لما كانت علينا به) اي بسبب نفيهم على فرض ترصدهم (حجة) اي دلالة قاطعة ملزمة (اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض) اي لاختلاف مطالعه وتباين مقاطعه كما بينه بقوله (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين) وفي نسخة على آخرين (وقد يكون) اي القمر في مرءى (من قوم بضد ماهو من مقابلتهم) اي بضد مرءى من قوم مخالفيهم (من اقطار الارض) اي جوانبها (او يحول بين قوم وبينه) اي بين القمر (سحاب اوجبال) وكذا حجاب (ولهذا) اي ولكونه ليس في حد واحد من العباد (تجد الكسوفات) اي محو احد النيرين (في بعض البلاد دون بعض) اي من البلاد حتى لا يوجد فيها كسوف اصلا وقد نقل الحافظ المزي عن ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه وجد في بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه بني ليلة انشق القمر (وفي بعضها) اي ونجد الكسوفات في بعض البلاد اوفي بعض الاوقات بالنسبة الى بعض العباد (جزئية) اي وقوعها باعتبار بعض اجزائه (وفي بعضها كلية) اي وقوعها يستوفي اطرافه كلها (وفي بعضها لا يعرفها) اي الكسوفات (الا المدعون لعلمها) اي الماهرون والحاذقون بمعرفتها (ذلك تقدير العزيز) اي الغالب بقدرته (العليم) اي المحيط علمه بارادته وحكمته ووقع في اصل المصنف الحكيم بدل العليم ولا يرد عليه انه مخالف للفظ التنزيل لانه ما قصد به الآية اذ ليس عليه شئ من الدلالة هذا (وآية القمر كانت ليلا) اي مبهما وقته ومجهولا ساعته قال الخطابي الحكمة في وقوعها ليلا ان من طلبها من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعض من قريش خاص فوقع لهم ذلك ليلا ولو اراد الله تعالى ان تكون هذه المعجزة نهارا لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله تعالى بلطفه اجرى سنته بالهلاك في كل امة اتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا وخص هذه الامة المرحومة بجعل آية نبيها عقلية وذلك لما اوتوه من فضل الفهم بالنسبة الى سائر الامم والله سبحانه وتعالى اعلم (والعادة من الناس بالليل) اي بحسب الاغلب (الهدو) بضم الهاء والدال فواو مشددة اوساكنة بعدها همزة على اصل الكلمة ومعناه قوله (والسكون) اي عن الحركة والمشي والتردد في الطرق مع قطع النظر عن ملاحظة ما في السماء وترصدهم الى مراكز القمر ناظرين اليه غير غافلين عنه واول ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر (وايجاف الابواب) بهمزة مكسورة وتحتية ساكنة فجيم اي اغلاقها بسرعة (وقطع التصرف) اي بالتردد في داخل البيوت من اغلاقها واعماقها (ولا يكاد يعرف من امور السماء) اي لا سيما في فصل الشتاء (شيئا) اي من امر السماء لحجاب البناء وعدم توجه نظرهم الى صوب الهواء (الا من رصد ذلك) اي انتظره قصدا لما هنالك ومنه قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد اي بالطريق المنتظر (واهتبل به) بفوقية فموحدة اي تحيل واعتنى بنظره (ولذلك) اي ولكون آيته كانت ليلا وفي نسخة وكذلك (ما يكون الكسوف القمري) اي بخلاف الشمسي النهاري (كثيرا) خبر كان اي لم يكن وقوعه كثيرا (في البلاد) وجعل الدلجي كثيرا حالا من اسم كان وخبرها في البلاد (واكثرهم لا يعلم به) اي والحال ان اكثر الناس اواكثر اهل البلاد لا يعلم بكسوف القمر (حتى يخبر) اي بوقوعه في السمر والمعنى لا يقع فيها كثيرا مع عدم

تعلق العلم به الا يسيرا (وكثيرا ما) اى واحيانا كثيرة (يحدث الثقاة) اى من العلماء بالهيئة الفلكية (بعجائب يشاهد ونهامن انوار) اى ظاهرة (ونجوم طوالع عظام) اى باهرة (تظهر فى الاحيان بالليل) اى فى بعض الاوقات اوالساعات منه (ولاعلم لاحد بها) اى من غيرهم وفى نسخة ولاعلم عند احد منها ثم هذا مما يتعلق بانشقاق القمر على مانزل به الآية وورد فيه صحيح الخبر وصريح الاثر وامارة الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فاختلف المحدثون فى تصحيحه وضعفه ووضعه والاكثرون على ضعفه فهو فى الجملة ثابت باصله وقد يتقوى بتعاضد الاسانيد الى ان يصل الى مرتبة حسنه فيصح الاحتجاج به (وخرج) بتشديد الراء اى اخرج (الطحاوى فى مشكل الحديث) وهو الامام الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبرانى وغيره من الائمة وهو مصرى من اكابر علماء الحنفية لم يخلف مثله بين الائمة الحنفية وكان اولا شافعيا يقرأ على خاله المزنى ثم صار حنفيا توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وطحا من قرى مصر قال بعضهم كان اولا شافعيا ثم تقلد مذهب مالك كذا نقله التلمسانى ولعله انتقل من مذهب مالك الى مذهب ابى حنيفة كما يشهد به كتبه فى الرواية والدراية (عن اسماء) واصله وسماء من الوسامة فابدلت واوه همزة وقيل جمع اسم والاول اولى وهو منقول عن سيبويه ولعل وجهه ان اطلاق الجمع على المفرد بعيد جدا مع ان اسم الجمع لايجعل علما ابدا (بنت عميس) بضم مهملة وفتح ميم فتحتية ساكنة فسين مهملة وتقدمت ترجمتها (من طريقين) اى باسنادين وكذا الطبرانى رواه باسانيد رجال بعضها ثقاة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) اى مرة (ورأسه فى حجر على) اى ابن ابى طالب كرم الله وجهه (فلم يصل) اى على العصر (حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعد ما افاق من الاستغراق (اصليت ياعلى قال لا فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) اى لمابينهما من الملازمة (فاردد عليه) اى لاجله (الشمس) اى شرقها كما فى نسخة بالتحريك ويسكن وهو منصوب على الظرفية اى فى ارتفاعها او على البدلية اى ضوءها (قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت) اى رجعت على ادراجها من مغربها بعدما غربت (ووقفت على الجبال والارض) ويروى وقعت بالعين بدل الفاء (وذلك بالصهباء) بالمد ويقصر وهو موضع على مرحلة من خيبر وكذا رواه ابن مردويه بسند فيه ضعف عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجر على ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه (قال) اى الطحاوى (وهذان الحديثان ثابتان) اى عنده وكفى به حجة (ورواتهما ثقاة) اى فلا عبرة بمن طعن فى رجالهما وانما جعله حديثين لروايته من طريقين هذا وقال ابن الجوزى فى الموضوعات حديث رد الشمس فى قصة على رضى الله تعالى عنه موضوع بلاشك وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف رجال اسانيد الطحاوى ونسبوا بعضهم الى الوضع الا ان ابن الجوزى قال انا لا اتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة انتهى ولايخفى ان مجرد كون راو من الرواة رافضيا اوخارجيا لايوجب الجزم بوضع حديثه اذا كان ثقة من جهة دينه وكان الطحاوى لاحظ هذا المبنى وبنى عليه هذا المعنى ثم من المعلوم ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والاصل هو العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية واما ماقال الدلجى تبعا لابن الجوزى من انه ولو قيل بصحته لم يفد ردها وان كان منقبة لعلى وقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب فدفوع لقيام القرينة على الخصوصية مع احتمال التأويل فى القضية بان يقال المراد بقولها غربت اى عن نظرها اوكادت تغرب بجميع جرمها اوغربت باعتبار بعض اجزائها اوان المراد بردها حبسها وبقاؤها على حالها وتطويل زمان سيرها ببطء تحركها على عكس طى الازمنة وبسطها فهو سبحانه قادر على كل شئ شانه واما ماذكره الذهبى من قوله وقد روى هشام عن ابن سيرين عن ابى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لم ترد الشمس الاعلى يوشع بن نون وذكره ابن الجوزى من ان فى الصحيح ان الشمس لم تحبس لاحد الا ليوشع فالجواب ان الحصر باعتبار الامم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية اللاحقة (وحكى الطحاوى ان احمد بن صالح) وهو ابو جعفر الطبرى المصرى الحافظ سمع ابن عيينة ونحوه وروى عنه البخارى وغيره وقد كتب عن ابن وهب خمسين الف حديث وكان جامعا يحفظ ويعرف الحديث والفقه والنحو مات بمصر سنة مائتين وثمان واربعين وكان ابوه من اهل طبرستان وجرت بين احمد هذا وابن حنبل مذاكرات وكتب كل واحد منهما عن صاحبه وكان يصلى بالنسا فعى (كان يقول لاينبغى لمن سبيله) وفى نسخة لمن يكون سبيله (العلم) اى بسير سيد الانبياء (التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة) وآيات الرسالة (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو الحافظ ابو بكر الشيبانى عن هشام بن عروة والاعمش وهو محمد بن اسحق بن يسار امام المغازى وعنه كريب وابن نمير والعطاردى قال ابن معين صدوق وقال ابوداود ليس بحجة يوصل كلام ابن اسحق بالاحاديث اخرج له مسلم متابعة وقد خرج له البخارى فى الشواهد واخرج له

ابوداود والترمذى وابن ماجه (فى زيادة المغازى روايته) اى فى روايته كما فى نسخة (عن ابن اسحق) اى امام اهل المغازى (لما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ليلة المعراج (واخبر قومه بالرفقة) بضم الراء ويجوز تثليثها اى الجماعة من الرفقاء (والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة اى القافلة من الابل والدواب يحمل الطعام وغيره من التجارات (قالوا) اى الكفار (متى تجيء) اى القافلة الى مكة (قال يوم الاربعاء) بالمد وهو بتثليث الباء والاجود كسرها كذا فى المحكم وقال ابن هشام فيه لغات فتح الهمزة وكسر الباء وكسر الهمزة وفتح الباء وكسرهما قال وهذه افصح اللغات (فلما كان ذلك اليوم) اى الموعود وهو بالرفع على انه نعت لذلك المتقدم الذى هو اسم كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وفى بعض النسخ المعتمدة ضبط بالنصب ولا وجه له (اشرفت قريش) اى اقبلت (ينظرون) اى ينتظرون (وقد ولى النهار) بتشديد اللام المفتوحة اى ادبر اوله واقبل آخره (ولم تجيء) اى العير (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة) اى بسط فى ساعاته (وحبست عليه الشمس) اى ببطيء تحركها وقيل توقفت وقيل ردت على ادراجها كما تقدم والله تعالى اعلم هذا وقد حبست الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم من ايام الخندق حين شغل عن صلاة العصر كما ذكره المصنف فى غير هذا الكتاب وحبست لداود كما ذكره الخطيب فى كتاب النجوم وضعف رواته كما نقله عنه مغلطاى فى سيرته وفى تفسير البغوى انها حبست لسليمان عليه السلام لقوله تعالى ردوها على ونوزع بان الضمير عائد الى الصافنات الجياد وايضا لم يكن هناك مأمورون صالحون لرد الشمس عليه مع مخالفته للحديث الصحيح الصريح فى حصر حبس الشمس ليوشع مما بين الامم المتقدمة نعم ذكر الشيخ معين الدين فى معراج النبوة انها حبست لابى بكر رضى الله تعالى عنه ايضا والله سبحانه وتعالى اعلم هذا وقد قال بعضهم حديث رد الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بصحيح وان اوهم تخريج القاضى له فى الشفاء عن الطحاوى من طريقين فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ابن تيمية العجب من القاضى مع جلالة قدره وعلو خطره فى علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وفى المواهب قال شيخنا قال احمد لا اصل له وتبعه ابن الجوزى فاورده فى الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوى والقاضى عياض واخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث ابى هريرة انتهى قال القسطلانى وروى الطبرانى ايضا فى معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه ابن العراقى فى شرح التقريب عن اسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العصر فوضع عليه الصلاة والسلام رأسه فى حجر على فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبرانى ايضا فى معجمه الاوسط بسند حسن عن جابر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امر الشمس فتأخرت ساعة من النهار انتهى وقال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الانبياء وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به اظهر قلت وفى معناه الشمس بل سلطانها اكبر وابهر وانور الا انها لكمال قرب غروبها لم تظهر للاكثر فتدبر واما ما قال الجوزجانى بعد ان نقل عن ابن الملقن فى شرح العمدة انه روى الحسن وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم تحبس الشمس الا ليوشع حيث سار الى بيت المقدس هذا الحديث فيه رد لحديث اسماء فقد قدمت الجواب عنه واما قوله وهذا حديث منكر مضطرب لانه عليه الصلاة والسلام افضل من على ولم ترد الشمس له بل صلى العصر بعد ما غربت فمردود عليه لانها انما ردت على على ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان كرامات الاولياء فى معنى معجزات الانبياء وقد سبق عن البغوى انها ردت عليه ايضا فما صلى العصر الا فى وقتها مع ان المفضول قد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل كما يلزم من القول بعدم حبسها الا ليوشع فتأمل وتوسع

﴿ فصل ﴾

(فى نبع الماء من بين اصابعه وتكثره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة وتكثيره ببركته (اما الاحاديث فى هذا) اى فى هذا النوع من جنس المعجزة (فكثيرة جدا) منصوب على المصدر واريد به المبالغة فى الكثرة فان ذلك فى مواطن متعددة واعداد مختلفة كما ذكره ابن حبان فى صحيحه ففى بعضها اتى بقدح وفى بعضها زجاج وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضأة وفى بعضها مزادة وفى بعضها كانوا خمس عشرة مائة وفى بعضها ثمانمائة وفى بعضها زهاء ثلاثمائة وفى بعضها ثمانين وفى بعضها سبعين انتهى وفى صحيح البخارى فى حديث جابر فى قصة نبع الماء من بين اصابعه انهم

كانوا الفا واربعمائة وفى رواية عنهم انهم كانوا خمس عشرة مائة وهذه القصة كانت بالحديبية وفى عددهم اقوال مختلفة ثم هذه المعجزة اعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فان ذلك من عادة الحجر فى الجملة قال الله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار واما من لحم ودم فلم يعهد من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى اعلم (وروى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود) اما حديث انس فرواه الشيخان عنه ايضا الا المصنف ساقه شاهدا بسنده الى الامام مالك عنه فقال (حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتى عليه ثنا القاضى عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم حاتم ابن محمد) وقد تقدم ذكرهم (ثنا ابو عمر ابن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة (حدثنا ابو عيسى) هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثى وقد سبق ذكره (ثنا يحيى) وفى نسخة عن يحيى وهو يحيى بن يحيى الليثى وفى نسخة صحيحة قبل قوله ثنا يحيى ثنا عبد الله بن يحيى عن ابيه يحيى ويؤيده ما قال الحلبى انه سقط رجل بين ابى عيسى وبين يحيى وهو عبد الله ابو مروان ولابد منه وقد تقدم على الصواب وكذا يأتى على الصواب ايضا وحاصله ان عبد الله يروى عن يحيى عن ابيه ويحيى عن مالك (قال ثنا مالك) وهو امام المذهب (عن اسحق بن عبد الله ابن ابى طلحة عن انس ابن مالك) وهو عمه لامه (رأيت) وفى نسخة قال اى انس رأيت (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر) اى وقد قرب وقتها اودخل فان الحين الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو اى ماء الوضوء بضمها وفى نسخة بضمها والمعنى ماء ه بتقدير مضاف والمؤدى واحد وقيل يطلق على كل لكن الظاهر ان احدهما مجاز (فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيء (بوضوء) اى فى اناء (فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه) اى من الماء او من الاناء او من ماء ذلك الاناء (قال) اى انس (فرأيت الماء ينبع) تثليث الموحدة والضم اشهر اى يفور (من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) قال النووى فى كيفية النبع قولان احدهما ان الماء كان يخرج من نفس اصابعه وينبع من ذاتها وهو قول اكثر العلماء وثانيهما انه تعالى اكثر الماء فى ذاته فصار يفور من بين اصابعه (فتوضأ الناس) اى منه (حتى توضؤا من عند آخرهم) اى الى انتهاء اولهم فالقضية معكوسة للمبالغة والمراد جميعهم وقال النووى من هنا بمعنى الى وهى لغة (ورواه ايضا عن انس قتادة) كما فى صحيح مسلم (وقال) اى انس اوقتادة عنه (باناء) اى فاتى باناء (فيه ماء يغمر اصابعه) بسكون الغين المعجمة وضم الميم اى يغطيها ويسترها (اولا يكاد يغمر) شك من الراوى (قال) اى قتادة لانس كما صرح به الترمذى (كم كنتم) اى حينئذ وكم اسم استفهام وسؤال عن العدد (قال زهاء ثلثمائة) بضم زاى وهاء ممدودة اى كاقدر ثلثمائة (وفى رواية عنه) اى عن انس (وهم بالزوراء) بفتح الزاى وسكون الواو فراء ممدودة مكان يعرف بالمدينة قرب المسجد (عند السوق) وفى البخارى بالسوق اى سوق المدينة قال الداودى وهو مرتفع كالمنار (ورواه ايضا حميد) بالتصغير وهو الطويل وكان طوله فى يديه مات وهو قائم يصلى ثقة لكنه يدلس اخرج له الائمة الستة (وثابت) تقدم ذكره (والحسن) اى ابن ابى الحسن البصرى (عن انس) اى كلهم عنه الا ان البخارى انفرد بالاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين) اى كانوا ثمانين اى رجلا كما فى نسخة (ونحوه عن ثابت عنه) اى نحو مروى حميد عن انس فى العدد ورد عن ثابت عن انس (وعنه) اى وعن انس (ايضا) اى برواية ثابت اوغيره (وهم نحو من سبعين رجلا) لعل رواية السبعين والثمانين فى غير قصة الحديبية لما سبق من تعدد القضية ثم رأيت النووى قال انهما قضيتان جرتا فى وقتين فحدث بهما جميعا انس (واما ابن مسعود ففى الصحيح) اى للبخارى وغيره (من رواية علقمة عنه) كما فى نسخة اى عن عبد الله بن مسعود (بينما) اى بين ساعات اواوقات (نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حاضرون (وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء) قيل انما طلب الماء كيلا يظن انه موجد للماء فان ذلك لله سبحانه وتعالى وفيه ان الكل من عنده تعالى (فاتى) اى جيء (بماء) اى فى نحو سقاء (فصبه فى اناء ثم وضع كفه) اى مع اصابعه (فيه فجعل الماء ينبع) اى فشرع يخرج (من بين اصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما ينبع من الارض وفى نبعه احتمالان من زيادة الكمية اوالكيفية وهو اظهر كما يدل عليه طلبه فضل الماء ويشير اليه ما سبق من الترجمة فى قوله تعالى وتكثيره ببركته (وفى الصحيح) اى للبخارى وغيره (عن سالم) اى الاشجعى (ابن ابى الجعد) وهو من ثقات التابعين روى عنه انه قال اشترانى مولاى بثلاثة دراهم واعتقنى فقلت باى حرفة احترف فاحترفت بالعلم فماتمت لى سنة حتى اتانى امير البلد زائرا فلم آذن له (عن جابر عطش الناس) بكسر الطاء (يوم الحديبية) بالتخفيف وتشدد بئر بين مكة وجدة قيل جدة واما قول الدلجى بين مكة والطائف فوهم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة) جملة حالية

والركوة بفتح الراء وتضم اناء من جلد نحوالا بريق ذكره الدلجي وهو غير ملائم لوضع اليد فيه الابهام الا ان يقال المراد به وضع اليد على فمه عند خروج المـاء منه ثم رأيت فى القاموس ان الركوة مثلثة زورق صغيراتهى وهو يحتمل ان فمه كبير ثم رأيت التلمسانى ذكرانهـا للماء من الادم كا لتور يتوضأ منه (فتوضأ منها واقبل الناس نحوه) اى متعطشين اليه (وقالوا) عطف على واقبل النـاس وجعل الدلجي الواو للحال اى قائلين (ليس عندنا ماء الاما فى ركوتك) اى التى هى موجودة فى حضرتك (فوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الركوة) اى ثانيا (فجعل الماء يفور) اى يرتفع متدفقا (من بين اصابعه كامثال العيون) اى كامثال مياهها اوشبه اصابعه ينبـابيع عيون الماء اى بين كل اصبعين يفور المـاء كاعين (وفيه) اى فى حديث سالم (فقلت) اى لجابر (كم كنتم) اى يومئذ (قال لوكنا مائة الف) اى مثلا (لكفانا) اى لكونه معجزة (كنا) اى لكنا كنا (خمس عشرة مائة) يعنى الفا وخمسمائة وقيل ثمـانين الفـا اورجلا اوار بعين أوخمسة وعشرين رجلا اوالفاوستمائة بناء على الاختلاف فى عددمن بايع تحت الشجرة قال الحلبي فيقال اربع عشرة مائة وكذاهو فى الصحيح واكثر الروايات كما قال البيهقى انه الف وار بعمائة هذا وقال التيمى قوله كنا خمس عشرة مائة هذه اللغة الى الآن بنجد سمعتها منهم لاتألف السنتهم الآلاف بل يقولون عشر مائة واحدى عشرة مائة وعشرون مائة وهلم جرا (وروى مثله) اى مثل حديث سالم كما فى مسند الدارمى (عن انس عن جابر) وهو من رواية الاصاغر عن الاكابر فانهما صحابيـان قال الحلبي كذا فى النسخة التى وقفت عليها الآن بالشفاء وعلى عن التى بين انس وجابر صح يعنى ان انسارواه عن جابر فان صح ذلك فرواية انس عن جابر ليست فى الكتب الستة (وفيه) اى وفى هذا الحديث (انه كان بالحديبية) يعنى فلا اختلاف مبنى على اختلاف عدد من حضر فى تلك القضية (وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت) الوليد هذا ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام روى عن ابيه وعنه ابنه عبادة (عنه) اى عن جابر (فى حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (فى غزوة بواط) بضم الموحدة وتخفيف الواو وفى آخره طاء مهملة (قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء) بفتح الواو وتضم وفى نسخة صحيحة الوضوء من غير البـاء اى نادالنـاس لهاوبه اونصبه على الاغراء اى اعطوا وناولوا الماء وهو بيـان النداء (وذكر الحديث بطوله وانه) اى الشان (لم نجد) بالنون وفى نسخة بالياء وفى اصل الدلجي لم يجدوا (الاقطرة) اى شيئا قليلا من الماء (فى عزلاء شجب) بالاضافة وهو بفتح العين المهملة فسكون الزاى فلام ممدودة فم المزادة الاسفل والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم ساكنة فموحدة مابلى من القربة وعتيق من السقاية (فاتى) اى فجيئ (به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمره) بالراء اى فغطاه وستره وفى اصل الدلجي بالزاى اى فكبسه بيده وعصره (وتكلم بشيء) اى من الاسماء اوالدعاء والثناء (لاادرى ماهو وقال ناد بجفنة الركب) بفتح الجيم وسكون الفاء وهى اكبر قصاع الاطعمة والركب اسم جمع اوجمع للراكب كالصحب وهم العشرة فصاعدا والباء مزيدة ولما كانت الجفنة محل الآية نوديت فكانها تعقل اوعلى حذف اى ياقوم هاتوها اوعدى النداء بالباء لتضمنه معنى الاتيان اى ائت بها واحضرها (فاتيت بها) اى فجئت بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الحلبي هومبنى لما لم يسم فاعله اى فأتونى بها وفى نسخة فأتيتها بضم همزه وكسر تائيه (فوضعتها بين يديه وذكر) اى جابر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق) بتشديد الراء ونشر (اصابعه وصب جابر عليه) اى الماء (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله) اى وعلى بركة رسول الله وروى بسم الله كامره على مافى اصل المؤلف (قال) اى جابر (فرأيت الماء يفور) اى يظهر مرتفعا (من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت) اى ارتفع ماؤها ودار (حتى امتلأت) ورواية مسلم ثم فارت الجفنة فدارت كذا ذكره الدلجي تبعا للحلبي قيل لان المقام مقام آية فكلما نبع الماء استدارت الجفنة وحديث جابر هذا ليس فى شيء من الكتب الستة الافى مسلم على ما صرح به الحلبي وغيره (وامر الناس بالاستقاء) اى بأخذ الماء (فاستقوا حتى رووا) اى باجمعهم وهو بضم الواو الاولى واصله رويوا كرضوا ولقوا (فقلت هل بقى احد له حاجة) يجوز ان تكون هل نافية كما فى قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وفى حديث وهل ترك لنا عقيل من دار اى ما بقى من محتاج الى الماء (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يده كما فى اصل الدلجي وغيره (من الجفنة وهى ملأى) فعلى من الملئ ويجوز ان تكون هل استفهامية ورفعه يده بعد جوابهم مابقى لاحد حاجة ولايبعد ان يكون المراد بقوله فقلت تردده فى نفسه انه هل بقى لاحد حاجة اليه ام لا فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشهادة لنفى البقاء فيكون كرامة أخرى (وعن الشعبى) بفتح اوله تابعى جليل فحديثه هذا مرسل وهو حجة عند الجمهور خلافا للشافعى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيئ (فى بعض اسفاره باداوة ماء) وهى بكسر الهمزة اناء صغير من جلد يتخذ للماء ويسمى المطهر (وقيل مامعنا يا رسول الله ماء غيرها) اى غير ما فى الاداوة هذه

وهي لم تكف الجماعة شربا ووضوأ (فسكبها) اى صبها (في ركوة) اى اناء صغير من جلد يشرب فيها الماء كانت معه كما فى نسخة (ووضع اصبعه) بتثليث الهمزة والباء والاشهر كسر الهمزة وفتح الباء والمراد الجنس اى اصابعه (وسطها) بفتح السين وسكونها اى فى وسطها (وغمسها) اى غطس اصابعه وادخلها (فى الماء وجعل الناس يجيؤن) اى يأتون اليه (ويتوضؤن) اى منه (ويقومون) اى عنه وفى نسخة صحيحة ثم يقومون (قال الترمذى) اى صاحب الجامع (وفى الباب) اى وفى الاحاديث الواردة فى هذا النوع من الكتاب (عن عمران بن حصين) وهو كما سيأتى فى الفصل الآتى من هذا الباب (ومثل هذا) اى ما ذكر من خوارق العادة (فى هذه المواطن الحفلة) بفتح الحا المهملة وكسر الفاء اى الممتلئة المجتمعة الغزيرة وفى نسخة الحفيلة بزيادة الياء وهما بمعنى (والجموع الكثيرة لاتتطرق التهمة) بضم التاء وسكون الهاء وتفتح اى تتوصل تهمة كذبه (الى المحدث به) بكسر الدال المشددة اى المخبر به (لانهم) اى السلف من الصحابة والتابعين (كانوا اسرع شئ الى تكذيبه) اى تكذيب من اخبره لو عرفوا انه كاذب فى خبره (لما جبلت) بصيغة المجهول اى خلقت وطبعت (عليه النفس) اى النفوس كما فى نسخة صحيحة (من ذلك) اى الاسراع الى التكذيب (ولانهم كانوا ممن لايسكت على باطل) اى باجمعهم لانكارهم على الباطل ولو من بعضهم لكونه فرض كفاية على كلهم (فهؤلاء) اى المذكورون من الصحابة وغيرهم (قدرووا هذا) اى الحديث الذى سبق من نبع الماء من بين اصابعه (واشاعوه) اى نقلوه وافشوا سنده (ونسبوا حضور الجماء الغفيرله) وفى نسخة الجم الغفير اى الجمع الكثير كما فى قضية الحديبية (ولاينكر احد من الناس) اى ممن حضر تلك الوقعة (عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه) اى من شربهم وسقيهم (وشاهدوا) اى باعينهم فى غيرهم (فصار كتصديق جميعهم لهم) فيكون اجماعا سكوتيا منهم

﴿ فصل ﴾

(ومما يشبه هذا) اى النوع (من معجزاته) وهو نبع الماء من بين اصابعه لكرامته (تفجير الماء ببركته وانبعاثه) بالرفع اى ثورانه وجريانه (بمسه) اى اياه بجارحته (ودعوته) اى بلسانه او جنانه (فيما روى مالك) اى رواه كما فى نسخة (فى الموطأ) بتشديد الطاء المفتوحة فهمزة وقيل بالف مقصورة وكذا اخرجه مسلم فى صحيحه (عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك) وهى غزوة معروفة كانت سنة تسع من الهجرة (وانهم وردوا العين) اى التى كانت فيها (وهى تبض) بكسر الموحدة وتشديد المهملة اى تلمع وتلع او المعجمة اى تقطر وتسيل واختاره النووى (بشئ) اى قليل (من ماء) اى مما يسمى ماء (مثل الشراك) بالجر على انه نعت لشئ اوماء وفى نسخة بالرفع على تقدير هو وفى اخرى بالنصب على انه حال من شئ اى مماثلا للشراك فى طوله وعرضه وهو سير رقيق يجعل فى النعل والمقصود المبالغة فى حد القلة (فغرفوا) اى اغترف القوم (من العين بايديهم حتى اجتمع) اى الماء كما فى نسخة (فى شئ) اى من الاناء فيما لديهم (ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده) اى الماء المغسول به (فيها) اى فى العين التى بها ماء يسير (فجرت) الفاء عاطفة اى فسالت (بماء كثير فاستقى الناس) اى فشربوا منه واسقوا دوابهم (قال) اى معاذ (فى حديث ابن اسحق) اى فيما يرويه امام اهل المغازى عنه (فانخرق) بالنون والخاء المعجمة والراء اى انفجر وجرى (من الماء ماله حس) بكسر الحاء المهملة وتشديد السين اى حركة وصوت لجريه (كحس الصواعق) جمع صاعقة وهو صوت شديد وربما كان معه نار لطيفة حديدة لاتمر بشئ الا اتت عليه واهلكته لكنها مع حدتها سريعة الخمود (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوشك) اى يسرع ويدنو ويقرب (يامعاذ ان طالت بك حياة) اى مدة عمرك (ان ترى ماههنا) اى الموضع الذى ههنا لاجل كثرة مافيه من الماء (قد ملئ) بصيغة المجهول اى امتلاء (جنانا) بكسر الجيم جمع جنة بالفتح وهى البستان الكثير الاشجار وهى مرة من مصدر جنه جنا اذا ستره فكأنها مرة واحدة بشدة التفافها واظلالها ونصبه على التمييز قال الحلبى هذا ذكره ابن اسحق فى طريق تبوك وقت الرجعة ولفظه ثم انصرف قافلا يعنى من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء مايروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة والله تعالى اعلم (وفى حديث البراء) اى على مارواه البخارى عنه (وسلمة بن الاكوع) اى كما رواه مسلم عنه (وحديثه) اى حديث سلمة (اتم) اى من حديث البراء (فى قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة) اى الف واربعمائة (وبئرها لاتروى) اى بضم التاء وكسر الواو اى لاتكفى بمائها (خمسين شاة) قال المزى المعروف عند اهل الحديث خمسين اشاء بفتح الهمزة والمد وهى النخلة الصغيرة ذكره السمنى وقال التلمسانى هو الصواب (فنزحناها) اى فنزحنا مافيها كله (فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والموحدة المخففة مقصورا ماحول فمها وبالكسر ماجمع فيها من الماء وليس مرادا هنا ويروى شفاها بفتح

المعجمة والفاء مقصورا اى جانبها وطرفها (قال البراء واتى) اى بجئ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بدلو) اى فيه ماء (منها فبصق) اى بزق فيه (فدعا) اى بالبركة فى مائها وكب ما فى الدلو فيها وهذه رواية البراء من غير شك وترددبها (وقال سلمة) اى ابن الاكوع (فاما دعا واما بصق فيها) بكسر الهمزة على الشك فيهما ولعله اطلع على احدهما دون الجمع بينهما بخلاف البراء فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى كل تقدير (فجاشت) بالجيم والشين المعجمة اى فارت البئر وارتفع ماؤها بوصف الكثير (فارووا انفسهم وركابهم) اى سقوا ذواتهم ودوابهم (وفى غير هذه الروايتين) اى رواية البراء ورواية سلمة وكان اولى ان يقول وفى غيرها بين الروايتين كما فى نسخة او فى هذه الرواية عنهما (هذه القصة) اى قصة زيادة ماء البئر وفى نسخة فى هذه القصة (من طريق ابن شهاب) اى الزهرى (فى الحديبية) وقد ابعد الدلجى حيث قال هذه القصة اى قصة الحديبية لمآله الى قصة الحديبية فى الحديبية (فاخرج) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سهما من كنانته) بكسر الكاف اى جعبته وهى كنانته التى فيها سهامه لانها تكنها وتسترها (فوضع) اى سهمه وهو بصيغة الفاعل ويؤيده نسخة وضعه بابراز الضمير وفى نسخة ضبط بصيغة المفعول وهو اتم مبنى واعم معنى (فى قعر قليب) اى عمق بئر لم تطو يعنى لم تبن وقيل عادية وهو يؤنث ويذكر ولذا قال (ليس فيه ماء فروى الناس) بكسر الواو اى بانفسهم ودوابهم (حتى ضربوا بعطن) بفتح المهملتين منزل الابل حول الماء لتبرك فيه اذا شربت لتعاد الى الشرب مرة اخرى وهو ضرب مثل للاتساع والاستغناء لاسيما فى باب الاستقاء والمعنى حتى رووا وروت ابلهم قال التلمسانى والذى نزل بسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو البراء بن عازب وقيل ناجية (وعن ابى قتادة وذكر) على مارواه البيهقى عنه (ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض اسفاره فدعا بالميضأة) بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الضاض المعجمة والهمزة مقصورا وقد يمد فوزنها مفعلة او مفعالة من الوضوء بزيادة الميم للآلة اى مطهرة كبيرة يتوضأ منها والمعنى فطلبها (فجعلها فى ضبنه) بكسر ضاد معجمة وسكون موحدة فنون فهاء ضمير اى حضنه بين كشحه وابطه (ثم التقم فمها) اى ادخله فى فمه تشبيها له باللقمة لانه ادخل فمه فيها كما توهم التلمسانى (والله اعلم) اى وانا لا اعلم (نفث) اى انفخ بريق او بلا ريق (فيها ام لا) اى ام لم ينفث (وشرب الناس حتى رووا) بضم الواو اى بانفسهم ودوابهم (وملأوا كل اناء معهم فخيل) اى بصيغة المجهول اى تصور فى ذهنى (انها) اى الميضأة ملأى (كما اخذها منى) اى على حالها ما انتقص شئ منها وقال التلمسانى وروى اليه اقول والظاهر انه تصحيف لديه (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله) اى مثل مروى ابى قتادة (عمران بن حصين) بالتصغير (وذكر الطبرى) وهو محمد بن جرير (حديث ابى قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان) وفى نسخة صحيحة ان على انه بيان لما ذكره الطبرى مخالفا لغيره وهو ان (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) اى باصحابه (عمدا) اى معينا (لاهل مؤتة) بضم الميم وسكون الهمزة ويبدل قرية بين تبوك وحوران من الشام (عند ما بلغه قتل الامراء) اى امرائه وهم زيد ابن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام وجعفر بن ابى طالب وعبد الله ابن ابى رواحة (وذكر) اى الطبرى (حديثا طويلا فيه معجزات) اى باهرة (وآيات) اى علامات وكرامات ظاهرة (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تعظيما لقدره وتفخيما لامره (وفيه اعلامهم) اى اخباره لاصحابه (انهم يفقدون الماء) بكسر القاف اى يعدمونه ولا يجدونه (فى غد) فهو من اعلام النبوة لقوله تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا (وذكر) اى الطبرى (حديث الميضأة) اى كما سبق (قال) اى ابو قتادة (والقوم) اى اصحابه (زهاء ثلاثمائة) اى قدرها تخمينا قال المزى الوجه نصب زهاء ولكن اهل الحديث يرفعونه ذكره السمنى (وفى كتاب مسلم) يعنى صحيحه (انه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) اى بعدما قال لهم انهم يفقدون الماء فى غد (احفظ على) اى لاجلى وفى نسخة علينا (ميضأتك فانه) اى الشان (سيكون لها نبأ) اى خبر عظيم قال القاضى فى الاكمال قال الامام للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث معجزتان قولية وهى اخباره بالغيب انها سيكون لها نبأ وفعلية وهى تكثير الماء القليل (وذكر) اى الطبرى (نحوه) اى نحو ما سبق مما ذكره غيره (ومن ذلك) اى ومما يدل على تفجير الماء من بين اصابعه (حديث عمران بن حصين) اى كما فى الصحيحين عنه انه قال (حين اصاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه عطش) اى شديد (فى بعض اسفارهم) وفى نسخة من اسفارهم فوجه (رجلين) بتشديد الجيم اى فارسلهما وهما على بن ابى طالب وعمران بن حصين (من اصحابه) كما صرح بهما فى بعض طرق هذا الحديث (واعلمهما انهما يجدان امرأة) لا يعرف اسمها الا انها اسلمت بعد ذلك (بمكان كذا) وفى نسخة بتكرار كذا ويعين الموضع فى حديث صاحبه حاطب ابن ابى بلتعة وهو روضة خاخ (معها بعير عليه مزادتان) تثنية مزادة بفتح الميم طرف من جلد يحمل فيه الماء كالراوية اكبر من القربة وميمها زائدة وهى من مادة الزيادة لزيادتها على القربة ولا يبعد ان تكون

مأخوذة من الزاد والله تعالى اعلم بالمراد ثم قيل هي الرواية مجازا وانما الراوية هو البعير الذي يحملها
(الحديث) اى بطوله والمعنى فذهبا على اثرها وطلباها (فوجداها واتيا بها النبي) وفى نسخة الى النبي
(صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اناء) اى مما عنده (من مزادتيها)
اى بعض مائهما (وقال فيه ماشاء الله) اى من ثناء اودعاء اواسماء (ثم اعاد الماء) اى ردالماء المأخوذ (فى المزادتين
ثم فتحت) بصيغة المجهول ولايبعدان يكون بصيغة الفاعل (عزاليها) بفتح العين المهملة والزاى تثنية عزلاء
وهو فمها الاسفل واللام مفتوحة وقيل هو جمع فاللام مكسورة (وامر الناس) وفى نسخة ثم امر الناس (فملؤا
اسقيتهم) جمع سقاء وهواناء من جلديتخذللماء (حتى لم يدعوا) بفتح الدال اى لم يتركوا (شيئا) اى من اوانيهم (الاملؤه
قال عمران) وفى نسخة وعن عمران بن حصين (ويخيل الى) بصيغة المضارع المجهول من التخييل وفى نسخة بصيغة
الماضى المعلوم من التخيل اى وتصور عندي وتقرر فى ذهنى (انهما) اى المزادتين (لم تزدادا) وفى نسخة بصيغة
الافراد اى كل واحدة منهما (الا امتلاء) بكسر التاء على المصدرية اى من زيادة البركة فى الكمية والكيفية
(ثم امر) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان يزودوها من زاد هم زيادة على ما توهمت انهم اخذوا من
مزادتيها وفق مرادها (فجمع) بصيغة المفعول (للمرأة) وفى نسخة لها (من الازواد) جمع الزاد اى من جملتها (حتى ملاء)
اى ذلك الزاد وفى نسخة ملؤا (ثوبها وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اذهبي فانالم نأخذ من مائك شيئا)
اى من كيته (ولكن الله سقانا) اى بسبب زيادة كيفيته ببركة اسمائه (وعن سلمة بن الاكوع) وفى نسخة وقال
سلمة (قال النبي) وفى نسخة نبي الله (صلى الله تعالى عليه وسلم هل من وضوء) بفتح الواو اى امعكم او اعندكم
اواثم ماء وضوء (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة اى اناء صغير من جلد يتخذ للماء (فيها نطفة) اى شئ يسير من الماء
(فافرغها) اى صبها (فى قدح فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيدلنا (ندغفقه دغفقة) بدال مهملة وغين معجمة فقاء فقاف اى
فصبه صبا كثيرا (اربع عشرة مائة) بيان لقوله كلنا اى الف واربعمائة (وفى حديث عمر) كما رواه ابن خزيمة فى صحيحه
والبيهقى والبزار عنه (فى جيش العسرة) اى الضيق والشدة وهي غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وكانت فى نهار حر
ووقت الثمار وكثرة ظلال الاشجار (وذكر) اى عمر رضى الله عنه (مااصابهم) اى المسلين (من العطش) اى الشديد
(حتى ان الرجل) بكسر الهمزة وتفتح (لينحر بعيره) بفتح اللام المؤكدة (فيعصر فرثه) اى مافى كرشه (فيشربه فرغب
ابوبكر) اى مال وتوجه (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدعاء) اى امره اوفى حمله على الدعاء (فرفع يديه) اى
ويدعو ربه ويتضرع لديه ويثنى عليه ويلتجئ اليه (فلم يرجعهما) من رجع المتعدى اى لم يرديده بعد رفعهما اليه
وفى نسخة فلم ترجعا من رجع اللازم اى لم تغير اليدان عن حالهما (حتى قالت السماء) اى امطرت فان القول يستعمل
فى جملة من الفعل وقيل مالت وروى قامت بالميم اى اعتدلت بالسحاب اوقامت توجهها بالخيرات (فانسكبت)
اى فانصب ماؤها بكثرة (فملؤا مامعهم من آنية) اى جميع اوانيهم (ولم تجاوز) اى السماء المراد بها السحاب
وفى نسخة بالتذكير اى ولم يتعد المطر (العسكر) ماانتهى عنهم بل كان السحاب كالظلة عليهم وفيه ايماء الى انه ماكان
من القضايا الاتفاقية بل كان معجزة وكرامة خاصة لديهم (وعن عمرو بن شعيب) اى ابن محمد بن محمد بن عبدالله بن
عمرو بن العاص اخرج له الائمة الاربعة (ان اباطالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه) جملة حالية تحتمل
احتمالين خلافا للتلمسانى حيث جزم بان ضمير هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمضاف لابى طالب والرديف الراكب
من خلف (بذى المجاز) بفتح الميم والجيم وزاى فى آخره سوق عند عرفة من اسواق اهل الجاهلية (عطشت) بكسر
الطاء قال الحلبي وهذا الحديث الذي ذكره القاضى هنا معضل ولا اعلمه فى الكتب الستة والرواية عن ابى طالب
معلوم مافيها انتهى وذكر الدلجى عن ابن سعد انا اسحق بن يوسف الازرق ثنا عبدالله بن عوف عن عمرو
هو ابن دينار ان اباطالب قال كنت بذى المجاز ومعى ابن اخى يعنى نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له عطشت
(وليس عندي ماء) وروى عنده وروى معى وعند مثلث العين ذكره التلمسانى (فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى عن البعير (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب) قال الدلجى الظاهر ان هذا كان قبل البعثة يعني
فيكون من الارهاصات ولايبعدان يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ولعل فيه ايماء الى انه سيظهر نتيجة هذه
الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات فى اواخر الزمان قريب الالف من السنوات عين فى عرفات تصل الى مكة
وحواليها من آثار تلك البركات هذا وابوطالب لم يصح اسلامه واما قول التلمسانى وروى اسلامه باسناد صحيح
وروى اسلام ابويه فرد وعليه كما بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة ردا على السيوطى فى رسائله الثلاث
(والحديث) اللام للجنس اى والاحاديث (فى هذا الباب كثيرة) اى غير ما ذكر فى هذا الكتاب (ومنه الاجابة بدعاء

الاستسقاء وما جانسه) اى من انواع استجابة الدعاء

﴿فصل﴾

(ومن معجزاته تكثير الطعام) اى كمية اوكيفية (ببركته) اى بركة حصول وجوده او وصول يده (ودعائه) اى له به مقرونا بثنائه (قال) اى المصنف (ثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى) هو الحافظ ابن سكرة (حدثنا العذري) بضم مهملة فسكون معجمة (ثنا الرازي ثنا الجلودي) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) يعني صاحب الصحيح (ثنا سلمة بن شبيب) بفتح السين المعجمة وكسر الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة وهو ابو عبد الرحمن النيسابوري حجة اخرج له مسلم والاربعة مات سنة ست واربعين ومائتين بمكة (ثنا الحسن بن اعين) بفتح فسكون ففتحتين ثقة اخرج له الشيخان وابو داود والنسائي (ثنا معقل) بفتح الميم وكسر القاف صدوق تردد فيه ابن معين اخرج له مسلم وابو داود والنسائي (عن ابي الزبير) بالتصغير حافظ ثقة روى عنه مالك والسفيانان واخرج له مسلم والاربعة واخرج له البخاري مقرونا بقوله كان مدلسا واسع العلم (عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) اى يطلب طعاما منه لاهله (فاطعمه شطر وسق شعير) الوسق بفتح الواو وتكسر ستون صاعا وشطر الشيء نصفه وهو بفتح اوله ولا يصح كسره قال النووي والشطر هنا معناه شيء كذا فسره الترمذي (فما زال) اى ذلك الرجل السائل المستطعم منه عليه الصلاة والسلام (يأكل منه) اى من ذلك الطعام (وامرأته وضيفه) اى كذلك فهما مرفوعان او معهما فهما منصوبان ويروى وصيفه بواو فمهملة (حتى كاله) اى ليعرف نقصانه وكاله ويوجب اكتياله ما يبين حاله ومآله ففني بهذه الحركة وزالت عنه البركة (فاتى) اى الرجل (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) اى بانه كاله وجرب حاله (فقال لو لم تكله) اى وما جربته (لاكلتم منه) اى كالكم طول عمركم (ولقام بكم) اى باودكم مدة بقائكم وفي هذا الحديث ان البركة اكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات وكان الصوفية من هنا قالوا المعلوم مشئوم قيل والحكمة في ذلك ان الكائل يكون متكلا على مقداره لضعف قلبه وفي تركه يكون متكلا على ربه والاتكال عليه سبحانه وتعالى مجلبة للبركة واما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد ان يكيله عند اخراج النفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة اواقل بشرط ان يبقى الباقي مجهولا ثم هذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وذلك انه استعان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحه امرأة فالتمس النبي عليه الصلاة والسلام ما يسئله فلم يجد له فبعث ابا رافع الانصاري وابا ايوب بدرعه فرهناها عند يهودي في شطر وسق من شعير فدفعه عليه الصلاة والسلام اليه قال فاطعمنا منه ثم اكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما ادخلناه كذا ذكره التلمساني وهو خلاف ظاهر ما حرره القاضي ويمكن الجمع بينهما (ومن ذلك) اى مما يدل على ما هنالك من تكثير الطعام ببركته ودعائه عليه الصلاة والسلام (حديث ابي طلحة المشهور) بالرفع صفة لحديث وهو المروي في الصحيحين عن انس في قصته وابو طلحة هذا هو عم انس بن مالك زوج ام سليم انصاري نجاري خزرجي بدري احد الفقهاء قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم صوت ابي طلحة في الجيش خير من فئة ذكر انه قتل يوم حنين عشرين رجلا واخذ سلبهم روى عنه ابنه عبد الله وابن زوجته انس بن مالك (واطعامه) بالرفع (صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا) وجزم مسلم في روايته بثمانين رجلا (من اقراص) اى قليلة (من شعير جاء) وفي نسخة اتى (بها) اى بتلك الاقراص وفي نسخة به اى بما ذكر (انس تحت يده اى ابطه) يعني حال كون انس واضعا لها تحت ابطه من كمال قلتها (فامر بها) اى بالاقراص او بقتها (ففتت) بضم الفاء وتشديد الفوقية الاولى مفتوحة اى فجعلت فتاتا والمعنى كسرها باصابعه وردها وفي حديث اذا قل طعامكم فاردوه (وقال فيها) اى في حق الاقراص (ما شاء الله ان يقول) اى من ثناء ودعاء واسماء وامر بمجيء عشرة عشرة حتى اكل القوم كلهم الحديث بطوله قال النووي وانما اذن صلى الله تعالى عليه وسلم لعشرة عشرة ليكون ارفق بهم فان القصعة التي فت فيها تلك الاقراص لا يتحلق عليها اكثر من عشرة الا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم وقيل لئلا يقع نظر الكثير على الطعام اليسير فيزداد حرصهم ويظنون انه لا يكفيهم فتذهب بركته ويحتمل ان يكون لضيق المنزل وهو اقرب (وحديث جابر) اى ومن ذلك حديث جابر كما رواه البخاري عنه (في اطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق) اى زمن حفره وهو يوم الاحزاب (الف رجل من صاع شعير وعناق) بفتح اوله وهي الانثى من اولاد المعز ما لم يتم لها سنة (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) اى منه (حتى تركوه) اى على حاله وفي اصل الدلجي لاكلوا حتى شبعوا غاية للاكل حتى تركوه غاية للشبع (وانحرفوا) اى مالوا الى حرف اى جانب وطرف والمعنى وانصرفوا (وان برمتنا) بكسر الهمزة حالية والبرمة بضم الموحدة هي القدر من حجر او مدر (لتغط) بفتح التاء وكسر الغين المعجمة وتشديد المهملة اى تغلي من حرارة النار تحتها حتى يسمع غطيطها وهو صوت غليانها

(كماهى) اى على هيئتها الاولى وماهيتها بكمالها كأنه لم يؤخذ منها شئ وما كافة مصححة لدخول الكاف على الجملة وهى مبتدأ والخبر محذوف اى مثل ماهى قبل ذلك (وان عجيننا ليخبز) اى كما هو وكل ذلك بعد ان شبعوا وتركوا وانصرفوا (وكان) اى وقد كان (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق) اى بزق (فى العجين والبرمة وبارك) اى ودعا لهما بالبركة (رواه عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم ممدودا ويقصر ويجر ولا يجر بناء على انه مفعال اوفعلاء وحديث سعيد هذا عن جابر فى الصحيحين (وايمن) بفتح الميم عطف على سعيد وهو ايمن الحبشى المكى وامه ام ايمن حاضنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته اخو اسامة بن زيد لامه استشهد يوم حنين وحديثه عن جابر فى الخندق اخرجه البخارى فى المغازى وزيد فى بعض النسخ الصحيحة ههنا بعد قوله ايمن (وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما) اى الراوى عنهما لكن جهالتهما لاتضر لكونهما صحابيين (قال) اى ثابت اوكل من الرجل والمرأة (وجئ بمثل الكف) اى من العجينة (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها) اى يدلكها ويوسعها (فى الاناء ويقول ماشاء الله) اى من الدعاء والثناء (فأكل منه من فى البيت والحجرة) بضم الحاء وفتح ناحية قريبة من الدار (والدار) اى وماحولها من الفناء (وكان ذلك) اى المقام (قد امتلاء ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك) اى المرام (وبقى) اى ذلك الطعام (بعد ما شبعوا مثل ما كان فى الاناء) اى سابقا ببركته عليه الصلاة والسلام (وحديث ابى ايوب) اى ومن ذلك حديث ابى ايوب بدرى مشهور وهو خالد بن زيد انصارى نجارى عقبى بدرى نزل عنده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خروجه من بنى عمرو ابن عوف حين قدم المدينة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفد على ابن عباس البصرة فقال انى اخرج لك عن مسكنى كما خرجت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مسكنك واعطاه مااغلق عليه ولماقفل اعطاه عشرين الفا واربعين عبدا مرض فى غزوة القسطنطينية فقال اذا مت فاحملونى فاذا صففتم العدو فادفنونى تحت ارجلكم فدفن عند باب القسطنطينية فقبره مع سورها فقال مجاهد فكانوا اذا امحلوا كشفوا عن قبره فيمطرون وحديثه هذا رواه الطبرانى والبيهقى عنه (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر من الطعام زهاء مايكفيهما) بضم الزاى اى مقدار مايشبعهما وفيه اشعار بكمال اختصاصهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار) خصهم بالدعوة كى يسلموا بالالفة ومشاهدة المعجزة اذ كان ذلك اول الهجرة وسماهم انصارا لعلمه بانهم يسلمون على يديه وينصرون دينه (فدعاهم فاكلوا حتى تركوا) وفى نسخة تركوه اى الاكل اوالطعام والثانى اظهر فى المرام لقرينة المقام ولقوله (ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك) اى فدعاهم فاكلوا حتى تركوه (ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وماخرج منهم احد حتى اسلم) اى اظهر الاسلام اوثبت على ذلك المرام قال التلسانى فى الاصل هكذا الا حتى اسلم وصوابه حتى اسلم (وبايع) اى على الجهاد ونصرته عليه الصلاة والسلام لماشاهد المعجزة فى بركة ذلك الطعام (قال ابو ايوب فاكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) وكان عشرين اكلوا بعد المائة والستين (وعن سمرة بن جندب) بضم الجيم والدال وفتح وحكى بكسرهما وكان الاظهران يقول وحديث سمرة بن جندب وهو مارواه الترمذى والبيهقى وصححاه والنسائى عنه ولفظه (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جئ (بقصعة) بفتح القاف لابكسر (فيها لحم فتعاقبوها) اى تناوبها فى تناولها الصحابة جماعة بعد جماعة (من غدوة) بضم فسكون ففتحتين لانها معرفة (حتى الليل) اى الى آخر نهار تلك الغدوة مع اخذ بعض الوقت من العشية (يقوم قوم ويقعد آخرون) جملة مستأنفة مبينة للتعاقب والمناوبة فلاينافى ما قال التلسانى هكذا فى الاصل والمعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر وقال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن اى شئ تعجب ماكان يمد الا من ههنا واشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابى بكر) على مافى الصحيحين عنه (كنا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين) اى رجلا (ومائة) اى رجلا وهو لغة فى مائة وثلاثين (وذكر) اى عبد الرحمن (فى الحديث) اى فى حديثه هذا (انه عجن صاع) من طعام بصيغة المفعول وفى نسخة عجن صاعا (من طعام وصنعت شاة) بصيغة التأنيث للمجهول ويحتمل المتكلم على بناء الفاعل وفى اصل الدلجى وصنع شاة اى فرغ من شانها وهذا ايجاز بليغ اذ بسطه ان يقول وذبحت وسلخت وقطعت وهذا من كمال صانعه العادة ان يعجز واحد عن القيام بامورها كلها فقد روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض اسفاره يأمر باصلاح شاة فقال رجل يارسول الله على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلى جمع الحطب فقالوا انا نكفيك فقال قد علمت انكم تكفوننى ولكنى اكره ان اتميز عنكم لان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه وقام عليه الصلاة والسلام وجمع الحطب فى ذلك المقام

(فشوى سواد بطنها) على بناء المفعول ويحتمل الفاعل والمراد بسواد بطنها كبدها خاصة اويها ليقها بماق جوفها واختاره الهروى والنووى الاول وخص الكبد لانه اصل الحياة وقيل القلب (قال) وفى نسخة ثم قال اى عبد الرحمن (وايم الله) بهمزة وصل اوقطع وضم الميم ويكسر وهو من الفاظ القسم كعمر الله وعهد الله واصله وايمن الله كما فى نسخة وهو جمع يمين والمعنى اقسم ببركة الله وقدرته وقوته (مامن الثلاثين ومائة) اى احد (الاوقدحزله) بفتح الحاء وتشديد الزاى (حزة) بفتح الحاء وتضم اى قطع له قطعة من سواد بطنها قال الحلبي قوله حزة بفتح الحاء فى النسخة التى وقفت عليها ولااعرفها واحفظها الابالضم وهى القطعة المحزوزة واما بالفتح فالمرة من الحز ولبست المراد هنا انما المراد القطعة انتهى ولايخفى ان الظاهر ان المرة من الحز هو المراد فى هذا المقام والله تعالى اعلم بالمرام ثم رأيت الشمنى جوزالوجهين فتم النظام (ثم جعل) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) اى من لحم الشاة ومامعه من الطعام (قصعتين) اى جفنتين كبيرتين (فاكلنا اجمعون وفضل) بفتح الضاد فى الماضى وضمها فى المستقبل وبكسرها فى الماضى وفتحها فى المضارع اى وزاد (فى القصعتين) وقيل الاول من الفضل فى السو د د والثانى من الفضلة وهى بقية الشئ وقدسوى بينهما الجوهرى حيث قال فضل منه شئ مثل دخل يدخل وفيه لغة اخرى مثل حذر يحذر (فحملته) اى ذلك الزائد (على البعير ومن ذلك حديث عبدالرحمن ابن ابى عمرة الانصارى عن ابيه) اى ابى عمرة وهو انصارى بدرى له حديث فى بركة الطعام فى بعض غزواته عليه الصلاة والسلام رواه عنه ابنه عبد الرحمن قال ابن المنذر قتل ابو عمرة مع على رضى الله تعالى عنه بصفين اخرج له النسائى فقط كذا قرره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه ابن سعد والبيهقى عنه انتهى وليس بينهما تناف اذ حصر الاول بالنسبة الى صحاح الستة وهما خارجان عنهم البتة (ومثله) اى مثل مروى عبد الرحمن (لسلمة بن الاكوع وابى هريرة) كما رواه البخارى عنهما (وعمر بن الخطاب) كما رواه ابو يعلى بسند جيد عنه (فذكروا) اى هؤلاء الثلاثة (مخمصة) بفتح الميمين اى مجاعة شديدة اصابت الناس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد) جمع الزاد والباء زائدة كما فى نسخة اى فطلبها ليبرك فيها فتكثر كميتها اوكيفيتها (فجاء الرجل بالحثية من الطعام) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة فتحتية اى باليسير منه ويكون قدر الغرفة وفى نسخة بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة فنون فتاء وهى مايحمل فى الحضن (وفوق ذلك) اى فى الكثرة اوالقلة (واعلاهم) اى فى الزيادة (الذى يأتى بالصاع من التمر فجمع على نطع) بكسر النون وفتحها مع سكون الطاء وبفتحتين وكعنب بساط من الاديم كذا فى القاموس وقال الحلبى تلميذه افصحهن كسر النون وفتح الطاء انتهى وتبعه الشمنى وهو مايتبادر من عبارة القاموس وكذا هو على خلاف ماهو المشهور على السنة العامة من فتح النون وسكون الطاء مع انه اخف انواع هذه اللغة هذا وقد وقع فى اصل الدلجى بجعله باللام بدل بجمعه بالميم فاحتاج لقوله اى ماجمع من الازواد والظاهر انه تصحيف والله تعالى اعلم بالمراد (وقال سلمة فحزرته) بفتح الحاء المهملة والزاى فسكون الراء اى خمنته وقدرته (كربضة العنز) بفتح الراء وسكون الموحدة فمعجمة وقيل بكسر الراء وصوب لانه للهيئة والفتح للمرة اى مثل جثتها اذا بركت والعنز هى الانثى من المعز واشار سلمة بهذا الى قلة التمر (ثم دعا الناس) اى طلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (باوعيتهم) الاوعية والازودة واحد وقوله فى نص الحديث حتى ملأ القوم ازودتهم قال القاضى فى الاكمال كذا الرواية فيه فى جميع اصول سيوخنا والازودة هى الاوعية كما قال فى الحديث الآخر اوعيتهم (فمابقى فى الجيش وعاء) بكسر الواو اى ظرف واناء (الاملؤه وبقى منه) اى قدر ماجعل كما فى نسخة اى جمع اولا (واكثر) اى وقد يقال اكثر (ولووردها اهل الارض لكفاهم) اى لما فيه من خير كثير ولعل هذا معنى قوله تعالى بقية الله خير لكم (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن ابى شيبة والطبرانى فى الاوسط بسند جيد انه قال (امرنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادعوله) اى اطلب لاجله (اهل الصفة) بالضم والتشديد اى من فقراء المهاجرين وكانوا كثيرين ممن لم يكن له منزل فأووا وامو ضعا مظللا من مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فعن ابن سعد بسنده الى ابى هريرة قال رأيت ثلاثين رجلا من اهل الصفة يصلون خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس عليهم اردية ثم قال ابو الفتح اليعمرى منهم ابوهريرة وابوذر وواثلة بن الاسقع وفى صحيح البخارى من حديث ابى هريرة لقد رأيت سبعين من اهل الصفة وقد عدمن اهل الصفة ابو نعيم فى الحلية مائة ونيفا فيهم ابوهريرة وابن الاسقع واصحاب بئر معونة وفى عوارف المعارف للسهروردى انهم كانوا نحو اربعمائة والله تعالى اعلم وعد منهم سعد ابن ابى وقاص وعمار بن ياسر وعقبة بن عامر وسلمان و بلال وصهيب وحذيفة وغيرهم قال فى نظم الدرر واهل الصفة اضياف الاسلام لايأوون على اهل ولامال ولاعلى احد اذا اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا واذا اتته هدية ارسلها اليهم واشركهم فيها وقال صاحب الكشاف اصحاب الصفة كانوا نحو

اربعما ئة رجل من مها جرى قريش لم يكن لهم مسكن فى المدينة ولا عشيرة كانوا فى صفة المسجد يتعلمون القرآن بالليل و يرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان عنده فضل طعام اتى بهم اذا امسى (فتتبعتهم) بتشديد الموحدة اى فتفحصتهم (حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة) اى قصعة مبسوطة (فاكلنا منها ماشئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت) يعنى انها ما زادت ولانقصت (الا ان فيها اثر الاصابع) اى اصابع الآكلين فانها زادت (وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه احمد والبيهقى بسند جيد انه (قال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين) اى رجلا (منهم قوم) اى بعض (يأكلون الجذعة) اى الشاة الجذعة وهى بفتح الجيم وسكون الذال المعجمة الداخلة فى السنة الثانية اذا كانت من المعز وما اتى عليه ثمانية اشهر من الضأن قيل والمراد بها هنا الابل كما ورد مفسرا فى بعض الاحاديث وهو منها مايدخل فى الخامسة اوالرابعة (و يشربون الفرق) بفتح الفاء والراء وتسكن مكيال يسع ثلاثة اصع بكيل الحجاز وقيل اناء يسع اثنى عشر صاعا بصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ستة عشر رطلا (فصنع لهم مدا من الطعام) اى قدر مد وهو بضم الميم مكيال وهو رطلان اورطل وثلث اوملئ كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومديده بهما و به سمى مدا قال صاحب القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا (فاكلوا) اى منه (حتى شبعوا وبقى كما هو) اى كأن لم يؤكل شئ منه (ثم دعا بعس) بضم عين وتشديد سين مهملتين قدح كبير من خشب يروى الثلاثة والاربعة من لبن (فشربوا حتى رووا) بضم الواو (وبقى كأنه لم يشرب منه) اى شئ (وقال انس) اى على مارواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى) اى تزوج ودخل (بزينب) اى بنت جحش قال الحلبى المعروف ان مثل هذه القصة اتفقت فى بنائه بصفية وفى شرح مسلم للمصنف ان الراوى ادخل قصة فى قصة وقال بعضهم فى حديث الصحيح يحتمل انه اتفق الشيئان يعنى الشاة والحيس (امره) اى انسا (ان يدعوله قوما سماهم) اى جماعة بعينهم باسمائهم وخصصهم ثم عمهم بعطف غيرهم حيث قال (وكل من لقيت) اى فدعوتهم (حتى امتلأ البيت والحجرة) وهى موضع منفرد عنه وقيل يريد بالبيت الصفة وهكذا جاء مفسرا فى حديث انس الآتى فى آخر هذا الفصل وهو قوله تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصنعت ام سليم حيسا الى قوله حتى ملؤا الصفة والحجرة الحديث وكانت لكل واحد من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة هى بيتها (فقدم) وفى نسخة وقدم (لهم تورا) بفتح الفوقية اناء من صفر او حجارة كالاجانة وهى التى تسمى مركنا طستا اوسطلا وقيل كان (فيه قدر مد من تمر جعل حيسا) اى بضم سمن واقط اليه وربما يجعل عوضا عن الاقط دقيق اوفتيت اوسويق (فوضعه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قدامه) اى بين يديه (وغمس ثلاث اصابعه) اى فيه (وجعل القوم) اى شرعوا (يتغدون) بتشديد الدال المهملة المفتوحة من الغداء وهو خلاف العشاء وفى نسخة بالذال المعجمة وهو مايؤكل اعم من العشاء والغداء قال الحلبى فى النسخة التى وقفت عليها بالذال المعجمة وهو غير مناسب لان الغذاء بكسر الغين وبالذال المعجمتين اعم من الغداء بفتح الغين وبالدال المهملة وفى صحيح مسلم فدعا الناس بعد ارتفاع النهار فذكر القصة وفيه ايضا من حديث اطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار اى ارتفع وهذا صريح فى ان ذلك كان فى صدر النهار يعنى فيناسب الدال المهملة لكن فيه ان المعنى الاخص مندرج فى المعنى الاعم والله تعالى اعلم (ويخرجون) اى حتى خرج آخرهم (وبقى التور) اى بما فيه (نحوا مما كان) وهو تمييز لنسبة بقى اوحال من التور (وكانوا) وفى نسخة وكان القوم (احدا اواثنين وسبعين) وفى اصل الدلجى احدا وثلاثين اواثنين وسبعين (وفى رواية اخرى فى هذه القصة) اى فى قصة وليمة زينب (اومثلها) اى اوفى مثل هذه القصة وهى قصة وليمة صفية (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) بضم الزاى اى قدرها (وانهم اكلوا حتى شبعوا) بكسر الباء (وقال لى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان شبعوا (ارفع) اى التور وفى اصل التلمسانى لترفع بلام الامر وتاء المخاطب وهو قليل ومنه قوله تعالى فبذلك فلتفرحوا فى قراءة شاذة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لتأخذوا مصافكم هذا وعن ابن عمر مرفوعا اذا وضعت القصعة فليأكل احدكم مما يليه ولايتناول من ذروة القصعة فان البركة تأتيها من اعلاها ولايقوم الرجل حتى ترفع المائدة ولايرفع يده وان شبع حتى يرفع القوم وليعذر فان ذلك يخجل جليسه ولعله يكون له بالطعام حاجة رواه يحيى ابن ابى كثير عن عروة عن ابن عمر فرفعته (فلا ادرى) وفى اصل الدلجى فما ادرى (حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت) بصيغة التأنيث على بناء المجهول فيهما ولعل التأنيث باعتبار معنى التور من الاجانة ونحوها ولايبعد ان يكون بصيغتى الفاعل للمتكلم على ان المفعول محذوف والتقدير وضعته ورفعته واقول بل حين رفعت لحصول البركة وتعلق المعجزة حين رفعها بخلاف حال وضعها (وفى حديث جعفر) اى الصادق (ابن محمد) اى الباقر

(عن ابيه) اى ابى جعفر محمد (عن على) اى ابن ابى طالب جدوالدمحمد وهوزين العابدين على بن الحسين بن على كذا رواه ابن سعد منقطعا لان محمدا ووالده لم يدركا عليا فقول الحلبى رواية الباقر عن على مرسلة فيه نوع مسامحة (ان فاطمة طبخت قدرا) اى طعام قدر اوذكرت المحل واراد ت الحال (لعدائهما) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة (ووجهت عليا) اى ارسلته (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى اصل التلمسانى فى النبى اى فى طلبه والتوجه اليه اوفى بمعنى الى (ليتغدى معهما) اى بجاءها (فامرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة) وهن كن تسعا عائشة وحفصة وزينب وام حبيبة وام سلمة وسودة وميمونة قرشيات وصفية قرظية وجويرية مصطلقية (ثم له عليه الصلاة والسلام ولعلى ثم لها) اى ولاولادها او ولمن كان معها (ثم رفعت القدر وانها لتفيض) بفتح الفوقية اى لتفور وتسيل من جوانبها (قالت) اى فاطمة (فاكلنا) وفى نسخة واكلنا (منها ماشاء الله) اى ان نأكل منها (وامر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عمر بن الخطاب ان يزود) بتشديد الواو المكسورة اى يعطى الزاد (اربعمائة راكب من احمس) بفتح الهمزة والميم اسم رجل نسب اليه قبيلة معروفة والحماسة الشجاعة والشدة فى الديانة واذاسميت قريش الحمس لتشددهم فى دينهم وذلك انهم كانوا ايام منى لايستظلون ولا يدخلون البيوت من ابوابها وفى رواية اربعمائة راكب من مزينة وهى قبيلة من مضر (فقال يارسول الله ما هى الا اصوع) بضم الواو جمع صاع قال الجوهرى وان شئت ابدلت من الواو المضمومة همزة وفى نسخة آصع بهمزة ممدودة وصاد مضمومة قال ابن قرقول وجاء فى كثير من الروايات آصع والصواب اصوع (فقال اذهب) اى فزودهم منه (فذهب فزودهم منه وكان) اى الذى اعطاهم (قدر الفصيل) اى ولد الناقة اذا فصل عن امه اى فطم (الرابض) بكسر الموحدة اى الحقير اوالبارك (من التمر وبقى) اى التمر بعد تزويدهم منه (بحاله) اى كأن لم يؤخذ منه شئ (من) اى هذا الحديث من (رواية دكين) بالتصغير واوله دال وقيل راء (الاحمسى) رواها ابوداود فى الادب الا انه قال عن دكين بن سعيد المزنى قال اتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام اى الزاد فقال ياعمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية بضم العين وتشديد اللام المكسورة فتحتية مشددة اى غرفة فاخذ المفتاح من حجزته بالزاى ففتح اى فاعطانا ما اعطانا قال الحلبى يقال له الاحمسى والمزنى والخثعمى له صحبة وليس له فى الكتب الا فى سنن ابى داود وليس له فيه الا هذا الحديث وهو مختصر منه (ومن رواية جرير) يعنى ايضا (ومثله من رواية النعمان) بضم النون (ابن مقرن) بتشديد الراء المكسورة وقيل بالسكون والتخفيف احمسى ايضا اسلم مع اخوته الستة وقال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذى نزل فيهم قوله سبحانه وتعالى ولاعلى الذين اذاما اتوك لتحملهم الآية (الخبر بالرفع اى الحديث هذا (بعينه) اى من غير زيادة ونقصان فيه على مارواه احمد والبيهقى بسند صحيح عنه (الا انه قال) اى النعمان (اربعمائة راكب من مزينة) اى كما مر عن ابى داود هذا والخبر مرفوع على انه خبر ومثله مبتدأ وابعد الدلجى بقوله منصوب باعنى (ومن ذلك) اى من قبيل تكثير الشئ ببركة دعائه وعصمة شأنه (حديث جابر فى دين ابيه بعد موته) كما رواه البخارى عنه (وقد كان) اى جابر (بذل لغرماء ابيه اصل ماله) اى اراد ان يبذل لهم اوعرض عليهم ورضى لهم ان يأخذوا جميع ماله ويذل بالمعجمة اى اعطى واما بالمهملة ففى العوض (فلم يقبلوه) اى استحقار الاصل ماله لعدم الوفاء بكماله كما نبه بقوله (ولم يكن فى ثمرها) اى ثمر البساتين المعبر عنها باصل ماله او ثمر نخيل جابر اوابيه بكماله (كفاف دينهم) بفتح الكاف اى وفاء لادائه قال الدلجى ومنه قول الحسن ابدأ بمن تعول ولاتلام على كفاف اى اذا لم يكن عندك كفاف فلا تلام على عدم اعطائه انتهى والكفاف قوت الرزق والاظهر ان المعنى فلاتلام على تحصيل مايكفيك من المال عن السؤال ونسبت السائل صدر الكلام وهو قوله ابدأ بمن تعول من حديثه عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن حكيم بن حزام (فجاءه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان امره) اى جابرا (بجدها) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة اى بقطع ثمرها (وجعلها بيادر فى اصولها) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة جمع بيدر اى جعلها كومات تحت نخيلها (فمشى فيها) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) اى بالبركة فيه (فاوفى) اى اعطى (منه جابر غرماء ابيه وفضل) تقدم الكلام عليه وقال التلمسانى تثلث صاده والكسر اعلى اى زاد (مثل ماكانوا يجدون) بضم الجيم وكسرها وتشديد الدال المهملة اى يقطعون (كل سنة وفى رواية مثل ما اعطاهم) اى فضل (قال) اى جابر (وكان الغرماء يهود) خبر كان غير منصرف علما لقبيلة من اليهود (فعجبوا) بكسر الجيم اى فتعجبوا (من ذلك) اى لما عظم موقعه عندهم مع خفاء سببه اذهو سر الغيب وسبب تعجبهم هووفاء دينهم الكثير من الشئ اليسير مع زيادته بدعائه وبركته فان هذا وامثاله مما ذكر سابقا ولاحقا من اعلى المعجزات واعظم الكرامات (قال ابوهريرة) على مارواه البيهقى عنه (اصاب الناس مخمصة) اى مجاعة شديدة (فقال لى رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم هل من شيء) اى هل عندك بعض شيء فمن تبعيضية لا زائدة كما قاله الدلجى ثم تنكير شيء للتقليل فيفيد المبالغة فى المطالبة ولو بشيء يسيرا وقدر حقير (قلت نعم) اى عندى (شيء) اى قليل (من التمر فى المزود) بكسر الميم وفتح الواو وعاء من جلد يجعل فيه الزاد (قال فأتنى به) اى فاتيته به (فادخل يده فاخرج قبضة) بفتح القاف اى مرة من القبض بمعنى مقبوضة كالغرفة بمعنى المغروفة وهى مأخوذة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف وبالضم اسم للشيء المقبوض كالغرفة بالضم بمعنى المغروف والرواية بالفتح كما ذكر الحجازى وهو ملء الكف قال الحلبى ويفتح ايضا ويؤيده ما فى القاموس القبضة وضمه اكثر ما قبضت عليه من شيء هذا وفى نسخة بالصاد المهملة ففى القاموس قبصه تناوله باطراف اصابعه وذلك المتناول القبصة بالفتح والضم والقبصة من الطعام ما حملت كفاك ويضم انتهى ولايخفى ان هذا المبنى ابلغ فى المعنى (فبسطها) اى يده (ودعا بالبركة) اى لما فيها (ثم قال ادع عشرة) اى فدعوتهم (فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة) بالنصب اى دعوتهم (كذلك) على ما فى نسخة اى فاكلوا حتى شبعوا وهكذا بقية من هنالك (حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا) اى وتركوا فضلهم وقد سبقت الحكمة فى الاقتصار على العشرة فى الجفنة وقيل خصت العشرة لان لها فضلا حيث ان الله تعالى اقسم بها وفى العشر ليلة القدر وفيها ليلة النحر وفيها يوم عاشوراء وقال تعالى واتممناها بعشر وقال تلك عشرة كاملة (وقال) وفى نسخة قال وفى نسخة ثم قال اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خذ ما جئت به) اى مع الزيادة الحاصلة من البركة (وادخل يدك) اى فيه (واقبض منه) بكسر الموحدة (ولاتكبه) بفتح التاء وضم الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم اى لاتقلبه (فقبضت) اى فاخذت (على اكثر ما جئت به فاكلت منه واطعمت) اى غيرى ايضا (حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مدة حياته (وابى بكر وعمر الى ان قتل عثمان) وهو عام خمس وثلاثين (فانتهب منى) بصيغة المجهول اى سلب (فذهب) اى فاسترغابا عنى فى المكان واهل فقده حينئذ لفساد الزمان (وفى رواية) اى حسنة للترمذى (لقد) وفى نسخة فقد (حملت من ذلك التمر كذا وكذا) كناية عن تعدد مقدار ما حمله (من وسق فى سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية فى غزوة تبوك) اى من الرواية (وان التمر) بكسر الهمزة والجملة حالية (كان بضع عشرة تمرة) وروى بضعة عشر والاول اولى (ومنه) اى ومن تكثير الطعام ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام (ايضا) كما فى نسخة اى كما وقع مكررا فى مقام المرام (حديث ابى هريرة) كما رواه البخارى (حين اصابه الجوع) يعنى اباهريرة (فاستتبعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فامره ان يتبعه فتبعه (فوجد) اى النبى او ابوهريرة (لبنا) اى قليلا (فى قدح) اى صغير (قداهدى اليه) اى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وامره) اى اباهريرة (ان يدعو اهل الصفة) اى بقيتهم اليه (قال) ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (فقلت) اى فى نفسى (ماهذا اللبن) اى ما تأثيره (فيهم) والاستفهام بمعنى النفى اى لايغنى من شبعهم شيئا (كنت) اى انا وحدى (احق ان اصيب منه شربة) اى مرة واحدة واغرب التلمسانى فى قوله بضم الشين (اتقوى بها) يعنى ولعلها تكفينى ام لا ومع هذا امتثلت الامر (فدعوتهم) اى فحضروا (وذكر) اى ابوهريرة (امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له ان يسقيهم) بفتح الياء الاولى وضمها ولفظ الدلجى وامرنى ان اسقيهم ولعله نقل بالمعنى وتغير فى المبنى (فجعلت) اى شرعت (اعطى الرجل فيشرب حتى يروى) بفتح الباء والواو (ثم يأخذه الآخر) اى فيشرب (حتى) يروى وهكذا حتى (روى جميعهم) بكسر الواو ولفظ الدلجى حتى رووا جميعهم بضم الواو على صيغة الجمع (قال) اى ابوهريرة (فأخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) اى قدح اللبن (وقال بقيت انا) تأكيد لضمير بقيت ليصح عليه عطف قوله وانت (نحو قوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة اقعد) امر ادب (فاشرب فشربت ثم قال اشرب) اى فشربت كما فى اصل الدلجى (ومازال يقولها) اى كلمة اشرب (واشرب حتى قلت لا) اى لااشرب اولا اقدر على زيادة الشرب والذى (بعثك بالحق) اى الى كافة الخلق (ما اجد) وفى نسخة صحيحة لااجد (له مسلكا) اى مساغا وهو يحتمل ان يكون جوابا للقسم اومستأنفا مبينا لامتناعه كأنه علة له (فاخذ) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (القدح فحمد الله) اى على ما منحه من البركة (وسمى وشرب الفضلة) اى البقية وفيه ايذان بان افضل القوم يكون آخرهم شربا ذكره الدلجى وفى الحديث ساقى القوم آخرهم شربا رواه الترمذى وابن ماجه عن ابى قتادة وغيرهما عن غيره وفيه تنبيه ايضا على وجه حكمة تأخير ابى هريرة عن القوم مع الايماء الى وجه اختيار الايثار لاسيما حال المخمصة والاضطرار والله تعالى اعلم بهذه الاسرار وعن عبد الله بن الحارث عن ابيه عن ابى عبد الرحمن السلمى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذوا عند الفقراء ايادى فان لهم دولة قيل يارسول الله وما دولتهم قال ينادى يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير الا قام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا الى

صفوف اهل القيامة فمن صنع معكم معروفا فاوردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل الم اكسك فيصدقه ويقول الآخر يافلان الم اكلم لك فلانا فلا يزال يخبرونه بما صنعوا اليه وهو يصدقهم حتى يذهب بهم جميعا حتى يدخلهم الجنة فيبقى قوم لم يكونوا يصنعون المعروف فيقولون ياليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة وعن ابي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان ممن كان قبلكم ملك مسرف على نفسه وكان مسلما واذا اكل طعامه طرح تفالة طعامه على مزبلة فكان يأوى اليها عابد فان وجد كسرة اكلها وان وجد بقلة اكلها وان وجد عرقا تعرقه قال فلم يزل كذلك حتى قبض الله ذلك الملك فادخله النار فخرج العابد الى الصحراء مقتصرا على بقلها ومائها ثم انه سبحانه وتعالى قبض ذلك العابد فقال له هل لاحد عليك معروف تكافئه قال لا يا رب قال فمن اين كان معاشك وهو اعلم به منه قال كنت آوى الى مزبلة ملك فان وجدت كسرة اكلتها وان وجدت بقلة اكلتها وان وجدت عرقا تعرقته فقبضته فخرجت الى البرية مقتصرا على بقلها ومائها فامره تعالى ان خذ بيده فادخله الجنة من معروف كان منه اليك وهو لم يعلم به اما انه لو علم به ما ادخلته النار (وفى حديث خالد بن عبد العزى) اى ابن سلامة الخزاعى له صحبة روى عنه ابنه مسعود الا ان حديثه ليس فى الكتب الستة على ما فى التجريد كما ذكره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه البيهقى عنه (انه اجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اعطاه (شاة) اى تصلح للجزر وهو الذبح ولا تكون الا من الغنم فلا يقال اجزرت القوم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح اذ نزل عليه بالجعرانة وظل عنده وامسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسل الى رجل من تهامة يقال له محرش بن عبد الله ليأخذ به طريقا الى مكة يأمن فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده فانحدر به الى الوادى حتى بلغا اشغاب قال يا محرش من هذا المكان الى الكروما والاه فهو لخالد وما بقى من الوادى فهو لك ثم سار به حتى قضى نسكه واحله محرش اى خلفه ثم رجعا الى خالد (وكان عيال خالد) بكسر العين اى من يعوله (كثيرا) اى عددهم (يذبح الشاة) حال او استيناف مبين لكثرتهم واللام فى الشاة للجنس فهو فى حكم النكرة اى قد يذبح خالد شاة (فلا تبد عياله) بضم الفوقية وكسر الموحدة وتشديد الدال المهملة من بد الشئ وابده فرقه واعطى كل واحد بدته اى نصيبه على حدته قال الهروى وفى الحديث اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا اى متفرقين واحدا بعد واحد والمعنى لا تكفى الشاة كلهم اذا فرقت عليهم (عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الهمزة جملة حالية (اكل من هذه الشاة) اى التى اجزرها اياه (وجعل فضلتها) اى بقيتها (فى دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر) بفتح الموحدة فضم المثلثة بعدها راء اى كثر (ذلك لعياله) وفى نسخة صحيحة بالنون والمثلثة المفتوحتين اى انثر ذلك لعياله حتى وسعهم وقيل اى صبه واخرجه ورمى به (فاكلوا وافضلوا) اى ودخلوا فى زيادة البركة (ذكر خبره الدولابى) بضم الدال المهملة انصارى رازى سمع محمد بن بشار وغيره من طبقته بالحرمين والعراق ومصر والشام وغيرها وصنف التصانيف وروى عنه ابن ابى حاتم وابن عدى والطبرانى وغيرهم قال الدارقطنى تكلموا فيه وما تبين فى امره الا خير توفى بين مكة والمدينة بالعرج فى ذى القعدة سنة عشر وثلثمائة هذا وقد قال ابن ماكولا فى الاكمال ما لفظه واما خناس اوله خاء معجمة مضمومة وبعدها نون وآخره شين معجمة فهو ابو خناش خالد بن عبد العزى فى الصحابة ذكره ابو بشر الدولابى فى كتاب الاسماء والكنى بسنده الى ان قال عن مسعود بن خالد عن خالد ابن عبد العزى بن سلامة انه اجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اكل منها ثم قال ارنى دلوك يا ابا خناش ووضع فيها فضلة الشاة ثم قال اللهم بارك لابى خناش فانقلب به فنثره لهم وقال تواسعوا فيه فاكل عياله وافضلوا ذكره الحلبى (ومن حديث الآجرى) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء وبعده ياء نسبة صاحب كتاب الشريعة وهو ابو بكر محمد بن الحسين ابن عبد الله البغدادى منسوب الى عمل الآجر (فى نكاح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى فاطمة) اى فى تزويجها له (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة) اى من دقيق خبز شعير او حنطة (وذبح جزور) اى بعير (لوليمتها) وفى نسخة ويذبح جزورا بصيغة المضارع وفى اخرى ويذبح جزور بمصدر مضاف (قال) اى بلال (فاتيته بذلك) اى فجئت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالذى امره ان يصنعه من القصعة (فطعن فى رأسها) اى فى اعلاها بيديه لتنزل البركة عليه (ثم ادخل الناس) اى امرهم بالدخول عليه (رفقة رفقة) بضم الراء وجوز تثليثها اى جماعة بعد جماعة (يأكلون منها) وفى نسخة صحيحة فاكلوا منها (حتى فرغوا) اى عنها (وبقيت منها فضلة) وفى نسخة فضلة منها اى بقية وزيادة (فبرك) بتشديد الراء اى فدعا بالبركة (فيها وامر بحملها الى ازواجه) اى من النساء التسع (وقال) اى لهن بعد ارساله اليهن (كلن) اى بانفسكن (واطعمن من

فشيكن) اى اتاكن وحضر عندكن فان البركة توافى كلكن (وفى حديث انس) كما رواه الشيخان (تزوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعض نسائه) قال الحلبي تقدم ان هذا كان فى ابتنائه بصفية (فصنعت اى ام سليم) بالتصغير (حيسا) تقدم مبناه ومعناه (فجعلته فى نور) سبق كذلك (فذهبت) اى انا وفى نسخة فبعثنى (به) اى بالتور (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وادع لى فلانا وفلانا) اى كابى بكر وعمر خصوصا (ومن لقيت) اى من غيرهما عموما (فدعوتهم) اى المعينين جميعهم (ولم ادع) بفتح الدال اى ولم اترك (احدا الا احد القيته) اى فى طريقى ذاهبا وآئبا (الادعوته وذكر) اى انس (انهم) اى المدعوين والمجتمعين لا كما قال الدلجى اى الذين دعاهم (كانوا زهاء ثلمائة) اى مقدارهم تقريبا (حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا) بفتح اللام المشددة اى استديروا كالحلقة المفرعة (عشرة عشرة) اى كل عشرة حلقة اوكل حلقة عشرة (ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) اى المسمى بالحيس الذى صنعته ام سليم وجاء به انس اليه عليه الصلاة والسلام (فدعا فيه) اى بما شاء الله من الدعاء (وقال ماشاء الله ان يقول) اى من اصناف الاسماء وانواع الثناء (فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لى ارفع) فرفعته (فما ادرى حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت) بصيغة المجهول فيهما ولا يبعدان يضبط بصيغة المتكلم المعلوم وتأنيث الضمير مع انه راجع الى التور باعتبار الآنية ووقع فى اصل الدلجى وضع ورفع بصيغة التذكير فيتعين كونهما للمفعول كما لا يخفى (واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة) اى التى اولها فصل نبع الماء من بين اصابعه (فى الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل) وفى نسخة حديث الفصل هذا ووقع فى اصل الدلجى حديث هذه الفصول (بضعة عشر) بكسر الباء وتفتح اى ثلاثة عشر واكثر (من الصحابة) واما قول الجوهرى تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لا تقول بضع وعشرون فهو منقوض بقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ ببضع وعشرين درجة ولقوله فى حديث مسلم وغيره الايمان بضع وسبعون شعبة (رواه عنهم) اى روى معنى حديث هذا الفصل او هذه الفصول عمن ذكر من الصحابة (اضعافهم من التابعين ثم) اى بعدهم رواه عن اضعافهم منهم (من لا يعد) بصيغة المجهول اى لا يحصر وفى نسخة لا ينعد (بعدهم) اى من تابعيهم (واكثرها) اى واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة (وردت فى قصص مشهورة) بكسر القاف اى حكايات مأثورة (ومجامع مشهودة) اى محضورة بما تقدم فيها (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) اى على وفق الصدق حذرا من التكذيب فى رواية منها (ولا يسكت الحاضر لها) اى المشاهد لها (على ما انكر منها) حذرا من ان ينسب اليه ما لا يليق بجنابه

﴿فصل﴾

(فى كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى المصنف (حدثنا احمد ابن محمد بن غلبون) بفتح فسكون فضم موحدة وهو منصرف وقد يمنع بناء على ان مطلق المزيدتين علة عدم الانصراف (الشيخ الصالح فيما اجازنيه) هذه لغة حكاها ابن فارس والمعروف اجاز لى ذكره الحلبي وغيره (عن ابى عمر) وفى نسخة ابى عمرو بالواو (الطلمنكى) بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة (عن ابى بكر الهندى) بكسر الدال (عن ابى القاسم البغوى) بفتحتين وهو الحافظ الكبير المسند البغوى الاصل البغدادى ابن بنت احمد ابن منيع البغوى روى عن احمد بن حنبل مات سنة ثلاث عشرة وثلثمائة وله ترجمة فى الميزان وقال فى آخرها وهذا الشيخ الحجازى يعنى به ابا العباس احمد بن الشحنة راوى صحيح البخارى وغيره بينه وبين البغوى اربعة انفس وهذا شئ لا نظير له فى الاعصار وذلك ان الحجازى توفى سنة ثلاث وسبعمائة فيكون بين وفاته ووفاة البغوى اربعمائة سنة وبضع عشرة (حدثنا احمد بن عمران الاخنسى) بفتح الهمزة وسكون المعجمة روى عنه ابن ابى الدنيا وغيره (نا ابو حيان) بتشديد التحتية (التيمى) وفيه ان الاخنسى لم يدركه على ما صرح به المزى ولعله اسقط محمد بن فضيل ويؤيده انه وجد فى نسخة صحيحة قبله نا محمد بن فضيل ويؤيده ما سيأتى بما ساق المصنف فى اول فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات حديثا فى اسناده حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران نا محمد ابن فضيل الخ والله تعالى اعلم (وكان) اى ابو حيان (صدوقا) وقد روى عن ابى زرعة والشعبى وعنه يحيى القطان وابو اسامة اخرج له الائمة الستة (عن مجاهد) تابعى جليل (عن ابن عمر) وقد رواه الدارمى والبيهقى والبزار ايضا عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا) اى قرب (منه اعرابى) اى بدوى (فقال يا اعرابى اين تريد قال اهلى) اى اريد اهلى او اهلى اريدهم وفى نسخة الى اهلى اى مرادى التوجه اليهم (قال هل لك) اى ميل ورغبة (الى خير) اى من اهلك او خير محض لك فى حالك ومآلك (قال وما هو) اى ذلك الامر او الخير (قال تشهد) اى

ان تشهد اى شهادتك اوخبر معناه امر اى اسهد (ان) مخففة من المثقلة حذف اسمها اى انه (لا اله) موجود او معبود
اومشهود (الا الله وحده) حال مؤكدة اى متوحدا ومنفردا (لاشريك له) اى فى وحدانيــة ذاته وسبحانية صفاته
(وان محمدا عبده ورسوله) الى كافة مخلوقاته (قال من يشهد لك على ماتقول) اى من دعوى التوحيد والرسالة (قال
هذه السجرة السمرة) بفتح فضم وهى بدل مماقبلها فانها من الطلح شجر عظام من العضاة له شوك كثير وظل يسير
قالوا وهوشجر الصمغ العربى (وهى بشاطئ الوادى) اى طرفه وجانبه (فاقبلت) اى بمجرد قوله عليه الصلاة والسلام
هذه السجرة تشهد على حقية الاسلام و فى نسخة صحيحة فادعها فانها تجيبك وفى احرى تجبك قال اى الاعرابى
فدعوتها فاقبلت وهذا ابلغ فى قبول الا جابة والمعنى فسرعت السجرة فى الاتيان اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
(تخد الارض) بضم الخاء المعجمة وتسديد الدال المهملة ومنه الاخدود وهو الشق فى الارض اى حال كونها تشق
الارض وتسعى اليه على ساق بلاقدم (حتى قامت) اى وقفت كما فى نسخة (بين يديه فاستشهد ها ثلاثا) اى طلب منها
ان تشهد ثلا ث مرات (فشهدت) اى ثلاثا (انه) اى الامر (كما قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام ان الله واحد
لاشريك له وانه عبد الله ورسوله (ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة) بالتصغير وهو ابن الحصيب بن عبد الله الاسلمى
اسلم حين مر به عليه الصلاة والسلام مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق وسهد الحديبية ومات بمدينة مرو بخراسان
غازيا واما بريدة بن سفيان الاسلمى فلاصحبة له وان ذكره بعضهم فى الصحابة بل هو تابعى متكلم فيه كما رواه البزار عنه انه
قال (سأل اعراب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) اى علامة تكون معجزة دالة على صدق الرسالة (فقال له قل
لتلك السجرة رسول الله يدعوك قال) اى بريدة (فمالت السجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) اى من
جهاتها كلها واضطربت فى مكانهــا وارتعت فى شانها متوجهة بجميع دواعيها الى داعيها (فقطعت عروقها)
اى المتعلقة باصولها (ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها) حالان متدا خلان اومترادفان (مغبرة) بتشديد الراء والباء
(حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله) قال الدلجى لعله صلى
الله تعالى عليه وسلم رد عليها الســلام مكافأة لها لاوجوبا اذ ليست مكلفة انتهى وتعليله غير مستقيم كما لايخفى
(قال) وفى نسخة فقال (الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها) بكسر الموحدة سماعا وتفتح قياسا (فرجعت) اى بعد امره
لها (فدلت عروقها) بتشديد اللام اى ارسلتها ومكنتها (فى ذلك) اى المكان قال التلمسانى الموضع سقط عند العرفى
وثبت عند غيره (فاستوت) اى قائمــة (فقال الاعرابى ائذن لى) يقرأ فى الوصل بسكون همزة الاصل وفى الابتداء
بهمزة الوصل وابدال همزة الاصل بالياء اى مرنى (اسجد لك) جواب الامر وفى نسخة صحيحة ان اسجد لك (قال
لوامرت احدا ان يسجد لاحد) اى غير الله سبحانه وتعالى (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) اى لما عليها من حقوقه
(قال فاذن لى) وفى نسخة فقال ائذن لى (اقبل) وفى نسخة ان اقبل (يديك ورجليك فاذن له) اى فقبلها (وفى الصحيح)
اى صحيح مسلم (فى حديث جابر بن عبد الله) اى الانصارى كما فى نسخة وهما صحابيــان جليلان (الطويل) نعت
الحديث (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته) كناية عن فعل الغائط اوالبول (فلم يرشيئا يستتر به)
اى من عيون الانس والجن فتحير فى امره (فاذا بشجرتين) اى ثابتتين اونابتتين (بشاطئ الوادى) اى فى جانبه (فانطلق
رسول الله صلى الله تعــالى عليه وسلم) اى ذهب (الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال) اى لها كما فى نسخة
(انقــادى على) اى استسلمى لى واطيعينى (باذن الله) اى بامره وتيســيره (فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى
يصانع قائده) اى يلاينه و ينقاد له وهو بالخاء والسينين المعجمــات الذى جعل فى انفه خشاس وهو بالكسر عود يربط
عليه حبل و يجعل فى انفه و يشد به الزمام لينقاد بسهولة ثم ان كان من شعر فهو خزامة اومن صفر اوحديد فهو برة بضم
موحدة فتخفيف راء (وذكر) اى جابر (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) اى من الشجرتين
(كذلك) اى مثل مافعل بالاولى (حتى اذا كان بالمنصف) بفتح الميم واسكان النون وفتح الصاد وتكسر اى
وسط الطريق (بينهما) اى بين موضعيهما وهو بيان اوتأكيد (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للشجرتين
(التئما) اى اجتمعا وانضما (على باذن الله فالتأمتا وفى رواية اخرى) اى لمسلم وغيره (فقال ياجابر قل لهذه السجرة)
اى التى بشاطئ الوادى (يقول لك رسول الله الحقى) بفتح الحاء اى اجتمعى واتصلى (بصاحبتك) اى بنظيرتك
وهى السجرة التى فى مقابلتك (حتى اجلس خلفكما) اى فاقضى حاجتى مستترا بكما وفى اصل الدلجى
حتى يجلس بناء على المعنى (ففعلت فرجعت) اى السجرة عن حالتها التى كانت عليها وفى نسخة فزحفت بالزاى
والحاء المهملة والفاء اى انتقلت من محلها (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) الظاهر ان القضية متكررة وان
السجرة الواحدة ما كانت تصلح ان تكون سترة (فخرجت احضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة اى

اعدو واجرى وانمافعل ذلك رضي الله تعالى عنه لئلا يحس به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قريب منه فيتأذى بقربه (وجلست احدث نفسي) اى بهذا الامر الغريب والحال العجيب (فالتفت) اى فنظرت الى احد طرفى (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فاجأته بغتة فابصرته (مقبلا والشجرتان قد افترقتا) اى من محـل اجتماعهما وانتقلتا الى موضعهما (فقامت كل واحدة منهما على ساق) اى فى منبتها (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) اى خفيفة (فقال برأسه) اى فاماله او فاومأ به الى الشجرتين (هكذا يمينـا وشما لا) تفصـيل لماقبله اجمالا ولعله كان وداعا للشجرتين اولمن هنالك من الملائكة واما قول الدلجي وقدتبعه التلمسانى اذنامنه لهما بالرجوع الى مكانهما فيأباه الفاءكما لايخفى على اهل الوفاء (وروى اسامة بن زيد نحوه) اى كما رواه البيهقى وابو يعلى بسند حسن عنه (قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه) اى غزواته (هل تعنى) بالفوقية اى تقصد وتعين (مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لقضاء حاجته فيه وتصحف الدلجى وضبط لفظ يعنى بالتحتيـة وتكلف بقوله هل استفهام اكتفى به عن المستفهم عنه استهجـانا للتصريح باسمه ومن ثمة بينه الراوى بقوله يعنى مكانا لحاجته نعم هذا انما يصح بناء على نسخة هل ترى يعنى مكانا الخ وقد تبعه التلمسـانى فقال اى ترى اوتجد وهواماحذفه للعلم به واما حذفه الراوى لانه يسمعه اولم يفهمه اولم يجده فى اصله انتهى وكله تكلف وتعسـف مستغنى عنه (فقلت ان الوادى مافيه موضع بالنـاس) اى ليس فيه مكان مستقر بهم بل كله خال عنهم فالتفت الى كلامه حيث لم يكن على وفق مرامه (فقال هل ترى من نخل اوحجـارة) اى ولوفى بعد واغرب التلمسانى فى قوله ان بالنـاس معمول ان اى غاص اوملئان اوعامر اوكـائن وكائن بعيد هنـا ثم قال موضع يستتر فيـه اويقضى الحاجة وحذف للعلم به (قلت ارى نخلات) بفتح الخاء (متقاربات) بكسر الراء وتفتح وفى اصل التلمسانى مقاربات (قال انطلق وقل لهن رسول الله) وفى نسخة ان رسول الله (صلى الله تعـالى عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لتستره بحـكن (وقل للحجارة) اى لجنسها من الحجارات هنالك (مثل ذلك) اى كما قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه (فقلت لهن ذلك فوالذى بعثه بالحق) فيه تلويح الى جواز القسم بالامر العظيم ذكره الدلجى والصواب انه قسم بفعل الله الكريم (لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة) اى ورأيت الحجارة (يتعاقدن حتى صرن ركاما) بضم الراء اى متراكمة بعضها فوق بعض (خلفهن) اى وراء النخلات (فلماقضى حاجته قال لى قل لهن) اى لمجموع النخلات والحجارات (يفترقن) اى ليفترقن اومجزوم على جواب الامر مبالغة فى تأثيره لهن نحو قوله تعالى قل للذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية ثم قال جابر (والذى نفسى بيده) وغاير بين القسمين هنـا (رأيتهن) اى النخلات والحجارة (يفترقن) اى بجميع افرادهن (حتى عدن) بضم العين اى صرن على حالهن ورجعن (الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة) بسين مهملة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين فالف فموحدة امه وابوه مرة وله صحبة ايضا حضر الحديبية وخيبر والفتح والطائف وفى تجريد الذهبى ان يعلى بن مرة بن وهب الثقفى بايع تحت الشجرة وله دار بالبصرة ولم يتعرض لكونه ابن سيابة وقد ذكره فى التهذيب فجعلهما واحد وكذا المزى جعلهما واحدا ثم قال وزعم ابوحاتم انهما اثنان انتهى وسيأتى قريبا فى كلام المصنف مايؤيد الاول وقد روى حديثه هذا احمد والبيهقى والطبرانى بسند صحيح عنه انه قال (كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسير) اى سير سفر (وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر) ابو يعلى (فامر) اى المصطفى (وديتين) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية اى نخلتين صغيرتين وضبطهما السمنى بفتح الواو فسكون الدال وتخفيف الياء (فانضمتا) اى اجتمعتا وفى اصل الحجـازى فانضما قال وصححه المزى بالتأنيث وكذا رأيته فى النسخ المصححة (وفى رواية اشـاءتين) بفتح الهمزة والسين المعجمة الممدودة بمعنى وديتين وضبط فى نسخة بكسر الهمزة وهو سبق قلم مخالف لما فى كتب اللغة (وعن غيلان بن سلمة الثقفى) بفتحتين نسبة الى قبيلة ثقيف وغيلان هذا بفتح الغين المعجمة اسـلم بعد الطائف وله عشر نسوة فامره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمسك اربعا ويفارق سائرهن فذهب فقهاء الحجاز الى انه يختار اربعا كما شاء وفقهـاء العراق الى ان يمسك الاربع التى تزوجها اولا وهو ممن وفد على كـسرى وخبره معـه عجيب قال له كسرى ذات يوم اى ولدك احب اليك فقال له غيلان الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال له كسرى زه مالك ولهذا الكلام هذا من كلام الحكماء وانت من قوم جفاة لاحكمة فيهم فاغذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لامن اللبن والتمر وكان شاعرا توفى فى آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعـالى عنه (مثـله) اى نحو ماسبق من مروى غيره (فى شجرتين) اى من اجتماعهما وافتراقهمـا (وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسـلم مثله فى غزاة حنين) بفتح العـين اى غزوته (وعن يعلى بن مرة) وهو ابوه

(وهو ابن سابة) وهى امه (ايضا) اى هما واحد لا اثنان كما توهم بعضهم (وذكر) اى يعلى (اشياء) اى من خوارق العادات (رأها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة) بالتنوين واحدة الطلح شجر عظيم من شجر العضاة وبه سمى طلحة (اوسمرة) تقدم انها بضم الميم وانها من شجر الطلح فاوشك من الراوى كذا قرره الشراح وارادوا الشك فى رواية المبنى مع اتحاد المعنى والاظهر ان السمرة نوع خاص من جنس شجر الطلح ويحتمل ان يكون او بمعنى بل (جاءت) اى احداهما اواخراهما (فاطافت به) اى المت به وقاربته على ما فى القاموس وفى اصل الدلجى فطافت به اى دارت حوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) اى الشجرة المذكورة (استأذنت) اى ربها (ان تسلم على) اى فأذن لها فجاءت وسلمت (وفى حديث عبد الله بن مسعود) اى عند الشيخين (آذنت) بهمزة ممدودة وفتح الذال والنون اى اعلمت (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن) اى باتيانهم اليه وحضورهم لديه (ليلة استمعواله) اى لقراءته اولكلامه (شجرة) فاعل آذنت وهى سمرة على مافى بعض السنن قال الدلجى وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته انتهى وفيه انه ثبت تصريح بتوجهه صلى الله تعالى عليه وعلم اليهم للقراءة عليهم وقد اخبر بعض صورهم بما رأه لديهم نعم فيه ايماء باتيان الشجرة فى حضورهم حال الابتداء (وعن مجاهد عن ابن مسعود) نقل الحافظ العلاء عن ابى زرعة انه مرسل ولامضرة فانه عند الجمهور حجة (فى هذا الحديث) اى المتقدم آنفا (ان الجن قالوا من يشهد لك) اى بانك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال هذه الشجرة) اى الحاضرة (تعالى ياشجرة) بفتح اللام وسكون الياء وقد تكسر لامه كما قرئ فى تعالوا بالضم واغرب التلمسانى حيث جزم بان اللام مكسورة واقتصر عليها اى ارتفعى الى عن مقامك واطلبى من عندى مرامك (فجاءت تجر عروقها) اى من محل اصولها (لها) اى لعروقها (قعاقع) بفتح القاف الاولى وكسر الثانية جمع قعقعة وهى حكاية حركة شئ يسمع له صوت من سلاح ونحوه (وذكر) اى مجاهد اوابن مسعود (مثل الحديث الاول) اى فى مبناه (اونحوه) اى باعتبار معناه من اتيان الشجرة و بيان الشهادة ورجوعها الى مكانها الاول فتأمل (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (فهذا ابن عمرو بريدة وجابر وابن مسعود و يعلى بن مرة واسامة بن زيد) راعى الترتيب بينهم لاباعتبار مراتبهم بل على حسب رواياتهم لكن كان حقه على هذا ان يقدم اسامة ويعلى على ابن مسعود والا فهو اجل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة ثم قوله (وانس بن مالك وعلى بن ابى طالب وابن عباس) بناء على ماسيأتى عنهم وقوله (وغيرهم) اى كالحسن وابن فورك وابن اسحق من الائمة المذكورين هنا ومنهم عمر اوعمرو على اختلاف فيهما (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) اى باعتبار مبناها اومعناها (ورواها عنهم من التابعين اضعافهم) اى فى العدة لا فى الرتبة (فصارت فى انتشارها) اى فشو هذه القصة (من القوة حيث هى) اى على حالها الاول (وذكر ابن فورك) بضم الفاء يصرف ويمنع وهو الاظهر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار فى غزوة الطائف) وهى كانت فى السنة الثامنة بعد الفتح وبعد حنين وفى اصل الدلجى زيد وحنين (ليلا) اى من الليالى (وهو وسن) بفتح الواو وكسر المهملة صفة مشبهة من الوسن بفتحتين وهو اول النوم ومقدمته ومنه السنة واصلها الوسنة كالعدة والمعنى ليس بمستغرق فى النوم بل هو نعسان (فاعترضته) اى ظهرت فى عرض وجهه (سدرة) اى وهو سائر (فانفرجت له نصفين حتى جاز) اى جاوز (بينهما وبقيت) اى تلك الشجرة (على ساقين) من غير التئام لهما (الى وقتنا) اى هذا كما فى نسخة (وهى) اى تلك الشجرة (هناك) اى فى طريق الطائف (معروفة معظمة) قلت ولعلها كانت واما فى زماننا هذا فليست مشهورة (ومن ذلك) اى ومن قبيل ماذكر من اجابة الشجرة (حديث انس) كما رواه ابن ماجه والدارمى والبيهقى عنه (ان جبريل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه) اى وقد رأى جبريل النبى عليهما الصلاة والسلام (حزينا) اى من تكذيب قومه له فالجملة حال من ضمير قال (اتحب ان اريك آية) اى علامة على صحة نبوتك وصدق رسالتك (قال نعم) اى احب ان ترينى آية من آيات ربى ليطمئن قلبى (فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة) اى بعيدة كائنة (من وراء الوادى) اى الذى كان فيه والمعنى من قدامه اوخلفه (فقال) اى لجبريل ويحتمل عكس هذا القيل (ادع تلك الشجرة) اى فدعاها (فجاءت تمشى) اى اليه (حتى قامت) اى وقفت (بين يديه قال) كما مر (مرها فلترجع) اى الى منبتها كما فى نسخة وفى نسخة الى مكانها اى فامرها بالرجوع الى محلها (فعادت الى مكانها) اى مما كانت فيه اى فى ابتداء حالها (وعن على نحو هذا) اى الحديث الذى رواه انس (ولم يذكر) اى على (فيه) اى فى مرويه وفى نسخة فيها اى فى هذه الرواية (جبريل) يعنى بل فيه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مارواه ابو نعيم عنه (اللهم ارنى آية) اى معجزة اطمئن بها وادفع الحزن عنى بسببها ويكون من جملة نعتها (لاابالى) اى لااكترث ولااحزن

(من كذبني بعدها فدعا شجرة) اى فجاءته (وذكر) اى عليّ (مثله) اى مثل حديث انس (وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب قومه) اى لا لضيق حاله وقلة ماله فكان حزنه لامر دينه ومرضاة ربه فان قلت سبق فى حديث هند ابن ابى هالة ان ابن القيم قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز ان يكون حزنه على الكفار لان الله تعالى قد نهاه عنه قلت لعل الحزن فى الحديث المفسر هنا قبل النهى عن حزنه على الكفار على ان حزنه لتكذيب قومه لا يلزم ان يكون حزنا عليهم لجواز ان يكون لما نسبوه اليه مما هو معصوم منه وهو الكذب عليه (فطلبه) بالرفع اى واستدعاؤه (الآية) اى المعجزة (لهم) اى لاستقامة امته او اقامة حجته (لا له) اى لا لنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكمال يقينه فى معرفته وعدم تردد فى طويته (وذكر ابن اسحق) اى امام المغازى وكذا رواه ابو نعيم عن ابى امامة (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارى ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد صحابى صارعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واما ركانة المصرى الكندى غير منسوب مختلف فى صحبته كذا حققه الفيروزآبادى (مثل هذه الآية) اى المعجزة (فى شجرة دعاها) اى طلبها (فأتت) اى جاءت اليه (حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت) اى الى محلها (وعن الحسن) اى برواية البيهقى مرسلا (انه عليه الصلاة والسلام شكا الى ربه من قومه) اى بعضهم (وانهم يخوفونه) اى بضربه او حبسه او اخراجه او قتله (وسأله آية) اى علامة (يعلم بها) اى يزيد علمه بها ويطمئن قلبه بسببها (ان لا مخافة عليه) ان مخففة من المثقلة اى انه كذا ذكره الدلجى والظاهر ان ان هنا مصدرية ومحلها نصب على المفعولية والمعنى يعرف بها عدم المخافة عليه من ايصال اذيتهم اليه (فاوحى اليه) بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة الفاعل وفى اخرى فاوحى الله اليه (ان ائت وادى كذا) وروى ارأيت وادى كذا اى ابصرت او علمت وان مصدرية او تفسيرية (فيه شجرة) اى عظيمة وهى بالرفع مبتدأ خبره الجار قبله قال التلمسانى او بالنصب بفعل مضمر اى فانظر فيه شجرة او اطلب انتهى ولا يخفى تكلفه بل تعسفه كما يدل عليه قوله (فادع غصنا منها) اى من الشجرة او اغصانها (يأتك) وفى نسخة يأتيك باثبات الياء على انه مرفوع او مجزوم على لغة (ففعل) اى ما ذكر (فجاء) اى الغصن منها (يخط الارض خطا) اى يشقها شقا باثرها فى الاتيان اليه (حتى انتصب) اى وقف (بين يديه) اى امامه وقدامه واغرب التلمسانى حيث فسر انتصب بقوله حبس وغرابته من جهة المبنى والمعنى لا تخفى (فحبسه ماشاء الله) اى من زمان بقائه لديه (ثم قال له ارجع كما جئت) اى على وجه خرق العادة (فرجع) اى يخط الارض خطا حتى قام بمنبته (فقال يارب علمت ان لا مخافة عليّ) اى بعد اراءتك لى هذه الآية وكان صاحب البردة اشار الى هذه الزبدة بقوله

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم

(ونحوه منه) اى من مروى الحسن كما رواه البزار وابو يعلى والبيهقى بسند حسن (عن عمر رضى الله تعالى عنه) اى ابن الخطاب وفى نسخة عن عمرو اى ابن العاص (وقال) اى احدهما (فيه) اى فى مرويه او وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه بعد قوله اللهم (ارنى آية لا ابالى من كذبنى بعدها وذكر) وفى نسخة فذكر اى الراوى المختلف فيه بقية الحديث (نحوه) اى نحو ما رواه الحسن (وعن ابن عباس) كما رواه البخارى فى تاريخه والدارمى والبيهقى (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابى ارأيت) اى اخبرنى (ان دعوت هذا العذق) بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة اى العرجون بما فيه من الشماريخ والعرجون عود العذق الذى تركبه الشماريخ وهى العيدان التى عليها البسر والعذق بالفتح النخلة كلها (من هذه النخلة) اى الحاضرة واجابنى (اتشهد انى رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز) بضم القاف وبكسر وبالزاى اى فشرع يثب اليه متوجها لديه (حتى اتاه) اى اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى) بتشديد الراء اى اخرجه فى جامعه (وقال هذا حديث صحيح) ووقع فى اصل الدلجى وغيره حسن صحيح فقيل جمع بينهما لروايته من طريقين احداهما تقتضى صحته والاخرى حسنه او حسن لذاته صحيح لغيره باعتبار تعاضد رواياته او حسن لغة صحيح حجة

﴿فصل﴾

(فى قصة حنين الجذع له صلى الله تعالى عليه وسلم ويعضد) بضم الضاد اى يقوى ويؤيد (هذه الاخبار) اى الاحاديث السابقة الواردة فى كلام الاشجار ومجيئها الى سيد الاخيار (حديث انين الجذع) وفى نسخة حنين الجذع اى شوقه اليه وبكاؤه لديه صلى الله تعالى عليه وسلم والجذع بكسر الجيم اصل النخلة والمراد به هنا ما كان من عمد المسجد وكان يتكئ عليه حال الخطبة وسيجئ بقية القصة (وهو) اى وحديثه هذا (فى نفسه) اى باعتبار مبناه (مشهور)

اى عند السلف (منتشر) اى عند الخلف (والخبر به) اى بانينه وحنينه باعتبار معناه (متواتر) اى يفيد العلم القطعى لمن اطلع على طريق الحديث الاحادى المفيد بانفراده العلم الظنى قال الحلبى وكذا قال غيره انه متواتر وقد ابعد التلمسانى حيث قال اراد به التواتر اللغوى يقال تواترت الكتب اى جاء بعضها فى اثر بعض من غير ان ينقطع والا ول اظهر فتدبر وقد قال السهيلى حديث خوار الجذع وحنينه منقول بالتواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلف وكلهم نقل ذلك اوسمعه من غيره فلم ينكره انتهى وسببه ما بينه المصنف بقوله (قد خرجه) بتشديد الراء اى اخرجه (اهل الصحيح) اى ممن التزم الصحة فى رواياته الواردة فى كتابه كالبخارى ومسلم وابن حبان وابن خزيمة (ورواه من الصحابة بضعة عشر) بكسر الموحدة وتفتح اى ثلاثة او اكثر الى تسعة اذ البضع منها اليها (منهم) اى بعضهم وهم عشرة منهم (ابى بن كعب) وهو اقرأ الصحابة وقد رواه عنه الشافعى وابن ماجه والدرامى والبيهقى (وجابر بن عبد الله) اى الصحابى ابن الصحابى وسيأتى حديثه (وانس بن مالك) وهو خادمه عليه الصلاة والسلام وحديثه فى الترمذى وصححه (وعبد الله بن عمر) وهو اشهر من ان يذكر (وعبد الله بن عباس) اى عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وسهل ابن سعد) الساعدى رضى الله تعالى عنهما وحديثه رواه الشيخان (وابو سعيد الخدرى) رواه عنه الدارمى (وبريدة) بالتصغير وقد سبق ذكره (وام سلمة) اى ام المؤمنين رواه عنها البيهقى (والمطلب) بتشديد الطاء (ابن ابى وداعة) بفتح الواو وهو من مسلمة الفتح وقد رواه عنه الزبير بن بكار فى اخبار المدينة (كلهم) اى جميع المذكورين وغيرهم (يحدث) افرد ضميره باعتبار لفظ كل اى يحدثون (بمعنى هذا الحديث) اى وان كانت الفاظهم مختلفة فى باب التحديث وعلى هذا المبنى حصل التواتر فى المعنى (قال الترمذى وحديث انس صحيح) اى اسناده (قال) وفى نسخة وقال (جابر) اى ابن عبد الله كما فى نسخة صحيحة (كان المسجد) اى مسجد المدينة وهو المسجد النبوى (مسقوفا على جذوع نخل) بمعنى نخيل فانه اسم جنس ثم بناه عمر ثم عثمان رضى الله تعالى عنهما (وكان) وفى نسخة فكان (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى دائما اوغالبا (اذا خطب يقوم الى جذع) اى معين (منها) اى من تلك الجذوع (فلما صنع له المنبر) بصيغة المجهول وقد صنعه له غلام امرأة من الانصار اوغيره من اثل الغابة وله ثلاث درجات (سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار) بكسر مهملة فمعجمة جمع عشراء بضم وفتح ممدودة وهى الناقة الحامل اوالتى اتى لحملها عشرة اشهر على القول الاشهر وظاهر هذا الحديث ان الجذع بمجرد صنع المنبر قبل طلوع سيد البشر صدر منه البكاء لما احس من علامة قرب البعد عن مقام دنا وحال الاتكاء (وفى رواية انس) اى وهى قوله فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور اى صاح كصياحه (حتى ارتج) بتشديد الجيم اى اضطرب وارتعد (المسجد) اى باهله (لخواره) بضم الخاء المعجمة وبالواو وفى نسخة بالباء السببية بدل اللام للعلة وفى نسخة بضم الجيم فهمزة مفتوحة بعدها الف وهو اظهر فى هذا المقام باعتبار تمام المرام ففى القاموس جأر جؤارا اذا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة والثور صاحا واما الخوار بضم الخاء المعجمة من صوت البقر والغنم والظباء والسهام انتهى قال الحجازى واما بالخاء المعجمة والواو المخففة فصياح الثور ولا اعلم به رواية انتهى والحلبى جعله اصلا ونسب الاول الى نسخة فى الهامش والتمنى اقتصر على الثانى وجوز الشمنى الوجهين والحاصل ان رواية الجيم اعم وفى الدراية اتم والله تعالى اعلم (وفى رواية سهل) اى ابن سعد الساعدى (وكثر بكاء الناس لما رأوا به) اى من الحنين والانين من جهة البعد عن خدمة سيد المرسلين او من خشيته من التنزل فى درجته وهو بكسر اللام وتخفيف الميم ويجوز بفتح اللام وتشديد الميم كما قرئ بهما فى قوله تعالى وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا (وفى رواية المطلب) اى ابن ابى وداعة السهمى وزيد فى نسخة صحيحة وابى و يشير اليه قول الحلبى وهو بضم الهمزة وفتح الموحدة ثم ياء مشددة (حتى تصدع) بتشديد الدال اى تشقق (وانشق) عطف تفسير قاله الدلجى وغيره والاظهر ان المعنى واستمر على انشقاقه (حتى جاء) اى اتاه (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه) اى تسلية لما لديه (فسكت) اى حيث سكن اليه وسيأتى فى رواية انه عانقه بيديه (زاد غيره) اى غير المطلب ومن معه وقال الدلجى فى رواية الشافعى عن ابى بن كعب فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان هذا بكى لما فقد) بالوجهين اى بعد (من الذكر) اى الموعظة البليغة فى الخطبة ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله (وزاد غيره) اى غير ذلك الغير وفى رواية ابى يعلى عن انس (والذى نفسى بيده) اى بتصرف قدرته وقبضة ارادته (اولم التزمه) اى اعتنقه (لم يزل هكذا) اى باكيا (الى يوم القيامة تحزنا) بضم الزاى اظهارا للحزن الزائد على الصبر (على رسول الله) اى على فراقه (صلى الله عليه وسلم) وما احسن من قال من بعض ارباب الحال

﴿الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم﴾

(فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر) اى حتى يقرب الى الذكر وما ينبعه من اثر الخير

(هكذا فى حديث المطلب) اى السهمى (وسهل بن سعد) اى الساعدى (واسحق) اى ابن عبد الله ابن ابى طلحة وهو تابعى روى عن ابيه وعدة وعنه مالك وابن عيينة وجماعة وهو حجة ثقة اخرج له الائمة الستة (عن انس) وهو عمه من امه (وفى بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره اوجعلت فى السقف) اى فى سقف المسجد شك من الراوى ولعل وجه التأنيث كونه جذع النخلة فاكتسب التأنيث من الاضافة وفى اصل التلمسانى فدفن قال وفى طريق فدفنت فاراد الخشبة وقال البرقى انما دفنه وهو جاد لانه صار فى حكم المؤمن لحبه وحنينه قلت ولعل دفنه تحت منبره ليكون على قربه ولا يحرم من سماع ذكره واما المنبر فقد احترق اول ليلة من رمضان سنة اربع وخمسين وستمائة وكان ذلك على الناس من اعظم مصيبة (وفى حديث ابى) اى ابن كعب (فكان) اى اولا (اذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلى اليه) وهو لا ينافى انه عند خطبته كان يعتمد عليه (فلما هدم المسجد) اى عند ارادة تجديده وتوسيعه فى تحديده وهو فى خلافة عثمان رضى الله عنه ليزيد فيه من جهة القبلة توسعة للامة او فى ايام اباحة يزيد المدينة فى احد الايام الثلاثة (اخذه ابى فكان عنده الى ان اكلته الارض) كذا فى النسخة المصححة والمراد بها الدابة التى يقال لها الارضة سميت بفعلها واضيفت اليه فى آية سبأ بقوله دابة الارض تأكل منسأته قال المزى المشهور عند اهل الحديث الارضة (وعاد رفاتا) بضم الراء ففاء فتاء فوقية اى وصار دقاقا وفتاتا قال الحلبى قوله الى ان اكلته الارض كذا فى النسخة التى وقفت عليها بالشفاء والحديث المذكور اعنى حديث ابى وهو مطول فى مسند احمد وفيه الارضة وهى دابة تأكل الخشب وهو باختصار فى سنن ابن ماجه فى الصلاة انتهى وهذا يدل على تصحيح رواية جعله فى السقف وينبغى ان يحمل رواية دفنه تحت منبره بعد ان كلته الارض عند ابى حفظا له عن تفرقه وصونا له عن مهانته وتحرقه وما احسن مناسبة ما تحت منبره كون قبره لحصول دوام ذكره وتمام شكره فان منبره على حوضه وحوضه داخل فى روضه (وذكر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء وتكسر فراء ممدودة فهمزة فنون فياء نسبة الى بلد فى العجم فى خراسان وفى نسخة بنون بين يا تين والظاهر ان المراد به ابو اسحق ويحتمل انه ابو حامد (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق) بضم الراء وكسرها اى يشق (الارض فالتزمه) اى اعتنقه تودعا منه (ثم امره فعاد الى مكانه) والحاصل ان قصة حنين الجذع واحدة الرجوعها الى معنى واحد فى المآل وماوقع فى الفاظها من اختلاف الاقوال بما ظاهره التغاير الموجب للاشكال فمن تفاوت تقول الرجال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال (وفى حديث بريدة فقال يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى خطابا للجذع (ان شئت اردك الى الحائط) اى البستان (الذى كنت فيه) اى اولا على حالك قبل ان تصير محولا كما بينه بقوله (ينبت لك) بصيغة الفاعل ويجوز بالبناء للمفعول اى يخرج لك (عروقك) وتثبت فى محل اصولك (ويكمل) بفتح فسكون فضم وبضم ففتح فتشديد ميم مفتوحة اى ويتم (خلقك) اى خلقتك على ما عليه فطرتك (ويجدد لك خوص) بضم الخاء ورق النخل (وثمرة) بالمثلثة (وان شئت اغرسك) بكسر الراء (فى الجنة) اى الموعودة (فيأكل اولياء الله تعالى من ثمرك) اى تمرك (ثم اصغى له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى القى له سمعه وقرب رأسه اليه (يستمع مايقول) اى بما يرده عليه (فقال بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى اولياء الله تعالى) اى فى دار النعمة (واكون) اى ثابتا ونابتا (فى مكان لا ابلى فيه) بفتح الهمزة واللام اى لا اخلق ولا اعتق ولا افنى قال الحلبى ابلى بفتح الهمزة ووقع فى النسخة التى وقفت عليها الآن مضموم الهمزة بالقلم ولا يصح قلت يصح ان يكون مجهولا من ابلاه متعدى بلى كما صرح باسناده صاحب القاموس (فسمعه) اى كلام الجذع (من يليه) اى يقرب به والضمير له اى للنبى عليه الصلاة والسلام قيل وممن سمعه ابن عمر رضى الله عنهما قال غاب الجذع فلم ير بعد ذلك ذكره التلمسانى (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) اى قبلت اوجزمت على هذا الفعل اوغرست كما اردت (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن) اى البصرى (اذا حدث بهذا) اى الحديث (بكى وقال يا عباد الله الخشبة) اى مع كونها فى حد ذاتها ليست من اهل الرقة والخشية (تحن) بفتح فكسر فتشديد نون اى تميل (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه) اى لمكانة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده سبحانه وتعالى اولا جل مكانه المتبعد من مكانها (فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه) ولله در القائل من اهل الفضائل

﴿ والقى حتى فى الجمادات حبه * فكانت لاهداء السلام له تهدى ﴾

﴿ وفارق جذعا كان يخطب عنده * فان انين الام اذ تجد الفقدا ﴾

﴿ يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * اما نحن اولى ان نحن له وجدا ﴾

(رواه) اى الحديث الذى مر (عن جابر حفص بن عبيد الله) بالتصغير (ويقال عبد الله بن حفص) قال الحلبي ويقال جعفر بن عبد الله والصواب الاول وانه حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك يروى عن جده وابي هريرة رضى الله تعالى عنه وغيرهما وعنه ابن اسحق واسامة بن زيد وجماعة قال ابو حاتم لا يثبت له السماع الا من جده انتهى وحديثه هذا عن جابر فى البخارى (وايمن) اى الحبشي مولى ابن ابى عمرة المخزومى قال الذهبي فى الميزان ما روى عنه سوى ولده عبد الواحد ففيه جهالة لكن وثقه ابو زرعة وقال ابن القطان اذا وثق وروى عنه واحد انتفت الجهالة وقد اخرج البخارى وحده لايمن (وابو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة واسمه المنذر بن مالك تابعى يروى عن على مرسلا وعن ابن عباس وابى سعيد وعنه قتادة وعوف قال الحلبي وقع فى النسخة التى وقفت عليها الآن بالشفاء ابو بصرة بنقطة تحت الباء وهذا شئ لا نعرفه ولا اعلم ابا بصرة غير واحد واسمه جميل وهو صحابى غفارى وليس له شئ عن جابر فيما اعلم (وابن المسيب) تابعى جليل (وسعيد بن ابى كرب) بفتح فكسر وهو منصرف وفى نسخة بفتح فسكون وهو همدانى وثق (كريب) بالتصغير يروى عن مولاه ابن عباس وعائشة وجماعة وعنه ابناه وموسى بن عقبة وطائفة وثقوه (وابو صالح) اريد به ذكوان السمان وقد تقدم (ورواه) اى الحديث الذى سبق (عن انس بن مالك الحسن) اى البصرى (وثابت) وهو كاسمه ثابت (واسحق بن ابى طلحة) مر ذكره (ورواه عن ابن عمر نافع) اى مولاه وهو من اعلام التابعين (وابو حية) بتشديد التحتية كلبي كوفى روى عن عمر وهناك ابو حبة روى عن على (ورواه ابو نضرة) وهو الذى سبق ذكره قال التلمسانى وهو فى الموضعين فى الاصل بموحدة من اسفل وصاد مهملة وصوابه بنون مفتوحة وضاد معجمة وهكذا عند الحلبي والانطاكى (وابو الوداك) بتشديد الدال اى روايا الحديث المتقدم كلاهما (عن ابى سعيد وعمار) بن ابى عمار بتشديد الميم اى روى الحديث المذكور (عن ابن عباس وابو حازم) بكسر الزاى وهو سلمة بن دينار الاعرج المدنى احد الاعلام (وعباس) بتشديد الموحدة (ابن سهل) اى ابن سعد الساعدى كلاهما (عن سهل بن سعد) اى عن ابيه (وكثير بن زيد) اى الاسلمى او الايلى (عن المطلب) اى ابن ابى وداعة (وعبد الله بن بريدة) وهو قاضى مرو وعالمها (عن ابيه والطفيل بن ابى) بالتصغير فيهما كنيته ابو بطن لعظم بطنه (عن ابيه) اى ابى بن كعب (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (رضى الله تعالى عنه فهذا حديث كما تراه اخرجه) وفى نسخة خرجه (اهل الصحة) اى من ارباب الحفظ والثقة (ورواه من الصحابة من ذكرنا) اى من اجلائهم (وغيرهم) بالرفع (من التابعين ضعفهم) اى زائد عليهم او قدرهم مرتين منضمين (الى من لم نذكره) اى للاختصار او لعدم الاستحضار او لعدم الاشتهار (وبمن دون هذا العدد) اى وبجمع اقل من هذا العدد المذكور وفى نسخة وبدون هذا العدد (يقع العلم) اى القطعى (لمن اعتنى بهذا الباب) اى اهتم بشانه وجمع جميع ما يتعلق ببيانه (والله المثبت) بتشديد الموحدة ويجوز تخفيفها اى من شاء من عباده (على الصواب)

﴿فصل﴾

(ومثل هذا) اى ما ذكر من حنين الجذع (وقع له فى سائر الجمادات) اى بقيتها او جملتها من غير النباتات التى هى قريبة من الحيوانات فهو فى باب المعجزة اقرب وفى خرق العادة اغرب (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) وفى نسخة ابن محمد (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد ابن المرابط) بضم الميم وكسر الموحدة اذن له ابو عمرو الدانى (ثنا المهلب) بتشديد اللام المفتوحة (ثنا ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا المروزى ثنا الفربرى) بفتح الفاء وبكسر (ثنا البخارى) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) بتشديد النون المفتوحة (ثنا ابو محمد الزبيرى) بالتصغير نسبة الى جده فانه محمد بن عبد الله بن الزبير وليس من ولد الزبير بن العوام بل هو كوفى مولى لبنى اسد قال بندار ما رأيت احفظ منه وقال آخر كان يصوم الدهر (قال ثنا اسرائيل) اى ابن يونس ابن ابى اسحق اسمعيل السبيعى الكوفى احد الاعلام وثقه احمد وغيره وضعفه ابن المدينى وغيره اخرج له الائمة الستة (عن منصور) اى ابن المعتمر ابو عتاب السلمى من ائمة الكوفة يروى عن ابى وائل وزيد بن وهب وعنه شعبة والسفيانان (عن ابراهيم) اى ابن يزيد النخعى (عن علقمة) اى ابن قيس (عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال لقد كنا) اى نحن معشر الصحابة معه صلى الله عليه وسلم (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية والحديث هذا قد ساقه القاضى كما رأيت من رواية البخارى وهو من علامات النبوة وخوارق العادة وقد اخرجه الترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح ذكره الحلبي (وفى غير هذه الرواية عن ابن مسعود) وفى اصل الدلجي وفى رواية عنه ايضا وقال كما فى الترمذى (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه) اى تسبيح الطعام والجملة حالية من ضمير نأكل (وقال انس) وفى نسخة وعن

انس كما روى ابن عساكر فى تاريخه (اخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى) اى حجارة دقاق (فسبحن فى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) اى حولهن واضعالهن (فى يد ابى بكر فسبحن ثم) اى بعده وقعن (فى ايدينا فما سبحن وروى مثله) اى مثل حديث انس (ابوذر رضى الله عنه) على ما رواه البزار والطبرانى فى الاوسط والبيهقى عنه (وذكر) اى ابوذر (انهن سبحن فى كف عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما) ولعل القضية متعددة (وقال على) وفى نسخة وعن على (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها) اى جهاتها واطرافها (فما استقبله) اى ما واجهه (شجرة) وفى نسخة شجر (ولا جبل) اى حجر كما روى (الا قال له السلام عليك يارسول الله) رواه الدارمى والترمذى بسند حسن قال ابن اسحق وهذا مما بدئ به صلى الله تعالى عليه وسلم من النبوة (وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلاة والسلام انى لاعرف) وفى رواية الآن (حجرا بمكة كان يسلم على) اى يقول السلام عليك يارسول الله رواه مسلم (قيل انه الحجر الاسود) وقيل انه الحجر المتكلم ومال اليه القابسى وقال انه الحجر المبنى للجدار المقابل لدار ابى بكر قال السهيلى روى فى بعض المسندات انه الحجر الاسود (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت) اى شرعت (لامر) بفتح همزوضم ميم وتشديد راء من المرور (بحجر ولا شجر) وفى نسخة صحيحة بتقديم شجر على حجر وهو الاظهر فتدبر (الا قال السلام عليك يارسول الله وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه) كما رواه البيهقى (لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) اى انقاد وتواضع له بنحو السلام اوسجود التحية والاكرام كاخوة يوسف عليه السلام له اوكالملائكة لادم عليه السلام بجعله قبلة (وفى حديث العباس) على ما رواه البيهقى ايضا (اذا شتمل عليه) اى على عمه (النبى صلى الله عليه وعلى بنيه) اى بنى عمه وهم عبد الله وعبيدالله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام فالف ممد ودة ريطة كالملحفة قطعة واحدة واما قول الدلجى بهمزة ممدودة فسهو قلم من اثر وهم نساله تبعا للحلبى فى قوله بهمزة مفتوحة ممدودة (ودعالهم) اى للعباس وبنيه (بالستر من النار) بفتح السين مصدر والاسم بالكسر بمعنى الحجاب ويؤيد الاول قوله (كستره اياهم بملاءته) كأن قال يارب هذا عمى وصنوابى وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه (فامنت) بتشديد الميم اى تكلمت بكلمة آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء اى عتبته (وحوائط البيت) جمع حائط يعنى الجدار اى وجدرانه المحدقة به من جميع نواحيه (آمين آمين) كرر امانا كيدا اوتقريرا لوقوعه مكررا اوباعتبار كل من الاسكفة والحوائط وآمين بالمد ويقصر مبنى على الفتح ومعناه استجب اوافعل وفى الحديث آمين خاتم رب العالمين (وعن جعفر) اى الصادق (ابن محمد عن ابيه) اى محمد الباقر ابن زين العابدين على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق) اى من سعف اوغيره (فيه رمان وعنب) اى من فواكه الدنيا اوالجنة (فاكل منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من مجموعهما اومن كل منهما اومن طبقهما (فسبح) اى ما فى الطبق عند اكله قال الدلجى لم ادر من رواه قلت يكفى انه رواه المصنف وهو من اكابر المحدثين ولولا ان الحديث له اصل لما ذكره ولذا قال القسطلانى فى المواهب ذكره القاضى عياض فى الشفاء ونقله عنه عبد الحافظ ابو الفضل فى فتح البارى (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه احمد والبخارى والترمذى وابن ماجه عنه انه قال (صعد) بكسر العين اى طلع (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم احدا) بضمتين وهو جبل عظيم قرب المدينة (فرجف بهم) بفتح الجيم اى اضطرب من هيبتهم وارتعد من خشيتهم (فقال اثبت احد) اى يا احد (فانما عليك نبى) اى ثابت النبوة (وصديق) اى مبالغ فى ثبوت الصداقة (وشهيدان) اى ثابتان فى مرتبة الشهادة ومنزلة حسن الخاتمة بالسعادة ووقع فى اصل الدلجى بعد قوله فرجف بهم فضربه برجله وهو غير موجود فى النسخ المعتبرة وفى اصل التلمسانى اوصديق اوشهيد فهى كالواو للمصاحبة اوللتفصيل (ومثله) اى مثل ماروى انس فى احد روى (عن ابى هريرة فى حراء) بكسر الحاء ومد الراء منصرفا وممنوعا وقصره وهو جبل بمكة على يسار الذاهب الى منى (وزاد) اى ابوهريرة (معه) اى مع ماذكر (وعلى) اى قوله وعلى بالعطف على ما قبله والمعنى روى ومعه على (وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبى اوصديق اوشهيد) وفى رواية وسعد ابن ابى وقاص بدل وعلى فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك الا نبى اوصديق اوشهيد رواه مسلم والترمذى فى مناقب عثمان ولم يذكر سعد اوقال اهدأ بدل اسكن (والخبر) اى الذى رواه مسلم والترمذى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه رواه الترمذى والنسائى (فى حراء ايضا عن عثمان قال) اى عثمان (ومعه عشرة من الصحابة انا فيهم وزاد) اى عثمان (عبدالرحمن) اى ابن عوف كما فى نسخة (وسعدا) وهو ابن ابى وقاص (قال) وفى نسخة وقال اى عثمان (ونسيت) بفتح فكسر والاولى بضم فكسر مشددا (الاثنين) لعلهما طلحة والزبير (وفى حديث سعيد

ابن زيد) اى كما رواه ابوداود والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه (ايضامثله) اى مثل الخبر المروى قبله (يعنى ذكر عشرة وزاد) اى سعيد (نفسه) اى ذكرها فيهم (وقدروى) بصيغة المجهول اى فى حديث الهجرة من السيرة (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش قال له ثبير) بفتح المثلثة وكسر الموحدة اسم لجبل بظاهر مكة على ما فى القاموس وفى النهاية جبل معروف انتهى والمشهور انه جبل عظيم بمنى قبالة مسجد الخيف على يسار الذاهب الى عرفات واما قول السمنى جبل بمزدلفة فمعناه انه متصل بآخر مزدلفة واما قول الحجازى جبل عظيم بالمزدلفة على يمنة الذاهب من منى الى عرفة فاظنه انه سهوا وهو من اسمائه وليس بمراد هنا (اهبط يارسول الله) اى انزل عنى (فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله تعالى) اى بمشاهدة هذا الامر فوقى وتحمل هذا الفعل منى (فقال حراء الى) اى التجئ واصعد الى وارتفع لدى (يارسول الله) وكان الخوف غالبا على ثبير والرجاء على حراء (وروى ابن عمر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) اى على المنبر (ومافدروالله حق قدره) اى وماعظموه حق عظمته اوماعرفوه حق معرفته بجعلهم له شريكا فى الوهيته ووصفهم اياه بما لايليق بربوبيته (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يمجد الجبار نفسه) بتشديد الجيم اى يذكر ذاته بوصف المجد والشرف والعظمة وروى يحمد (يقول) كذا فى نسخة وهو جملة حالية (اناالجبار اناالجبار) بالرفع باثبات التكرار وهوالذى يجبرالعباد على وفق مااراد ويقهرهم بالفناء عن البلاء (انا الكبير) اى العظيم الذات الكريم الصفات قال الحجازى انا الجبار مرتين وانا الكبير ويروى مرتين (المتعال) اى المتعالى وهوالرفيع البنان المنزه عن التعلق بالزمان والمكان ونحوهما من سمات الحدثان وصفات النقصان (فرجف المنبر) اى اضطرب اضطرابا شديدا وذلك لعظمة الله وهيبته (حتى قلنا ليخرن) بفتح اللام والباء وكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء والنون اى ليسقطن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) اى عن المنبر (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البزار والبيهقى (قال كان حول البيت) اى على جدرانه ذكره الدلجى (ستون وثلثمائة صنم مثبتة الا رجل) بفتح الموحدة المخففة اوالمشددة اى مسمرة (بالرصاص) بفتح الراء على مافى القاموس قيل ويكسر (فى الحجارة) اى من احجار البيت ولايبعد ان تكون الاصنام موضوعة على حجارات كائنة حول البيت منصوبة بتسميرها فيها بالرصاص وكذا كانت الاصنام داخل البيت وفوقه ايضا قال الدلجى وروى ابو يعلى نحوه اى عنه وانه قال (فلمادخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) اى المسجد الحرام وهو يطلق على الكعبة وماحولها من البقعة (عام الفتح) اى سنة فتح مكة (جعل) اى شرع (يشير بقضيب) اى بسيف لطيف اوعود ظريف (فى يده) حال من قضيب (اليها) متعلق بيشير قال الحلبى وفى رواية صحيحة بقضيب يشبه القوس والقوس قضيب انتهى والتشبيه يحتمل ان يكون من حيثية طوله وعرضه اومن جهة انحراف فى وسطه (ولايمسها) اى بيده تجنبا عنها لا لبعدها كماذكره الدلجى (ويقول) اى ماامره الله ان يقول (جاء الحق) اى ظهر الحق واهله (وزهق الباطل) اى اضمحل وذهب اصله (الاية) اى ان الباطل كان زهوقا اى غير ثابت فى نظر اهل الحق دائما (فمااشار) اى به كما فى نسخة اى بقضيبه (الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا) اى ولا اشار به (لقفاه الا وقع لوجهه) اى سقط عليه هيبة مما اشار به اليه (حتى مابقى منها صنم) اى الاحرساقطا اما الى وجهه واما الى قفاه (ومثله فى حديث ابن مسعود) اى على مارواه الشيخان عنه (وقال) اى ابن مسعود (فجعل يطعنها) بفتح العين ويضم وهواولى من عبارة الحلبى بضم العين وبفتح لمافى كلام استاذه صاحب القاموس طعنه بالرمح كنعه ونصره ضربه مع ما فى الفتح من الخفة المعادلة لثقل العين كما حرر فى يسع ويضع ويدع ويقع ثم المراد بالطعن هنا مجرد الاشارة لماسبق صريحا فى العبارة والمعنى يشير اليه فى صورة الطاعن لديه (ويقول) اى كما امر به فى آية اخرى (جاء الحق وما يبدئ الباطل ومايعيد) اى ظهر الحق ولم يبق للباطل ابتداء ولا اعادة او ما يبدئ الصنم خلقا ولايعيده اولا يبدئ ضرا لاهله فى الدنيا ولايعيده فى العقبى (ومن ذلك) اى من قبيل ماذكر عن الجمادات (حديثه) اى خبره الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيرا بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصورا وقيل ممدودا واسمه جرجس اوجرجيس بزيادة ياء ابن عبدالقيس من نصارى تيماء او بصرى ذكره ابن مندة وابونعيم فى الصحابة لايمانه به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته (فى ابتداء امره) اى امر ظهوره (اذ خرج تاجرا) ظرف لحديثه معه او لابتداء امره (مع عمه) اى ابى طالب وفيه انه لم يكن فى خروجه معه تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال تتركنى وليس لى احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وفى هذه لقى نسطور الراهب وقصته معه مشهورة وفى كتب السير مسطورة فقوله تاجرا حال من عمه لا من ضمير خرج (وكان الراهب) اى بحيرا (لايخرج) اى فى عادته (الى احد) اى ممن كان ينزل

المكان (فخرج) اى فى ذلك الزمان (وجعل يتخللهم) اى شرع يطلب احدا فى خلال من كان فى تلك الحال (حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش) اى من المشركين (ماعلمك) اى ما سبب علمك به وبقربه عند ربه (قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد) اى الاشجار والاحجار (الا لنبي وذكر القصة) اى على ما اوردها اهل الاخبار من انه قال وانى لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه (ثم قال) اى الراهب او الراوى (فاقبل وعليه غمامة تظله فقال انظروا الى الغمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه) وفى نسخة قد سبقوه (الى فئ الشجرة) بفتح الفاء وسكون التحتية بعدها همزة اى الى ظلها (فلما جلس مال الفئ) اى فئ الشجرة (اليه) فقال انظروا مال الفئ اليه ثم قال انشدكم الله تعالى ايكم وليه قالوا ابو طالب واذا بسبعة من الروم قد اقبلوا فسألهم فقالوا ان هذا النبي قد خرج من بلاده فى هذا الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال افرأيتم امرا اراده الله تعالى ايقدر احد يدفعه قالوا لا فاقاموا عنده ثلاثة ايام ولم يزل يناشده حتى رده وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب زيتا وكعكا قيل وذكر ابى بكر وبلال فيه وهم

﴿فصل﴾

(فى الآيات) اى الشاهدة بثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من بديع الكرامات ومنيع المعجزات (فى ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ) سبق ذكره (حدثنا ابى) قال الحلبي تقدم ابوه فاضبط فى بعض النسخ بصيغة التصغير تصحيف وتحريف (ثنا القاضي ابو يونس ثنا ابو الفضل الصقلي) بفتح الصاد وتكسر وسكون القاف (حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه عن جده) اى كليهما (قال حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل) بالتصغير وهذا هو الاصل الصحيح ووقع فى اصل المؤلف باسقاط ثنا محمد بن فضيل (ثنا يونس ابن عمرود بالواو قال ابو معين ثقة وقال ابو حاتم لا يحتج به (ثنا مجاهد عن عائشة) قال يحيى بن سعيد لم يسمع منها قال وسمعت شعبة ينكر ان يكون سمع منها وتبعه على ذلك يحيى بن معين وابو حاتم الرازى وحديثه عنها فى الصحيحين وقد صرح فى غير حديث بسماعه منها والله تعالى اعلم (قالت كان عندنا داجن) بكسر الجيم ما يألف البيت من الحيوان كالشاة والطير مأخوذ من المداجنة وهى المخالطة والملازمة (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة عندنا مؤخر (قر وثبت مكانه) اى الداجن (فلم يجئ ولم يذهب) اى ولم يغير شأنه توقيرا له وتكريما وهيبة منه وتعظيما (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب) اى تردد واضطرب وهذا الحديث رواه احمد والبزار وابو يعلى والطبرانى والبيهقى والدارقطنى وهو صحيح وفى المدعى صريح (وروى عن عمر) رضى الله تعالى عنه بصيغة المجهول اشعارا بضعفه فقد قال الحافظ المزى لا يصح اسنادا ولا متنا وقال ابن دحية انه موضوع لكن قال القسطلانى قد رواه الائمة فنهايته الضعف لا الوضع فممن رواه الطبرانى والبيهقى قال وروى ايضا باسانيد عن عائشة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وما ذكرنا هو امثلها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى محفل) بفتح الميم وكسر الفاء اى مجمع (من اصحابه اذ جاء اعرابى قد صاد ضبا) بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة حيوان معروف يقال اذا فارق جحره لم يهتد اليه وهو لا يشرب واطول الحيوان روحا بعد ذبحه ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول فى كل اربعين يوما قطرة (فقال) اى الاعرابى (من هذا قالوا نبي الله فقال واللات) بواو القسم (والعزى) وهما صنمان كانوا يعبد ونهما فى وسط الكعبة (لا امنت بك) اى بنبوتك ورسالتك وفى نسخة لا اومن بك (او) بسكون الواو (يؤمن) بالنصب اى الى ان يؤمن او حتى يؤمن كما فى نسخة (بك هذا الضب) اى فاومن انا ايضا بك حينئذ (وطرحه بين يدى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى القى الضب بين جهتي يديه يعنى قدامه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين) اى بين او مبين حروفه (يسمعه القوم جميعا لبيك) اى اجابتى لك مرة بعد مرة (وسعديك) اى ومساعدتى لطاعتك كرة بعد كرة (يا زين من وافى القيامة) اى يا زينة من اتاها وحضرها (قال) اى النبي عليه الصلاة والسلام له (من تعبد) اى ممن يسمى الها (قال الذى فى السماء عرشه) اى ملكوته سبحانه (وفى الارض سلطانه) اى ملكه المظهر شانه (وفى البحر سبيله) اى طريق آياته ولعله من باب الاكتفاء فان فى البر كثيرا من عجائبه (وفى الجنة رحمته) اى ثوابه من اثرها للمطيعين (وفى النار عقابه) اى من اثر سخطه للعاصين (قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين) اى آخرهم وهو بفتح التاء على ما قرأ به عاصم بمعنى ختموا به وبكسرها بمعنى ختمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبينا ختم النبيين (وقد افلح) اى فاز

(من صدقك) بتشديد الدال اى اطاعك (وقد خاب) اى خسر (من كذبك) اى عصاك (فاسلم الاعرابى يومئذ وذلك فيهية كلام الذئب المشهورة) بالرفع (عن ابى سعيد الخدرى) كما رواه احمد والبزار والبيهقى وصححه (بينا) وفى نسخة بينما على ان ما زائدة كافة واما الف بينا فقيل هى اشباع فلا تمنع الجر وقيل مانعة له منه وهو المشهور عند الجمهور (راع يرعى غنماله عرض الذئب لشاة منها) اى وقت رعى غنمه فاجاء عروض الذئب اى ظهوره فى تعرضه لشاة من جملة قطيع الغنم (فاخذها) اى الراعى (منه فاقعى الذئب) اى الصق استه بالارض ونصب ساقيه وفخذيه ووضع يديه على الارض (وقال للراعى الا تتقى الله) اى اما تخاف والمعنى خف الله تعالى فالاستفهام للتوبيخ لا للانكار الداخل على النفى المفيد لتحقق ما بعده كما ذكره الدلجى (حلت بينى وبين رزقى) بضم الحاء اى منعت رزقى عنى وهو جملة مبينة قائمة مقام العلة (قال الراعى العجب) اى كل العجب (من ذئب يتكلم بكلام الانس) اى فى مقام الانس (فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك) اى واغرب فيما هنالك (رسول الله بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهى ارض ذات حجرة سود حول المدينة السكينة (يحدث الناس بانباء من قد سبق) وفى نسخة صحيحة ما بدل من وانما كان اعجب لانه اخبار عما لم يعلم به غير الرب (فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) اى بكلام الذئب له (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى للراعى (قم فحدثهم) اى الحاضرين والغائبين (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام بعد ان حدثهم الراعى اوقبله (صدق) اى الراعى فى قوله و بالحق نطق فى نقله (والحديث فيه قصة) اى طويلة اوعظيمة وهو الاظهر لقوله (وفى بعضه طول) اى فى بعض الفاظه طول اى ليس هذا محل بسط تلك الفصول وروى انه لما جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره صدقه ثم قال انها امارات بين يدى الساعة فقد اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه ثم نعلاه وسوطه بما احدث اهله بعده وفى رواية قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث اهله بعده (وروى حديث الذئب عن ابى هريرة) اى من طرق (وفى بعض الطرق عن ابى هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك) حال (وتركت) اى والحال انك قد تركت (نبيا) اى خدمته وصحبته مع انه نبى عظيم ورسول كريم (لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا) اى رفعة ورتبة (قد فتحت له ابواب الجنة) اى وكذا لمن تبعه من اكابر الامة (واشرف اهلها) اى واطلع اهل الجنة (على اصحابه ينظرون قتالهم) اى فى الغزوة وينتظرون وصالهم بالشهادة وحسن ما لها فى الجنة (وما بينك) اى والحال انه لا حائل بينك (وبينه الا هذا الشعب) بكسر اوله اى قطع هذا الوادى وهو ما انفرج بين الجبلين (فتصير فى جنود الله) اى احزابه المجاهدين (فقال الراعى من) وفى نسخة ومن (لى بغنمى) اى من يقوم لى برعاية غنمى (قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى) اى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما عنده من غنمه (وذكر) اى الراعى (قصته) اى مع الذئب (واسلامه ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على وفق ما حكاه الذئب له (يقاتل فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عد) بضم العين وسكون الدال المهملة اى ارجع (الى غنمك تجدها) جواب الامر اى تصادفها (بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء اى بتمامها وكما لها ما نقص شئ منها (فوجدها كذلك) اى كما اخبره (وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان) بضم الهمزة (ابن اوس) بفتح اوله اى وروى عنه ايضا (وانه) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (كان صاحب القصة) اى الحكاية (والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع) على ما فى الروض الانف (وانه كان صاحب هذه القصة ايضا) فيه ايماء الى تعدد القصة وتكرر القضية (وسبب اسلامه) اى فى هذه الرواية (بمثل حديث ابى سعيد) متعلق بروى المقدرة قبل قوله وعن اهبان والحاصل انه اختلف فى اسم الراعى المتكلم معه الذئب فقيل هو اهبان بن اوس السلمى ابو عقبة سكن الكوفة وقيل اهبان بن عقبة وهو عم سلمة بن الاكوع وكان من اصحاب الشجرة وقيل اهبان بن صياد الخزاعى وقيل اهبان بن صيفى وعن الكلبى هو اهبان الاكوع وعند السهيلى هو رافع بن ربيعة وقيل سلمة بن الاكوع والجمع ممكن بحمل القصة على تعدد القضية واختلاف المراد باهبان فى الرواية (وقد روى ابن وهب مثل هذا) اى مثل ما جرى فى اخذ الذئب شاة (انه جرى لابى سفيان بن حرب) اى والد معاوية (وصفوان بن امية) بالتصغير (مع ذئب وجداه اخذ ظبيا) اى اراد اخذه (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) اى تعظيما للحرم المحترم (فعجبا) بكسر الجيم اى فتعجبا (من ذلك) اى من انصرافه عما هنالك (فقال الذئب اعجب من ذلك) اى مما تعجبتما (محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة) اى الى سببها وهو الايمان (وتدعونه الى النار) اى موجبها وهو الكفران فهذا مقتبس من قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون ويا قوم ما لى ادعوكم الى النجوة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لاجرم

ان ماتدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولافي الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد (فقال ابو سفيان) اي لصفوان (واللات والعزى لئن ذكرت هذا) اي الخبر (بمكة) اي فيما بين اهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام اي بلاراع ولاحام كذا في النهاية ويقال حي خلوف اذا غاب رجالهم وبقي نساؤهم وقيل اي متغيرة اخذا من خلوف فم الصائم والمعنى ان اهلها بعد سماعهم هذا تغيرت احوالهم وذهبوا الى المدينة ولم يبق احد منهم الادخل في الاسلام معهم ولعل هذا كان سبب اسلامهم في آخر امرهم (وقد روى مثل هذا الخبر) اي الذي جرى لابي سفيان واحبابه (وانه) بفتح الهمزة وكسرها (جرى لابي جهل واصحابه) الا انه لم يسلم لما جرى لما سبق له من الشقاوة الابدية في كتابه هذا وعند ابن القاسم عن انس كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك فشردت علي منه غنمي فجاء الذئب فاخذ منها شاة فاشتدت الرعاء خلفه فقال الذئب طعمة اطعمنيا الله تعالى تنزعونها مني فبهت القوم فقال ماتعجبون الحديث وفي الروض ايضا في غزوة ذات السلاسل وهي في آخر الكتاب مالفظه وذكر في هذه السرية صحبة رافع ابن ابي رافع لابي بكر وهو رافع بن عمير وهو الذي كلمه الذئب وله شعر مشهور في تكلم الذئب له وكان الذئب قد اغار على غنمه فاتبعه فقال له الذئب الا ادلك على ماهو خير لك قد بعث الله نبيه وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع واسلم (وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وكان الاولى ان يقول ومن ذلك حديث عباس بن مرداس (لما تعجب من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة وبفتح وميم مخففة فالف فراء ذكره الصغاني وغيره وفي نسخة بالدال (صنم) بالجر بدل من ضمار او بيان فانه اسم لصنم كان يعبده هو ورهطه (وانساده) اي ومن قراءته برفع صوته (الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) روي ان مرداس لما احتضر قال لابنه عباس اي بني اعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا ينفع ولا يضر ثم صاح باعلى صوته ياالهي الاعلى اهدني للتي هي اقوم فصاح صائح من جوف الصنم

﴿ اودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل البيان من النبي محمد ﴾

﴿ وهو الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي ﴾

﴿ قل للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش اهل المسجد ﴾

فحرق عباس ضمارا ثم لحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم (فاذا طائر سقط) اي وقع ونزل بين يديه (فقال ياعباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك) اي بتخلفك عن مورد انسك (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) وفي نسخة صحيحة يدعوك (الى الاسلام وانت جالس) اي بعيد عن مقام المرام (فكان) اي كلام الطائر (سبب اسلامه) والحديث هذا كما في الطبراني الكبير بسند لا بأس به قريب مما هنا (وعن جابر بن عبد الله) كما روى البيهقي عنه (عن رجل) وهو اسلم او يسار وهو رجل اسود استشهد في غزوة خيبر كما ذكره ابو الفتح اليعمري في سيرته (اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو) اي النبي عليه الصلاة والسلام (على بعض حصون خيبر وكان) اي الرجل (في غنم يرعاها لهم فقال يارسول الله كيف بالغنم) اي مع اصحابها (قال احصب) بفتح الهمزة وكسر الصاد اي ارم بالحصباء وهي دقاق الحصى (وجوهها) اي لترجع الى دور مالكيها (فان) اي لان وفي نسخة بان اي بسبب ان (الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها) اي بكمالها من غير خلاف لها (ففعل فسارت كل شاة) اي في طريقها (حتى دخلت الى اهلها وعن انس) كما رواه احمد والبزار بسند صحيح (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا نصاري) اي بستان واحد من الانصار (وابو بكر وعمر ورجل من الانصار) اي معه (وفي الحائط غنم) وهو بحركتين الشاء لا واحد لها من لفظها والواحد شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكور والاناث وعليهما جميعا (فسجدت له) اي للنبي عليه الصلاة والسلام سجود التحية والاكرام وانقادت له باظهار الاسلام فانه مبعوث الى كافة الانام كما اختاره بعض الاعلام والظاهر ان سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام لقوله (فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها) اي فانها مع قلة عقلها اذا كانت تسجد لك فكيف نحن مع كثرة انتفاعنا بك لكن امرنا متوقف على اذنك (الحديث) بتثليث الثلثة وسيأتي تمامه (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه البزار بسند حسن (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر) اي ابو هريرة (مثله) اي مثل حديث انس لا مثل حديث ابي هريرة كما توهم الدلجي فقالوا هذه بهيمة لا تعقل فسجدت لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها (ومثله) اي مثل حديث ابي هريرة (في البعير) وفي نسخة صحيحة في الجمل (عن ثعلبة بن مالك) كما رواه

ابو نعيم قال المزى قدم ثعلبة من اليمن على دين يهود فنزل فى بنى قريظة فنسب اليهم ولم يكن منهم ولم يعرف من الصحابة من اسمه ثعلبة ابن ابى مالك غيره واسم ابى مالك عبدالله (وجابر بن عبدالله) كما رواه احمد والدارمى والبزار والبيهقى عنه (ويعلى بن مرة) كما رواه احمد والحاكم والبيهقى بسند صحيح عنه (وعبدالله بن جعفر) كما رواه مسلم وابو داود وعنه قال ابو هريرة (كان لايدخل احد الحائط) اى ذلك البستان من غير اهله (الاشد عليه الجمل) اى حمل وصال عليه حفظا لحائطه واستقرا بالداخله ورعاية لصاحبه (فلما دخل عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) اى الجمل فجاءه خاضعا وانقاد له خاشعا (فوضع مشفره) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء فراء اى شفته (على الارض وبرك) بتخفيف الراء اى ناخ (بين يديه فخطمه) اى فوضع فى رأسه بخطامه من رسنه وزمامه (وقال مابين السماء والارض شئ) اى من حيوان اوغيره (الايعلم) اى الا انه يعلم وفى نسخة لايعلم اى ليس يوجد بينهما شئ لايعلم قال المزى المعروف الايعلم وقد يكون رواية (انى رسول الله) اى اليه اوالى غيره (الا عاصى الجن والانس) اى الا كافر الثقلين والصيغة تحتمل الافراد والجمع بان حذفت نونه للاضافة (ومثله) اى مثل هذا المروى بعينه (عن عبدالله ابن ابى اوفى وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) اى حاله معهم فى مآله (فاخبروه انهم ارادوا ذبحه) الاولى نحره وكانه اراد ذبحه اللغوى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم) اى لاهل الجمل (انه شكا الى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه) اى الجمل (شكا الى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره فقالوا نعم) قال بئس الجزاء ارادوه له كذا نقله الدلجى والظاهر اردتموه له وفى اصل صحيح تم الحديث بقوله نعم والله تعالى اعلم (وقد روى فى قصة العضباء) وهى الناقة المشقوقة الاذن ولقب ناقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن عضباء ذكره الفيروز ابادى فقيل انها والقصوى والجدعاء واحدة وقيل اثنتان وقيل ثلاث ولم يكن بها عضب ولا جدع وقيل كان باذنها عضب (وكلامها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها) اى بذاتها وحالاتها (ومبادرة العشب اليها فى الرعى) اى فى رعيها (وتجنب الوحوش عنها وندائهم) والاظهر وندائها (لها انك لمحمد) اى فى زمان حالك اوفى مآلك (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائنى) حكى ابن عباس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ذات ليلة وناقة باركة فى الدار فلما مر بها قالت السلام عليك يازين القيامة يارسول رب العالمين قال فالتفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليها فقال وعليك السلام فقالت يا رسول الله انى كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت فى مفازة فكان اذ غشينى الليل احترستنى السباع فنادت بعضها بعضا لاتؤذوها فانها مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذا اصبحت واردت ان ارتع نادتنى كل شجرة الى الى فانك مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى وقعت هنا قال فسماها عضباء سنى لها اسما من اسم صاحبها ثم قالت الناقة يارسول الله ان لى اليك حاجة قال وماهى قالت تسأل الله ان يجعلنى من مراكبك فى الجنة كما جعلنى فى الدنيا قال صلى الله تعالى عليه وسلم قضيت ذكره التلمسانى (وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جعلت عليه ظلا (يوم فتحها) بفتح فسكون وفى نسخة بفتحات (فدعا لها بالبركة) هذا وقد قيل انها من نسل الحمامة التى باضت على باب الغار بعد دخول سيد الابرار لكن قال الدلجى واما قصة العضباء فلم ادر من رواها ولاحديث حمام مكة (وروى عن انس) وفى نسخة عن ابن مسعود (وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة) على مارواه ابن سعد والبزار والطبرانى والبيهقى وابو نعيم عنهم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال امر الله ليلة الغار شجرة) وفى نسخة شجرا (فنبتت تجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم التاء المبدلة من الواو اى قبالته التى تقتضى مواجهته قال الدلجى هو مجاز عن انبتها كما فى كونوا قردة قلت الظاهر انه امر تكوين وانه على حقيقته كما حقق فى قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (فسترته) اى تلك الشجرة عن اعين الفجرة وقد ذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فيما شرح من الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما دخل الغار ومعه ابو بكر انبت الله على بابه الراءة مثل الطاعة قال قاسم بن ثابت وهى شجرة معروفة فحجبت عن الغار اعين الكفار وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى الراءة من اعلاث الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر ابيض يحشى منه المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن ذكره السهيلى والاعلاث من الشجر القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ واليبيس على ما فى القاموس (وامر حمامتين فوقفتا) بالفاء وروى بالعين اى نزلتا (بفم الغار) اى لئلا يظن الاغيار دخول سيد الابرار ومن معه من اصحابه الكبار قال الدلجى فسمت صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما اى دعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام فيه (وفى حديث آخر) وفى نسخة صحيحة وان (العنكبوت نسجت على بابه) اى على فم الغار (فلما اتى

الطالبون له) اى لسيد الاخيار (وراوا ذلك) اى ماذكر من وقوف الحمامتين ونسج العنكبوت (قالوا لوكان فيه احد) اى ممن دخله هذا الوقت (لم تكن الحمامتان ببابه) اى ولا نسج العنكبوت ولعابه (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا) اى ولم يدركوا مرامهم وفى مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل اليه حمامتين وحشيتين وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرمين من نسل تينك الحمامتين (وعن عبدالله بن قرط) بضم القاف وسكون الراء له صحبة ورواية قال ابن عبدالبر كان اسمه فى الجاهلية سلطانا فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبدالله انتهى قتل بارض الروم والحديث رواه الحاكم والطبرانى وابو نعيم عنه انه (قال قرب) بضم القاف وتشديد الراء المكسورة اى ادنى (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) بفتحتين جمع بدنة وحكى بضمتين وهى ناقة او بقرة ذكره الجوهرى وزاد ابن الاثير وهى بالابل اشبه وسميت بدنة لعظمها وسمنها فلا يلتفت الى قول الدلجى وهى خاصة بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى الله تعالى عليه وسلم البقرة بها فى الاجزاء عن سبعة تناول اسمها للبقرة شرعا بل الحديث وآية الحج يمنعانه انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت اطلاق البدنة على البقرة لغة والحاقها بالابل شريعة فالمخالفة فيها مكابرة ومنع الحديث وآية الحج لهما مصادرة (خمس او ست اوسبع) شك من الراوى (لينحرها يوم عيد) اى من اعياد الاضحى (فازدلفن اليه) افتعلن من الزلف وهو القرب ومنه قوله تعالى حكاية ليقربونا الى الله زلفى ابدلت تاؤه دالا لمجاورتها الزاى ومنه المزدلفة والمعنى تقربن منه (بايهن يبدأ) اى فى نحرها قال المزى صوابه بايتهن بتاء التأنيث وفيه بحث (وعن ام سلمة كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء) اى بادية قفراء (فنادته ظبية يارسول الله) فالتفت فاذا هى موثقة واعرابى نائم (قال) اى لها (ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان) تثنية خشف وهو بكسر الخاء وسكون الشين المعجمتين ولد الظبية الصغير (فى ذلك الجبل فاطلقني) بفتح الهمزة وكسر اللام اى من القيد وارسلنى (حتى اذهب الى ولدى فارضعهما) بضم الهمزة وكسر الضاد (وارجع) اى اليك (قال اوتفعلين) بفتح الواو اى اتقولين هذا القول وتفعلين هذا الرجوع وفى نسخة صحيحة وتفعلين فالهمزة مقدرة وفى رواية قال اخاف ان لا ترجعى قالت ان لم ارجع فانا شر ممن يأكل الربا وشر ممن ينام عن صلاة العشاء وشر ممن يسمع اسمك ولم يصل عليك (قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت) اى بعدما ارضعت (فاوثقها) اى فربطها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على حالها (فانتبه الاعرابى) اى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم فى المعالجة لها او عندها (وقال يارسول الله الك حاجة قال تطلق) اى نعم هو ان تطلق اوهو خبر معناه امر وفى نسخة صحيحة اطلق (هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء) اى تجرى (وتقول) اى الظبية (اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله) رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طرق وضعفه جماعة من الائمة حتى قال ابن كثير لا اصل له وان من نسبه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كذب لكن طرقه يقوى بعضها بعضا وقد رواه ابو نعيم الاصبهانى فى الدلائل باسناد فيه مجاهيل عن ام سلمة نحو ماذكره المصنف وكذا رواه الطبرانى بنحوه وساقه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة (ومن هذا الباب) اى باب طاعة الحيوانات من طريق خرق العادات لبعض صحابته من تمام بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (ماروى من) وفى نسخة فى (تسخير الاسد لسفينة) غير منصرف للتأنيث والعلمية (مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اعتقته ام سلمة وشرطت عليه ان يخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه مهران عند الاكثر وكنيته ابو عبد الرحمن على الاشهر ولقبه عليه الصلاة والسلام سفينة لقضية مشهورة (اذ وجهه) اى كان التسخير حين ارسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الى معاذ باليمن) اى حال اقامته فيه لقضائه (فلقى) اى سفينة (الاسد فعرفه) بتشديد الراء اى فذكر له (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) اى مكتوبه عليه الصلاة والسلام الى معاذ اوغيره (فهمهم) بهائين وميمين مفتوحتين فعل ماض من الهمهمة وهى الكلام بالخفية (وتنحى عن الطريق) اى وتبعد وتأخر الاسد عن طريق سفينة (وذكر) اى سفينة (فى منصرفه) اى مرجعه (ايضا مثل ذلك) قال الدلجى لم ادر من رواه كذا وقد رواه البيهقى ان لقيه الاسد انما كان حين ضل عن الجيش فى ارض الروم قلت يحمل على تعدد الواقعة كما يشير اليه قول المصنف (وفى رواية اخرى عنه) اى عن سفينة كما رواه البيهقى والبزار (ان سفينة) اى من السفن (تكسرت به) اى وسفينة فى تلك السفينة (فخرج الى جزيرة) وهى ارض ينجزر البحر عنها (فاذا الاسد) اى حاضر والمعنى فاجأه بغتة (فقلت له انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزنى) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وتضم بعدها زاى اى يشير الى ويحرك على (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف اى بما بين كتفيه وعنقه (حتى اقامنى) اى دلنى (على الطريق) وفى ايراد هذا الحديث اشارة الى ان كرامة الولى بمنزلة معجزة النبي من حيث الدلالة على صدق

النبوة والرسالة فان الكرامة متفرعة على صحة المتابعة (واخذ عليه الصلاة والسلام) كان الاولى ان يقال ومن ذلك انه اخذ عليه الصلاة السلام (باذن شاة لقوم من بني عبد القيس) قبيلة كبيرة مشهورة (بين اصبعيه) بكسر الهمزة وفتح الموحدة وجوز تثليث كل منهما فالوجوه تسعة (ثم خلاها) اى تركها (فصار لها ميسما) بكسر الميم وفتح السين اى صار اثر اصبعيه لها علامة وهو في اصل الحديدة التي يكوى بها ويجعل بسببها علامة فاطلاقه على العلامة مجاز في العبارة ظاهر العلاقة (وبقي الا ثر فيها) اى في اصل تلك الشاة (وفي نسلها بعد) بالضم اى بعدها قال الدلجي لاادري من رواه (وماروى) اى ومن ذلك ماروى (عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار) في سيرة مغلطاي كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من الحمير يعفور وعفير ويقال هما واحد وآخر اعطاه سعد بن عبادة (اصابه) اى في سهمه وفي نسخة الذي اصابه (بخيبر وقال) اى الحمار وهو كان اسود (له اسمي يزيد بن شهاب) يعني ونعني ان الله تعالى اخرج من نسلي ستين حمارا كلهم لم يركبه الا نبي وقد كنت اتوقعك ان تركبني ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي وكنت اعثر به عمدا وكان يجيعني ويضربني على مارواه ابن ابي حاتم عن حذيفة وفي رواية يجيع بطني ويضرب ظهري (فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا) بالقصر وفي نسخة بالتنوين وفي نسخة يعفور كيعقوب (وانه) اى النبي عليه الصلاة والسلام (كان يوجهه) اى يرسله (الى دور اصحابه) اى بيوتهم (فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) اى يطلب منهم اجابة الدعوة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمامات) اى ودفن (تردى) اى رمى بنفسه (في بئر) اى لابي الهيثم بن التيهان (جزعا) اى فزعا (وحزنا) بفتحتين اوبضم فسكون (فمات) اى فصارت قبره رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابي منظور وقال لااصل له واسناده ليس بشيء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات قلت قصة يعفور ذكرها غير القاضي فقد نقلها السهيلي في روضه عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الجويني في كتاب الشامل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اراد احدا من اصحابه ارسل هذا الحمار اليه فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم ان قد ارسل اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي رواية فاذا خرج اليه صاحب الدار اومأ اليه ان اجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد اخرجه ابن عساكر عن ابي منظور وله صحبة نحو ماسبق وقال هذا حديث غريب وفي اسناده غير واحد من المجهولين ورواه ابونعيم عن معاذ بن جبل كما تقدم والله تعالى اعلم (وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها انه ماسرقها وانها ملكه) رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم من حديث ابن عمر قال الذهبي وهو موضوع وفيه نظر (وفي العنز) اى وفي حديث العنز كما في نسخة صحيحة وهي الانثى من المعز (التي اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عسكره) اى حال كونه فيما بين جنده في غزوة له (وقد اصابهم عطش) اى شديد (ونزلوا على غيرماء) اى لضرورة بهم (وهم زهاء ثلثمائة) احوال مثنا بعة مترادفة اومتداخلة (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاروى الجند) اى جميع العسكر (ثم قال لرافع) اى مولاه كذا قاله الدلجي لكن مولاه ابو رافع ولذا قال الحلبي رافع هذا لااعرفه بعينه وفي الصحابة جماعة كثيرة يقال لكل منهم رافع (املكها) بفتح الهمزة وكسر اللام اى اونقها اواربطها واحفظها (وما اراك) بضم الهمزة اى مااظنك تملكها وتحفظها (فربطها) اى وغفل عنها (فوجدها قد انطلقت) اى ذهبت برأسها بحيث لم يدر احد عنها (رواه ابن قانع) وقد سبق ذكره (وغيره) منهم ابن سعد وابن عدي والبيهقي عن مولى ابي بكر رضي الله عنه (وفيه) اى وفي حديث ابن قانع (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها) اى الله سبحانه وتعالى (هو الذي ذهب بها) فيه ايماء الى ان ايجادها واعدامها كليهما من خرق العادة (وقال) اى النبي صلى الله عليه وسلم (لفرسه عليه الصلاة والسلام) كذا في بعض النسخ المصححة وانما محله قبله بعد قال كما لا يخفى ثم قيل كانت افراسه صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين اتفق منها على سبعة (وقد قام الى الصلاة) اى والحال انه قد اراد قيامه اليها (في بعض اسفاره) متعلق بقام كما هو اقرب اويقال وهو انسب (لاتبرح) اى لا تفارق مكانك (بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته) اى في صوب قبلته اوفي جهة مقابلته (فما حرك عضوا) اى من اعضائه وهو بضم اوله ويكسر (حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى حتى فرغ منها كما في اصل الدلجي والحق في بعض النسخ هنا وزعم بعضهم انه من الام (ويلتحق بهذا) بصيغة المجهول اوالمعلوم (ماروى الواقدي) بكسر القاف قاضي العراق يروي عن ابن عجلان وثور وابن جريج وعنه الشافعي رحمه الله والصغاني قال البخاري وغيره متروك وقد ذكر له ترجمة حسنة ابن سيد الناس في اول سيرته وذكر فيها ثناء الناس عليه وجرحهم له وانه نسب الى وضع الحديث وفي آخرها استقر الاجماع على وهن الواقدي (ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك) اى لتبليغ الرسالة

اليهم وتحقيق الحجة لديهم (فخرج ستة نفر منهم) اى من رسله (فى يوم واحد فاصبح كل واحد منهم) اى صار لما بلغ عندهم واراد تبليغهم (يتكلم بلسان القوم الذين بعثه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) اى من الملوك واتباعهم من غير تعلم لسانهم وتعرف بشانهم قال الكلاعى فى التقاية وفى حديث ابن اسحق قال عليه الصلاة والسلام ان الله بعثنى رحمة كافة فادوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى فقال اصحابه وكيف اختلفوا يارسول الله قال دعاهم الى الذى دعوتكم اليه فامامن بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل فشكا عيسى عليه الصلاة السلام ذلك الى الله تعالى فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التى بعث اليها (والحديث فى هذا الباب) اى فى معنى هذا النوع من المعجزة (كثير) اى ورد بطرق متعددة وقضايا منكرة (وقد جئنا منه بالمشهور) اى فى صحته وثبوته (وما وقع) اى ومما ورد (منه فى كتب الائمة) اى المعروفين بالسنة والسيرة

﴿فصـــل﴾

(فى احياء الموتى وكلامهم) اى للاحياء قال القرطبي فى تذكرته وكذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم احيى الله على يديه جماعة من الموتى قال الحلبي وقد ذكر القاضى فيما يأتى جماعة منهم (وكلام الصبيان) اى الاطفال قبل اوان التكلم (والمراضع) جمع راضع على خلاف القياس وهو اخص من الاول فتأمل ويحتمل ان يكون العطف تفسيريا ووقع فى اصل الدلجى وكلام الصبيان المراضع بالوصف بدون العاطف (وشهادتهم) اى الصبيان (له بالنبوة) اى المتضمنة للرسالة (صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه والقاضى ابو الوليد محمد بن رشد) بضم فسكون (والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) سبق (وغير واحد) اى وكثيرون من مشايخنا (سماعا) اى رواية (واذنا) اى اجازة (قالوا) اى كلهم (ثنا ابو على الحافظ) الظاهر انه ابو على الغسانى (ثنا ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر (ثنا ابو زيد) اى عبد الرحمن بن يحيى كما فى نسخة (ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابى) تقدم (ثنا ابو داود) صاحب السنن (ثنا وهب بن بقية) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية روى عنه مسلم والبغوى ثقة (عن خالد هو الطحان) بتشديد الحاء احد العلماء ثقة عابد زاهد يقال اشترى نفسه من الله ثلاث مرات يتصدق بزنة نفسه فضة (عن محمد بن عمرو) اى ابن علقمة بن وقاص الليثى يروى عن ابيه وابى سلمة وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله الانصارى (عن ابى سلمة) وهو احد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) قال المزى فى الاطراف كذا وقع هذا الحديث فى رواية سعيد عن ابن الاعرابى عن ابى داود مسندا موصولا وعند باقى الرواة عن ابى سلمة وليس فيه ابو هريرة فهو مرسل (ان يهودية) وهى زينب اخت عبد الله بن سلام وقيل زينب بنت الحارث (اهدت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) بفتح الميم وكسر اللام وتحتية مشددة اى مشوية (سمتها) بتشديد الميم من السم لا من التسمية اى وضعت السم فيها (فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها والقوم) بالرفع ويجوز نصبه وفى نسخة واكل القوم اى منها ايضا (فقال ارفعوا ايديكم) اى عنها (فانها اخبرتنى) اى حينئذ (انها مسمومة فمات) اى من اكلها (بشر بن البراء) بفتح الباء وتخفيف الراء وهو ابن معرور واياك ان تعجمها فانه تصحيف مغرور وهو خزرجى سلمى شهد العقبة وبدرا واحدا قيل انه مات فى الحال وقيل لزمه وجعه حتى مات بعد سنة وقضية خيبر كانت فى اول السابعة اى او فى آخر السادسة (وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ما حملك) اى ايتها اليهودية (على ما صنعت قالت) اى حملنى ما تردد فى باطنى من انك (ان كنت نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا) بكسر اللام اى ممن يدعى ملكا (ارحت الناس منك قال) اى ابو هريرة كما رواه البيهقى عنه موصولا وابو داود عن ابى سلمة مرسلا (فامر بها) اى بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) اى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (انس) اى كما فى الصحيحين (وفيه قالت اردت قتلك) ان لم تكن نبيا (فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك) ويروى ليسلط على ذلك ويسلطك على اى على قتلى فانى نبى موعود كمال دينى وعصمة روحى (فقالوا انقتلها) وفى رواية الا نقتلها (فقال لا) اى لا تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر فلما مات امر بقتلها به (وكذلك روى) اى هذا الحديث وفى نسخة وكذلك عن ابى هريرة (من رواية غير وهب) اى ابن بقية وهو شيخ ابى داود (قال) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (فاعرض لها) اى فما تعرض لها ولم يأمر بقتلها (ورواه ايضا جابر بن عبد الله) كما رواه ابو داود والبيهقى عنه (وفيه) اى فى حديثه (اخبرتنى به هذه الذراع قال) اى جابر (ولم يعاقبها) اى ولم يؤاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما صدر عنها قبل موت بشر منها (وفى رواية الحسن) اى البصرى (ان فخذها كلمنى انها مسمومة) قلت وفى الجمع بينهما انصاب الشهادة (وفى رواية ابى سلمة ابن عبد الرحمن

فقالت) اى الشاة بكلما لها او ببعض اجزائها (انى مسمومة) اى فلا تأكل منى (وكذلك في كتاب الجبر لابن اسحق) اي امام المغازى (وقال فيه) اى فى حديثه (فتجاوز عنها) اى عفا ابتداء (وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن انس انه قال فمازلت اعرفها) اى اثر سمها (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة فى سقف اقصى الفم (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن سعد وهو فى الصحيح (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى وجعه الذى مات فيه) وفى نسخة منه (مازالت اكلة خيبر) بضم الهمزة اى لقمتها وخيبر بلدة على اميال من المدينة السكينة اكل بها من الشاة المسمومة (تعادنى) بضم التاء وتشديد الدال اى يراد دنى و يراجعنى ويعاودنى الم سمها فى اوقات معينة لها وهو مأخوذ من العداد بكسر العين وهو اهتياج وجع اللديغ لوقت معلوم فانه اذا تمت له سنة من حين اللدغ هاج به الالم (فالآن) وفى نسخة والآن اى وهذا الزمان الذى انا فيه (اوان قطعت ابهرى) والاوان بفتح الهمزة ويكسر بمعنى الوقت وهو هنا بفتح النون لاضافته الى المبنى كما فى قوله على حين عاينت المشيب على الصبا وبضمها على انه مرفوع على الخبرية اى فهذا الزمان اوان قطعت على بناء الفاعل وهو الاكلة ومفعوله ابهرى وهو بهمزة مفتوحة وسكون موحدة وفتح هاء عرق يكتنف الصلب والقلب اذا قطع لم يبق معه حياة وهو الذى يمتد الى الحلق فيسمى الوريد والى الظهر فيسمى الوتين فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا اوان قتلنى السم فكنت كمن انقطع ابهره كذا ذكره التلمسانى والظاهر انه على ظاهره وان السم سرى الى ابهره وقال الداودى الالم الذى حصل له من الاكلة هو نقص لذة ذوقه قال ابن الاثير وليس بين لان نقص الذوق ليس بالم قلت هو الم من العذاب الاليم كما يشهد به الذوق السليم (وحكى ابن اسحق) اى فى المغازى (ان) مخففة من المثقلة اى ان الشان (كان المسلمون) اى الصحابة والتابعون (ليرون) بفتح اللام وضم الياء اى ليظنون وفى نسخة صحيحة بفتح الياء اى ليعتقدون (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) اى نوعا من الشهادة (مع ما اكرمه الله به من النبوة) اى لئلا يخلو من نوع من ابواب السعادة وهذا لا ينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس اذ المراد به عصمته من القتل على ايديهم واما مادونه فقد احتمل صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذات الله ومرضاته حتى سم وسحر وكسرت رباعيته كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حين اصيبت اصبع رجله بحجر فى طريقه

﴿هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت﴾

وقد اجيب بان الآية نزلت بتبوك والسم كان بخيبر قبل ذلك والله تعالى اعلم (وقال ابن سحنون) بفتح السين وضم النون منصرفا ومنوعا وهو محمد بن سحنون بن سعيد التنوخى (اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته) هو محمول على آخر امرها فلا ينافى ماورد من عدم التعرض لها فى ابتداء حالها فقول الدلجى ان دعوى ابن سحنون يردها مامر من حديث انس وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما من رواية غير وهب بقية ليس فى محله اذا سبق ان كل واحد من الحديثين يحمل نفيه قبل موت البراء وهذا معنى قول المصنف (وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك) اى بحسب ما بين التخالف هنالك (عن ابى هريرة وانس وجابر) اى ابتداء لا انتهاء كما يشير اليه قوله (وفى رواية عن ابن عباس انه دفعها لاولياء بسر بن البراء فقتلوها) اى بعد موت البراء فارتفع النزاع وثبت ماذكره ابن سحنون من الاجماع (وكذلك) اى مثل هذا الاختلاف اونحوه قد اختلف (فى قتله للذى سحره قال الواقدى وعفوه عنه اثبت عندنا) اى من قتله (وروى) وفى نسخة وقد روى عنه (انه قتله) ولعله عفا عنه اولا بسبب سحره المتعلق بخاصة نفسه ثم قتله لما صدر عنه بالنسبة الى غيره اولدفع ضرره عن المسلمين فى آخر امره اواوحى اليه بعد عفوه ان يأمر بقتله وهذه الجملة معترضة (وروى الحديث) اى حديث الشاة المسمومة (البزار عن ابى سعيد) اى الخدرى (فذكر مثله) اى نحو ماسبق (الا انه قال) اى ابو سعيد (فى آخره) اى فى آخر حديثه (فبسط) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) اى مدها (وقال) اى لاصحابه كما فى نسخة (كلوا بسم الله) اى مبتدئين باسمه ومستعينين بذكره (فاكلنا) اى منها (وذكرنا اسم الله) اى عليها (فلم تضر منا احدا) عن الحافظ ابن حجر انه منكر ذكره الدلجى ولعل وجه الانكار عموم نفى الاضرار مع انه ثبت فى الصحيح موت البراء منه كما سبق به التصريح كذا تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم تضرر منها الى ان توفى بسببها وحصل له مرتبة الشهادة بها هذا والحديث رواه الجزرى ايضا فى الحصين بلفظ وامر الصحابة فى الشاة المسمومة التى اهدتها اليهودية ان اذكروا اسم الله وكلوا فاكلوا ولم يصب احدا منهم شئ واسنده الى مستدرك الحاكم قال صاحب السلاح رواه الحاكم فى مستدركه عن ابى سعيد الخدرى وقال صحيح الاسناد انتهى لكن قال بعض مشايخنا وفيه تأمل لا يخفى اذ المشهور بين اصحاب الحديث وارباب السير انه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة احد من الصحابة الا بسر بن البراء اكل منها لقمة ومات منها وامر النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم باحراق تلك الشاة ودفنها تحت التراب واحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل من الشاة حجمه ابو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبنى بياضة من الانصار والله سبحانه وتعالى اعلم بالاسرار (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح) اى الذين التزموا الصحة (وخرجه الائمة) اى البقية من اصحاب السنن المشتملة على الصحيح وغيره من الاقسام (وهو حديث مشهور) اى بين الخاص والعام عند الجمهور من علماء الاعلام (واختلف ائمة اهل النظر) اى من المتكلمين وغيرهم (فى هذا البــاب) اى باب خلق الله تعالى الكلام فى الاجسام (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى) اى فى محل من الموجودات اعم من الحيوانات والنبــاتات والجمادات كما بينه مثلا بقوله (فى الشاة الميتة) بتخفيف اليــاء ويجوز تشديدها (او الحجر او الشجر) ذكرها بلفظ او للتنويع (وحروف واصوات) برفعهما عطف على كلام (يحدثها الله تعالى فيها) اى يوجدها فى هذه الاشياء بلا حياة لها لعدم توقف ما ذكر عليها (ويسمعها) بضم الياء وكسر الميم اى من شاء من خلقه (منها) اى من الاصوات والحروف (دون تغير اشكالها) اى انواع صورها (ونقلها عن هيئتها) اى حالتها وصفتها وتمام حقيقتها (وهو) اى هذا القول (مذهب الشيخ ابى الحسن) اى الاشعرى (والقاضى ابى بكر) اى ابن الطيب الباقلانى (رحمهما الله) اقول فعلى هذا كلام الشاة من جنس سلام الحجر وكلام الشجر فلا يصلح ان يكون مستندا لاحياء الموتى على ما ساقه المصنف كما لا يخفى بخلاف ما يستفاد من قوله (وآخرون ذهبوا الى ايجاده) اى الله سبحانه وتعالى (الحياة) وفى نسخة الى ايجاد الحياة لها اولا (ثم الكلام) بالنصب او الجر اى ثم ايجاد الكلام (بعده) اى بعد ايجاد الحياة بها مع عدم تغيرها عن حالها (وحكى هذا ايضا عن شيخنا) اى معشر اهل السنة (ابى الحسن) اى الاشعرى (وكل) اى من القولين (محتمل) اى لايجاد الحياة فيها اولعدمها ولما كان التناقض بين القولين دفعه المصنف بحمل القول الثانى على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة وحمل الاول على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلقها فيه بقوله (والله اعلم اذ لم نجعل) اى نحن ويجوز بصيغة الغائب اى ابو الحسن (الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها) اى فيه (فاما اذا كانت) اى الحروف والاصوات (عبــارة عن الكلام النفسى فلابد من شرط الحياة لها) اى للاصوات (اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى) اقول وظاهر الآيات والاحاديث يؤيد القول الاول فتأمل منها قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وحديث ان الجبل ينادى الجبل باسمه اى فلان هل مر بك احد ذكر الله تعالى فاذا قال نعم استبشر الحديث مع انه ليس هنالك خرق للعادة فالصحيح من مذهب اهل السنة والصريح من مشرب الصوفية ان الاشياء لها معرفة بموجدها كما يدل عليه قوله سبحــانه وتعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وان لها السـنة مسبحة لخالقها ويفهمها جنسهــا ومن اراد الله ادراكـها (خلافا للجبائى) بضم الجيم وتشديد الموحدة بعدها الف ممدودة نسبة الى جبى قرية بالسواد وهو من متقدمى المعتزلة وكان اماما فى علم الكلام واخذه عن يعقوب بن عبد الله الشحام البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة فى عصره وعنه اخذ الشيخ ابو الحسن الاشعرى علم الكلام وله معه مناظرات مستحسنة بعد ما اقام على الاعتزال معه اربعين سنة ثم رجع حاله وحسن مآله ومال الى مذهب اهل السنة وصار امام الائمة قيل انه مالكى المذهب وقال السبكى اخذ فقه الشافعى عن ابى اسحق المروزى توفى عام ثلاثين وثلاثمائة واما الجبائى فمات سنة ثلاث وثلثمائة (من بين سائر متكلمى الفرق) اى فرق الاسلامية اذ لم يوافقه احد منهم (فى احالته) اى عدم امكانه (وجود الكلام اللفظى والحروف والاصوات الا من حى مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم) اى الجبائى (ذلك) اى ما ذكره من التركيب (فى الحصى) اى الذى سبح فى يد المصطفى (والجذع) اى الذى حن وان (والذراع) اى الذى تكلم وبين (وقال) اى الجبائى (ان الله خلق فيها حياة وخرق) بالراء اى شق وروى خلق (لها فما ولسانا وآلة) اى مما يتوقف النطق عليها (مكنها) بتشديد الكاف وفى نسخــة امكنها اى اقدرها الله تعالى (بها من الكلام وهذا) اى ما ادعاه دعوى بلا بينة منه فانه كما قال المصنف (لو كان) اى وجد ما ذكره (لكان نقله والتهمم به) اى الاهتمام بنقله (اوكد) لكونه اغرب واعجب فنقله اهم (من التهمم بنقل تسبيحه) اى الحصى فى يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وحنينه) اى الجذع اليه (واخباره) اى الذراع له كذا فى شرح الدلجى ولم يوجد لفظ واخباره فى الاصول المعتمدة (ولم ينقل احد من اهل التفسير) اى شراح الحديث وفى نسخة من اهل السير اى ارباب التواريخ (والرواية) اى من المحدثين (شيئا من ذلك) اى مما ادعاه الجبائى (فدل) اى عدم نقلهم ما ادعاه (على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه فى النظر) اى فى نظر العقل وخبر النقل اذ المقام مقام خرق العادة وهو انمــا يكون على وفق القدرة والارادة وهو سبحانه وتعــالى على كل شئ قدير (والله الموفق) اى لتيسير

كل عسير وفي نسخة والموفق الله لاسواه (وروى وكيع) الظاهر انه ابن الجراح وقد تقدم (رفعه) بالنصب وفي نسخة بصيغة الفعل اي رفع حديثه (عن فهد بن عطية) بالفاء في اوله و بالدال في آخره وفي نسخة بالراء وكلاهما لايعرف على ماذكره الدلجي تبعا للحلبي وفي المواهب عن مهد بالميم والدال ولعله تصحيف واما روى البيهقي عن سمر بن عطية بكسر السين المهملة وسكون الميم في آخره راء عن بعض اشياخه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بصبي) اي جيء به اليه (قد شب) اي صار شابا (لم يتكلم قط فقال له من انا فقال رسول الله) اي انت رسوله (وروى) بصيغة المجهول وقد رواه البيهقي وابن عساكر (عن معرض) بضم ميم وتشديد راء مكسورة وروى معرض بكسر اوله كانه آلة (ابن معيقيب) بالتصغير و في نسخة معيقب بحذف الياء الثانية (رأيت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا) وفي المواهب اسند الحديث الى معيقب اليماني قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأيت منه عجبا اي خرق عادة متضمنا لكرامة (جيء) اي اليه (بصبي يوم ولد فذكر مثله) اي قال له من انا قال رسول الله (وهو حديث مبارك اليمامة) قال ابن دحية هو موضوع ذكره الدلجي ولعله موضوع باسناد غير معروف لماتقدم من ان الحديث هذا رواه البيهقي وابن عساكر فتأمل فانه محل زلل (ويعرف) اي حديث المبارك ايضا (بحديث شاصونة) بضم الصاد وسكون الواو فنون فتاء وضبط في بعض النسخ بتحتية بدل النون وفي اخرى بفتح الصاد والواو وسكون الياء فهاء مكسورة هو ابو عبيد من اهل اليمن (اسم راويه) اي راوي حديث المبارك قال الحلبي هذا الصبي هو مبارك اليمامة وهو مذكور في الصحابة قال الذهبي في تجريده في الصحابة مبارك اليمامة في حديث معرض الصحابة (وفيه) اي في مروى شاصونة (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت) اي فيما نطقت (بارك الله فيك) اي في عمرك او في امرك (ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها) اي بعد هذه الكلمة اوالشهادة (حتى شب) اي بلغ زمن التكلم وفيه ايماء الى ان المراد بالغلام هنا هو الصبي قبل ان يصير شابا فهذا غير الصبي الذي تقدم والله تعالى اعلم (فكان) وفي نسخة صحيحة وكان (يسمى مبارك اليمامة) اي لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دعاله بالبركة اضيف الى اليمامة لانه كان من اهلها وفي القاموس ان اليمامة جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة ايام وبلاد الجو منسوبة اليها سميت باسمها وهي اكثر نخلا من سائر الحجاز وهي دون المدينة في وسط الشرق عن مكة هذا وقد جمع الجلال السيوطي رحمه الله جميع من تكلم وهو صغير في هذه الابيات

﴿ تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم ﴾
﴿ ومبري جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم ﴾
﴿ و طفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني و لا تتكلم ﴾
﴿ وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم ﴾

(وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع) بفتح الواو وتكسر وهي سنة عشر من الهجرة (وعن الحسن) اي البصري (اتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي واسلم هو وامرأته (فذكر) اي الرجل له (انه طرح بنية) بالتصغير (له في وادي كذا) يعني وانها هلكت على ظنه بها اوتردد في حياتها ومماتها (فانطلق) اي فذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (معه الى الوادي) اي المعهود (وناداها) اي البنية ابوها او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر (باسمها يافلانة اجيبي) اي دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (باذن الله تعالى) اي بامره وتيسيره (فخرجت) اي من الوادي وظهرت فيه (وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان ابويك قد اسلما فان احببت ان ادرك عليهما) اي بالحياة الاصلية اوالمجددة رددتك عليهما والاتركتك على حالك (فقالت) وفي نسخة قالت (لاحاجة لي بهما) وفي نسخة فيهما (وجدت الله خيرا لي منهما) والحديث عن الحسن لم يعلم من رواه كذا ذكره الدلجي ثم سياقه يحتمل ان يكون من كلام الصغار اي في احياء الموتى لان القضية تحتملهما الا ان المصنف رحمه الله لم يرتب في هذا المحل اذ كان اللائق به ان يذكر اولا ما يتعلق باحياء الموتى ثم يأتي بكلام الصبيان على طبق العنوان ثم رأيت الحديث في دلائل البيهقي صريحا في احيائها حيث ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لااؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ارني قبرها فاراه اياه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يافلانة قالت لبيك وسعديك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اتحبين ان ترجعي الى الدنيا فقالت لا والله يارسول الله اني وجدت الله خير لي من ابوي ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا فكان حق المصنف ان يقدم هذا الحديث بهذا اللفظ في صدر الباب ليكون مطابقا لعنوان الكتاب

ثم يذكر ما اخرجه ابو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة واتى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاكل القوم وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قامت تنفض ذنبها كذا ذكره صاحب المواهب واما ماذكروا عنه عليه الصلاة السلام من احياء ابويه وايمانهما به على مارواه الطبراني وغيره عن عائشة فاتفق الحفاظ على ضعفه كما صرح به السيوطي وقال ابن دحية هو موضوع مخالف للكتاب والسنة وقد بينته في رسالة مستقلة تحقق هذه المسئلة ردا على العلامة السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة وبيانا لدلائله المضعفة (وعن انس) كما رواه ابن عدي والبيهقي وابن ابي الدنيا وابو نعيم (ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز) اي مات حال وجودها (عمياء فسجيناه) بتشديد الجيم اي غطيناه (وعزيناها) بتشديد الزاي اي امرناها بالصبر وحملناها على الشكر لوعد الاجر والحذر من الوزر ودعونا لها بجبر المصيبة ولولدها بالمغفرة (فقالت مات ابني) اي امات (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم) اي من نيتي في هجرتي (اني هاجرت اليك والى رسولك رجاء) بالنصب اي من اجل املي (ان تعينني على كل شدة) اي واقعة لي (فلا تحملن علي) بتشديد الياء (هذه المصيبة) اذ لست تحملها مطيقة هذا ولا يبعد ان يكون ان بمعنى اذ لكن الاولى ما قدمناه من ان الترديد غير راجع الى علمه سبحانه وتعالى بل الى معلومه من حيث عدم جزمها بكون هجرتها خالصة وقدابعد الدلجي بقوله تجاهلا منها فيه (فما برحنا) بكسر الراء اي ماذهبنا من مكاننا ولا زلنا في موضعنا (حتى كشف الثوب) كذا في اصل الدلجي اي الى ان كشفه وفي الاصول المعتمدة ان كشف الثوب اي فما زايلنا كشفه وما فارقنا رفعه (عن وجهه) بعد دعائها الى احيائه (فطعم وطعمنا) بكسر العين اي فعاش مدة بدعائها واكل واكلنا معه وفيه اشارة الى ان الكرامات نوع من المعجزات بل هي ابلغ منها حيث حصل للتابع ما يحصل للمتبوع من خوارق العادات هذا وليس فيه صريح دلالة على احيائه بعد اماتته لاحتمال اغمائه مع وجود سكتة لكن زال الغم بدعاء الام (وروى) اي على مانقله البيهقي (عن عبدالله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس) بتشديد الميم قال الحلبي ثابت هذا انصاري خطيب الانصار وقد شهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وذلك انه نزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية احتبس ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته وقال لقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من اهل الجنة روى عنه بنوه وانس (وكان) اي ثابت (قتل باليمامة) وكانت وقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق (فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان) وفي نسخة وعثمان (البر) بفتح الموحدة (الرحيم) اي البار لقومه عامة والرحيم برحمة خاصة (فنظرنا) اي مختبرين حاله من حياة وموت (فاذا هو ميت) فهذا الحديث دليل كلام الموتى لا احيائهم كما لا يخفى (وذكر عن النعمان بن بشير) كما رواه الطبراني وابو نعيم وابن مندة عنه وابن ابي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت عن انس (ان زيد بن خارجة) بالخاء المعجمة ثم الجيم (خر ميتا) اي سقط من قيام اوقعود حال كونه ميتا وجوز ان يكون التقدير وقد خر حيا فمات به في عقبه ويؤيده ما في رواية ابن ابي الدنيا على مانقله عنه القسطلاني فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي (في بعض ازقة المدينة) بكسر الزاي وتشديد القاف جمع زقاق اي بعض طرقها المسلوكة في داخلها (فرفع) اي جسده (وسجي) اي غطي وجهه (اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن) بضم الراء اي يبكين بصياحهن (حوله) اي ومعهن رجال من اهله (يقول انصتوا انصتوا) بفتح الهمزة وكسر الصاد فيهما اي اسكتوا واستمعوا والتكرير للتأكيد فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب (فحسر) بصيغة الفاعل اي كشف غطاءه (عن وجهه) وفي نسخة بصيغة المفعول ويؤيده انه في رواية فحسروا عن وجهه (فقال) اي القائل على لسانه كما في رواية (محمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (النبي الامي وخاتم النبيين) اي آخرهم (كان ذلك) اي كونه رسولا نبيا اميا وختما كليا (في الكتاب الاول) اي اللوح المحفوظ الذي كل ما فيه لا يبدل (ثم قال) اي زيد (صدق صدق) اي رسول الحق والتكرير للتأكيد اوصدق فيما اخبر به عن الابتداء كما انه صدق فيما انبأ به عن الانتهاء (وذكر ابا بكر وعمر وعثمان) اي بخير او بانهم صدقوا فيما عاهدوا الله عليه او بانهم ممن قال تعالى فيهم والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين وذلك لما كشف له من احوال الآخرة هذا وقد تصحف على الدلجي حيث قال صدق صدق امر مخاطب (ثم قال) اي زيد (السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته) وهو سلام وداع اماغيبة واما مشاهدة ويؤيده انه في رواية قال هذا رسول الله الخ قال التلمساني روى تركاه اقول الظاهر

انه تصحيف (ثم عادمينا كما كان) اى عود البدء واعلم ان صاحب الاستيعاب ذكر فى زيد بن خارجة بن زيد انه هو الذى تكلم بعد الموت لايختلفون فى ذلك قال الذهبى وهو الصحيح وقيل هو ابوه وذلك وهم لانه قتل يوم احد قال ابن عبدالبر توفى فى زمن عثمان فسجى بثوب ثم انهم سمعوا جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال احمد احمد فى الكتاب الاول صدق صدق ابو بكر الصديق الضعيف فى نفسه القوى فى امر الله فى الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوى الامين فى الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منها جه مضت اربع و بقى سنتان اتت الفتن واكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر اريس وما بئر اريس هذا وعن سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار توفى فلما كفن واتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرجه ابو بكر بن الضحاك والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ فصل ﴾

(فى ابراء المرضى وذوى العاهات) اى الآفات (قال) اى المصنف (اخبرنا ابو الحسن على ابن مشرف) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد الراء المفتوحة (فيما اجازيه وقراءته على غيره قال) اى ابو الحسن او كل منه ومن غيره (ثنا ابو اسحق الحبال) بتشديد الموحدة (ثنا ابو محمد ابن النحاس) بتشديد الحاء المهملة (ثنا ابن الورد) وهو راوى سيرة ابن هشام (عن البرقى) بفتح الموحدة وسكون الراء وهو ابو سعيد عبد الرحيم بن عبدالله بن عبدالرحيم ابن ابى زرعة البغدادى الزهرى مولاهم (عن ابن هشام) هو الامام الاديب العلامة ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب صاحب السيرة قال السهيلى مشهور بكمال العلم متقدم فى علم النسب والنحو والادب واصله من البصرة قدم مصر وحدث بالمغازى وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف نسبة الى جد له اشتهر بالبكاء وقيل سمى به لانه دخل على امه وهى تحت ابيه فبكى وصاح وقال انه يقتل امى روى عنه احمد وقال ابن معين لابأس به فى المغازى خاصة (عن محمد بن اسحق) وهو الامام فى المغازى (ثنا ابن شهاب) وفى نسخة ابن هشام والاول هو الصواب والمراد به الزهرى وهو احد مشايخ ابن اسحق المذكور (وعاصم بن عمر بن قتادة) اى ابن النعمان الظفرى يروى عن ابيه وجابر وعنه جماعة صدوق وكان علامة فى المغازى مات سنة عشرين ومائة اخرج له اصحاب الكتب الستة (وجماعة) اى آخرون (ذكرهم) اى ابن اسحق (بقضية احد) اى فى غزوته (بطولها) اى بجميع ما يتعلق بها ومنها هذه القصة بخصوصها وقد رواها البيهقى ايضا (قال) اى ابن اسحق (وقالوا) اى مشايخنا المذكورون (قال سعد ابن ابى وقاص) اى فى غزوة احد وهو احد العشرة المبشرة (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولنى السهم لانصل به) بالصاد المهملة حديدة السهم والرمح وفى نسخة بالضاد المعجمة وهو تصحيف وتحريف (فيقول ارم به) اى فارمى به فيقتل من اصابه وهذا من خرق العادة ولعل هذا كان بعد فراغ السهام التى لها نصل (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عاصم ابن عمر بن قتادة مرسلا (يومئذ) اى يوم احد (عن قوسه) وهى المسماة بالكتوم لانخفاض صوتها اذا رمى عنها (حتى اندقت) بتشديد القاف اى انكسرت وفى نسخة حتى اندقت سيتها كذا فى السير (واصيب) وروى واصيبت (يومئذ عين قتادة يعنى ابن لنعمان) بضم النون وهو تفسير من الراوى (حتى وقعت على وجنته) بتثليث الواو والفتح افصح اى سالت على اعلى خده فاتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله ان لى امرأة احبها واخشى ان رأتنى تقذرنى فاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وفى رواية انه اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماهذا ياقتادة فقال هذا ما ترى يارسول الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل جيل ولكنى اكره ان اعير بالعور فردها الى واسأل الله لى الجنة فقال افعل فاعادها الى موضعها ودعا لى بالجنة وهذا معنى قوله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا ووصله ابن عدى والبيهقى عن عاصم عن جده قتادة ورواه البيهقى من وجه آخر عن ابى سعيد الخدرى عن قتادة (فكانت) اى عينه المردودة (احسن عينيه) لانها المقبولة وكانت ايضا احدهما نظرا ولا ترمد اذا رمدت الاخرى ولهذا ظهر ضعف قول التلمسانى يجوز ان يكون اكتفى بذكر احدى العينين عن الاخرى اذ روى انهما اصيبتا معا فردهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبرئتا انتهى ويمكن الجمع بتفرق القضيتين هذا وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من انت فقال

﴿ ابونا الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد ﴾

﴿فعادت كما كانت لاول امرها * فياحسن ما عين وياحسن ماخد﴾
فوصله عمر واحسن جائزته وقال
﴿تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعاد ابعد ابوالا﴾

واخرج الطبرانى وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه واجعلها احسن عينيه واحد هما نظرا (وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة) اى كما تقدم قيل وهوالذى قدم على عمر بن عبدالعزيز كما سبق (ويزيد ابن عياض بن عمر بن قتادة) كذا فى النسخ ولم يعرف فى رواة الحديث بل ولافى حملة العلم احد يقال له يزيد بن عياض ابن عمر بن قتادة وقال الحلبى الصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة فيكون سقط عن وذلك لان عاصم بن عمر شيخ يزيد هذا ويزيد بن عياض ليثى حجازى حدث عن نافع وابن شهاب والمقبرى وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة وعنه على بن الجعد وسبابان وعدة قال البخارى وغيره منكر الحديث وقد رماه مالك بالكذب وقد اخرج له الترمذى وابن ماجه ولا يحتمل ان يكون يزيد بن عياض يروى عن عمر بن قتادة لان عمر بن قتادة لم يروعنه الا ولده عاصم ولايعرف الاروايته عنه وجده ذكره ابن حبان فى الثقات (ورواها) اى قصة قتادة (ابو سعيد الخدرى عن قتادة) فهى رواية الاكابر عن الاصاغر (وبصق) اى بزق (على اثر سهم فى وجه ابى قتادة) كما رواه البيهقى من حديث ابى قتادة وهوالحارث بن ربعى وقيل غير ذلك (فى يوم ذى قرد) بفتح القاف والراء فدال مهملة وحكى السهيلى عن ابى على الضم فيهما وهو منصرف ماء على ليلتين وقيل ليلة من المدينة بينها وبين خيبر ويقال لها غزوة الغابة كان يومه قبل خيبر بثلاثة ايام ذكره الحجازى قال ابن سعد كانت فى ربيع الاول سنة ست وفى البخارى بعد حنين بثلاثة ايام وقبل الحديبية وفى مسلم نحوه وقال ابن القيم فى الهدى وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقد وهم فيها جماعة من اهل المغازى والسير فذكروا انها قبل الحديبية ثم استدل على صحة ماقاله بما اورده فيه (قال) اى ابو قتادة (فما ضرب على) اى ضربانا (ولاقاح) من القيح وهى المدة لايخالطها دم يقال منه قاح الجرح بقيح اذاحصل فيه مادة بيضاء (وروى النسائى) بالقصر وبمد باسناده فى سننه وهو الذى تأخر بعد الثلاثة ممن من اصحاب الكتب الستة سمع قتيبة وطبقته واصحاب مالك انتهى اليه علم الحديث وروى عنه الكنانى وابن السنى (عن عثمان بن حنيف) بضم مهملة وفتح نون وعثمان هذا هواخوعبادة وسهل وله صحبة ورواية شهدا حدا ومابعدها وهو واحد من تولى مسح سواد العراق لعمر وولى البصرة لعلى (ان اعمى قال يارسول الله ادع الله ان يكشف لى عن بصرى) اى يزيل عنه ماحجبه (قال انطلق) وفى نسخة صحيحة فانطلق اى اذهب (فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى اسألك واتوجه اليك) اى ملتجئا ومتوسلا (بنبيى) وفى رواية بنبيك (محمد نبى الرحمة يامحمد) فيه التفات (انى اتوجه بك الى ربك ان يكشف لى عن بصرى اللهم) التفات آخر (شفعه فى) بتشديد الفاء والياء اى اقبل شفاعته فى حقى (قال) اى عثمان الراوى (فرجع) اى الاعمى (وقد كشف الله عن بصره) والظاهران قوله يامحمد من جملة الدعاء المأمور به فلا يكون التصريح باسمه من باب سوء الادب فى ندائه فلا يحتاج الى تكلف الدلجى بقوله ولعله كان قبل علمه بتحريمه او قبل تحريمه بقوله تعالى لاتجعلوادعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا وقد رواه الترمذى ايضا وقال حسن صحيح غريب والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه فى الصلاة والحاكم والبيهقى وصححاه (وروى) كما رواه ابو نعيم والواقدى عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) بضم الميم وكسر العين والاسنة بتشديد النون جمع سنان وهو الرمح ويقال له ملاعب الرماح ايضا وتعبيره بالملاعب ابلغ من اللاعب سمى به لتقدمه وشجاعته فكانه يلاعبها قال الحلبى لااعرف ابنه واما هو فعامر بن مالك عم عامر بن الطفيل وقد ذكره بعضهم فى الصحابة لكن قال الذهبى فى تجريده والصحيح انه لم يسلم وقد قدم المدينة فعرض عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام فى قصة بئر معونة (اصابه استسقاء) اى المرض المعروف بكثرة شرب الماء وسببه اجتماع ماء اصفر فى البطن (فبعث الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى واحدا يستشفيه (فاخذ) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بيده حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة لغة فى حثية بالياء من حثا التراب عليه يحثوه ويحثيه والمعنى اخذ قبضة منها (فتفل عليها) اى بصق قال ابوعبيد النفث بالفم شبيه بالنفخ واما التفل فلا يكون الا ومعه شئ من الريق (فاعطاها رسوله) اى الذى جاء من عنده (فاخذها متعجبا يرى) بضم الياء او فتحها اى يظن او يعتقد (ان قد هزئ به) بضم هاء وفتح وكسر زاى فهمز وان مخففة من المثقلة اكتفاء بمرفوعها واسمها ضمير الشان وضميره راجع الى ابن الملاعب وذلك

لماشاع فى هذا الباب ان ذلك تراب (فاتاه بها) اى بالحنوة (وهو على شفا) بفتح الشين المعجمة مقصورا منونا وهو حرف كل شئ ومنه قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار اى حرفها وطرفها ويقال اشفى المريض على الموت وما بقى الا شفا اى قليل واشفى عليه اشرف اى والحال انه مشرف على الموت (فشربها) اى بانضمامها الى ماعنده من الماء فكانه عرف بالايماء اليه انه نافع للاستسقاء (فشفاه الله تعالى) اى عافاه مما ابتلاه (وذكر العقيلى) بضم المهملة وفتح القاف صاحب كتاب الضعفاء قال ابن القطان ابو جعفر العقيلى مكى ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم فى الحفظ توفى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) مصغر فدك بالدال المهملة (ويقال فريك) اى بالراء والاول رواه البيهقى والطبرانى ورواه ابن ابى شيبة بالثانى واما حبيب فبفتح الحاء المهملة وروى بضم المعجمة مصغرا (ان اباه ابيضت عيناه فكان لايبصر بهما شيئا) وروى انه عليه الصلاة والسلام سأله عما اصابه قال كنت اقود جملالى فوقعت رجلى على بيض حية فعميت (فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نفخ (فى عينيه فابصر) اى بهما (فرأيته) اى ابى بعد ذلك (يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين) اى سنة كما فى رواية وفى رواية وان عينيه لمبيضتان فى المواهب رواها ابن ابى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وابونعيم (ورمى كلثوم بن الحصين يوم احد فى نحره) اى صدره (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرأ) بفتح الراء ويكسر وقيل برأ من المرض بفتح الراء وبرئ من الدين بكسرها قال الدلجى لاادرى من رواه انتهى قال الحلبى كلثوم بن الحصين ابوذر الغفارى شهد احدا وبايع تحت الشجرة واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة فى عمرة القضاء وعام الفتح واصيب بسهم فى نحره فسمى المنحور وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبصق عليه فبرأ روى الزهرى عن ابن اخيه عنه وقد اخرج له احمد فى المسند والبخارى فى كتاب الادب المفرد وليس له فى الكتب الستة شئ (وتفل) اى بصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (على شجة عبد الله بن انيس) بالتصغير والشجة الضربة فى الوجه والرأس فقط وقد يسمى بذلك ما يكون فى سائر الجسد مجازا (فلم تمد) بضم التاء وكسر الميم وتشديد الدال من امد الجرح صارت فيه مدة اى قيح والمعنى لم تحصل مادة من القيح فى ذلك الجرح والحديث رواه الطبرانى وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة فى نفر من اصحابه منهم عبد الله بن انيس الى البسير بن رزام وكان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا ان قدمت على رسول الله استعملك واكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله عبد الله بن انيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة على تسعة اميال من خيبر ندم البسير بن رزام على مسيره الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففطن له عبد الله بن انيس وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه البسير بمخرش فى يده من شوحط فامه فلما قدم عبد الله بن انيس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه (وتفل فى عينى على يوم خيبر وكان) اى على (رمدا) بفتح الراء وكسر الميم اى ذارمد بفتحتين وهو وجع العين وفى الحديث لاهم الاهم الدين ولاوجع الاوجع العين (فاصبح بارئا) بكسر الراء بعدها همزة اى فصار معافى والحديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى ففى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اين على بن ابى طالب فقالوا يارسول الله يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عينيه فدعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وفى رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى على فجئت به اقوده ارمد فبصق فى عينيه فبرأ وعند الطبرانى من حديث على قال فارمدت ولاصدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم من حديث على فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فمااشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومى هذا (ونفث) اى ثلاث نفثات (على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرأت) بفتح الراء وفى نسخة فبرئت بكسر الراء وهى لغة اهل الحجاز وفى رواية فمااشتكاها قط رواه البخارى (وفى رجل زيد بن معاذ) اى ونفث فيها (حين اصابه السيف الى الكعب) اى الى كعب رجله (حين قتل ابن الاشرف) وهو كعب بن الاشرف اليهودى وقصته مشهورة (فبرئت) اى رجله رواه عبد بن حميد فى تفسيره عن عكرمة ورواه ابن اسحق والواقدى ايضا لكن قالا بدل زيد بن معاذ الحارث بن اوس ورواه البيهقى من حديث جابر وذكر بدلهما عباد بن بسر وهو ممن حضر قتل كعب واما زيد بن معاذ فقال الحلبى لا اعرف انه ذكر فى هذه الواقعة بل ولافى الصحابة احد يقال له زيد بن معاذ الا ان يكون احد نسب الى جده اوجد له اعلى بل الذى جرح فى رأسه اورجله على الشك من الراوى فى قتل كعب ابن الاشرف انما هو الحارث بن اوس بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بدرى قتل يوم احد وله ثمان وعشرون سنة

وقيل الذى حضر كعبا هو الحارث بن اوس بن النعمان الحارثى وقد حكى الذهبى القولين ثم قال وقيل هما واحد نسب الى جده الاعلى لكن افترقا بالنسب كما ترى انتهى وقد سمى فى رواية البخارى الذين قتلوا كعبا منهم الحارث ابن مسلم وكذا مسلم فى الجهاد فعليه الاعتماد هذا وقد قال بعضهم ان زيد بن معاذ هو ابن اخى سعد بن معاذ وانه نقله غير القاضى كذلك ولعلهما اطلقا على المراد (وعلى ساق على ابن الحكم) بفتحتين صحابى وهو اخو معاوية بن الحكم السلمى (يوم الخندق اذ انكسرت) اى نفث حين انكسرت ساقه (فبرأ) وفى نسخة فبرئ (مكانه) اى ولم يتعد زمانه (ومانزل عن فرسه) اى والحال انه لم يقد رعلى نزوله عن فرسه اذ جاءه يستشفيه رواه ابو القاسم البغوى فى معجمه واشتكى على ابن ابى طالب) اى مرض او اشتكى وجعا (فجعل) اى شرع على اوقصد (يدعو) اى يطلب الله تعالى ان يعافيه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه) روى بالضمير وهاء السكت وكذا قوله (اوعافه) والشك من الراوى (ثم ضربه برجله) اى لتصيبه بركة فعله بعد اثر قوله (فما اشتكى ذلك الوجع بعد) بضم الدال اى ما شكاه بعد دعائه واصابة رجله لبعض اجزائه رواه البيهقى (وقطع ابوجهل يوم بدر يد ابن معوذ) بتشديد الواو المكسورة وتفتح (ابن عفراء) بمهملة ففاء فراء ممدودة قال الحلبى والمعروف ان ابن ابى جهل عكرمة فعل ذلك بمعاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وكذا نقله ابو الفتح اليعمرى ابن سيد الناس عن القاضى عياض ثم قال معوذ صحابى معروف قتل يوم بدر وهو من جملة اربعة عشر قتيلا من المسلمين فى وقعة بدر رضى الله تعالى عنهم اقول ولا منع من الجمع فتأمل (فجاء) اى معوذا ومعاذ (يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عليها (فالصقها فلصقت) بكسر الصاد (رواه ابن رهب ومن روايته ايضا) وكذا رواه البيهقى عن ابن اسحق (ان خبيب ابن يساف) بفتح الياء وفى نسخة اساف بكسر الهمزة ويفتح واما خبيب فهو بخاء معجمة وموحدتين بصيغة التصغير فى النسخ وهو موافق لما فى القاموس ومطابق لما ذكره الحلبى وضبطه الدلجى بمهملة وبائين بينهما مثلثة والظاهر من كلامه انه بفتح اوله وكسر ثانيه (اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حال كونه معه اى بقربه (بضربة على عاتقه) اى ما بين منكبه وعنقه (حتى مال شقه) بكسر الشين وتشديد القاف اى احد شقيه بانفصاله عنه بحد سيفه (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى باماالته الى محله (ونفث عليه حتى صح) اى التام قال الحلبى وخبيب هذا خزرجى شهد بدرا واحدا وما بعدهما وكان نازلا بالمدينة فتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه فى الطريق فاسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فتفل عليه ولأمه ورده فانطلق فقتل الذى ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك وكانت تقول لاعدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فيقول لاعدمت رجلا عجل اباك الى النار وتوفى فى خلافة عثمان (واتته امرأة من خثعم) قبيلة معروفة (معها صبى به بلاء) اى عارض (لايتكلم) اى بسببه (فأتى بماء فمضمض فاه) اى فمه (وغسل يديه) الظاهر الى رسغيه (ثم اعطاها اياه) اى الماء (وامرها بسقيه) اى بشرب الصبى منه (ومسه به) اى مسحه ببله ووقع فى اصل الدلجى وامرها ان تسقيه ومس به اى مس صلى الله تعالى عليه وسلم الصبى بالماء (فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بضم الضاد المعجمة وتفتح اى يزيد ويغلب (عقول الناس) رواه ابن ابى شيبة عن ام جندب مرفوعا (وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (صدره فثع ثعة) بمثلثة ومهملة مشددة فيهما اى قاء مرة (فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود) بتثليث الجيم ولد الكلب والسبع (فشفى) بصيغة المجهول اى برئ من جنونه وفى نسخة فسعى بفتح السين والعين المهملتين اى مشى واشتد عدوا والظاهر انه تصحيف ثم فاعل سعى الجرو وهو الاقرب اوالمبتلى وهو الانسب والحديث رواه احمد والبيهقى وابن ابى شيبة ففى مسند احمد ثنا حماد ثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يارسول الله ان به لمما وانه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة فخرج من فيه مثل الجرو الاسود فشفى وقد ذكره احمد ايضا من طريق اخرى فقال حدثنا ابو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد فذكر نحوه الا انه قال فثع اى سعل انتهى والظاهر ان قوله سعل بيان لسبب قيئه اى فسعل فقاء (وانكفأت القدر) بهمزة مفتوحة بعد الفاء اى انقلبت البرمة وسقطت (على ذراع محمد بن حاطب) بحاء مهملة وطاء مكسورة فموحدة وفى نسخة حاتم وهو غير صحيح والمراد به ابن الحارث بن معمر القرشى من بنى جمح ولد بالحبشة قيل هو اول من سمى فى الاسلام محمدا له صحبة (وهو طفل) جملة حالية (فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه) اى على فوره رواه النسائى والطيالسى والبيهقى (وكانت فى كف شرحبيل) بضم اوله ويقال له شراحيل (الجعفى) بضم الجيم (سلعة) بكسر السين وتفتح وسكون اللام وهى زيادات تحدث فى الجسد بين الجلد

﴿والسم﴾

والحم كالغدة تكون من قدر حمصة الى قدر بطيخة اذا غمزت باليد تحركت (تمنعه القبض على السلفات وعنان الدابة) بكسر العين اى لجامها اوزمامها (فشكاها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فازال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يطحنها) بفتح الحاء اى يعالجها ويفحصها بكفه (حتى رفعها) اى ازالها من كفه (ولم يبق لها اثر) اى فى محلها رواه الطبراني والبيهقي (وسألته جارية) اى بنت او مملوكة (طعاما وهو يأكل) جملة حالية (فناولها من بين يديه) اى بعض ما لديه (وكانت) اى قبل ذلك (قليلة الحياء) لعلها الخلل كان بعقلها (فقالت انما اريد من الذى فى فيك) اى فى فمك (فناولها ما فى فيه ولم يكن) اى من عادته (يسئل شيئا فيمنعه) بالنصب على جواب النفى (فلما استقر) اى ما حصل لها الذى ناولها (فى جوفها القى عليها من الحياء ما) اى شئ عظيم منه حتى بتبيه (لم تكن امرأة فى المدينة) اى فضلا عن غيرها (اشد حياء منها) اى ببركته ويمن همته

﴿فصل﴾

(فى اجابة دعائه عليه الصلاة والسلام) اى لقوم وعلى بعض (وهذا باب واسع) اى متسع ذيله وما يتعلق به (جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال منصوب على المصدر اى وسعا كثيرا (واجابة دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم) اى بالخير تارة (وعليهم) اى بالشر تارة وهذا مفهوم كلام المصنف بحسب الظاهر ولكن الاظهر ان المراد به انه دعا لبعض منهم بالمنفعة ولآخرين منهم بالمضرة ولذا قال التلمسانى فكأنه اوصله نفعا وصب عليه شرا (وهذا امر متواتر فى الجملة) وفى نسخة على الجملة اى لا على التفصيل (معلوم ضرورة) اى عند اهل السيرة (وقد جاء فى حديث حذيفة) اى من رواية احمد بن محمد بن حنبل فى مسنده (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوات) اى اثرها (ولده وولد ولده) وفيه تنبيه على صحة معنى ما يقال الولد سر ابيه ويؤيده قوله تعالى وكان ابوهما صالحا قيل كان بينهما سبعة آباء (قال) اى المصنف (حدثنا ابو محمد العتابي) بتشديد الفوقية (بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) بكسر التاء (ثنا ابو الحسن) وفى نسخة بالتصغير والاول هو الصحيح (القابسي) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزى حدثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (حدثنا محمد بن اسمعيل) اى البخارى صاحب الجامع وقد اخرجه مسلم ايضا (ثنا عبد الله بن ابى الاسود) اى البصرى من رواية مالك (ثنا حرمى) بفتح الحاء والراء وهو ثابت بن روح وكنيته ابو عمارة ابن ابى حفصة (ثنا شعبة عن قتادة عن انس بن مالك قال قالت امى) وهى ام سليم بنت ملحان (يارسول الله خادمك انس ادع الله قال اللهم اكثر ماله) اى حلالا (وولده) اى صالحا (وبارك له فيما آتيته) اى اعطيته من المال والولد فاوتى ما لا كثيرا واولادا مات له فى الطاعون الجارف سبعون ولدا من صلبه غير اولاد اولاده (ومن رواية عكرمة) اى على ما انفرد بها مسلم وهو ابن عمار الحنفى اليمانى وكان مجاب الدعوة (قال انس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون) بضم الياء وتشديد الدال اى يعد بعضهم بعضا وليزيدون (اليوم على نحو المائة) قال التلمسانى وفى رواية الصحيحين والمصابيح ليتعادون بزيادة التاء (وفى رواية) وهى غير معروفة (وما اعلم احدا اصاب اليوم من رخاء العيش) اى سعة المعيشة وكثرة النعمة (ما اصبت) اى ببركة دعوة صاحب النبوة واثر كثرة الملازمة والخدمة هذا واستدل بعضهم بدعائه عليه السلام لانس على تفضيل الغنى على الفقر واجيب بانه مختص بدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بورك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه مضرة (ولقد دفنت بيدى) بتشديد الياء (هاتين مائة من ولدى لا اقول سقطا) بكسر السين ويجوز ضمها وفتحها وهو الجنين الذى يسقط قبل تمامه (ولا ولد ولد) اى لا احسبها فى العدد قال الحلبي واعلم ان فى البخارى فى الصوم من رواية حميد عن انس قال حدثتنى ابنتى امينة انه دفن لصلبي مقدم الحاج البصرة عشرون ومائة قيل وكان مقدمه سنة خمس وسبعين وقد ولد لانس بعد ذلك اولاد كثيرة وتوفى سنة ثلاث وتسعين ونقل عن ابن قتيبة انه وقع على الارض من صلب المهلب ابن ابى صفرة البصرى ثلاثمائة ولد (ومثله) وفى نسخة صحيحة ومنه اى ومن دعائه المجاب (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة) على ما رواه البيهقى (قال) اى عبد الرحمن كما فى نسخة صحيحة (فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه) اى فتوحات كثيرة واموالا غزيرة (ومات فحفر الذهب) بصيغة المجهول اى استخرج مما كان مدفونا (من تركته) بفتح فكسر اى متروكاته بعد خيراته ومبراته (بالفؤس) بضم الفاء والهمزة وسكون الواو جمع فاس بالهمزة ويبدل كراس ورؤس وكاس وكؤس (حتى مجلت) بفتح الجيم ويكسر اى تنفطت من كثرة العمل (فيه الايدى واخذت كل زوجة) اى من زوجاته (ثمانين الفا وكن اربعا) بجملته ثلثمائة وعشرين الفا (وقيل مائة الف) بالنصب اى اخذت كل واحدة منهن مائة الف بجملته اربعمائة الف (وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه) اى الذى مات فيه (على نيف) بتشديد التحتية المكسورة وتسكينها اى زيادة

بمعنى كسر (وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا) اى الف دينار فى سبيل الله كما صرح به عروة بن الزبير وكذا اوصى بالف فرس فى سبيل الله كما ذكره الحجازى وغيره (بعد صدقاته الفاشية) اى الكثيرة الشائعة (فى حياته وعوارفه العظيمة) اى معروفاته الجزيلة قبل مماته (اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير) بكسر العين اى بقافلة (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) اى جاءت من سفر تجارة (تحمل من كل شئ) اى من اجناس الاموال وانواعها (فتصدق بها) اى بالابعرة السبعمائة (وبما عليها) اى من انواع البضائع المختلفة (وباقتابها) جمع قتب بالتحريك وهو للبعير كالا كاف لغيره (واحلاسها) جمع حلس بالكسر وهو كساء يلى ظهر البعير تحت القتب وفى ذكرهما مبالغة فى الاستيفاء وتأكيد للاستقصاء هذا وقد قال الحلبى الذى استحضره من صدقات عبد الرحمن بن عوف انه تصدق بشطر ماله اربعة آلاف ثم باربعين الفا ثم باربعين الف دينار ثم تصدق بخمسمائة فرس فى سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وفى الترمذى انه اوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت باربعمائة الف قال الترمذى حديث حسن وقال الزهرى اوصى لمن بقى من اهل بدر لكل رجل باربعمائة دينار وكانوا مائة فاخذوها واخذ عثمان فيمن اخذ واوصى بالف فرس فى سبيل الله انتهى وروى انه رضى الله تعالى عنه لما حث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصدقة جاء باربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله كان لى ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله فى ماله (ودعا لمعاوية) اى ابن ابى سفيان (بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة) اى اصابها فى الجملة اوعلى وفق ما اراد اذ الصحيح انه لا يسمى خليفة على خلاف بعد نزول الحسن والمعتمد ان الخلافة تمت بخلافة الحسن بعد ايه بستة اشهر لقوله عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدى فى امتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه احمد والترمذى بسند صحيح وكذا ابن حبان عن سفينة ثم رأيت انه قيل صوابه الامارة وقد روى ابن سعد دعاءه عليه الصلاة والسلام اللهم علمه الكتاب ومكنه فى البلاد وقه العذاب وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لن يغلب معاوية وقد بلغ عليا هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته (ولسعد ابن ابى وقاص) اى دعا له (ان يجيب الله دعوته فما دعا) اى سعد (على احد الا استجيب له) رواه الترمذى موصولا ورواه البيهقى عن قيس ابن ابى حازم مرسلا بلفظ اللهم استجب له اذا دعا وحسنه وقد استجيب له دعوات مروية فى الصحيح وغيره منها ان رجلا نال من على كرم الله وجهه بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارنى فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها مارواه البخارى انه دعا على ابى سعدة اللهم اطل عمره واطل فقره وعرضه للفتن قال الراوى فلقد رأيته شيخا كبيرا سقط حاجباه على عينيه يتعرض للجوارى يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد (ودعا) اى النبى صلى الله عليه وسلم (بعز الاسلام بعمر او ابى جهل فاستجيب له فى عمر) رواه الامام احمد والترمذى فى جامعه وغيرهما عن ابن عمر به مرفوعا ولفظه اللهم ايد الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بابى جهل اوبعمر بن الخطاب وصححه ابن حبان والحاكم فى مستدركه عن ابن عباس اللهم ايد الدين بعمر بن الخطاب وفى لفظ اعز الاسلام بعمر وقال انه صحيح الاسناد وفيه عن عائشة اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واما مايدور على الالسنة من قولهم اللهم ايد الاسلام باحد العمرين فلا يعلم له اصل فى المبنى وان كان يصح نقله بالمعنى بناء على تغليب عمر على عمرو بن هشام وهو اسم ابى جهل وكان يكنى ابا الحكم فكناه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اباجهل فغلبت عليه هذه الكنية (وعن ابن مسعود) وفى نسخة وقال ابن مسعود (مازلنا اعزة) جمع عزيز اى اقوياء وعظماء اوظاهرين قاهرين (منذ اسلم عمر) قلت وفى الاية اشارة الى هذه العزة حيث نزل عند ايمانه قوله تعالى يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانه رضى الله تعالى عنه كان تمام الاربعين (واصاب الناس فى بعض مغازيه) اى سير غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش) اى شديد (فسئله عمر الدعاء) اى الاستسقاء (فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم) بالنصب اى قدر كفايتهم (ثم اقلعت) بفتح الهمزة واللام اى اقشعت السحابة وانجلت (ودعا فى الاستسقاء) اى يوم جمعة على المنبر فى المدينة كما رواه الشيخان عن انس (فسقوا) بصيغة المفعول (ثم شكوا اليه المطر) اى كثرته حيث خيف ضرره فى الجمعة الثانية وهو على منبره (فدعا) اى بكشفه (فصحوا) بفتح الصاد وضم الحاء وفتحها اى فانكشف مابهم من السحابة (وقال لابى قتادة افلح وجهك) جملة خبرية فى المبنى دعائية فى المعنى اى بقى وفاز وظفر (اللهم بارك له) اى لابى قتادة (فى شعره) بفتح العين ويسكن (وبشره) بفتحتين اى ظاهر جلده حتى يستمر احسنين (فمات) اى ابو قتادة (وهو ابن سبعين سنة) جملة حالية وكذا قوله (وكانه ابن خمس عشرة) بسكون الشين المعجمة وتكسر رواه البيهقى (وقال) اى النبى عليه الصلاة السلام (للنابغة) اى الجعدى واسمه قيس ابن عبدالله وقيل عكسه حين انشده قصيدته الرائية (لا يفضض الله) بضم الضاد المعجمة الاولى وكسر الثانية

على أن لاناهية وضمها على ان لا نافية وهي ابلغ اى لايسقط وقيل لايكسر من فضى كسر وفرق وروى لايفضض الله فاك من الفضاء وهو الخلاء اى لايجعل الله فاك فضاء لااسنان فيه (فاك) اى اسنانك او اسنان فيك باعتبار احد المجاز ين كقوله تعالى واسئل القرية (فما سقطت له سن) رواه البيهقي وابن ابى أسامة وروى مثله عن عمه العباس قال يارسول الله انى مدحتك فقال لا يفضض الله فاك فانشد الابيات السابقة (وفى رواية فكان) اى النابغة (احسن الناس ثغرا) بفتح المثلثة وسكون الغين المعجمة اى سنا وقيل هو ما تقدم من الاسنان ويؤيد الاول عموم قوله (اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة) هو لغة فى مائة وعشرين (وقيل اكثر من هذا) فقيل عاش مائة وثمانين سنة وقيل مائتين واربعين سنة وكان فى الجاهلية يصوم ويستغفر وبقى الى ايام ابن الزبير واخرج له بقى بن مخلد حديثا واحدا وفى الشعراء جماعة غيره يقال لكل منهم النابغة واذا اطلق فهو المراد واختلف فى سبب الدعاء له فقيل قوله

﴿ بلغنا السماء فى مجدنا وسنائنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا ﴾

فقال الى اين ياابا ليلى قال فقلت الى الجنة فقال نعم ان شاء الله وقال الحديث وقيل قوله

﴿ ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا ﴾

﴿ ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا ﴾

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجدت فلا سقطت له سن (ودعا لابن عباس) كما رواه الشيخان (اللهم فقهه فى الدين) اى علمه مايحتاج اليه فى امر الدين من الامور الواضحة للمجتهدين (وعلمه التأويل) اى تأويل الكتاب والسنة من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه واريد به صرف اللفظ عن ظاهره لدليل لولاه ماصرف عن حاله (فسمى) اى ابن عباس (بعد) بضم الدال اى بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له (الحبر) بفتح الحاء وتكسر اى حبر الامة وهو عالمها سمى به وهو المداد لمزاولته له غالبا فى اداء المراد وفى نسخة البحر بدل الحبر اى بحر العلم (وترجمان القرآن) بفتح التاء وضم الجيم وضمهما وحكى فتحهما اى مفسره ومعبره والترجمان فى الاصل من يترجم الكلام اى ينقله من لغة الى لغة اخرى وفى القاموس الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان (ودعا لعبد الله بن جعفر) اى ابن ابى طالب (بالبركة فى صفقة يمينه) اى تبايعه وسمى صفقة لوضع كل من البيعان يده فى يد الآخر عرفا وعادة (فما اشترى شيئا الاربح فيه) رواه البيهقي عن عمرو بن حريث (ودعا للمقداد) اى ابن الاسود (بالبركة فكان له) وفى نسخة صحيحة عنده (غرائر) بفتح الغين جمع غرارة بالكسر وهى جوالق (من المال) رواه البيهقي فى الدلائل عن ضباعة بنت الزبير (ودعا بمثله) اى بمثل مادعا للمقداد من البركة (لعروة ابن ابى الجعد) قال ابن المدينى اخطأ من قال فيه عروة بن الجعد وانما هو ابن ابى الجعد انتهى وهو صحابى مشهور وحديثه هذا رواه البخارى (وقال) اى عروة كما رواه احمد (فلقد كنت اقوم) اى اقف كما فى نسخة (بالكناسة) بضم الكاف موضع اوسوق بالكوفة وكانوا يرمون فيه كناسات دورهم (فما ارجع) اى عنها (حتى اربح) بفتح الموحدة اى استفيد (اربعين الفا) يحتمل الدينار والدرهم (وقال البخارى فى حديثه فكان) اى عروة (لواشترى التراب) اى مثلا (لربح فيه وروى مثل هذا) اى الدعاء بالبركة (لغرقد) بغين معجمة فراء ساكنة (ايضا) قال الدلجى لاادرى من رواه (وندت) بنون وتشديد دال اى نفرت وذهبت على وجهها شاردة (له) اى لغرقد (ناقة فدعا) اى النبى عليه الصلاة والسلام على ماهو ظاهر الكلام (فجاء بها) وفى نسخة صحيحة فجاءه بها (اعصار ريح) بالاضافة والاعصار بالكسر ريح عاصف يستدير فى الارض ثم يسطع الى السماء مستديرا كالعمود (حتى ردها) اى الاعصار الناقة (عليه) اى على غرقد (ودعا لام ابى هريرة) اى بالهداية كما رواه مسلم وغيره (فاسلمت) فعن ابى هريرة قال دعوت امى يوما الى الاسلام وهى مشركة فاسمعتنى فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اكره فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا ابكى فقلت يارسول الله ادع الله ان يهدى ام ابى هريرة فقال اللهم اهد ام ابى هريرة فخرجت مستبشرا بدعوته عليه السلام فلما صرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت امى خشف قدمى فقالت مكانك ياابا هريرة وسمعت خضخضة الماء ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت اشهد ان لااله الاالله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا ابكى من الفرح فحمد الله وقال خيرا (ودعا لعلى ان يكفى) بصيغة المفعول اى يحفظ (الحر والقر) بضم القاف وفتحها وتكسر البرد اوشديده اى شرهما (فكان) اى على (يلبس فى الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف ثياب الشتاء ولايصيبه) ويروى ولايصيبه وبروى ولا يسوءه (حر ولابرد) اى مع اختلاف الاحوال والحديث رواه ابن ماجه والبيهقي (ودعا لفاطمة ابنته ان لايجيعها) اى جوعا شديدا (قالت فما جعت بعد) اى بعد ذلك الدعاء ابدا رواه

البيهقي عن عمران بن حصين (وسئله) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (الطفيل) بالتصغير اى ابن عمرو كما فى نسخة وهو ابن طريف الازدي الدوسي قتل يوم اليمامة وكان شريفا مطاعا فى قومه روى ابو الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة انه قال لما قال الطفيل بن عمرو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان دوسا قد غلب عليهم الزنى والربا فادع الله عليهم قلنا هلكت دوس حتى قال عليه السلام اللهم اهد دوسا (آية) اى علامة تكون كرامة (لقومه) اى عندهم (فقال اللهم نور له فسطع) اى ظهر ولمع (له نور بين عينيه فقال يارب اخاف ان يقولوا مثلة) بضم الميم وبفتح ويكسر وسكون المثلثة اى تنكيل وعقوبة وهي من قوعة وقيل منصوبة (وتحول) اى فاستجيب دعاؤه وانتقل ذلك النور (الى طرف سوطه فكان يضئ فى الليلة المظلمة) وروى الظلماء (فسمي ذا النور) كالحسنين ابنى علي واسيد بن حضير وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان كل سمي بذلك واما ذوالنورين فهو لقب عثمان لانه تزوج بنتين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث هذا رواه ابن اسحق بلاسند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي (ودعا على مضر) على وزن عمر وهم قبيلة (فاقحطوا) بصيغة المجهول اى فدخلوا فى القحط احتباس المطر عنهم وانقطاع الخير منهم (حتى استعطفته قريش) اى طلبوا منه ان يعطف عليهم ويرحمهم (فدعا لهم) اى بالمطر (فسقوا) بصيغة المجهول اى فاعطوا مطرا فاخصبوا رواه النسائي عن ابن عباس والبيهقي عن ابن مسعود واصله فى الصحيحين (ودعا على كسرى) بكسر الكاف وتفتح لقب لكل ملك الفرس وهوهنا ابرويز بن هرمز قال الطبري وتفسيره المظفر بن هرمز بن انوشروان وتفسيره بالعربية مجدد الملك (حين مزق كتابه) بتشديد الزاي اى شقق مكتوبه (ان يمزق الله ملكه) اى بتمزيق الله ملكه خرقه كل ممزق (فلم تبق له باقية) اى نفس باقية او اثر وبقية قال السهيلي ولما دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وقع امره فى الانحطاط الى ان قتله ابن له يقال له شيرويه ومات ابنه الذي قتله بعد ابيه بزمن يسير وسببه ان ابرويز قيل له ان ابنك شيرويه يريد قتلك قال اذا قتلني فانا اقتله ففتح خزانة الادوية وكتب على حقة السم الدواء النافع للجماع وكان ابنه مولعا بالجماع فلما قتل اباه وفتح الخزانة ورأى تلك الحقة تناول منها فمات من ذلك ومات سائر اولاده واكثر اقاربه بعد دعائه عليه الصلاة والسلام لستة اشهر ومالت عنهم الدولة حتى انقرضوا عن آخرهم (ولا بقيت لفارس) بكسر الراء مصروفا وممنوعا اى لاهل فارس (رياسة فى سائر اقطار الدنيا) اى نواحيها رواه البخاري من طريق ابن عباس (ودعا على صبي قطع عليه) اى بمروره بين يديه (الصلاة) اى صلاته كما فى نسخة (ان يقطع الله اثره) ومن جملته مشي قدميه كما قال ونكتب ما قدموا وآثارهم (فاقعد) بصيغة المجهول اى صار مقعدا لايستطيع النهوض وفى رواية قطع صلاتنا قطع الله اثره وفى اصل الدلجي دابره بدل اثره فتكلف فى وجهه بان الدابر فى الاصل الآخر ومنه قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى آخرهم فلم يبق احد منهم ثم استعير للزمانة كما هنا بسلب قوة مشيه هذا والحديث رواه ابوداود والبيهقي ورواه ابن حبان عن سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن مهران يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع اثره فماشيت وقد ضعف عبد الحق وابن القطان اسناده وكذا ابن القيم وقال الذهبي اظن انه موضوع ثم على تقدير ثبوته فيه اشكال وهو انه عليه الصلاة والسلام كيف يدعو على الصبي وهو غير مكلف بالاحكام مع ان القاضي جزم بذلك فى مقام المرام وجوابه نقل عن البيهقي فى المعرفة ان الاحكام انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد الهجرة قال الحلبي وفى كلام السبكي انها انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد احد ثم قال الحلبي او يقال ان هذا من باب خطاب الوضع لانه اتلاف لايشترط فيه التكليف انتهى وتبعه الانطاكي وقرره التلمساني وفيه ان الصلاة صحيحة بالاجماع فليس من الاتلاف بلا نزاع نعم اتلاف لكمال الحال فى حضور البال وهو غير مقتض لهذا النكال ولذا قال الدلجي واجيب هنا بما لاينبغي ثم اقول ولعل الصبي كان من اولاد الكفار وقدامره اهله بان يقطع الصلاة على سيد الابرار فاراهم صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة اظهارا للمعجزة ودفعا للمذلة اوكان الصبي مراهقا فقطعها عليه الصلاة والسلام بالغاوق قطعة قاصدا فتبين انه كان صبيا قاصرا او يكون من باب قضية الخضر مع الصغير مكاشفا (وقال لرجل) هو بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن راعي العير الاشجعي قيل كان منافقا (رآه يأكل بشماله) فقال له (كل بيمينك فقال لا استطيع) اى ان آكل بيميني لعذر بي (فقال لا استطعت) ان تأكل بيمينك دعاء عليه لكونه كاذبا فيما ادعاه (فلم يرفعها) اى يمينه بعد ذلك (الى فيه) اى فمه لا عند اكله ولا فى حال غيره والحديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع واستدل به على وجوب الاكل باليمين ولادلالة فيه عند المحققين (وقال لعتبة) بضم اوله وفى نسخة بالتصغير (ابن ابى لهب) اى ابن عبد المطلب بن هاشم (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد) اى ليلا وهو مسافر وقد جعله اصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم نائمين فافترسه رواه ابن اسحق عن عروة بن الزبير عن هبار بن الاسود

والحاكم من حديث ابي نوفل ابن ابي عقرب عن ابيه والبيهقي من طريق عن عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله تعالى عنهم قال الحلبي واعلم ان عتبة اسلم يوم الفتح وكذا اخوه معتب ولم يهاجر من مكة وهذا هو المشهور وبعضهم جعل هذا عقير الاسد وجعل عتيبة المصغر هو الذي اسلم وصحب والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي والله تعالى اعلم وسبب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ما روى عروة بن الزبير ان عتيبة ابن ابي لهب وكان تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتيبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله هذا وفي نسخة زيد هنا وقال لامرأة اكلك الاسد فاكلها قيل هذا يخلطه لبس من الرواية (وحديثه المشهور) اي كما رواه الشيخان (من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا) بفتح المهملة مقصورا هو للبهيمة كالمسيمة لبني آدم وهي جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قال الشمني ان شقت عن وجه الفصيل ساعة ينتج والاقتلته وكذا اذا انقطع السلا في البطن فاذا اخرج السلا سلمت الناقة وسلم الولد وان انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد وقيل يخرج بعد الولد (على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم) اي قريشا مجملا ومفصلا حيث قال اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بابي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامثالهم (فقال) وفي نسخة وقال اي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) اي معظمهم فان اشقاهم عقبة ابن ابي معيط الذي وضع على رقبته السلا حمل من بدر اسيرا فقتله على بعرق الظبية بامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له مقفلهم من بدر الى المدينة ولعل الحكمة في تأخير الاسق ليشاهد العقوبة في اصحابه في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى قال الحلبي وعمارة بن الوليد لم يقتل ببدر ايضا وانما جرى له قصة مع النجاشي مشهورة وقد سحر فصار متوحشا وهلك على كفره بارض الحبشة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (ودعا على الحكم ابن ابي العاص) اي ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو ابو مروان عم عثمان اسلم يوم الفتح وتوفي في خلافة عثمان (وكان يختلج بوجهه ويغمز) بكسر الميم (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي يجلس خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا تكلم يحرك شفتيه وذقنه حكاية لفعله ويرمز مشيرا بعينه اوحاجبه (اي لا) اي اراد به رد الكلام استهزاء وسخرية (فرآه) اي النبي عليه الصلاة والسلام مرة (فقال كن كذلك) وفي نسخة صحيحة كذلك كن (فلم يزل يختلج) اي يرتعد ويضطرب (الى ان مات) رواه البيهقي من طريق عن عبد الرحمن ابن ابي بكر وعن ابن عمر وعن هند بن خديجة وفي رواية فضرب به فصرع شهرين ثم افاق مختلجا قد اخذ لحمه وقوته وقيل مرتعشا وقال التلمساني قوله يغمز اما يعيب لانه كان يخبر المنافقين بسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولا نه كان يحكي فعله صلى الله تعالى عليه وسلم في مشيه وامره ونحوه اولا بالفتح وتشديد الواو خلاف الاخير وروى اي لا باي التفسيرية ولا النافية فعلى الاول معناه كان يختلج اولا قبل الدعوة ثم اختلج ثانيا بها ومعناه انه كان صحيحا ثم هلك بالدعوة فهو مفعول يختلج اي يختلج اولا اي قبل الدعوة ويجوز ان يريد بالاول زمن الصحة وبالثاني زمن السقم فيكون خبر الكان او مفعول يختلج او اولا يشير الى ما كان عليه من الاستهزاء فكنى باولا عنه لان فعله انما كان عن جهالة ولا يخرجه ذلك عن عداد الصحابة فقد ذكر فيهم وعلى الثاني تفسير لفعله وحذف ما بعدها تشنيعا لذكره لان ذكر مثل هذا لايليق لان فيه تنقيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه لايكون كذلك الاولى اوالاحق وماشاكل هذا بموطن او موطنين في غيبته او حضوره والله تعالى اعلم (ودعا على محلم) بكسر اللام المشددة (ابن جثامة) بفتح الجيم وتشديد المثلثة (فمات) في حمص ايام ابن الزبير على ماقاله السهيلي (لسبع) اي بعد سبعة ايام (فلفظته الارض) بفتح الفاء واعجام الظاء اي قذفته الارض ورمته على ظهرها بعد دفنه في بطنها وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما لفظته الارض ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن اراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين سوحى جبل فاكلته السباع والسوح هو الشق (ثم ووري) بضم اوله مجهول واري اي ستر تحت الارض (فلفظته مرات) ظرف للفعلين (فالقوه) بفتح القاف اي رموه (بين صدين) بفتح الصاد ويضم جبلين او واديين (ورضعوا عليه) بفتح الراء والضاد المعجمة اي كوموا عليه (بالحجارة) رواه البيهقي عن قبيصة بن ذؤيب وابن جرير موصولا عن ابن عمر وقال الحسن بلغني انه دعا الحديث وسبب دعائه على محلم انه كان بعث سرية للغزو وفيها محلم فامر عليهم عامر بن الاضبط فلما بلغوا بطن واد قتل محلم عامرا فدرا لجرى ما جرى

(ويجده رجل) اى من الصحابة على ماذكره الدلجي ولعله كان منافقا (بيع فرس) اى انكره (وهي) القصة (التى شهد فيها خزيمة) بالتصغير (النبي صلى الله عليه وسلم) اى بانه اشتراه منه مع انه لم يره وجعل صلى الله عليه وسلم شهادته وحدها مقبولة عن اثنين (فرد الفرس بعد) بالضم اى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل) والمعنى فرد على الرجل فرسه (وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) اى فرسه (فاصبحت شاصية برجلها) اى رافعة من سبب نفخها شاصا بصره اى شخص (وهذا الباب اكثر من ان يحاط به) اى بجميع فصوله من فروعه واصوله

فصل

(فى كراماته و بركاته وانقلاب الاعيان) اى بتحولها وتغيرها عن حالتها الاولى (له فيما لمسه او باشره صلى الله تعالى عليه وسلم) والكرامة اسم من الاكرام (انا) اى اخبرنا كما فى نسخة (احمد بن محمد) اى ابن غلبون الخولانى (ثنا) اى حدثنا (ابو ذر الهروى اجازة وثنا القاضى ابو على سماعا) تقدم انه الحافظ ابن سكرة (والقاضى ابو عبدالله محمد ابن عبدالرحمن وغيرهما) اى وغير القاضيين ايضا (قالوا) اى جميعهم (حدثنا ابو الوليد القاضى ثنا ابو ذر الهروى) سق (ثنا ابو محمد) وهو السرخسى (وابو اسحق) وهو المستملى (وابو الهيثم) وهو الكشميهنى (قالوا) اى الثلاثة (ثنا الفربرى) بكسر ففتح على الاشهر (ثنا البخارى) اى صاحب الجامع الصحيح (ثنا يزيد ابن زريع) بالتصغير وهو ابو معاوية البصرى الحافظ قال الحلبي وقد سقط واحد بين البخارى وبين يزيد بن زريع فان يزيد بن زريع ليس شيخا للبخارى وانما هو شيخ شيوخه والساقط هو عبد الاعلى بن حماد وقد اخرج البخارى هذا الحديث الذى ذكره القاضى فى كتاب الجهاد عن عبد الاعلى بن حماد عن يزيد بن زريع بالسند الذى ساقه القاضى قال الحجازى وكذا وجدته فى النسخة المعتمدة انتهى وعبد الاعلى هذا روى عن الحمادين ومالك وعنه الشيخان وابو داود وابو يعلى والبغوى (ثنا سعيد) اى ابن ابى عروبة (عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا) بكسر الزاى اى خافوا واستغاثوا (مرة) اى وقتا من الاوقات (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل الناس حين خرج من المدينة (فرسا لابى طلحة) اى مستعارا منه (كان) اى الفرس (يقطف) بضم الطاء و يكسر اى يقارب خطوه فى سرعة و زيد فى اصل الدلجي به فقال اى بابى طلحة (او به قطوف) بضم اوله شك ممن رواه عن انس ذكر الدلجي او ممن بعده قال الجوهرى القطوف من الدواب البطئ وقال ابو زيد هو الضيق المشى وقد قطفت الدابة قطفا والاسم القطاف (وقال غيره) اى غير انس (يبطأ) بفتح الطاء المهملة المشددة فهمزة اى لضيق الخطى وهو من البطئ وعند الطبرى ثبطا اى ثقيلا وقال ابو عبيد فى قوله تعالى فثبطهم اى عوقهم (فلما رجع) اى من الفزع الى المدينة ولم ير بأسا (قال) اى لابى طلحة (وجدنا فرسك بحرا) اى واسع الجرى سريع العدو (فكان) اى ذلك الفرس (بعد) اى بعد ركوبه اوقوله هذا (لايجارى) بضم الياء وفتح الراء من الجرى بالجيم اى لايسابق ولايبارى والمعنى لايسبقه غيره حينئذ (ونخس جمل جابر) بالنون والخاء المعجمة المفتوحتين اى طعنه عند دبره اوجنبه بمحجن اونحوه (وكان) اى الجمل (قد اعيى) اى عجز عن المشى وتعب عن السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة وفى مضارعه بفتحها اى خف واسرع وفى النهاية وكثيرا مايجئ فى الرواية انشط وليس بصحيح (حتى كان) اى انتهى نشاطه الى ان صار جابر (مايملك) ويروى لايملك (زمامه) رواه الشيخان (وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة فتحتية ساكنة (الاشجعي خفقها) اى ضربها (بمخفقة) بكسر الميم وفتح الفاء اى بدرة (معه وبرك عليها) بتشديد الراء اى دعا بالبركة لها (فلم يملك) اى جعيل بعد ذلك (رأسها نشاطا) بفتح النون اى من اجل اسراعها (وباع من نسلها) وفى نسخة من بطنها (باثنى عشر الفا) وهذا من اثر دعائه بالبركة لها وماقبله من اثر ضربه وتوجهه اليها فهما نشر ولف مرتب لما قبلهما رواه البيهقى (وركب حمارا قطوفا) بفتح القاف (لسعد بن عبادة فرده) اى من محله الذى انتهى اليه او من وصفه الذى كان عليه (هملاجا) بكسر فسكون ثم جيم اى سريع الهرولة فارسى معرب ويسمى الآن رهوانا (لايساير) بصيغة المفعول اى لاتسايره دابة الاسبقها رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله ابن ابى طلحة (وكانت شعرات من شعره) بفتح العين و يسكن اى من شعراته كما فى نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم (فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتح القاف واللام وضم السين مايوضع على الرأس مثل لكوفية (فلم يشهد بها) اى فلم يحضر خالد بتلك القلنسوة (قتالا الارزق النصر) بصيغة المفعول ونصب النصر اى اعطى الفتح والظفر رواه البيهقى (وفى الصحيح) اى من رواية مسلم وابى داود والنسائى وابن ماجه (عن اسماء بنت ابى بكر) اى الصديق رضى الله تعالى عنهما (انها اخرجت جبة طيالسة) بالاضافة كما فى شرح مسلم للنووى وفى نسخة بالوصف جمع طيلسان بفتح اللام و يثلث

فارسي معرب وفي نسخة طيالسية بزيادة تحتية وفسرت بالخلق وهواما من اصلها ولما لبسابطم أعليها لانهيئها الجبة صارت بيد اسماء بعد موت اختها عائشة وهي ماتت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمس واربعين سنة وفسرت بالاكسية وبالخضراءثم طيالسة بالتنوين لانها في زنة رفاهية وثمانية (وقالت) اى اسماء (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يلبسها) بفتح الموحدة (فنحن نغسلها للمرضي يستشفي بها) جملة حالية اومستأنفة مبينة وهي بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة المتكلم هذا وقال المصنف (وحدثنا القاضي ابو علي) وهو ابن سكرة (عن شيخه ابي القاسم ابن المهدي) اخذ عن ابي محمد الباجي (قالت كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ومن لطائف كلام ارباب اللغة لاتفتح الجراب ولا تكسر القصعة (من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف جمع (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون) وفي نسخة فيستشفون (بها) اى فيشفيهم الله تعالى ببركة نسبتها (فاخذ جهجاه) بالتنوين وهو بالجيمين والهائين ابن سعد او سعيد او مسعود وقال الطبري المحدثون يزيدون في آخره الهاء والصواب جهجا بدون هاء في آخره (الغفاري) بكسر اوله حضر بيعة الرضوان وعن عطاء عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما اسلم لم يتم حلاب شاة (القضيب) هو عصا النبي التي كان الخلفاء يتداولونها (من يد عثمان) اى وهو على المنبر (ليكسره على ركبته) اى معتمدا عليها (فصاح به الناس) وفي نسخة فصاح الناس به (فاخذته فيها الاكلة) بفتح فكسر ويسكن وبكسر فسكون وبفتحتين اى الحكة وفي نسخة بمد فكسر (فقطعها) اى ركبته وتذكير الضمير العائد الى الاكلة بتاويل الداء (ومات قبل الحول) رواه ابو نعيم في الدلائل وابن السكن في معرفة الصحابة وقال ابن عبد البر هو الذي تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب وكانت عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بعد عثمان بسنة ذكره الحلبي ثم كسر العصا ليس صريحا في كلام القاضي وهو صريح في كلام ابن عمر ولكني رأيت في حاشية على كتاب الروض الانف للسهيلي عن ابن دحية نقلا عن ابن العربي في كتاب العواصم انه لايصح كسر العصا ممن اطاع ولامن عصا قلت وكذا يخالف بين قوليهما حيث قال القاضي مات قبل الحول وقال ابن عبد البر توفي بعد عثمان بسنة والله سبحانه وتعالى اعلم (وسكب) اى صب (من فضل وضوئه) بفتح الواو ويضم اى ماء وضوئه (في بئر قبا) بهمز مصروف ويمنع وقد يقصر ولعلها بئر اريس (فما نزفت) اى فنبت ولا نقصت وفي نسخة بصيغة المجهول ففي الصحاح نزفت ماء البئر اذا نزحته كله ونزفت هي فيتعدي ولا يتعدي ونزفت ايضا على مالم يسم فاعله وحكي الفراء نزفت البئر اذا ذهب ماؤها (بعد) اى بعد صبه الى يومنا هذا رواه البيهقي عن انس (وبزق في بئر كانت في دار انس فلم يكن) اى ماء (بالمدينة) وفي نسخة في المدينة (اعذب منها) اى اطيب واحلى ماء من تلك البئر رواه ابو نعيم ولله در القائل من صاحب التمائل

﴿ولوتفلت في البحر مالح * لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا﴾

(ومر على ماء فسأل عنه فقيل) اى له كما في نسخة (اسمه بيسان) بكسر موحدة وتفتح فسكون تحتية (وماؤه ملح) بكسر فسكون مبالغة مالح اى اجاج (فقال بل هو نعمان) بضم اوله وفي نسخة صحيحة بفتحه واختاره التلمساني للمشاكلة ولو كسر لكان له وجه وجيه لقضية حسن المقابلة وهو مأخوذ من النعمة بكسر اولها او فتحها (وماؤه طيب فطاب) اى بمجرد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل بيسان موضعان احدهما بالشام وهو المراد في حديث الدجال والاخر بالحجاز وهو الذي مر به عليه الصلاة والسلام في غزوة ذي قرد فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان فقال هو نعمان وهو طيب فغير صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه فغير الله وصفه ورسمه فاشتراه طلحة فتصدق به فسماه عليه السلام طلحة الفياض (فاتى) كذا في نسخة صحيحة والظاهر واتى بالواو كما في بعض النسخ المصححة وهو بصيغة المفعول اى وجئ (بدلو من ماء زمزم فمج) بفتح الميم وتشديد الجيم اى القى من فيه ماء (فيه) اى في الدلو وهو مؤنث وقد يذكر على ما في القاموس (فصار اطيب من المسك) رواه ابن ماجه وروى البيهقي عن وائل الحضرمي ولم يقل من ماء زمزم (واعطى الحسن والحسين) اى كلا منهما (لسانه فمصاه) بتشديد الصاد (وكانا يبكيان عطشا) جملة حالية وعطشا مفعول من اجله لاتمييز كما اختاره الحلبي (فسكتا) اى بسكون عطشهما رواه الطبراني عن ابي هريرة (وكان لام مالك) اى الانصارية روى عنها عطاء بن السائب بواسطة رجل او البهزية روى عنها طاوس والظاهر ان المراد بها الاول وقال الشارح الصواب ام انس بن مالك فسقط ذكر انس قاله ابو علي الغساني وهي ام سليم بنت ملحان (عكة) بضم مهملة فكاف مشددة اناء من جلد يجعل فيه السمن (تهدى) بضم التاء وكسر الدال اى ترسل (فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا) اى ليتأدم به (فامرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لاتعصرها) بضم الصاد اى امرها بترك عصرها (ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسئلونها الادم) بضم فسكون وبضمتين وهو كل مايؤتدم به (ولبس

عند هم شيء) من الادم اومن السمن (فتعمد اليها) بكسر الميم اى تقصد على العكة (فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها)
وفي نسخة اد مهم اى تديم ذلك الادام (حتى عصرتها) رواه مسلم عن جابر (وكان يتفل) بضم الفاء وكسرها
(في افواه الصبيان المراضع) بفتح الميم اى اولاد المراضع كما قاله الحلبي وهو الظاهر وقال الدلجي جمع رضيع يعني
مرضع اسم مفعول (فيجزئهم) بضم الياء وكسر الزاي فهمزة ويسهل لا كما قال الدلجي بفتح التحتية اى يكفيهم
(ريقه الى الليل ومن ذلك) اى من قبيل كراماته (بركة يده) اى الحاصلة (فيما لمسه) اى مسه بها مطلقا (اوغرسه)
اى من شجر وغيره كما في اصل الدلجي وفي النسخ المصححة وغرسه (لسلمان) بالواو وهو الظاهر لانه حديث مستقل
رواه البيهقي عن سلمان انه عليه الصلاة والسلام غرسه له (حين كاتبه مواليه) وهم يهود واصله من فارس من قوم
مجوس فخرج بطلب الدين وطريق اليقين وجعل ينتقل من دين الى دين حتى اخذه قوم من العرب فباعوه فكاتبوه
(على ثلاثمائة ودية) بتشديد التحتية صغير فسيل النخل (يغرسها لهم) بكسر الراء (كلها) بالرفع اى جميعها
(تعلق) بفتح اللام وتضم اى تمسك اوتحبل (وتطعم) بضم التاء وكسر العين اى تعطى الثمرة اوتدرك (وعلى اربعين
اوقية) بضم الهمزة وتشديد التحتية على المشهور وبحذف الهمزة وفتح الواو في لغة وهي كانت اربعين درهما من
فضة في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد هنا وزنها لقوله (من ذهب) قال الحلبي انما كاتب سلمان مولاه ففيه
مجاز ولكن جاء في بعض طرقه وهو في المسند انه عليه الصلاة والسلام اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما
وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك (فقام النبي عليه الصلاة والسلام وغرسها له)
اى لسلمان اولمالكه (بيده الا واحدة) بالنصب (غرسها غيره) وهو عمر بن الخطاب على ماذكره ابن عبد البر بسنده
في الاستيعاب وهو في مسند احمد ايضا وفي طريق اخرى ذكرها البخاري في غير صحيحه ان الذي غرسها سلمان فيجمع
بينهما بان واحدة غرسها عمر واخرى غرسها سلمان اوان يكونا غرسا واحدة فلم تطعم ويكون الراوي مرة عزا غرسها
لعمر ومرة عزا غرسها لسلمان ان كان الراوي واحد اوهو بريدة كما رواه احمد وان كان غيره فيكون فيه مجاز كذا حققه
الحلبي ويؤيد الثاني من القولين قوله (فاخذت كلها) اى نبتت واثمرت (الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وردها) اى بيده الكريمة (فاخذت) اى اخذت عروقها ونشبت في محلها (وفي كتاب البزار) بتشديد
الزاي وفي آخره راء (فاطعم النخل) اى جنس ماذكر (من عامه الا واحدة) اى التي غرسها غيره عليه الصلاة والسلام
(فقلعها وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه) اى سلمان (مثل بيضة الدجاجة) بفتح الدال ويثلث اى مقدارها
وزنا اوحجما (من ذهب بعد ان ادارها) اى تلك القطعة التي هي كالبيضة (على لسانه) اى مبالغة للبركة في شانه
واذا جاز حمله على حقيقته فلا معنى لقول الدلجي لعله اراد بذلك انه برك عليها اى دعا فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده
فظن انه انما ادارها عليه (فوزن) اى سلمان (منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم) اى كمية
وازيد منه كيفية وكان سلمان من المعمرين عاش على الاصح مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وقيل
اربعمائة سنة مائة في المجوسية ومائة في اليهودية ومائة في النصرانية ثم لما اسلم قال يارب عمرني في الاسلام مائة
سنة فعاش مائة في الاسلام وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه وهو احد الذين اشتاقت اليهم الجنة ومناقبه
كثيرة وفضائله غزيرة مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وما ترك شيأ يورث عنه (وفي حديث حنش) بمهملة
فنون مفتوحتين فمعجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وفي بعض النسخ المصححة بالتصغير وهو حديث طويل
ارواه قاسم بن ثابت في الدلائل من طريق موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة عنه وقال شارح لم ار له اثرا في كتاب
الصحابة لابن عبد البر ولا خبرا فعلى من رآه ان يرسمه هنا (سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق
شربت اولها وشربت آخرها فما برحت) بكسر الراء اى مازلت (اجد شبعها) بكسر فتح (اذا جعت وريها)
بكسر راء فتشديد تحتية (اذا عطشت) بكسر الطاء (وبردها اذا ظمئت) بكسر الميم من الظمأ وهو العطش الشديد
من كثرة الحر اوشدة الحرارة (واعطى قتادة بن النعمان) بضم النون (وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة) جملتان
معترضتان وردتا اعتراضا بين اعطى ومفعوله الثاني كذا ذكره الدلجي والظاهر ان الجملة واحدة وان قوله في ليلة ظرف
لقوله صلى (عرجونا) بضم العين والجيم ويكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو اصل العذق الذي يعوج ويقطع منه
الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولعله هو العذق مطلقا وقيل اذا يبس واعوج وهو الملائم لقوله تعالى حتى عاد
كالعرجون القديم (وقال انطلق به فانه سيضيء لك بين يديك عشرا) اى عشرة اذرع اونحوها والعدد اذا حذف
مميزه جاز تذكيره وتأنيثه (ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) اى جسما ذا سواد اوجسما وشخصا
(فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون) هو اصل العذق كما تقدم (حتى دخل بيته ووجد

السواد فضربه حتى خرج) رواه احمد عن ابي سعيد بسند صحيح وفي توثيق عرى الايمان للبارزي [illegible]
شيطان ولاتنافي فلعله تمثل بصورته اسود (ومنها) اي ومن كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان (دفعه) اي اعطاؤه
عليه الصلاة والسلام (لعكاشة) بضم اوله وتشديد الكاف وتخفيفه (جذل حطب) بكسر جيم ويفتح وسكون
ذال معجمة اي اصل شجرة واراد به هنا عودا وقيل هو الخطبة او الخشبة الغليظة (وقال اضرب به حين انكسر سيفه)
ظرف لدفعه (يوم بدر) اي زمن وقعته (فعاد) اي فتحول (في يده سيفا) وفي نسخة فصار فيكون مجازا عنه اذ لم يكن
قطسيفا فيعود (صارما) اي قاطعا (طويل القامة ابيض) اي بريق اللمعان (شديد المتن) من المتانة وهي القوة
اوقوي الظهر فان المتن هو اصل الشئ الذي به قوامه بمنزلة الظهر للاعضاء ومنه متن الحديث (فقاتل به) اي في وقعة
بدر حتى انقضت (ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف) اي لقتال الكفرة (الى ان استشهد) اي عكاشة (في قتال اهل الردة
وكان هذا السيف يقال له) وفي نسخة يسمى (العون) بالمصدر للمبالغة او بمعنى المعين او المعان والله المستعان
رواه البيهقي وقال الخطابي يجب ان يعلم ان الذين لزمهم اسم الردة من العرب كانوا صنفين صنف منهم ارتدوا عن الدين
ونابذوا الملة وعادوا اي الكفر وهم المعنيون بقول ابي هريرة وكفر من كفر وهم اصحاب مسيلمة ومن نحا نحوهم
في انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فاقروا بالصلاة
وانكروا الزكاة يعني اعطاءها لا وجوبها وهؤلاء هم اهل بغي وانما لم يخصوا بهذه السمة لدخولهم في غمار اهل الردة
بخلاف المسلمين فاضيف الاسم في الجملة الى الردة اذ كانت اعظم الامرين خطبا وصار مبدأ قتال اهل البغي مؤرخا
بايام علي رضي الله تعالى عنه اذ كانوا منفردين في عصره ولم يختلطوا باهل شرك في دهره (ودفعه) اي ومنها دفعه
عليه الصلاة والسلام (لعبدالله بن جحش) بفتح جيم فسكون مهملة (يوم احد وقد ذهب سيفه) جملة حالية اعتراضية
(عسيب نخل) اي جريدة منه مما لاخوص عليه ومانبت عليه الخوص فهو سعف والخوص الاوراق (فرجع) اي
انقلب (في يده سيفا) رواه البيهقي وفي سيرة ابن سيدالناس انه اعطى سلمة بن اسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب
كان في يده فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر ابي عبيدة انتهى ونقله الواحدي باسناده (ومنه) اي
ومن هذا النوع (بركته في درور الشياه الحوائل) بالهمز جمع الحائلة وهي الشاة العديمة اللبن (باللبن الكثير كقصة
شاة ام معبد) بفتح الميم والموحدة وقصتها مارواه ابن سعد والطبراني عن ابي معبد الخزاعي انه صلى الله تعالى عليه وسلم
لما هاجر ومعه ابوبكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبدالله بن الاريقط استأجره دليلا وهو على دين كفار قريش فاخذ بهم
طريق الساحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تحتبي بفناء بيتها فتطعم وتسقي
من مربها وكانوا مرملين مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوا فرأوا عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال اتأذنين لي
ان احلبها قالت نعم فدعابها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه
ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد يسوق
اعنزا عجافا يتساوكن هزالا فرأى اللبن فعجب فقال اني لك هذا قالت مر بنا رجل مبارك الحديث (واعنز معاوية) بفتح
همزة وسكون عين وضم نون جمع قلة لعنز اي شاة انثى وفي اصل المعز في الصحيح من اصل المؤلف معونة بفتح الميم وضم
العين وبالنون من العون والظاهر انه تصحيف فقد ذكر الطبري في كتاب الدلائل معاوية (ابن ثور) بفتح مثلثة وسكون
واو وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ومسح رأسه واعطاه اعنزا عشرا فقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور في ابيه

﴿ وابي الذي مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات ﴾

والتقدير وقصتها كما رواه ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله (وشاة انس) اي وقصتها
(وغنم حليمة مرضعته وشارفها) وهي المسنة من النوق وقيل من الابل وقيل من المعز على ما رواه
ابو يعلى والطبراني وغيرهما بسند حسن (وشاة عبد الله بن مسعود) اي كما رواه البيهقي (وكانت) اي
تلك الشاة (لم ينز) بفتح الياء وسكون النون وضم الزاي اي لم يثب ولم يعل (عليها فحل) اي للضراب وروى
انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح ضرع شاة حائل لالبن لها لابن مسعود فدرت وكان ذلك سبب اسلامه
(وشاة المقداد) كما في صحيح مسلم وكلها كانت مثل شاة ام معبد وقد درت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم
هذا وقصة شاة المقداد مختصرة ماروي عنه انه قال اقبلت انا وصاحبان لي وقد ذهب اسماعنا وابصارنا من الجهد
يعني الجوع فعرضنا انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا احد فاتينا النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاث اعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب فكان يشرب

كل انسان نصيبه ويرفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجئ من الليل فيشربه فوقع في نفسي ذات ليلة
ان نبي الله يأتي الانصار فيتحفونه ما به حاجة الى هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على مافعلت خشية انه اذا جاء فلم يجده
يدعو علي فاهلك وجعل لايجيئ النوم واما صاحباي فناما فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كعادته وكشفه
عن نصيبه فلم يجد شيئا فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من اطعمني واسق من سقاني
قال فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز ايتها اسمن اذبحها له فاذاهن حفل كلهن فعمدت الى اناء فحلبت فيه حتى
علته رغوة فجئت به اليه فشرب ثم ناولني فلما عرفت ان النبي قد روي واصبت دعوته ضحكت حتى القيت على الارض
فقال ادني سوءتك يامقداد يعني انك فعلت سوءة من الفعلات فما هي قال فقلت يارسول الله كان من امري
كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ماهذه الا رحمة من الله (ومن ذلك) اي من قبيل كراماته وزيادة
بركاته كما رواه ابن سعد عن سالم بن ابي الجعد مرسلا (تزويده اصحابه سقاء) بكسر اوله اي وعاء (ماء بعدان اوكاه) بالف
بعد الكاف اي ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء (ودعا به فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه) بضم اللام المشددة
اي ففتحوا السقاء بحل الوكاء (فاذا به) اي فيه وفي نسخة فاذا هو فاجاءهم ذلك الماء في السقاء (لبن طيب وزبدة)
بتاء وحدة وفي اصل الدلجي زبده بالاضافة اي زبد اللبن (في فيه) وفي نسخة فمه اي في فم السقاء (من رواية حماد
ابن سلمة) متعلق بقوله تزويده قال الحلبي هو الامام ابو سلمة احد الاعلام قال ابن معين اذا رأيت من يقع فيه فاتهمه
على الاسلام وقد تقدم عليه الكلام (ومسح على رأس عمير بن سعد) بضم عين وفتح ميم وفي نسخة عمر بن سعد كلاهما
صحابي قال الحلبي وما اعرف من جرت له القصة منهما قلت ولايبعد ثبوت القضية عنهما ففي كل نسخة اشارة الى
احدهما بل روى الزبير بن بكار في اخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لاعمير ولاعمر فتدبر (وبرك)
اي دعا بالبركة (فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب) اي رأسه خصوصا اوشعره عموما والله تعالى اعلم (وروى مثل
هذه القصص) اي الروايات المتضمنة للحكايات الدالة على عموم البركات (عن غير واحد) اي عن كثيرين من الصحابة
(منهم السائب بن يزيد) وقد سبق ذكره (ومدلوك) وهو ابن سفيان الفزاري مولاهم اسلم مع مواليه علق البخاري
حديثه وقيل هو مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره ابن حبان في ثقاته فقال مدلوك ابو سفيان كان
يسكن الشام اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم فدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح برأسه فكان رأس
ابي سفيان ماسه من يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسود وسائر رأسه ابيض (وكان يوجد لعتبة بن فرقد)
اي ابن يربوع السلمي له صحبة ولي الموصل لعمر وكان شريفا وشهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا واما ابنه عمرو
فمن الاولياء ذكره الذهبي (طيب يغلب طيب نسائه) اي رائحة وفائحة (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مسح بيده على بطنه وظهره) رواه البيهقي والطبراني (وسلت الدم) اي مسحه واماطه (عن وجه عائذ) بالذال المعجمة
بعد الهمزة (ابن عمرو) اي ابن هلال ابو هبيرة المزني بايع تحت الشجرة وكان من الصالحين (وكان) اي وقد كان (جرح
يوم حنين) وفي نسخة يوم احد (ودعا له فكانت) اي بعده كما في نسخة اي بعد سلته من موضعه (له غرة) اي بياض
في وجهه من غير سوء به (كغرة الفرس) وفي اصل الدلجي ولا كغرة الفرس اي بل اعلى منها رواه الطبراني (ومسح
على رأس قيس بن زيد الجذامي) بضم الجيم له وفادة (ودعا له) اي بالبركة (فهلك) اي مات (وهو ابن مائة سنة ورأسه
ابيض وموضع كف النبي) وفي نسخة كف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره) اي
بقية شعر رأسه (اسود فكان) اي قيس بسبب تلك الغرة في جبهته (يدعى الاغر) اي تشبيها لما في وجهه من البياض
كغرة الفرس ذكره ابن الكلبي (وروي مثل هذه الحكاية) اي من مسح الرأس وظهور اثر المسح كما رواه البيهقي (لعمرو
ابن ثعلبة الجهني) قال الحلبي هذا الآخر لا اعرفه وقال الدلجي لعله خزيمة بن سواد بن الحارث اذ قد روى ابن سعد
عن وجه السعدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجهه فصارت له غرة بيضاء (ومسح وجه قتادة بن ملحان)
بكسر الميم وسكون اللام قال الحلبي مسح رأسه ووجهه ولعل غالب مسحه كان على وجهه ولذا اقتصر عليه
(فكان لوجهه بريق) اي لمعان عظيم (حتى كان ينظر في وجهه) بصيغة المجهول (كما ينظر في المرآة) بكسر الميم
والهمزة الممدودة رواه احمد والبيهقي (ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم) بكسر حاء مهملة وسكون ذال معجمة
فتحتية وفي نسخة بالجيم مصغرا وهو تصحيف وضبطه التلساني بخاء معجمة مضمومة وراء مفتوحة ومثناة من
اسفل ساكنة قال وروى مثل ماقدمنا واخترناه قال وكذا ذكره ابو عمر وهو الذي روى حديث لايتم بعد احتلام
قال الذهبي حديثه في مسند احمد ولابيه صحبة وذكر في التجريد حنيفة والدحذيم لهما صحبة ولابنه حنظلة قيل ولابن
ابنه ايضا لكن قال موسى بن عقبة فيما نقله عنه ابن الجوزي وغيره ما نعلم اربعة ادركوا رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم الاهؤلاء يعني ابا قحافة وابنه ابابكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى اباعتيق قال الحلبي ومحمد ابو عتيق
الصحيح انه تابعي ولو قال موسى بن عقبة عبد الله بن الزبير وامه اسماء وابوها ابو بكر وابو قحافة لكان صوابا
فان هؤلاء لاخلاف في صحبتهم (وبرك عليه) اى دعاله بالبركة (فكان حنظلة يؤتى بالرجل) اللام للعهد الذهني فهو
في حكم النكرة اى برجل من الرجال (قد ورم وجهه) بكسر الراء اى تورم وانتفخ (والشاة) اى وبالشاة (قد ورم
ضرعها) بفتح اوله اى ثديها (فيوضع) وفي نسخة فيضع اى محل الورم منها (على موضع كف النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم) اى من رأسه (فيذهب الورم) اى من وجه الرجل وضرع الشاة رواه البيهقي وغيره (ونضح) بالحاء المهملة
وقيل بالمعجمة وقيل بمهملة ان اعتمد وبعجم ان لم يعتمد رش (في وجه زينب) اى ربيبة (بنت ام سلمة نضحة من ماء
فما يعرف كان) وفي نسخة فما كان يعرف (في وجه امرأة من الجمال ما بها) اى مثل ما كان بوجهها من الكمال رواه
ابن عبد البر في استيعابه وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها بينها في ظلمة
فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل في ظلمة فقال انظروا زيانبكم لئلا اطأ عليها اوقال اخروا
حكاه السهيلي هكذا ومن قصتها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغتسل فدخلت عليه فنضح في وجهها بالماء
فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وتوفيت يوم مات معاوية (ومسح على رأس صبي به عاهة) اى آفة
من قرع ونحوه (فبرأ) اى زال مابه (واستوى شعره) اى على حاله بل احسن منه في مآله هذا الحديث لايعرف من
رواه بهذا اللفظ الا ان ابانعيم روى عن الاوزاعي انه انطلق الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بابن له مجنون فمسح وجهه
ودعاله فلم يكن في الوفد احد بعد دعوته له اعقل منه اى ببركة دعائه وكان القياس ان يقال ولا احسن منه ببركته
ومسح وجهه هذا وزيد في نسخة هنا وروى مثله في خبر المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة المخففة وباللام
وروى هلب بن قنافة بضم الهاء وسكون اللام وآخره موحدة وقنافة بضم القاف وفتح النون مخففة وبالفاء كذا
ذكره ابو عمرو قيل وهو الصواب ولعلهما قصتان لرجلين وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة الطائي
وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اقرع فمسح على رأسه فنبت شعره فسمي المهلب (وعلى غير واحد)
اى ومسح على كثيرين (من الصبيان المرضى والمجانين) عطف على الصبيان (فبرؤا) بفتح الراء ويكسر فعوفوا
من مرضهم وجنونهم (واتاه رجل به ادرة) بضم همزة وتفتح وسكون دال وبفتحتين اى نفخة في خصيته (فامره
ان ينضحها) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة اى يرشها (بماء من عين) اى ماء وفي نسخة من عين غس بفتح غين معجمة
وتشديد سين مهملة (مج) اى صب من فيه (فيها) اى في تلك العين وفي نسخة فيه اى في الماء اوفي ذلك المكان (ففعل)
اى النضح (فبرأ) قال الدلجي لا اعلم من رواه (وعن طاوس) يكتب بواو ويقرأ بواوين كداود والهمزة غلط فيهما
وهو ابن كيسان اليماني من ابناء الفرس وقيل اسمه ذكوان فلقب به لانه كان طاوس القراء كما قاله ابن معين روى عن
ابي هريرة وابن عباس وعائشة وخلق وعنه الزهري وسليمان التيمي وابنه عبد الله بن طاوس وجمع وهو رأس في العلم
والعمل توفي بمكة سنة ست اوخمس ومائة اخرج له الائمة الستة (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماجيء
(باحد به مس) اى جنون اوولع (فصك) بتشديد الكاف اى ضرب (في صدره الاذهب) اى مابه من المس (والمس
الجنون) لانه يحصل بسببه كذا وقفه المصنف على طاوس ولم يعلم من رواه عنه من المخرجين (ومج) بتشديد الجيم
اى صب من فمه (في دلو) اى فيه ماء (من بئر) وسبق في رواية القاضي من بئر زمزم (ثم صب) بفتح الصاد ويضم اى كب
الدلو يعني ماءه (فيها) في تلك البئر (ففاح) اى سطع وانتشر (منها ريح المسك) اى مثل ريحه تشبيها بليغا
وانما شبه به لانه اعلى انواع الرائحة وان كان رائحة ماءمجه اتم اصناف الفائحة لان مصدرها الخاتمة والفاتحة رواه
احمد عن وائل بن حجر وفي شرح التلمساني فمج اطيب من المسك هكذا رواه وصوابه فصار اطيب اوفعاد اطيب ويجوز
ان يكون معناه فصار المج اطيب من المسك (واخذ قبضة من تراب) بضم القاف وتفتح اى مقبوضة منه (يوم حنين)
وفي نسخة يوم بدر وهو اصل التلمساني قال وروى حنين بحاء مهملة والكل صحيح والمعنى حين وقع من بعضهم الفرار
ومن باقيهم القرار (ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه) اى قبحت مأخوذة من الشوهة وهو القبح واول
من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره التلمساني (فانصرفوا يمسحون القذى) بقاف مفتوحة
وذال معجمة والف مقصورة جمع قذاة وهي مايقع في العين وغيرها من تراب وتبنة ونحوها اى يمطونها ويزيلونها
(عن اعينهم) رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع (وشكا اليه ابو هريرة النسيان) اى نسيان ما يسمعه من الحديث
والقرآن (فامره بسط ثوبه) اى بفتحه ونشره لديه (وغرف) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده فيه) اى
تشبيها بمن اخذ شيئا والقاه في ثوبه (ثم امره بضمه) اى بجمع ثوبه الى صدره (ففعل فما نسي شيئا) اى من امره في عمره

(ومايروى عنه فى هذا كثير) اى مايروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا المعنى وهو الدعاء لذهاب النسيان كثير طرقه ولايبعد ان يكون المعنى ومايروى عن ابى هريرة لاجل هذا كثير مع ان زمن صحبته يسير وهو اربع سنين (وضرب فى صدر جرير بن عبدالله) اى البجلى (ودعاله) اى بالثبات ظاهرا وباطنا ولذا خص الضرب بصدره لانه محل الرهبة والجزع (وكان) اى جرير (ذكرله) اوكان صلى الله تعالى عليه وسلم ذكرله (انه لايثبت على الخيل) اى حال جريها (فصار من فرسان العرب) بضم الفاء اى شجعانهم وفى نسخة من افرس العرب (واثبتهم) اى على الخيل من ركبانهم كذا فى الصحيحين (ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) اى ابن اخى عمر بن الخطاب (وهو صغير) جملة حالية من عبد الرحمن لامن زيد كما توهم الدلجى (وكان دميما) بدال مهملة اى قبيحا وذميما لكونه هزيلا قصيرا والدمامة بالمهملة فى الخلق وبالمعجمة فى الخلق بالضم وعلى هذا ينشد

﴿ كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم ﴾

(فدعاله بالبركة ففرع) بفاء وراء مفتوحتين فمهملة اى طال وعلا وغلب (الرجال) وفى نسخة الناس (طولا وتماما) رواه الزبير بن بكار عن ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزبيرى عن ابيه

﴿ فصـــل ﴾

(ومن ذلك) اى من قبيل هذا النوع المكنون (ما اطلع عليه) بضم همز وسكون مهملة وفى نسخة بتشديد هاء مضمومة اى ماالهم اليه (من الغيوب) اى الامور المغيبة فى الحال (وما يكون) اى سيكون فى الاستقبال (والاحاديث فى هذا الباب) اى فى هذا النوع من انواع الكتاب (بحر لايدرك قعره ولاينزف غمره) بصيغة المفعول فيهما ويجوز فتح الباء وكسر الزاى والغمر الماء الكثير فى البحر الكبير اى لايحاط غايته ولاتفنى نهايته (وهذه الجملة) اى الآتية وفى نسخة وهذه المعجزة (من جملة معجزاته المعلومة على القطع) اى على الوجه القطعى والطريق اليقينى (الواصل الينا خبرها على التواتر) اى لدينا (لكثرة رواتها) اى مع اختلاف مبانيها الدالة (واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) اى على اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات عنا (حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى) بكسر الفاء المعروف بالطرطوشى (اجازة وقراءة) وفى نسخة وقراءته (على غيره) اى رواية (قال ابو بكر) احتراز عن غيره (ثنا ابو على التسترى) بضم التاء الاولى وفتح الثانية بينهما سين مهملة لامعجمة كما فى لسان العامة وهو احد رواة سنن ابى داود (ثنا ابو عمر الهاشمى ثنا اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى راوى سنن ابى داود (ثنا ابوداود) وهو حافظ العصر صاحب السنن وانما اسند المصنف هنا من حديث ابى داود عن حذيفة ورواه عنه مع رواية الشيخين لما فى روايته له من طريق آخر من الزيادة كما سيأتى (ثنا عثمان ابن ابى شيبة) روى عنه الشيخان وغيرهما (ثنا جرير) بفتح الجيم فكسر الراء روى عنه احمد واسحق وابن معين وجماعة وله مصنفات (عن الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن ابى وائل) هو شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام لكن لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان من العلماء العاملين (عن حذيفة) اى ابن اليمان (قال قام فينا) اى خطيبا اوواعظا ومعناه خطبنا (مقاما) بفتح الميم فى مكان اوقياما (فاترك) وفى نسخة ماترك (شيئا) اى مهما (يكون) اى يحدث من القدم (فى مقامه ذلك) ظرف لماترك (الى قيام الساعة الاحدثه) وفى نسخة حدث به اى حدث بوجوده (حفظه) ماذكره (من حفظه) اى جميعه (ونسيه من نسيه) اى بعضه اوكله (قدعلمه) متعلق بيكون اى عرف هذا الخبر (اصحابى هؤلاء) اى من الصحابة الحاضرين اوالموجودين قال الدلجى لم ار هذه الزيادة من مختصات رواية ابى داود لان لفظه قدعلمه اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) اى الشان (ليكون منه) اى ليحدث ويقع مما اخبرنابه (الشئ) اى الذى قد نسيته فاراه موجودا فى الاعيان (فاعرفه) اى انه مما اخبرنا به (واذكره) اى اتذكره بعد مانسيته (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذاغاب عنه) اى كما اذاغاب وجه الرجل عن الرجل فينساه (ثم اذاراه عرفه) اى بعد نسيانه اياه قال الدلجى الى هنا رواية الشيخين وزاد ابوداود بسند آخر من طريق قبيصة بن ذؤيب عن ابيه عن حذيفة وان كان صنيعه يقتضى اتصاله به (ثم قال) اى حذيفة كما فى اكثر النسخ (مادرى انسى اصحابى) اى حقيقة (ام تناسوه) اى تكلفوا نسيانه لقلة اهتمامهم به لقلة مهم بماهواهم منه ولما اراد الله من اختصاص كل منهم ببعض مااستفادوا عنه (والله ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة) اى اميرها يقودها الى المحاربة ويجرها الى المخاصمة بالطرق الباطلة اومحدث بدعة كعلماء المبتدعة من الخوارج والروافض والمعتزلة يحدث من زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه) اى مع قائد الفتنة (ثلثمائة فصاعدا) اى فاكثر والجملة صفة قائد (الاقد سماه لنا) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك القائد (لنا) اى لاجلنا (باسمه واسم ابيه وقبيلته) اى التى

تقويه (وقال ابو ذر) اى على ما رواه احمد والطبراني باسناد صحيح وابو يعلى وابن منيع عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مات عنا (وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا) بتشديد الكاف اى افهمنا (منه) من ذلك الطائر وتحريكه (علما) اى حكما اجماليا او تفصيليا (وقد خرج اهل الصحيح) اى من التزم صحة ما رواه كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم في كتبهم المعروفة (والائمة) كمالك واحمد وبقية اصحاب الكتب الستة وغيرهم ممن لم يلتزموا في كتبهم الصحة (ما اعلم به) مفعول خرج اى ما اخبر به (اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور) اى الغلبة (على اعدائه) وفي نسخة على اعدائهم (وفتح مكة) تخصيص بعد تعميم وهذا مما رواه الشيخان وغيرهما (وبيت المقدس) كما رواه البخاري عن عوف بن مالك (واليمن والشام والعراق) كما في الصحيحين عن سفيان ابن ابي زهير (وظهور الامن حتى تظعن) بسكون المعجمة وفتح المهملة اى ترحل (المرأة من الحيرة) بمهملة مكسورة مدينة بقرب الكوفة واخرى عند نيسابور (الى مكة لا تخاف الا الله) على ما رواه البخاري عن عدي ابن ابي حاتم (وان المدينة) اى السكينة (ستغزى) بالغين والزاء اى على بناء المفعول وهو من الغزو اى ستحارب وتقاتل وفي رواية بمهملتين قال الحلبي فنظر المزي الرواية في الحديث بالعين المهملة والراء بمعنى من العرى اى تصير عراء والمعنى ستخرب ليس فيها احد فقد رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها الا العوافي وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووي وغيره وانما يقع قرب الساعة وقال التلمساني وقع هذا في زمن يزيد بن معاوية ندب عسكرا من الشام الى المدينة فنهبها والوقعة معروفة بالحرة وهي ارض بظاهر المدينة ذات حجارات سود وقتل فيها كثير من ابناء المهاجرين والانصار وكانت في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد (وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه) كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان ارمد فبصق في عينيه فبرأ وفتح الله على يديه (وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها) اى يعطون من بهجتها من كثرة المال وسعة الجاه كما رواه الشيخان من طرق (وقسمتهم) اى ومن تقسيمهم فيما بينهم (كنوز كسرى) بكسر الكاف ويفتح اى ملك فارس (وقيصر) اى وكنوزه وهو ملك الروم كما في الصحيحين من طرق عن ابي هريرة وغيره (وما يحدث بينهم) اى بين امته (من الفتن) بكسر ففتح جمع فتنة وفي نسخة الفتون بالضم مصدر فتن بمعنى الافتتان (والاختلاف والاهواء) على ما رواه الشيخان من طرق ولعل المراد بالاختلاف ظهور التنافس في الملك واختلاف امر الامراء وبالاهواء ظهور المعتزلة والغلاة من اهل البدعة (وسلوك سبيل من قبلهم) اى وسلوكهم على نهج من تقدمهم من الامم فقد رواه الشيخان عن ابي سعيد بلفظ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم فسئل اليهود والنصارى قال فمن (وافتراقهم) اى اختلافهم (على ثلاث وسبعين فرقة) اى طائفة كما رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم عن ابي هريرة قيل واصولهم ثمانية معتزلة عشرون فرقة وشيعة اثنتان وعشرون فرقة وخوارج على سبع فرق ومرجئة على خمس فرق ونجارية ثلاث فرق وجبرية محضة فرقة واحدة ومشبهة فرقة واحدة وطرقهم مختلفة (الناجية منها) اى من تلك الفرق (واحدة) اى فرقة واحدة كما في نسخة صحيحة وهم الذين قال فيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين على ما انا عليه واصحابي وهم اهل السنة والجماعة من الفقهاء كالائمة الاربعة والمحدثين والمتكلمين من الاشاعرة والماتريدية لخلو مذاهبهم من البدعة (وانه) اى الشان وفي نسخة وانها اى القصة وفي نسخة صحيحة وانهم (سيكون لهم) اى لامته (انماط) بفتح الهمزة جمع نمط وهو ضرب فراش ويغشى عليه الهودج ايضا وهذا في الصحيحين عن جابر وفي الترمذي عن علي (ويغدو) اى يصبح او يمر (احدهم في حلة ويروح) اى يمسي او يرجع (في اخرى ويوضع بين يديه صحفة) اى اناء كالقصعة المبسوطة (وترفع) اى من بين يديه (اخرى) اى صحفة اخرى (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة) وفيه ايماء الى ان الدنيا تبسط عليهم بالسعة (ثم قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا لاصحابه الكرام (آخر الحديث) اى في آخر الكلام (وانتم اليوم خير منكم يومئذ) فالواو العاطفة رد لقولهم نحن يومئذ خير من اليوم ظنا منهم انهم يصرفون الدنيا في طرق العقبى فالمعنى ليس الامر كما تظنون بل وانتم اليوم خير لان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وفيه تنبيه على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر (وانهم اذا مشوا المطيطاء) بضم الميم وفتح الطائين بينهما ياء ساكنة والكلمة ممدودة وتقصر وهي مشية فيها مد اليدين والتبختر والخيلاء ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى وفي نسخة المطيطيا بزيادة ياء بعد طاء مكسورة او مفتوحة (وخدمتهم بنات فارس والروم) اى بسببهم لهن (رد الله بأسهم) اى شدة عداوتهم بكثرة محاربتهم (بينهم) اى لطغيانهم بكثرة المال وسعة الجاه والاقبال (وسلط) اى

الله (شرارهم على خيارهم) لان الغالب غلبة اهل الشر في الشوكة والدولة الدنيوية والحديث رواه الترمذي عن ابن عمر كما قاله الدلجي واما ماذكره الحلبي من ان الحديث رواه الذهبي في ميزانه من ترجمة محمد بن خليل الحنفي الكرماني ولفظه وروى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر الحديث ثم قال لا يصح فلا يعارض ماتقدم فان عدم صحته يحمل على روايته مع انه لا يلزم من عدم الصحة نفي الثبوت بطريق الحسن وهو كاف في الحجة هذا وقد ثبت انهم بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم وغنموا اموالهم وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى على جماعة حتى قتلوه اشقاهم وهلم جرا الى ان قتل زياد بامر يزيد وشرارا عوانهم الحسين واصحابه خيار زمانهم وقد سلط بنوا امية سبعين سنة على بني هاشم ففعلوا مافعلوا (وقتالهم الترك) كما في الصحيحين بلفظ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اقواما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة والظاهر ان المراد بهم التتار ولعل القضية متأخرة او وقعت وليس لنا بها معرفة (والخزر) اى قتالهم الخزر بضم معجمة وسكون زاى فراء طائفة من الترك جمع اخزر والخزر بفتحتين ضيق العين وصغرها وكذا ضبط الاصل ايضا في كثير من النسخ واقتصر عليه الشمني وفي حديث حذيفة كما في بهم خنس الانوف خزر العيون فالعطف تفسيري (والروم) وهم طائفة معروفة وقد سبق في الصحيح قتالهم مع قيصر فلاوجه لقول الدلجي لاادري من روى حديث الطائفتين (وذهاب كسرى) اى ذهاب ملكه بذهابه (وفارس) اى وذهاب قومه اى من ارض العراق وغيره (حتى لا كسرى ولافارس بعده وذهاب قيصر) اى ملك الروم من الشام ونحوه (حتى لاقيصر بعده) رواه الشيخان بدون فارس وذكر الحارث عن ابن محيريز مرفوعا فارس نطحة اونطحتان ثم لافارس بعد هذا ابدا وقد وقع ما اخبر به من زوال ملكهما من اقليميهما فلم يبق من كسرى وقومه طارفة عين بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمزق كل ممزق وقيصر اعنى به هرقل قد انهزم من الشام في خلافة عمر رضي الله عنه تعالى الى اقصى بلاده فافتتح المسلمون بلادهما فلله الحمد والمنة واخذ السهيلي من هذا ان لاولاية للروم على الشام الى يوم القيامة انتهى واراد بالروم كفارهم من الفرنج والنصارى ثم قيل التقدير ولامثل كسرى ولا مثل قيصر لانه علم ولا تدخل عليه لا الا اذا كان اول بالنكرة (وذكر) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الروم ذات قرون) اى كلما هلك قرن خلفه قرن الى آخر الدهر قال الفارسي معناه ان هلك منهم رئيس خلفه آخر ولبسوا كالفرس لانهم مزقوا وقد ورد في هذا المعنى حديث وكانه تفسير لهذا قال عليه السلام فارس نطحة اونطحتان ثم لافارس بعد هذا ابدا والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن اهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر انتهى (وبذهاب الامثل فالامثل) اى الافضل فالا فضل (من الناس) اى من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم والفاء مؤذنة بترتيب التفاضل فاثبتت الامثلية للاول ثم للثاني وهكذا حتى تبقى حثالة لايبالي لهم الله ابالة (وتقارب الزمان) كما في حديث الترمذي لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة اى العرفية والساعة الضرمة بالنار والمراد به آخر الزمان واقتراب الساعة لان الشيء اذا قل وقصر تقارب اطرافه والظاهر انه اريد به زمن عيسى فانه لكثرة الخيرات تستقصر الاوقات للاستلذاذ بالمسرات اوزمن الدجال فانه لكثرة اهتمام الناس بما يدهمهم من همومهم لا يدرون كيف تنقضي ايامهم او اريد به تسارع الازمنة فيتقارب زمانهم في المحنة اوالمحنة او اريد به قلة البركة في اعمالهم مع كثرة الحركة في احوالهم (وقبض العلم) اى بقبض العلماء لحديث ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا كما رواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة (وظهور الفتن والهرج) بفتح الهاء فسكون الراء فجيم قيل لغة حبشية ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة يتقارب الزمان يقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل (وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في حديث الشيخين عن ام المؤمنين زينب (ويل) اى هلاك عظيم (للعرب من شر قد اقترب) ولعل المراد به فتنة عثمان في محنة المحاصرة وفتنة على مع معاوية وفتنة الحسين مع يزيد وهلم جرا من المزيد ويفعل الله مايشاء ويحكم ما يريد (وانه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (زويت له الارض) اى جمعت وضمت (فارى) بصيغة المفعول وفي نسخة فرأى (مشارقها ومغاربها) ولفظ مسلم عن ثوبان ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها اى جمعها لي وطواها بتقريب بعيدها الى قريبها حتى اطلعت على ما فيها جميعها (وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها) وهذه الجملة من تتمة حديث مسلم عن ثوبان ولفظه وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها والمعنى زويت لي جملة الارض مرة

واحدة وستفتحها امتى جزءاجزءا حتى تملك جميع اجزائها (ولذلك) اى ولاجل تقييده لها بمشارقها ومغاربها (كان امتدت) بتشديد الدال اى انبثت امته وانتشرت ملته وفى نسخة وكذلك كأن بكاف التشبيه والمعنى وكذا وقع ثم استأنف للبيان امتدت (فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند) بدل او بيان للمشارق والمغارب (اقصى المشرق) بيان لارض الهند او بدل منه (الى بحر طنجة) بفتح طاء وسكون نون وفتح جيم بلدة عظيمة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة) بكسر اوله (وراءه) اى فيما وراء ذلك المكان (وذلك) اى ماملكته امته (ما لم تملكه امة من الامم ولم يمتد فى الجنوب) بفتح الجيم اى فى الجهة الغربية اذا توجهت للقبلة وهو ريح يخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل اى الى مطلع الثريا (ولا فى الشمال) بكسر اوله وهو الجهة الشرقية اذا توجهت للقبلة (مثل ذلك) اى مثل امتداد جهتى المشرق والمغرب ولعل فى اتيانهما بلفظ الجمع ايماء الى ماهنالك وكذلك الى ظهور كثرة العلماء منهما بالنسبة الى غيرهما وان علماء المشرق اكثر واظهر من علماء المغرب فتدبر (وقوله) اى كما رواه مسلم عن سعد ابن ابى وقاص مرفوعا (لايزال اهل الغرب ظاهرين على الحق) اى على طريق الحق ومنهج الصدق وسبيل الطاعة من الجهاد وتعليم العلوم للعباد (حتى تقوم الساعة) اى الى قرب القيامة (ذهب ابن المدينى) هو الامام ابو الحسن على بن عبد الله المدينى الحافظ روى عن ابيه وحماد بن زيد وخلق وعنه البخارى وابوداود والبغوى وابو يعلى قال شيخه عبد الرحمن ابن مهدى على ابن المدينى اعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة تلوموننى على حب على ابن المدينى والله لانعلم منه اكثر مما يتعلم منى وكذا قال يحيى القطان فيه وقال البخارى ما استصغرت نفسى الابين يدى على قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشان توفى بسامرا هذا والمدينى نسبة الى المدينة المشرفة قاله ابن الاثير وقال ان اصل المدينى منها ثم انتقل الى البصرة وقال ان الاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى ثم قال واما المدينى فنسبة الى اماكن وساق سبعة واما الجوهرى فقال المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور هذا وهو بفتح الميم وكسر الدال وسكون الياء لابصيغة التصغير كما توهمه بعض معاصرينا من العلماء (الى انهم) اى اهل الغرب (العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب) بغين معجمة فسكون راء (وهى الدلو) اى العظيمة وفى نسخة وهو الدلو (وغيره) اى غير ابن المدينى (يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب) اى بدل الغرب فارتفعت الشبهة فى مبناه (كذا فى الحديث بمعناه) لكن فيه انه لايعلم من رواه نعم يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس اقوم اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة وهم على الحق مستمسكون لايضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم مايكرهون الى يوم القيامة (وفى حديث آخر من رواية ابى امامة) كما رواه احمد والطبرانى عنه مرفوعا (لاتزال طائفة من امتى) اى امة الاجابة (ظاهرين على الحق) اى مستعلين عليه غير مخفين لديه (قاهرين لعدوهم) اى غالبين عليهم من قهره غلبه واللام للتقوية (حتى يأتيهم امر الله) اى بفنائهم او خفائهم (وهم كذلك) اى لابثون على ماهنالك (قيل يارسول الله واين هم قال ببيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وضبطه بضم الميم وفتح الدال المشددة ولعل مثل هذا الحديث حمل ابن المدينى على تأويل ماتقدم وقال غيره المراد باهل الغرب اهل الشام لانه غرب الحجاز بدلالة رواية وهم بالشام لكن لامنع من الجمع بان يوجد فى كل منهما جمع يقومون بامر الحق من اظهار العلم وافشاء شعار الدين والاجتهاد فى باب الجهاد مع الكفار والملحدين ويؤيده مارواه مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (واخبر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بملك بنى امية) فيما رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على ورواه البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وفى سنده على ابن زيد بن جدعان وهو ضعيف وعن ابى هريرة وفى سنده الزنجى وهو غير معروف ذاتا وحالا والمراد ببنى امية بنو مروان بن الحكم ابن ابى العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف واول خلفائهم وافضلهم عثمان بن عفان ثم معاوية ابن ابى سفيان وهو اول الملوك بقى تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر ثم ابنه يزيد ثلاث سنين واشهر ثم معاوية ابن يزيد ومات بعد اربعين يوما ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة اشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات فى شوال سنة ست وثمانين ثم بويع ابنه الوليد وكانت مدته تسع سنين ثم بويع اخوه سليمان بن عبد الملك وكانت ولايته سنتين ثم بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان وولايته سنتان ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة ثم بويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم بويع يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المسمى بالناقص وكانت ولايته خمسة اشهر ثم بويع ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخرهم

ومجموعهم اربعة عشر ماعدا عثمان رضي الله تعالى عنه (و ولاية معاوية) اى ابن ابي سفيان وهو منهم لكن خص
لانه متميز عنهم باشياء منها قوله (و وصاه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عنه بلفظ ما حلنى
على الخلافة الاقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا معاوية ان ملكت وفى رواية اذا وليت فاحسن وضعفه
البيهقى ثم قال غيره ان له شواهد منها حديث سعيد بن العاص ان معاوية اخذ الاداوة فتبع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد عنه سمعت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت ان تفسدهم يقول ابو الدرداء كلمة سمعها
معاوية منه صلى الله تعالى عليه وسلم فنفعه الله بها (واتخاذ بنى امية مال الله دولا) بضم ففتح جمع دولة بضم
فسكون وقد يفتح اوله اى متداولة متناوبة فيها من غير استحقاق لها والحديث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن
ابن على ورواه البيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ بنوا ابى العاص اربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا
وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن ابى سعيد الخدرى اذا بلغوا ثلثين الحديث (وخروج ولد العباس) اى ابن عبد
المطلب وفى نسخة وخروج بنى العباس اى ظهورهم فى غلبة امورهم (بالرايات السود) اى الاعلام الملونة بالسواد
تفاؤلا بغلبتهم على العباد (وملكهم) بضم الميم اى تملكهم (اضعاف ماملكوا) اى ملك غيرهم من ملوك البلاد
فقد رواه احمد والبيهقى باسانيد ضعيفة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى
ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم فى اسناده عبد القدوس وهو ضعيف وفى روايات تخرج
الرايات السود من خراسان لايردها شئ حتى تنصب بايلياء وهى بيت المقدس فى اسناده رشد بن سعيد وهو ضعيف
واما اولاده الخلفاء واحفاد هم الامراء فاولهم ابو العباس السفاح بويع سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم ابو جعفر
المنصور ثم المهدى بن المنصور ثم الهادى ثم موسى بن الهادى ثم الرشيد ابو جعفر هارون بن المهدى ومات بطوس
ثم الامين محمد بن الرشيد وقتل ثم المأمون بن الرشيد ثم المعتصم بالله وهو محمد بن هارون ثم الواثق واسمه هارون
ابو جعفر ثم المتوكل ابو الفضل جعفر بن محمد المعتصم ثم المنتصر ابو جعفر محمد بن المتوكل ثم المستعين بالله احمد
ابن محمد بن المعتصم وخلع نفسه ثم المعتز بالله بن المتوكل على الله ثم المهدى بالله ابو عبد الله بن الواثق ثم المعتمد
ابو العباس ابن المتوكل ثم المعتضد احمد بن احمد الواثق ابن المتوكل ثم المكتفى على بن المعتضد ثم المقتدر جعفر بن المعتضد
ثم القاهر محمد بن المعتضد وخلع نفسه عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وقد ارتكب امورا قبيحة لم يسمع بمثلها فى الاسلام
قال بعضهم صليت فى جامع المنصور ببغداد فاذا انا بانسان عليه جبة عتابية قد ذهب وجهها وبقيت بطانتها
وبعض قطن فيها وهو يقول ايها الناس تصدقوا على فانى كنت بالامس اميرا وصرت اليوم فقيرا فسألت عنه فقيل
لى انه القاهر بالله وكانت له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل انسانا ثم الراضى محمد بن جعفر ثم المتقى بعد اخيه
وهو ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ثم الفضل وهو المطيع لله بن المقتدر بالله وخلع نفسه ثم الطائع عبد الكريم
ابن الفضل بن المطيع القادر ثم القادر بالله ثم ولده القائم بامر الله ثم ابنه المقتدى بامر الله ثم ابنه المستظهر بالله
ثم ابنه المسترشد بالله ثم ابنه المستكفى بالله وكان خلفاء بنى العباس ثلاثين وكلهم ببغداد الى ان استولى عليهم الزمان
سنة ست وخمسين وستمائة ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدى) بفتح الميم وتشديد التحتية قال الحلبى
واسمه محمد بن عبد الله من ولد فاطمة من ولد الحسن كما فى احاديث انتهى واصل احاديثه فى ابى داود فى سننه وقيل
من اولاد الحسين وقيل من ذريتهما وليس المراد به احد الائمة الاثنى عشرية كما اعتقد الشيعة وانه مختف فى المكان
وسيظهر فى آخر الزمان ولا احد المشايخ الذى انتهت اليه الطائفة المهدوية القائلة بانه جاء ومضى وان من لايعتقد
ذلك فهو ضال وقد افرد شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مفردة فى معرفة المهدى فعليك بها وينبغى
ان لايتوهم ان المهدى هذا من بنى العباس ولذا ذكر الدلجى احاديث مما يوهم انه هو ثم دفعه بان المراد غيره
فقال رواه احمد والبيهقى باسانيد لبست بقوية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد
خليفة لايصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم تروا مثلها ثم يجئ خليفة الله
المهدى فاذا كان كذلك فاتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله وفى اسناده مجهول وفيه ابو اسماء وهو ضعيف
وفى رواية اخرى يخرج رجل من اهل بيتى عند انقطاع امن الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه
حثيا فى سنده عطية العوفى وهو ضعيف قال التلمسانى وعلامة وقته خسوف القمر اول ليلة من رمضان
اوثالثه او السابع والعشرين وهى علامة لم تكن منذ خلق الله السموات والارض (وماينال اهل بيته)
اى ومايصيبهم من المحن كقضية الحسين وبقية ائمة اهل البيت (وتقتيلهم وتشريدهم) اى تطريدهم كما اخبر به

فيما رواه الحاكم من حديث ابي سعيد ان اهل بيتي سيلقون بعدى من امتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي (ويقتل عليّ) كما رواه احمد عن عمار بن ياسر والطبراني عن علي وصهيب وجابر بن سمرة (وان اشقاها) اى اشقى الطائفة او الثلاثة حيث تيسر له ما قصده فان من العصمة ان لا تقدر بخلاف من قصد قتل معاوية وابن العاص فكان اشقاهم بل اشقى الآخرين لما روى انه عليه الصلاة السلام قال يا علي اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة اتدرى من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك ولما جرح هذا الشقي عليا ادخل عليه فقال اطيبوا طعامه والينوا فراشه فان اعش فانا ولى دمي عفوا وقصاصا وان مت فالحقوني اخاصمه عند رب العالمين فلما مات علي اخرج من السجن وقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمي وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق الى آخر السورة وان عينيه لتسيلان ثم امر به فقطعوا لسانه ثم جعلوه في قوصرة واحرقوه بالنار (الذي يخضب) بكسر الضاد اى يصبغ (هذه من هذه اى لحيته من رأسه) يعني بدمها قال الاسنوي في المهمات تبعا للنووي في تهذيبه ان الاشقى هو عبد الرحمن بن ملجم بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة او مكسورة (وانه) اى عليا (قسيم النار) اى والجنة كما قيل (علي حبه جنه * قسيم النار والجنة) فهو من باب الاكتفاء ويشير اليه قوله (يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار) والمعنى ان الناس فريقان فريق معه وهم مهتدون وفريق عليه فهم ضالون اعداء له فيكون سببا لدخولهما الجنة والنار ويلائمه ما ضبط في نسخة يدخل بصيغة المعلوم من باب الافعال لكن الحديث لا يعرف من رواه الا انه قد جاء ما يقوي معناه (فكان) اى علي (فمن) وفي نسخة ممن (عاداه الخوارج) وهم المحكمية خرجوا عليه عند التحكيم وكانوا اثنى عشر الفا اصحاب صلاة وصيام قال فيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحقر احدكم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم لا تجاوز قراءتهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية على ما جاء في طرق (والناصبة) بالموحدة الذين يتدينون ببغض علي رضي الله تعالى عنه وقد نصبوا له الحرب وقد روى مسلم تكون امتي فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلها اولاهم بالحق وهم الذين قتلهم علي بالنهروان وكانوا اربعة آلاف ولم يقتل من المسلمين سوى تسعة (وطائفة ممن ينسب) بالياء والتاء وروى ينتسب (اليه) اى الى حب علي كرم الله وجهه (من الروافض كفروه) اى لتركه في زعمهم الكاذب الخلافة لغيره وهي حقه فكانه رضي بالباطل وسكت عن الحق مع قدرته عليه (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف) بضم الميم ويكسر ويفتح ورواه الترمذي عن ابن عمر ولفظه ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنته فقال يقتل هذا مظلوما لعثمان وحسنه (وان الله) بفتح الهمزة وكسرها (عسى ان يلبسه) بضم اوله (قميصا) اى خلعة الخلافة والتلبس بها (وانهم) اى اهل الفتنة (يريدون خلعه) اى عزله عنها فامتنع من الخلاعها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فقتلوه ظلما وعدوانا فاهدر الله بدمه سبعين الفا قتلوا بصفين وغيرها (وانه) اى الشان (سيقطر دمه) بضم الطاء وفي نسخة بصيغة المجهول اى سيقع قطرات دمه (على قوله تعالى فسيكفيكهم الله) كما رواه الحاكم عن ابن عباس قال الذهبي انه موضوع لكن نقل المحب الطبري في الرياض ان اكثرهم يروى ان قطرة من دمه او قطرات سقطت على قوله تعالى فسيكفيكهم الله في المصحف ونقل عن حذيفة قال اول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت احد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان ادركه وان لم يدركه آمن به في قبره اخرجه السلفي الحافظ (وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا) كما رواه البيهقي فهو سد باب الفتنة كما اخبر به حذيفة (وبمحاربة الزبير لعلي) كما رواه البيهقي في دلائل النبوة من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم وذكره به علي يوم الجمل فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا اقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك فقال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لتقاتلنه وانت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا للمقاتلة فقال قد حلفت ان لا اقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب (وبنباح كلاب الحواب على بعض ازواجه) اى واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بنباحها وهو بضم نون وتكسر فموحدة اى صياحها والحواب بمهملة ثم همزة مفتوحتين موضع بين البصرة ومكة نزلت عائشة لما توجهت للصلح بين علي ومعاوية فلم تقدر اتفاقا فكانت وقعة الجمل (وانه يقتل حولها) اى حول بعض الازواج وهي عائشة رضي الله تعالى عنها (قتلى كثير) اى جمع كثير من المقتولين قيل قتل يومئذ نحو من ثلاثين الفا وفي نسخة كثيرة نظرا الى الجماعة (وتنجو بعد ما كادت) اى الى الهلاك كما رواه البزار بسند

صحيح عن ابن عباس (فنبحت) بفتح الباء وكسرها اى كلاب ذلك الموضع (على عائشة عند خروجها) اى توجهها من مكة (الى البصرة) كما رواه احمد وكذا البيهقى بلفظ لما اتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما اظننى الا راجعة انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا ايتكن تنبح عليها كلاب الحوأب ترجع لعل الله ان يصلح بك بين الناس (وان عمارا) وهو ابن ياسر (تقتله الفئة الباغية) رواه الشيخان ولفظ مسلم قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وزاد وقاتله فى النار (فقتله) اى عمارا (اصحاب معاوية) اى بصفين ودفنه على رضى الله تعالى عنه فى ثيابه وقد نيف على سبعين سنة فكانوا هم البغاة على على بدلالة هذا الحديث ونحوه وقد ورد اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وقد كان مع على رضى الله تعالى عنهما واما تأويل معاوية او ابن العاص بان الباغى على وهو قتله حيث حمله على ما ادى الى قتله فجوابه ما نقل عن على كرم الله وجهه انه يلزم منه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل حمزة عمه والحاصل انه لا يعدل عن حقيقة العبارة الى مجاز الاشارة الا بدليل ظاهر من عقل او نقل يصرفه عن ظاهره نعم غاية العذر عنهم انهم اجتهدوا واخطأوا فالمراد بالباغية الخارجة المتجاوزة لا الطالبة كما ظنه بعض الطائفة (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك) اى مشقة وهلاك فى الآخرة بقتله ظلما (وويل لك من الناس) اى فى الدنيا فلقد حاصره الحجاج بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه الشامى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام على ما رواه الشيخان (فى قزمان) اى فى حقه وهو بضم القاف وسكون الزاى ذكره الحلبى رجل من المنافقين قاتل قتالا شديدا (وقد ابلى مع المسلمين) بفتح الهمزة واللام جملة حالية ابانت شجاعته ومحاربته لغير الله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (انه من اهل النار) فقتل نفسه اى فى خيبر كما ذكره البخارى وصوبه المصنف واقره النووى ومسلم فى حنين والخطيب تبعا لاصحاب السير فى احد واقره النووى ولعل الاشخاص متعددة فكل ذكره فى قضية (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى جماعة فيهم) اى فى حق جماعة من جملتهم (ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا فى النار) اى يكون فى موته فى نار الدنيا الا انه يدخل فى نار العقبى كما توهم الدلجى هل ما سيأتى فعامله موتا وهو ابهام او تورية وايهام (فكان بعضهم) اى تلك الجماعة (يسئل عن بعض) اى عن حياته ومماته كما رواه البيهقى عن ابن حكيم الضبى اذا لقيت ابا هريرة سألنى عن سمرة فاذا اخبرته بحياته وصحته فرح وقال كنا عشرة فى بيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا فى النار فات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وفى رواية للبيهقى عنه وكان اذا اراد احد ان يغيظ ابا هريرة قال مات سمرة فيصعق ويغشى عليه ثم مات ابو هريرة رضى الله تعالى عنه قبل سمرة (فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف) بكسر الراء فيهما اى اصابه خلل فى بدنه وخبل فى عقله (فاصطلى بالنار) اى استدفأ بها (فاحترق فيها) وفى تاريخ ابن عساكر عن ابن سيرين ان سمرة اصابه كزاز هو داء من البرودة او برد شديد لا يكاد يدفأ منه فامر بقدر عظيمة فلئت ماء واوقد تحتها واتخذ فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفأ فلم يلبث ان سقط به فاحترق ويوافقه ما رواه البيهقى عن بعض اهل العلم انه مات فى الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اغرب الدلجى حيث استدل به بانه يدخل النار فى الآخرة ثم يخرج منها ثم قال ويحتمل انه يورد النار بقتل زياد وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجى منها بايمانه بشهادة حديث البيهقى عن ابن سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام واهله قال عبد الله بن صبيح لابن سيرين بهذا وبصحبته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نرجو له بعد تحقيق قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه الخير انتهى ولا يخفى ان هذا الحديث ما يقتضى دخوله فى النار ثم نجاته منها بل الظاهر نجاته منها ابتداء وان احتراقه فى الدنيا يكون سبب خلاصه عنها فى العقبى على تقدير وقوع ذنب يستحقها والا فهو موجب زيادة درجة عالية فى الجنة وغرفها ثم حضوره مجلس زياد وابن زياد حين قتلهما خلقا كثيرا لا يدل على استحقاق عذاب ولا استيجاب عتاب اذ لم يعرف انه كان راضيا بفعلهما وربما كان مكرها فى حضوره عندهما هذا وللبيهقى انه استجمر فغفل عنه اهله حتى اخذته النار ولا يخفى امكان الجمع بين هذا وما تقدم والله تعالى اعلم واما حديث البيهقى عن اوس بن خالد كنت اذا قدمت على ابى محذورة سألنى عن سمرة واذا قدمت على سمرة سألنى عن ابى محذورة فسألت ابا محذورة عن سؤالهما اياى فقال كنت انا وسمرة وابو هريرة فى بيت النبى عليه الصلاة والسلام فجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال آخركم موتا فى النار فات ابو هريرة رضى الله تعالى عنه ثم ابو محذورة ثم سمرة فلا يخلو من الاشكال لما سبق من معارضته فى المقال والله تعالى اعلم بالحال (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فى حنظلة) اى ابن ابى عامر الانصارى (الغسيل) اى مغسول الملائكة (سلوا زوجته عنه) اى عن حاله قبل موته (فانى رأيت الملائكة تغسله)

اى بعد قتله شهيدا باحد مع ان الشهيد لا يغسل (فسألوها فقالت انه خرج جنبا) حين سمع الهيعة وكان قد ابتنى بها تلك الليلة (واعجله الحال عن الغسل) اى عن تمامه لمبادرته الى القتال ومسارعته للامتثال (قال ابو سعيد) اى الخدرى (ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (الخلافة فى قريش) رواه احمد والترمذى ولعل المراد به ان الخلافة على استحقاقها فى طائفة من قريش وهم الخلفاء الاربعة فيكون اخبارا عن الغيب المطابق للواقع بعده واما اذا اريد به الحكم بان الخلافة منحصرة فيهم وان شرط صحة الخلافة ان يكون الخليفة واحدا منهم كما ذكره الدلجى فلا يلائم سياقه فى هذا الباب كما لا يخفى على اولى الالباب و يؤيد ما قدمناه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخارى عن معاوية (ولن يزال هذا الامر) اى امر الخلافة (فى قريش ما اقاموا الدين) يعنى فاذا لم يقيموا امر الدين على ما ينبغى انتقل الامر عنهم الى غيرهم فكان كما اخبرهم زاد البخارى فى رواية ولا يعاديهم الا كبه الله على وجهه اى فى الدنيا او فى العقبى قال النووى انعقد الاجماع فى زمن الصحابة ومن بعدهم على ان الخلافة مختصة بقريش لا تجوز لغيرهم ولا عبرة بمن خالف فيه من اهل البدعة (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (يكون) اى سيوجد (فى ثقيف) بفتح فكسر هو ابو قبيلة من هوازن (كذاب ومبير) بضم فكسر اى مهلك من اباره اهلك مأخوذ من البوار وهو الهلاك ومنه قوله تعالى وكنتم قوما بورا اى هلكى (فرأوهما الحجاج والمختار) اى فرأى السلف ان احدهما الحجاج وهو بفتح الحاء كليب بن يوسف والآخر المختار ابن ابى عبيد وان الثانى هو الكذاب والاول هو المبير فهما لف ونشر مشوش ففى حديث اسماء بنت ابى بكر من طريق مسلم وغيره انها قالت مشافهة للحجاج حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى ثقيف كذابا ومبيرا فاما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فلا اخالك الا اياه وقال الترمذى فى جامعه ويقال الكذاب المختار والمبير الحجاج ثم ذكر بسنده الى هشام بن حسان قال احصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة وعشرين الفا انتهى واما المختار فهو الكذاب حيث زعم ان جبريل اتاه يوحى الكتاب فقد رواه البيهقى عن رفاعة بن شداد قال دخلت على المختار يوما فقال دخلت وقد قام جبريل من هذا الكرسى فاهويت الى السيف فذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا امن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه قال النووى فى شرح مسلم واتفق العلماء على ان المراد بالكذاب المختار ابن ابى عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف انتهى وكان المختار واليا على الكوفة ولقبه كيسان واليه ينسب الكيسانية كان خارجيا ثم صار زيديا ثم صار شيعيا وكان يدعو الى محمد بن الحنفية ومحمد يتبرأ منه وكان ارسل ابن الاشتر بعسكر الى ابن زياد لقتال الحسين فقتله وقتل كل ما كان فى قتل الحسين ممن قدر عليه وكان غرضه فى ذلك صرف وجوه الناس اليه والتوسل به الى تحصيل الامارة لديه فكان يظهر الخير ويضمر الشر ولما ولى مصعب بن الزبير البصرة من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار وقتله (وان) وفى نسخة صحيحة وبان (مسيلمة) بضم الميم وفتح السين ثم كسر اللام (يعقره الله) بكسر القاف اى يهلكه او يقتله او يهلكه قتلا فقتله وحشى بن حرب فى قتال اهل الردة زمن ابى بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله (وان فاطمة) اى بنته الزهراء (اول اهله) اى اهل بيته كما فى نسخة (لحوقا به) اى موتا ووصولا اليه ففى الصحيح عن الزبيرى عن عروة عن عائشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ستة اشهر (وانذر بالردة) اى وحذر صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه وخوفهم وعرفهم بانها ستكون كما فى حديث الشيخين لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض و فى حديث مسلم لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من امتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من امتى الاوثان فوقعت الردة فى خلافة ابى بكر ارتد عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين وكفى الله امرهم بالصديق صاحب مقام التحقيق (وان) وفى نسخة وبان (الخلافة) اى الحقيقية الحقية (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) اى تصير الخلافة (ملكا) اى سلطنة بالغلبة فقد روى احمد والترمذى وابو يعلى وابن حبان عن سفينة بلفظ الخلافة بعدى فى امتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك (فكانت) اى الخلافة (كذلك) اى ثلاثين سنة (بمدة الحسن بن على) اى بمضى مدة خلافته وهى ستة اشهر تقريبا وفيه دلالة على ان معاوية لم يحصل له ولاية الخلافة ولو بعد فراغ الحسن له بالامارة ويشير اليه ما رواه البخارى فى تاريخه والحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة بلفظ الخلافة بالمدينة والملك بالشام ثم اعلم ان خلافة ابى بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وخلافة عثمان احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة على اربع سنين وعشرة اشهر وتسعة و تمامها خلافة الحسن (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (ان هذا الامر) اى امر ملة هذه الامة (بدأ) بهمزة اى ابتدأ او بالف اى ظهر (نبوة ورحمة) اى نبوة مقرونة

بالرحمة العامة (ثم يكون) اى الامر (رحمة وخلافة) اى رحمة فى ضمن الخلافة (ثم يكون) اى الامر (ملكا) قال التلسانى وفى اصل المؤلف ثم ملكا (عضوضا) بفتح العين اى سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية فكانهم يعضون بالنواجذ فيه عضا حرصا على الملك ويعض بعضهم بعضا حثا على الهلاك وفيه ايماء الى ما قال عارف بهذا الباب الدنيا جيفة وطالبها الكلاب وفى النهاية ثم يكون ملك عضوض اى يصيب الرعية عسف وظلم فكانهم يعضون فيه عضا باسنانهم اى يتحملون فيه محنة شديدة فى شانهم وفى رواية وسترون بعدى ملكا عضوضا وفى اخرى ثم يكون ملوك عضوض قيل وهو جمع عض بالكسر اى شرير خبيث (ثم يكون) اى الامر (عتوا) بضمتين فتشديد اى تكبرا (وجبروتا) بفتحتين فعلوت من الجبر بمعنى القهر مبالغة اى تجبرا وقهرا (وفسادا فى الامة) اى فى امر دينهم ودنياهم هذا ولفظ البيهقى ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله تعالى وقد ابتدأ هذا الفساد من بدء امارة يزيد وولاية زياد وهلم جرا فى الزيادة الى يومنا هذا فيما بين سلاطين البلاد والله رؤف بالعباد (واخبر) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بشان اويس) اى ابن عامر (القرنى) بفتحتين اى منسوب الى بطن من مراد قبيلة باليمن وغلط الجوهرى فى نسبته الى قرن المنازل روى انه كان به بياض فدعا الله فاذهبه الا قدر دينار اودرهم وله ام كان بها بارا ولو اقسم على الله لابره وقال من لقيه فليستغفر وعن عمر مرفوعا يأتى عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل قال الارزنجانى فى شرح المشارق الامداد جمع مدد والمراد هنا القافلة قال وكان عمر اذا اتى عليه امداد اليمن يسألهم افيكم اويس بن عامر فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على ابى قبيس فنادى باعلى صوته يا اهل الحجيج من اليمن افيكم اويس فقام شيخ طويل اللحية فقال انا لا ادرى من اويس ولكن ابن اخى يقال له اويس وهو اخمل ذكرا واهون امرا من ان نرفعه اليك وانه ليرعى ابلا حقيرا بين اظهرنا فقال له عمر اين ابن اخيك قال بازاء عرفات فركب عمر وعلى سراعا الى عرفات فاذا هو قائم يصلى والابل حوله ترعى فسلما عليه وقالا من الرجل قال عبد الله قالا قد علمنا ان اهل السموات والارض كلهم عبيد الله فما اسمك الذى سمتك به امك قال يا هذان ما تريدان قالا وصف لنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اويسا القرنى واخبرنا ان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء فاوضحها لنا فان كانت بك فانت هو فاوضح منكبه فاذا اللمعة فاشتدا يقبلانه وقالا نشهد انك اويس القرنى فاستغفر لنا غفر الله لك قال ما اخص باستغفارى نفسى ولا احدا من ولد آدم ولكنه فى المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات يا هذان قد اشهر الله لكما حالى وعرفكما امرى فمن انتما قال على اما هذا فعمر امير المؤمنين واما انا فعلى بن ابى طالب فاستوى اويس قائما وترحب بهما فقال له عمر مكانك يرحمك الله حتى ادخل مكة فاتيك بنفقة من عطائى وفضل كسوة من كسوتى فقال يا امير المؤمنين ما اصنع بالنفقة والكسوة اما ترى على ازارا ورداء من صوف متى اخرقهما وقد اخذت من رعايتى اربعة دراهم متى آكلها يا امير المؤمنين ان بينك وبينه عقبة كؤودة ولا يجاوزها الا كل ضامر مخف به فاخف يرحمك الله فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الارض ثم نادى باعلى صوته الا ليت عمر لم تلده امه الا من يأخذها بما فيها ولها ثم قال يا امير المؤمنين خذ انت ههنا حتى آخذ عنها فولى عمر ناحية مكة وساق اويس ابله فوافى القوم وخلا عن الرعاية واقبل على العبادة حتى لقى الله تعالى وروى الحاكم فى مستدركه عن على كرم الله وجهه مرفوعا خير التابعين اويس ولا ينافيه قول احمد وغيره ان خيرهم سعيد بن المسيب لان مرادهم فى العلوم الشرعية لا فى اكبرية الدرجة العلية قال الحلبى وقد قتل مع على بصفين فى وقعتها وقال ابن حبان واختلفوا فى محل موته فمنهم من يزعم انه مات على جبل ابى قبيس بمكة ومنهم من يزعم انه مات بدمشق ويحكون فى موته قصصا تشبه المعجزات التى رويت عنه وقد كان بعض اصحابنا ينكر كونه فى الدنيا ثم ساق بسنده الى شعبة قال سألت عمرو بن مرة وابا اسحق عن اويس القرنى فلم يعرفاه اقول ولعلهما لم يعرفاه لعدم كونه من رواة الحديث اذ لم يرو شيئا وكان غلب عليه حب الخمول والعزلة والخلوة وكره الصحبة والخلطة وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل طائفة مذهبهم (وبامراء) اى وبان امراء (يؤخرون الصلاة عن وقتها) فقد روى مسلم من طرق عن ابى ذر ولفظه كيف انت اذا كنت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرنى قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها لك نافلة زاد فى رواية اخرى والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووى اى عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها وروى يميتون الصلاة وهو بمعنى يؤخرون قال وقد وقع هذا فى زمن بنى امية (وسيكون فى امتى) وفى اصل الدلجى فى امته (ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة) رواه احمد والطبرانى والبزار منهم مسيلمة الحنفى والاسود العنسى بالنون

والمختار ابن ابى عبيد الثقفى وسجاح بفتح السين بجيم زعمت انها نبية فى زمن مسيلمة (وفى حديث آخر ثلاثون دجالا) وفى نسخة رجلا (كذابا احدهم) وفى نسخة وهى الاولى آخرهم (الدجال الكذاب) اى الاعور الذى يقتله عيسى ابن مريم كما رواه الشيخان عن ابى هريرة ولفظهما ان بين يدى الساعة ثلاثين رجلا كذابا (كلهم يكذب) وفى نسخة يكذبون (على الله ورسوله) قال الحلبى وفى الصحيح قريب من ثلاثين وقد جاء تعيين عددهم فى حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والدجل تمويه الشئ وتغطيته والمموه الدجال وهو الكذاب ايضا لانه يدجل الحق بالباطل (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يوشك) اى يقرب (ان يكثر فيكم العجم) اى ضد العرب لا الفرس فقط (يأكلون فيئكم) بفتح الفاء وسكون الياء مهموزا اى اموالكم (ويضربون رقابكم) اى يريقون دماءكم اويبالغون فى ايذائكم وقد وقع فى دولة الترك من بعدهم رواه البزار والطبرانى بسند صحيح (ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) اى يسترعيهم مسخرين له كراعى غنم يسوقها بعصاه وهو كناية عن طاعة الناس له واستيلائه عليهم ولم يرد نفس العصا الا ان فى ذكرها دليلا على خشونته وعسفه بهم فى اطاعته (رجل) قال القرطبى فى تذكرته لعله الجهجاه (من قحطان) وهو ابو اليمن رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظهما لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان (خيركم قرنى) ولفظهما خير امتى وفى رواية خير الناس قرنى وهم الصحابة (ثم الذين يلونهم) وهم التابعون (ثم الذين يلونهم) وهم الاتباع وثم تفيد التنزل فى الرتبة الى ان يرتفع الاشتراك فى الخيرية فيستقيم قوله (ثم يأتى بعد ذلك قوم) وفى تغيير العبارة ايماء الى ما اشرنا اليه وفى رواية لهما ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) بصيغة المجهول اى يبادرون بتأدية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداؤها فانها لا تقبل واما حديث خير الشهود من يأتى بالشهادة قبل ان يسألها فمعناه ان يظهر عند غير القاضى ان عنده الشهادة حيث جهل اوشك صاحب الشهادة انها عنده ام لا اوهل يظهر الشهادة ام يخفيها وقيل يشهدون بالزور قال الحلبى وقيل معناه يحلفون ولا يستحلفون كما قال فى رواية اخرى يسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه كذبا شهادته واليمين تسمى شهادة ومنه قوله تعالى فشهادة احدهم (ويخونون ولا يؤتمنون) بفتح الميم (وينذرون) بضم المعجمة وتكسر (ولا يوفون) اى بنذرهم وفى رواية ولا يفون من وفى يفى (ويظهر فيهم السمن) بكسر ففتح وفى حديث يكون فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى رواية ويل للمتسمنات يوم القيامة وفى رواية ويخلف قوم يحبون السمانة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمالك بن الصيف اليس فى التورية ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين فقال ما انزل الله على بشر من شئ (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) رواه البخارى ولفظه قال الزبير اتينا انسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم وفى رواية اشر منه وهو لغة كاخير فى خير قال بعض الحفاظ الا والذى بعده شر منه فيما يتعلق بالدين قال الحلبى والذى فهم الحسن غير ذلك حيث سئل الحسن فقيل له ما بال زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج فقال لابد للناس من تنفيس يعنى ان الله تعالى ينفس عباده وقتاما ويكشف البلاء عنهم حينا ما قلت وهو ما ينافى ماسبق من التنزل فى امر الدين كما هو مشاهد فى نظر ارباب اليقين فان كما يبعد عن النور تبقى الظلمة فى الظهور فما البعد عن الحضرة يفيد هذا الترتيب فى الحالة ويشير اليه صدر الحديث خير القرون قرنى ثم وثم فى الجملة بل جاء فى حديث رواه احمد والبخارى والنسائى عن انس مرفوعا لا يأتى عليكم عام ولا يوم الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (هلاك امتى على يدى اغيلمة) تصغير تحقير لاغلمة جمع غلام يعنى صبيان (من قريش) وفى رواية اعوذ بالله من امارة الصبيان وقال ان اطعتموهم اذ لتكم وان عصيتموهم اهلكتكم اذ هم صغار الانسان (وقال ابو هريرة راويه) اى راوى هذا الحديث (لو شئت لسميتهم لكم) اى لبينتهم وقلت لكم انهم (بنوافلان وبنوافلان) لكنى ما اشاء تسميتهم صريحا خوف الفساد والفتنة الا ان فى العبارة اشارة بالكناية والمراد يزيد بن معاوية فانه بعث الى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة ايام فقتل من خيار اهلها كثيرا فيهم ثلاثة من الصحابة وازيلت بكارة الف عذراء وبعده بنو امية وان ابن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما اوجب ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تبرأ منهم كما رواه الشيخان انه قال ان آل ابى فلان ليسوا لى باولياء ولكن لهم رحم سأبلها ببلالها فالمكنى هو الحكم بن العاص وبنوه فانهم آله فكنى عنهم بعض رواة هذا الحديث حذرا منهم اذ كانوا ولاة الامر واصحاب الشر هذا وقد قال القرطبى هم والله تعالى اعلم يزيد بن معاوية وعبد الله بن زياد ومن جرى مجراهم من احداث ملوك بنى امية (واخبر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بظهور القدرية) كما رواه الترمذى

وابوداود والحاكم انه قال القدرية مجوس هذه الامة اشارة الى مدح امته وذمهم جعلهم مجوسا حيث شابه مذهبهم مشربهم فا لمجوس اثبتوا الهين زعموا ان الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر من فعل الظلمة وسموه اهرمن وقد قال الله تعالى وجعل الظلمات والنور اى خلقهما واما القدرية فزعموا خالقين خالق الخير وهو الله وخالق الشر وهو الانسان وقد قال تعالى الله خالق كل شئ وهو مابينا فى ان ينسب اليه الفعل خلقا وايجادا والينا عملا واكتسابا (والرافضة) بالالف بمعنى الرفضة ى واخبر بظهور الطائفة الرافضة اى التاركة لحب جل الصحابة وقد رواه البيهقى من طرق كلها ضعيفة الا انها يتقوى بعضها ببعض ويعضدها مارواه البزار بلفظ يكون فى امتى قوم فى آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام اى بالكلية لانهم يستحلون سب الصحابة ويكفرون اهل السنة والجماعة اوالمعنى يتركون كمال الاسلام وجماله ان لم يصدر منهم ماينافى احكام الايمان وفى رواية يلفظونه اى يرمونه فاقتلوهم فانهم مشركون اى مشابهون لهم حيث لم يعملوا بالكتاب والسنة (وسب آخر هذه الامة اولها) اى واخبر بظهور هذا الامر من الرافضة وقد رواه ابو القاسم البغوى عن عائشة مرفوعا بلفظ لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها وللترمذى من حديث طويل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولعن هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه والتتابع بالياء التحتية هو الوقوع فى الشر كانه بالموحدة يستعمل فى الخير هذا وقد ظهر لعن السلف على لسان الروافض والخوارج جميعا ولعل مذمة الرافضة فى بعض الاحاديث وردت بالمعنى اللغوى الشامل لكل من الطائفتين وان كان العرف خصها باعتبار الغلبة (وقلة الانصار) اى واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقلتهم والاظهر ان المراد بهم طائفة معروفة من الصحابة وقد يتوسع ويراد بهم ذريتهم ايضا ولا يبعد ان يراد بهم انصار الدين ومعاونيهم حتى يشمل المهاجرين وغيرهم وقد رواه البخارى عن ابن عباس خرج علينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون ويقل الانصار اى بعدى (حتى يكونوا كالملح فى الطعام) كناية عن غاية قلتهم فيما بين اهل الاسلام وتمام الكلام فمن ولى منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (فلم يزل امرهم يتبدد) اى يتفرق (حتى لم يبق لهم جماعة وانهم) اى واخبر انهم (سيلقون بعده اثرة) بفتحتين وبكسر فسكون وحكى بضم فسكون اى ايثار الناس انفسهم عليهم فيما هم اولى به من العطايا ومناصب القضايا فى الصحيحين بلفظ انكم سترون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض قال اليعمرى كانت هذه الاثرة زمن معاوية (واخبر بشان الخوارج) اى على على بالنهروان وكانوا اربعة آلاف فقتلهم على قتلا ذريعا ولم يقتل ممن معه الا تسعة (وصفتهم) اى وبيان حالهم وافعالهم حيث قال فرقة يحسنون القول ويسيئون الفعل اوالعمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شئ يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يرتد الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم (والمخدج) بضم الميم وسكون المعجمة وفتح الدال المخففة وبالجيم اى الناقص وكان ناقص اليد واسمه نافع وفى نسخة مشددة اى بناقص الخلق (الذى فيهم) اى بان احدى ثدييه مثل ثدى المرأة (وان سيماهم التحليق) اى علامتهم المبالغة فى حلق شعورهم وقيل جلوسهم حلقا حلقا (ويرى) بصيغة المجهول وقال الدلجى بصيغة الخطاب العام (رعاء الغنم) وفى اصل الدلجى رعاء الشاء وهو نائب الفاعل او المفعول الاول والثانى قوله (رؤس الناس) اى رؤساءهم (والعراة الحفاة) وفى نسخة والحفاة العراة (يتبارون) بفتح الراء اى يتفاخرون (فى البنيان) اى فى اطالة بيوتهم وتحسينها وتزيينها فقد روى الشيخان معناه ببعض مبناه فلمسلم وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان وللبخارى واذا تطاول رعاء الابل البهم فى البنيان وله ايضا واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من اشراطها ولهما وان ترى الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض وفيه اشارة الى ان ارباب الجهالة والقلة والذلة يغلبون على اهل العلم والغنى والعزة (وان تلد الامة ربتها) اى سيدتها فان ولد الامة من سيدها كسيدها لانه سبب لعتقها فهى بنتها فبالاولى ابنها قال الحلبى وفى رواية ربها وفى رواية بعلها اى تلد مثل سيدها ومالكها ومتصرفها اراد به كثرة السبى والسرارى فى اوقات السعة او فى ازمنة الفتنة او كناية عن كثرة العقوق وقلة تأدية الحقوق (وان قريشا) اى واخبر بان كفار قريش بالخصوص (والاحزاب) اى وسائر طوائف الكفار (لايغزونه ابدا) ولعله بعد غزوة الخندق فعن سليمان بن صرد انه عليه الصلاة والسلام قال حين اجلى الاحزاب عنه الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (هو يغزوهم) اى يبدؤهم بالمحاربة كما وقع له ولاصحابه بفتح مكة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لاتغزى قريش بعده اى لايكفرون فيغزون وقوله فى رواية اخرى

لاتغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيمة اى لاتعود مكة دارالكفر يغزى عليه واما ماقيل من ان المعنى لايغزوها كفار
ابدا فان المسلمين قد غزوها مرات فيرده قصة القرامطة وكذا حديث يخرب الكعبة ذوالسويقتين من الحبشة
يقلعهما حجرا حجرا (واخبر بالموتان) بضم الميم وتفتح اى بالوباء (الذى يكون بعد فتح بيت المقدس) كما رواه البخارى
عن عوف بن مالك قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدى
الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتانا يأخذ فيكم كقعاص الغنم القعاص بضم القاف داء يأخذ الغنم
لا يلبثها ان تموت ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى من العرب حى الا
دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية اى راية تحت كل غاية اثناعشر الفا
انتهى وكان هذا الموتان فى خلافة عمر بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو اول طاعون
وقع فى الاسلام مات به سبعون الفا فى ثلاثة ايام وبنوا الاصفر هم الروم لان جدهم المنسوبون اليه كان اصفر
وهو روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام (وما وعد من سكنى البصرة) بفتح الموحدة وحكى ضمها الا انه
لايجوز فى النسبة اتفاقا فقد روى ابوداود عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يا انس ان الناس يمصرون
امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها بتشديد اللام اى
ساحلها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها اى نواحيها الظاهرة فانه يكون بها خسف وقذف ورجف
وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير ولعل هذه الامور وردت معنوية اوترد بعد ذلك صورية هذا وقد بنى البصرة
عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس من سنة ثمانى عشرة لم يعبد الصنم قط على ارضها (وانهم
يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة) كما فى الصحيحين بلفظ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل على ام حرام
بنت ملحان من خالات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها
يوما فاطعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت م تضحك قال ناس من امتى عرضوا على غزاة
فى سبيل الله يركبون ثبج) اى وسطه ومعظمه وقيل ظهره (هذا البحر ملوكا على الاسرة او كالملوك على الاسرة فقالت
ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لهم ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت م تضحك فقال كالاول فقالت ادع الله تعالى
ان يجعلنى منهم فقال انت من الاولين فركبت البحر فى زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت
والاسرة جمع سرير وهو بساط الملك (وان) واخبر بان (الايمان لو كان منوطا) اى معلقا (بالثريا لناله رجال
من ابناء فارس) وهم المشهورون الآن باسم العجم ولفظ الشيخين عن ابى هريرة كنا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يارسول الله فوضع يده على سلمان الفارسى
ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وجمع اسم الاشارة مع ان المشار اليه واحد لارادة
الجنس ولو ههنا لمجرد الغرض والتقدير مبالغة لحدة فطنتهم وقوة فطرتهم واراد بآخرين التابعين اللاحقين بالصحابة
السابقين واعلاهم فى هذا المقام الافخم هو الامام الاعظم والله تعالى اعلم (وهاجت ريح) اى هبت بشدة
(فى غزاته) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغزاته فى بعض غزواته وهى غزوة تبوك من ارض الشام على
ماذكره الدلجى اوغزوة بنى المصطلق كما قرره الحلبى وهو اولى بالاعتماد (فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (هاجت
لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك) اى موت المنافق على وفاق ما اخبره هنالك وهذا المنافق هو رفاعة
ابن زيد بن التابوت احد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهناء المنافقين كذا قاله ابو اسحق على ماذكره
الحلبى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن رافع بن خديج (لقوم من جلسائه) وهم ابوهريرة
السدوسى وفرات بن حبان العجلى والرجال بن عنفوة اليمامى وهو المراد من قوله (ضرس احدكم)
اى واحد منكم لاكل واحد منكم (فى النار اعظم من احد) اى هيئة وصورة فى هذا تلويح بان يموت احدهم كافرا
لحديث ضرس الكافر فى النار مثل احد رواه مسلم وغيره (قال ابوهريرة فذهب القوم يعنى) اى يريد بقوله ذهبوا
(ماتوا فبقيت انا ورجل فقتل) ان ذلك الرجل (مرتدا يوم اليمامة) ناحية شرقى الحجاز معروفة (واعلم) اى اخبر
صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابوداود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى (بالذى غل) اى خان فاخذ من الغنيمة قبل
القسمة (خرزا من خرز يهود) بفتح الخاء المعجمة والراء فزاى وهى الجواهر وماينتظم من نحوها والمراد بها ههنا فصوص
من الحجارة (فوجدت) اى تلك الخرز (فى رحله) اى بعد موته فعن زيد بن خالد الجهنى قال توفى رجل يوم خيبر فذكروا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله قال ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات
من خرزات يهود ماتساوى درهمين (وبالذى) اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان عن ابى هريرة

بالذى (غل الشملة وحيث هي) اى وبالمكان الذى هي فيه وهي كساء يشتمل به الرجل ولفظهما اهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه سهم عائر اى لايدرى راميه فقتله فقالوا هنيئاله الجنة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى اخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ذكره الدلجى وقال الحلبى الذي غل الشملة هذا كركرة قال النووى يقال بكسر الكافين وبفتحهما جعله فى المبهمات وكذا هو فى سنن ابن ماجه فى الجهاد (وناقته) ضبط بالرفع فى النسخ ولعل التقدير وكذا ناقته اى قضيتها او وحيث هي وناقته كما فى اصل التلمسانى والظاهر جرها اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى بناقته ومكانها (حين ضلت) اى ضاعت وفقدت (وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها) اى برسنها اوزمامها وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من غزوة بنى المصطلق اخذتهم ريح كادت ان تدفن الركب وهي التى اخبرانها هاجت لموت منافق وضلت ناقته عليه الصلاة والسلام فى تلك الليلة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولايعلم مكان ناقته الا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل عليه السلام واخبره بقول المنافق وبمكان الناقة واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بها وقال ما ازعم انى اعلم الغيب ولكن الله اخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهي فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق (وبشان كتاب حاطب) بكسر الطاء وهو ابن ابى بلتعة وكان مكتوبه بالخفية (الى اهل مكة) وهم سهيل بن عمرو وعكرمة ابن ابى جهل وصفوان ابن ابى لهيعة من مسلمة الفتح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجزله ماوعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر ذكرهما السهيلى ولامنع من الجمع فتدبر ومن فضائل حاطب على مافى نظم الدر انه عليه الصلاة والسلام حين بعثه الى المقوقس قال له ان كان صاحبك نبيا فلم يدع على قومه حين اخرجوه من بلده فقال له حاطب منعه الذى منع عيسى من الدعاء على من رام صلبه فاسكته بذلك واجله هنالك (وبقصة عمير) وفى نسخة بقضية عمير وهو بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) اى ابن امية بن خلف (حين ساره) بتشديد الراء اى خافت صفوان بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشارطه) اى جعل له جعلا (على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فخاب سعيهما وضاع كيدهما (فلما جاء عمير للنبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر) اى الذى جاء بصدده (والسر) اى المخفى عن غيره (اسلم) اى عمير وكذا اسلم صفوان بعد حنين ذكره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى (واخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل) اى زوجته وهي لبابة بنت الحارث اول امرأة اسلمت بعد خديجة وقيل بل هي فاطمة بنت الخطاب وفى نسخة ام الفضيل بالتصغير وهو غلط محض بل لم يعلم فى الصحابيات من يقال لها ام الفضيل بالتصغير وكان ذلك (بعدان كتمه) اى العباس ذلك الخبر عن الغير (فقال) اى العباس (ماعلمه غيرى وغيرها) اى وما هذا الا باعلام الله سبحانه اياك (فاسلم) اى فصار سبب اسلامه بعدان فدى نفسه فقيل له لم لم تسلم قبل الفدا ليبقى لك ماافتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين ماطمعوا من مالى اقول ولعله اخر اسلامه بعدان تحقق حاله لئلا يظن به انه انما اسلم لئلا يدفع ماله والحديث رواه احمد عن ابن عباس والحاكم وصححه والبيهقى عن الزهرى وغيره مرسلا (واعلم انه) وفى نسخة بانه اى النبى عليه السلام (سيقتل) اى بيده (ابى بن خلف) كما رواه البيهقى عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا وسبق انه عليه السلام جرحه باحد فى عنقه فمات بسرف (وفى عتبة) وفى نسخة عتيبة وهي الصواب كما تقدم (ابن ابى لهب) اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم فى شانه (انه يأكله كلب من كلاب الله) وفى نسخة يأكله كلب الله وابعد الدلجى فى تقديره هنا حيث قال وقال فى عتبة لعدم دلالة عليه وللزوم كسر همزة انه مع ان الرواية بالفتح (وعن مصارع اهل بدر) اى واعلم كما فى مسلم عن مواضع هلاك كفار قريش ممن قتل بها بقوله هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (فكان كما قال) اى كما اخبره فى الحال (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى الشيخان وغيرهما من طرق (فى الحسن) اى ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (ان ابنى هذا سيد) اى كريم حليم (وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين) وفى رواية ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين اى جماعتين كثيرتين من اشياعه واتباع معاوية وقد بلغت كل فئة اربعين الفا قال الحسن البصرى فلما ولى ما اهريق بسببه محجمة دم وقال هشيم لما اسلم الامر لمعاوية قال له معاوية قم فتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذى اختلفت فيه انا ومعاوية حق لامرئ كان احق به منى اوحق لى تركته لمعاوية ارادة

اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر ونزل وفى رواية خطب معاوية ثم قال قم ياحسن فكلم النـاس فتشهد ثم قال ايها الناس ان الله هداكم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام قل ان ادرى اقريب ام بعيد ماتوعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وفى شرح السنة قد خرج مصداق هذا الحديث فى الحسن بترك الامر حين صارت الخلافة اليه وكان احق بها واهلها فسلمها الى معاوية وترك الملك والدنيـا ورعا ورغبة فيما عندالله واشفاقا على الامة من الفتنة لامن القلة والذلة اذكان معه يومئذ اربعون الفا قد بايعوه على الموت فاصلح الله به بين الفرقتين اهل الشام فرقة معاوية واهل العراق فرقة الحسن (ولسعد) اى وقال كما رواه الشيخان لسعد ابن ابى وقاص فى مرضه بمكة وقد قال له سعد اخلف عن اصحابى (لعلك تخلف) بفتح اللام المشددة اى يؤخر موتك (حتى ينتفع بك اقوام) اى من الابرار (ويستضر) وفى نسخة بصيغة المجهول اى ويتضرر (بك آخرون) اى اقوام من الفجار زيد فى رواية اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولاتردهم على اعقابهم لكن البأس سعد ابن خولة يرثى له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها حذرا من ردهم على اعقابهم بموته فيها (واخبر) اى فيما رواه الشيخان عن انس (بقتل اهل مؤتة) بضم ميم فهمزة ساكنة ويبدل (يوم قتلوا) اى امراء غزوها فقال اخذ الراية زيد بن حارثة فاصيب ثم جعفر ابن ابى طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة فاصيب ثم خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه (وبينهم) اى والحال ان بينه عليه الصلاة والسلام وبين اهل مؤتة وامرائهم الكرام (مسيرة شهر او ازيد) اى بل اكثر ويؤيده مافى نسخة بالواو فاو بمعنى الواو او بمعنى بل ولعل الدلجى حمل او على الشك من الراوى فقال بل اقل من شهر لانها من ارض البلقاء آخر حوران الشام الى جهة مدينة الاسلام (وبموت النجاشى) بفتح النون ويكسر وتخفيف آخره ويشدد لقب لكل من ملك الحبشة واسم هذا اصحمة وكان ممن آمن واخبر عليه الصلاة والسلام بموته كما رواه الشيخان عن ابى هريرة (يوم مات) اى سنة تسع من الهجرة وهو بارضه وصلى عليه صلاة الغائب عن اصحابه وقد احضرت جنازته لديه (واخبر فيروز) بكسر الفاء وتفتح وسكون الياء وبضم الراء غير منصرف للعجمة والعلمية اى واخبره صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى (حين ورد عليه) وفى نسخة اذ ورد عليه اى حين وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى) اى ملك فارس وهو وزيره (بموت كسرى ذلك اليوم) اى فى يوم ورود فيروز او فى يوم موت كسرى (فلما حقق فيروز القصة) اى ماقصه عليه من موته فى وقته (اسلم) ففاز فيروز فوزا عظيما (واخبر اباذر) كما رواه احمد (بتطريده) اى باخراجه من المدينة الى الربذة (كما كان) اى كما وقع فى زمان عثمان بن عفـان وفى اصل الدلجى فكان كما كان اى فكان اخبـاره بتطريده كما كان ثم لاينافيه مافى دلائل النبوة للبيهقى من ان امرأته ام ذر قالت والله ماسيره عثمـان الى الربذة ولكن قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغ البنـاء سلعا فاخرج فلما بلغه وجاوز خرج ابوذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه الى الربذة وموته بها اذ يمكن حمل كلامها على ان تسيره عثمـان لم يكن قهرا عليه اذ كان امكنه ان يمتنع منه الا انه وافق حكمه امره صلى الله تعالى عليه وسلم بخروجه اختيارا فاختـار خروجه من غير ان يكون هناك اكراه واجبـار والا فالامر باخراجه محقق بلا شبهة لقوله (ووجده فى المسجد) اى مسجد المدينة (نائما فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (له) اى لابى ذر (كيف بك اذا اخرجت منه) اى من هذا المسجد وما حواليه (قال اسكن المسجد الحرام) اى وماحوله من الحرم (قال فاذا اخرجت منه الحديث) اى بطوله قيل كان اخرجه عثمان الى الشام لانه كان اذا مر به عثمان يقرأ قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم ثم رضى عليه فرده الى المدينة ثم اخرجه الى الربذة قرية خربة فسكنهـا الى ان مات (ويعيشه وحده ويموته وحده) اى واخبر ان اباذر يعيش وحيدا ويموت فريدا فكان كما اخبره عليه الصلاة والسلام على مارواه احمد وابن راهويه وابن ابى اسامة والبيهقى واللفظ له قالت ام ذر لما حضرت اباذر الوفاة بكيت فقال ومايبكيك فقلت ومالى لاابكى وانت تموت بفلاة من الارض وليس عندى مايسع كفنا لى ولالك قال فابشرى ولاتبكى فانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المسلمين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات فى قرية وجمـاعة فانا ذلك الرجل فابصرى الطريق فبينما انا وهو كذلك اذا انا برجال على رحالهم كانهم الرخم فالحفت بثوبى فاسرعوا حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال ثم قال انتم تسمعون انه لو كان عندى ثوب يسعنى كفنالى اولامرأتى لكفنت فيه انى انشدكم الله ثم انشدكم الله ان لايكفننى رجل منكم كان اميرا او عريفـا او بريدا او نقيبا وليس منهم احد الاقارف ماقال الافتى من الانصـار قال انا اكفنك ياعم فى ردائى هذا وثوبين فى عيبتى من غزل امى قال فكفنى فكفنه وقاموا

فدفنوه وعن ابن مسعود قال لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى غزوة تبوك تخلف ابوذر بتلوم بعيره فقالوا يارسول الله تخلف ابوذر فقال دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم قال فلما ابطأ عليه بعيره اخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج ماشيا يتبع اثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى شدة الحر وحده فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمعت عيناه وقال يرحم الله ابا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده فكان كذلك لما مات رضى الله تعالى عنه بالربذة لم يكن معه الا امرأته وغلامه فلما غسلاه وكفناه وضعاه على قارعة الطريق ينتظران من يعين على دفنه اذ اقبل عبدالله بن مسعود فى رهط من اهل العراق فلما رآهم الغلام قام اليهم وقال هذا ابوذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعينونا على دفنه فنزل ابن مسعود وجعل يبكى رافعا صوته و يقول صدق رسول الله فى قوله (واخبران اسرع ازواجه به لحوقا) اى وصولا اليه بعد موته (اطولهن يدا فكانت زينب) اى بنت جحش (اسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة) رواه مسلم ولفظه عن ام المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسرعكن لحوقا بى اطولكن يدا فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا فكانت زينب اطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ورواه الشعبى مرسلا فقال قلن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايتنا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فى الصدقة وللبخارى عن عائشة اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقلن له ايتنا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سوداء بنت زمعة اطولنا ذراعا فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها فى الصدقة وكانت تحب الصدقة قال الدلجى وهو مخالف لحديث مسلم والشعبى مع منافاة ما افاده قولها ان طول يدها كان بالصدقة من انه طول معنى لما افاد قولها كانت اطولنا ذراعا من انه طول حسا انتهى ولا منافاة لفظها اولا ان المراد بالطول هو الحسى فتبين لها بعدها ان المقصود هو الطول المعنوى كما هو المعتبر عند ارباب النظر مع ما فى العبارة من حسن الاشارة الى ان التلويح ابلغ من التصريح وان فى التعمية حسن التورية عند الفصيح ثم يمكن الجمع بين ماورد فى الصحيحين ان تكون احدا هما اسرع حقيقيا والاخرى اضافيا ولعل الاسرع منهما هى الاكثر منهما مبادرة الى الصدقة وهذا مما الهمنى الله من التحقيق والله ولى التوفيق ثم رأيت الحلبى قال زينب هذه بنت جحش توفيت سنة عشرين اواحدى وعشرين لازينب بنت خزيمة التى تدعى ام المساكين لانها توفيت فى آخر ربيع الاول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة (واخبر بقتل الحسين) اى ابن على رضى الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء وتشديد الفاء مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات واشتهر الآن بكربلاء كانه مركب من الكرب والبلاء وحذفت الباء الاولى تخفيفا والا كتفاء بحسب الايماء واستشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة وكان جميع من حضر معه من اهل بيته وشيعته سبعة وثمانين منهم على بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

﴿ انا على بن الحسين بن على * نحن وبيت الله اولى بالنبى * تالله لايحكم فينا ابن الدعى ﴾

وقتل من ولد اخيه عبدالله بن الحسن والقاسم بن الحسن ومن اخوانه العباس بن على وعبيدالله بن على وجعفر بن على وعثمان بن على ومحمد بن على وهواصغرهم ومن ولد جعفر بن ابى طالب محمد بن عبدالله بن جعفر وعون بن عبدالله ابن جعفر ومن ولد عقيل بن ابى طالب عبد الله بن عقيل وعبد الرحمن بن عقيل وجعفر بن عقيل وقتل معه من الانصار اربعة والباقى من سائر العرب ودفنوا بعد قتلهم بيوم وذكر ابوالربيع ابن سبع فى مناقب الحسين عن يعقوب ابن سفيان قال كنت فى ضيعتى فصلينا العتمة ثم جلسنا فى البيت ونحن جماعة فذكروا الحسين بن على فقال رجل مامن احد اعان على قتل الحسين الا اصابه عذاب قبل ان يموت وكان فى البيت شيخ كبير فقال انا ممن شهدها وما اصابنى امر اكرهه الى ساعتى هذه فطفئ السراج فقام لاصلاحه ففارت النار فاخذته فجعل يبادر بنفسه الى الفرات ينغمس فيه فاخذته النار حتى مات قلت بل جعله بين الاحراق والاغراق (واخرج بيده تربة) اى قبضة من التراب (وقال فيها مضجعه) بفتح الميم والجيم ويكسر اى مقتله اومدفنه رواه البيهقى من طرق ولفظ حديثه عن عائشة ان جبريل كان عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل حسين فقال جبريل من هذا فقال ابنى فقال ستقتله امتك وان شئت اخبرتك بالارض التى يقتل فيها فاساربيده الى الطف من العراق فاخذ تربة حمراء فاراه اياها (وقال) اى النبى عليه السلام كما رواه ابن عدى والبيهقى (فى زيد بن صوحان) بضم اول المهملتين اختلف فى صحبته (يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد) ولفظ البيهقى عن على قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى اسناده هنيل بن بلال ضعفه البيهقى وفى الحديث ايماء الى

﴿ جواز ﴾

جواز تعلق الروح بالاجزاء من غير تمام الاعضاء كما حققه العلماء (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام والتحية والثناء (في الذين كانوا معه) اى كما سبق ذكرهم من الشيخين وعثمان وغيرهم رضي الله تعالى عنهم (على حراء) اى وقد تحرك بهم كما مر في الانباء والمعنى قال في حقهم وعلو شانهم مخاطبا للجبل (اثبت) اى مع الثابتين من الاعلام (فانما عليك نبي وصديق وشهيد) وفي نسخة باوفي الموضعين فهي للتنويع ولفظ مسلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت فقال اهدأ فما عليك الا نبي اوصديق اوشهيد زاد بعضهم سعدا مكان علي (فقتل علي وعمر وعثمان) كذا في النسخ ولعل تقديم علي لثبوت شهادته بصريح الخبر وفي اصل الدلجي فقتل عمر وعثمان وعلي (وطلحة والزبير وطعن سعد) اى وجرح وحصلت له الشهادة بسبب الجراحة وبشهادة الحديث وقال التلمساني اى اصابه طاعون وهو شهادة لكل مسلم انتهى لا كما قال الدلجي ولم تنله الشهادة كما لا يخفى على اهل الافادة (وقال) اى النبي عليه الصلاة السلام كما رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وهو ابن مالك ابن جعشم بضمتين (كيف بك) اى كيف حالك (اذا البست سواري كسرى) تثنية السوار بكسر السين وتضم وجمعه اسورة وجمع الجمع اساور وهو ما يلبس في اليد وفيه تنبيه على هلكه وزوال ماله وملكه مع كمال شوكته وقوته منتقلا الى اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وامته (فلما اتي عمر بهما) اى جيء بسواريه (البسهما اياه) اى سراقة اظهارا لتحقق ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا (وقال) اى عمر (الحمد لله الذي سلبهما كسرى) اى ملك العجم (والبسهما سراقة) اى واحدا من بدو العرب ولعل في تقديم المفعول الثاني ايماء الى الاهتمام بذكرهما ومايعقبه من شكرهما فاندفع اعتراض الدلجي ولو قال البسه اياهما لكان اولى (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابو نعيم في الدلائل عن جرير بن عبد الله والخطيب في تاريخه (تبنى) اى ستبنى (مدينة بين دجلة) بكسر الدال وتفتح نهر مشهور بالعراق (ودجيل) بالتصغير بالاهواز عليه مدن كثيرة مخرجه من اصفهان (وقطربل) بضم قاف وسكون مهملة فضم راء وموحدة ولام مشددة ممنوعا من الصرف موضع بالعراق (والصراة) بمهملة مفتوحة نهر بالعراق وفي بعض الاصول بالهاء بدل الصاد ذكره السمني قال الحلبي والهراة كذا في الاصل وهو بفتح الهاء بلد معروف وفي القاموس الهراة بلد بخراسان وقرية بفارس والنسبة هروي محركة (تجبى اليها) بضم التاء وسكون الجيم وفتح الموحدة اى تجمع وتجلب الى تلك المدينة (خزائن الارض) لانها صارت دار الملك (يخسف بها) اى يستحق ان يخسف بها لكثرة ظلم اهلها ولان بناءها اسس على شفا جرف هار (يعني) اى يريد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بها) اى بتلك المدينة (بغداد) مر بيان لغاتها وقد بناها ابو جعفر الدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس لكن قال احمد بن حنبل لم يحدث به احد ببغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبي في ميزانه حديثه منكر (وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه) رواه احمد ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة من امها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد لهو شر لامتي من فرعون لقومه كذا في نسخة ... وفي الاصل: قال ... ثم رأينا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك لفتنة الناس اذ خرجوا عليه لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة كذا ذكره الدلجي وقال الحديث في مسند احمد من حديث سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله تعالى عنه وسعيد اختلف في سماعه من عمر وقد ذهب احمد الى انه سمع منه وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في موضوعاته من طريق احمد ثم نقل عن ابن حبان انه خبر باطل الى آخر كلامه (وقال) اى كما في الصحيحين (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) وهي الاسلام او الخلافة فوقع كما اخبر في حرب صفين فان صفوان بن عمرو قال كان اهل الشام ستين الفا فقتل منهم عشرون الفا واهل العراق مائة وعشرون الفا فقتل منهم اربعون الفا (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (لعمر) اى ابن الخطاب كما رواه البيهقي وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (في سهيل بن عمرو) اى في شانه وقد قال له عمر يارسول الله دعني انزع ثنيته فلا يقوم خطيبا في قومه فقال دعها (عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان) اى الامر (كذلك) اى مثل ما اخبر عنه هنالك (فانه قام بمكة) اى عند الكعبة (مقام ابي بكر) اى في مرثيته وثبات حالته في المدينة (يوم بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بتخفيف اللام اى وصلهم خبر موته صلى الله تعالى عليه وسلم (وخطب بنحو خطبته) اى بمثل خطبة الصديق في المدينة يومئذ (وثبتهم) بتشديد الموحدة اى حملهم على الثبات في الدين (وقوى بصائرهم) بتشديد الواو اى وصار سببا لتقوية كشف بصائرهم في اليقين فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حي لا يموت وكانت خطبة ابي بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت

الا ان ابابكر رضي الله تعالى عنه زاد عليه باتيان الآيات البينة الدالة على موته صلى الله تعالى عليه وسلم لزيادة كماله في الرتبة قال البيهقي ثم الحق في ايام عمر بالشام مرابطا في سبيل الله حتى مات بها في طاعون عمواس (وقال لخالد) اي ابن الوليد (حين وجهه) بتشديد الجيم اي ارسله (لاكيدر) بالتصغير ملك كندة اختلف في اسلامه وصحبته (انك تجده يصيد البقر) اي بقر الوحش قال الخطيب كان نصرانيا ثم اسلم وقيل بل مات نصرانيا وجمع بينهما بانه اسلم ثم ارتد قال ابن منده وابو نعيم الاصبهاني في كتابيهما معرفة الصحابة ان اكيدر هذا اسلم واهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر قال ابن الاثير اما الهدية والمصالحة فصحيحان واما الاسلام فغلط فيه فانه لم يسلم بلا خلاف بين اهل السير وكان اكيدر نصرانيا فلما صالحه عليه الصلاة والسلام عاد الى حصنه وبقي فيه ثم ان خالدا حاصره زمن ابي بكر فقتله مشركا نصرانيا لنقض العهد قال وذكر البلادري ان اكيدر لما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعاد الى دومة بضم الدال ويقال دومة الجندل موضع بين مكة وبرك الغماد والحجاز والشام فلما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد اكيدر ومنع ماقبله فلما سار خالد من العراق الى الشام قتله (فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته) اي وقعت هذه الاخبار المذكورة جميعها الا ان منها ماوقع في حياته ومنها ماوقع اوسيقع بعد مماته (كما قاله عليه الصلاة والسلام) اي على نهج ما اخبر به عنه في ذلك المقام من المعنى المرام (الى) اي منضمة اومنتهية الى (ما اخبر به جلساءه من اسرارهم) اي خفيات افعالهم (وبواطنهم) اي مكنونات احوالهم كقوله لرجل وصفه له بالعبادة هل حدثت نفسك انه ليس في القوم خير منك قال نعم وفي رواية ومواطنهم اي ومشاهدهم وفي اصل التلمساني ومواصلتهم اي مواصلة الناس من اهل الاسلام ونقل مايصنعون الى اخوانهم الكفرة (واطلع عليه) اي والى ماانكشف عليه (من اسرار المنافقين) اي فيما بينهم (وكفرهم) اي من جهة تواطئهم كما ظهر منهم في غزوة تبوك وهم سائرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاعلمهم به فقالوا لا اما كنا في شئ من امرك بل كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فوبخهم الله وكذبهم بقوله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (وقولهم فيه) اي ومن تكلمهم في حقه عليه الصلاة والسلام (وفي المؤمنين) اي من اصحابه الكرام كما وقع لرئيس المنافقين عبد الله ابن ابي حين قال لاصحابه وقد استقبله نفر من اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفارق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه فنزلت فيهم واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الآيات (حتى ان) مخففة (كان بعضهم) اي المنافقين (ليقول لصاحبه) اي رفيقه اذا طعن في الاسلام واهله (اسكت) اي من نحو هذا الكلام (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) اي شئ من الاشياء (لاخبرته حجارة البطحاء) اي صغار الحصى كما وقع يوم فتح مكة حين دخل النبي عليه الصلاة والسلام في البيت وامر بلالا ان يؤذن فقال عتاب بن اسيد لقد اكرم الله اسيدا انه لم يسمع هذا فقال الحارث ابن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته وفي رواية اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا فقال ابو سفيان لا اقول شيئا لو تكلمت لاخبرته عني هذه الحصباء فلما خرج قال لهم لقد علمت الذي قلتم واخبرهم فقال عتاب والحارث نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك (واعلامه) اي ومن اخباره عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين عن عائشة (بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم) اي من يهود (وكونه) اي ومن كون سحره (في مشط) بضم الميم وسكون المعجمة وتثلث وبضمهما ما يمشط به (ومشاقة) وفي نسخة صحيحة ومشاطة وكلاهما بضم اولهما بمعنى وهو ما يسقط من الشعر عند امتشاطه (في جف طلع نخلة) بضم الجيم وتشديد الفاء اي وعائه في غشائه الذي يكون فوقه ويروى جب بالموحدة وهما بمعنى وهو داخلها وقوله (ذكر) بفتحتين صفة طلع اونخلة على ان التاء للوحدة كالنملة وليس بفعل ماض معلوم او مجهول كما يتوهم من اقوال الدلجي (وانه) اي السحر فيما ذكر (التي في بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة وسكون الراء وهي بالمدينة بستان لبني زريق ويقال له بئر ذي اروان كذا في مسلم وكلاهما صحيح وما في مسلم اصح وادعى ابن قتيبة انه الصحيح ذكره النووي واما بالواو قبل الراء فموضع بين قديد والجحفة (فكان) اي فوقع الامر (كما قال) اي من خبر السحر (ووجد على تلك الصفة) اي الهيئة من كونه في مشط ومشاطه (واعلامه) اي ومن اخباره (قريشا) كما رواه البيهقي عن الزهري (باكل الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة تأكل

الخشب (مافي صحيفتهم التي تظاهروا) اى تعاونوا وتناصروا (بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم) اى قرابتهم ممن بينهم وبينهم نسب يجمعهم (وانها) اي وبان الارضة (ابقت فيها كل اسم لله) وقد روى ابن ابى الدنيا فى سيرته مرسلا انها لم تترك فيها اسماء الله الاحسنه وبقى فيها ماكان من شرك اوظلم اوقطيعة رحم وقد ذكر الروايتين ابو الفتح اليعمرى فى سيرته ولعل القضية متعددة او وقع وهم لبعض فى قلب الرواية والمذكور فى الاصل هو الانسب بالدراية فان لله الاسماء الحسنى باقية على صفحات الدهر بالنعت الاسنى ثم رأيت الحلبى اختار ان كونها لحست اسم الله اقوى وان كان فيه ابن لهيعة وهو مرسل والاخر ذكره ابن هشام انتهى ولا يخفى ان التعارض اذا وقع فيجمع مهما امكن والا فيرجح والا فيحمل على التعدد اذا تصور بان يقال علقت واحدة فى الكعبة واخرى عندهم والله تعالى اعلم (فوجدوها) اى الصحيفة (كما قال) اى من اكل بعض مافيها وابقاء باقيها (ووصفه) عطف على اعلامه اي ونعته عليه الصلاة والسلام (لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء) اى فى صبيحة ليلة اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى منتهيا الى السماء (ونعته اياه) اى بيت المقدس لهم على ما مر (نعت من عرفه) اى كنعت من عرفه حق معرفته (واعلامهم) اى واعلامه اياهم (بعيرهم) بكسر العين اى بقافلة ابلهم (التي مر عليها فى طريقه) اى حين رجع من مسيره الى مقام تحقيقه (وانذارهم) اى اعلامهم (بوقت وصولها) وان جملا ورق يقدمها فى يوم كذا قبل ان تغيب الشمس فى مغربها (فكان) اى فوقع ذلك (كله كما قال) اى كما اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ما) اى مع ما (اخبر به من الحوادث التي تكون) اى ستوجد ويأتى امرها (ولم تأت بعد) بضم الدال اى ولم تقع عقب زمن اخباره بل ستأتى بعد ازمان متباعدة عن اناره (منها) اى من الحوادث التي تكون (ماظهرت مقدماتها) بكسر الدال المشددة وتفتح وفى نسخة مقدماته (كقوله) اى فيما رواه ابو داود (عمران بيت المقدس) بضم العين اى كثرة عمارته باستعلاء الكفار على امارته (خراب يثرب) اى سبب خراب المدينة المشرفة وضعف جماعته (وخراب يثرب خروج الملحمة) اى علامة ظهور الحرب والفتنة (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) بضم القاف والطاء الاولى وتفتح وبكسر الطاء الثانية بعدها ياء ساكنة فنون وتاء تانيث كذا فى النسخ المصححة وفى رواية السجزى بزيادة مشددة وهى دار ملك الروم ثم كل سابقة مما ذكر علامة مستعقبة للاحقة وفى حاشية الحجازى وقسطنطينية وروى بلام التعريف وفيها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة ومع تشديدها ومع حذفها وحذف النون والقاف مضمومة بكل حال ثم اختلفوا اهل افتتحت ام لافقيل كان ذلك فى زمن عمر او عثمان وقيل لا بل انما ستفتح مع قيام الدجال والله تعالى اعلم بالحال (ومن اشراط الساعة) اى والى ما اخبر به من علاماتها المتقدمة كما فى الصحيحين ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنى وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد (وآيات حلولها) اى علاماته المؤذنة بوقوعها وحصولها لحديث مسلم لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم (وذكر النشر والحشر) اى ومن ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم اياهما فى اشراط الساعة فالمراد بهما مايقع قبل القيامة من التفرقة والجمع كما حكى النووى عن العلماء من ان آخر اشراطها فى الدنيا قبل النفخة الاولى نفخة الصعق اى الموت بدليل ذكره مع آيات حلولها ولقوله عليه الصلاة والسلام ويحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم كما فى حديث مسلم يحشر الناس اى احياء الى الشام على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا واما ما بعد بعثهم من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والتعاقب عليها بل هو على ماورد من كونهم حفاة عراة غرلا كما بدأكم تعودون هذا ووقع فى اصل الدلجى والنشر بعد الحشر وفسره بالبعث وهو اعادة ماافناه ولا يخفى انه لا يناسب المقام مع انه لغة غير مطابق للمرام فالصواب ماقدمناه فى الاصل من النسخ المصححة المشيرة الى ان الحشر بعد النشر فى علامات الساعة بخلاف يوم القيامة فان الحشر قبل النشر لانه يجمع الخلق اولا ثم يفرق بينهم كما اخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير (واخبار الابرار) جمع بر وبار اى وذكر اخبارهم بمايسرهم مجملا وتفصيلا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن الله سبحانه وتعالى اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (والفجار) جمع فاجر من فاسق وكافر واخبارهم اى بما يسوءهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الفجار يوم القيامة يبعثون فجارا الامن اتقى الله وصدق (والجنة والنار) اى ومن ذكرهما (وعرصات القيامة) اى وذكر

مواقفها من الميزان والحوض والصراط وغيرها وكان الا نسب تأخير الجنة والنار عن عرصات القيامة هذا وان اردت تفصيل ذلك في الجنة فعليك بكتاب شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي المسمى بالبدور السافرة في احوال الآخرة (وبحسب هذا الفصل) بسكون السين والباء زائدة كما في قولهم بحسبك درهم اى حسبك والمعنى كفى هذا الفصل من كماله في الفضل (ان يكون ديوانا مفردا) اى دفترا منفردا (يشتمل على اجزاء وحده) اى متوحدا غير منضم الى غيره (وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية) اى غنية لمن له دراية (واكثرها في الصحيح) اى رواية (وعند الائمة) اى من كتب اصحاب السنة (والله ولي التوفيق) اى بالهداية في البداية والنهاية

﴿فصل﴾

(في عصمة الله تعالى له) اى في وقايته وحمايته (من الناس وكفايته من آذاه) اى وكفاية الله اياه شر من آذاه ممن عاداه ويروى وكفايته من آذاه (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) اى يمنعك منهم ويكفيك عنهم (وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اى بمرأى منا ومرعى في حفظنا وجمع للعين مناسبة لضميرها او مبالغة في تعبيرها (وقال اليس الله بكاف عبده) وفي انكار النفي مبالغة في اثبات الكفاية (قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين) فالمراد بعبده الفرد الاكمل او المعهود الافضل ويؤيده ان المشركين كانوا يقولون له انا نخاف ان يعتريك الهتنا بسوء لعيبك اياها وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها اني احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه اى مما لا يقدر على نفع وضر في نفسه (وقيل) اى في معنى الآية (غير هذا) اى القول بقصر الكفاية على محمد بل كافيه ولا كافي غيره فتكون الاضافة للجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي اليس الله بكاف عباده بصيغة الجمع (وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية) وقد سبق معناهما وما يتعلق بمبناهما وقد قال الله تعالى ايضا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اي بالاقوال والاحوال (اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي) بفتحتين وهو ابن سكرة (بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري) بفتح الميم وتضم وكسر الفاء هو الاشبيلي وهو المعروف بابن العربي سمع نصر بن ابراهيم المقدسي وطبقته وروى عنه جماعة توفي بفاس سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وهو على دابته بباب فاس وقد كان سقي سما فمات شهيدا مظلوما (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو الحسين) بالتصغير وهو الصواب (الصيرفي) وهو المبارك بن عبد الجبار (ثنا ابو يعلى البغدادي) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو علي السنجي) بكسر السين والجيم بينهما نون ساكنة (ثنا ابو العباس المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ) اى الترمذي كما في نسخة وهو صاحب الجامع (ثنا عبد بن حميد) بالتصغير وتقدم ان هذا من غير اضافة (ثنا مسلم بن ابراهيم) اى الازدي سمع ابن المبارك وغيره وروى عنه البخاري وابو داود والدارمي (ثنا الحارث ابن عبيد) هو ابو قدامة الايادي البصري روى عن ثابت الجوني اخرج له مسلم واستشهد به البخاري (عن سعيد الجريري) بضم الجيم وفتح الراء روى عن ابي الطفيل ويزيد بن الشخير وعنه شعبة ويزيد بن هارون (عن عبد الله ابن شقيق) هو العقيلي البصري روى عن عمر وابي ذر والكبار وعنه قتادة وايوب قال احمد ثقة تحمل عن علي رضي الله تعالى عنه (عن عائشة) قال الحلبي اخرجه الترمذي في التفسير عن الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله ابن شقيق قال ولم يذكروا عائشة (قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول اى يحفظ من الاعداء (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) اى يحرسك من قتلهم اياك (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) هي بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب (فقال لهم ايها الناس انصرفوا) الى رحالكم وكونوا على حالكم (فقد عصمني ربي عز وجل) اى فقد تكفل بعصمتي ومحافظتي من كيد اعدائي من غير واسطة لي (وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل) بفتح الياء وكسر القاف اى يستريح (تحتها) من القيلولة وهي نوم نصف النهار ومنه قوله تعالى اوهم قائلون ومنه شعر الهاتف بمكة في حديث الهجرة الى المدينة

﴿جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي ام معبد﴾

اى نزلا فيها عند القائلة وهي وقت الاستراحة من الظهيرة (فاتاه اعرابي) اى بدوي (فاخترط سيفه) اى سله من غمده ومرجع الضمير اما هو عليه السلام واما الاعرابي (ثم قال من يمنعك مني فقال الله) اى الله يمنعني منك (فارعدت) وفي نسخة صحيحة فرعدت بالبناء للمفعول فيهما وفي نسخة فارتعدت ويروى فذعرت بذال معجمة من الذعر وهو

الفزع لكن لا يلائم اسناده الى قوله (يد الاعرابي) اى اصابته رعدة وحركة مضطربة من الخوف (وسقط سيفه)
وفي اصل الدلجي وسقط السيف من يده (وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه) اى دما ونحوه (فنزلت الآية)
اى آية والله يعصمك من الناس وماروا من الزيادة فغير معروف عند ارباب الدراية (وقد رويت هذه القصة)
اى مثلها (في الصحيح) اى للبخاري وغيره (وان غورث بن الحارث) فوصل آخره مثلثة ويهمل اوله ويعجم مكبرا
ومصغرا كما في الرواية الاخرى وتقدم انه اسلم وصحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى انه دعثور فعلول كبهلول
وعينه مهملة ذكره التلمساني (صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه
وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت) وفي نسخة وهي الاولى وقد حكى (مثل هذه الحكاية انها) وفي نسخة
وانها (جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه) جملة حالية (لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر) بصيغة
المجهول والمعلوم (مثله) اى مثل قوله من يمنعك اومثل ماحكى من انه اخترط سيفه الخ فرده الله خاسئا (وقد روى)
اى كما في سيرة ابن اسحق الكبرى موصولا عن جابر بن عبد الله (انه وقع له) اى للنبي عليه الصلاة والسلام (مثلها
في غزوة غطفان) بفتحتين قبيلة (بذى امر) بفتحتين موضع معروف من ديارهم ويقال لها غزوة نجد ايضا وولى
المدينة حينئذ عبد الله ابن ام مكتوم استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليها حين خرج اليها محاربا لهم
مع رجل اسمه دعثور) بالضم (ابن الحارث) اى الغطفاني والظاهر ان الخبرين واحد ويؤيده قول الذهبي في تجريده
الاشبه انه غورث بن الحارث وقال الحجازي ويروى غويرث (وان الرجل) اى المشار اليه (اسلم فلما رجع الى قومه
الذين اغروه) من الاغراء اى الزموه وحثوه على فعله هذا وفي نسخة اغووه اى اضلوه (وكان) اى الرجل (سيدهم)
اى رئيسهم (واشجعهم) جملة معترضة (قالوا له اين ماكنت تقول) اى من دعوى القدرة واظهار الشجاعة
(وقد امكنك) اى والحال انك قد تمكنت من القتل فيه (فقال انى نظرت الى رجل ابيض طويل دفع فى صدرى
فوقعت لظهرى) وفي نسخة الى ظهرى (وسقط السيف) اى من يدى (فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) اى قصدوا ان يمدوها فتكا واهلاكا
(فكف ايديهم عنكم) اى منعها الله ان تمد اليكم (الآية) تمامها واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفي رواية
ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا
اكبوا عليه وهموا ان يوقعوا بهم فعلا اذا قاموا الى صلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل اتى صلى الله تعالى عليه
وسلم بنى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن امية خطأ ظانهما كافرين فقالوا
نعم يا ابا القاسم اجلس نطعمك ونقرضك فجلس فى صفة فهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها
عليه فامسك الله يده فاخبره جبريل فخرجوا من عندهم سالمين (وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث)
وفي نسخة غويرث مصغرا واختاره الحلبي وتبعه الحجازي وروى الخطابي ان غورث اوغويرث بن الحارث المحاربي
على الشك اهو بالعين المهملة او المعجمة ولم يشك فى التصغير والمشهور ماذكره الحافظ المزي ان غورث بالمعجمة غير
مصغر كما اورده المصنف فيما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم (المحاربى) بضم الميم وكسر الراء والموحدة (اراد
ان يفتك) بكسر التاء الفوقية وتضم وحكى الفتح ايضا اى يأخذ على غرة وغفلة باطشا (بالنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم) اى بقتله فجأة (فلم يشعر) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به (الا وهو قائم على رأسه منتضيا) بالضاد المعجمة
والتحتية اى سالا (سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه) اى انقلب اوسقط ومن ابتدائية او بمعنى
على وفي اصل الدلجي فاكب لوجهه اى عليه (من زلخة) بضم زاى وتشديد لام مفتوحة فخاء معجمة وقيل مشددة
(زلخها) بضم اوله وكسر ثانيه مخففة اى من اجل زلخة (بين كتفيه وندر) اى خرج وسقط (سيفه من يده والزلخة
وجع الظهر) اى بحيث لا يتحرك من شدته وروى بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق (وقيل فى قصته) اى قصة غورث
(غير هذا) اى ماذكر من نوع آخر وهو ماروى انه اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عليه السلام متقلد
بسيفه قال ابن هشام وكان محلى بفضة فقال يا محمد ارنى سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة
الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومرة الى السيف فقال من يمنعك منى يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فشام السيف ومضى فانزل الله هذه الآية (وذكر) بصيغة المجهول اى وذكر بعضهم
وفي اصل الدلجي ذكر بصيغة الفاعل اى ذكر الخطابي (ان فيه) اى في غورث (نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) اى كما سبقت (وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا)
اى من ان يقتلوه او يخذلوه (فلما نزلت هذه الآية) اى ونحوها من قوله تعالى والله يعصمك من الناس

وما اخترنا من الجمع بينهما اولى مما قال الدلجي اي هذه الآية او والله يعصمك (استلقى) جواب لما اي وقد على قفاه
او كناية عن استراح من اذى من آذاه (ثم قال من شاء فليخذلني) او من شاء فلينصرني فان ربي لايخذلني فالامر
للتهديد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اوالمعنى فليخذلني اي فليقتلني فانه لايقدر على ذلك فالامر
للتعجيز (وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب) وهي العوراء اخت ابي سفيان ابن حرب زوجة ابي لهب عم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بنت هشام اخت ابي جهل (تضع العضاه) بكسر العين وفي آخر الكلمة هاء وقفا ووصلا
وهي اشجار عظام ذات شوك ولعل التقدير ترمي شوكها وقد تصحف على الحلبي حيث ضبط بفتح الغين والضاد المعجمتين
وهو مخالف لما في الاصول المعتمدة والحواشي المعتبرة (وهي جمرة) جملة حالية ولعل المراد تشبيه الشوك بالجمرة حال
حدتها فان الجمرة هي النار المتوقدة ثم اعلم ان بعضهم ذكر في معناه انه شجر لجمره حرارة شديدة وقد قال اهل التفسير
انها كانت تضع الشوك ولذا سميت حمالة الحطب على احد الاقوال ولعلها كانت تضع الشوك مرة والجمر اخرى
او كانت تجمع بينهما والله تعالى اعلم (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي وكان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يمشي عليها (فكانما يطأها كثيبا اهيل) بفتح فسكون فمثلثة فلام وروي بميم وهما بمعنى اي رملا
سائلا حيث لم يتضرر بها (وذكرا بن اسحق عنها) اي عن حمالة الحطب ورواه ابو يعلى والبيهقي وابن ابي حاتم عن اسماء
بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما (انها) اي حمالة الحطب (لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب) وزيد في نسخة وتب
(وذكرها) اي وبلغ ذكر الله اياها (بما ذكرها الله مع زوجها من الذم) اي بقوله وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل
من مسد (اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يد ها فهر) بكسر الفاء
وسكون الهاء بعدها راء حجر ملء الكف (فلما وقفت عليهما) اي قريبا من مكانهما (لم تر) جواب لما اي مارأت
(الاابابكر واخذ الله ببصرها) اي صرفه وحجبه (عن نبيه عليه الصلاة والسلام فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد
بلغني انه يهجوني) اي يذمني (والله لو وجدته) اي حاضرا اولو صادفته (لضربت بهذا الفهر فاه) اي فمه فرجعت خائبة
خاسئة (وعن الحكم ابن ابي العاص) والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان اسلم يوم الفتح وقد روى ابو نعيم
في الدلائل والطبراني بسند جيد عنه (قال تواعدنا) اي اجتمعنا ومما لأ نا معشرا من الكفار (على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم) اي على قتل النبي المختار واستمر هذا الاصرار (حتى اذا رأيناه) اي في موضع (سمعنا صوتا خلفنا)
اي صوتا عظيما من ورائنا (ماظننا انه بقي بتهامة) اي بارضها والمراد بها هنا مكة (احد) اي حيا هكذا في الاصول
بقي ووقع في اصل الدلجي لم يبق فتكلف بل تعسف حيث قال الظن وان الم به حرف النفي فلبس بمعنى بل المنفي ظناهو
البقاء اي ظننا انه لم يبق بتهامة احد هذا وتهامة اولها من ذات عرق الى البحر (فوقعنا) اي سقطنا (مغشيا علينا) اي
من فزع ماسمعنا وهول ما ظننا (فما افقنا) اي ما انتبهنا (حتى قضى صلاته) اي فرغ عليه الصلاة والسلام منها
(ورجع الى اهله) اي مضى كما في نسخة (ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا) اي قاصدين له (حتى اذا رأيناه) اي خاليا في مكان
(جاءت الصفا والمروة) اي حضرتا اوتصور شيء بصورتهما (فحالتا بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم
ابن حذيفة) بالرفع هو عبد الله بن حذيفة بن غانم العدوي اسلم عام الفتح وصحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان
مقدما في قريش معظما وكانت فيه وفي بنيه شدة وقد ادرك بنيان الكعبة حين بناها ابن الزبير فعمل فيها ثم قال
قد عملت في الكعبة مرتين مرة في الجاهلية بقوة غلام يافع وفي الاسلام بقوة شيخ فان وهو صاحب الانبجانية (ليلة)
اي من الليالي حال غفلة (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب على نزع الخافض وهو على كما في نسخة
صحيحة (فجئنا منزله) اي لنتفحص حاله (فسمعنا له) اي صوتا وفي نسخة فتسمعنا له اي لصوته (فافتتح) اي ابتدأ
القرآءة (وقرأ الحاقة) اي الساعة الواجب وقوعها الثابت مجيئها وتحقق الامور فيها وتعرف حقيتها (ما الحاقة)
خبر المبتدأ اي اي شيء هي فوضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشانها وتعظيما لهولها (الى فهل ترى لهم من باقية)
اي ماترى لهم من بقية او بقاء اونفس باقية وما بينهما معلوم من القرآن وتفسيره مما لايحتاج الى البيان (فضرب
ابو جهم على عضد عمر وقال) عمر (انج) امر من نجا ينجو (وفرا) وفي نسخة ففرا اي ذهبا كلاهما (هاربين) اي
شاردين وفيه مبالغة لاتخفى (فكانت) اي القضية وقال الدلجي اي المواعدة اوقراءة الحاقة (من مقدمات اسلام
عمر) اي مقتضياته وكذا من اسلام ابي جهم على ما تقدم (ومنه) اي ومن قبيل اخذ ببصر الاعداء محافظة لسيد
الاحياء (العبرة المشهورة) بكسر العين وهي مايعتبر من القضية العامة (والكفاية التامة عند ما اخافته قريش) اي
خوفوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (واجتمعت) وفي نسخة واجمعت اي عزمت (على قتله وبيتوه) بتشديد التحتية
اي دبروه ليلة ليقتلوه غيلة على غرة وغفلة (فخرج عليهم من بيته) كما رواه ابن اسحق والبيهقي عنه عليه السلام

(فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم) اى حجبها عن رؤيته (وذر التراب) بذال معجمة فراء مشددة اى فرّقه وفرقه (على رؤسهم) قال الحلبي وكانوا مائة وفى نسخة بتخفيف الراء فهمزة وهو تصحيف وتحريف (وخلص منهم) اى نجا وتخلص من غيران يصيبه شئ وفى رواية انه خرج من ظهر البيت طأطأت له جارية اسمها مارية خادمته عليه الصلاة والسلام حتى تسور الجدار الذى للبيت من ظهره (وحمايته) اى ومنه حفظه بحجبه (عن رؤيتهم) اى له ولابى بكر (فى الغار) متعلق باحد المصدرين وقال الدلجى حال والتقدير وهما فى الغار وهو تكلف بل تعسف (بما هيأ الله) اى قدره (له من الآيات) اى من خوارق العادات (ومن العنكبوت) عطف بيان لبعض ماقبله (الذى نسج عليه) اى على باب الغار وهو غار ثور جبل بمنة مكة (حتى قال امية بن خلف) وهو ممن مات كافرا (حين قالوا) اى اصحابه (ندخل الغار) بصيغة الاخبار على تقدير الاستفهام وروى ادخل فعل امر اى رجاء ان يكون فيه مختفيا (ماار بكم فيه) بفتح الهمزة والراء وهو مقول امية اى اى شئ حاجتكم الداعية لدخولكم فى الغار (وعليه من نسج العنكبوت ما ارى) بضم الهمزة وفتحها اى شئ اظن (انه قبل ان يوجد محمد) اى كائن اوموجود على باب الغار وفى نسخة انه الامن قبل ان يولد محمد وفى نسخة ما اربكم بدل ما ار بكم اى اى شئ اوقعكم فى الريبة وشبه المظنة انه فى الغار والحال الخ (ووقفت) بالقاف وروى بالعين اى سقطت (حمامتان على فم الغار) وهو نقب فى الكهف (فقالت قريش) اى كلهم اوبعضهم (لوكان فيه احد لماكانت هناك الحمام) اى لكمال نفرته عن الانام (وقصته) اى ومن ذلك قصته عليه السلام كما رواه الشيخان عن البراء (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم جيم وشين معجمة (حين الهجرة) بكسر الهاء وقال التلمسانى بفتح وبكسر (وقد جعلت قريش فيه) اى فى حق النبي (وفى ابى بكر) اى فى اخذهما (الجعائل) جمع جعيلة اوجعالة بالفتح وهى الاجرة على شئ فعلا اوقولا والجعل بالضم الاسم وبالفتح المصدر فتدبر وقد عين السهيلى ذلك فقال بذلت قريش مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فانذر به) على بناء المفعول اى فاعلم سراقة بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا الى المدينة (فركب فرسه واتبعه) بتشديد الفوقية اى تبعه رجاء ان يلحقه (حتى اذا قرب) بضم الراء اى دنا (منه دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لما رأى عليه من آثار الشر وتوهم الضر (فساخت) بالخاء المعجمة اى غاصت وغابت فى الارض وانخسفت (قوائم فرسه فخر عنها) اى فسقط اوفنزل عنها (واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين اوبضم ففتح وهى سهام لاريش بها ولانصل كان يكتب على احدها افعل وعلى الآخر لاتفعل وغيرهما مغفل وكان محلها داخل الكعبة عند السدنة كما فى تفسير قوله تعالى وان تستقسموا بالازلام وكان بعضهم بضعها فى متاعه وجعبته فاذا عرض له مهم اخرج منها سهما فان خرج له افعل فعل اولاتفعل انفعل وان خرج المغفل اعاد العمل وقيل كان المكتوب على الواحد امرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى والثالث غفل لاشئ عليه وقيل ان الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها لذلك والاول اعرف واصل معنى استقسم ضرب بها لاخراج ماقسم الله له من امره ونهيه وطلب معرفة تميزه بكونه ان خرج له مايحب فعله اوخرج له مايكره كف عنه وهذا كله بناء على زعمه (فخرج له مايكره) اى من الفال وعلى كل قال مع هذا ماالتفت عن تلك الحال (ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو) اى النبي (لايلتفت) اى اليه اومطلقا (وابو بكر يلتفت) اى الى سراقة اوالى جوانبه اوالى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتينا) بصيغة المجهول اى لحقنا من طلبنا اولحقونا اواتانا البلاء وجاءنا العناء (فقال لاتحزن ان الله معنا) اى ناصرنا ومعيننا اومعية خاصة من قرب الرب الينا وفيه ايماء الى ماورد من ان الله يتجلى للناس عامة ولابى بكر خاصة (فساخت) اى قوائم فرسه (ثانية) اى مرة اخرى (الى ركبتها وخر عنها فزجرها) اى صاح عليها ونهرها (فنهضت) اى فقامت ووثبت (ولقوا ئمها مثل الدخان) بتخفيف الخاء وتشدد اى من آثار الغبار المرتفع (فناداهم) اى النبي والصديق وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر (بالامان) اى بطلبه (فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) اى امر بكتابته لقوله (كتبه ابن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وسكون الياء كان اسود وهو ممن عذب فى الله قتل ببئر معونة والتمس ليدفن فلم يوجد فرأوا ان الملائكة دفنته وهو قديم الاسلام اسلم قبل ان يدخل عليه السلام دار الارقم ابن ابى الارقم ثم ماتقدم هو فى الصحيح قال التلمسانى اشتراه ابو بكر من الطفيل بن عبد الله بعد مااسلم فاعتقه وكان يرعى الغنم فى جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر فى الغار وكان رفيقهما الى المدينة حين هاجرا وشهد بدرا واحدا وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة يروى عنه انه قال حين طعنت ابن فهيرة رأيت نورا خرج من الطعنة (وقيل ابو بكر) اى ونقل فى السيرة انه كتبه ابو بكر وجمع بان عامرا كتبه اولا فلم يرض سراقة الابكتابة ابى بكر لسيادته المعروفة فى قريش وان عامرا مولاه قال الحلبي وكتابه عليه الصلاة والسلام نيف واربعون نفرا ومنهم الخلفاء الاربعة

واكثرهم ملازمة لكتابته عليه السلام زيد بن ثابت ثم معاوية ابن ابي سفيان بعد الفتح ذكر ذلك غير واحد من الحفاظ انتهى وقيل معاوية لم يكتب الوحي وانما كتب غيره والله تعالى اعلم (واخبرهم) اى سراقة (بالاخبار) اى اخبار الاغيار من كفار قريش وماجعلوه من الجعائل فيهما (وامره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لايترك احدا) اى ممن يلقاه من ورائه (يلحق بهم) بل يدفعه عن اتصاله اليهم ويلحق بالرفع وهو حال وفى نسخة بالنصب ووجهه اسقاط ان وابقاء عملها وهو قليل ومعناه هنا بعيد جدا (فانصرف) اى سراقة (يقول للناس) اى المقبلين لطلبهم (كفيتم) بصيغة المجهول (ماههنا) اى مايتصور وجوده فى جهتها اوالمعنى ليس احد ممن تطلبونه ههنا واغرب التلمساني فى قوله امنتم من خوفكم وعصمتم مماهنا (وقيل بل قال لهما) اى سراقة (اراكما دعوتما علي) اى بالمضرة (فادعوالى) اى بالمنفعة (فنجا) اى بعد مادعواله (ووقع فى نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فكان من مقدمات اسلامه (وفى خبر آخر) غير معروف عند اهل الاثر (ان راعيا عرف خبرهما) اى من انهما توجها الى صوب المدينة ونحوهم (فخرج) اى من مكانه (يشتد) اى يعدو وعدوا سريعا (يعلم) اى حال كونه يريد ان يعلم وفى نسخة ليعلم (قريشا) اى باحوالهما (فلما ورد مكة ضرب) بصيغة المفعول اى ضرب بعض حجبه (على قلبه) وحبس على خاطره (فايدري مايصنع) اى من كمال الذهول والغفلة والدهشة والوحشة (وانسى ماخرج له) اى لاجله وفى نسخة اليد اى الى حصوله (حتى رجع الى موضعه وجاءه فيماذكر ابن اسحق) فى المغازي (وغيره) كابي نعيم فى الدلائل عن ابن عباس انه اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ابوجهل بصخرة وهو) اى والحال انه عليه الصلاة والسلام (ساجد وقريش ينظرون) اى اليه كما فى نسخة (ليطرحها عليه) وحلف لئن رآه ليدمغنه (فلزقت) بكسر الزاى اى لصقت كما فى رواية (بيده ويبست) بكسر الموحدة اى جفت (يداه الى عنقه) اى مغلولتين اليد وممنوعتين من الحركة لديه فى طرحها عليه (واقبل يرجع) اى وشرع راجعا (القهقرى) بفتح القافين مقصورا هو الرجوع الى الوراء فقوله (الى خلفه) تأكيد لماقبله اوتجريد لمعناه من اصله (ثم سئله) اى ابوجهل (ان يدعوله ففعل) اى دعاله ولم يؤاخذه كرما وشفقة وحلما ولماكان بينهما قرابة ورحما ممايقتضي لطفا ورحما (فانطلقت يداه) اى عقب مادعا الله تعالى (وكان) اى ابوجهل (قد تواعد مع قريش بذلك) اى بطرح صخرة عليه (وحلف) اى عندهم (لئن رآه) اى ساجدا كما فى نسخة (ليدمغنه) اى ليصيبن دماغه وليهلكنه (فسألوه عن شانه) اى عن رجوعه بعد ظهور طغيانه (فذكر انه عرض لى) وفى نسخة له اى ظهر (دونه) اى بين يديه اوحواليه (فحل) اى من الابل اونحوه (مارأيت مثله) اى عظمة وهيبة (قط) اى ابدا (هم) وفى نسخة فهم (بى) اى قصدنى (ان يأكلنى فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك جبريل) اى تمثل له بصورة الفحل (لودنا) اى قرب منى (لاخذه) اى اخذ عزيز مقتدر (وذكر السمرقندي ان رجلا من بنى المغيرة) وهو ابوجهل ابن هشام بن المغيرة اواحد اقاربه (اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) اى محا قوة نظره (فلم يره) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (وسمع قوله فرجع الى اصحابه) اى وهو اعمى (فلم يرهم حتى نادوه) اى فعرف مكانهم ثم رآهم اواستمر على عماه (وذكر) اى السمرقندي (ان فى هاتين القصتين) اى قصة ابي جهل والتى بعدها وروى القضيتين (نزلت انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الآيتين) وفى نسخة الى قوله مقمحون والاقماح رفع الرأس وغض البصر وقد روى ابونعيم فى الدلائل عن ابن عباس بلفظ ان ناسا من قريش قاموا ليأخذوه فاذا ايديهم مجموعة الى اعناقهم واذاهم عمى لايبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لايؤمنون (ومن ذلك ماذكره ابن اسحق) اى وغيره كما فى نسخة صحيحة كالكلبي فى تفسيره (فى قصته اذ خرج الى بنى قريظة) وقال الحجازي وغيره الذى ذكره ابن اسحق وغيره من اهل السير ان ذلك كان من بنى النضير وهو سبب غزوهم لا من بنى قريظة فان سببهم غزوة الخندق ثم قريظة والنضير اخوان هما ابنا الخزرج من ذرية هارون اخى موسى عليه السلام بالتصغير قال الحلبي والصواب ان يقول بنى النضير كما فى سيرة ابن سيد الناس (فى اصحابه) وفى نسخة فى نفر من اصحابه اى مع جماعة منهم الخلفاء الاربعة فيهم (فجلس الى جدار بعض اطامهم) بمد الهمزة اى ابنيتهم المرتفعة كالحصون فتخافتوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة من يعلو على مثل هذا الجدار ويرسل عليه مايقتله فقال سلام بن مشكم لاتفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه ينقض ماييننا وبينه من العهد واما نقض بنى قريظة فسببه غزوة الخندق لانهم ظاهروا قريشا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونقضوا العهد وسيأتى من عند السمرقندي انه خرج الى بنى النضير فذكر القصة فهذه هي الصواب (فانبعث) اى فقام واسرع اشقاهم (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم وتشديد الحاء اوبكسر وتخفيف والشين معجمة قتل كافرا (احدهم) وفى نسخة منهم اى احد منهم (ليطرح عليه رحى) بالقصر وبعد (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعد اخبار جبريل بذلك كما سيأتى (فانصرف الى المدينة) اى وتبعه

اصحابه (واحلهم) اى بعد الصبر افدا وقبله (بقصتهم) اى تمالئهم على قتله (وقد قيل ان هذه الآية) وفى نسخة ان قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية) اى تمامها (فى هذه القصة) اى قصة بنى النضير (نزلت وحكى السمرقندى انه) اى النبى عليه السلام (خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين) اى فى دية الاثنين من قبيلة بنى كلاب بكسر اوله (اللذين قتل) اى قتلهما كما فى رواية (عمرو بن امية) اى الضمرى وفى نسخة الكلابى الذى قتله عمرو بن امية فالمراد به الجنس اذ صرح ابو الفتح اليعمرى فى السيرة انهما من بنى عامر وقتلهما عمرو على ظن انهما كافران بعد قتل اصحابه ببئر معونة ورجوعه الى المدينة عنيفا لعامر بن الطفيل العامرى وذلك للجوار الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقده اذ كان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف على يده صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن امية (فقال) اى له كما فى نسخة صحيحة (حيى) بالتصغير (ابن اخطب) بالخاء المعجمة وهو والد صفية ام المؤمنين (اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك) اى نضيفك مع اصحابك (ونعطيك ما سألتنا) اى من الاستعانة فى الدية (فجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع ابى بكر وعمر وتوامر) بالواو والهمزة وهو افصح اى تساور (حيى معهم) اى مع يهود (على قتله فاعلمه جبريل بذلك فقام) اى وحده (كانه يريد حاجته) اى قضاء حاجته واستمر على مشيته (حتى دخل المدينة) فلما استلبث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه قاموا فى طلبه ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم ثم قال لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وهذه القصة بعينها هى الاولى وكان هذه عند القاضى قضية اخرى والله تعالى اعلم بما هو اولى واحرى هذا وحيى والد صفية ام المؤمنين يهودى قتل على كفره مع بنى قريظة صبرا (وذكر اهل التفسير الحديث) اى السابق المروى (عن ابى هريرة) وفى نسخة ومعنى الحديث عن ابى هريرة وفى اصل الدلجى وعن ابى هريرة والحديث فى صحيح مسلم وسنن النسائى (ان ابا جهل وعد قريشا) اى وحلف عندهم وعهد (لئن رأى محمدا يصلى ليطأن رقبته) وفى نسخة على رقبته اى ليضعن رجله فوق رقبته صلى الله تعالى عليه وسلم واللام جواب قسم محذوف اى والله لا موطئة للقسم كما توهم الدلجى (فلما صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تلبس بالصلاة (اعلموه) اى اخبروا ابا جهل (فاقبل) اى على قصد اذيته من وضع الرجل على رقبته (فلما قرب منه ولى) اى ادبر (هاربا) اى فارا (ناكصا على عقبيه) اى راجعا الى خلفه مخالفا خلفه (متقيا بيديه) اى متحفظا بهما الشئ ظهر عليه متوجها اليه (فسئل) اى عن سبب رجوعه واتقائه (فقال لما دنوت منه) اى قربت (اشرفت) اى اطلعت (على خندق) اى واد او حفير (مملوء نارا كدت) اى قاربت (اهوى) بكسر الواو اى اسقط (فيه وابصرت هولا عظيما) اى امرا شديدا يهول ويفزع (وخفق اجنحة) اى وابصرت ضرب اجنحة وتحريكها (قد ملأت) اى الاجنحة لكثرتها (الارض) اى جميعها (فقال عليه السلام تلك) اى اصحاب تلك الاجنحة (الملائكة) اى لا الطيور (لو دنا) اى ابو جهل منى حينئذ (لاختطفته) اى اخذته الملائكة سرعة (عضوا عضوا) اى بان وقع كل عضو وجزء منه فى يد ملك او جمع منهم (ثم انزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كلا) اى حقا (ان الانسان ليطغى ان رآه) اى لاجل ان علم نفسه (استغنى) عن ربه (الى آخر السورة ويروى) بصيغة المجهول وفى نسخة وروى والحديث لابى نعيم فى الدلائل (ان شيبة) وفى نسخة ان رجلا يعرف بشيبة (ابن عثمان الحجبى) بفتح الحاء والجيم منسوب الى الحجبة جمع الحاجب بمعنى البواب فانه كان من سدنة الكعبة المشرفة وفى نسخة الجمحى بالجيم المضمومة وفتح الميم فخاء وهى غلط كما صرح به الحلبى (ادركه) اى لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم حنين) وهو واد بقرب ذى المجاز او ماء بقرب الطائف من الحجاز (وكان حمزة قد قتل اباه وعمه) جملة معترضة مشيرة الى الباعث على القضية من اخذ الثار كما فى عادة الجاهلية (فقال) اى عثمان (اليوم ادرك ثأرى) بمثلثة وهمزة ويجوز تخفيفها اى دم احميى من ابى وعمى بانتقامى فيه (من محمد) اى بان اقتله بدل حمزة فانه ابن اخيه وهذا يرد قول من قال انه اسلم يوم الفتح ولعله اظهر اسلامه ولم يحقق مرامه ثم ان التلمسانى ضبط الثار بالتاء المثناة الفوقية وهو تصحيف وتحريف (فلما اختلط الناس) اى اشتغلوا فيما بينهم من الحرب (اتاه) اى عثمان (من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه) اى فيقتله (قال فلما دنوت منه ارتفع الى) اى لدى (سواط) بضم اوله ويكسر اى لهب (من نار اسرع من البرق فوليت هاربا) اى حذرا منه (واحس بى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فدعانى) اى طلبنى (فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الى) جملة حالية (فارفعها) اى يده (عنى الا وهو احبهم الى وقال لى ادن) اى اقرب الى العدو (فقاتل فتقدمت امامه اضرب) اى الناس (بسيفى واقيه بنفسى) اى واحفظه بدفع الناس عنه ووقايته منهم بتفدية نفسى (ولو لقيت ابى) اى والدى فرضا (تلك الساعة لاوقعت به) اى بابى

وقتله (دونه) اى دون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجاوزا عنه او مداً فعا منه واعلم ان السيرة لابى الفتح اليعمرى عن ابن سعد ان طلحة ابن ابى طلحة وهو كبش الكتيبة صاحب اللواء قتله على ثم حمل اللواء عثمان ابن ابى طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره و بدا سحره اى رئته وفى التجريد والتهذيب للذهبى فى ترجمة شيبة ابن ابى طلحة ان عليا قتل اباه يوم احد ذكره الحلبى ففى نسبة قتلهما الى حمزة نوع مسامحة (ومن فضالة بن عمرو) بفتح الفاء اى ابن الملوح الليثى وفى نسخة عمير بالتصغير عوض عمرو بالواو وهو الموافق لما ذكره الذهبى فى الصحابة على ما حرره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق وابن سيد الناس (اردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة) وفى رواية زاد رسول الله (قلت نعم قال ماكنت) وفى رواية ماذا (تحدث به نفسك قلت لاشئ) وفى رواية زاد كنت اذكر الله تعالى (فضحك واستغفر لى) اى قال غفر الله لك ما خطر ببالك او اراد به استحقاق الغفران بتوفيق الايمان وفى رواية فضحك النبي ثم قال استغفر الله (ووضع يده على صدرى فسكن قلبى) اى واطمأن بمعرفة ربى (فو الله مارفعها) اى يده عن صدرى (حتى ماخلق الله شيئا احب الى منه ومن مشهور ذلك) اى مما ذكر من عصمة الله سبحانه وتعالى له على مارواه ابن اسحق والبيهقى بلا اسند وابونعيم فى الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) اى ابن مالك العامرى سيد بنى عامر فى الجاهلية كذا قال الذهبى فى تجريد الصحابة وقال روى عنه ابو ذبابة ذكره المستغفرى واجمع اهل النقل على ان عامرا مات كافرا وقد اخذته غدة وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية قال الحلبى ولاشك فيما قاله الذهبى فى قصته لما فى صحيح البخارى بنحو من اللفظ الذى ذكره (واربد) بفتح فسكون ففتح (ابن قيس) هو لبيد ابن ربيعة لامه ولبيد صحابى وكان اربد شاعرا ايضا بعث الله عليه صاعقة فاحرقته كافرا بالله سبحانه وتعالى وفيه نزل قوله تعالى فيرسل الصواعق الآية (وفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى متفقين على قتله (وكان عامر قال له) اى لاربد (انا اشغل عنك وجه محمد) اى بالكلام معه (فاضربه انت) اى من خلفه (فلم يره فعل شيئا) اى مما قاله (فلما كلمه فى ذلك) اى بالمعاتبة عن تقصيره هنالك (قال له والله ماهممت) اى ماعزمت (ان اضربه الا وجدتك بينى وبينه أفاضربك) الهمزة الاولى استفهام انكارى والثانية للمتكلم وهو اربد والمخاطب هو عامر قال البرقى فى غريب الموطأ وفد عامر واربد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعواه ان يجعل الامر بعده الى عامر ويدخلان فى دينه فابى عليه الصلاة والسلام فقال له اكون على اهل الوبر وانت على اهل المدر فابى عليه الصلاة والسلام فخرجا من عنده (ومن عصمته تعالى له) وفى نسخة ومن عصمته له تعالى وهو خطأ فاحش (ان كثيرا من اليهود) اى من احبارهم ورهبانهم (والكهنة) اى ممن يزعم انه يخبر عن الكوائن المستقبلة (انذروا به) اى اعلموا الناس بقرب نوره وخوفوهم بظهوره فان الانذار اعلام بتخويف (وعينوه لقريش) اى وبينوه لهم خصوصا من جهة نسبه وحسبه وعلامة ولادته وامارة سيادته وسعادته (واخبروهم بسطوته بهم) اى بغلبته عليهم وشوكته لديهم (وحضوهم) اى حثوهم وحرضوهم (على قتله) اى قبل ظهور نصره (فعصمه الله تعالى) اى من كيد كل عدو ومكره (حتى بلغ) بتخفيف اللام اى وجدوتم (فيه امره) وفى نسخة حتى بلغ عنه امره بتشديد اللام ونصب امره (ومن ذلك نصره بالرعب) بسكون العين ويضم اى بالخوف فى قلب اعدائه (مسيرة شهر) اى من كل جانب له (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه الشيخان

﴿ فصل ﴾

(ومن معجزاته الباهرة) اى آياته الظاهرة (ماجمعه الله له من المعارف) اى الجزئية (والعلوم) اى الكلية والمدركات الظنية واليقينية اوالاسرار الباطنية والانوار الظاهرية (وخصه) اى وما خصه به (من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين) اى ما يتم به اصلاح الامور الدنيوية والاخروية واستشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم وجد الانصار يلقحون النخل فقال لو تركتموه فتركوه فلم يخرج شيئا او اخرج شيصا فقال انتم اعلم بامر دنياكم واجيب بانه انما كان ظنا منه لا وحيا وقال الشيخ سيدى محمد السنوسى اراد انه يحملهم على خرق العوائد فى ذلك الى باب التوكل وماهنالك فلم يمتثلوا فقال انتم اعرف بدنياكم ولو امتثلوا وتحملوا فى سنة اوسنتين لكفوا امر هذه المحنة انتهى وهو فى غاية من اللطافة (ومعرفته) بالرفع عطفا على ماواالاقرب جره بالعطف على الاطلاع (بامور شرائعه) اى احكامه المتعلقة بالعبادات والمعاملات (وقوانين دينه) اى من القواعد الكلية المندرج تحتها الفروع الجزئية (وسياسة عباده) اى الجامعة بين صلاح معاش الخلق ومعادهم (ومصالح امته) اى المتعلقة بامر زادهم فى حق عبادهم وزهادهم (وما) اى ومعرفته بما (كان فى الامم قبله) اى من احوالهم وما جرى لهم من نجاة وهلاك فى مآلهم

(وقصص الانبياء والرسل) اي من دعاة الخلق الى دين الحق (والجبابرة) اى من الكفرة والفجرة المتكبرة (والقرون الماضية) اى فى الازمنة الخالية (من لدن آدم) بضم الدال وسكون النون وسكون الدال وكسر النون و يروى من زمن اى من ابتداء زمن آدم (الى زمنه) اى زمن الخاتم سيد العالم صلى الله عليهما وسلم (وحفظ شرايعهم وكتبهم) اى بما نفذ فه الله فى قلبه فروى قلبه عن ربه (ووعى سيرهم) بسكون العين اى واحاطة انواع سيرتهم واصنافى طريقتهم مع اتحاد جنس ملتهم (وسرد انبائهم) اى وذكر اخبارهم متتابعا (وايام الله فيهم) اى وقايعه الكائنة فيهم من الهلاك والنجاة (وصفات اعيانهم) اى افاضلهم كذا قاله التلمسانى والاظهر ان المراد بهم جماعة معينة من المؤمنين كذى القرنين والخضر ولقمان ومن الكافرين كفرعون وقارون وهامان (واختلاف آرائهم) جمع رأى بمعنى اهوائهم كعبادة قوم ابراهيم الاوثان وقوم موسى العجل وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة من العلم والحياة وروح القدس وتعبيرهم عنها بالاب والام والابن (والمعرفة بمددهم) بضم الميم جمع مدة اى ايام مكثهم فى الدنيا جملة (واعمارهم) اى على اختلافها قلة وكثرة (وحكم حكمائهم) بكسر الحاء وفتح الكاف اى والمعرفة بما صدر من انواع الحكمة عن اصناف حكمائهم (ومحاجة كل امة) اى مجادلتهم ومعالتهم (من الكفرة) اى بما يناسبهم فى الدعوة كابطال الاصنام بان ليس لها منفعة ولاقدرة لها على مضرة وكمحاجة نصارى نجران فى دعواهم ان عيسى ابن الله فدعاهم الى المباهلة فابوا وبذلوا له الجزية (ومعارضة كل فرقة من الكتابيين) اى من اهل الكتابين وهما التوراة والانجيل (بما فى كتبهم) كمعارضة يهود فى دعواهم ان من زنى منهم محصنا عقوبته التحميم والتجبية اى يسود وجوههما ويحملان على دابة يخالف بين وجوههما يجعل ظهر احدهما الظهر الآخر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انشدكم بالله ما تجدون فى التوراة على من زنى قال حبرهم اذ نشدتنا فعليه الرجم فامر صلى الله تعالى عليه وسلم بهما فرجما عند باب مسجده فى بنى غنم بن مالك بن النجار (واعلامهم باسرارها) اى واعلامه اهل الكتاب باسرار كتبهم (ومخبئات علومهم) اى مخفيات اخبارهم وفى نسخة علومها (واخبارهم) اى واعلامه اياهم (بما كتموه من ذلك) ككتمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة والانجيل (وغيروه) اى بذكر اضداده وبتصحيفه او تحريفه لمبناه او معناه (الى الاحتواء) اى مع احتوائه واشتمال علومه فى بنائه (على لغات العرب) اى مع كثرتها واختلاف مادتها وبنيتها وهيئتها فى تأديتها من متداولاتها (وغريب الفاظ فرقها) بكسر الفاء وفتح الراء اى غرائب معانى طوائف العرب من شواذها ونوادرها (والاحاطة بضروب فصاحتها) اى بانواع فصاحتها فى مفرداتها ومركباتها حيث خاطب كل فرقة بلغاتها كامر فى مخاطبته لاقيال حضرموت فى محاوراتها (والحفظ لايامها) اى وقايع العرب فى الحرب فى اوقاتها (وامثالها) اى كلماتها التى يضربون المثل بها كقولهم ضيعت اللبن فى الصيف ونحوها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حمى الوطيس اى اشتد حمى تنور الحرب (وحكمها) اى والحكميات الواردة فى لسانها مع اللطافة فى سان بيانها وسلطان برهانها (ومعانى اشعارها) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

﴿الا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل﴾

وكانساده نحو قوله (ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * وقوله * ويأتيك بالاخبار من لم تزود)

وامثالها (والتخصيص بجوامع كلمها) اى بما مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة وقد جمعت اربعين حديثا مما اشتمل كل على كلمتين فقط (الى المعرفة) اى منضمة الى المعرفة (بضرب الامثال الصحيحة) اى من الكلمات البديعة المشيرة الى المرادات الصريحة (والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض) اى الخفى بالنسبة الى الجاهل (والتبيين للمشكل) لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا لما نزل (الى) اى مع (تمهيد قواعد الشرع) اى ما شرع لنا من طريق الاصل والفرع (الذى لاتناقض فيه) اى فيما ارسل الينا وفى نسخة فيها اى فى قواعده لدينا (ولا تخاذل) اى ولا تعارض (فيما انزل علينا) اى لا كثيرا ولا يسيرا كما قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (مع اشتمال شريعته) اى المتضمنة لمكارم الافعال (على محاسن الاخلاق) اى فى طريقته (ومحامد الاداب) اى المورثة لجامع الاحوال فى حقيقته (وكل شئ مستحسن مفصل) بالصاد اى مبين ومعين وفى نسخة بالمعجمة اى مفضل على غيره كما يشير الى هذا المرام قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (لم ينكر منه) اى من شرعه ولو هو (ملحد) اى جائر لكنه (ذو عقل سليم) اى وطبع قويم (شيئا) اى اصلا (الامن جهة الخذلان) وهو عدم توفيق العرفان فينكره من غير البرهان بل على جهة العدوان وطريق الطغيان (بل كل جاحد له) اى منكر لما ذكر (وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه) اى فيما ظهر لديه (واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه) اى كما سبق من كلام المغيرة وابى جهل وابى طالب (ثم ما احل لهم من الطيبات) اى مما حرم على غيرهم منها كلحم كل ذى ظفر وشحم البقر (وحرم عليهم من

(الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير مما احل لغيرهم كالخمر (وصان) اى وما حفظ (به انفسهم) اى دماء هم (واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض (واموالهم من المعاقبات والحدود) اى المرتبة على اسبابها كالقصاص وحد القذف والسرقة (عاجلا) اى فى الدنيا (والتخويف) وفى اصل الدلجى والتحريق (بالنار آجلا) اى فى العقبى (مما لا يعلم ولا يقوم به) اى بعمل كله (ولا ببعضه الا من مارس الدرس) اى من درس الكتب الالهية (والعكوف على الكتب) اى القيام والاطلاع على كتب العلماء الربانية (ومنا فنة بعض هذا) بالمثلثة والفاء والنون اى متابعة بعض ماذكر (الى الاحتواء) اى مع اشتمال شريعته (على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب) بكسر الطاء وتثلث (والعبارة) بكسر العين اى التعبير للرؤيا (والفرائض) اى المتعلقة بالارث (والحساب) اى كمية الاعداد (والنسب) بفتحتين اى معرفة الانساب (وغير ذلك من العلوم) اى انواعها الآتى بعضها (مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها) قال الدلجى اى فى شريعته والظاهر فى هذه المعارف (قدوة) بضم القاف وكسرها وتفتح اى مقتدى (واصولا) اى قواعد كلية (فى علمهم) اى فى اساس علومهم (كقوله عليه الصلاة والسلام) على مارواه ابن ماجه عن انس (الرؤيا لاول عابر) اى معبر ذى رأى ثاقب عالم بالعبارة على وجه الاشارة اذا اصاب وكان يحسن تعبيرها فاذا اعتبر شروطها وعبرها وقعت وكان ابن سيرين يقول انى اعتبرت الحديث والمعنى انه يعبرها به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا برجل فاسق والمرأة بالضلع اخذا من تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم لها سقاو تسميتها ضلعا (وهى) اى الرؤيا (على رجل طائر) كما رواه ابو داود والترمذى وصححه اى قدر جار وقضاء ماض وحكم نافذ من خير او شر او نفع او ضر وقال ابن قتيبة اراد انها غير مستقرة يقال للشئ اذا لم يستقر هو على رجل طائر وعلى قرن ظبى وقال ابن الاثير هو من قولهم اقتسموا دارا فطار سهم فلان ناحية كذا يعنى ان الرؤيا هى التى يعبرها المعبر الاول فكانها سقطت ووقعت حيث عبرت كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بادنى حركة انتهى والحاصل ان هذا تمثيل وتصوير لجعلها على قدر قدره الله تعالى لصاحبها بشئ متعلق برجل طائر يسقط بادنى حركة فاذا عبرها اول عابر فكانها كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت لك من شئ فهو طائر ومنه قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه اى حركاته فى عباداته ومعاملاته فى ذمته غير منفكة عنه (وقوله) اى كما رواه الشيخان وغيرهما هذا وقد قيل الرؤيا امثال يضربها ملك الرؤيا والله يعلم بها من يشاء روى ان امرأة اتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت رأيت كان جائزة بيتى قد انكسرت فقال عليه الصلاة والسلام يرد الله غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل ذلك فاتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابا بكر رضى الله تعالى عنه فاخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل قصصتها على احد قالت نعم قال هو كما قيل لك (الرؤيا ثلاث) اى ثلاثة انواع (رؤيا حق) بالاضافة اى ثابت موافق وصدق مطابق كرؤية الانبياء والاصفياء فانها تخرج على وجهها او على نحو ما اول بها (ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه) فيراها فى منامه فهى اضغاث احلام وخيالات منام (ورؤيا تحزين) بالجر وفى نسخة بالرفع (من الشيطان) بان يرى فى منامه مايكون سببا لحزنه كما فى حديث مسلم جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رأيت فى المنام كان رأسى قطع فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اذا الم الشيطان باحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس وفى رواية اذا رأى فى منامه ما يحبه فليحمد الله واذا رأى مايكره فليتعوذ من شرها ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره (وقوله) اى فيما رواه الشيخان عن ابى هريرة مرفوعا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) وفى رواية اذا اقترب والمراد اقتراب الساعة ويؤيده حديث فى آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وقيل المراد قصر الايام والليالى على الحقيقة وقيل تقارب الليل والنهار من الاعتدال لقول العابرين ان اصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار والازهار ووقت ادراك الثمار حين يستوى الليل والنهار وفى بعض الاخبار اصدق الرؤيا بالاسحار رواه احمد والترمذى وابن حبان والبيهقى عن ابى سعيد هذا وكان الانسب للمصنف ان يرتب كل مايتعلق بعلم من العلوم المذكورة على وفق ماقدمه من المعارف المسطورة لكنه رحمه الله شوش النشر وقدم الرؤيا على الطب ثم قال (وقوله) كما رواه الدارقطنى فى العلل عن انس وضعفه وابن السنى وابو نعيم فى الطب عن على وعن ابى سعيد وعن الزهرى مرسلا (اصل كل داء البردة) بفتحتين وقد تسكن الراء اى التخمة وثقل الطعام على المعدة وسميت بردة لانها تبرد المعدة فلا يستمرئ الطعام فى العادة وعلاجه اولا بالقيئ وثانيا بالاسهال (وما روى عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فى حديث ابى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط (من قوله المعدة) بفتح فكسر وقيل بكسر فسكون (حوض البدن) لجمعها الطعام كجمع الحوض الماء (والعروق اليها واردة) اى تتصاعد اليها بمنافع الطعام نفعا لابدان الانام (وان) وصلية

(كان هذا) اى الحديث (حديثا) وفى نسخة وان كان هذا الحديث (لاتصححه) اى لا تحكم بصحته بل ولا بثبوته (لضعفه) اى لضعف سنده عند بعضهم (وكونه موضوعا) اى عند غيرهم (تكلم عليه الدارقطنى) اى مضعفا له والله سبحانه وتعالى اعلم (وقوله) كما رواه الترمذى عن ابن عباس (خير ما تداويتم به السعوط) بفتح فضم ما يجعل فى الانف من الدواء (واللدود) ما يسقاه المريض فى احد شقى فمه (والحجامة) بكسر اوله (والمشى) بفتح فكسر فشدة المسهل ويقال بفتح ميم فسكون شين فتخفيف وسمى به لحمله صاحبه على كثرة المشى الى الخلاء (وخير الحجامة) اى وقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه خير الحجامة (يوم سبع عشرة) اى من كل شهر (وتسع عشرة) بسكون الشين وتكسر (واحدى وعشرين) زاد ابو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا كان شفاء من كل داء هذا والتأنيث باعتبار مضاف مقدر اى يوم ليلة سبع عشرة مراعاة للاسبق منهما فان ليلة الشهر منه وقيل سبق الليل فى الوجود ايضا وفى قوله تعالى نسلخ منه النهار ايماء الى ذلك وانه اصل هنالك وابعد الدلجى فى قوله بحذفه المميز كما فى حديث من صام رمضان فاتبعه ستا من شوال فكانما صام الدهر كله فان لفظ اليوم مميز مستغنى عن مميز آخر واما قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا فلمجرد التأكيد (وفى العود) اى وفى قوله كما رواه البخارى عن ام قيس فى العود (الهندى) قيل هو القسط البحرى وقيل عود التبخر قاله ابن الاثير (سبعة اشفية) قيل المراد بها الكثير (منها ذات الجنب) كما فى حديث وخص بالذكر لانه اصعب داء فلما يحصل فيه شفاء (وقوله) اى كما رواه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدى كرب (ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لابد) اى بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لامحالة (فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) والنفس بفتحتين بمعنى التنفس وفى الاصول المذكور لطعامه وشرابه ولنفسه بالاضافة (وقوله) اى فى علم النسب كما رواه احمد والترمذى (وقد سئل عن سبأ) بكسر الهمزة وبفتحها وبابدالها الفا كما قرئ بها فى قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية (أرجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل) اى هو ابو قبيلة سميت به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل اسم مدينة (ولد عشرة) اى ولد له عشرة اولاد وهو بمكة (تيامن منهم ستة) اى اخذوا نحو اليمن فتولدوا ونزلوا فيه واكثر قبائله منهم وهم كندة والاشعرون والازد ومذحج وانمار وحمير الذين منهم خثعم وبجيلة وفى الحديث الايمان يمان والحكمة يمانية لان الايمان بدا من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن (وتشاءم اربعة) اى اخذوا نحو الشام وهو من العريش الى الفرات وهم عاملة ولخم وجذام وغسان (الحديث بطوله) اى مما يدل على طول باعه فى هذا الفن (وكذلك جوابه فى نسب قضاعة) بضم القاف (وغير ذلك) اى من سائر النسب (مما اضطربت العرب) بصيغة الفاعل او المفعول ورجحه التلمسانى اى اضطربت واختلفت والجأت او الجئت (على شغلها بالنسب) اى مع كمال اشتغالهم بعلم النسب (الى سؤاله) اى سؤالهم اياه (عما اختلفوا فيه من ذلك) ومن ذلك ما رواه احمد وابو يعلى والبزار والطبرانى عن عمرو ابن مرة الجهنى قال صلى الله تعالى عليه وسلم من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك بن حمير (وقوله) اى كما رواه البزار وقال العسقلانى انه منكر (حمير) بكسر فسكون ففتح ممنوعا قبيلة معروفة من اليمن (رأس العرب) اى اساسها واصلها (ونابها) اى عمدة اهل كلامها الشرفهم فانهم ولد معد بن عدنان من ولد اسمعيل بن خليل الرحمن (ومذحج) بالذال المعجمة والحاء المهملة والجيم كمجلس على ما فى القاموس وقيل بفتح وهو قبيلة فعبارة الدلجى بالدال المهملة (هامتها) بتخفيف الميم وهى وسط الرأس اى اشرفها او رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة ثم لام ساكنة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ فى الحلق وهو اشارة الى تمكنهم فى الشرف وعلوهم واصالتهم وعظمهم (والازد) بالزاى الساكنة قبيلة من اليمن (كاهلها) بكسر الهاء مقدم الظهر ما بين كتفيه وهو محل الحمل اى عمدتها (وجمجمتها) بجيمين مضمومتين عظم الرأس المشتمل على الدماغ اى سادتها وقيل جماجم العرب هى القبائل التى تجمع البطون فكاهل مضر تميم (وهمدان) بفتح فسكون فدال مهملة قبيلة معروفة (غاربها) بكسر الراء ما بين السنام والعنق (وذروتها) بكسر الذال وضمها وبفتح وسكون الراء اى اعلاها والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين ما لهذه القبائل من الفضائل وهذا من علم الانساب (وقوله) اى فى علم الحساب كما رواه الشيخان عن ابى بكرة (ان الزمان قد استدار) اى رجعت اشهره الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل نسيء الجاهلية من تأخيرهم حرمة شهر الى آخر وكانت حجة الوداع التى ذكر فى خطبتها هذا الحديث فى السنة التى استدار فيها (كهيئته) اى ترتيبه وصفته (يوم خلق الله السموات والارض وقوله) اى فى معرفة المساحة كما رواه الشيخان عن ابن عمرو (فى الحوض) اى الكوثر (زواياه سواء) اى مربع تربيعا مستويا لايزيد طوله على عرضه (وقوله) اى فى معرفة جمع العدد كما رواه ابو داود (فى حديث الذكر) اى الاذكار حيث قال تسبح عشرا وتحمد عشرا وتكبر عشرا وثلاث

ثلاثون (وان الحسنة بعشر امثالها فتلك) اى الكلمات المذكورة دبر الصلوات المزبورة بمجموعها (مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة فى الميزان وقوله) اى فيما رواه الطبرانى بسند ضعيف عن ابى رافع (وهو بموضع) اى فى موضع لبس به حمام وفى اصل التلمسانى ومر بدل وهو وعلى كل فالجملة حال (نعم موضع الحمام هذا) وهذا من علم الهندسة ومعرفة المساحة فكان اولى بعد ذكر الحوض لما بينهما من المناسبة (وقوله) كما رواه الترمذى عن ابى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) اى لاهل المدينة ونحوهم ممن هو فى جنوبه او شماله قال التلمسانى هذا فى طيبة ولكل مدينة بين مشرقها ومغربها لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعل جميع مايقع بين المشرق والمغرب قبلة ومساحة الكعبة لاتفى بما بينهما وانما تفى جهتها فهو حجة العامة فى عدم اشتراط اصابة عين الكعبة للنائى عنها وهذا من جملة علوم الهندسة المتعلقة بمعرفة القبلة وظاهره ان القبلة هى الجهة لاعين الكعبة والافلا وجه للخصوصية فهو حجة للحنفية على الشافعية (وقوله) اى فى معرفة الفرس (لعيينة) بالتصغير وهو ابن حصين الفزارى من المؤلفة قلوبهم شهد حنينا والطائف قال الذهبى وكان احمق مطاعا دخل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واساء الادب فصبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جفوته واعرابيته وقد ارتد ثم اسر فمن عليه الصديق ثم لم يزل مظهر الاسلام وكان يتبعه عشرة آلاف فقاه انتهى وقال غيره اسلم يوم الفتح وقيل قبله وقال الواقدى انه عمى فى خلافة عثمان (اوللاقرع) اى ابن حابس التميمى وفد بعد الفتح وشهد مع خالد بن الوليد حرب اهل العراق وكان على مقدمته واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فاصيب هو والجيش بجوزجان وكان من المؤلفة (انا افرس) مأخوذ من الفراسة اى انا اعرف (بالخيل منك) وفى نهاية غريب الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له انا اعلم بالخيل منك فقال له وانا افرس منك (وقوله) اى كما رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (لكاتبه) اى لاحد من كتابه اولكاتبه الاخص به وهو زيد وقيل معاوية وفى ابى داود عن ابن عباس قال السجل كان كاتبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق فى كلام الحلبى ان كتابه بلغوا ثلاثا واربعين الا ان ابن ابى سرح ارتد ثم رجع ومات ساجدا لله واما ابن خطل فقتل يوم الفتح وهو متعلق باستار الكعبة لقوله عليه الصلاة والسلام من قتل ابن خطل فهو فى الجنة واختلف فى قاتله (ضع القلم) اى اذا فرغت (على اذنك) اى فوقها (فانه) اى وضعه هذا (اذكر) اى اكثر تذكرا قال الحلبى لانه يقتضى التؤدة وعدم العجلة (للممل) بضم الميم الاول وكسر الثانى وتشديد اللام اى للممل كما فى نسخة من امللت وامليت وبهما ورد القرآن وليملل الذى عليه الحق فهى تملى عليه (هذا) اى ما ذكر مما جمع له صلى الله تعالى عليه وسلم من المعارف والعلوم (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكتب) والا ظهر ان الاشارة الى ما سبق من تعليم بعض كتابه ما يتعلق بعلم الخط وادابه واما عدم كتابته فلحديث انا امة لانكتب ولانحسب ذكره الدلجى وفيه ان نفى الشئ عن الجنس لايوجب انتفاءه عن جميع افراده بدليل انه كان فيهم من يكتب فالاولى هو الاستدلال بقوله تعالى وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (ولكنه) اى مع كونه اميا (اوتى علم كل شئ) اى لدينا (حتى قد وردت آثار) اى اخبار (بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها) اى من تطويلها وتدويرها (كقوله لاتمد) وفى نسخة لاتمدوا اى لاتطولوا (بسم الله الرحمن الرحيم) اى سينه من غير تبيين سنه مخافة ان يظن باء ممدودة فيقرأ بالباء والميم من غير سين بينهما لما روى الدارمى عن زيد بن انس اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (رواه ابن سعبان) وهو ابو اسحق المصرى المالكى له ترجمة فى الميزان قال فيها وهاه ابن حزم ولا ادرى لماذا انتهى ومات سنة خمس خمسين وثلاثمائة (من طريق ابن عباس وقوله) اى كما فى مسند الفردوس (فى الحديث الآخر الذى يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له الق الدواة) بفتح الهمزة وكسر اللام امر من الاق الدواة اذا جعل لها ليقة واصلح لها مدادها وهو بمعنى مجرده لاق على ما فى القاموس فقول الجوهرى والاق لغة اى قليلة لاردية (وحرف القلم) بتشديد الراء المكسورة امر من التحريف اى اجعل طرف شقها لايمن ازيد من الطرف الآخر قليلا لانه اسرع فى الكتابة وابدع فى اللطافة (وانصب الباء) اى طولها (وفرق السين) اى سنانها (ولاتعور الميم) اى لاتطمسها بل بين وسطها وهو بتشديد الواو وبعد العين المهملة واما ما فى اصل الدلجى بالقاف بعد كونه عينا فاصلح فى نسخة قرئت على المصنف وعليها خطه فخطأ فاحش وتصحيف وتحريف لما فى القاموس قار الشئ قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوره (وحسن الله) اى جميع حروفه (ومد الرحمن) اى اكثر حروفه من الحاء والميم والنون او آخرها وهو الاولى (وجود الرحيم) اى حروفه لاسيما الميم وقد روى الديلمى عن انس اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن اى مدا ليمد له الرحمن مدا وقيل خص الرحمن بالمد لعموم الرحمة الشاملة للدنيا والآخرة وخص الرحيم بالتجويد لانه يختص باصحاب التوحيد (وهذا) اى ما ذكر مما شهد

بان مما اوتيه من المعارف معرفة حروف الخط (وان لم تصح الرواية) اى من احد رواة الحديث واصحاب الدراية (انه عليه الصلاة والسلام كتب) اى بيده (فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة) اى لحكمة تقتضى هنالك كما قدمنا ذلك قال الدلجى ولا يبعد ايضا وان كان يحرم عليه التوصل اليهما معرفة ان يقعا منه فى وقت معجزة له وكرامة بشهادة ما فى صحيح البخارى فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله وفيه فى عمرة القضاء انه قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله انتهى ولا يخفى ان لفظ كتب وقع مجازا لا شك فيه على ما قال له الحلبى وقال ابو الوليد الباجى حقيقة وهو فى هذا القول شاذ منفرد عن الجماعة والمسئلة شهيرة وملخصها ان اللفظة صحيحة مبنى وهى مجاز معنى لانها ليست بصحيحة اصلا كما توهم عبارة المصنف هذا ووقع فى سيرة ابى الفتح اليعمرى ما لفظه وقد روى البخارى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب ذلك بيده قال الحلبى قوله بيده لم ارها فى صحيح البخارى والله سبحانه وتعالى اعلم ثم اعلم ان المراد بالقراءة القراءة بالنظر لا مطلق القراءة فالمعنى منع الكتابة والقراءة من الكتابة وقد ابعد التلمسانى فى جعل القراءة معطوفة على العلم اى رزق العلم والقراءة ومنع الكتابة انتهى وبعده لا يخفى فى اعراب المبنى واغراب المعنى (وما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معانى اشعارها) اى خصوصا (فامر مشهور قد نبهنا على بعضه) اى بعض ما ورد عنه فى لغات العرب لا فى اشعارهم (اول الكتاب) وفى نسخة فى اول الكتاب اى على ما سبق من غرائب مبانيها وبيان معانيها ومنها قوله عليه الصلاة والسلام وقد انشده كعب بن زهير فى لاميته قوله (قنواء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل) فقال لاصحابه ما الحرتان فقالوا العينان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الاذنان وما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم هو المعروف عند العرب الاول فى الحرتين ومنها ما انشده كعب بن مالك فى قصيدته العينية وفيها قوله

﴿مجالدنا عن جزمنا كل فخمة * مدربة فيها القوانس تلمع﴾

فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايصلح ان يقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو احسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا على ما قاله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك حفظ كثير من لغات الامم) اى مما عدا العرب (كقوله فى الحديث سنه سنه) بفتح السين وتخفيف النون وتشدد فهاء ساكنة فيهما وفى رواية سناه سناه وفى اخرى سناسنا بفتح مهملتها وكسرها رواية القابسى وشدد نونها وخففها ابو ذر وغيره قال ابن قرقول كلها بفتح السين وتشديد النون الا عند ابى ذر فانه خفف النون والا القابسى فانه كسر السين وقال ابن الاثير فى النهاية قيل سنا بالحبشية حسن وهى لغة وتخفف نونها وتشدد وفى رواية سنه وفى اخرى اسناه بالتشديد والتخفيف فيهما وقال الهروى فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ الخميصة بيده ثم البسها ام خالد وقال لها ابلى واخلق ثلاث مرات ثم نظر الى علم فيها اخضر واصفر فجعل يقول يا ام خالد سنا سنا بالحبشية حسن وهى لغة انتهى وام خالد هذه هى ابنة خالد بن سعيد التى ولدت بارض الحبشة وهى امرأة الزبير بن العوام وهى التى كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صغيرة وابوها اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ومات باجنادين شهيدا استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على صنعاء اليمن فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد ابو بكر رضى الله تعالى عنه ان يستعمله قال له لا اعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهى) اى معنى هذه الكلمة (حسنة بالحبشية) اى باللغة المنسوبة الى الحبشة ولا يبعد ان تكون عربية وحذف الحاء للايماء الى قصد الرمزية وقال عكرمة السنا الحسن ولا يبعد ان يطلق السنا بمعنى النور ويراد به الحسن والظهور (وقوله) اى كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق (ويكثر الهرج) بهاء مفتوحة فراء ساكنة فجيم (وهو القتل بها) اى بالحبشة وقد سئل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال القتل ونص عليه كثير من ائمة اللغة فهو من توافق اللغتين واما قول ابن قرقول الهرج باسكان الراء فسره فى الحديث بالقتل بلغة الحبش فقوله بلغة الحبش من بعض الرواة والا فهى كما عرفت عربية صحيحة (وقوله فى حديث ابى هريرة اشكنب درد) بفتح الهمزة وسكون الشين وتفتح والكاف ساكنة فنون وفتح الباء وتكسر وتضم وتسكن فدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة وفى نسخة الاولى منهما معجمة وفى اخرى دردم بميم فى آخره (اى وجع البطن بالفارسية) فان اشكنب هو البطن ودرد معناه الوجع واهل اصلها اشكم بدردم بكسر الهمزة وفتح الكاف بعده ميم وباتصال الباء بدردم بالمهملتين وميم المتكلم فيكون فيه نوع تقريب اولفظ غريب هذا والحديث رواه ابن ماجه وفى سنده داود بن علية والكلام فيه معروف قال الذهبى فى ميزانه روى جماعة عن داود بن علية عن مجاهد عن ابى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا ابا هريرة

اشكنب درد قلت لاالحديث اجد في مسنده والاصح مارواه المحاربي عن ليث عن مجاهد مرسلا فقوله لايد ل على استفهام مقدر اوملفوظ ان تكن الشين مفتوحة فانه لغة ويدل ايضا على بطلان نسخة زيادة الميم لكنه فيه اشكال وهوانه لايظهر وجه خطاب ابي هريرة بهذه الكلمة اللهم الاان يحمل على المزاح والمطايبة في المخاطبة ثم رأيت التلمساني ذكرالحديث ولفظه قال ابوهريرة دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مضطجع على بطنه فقلت له ماهذايارسول الله فقال اشكنب درد م ثم فسره صلى الله تعالى عليه وسلم وتمام الحديث وعليك بالصلاة فانها شفاء من كل متم ونقل الانطاكي من اكمال ابن ماكولا عن ابي الدرداء قال رأني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا نائم مضطجع على بطني فضربني برجله فذكرالحديث قال وهومخالف لماتقدم قلت ولامنع من الجمع والله تعالى اعلم هذا وحديث العنب دو دو يعني ثنتين ثنتين والتحريك يعني واحدة مشهور على السنة العامة ولااصل له عندالخاصة (الى غيرذلك) اى مع غيرماذكر من المعارف السنية والعوارف البهية (مما لايعلم بعض هذا ولايقوم به) اى بكله (ولا ببعضه) اى عادة (الا من مارس الدرس) اى داوم المدارسة ولازم المدرسة (والعكوف على الكتب) اى المواظبة على مطالعة الكتب المطولة (ومثافنة اهلها) بالمثلثة والفاء والنون اى مجالسة اهل العلوم وفي نسخة بالقاف والموحدة بمعنى المباحثة (عمره) بالنصب اى في جميع ايام عمره من غيرضياع دهره (وهو) اي والحال انه عليه الصلاة والسلام (رجل) معروف وموصوف (كما قال تعالى) في حقه عند قوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي (امي) اى منسوب الى امه يعني كما ولد بعينه (لم يكتب) اى بيده (ولم يقرأ) اى بنظره اومطلقا قبل بعثه (ولاعرف) اى هوصلى الله تعالى عليه وسلم (بصحبة من هذه صفته) اى بمصاحبة اهل الدراسة والقراءة والكتابة (ولانشأ) اي ولاانتشأ ولاتربى (بين قوم لهم علم) اى دراية (ولاقراءة) اى رواية (بشيء من هذه الامور) اى التي يمكن بمدارستها الاتصاف بممارستها (ولا عرف هو قبل) اى قبل بعثته ودعوى نبوته (بشيء منها) اى من امور القراءة والدراسة والكتابة ويروى ولا عرف هو قبل شيئا (قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله) اى قبل نزول القرأن (من كتاب) اى من الكتب الالهية وغيرها (ولا تخطه بيمينك) اى ولاتكتبه من قبل ايضا وقوله بيمينك اى بيدك للتأكيد كما في قولهم رأيت بعيني وسمعت باذني (الآية) تمامها اذا لارتاب المبطلون اى لوكنت قارئا كاتبا لشك اهل الباطل المتعلق بغير الطائل اذلاكل كاتب وقارىء قادر ان يأتي بهذا الكتاب الذي عجز عن الاتيان باقصر سورة منه جميع ارباب الالباب والحاصل ان صدور هذا النور وظهور هذه الامور على يدي الامي اظهر معجزة وابهر كرامة وابعد شبهة مما لوظهر على يد القارىء الكاتب لاسيما وقدكان يحصل الارتياب لاهل الكتاب لكونه النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل هذا والجمهور على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب وقيل كتب مرة واحدة وهوقول الباجي وصوبه بعضهم فانه لايقدح في المعجزة كونه كتب مرة واحدة بل يكون معجزة ثانية قال القرطبي في مختصره قوله في البخاري فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب ظاهر قوي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده وقد انكره قوم تمسكا بقوله تعالى وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك الآية ولانكرة فيه فان الخط المنفي عنه الخط المكتسب من التعلم وهذا خط خارق للعادة اجراه الله تعالى على انامل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بقائه انه لايحسن الكتابة المكتسبة وهذا زيادة في صحة نبوته انتهى ولا يخفى ان في قوله وما كنت تتلو من قبله اى من قبل نزول القرأن وحصول النبوة والرسالة اشارة الى انه كان ممنوعا من القراءة والكتابة وهولاينافي ان يعطيهما الله تعالى له بعد تحقق رسالته زيادة في الكرامة (انما كانت غاية معارف العرب النسب) اى علم النسب لكل قبيلة الى حدها من ابيها وجدها (واخبارها وائلها) اى وقائع سلفها من هزلها وجدها وتنعمها وكدها (والشعر) اوزانها وقوافيها (والبيان) اى النثر في الخطب وامثالها او مايتعلق بمافيها حتى كاد ان يكون بيانهم في شعرهم ونثرهم سحرا وشاع وذاع فيمابينهم ذكرا وفكرا وبلغوا غاية البلاغة ووصلوا نهاية الفصاحة نظما ونثرا (وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك) اى عمرا (والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه) اى عصرا (وهذا الفن) اى النوع من العلم بجميع افنانه واغصانه في جميع احيانه وازمانه (نقطة من بحر علمه) اى ونكتة من نهر فهمه وشكلة من شطر كلمه (صلى الله تعالى عليه وسلم ولاسبيل الى جحد الملحد) اى انكار المائل عن الحق والمعاند (بشيء مما ذكرناه) اى من المطالب والمقاصد (ولا وجد الكفرة حيلة) اى مكيدة يتشبثون بها في عقيدة (في دفع ماقصصناه) وفي نسخة مانصصناه اى حكيناه وبيناه (الاقولهم اساطير الاولين) اى هويعني القرأن اقاصيص لسابقين كما حكى الله عنهم بقوله وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقد تولى الله سبحانه وتعالى جوابهم بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وانما

﴿ يعلمه ﴾

يعلمه بشر) اى من الاعجام والاروام (فرد الله قولهم) اى مقولهم هذا لا كما قال الدلجي هو اساطير الاولين وانما يعلمه
بشر (بقوله لسان الذى يلحدون) وفى قراءة بفتح الياء والحاء اى يميلون (اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ماقالوه
مكابرة العيان) بكسر العين اى المعاينة والمشاهدة (فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان) اى الفارسى كما فى نسخة
صحيحة وسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان الخير (اوالعبد الرومى) وهو غلام حو يطب بن عبد العزى اسلم
وكان ذا كتب (وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور ما لاينعد من الآيات) اى القرآنية
اوالمعجزات البرهانية والعلامات الفرقانية فلا يتصور انه كان يعلمه سلمان (واما الرومى فكان اسلم وكان يقرأ
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى اسمه) اى كما سيأتى من انه يعيش او بلعام اوجبرا و يسار (وقيل
بل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده) اى اليه ويقبل عليه لما كان يلمح قابلية الهداية لديه (عند
المروة وكلاهما اعجمى اللسان) اى وضعيف البيان (وهم الفصحاء اللد) بضم اللام وتشديد الدال جمع الالد وهو
شديد الخصومة (والخطباء اللسن) بضم فسكون جمع السن وقيل جمع لسن بفتح فكسر وهو المنطلق اللسان فى ميدان
النطق والبيان (قد عجزوا) بفتح الجيم وتكسر (عن معارضة ما اتى به) اى اظهره (والاتيان بمثله) بل عن الاتيان
باقصر سورة من نحوه (بل عن فهم وصفه) وفى نسخة رصفه بالراء والظاهر انه تصحيف وقيل معناه الاتقان
(وصورة تأليفه) اى تركيبه (ونظمه) اى سلكه فهم اذا عجزوا عن هذا كله (فكيف باعجمى الكن) افعل للمبالغة
من اللكنة وهى بالضم العجمة فى اللسان والعى فى النطق والبيان وابعد الدلجى فى تعبيره اى ابكم (وقد كان سلمان
او بلعام الرومى) بالموحدة المفتوحة وسكون اللام ويقال بلعم (او يعيش) بفتح التحتية الاولى وكسر العين قال
الذهبى فى تجريده يعيش غلام ابن المغيرة قال عكرمة هو الذى نزل فيه يقولون انما يعلمه بشر وقال الحلبى يعيش رأيتهم
قد ذكروه فى الصحابة (اوجبر) بفتح جيم وسكون موحدة هو غلام للفاكه بن المغيرة اسلم وقد روى ان مولاه كان يضربه
و يقول له انت تعلم محمدا فيقول له لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى قال الحلبى ما رأيت له ذكرا فى الصحابة وكذا فى قوله
(او يسار) بفتح التحتية (على اختلافهم فى اسمه) اى اختلاف العلماء فى تعيينه او اختلاف السفهاء فى نسبته من
كمال تحيرهم فى تبيينه (بين اظهرهم) اى كانوا كلهم فيما بينهم عارفين باخبارهم (يكلمونه) وفى نسخة يكلمونه
(مدى اعمارهم) بفتح الميم والدال مقصورا اى مدتها (فهل حكى عن واحد منهم) كسلمان والرومى (شئ) اى صدور
شئ ما (من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة (وهل عرف
واحد منهم) اى وهم عند هم (بمعرفة شئ من ذلك) اى مما جاء به عليه الصلاة والسلام (ومامنع) اى وعلى الفرض
والتقدير اى شئ منع (العدو) اى اعداء من المنكرين وروى المغرور (حينئذ على كثرة عدده) بفتح العين اى اعدادهم
(ودؤب طلبه) بضم دال وهمزة فسكون واو فوحدة اى جده وتعد فى كده (وقوة حسده ان يجلس الى هذا) اى من
سلمان اوغيره واخطأ الدلجى بقوله اى ما جاء به عليه السلام (فيأخذ عنه) وفى نسخة عليه (ايضا) اى على زعمه
(ما يعارض به) اى ما جاء به عليه السلام (ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه) بسكون الغين المعجمة وتفتح على لسان
العامة اى على تهيج شره وخصامه كذا فى اصل الدلجى وهو ظاهر جدا وفى النسخ على شيعته فعلى للعلة اى لاجل
مشايعيه ومتابعيه (كفعل النضر بن الحارث) تقدم انه قتل كافرا (بما كان يمخرق) من المخرقة بالخاء المعجمة
وهى كلمة مولدة كما ذكره الجوهرى ان يزخرف (به من اخبار كتبه) اى مما لايجدى نفعا له ونفيره (ولا غاب
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه) اى غيبة يمكن فيها من تعلمه (ولا كثرت اختلافاته) تردداته (الى بلاد
اهل الكتاب) وفى نسخة الكتب اى كالمدينة ونحوها من بلاد قومه (فيقال) بالنصب (انه استمد منهم) اى استفاد
منهم (بل لم يزل) اى من اول عمره الى آخر امره (بين اظهرهم) اى بينهم (يرعى) اى الغنم (فى صغره وشبابه) وقال
الدلجى يرعى من المراعاة وهى الملاحظة والمحافظة وهو بعيد جدا (على عادة ابنائهم) اى ابناء سلفهم وفى اصل
الدلجى ابنائهم باصلاح انبيائهم وكذا فى نسخة صحيحة وهو ظاهر جدا (ثم لم يخرج عن) وفى نسخة من (بلادهم
الا فى سفرة) اى واحدة (او سفرتين) اى مرة مع عمه ابى طالب فرده من الطريق باشارة بحيرا واخرى فى تجارته
لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة والترديد باو نظرا الى ان الخرجة الاولى هل تسمى سفرة اولا فاندفع
قول الحلبى وهاتان السفرتان ذكرهما جماعة وكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين على انه قد يقال المعنى
بل سفرتين (لم يطل فيها) ويروى فيهما (مكثه) بضم الميم وتفتح اى اقامته ولبثه (مدة يحتمل) بصيغة المعلوم
اوالمجهول (فيها تعليم القليل) اى اليسير (فكيف الكثير) اى فكيف يحتمل فيها تعليم الكثير
والاستفهام للانكار (بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته) بفتح الراء (لم يغب عنهم ولا خالف حاله)

بالنصب اوالرفع والمعنى وما اختلف حاله (مدة مقامه بمكة من تعليم) اى عن معلم عربى ومن بيان لحاله لامزيدة كما قاله الدلجى وفى نسخة ومن تعلم وهوالاظهر (واختلاف الى حبر) بفتح الحاء وتكسر اى عالم يهودى واغرب الدلجى بقوله بكسر المهملة افصح من فتحها ثم كذلك فى معنى المداد الا انه ليس ههنا المراد (اوقس) بفتح القاف ويكسر وضمه خطأ فسين مشددة اى عالم نصرانى وكذا القسيس (اومنجم) اى متعلق بعلم النجوم (اوكاهن) اى ممن يزعم انه يخبر عن كائن (بل لوكان بعد) بضم الدال اى بعد مكثه وتصور تعلمه (هذا كله) اسم كان وفى اصل الدلجى بل لوكان هذا كله بعد وهو ظاهر جدا وفى نسخة صحيحة بل لوكان هذا بعد كله (لكان مجئ ما اتى به فى) وفى نسخة من (معجز القرآن) بل من معجزاته (قاطعا لكل عذر و مدحضا) اى مزيلا ودافعا (لكل حجة) اى ادحضة وفى نسخة صحيحة لكل شبهة (ومجليا) بضم ميم وسكون جيم وتخفيف لام فتحتية مخففة وفى نسخة بفتح الجيم وكسر اللام المشددة لا كما قال الحلبى باسكان الخاء والمعنى كاشفا وموضحا (لكل امر) اى مما يلوح عليه مخايل ريبته

﴿فصل﴾

(ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى خصوصياته فى حالاته (وكراماته وباهر آياته) اى غالب معجزاته (انباؤه) بفتح الهمزة اى اخباره الواقعة له (مع الملائكة والجن وامداد الله) اى اعانته (له بالملائكة) اى المقربين كما فى وقعة بدر وحنين (وطاعة الجن له) بجن نصيبين (ورؤية كثير من اصحابه لهم) اى للملائكة والجن وهذا اجمالى يتبين لك بعد تفاصيل احواله (قال تعالى وان تظاهرا) بتشديد الظاء وتخفيفها والخطاب لعائشة وحفصة اى وان تتعاونا (عليه) اى على النبى بما يسوءه لديه من الافراط فى الغيرة لكثرة ميلهما اليه (فان الله هو مولاه) اى ناصره (وجبريل) بكسر الجيم وفتحها (الآية) اى وصالح المؤمنين كابى بكر وعمر والملائكة اى بقيتهم بعد ذلك اى بعد نصره سبحانه وتعالى ظهير اى مظاهرون له (وقال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) اى بانى معكم معينا لهم (وقال اذ تستغيثون ربكم) اى بمناجاتكم ومناداتكم ياغياث المستغيثين اغثنا اعنا على اعدائنا وعن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الكفار الفا واصحابه ثلاثمائة اى فى بدر فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجزلى ماوعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يانبى الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ماوعدك (فاستجاب لكم) اى ربكم (انى ممدكم) اى بانى معاونكم (الآيتين) اى بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال اى متتابعين وبفتحها اى يردف بعضهم ببعض وكان الظاهر ان يقول الآية ولعله اراد الاشارة بالآيتين من السورتين اى الانفال والبقرة وهى قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فيكون الايماء الى القصتين من بدر واحد حيث وقع الوعد فى الثانى مقيدا بشرط الصبر ولما فقد فقد المدد والنصر ولايبعد ان يراد بالآيتين قوله اذ يوحى وقوله اذ تستغيثون بل هو الاظهر فتدبر (وقال واذ صرفنا) اى املنا ووجهنا (اليك نفرا من الجن) اى جن نصيبين (يستمعون القرآن الآية) اى فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الآيات هذا وقد ورد انه لما حرست السماء نهضوا فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادى النخلة منصرفه يقرأ فى صلاة الصبح فاستمعوا قراءته واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فثابت ايضا كما بينته فى محله وسيأتى ايضا تقرير بعضه (حدثنا سفيان بن العاصى) كذا بالياء والاظهر انه بلاياء فانه معتل العين لا اللام كما قدمنا (الفقيه) سبق ذكره (بسماعى عليه) اى فى حضورى لديه (حدثنا ابو الليث السمرقندى) اى من ائمة الحنفية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء ويسكن (حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا مسلم) اى القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح (ثنا عبيد الله) مصغرا (ابن معاذ) بضم الميم قال ابوداود كان يحفظ عشرة آلاف حديث روى عنه مسلم وغيره (ثنا ابى) ابوه معاذ بن معاذ التميمى العنبرى الحافظ قاضى البصرة قال احمد اليه المنتهى فى التثبت بالبصرة (ثنا شعبة) امام جليل فى الحديث (عن سليمان الشيبانى) اخرجه له الائمة الستة (سمع زر بن حبيش) بالتصغير وزر بكسر الزاى وتشديد الراء هو ابو مريم الاسدى عاش مائة وعشرين سنة وكان من اكابر القراء المشهورين من اصحاب ابن مسعود وسمع عمر وعليا وعنه عاصم ابن ابى النجود وخلق (عن عبد الله) اى ابن مسعود (قال) اى الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) اى ابن مسعود (رأى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل فى صورته) اى اصل خلقته (له ستمائة جناح) يدل على كمال عظمته كما يشير الى مزيته قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير وهذا الموقوف اخرجه البخارى

ومسلم والترمذي والنسائي قال التلمساني قيل رآه في صورته مرتين خاصة وماعداهما لم يره هو وغيره من الملائكة الافي صورة الادميين ليأنس بهم ومن تمام الحديث له ستمائة جناح مثل الزبرجد الاخضر فغشي عليه (والخبر) اي الحديث والاثر (في محادثته) اي مكالمته عليه الصلاة والسلام (مع جبريل واسرافيل وغيرهم) بصيغة الجمع لتعظيمهما اولان اقل الجمع اثنان وفي نسخة وغيرهما (من الملائكة) كعزرائيل وملك الجبال ومالك خازن النار (ومشاهده من كثرتهم) لحديث اطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع قدم الاوفيه ملك امارا كع اوساجد (وعظم صور بعضهم) كعزرائيل واسرافيل وسائر حملة العرش (ليلة الاسراء مشهور) اي رواه الائمة كخبر يامحمد هذا ملك الجبال يسلم عليك قال التلمساني وروى ابن عباس مرفوعا انه رأى ليلة المعراج في مملكة الله تعالى رجالا على افراس بلق شاكي السلاح طول كل واحد مسيرة الف سنة وكذلك طول كل فرس يذهبون متتابعين لايرى اولهم ولاآخرهم قال فقلت ياجبريل من هؤلاء قال ألم تسمع قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الاهو ثم قال انا اهبط واصعد واراهم هكذا يمرون لا ادري من اين يجيئون ولا اين يذهبون ذكره النسفي في زهر الرياض قاله الانطاكي (وقد رأهم) اي الملائكة وفي اصل الدلجي رآه اي جبريل (بحضرته) اي بحضوره عليه السلام وهي بفتح فسكون وقال التلمساني ان الحاء مثلثة ويقال ايضا بسكون الضاد وفتحها (جماعة من اصحابه) اي الكرام (في مواطن مختلفة) اي متفاوتة الايام (فرأى اصحابه) اي بعضهم (جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام) وفي نسخة زيادة والايمان والحديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق متعددة والمعنى في صورة رجل غيرمعروف كما في اصل الحديث المذكور فقول الدلجي كدحية لبس في محله وان تبجح بتوشيح شرحه (ورأى ابن عباس واسامة) اي ابن زيد كما في نسخة وهوابن حارثة (وغيرهما عنده) اي بحضرته (جبريل في صورة دحية) بكسر الدال وتفتح وهوابن خليفة الكلبي المشهور بالحسن الصوري وقد اسلم قديما وشهد المشاهد كلها بعد بدر وارسله عليه السلام بكتاب معه الى عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل واما رؤية ابن عباس له فرواها الترمذي ولفظه ابن عباس رأى جبريل مرتين واما رؤية اسامة له فرواها الشيخان عنه وفيهاان ام سلمة رأته واماغيرهما كعائشة فروى رؤيتها البيهقي وقال التلمساني وحارثة بن النعمان رأى جبريل مرتين واقرأه جبريل عليه السلام وجرير بن عبدالله البجلي مسحه ملك وحنظلة ابن ابي عامر غسلته الملائكة وحسان بن ثابت ايده الله بجبريل لمنافحته عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسعد بن معاذ نزل لجنازته سبعون الف ملك مانزلوا من قبل قط (ورأى سعد) اي ابن ابي وقاص كما في الصحيحين (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب على ماهو الظاهر المتبادر (في صورة رجلين عليهما ثياب بيض) بالوصف وتجوز الاضافة قال الحلبي في مسلم يعني جبريل وميكائيل ولم يسميا في البخاري فكونهما جبريل وميكائيل لم يقله سعد وانما الراوي عنه قاله عنه اومن دونه ذكرذلك والله تعالى اعلم قلت ولفظ مسلم رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض مارأيتهما قبل ولابعد يعني جبريل وميكائيل (ومثله) اي ومثل ماروى سعد (عن غير واحد) اي صدر عن كثير من الصحابة (وسمع بعضهم زجر الملائكة) بفتح الزاي وسكون الجيم اي حثهم وحملهم على السرعة (خيلها يوم بدر) اي كما رواه عن عمر (وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار) اي في بدر (ولا يرون الضارب) كما رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وابي واقد الليثي وقال ابوداود المازني على مافي رواية ابن اسحق اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ رفع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قتله غيري (ورأى ابوسفيان ابن الحارث) بن عبد المطلب وهوابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يومئذ) اي يوم بدر (رجالا بيضا) بكسر الباء جمع ابيض ولم يضم الباء محافظة على الياء (على خيل بلق) بضم فسكون جمع ابلق والبلق محركة سواد وبياض كالبلقة بالضم (بين السماء والارض) وفي نسخة لايقوم لهاشئ اي لايطيق ولايقاوم لتلك الرجال شئ اي مما خلق الله تعالى فان ملكا واحدا كاف في اهلاك اهل الدنيا جميعا فقد اهلك جبريل مدائن قوم لوط بريشة من جناحه وثمود بصيحة من صياحه هذا وقدروى البيهقي عن سهيل بن عمروانه هوالذي رأهم لكن لامنع من الجمع بعد تحقق السمع (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) كما رواه ابن سعد عن قتادة وفي مسلم انها كانت تسلم عليه (وارى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر) اي سقط حمزة (مغشيا عليه) اي من عظمته وهيبته وحديثه هذا رواه البيهقي عن مسلم بن يسار مرسلا (ورأى ابن مسعود الجن) كما رواه البيهقي عنه (ليلة الجن) اي ليلة امر النبي عليه الصلاة والسلام ان ينذرهم (وسمع) اي ابن مسعود (كلامهم وشبههم) اي في الخلق والنطق (برجال الزط) بضم الزاي وتشديد الطاء قوم من السودان اوالهنود طوال قال الحلبي وفي حديث مسلم عنه انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن لكن ذكر ابن سيد الناس في سيرته

مالفظه ان الحديث المشهور عن عبدالله بن مسعود من طرق متظافرة يشهد بعضها البعض ويشيد بعضها بعضا قال ولم تنفرد طريق ابن زيد الابما فيها من التوضى بنبيذ التمر انتهى وقدجاء الحديث الذى ذكره من غير طريق ابن زيد وهو فى ابن ماجه من حديث ابن عباس وفيه الوضوء بنبيذ التمر لكن فى السند عبد الله بن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه وهومرسل صحابى والعمل على قبوله خلافا لبعض الناس اى من الشافعى واتباعه هذا وقدورد من طرق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خطب ذات ليلة ثم قال ليقم من لم يكن فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقام عبد الله بن مسعود فحمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع نفسه فقال ابن مسعود خرجنا من مكة فخط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حولى خطا وقال لاتخرج عن هذا الخط فانك ان خرجت عنه لم تلقنى الى يوم القيامة ثم ذهب يدعو الجن الى الايمان ويقرأ القرآن حتى طلع الفجر ثم رجع بعد طلوع الفجر وقال لى هل معك ماء اتوضأ به قلت لا الانبيذ التمر فى اداوة فقال تمرة طيبة وماء طهور واخذه وتوضأبه وصلى الفجر وقدروى ابوداود والترمذى وابن ماجه والدارقطنى عن ابن مسعود نحوه وكذ الطحاوى وغيره وقداثبت البخارى كون ابن مسعود مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باثنى عشر وجها فلا يلتفت الى قول الدلجى واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف فنى صحيح مسلم انه لم يكن معه فانا نقول رواية البخارى اصح وارجح والقاعدة ان الاثبات مقدم على النفى عند الاثبات مع ان ليلة الجن كانت ست مرات والمراد بنفى كونه معه انه لم يحضر مجلس المحاورات والله اعلم بالحالات (وذكر ابن سعد) وهومصنف الطبقات الكبرى والصغرى ومصنف التاريخ ويعرف بكاتب الواقدى سمع ابن عيينة وابن معين وحدث عنه ابن ابى الدنيا وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين (ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد) اى وكان صاحب الراية (اخذ الراية ملك على صورته فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له) اى ظنا منه انه هو (تقدم) الى جهة العدو (يامصعب فقال له الملك) اى مرة فى جوابه (لست بمصعب فعلم) بصيغة الفاعل اوالمفعول اى فعرف (انه ملك) لكن روى ابن ابى شيبة فى مصنفه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم احد اقدم مصعب فقال له عبدالرحمن بن عوف يارسول الله الم يقتل مصعب قال بلى لكن قام مكانه وتسمى باسمه انتهى وفيه احتمال انه عرفه من اول الوهلة وانه لم يعرفه حتى عرفه ثم كان يقول له مصعب من قبيل تجاهل العارف اوتنزيل المجهول منزلة المعلوم اوتسمية له باسمه اوعلى تقدير مضاف نحونائبه والله تعالى اعلم (وقدذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقى وابن ماكولا فى اكماله (عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس) يروى انا جالس (مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قبل شيخ بيده عصا فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) اى السلام (وقال نغمة الجن) بفتح النون اى هذه حركته وصوته وفى نسخة نغمة جنى (من انت) اى منهم (قال انا هامة) بتخفيف الميم وفى بعض الروايات الهلم (ابن الهيم) بكسر فسكون تحتية وفى نسخة صحيحة بفتح هاء وكسر تحتية مشددة اومخففة (ابن لاقس) بكسر القاف اولاقيس بزيادة تحتية (ابن ابليس) كان اسمه عزازيل قال التلمسانى وهوابوالجن كما ان ادم ابوالبشر وقدذكره البغوى فى تفسيره عن مجاهد قال من ذرية ابليس لاقيس بالياء (فذكر انه لقى نوحا ومن بعده) اى من الانبياء وغيرهم (فى حديث طويل) قال بعضهم انه موضوع كما ذكره الحلبى (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) قال الحلبى وفى الميزان فى حديثه المذكور انه عليه السلام علمه المرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هوالله احد الحديث بطوله ذكر الانطاكى وغيره انه قال بينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى فى بعض جبال مكة اوعرفات اذا قبل شيخ اعرج بيده عصا بتوكأ عليها فقال السلام عليك يامحمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مشية الجن ونغمتهم قال نعم من اى الجن انت قال انا الهام بن الهيم بن لاقيس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كم اتى عليك قال انا كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاما اطوف فى الاكام وافسد اطايب الطعام وامنع من الاستعصام وآمر بقطيعة الارحام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بئس صفة الشاب المؤمل والسيخ المرجو قال مهلا يامحمد دعنى عنك من اللوم انما جئتك تائبا وكانت توبتى فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وعلى يديه ولقد كنت معه فى السفينة وعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وابكانى وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع هود حين دعا على قومه فاهلكهم الله بالريح العقيم فعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وابكانى وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع صالح فى مسجده حين دعا على قومه فاخذتهم الصيحة فعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وابكانى وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع ابراهيم يوم قذف فى النار واسعى بين منجنيقه واطفأ نيرانهم حتى جعلها الله عليه بردا وسلاما وان موسى بن عمران اوصانى ان بقيت الى ان يبعث عيسى ابن مريم ان اقرئه منه

السلام فلقيت عيسى فاقرأته السلام وقال لى عيسى ابن مريم ان بقيت الى ان تلقى محمدا فاقرأه منى السلام فجئت اقرأ عليك السلام فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عيسى السلام مادامت السموات والارض وعليك ياهام فانك قد اديت الامانة فاحاجتك قال ان موسى علمنى التورية وعيسى علمنى الانجيل واحب ان تعلمنى شيأ من القرآن فاقرأه فى صلاتى فعلمه عشر سور من القرآن فلم ير بعد انتهى لكن قال ابن نصر هذا الحديث موضوع وقاله ابن الجوزى ايضا وقال العقيلى لا اصل له والله تعالى اعلم (وذكر الواقدى) وكذا روى النسائى والبيهقى عن ابى الطفيل (قتل خالد) اى ابن الوليد (عند هدمه العزى) تأنيث الاعز سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا (للسوداء التى خرجت له) اى لخالد من الشجرة بعد قطعها (ناشرة) اى مفرقة (شعرها عريانة) اى واضعة يدها على رأسها داعية بالويل (فجزلها) بجيم وزاى مخففة وتشدد للمبالغة اى قطعها نصفين (بسيفه) وهو يقول ياعزى كفرانك لا غفرانك انى رأيت الله قد اهانك ويروى فجدلها بتشديد الدال اى فصرعها وفى رواية فحزلها بالحاء المهملة والزاى المخففة اى فقطعها (واعلم) اى خالد (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) اى له كما فى نسخة (تلك العزى) زيد فى رواية لن تعبد ابدا وفى رواية تلك شيطانة (وقال عليه السلام) كما فى الصحيحين عن ابى هريرة (ان شيطانا) من شطن اذا بعد لبعده عن الخير او من شاط اذا هلك لهلاكه فى الشر (تفلت) بتشديد اللام اى تخلص بغتة (البارحة) اى فى الليلة الماضية (ليقطع على صلاتى) والمعنى تعرض لى بغتة ليغلبنى فى اداء صلاتى غفلة (فامكننى الله منه) اى اقدرنى الله عليه (فاخذته فاردت ان اربطه) بكسر الموحدة وتضم (الى سارية من سوارى المسجد) اى منضما الى اسطوانة من اسطوانات مسجد المدينة (حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخى سليمان رب اغفرلى) اى ما صدر عنى فى امر دينى وهو بدل من دعوة اخى (وهب لى) اى من الدنيا (ملكا لاينبغى لاحد من بعدى) اى لايتسهل لغيرى فى حياتى او بعد مماتى مبالغة فى زيادة خارقة للعادة (فرده الله خاسئا) اى خائبا وهذا صريح فى ان هذا الشيطان احد الجن الموثقة بالقيود لدلالة تفلت عليه ولاشارة التنكير اليه فلاوجه لقول الحلبى هذا الشيطان يحتمل ان يكون ابليس وانه جاء ليلقى فى وجهه عليه السلام شهابا من نار فاخذه ويحتمل ان يكون غيره والذى ظهر لى انهما قصة واحدة انتهى كلامه وقال القاضى يفهم منه ان مثل هذا مما خص به سليمان عليه السلام دون غيره من الانبياء واستجيبت دعوته فى ذلك ولذلك امتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من اخذه اما تواضعا او تأدبا او تسليما لدعوة سليمان عليه السلام قلت والتسليم اولى واسلم واما ما نقل عن الحجاج انه قال لقد كان حسودا فصريح فى كفره وقال ابن عطية وهذا من فسقه وقال ابن عرفة كان بعضهم يقول هذا من جهله والله سبحانه وتعالى اعلم بحاله ومآله (وهذا باب واسع) اى لايمكن استقصاؤه ولايتصور استيعابه

﴿فصل﴾

(ومن دلائل نبوته) اى دلالات بعثته من اول حالته (وعلامات رسالته) وبخط القاضى وعلامة رسالته (ماترادفت به الاخبار) اى تتابعت وتواترت الآثار (عن الرهبان والاحبار) اى من زهاد النصارى وعبادهم وعلماء اليهود وقوادهم كخبر الراهب بحيرا وكان فى زمنه اعلم النصارى وقد سافر به عمه ابوطالب فى اشياخ من قريش الى الشام فوافوا بصرى من ديار الشام فنزل من صومعته وكان قبل ذلك لاينزل لمن نزل به الحديث وقد تقدم وكخبر حبر بنى عبد الاشهل من اليهود اذ اتى نادى قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه عليه السلام فقالوا ويحك هذا كائن وان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ويجزون باعمالهم قال نعم ولوددت ان حظى من تلك النار ان توقدوا اعظم تنور ثم تقذفونى فيه وتطبقوه على وانى انجو به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبى يبعثه الله من هذه البلاد واشار بيده الى مكة قالوا متى نراه فرمى بطرفه الى اصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه فلما بعث آمنا به وصدقناه وكفرهو به فقلنا له الست الذى قلت ماقلت واخبرتنا فقال ليس به (وعلماء اهل الكتب) اى من غيرهم وفى نسخة الكتاب على قصد الجنس وفى اصل الدلجى وعلماء اهل الزمان فهو من باب عطف العام على الخاص (من صفته وصفة امته) كخبر عبد الله بن سلام قال فى التورية صفة محمد عليه الصلاة والسلام وعيسى ابن مريم يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد فى التورية محمد رسول الله عبدى المختار الى ان قال مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء الحديث وقد سبق (واسمه) اى محمد فى التورية واحمد فى الانجيل وقال وهب بن منبه فى الزبور يا داود سيأتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لااغضب عليه ابدا ولا يعصينى ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة واعطيتهم من النوافل مثل مااعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل

حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء (وعلامات) اى كما فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والنعلين والهراوة ونحو ذلك (وذكر الخاتم الذى بين كتفيه) كما هو فى كتب اهل الكتاب وقد بينت فى شرح الشمائل هذا الباب (وما وجد فى ذلك من اشعار الموحدين) وفى اصل الدلجى وما وجد من ذلك فى اشعار الموحدين اى القائلين بالوحدة الالهية (المتقدمين) اى فى زمن الجاهلية (من شعر تبع) بضم التاء وتشديد الموحدة احد ملوك اليمن وشعره هذا بعد منصرفه من المدينة وكان قد نازل اهلها الاوس والخزرج واليهود فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه ليلا واستمر ثلاث ليال فاستحيى فارسل ليصالحهم فخرج اليه من الاوس احيحة بن الجلاح ومن يهود بنيامين القرظى فقال له احيحة ايها الملك نحن قومك وقال بنيامين ايها الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبى يبعثه الله من قريش فانشده شعرا منه

﴿ الىّ الى نصيحة كى ازدجر * عن قرية محجورة بمحمد ﴾

قال التلمسانى وهو ابو كريب الذى كسا البيت ولم يسبقه اليه احد ومن شعره المتواتر عنه قوله

﴿ شهدت على احمد انه * رسول من الله بارى النسم ﴾

﴿ فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم ﴾

فى ابيات كتبها واودعها الى اهله فكانوا يتوارثونها كابرا عن كابر الى ان هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فادوها اليه ويقال كان الكتاب والابيات عند ابى ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه (والاوس بن حارثة) والحارثة بحاء مهملة ابن لام الطائى وهو ممن يوحد الله تعالى من اهل الفترة (وكعب بن لؤى) بضم لام ففتح همزة وتبدل وتشديد تحتية وهو سابع اجداده عليه الصلاة والسلام واما ما فى نسخة لؤى بن كعب فخطأ (وسفيان بن مجاشع) اى واشعارهم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لكنها غير مشهورة (وقس بن ساعدة) بضم القاف وتشديد السين اسقف نجران وكان من حكماء العرب ومن شعره

﴿ الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث ﴾

﴿ لم يخلنا منه سدى * من بعد عيش واكترث ﴾

﴿ ارسل فينا احمدا * خير نبى قد بعث ﴾

﴿ صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث ﴾

وقد رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن شاهين وغيره فى الصحابة (وما ذكر) عطف على ما وجد اى وما نقل (عن سيف بن ذى يزن) بفتح الياء والزاى مصروفا ويمنع وهو من ملوك حمير ومن كان شريفا من اهل اليمن يقال له ذو يزن وقد ذكره الذهبى فى الصحابة وقال ما لفظه سيف بن ذى يزن اهدى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة وهو مشهور انتهى وقال الدلجى خبره انه قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه من قومه ليهنوه بنصرته على الحبشة انى مفض اليك من سر علمى ما لو غيرك لم ابح به اذ قد رأيتك معدنه فاكتمه حتى يأذن الله فيه انى اجد فى علمنا الذى ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال فما هو قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال ايها الملك لقد اتيت بخبر ما آب به وافد ثم قال ايها الملك ابن لى ما ازداد به سرورا قال سيف هذا حينه الذى يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن العرض ويفتح بهم كرائم اهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال ايها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال سيف والله انك لجده فهل احسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم انه كان لى ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله تعالى لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عمن معك فلست آمن عليك ان يحسدوك او ابناؤهم ولولا انى اعلم انى اموت قبل مبعثه لجعلت يثرب دار ملكى فانها مهاجره واهلها انصاره وبها قبره ولولا خوفى عليه لاعلنت على حداثة سنه امره ولاوطأت على اتوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير منى معك واذا حال الحول فائتنى بخبره وما يكون من امره فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبى فى الصحابة مع ايمانه به فى حياته ولم يره فالحق انه مخضرم والله تعالى اعلم (وغيرهم) اى كالراهب الذى قال لسلمان الفارسى اذ قال له بمن توصينى اكون عنده بعدك اعبد الله اى بنى والله ما اعلم احدا

على ما كنا عليه اوصيك ان تكون عنده ولكن قد اظلك زمان نبي يبعث من الحرم مهاجره الى ارض بين حرتين بينهما سبخة ذات نخل فيه علامات لاتخفى بين كتفيه خاتم النبوة يأكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل (وماعرف) بتشديد الراء على بناء الفاعل لا المفعول كما وهم الدلجي اى وماعلم (به من امره) اى بعضه (زيد ابن عمرو بن نفيل) بالتصغير قال الحلبي زيد هذا والد سعيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يتعبد فى المقبرة قبل النبوة على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويتطلب احكامه الكرام ويوحد الله ويعيب على قريش ذبائحهم على الانصاب ولا يأكل مما ذبح على النصب وكان اذا دخل الكعبة قال لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم جاء ذكره فى احاديث وتوفى قبل النبوة فرثاه ورقة بن نوفل بابيات معناها انه خلص نفسه من جهنم بتوحيده واجتنابه عبدة الاوثان وفى صحيح البخارى فى كتاب المناقب ذكره وبعض مناقبه قال الدلجي ذكر زيد عن راهب بالجزيرة اذ قال له وقد سئله عن دين ابراهيم عليه السلام ان كل من رأيت يعنى من الاحبار والرهبان فى ضلال انك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج فى ارضك نبي اوهو خارج يدعو اليه ارجع اليه فصدقه واتبعه فلقيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث بيلدح فقال له اى عم مالى ارى قومك قد انفوك قال اما والله ان ذلك لغير تائرة منى اليهم ولكنى اراهم على ضلالة فخرجت ابتغى هذا الدين ثم اخبره بما عرف به راهب الجزيرة من امره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم اختبر شيئا بعد فقدم صلى الله تعالى عليه وسلم له سفرة فيها لحم فقال انا لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة امة وحده كما رواه النسائى هذا وعد ابن منده له ولغيره ممن رآه عليه السلام واجتمع به قبل البعثة من الصحابة الكرام توسع فى الكلام اذ لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها مؤمنا (وورقة بن نوفل) اى وما عرف به من امره ورقة بن نوفل بن اسد عن رهبان كثيرين وقد اخبرته خديجة بنت خويلد بن اسد بما اخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال شعرا

﴿ أتبكر ام انت العشية رائح * وفى الصدر من اضمارك الحزن قادح ﴾
﴿ لفرقة قوم لا احب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح ﴾
﴿ فاخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح ﴾
﴿ فذاك الذى وجهت ياخير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح ﴾
﴿ الى سوق بصرى والركاب التى غدت * وهن من الاحمال قعص دوالح ﴾
﴿ يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق ابواب لهن مفاتح ﴾
﴿ بان ابن عبد الله احمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح ﴾
﴿ وظنى به ان سوف يبعث صادقا * كما بعث العبدان هود وصالح ﴾
﴿ وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح ﴾
﴿ ويتبعها حيا لؤى جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح ﴾
﴿ فان ابق حتى يدرك الناس دهره * فانى به مستبشر الود فارح ﴾
﴿ والا فانى ياخديجة فاعلمى * عن ارضك فى الارض العريضة سائح ﴾

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ماذكر بعضهم بانه صحابى بل هو اول الصحابة من انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاه بعد مجيئ جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذى خلق عليه وبعد قول ورقة له ابشر فانا اشهد انك الذى بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبى مرسل وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى الجنة وعليه ثياب خضر وفى مستدرك الحاكم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاتسبوا ورقة فانى رأيته فى الجنة وعليه جبة اوجبتان واما مانقله الذهبى عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواهى جدا ويرده مافى صحيح البخارى عنه صريحا (وعشكلان) بفتح العين والكاف وتضعان واقتصر عليه بعضهم (الحميرى) بكسر الحاء وفتح الباء نسبة الى حمير ابى قبيلة من اليمن ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول اى وماعرف به من امره من الرهبان لكنى لم ارمن ذكره فى معرض البيان (وعلماء اليهود) وفى نسخة وعلماء يهود اى من كتبهم اومن اخبارهم عن احبارهم كقول عالم منهم كان بمكة يتجر فى نادى من قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لانعلم قال الله اكبر اما اذا اخطأكم خبره فانظروا واحفظوا ما اقول لكم

ولد فى هــذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فتفرقوا متعجبين من قوله فسئل كل اهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودى به فقــال اذهبوا ننظره فدخلوا به على امــه فرأى العلامة فخر مغشيا عليــه ثم افاق فقالوا ويلك مادهاك فقــال ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيــل افرحتم به معشر قريش ليسطون بكم سطوة يطير خبرها فى المشرق والمغرب (وشامول) بشين معجمــة ثم ميم وفى آخره لام لا كاف كما فى اصــل الدلجى (عالمهم صاحب تبع) وهو الذى مر بالمدينة ومعه رهبان فقالوا له ان هذه مهاجر نبى آخر الزمان وانا لن نبرح منها لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وتوالدوا بها فيقال الانصار من ذريتهم (من صفته وخبره) بيان لما عرف به زيد ومن ذكر من بعده . (والفى) بضم همزة فكسر فاء واما القاف كما فى نسخة فهو تصحيف والمعنى ما وجــد (من ذلك) اى مما دل على ماذكر من صفته وخبره (فى التورية والانجيل مما قد جمعه العلماء) اى علمــاء هذه الامة (وبينوه) ففى التورية ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال لموسى عليه السلام انى مقيم لهم نبيــا من بنى اخوتهم مثلك واجرى قولى فى فيه يقول لهم ما آمرهم والرجل الذى لايقبــل قول النبى الذى يتكلم باسمى فانا انتقم منه وفى الانجيــل قال عيسى عليه السلام انى اطلب الى ربى فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على لسانه فارقليط روح القدس الذى يرسله ربى باسمى اى النبوة هو الذى يعلمكم ويمنحكم جميع الاشيــاء ويذكركم ماقلته وانى قد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفارقليط معناه كاشــف الخفيات وفيه اقول لكم الآن حقــا انطلاقى عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفــارقليط وان انطلقت ارســلت به اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر اذن روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه (ونقله عنهما) اى عن التورية والانجيل وفى اصل الدلجى عنهم فان صح نسخة فالضمير الى العلماء لكنه لايلايم قوله (ثقات ممن اسلم) وفى نسخة ثقات من اسلم بالاضافة (منهم) اى من علمــاء اليهود والنصارى (مثل ابن سلام) هو الحبر عبد الله بن سلام من علماء اليهود واخباره شهيرة كثيرة (وابنى سعية) بفتح فسكون فتحتية او فنون والمعروف انهما اثنان خلافى بعض النسخ وبنى سعية من غير الف لعله سهوا ومحمول على ان اقل الجمع اثنان واما قول الحلبى فيحتمل ان القاضى رأى معهما اسد بن عبيد فظنه اخاهما فهو من الظن السوء به نعم قوله ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة ظن حسن وتوجيه مستحسن هذا وفى دلائل النبوة للبيهقى وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق قال اسيدا وثعلبة ابنى سعية واسيد بن عبيــد نفر من هذيل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير يعنى نسبهم فوق ذلك وهم بنو اعمام القوم اسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا قدم علينا قبل البعثة بسنتين حبر من يهود الشام يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا فكنا نستسقى به فحضرته الوفاة فجئنــاه فقال يامعشر يهود ماترونه اخرجنى من الرخاء الى ارض البؤس قالوا انت اعلم قال انما خرجت اتوقع مبعث نبى قد اظــل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلايسبقكم اليه احد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبى ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال اولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا احداثا يامعشر يهود والله انه للذى كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ماهو به قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا وخلوا اموالهم واولادهم واهليهم فى الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وبنيامين) سمى اخى يوسف (ومخيريق) بالتصغير وخاؤه معجمة قال السهيلى انه اسلم واوصى للنبى صلى الله تعــالى عليه وسلم قال المصنف اوصى بسبعة حوائط قال الحلبى قاتل يوم احد حتى قتل وقال الواقدى كان حبرا عالما فآمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من بنى النضير انتهى وقد صرح غير واحد من الحفاظ بانه اسلم (وكعب) اى كعب الاحبــار (واشباههم ممن اسلم من علماء اليهود) اى ولو بعد موته عليه الصلاة والسلام مثل كعب فانه تابعى مخضرم ولم ير النبى عليه الصلاة والسلام وانما اسلم فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه (وبحيرا) بفتح باء وكسر حاء فراء ممدودا ومقصورا ممن شهد له بالرسالة قبل دعوى النبوة فهو من الصحابة ان لم يشترط الاجتماع بعد البعثة (ونسطور) بفتح النون وسكون السين وفى نسخة نصطور وفى نسخة بنون فى آخره بدل الراء (الحبشة) قيده بهم احترازا من نسطور الشــام وهو الذى جرى له ماجرى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى متجره لخديجة فى رحلته الثانية الى الشام (وضغاطر) بفتح اوله وكسر الطاء وهو الاسقف الرومى اسلم على يد دحية الكلبى وقت الرسالة فقتلوه فهو تابعى مخضرم وذكره الذهبى فى تجريد الصحابة (وصاحب بصرى) بضم موحدة وسكون مهملة مقصورا والمراد به عظيم بصرى كما فى البخارى (واسقف الشام) بضم همزة وقاف وتشديد فاء ولعله نسطوره المحترز عنه فيما تقدم (والجارود) اى ابن

العلاء وفد فى قومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذى بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك فى الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن اكرمك لا اثر بعد عين ولاشك بعد يقين مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم آمن قومه (وسلمان) اى الفارسى (والنجاشى) وهو اصحمة (ونصارى الحبشة واساقف نجران) بفتح الهمزة وكسر القاف وتخفيف الفاء جمع اسقف اى علمائهم ورؤسائهم ونجران بفتح نون وسكون جيم موضع باليمن فتح سنة عشر كذا فى القاموس وقال الذهبى فى تجريد الصحابة مالفظه اسقف نجران قال ابو موسى لاادرى اسلم ام لا ولم يذكره غيره نقله الحلبى (وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) اى بصحة نبوته وعموم رسالته (هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وفى نسخة بسكون الراء وفتح القاف وفى اخرى بفتح الهاء والقاف (وصاحب رومة) كذا فى اكثر النسخ وقال الحلبى صوابه رومية بتخفيف الياء كما فى الصحيح وهى مدينة رياسة الروم وعلمهم (عالما النصارى ورئيساهم) كما فى البخارى ثم هرقل كتب الى صاحب له برومية وكان نظيره فى العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى جاءه كتاب من صاحبه يوافقه على خروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه نبى ويروى النصرانية ورئيسا ها (ومقوقس) بضم الميم وكسر القاف الثانية (صاحب مصر) اى ملك القبط قال الذهبى فى تجريد الصحابة المقوقس صاحب الاسكندرية اهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولامد خل له فى الصحابة ذكره ابن منده وابونعيم وما زال نصرانيا ومنه اخذت مصر واسمه جريج انتهى وسماه الدارقطنى جريج بن سبنا انتهى واثبته ابو عمرو فى الصحابة ثم امر بان يضرب عليه وقال يغلب على الظن انه لم يسلم وكانت شبهته فى اثباته فى الصحابة رواية رواها ابن اسحق عن الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال اخبرنى المقوقس انه اهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وكان يشرب فيه قال الحلبى فائدة لهم شخص آخر معدود فى الصحابة يقال له المقوقس فى معجم ابن قانع قال الذهبى لعله الاول (والشيخ صاحبه) وهذا لايعرف اسمه (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء ممدودا ومقصورا قال الحلبى اسمه عبدالله ذكر السهيلى عن النقاش انه اسلم وقال الدلجى اسلم ثم ارتد الى دينه والله تعالى اعلم (وابن اخطب) هو حيى ابو صفية ام المؤمنين (واخوه) هو ابو ياسر بن اخطب قتلا كافرين صبرا مع اسرى بنى قريظة (وكعب ابن اسد) صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم موادعا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نقض العهد فقاتلهم النبى عليه السلام فغلبهم فقتل مقاتلهم وسبى ذريتهم فقتلوا صبرا ومعهم كعب ابن اسد وكانوا ستمائة اوسبعمائة اوثمانمائة اوتسعمائة (والزبير) بفتح الزاى وكسر الباء (ابن باطيا) بكسر الطاء قال الدلجى وفى نسخة باطا بلاتحتية وقال الحلبى وفى غير هذا المؤلف باطا بلامد ولاهمزة وهو اى الزبير والد عبد الرحمن بن الزبير الذى تزوج امرأة رفاعة القرظى الحديث كما فى البخارى وقال ابن منده وابو نعيم هو عبد الرحمن بن الزبير بن زيد بن امية الاوسى (وغيرهم) اى وقد اعترف بثبوت نبوته وحقية رسالته هؤلاء وغيرهم (من علماء اليهود ممن حمله الحسد) وهو ارادة زوال نعمة الغير (والنفاسة) بفتح النون من نفست عليه الشئ نفاسة اذا لم تره يستأهله انفة (على البقاء) اى بقائه على الكفر فى الدنيا (والشقاء) اى تعبه بالعذاب فى العقبى وفى نسخة الشقاوة وفى اصل الدلجى وبعض النسخ على البقاء على الشقاء اى المداومة على الشقاوة (والاخبار فى هذا) اى فيما ذكر من دلالات نبوته وعلامات رسالته (كثيرة لاتنحصر) اى بحيث لاتحصى ولاتستقصى (وقد قرع) بفتح القاف وتشديد الراء اى ضرب عليه السلام بشدة وابلغ بحدة (اسماع يهود) وفى نسخة اليهود (والنصارى بماذكر) اى اخبر النبى عليه الصلاة والسلام (انه فى كتبهم من صفته وصفة اصحابه) كقوله تعالى ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل الآية وفى الانجيل ايضا جد فى امرى واسمع واطع يابن الطاهرة البتول انى خلقتك من غير فحل الى آخر ما تقدم وفى التورية ايضا قال موسى رب انى اجد فى التورية امة خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال انى اجد فيها امة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال اجد امة اناجيلهم فى صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن فى كتبهم نظرا ولايحفظونها فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد الحديث وفى الزبور يا داود يأتى بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا امته مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وامرتهم بالغسل من الجنابة كما امرت الانبياء وامرتهم بالحج وبالجهاد يا داود انى فضلت محمدا وامته على الامم كلها اعطيتهم ستا لم اعطها غيرهم لااؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفرونى منه غفرته لهم وماقدموه لآخرتهم طيبة به انفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم فى المذخور عندى اضعاف مضاعفة واعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة

والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعونى استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا او اصرف عنهم سوأ او ادخره لهم في الآخرة (واحتج) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم) حيث انكروا نعته ونعت امته (بما انطوت) اى اشتملت (عليه من ذلك) اى النوع (صحفهم) اى كتبهم (وذمهم) اى النبي عليه السلام (بتحريف ذلك) اى بتغيير مبناه او تغيير معناه (وكتمانه) اى بعدم تبيانه (وليهم السنتهم) اى فتلها وصرفها (ببيان امره) اى وتبيان ذكره (ودعوتهم) بالتاء وفى نسخة ودعواهم (المباهلة) بالنصب على نزع الخافض والمعنى وقرع اسماع نصارى نجران بما امره ربه به من دعوا هم الى المباهلة اى الملاعنة الكاملة (على الكاذب) اى فى المعاملة فابوا حذرا من العقوبة وبذلوا له الجزية كما مرت القصة (فما منهم) اى من اليهود والنصارى (الا من فر) اى هرب وفى نسخة صحيحة نفر اى اعرض (عن معارضته وابداء) بكسر الهمزتين والمد وفى نسخة وابدى بصيغة الماضى اى اظهر (ماالزمهم من كتبهم اظهاره) كآية الرجم وغيره (ولووجدوا) اى فى كتبهم (خلاف قوله لكان اظهاره) اى المسارعة اليه فى مقام الجدال (اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال) اى طرح المقاتلة بين الرجال (وقد قال لهم) اى لليهود حين قالوا عند ماقرع سمعهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فرد الله عليهم بقوله تعالى (قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين) فبهتوا ولن يقدروا ان يأتوا فثبت انها لم تحرم الاعليهم بظلمهم وبغيهم وهوامر له بمحاجتهم ومدافعتهم بما فى كتابهم تبكيتا وتوبيخالهم (الى ماانذر به) اى مع مااعلم بظهوره ووجود نوره (الكهان) او بماخوفوه من حلول البأس والنقم بمن خالف وما اسلم (مثل سافع بن كليب) بالتصغير وفى نسخة بسين مهملة وهو من كهان العرب الاانه غيرمعروف النسب (وشق) بكسر اوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فكانه شق انسان (وسطيح) بفتح فكسر كاهن بنى ذؤيب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن فى بدنه عظم سوى رأسه بل جسد ملقى لاجوارح له لايقدر على جلوس اذا غضب انتفخ فجلس وزعم الكلبي انه عاش ثلاثمائة سنة وانه خرج مع الازد ايام سيل العرم ومات فى ايام سيرويه بن هرمز والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة وهو الذى اول رؤيا الموبذان ان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها بما حاصله ان ملكه يزول بظهور النبي عليه الصلاة والسلام وقد فتح بلاده فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه على يد الصحابة الكرام (وسواد بن قارب) بكسر الراء ازدى كان كاهنهم فى الجاهلية اخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان رئيسه اخبره ان الله يبعث نبيا فانهض اليه على ماسيأتى مفصلا (وخنافر) بضم الخاء المعجمة وكسر الفاء كاهن بنى حمير اسلم على يد معاذ ولم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى مخضرم (وافعى نجران) بفتح همزة وسكون فاء فعين مهملة مقصورا كاهنهم فى الجاهلية وهذا هو الظاهر المتبادر من السباق واللحاق وقال الحلبي ماادرى مااراد القاضى احية ام شخص اسمه افعى (وجذل بن جذل) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة فيهما (الكندى) بكسر الكاف قبيلة وهو كاهنهم فيها (وابن خلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (الدوسى) بفتح الدال (وسعدى) بضم السين وفتح الدال مقصورا (بنت كريز) بالتصغير وفى آخره زاى وفى نسخة صحيحة سعد ابن بنت كريز وفى اصل الدلجى سعد بن كرز (وفاطمة بنت النعمان) ويروى نعمان وهو بضم النون الاولى ولم نعرف لهم ترجمة (ومن لاينعد كثرة) اى ممن اخبر بظهوره وسطوع نوره (الى) اى مع (ماظهر على السنة الاصنام من نبوته) اى من بيان حصول نبوته (وحلول وقت رسالته) كقول باجر صنم مازن الطائى وهو مازن السادن وقد عتر له عتيرة يامازن انهض واقبل * تسمع كلاما تجهل * هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت هذا والله لعجب ثم عترت له بعد ايام اخرى فقال يامازن استمع تسر * ظهر خير وبطن شر * وهو نبى من مضر * يدين الله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر * فقلت هذا والله لعجب وخير يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ماوراءك فقال ظهر رجل من تهامة يقول اجيبوا داعى الله اسمه احمد فقلت هذا والله نبأ ماسمعت منه فكسرته ورحلت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فشرح لى الاسلام فاسلمت وكقول صنم عمرو بن جبلة ياعصام ياعصام جاء الاسلام وذهب الاصنام وقول صنم طارق من بنى هند بن حرام ياطارق ياطارق بعث النبي الصادق (وسمع) بصيغة المجهول اى وماسمع (من هواتف الجن) كذا فى اصل الدلجى وفى النسخ الجان وهو غير ظاهر فانه ابو الجن ولعله لغة والهاتف هو الصائح بالشئ الداعى اليه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم ياذباب ياذباب اسمع العجب العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلايجاب وكسماع ابن مرة الغطفانى جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع وكسماع خالد بن بطيح جاء الحق القائم والخير الدائم وكسماع سواد بن

قارب من رشده وهو نائم ليلا قم فافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث نبي من لؤي بن غالب ثم انشد

﴿عجبت للجن واجناسها * وشدها العيس باحلاسها﴾
﴿تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمنوا الجن كارجاسها﴾
﴿فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها﴾

ثم نبهني وافزعني وقال ياسواد ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد ثم نبهني في الليلة الثانية وقال

﴿عجبت للجن وطلابها * وشدها العيس باقتابها﴾
﴿تهوى الى مكة تبغي الهدى * ليس قدامها كاذنابها﴾
﴿فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى نابها﴾

ثم نبهني في الثالثة وقال

﴿عجبت للجن واخبارها * وشدها العيس باكوارها﴾
﴿تهوى الى مكة تبغي الهدى * ليس ذو والشر كاخيارها﴾
﴿فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنوا الجن ككفارها﴾

فوقع في قلبي حب الاسلام فاتيته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فلما رآني قال مرحبا بك ياسواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه مني ثم اني انشدت

﴿اتاني رئيي ليلة بعد هجعة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب﴾
﴿ثلاث ليال قوله كل ليلة * اتاك نبي من لؤي بن غالب﴾
﴿فشمرت عن ساقي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء عقد السباسب﴾
﴿فاشهد ان الله لارب غيره * وانك مأمون على كل غائب﴾
﴿وانك ادنى المرسلين شفاعة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب﴾
﴿فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب﴾
﴿فكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب﴾

قال فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت ياسواد (ومن ذبائح النصب) جمع نصب بمعنى منصوب للعبادة اي وماسمع منها كسماع عمر رضي الله تعالى عنه من عجل رآى رجلا يذبحه لنصب يقول يا آل ذريح امر نجيح رجل نصيح يقول لااله الاالله (واجواف الصور) اي وماسمع من اجوافها كما مر عن مازن السلدن وغيره (وماوجد من اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور) مفعول ثان لوجد اوحال من ضميره (بالخط القديم ما) اي الذي (اكثره مشهور) اي كما هو في كتب السير وغيرها مسطور (واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور) اي في كتب العلماء الاخيار بنقل الثقة في الاخبار

﴿فصل﴾

(ومن ذلك) اي مما يدل على نبوته ورسالته (ماظهر من الآيات) اي خوارق العادات (عند مولده) اي قرب ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم (وماحكته امه) اي آمنة بنت وهب انها اتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد (ومن حضره) اي وما حكاه من حضر مولده (من العجائب) اي مماشيأتي قريبا (وكونه) بالرفع اي وجوده (رافعا رأسه) اي للدعاء (عندما وضعته شاخصا ببصره الى السماء) كما رواه البيهقي عن الزهري مرسلا (ومارأته) اي امه (من النور الذي خرج معه عندولادته) حتى رؤيت منه قصور بصرى كما رواه احمد والبيهقي عن العرباض وابي امامة (ومارأته اذ ذاك) اي وقت ولادته (ام عثمان ابن ابي العاص) اي الثقفي (من تدلي النجوم) اي نزولها ودنوها منه تبركا بحضرته (وظهور النور) اي الذي سطع منه بشمند (عند ولادته حتى ما تنظر) اي ام عثمان (الاالنور) وفي رواية الاالنور كما رواه البيهقي والطبراني عن ابنها عنها (وقول الشفاء) بكسر اوله ممدودا ومقصورا والاول هو المفهوم من القاموس حيث قال الشفاء الدواء وسموا شفاء وقد صرح بالمد ايضا في اسماء الاسانيد وقال الحلبي السفاء بكسر الشين المعجمة والفاء مقصور فيما اعلمه انتهى والتحقيق ان الشفاء مصدر في الاصل ثم نقلته العرب علما للمؤنث واما قول الدلجي بمعجمة مفتوحة ففاء مشددة فالظاهر انه تصحيف وتحريف (ام عبدالرحمن بن عوف) قال الذهبي وهي بنت عوف بن عبدالزهرية من المهاجرات (لما سقط عليه الصلاة والسلام على يدي) بالتثنية وفي نسخة بالافراد على ارادة الجنس (واستهل) بتشديد اللام اي رفع صوته بان عطس

وقال الحمد لله بدليل قولها (سمعت قائلا يقول رحمك الله) وقال الحلبي اى صاح وقال الدلجى عطس لا صاح من غير ان يذكر الحمد لله فالجمع اولى كما لا يخفى والمناسب لعلو شانه وظهور برهانه ان لا يكون اول كلامه عبثا فى مرامه بل يكون ذكرا ملائما لمقامه على طبق ماورد عن آدم عليه السلام من انه عطس عند وصول روحه الى بعض اعضائه الكرام (واضاء لى ما بين المشرق والمغرب) اى مما ينتو ربنوره من معمورة العالم وتحقيق هذا المبحث قد تقدم ويشير اليه قولها (حتى نظرت الى قصور الروم) اى بارض الشام رواه ابو نعيم فى الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف عنها (وما تعرفت به حليمة) اى السعدية (وزوجها) المسمى بالحارث وذكر ابن اسحق بسنده انه اسلم (ظئراه) بكسر اوله وسكون همزة تثنية الظئر وهي المرضعة وقد يطلق على ابى الرضاعة ايضا كما هنا وقد يقال انه للتغليب (من بركته ودرور لبنها) اى نزوله بكثرة (له) اى لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم ولولدها رضيعه بعد ان لم يكن لها لبن يغنيه (ولبن شارفها) بكسر الراء اى درور لبن ناقتها المسنة (وخصب غنمها) بكسر الخاء المعجمة روى ابن اسحق وابن حبان والطبراني وابو يعلى والحاكم والبيهقي بسند جيد عن عبد الله بن جعفر عنها انها قالت اخذته وتركته المراضع ليتمه فجئت به رحلى فاقبل عليه ثدياى فشرب حتى روى وشرب اخوه حتى روى وقام زوجي الى شارفنا فوجدها حافلا فحلب ماشرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال والله انى لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة قالت وكانت اتانى قمراء قد اذمت بالركب فلما رجعنا الى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق بها حمار فتقول صواحبي هذه اتانك التى خرجت عليها معنا فاقول والله انها لهى فقلن والله ان لها شانا فقدمنا ارض بنى سعد به وما اعلم ارضا اجدب منها وان غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وما حولنا ارض تبض لها شاة بقطرة لبن وان اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا فيقولون لرعيانهم اسرحوا مع غنم ابن ابى ذؤيب فيسرحون فتروح جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه (وسرعة شبابه) اى وما تعرف ظئراه من سرعة شبابه بالنسبة الى جنابه (وحسن نشأته) اى نمائه وبهائه فى كبر جثته قبل تكامل هيئته قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن اضن شئ به لما رأينا فيه من البركة بسببه ثم قلنا لها دعينا نرجع به حذرا عليه من وباء مكة فازلنا بها حتى قالت نعم (وما جرى من العجائب) وهي ما عظم وقوعه وخفى سببه (ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البيهقي وابن ابى الدنيا وابن السكن عن مخزوم بن شاهين (من ارتجاج ايوان كسرى) اى اضطرابه جدا وتحركه شديدا مع احكام بنائه من غير خلل نشأ به والايوان بالكسر الصفة العظيمة واصله اووان فاعل كديوان وسبق ان كسرى بكسر اوله ويفتح معرب خسرو ولقب لملوك الفرس كقيصر لقب ملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشى لملوك الحبشة (وسقوط شرفاته) بضم الشين المعجمة والراء وتفتح وحكى سكونها جمع شرفة بضم فسكون وهو جمع قلة وضعت موضع كثرة لانهن اربع عشرة ولعل الحكمة فى عدولها عن الكثرة القلة تحقيرا لها لخراب مآلها هذا وقد ملك منهم ملوك بعددها عشرة فى اربع سنين وار بعة الى خلافة عثمان وفتح المسلمين (وغيض بحيرة طبرية) بفتحتين مدينة معروفة فى الشام بناحية الاردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وهى من الارض المقدسة والبحيرة مصغرة مع انها عظيمة وغيضها نقصها هذا والمعروف ان الغائضة هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس قال الحلبي اللهم الا ان يريد عند خروج يأجوج ومأجوج فان اوائلهم يشرب ماءها ويجئ آخرهم فيقول لقد كان بها ماء انتهى وبعده عن السياق من السباق واللحاق لا يخفى وفى نسخة صحيحة بدل طبرية ساوة والله تعالى اعلم (وخمود نار فارس) اى انطفائها وقت غيض بحيرتها فكانها طفئت بمائها (وكان لها الف عام لم تخمد) بفتح التاء وضم الميم وتفتح فانه ورد من باب نصر ينصر وباب علم يعلم (وانه) اى النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما انه (كان اذا اكل مع عمه ابى طالب وآله) اى واهل بيته (وهو صغير) جملة حالية معترضة (شبعوا) بكسر الباء (ورووا) بضم الواو (واذا) وفى نسخة فاذا (غاب) اى عنهم (فاكلوا فى غيبته لم يشبعوا) بفتح الباء وزيد فى نسخة ولم يرووا بفتح الواو ولعل النسخة الاولى مبنية على الاكتفاء او على تغليب شبع الطعام على رى الماء (وكان سائر ولد ابى طالب) بفتحتين وبضم فسكون اى بقية اولاده او جميعهم (يصبحون) اى يدخلون فى الصباح (شعثا) بضم اوله جمع اشعث اى مغبرة شعورهم مغبرة وجوههم متغيرة الوانهم بقرينة المقابلة بقوله (ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا) اى صافى اللون (دهينا) اى مدهون الشعر بريق الوجه (كحيلا) اى كانه مكحول العينين هذا واولاده عقيل وطالب وجعفر وعلى وام هانئ وجمانة وام طالب فاسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا ويقال ان الجن اختطفته ثم اعلم انه قال الحلبي استعمل القاضى رحمه الله سائر بمعنى جميع والشيخ ابو عمرو بن الصلاح انكر كون سائر بمعنى جميع وقال ان ذلك مردود عند اهل اللغة

﴿مردود﴾

معدود فى غلط العامة واشباههم من الخاصة قال الازهرى فى تهذيبه اهل اللغة اتفقوا على ان سائر بمعنى الباقى
وقال الحريرى فى درة الغواص فى اوهام الخواص ومن اوهامهم الفاضحة واغلاطهم الواضحة انهم يستعملون
سائر بمعنى الجميع وهو فى كلام العرب بمعنى الباقى واستدل بقصة غيلان لما اسلم على عشر نسوة وقال له صلى الله تعالى
عليه وسلم امسك اربعا وفارق سائرهن انتهى وقال ابن الصلاح ولا التفات الى قول صاحب الصحاح سائر الناس
جميعهم فانه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط وهذا من وجهين احدهما تفسيره ذلك بالجميع وثانيهما
انه ذكره فى سير وحقه ان يذكر فى سار وقال النووى وهى لغة صحيحة ذكرها غير الجوهرى ولم ينفرد بها وافقه عليها
الجواليقى فى اول شرح ادب الكاتب الى آخر كلام النووى فى تهذيبه انتهى كلام الحلبى وتبعه الدلجى فى تفسيره
السائر بالجميع وقال صاحب القاموس السائر الباقى لا الجميع كما توهم جماعات او قد يستعمل له فقد ضاف اعرابى
قوما فامروا الجارية بتطييبه فقال بطنى عطرى وسائرى ذرى انتهى ولا يخفى انه يحتمل كلام الاعرابى
ان يكون السائر بمعنى الباقى بل هو المتبادر على ما هو الظاهر والتحقيق ان السائر بمعنى الباقى حقيقة وبمعنى الجميع
مجازا وانه مأخوذ من السؤر مهموزا وهو البقية الملائمة لمعنى الباقى بخلاف السور معتلا وهو سور البلد المناسب
لمعنى الجميع وبهذا يرتفع الخلاف لمن ينظر بعين الانصاف ويظهر فساد ما فى كلام ابن الصلاح من المناقضة ونوع من
المعارضة (قالت ام ايمن) وهى بركة بنت محصن (حاضنته) اى مربيته ومرضعته ايضا على ما قيل وهى مولاته
صلى الله تعالى عليه وسلم حبشية اعتقها ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلمت قديما وابنها ايمن بن عبيد الحبشى
ثم تزوجها زيد بن حارثة زارها ابو بكر وعمر رضى الله عنهما واختلف فى زمن وفاتها (ما رأيته صلى الله تعالى عليه
وسلم اشتكى) اى بلسانه (جوعا ولا عطشا صغيرا) اى حال كونه صغيرا (ولا كبيرا) اذ كان ربه يطعمه ويسقيه بمعنى
يخلق قوتهما فيه وحديثها رواه ابن سعد وابو نعيم فى الدلائل (ومن ذلك حراسة السماء) بكسر الحاء اى حفظها من
بلوغ الجن اليها (بالشهب) اى بالنجوم رجوما لئلا يكون لهم هجوما (وقطع رصد الشياطين) اى ترصدهم وانتظارهم
ظهور شئ اليهم ونزول خبر عليهم (ومنعهم استراق السمع) اى بالكلية فانهم كانوا لا يسمعون الا القول الحق من ملائكة
السماء فيلقونه الى اوليائهم فيكذبون معه ما شاؤا من انبائهم فمنعوا منه بظهور نوره صلى الله تعالى عليه وسلم
فلما بعث اشتد الامر بهم وكثر الحرس عليهم كما قال تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا
وشهبا الايات (وما نشأ) بالهمز اى ومن ذلك ما تربى (عليه) وجبل اليه (من بغض الاصنام) كما فى حديث البيهقى
عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت به قبل البعثة فلما مررت بالصنم
تمسحت به فقيل لى لا تمسه ثم طفنا فقلت فى نفسى لامسنه حتى انظر ما يقول فمسحته فقال الم تنه قال زيد فو الذى
اكرمه بالذى اكرمه ما التمس صنما قط (والعفة) اى وما نشأ من النفرة (عن امور الجاهلية) اى معايبها (وما خصه
الله به من ذلك) اى من الاعمال الرضية والاحوال الزكية (وحماه) اى وحفظه قبل بعثته من الصفات الرديئة
والسمات الدنيئة (حتى فى ستره) بفتح السين اى تستره من التعرى وهو كشف العورة (فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة)
كما رواه الشيخان عن جابر والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما (اذ) اى حين (اخذ ازاره) اى بامر عمه العباس
(ليجعله على عاتقه) وهو ما بين المنكب والعنق (ليحمل عليه الحجارة) اى ولم تظهر عليه الامارة (وتعرى) اى
وانكشفت عورته (فسقط الى الارض) اى مائلا اليها وطمحت عيناه الى السماء (حتى رد) اى بنفسه (ازاره
عليه فقال له عمه ما بالك) وفى نسخة ما لك اى ما حالك (قال انى نهيت عن التعرى) وفى رواية وكنت وابن اخى
نحمل الحجارة على رقابنا وازرنا تحتها فاذا غشينا الناس اتزرنا فبينا انا امشى ومحمد امامى خر لوجهه وهو ينظر الى
السماء فقلت ما شأنك فاخذ ازاره وقال انى نهيت ان امشى عريانا قال فكنت اكتمها الناس مخافة ان يقولوا
مجنون (ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره) اى على ما مر فى حديث بحيرا الراهب كما رواه الترمذى والبيهقى
(وفى رواية) اى لابن سعد عن نفيسة بنت منبه (ان خديجة رضى الله تعالى عنها ونساء ها رأينه لما) بتشديد الميم
اى حين (قدم وملكان يظلانه فذكرت) اى خديجة (ذلك) اى خبر الاظلال (لميسرة) اى غلامها قال الحلبى لا اعلم
له ذكرا فى الصحابة وكأنه توفى قبل النبوة والا فلو ادركها لاسلم انتهى وفيه بحث لا يخفى والله تعالى اعلم
(فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره) اى من اول امره الى آخره (وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله
وهو عندها) كما رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (وروى ذلك) اى تظليل الغمامة له
(عن اخيه من الرضاعة) وفى رواية عن اخته بالفوقية وهى اصح كما فى سيرة ابى الفتح اليعمرى من ان حليمة
بعد رجوعها من مكة كانت لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته

مع اخته فقالت فى هذا الحر فقالت اخته يامه ما وجد اخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت الحديث قال الحلبى فهذا صريح ان يكون ما فى الاصل غلط تصحف على الكاتب اللهم الا ان يروى ان اخاه من الرضاعة رأى ذلك ايضا والله تعالى اعلم (ومن ذلك انه نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشب ماحولها) اى كثر عشبه وهو الكلاء ما دام رطبا والمعنى انه نبت فيه عشب كثير (واينعت) بتقديم التحتية على النون (هى) اى الشجرة والمعنى ادرك ثمارها ونضجت ومنه قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه اى نضجه (فاشرقت) بالقاف اى اضاءت بحسن صفائها كاشراق الشمس بضيائها ويروى بالفاء اى علت وارتفعت (وتدلت) بتشديد اللام وفى اصل الدلجى بلامين اى استرسلت ونزلت (عليه اغصانها بمحضر من رآه) قال الدلجى لم ادر من رواه (وميل فيء الشجرة) اى ظلها (اليه فى الخبر الآخر) اى المتقدم عن بحيرا الراهب (حتى اظلته وماذكر) اى ومن ذلك ماذكره الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن قيس وهو مطعون عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان (من انه كان لاظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا) اى بنفسه والنور لاظل له لعدم جرمه وهذا معنى ما فى النوادر ولفظها لم يكن له ظل فى شمس ولا قمر ونقله الحلبى عن ابن سبع ايضا (وان الذباب) اى ومن ذلك ماذكر من ان الذباب (كان لايقع على جسده ولاثيابه) قال الدلجى لاعلم لى بمن رواه انتهى وقال الحلبى نقل ايضا بعض مشايخى فيما قرأته عليه بالقاهرة عن ابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط قلت فعلى جسده بالاولى كما لايخفى (ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه) اى بنزول القرآن عليه كما فى الصحيحين ولفظ البخارى ثم حبب اليه الخلا اى العزلة عن الملا (ثم اعلامه بموته ودنو اجله) كما رواه الشيخان وغيرهما (وان قبره بالمدينة) وفى نسخة فى المدينة (وفى بيته) كما رواه ابو نعيم فى الدلائل عن معقل بن يسار ولفظه المدينة مهاجرى ومضجعى من الارض وروى البيهقى عن ابى بكر رضى الله تعالى عنه ان قبره يكون فى بيته (وان بين بيته ومنبره) وفى نسخة صحيحة و بين منبره (روضة من رياض الجنة) كما سيأتى مافيه من الاحاديث الواردة (وتخيير الله له عند موته) اى بين الدنيا والآخرة كما رواه البيهقى فى الدلائل عن عائشة بلفظ كنا نتحدث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لايموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعته فى مرضه الذى مات فيه يقول مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فظننا انه كان يخير وفى رواية قالت لما نزلت به ورأسه على فخذى غشى عليه ثم افاق فاشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهى آخر كلمة تكلم بها وفى رواية ان جبريل قال له ان ربك يقرئك السلام ورحمة الله ويقول ان شئت شفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربى يصنع بى ما يشاء (وما اشتمل) اى ومن ذلك ما احتوى (عليه حديث الوفاة) كما رواه النسائى فى سننه والعدنى فى مسنده والبيهقى فى دلائله (من كراماته وتشريفه) اى بخدمة الملائكة له وعموم رسالته اليهم وارسال جبريل اليه يقول ان الله يقرئك السلام ورحمة الله وفى رواية قال يا محمد ان الله ارسلنى اليك اكراما وتفضيلا وخاصة لك ليسألك عما هو اعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال اجدنى مغموما مكروبا (وصلاة الملائكة) اى ومن ذلك صلاة الملائكة (على جسده) اى بعد خروج روحه الشريفة (ماروينا) بصيغة الفاعل ويحتمل المفعول (فى بعضها) اى فى بعض الروايات والاسانيد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وان الملائكة يدخلون قبلكم من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون على صلاة الجنازة بتحريم وتكبير وتسليم ثم صلى عليه اصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى فى الموطأ بلاغا قال اخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى عليه الناس افذاذا لايؤمهم احد ورواه الشافعى فى الام بلفظ فقد صلى الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرادى لايؤمهم احد وذلك لعظم امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنافسهم فى ان لا يتولى الامامة فى الصلاة عليه واحد من الائمة صلوا عليه مرة بعد مرة اقول الاظهر انهم صلوا عليه فى محله ولا كان يسع ذلك المحل اماما لقومه كله فصلوا فرادى لادراك فضله وتكرار الصلاة عليه من خصوصيات حكمه هذا ومن زعم ان المراد بالصلاة هنا الدعاء فقد عدل عن الحقيقة من غير قرينة صارفة (واستئذان ملك الموت عليه) اى ومن طلب اذن ملك الموت فى الدخول عليه لقبض روحه (ولم يستأذن على غيره قبله) اى من الانبياء والاصفياء فضلا عما بعده من العلماء والاولياء وروى ان جبريل قال ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على احد قبلك ولابعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان الله امرنى ان اطيعك فيما امرتنى به ان اقبض نفسك قبضتها وان اتركها تركتها (ونداؤهم الذى سمعوه الا تنزعوا) بكسر الزاى غيبا وخطابا اى لاتخلعوا (القميص عنه) اى عن بدنه (عند غسله) بضم الغين او فتحه وذلك حين قالوا ماندرى انجرده من ثيابه ام نغسله بها فالقى عليهم النوم فما منهم رجل الا وذقنه فى صدره ثم سمعوا قائلا لايدرون من

هو غسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوقه ورواه ابوداود والبيهقى وصححه واستشهد له بمارواه
عن شيخه ابي عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال اخذوا فى غسله فاذاهم بمناد من داخل لاتخرجوا عنه قميصه
(ومارُوى من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته) اذسمعوا قائلا لايرون شخصه يقول السلام عليكم اهل
البيت ورحمة الله وبركاته ان فى الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله ثقوا واياه
فارجوا فان المصاب من حرم الثواب ورواه البيهقى فى دلائل النبوة نقله الدلجى وقال الحلبي حديث تعزية الخضر رواه
الشافعي من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده على بن الحسين رضى الله تعالى عنه قال لما مرض النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم الحديث وفى آخره قال على اتدرون من هذا هذا الخضر وهذا مرسل وقدرواه الشافعي ايضا فى الام باسناد
ضعيف الا انه لم يقل الخضر بل سمعوا قائلا يقول وانما ذكره اصحاب الشافعي قاله النووى فى شرح المهذب وقال
بعض مشايخي اخرجه الحاكم فى المستدرك من رواية انس وفيه فقال ابوبكر وعلى هذا الخضر لكن فى اسناده عباد بن
عبد الصمد وهو ضعيف وقداخرجه الشافعي ايضا فى غير الام وفيه فقال أتدرون من هذا هذا الخضر رواه الطحاوى
عن المزنى عنه فى السنن المشهورة (الى ماظهر على اصحابه من كراماته) اى الظاهرة (وبركاته) اى الوافرة (فى حياته
وموته) اى بعد مماته (كاستسقاء عمر بعمه) اى العباس كما رواه البخارى (وتبرك غير واحد) اى كثيرين من الصحابة
والتابعين (بذريته) كالحسنين وزين العابدين وصالحي اولادهم رضى الله تعالى عنهم اجمعين وارضاهم

﴿فصل﴾

(قال القاضى ابو الفضل رحمه الله قدآتينا) اى اوردنا (فى هذا الباب) اى الرابع من ابواب الكتاب (على نكت) بضم
ففتح اى لطائف وشرائف (من معجزاته واضحة) صفة نكت وقال الدلجى حال مماقبله (وجمل من علامات نبوته
مقنعة) نعت جمل وهو بضم ميم وسكون قاف وكسر نون وفتح عين وقال الدلجى حال من جمل اى تغنى من عرف
حقيقتها (فى واحد) خبر مقدم (منها) اى من النكت والجمل (الكفاية والغنية) بضم فسكون اى الاكتفاء والاغتناء
فى باب الاعتناء (وتركنا الكثير) اى من الانباء (سوى ماذكرنا) اى من النكت والجمل (واقتصرنا من الاحاديث
الطوال) بكسر الطاء اى الطويلة الاذيال (على عين الغرض) اى نفس المراد (وفص المقصد) اى زبدة المقصود
والفص للخاتم بفتح الفاء ويثلث والصاد مشددة والمقصد بفتح الصاد وتكسر قال الحلبي بكسر الصاد وجد بخط النووى
(ومن كثير الاحاديث) اى واقتصرنا وقدابعد الحلبي فى تقديره واتينا (وغريبها) اى ممانفرد رواتها بها (على ماصح
اى سنده (واشتهر) اى نقله عنداهله (الايسيرا) اى شيئا قليلا (من غريبه مماذكره مشاهير الائمة) اى من نقاد الامة
وحفاظ السنة بحيث انه خرج عن حيز الغرابة (وحذفنا الاسناد فى جمهورها) اى اكثرها (طلبا للاختصار) اى
حذرا من الاكثار الممل للنظار (وبحسب هذا الباب) بسكون السين وزيادة الباء اى ويكفى هذا الباب الرابع
الموضوع فى المعجزات (لوتقصى) بتاء وقاف مضمومتين فصاد مشددة مكسورة اى لواستقصى وضبطه الدلجي بالفاء
اى لوتتبع (ان يكون ديوانا) اى دفترا اومصنفا على حدة (جامعا) اى محيطا وحاويا (يشتمل على مجلدات عدة)
بكسر فتشديد اى كثيرة وقال الدلجى وحسب مبتدأ خبره ان يكون ديوانا وجواب لو محذوف اى لامكن (ومعجزات
نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (اظهر) اى اكثر وابهر (من سائر معجزات الرسل) الاظهر من معجزات سائر الرسل
(بوجهين) اى نظرا الى الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله (احدهما كثرتها) اى مع شهرتها اذالكثرة لاتستلزم
الشهرة (وانه لم يؤت نبي معجزة الاوعند نبينا مثلها) اى شبيهها ونظيرها (اوماهو ابلغ منها) اى دلالة كانشقاق
القمر والاسراء ونحوهما واما معجزة القرآن المجيد كما مثل به الدلجى فهذا ليس محلها (وقد نبه الناس على ذلك)
اى على هذا المعنى على وجه الاستقصاء منها انه تعالى خلق آدم بيده فقد شرح صدر نبينا بنفسه وانه رفع ادريس
مكانا عليا فقدرفعه فى المعراج دنوا الدنيا وغيرذلك ممايطول بيانها وقد سبق بعضها وسيأتى شئ منها (فان اردت
فتأمل فصول هذا الباب) اى من معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعجزات من تقدم من الانبياء) اى
وتأمل بين واحدة مع مايناسبها من الانباء (تقف على ذلك) اى المعنى (ان شاء الله تعالى واما كونها) اى معجزاته
(كثيرة فهذا القرآن) اى ظاهر كثرته (وكله معجز) اى والحال ان جميعه باعتبار كله وجزئه معجز (واقل ما يقع
الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين) بل عند اكثر المدققين حيث قالوا اعجازه بالفصاحة والبلاغة (سورة انا اعطيناك
الكوثر) اى اقصر سورة نحوها (اوآية قدرها) لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله وفى حكم السورة قدرها لااقلها
(وذهب بعضهم) اى ممن قال بالصرفة (الى ان كل آية منه) اى من القرآن (كيف كانت) اى وجدت طويلة
اوقصيرة (معجزة) خبران (وزاد آخرون) اى على ماذكر (ان كل جملة منتظمة منه) اى من القرآن وفى اصل الدلجى

منتظمة منه (معجزة وان كانت من كلمة اوكلمتين) ويؤيده ظاهر قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين
ولعل الاعجاز اولا كان بعشر سور ثم بسورة ثم بحديث كما هو اسلوب التدريج على وجه الترقي (والحق) اى الثابت
عند الجمهور (ماذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله) وفى نسخة من مثله (فهو) اى اتيان نحو سورة
(اقل ما تحداهم) اى طلب معارضتهم (به مع ماينصر هذا) اى يؤيده ويقويه (من نظر) اى نظر اعتبار وتفكر
واستبصار (وتحقيق) اى مشتمل على تدقيق (يطول بسطه) اى والقصد وسطه (واذا كان هذا) اى اكثر ما تحداهم
به اقل (ففى القرآن من الكلمات) اى الاسمية والفعلية والحرفية (نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف) بتشديد
التحتية وتخفيفها اى وبعض زيادة وجمع بينه وبين نحو مبالغة فى الملاحظة لقصد المحافظة (على عدد بعضهم) اى ممن
عد كلماته (وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر) اى الى آخرها (عشر كلمات فيجزأ القرآن) بتشديد الزاى فهمز مبنيا
للمفعول وفى نسخة فيجزأ بالهمز وفى اخرى بالالف وفى اصل الدلجى فتجزى القرآن بصيغة المصدر المضاف (على
نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر) اى كلماتها العشر (ازيد) بالنصب وعلى اصل الدلجى وبعض النسخ بالرفع اى اكثر
(من سبعة آلاف جزء) اى حصة (كل واحد منها معجز فى نفسه) اى مع قطع النظر عما قبله ومابعده ومافيه من اخبار
الله تعالى عن نبأ ماقبله ومابعده (ثم اعجازه كما تقدم) اى فى محله (بوجهين) من طرق الاعجاز (طريق بلاغته) اى
باشتماله على لطائف الاعجاز (وطريق نظمه) اى باسلوبه بين الاطناب والايجاز (فصار فى كل جزء من هذا العدد) اى من
السبعة آلاف (معجزتان) اى باعتبار الطريقين (فتضاعف العدد من هذا الوجه) اى الذى له جهتان فيصير اربعة
عشر الفا (ثم فيه) اى فى القرآن من حيث مجموعه (وجوه اعجاز اخر) بضم ففتح (من الاخبار بعلوم الغيب) اى
بما تقدم اوتأخر (فقد يكون فى السورة الواحدة) اى حقيقة اوحكما (من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب)
كقصة موسى وهارون وفرعون وهامان وقارون (كل خبر منها بنفسه اى بانفراده (معجز) اى مستقل فى بابه
(فتضاعف العدد) اى فتزايد المبلغ المضاعف (كرة اخرى) اى فى الجملة لافى نحو كل سورة فلا يصير ثمانية وعشرين الفا
على ماجزم به الدلجى (ثم وجوه الاعجاز الآخر التى ذكرناها) قال الدلجى وهى الغيبة وفيه انها مما سبق ذكره
(توجب التضعيف) اى الى مايكاد يحصى ولايستقصى (هذا) اى التضعيف الوافر (فى حق القرآن) هو الظاهر
(فلايكاد يأخذ العد) اى العدد كما فى نسخة (معجزاته) اى لكثرتها (ولايحوى) اى ولايكاد يشمل (الحصر براهينه)
لعظمتها (ثم الاحاديث الواردة) اى الصريحة (والاخبار الصادرة) اى الصحيحة (عنه عليه الصلاة والسلام فى هذه
الابواب) اى المذكورة فيها من المعجزات وخوارق العادات والاخبار عن المغيبات (وعن مادل على امره) اى
ظهور امره وحكمه (مما اشرنا الى جمله) بضم ففتح اى الى جمل من مفصله (يبلغ نحوا من هذا) اى التضعيف
(الوجه الثانى) اى من وجهى كون معجزاته اظهر من معجزات غيره (وضوح معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى
ظهورها وانتشارها واشتهارها (فان معجزات الرسل كانت) اى واردة على ايديهم (بقدرهم اهل زمانهم) اى حالا
ومقدارا فى شانهم (وبحسب هذا الفن) بفتح السين (الذى قد سما فيه قرنه) اى علا وارتفع اهل عصره شهرة بمعرفة
ذلك الفن فى دهره كما بينه بقوله (فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة
تشبه مايدعون قدرتهم عليه) اى ومايزعمون مهارتهم لديه ويوجهون همتهم اليه (فجاءهم منها) اى على يد موسى
(ماخرق عادتهم) اى من انقلاب العصا حية تسعى والبد البيضاء من غير سوء (ولم يكن) اى ذلك المعجز (فى قدرتهم)
اى فى نطاق قواهم وقدرهم (وابطل سحرهم) وما اظهروه من التخييل عند مكرهم (وكذلك زمن عيسى عليه السلام
اغنى) افعل تفضيل من الغاية اى انهى (ماكان) اى علم اهله (الطب) بكسر الطاء ويثلث وهو علاج الامراض
الظاهرة وفى نسخة اعيى بالعين المهملة بمعنى اعجز وفى اخرى بالغين المعجمة والنون اى اوفى وفى اخرى بالمهملة والنون
اى اقصد وكلها صحيحة على مالايخفى (واوفر ماكان اهله) اى اكثر ماكان اهل قرنه فى تتبعه (فجاءهم) اى على يد
عيسى (امر لايقدرون عليه واتاهم مالم يحتسبوه) اى شيئا لم يظنوا وجوده لديه وامره مفوضا اليه (من احياء الميت)
ويروى الموتى وفى نسخة الميتة (وابراء الاكمه) اى الذى ولد ممسوح العين ذكره الدلجى قال الحلبى الاكمه هو الذى
يولد اعمى ويقال الاعشى وقد قال البخارى فى الصحيح ان الاكمه من يبصر بالنهار ولايبصر بالليل انتهى وهو تفسير
للاعشى على مالايخفى (والابرص) من فى بدنه بياض من المرض المعروف (دون معالجة ولاطب) اى بمداواة بل كان
يأتيه من اطاق الاتيان لديه ومن لم يطق ذهب اليه عليه الصلاة والسلام فربما اجتمع عنده الالوف من المرضى
وذوى العاهات فيداويهم بالدعوات والآيات (وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام) اى كانت
بقدر علم اهل زمانهم من الانام (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها)

اى من الجزئيات والكليات (اربعة) اى من انواع المدركات واصناف الملكات (البلاغة) اى المقرونة بالفصاحة (والشعر) اى النظم المقابل للنثر (والخبر) بفتحتين اى الاخبار بانساب العرب وايامها من وقائعها ومعرفة تاريخها وتفصيل ماجرى فيها من ضروب خروجها وفنون رجوعها (والكهانة) بكسر الكاف وتفتح وهى مزاولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة اسرارها (فانزل) بصيغة المجهول اى فانزل الله تعالى كما فى نسخة وفى اخرى زيادة عليه (القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول) اى المتقدمة وهى البلاغة والشعر والخبر والكهانة (من الفصاحة) اى من اجل فصاحة القرآن (والايجاز) اى وايجاز الفرقان (والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم) بفتح النون والميم اى نوعه ونهجه (ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذى لم يهتدوا) اى فصحاؤهم وبلغاؤهم وخطباؤهم وشعراؤهم (فى المنظوم) اى من كلامهم (الى طريقه) اى فى مرامه (ولا علموا فى اساليب الاوزان) اى نظما ونثرا وفى اصل الدلجى فى اساليب الكلام والافنان من النثر المسجع والنظم المرصع (منهجه) اى طريقته السهلة الممتنعة (ومن الاخبار) بكسر الهمزة (عن الكوائن والحوادث) اى الكائنات والمحدثات من الاعيان والاكوان (والاسرار) اى فى البواطن (والمخبئات) اى فى الظواهر والضمائر (فتوجد على ماكانت) اى ذاتا اوصفة (ويعترف المخبر) بفتح الباء اى من اخبر (عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان) اى ولو كان ذلك المعترف المخبر (اعدى العدو) اى بكونه من اهل الكفر والنكر (فابطل) اى القرآن اوالنبى اوالله سبحانه وتعالى (الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها) بتشديد المثلثة اى اقتلعها (من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم) بفتح الصاد اى جعلها معدة لحفظ السماء من استراق الشياطين السمع من الانباء حيث ترميهم بشهب منفصلة من نارها لانفسها لثبوتها فى مقارها كقبس اخذ من نار وهى ثابتة لم تنقص ممالها من مقدار (وجاء) اى فى القرآن (من الاخبار) بفتح الهمزة (عن القرون السالفة) اى السابقة (وانباء الانبياء والامم البائدة) اى الهالكة ومنه حديث الحور العين نحو الخالدات فلا نبيد ابدا (والحوادث الماضية) اى الواقعات المتقدمة من المنفعة والمضرة (ما) اى شئ اوالذى (يعجز من تفرغ لهذا العلم) اى فى صرف جميع عمره (عن بعضه) اى عن معرفة بعض امره (على الوجوه التى بسطناها) اى اوضحناها (وبينا المعجز فيها) اى مع ماوشحناها ورشحناها (ثم بقيت هذه المعجزة) المتعلقة بالفصاحة والبلاغة والاخبار عن الكوائن الحادثة الجامعة (لهذه الوجوه) اى المذكورة المسطورة المضمومة (الى الفصول الاخر) اى المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرآن) اى فيما مضى من البيان (ثابتة الى يوم القيامة) اى حال كونها مستمرة دائمة (بينة الحجة) اى ظاهرة الدلالة فى الاعجاز مع غاية الايجاز (لكل امة تأتى) اى بعد جماعة تنقضى (لاتخفى وجوه ذلك) اى المعجزة المتقدم (على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى) اى منضما الى (ما اخبر به من الغيوب) بضم الغين وكسرها اى المغيبات (على هذا) وفى نسخة على هذه (السبيل) فان السبيل يذكر ويؤنث ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر (فلا يمر عصر ولا زمن) اى ولا ينقضى قرن ودهر (الا ويظهر فيه صدقه) اى زيادة صدقه اوموجب تصديقه (بظهور مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة (على ما اخبر) اى على طبقه ووفقه واغرب الدلجى بقوله على ما اخبر من وجوه الفصاحة والايجاز والبلاغة (فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان) فيستمر الايقان ويتقوى العرفان (وليس الخبر كالعيان) بكسر اوله اذ غاية افادة الخبر غالبا ظنية ونهاية افادة المعاينة يقينية (وللمشاهدة زيادة فى اليقين) اى المستفاد مثلا من المتواتر استدلالا (والنفس اشد طمأنينة) اى سكونا (الى عين اليقين) اى الذى تفيد المعاينة (منها) اى من الطمأنينة (الى علم اليقين) اى المستفاد بالتواتر استدلالا (وان كان كل) اى من علم اليقين وعين اليقين (عندها) اى عند النفس (حقا) اى ثابتا وصدقا لكن عين اليقين اسكن لها على ازدياد طمأنينتها واعون لها على عدم ترددها ووسوستها ومن ثم لما قيل للخليل او لم تؤمن اى بعلم الوحى المقدر والاستدلال بالخبر المكرر قال بلى اى ربى ولكن ليطمئن قلبى بمصاحبة علم العيان لعلم البرهان ومن ههنا قيل علمان خير من علم واحد (وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم) بل اندرس بعضها حال حياتهم كما اشار اليه بقوله (وعدمت) بصيغة المجهول اى وانعدمت (بعدم ذواتها) اى بعدم وجودها وتحقيق صفتها وفى اصل الدلجى بعدم ذواتهم اى وجودا فى الدنيا والافثبت ان الانبياء فى البرزخ احياء فالجملة تأكيد لما قبلها وعلى الاول تأسيس وهواولى فى محلها (ومعجزة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتبيد) اى لا تفنى ابدا (ولا تنقطع) اى ولا تنقضى سرمدا (وآياته) اى علاماته الدالة على صدقه (تتجدد) اى يوما فيوما (ولا تضمحل) بتشديد اللام اى ولا تزول اصلا (ولهذا) اى المعنى الاعلى (اشار عليه الصلاة والسلام بقوله) اى الذى هو غاية المرام فى هذا المقام المندرج (فيما حدثنا القاضى الشهيد ابوعلى) اى الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى ابوالوليد) وهوالباجى (حدثنا ابوذر) اى الهروى (نا ابومحمد) اى ابن

حويه السرخسي (وابو اسحق) اى المستملى (وابو الهيثم) اى الكشميهني (قالوا) اى كلهم (حدثنا الفربري) بكسر الفاء وتفتح (ثنا البخاري) اى صاحب الجامع (ثنا عبد العزيز بن عبد الله) اى العامري الاويسي الفقيه عن مالك ونافع مولى ابن عمر (ثنا الليث) اى ابن سعد (عن سعيد عن ابيه) اى ابى سعيد المقبري روى ان عمر جعله على حفر القبور فسمي به توفي سنة مائة (عن ابى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والحديث كما ترى رواه البخاري وقد اخرجه مسلم والنسائي ايضا (قال ما من الانبياء نبي) هو اعم من رسول (الا اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) اى ليس نبي منهم الا اعطاه الله من المعجزات شيئا الجأ من شاهده الى الايمان به فخص كل نبي بما اثبت دعواه من خوارق العادة التي اعطاه مولاه في زمانه وبعد انقراضه اختفى شانه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى (وانما كان الذي اوتيت) اى بخصوص ما انعم علي (وحيا اوحاه الله الى) اى معجزا في اعلى طبقات البلاغة واقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة ولذا رتب عليه قوله (فارجو) اى بسبب بقائه وظهور ضيائه (انى اكثرهم) وفي اصل الدلجي ان اكون اكثرهم (تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث) اى المذكور (عند بعضهم وهو) اى هذا المعنى المسطور هو (الظاهر) اى المتبادر (والصحيح) اى الصريح (ان شاء الله تعالى) اى فلا يعدل عما قدمناه (وذهب غير واحد) اى كثيرون (من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا) اى وتأويل غلبة معجزة نبينا (عليه الصلاة والسلام الى معنى آخر) اى غير ما افاده منطوقا (من ظهورها بكونها) اى من قوة معجزة نبينا بسبب كونها (وحيا) اى خفيا (وكلاما) اى جليا (لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة من الحيلة (ولا التشبيه) اى من حيث انه لا يتصور فيه التمويه (فان غيرها) اى غير معجزة نبينا (من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها) اى قصدوا لابطالها (باشياء طمعوا في التخييل بها) اى بتلك الاشياء (على الضعفاء) اى ليتوصلوا بذلك الى ابطال معجزات الانبياء (كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم) اى في معارضة معجزة موسى بالقاء العصا (وشبه هذا) بالرفع اى وشبيه هذا الذي فعله سحرة فرعون (مما يخيله الساحر) اى جنسه على الضعيف في دينه وامر يقينه (او يتحيل فيه) اى يطلب الحيلة في دفعه انه صدق او في اثباته انه حق (والقرآن كلام) اى لله تعالى كما في اصل الدلجي كلام الله تعالى والاظهر انه اريد به هنا انه مطلق كلام اى اعجاز القرآن واقع في كلام (ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه) اى في الكلام (عمل) اى مما يوجب التمويه (فكان) اى القرآن (من هذا الوجه عندهم) اى عند ارباب هذا المعنى (اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه) اى مما يكدر امر المعجزة وينافيه (والتأويل الاول) اى الذي هو المعول (اخلص) اى اظهر وانص (وارضى) عند النفوس الخلص (وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض) اى بصيغة المفعول مخففا وقال الحلبي مشددا اى يغطى (الجفن) بفتح الجيم وسكون الفاء اى غطاء العين (عليه) ويروى عنه (ويغضى) بصيغة المجهول من الاغضاء بمعنى الاغماض وفي اصل الدلجي بالفاء وهو تصحيف وتحريف كما لا يخفى والتحقيق انه لا منع من الجمع وان بناء الثاني على التدقيق والله ولي التوفيق وعلى كل تقدير ظهر الوجهان في ثبوت المعجزة للقرآن (ووجه ثالث) اى وهنا وجه آخر وفي نسخة صحيحة وجه بدون عاطفة والمعنى وجه ثالث في كون القرآن معجزا خارقا للعادة (على مذهب من قال بالصرفة) بفتح الصاد وقيل بكسرها وهو مذهب بعض المعتزلة والشيعة حيث قالوا صرف الله هممهم عن الاتيان باقصر سورة منه مع تمكنهم عنه (وان المعارضة) اى بمثله في الجملة (كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها) اى بسلب دواعيهم لا بسلب قدرتهم كما ذكره الدلجي فانه مذهب آخر كما سيأتي (او على احد مذهبي اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) اى من جنس كلامهم الذي لهم القدرة عليه (ولكن لم يكن ذلك) اى الاتيان بمثله بعد من تمكنهم منه (قبل ولا يكون بعد) اى قبل التحدي ولا بعده كما ذكره الدلجي والاظهر ان المراد بقوله قبل الزمان السابق وبقوله ولا يكون بعد الزمان اللاحق الى يوم القيامة ويؤيده قوله (لان الله لم يقدرهم) اى على الاتيان بمثله قبله (ولا يقدرهم عليه) اى بعده (وبين المذهبين فرق بين) بتشديد التحتية المكسورة اى ظاهر لتمكنهم على المذهب الاول منه الا انهم صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع كونه من جنس مقدورهم (وعليهما) اى وعلى المذهبين (جميعا) اى جميعهما (فترك العرب) وفي نسخة بغير الفاء اى ترك معارضتهم الاتيان (بما في مقدورهم) اى في الجملة (او ما هو من جنس مقدورهم) اى في الصورة (ورضاهم بالبلاء) اى العناء في ابدانهم (والجلاء) اى عن اوطانهم وهو بفتح الجيم الخروج من البلد (والسباء) بكسر السين ممدودا اى والسبي كما في نسخة اى اسر اطفالهم ونسائهم واعيانهم (والاذلال) اى لانفسهم في بعض الاحوال (وتغيير الحال) اى بمخالفتهم من الخير

الى النسر (وسلبه النفوس) اي في حال القتال (والاموال) اى بذ لها فى فك رقابهم من الاغلال (والتقريع) اي قهرا (والتوبيخ) اى زجرا (والتعجيز) اى بالازلال (والتهديد) اى بعظام النكال (والوعيد) اى بوخائم الوبال (ابين آية) خبر لقوله ترك والمعنى اظهر علامة وابهر دلالة (للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته) اى والاعراض والامتناع عن معارضة نحوه (وانهم) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم) وفى نسخة مقدرتهم بضم الدال وتفتح اى قدرتهم (والى هذا) اى المذهب الثانى (ذهب الامام ابو المعالى) اى عبد الملك ابن ابى محمد (الجوينى) بالتصغير النسابورى وهو الملقب بامام الحرمين افصح الشافعية وله اليد الباسطة فى الطول من علمى الكلام والاصول توفى سنة ثلث وسبعين واربعمائة (وغيره) اى من علماء اهل السنة والجماعة (قال) اى ابو المعالى (وهذا عندنا ابلغ من خرق العادة بالافعال البديعة فى انفسها كقلب العصا حية ونحوها) كاخراج اليد البيضاء واحياء الموتى وغيرهما (فانه قد يسبق الى بال الناظر) اى قلب المتأمل (بدارا) بكسر الباء اى مبادرة ومسارعة من اول وهلة قبل التأمل فى حقيقة امره وحقيقة سره (ان ذلك) اى ماذكر من قلب العصا حية ونحوها (من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة فى ذلك الفن وفضل علم) اى فى ذلك النوع كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر (الى ان يرد ذلك) اى السابق الى بال الناظر مما ذكر من وهم الخاطر (صحيح النظر) اى فيتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين للقلب الجلى ان قلب العصا حية ونحوها مما لايدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل فاعل القوى والقدر (واما التحدى للخلائق) اى طلب المعارضة منهم باعتبار السابق واللاحق (المئين) وفى نسخة مئين جمع مائة وفى نسخة فى المئين (من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله) اى على وفق مرامهم (فلم يأتوا) اى الخلائق بتمامهم كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة عدمها) اى بترك المناقضة (الا ان منع الله الخلق عنها) اى عن المعارضة لاحد الوجوه الثلاثة فى بيان المعجزة (بمثابة مالو قال نبي) اى وقد طلب منه آية وعلامة دالة على صدق دعوه للنبوة (آيتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم) وفى نسخة مع مقدرتهم (عليه وارتفاع الزمانة عنهم) اى بن بعضهم للاستواء فى حال عجزهم ولا يبعد ان تكون الواو بمعنى او التنويعية (فلو كان ذلك) اى الذى قال ذلك النبى (وعجزهم الله عن القيام) اى فى ذلك المقام (لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة) اى فى اقامة البرهان وابانة التحقيق (وبالله التوفيق) ونظيره قوله تعالى لزكريا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (وقد غاب عن بعض العلماء) اى خفى عليه (وجه ظهور آيته) اى معجزته التى هى القرآن (على سائر آيات الانبياء) اى فى باقى الازمان ولم يدر انها ببقائها معلومة لكل واحد فى كل اوان متلوة بكل مكان (حتى احتاج للعذر عن ذلك) اى الذى زعمه من عدم ظهورها هنالك (بدقة افهام العرب وذكاء البابها) اى شدة فطانة فهومهم وحدة علومهم (ووفور عقولهم) اى وكثرة تعقلهم وتأملهم (وانهم ادركوا المعجزة فيه) اى فى القرآن (بفطنتهم) اى ما الجأهم الى الاعتراف بكونه من معجزتهم (وجاءهم من ذلك) اى مما ادركوا فيه هنالك (بحسب ادراكهم) بفتح السين اى بمقتضى ادراكاتهم لغاية فصاحته ونهاية بلاغته (وغيرهم) مبتدأ اى وغير العرب (من القبط) اى قوم فرعون (وبنى اسرائيل) اى قوم موسى (وغيرهم) اى ممن بعدهم ماعدا العرب (لم يكونوا بهذه السبيل) اى بهذه الطريقة من دقة الفهم وذكاء الفطنة (بل كانوا من الغباوة) بفتح الغين المعجمة وهى عدم الفطنة وكمال الجهالة (وقلة الفطنة) اى فى بعض القضية (بحيث جوز عليهم) اى على عقولهم (فرعون انه ربهم) كما قال الله تعالى حكاية عنه انا ربكم الاعلى وقد قال عز وعلا فاستخف قومه فاطاعوه واضل فرعون قومه وما هدى (وجوز عليهم السامرى) وكان من عظماء بنى اسرائيل واسمه موسى بن ظفر (ذلك) اى كون ظهور ربهم (فى العجل فعبدوه بعد ايمانهم) اى بموجبات ايقانهم (وعبدوا) اى طائفة من بنى اسرائيل (المسيح) اى عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه) اى اليهود (وما صلبوه ولكن شبه لهم) اى كما اخبر الله عنهم والمعنى صلبوا من القى عليه الشبه بعد قتله كما قال تعالى وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه (فجاءتهم) اى اليهود (من الآيات الظاهرات البينة) اى الواضحة (للابصار) اى المنقحة (بقدر غلظ افهامهم) اى وغلظ اوهامهم (ما) فاعل جاء وفى نسخة مما (لايشكون فيه ومع هذا) اى المجيئ بالامور الظاهرة والاحوال الواضحة (قالوا) وفى نسخة فقالوا اى خطابا لنبيهم كما حكى الله عنهم بقوله تعالى واذ قلتم ياموسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) اى معاينة ظاهرة (ولم يصبروا على المن والسلوى) اى على اكلهما وجعلوا الترنجبين من الحلوى والسمانى من طير الشوى طعاما واحدا وقالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذى هو ادنى) اى اقرب الى الدناءة وادون فى المقدار والمرتبة كالبقل والقثاء والفوم والعدس (بالذى هو خير) اى فى المرتبة واللذة

بعدم الحاجة الى الكد والمشقة واقرب الى الجبلة (والعرب على جاهليتها) اي على حالتها التي كانت عليها قبل ظهور النبوة من الجهل بامور الشريعة واحوال الديانة (اكثرها يعترف بالصانع) بل جميعها كما هو ثابت هو قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولذا جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكلمة التوحيد وهو ان يقولوا لا اله الا الله لا بان يقولوا الله موجود لان هذا مما اجمع عليه اهل الملل والنحل ولا يلزم من قول بعضهم حيث قالوا وما يهلكنا الا الدهر ان الدهر خالقهم اذ لم يقل به احد منهم بل ارادوا به ان طول الزمان ودورة الدوران يقتضي انه يحيى بعضنا ويموت بعضنا فنسبوا بعض الافعال الى الدهر كما قد يتفوهون به اهل العصر وقد قال تعالى انا الدهر اي خالقه او المتصرف فيه (وانما كانت) اي العرب (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) اي تقربا كما قال تعالى حكاية عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ومنهم من آمن بالله وحده) اي وسفه من عبد غيره (من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) اي من قبل ارساله (بدليل عقله وصفاء لبه) اي آمن بتوحيد ربه كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وكذا ورقة بن نوفل الا انه ادرك البعثة وآمن به وتشرف بالصحبة (ولما جاءهم) اي العرب (الرسول بكتاب الله) وهو القرآن الكريم والفرقان القديم (فهموا حكمته) اي لحدة فطنتهم وشدة معرفتهم (وتبينوا بفضل ادراكهم) اي بزيادة قابليتهم واهليتهم (لاول وهلة معجزه فآمنوا به) اي بعضهم اولا وجلهم آخرا (وازدادوا كل يوم ايمانا) اي واكتسبوا يوما احسانا وايقانا (ورفضوا الدنيا) اي تركوها (كلها) اي مالها وجاهها (في صحبته) اي وبيمن همته وبركة متابعته (وهجروا ديارهم واموالهم) اي وفارقوهما باختيارهم (وقتلوا آباءهم وابناءهم) اي وسائر اقاربهم واحباءهم (في نصرته) اي في نصرة دينه وقوة يقينه (واتى) اي واورد ذلك البعض من العلماء (في معنى هذا) اي المبنى من عبارات البلغاء واعتبارات الفصحاء واشارات العقلاء (بما يلوح له رونق) اي بما يظهر له ضياء ويلمع له صفاء (ويعجب منه) بصيغة المفعول اي ويبرز من اثره وظهور امره (زبرج) بكسر الزاي والراء بينهما موحدة ساكنة وفي آخره جيم اي زينة من ذهب او جوهر او وشي (لو احتيج اليه) اي الى كلامه (وحقق) اي امره في مرامه (لكنا) يروى فقد (قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها) اي ووضوح امرها (ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها) مثل معقولات المعاني ومحسوسات المباني وقصد الاستغناء عن هذا الاستعلاء ونحن نقول لا منع من الجمع فان الآيات والمعجزات لكل منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ورضي الله تعالى عنهم اجمعين (والله استعين) اي في كل وقت وحين (وهو حسبنا) اي كافينا ووافينا وشافينا (ونعم الوكيل) اي اعتمادا واستنادا معاشا ومعادا باطنا وظاهرا واولا وآخرا والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وعلى آله وصحبه نجوم الاقتداء والاهتداء وعلى اتباعهم من العلماء والاولياء والحمد لله الذي هدانا لهذا واغنانا عما سواه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم اختم لنا بالخيرات اعمالنا والمبرات آجالنا وبالمسرات احوالنا واغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات انك قريب مجيب الدعوات آمين آمين آمين يا رب العالمين ويا ارحم الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقد تم نصف الكتاب بعون الملك الوهاب ويتلوه القسم الثاني الذي ليس له ثاني في هذا الباب عند ارباب الالباب والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب حرره مصنفه الجاني في اوائل جمادى الثاني من شهور عام عشرة

بعد الالف السابع من عالم المباني رحمه الله تعالى

رحمة واسعة بمنه

امين

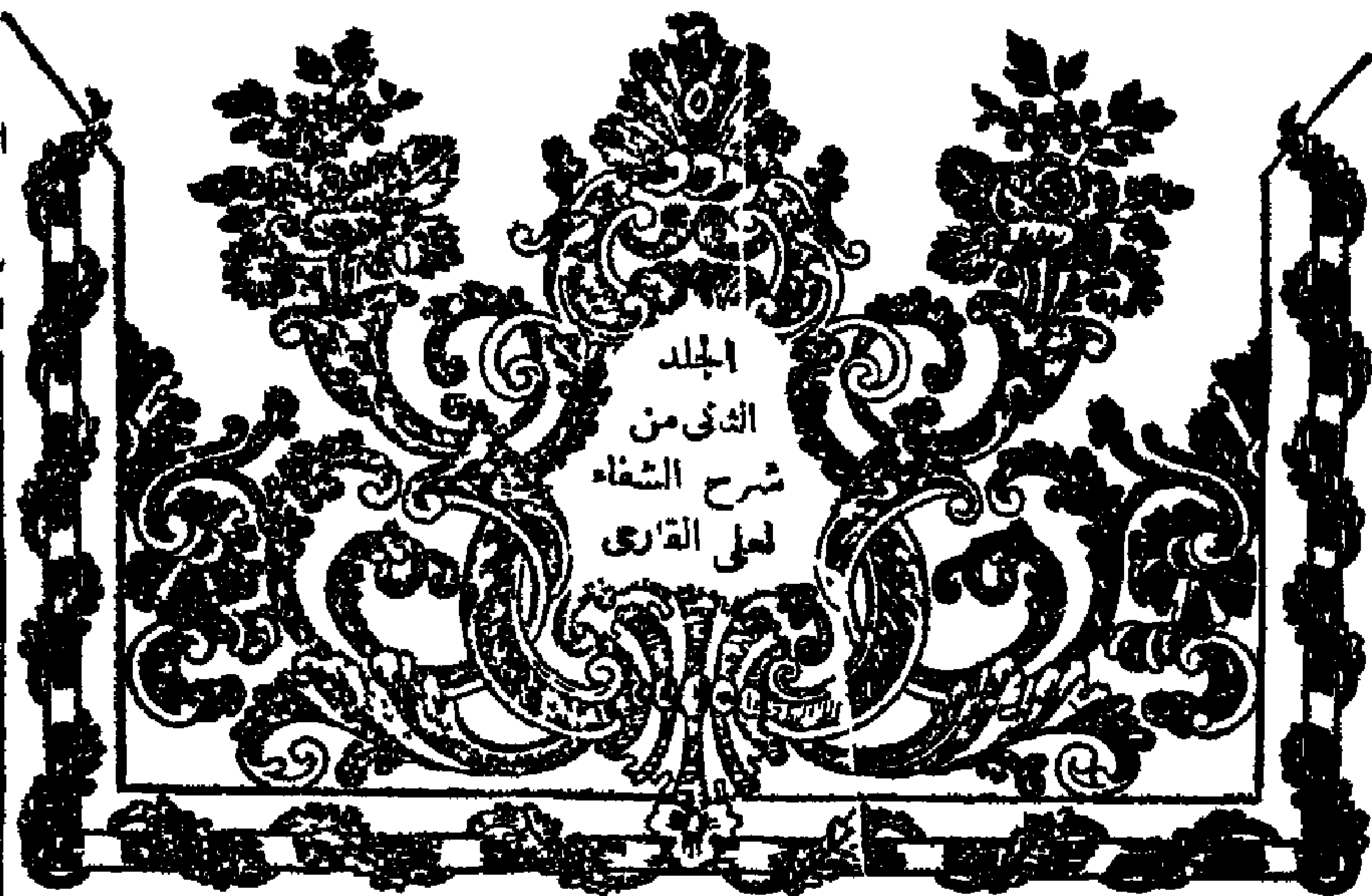
تم طبع المجلد الاول بتوفيق الملك المتعالي ويتلوه طبع المجلد الثاني

ويكرمنا بختم طبعه من انزل على نبيه القرآن والسبع المثاني

١٢٦٧٢

٨

﴿ فهرست الجلد الثاني من شرح الشفاء للعلامة ملا على القارى ﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

ذي الجلال والاكرام * الذي يجب ان يبدأ بذكره المرام * ويختم بشكره الكلام (القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام) اى القسم الثاني من كتاب الشفا في حقوق المصطفى في بيان ما يجب على المكلفين من حقوق خاتم النبيين وسيد المرسلين (قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (وهذا) اى القسم الثاني (قسم) اى عظيم (لخصنا فيه الكلام) اى اقتصرنا واختصرنا (في اربعة ابواب على ما ذكرناه) اى وفق ما قررناه وحررناه (في اول الكتاب ومجموعها) اى مجموع ابواب هذا القسم الاربعة (في وجوب تصديقه عليه الصلوة والسلام) اى الايمان به فيما جاء به عن ربه (واتباعه في سنته) اى في وجوب متابعته في شريعته وطريقة حقيقته (وطاعته) اى وفي وجوب امتثال اوامره واجتناب زواجره كما بينه في فصول الباب الاول (ومحبته) اى وفي وجوب محبته وجعل محبته تابعة لمحبته كما ورد لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به لان محبته سبب لمتابعته ومتابعته علامة لمحبة الله تعالى ابتداء ومحبة الله تعالى اياه انتهاء كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله كما عينه في فصول الباب الثاني (ومناصحته) اى وفي وجوب قبول نصحه له في امره ونهيه ونصحه لرسوله ودينه كما ورد الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم وقد اوضحنا معنى هذا الحديث في شرح الاربعين والمناصحة مفاعلة للمبالغة قصد هنا منها المبالغة في النصح وهو الخلوص لغة والنصيحة في الشريعة كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له (وتوقيره) اى وفي وجوب تعظيمه لقوله تعالى وتعزروه وتوقروه كما بينه في فصول الباب الثالث (وبره) اى وفي وجوب الاحسان باهل وده والقيام بحكمه وامره (وحكم الصلوة عليه والتسليم) اى وفي وجوب حكمهما من وجوب وغيره (وزيارة قبره) اى وفي بيان زيارة قبره وما يتعلق به كما حسنه في الباب الرابع وهذا الامر اجمالي سيرد عليك القدر التفصيلي في ضمن الابواب وفصولها بالوجه التكميلي

﴿الباب الاول﴾

(في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم) اى في بيان فرضية تصديقه في المعتقدات وفي وجوب طاعته في الواجبات واستحباب متابعته في المستحبات او التقدير وفي وجوب اتباع شريعته التي تعم جميع الحالات وفي المغايرة بين الفرض والوجوب ايماء بان الاول ركن الدين ومهماته والاخيران من مكملاته ومتمماته ولا يلزم من عدمهما فقد الاول بخلاف العكس فتأمل (اذا تقرر بما قدمناه) اى في ضمن ما تحرر (ثبوت نبوته) اى بظهور معجزاته (وصحة رسالته) اى بوضوح آياته (وجب الايمان به) لانه فرع ثبوتهما كتوقف المشروط على الشرط (وتصديقه فيما اتى به) ى من عند ربه تعالى من جهة الوحي الجلي او من طريق الوحي الخفي المعنى

﴿ووجب﴾

ووجب تصديقه بجميع ما فى الكتاب والسنة وان كان وجوب تصديقه من جهة السنة ثابتا بالكتاب ايضا
لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ولقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا اى
مخالفتهما فيما امرا به ونهياعنه وبما قررنا ظهرت المغايرة فى العطف واما كونه عطف تفسير كما ذكره الدلجى رحمه الله
عند من يقول الايمان هو التصديق فقط فلاوجه له لان المحققين على ان الايمان هو التصديق والاقرار شرط لاجراء
احكام الاسلام والاعمال شرط الكمال بخلاف المعتزلة والخوارج حيث ادخلوا الاعمال فى اجزاء الايمان وعلى
كل تقدير ففرق بين الايمان برسالته عليه الصلوة والسلام وتصديق ماجاء به من الاحكام حتى لايحرم الحلال ولايحلل
الحرام (قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله) وهو الفرد الاكمل والنبى الافضل (والنور الذى انزلنا) اى
القرآن المشبه بالنور الفرقان بين الحق والباطل والبرهان المزيل لظلمات الشكوك والظنون والاوهام الحاصلة
للجاهل والغافل وسمى نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر مافيه لغيره (وقال انا ارسلناك شاهدا) اى بتصديق
من بعثت اليهم وخلاصهم وهدايتهم و بتكذيبهم وضلالتهم (ومبشرا) اى بالجنة ونعيمها للمؤمنين (ونذيرا) اى بالنار
والجيمها للكافرين (لتؤمنوا) قرئ بالخطاب والغيبة فى السبعة اى لتصدقوا (بالله ورسوله) قال الدلجى رحمه الله
الخطاب له ولامته اى على سبيل التغليب اولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم انتهى والاظهر ان الضمير للامة
على قرأة الخطاب والغيبة كما يدل عليه سياق الكلام والله اعلم بحقيقة المرام (وقال تعالى فآمنوا بالله) اى بذاته
وصفاته (ورسوله) اى الثابت رسالته بمعجزاته (النبى) اى الجامع بين نعتى الرسالة والنبوة التى هى عبارة عن ولايته
التى يأخذ بها الفيض السبحانى و يفيد النوع الانسانى (الامى) اى المنسوب الى ام القرى وهى مكة المكرمة كما قال تعالى
لتنذر ام القرى ومن حولها اوالمنسوب الى امة العرب التى غالبها لم يقرأ ولم يكتب كما ورد انا امة امية لانكتب
ولانحسب الحديث اوالمنسوب الى الام يعنى على الوصف الذى خرج به من بطن امه ما اكتسب شيئا من القراءة
والكتابة ونحوهما وفيه ايماء الى انه على اصل الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها و كما ورد كل مولود
يولد على الفطرة (الآية) اى الى آخرها وهو قوله تعالى (الذى يؤمن بالله وكلماته) اى بما انزل عليه وعلى غيره
من الرسل او باسمائه وصفاته (واتبعوه) فى مأموراته ومنهياته (لعلكم تهتدون) تفوزون بما تسعدون ببركاته (فالايمان
بالنبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واجب) اى امتثالا لامر ربه (متعين) اى لايمكن التخلص عن حكمه (لايتم)
اى لانه لايتم لاحد (الايمان) اى الشرعى (الا به) اى الا بالايمان به او الا بسببه (ولايصح الاسلام) اى استسلام
الاحكام (الامعه) اى الامع الايمان به اومع موافقة انقياده فى حكم ربه وفى نسخة ايمان واسلام بتنكيرهما ثم هذا بناء
على تغايرهما حقيقة واتحادهما شريعة (قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) قيل
وضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمانين فهو كافر وعندى ان الاظهر فى المعنى ان يقال واعتدنا
للكافرين منهم ومن غيرهم فيكون المعنى الاعم هو الاتم اوالمعنى اعتدنا لمن مات على كفره لتكون الآية جامعة بين
النذارة والبشارة وهذا الملحظ اولى لانه يشمل الكل كما لايخفى (حدثنا ابو محمد الحسنى) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين
نسبة الى قبيلة خشينة وقد تقدم وفى نسخة زيد الفقيه وقوله (بقرأتى عليه) اى لا بمجرد سماعى لديه (ثنا)
اى قال حدثنا (الامام ابو على الطبرى) بفتح مهملة وموحدة (ثنا) اى حدثنا (عبد الغافر الفارسى) بكسر
الراء ويسكن وفى نسخة القارى وهو تصحيف وقد تقدم ايضا (ثنا) اى حدثنا (ابن عمرويه) بفتح مهملة وسكون
ميم وفتح راء وواو فسكون تحتية فكسرها وضبط ايضا بضم راء وسكون واو فتحتية وفوقية مفتوحتين وهو
الجلودى وقد تقدم (ثنا) اى حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا)
اى حدثنا (ابو الحسين) رحمه الله تعالى عليه هذا هو مسلم صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (امية) بالتصغير
(ابن بسطام) بكسر الموحدة وفتحها و يصرف وقد يمنع (ثنا) اى حدثنا (يزيد بن زريع) بضم الزاء مصغرا
اخرج له الائمة الستة (ثنا) اى حدثنا (روح) بفتح الراء اخرج له الستة ماعدا الترمذى رحمه الله (عن العلاء بن عبد
الرحمن بن يعقوب) احد علماء المدينة روى عنه شعبة ومالك واخرج له مسلم والاربعة (عن ابيه) هو عبد
الرحمن بن يعقوب الجهنى اخرج له مسلم والاربعة (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال امرت) اى امرنى الله تعالى اذ لاآمر له سواه (ان اقاتل الناس) اى بمقاتلة الكفار
وهو عام خص منه من اقر بالجزية (حتى يشهدوا ان) اى انه (لااله الا الله) استثناء من النكرة المفهومة من اله
اذ مفهومه كلى فى الذهن يتوهم منه النكرة فى الخارج مع انه ليس هنالك الا واحد واجب الوجود الموصوف
بنعوت الكرم والجود وفى رواية حتى يقولوا لا اله الا الله (و يؤمنوا بى و بما جئت به) اى بما امرنى ربى اوالهمنى

فى قلبى (فاذ فعلوا ذلك) اى آمنوا بهما والتزموا احكامهما اواذافعلوا ما قاتلهم لاجله (عصموا منى دماءهم) اى منعوها فلايجوز سفك دمائهم واخذ اموالهم بسبب من الاسباب (الابحقها) اى الابحق يتعلق بهما كقتل نفس بعد وان زنى بعد احصان وكفر بعد ايمان كما ورد و يلحق بها ترك صلوة وزكوة بتأويل باطل فيهما (وحسابهم على الله) اى فيما يسرونه من كفر ومعصية فالحكم بالايمان لظواهرهم والله متولى لسرائرهم والحديث هذا قد اخرجه القاضى كما ترى من عند مسلم وهو فى الايمان ورواه البخارى رحمه الله ايضا وفى رواية اخرجها الستة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال السيوطى وهو متواتر ولفظه امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وانى رسول الله فاذاقالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الابحقها وحسابهم على الله وفى رواية عن انس رضى الله تعالى عنه قيل وما حقها قال زنى بعد احصان اوكفر بعد اسلام اوقتل نفس فيقتل بها (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (والايمان به) اى بالنبى عليه الصلوة والسلام (هو تصديق نبوته) اى انبائه عن الحق (ورسالة الله تعالى له) اى الى الخلق والاضافة فيهما بمعنى الباء اوفى اى تصديقه بهما اوفيهما وهذا باعتبار ذاته وصفاته (وتصديقه فيما جاء به) اى من معتقداته (وماقاله) اى وفى جميع مقولاته من مأموراته ومنهياته (ومطابقة تصديق القلب بذلك) اى بما ذكر (شهادة اللسان) بالنصب وقيل بالرفع اى اقراره (بانه رسول الله) اى الى جميع افراد الانس والجن او الى الخلق كافة (فاذا اجتمع) اى فى العبد (التصديق به بالقلب) وهو حقيقة الايمان (والنطق) اى معه (بالشهادة بذلك) اى بما ذكر (باللسان) اى و بالاقرار الذى هو شطر اوشرط على خلاف بين الاعيان (تم) اى كمل (الايمان به) اى بالجنان (والتصديق له) اى باللسان (كما ورد فى هذا الحديث) اى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (نفسه) اى بعينه الاانه (من رواية ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما اى لامن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (امرت ان) اى بان (اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) الحديث اخرجه الشيخان وقدسبق ان هذا اللفظ جاء من طريق ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ايضا وقد رواه اصحاب الستة عنه الا انه بلفظ انى رسول الله (وقد زاده) اى النبى عليه الصلوة والسلام (وضوحا فى حديث جبرائيل) عليه السلام اى سؤاله عنه (اذ قال) اى حين قال جبرائيل عليه السلام (اخبرنى عن الاسلام فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة وفى نسخة قال (ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وهو الاقرار فعده من الاسلام وهو الانقياد الظاهرى دال على ان الايمان هو التصديق القلبى والانقياد الباطنى (وذكر اركان الاسلام) اى بقية اركانه اذ الجملة خمسة كما ورد بنى الاسلام على خمس حيث قال وتقيم الصلوة وتؤتى الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا (ثم سأله) اى سأله جبرائيل عليه السلام (عن الايمان فقال ان تؤمن بالله) اى تصدق بحقيقة ذاته وحقيقة صفاته (وملائكته) اى بانهم عباد مكرمون مطيعون معصومون لايوصفون بذكورة ولاانوثة (وكتبه) اى بانها منزلة من عنده (ورسله) اى بانهم مبعوثون من الله تعالى الى خلقه صادقون فيما جاؤا به (الحديث) وتمامه واليوم الآخر اى وبانه ومافيه كالبعث والحساب والثواب والعقاب حق وصدق وتؤمن بالقدر خيره وشره اى حلوه ومره والحديث بطوله مذكور فى الاربعين وقد شرحناه فى المبين المعين وهو حديث رواه الستة وغيرهم (فقد قرر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الايمان) اى بالله سبحانه وتعالى و بما يجب الايمان به من غيره (محتاج) وفى نسخة يحتاج (الى العقد بالجنان) بفتح الجيم اى الاعتقاد الجازم بالقلب (والاسلام) اى وان الاسلام (به) اى الانقياد الظاهرى اليه وهو الاقرار به (مضطر الى النطق باللسان) اى ليتم بالبيان فان اللسان ترجمان الجنان (وهذه الحال) وفى نسخة الحالة (المحمودة التامة) وفى نسخة هى المحمودة التامة اى عند الخاصة والعامة فانه حينئذ نور على نور وسرور على سرور وجمع بين الظاهر والباطن فيصدق عليه انه مؤمن مسلم اذ لاخلاف بين اهل السنة انه حينئذ مؤمن وان اختلفوا فى كون الاقرار شطرا للايمان اوشرطا لاجراء احكام الاسلام فاندفع قول الدلجى رحمه الله ان هذا ذهاب منه الى ان الايمان اسم لفعل القلب واللسان وعليه بعض الاشعرية وغيرهم واما قوله ووصفها بكونها تامة مؤذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق باللسان فهو مع كونه مناقضا لماسبق له من البيان مدفوع بالفرق الظاهر بين التمام والكمال كما لايخفى على ارباب الحال لان تمام الشئ يتوقف على حصول جميع اجزائه بخلاف كماله فانه يتوقف على وجود ضيائه و بهائه وهو ههنا بان يكتسب جميع الاوامر و يجتنب جميع الزواجر من الصغائر والكبائر والمعتزلة والخوارج جعلوا الاركان من اجزاء الايمان والله المستعان هذا و يدل على ما قررنا و يشهد لما حررنا قوله (واما الحالة المذمومة) اى عند جميع الامة المسلمة (فالشهادة باللسان دون تصديق القلب) اى من غير اعتقاد الجنان (وهذا) اى الاعتقاد المشتمل على الشقاق (هو النفاق) اى الحقيق وهو ابطان

الكفر واظهار الايمان وهذا كافراذاعلم حاله بالا تفاق (قال الله تعالى) حال لازمة اى مثبتا لما ثبتا لما لايليق بذاته وصفاته (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) اى توهيما منهم انه شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم لازعما منهم كما قاله الدلجى رحمه الله لانهم ما يزعمون ذلك حيث يعلمون حقيقة ما هنالك (والله يعلم انك لرسوله) اى كما اظهروه ولو كان مخالفا لما ابطنوه والجملة احتراس من نفى رسالته المتوهم من قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ولذا فسره المصنف بقوله (اى كاذبون فى قولهم) اى فى دعواهم (ذلك) اى كونك رسول الله صادرا (عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لايعتقدونه) اى والحال انهم لا يعتقدون قولهم انك لرسول الله (فلما لم يصدق) اى لم يوافق (ذلك) اى قولهم وظواهرهم (ضميرهم) اى قلوبهم و بواطنهم وفى نسخة ضمائرهم وهو يحتمل الرفع والنصب (لم ينفعهم ان يقولوا) اى مجرد قولهم (بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) اى لاعتقادهم ان قولهم ذلك كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فخرجوا عن اسم الايمان) اى عن ان يسموا بما اشتق منه فلم يكونوا مؤمنين فى الدنيا (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) اى حكم الايمان فلا يحشرون مع المؤمنين (اذلم يكن معهم) اى ايمان كما فى نسخة (ولحقوا بالكافرين) وفى نسخة بالكفار (فى الدرك الاسفل من النار) بفتح الراء وسكونها اى الطبقة السفلى من دركاتها كما ان المخلصين من المؤمنين فى اعلى اماكن الجنة وارفع درجاتها (و بقى عليهم حكم الاسلام) اى بحسب ظواهر الاحكام فيعاملون كالمسلمين لهم مالهم وعليهم ماعليهم (باظهار شهادة اللسان) اى بسبب اظهارهامنهم وهذا (فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة) اى ائمة الدين من العلماء العاملين (وحكام المسلمين) اى من القضاة والسلاطين (الذين احكامهم على الظواهر) اى جارية وسارية (بما اظهروه من علامة الاسلام) اى من الاذعان والانقياد وقبول الاحكام وهذا كله بحسب الظواهر (اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولاامروا) اى الائمة والحكام (بالبحث عنها) اى عن السرائر (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك) اى التحكم هنالك (وقال) اى فيما رواه البخارى لاسامة بن زيد لما قتل من اضطره فاسلم اقتلته بعد ان اسلم فقال متعذرا انما اسلم مكرها فقال (هلاشققت عن قلبه) اى لم ما كشفت عن ضميره وهذا امر تعجيز اذلا اطلاع على قلب احد الا لربه وقيل هلا اذا دخل على المضارع يفيد الامر كقولك هلا تضرب زيدا واذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ كقولك هلاضربت زيدا والحديث فى صحيح مسلم عن اسامة بن زيد قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال لا اله الا الله فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى عليه الصلوة والسلام فقال اقال لا اله الا الله وقتلته قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال هلاشققت عن قلبه حتى تعلم اقالها ام لا الحديث والمعنى اقالها عن قلبه ام لم يقل عن قلبه وابعد الانطاكى حيث قال الفاعل فى قوله اقالها هو القلب (والفرق) وفى نسخة وللفرق (بين القول) اى باللسان (والعقد) اى بالجنان (ماجعل) بصيغة المفعول او الفاعل وما مصدرية اى جعله او موصولة اى الذى جعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث جبرائيل) عليه السلام اى المتقدم (الشهادة) بالرفع او النصب اى الاقرار (من الاسلام) اى من اركانه حيث قال مجيبا له عن سؤاله عنه ان تشهد (والتصديق من الايمان) اى وجعله فيه منه بقوله مجيبا له عن سؤاله عنه ان تؤمن (و بقيت حالتان اخريان بين هذين) اى الحالين وهما الحالة المحمودة لخلص المؤمنين والحالة المذمومة للمنافقين فيحتاج الى بيانهما (احداهما ان يصدق) اى المكلف (بقلبه ثم يخترم) بالخاء المعجمة على صيغة المجهول اى يقتطع ويموت (قبل اتساع وقت الشهادة) اى قبل ان يأتى بها (بلسانه) اى لضيق زمانه (فاختلف فيه) اى فى انه مؤمن ام لا (فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به) فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه من الاتيان بها وهذا قول ضعيف سواء قيل ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام لا لحقيقة الاسلام اوشطر لان قائله قائل بانه ركن قابل لسقوطه فى بعض الانام كالاخرس وحال ضيق المقام (ورآه بعضهم) اى المصدق المذكور قبل تمكنه من الاقرار المسطور (مؤمنا) اى مصدقا ومسلما (مستوجبا للجنة) اى لعذره بعدم تمكنه من الاتيان به وايضا لولم يعتبر ايمانه للزم ان يكون فى النار مخلدا وهو غير واقع كما اشار اليه المصنف حيث قال (لقوله عليه الصلوة والسلام) اى فيما رواه الشيخان (يخرج) بصيغة المفعول او الفاعل (من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان) وفيه تلويح الى انه وان صغر قدره فقد عظم عند الله تعالى امره ولايضيع اجره وقد قال تعالى ان الله لايظلم مثقال ذرة وهى كل جزء من اجزاء الهباء فى الهواء والمراد بها غاية القلة التى قد يعبر عنها بالعدم اى لايظلم اصلا (فلم يذكر) اى النبى عليه الصلوة والسلام (سوى ما فى القلب) اى لان غيره غير نافع عند الرب فى العقبى لا نقضاء احكام ظاهر الاسلام فى الدنيا (وهذا) اى المؤمن بالجنان العاجز عن اقرار اللسان (مؤمن بقلبه) اى فينفعه ايمانه عند ربه (غير عاص)

اى حيث اطاعه وآمن به (ولامفرط بترك غيره) اى بترك غير امره من اقراره لعدم ادراكه وقته وفقد استقراره (وهذا)
اى الرأى من هذا البعض (هو الصحيح فى هذا الوجه) اى لما بيناه من الوجه الذى عيناه (الثانية) اى الحالة الثانية
(ان يصدق بقلبه) اى ويكتفى بعلم ربه (و يطول مهله) بفتح الميم وسكون الهاء وتحرك اى زمانه (وعلم مايلزمه من
الشهادة) اى النطق بها (فلم ينطق بها جملة) اى مطلقا (ولا استشهد فى عمره) اى ولاتشهد فى عمره مرات كثيرة
كما كان اللائق به ان يكررها ويتلذذ بذكرها ويقوم بشكرها (ولامرة واحدة) اى بل ولا كرة (فهذا) اى المؤمن
المذكور بالوصف المسطور (اختلف فيه ايضا) اى كما اختلف فيما قبله (فقيل هو مؤمن) اى لانه اتى بما يكفى من
مقصود الايمان (لانه مصدق) اى بقلبه وهو من احسن الاحوال (والشهادة من جملة الاعمال) اى اركان الاسلام
الموجبة للكمال (وهو) فى نسخة فهو (عاص بتركها) اى بترك الشهادة كالوترك الصلوة والزكاة (غير مخلد) اى
فى النار كما فى نسخة والمعنى ان دخلها لايخلد فيها كما هو شان المؤمن العاصى حيث يكون تحت المشيئة الا ان هذا
القول لا يصح عند من يقول الاقرار شطر وكذا عند من يقول انه شرط حيث لايوجد المشروط بدون الشرط حال
امكان وجوده فبطل قول الدلجى وهذا كما مر عند المحققين هو الحق ولايمضى عند من يقول الايمان هو التصديق
فقط انتهى ولايخفى انه مخالف للاجماع لان تارك الشهادة مع القدرة عاص عند الكل من غير نزاع وانما الخلاف فى انه
مؤمن اوليس بمؤمن والله سبحانه وتعالى اعلم (وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده) اى اعتقاده وتصديقه بالجنان
(شهادة) اى اقرارا بالله و برسوله وفى نسخة شهادة اللسان وهى بالنصب وقيل بالرفع وكلاهما جائز لان من قارن
الشئ فقد قارنه ذلك الشئ وانما قيل بنفى ايمانه (اذالشهادة انشاء عقد والتزام ايمان) اى قبول احكام الاسلام
(وهى)اى الشهادة(مرتبطة مع العقد)اى جزم القلب(ولايتم التصديق مع المهلة)بضم فسكون اى مع الامهال
زمانا يسعه القيام بشرطه اوشطره (الابها) اى بالشهادة سواء قلنا انها شرط اوشطر كما بينا(وهذا) اى القول الثانى
(هوالصحيح) اى فى انه ليس بمؤمن لعدم قرانه عقد جنانه باقرار لسانه مع تمكنه من بيانه فى مهلة زمانه واما
قول الدلجى ان هذا انما يقول به من يجعل الاعمال جزأ منه فخطأ ظاهر اذ اجمع اهل السنة على ان الاعمال ليست
جزأ من حقيقة الايمان خلافا للخوارج والمعتزلة واما نسبة هذا القول الى الشافعى رحمه الله والمحدثين فمحمول على
انها جزء من كمال الايمان وانما الخلاف لفظى فى مراتب الايقان فبطل قول الدلجى ان الايمان قول وعمل واعتقاد كما
هو مذهب الفقهاء والمحدثين اوقول واعتقاد كما هو مذهب ابى حنيفة رحمه الله واشياعه انتهى ولايخفى ان هذا
غفلة منه عن تحقيق الاشعرى واتباعه ثم هذا الخلاف فيما اذا لم يؤمر باداء الشهادة واذا امر بها وامتنع وتأبى عنها
كابى طالب فهو كافر بالاجماع (وهذا) اى ماذكرنا فى بحث الايمان وفى نسخة وهذه اى هذه المسائل اوالاقوال التى هى
الوسائل التى كتب فيها الرسائل لينتفع بها كل طالب وسائل (نبذ) بنون مفتوحة وسكون موحدة فذال معجمة اى شئ
قليل يسير على مافى القاموس وهو مطابق لما فى النسخ المعتبرة وموافق لما فى الشروح المعتمدة واما ماذكره الدلجى من
قوله بنون وباء موحدة مفتوحتين وفى نسخة بضم النون وسكون الباء جمع النبذة فليس فى النسخ وهو مخالف لما فى
كتب اللغة بل فى القاموس ان النبذة بفتح النون وتضم الناحية ولاريب ان هذا المعنى لايناسب مقام المرام فهو مخالف
الرواية والدراية نعم فى نسخة نبذ بضم ففتح جمع نبذة اى قطعة يسيرة والمعنى ان ما ذكر من الايمان ومايتعلق صحة
وعدما فى هذا المكان شئ يسير يترتب عليه امر كثير(يفضى) من الافضاء اى يوصل و يؤدى(الى متسع من الكلام
فى الاسلام والايمان وابوابهما) اى مما يتعلق بهما من الاحكام(وفى الزيادة فيهما والنقصان) وفيه ان لاخلاف
فى زيادة مراتب الاسلام المتعلقة بالاعمال ونقصانها وانما الخلاف فى زيادة نفس الايمان ونقصانه و يتفرع عليهما
قوله(وهل التجزى ممتنع على مجرد التصديق) اى كما عليه اهل التحقيق (لا يصح) اى التجزى وهو قبول الزيادة
والنقصان اصلا(فيه) اى فى الايمان(جملة) اى اجمالا بل يحتاج الى بيانه تفصيلا كما اوضحه بقوله (وانما يرجع)
اى التجزى(الى مازاد عليه) اى على نفس الايمان (من عمل)اى واحسان قول (وقد يعرض فيه) بكسر الراء و يضم
اى يحصل التجزى فى التصديق(لاختلاف صفاته وتباين حالاته) اى وتغاير مقاماته وتفاوت درجاته(من قوة يقين)
اى علم (وتصميم اعتقاد)اى عن دليل قوى(ووضوح معرفة) اى بانضمام مشاهدة (ودوام حالة) اى من غير فتور
فيها ولاقصور عنها (وحضور قلب) اى بالغيبة عن غير الرب وهو حال الاطمئنان ومقام الاحسان الذى بينه عليه
الصلوة والسلام بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ولاشك ان مقام الاحسان واحكام الاركان من احكام
الايمان وكمال الاتقان لان الايمان يقبل الزيادة والنقصان كما حققناه فى شرح الاربعين ودققناه فى شرح الفقه الاكبر
بتوفيق المعين (وفى بسط هذا) اى البحث الشريف (خروج عن غرض التأليف) لان المقصود منه اداء حقوق

صاحب الاصطفاء بمتابعته على وجه الاستيفاء (وفيما ذكرنا غنية) اى استغناء عن تطويله (فيما قصدنا) اى اردنا (ان شاء الله تعالى) اى ان كان على وفق ارادته سبحانه وتعالى

﴿فصل﴾

(واما وجوب طاعته) اى اطاعة النبي عليه الصلوة والسلام فى حكومته واتباع شريعته (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به) مجملا (وجبت طاعته) اى مطلقا وهو جواب الشرط (لان ذلك) اى وجوب طاعته (مما اتى به) اى من جملة ماجاء به من الدين بالضرورة (قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله) ذكر الله تحسين وتزيين وتوطئة وتنبيه على ان طاعته فى طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بشهادة افراد الضمير فى قوله ولا تولوا عنه اى عن رسوله وبدليل قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او يقال افراد الضمير ايماء الى ان الطاعتين مثلا زمتان او الضمير الى كل واحد منهما والاظهر ان المعنى اطيعوا الله تعالى فيما انزل من كتابه والرسول فيما اوحى اليه من خطابه فى مقام ايجابه (وقال قل اطيعوا الله والرسول) ولم يقل واطيعوا الرسول لماسبق من تلازم الطاعتين وتداوم الحالتين واما حيث قال اطيعوا الله واطيعوا الرسول كما فى نسخة صحيحة فللاشارة الى استقلاله بالطاعة فيما ثبت عنه بالسنة وضبط الشريعة (وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اى باطاعتهما ومتابعة شريعتهما (وقال وان تطيعوه) اى نبي الخلق (تهتدوا) اى الى الحق (وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله) لانه المبلغ والآمر فى الحقيقة هو الله وقد نزلت الآية فى المنافقين حين قال النبي عليه الصلوة والسلام من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقالوا لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى (وقال وما آتاكم الرسول فخذوه) اى اعطاكم من امره وامتثاله فتمسكوا به (وما نهاكم عنه) اى عن اتيانه (فانتهوا) اى عنه لوجوب طاعته وامتثال متابعته (وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية) اى فالذين اطاعوهما يكونون (مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين) المبالغين فى التصديق والصدق والتحقيق من العلماء والاولياء (والشهداء والصالحين) اى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه الجامعين بين تعظيم امره والشفقة على عباده ومن بيانية حال منه او من ضميره (وحسن اولئك رفيقا) اى لانهم فى اعلى عليين (ذلك الفضل من الله) اى لايجب عليه سبحانه وتعالى شئ (وكفى بالله عليما) اى بالمطيعين والعاصين (وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) اى بامره وتيسيره (فجعل) اى الله (طاعة رسوله طاعته) اى طاعة نفسه بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) اى فى كثير من آياته (ووعد على ذلك) اى ما ذكر من الطاعة والاطاعة (بجزيل الثواب) بقوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية (واوعد على مخالفته بسوء القلب) بقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم (واوجب امتثال امره واجتناب نهيه) بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (قال المفسرون والائمة) اى المجتهدون (طاعة الرسول فى التزام سنته) اى طريقته ومواظبة متابعته (والتسليم) اى الاذعان والانقياد (لما جاء به) اى من شريعته (وقالوا) اى المفسرون (ما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليهم) ونهاهم عن معصيته لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اى الا ليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه لهم فى طاعته او بتوفيقه لمتابعته فمن لم يطعه فى شريعته ولم يرض برسالته فهو كافر فى ملته (وقالوا من يطع الرسول فى سنته) الاولى سننه بصيغة الجمع ليلايم قوله (يطع الله فى فرائضه) جواب الشرط والمعنى من يطع الرسول فيما امر به ونهى عنه مما لم يرد به القران الكريم يطع الله فى فرائضه الثابتة فى الفرقان العظيم لان امره ونهيه من امره ونهيه لقوله تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى ولقوله عليه الصلوة والسلام لاالفين احدكم على اريكته يأتيه الامر مما امرت اونهيت فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله عملنا به فهذا نهى مؤكد منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمن لم يعمل بسنته اذالعمل بها كالعمل بكتاب الله وشريعته (وسئل سهل بن عبد الله) اى التسترى (عن شرائع الاسلام) اى جميعها (فقال وما آتاكم الرسول فخذوه) اى تمسكوا به فى امره ونهيه (وقال السمرقندى) اى الفقيه ابو الليث رحمه الله (يقال اطيعوا الله فى فرائضه والرسول فى سنته) اى فى شريعته الشاملة لفريضته وسنته المستفادة من احاديثه الواردة وفق طريقته (وقيل اطيعوا الله تعالى فيما حرم عليكم) والاول ابلغ لان الفرض يشمل فعل الواجب المحتم وترك الفعل المحرم (والرسول فيما بلغكم) اى اوصلكم من امره ونهيه ولو لم يسنده الى ربه (ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية) اى بوصف الوحدة ونعت العبودية له وحده (والنبي بالشهادة له بالنبوة) اى المقترنة بالرسالة وفى نسخة بالرسالة والاولى اشمل والثانية اكمل وكان الجمع بينهما افضل اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والمعنى ان هذه الاطاعة اقل ما يطلق عليه اسم الطاعة (حدثنا ابو محمد بن عتاب) بفتح فتشديد فوقية (بقراءتى عليه) اى لابسماعى لديه (ثنا) اى قال حدثنا (حاتم بن محمد) اى ابن الطرابلسى (ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن

على بن محمد بن خلف) بفتحتين وهو القابسى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن احمد) وهو ابو زيد المروزى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا) اى حدثنا (البخارى) وهو صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (عبدان) بفتح فسكون موحدة وهو بوزن التثنية غير مصروف وهو العتكى المروزى يقال تصدق بالف الف (انا) اى اخبرنا (عبد الله) اى ابن وهب فيما يغلب على الظن لان مسلما روى هذا عن اثنين عنه به (انا) اى اخبرنا (يونس) اى ابن يزيد الايلى احد الاثبات روى عن القاسم وعكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وابن وهب اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن الزهرى) تابعى جليل (قال اخبرنا ابو سلمة بن عبد الرحمن) احد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (انه سمع ابا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعنى) اى فيما جئت به عن الله تعالى (فقد اطاع الله) لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ومن عصانى فقد عصى الله) وهو اللازم لجعل طاعته طاعته والحاصل ان الاول معلوم الكتاب والثانى مفهوم الخطاب (ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى) اى بطريق القياس لان طاعته من طاعته لكن بشرط ان يأمر بطاعته لا بمعصيته كما يستفاد من اطاعته فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق والحديث الاول رواه الشيخان وان استده المصنف من طريق البخارى (وطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته وطاعته امتثال لما امر الله وطاعة له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه فيما امر ونهى ومن جملة ذلك تأمير اميره هنالك (وقد حكى الله تعالى عن الكفار فى دركات جهنم) اى طبقاتها السفلية بحسب مقامات اهلها فى المعاصى الجلية والخفية حيث قال (يوم تقلب وجوههم فى النار) اى تصرف من جهة الى جهة استيعابا لجميع اعضائهم واستيفاء لسائر اجزائهم كقطعة لحم تدور فى قدر غلت فتراى بها الغليان من ناحية الى اخرى والمراد من الوجوه ذواتهم او اريد بها اشرف اعضائهم والطف اجزائهم لا سيما وسائر البدن تابع لها فى اقبالها وادبارها (يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) باثبات الالف رسما واختلفت القراءة وقفا ووصلا (فتمنوا طاعته) اى حين شاهدوا التمنى (حيث لا ينفعهم التمنى وقال) وفى نسخة وقد قال (عليه الصلوة والسلام) اى فيما رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا امرتكم بشئ) وفى نسخة بامر اى مأمور به ايجابا اوندبا (فأتوا منه ما استطعتم) اى من غير ترك لواجب (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلوة والسلام كل امتى) اى جميعهم (يدخلون الجنة الا من ابى) اى امتنع عن دخول الجنة والظاهر انه استثناء منقطع والمراد بالامة امة الاجابة ودخول الجنة اعم من ان يكون اولا او آخرا ولا يبعد ان يكون الاستثناء متصلا على ان المراد بالامة امة الدعوة وان المعصية مختصة بالكفر (قالوا ومن ابى) وفى نسخة قالوا يارسول الله ومن يأبى اى عن دخول الجنة مع ان فيها حصول النعمة ووصول المنة (قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى) اى بتركه الطاعة التى هى سبب لدخولها وموجب لوصولها والحديث رواه الحاكم بلفظ كلكم يدخل الجنة الا من ابى الحديث كذا ذكره الدلجى وفى الجامع الصغير برواية البخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظه كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى (وفى الحديث الآخر الصحيح) اى الذى رواه البخارى فى صحيحه (عنه عليه الصلوة والسلام مثلى ومثل ما بعثنى الله تعالى به) اى مما يورث الفوز بنصر الدنيا وذخر العقبى والمعنى حالتنا العجيبة الشان وصفتنا الغريبة البرهان (كمثل رجل اتى قوما) اى جاءهم يحذرهم من عدوهم وراءهم (فقال ياقوم انى رأيت الجيش) اى عسكر العدو (بعينى) بصيغة التثنية للمبالغة فى التأكيد ودفع توهم المجاز فى الخبر الاكيد (وانى انا النذير العريان) اى المخوف الذى ليس له غرض فى التحذير بل هو عارى عن تلبيس وتدليس فى وصف النذير وقيل هذا مثل ضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مبالغة فى صدق النذارة لانه اذا كان عريانا كان ابين وقيل بل كان يتجرد عن ثيابه ويلوح بها فى مقام خطابه ليجتمعوا اليه ويحققوا ما لديه وقيل هو الذى سلب العدو ما عليه من الثوب فاتى قومه عريانا يخبرهم فصدقوه لما عليه من آثار الصدق (فالنجاء) بفتح النون قبل الجيم ممدود اوقد يقصر وهو منصوب على الاغراء اى الزموا النجاء وهو الاسراع الى المنجى والملجأ فى حال البلاء لتسلموا من الاعداء وقيل انه منصوب على المصدر اى انجوا النجاء بمعنى اطلبوا النجاة وهو غالب النسخ مرة واحدة وفى بعضها النجاء النجاء مرتين للتأكيد واحدهما اشارة الى امر الدنيا والآخر ايماء الى امر العقبى (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) بتخفيف الدال وقطع الهمزة وفى بعض النسخ بتشديدها ووصل الهمزة فقيل هما لغتان تستعملان فى سير الليل كله وقال اكثرهم ادلج سار آخر الليل وادلج سار الليل كله وقيل ان ساروا من آخر الليل فادلجوا بالتشديد وان ساروا من اول الليل فادلجوا بالتخفيف والقول الاكثر هو الاوسط المعتبر لكن المراد فى الحديث هو المعنى الاعم فتدبر (فانطلقوا على مهلهم) بسكون الهاء ويفتح

اى

اى فذهبوا على مهلتهم بوصف تؤدتهم من غير عجلتهم (فنجوا) اى فتخلصوا من عدوهم ونهبهم وفى حديث على اذا سرتم الى العدو فمهلا مهلا واذا وقعت العين على العين فمهلا مهلا قال الازهرى الساكن الرفق والمحرك التقدم اى اذا سرتم فتأتوا واذا لقيتم فاحملوا اى وتعنوا (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم) اى دخلوا فى الصبح فى محلهم (فصبحهم الجيش) بتشديد الموحدة اى نزلوا عليهم وقت صباحهم قبل رواحهم (فاهلكهم) اى الجيش (واجتاحهم) اى استأصلهم ولم يبق واحدا منهم (فذلك) اى المثل المذكور مثل من اطاعنى اى انقاد لى فى الطاعة على وجه الصدق (واتبع ماجئت به) اى من الامر الحق فيه ايماء الى انه لا ينبغى لاحد ان يكتفى بظاهر الطاعة عن اتباع ماجاء به من العبادة (ومثل من عصانى) اى بالوجه المطلق (وكذب ماجئت به من الحق) فيه اشارة الى ان مطلق العصيان غير مستأصل للانسان بل العصيان مع التكذيب هو الموجب لاستئصال البنيان لكونه كمال العدوان (وفى الحديث الآخر) اى الذى رواه الشيخان (فى مثله) بفتحتين اى فى تمثيله صلى الله تعالى عليه وسلم (كمثل من بنى دارا) واصل هذا المثل منسوب الى الملائكة حيث قالوا فى حقه عليه الصلوة والسلام اما فى حال اليقظة واما فى حال المنام مثله كمثل رجل بنى دارا (وجعل فيها مأدبة) بضم الدال المهملة وقد تفتح اى اطعمة ملونة موضوعة للدعوة (وبعث داعيا) اى الى الناس ليحضروها ويأكلوا منها (فمن اجاب الداعى) اى بقبول الدعوة (دخل الدار) اى دار النعمة (واكل من المأدبة) اى على قدر الطاقة فى الطاعة (ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار) اى دار القربة (ولم يأكل من المأدبة) اى لان نصيبه الفرقة والحرقة (فالدار الجنة) اعدت للمتقين الذين اجابوا دعوة سيد المرسلين (والداعى) اى الى الله ودار نعمته (محمد) صلى الله عليه وسلم (فمن اطاع محمدا) صلى الله عليه وسلم (فقد اطاع الله) لانه الداعى اليه بامره (ومن عصى محمدا) صلى الله عليه وسلم (فقد عصى الله تعالى) اى بخروجه عن حكمه (ومحمد فرق) بفتح فسكون اى فارق (بين الناس) اى من المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه فهو مصدر وصف به للمبالغة كرجل عدل وفى نسخة بفتح الراء مشددة ومخففة بالفاء اى فصل بينهم باعزاز المطيعين واذلال العاصين

﴿ فصل ﴾

(واما وجوب اتباعه) اى متابعته (وامتثال سنته) اى طريقته (والاقتداء بهديه) اى سمته وحالته وسيرته (فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) اى تدعون محبته وتريدون مودته (فاتبعونى) اى فيما يظهر منى من شريعته وطريقته وحقيقته (يحببكم الله) جواب الامر وهو جواب الشرط اى يرضكم ويكشف حجب قلوبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) اى جميع عيوبكم (وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبى الامى) وفى وصفه به تلويح الى ان كمال علمه من معجزاته (الذى يؤمن بالله وكلماته) اى بكتبه وآياته (واتبعوه) اى فى اوامره وزواجره (لعلكم تهتدون) ببركاته ظواهره وسرائره (وقال تعالى فلا وربك) زيدت لا لتأكيد معنى القسم كما قاله الدلجى تبعا لغيره لكن يأباه الجمع بين الفاء والواو فالاظهر ان تقديره فليس الامر كما يظنون من انهم يصلون الى الله تعالى من غير ان يتبعوا رسوله وربك (لا يؤمنون) اى بى ولابك (حتى يحكموك) اى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) اى اختلفوا فى امرهم ويرضوا بحكمك فى حقهم (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا) اى ضيقا (مما قضيت) اى حكمت به او من حكمك (ويسلموا تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره (اى ينقادوا لحكمك) يعنى انقيادا كاملا يكون لجميع احكامك شاملا ولظواهرهم وبواطنهم كافلا (يقال) اى فى اللغة (سلم) بتشديد اللام (واستسلم واسلم اذا انقاد) اى مطلقا (وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة) بكسر الهمزة وضمها اى خصلة (حسنة) من حقها ان يؤتسى ويقتدى بها (لمن كان يرجو الله) اى ثوابه اولقاءه (واليوم الآخر) اى نعيم الآخرة اولمن كان يخاف عقابه اوحجابه واليوم الآخر اى حسابه وعذابه (وقال محمد بن على الترمذى) اى الحكيم وهو ليس صاحب الجامع (الاسوة فى الرسول) اى معناها فى حقه (الاقتداء به) اى فى امر شريعته (والاتباع لسنته) اى طريقته (وترك مخالفته فى قول اوفعل) وكذا فى جميع ماعلم من حالته (وقال غير واحد) اى كثير من المفسرين (بمعناه) اى بمعنى قول الحكيم وان اختلف منهم مبناه (وقيل هو) اى قوله تعالى لقد كان لكم الآية (عتاب) اى ملامة من الله (للمتخلفين عنه) اى فى غزواته وخصوص حالاته وعلو درجاته ورفعة مقاماته (قال سهل) اى ابن عبد الله كما فى نسخة وهو التسترى من اكابر الصوفية (فى قوله تعالى) اى فى تفسيره (صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة) وفى نسخة سنته اى انعم عليهم بسبب اتباع طريقته (فامرهم الله تعالى بذلك) اى باتباع شريعته (ووعدهم الاهتداء باتباعه) اى بمتابعته حيث قال واتبعوه لعلكم تهتدون (لان الله تعالى ارسله بالهدى) اى بالهداية الموصلة الى المولى (ودين الحق) اى الملة الثابتة بمخالفة الهوى (ليزكيهم) اى يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) اى القرآن الجامع لمكارم الاخلاق (والحكمة)

اى السنة اوالاحكام المحكمة والمعارف الصادرة عن اهل الحكمة ممن جمع بين ايقان العلم واتقان العمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) هو الدين القويم بالطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى العقبى (ووعدهم) اى على اتباعه (محبته تعالى فى الآية الاخرى) وهى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم وهذا معنى قوله (ومغفرته) اى ووعدهم غفران ذنوبهم (اذا اتبعوه) اى فى الايمان به وامتثال امره ونهيه (وآثروه) بالف ممدودة اى قدموه على انفسهم وآثروه (على اهوائهم) واختاروا هداه على آرائهم واحبوه ازيد من آبائهم وابنائهم (وماتجنح) بفتح النون وتضم اى وعلى ماتميل (اليه نفوسهم) اى من محبة الجاه والمال والجمال المتعلقة بالامور الدنيوية الشاغلة عن المراتب الدينية والمناقب الاخروية (وان صحة ايمانهم) اى واخبر فى قوله تعالى فلا وربك لايؤمنون الآية ان صحته (بانقيادهم له) اى لامره (ورضاهم بحكمه) اى فيما شجر بينهم (وترك الاعتراض عليه) اى فيما حكم لهم اوعليهم (وروى) كما فى تفسير ابن المنذر (عن الحسن) اى البصرى (ان اقواما) اى جما كثيرا (قالوا يارسول الله انا نحب الله) اى ونطلب رضاه (فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية وروى) قال الدلجى لا ادرى من رواه (ان الآية) اى هذه الآية (نزلت فى كعب بن الاشرف) وهو يهودى قتل غيلة كافرا بالله تعالى (وغيره) اى من اليهود (وانهم قالوا نحن ابناء الله) زعما منهم انهم اشياع عزير (واحباؤه) يعنون به كما قال المصنف (ونحن اشد حبا لله) اى مقربون قرب الاولاد من آبائهم بل هم مبعدون عنه بعداعدى الاعداء من اعدائهم اذلو كانوا ابناءه واحباءه لم يأتوا قبيحا من عيوبهم ولما عذبوا بذنوبهم مسخا فى الدنيا ومسا بالنار دائما فى العقبى لااياما معدودات كما زعموا وتمنوا من جهة النفس والهوى وقد اجاب عنه سبحانه وتعالى بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء بالايمان و يعذب من يشاء بالكفران والله على كل شئ قدير من الاحسان والخذلان وهذا لاينافى قوله تعالى (فانزل الله الآية) اى آية قل ان كنتم تحبون الله حيث لامانع من تعدد الجواب فى مقام الخطاب والعتاب (وقال الزجاج معناه) اى معنى ما ذكر من الآية او معنى ان كنتم تحبون الله (ان تقصدوا طاعته) اى تريدونها وتحبوا القيام بحقها (فافعلوا ماامركم به) اى رسولنا وهذا تفسير بالمعنى لقوله تعالى فاتبعونى اى اتبعوا امرى ونهيى (اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا) اى ونهيا (ومحبة الله لهم) اى لعباده (عفوه عنهم) اى برأفته (وانعامه عليهم برحمته) حتى يدخلهم فى جنته (ويقال الحب من الله) اى للعبد (عصمة) اى حفظ له عن المعصية (وتوفيق) اى للعبادة (ومن العباد) اى والحب من العباد لله (طاعة) له فى امره ونهيه ومتابعة رسوله (كما قال القائل) قيل القائل رابعة العدوية وفى الاحياء ان قائله عبد الله بن المبارك (تعصى الاله وانت تزعم حبه هذا) اى الجمع بين اختيار المعصية واظهار المحبة (لعمرى) بفتح العين اعتراض بين المبتدأ والخبر ومافى حيزه من جار ومجرور وخبر اقسم به والتقدير والله لبقائى اولعمرى مما اقسم به ان هذا الامر (فى القياس) وفى نسخة فى الفعال وهو موافق لتفسير ابى الليث واحياء الغزالى (بديع) اى عجيب وغريب و بعيد عن القياس اومن فعال الناس لانه (لوكان حبك صادقا لاطعته) كما هو القياس لكنك لم تطعه فلم يكن حبك له صادقا بدليل قوله (ان المحب لمن يحب مطيع) وفى رواية يطيع (ويقال محبة العبد لله) اى غاية ميله اليه سبحانه وتعالى (تعظيمه له) اى فى شأنه (وهيبته منه) اى فى سلطانه (ومحبة الله له) اى للعبد (رحمته له) اى بانعامه فيكون من الصفات الافعالية (وارادته الجميل له) اى باكرامه فيكون من النعوت الذاتية والجميل منصوب على انه مفعول المصدر الذى هو ارادته (فتكون) اى وقد تكون المحبة (بمعنى مدحه وثنائه عليه) اى على العبد عند ملائكته وعلى السنة رسله او على السنة الخلق فانها اقلام الحق (قال القشيرى) وهو الامام ابو القاسم صاحب الرسالة والتفسير (فاذا كان) اى الحب (بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات) والاظهر ما قدمناه (وسيأتى بعد) اى بعد ذلك (فى ذكر محبة العبد غير هذا) اى غير ماذكرهنا (بحول الله تعالى) اى بتصرفه وقوته وهو متعلق بسيأتى (حدثنا ابو اسحق ابراهيم ابن جعفر الفقيه قال ثنا) اى حدثنا (ابو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفى آخره غين معجمة (عيسى بن سهل وثنا) اى وحدثنا وفى نسخة واخبرنا (ابو الحسن يونس بن مغيث) اسم فاعل من الاغاثة (الفقيه) اى الكامل فى الفقه (بقرأتى عليه) اى هذا الحديث (قالا) اى عيسى و يونس كلاهما (ثنا) اى حدثنا (محمد بن عتاب) بكسر الفوقية (قال ثنا) اى حدثنا (ابو جعفر الجهنى) بضم ففتح نسبة الى قبيلة جهينة بالتصغير (ثنا) اى حدثنا (ابو بكر الآجرى) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء وهو الامام الحافظ القدوة (ثنا) اى حدثنا (ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح الجيم وسكون الواو وكسر الزاء منسوب الى الجوز (ثنا) اى حدثنا (داود بن رشيد) بالتصغير خوارزمى روى عنه مسلم وابوداود وابن ماجه والبغوى والسراج وخلق اخرج عنه الستة ماعدا الترمذى ووثقه غير واحد (ثنا) اى

حدثنا (الوليد بن مسلم) هو الحافظ ابو العباس عالم اهل الشام روى عنه احمد واسحق قال ابن المديني ما رأيت في الشاميين مثله اخرج له الجماعة وهو مدلس (عن ثور بن يزيد) هو الحافظ الحمصي روى عن خالد بن معدان وعن عطاء وعنه القطان وابو عاصم وكان ثبتا قدريا اخرجوه من حمص واحرقوا داره اخرج له البخاري والاربعة (عن خالد ابن معدان) هو الكلاعي عن معاوية وثوبان وغيرهما يقال كان يسبح في اليوم اربعين الف تسبيحة وقيل غير ذلك اخرج له الجماعة (عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي) بضم ففتح هو الصواب كما في سنن ابي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه وفي بعض النسخ الاسلمي (وحجر) بضم مهملة وسكون جيم (الكلاعي) بفتح الكاف (عن العرباض) بكسر العين المهملة وفي آخره ضاد معجمة (ابن سارية) اي ابن نجيح السلمي من البكائين من اهل الصفة اخرج له اصحاب السنن الاربعة (في حديثه) اي في حديث رواه العرباض (في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) اي الخلفاء الاربعة ومن سار سيرتهم كعمر بن عبد العزيز والراشد اسم فاعل من الرشد وهو خلاف الغي والمهدي من هداه الله تعالى الى الحق (عضوا) بفتح فتشديد (عليها بالنواجذ) بالذال المعجمة اي تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع اضراسه (واياكم ومحدثات الامور) تحذير منها ومن الرضى بها جمع محدثة وهي ما لم يكن معروفا من كتاب ولا سنة ولا اجماع امة (فان كل محدثة بدعة وكل بدعة) بالنصب وفي نسخة بالرفع (ضلالة) وخص منها البدعة الحسنة بحديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه في التراويح نعمت البدعة هذه والحديث في الاربعين للنووي وقد اوضحنا في شرحه المبين المعين بيان مبناه وعيان معناه وقد اخرجه ابو داود في السنة عن احمد بن حنبل عن الوليد بن مسلم بالسند الذي ساقه القاضي والترمذي في العلم وقال حسن صحيح وابن ماجه في السنة والمصنف عدل عن السنن الثلاث واخرجه من خارجها طلبا للعلو في الاسناد فان بينه وبين شيخ شيخ ابي داود في هذا الحديث وهو الوليد بن مسلم ستة اشخاص ولا يتفق له ذلك في رواية ابي داود (زاد في حديث جابر) على ما رواه مسلم (بمعناه) اي زيادة افادت عدم روايته بلفظه ومبناه (وكل ضلالة في النار) اي وكل محدثة فيها باسقاط المكرر (وفي حديث ابي رافع) كما رواه الشافعي في كتابه الام عن سفيان بن عيينة عن سالم ابي النضر عن عبيد الله بن ابي رافع عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه عنه عليه الصلوة والسلام (لا الفين) بضم الهمزة وكسر الفاء ونون مشددة اي لا اجدن (احدكم متكئا على اريكته) اي جالسا على سريره او فراشه متمكنا على مقعده او مائلا في قعوده معتمدا على احد شقيه كما هو شان الجهلة من المتكبرين الراضين بالقعود مع المتخلفين كما قيل * شعر * دع المكارم لا ترحل لبغيتها * * واقعد فانك انت الطاعم الكاسي (يأتيه الامر من امري) اي يبلغه امر من اموري او من مأموري بدليل قوله (مما امرت به) على ان من فيه بيانية وبدلالة رواية الاهل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى (او نهيت عنه فيقول لا ادري) اي غير القرآن ولا اتبع سوى الفرقان (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) اي وما وجدنا في غيره او مخالفا فيه تركناه والحديث جاء محذرا من ترك امتثال اوامره واجتناب زواجره لانه عليه الصلوة والسلام جاء مبينا لما في القرآن من الاحكام ولقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله واطيعوا الله والرسول وقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وامثال ذلك مما يدل على انه لا يسوغ لمسلم ان يخالفه في امر او نهي هنالك (وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ رخص فيه) اي اختار الرخصة على العزيمة في عمل ذلك الشيء عملا بقوله عليه الصلوة والسلام ان الله يحب ان يؤتى برخصه كما يحب ان يؤتى بعزائمه والظاهر ان ما ترخص فيه هو الافطار في السفر او القصر وهو الاظهر لقوله عليه الصلوة والسلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ومن هنا قال ابو حنيفة ان القصر واجب واتمامه اساءة (فتنزه عنه) اي تبعد عن ذلك الشيء او عن الترخص فيه (قوم) اي جماعة من الرجال ما بلغوا مبلغ الكمال (فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله) اي شكره (واثنى عليه) اي فيما افاض اليه (ثم قال ما بال قوم) اي ما حالهم وشأنهم (يتنزهون عن الشيء اصنعه) جملة وصفية او حالية (فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية) اذ بقدر المعرفة بالله وصفاته تكون الخشية من عقوباته وحجاب حالاته ومقاماته كما يشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وروى عنه عليه الصلوة والسلام) من حديث ابي الشيخ وابي نعيم والديلمي (انه قال القرآن صعب) اي باعتبار مبناه (مستصعب) بكسر العين وتفتح اي باعتبار معناه (على من كرهه) اي ولم يتلذذ بمقتضاه ومفهومه انه سهل متيسر على من احبه وارتضاه كما يشير اليه قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهو كالسيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وشفاء للمؤمنين وشقاء للعاصين (وهو) اي القرآن (الحكم) بفتحتين الحاكم العدل والفاتح الفصل والحد

الذي ليس فيه الهزل اوذو الحكمة من كال الفضل (فمن استمسك بحديثي) اى تعلق به من كال رضاه (وفهمه) اى القرآن من جهة معناه (وحفظه) اى من جهة مبناه اى ضبط حكمه وراعاه (جاء) اى ورد (يوم القيمة مع القرآن) اى بعلمه وعمله بهما (ومن تهاون بالقرآن وحديثي) بان لم يعمل بهما ولو حفظهما وفهمهما (فقد خسر الدنيا والآخرة) اى وتلك الخسارة الظاهرة (امرت امتى) بصيغة المجهول للتأنيث وفى نسخة بصيغة الفاعل المتكلم والاول هو الظاهر اى امرهم الله (ان يأخذوا بقولى) اى اعتقادا لقوله تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ويطيعوا امرى) اى اعتمادا لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ويتبعوا سنتي) اى استنادا لقوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون (فمن رضى بقولى) اى بحديثي (فقد رضى بالقرآن) وفى الكلام قلب للمبالغة اى فمن رضى بالقرآن فقد رضى بقولى ومن لم يرض بقولى فلم يرض بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عليه الصلوة والسلام من اقتدى بى فهو منى اى متصل بى ومعى او من اشياعى واتباعى وقد رواه عبد الرزاق فى مصنفه من مراسيل الحسن الا انه بلفظ من استن بسنتي اى اتبعها وعمل بها فهو منى (ومن رغب عن سنتي) يقال رغب فى الشيء اذا اراده ورغب عنه اذا لم يرده والمعنى ومن مال عنها كراهة لها (فليس منى) كما فى الصحيحين (وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله تعالى) هذا مقتبس من قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) وهو بفتح الهاء وسكون الدال فيهما بمعنى السمت والطريقة وضبط فى بعض النسخ بضم الهاء وفتح الدال على انه ضد الضلالة لقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى والمعنى به سيرته السنية وطريقته رضية وهيئته السوية (وشر الامور) بالوجهين (محدثاتها) جمع محدثة بالفتح وهى البدعة التى تخالف الكتاب والسنة واجماع الائمة قال الدلجى لاادرى من روى هذا الحديث ولعله انكره من حيث اسناده الى ابى هريرة والا فقد ورد من حديث جابر كما رواه احمد ومسلم والنسائى وابن ماجه ولفظه اما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله تعالى وان افضل الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار الحديث وروى البيهقى فى الدلائل وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهنى وابو نصر السجزى فى الابانة عن ابى الدرداء مرفوعا وابن ابى شيبة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه موقوفا بلفظ اما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله تعالى واوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وخير السنن سنة محمد واشرف الحديث ذكر الله تعالى واحسن القصص هذا القرآن وخير الامور عوازمها وشر الامور محدثاتها واحسن الهدى هدى الانبياء واشرف الموت قتل الشهداء واعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى وماقل وكفى خير مما كثر والهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيمة ومن الناس من لايأتى الصلوة الادبرا ومنهم من لايذكر الله الاهجرا واعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وخير ماوقر فى القلب اليقين والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من جثاء جهنم والكنز كى من النار والشعر من مزامير ابليس والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وشر المأكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقى من شقى فى بطن امه وانما يصير احدكم الى موضع اربعة اذرع والامر بآخره وملاك العمل خواتمه وشر الرؤيا رؤيا الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر واكل لحمه من معصية الله تعالى وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضعف الله له ومن يعص الله يعذبه الله اللهم اغفر لى ولامتى اللهم اغفر لى ولامتى استغفر الله لى ولكم كذا فى الجامع الصغير وانما ذكرته لما فيه من النفع الكثير للصغير والكبير (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة العاصى والاولى هى الاولى لما حققناه فيما سبق من اصل المبنى (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلم) اى اصوله (ثلاثة) اى اقسام (وماسوى ذلك) يعنى كل علم سوى هذه الثلاثة ومايتعلق بها مما تتوقف عليه (فهو فضل) اى زائد لايفتقر الى علمه وان لم يسع المرء جهله (آية محكمة) اى احكم بيانها فلم يحتج الى زيادة فى شانها (وسنة قائمة) اى احاديث ثابتة مستمرة العمل بها دائمة (وفريضة عادلة) اى فى القسمة او عادلة ومساوية فى العمل بها الكتاب والسنة وهى الثابتة باجماع الامة اوقياس الائمة رواه ابوداود وابن ماجه (وعن الحسن بن ابى الحسن رحمهما الله تعالى) اى البصرى كما رواه عبد الرزاق عن معمر عن زيد عن الحسن مرسلا والدارمى عن ابن مسعود موصولا (قال عليه الصلوة والسلام

عمل قليل فى سنة) اى مصاحبا لها (خير من عمل كثير فى بدعة) اى من اصلها لان ذلك وان قل كثر نفعه بل هو نفع كله وذا اكثر ضررا ونفعه قليل وان كثر عمله فى بمعنى مع كما فى قوله تعالى ادخلوا فى امم اى معهم والحاصل ان الاقتصاد فى السنة افضل من الاجتهاد فى البدعة ولو كانت مستحسنة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يدخل العبد الجنة) اى اعلى مراتبها (بالسنة) اى بسبب القيام بها (تمسك بها) اى اخذها وعمل بمقتضاها فاز بمقام القدس ومرام الانس وفى نسخة يتمسك بها فالاولى استيناف والثانية حال والحديث غير معروف المبنى لكنه صحيح المعنى (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الطبرانى فى الاوسط (قال المتمسك بسنتى عند فساد امتى) اى حين يكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى فان قلت من يتمسك بالسنة اذا فسدت الامة اجيب بان المراد اكثر الامة ولا يبعد ان يراد بفسادهم سوء اعتقادهم بترك العمل بالاحاديث واعتمادهم على مجرد ما يفهمونه بعقولهم الكاسدة وآرائهم الفاسدة كما هو طريق اهل البدعة بخلاف مذهب اهل السنة والجماعة حيث جمعوا بين الكتاب والسنة على ماورد (له اجر مائة شهيد) اى حيث جاهد فى طريق سديد (وقال عليه الصلوة والسلام) كما رواه الترمذى (ان بنى اسرائيل افترقوا) اى تفرقوا (على اثنتين وسبعين ملة) اى مذهبا ومشربا وفى نسخة فرقة اى جماعة (وان امتى) اى اهل الدعوة والاجابة (تفترق) وفى رواية ستفترق (على ثلاث وسبعين) اى بزيادة ملة (كلها) اى جميع الملل السابقة والنحل اللاحقة (فى النار) اى فى طريقها فكانهم فيها (الا واحدة) اى الا اهل ملة واحدة او الا جماعة (قالوا) اى بعض الصحابة (ومن هم يا رسول الله قال الذى) اى الجمع والفوج الذى او اهل الطريق الذى (انا عليه اليوم واصحابى) اى من متابعة الكتاب والسنة ومجانبة الامور المحدثة والبدعة (وعن انس رضى الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم من احيى سنتى) اى اشاعها بعملها او اذاعها بنقلها (فقد احيانى) اى رفع ذكرى واظهر امرى (ومن احيانى كان معى) اى مشاركا لى فى علو قدرى وفى نسخة كان معى فى الجنة اى مصاحبا لى فى النعمة رواه الاصبهانى فى ترغيبه واللالكائى فى السنة (وعن عمرو بن عوف المزنى) كما رواه الترمذى وحسنه ابن ماجه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيى سنة من سنة) اى من سنتى (قد اميتت بعدى) اى بترك ذكرها او العمل بها (فان له من الاجر مثل من) اى مثل اجر من (عمل بها من غير ان ينقص) اى ذلك الاجر الذى يكون له (من اجورهم) اى من اجور من عمل بها تابعا له (شيأ) مفعول ينقص وقد اعتبر فى ضميرهم معنى من دون لفظها (ومن ابتدع بدعة ضلالة) بالاضافة او بالوصف اى بدعة سيئة كالبناء على القبور وتجصيصها لا بدعة مستحسنة كالمنارة وترصيصها (لا ترضى الله ورسوله) من الارضاء صفة كاشفة والمعنى لا تكون موافقة للكتاب والسنة ولا مأخوذة من القياس او اجماع الامة (كان عليه) اى من الاثم (مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيأ) اى من آثام من عمل بها تبعا له

﴿ فصل ﴾

(واما ماورد عن السلف) اى الصالحين من الصحابة والتابعين (والائمة) اى العلماء العاملين المجتهدين فى امر الدين (من اتباع سنته) وفى نسخة فى اتباع سنته فالجار متعلق بورد وعلى الاول بيانية (والاقتداء بهديه) اى طريقته (وسيرته) اى هيئته فالاول بيان الكمية والثانى بيان الكيفية اوهما ايماء الى قاله وحاله وهذا الامر التقريرى اولى من القول بالعطف التفسيرى حدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابى تليد) بفتح فوقية وكسر لام فتحتية (الفقيد) اى الكامل فى الفقه (سماعا عليه) اى لا قراءة لديه ولا بواسطة اليه (قال ثنا) اى حدثنا (ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر (ثنا) اى حدثنا (سعيد بن نصر ثنا) اى حدثنا (قاسم بن اصبغ) بفتح همزة وموحدة وغين معجمة منونة كذا فى نسخة مضبوطة والظاهر انه غير منصرف كاحمد واسلم والله تعالى اعلم (ووهب بن مسرة) بفتح ميم وسين مهملة وتشديد راء (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا) اى حدثنا (يحيى بن يحيى) الليثى راوى الموطأ وفى نسخة اقتصر على يحيى الاول لشهرته فتأمل (ثنا) اى حدثنا (مالك) وهو الامام صاحب المذهب (عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن رجل من آل خالد بن اسيد) بفتح فكسر وفى نسخة بالتصغير وخالد اخو عتاب اسلم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم واما الرجل فغير معروف (انه سأل عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا ابا عبد الرحمن) يكتب بلا الف ويقرأ بها على الصحيح (انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر فى القرآن) اى فى قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة الآية الى قوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (ولا نجد صلوة السفر) اى بوصف القصر فى القرآن صريحا والا فصلوة الخوف متضمنة للقصر فى الآية على ماورد فى السنة (فقال ابن عمر يا ابن اخى) اى فى الاسلام جريا على عادة العرب فى خطاب الاقوام وايماء الى الشفقة على الانام (ان الله بعث الينا محمدا

عليه الصلوة والسلام ولا نعلم شيئا) اى من الاحكام (وانما نعمل كما رأيناه يفعل) اى فنتبعه ونقتدى به فى جميع اموره وقد رأيناه يقصر فى السفر فقصرنا معه بل وقد امرنا بالقصر واوجب علينا هذا الامر بقوله هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته والامر للوجوب ولذا قال ابو حنيفة بان الاتمام اساءة ومكروه كراهة تحريمية والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبين الشريعة بالكتاب والسنة فمن ترك شيأ منهما فقد وقع فى الضلالة والبدعة والحديث رواه مالك والنسائى وابن ماجه (وقال عمر بن عبد الله العزيز رحمه الله) اى ابن مروان بن الحكم الاموى القرشى وامه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو تابعى جليل وامام جميل وخامس الخلفاء على ما قيل روى عن عبد الله بن جعفر وانس وابن المسيب وجماعة وعنه ابناه والزهرى وعدة اخرج له اصحاب الكتب الستة مات بدير سمعان من ارض حمص سنة احدى ومائة وله من العمر اربعون ومدة ولايته سنتان وخمسة اشهر وايام ومناقبه ظاهرة ومراتبه متواترة وهذا الحديث رواه عنه اللالكائى فى السنة انه قال (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى شرع طريقة مرضية (وولاة الامر) اى وسن الخلفاء الراشدون (بعده سننا) اى موافقة لقواعد الكتاب والسنة كجمع عمر رضى الله تعالى عنه الناس على ابى بن كعب فى صلوة التراويح وامر عثمان رضى الله تعالى عنه بكتابة المصاحف ثم بعثها الى الافاق (الاخذ بها) اى العمل بسنته وسنة من بعده (تصديق لكتاب الله) اى حيث قال وما آتاكم الرسول فخذوه (واستعمال لطاعة الله) اى فى طاعة رسوله لقوله سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال عليه الصلوة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى والمراد الخلفاء الاربعة رضى الله تعالى عنهم وان عم كل من سار بسيرتهم من الائمة (وقوة على دين الله) اى واستعمال سنته وسنة من اتى على طريقته تقوية على كمال ملته وجمال شريعته (ليس لاحد تغيرها) اى بزيادة ونقصان فيها (ولا تبديلها) اى بغيرها ظنا انه احسن منها (ولا النظر) اى ولا يجوز لاحد النظر (فى رأى من خالفها) اى بلا دليل شرعى من اجماع او قياس بل بمجرد رأيه واتباع عقله وقد تسفه الدلجى هنا من قلة فهمه وكثرة جهله وسوء ظنه بالامام الاعظم والهمام الافخم الاقدم حيث قال وكفاك هذا حاكما بالعاء قول من قال بنفوذ شهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو اقام رجل شاهدى زور ان فلانة امرأته فنفذ بذلك جاز له ان يطأها مع علمه بانها ليست زوجته وهذا لم يرد به كتاب ولا سنة انتهى ولا يخفى ان الخلق عيال ابى حنيفة فى الفقه كما صرح به الشافعى فهل يتصور لامام المجتهدين ان يتكلم برأيه المجرد فى امر الدين او يتوهم ان يكون جاهلا بالكتاب والسنة وهو امام الائمة ومقتدى اكثر الامة فهذا ظن فاسد ووهم كاسد ولكنه خلف لسلفه كما بينته فى تسبيع الحنفية لتشنيع الشافعية مع ان المسئلة المذكورة هى الرواية المشهورة عن على كرم الله وجهه حيث قال شاهداك زوجاك فبهذا علم ان هذا القائل لم يصل الى مقام الاجتهاد والتأييد بل هو واقع فى حضيض التقليد بل حمله عليه التعصب الجاهلى والتكسب الغافلى حيث يتكلم بهذا القيل ولم يعرف ان المجتهد اسير الدليل كما قال الشافعى بجواز نكاح الرجل ووطئه بنته الحاصلة من الزنى نظرا الى ما قام عنده من الدليل مع عدم التفات الى قبح صورى فى هذا العيل والله سبحانه وتعالى يهدى الى سواء السبيل (من اقتدى بها) اى بسنته وسنتهم (مهتدى) اى ما دام مقتديا بها وفى نسخة فهو مهتد (ومن استنصر بها) اى استعان بها واستوثق بسببها واستدل على مطلوبه بمدلولها (منصور) اى فهو منصور كما فى نسخة (ومن خالفها) اى فلم يتمسك بها وعمل بغيرها (واتبع غير سبيل المؤمنين) اى المجتمعين عليها (ولاه الله ما تولى) اى جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الوبال (واصلاه جهنم) اى ادخله فيها واحرقه بها (وساءت) اى قبحت جهنم (مصيرا) اى مرجعا له ولمن تبعه والحديث مقتبس من قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقال الحسن بن ابى الحسن) اى البصرى رحمه الله تعالى (عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة) وقد سبق هذا الحديث مرفوعا فلعله جاء عنه موقوفا ايضا فلذا ذكره هنا مكررا ليكون لتأكيد الامر مقررا والمعنى ان الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة (وقال ابن شهاب) اى الزهرى كما اخرجه عنه اللالكائى فى السنة (بلغنا عن رجال من اهل العلم) اى من الصحابة والتابعين (قالوا الاعتصام بالسنة نجاة) اى الاستمساك بها سبب خلاص من ورطة الهلاك ووصمة الانهماك (وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما فى سنن سعيد بن منصور عنه رضى الله تعالى عنه (الى عماله) اى بالامصار (بتعلم السنة) اى الاحاديث او السنن وفى نسخة بتعليم السنة اى للناس (والفرائض) اى تفصيلها وتمييزها عما عداها او اريد بها علم الفرائض وقسمة المواريث (واللحن اى اللغة) تفسير من احد رواة الحديث او من المصنف والمراد باللغة اصولها المفردة الشاملة لعلم الصرف وفروعها المركبة الكافلة

لعلم النحو المتعلق بالمبانی وكذا علم البيان والمعانی (وقال) عمر رضی الله تعالى عنه ايضا على ما رواه الدارمی
(ان اناسا سيجادلونكم يعنی بالقرآن) تفسير فی الاصل ای بظواهر الايات القرآنية و بمجملات الدلالات الفرقانية
(فخذوهم بالسنن) وفی نسخة بالسنة ای فما لوهم بالاحاديث النبوية لانها مبينة للاحكام الدنيوية والاخروية
وهذا معنى قوله (فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله تعالى) ای من غيرهم لانهم جامعون بينهما بخلاف من اقتصر
على معرفة احدهما فالمراد باصحاب السنن العلماء بالحديث المبين للكتاب واما قول الدلجی كالبخاری ومسلم
وابی داود فخارج عن صوب الصواب (وفی خبره) ای خبر عمر الذی رواه مسلم عنه (حين صلی) ای عمر رضی الله تعالى
عنه (بذی الحليفة) بالتصغير وهو مكان معروف قرب المدينة ميقات اهلها ومن مر بها من غيرها (ركعتين) ای سنة
الاحرام ولبی فی ذلك المقام (فقال اصنع) ای افعل انا (كما رأيت رسول الله صلی الله تعالى عليه وسلم يصنع)
ای فی حجته محافظة علی سلوك محجته واتباع سنته وطريقته وحجته والظاهر انه اراد القرآن كما يدل عليه قوله (وعن
علی رضی الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (حين قرن) بين الحج والعمرة قيل ای تمتع اذ القران قد يطلق على التمتع
من حيث ان القارن متمتع ايضا بسقوط احدی السفرتين وحصول ثواب الهدی بالجمع بين العبادتين كما انه قد يطلق
التمتع على القران بالمعنى اللغوی الشامل للمعنى الشرعی ولعل قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة من هذا القبيل (فقال له
عثمان رضی الله عنه) وهو الصواب بخلاف ما فی نسخة فقال له عمر (تری) من الرأی لا من الرؤية ای تعلم (انی انهی
الناس عنه) ای عن القران او التمتع (وتفعله) ای انت مخالفا لامری (قال) ای علی لعثمان (لم اكن ادع) ای
وادعا وتاركا ويروی لادع (سنة رسول الله صلی الله تعالى عليه وسلم لقول احد من الناس) وفيه دليل صريح ونقل
صحيح انه عليه الصلوة والسلام كان قارنا فی حجة الاسلام ويدل عليه سكوت عثمان على وجه الالزام وكانه كان
يظن ان افضل انواع الحج هو الافراد والتمتع مبنيا على ان اشهر الحج تكون مخصوصة بالحج وان العمرة تقع فی غيرها
قبلها او بعدها كما كان عليه اهل الجاهلية تم جده عليه الصلوة والسلام من ان العمرة فی اشهر الحج من افجر الفجور
ولدفع هذا الامر امر صلی الله تعالى عليه وسلم بعض الصحابة بفسخ الحج للعمرة ولعله ما بلغ عثمان هذا المعنى او كان له
تأويل فی هذا المبنی وقد قيل وانما نهی عثمان عن المتعة لتكون اشهر الحج للحج لا غير ولتكون العمرة فی غيرها حتی يزار
البيت فی اشهر الحج وبعدها وقيل انما نهی عنها المتعة اهل مكة ليكون لهم موسمان فی كل عام والله اعلم وحمل فعله صلی
الله تعالى عليه وسلم على احدهما لا على الجمع بينهما كما عليه المحققون الذين جمعوا بين الرواية والدراية هذا وقال الحلبی
فی النسخة التی وقفت عليها فقال له عمر وفی الهامش عثمان عوض عمر وعليه صح وفی صحيح البخاری وسنن النسائی فی
كلاهما فی الحج من حديث مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضی الله تعالى عنهما وعثمان ينهی عن المتعة وان
يجمع بينهما فلما رأی علی نهيه اهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة وقال ما كنت لادع سنة رسول الله صلی الله عليه وسلم
بقول احد واخرج الشيخان والنسائی كلهم فی الحج من حديث سعيد بن المسيب قال اجتمع علی وعثمان بعسفان وكان
عثمان ينهی عن المتعة او العمرة فقال علی ما تريد الی امر فعله رسول الله صلی الله تعالى عليه وسلم تنهی عنه دعنا منك
فقال انی لا استطيع ان ادعك فلما رأی علی ذلك اهل بهما جميعا واخرج مسلم من حديث عبد الله بن شقيق كان
عثمان ينهی عن المتعة وكان علی يأمر بها فقال عثمان لعلی كلمة فقال علی لقد علمت انا قد تمتعنا مع رسول الله
صلی الله تعالى عليه وسلم فقال اجل ولكنا كنا خائفين انتهی ولا يظهر وجه الخوف فانه عليه الصلوة والسلام حج بيت
الله الحرام بعد فتح مكة وغلبة اهل الاسلام ثم المراد بالتمتع اللغوی وهو القران فلا مخالفة بين الاحاديث المروية
عن علی كرم الله تعالى وجهه والله اعلم (وعنه) ای علی وهو غير معروف عنه (انی) وفی نسخة صحيحة الا انی
ای انتبهوا فانی (لست بنبی) ای لا يوحی الی بوحی جلی (يوحی الی) ای بوحی حق اعمل به (ولكنی اعمل بكتاب الله
تعالى وبسنة نبيه صلی الله تعالى عليه وسلم) وفی نسخة وسنة نبيه (ما استطعت) ای قدر ما قدرت بحسب الطاقة
البشرية (وكان ابن مسعود يقول) كما رواه الدارمی والطبرانی واللالكائی فی السنة عنه وعن ابی الدرداء (القصد
فی السنة) ای التوسط فی العمل بها بين الكثرة والقلة خير من الاجتهاد فی البدعة) ای احسن من المبالغة
فی بذل الوسع والطاقة والكثرة من الطاعة فی حال البدعة ولو كانت مستحسنة واما تقييد الدلجی بالضلالة
فنشأ من بعض الجهالة لانها قد تلت السنة الثابتة ولانها خير من البدعة الحسنة ولا معنى لمقابلتها ببدعة الضلالة
اذ لا خير فيها فی جميع الحالة لا محالة (وقال ابن عمر رضی الله تعالى عنهما) كما رواه عبد بن حميد فی مسنده بسند صحيح
(صلوة السفر ركعتان) ای لا زيادة عليهما كما ثبت عليه الصلوة والسلام قولا وفعلا فی الليالی والايام (من خالف
السنة) ای لم يقبلها (كفر) ای قارب الكفر او كفر نعمة فان القصر رخصة وهی منة ولذا سمی صدقة وقيل من

خالفها عنادا اومستحلا فقد كفر وخرج عن دائرة الاسلام بامتناع قبول احكامه عليه الصلوة والسلام وهذا اذا كانت السنة متواترة معلومة من الدين بالضرورة وتركها من غير تأويل لها (وقال ابى ابن كعب) كما رواه الاصفهانى فى ترغيبه واللالكائى فى سنته (عليكم بالسبيل) اى الزموا طريق الطاعة (والسنة) اى ومتابعة الشريعة (فانه ما على الارض من عبد) اى من عبيده سبحانه وتعالى (على السبيل) اى سبيل الله تعالى (والسنة) اى سنة رسول الله والمعنى يكون ثابتا على طريق الكتاب والسنة (ذكر الله فى نفسه) اى فى باطنه والمعنى بحضور قلبه سواء كان الذكر بلسانه او بمجرد ذكر جنانه ولاشك ان الجمع اولى لظهور برهانه فلا معنى لقول الدلجى اى بدون تلفظ لوضوح بطلانه (ففاضت عيناه) اى سالت دموعهما من اثر بكائه (من خشية الله) اى من خوف عقابه اورجاء به (فيعذبه) بالنصب اى الم يعذبه (الله ابدا) اى لافى دنياه ولافى آخرته حيث طلب مرضاة مولاه وفى نسخة فيعذبه بالرفع (وما على الارض من عبد على السبيل) اى الطريقة المرضية (والسنة) اى الهيئة السنية (ذكر الله فى نفسه) اى من غيران يتعلق به الرياء والسمعة (فاقشعر جلده) اى انقبض واجتمع (من خشية الله) اى من عظمة مولاه (الاكان مثله) بفتحتين اى صفته العجيبة وحالته الغريبة (كمثل شجرة قد يبس ورقها) اى اوراقها وذهب رونقها ورواجها (فهى كذلك) اى فبينما هى فى اوقات كونها كذلك (اذا اصابتها ريح شديدة اى من جوانبها (فتحات) بتشديد الفوقية الثانية اى فتناثر (عنها ورقها) كرر بدلا اوتأكيد البعد المسافة بينهما باعتراض المثل (الاحط عنه خطاياه) بصيغة المجهول اى وضع عنه ذنوبه ومحى عنه عيوبه (كما تحات عن الشجرة ورقها) اى تساقط (فان اقتصادا) اى توسطا (فى سبيل) اى فى طريق خير (وسنة) اى طريقة حسنة من كتاب وسنة (خير من اجتهاد) اى مبالغة فى الطاعة وسع الطاقة (فى خلاف سبيل وسنة) اى فى مخالفتهما (وموافقة بدعة) اى ولو حسنة لابدعة ضلالة كما قاله الدلجى هنا ايضا وهذا عطف تفسير ولم يوجد فى بعض النسخ (وانظروا) اى وتأملوا حرصا منكم (ان يكون عملكم ان) كان (اجتهادا او اقتصادا) اى مبالغة فى الجد اوتوسطا فى الجهد (ان يكون) بدل من ان يكون الاول اوتأكيد له لبعد المسافة بينهما باعتراض الشرط والمعنى ان يوجد (على منهاج الانبياء عليهم السلام) اى شريعتهم ويروى مناهج الانبياء اى شرائعهم (وسنتهم) اى طريقتهم لتصلوا الى مقام حقيقتهم (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) اى نوابه (الى عمر) اى اليه حال كونه (يخبره بحال بلده) اى بما عليه اهله من فساد (وكثرة لصوصه) اى سرقه ونهابه (هل نأخذهم) بالنون وفى نسخة صحيحة بالياء التحتية (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المسالة وتشديد النون اى التهمة والمعنى هل نؤاخذهم ونعاقبهم بمجرد العلامات الدالة على اخذ السرقة عملا بالسياسة (او) وفى نسخة ام(نحملهم على البينة) اى عند انكارهم (وماجرت عليه) فيه(السنة) وفى نسخة صحيحة وماجرت بالسنة اى من ان البينة على المدعى واليمين على من انكر فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وماجرت عليه السنة) اى وبما يترتب عليها من غرم وقتل وقطع ونحوها (فان لم يصلحهم الله تعالى) اى بذلك (فلا اصلحهم الله) اى ايضا بخلاف ماهنالك ولايبعد ان تكون الجملة الثانية دعائية والاول اظهر والمعنى ان الله تعالى حكيم فى صنعه وكل فى حكمه فلا تجوز الزيادة والنقصان فى حده وقد روى ان بعض الملوك كان يقتل اللصوص بالسياسة ومع هذا كثر السرقة فذكر ذلك لبعض العلماء هنالك فقال له اعمل بالسنة تندفع بها الكثرة فسمع كلام ذلك الامام وعمل بالشريعة وتلك الاحكام فقلت السرقة فسأله عن الحكمة فقال لما كثرت مشاهدة قطع الايدى اعتبر اهل الفساد وقل اللصوص فى العباد (وعن عطاء) اى ابن رباح اوعطاء الخراسانى (فى قوله) اى فى تفسير قوله تعالى(فان تنازعتم) اى اختلفتم انتم واولوا الامر منكم (فى شئ) اى من امور الدين (فردوه) اى ارجعوا فيه (الى الله والرسول اى الى كتاب الله وسنة رسول الله) اى الى حكمهما فيكم وهذا يشمل حياته ومماته عليه الصلوة والسلام (وقال الشافعى رحمه الله تعالى) وهو الامام المجتهد روى عن مالك وروى عنه احمد واخرج له اصحاب السنن الاربعة وذكره البخارى بموضعين من صحاحه فى الركاز والعرية ويقال انه غيره ومال الى كل قول بعض ومولده سنة خمسين ومائة يوم مات ابو حنيفة رحمه الله تعالى ومات سنة اربع ومائتين (ليس فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اتباعها) اى اقتداؤها علما وعملا قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وهذا قريب فى المعنى مما يحكى عنه اذا صح الحديث فهو مذهبى (وقال عمر رضى الله تعالى عنه) فيما رواه الشيخان (ونظر الى الحجر الاسود) جملة معترضة حالية (انك) والله كما فى نسخة حجر (لا تنفع ولا تضر) اى فى حد ذاتك وهو لاينافى ماورد من انه يشهد لمن استلمه يوم القيامة (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ثم قبله) وهذا يدل منه رضى الله تعالى عنه على كمال المتابعة للسنة وحبر لولا واجب الحذف

عند النحاة لان طول الكلام سد مسد الخبر مع الجواب لكن المسئلة مفصلة فان خبر لولا منقسم الى اقسام ثلاثة قسم واجب الحذف وهو ما دل على كون مطلق كقولك لولا زيد لهلك عمرو وقسم واجب الاثبات وهو ما دل على كون مقيد اذ لو حذف لما فهم المعنى كقوله عليه الصلوة والسلام لعايشة رضى الله تعالى عنها لولا قومك حديثوا عهد بجاهلية لنقضت الكعبة و بنيتها على قواعد ابراهيم فلو حذف حديثوا عهد لكان المعنى لولا قومك على كل حال من احوالهم لنقضت الكعبة ومن جملة احوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل فكل ما لم يفهم عند الحذف يتعين الاثبات به ومنه قول الشافعى

﴿ ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم اشعر من لبيد ﴾

(وكذا قول الخنساء ترثى اخاها صخرا)

﴿ ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى ﴾

ومنه قول عمر هذا والتقدير لولا رؤيتى تقبيل النبى عليه الصلوة والسلام مستصحبة لما قبلتك وقسم ان شئت اثبته وان شئت حذفته كقولك لولا اخو زيد ينصره لغلب فمن راعى الكون المطلق حذف ومن راعى الكون المقيد اثبت (وروى) وفى نسخة رئى بكسر الراء وسكون الياء فهمزة على بناء المجهول من رأى مقلوب رأى (عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما) كما رواه احمد والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) اى يطيفها حوله حتى عاد الى موضع اوله (فسئل عنه) اى عن سبب فعله وان ادارته لاى شئ (فقال لا ادرى) اى وجهه وحكمته (الا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله) اى مرة وفى نسخة يفعله (ففعلته) اى اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى فعله وهذا يشير الى ان اكابر الصحابة كانوا يتبعونه فى الامور العادية ايضا (وقال ابو عثمان الحيرى) بمهملة مكسورة فمثناة تحتية محلة بنيسابور وكان يسكنها وهو شيخ الصوفية بها ذكره الذهبى فى المشتبه وفى نسخة الجنيدى بالتصغير وهو تصحيف وتحريف على ما قاله ابو القاسم القشيرى فى رسالته من نسبة هذا القول اليه والثناء عليه بقوله فمنهم ابو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيرى المقيم بنيسابور وكان قد صحب شاه الكرمانى و يحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على ابى جعفر الحداد واقام عنده وزوجه ابو جعفر بنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين (من امر السنة) بتشديد الميم اى من جعل السنة اميرا وحاكما (على نفسه قولا وفعلا) اى واعتقادا (نطق بالحكمة) لانه تبع من لا ينطق عن الهوى واختار سبيل الهدى (ومن امر الهوى على نفسه) بان تبع رأيه وهواه فى فعله وقوله وامور دنياه واخراه (نطق بالبدعة) اى بالامور الخارجة عن طريق السنة والمائلة عن السبيل المرضى لمولاه (وقال سهل التسترى اصول مذهبنا) اى معاشر الصوفية لا جماعة المتصوفة بشهادة الاضافة (ثلاثة الاقتداء بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاخلاق) اى الاحوال الباطنة (والافعال) اى الاعمال الظاهرة (والاكل من الحلال) اى الطيب الخارج عن الشبهة (واخلاص النية فى جميع الاعمال) اى تخليصها من شوائب الرياء والسمعة اذ قد يصير العادات بها عبادات والكل مأخوذ من مكارم افعاله ومحاسن اقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وزيد فى نسخة وقد كان على خلق عظيم (وروى عن عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت كان خلقه القرآن) اى يأتمر باوامره و ينتهى بزواجره (وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه) اى العمل الصالح الذى يرفعه الله تعالى او يرفع الكلم الطيب الى الله تعالى (هو الاقتداء به) اى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة اى فى جميع اقواله وافعاله واحواله وقد فسر الكلم الطيب بقول لا اله الا الله وقيل هو ذكر من تسبيح وتهليل وقرأة قرآن وغير ذلك والهاء فى قوله يرفعه راجع الى الكلم الطيب وعليه اكثر المفسرين فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل كما جاء فى الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا عملا الا بنية ولا نية الا باصابة السنة (وحكى عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى) هو امام المذهب احمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانى المروزى روى عن البخارى وغيره وعنه ابناه وجمع وفى نسخة ان احمد بن حنبل (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) اى عن ثيابهم (ودخلوا الماء) اى بلا سترة والظاهر ان الجملة حالية والمعنى انهم تجردوا عن ثيابهم بعد ان دخلوا وسط الماء على ان الواو لمطلق الجمع (فاستعملت الحديث) اى اطلاق الحديث الذى رواه مثله الترمذى ايضا (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام) بصيغة النهى وقيل بالنفى واريد النهى بل هو ابلغ (الا بمئزر) بكسر ميم وسكون همزة و يبدل وفتح زاء الا بازار يستر عورته (ولم اتجرد) اى انا من بابى احتياطا فى ذلك المقام (فرأيت) اى فى المنام (تلك الليلة) اى القابلة من يوم تجردهم (قائلا يقول لى يا احمد ابشر) اى بكل خير وفى نسخة ابشر يا احمد (فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما) اى يقتدى بك (قلت من انت قال جبريل)

﴿ فصل ﴾

(ومخالفة امره) وكذا مناقضة نهيه بعد الانقياد لحكمه (وتبديل سنته) اي بتغييرها مبنى او بتفسيرها معنى على خلاف مراده وطريقته (ضلال) اي في الاعتقاد (وبدعة) اي في الاجتهاد لاتصلح للاعتماد (ومتوعد) بفتح العين المشددة اي موعود (من الله تعالى عليه) اي ماذكر من المخالفة والمبادلة (بالخذلان) اي بترك النصرة له وعدم التوفيق للطاعة وخلق المعصية فيه في الدنيا (والعذاب) اي وبالعقوبة في العقبى (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره) اي معرضين عنه اومانعين عن مقتضى حكمه (ان تصيبهم فتنة) اي كراهة ان يلحقهم محنة وبلية في الدنيا (او يصيبهم عذاب اليم) اي مؤلم في العقبى والآية دالة على ان الامر للوجوب الاكيد حيث رتب على تركه الوعيد الشديد (وقال تعالى ومن يشاقق الرسول) اي يخالفه لان كلا من المتخالفين يكون في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) اي ظهر له الحق ببيان المولى (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اي غير ماهم عليه من اعتقاد علم او اعتماد عمل (نوله ما تولى) اي نجعله واليا لماتولاه من ضلال وبدعة (ونصله جهنم) اي ندخله فيها ونحرقه بها (وساءت) اي جهنم (مصيرا) اي مرجعا لهم والآية مؤذنة بحرمة مخالفة الاجماع (حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب) بتشديد الفوقية وفي نسخة ابو محمد بلفظ التثنية فان كلاهما مكنى بابي محمد (بقرأتي عليهما) قيل هو فوق السماع لانه ادل على القابلية الظاهرة في الطباع (قالا) اي كلاهما (نا) اي حدثنا (ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا) اي حدثنا (ابو الحسن القابسي) بالقاف وكسر الموحدة (نا) اي حدثنا (الحسين) وفي نسخة صحيحة الحسن (ابن مسرور الدباغ) اي صانع الدبغ او بايعه (نا) اي حدثنا (احمد بن ابي سليمان ثنا) اي حدثنا (ابن سحنون) بفتح سين وضم نون (ابن سعيد) وهو عبد السلام (ثنا) اي حدثنا (ابن القاسم ثنا) اي حدثنا (مالك) وهو امام دار الهجرة رحمه الله تعالى (عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كذا رواه مسلم وابو داود عنه والنسائي عنه واختار المصنف طريق مالك فان بينه وبين مالك سبعة اشخاص وبينه وبين مسلم ثمانية (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) بتثليث الباء والفتح افصح والظاهر ان المراد به مقبرة البقيع في المدينة (وذكر الحديث) اي بطوله (في صفة امته) اي نعتهم وفضلهم حيث قال لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من اثر الوضوء الحديث (وفيه) وفي جملته (فليذادن) بفتح اللام القسمية وضم الياء وذال معجمة فالف ودال مهملة فنون مشددة من الذود وهو الطرد والبعد اي فليصدن وليمنعن (رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال) اي عن مزاحمة بعير الرجال في الشرب من حوض ماء الزلال (فاناديهم) اي فلظنهم من اصحابي واهل ناديهم (فاقول الا) اي تنبهوا (هلم) اي تعالوا واقبلوا وهو بلغة قريش يستوي فيه الواحد والجمع بخلاف بني تميم فانهم يقولون هلم هلما هلموا هلمي والاول افصح وبه ورد التنزيل قال هلم شهداءكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الخليل اصله لم من قولهم لم الله شعثه اي جمعه كانه اراد لم نفسك الينا اي اقرب والهاء للتنبيه وحذف الفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا في الامر بالاقبال (فيقال) اي فيقول المانعون والدافعون وهم الملائكة الخاسون (انهم قد بدلوا بعدك) اي دينهم كفرا بدليل قوله (فاقول فسحقا فسحقا فسحقا) اي ثلاث مرات وهو بسكون الحاء وضمها بمعنى بعدا وانتصب بتقدير الزمهم الله سحقا او اسحقهم الله سحقا اي فابعدهم الله بعدا وفطردهم الله طردا او بدليل حديث انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم قال النووي اختلف العلماء في المراد بهم على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقون فيجوز ان يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للسيما التي عليهم فيقال ان هؤلاء بدلوا بعدك اي لم يموتوا على ماظهر من اسلامهم وثانيها ان المراد بهم من كان في زمنه عليه الصلوة والسلام من اهل الاسلام ثم ارتدوا بعده فيناديهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه في حياته من اسلامهم فيقال ارتدوا بعدك والثالث ان المراد اصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد واصحاب البدع فلا يقطع لهؤلاء بالنار بل يجوز ان يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى ثم اعلم ان في بعض النسخ فلا يذادن بزيادة الف بعد اللام فتصير لا نافية واكثر الرواة عن مالك في الموطأ على الاول ورواه يحيى ومطرف وابن نافع على الثاني ورده ابن وضاح بناء على الرواية الاولى وكلاهما صحيح المبنى بل النافية افصح في المعنى اي فلا تفعلوا فعلا يوجب ذلك هنالك ومنه حديث فلا القين احدكم على رقبته بعير اي لاتفعلوا مايوجب ذلك فما في بعض حواشي السفاء من ان قوله فلا يذادن لامعنى له (وروى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اي في حديث طويل بل مما رواه الشيخان عنه آخره (فمن رغب) وفي نسخة صحيحة من رغب (عن سنتي) اي اعرض عنها ومامال اليها (فليس مني) اي بمتصل بي اوليس من اتباعي واشياعي (وقال) اي النبي

عليه الصلوة والسلام كما فى الصحيحين (من احدث فى امرنا) ولمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا وفى رواية من ادخل فى ديننا وهو كذلك فى نسخة وفى اخرى فى امرنا هذا على ما فى رواية صحيحة اى هذا الامر الواضح الكامل الذى لايحتاج الى زيادة احداث (ماليس منه) اى شيئا لم يكن له من الكتاب والسنة ماضد ظاهر اوخفى ملفوظ اومستنبط وفى نسخة ماليس فيه (فهو) اى ذلك المحدث اوذلك الشئ المحدث (رد) اى مردود غير مقبول وهذا الحديث اصل فى الاعتصام بالكتاب والسنة ورد الاهواء والبدعة (وروى ابن ابى رافع) كما اخرجه ابوداود والترمذى وابن ماجه واسمه عبيدالله (عن ابيه) اى ابى رافع مولى النبى عليه الصلوة والسلام (عن النبى) وفى نسخة ان النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته) نهى لنفسه عليه الصلوة والسلام ان يراهم فى ذلك المقام مريدا به نهيهم عن ان يكونوا عليها فانهم اذا كانوا عليها وجدهم كذلك لديها (يأتيه) حال ثانية اوجملة استينافية بيانية اى يجيئه (الامر من امرى) اى حكمى (مما امرت به اونهيت عنه) اى مما هو غير ظاهر فى الكتاب (فيقول لا ادرى) اى غير القرآن (ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه زاد) اى الراوى ابوداود والترمذى والحاكم (فى حديث المقدام بكسر الميم الاولى وهو ابن معدى كرب روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا) للتنبيه (وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى) اى فيجب اجتناب ما حرمه لانه ماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فالكتاب وحى جلى والسنة وحى خفى (وقال عليه السلام) كما رواه ابوداود فى مراسيله والدارمى والفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم عن يحيى بن جعدة (وجيئ بكتاب) جملة حالية معترضة مؤذنة بانه سبب للمقالة اى وقد جيئ بمكتوب من التورية (فى كتف) اى من الشاة والجائى به عمر اوابنته حفصة اوعايشة رضى الله تعالى عنهم اوغيرهم ولامنع من الجمع كما يشير اليه قوله تعالى (كفى بقوم حمقا) بضم فسكون اى حماقة وجهالة (اوقال ضلالا) اى ضلالة وغواية والشك من الراوى والباء زائدة فى فاعل كفى ونصب مابعده على التمييز المحول عن الفاعل والمعنى كفى الحمق اوالضلال قوما (ان يرغبوا) اى يميلوا او يعرضوا (عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم) اى ملتفتين ومقبلين الى ماجاء به غير نبيهم يعنى ولوكان نبيا الى غيرهم كما يدل عليه قوله فى رواية ولوكان موسى عليه السلام حيا لما وسعه الا اتباعى (اوكتاب) اى اوالى كتاب (غير كتابهم) اى النازل اليهم ولوكان فى كتاب الله تعالى الى غيرهم هذا ولفظ ماروه جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ماسمعوه من اليهود فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كفى بقوم حمقا اوضلالة اى يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ماجاء به غيره الى غيرهم (فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) اى دائما ما بقيت الدنيا (وقال عليه الصلوة والسلام) فيما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) مأخوذ من النطع وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعير لكل تعمق قولا وفعلا اى المتعمقون فى كلامهم الغالون فى اقوالهم وافعالهم المتكلمون باقصى حلوقهم المبالغون فى خوضهم (وقال ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابوداود وغيره (لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) اى فى حال (الا عملت به) اى اقتفاء بسنته الحميدة واقتداء بسيرته المجيدة (انى اخشى) اى اخاف خوفا عظيما (ان تركت شيئا من امره) اى الذى كان عليه فى دينه (ان ازيغ) اى اميل عن الحق والهدى واقبل على موافقة النفس وموافقة الهوى

﴿الباب الثانى﴾

(فى لزوم محبته عليه الصلوة والسلام) اى فى ذكر ما يؤذن بوجوب لزوم محبته لكل مكلف من امته فى لوازم ملته (قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم) اى اصولكم وفروعكم (واخوانكم) اى امثالكم واقرانكم (وازواجكم) اى اشباهكم من نسائكم ورجالكم (وعشيرتكم) وفى قرأة وعشيراتكم بصيغة الجمع اى جميع اقاربكم اوكل من تعاشرونه وتصاحبونه مأخوذ من العشرة (واموال اقترفتموها) اى اكتسبتموها من النقود والاجناس (الآية) وهى وتجارة تخشون كسادها اى تخافون قلة رواجها ونقصان نفاقها ونفادها ومساكن من البيوت والبساتين ترضونها يعجبكم سكونها احب اليكم حبا اختياريا من الله ورسوله وجهاد فى سبيله اى من حب الله ورسوله ومجاهدة فى طاعته وعبادته فتربصوا امر تهديد اى فانتظروا حتى يأتى الله بامره اى بمحنة عاجلة اونقمة آجلة والله لايهدى القوم الفاسقين اى لايرشد الخارجين عن محبة الله ومرضاته الى موافقات نفوسهم وهوى متابعتها (فكفى بهذا) اى التهديد والوعيد الشديد (حضا) اى تحريضا وحثا (وتنبيها) اى نبها (ودلالة) اى واضحة (وحجة) اى لائحة (على الزام محبته) اى اثبات مودته عليه الصلوة والسلام وفى نسخة على التزام محبته اى قبولها (ووجوب فرضها) اى ثبوت حتمها (وعظم خطرها) بكسر العين وفتح الظاء المعجمة او بضم فسكون والخطر بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اى القدر اى عظمة شانها ورفعة قدرها (واستحقاقه) اى النبى عليه الصلوة والسلام (لها) اى للمحبة

الكاملة (عليه الصلوة والسلام) اى الكامل التام (ادفرع) بفتح قاف وتسديد راء اى لانه ويح (الله تعالى) اى ارتفع شأنه وسطع برهانه (من كان ماله) اى من تجارة ومساكن وغيرها (واهله) اى ماله من الاقارب عموما (وولده) اى واولاده خصوصا (احب اليه) اى الى نفسه (من الله ورسوله) اى من رضاهما واتباع امرهما (واوعدهم) اى خوفهم (بقوله فتربصوا حتى يأتى الله بامره) اى بالذى اراد بكم من سوء فى الدنيا او العقبى اوفيهما جميعا (ثم فسقهم) بتشديد السين اى نسبهم الى الفسق (بتمام لآية) اى بما تتم الآية به فى الدلالة وهو آخرها حيث قال والله لايهدى القوم الفاسقين (واعلمهم) اى نطريق الكناية (انهم ممن ضل) اى بخذلانه سبحانه وتعالى (ولم يهده الله تعالى) اى الى برهانه وتحقيق ايمانه (حدثنا ابو على الغسانى) بفتح الغين المعجمة وتشديد المهملة (الحافظ) اى الجيانى (فيما اجازنيه)اى من غير سماع منه ولاقراءة عليه (وهو) اى هذا المروى (مما قرأته على غير واحد) اى على كثير من المحدثين غيره ولعله خصصه بالرواية عنه لعلوا سنده اوصحة نسبه (قال)اى الغسانى (ثنا)اى حدثنا (سراج بن عبدالله القاضى ثنا) اى قال حدثنا (ابو محمد الاصيلى) بفتح فكسر (ثنا) اى حدثنا (المروزى) بفتح الميم والواو (ثنا) اى حدثنا (ابو عبدالله محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن اسمعيل) اى البخارى صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (يعقوب بن ابراهيم) اى الدورقى البغدادى روى عنه اصحاب الكتب الستة وله مسند توفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين (ثنا) اى حدثنا (ابن علية) بالتصغير هو الامام ابو بشر اسمعيل بن ابراهيم ابن القاسم المشهور بابن علية وهى امه روى عنه احمد واسحق وابن معين وجماعة امام حجة اخرج له الستة (عن عبد العزيز بن صهيب) بالتصغير هو البنانى الاعمى التابعى اخرج له الجماعة وقال احمد ثقة (عن انس رضى الله تعالى عنه) وكذا رواه مسلم والنسائى (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايؤمن احدكم) الخطاب يشمل الموجودين ومن بعدهم من المولودين وفى رواية مسلم عبد وفى رواية غيرهما احد اى لايكمل ايمان احد بدلالة رواية ابن حبان لايبلغ عبد حقيقة الايمان والمعنى لايعتد بايمانه (حتى اكون احب) اى اشد حبا (اليه من ولده ووالده) اى خصوصا (والناس اجمعين) اى وسائر الخلق عموما حبا اختياريا يوجب اكراما له عليه الصلوة والسلام واجلالا فى مقام الاحترام واعلم ان المراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعى التابع لهوى النفس فان محبة الانسان لنفسه من حيث الطبع اشد من محبة غيره وكذا محبة ولده ووالده اشد من محبة غيرهما وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل خارج عن حد الاستطاعة فلامؤاخذة به لقوله تعالى لايكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد الحب العقلى الاختيارى الذى هو ايثار ما يقتضى العقل رجحانه وان كان على خلاف الطبع الاترى ان المريض يكره الدواء بطبعه ومع ذلك يميل اليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما علم اوظن ان صلاحه فيه وكذلك المؤمن اذا علم ان الرسول عليه الصلوة والسلام لايأمر ولاينهى الا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن انه عليه الصلوة والسلام اشفق الناس عليه والطفهم اليه فحينئذ يرجح جانب امره بمقتضى عقله على امر غيره وهذا اول درجات الايمان واما كماله فهو ان يصير طبعه تابعا لعقله فى حبه عليه الصلوة والسلام قيل ومن محبته نصر سنته والذب عن شريعته الاقتداء بسيرته (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه نحوه) مبتدأ مقدم الخبر والمعنى انه روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بمعناه وان اختلف مبناه (وعن انس رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلوة والسلام) كما فى الصحيحين (ثلاث) اى خصال ثلاث (من كن فيه) اى من وجدن واجتمعن فى حقه (وجد) اى ادرك بنفسه (حلاوة الايمان) اى فى قلبه والتذ به كما يجد حلاوة العسل من تناوله غير ان الالتذاذ الاول عقلى روحانى والثانى حسى نفسانى والجملة خبر اوصفة لثلاث (ان يكون الله تعالى ورسوله) بدل من ثلاث على الاول وخبره على الثانى اوخبر مبتدأ محذوف وهو هى اوهن ان يكون الله تعالى ورسوله عنده (احب اليه مما سواهما) ولم يقل ممن سواهما لعموم ما والمعنى من كل شئ مما عداهما وفى تثنية ضميرهما هنا مع انكاره عليه الصلوة والسلام على خطيب ثناهما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اشارة الى ان المعتبر فى المحبتين هو مجموعهما لاكل واحدة بانفرادها ودلالة على ان كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف فانه فى تقدير التكرير وقيل ان الجامع هنا يجوز له مالايجوز لغيره وقيل انما انكره عليه لوقوفه على بعصهما ورد بقوله قل ومن يعص الله ورسوله ويمكن دفعه بان المراد بالامر هو الابتداء به حين وقف عليه (وان يحب المرء) اى الشخص اعم من الرجل والمرأة واغرب الانطاكى حيث توهم ان المرء مختص بالرجل واتى بما لايناسب المقام فى تحصيل المرام (لايحبه) اى لشئ (الا الله تعالى) اى لالامر آخر اى فى مبتغاه وفيه ايماء الى ان محبة رسول الله ايضا انما هو لمحبة الله تعالى ورضاه (وان يكره ان يعود فى الكفر) لثبات ايمانه وكمال

ايقانه (كما يكره ان يقذف فى النار) بصيغة المجهول اى يرمى فى النار فى هذه الدار وذلك لان المرء لا يكمل ايمانه ولا يتحقق ايقانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم على الاطلاق فى تقسيم الارزاق والاخلاق لا ما نع سواه ولا ما نع ماعداه وان النبى عليه الصلوة والسلام واسطة بيننا وبينه فى ايصال المرام ساعى بهدايته له فى المرتبة والمقام لاصلاح شانه ورفعة مكانه وذلك مشعر بوجوب تصحيح محبتهما وترجيح مودتهما (وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما رواه البخارى (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت) اى والله لانت (احب الى من كل شئ الا من نفسى) اى روحى (التى بين جنبى) صفة كاشفة اى التى فى بدنى وبها قوام امرى ونظام قدرى ولذة حياتى الموجبة لكراهة مماتى وهذا جرى منه بناء على صدق مقامه وحسن مرامه حيث ظن ان المراد بمحبته عليه الصلوة والسلام هو الحب الطبيعى فى هذا المقام (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن احدكم) اى ايمانا كاملا (حتى اكون احب اليه من نفسه) اى حبا اختياريا يوجب اختيار محبة رسول الله ورضاه على محبة المخلوقين مما سواه لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى ليس عليكم فى الدين من حرج فلما افطن لهذا المعنى من هذا المبنى (قال عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن يا عمر) اى فى هذا الزمان قد استقمت ايمانا وتكملت ايقانا ولا يبعد ان يكون الاستفهام مقدرا ابطأ لهذا الامر الذى وجب ان يكون من اول الوهلة مقررا (قال سهل) اى ابن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى (من لم ير ولاية الرسول) اى امره وحكمه (عليه) اى جاريا على نفسه (فى جميع الاحوال) وفى نسخة صحيحة فى جميع احواله اى من افعاله واقواله (ويرى نفسه فى ملكه) بكسر الميم اى فى تصرف نفسه وتدبير امره واما ما فى بعض النسخ من زيادة عليه الصلوة والسلام بعد قوله ملكه فلا يصح نعم او وجد يرى بعجز وما كان له وجه (لا يذوق حلاوة سنته) اى طراوة سيرته (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم) اى ايمانا كاملا (حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث) اى الى آخره فهو مجرور او منصوب بتقدير اعنى ونحوه او مرفوع اى تمام الحديث سبق وهو قوله وماله وولده والناس اجمعين

﴿فصل﴾

(فى ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مما يرجوه محبه فى الدنيا ويامله فى دار العقبى (حدثنا ابو محمد بن عتاب) بتشديد الفوقية (بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (ابو قاسم حاتم) بكسر التاء (ابن محمد ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن على ابن خلف) بفتحتين وهو الحافظ القابسى (ثنا) اى حدثنا (ابو زيد المروزى) تقدم (ثنا) اى حدثنا (محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن اسمعيل) اى الامام البخارى (ثنا) اى حدثنا (عبدان) هو عبد الله ابن عثمان (ثنا) اى حدثنا (ابى) اى ابو عثمان بن جبلة بن ابى داود العتكى المروزى اخرج له الشيخان (ثنا) اى حدثنا (شعبة) وهو امام جليل (عن عمرو بن مرة) احد الاعلام وكان من الائمة العاملين الكرام روى عن ابن ابى اوفى وابن المسيب وجماعة وعنه سفيان وغيره قال ابن ابى حاتم ثقة يرى الارجاء اخرج له الستة (عن سالم بن ابى الجعد) تابعى جليل (عن انس رضى الله تعالى عنه) لا يخفى ان هذه الطريق التى اخرجها القاضى عن البخارى هى فى الادب من جملة الصحيح واخرجه من طريق اخرى فى احكام ايضا واخرجه مسلم فى الادب وليس لسالم بن ابى الجعد فى الكتب الستة عن انس رضى الله تعالى عنه غير هذا الحديث (ان رجلا) قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقيل ابو موسى او ابو ذر وقيل غيرهم والله تعالى اعلم (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة) اى القيامة او ساعة القيامة وحالة الندامة والملامة (يا رسول الله) كانه اظهر الشوق اليها والذوق لديها (قال ما اعددت لها) اى ما اعددت لما يصيبك من احوالها وشدائد اهوالها (قال ما اعددت لها من كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة) من فيها زائدة للمبالغة والمراد بها العبادات النافلة (ولكنى احب الله ورسوله) اى اطيعهما فيما يوجب رضاهما من الفرائض وهذا زبدة معنى قول صاحب البردة * ولم اصل سوى فرض ولم اصم * اى سوى فرض (قال انت مع من احببت) وفيه ايماء الى ان دعوى المحبة مع مجرد الاطاعة الواجبة كافية وللمعية فى الجملة دلالة صحيحة وافية واما دعوى المحبة مع ارتكاب المعصية فذمومة واصحابها على هذا الادعاء مذمومة ثم كثرت المتابعة زادت المحبة وكملت المعية حتى وصلت الى هذه المرتبة العينية والحالة الجمعية (وعن صفوان بن قدامة رضى الله عنه) بضم القاف قال الذهبى روى عنه ابنه عبد الرحمن ولهما صحبة وقيل هو تابعى ولابيه صفوان صحبة (قال هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وهو بالمدينة السكينة (فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك) بالجزم على جواب الامر ويجوز رفعه على الاستئناف (فناولنى يده) فبايعته (فقلت يا رسول الله انى احبك قال المرء مع من احب) اجاب بحكم عام شامل تام وفيه اشارة الى ان المعية على قدر المحبة الموجبة للطاعة والحديث رواه الترمذى والنسائى

عن صفوان بن قدامة (وروى هذا اللفظ) اى فى هذا الحديث (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس) رضى الله تعالى عنهم (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه بمعنا ه) اى بدون هذا اللفظ ومبناه وفى الجامع الصغير المرء مع من احب رواه احمد والشيخان وابو داود والترمذى والنسائى عن انس رضى الله تعالى عنه وفى الصحيحين عن ابن مسعود وفى رواية الترمذى المرء مع من احب وله ما اكتسب وفى هذه الزيادة اشارة الى ان قرب المعية على قدر كسب الجمعية كما يشير اليه قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يومى اليه البيان بالانبياء وغيرهم فالناقص فى الصلاح مع محبة كمل الصالحين يحشر معهم كما قيل

﴿شعر﴾

احب الصالحين ولست منهم * لعلى ان انال بهم شفاعه
واكره من بضاعته المعاصى * ولو كنا سواء فى البضاعه

وعلى هذا القياس فى الصديقين والشهداء واما العلماء فهم ورثة الانبياء (وعن على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضى الله تعالى عنهما) الظاهر ان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله (فقال من احبنى) اى لله تعالى (واحب هذين و ابا هما وامهما) اى لاجلى اولذواتهم المشتملة على حسن صفاتهم (كان معى) اى مقربا عندى (فى درجتى) اى فى جوارى فى الجنة اوفى درجة اهل بيتى لماسبق من ان المرء مع من احب (يوم القيامة) وكذا فيما بعده حال دخول الجنة (وروى) اى رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ان رجلا) قال البغوى فى تفسيره ان الآية الآتية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن النقاش انها نزلت فى عبد الله بن زيد بن عبد ربه (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك فما اصبر) اى عنك رؤية (حتى اجئ) اى احضر لديك (فانظر اليك) اى لتقر عينى ويسكن قلبى (وانى ذكرت موتى وموتك) اى انه لابد من وقوعهما معا اومتعاقبا (فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين) اى المرسلين (وان دخلتها) اى بالفرض والتقدير (لااراك) اى لان احدا لايكون مع الانبياء سواك فاكون محروما عن رؤية طلعتك هناك فتصير جنة النعيم فى نظرى حينئذ كنار الجحيم (فانزل الله تعالى) اى تسلية للعشاق عن حصول الفراق (ومن يطع الله والرسول) اى يحبهما ويتبع امرهما (فاولئك) اى المحبون لاحبائى والمشتاقون لاوليائى (مع الذين انعم الله عليهم) اى بنعمة المعية والقربة فى المرتبة الجمعية (من النبيين) اعم من المرسلين (والصديقين) اى المبالغين فى الصدق والتصديق والكاملين فى مقام اليقين والتحقيق (والشهداء) اى بسيف المجاهدة وسلاح المحاربة فى طريق العبادة (والصالحين) اى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه (وحسن اولئك رفيقا) اى ما احسنهم رفيقا وفقنا الله الى كمال متابعتهم وجمال محبتهم توفيقا (فدعابه) اى نادى الرجل الذى شكاه (فقرأها عليه) وشفاء مما كان خائفا انه على شفاه (وفى حديث آخر) لا يعرف مخرجه (كان رجل عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه) اى الى وجهه صلى الله عليه وسلم (لايطرق) بكسر الراء وفى نسخة مايطرف اى لايغمض بصره لديه (فقال ما بالك) اى شانك وحالك (قال) وفى نسخة فقال (بابى انت وامى) اى افديك بهما (اتمتع من النظر) ويروى بالنظر (اليك) اى فى الدنيا (فاذا كان يوم القيامة رفعك الله تعالى) فى اعلى الدرجة (بتفضيله) اى بسبب تفضيله سبحانه وتعالى اياك على من سواك فحينئذ بالضرورة لا اراك (فانزل الله الآية) اى الماضية تسلية لماسبق من الاحوال الآتية (وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه الاصفهانى فى ترغيبه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من احبنى كان معى فى الجنة) اى وان تفاوتت الدرجة على تفاوت مراتب المحبة المقتضية لحسن الطاعة على وفق المتابعة

﴿فصل﴾

(فيما روى عن السلف) اى الصحابة والتابعين (والائمة) اى من الخلف فى امر الدين من المجتهدين (من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) اى اشتياقهم الى رؤيته ووصولهم الى قرب درجته (حدثنا) وفى نسخة قال حدثنا (القاضى الشهيد) هو ابن سكرة (ثنا) اى حدثنا (العذرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (ثنا الرازى ثنا) اى حدثنا (الجلودى) بضم الجيم (ثنا) اى حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا) اى حدثنا (مسلم) اى صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (قتيبة) بالتصغير لقبه وهو ابن سعيد واختلف فى اسمه (ثنا) اى حدثنا (يعقوب بن عبد الرحمن) هذا هو القارى بتشديد الياء المدنى نزيل الاسكندرية (عن سهيل) بالتصغير وفى نسخة سهل (عن ابيه) ابوه هو ابو صالح السمان واسمه ذكوان (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه

ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشد امتى) وفى نسخة من اشد الناس (لى حبا ناس) اى جماعة وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور المتقدم ونعته (يكونون بعدى) اى يولدون بعد حياتى ويوجدون بعد وفاتى (يود احدهم) اى يتمنى (لورآنى) اى ان يبصرنى (باهله وماله) اى بدلهما (وتقدم مثله عن ابى ذر) وفى نسخة وقد تقدم حديث عمر رضى الله تعالى عنه اى فى هذا المعنى (وقوله) اى فى آخر المبنى (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الى من نفسى) اى روحى (وما تقدم من الصحابة فى مثله) اى فى مثل هذا ورد كثيرا (وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه) وفى نسخة العاصى بالياء والاول هو الصواب كما ذكرنا تحقيقه فيما سبق من شرح الكتاب (ما كان احد) اى من الخلق (احب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان) المعروف عبدة بنت خالد بن صفوان روت عن ابيها ذكرها ابن حبان فى ثقاته فالسهو اما من الكاتب او من صاحب الكتاب والله اعلم بالصواب (قالت ما كان خالد يأوى الى فراس) اى مرقد له (الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الى رؤيته (والى اصحابه من المهاجرين والانصار) اى الذين سبقوه (يسميهم) اى يذكرهم باسمائهم واحدا بعد واحد (ويقول هم) اى جميعهم ويروى منهم (اصلى) اى فى اصول الدين (وفصلى) اى وفرعى فى فرع المجتهدين او معناهما حسبى ونسبى وقيل الاصل الوالد والفصل المولود والمعنى ان كبارهم صغارهم بمنزلة آبائى واولادى واما ما نقله الحلبى عن الجوهرى ان الكسائى قال قولهم لا اصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان فلا يظهر وجهه كما لا يخفى على اهل البيان (واليهم يحن قلبى) بكسر الحاء اى يميل (طال شوقى اليهم فعجل ربى قبضى) اى قبض روحى (اليك) اى الى رحمتك (حتى) اى يكرر الجملة الاخيرة او الجمل كلها حتى (يغلبه النوم) فوت الاقران موجب الاحزان (وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة وروى عن ابى بكر كما رواه ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عنه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى بعثك بالحق) اى ارسلك الى الخلق (لاسلام ابى طالب كان اقر لعينى) اى اشد سرورا عندى (من اسلامه يعنى اباه) عثمان بن عامر رضى الله تعالى عنه (ابا قحافة) بضم القاف عاش بعد ابنه وخصصه من تركة ابى بكر رضى الله تعالى عنه السدس فرده فى اولاده وتوفى سنة اربع عشرة (وذلك) اى قال وسبب ذلك (ان اسلام ابى طالب كان اقر لعينك) يعنى والله غالب على امره ولعله قال ذلك حين نزل قوله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين او حين اسلم ابوه عام الفتح وهناء النبى عليه الصلوة والسلام (ونحوه عن عمر رضى الله تعالى عنه) اى نظير حديث ابى بكر ما رواه البيهقى والبزار عن ابن عمر عن عمر رضى الله تعالى عنهما (انه قال) اى قال نحو حديث الصديق (للعباس) اى تسلية وترغيبا له فى الاسلام ان قاله قبل اسلامه او تهنئة له وترحيبا به ان كان بعده (ان تسلم) بفتح الهمزة على ان ان مصدرية اى اسلامك (احب الى) اى بالحب الشرعى (من اسلام الخطاب) اى لو وجد فرضا (لان ذلك) اى اسلامك (احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بحسب ميله الطبيعى ورجح الدلجى كون ان بكسر الهمزة شرطية وهو بعيد رواية ودراية (وعن ابن اسحق) اى امام المغازى وكذا عن البيهقى عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن ابى وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) اى من بنى دينار كما فى رواية ابن اسحق (قتل ابوها واخوها وزوجها) اى فى سبيل الله تعالى (يوم احد) اى زمن وقعته (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى قتال كفار قريش وكسر المسلمين وانهزام بعض المؤمنين واستشهاد طائفة من الموقنين واشاعة قتل سيد المرسلين على لسان المشركين والمنافقين (فقالت ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة الفاعل ويجوز كونه للمفعول اى ما جرى له وكيف حاله (قالوا خيرا) اى فعل خيرا وفى نسخة بخير اى هو بخير فى بدنه وسالم من عدوه (هو) وفى نسخة وهو (بحمد الله كما تحبين) اى من الصحة والعافية (قالت) اى لبعض اصحابه (ارنيه حتى انظر اليه) اى ليطمئن قلبى لديه وفى نسخة صحيحة ارونيه بصيغة الجمع فاروه (فلما رأته قالت كل مصيبة) اى من قتل اب واخ وزوج وغيرهم (بعدك) اى بعد سلامتك اوغير مصيبتك (جلل) بفتح الجيم واللام الاولى اى هين وجاء فى رواية ابن اسحق مفسرا تريد صغيرة اى هينة حقيرة لا شاقة كبيرة (وسئل على بن ابى طالب كرم الله وجهه) لا يدرى مخرجه (كيف كان حبكم) اى معشر الصحابة او جماعة اهل البيت (لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اى على رضى الله عنه (كان) اى النبى صلى الله عليه وسلم (والله) قسم معترض (احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ) بفتحتين مقصورا ويجوز مده وهو شدة العطش وفى اعادة الجار اشعار بانه اشد نفعا لانه روح الروح وايماء الى انه احب اليهم من ارواحهم (وعن زيد بن اسلم رحمه الله) اى الفقيه العمرى تابعى جليل روى عن ابن عمر وجابر وعنه مالك وغيره اخرج له اصحاب الكتب الستة والاحاديث

رواه عنه ابن المبارك فى الزهد (خرج عمر رضى الله تعالى عنه ليلة يحرس الناس) اى يحفظهم بمراعاته و يتخبرعن احوالهم على عادته فى ايام خلافته (فرأى مصباحا) اى سراجا (فى بيت) اى فقصده (واذا عجوز تنفش) اى تندف (صوفا) وهو بضم الفاء والشين المعجمة من النفش وهو تفريق الشئ باصابعك حتى ينتشر كالتنفيش (وتقول) اى وهى تنشد رجزا (على محمد صلوة الابرار) جمع بر او بار والمراد بالصلوة هنا تعظيمهم له فى الدنيا باعلاء ذكره واظهار امره وفى الآخرة بتضعيف اجره ورفعة قدره (صلى الله عليه الطيبون الاخيار) جمع خير بالتشديد والتخفيف (قد كنت) اى انت (قواما) اى كثير القيام للعبادة وفى رواية صواما وجعله الدلجى اصلا اى كثير الصيام للرياضة (بكا) بضم الموحدة مقصورا منونا لغة فى الممدود اى ذو بكاء اواريد به المبالغة كرجل عدل يعنى لكثرة بكائه كانه عين البكاء وهذا المعنى انسب لمقابلة ماقبله وقد اغرب الدلجى بقوله قصر لضرورة الوزن واصله بفتحها ممدودا مشدد الكاف مبالغة فى كثرة البكاء ولا يخفى وجه غرابته فى المبنى وقيل البكاء برفع الصوت ممدود والدمع بلا صوت مقصور واما ما وقع فى بعض النسخ المقروءة بكاء بتشديد الكاف وبالمد والتنوين فهو مستقيم معنى ولكنه سقيم وزنا ومبنى وكذا ما فى نسخة من ضبطه بالتشديد منونا بدون مد وهو الذى ذهب اليه الدلجى وقال الانطاكى وفى بعضها بكاء بالتخفيف فان المشدد قد يخفف للوزن انتهى والصواب ماقدمناه كما لا يخفى (بالاسحار) ايماء الى قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار واشارة الى وصية لقمان لابنه يا بنى لا يكن الديك اكيس منك ينادى بالاسحار وانت نائم اى غافل عن البكاء والاستغفار (ياليت شعرى) اى ليتنى علمى وشعورى بغيبتى وحضورى (والمنايا اطوار) اى تارات جملة حالية بين المعمولين اعتراضية افادت بها ان ما يحول بين المرء ومتمناه حالات شئ مختلفة بحسب تفاوتها فى اطوار الموت واسرار الفوت فان المنايا جمع منية وهى الموت من منى الله عليك اى قدر ومن ثمة سمى منية لانه مقدر بوقت معين وقد ورد ان منشدا انشد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿ شعر ﴾

﴿ لا تأمنن وان امسيت فى حرم * حتى تلاقى ما يمنى لك المانى ﴾

﴿ فالخير والشر مقرونان فى قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان ﴾

فقال صلى الله عليه وسلم لو ادرك قائل هذا الاسلام لاسلم والمعنى حتى تلاقى ما قدر لك المقدر وهو الله سبحانه وتعالى وهى تريد والله اعلم لان المنية تارة تأخذ الكرام واخرى تبيد اللئام والمعنى ليت علمى حاضر اعلم به (هل تجمعنى) بفتح الميم وضم العين وتخفيف النون وفى نسخة بفتح العين وتشديد ما بعدها (وحبيى) بفتح الياء اصله لا كما قال الانطاكى ضرورة (الدار) يعنى ام يحولن بنى و بينه المرار (تعنى) اى المرأة بقولها حبيى (النبى صلى الله عليه وسلم) و بقولها الدار الجنة دار القرار (فجلس عمر رضى الله تعالى عنه يبكى) اى للاشتياق اوللفراق اوالافتراق (وفى الحكاية طول) اى ليس هذا مقام ايرادها (وروى) اى فى عمل اليوم والليلة لابن السنى (ان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما خدرت رجله) بفتح معجمة وكسر مهملة اى فترت عن الحركة وضعفت باجتماع عصبها من جهة كسل وفتور اصابها كانها رجل ناعس ولم يذهب مابها (فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك) بضم الزاء اى يزول عنك هذا الانقباض بسبب ما يترتب على ذكر المحبوب من الانبساط (فصاح) اى فنادى باعلى صوته (يا محمداه) بسكون الهاء للندبة وكانه رضى الله تعالى عنه قصد به اظهار المحبة فى ضمن الاستغاثة (فانتشرت) اى رجله فى الفور (ولما احتضر بلال رضى الله عنه) بصيغة المفعول اى حضرته الوفاة وقاربه الممات (نادت امرأته) وهى صحابية على ما ذكره الذهبى فى آخر النساء من التجريد ما لفظه زوجة بلال اتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل عن بلال اتم بلال (واحزناه) بضم حاء فسكون زاء ويجوز فتحهما وتصحف على الدلجى وضبطه بفتح الحاء والراء وبالموحدة بدل النون قال وهو فى الاصل النهب والسلب فكانها لفجعها وحزنها بموته قد نهبت وسلبت (فقال) اى بلال (واطرباه) اى فرحاه وهو يؤيد ما قدمناه معنى وان كان انسب لما قاله الدلجى مبنى وفى نسخة بل واطرباه بتصريح الاضراب للابطال ثم رجز مناسبا للحال واستدلالا لذلك المقال (غدا نلقى الاحبه) بالهاء وقفا (محمدا وصحبه) وفى نسخة صحيحة وحزبه وقد روى عن عمار ايضا انه قال بصفين الآن الق الاحبه محمدا ثم حزبه (ويروى ان امرأة) وفى نسخة ويروى عن امرأة وفى حاشية الحلبى ان امرأة هاشم قال ولا اعرفها (قالت لعائشة رضى الله تعالى عنها اكشفى لى) اى بينى لى وارينى (قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها) اى بكشف الستارة عنه لاجلها (فبكت حتى ماتت) اى حزنا على فراقه او شوقا الى لقائه (ولما اخرج اهل مكة) اى كفارهم كما رواه البيهقى عن عروة (زيد بن الدثنة) بدال مهملة مفتوحة فمثلثة مكسورة وتسكن فنون مفتوحة مخففة فهاء تأنيث بياضى خزرجى بدرى احدى (من الحرم) متعلق باخرج (ليقتلوه) اى صبرا وكان قد اسر مع خبيب يوم الرجيع فباعوهما بمكة

(قال له) اى لزيد (ابو سفيان بن حرب) اى ابن امية وهو ابو معاوية اسلم عام الفتح وهذا الكلام قبل الاسلام (انشدك الله تعالى) بضم الشين اى اسألك الله واذكرك به واقسم عليك به وفى نسخة صحيحة انشدك بالله (يا زيد ايحب ان محمدا الآن عندنا مكانك) اى يكون فى مكانك ومهانتك (يضرب عنقه) بصيغة المجهول والعنق بضمتين وبضم فسكون وكسر دال الجد وبنون (وانك) وفى نسخة وانت (فى اهلك) اى والحال انك تكون فيما بين اهلك وطول املك (فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان فى مكانه الذى هو فيه) اى مع كمال امنه وعزته (تصيبه شوكة) اى فضلا عن ان يصيبه محنة فوقها (وانى) وفى نسخة وانا (جالس فى اهلى) ولعله ذكره لمقابلة كلام ابى سفيان لا انه حال مقيدة فى هذا الشان بل الانسب للمبالغة ان يقول وانا فى هذه الحال فكيف اذا كنت فيما بين اهلى ومالى من المثال والمعنى ان ما اصابنى فى طريقه من المحنة لم ينقص لى شيئا فى حقه من المحبة (فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا) اى من الاتباع (يحب احدا) اى من المتبوعين (كحب اصحاب محمد محمدا) اى احتراما مؤكدا واحتشاما مؤيدا قال الحلبى ما ذكره القاضى قاله ابن اسحق ونقل ابو الفتح اليعمرى فى سيرته الكبيرة ذلك عن ابن اسحق وذكر عن ابن عقبة ان الذى قيل له اتحب ان محمدا مكانك هو خبيب بن عدى حين رفع على الخشبة فقال لا والله فضحكوا منه انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن جرير والبزار عنه (قال كانت المرأة اذا اتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مهاجرة اليه فى المدينة السكينة (حلفها بالله ما خرجت) اى هى من ارضها اليه (من بغض زوج) اى من اجل كراهة زوج لها (ولا رغبة) بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور والمراد بها العلة وبالجر عطفا على المجرور اى ولا من اجل الميل (بارض) اى فى بلدة (عن ارض) اى انصرافا عن بلدة لقلة رغبة فيها (وما خرجت) اى عن ارضها (الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن سعد (على ابن الزبير) اى على جذعه الذى صلبه عليه الحجاج بالمعلاة (بعد قتله) اى عند البيت (فاستغفر) اى ابن عمر رضى الله عنهما (له) اى لابن الزبير (وقال كنت والله) وفى نسخة والله كنت (فيما علمت) وفى نسخة ما علمت اى مدة علمى بك (صواما قواما) اى كثير الصيام والقيام (تحب الله ورسوله)

﴿ فصل ﴾

(فى علامة محبته عليه الصلوة والسلام) وفى اصل الدلجى فى علامة حبه على انه مصدر مضاف الى معموله اى يذكر فيه ما يؤذن بحب غيره له (اعلم انه) وفى نسخة ان (من احب شيئا آثره) بالمد اى اختاره على نفسه (وآثر موافقته) على مخالفته (والا) اى وان لم يؤثرها (لم يكن صادقا فى حبه) اى فى مودته (وكان مدعيا) اى فى محبته وكان كما قيل

﴿ شعر ﴾

﴿ وكل يدعى وصلا بليلى ✽ وليلى لا تقر لهم بذاك ﴾

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه) اى دلالة الحب لديه (اولها) اى اول علاماته واسبق دلالاته (الاقتداء به) اى فى ملته (واستعمال سنته) اى طريقته (واتباع اقواله وافعاله) اى فى جميع احواله (وامتثال اوامره) اى وجوبا وندبا (واجتناب نواهيه) اى حرمة وكراهة (والتأدب بآدابه) اى فى جميع ابوابه من مكارم سماته ومحاسن فضائله (فى عسره ويسره) اى فى وقت ضره وشكره على صعوبة امره وسهولته ومحنته ونعمته وجوده وشبعه وبلائه ورخائه وقبضه وبسطه ومحوه وصحوه وفنائه وبقائه (ومنشطه ومكرهه) بفتح اولهما وثالثهما مصدران بمعنى النشاط والكراهة او اسما زمان اى فى حال سعته وضيقه او حال رضاه وغضبه او وقت فرحه وحزنه او زمن انشراح صدره او انقباض امره (وشاهد هذا) اى دليل ما ذكر كله (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) اى تريدون طاعته او تدعون محبته (فاتبعونى) اى فى طريقته (يحببكم الله) يرحمكم عليه ويقربكم اليه وتمامه قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم اى يتجاوز عما فرط من عيوبكم (وايثار ما شرعه) اى وشاهده ايضا تقديم ما اظهره واختيار ما بينه من وجوب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح ونحوه (وحض عليه) اى وايثار ما حث وحرض على فعله او تركه (على هوى نفسه) اى على ما تميل اليه نفس المحب (وموافقة شهوته قال الله تعالى) اى فى مدح الانصار من جهة الايثار الذى هو فى الجملة من شيم الابرار وسمة الاحرار (والذين تبوؤا الدار والايمان) اى اتخذوا المدينة منزلا والايمان منزلة ومحلا والمعنى لزموهما ولم يفارقوهما (من قبلهم) اى من قبل نزول المهاجرين عليهم (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل احد من قريش ولا عيرهم عليهم (ولا يجدون فى صدورهم) كذا فى النسخ المصححة وفق الآية ووقع فى اصل الدلجى فى انفسهم فقال ضوا به فى صدورهم (حاجة) اى حزازة (مما اوتوا) اى لم يخطر ببالهم ما تطمح به نفوسهم الى ما اعطى المهاجرون وغيرهم من فيء وغيره (ويؤثرون) اى يقدمون

المهاجرين وغيرهم (على انفسهم) في محبة الله ورسوله (ولو كان بهم خصاصة) اى مجاعة وشدة حاجة حتى ان من كان عنده داران او بستانان ترك احسنهما للمهاجرين ومن كان عنده امرأتان نزل عن احدى زوجتيه التى كانت اكرمهما لديه وزوجها باحدهم بين يديه هذا وسبب نزول الآية انه عليه الصلوة والسلام قسم اموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة محاويج ابادجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث ابن الصمة وقال لبقية الانصار ان شئتم شركتكم فى هذا الفيء معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولا نأخذوا منه شيأ فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالفيء علينا ولا نشاركهم فيه اصلا (واسخاط العباد) اى وشاهده ايضا اسخاط العباد (فى رضى الله تعالى) اى فى تحصيل رضاه فمن ارضاه تعالى بسخط عباده رضي الله عنه وارضى عنه العباد ومن ارضاهم بسخطه سخط عليه واسخطهم عليه كما ورد به حديث هذا مبناه اومعناه (حدثنا القاضى ابو على الحافظ) وهو ابن سكرة (نا) اى حدثنا (ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل بن خيرون) بخاء معجمة مفتوحة وتحتية ساكنة وراء مضمومة وهو غير منصرف فى النسخ المصححة (قالا) اى كلاهما (نا) اى حدثنا (ابو يعلى البغدادى) ويقال له ابن زوج الحرة (نا) اى حدثنا (ابو على السنجى) بكسر السين وسكون النون والجيم (نا) اى حدثنا (محمد بن محبوب) ويروى احمد بن محبوب (نا) اى حدثنا (ابو عيسى) اى الترمذى الامام (نا) اى حدثنا (مسلم بن حاتم) اى الانصارى امام جامع البصرة وثقه الترمذى وغيره (نا) اى حدثنا (محمد بن عبد الله الانصارى) قاضى البصرة يروى عن حميد وابن عوف وطبقتهما وعنه البخارى واحمد وابن معين وخلائق اخرج له الائمة الستة (عن ابيه) اى عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن انس ابن مالك الانصارى يروى عن عمومته والحسن وجماعة وعنه طائفة قال ابو حاتم صالح ووثقه غيره وقال النسائى ليس بالقوى وقال ابو داود لا اخرج حديثه لكن اخرج له البخارى والترمذى وابن ماجه (عن على بن زيد) اى ابن جدعان التيمى البصرى الضرير تابعى احد الحفاظ وليس بالثبت وقال منصور بن زادان لما مات الحسن قلنا لابن جدعان اجلس مجلسه اخرج له مسلم متابعة (عن سعيد بن المسيب) تقدم ذكره (قال قال انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى) بكسر الياء المشددة وفتحها لغتان وقراءتان متواترتان وهو تصغير شفقة (ان قدرت ان تصبح وتمسى) اى تدخل فى الصباح والمساء او يمر عليك النهار والليل (ليس فى قلبك غش) اى حقد وحسد (لاحد) اى من المسلمين جملة حالية معترضة (فافعل) اى كن ثابتا على هذا العمل فان من غشنا فليس منا على ما ورد (ثم قال لى يا بنى وذلك) اى المقام (من سنتى) اى من طريقتى (ومن احيى سنتى) اى بالعمل بها او بانتشارها فى تعليمها وتعلمها ويروى ومن احب سنتى (فقد احبنى) اى بالغ فى حبى (ومن احبنى) اى بالمبالغة (كان معى فى الجنة) اى فى درجة ارباب المحبة واصحاب القربة (فمن اتصف بهذه الصفة) الظاهر بهذه الصفات التى هى علامات المحبة اوالمراد بهذه الصفة احياء السنة وامثالها من انواع الموافقة والمتابعة الصادقة (فهو كامل المحبة لله تعالى) اى اصالة (ورسوله) اى تبعا (ومن خالفها) اى هذه الصفات (فى بعض هذه الامور) اى المذكورة (فهو ناقص المحبة ولا يخرج) اى ولكن لا يخرج مع هذا (عن اسمها) اى عن اسم المحبة فجوز اطلاق المحب عليه فى الجملة (ودليله) اى ودليل عدم خروج ناقص المحبة عن اصل المحبة (قوله عليه الصلوة والسلام) اى كما فى حديث البخارى عن عمر رضي الله عنه (للذى حده فى الخمر) اى لاجله وفى حقه وهو عبد الله الملقب بالحمار كذا وقع فى صحيح البخارى وهو صاحب مزاح كان يهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويضحكه (فلعنه بعضهم) وفى صحيح البخارى فقال بعض القوم اخزاك الله تعالى قال بعض الحفاظ القائل به هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رواه البيهقى وفى رواية له فقال رجل من القوم اللهم العنه (وقال) اى ذلك البعض تعليلا لطعنه ولعنه (ما اكثر ما يأتى به فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفى كلام الدمياطى فى حواشيه على البخارى ان هذا وهم منه فان صاحب القصة نعيمان تصغير نعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار شهد العقبة مع السبعين وبدرا واحدا والخندق وسائر المشاهد واتى به فى شرب الخمر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجلده اربعا اوخمسا فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يشرب واكثر ما يجلد فقال عليه الصلوة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وكان صاحب مزاح انتهى وقال الواقدى بقى نعيمان حتى توفى ايام معاوية وكان كثير المزاح يضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مزاحه انتهى ومما يحكى عن نعيمان هذا انه كان لا يدخل فى المدينة طرفة او تحفة الا اشترى وجاء بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول اهديته لك فاذا جاء صاحبه بطالبه بثمنه جاء به الى النبى عليه الصلوة والسلام وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول النبى عليه الصلوة

﴿والسلام﴾

والسلام ولم تهده فيقول يارسول الله لم يكن والله عندي ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وفي هذا الحديث بشارة عظيمة واشارة جسيمة لعصاة المؤمنين وحجة واضحة وبينة لائحة لاهل السنة والجماعة على الخوارج والمعتزلة حيث قالوا بكفر من فعل كبيرة او هي مخرجة له عن الايمان ولا تدخله في الكفر فيثبتون لصاحبها منزلة بين المنزلتين ويقولون بتخليده في النار (ومن علاماتها محبة النبي) اى محبته للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له) اى في الحالات والاوقات (فمن احب شيأ اكثر من ذكره) اى وصرف اليه غالب فكره وقوله من احب شيأ اكثر من ذكره حديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عن عايشة رضي الله تعالى عنها (ومنها) اى من علامات محبته عليه الصلوة والسلام (كثرة شوقه الى لقائه) اى مشاهدة طلعة ذاته في دار بقائه (فكل حبيب) اى محب (يحب لقاء حبيبه) اى محبوبه والجملة كالعلة لما قبلها (وفي حديث الاشعريين) اى ابي موسى واصحابه (عند قدومهم المدينة) اى من اليمن او الحبشة (انهم كانوا يرتجزون) اى يقولون هذا الرجز قبل حصول الصحبة ووصول القربة (غدا نلقى الاحبة) جمع حبيب فعيل بمعنى مفعول (محمدا وصحبه) ويروى وحزبه والمراد بالرجز هنا الشعر الذي يشبه الرجز اذ ليس هذا من بحر الرجز المعروف فانه بفتحتين ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات سمي لتقارب اجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس بشعر وانما هو انصاف من ابيات واثلاث (وتقدم قول بلال) اى انشاده هذا الرجز عند موته سوقا الى لقائه (ومثله قال عمار قبل قتله) وفي نسخة وكما قال عمار اى ابن ياسر ابو اليقظان العبسي من السابقين المعذبين في الله البدريين وكان معذبا بالنار في ايدي المشركين وكان عليه الصلوة والسلام يمر به فيمر يده عليه ويقول يانار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم روى عنه علي وابن عباس وغيرهما قتل بصفين مع علي عن ثلاث وتسعين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم له تقتلك الفئة الباغية وقتله ابو الغادية واسمه يسار بن سبع سكن الشام ونزل واسط عداده في الشاميين ادرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غلام وسمع منه قوله لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وكان محبا لعثمان رضي الله عنه وكان اذا استأذن على معاوية يقول قاتل عمار بالباب اخرج له احمد في المسند (وماذكرناه) اى وتقدم ايضا ما ذكرناه (من قصة خالد بن معدان) وفي نسخة في قصة خالد بن معدان (ومن علاماته) اى ومن دلالة شوق المحب الى لقاء محبوبه (مع كثرة ذكره تعظيمه له) اى لذاته او لامره (وتوقيره) اى له كما في نسخة (عند ذكره) اى تنويها لرفعة محله (واظهار الخضوع) وفي نسخة واظهاره الخضوع وفي نسخة الخشوع بدل الخضوع والمعنى بهما التواضع والتذلل ظاهرا وباطنا (والانكسار) اى بوصف الافتقار وفي نسخة الانكماش اى الانقباض والاجتماع (مع سماع اسمه) اى حين سماع اسمه او وصفه (قال اسحق) وفي نسخة ابو اسحق (التجيبي) بضم التاء الفوقية وتفتح وقيل هو الاصح وبكسر الجيم نسبة الى تجيب بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبي قاتل عثمان رضي الله تعالى عنه وتجوب قبيلة من حمير منهم ابن ملجم قاتل علي كرم الله وجهه (كان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده) اى بعد وفاته (ولا يذكرونه) اى في حال من الاحوال (الا خشعوا) اى خضعوا وتذللوا (واقشعرت جلودهم) اى انقبضت لحسرتهم عليه (وبكوا) اى لفراقه سوقا اليه (وكذلك) اى ومثل اصحابه في ذلك (كثير من التابعين منهم) وفي نسخة كان منهم (من يفعل ذلك) اى يخشع ويقشعر ويبكي (محبة له وسوقا اليه ومنهم) اى من التابعين اومن الصحابة والاتباع اجمعين (من يفعله) اى ما ذكر من الخشوع والاقشعرار والبكاء (تهيبا) اى مهابة (وتوقيرا) اى جلالا وعظمة والحاصل ان بعضهم كانت المحبة غالبة عليهم وبعضهم كانت المخافة ظاهرة لديهم وهما مقامان شريفان لطائفتين من الصوفية السنية لكن مقام الرجاء والمحبة افضل من مقام الخوف والهيبة بالنسبة الى المنتهين وعكسه بالاضافة الى المبتدئين ويسمى الاولون بالطيارين والآخرون بالسيارين ثم هذه الاوصاف المحمودة كلها مقتبسة من قوله تعالى في مدح المؤمنين الموقنين حيث قال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الى ان قال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية فذكر الله وذكر رسوله متلازمان في حصول كل واحد ووصوله (ومنها) اى ومن علامات محبة الانسان للنبي عليه الصلوة والسلام (محبته لمن احب النبي) بالرفع اى احبه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ويجوز ان ينصب كما في نسخة وهو المعنى الاعم الاتم لكن الاول هو المناسب لسياق الكلام والله تعالى اعلم ولذا عطف عليه بقوله (ومن) اى ولمن (هو بسببه) اى بسبب نسبه ونسبته وفي نسخة بسببه اى منسوب به (من آل بيته) اهل بيته وفي اصل الحجازي بنون وسين مهملة وموحدة (وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم) اى تجاوز الحد الشرعي في حقهم من الكفار (وبغض من ابغضهم) اى كونهم من الفجار (وسبهم) اى

و بغض من شتمهم من كلاب اهل النار (فمن احب شيئا) اى احدا (احب من يحب) وفى نسخة من يحبه اى ذلك المحبوب و يبغض من يبغضه (وقد قال عليه الصلوة والسلام) كما فى البخارى وغيره (فى الحسن والحسين) اى فى حقهما وشانهما (اللهم انى احبهما فاحبهما) اى زدلهما الهدى والتوفيق فى الدنيا وحسن المثوبة ورفعة الدرجة فى العقبى (وقال) اى فى رواية (من احبهما فقد احبنى) اى فكانه احبنى (ومن احبنى) حقيقة (فقد احب الله تعالى ومن ابغضهما فقد ابغضنى) اى فكانه ابغضنى (ومن ابغضنى) حقيقة (فقد ابغض الله تعالى) اى ومن ابغض الله فقد كفر بالله (وفى رواية) اى اخرى (فى الحسن) اى قال فى حق الحسن وحده (اللهم انى احبه فاحب من يحبه وقال) اى فى رواية الترمذى (الله الله) بالنصب فيهما اى اتقوه واحذروه (فى اصحابى) ولا تذكروهم بسوء فانهم احبابى (لاتتخذوهم غرضا) بمعجمتين اى هدفا ترمونهم بما لايليق من الكلام كما يرمى الهدف بالسهام وفى نسخة عرضا بالعين المهملة والظاهر انه تصحيف (بعدى) اى فى غيبتى ايام حياتى او بعد مماتى (فمن احبهم فبحبى) اى فبسبب حبه اياى او حبى اياهم (احبهم ومن ابغضهم فببغضى) اى فبسبب بغضه اياى (ابغضهم) ومن هنا قول بعض المالكية من سبهم قتل (ومن اذاهم) اى بما يسوؤهم (فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله تعالى) اى خالفه وكره الله فعله (ومن اذى الله يوشك) اى يقرب و يسرع (ان يأخذه) اى الله تعالى كما فى نسخة ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعدلهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) اى كما رواه البخارى وغيره (فى فاطمة) اى فى شانها (انها بضعة) بفتح الموحدة وتكسر اى جزء وقطعة (منى) اى من لحمى ودمى (يغضبنى ما اغضبها) وفى نسخة مايغضبها وقد ورد هذا الحديث حين خطب على رضى الله تعالى عنه جويرية ابنة عدو الله ابى جهل على فاطمة رضى الله تعالى عنها قال مسرور بن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى ان ينكحوا ابنتهم على بن ابى طالب فلا اذن ثم لا اذن ثم لا اذن الا ان يريد ابن ابى طالب ان يطلق ابنتى و ينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى فمن ابغضها ابغضنى فهذا من خصوصياتها (وقال) اى فى رواية (لعائشة رضى الله تعالى عنها فى اسامة بن زيد) اى فى حقه (احبيه فانى احبه) وقد ورد انه اراد عليه الصلوة والسلام ان ينحى مخاط اسامة فقالت عايشة رضى الله تعالى عنها دعنى حتى انا الذى افعل قال ياعائشة احبيه فانى احبه (وقال) كما فى الصحيحين (آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم) اى علامة كمال ايمان من آمن او علامة نفس ايمانه حبهم و يؤيده ظاهر الحديث وحديث لايحبهم الا مؤمن ولايبغضهم الا منافق ولعل وجه تخصيصهم انهم كانوا مختلطين فيما بين المنافقين والمخلصين اولانهم انصار وان حكم المهاجرين اولى بذلك كما يشير اليه قوله عليه الصلوة والسلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ايماء الى جلالة رتبة الهجرة وانه عليه الصلوة والسلام نبى مهاجر من المهاجرين وقد جاء بطريق العموم حب العرب ايمان و بغضهم نفاق كما رواه الحاكم فى مستدركه عن انس رضى الله تعالى عنه (وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) اى كما تقدم (من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) ظاهر مبناه اخبار ولايبعد ان يكون معناه انشاء اى من احبهم فينبغى ان يكون بسبب حبى لهم احبهم حيث يكونون صالحين وكذا البغض اذا كانوا طالحين لما ورد عنه عليه الصلوة والسلام من احب لله وابغض لله فقد استكمل ايمانه وفى رواية حب قريش ايمان و بغضهم كفر وحب الانصار من الايمان و بغضهم كفر فمن احب العرب اى جنسهم والمراد مؤمنوهم اومتقوهم فقد احبنى ومن ابغض العرب فقد ابغضنى رواه الطبرانى فى الاوسط عن انس رضى الله تعالى عنه وروى ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب ابى بكر وعمر من الايمان و بغضهما كفر وحب الانصار من الايمان و بغضهم كفر وحب العرب من الايمان و بغضهم كفر ومن سب اصحابى فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فانا احفظه يوم القيامة والاحاديث كثيرة فى هذا الباب و بالجملة فيجب على كل احد ان يحب اهل بيت النبوة و جميع الصحابة من العرب والعجم لاسيما جنسه عليه الصلوة والسلام ولا يكون من الخوارج فى بغض اهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض فى بغض الصحابة فانه لاينفعه حينئذ حب اهل البيت ولا يكون من جملة الاروام حيث يكرهون العرب بالطبع الملام و يذمونهم على الاطلاق بسوء الكلام فانه يخشى عليهم من سوء الختام (فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شئ يحبه) اى يحب ذلك الشئ وهذا اظهر (وهذه) اى الطريقة الموافقة للحقيقة (سيرة السلف) اى سمة الصحابة والتابعين فى حبهم ما احبه عليه الصلوة والسلام فى جميع الحالات (حتى فى المباحات وشهوات النفس) اى فيحبون ما اشتهاه و يتكلمون بمقتضاه و يكلفون انفسهم بموافقة مايهواه مبالغة فى طاعة مولاه (وقد قال انس رضى الله تعالى عنه حين رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع

الدباء) بالمد ويقصر اى يطلبه (من حوالى القصعة) بفتح اللام والقاف اى من اطرافها لكمال محبته له (فازلت)
اى مادمت وعشت (احب الدباء من يومئذ) بفتح الميم وكسرها اى من حين رأيته يتتبعه ويأكل حب اله لحبه عليه
الصلوة والسلام اياه وروى عن انس رضى الله تعالى عنه انه ماصنع لى طعام و يوجد الدباء الا وقد جعل فيه وقد روى
فى مجلس ابى يوسف انه عليه الصلوة والسلام كان يحب الدباء فقال رجل انا ما احب الدباء فسل له السيف وقال جدد
الاسلام والا قتلتك نظرا الى ظاهر معارضته له عليه الصلوة والسلام (فهذا الحسن بن على وعبد الله بن عباس وابن جعفر
رضى الله تعالى عنهم) اى ابن ابى طالب (اتوا سلمى) اى خادمته صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاة له او مولاة عمته صفية
زوجة ابى رافع قابلة ابنه ابراهيم ودابة ابنته فاطمة وغاسلتها مع اسماء بنت عميس قال الحلبى فى الصحابيات وسلمى
غير هذه خمسة عشرة امرأة وانما يدل على انها المراد هنا مااخرجه الترمذى فى الشمائل بسنده عنها انهم اتوها
(وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يشتهيه و يستحسن اكله
فقالت يابنى لاتشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا فقامت واخذت شيئا من الشعير فطحنته ثم جعلته فى قدر وصبت عليه
شيئا من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته فقالت هذا مما كان يعجب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يستحسن
اكله (وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) على ما فى الصحيحين واما ما وقع فى اصل الدلجى من ابن عباس بدل ابن عمر فلبس
فى محله (يلبس) بفتح الموحدة (النعال السبتية) بكسر السين نسبة الى السبت وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ وهو
ورق السمر وقيل صمغه يتخذ منه النعال سميت بذلك لان شعرها قدسبت عنها اى ازيل وقيل منسوبة الى موضع
يقال له سوق السبت بالكسر (و يصبغ) بتثليث الموحدة وضمها اشهر (بالصفرة) اى بالحناء (اذ رأى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك) اى مثل ما ذكر من لبس النعال السبتية وصبغ اللحية بالصفرة لكمال المتابعة
فى هيئة الموافقة من الكمية والكيفية (ومنها) اى من علامات محبته عليه الصلوة والسلام (بغض من ابغض الله
ورسوله) بالنصب فى النسخ المصححة اى من ابغضهما ووقع فى اصل الدلجى بالرفع فقال اى من ابغضاه والاول ايضا
قدنص عليه الحلبى وهو الاظهر فتدبر لان بغض الله تعالى للعبد ارادة عقابه وايقاع الهوان به وهذا غير معلوم لنا
بخلاف من ظهر منه بغضهما كابى لهب وابى جهل ونحوهما واسم الله للتزيين وللاشعار بان من ابغض رسوله
فقد ابغضه والافلا يوجد فى العالم من ابغض الله تعالى فكل يدعى محبته الا ان اكثرهم اخطأ واطريق ما يقتضى
مودته ولذا اكتفى بضميره عليه الصلوة والسلام فى قوله (ومعاداة من عاداه) اى من اتخذه عليه الصلوة والسلام عدوا
(ومجانبة من خالف سنته) اى طريقته اى عمل بغيرها (وابتدع فى دينه) اى اظهر البدع فى سبيله (واستثقاله) اى
عدالمؤمن المحب ثقيلا (كل امر) اى من قول اوفعل اوحال و يروى واستثقال كل امر (يخالف شرعه قال الله
تعالى) اى اعلاما بما ذكر من كمال محبته (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) اى يكملون فى الايمان
بحسب الباطن والظاهر (يوادون من حاد الله ورسوله) اى يحابون و يصادقون من خالفهما والمعنى انه لاينبغى
ان يكون هذا الامر بل حقه اى يمتنع مبالغة فى النهى عنه بمجانبة اعدائهما (ولو كانوا آباءهم) اى اصولهم (او ابناءهم)
اى فروعهم (او اخوانهم) اى اقرانهم (او عشيرتهم) اى اقاربهم واهل محبتهم وهو تعميم بعد تخصيص (وهؤلاء)
اى المؤمنون بالله واليوم الآخر حقا (اصحابه) اى عدلا وصدقا (قد قتلوا احباءهم) اى احبابهم واصحابهم
(وقاتلوا آباءهم وابناءهم فى مرضاته) اى فى سبيل رضى الله ورسوله روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
ان الآية عنى بها جماعة من الصحابة فقوله ولو كانوا آباءهم يريد اباعبيدة قتل اباه يوم احد اوابناءهم يريد ابابكر
رضى الله تعالى عنه لانه دعا ابنه للبراز يوم بدر فامره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقعد واخوانهم يريد
مصعب بن عمير لانه قتل اخاه يوم احد اوعشيرتهم يريد عليا ونحوه ممن قتلوا عشائرهم كذا فى مبهمات القرآن لشيخ
مشايخنا الجلال السيوطى وقد قتل عمر خاله العاص بن هشام يوم بدر على مانقله الدلجى (وقال له) اى للنبى عليه
الصلوة والسلام (عبد الله بن عبد الله بن ابى) وكان ابوه علم النفاق ورأس الكفر ورئيس الشقاق وهو من اكابر
اهل الوفاق (لوشئت) لواردت وامرت بقتله (لاتيتك برأسه يعنى) اى يريد بضميره (اباه) اى عبدالله والحديث
رواه البخارى وقال ذلك لما هموا بابيه حين بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل وعنى بالاعز نفسه و بالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتى ابنه عبد الله
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يارسول الله بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن ابى لما بلغك عنه فان كنت
فاعلا فمرنى به وانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ماكان بها رجل ابر بوالديه منى وانى اخشى ان تأمر به
غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى ان انظر الى قاتل عبدالله بن ابى يمشى فى الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا استشهد عبد الله يوم اليمامة في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سنة اثنتي عشرة روى عنه ابو هريرة وعايشة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما (ومنها) اي من علامات محبته عليه الصلوة والسلام (ان يحب القرآن الذي اتى به عليه الصلوة والسلام وهدى به) اي بسببه الانام (واهتدى) اي في نفسه باخلاق الكرام (وتخلق به) اي اتخذه خلقا في جميع الاحكام (حتى قالت عايشة رضي الله تعالى عنها) اي في تفسير قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم (كان خلقه القرآن) اي كان عملا باوامره ومنهيا عن زواجره ومتمسكا بآدابه وما اشتمل عليه من مكارم اخلاقه نحو قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وامثاله (وحبه للقرآن) اي علامة حبه له (تلاوته) اي دوام قرأته (والعمل به) والانسب ما في نسخة من تأخيره عن قوله (وتفهمه) اي طلب فهمه في مواعظه وقصصه ووعده ووعيده وبيان احوال انبيائه واوليائه وعاقبة اعدائه (ويحب) اي وان يحب (سنته) اي احاديثه (ويقف عند حدودها) اي اوامرها ونواهيها (قال سهل بن عبد الله) التستري (علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة حب النبي عليه الصلوة والسلام حب السنة) اي حب احاديثه واخباره واحواله وسيره وآثاره (وعلامة حب السنة) اي بعد علمها وفهمها (حب الآخرة) اذ اقل العلم معرفة ان الدنيا فانية والآخرة باقية ونتيجته ان يعرض عن الدنيا ويقبل على العقبى وهذا معنى قوله (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) لانهما لا يجتمعان لقوله عليه الصلاة والسلام من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقد شبهتا بالضرتين وبالكفتين (وعلامة بعض الدنيا ان لا يدخر منها) اي لا يأخذ ولا يمسك منها (الا زادا) اي قدر ما يتزود به (وبلغة) بضم فسكون اي مقدارا ما يبلغه (الى الآخرة) فان تحصيل الزيادة على قدر الضرورة وبال وحسرة فان حلالها حساب وحرامها عقاب والاشتغال بها حجاب وفي اصل الحجازي زاد وبلغة بالرفع فيقرأ لا يدخر مجهولا (وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يسأل احد عن نفسه) اي عن طيب حالها وخبث مآلها (الا القرآن) فانه ميزان الانسان للعدل والاحسان (فان كان يحب القرآن) اي تلاوته ومتابعته (فهو يحب الله ورسوله) اي ومن يحبهما فهما يحبانه ايضا والمعنى انه لا ينبغي لاحد ان يرضى بما في نفسه من الدعوى فانه كما قيل ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى (ومن علامات حبه) اي اصل حب المؤمن المحب (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته) اي خوفه ومرحمته (على امته ونصحه لهم) اي قيامه بنصيحتهم في امرهم ونهيهم وموعظتهم (وسعيه في مصالحهم) اي الدينية والدنيوية الضرورية (ورفع المضار عنهم) اي بعد وقوعها ووصولها وفي نسخة ودفع المضار عنهم اي عند خوف حصولها (كما كان عليه الصلوة والسلام بالمؤمنين رؤفا رحيما) والرأفة شدة الرحمة ولعلها كانت مختصة بكمل المؤمنين وعموم الرحمة لعامة المؤمنين مع انه كان رحمة للعالمين وفيه اشارة الى حسن المتابعة وكمال الموافقة وايماء الى قوله عليه الصلوة والسلام تخلقوا باخلاق الله تعالى والمعنى ان التخلق يكون بقدر التعلق في باب التحقق (ومن علامة تمام محبته) اي وكمال متابعته (زهد مدعيها) اي قلة رغبة مدعي محبته عليه الصلاة والسلام (في الدنيا) اي التي هي دار الاكدار ومقام الآلام (وايثاره) اي اختياره (الفقر) اي قلة المال على كثرته (واتصافه به) بالفقر حال ضرورة ويكون غنى القلب في صورته وهذا انما يكون باعراضه عنها وترك الالتفات اليها وعدم الاقبال عليها وسئل الزهري عن الزهد فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (وقد قال عليه الصلوة والسلام لابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان الفقر الى من يحبني منكم) اي حبا بالغا (اسرع من السيل) اي الواقع عند نزوله (من اعلى الوادي او الجبل) شك من الراوي (الى اسفله) فان الله سبحانه وتعالى ربى اكثر الاصفياء والاولياء بوصف الفقر المؤدي الى المسكنة والفناء بخلاف الغنى فانه غالبا يؤدي الى العجب والغرور والجفاء ويشهد لذلك انه عليه الصلوة والسلام لما عرض عليه الملك الجبال بقوله ان شئت جعل الله لك الاخشبين ذهبا ابى وفي حديث آخر ان ربه عرض عليه ان يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يارب ولكني اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وكانه عليه الصلوة والسلام اختار ان يكون تربيته تارة بوصف الجمال وتارة بنعت الجلال كما هو حال ارباب الكمال (وفي حديث عبد الله بن مغفل) بتشديد الفاء المفتوحة مزني من اصحاب الشجرة روى عنه الحسن البصري وغيره وتوفي بالبصرة سنة ستين قال الحسن رحمه الله ما نزل البصرة اشرف منه (قال رجل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول) اي تأمل في قولك وتفكر في امرك فانك ادعيت دعوى فلا بد من تحقيق ما لها من المعنى ليكون مبنيا على اساس التقوى (قال اني والله) وفي نسخة والله اني (لاحبك ثلاث مرات) اي ذكرها مكررا بالقسم مؤكدا مقررا (قال

ان كنت تحبني) اي حبا كاملا اوان كنت صادقا في دعوى محبتي اللازم منها كمال متابعتي (فاعد) بفتح همزة وكسر عين وتشديد دال مفتوحة ويجوز كسرها اي فهيء (للفقر تجفافا) بكسر الفوقية وسكون الجيم اي اتخذ له عدة ووقاية تقتضي رعاية و تستوجب عناية وتستجلب هداية واصل التجفاف لبسة الفرس تمنعه السلاح وتقيه الاذى من الجراح وقد يلبسه الانسان و يروى جلبابا وهوالازار قال القتبي معناه ان يرفض الدنيا ويزهد فيها و يصبر على الفقر والتقلل منها وكنى بالتجفاف اوالجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر البدن وقال ابن الاعرابي اي لفقر الآخرة يعني يعمل عملا لا يكون في الآخرة فقيرا مفلسا حقيرا وعن علي كرم الله وجهه من احبنا اهل البيت فليعد للفقر جلبابا او قال تجفافا (ثم ذكر) اي النبي عليه الصلوة والسلام قاله الدلجي والصواب اي ذكر عبد الله بن مغفل (نحو حديث ابي سعيد بمعناه) اي الذي تقدم قبله وهوقوله عليه الصلوة والسلام ان الفقر الى من يحبني الى آخره غيران في حديث عبد الله بن مغفل للفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه

﴿ فصل ﴾

(في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي محبة العبد لهما (وكثرت عباراتهم في ذلك) اي وتعددت اشاراتهم هنالك (وليست ترجع) اي مقالاتهم (بالحقيقة) اي في الحقيقة كما في نسخة (الى اختلاف مقال) اي لاتفاق مافيها في مآل (ولكنها اختلاف احوال) كما قال قائل

﴿ شعر ﴾

﴿ عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير ﴾

(وقال سفيان) اي الثوري اوابن عيينة (المحبة اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام) اي علامة محبة العبد لله تعالى اونتيجة محبة الله تعالى للعبد حسن المتابعة ومداومة الموافقة لصاحب الرسالة وهذا معنى قوله (كأنه) اي السائل اوسفيان (التفت) اي في كلامه مشيرا (الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية) اي يحببكم الله (وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد نصرته) اي اعتقاد وجوب نصرة دينه وملته (والذب عن سنته) اي ودفعه عن امانة سيرته (والانقياد لها) اي لشريعته وفي نسخة له اي لذاته وحقيقته (وهيبة مخالفته) اي خوف مخالفة طريقته بملاحظة عظمته وهذا الكلام ايضا ايماء الى علامة المحبة اونتيجة المودة (وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب) ويروى ذكر المحبوب اي لما ورد من ان من احب شيئا اكثر من ذكره حيث لايذهل المحبوب عن فكره في تمام امره ودوام دهره (وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب) وهذا اقرب في بيان المطلوب (وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب) اي موافقته (المراد الرب يحب ما يحب) اي يحب المحب ما يحب المحبوب فالجملة استينافية وفي نسخة صحيحة ما احب وفي اخرى بحب بالجار والمجرور وعلى ان الباء لبيان المواطأة وكذا قوله (ويكره ما يكره) وفي نسخة ما كره بصيغة الماضي وفي الكشاف محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم و يحمد فعلهم (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) اي لقلب المحب من الامور الحسية النفسية الدنية اوالاحوال المعنوية الدينية وهذا قريب من المحبة الحقيقية (واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة) اي نتائجها (دون حقيقتها وحقيقة المحبة) اي من حيث هي (هو الميل) اي ميل الجنان (الى ما يوافق الانسان) اي بموجب الطبع او بمقتضى الشرع (ويكون موافقته له) اي ويحصل موافقة القلب للانسان وميله له (اما لاستلذاذه) اي لتلذذ الانسان (بادراكه) اي بادراك ما يميل اليه مما يوافقه باحدى مشاعره الحسية سواء كانت على وفق الشهوات النفسية او على طبق اللذات الانسية (كحب الصور) ويروى الصورة (الجميلة) اي من المبصرات اعم من ان تكون من الحيوانات او النباتات اوالجمادات حيث وقعت بالاشكال الموزونة (والاصوات الحسنة) اي من المسموعات من الواردة على لسان الانسان والطير اوسائر الحيوانات (والاطعمة) اي من المأكولات (والاشربة) اي من المذوقات (اللذيذة) قيد لهما (واشباهها) اي كحب الرائحة الطيبة من المشمومات والنعومة واللينة من الملموسات (مما كل طبع سليم) اي لا طبع سقيم (مائل اليها) اي ومقبل عليها (الموافقتها له) اي بمقتضى طبيعته مع قطع النظر عن موافقة شريعته (اولاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة) اي مبنية على مباني لطيفة (كحب الصالحين) اي من الانبياء والاولياء (والعلماء) وكذا الشهداء (واهل المعروف) اي من الاصفياء (والمأثور عنهم السير الجميلة) اي الاحوال الجليلة (والافعال الحسنة) اي والاقوال المستحسنة وهذا تعميم بعد تخصيص ليشمل الملوك والامراء والفقراء والاغنياء (فان طبع الانسان) اي الكامل في هذا الباب (مائل الى الشغف) بالغين المعجمة وقيل بالمهمل

وقرئ بهما قوله تعالى قدشغفها حبا يقال شغفه الحب اى بلغ شغافه وهو غلاف قلبه وهى جلدة رقيقة على القلب كالحجاب دونه والمعنى مائل الى الحب الذى يحرق شغاف القلب وحجابه حتى يبلغ الفؤاد الذى هو سويداء القلب ومحل المراد (بامثال هؤلاء) اى الموصوفين بمراتب الثناء (حتى يبلغ) اى الشغف (بقوم) اى من اتباع عالم او شيخ او كريم (التعصب لقوم) اى كانوا على ضدهم هو بالنصب على انه مفعول يبلغ وكذا قوله (والتشيع) اى كمال التشيع ومنه حديث القدرية شيعة الدجال وفى نسخة صحيحة حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع (من امة) اى طائفة (فى اخرى) اى فى جماعة وفى نسخة فى آخرين (مايؤدى) اى ما ذكر من التعصب والتشيع (الى الجلاء) بالفتح والمد اى الخروج (عن الاوطان وهتك الحرم) بضم ففتح اى قطع ستارة حرمة الذرية والنسوان (واحترام النفوس) بالخاء المعجمة اى استئصالها باقتطاع الارواح من الاشباح (اويكون حبه اياه) اى ميل الانسان الى موافقة هواه (لموافقته له من جهة احسانه له) وفى نسخة اليه (وانعامه عليه فقد جبلت النفوس) اى خلقت مجبولة ومطبوعة (على حب من احسن اليها) وفى نسخة من احسن اليه وفى اخرى له فقد ورد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها رواه ابن عدى وابو نعيم فى الحلية والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وصححه وورد فى الدعاء اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى (فاذا تقرر لك هذا) اى ثبت عندك هذا الكلام (نظرت) اى رأيت (هذه الاسباب) اى اسباب المحبة من الجمال الصورى والكمال المعنوى والاحسان الوفى (كلها) اى جميعها موجودة ثابتة (فى حقه عليه الصلوة والسلام فعلمت انه عليه الصلوة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة) اى على وجه التمام (اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منهما) اى من الشمائل الدالة عليهما والفضائل المشيرة اليهما (قبل) اى قبل هذا الباب فيما سبق من الكتاب (مالا يحتاج الى زيادة) اى وكثرة اطناب (واما احسانه) اى الدنيوى الصورى (وانعامه) اى الدينى والاخروى (على امته) اى اتباع ملته (فكذلك قدمر) ويروى مضى (منه) اى بعضه (فى اوصاف الله تعالى) اى فيما اعطاه الله تعالى (له) واثنى عليه من الصفات الجليلة والنعوت الجليلة (من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته) اى وخوفه عليهم (واستنقاذهم) اى استخلاصهم (به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) اى بحسب مراتب ايمانهم ومناقب انعامهم (ورحمة للعالمين) اى بجميع اعيانهم (ومبشرا) بالنصب على الحكاية او التقدير كان مبشرا للمؤمنين المطيعين بالجنة (ونذيرا) اى مخوفا للعاصين بالعقوبة (وداعيا الى الله) اى الى محل قربه (باذنه) اى بتيسيره وتوفيقه (ويتلو عليهم آياته) اى آيات القرآن المشتملة على معجزاته (ويزكيهم) اى يطهرهم بنصائح بيناته (ويعلمهم الكتاب) اى احكامه الخفية (والحكمة) اى السنة الجلية (ويهديهم الى صراط مستقيم) اى طريق قويم ودين قديم (فاى احسان اجل قدرا واعظم خطرا) اى امرا (من احسانه) عليه الصلوة والسلام (الى جميع المؤمنين) اى خصوصا (واى افضال) اى اكرام واقبال (اعم منفعة واكثر فائدة) اى اتم نتيجة (من انعامه على كافة المسلمين) اى جميع المنقادين ولو من اهل الذمة والمنافقين (اذ كان) اى النبى عليه الصلوة والسلام (ذريعتهم) اى وسيلة اهل الاسلام (الى الهداية) اى هدايتهم الى سبيل السلام ودلالتهم الى مقام الكرام (ومنقذهم من العماية) بفتح العين اى ومخلصهم من الغواية ومنجيهم من الضلالة الى الهداية (وداعيهم الى الفلاح) اى الفوز والنجاح (والكرامة) اى بحملهم على الصلاح (ووسيلتهم الى ربهم) اى الى تقربهم اليه (وشفيعهم) اى لديه (والمتكلم عنهم) اى فى الزام الحجة بما يلق عليه (والشاهد لهم) اى مزكيهم بالخير (والموجب) اى الطالب وفى نسخة المحب (لهم البقاء الدائم) اى الى الابد (والنعيم السرمد) اى المستمر الذى لانهاية له ولاغاية (فقد استبان) اى ظهر (لك انه عليه الصلوة والسلام مستوجب) اى مستحق (للمحبة الحقيقية) اى والمودة العرفية (شرعا) اى وطبعا (بما قدمناه) ويروى لما مر (من صحيح الآثار) اى وصريح الاخبار المنقولة عن المشايخ الاخيار والعلماء الاخيار (وعادة) اى رسوما عادية (وجبلة) اى خلقة طبيعية (بما ذكرناه) اى من ان جميع مايصل الينا من نعم الدارين فهو من انعامه علينا (آنفا) اى زمانا قريبا وهو بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما فى السبعة (لافاضة الاحسان) اى على جميع افراد الانسان (وعمومه الاجمال) اى المعاملة بالجميل فى جميع الاوقات والاحوال (فاذا كان الانسان) اى بطبعه (يحب من منحه) اى اعطاه عطية من لبن اوغيره من هدية (فى دنياه مرة او مرتين) اى ولو على وصف القلة (معروفا) اى ماعرف حسنه شرعا وطبعا وفى الحديث اهل المعروف فى الدنيا اهل المعروف فى العقبى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأتى اصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيمة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفرله ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان فى الدنيا والآخرة (او استنقذه)

اى

اى استخلصه وفى نسخة انقذه اى انجاه واخلصه (من هلكة) بفتحتين كان الاولى ان يقال من مهلكة (اومضرة) اى مما فيه هلاك نفس اوضرر مال اوتلف حال اونقصان جاه (مدة) اى من الزمان قليلة اوكثيرة (التأذى بها) اى بالمضرة وكذا بالهلكة (قليل) اى ايامه (منقطع) اى زائل دوامه (فمن منحه) اى اعطى الانسان (مالايبيد) اى ما لا ينفد ولا ينقص (من النعيم) اى المقيم بجنة طيبة وحالة حسنة ويروى من النعم (ووقاه) اى حفظه وحماه (من عذاب الجحيم) وكذا من الماء الحميم (اولى بالحب) اى بالمحبة من غيره وفى نسخة وهى اصل الدلجى فهو اى فهذا المانح الكامل والباعث الكافل اولى مايحب بصيغة المجهول والظاهر انه تصحيف (واذا كان يحب) بصيغة المجهول (بالطبع) اى من غير اختيار الطبيعة بل بحكم اصل الجبلة (ملك) اى من الملوك واولم يره ولم يحصل له بره وهو نائب فاعل يحب (لحسن سيرته) اى معاملته فى رعيته (وحاكم) اى امير اووزير يحب (لما يؤثر) اى يروى ويخبر (عنه من قوام طريقته) بكسر القاف اى من اعتدال سيرته ونظام عدله فى حكومته (اوقاض) بجمة قال الدلجى اومهملة اى مشددة اى واعظ ويروى يحب مبنيا للفاعل فتنصب الثلاثة بعده (بعيد الدار) اى عن من يحبه بالطبع (لما يشاد) بصيغة المجهول من اشاد البناء اذا رفعه اى يشاع ويذاع ويروى لما فشا اى ظهر وانتشر (من علمه) اى المقرون بعمله (اوكرم شيمته) اى حسن خلقه مع رعيته (فمن جمع هذه الخصال) اى وبل زاد من هذه الاحوال (على غاية مراتب الكمال) جملة فى محل نصب على الحال اى مجموعة وليست فى بعض النسخ موجودة والمعنى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم (احق بالحب واولى بالميل) اى اليه (وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى صفته عليه الصلوة والسلام من رآه بديهة) اى فى اول وهله (هابه) اى توقيرا وتعظيما (ومن خالطه معرفة) تمييز اى علما بكريم خصاله وعميم فعاله (احبه) اى حبا عظيما بجماله وكماله صلى الله عليه وسلم وعلى آله

﴿ فصل ﴾

(فى وجوب مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبول نصحه وخلوص النصح له (قال الله تعالى ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج) اى ليس على الفقراء اثم فى ترك الغزاء كمزينة وجهينة وبنى عذرة (اذا نصحوا الله ورسوله) اى اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما سرا وعلانية فى امرهما (ما على المحسنين من سبيل) اى طريق معاقبة ولامعاتبة لاحسانهم فى ايمانهم كما يشير اليه وضع الظاهر موضع المضمر والاظهر ان وجه العدول عن الضمير افادة المعنى الاعم والايماء الى هذا الحكم لمن دام على هذا الوصف واستحكم والله تعالى اعلم (والله غفور) لهم ولغيرهم (رحيم) بهم وبامثالهم (قال اهل التفسير اذا نصحوا الله ورسوله) اى معناه (اذا كانوا مخلصين) اى فى افعالهم واقوالهم (مسلمين فى السر والعلانية) اى منقادين فى جميع احوالهم (حدثنا القاضى) وفى نسخة صحيحة الفقيه (ابو الوليد بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (حسين بن محمد) الظاهر انه ابو على الغسانى على ماذكره الحلبى (ثنا) اى حدثنا (يوسف بن عبد الله) وهو حافظ العرب ابو عمر بن عبد البر (ثنا عبد المؤمن) وفى نسخة ابن عبد المؤمن (ثنا ابو بكر التمار) بتشديد الميم (ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا احمد بن يونس) وهو ابو عبد الله اليربوعى الحافظ الكوفى يروى عن الثورى وجماعة وعنه الشيخان وطائفة قال احمد بن حنبل لرجل اخرج الى احمد بن يونس فانه شيخ الاسلام اخرج له اصحاب الكتب الستة قال ابو حاتم كان ثقة متقنا كذا حققه الحلبى وفى نسخة احمد ابن يوسف والظاهر انه تصحيف (ثنا زهير) بالتصغير وهو ابن محمد التميمى المروزى اخرج له الائمة الستة (ثنا سهيل ابن ابى صالح عن عطاء بن يزيد) اى الليثى اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن تميم الدارى) نسبة الى جده الدار ويقال له الديرى ايضا نسبة الى دير كان يتعبد فيه قبل الاسلام اسلم سنة تسع من الهجرة وكان نصرانيا قبل ذلك وتوفى سنة اربعين ومن مناقبه الفخام انه عليه الصلوة والسلام روى عنه حديث الجساسة على المنبر كما فى آخر صحيح مسلم وفيها رواية الفاضل عن المفضول والتابع عن المتبوع وقبول خبر الواحد وذكر الدار قطنى انه روى عن الشيخين وروى ايضا عن محرز كما فى الصحيح وعن امرأة لااستحضر الآن اسمها كما فى المسند (قال) اى الدارى (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) اى ثلاث مرات للمبالغة وقد ساق المصنف هذا الحديث بسند ابى داود وقد اخرجه ابو داود فى الادب ولفظه الدين النصيحة من غير تكرار واخرجه مسلم فى الايمان بنحوه وليس فيه تكرار ان الدين النصيحة ثلاثا بل مرة واحدة ولفظه الدين النصيحة بغير ان واخرجه النسائى فى البيعة ولفظه فى الطريق الاولى ان الدين النصيحة مرة وفى نسخة انما الدين النصيحة مرة (قالوا) اى فى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (لمن) اى النصيحة لمن (يارسول الله قال لله ولكتابه) كما فى الاصول (ولرسوله ولائمة المسلمين) ويروى ولائمة المسلمين (وعامتهم) اى جميع افراد جماعتهم (قال ائمتنا) اى من المالكية

ذكره الدلجي والظاهر اى علماؤنا ومشايخنا اذ لاخلاف فى هذه المسئلة وهى قوله (النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة) اى فرض عين على كل احد وفى شرح مسلم للنووى عن بعضهم انها فرض كفاية يسقط بقيام بعض عن الباقين انتهى ولعله محمول على تفاصيل ما يتعلق بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله بان يقوموا بجميع الامور الشرعية والاحكام الفرعية ومن جملتها علم التفسير والحديث والفقه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيله وهذا لاينافى قول الجمهور حيث ارادوا وجوب النصيحة الاجمالية الموجبة للطاعة التفصيلية هذا وليس قوله ولكتابه من عبارة المصنف ولعله سبق قلم (قال الامام ابو سليمان البستى) بضم موحدة وسكون سين فوقية بلد بسجستان والمراد به الخطابى (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين بدون اضافة ذكره الدلجي ويجوز الاضافة كما فى كثير من النسخ وعلى الاول تقديره هى (ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) اى عن تلك الجملة (بكلمة واحدة) اى غيرها بصيغة (تحصرها) اى تجمع معناها وتحصرها (ومعناها) اى النصيحة (فى اللغة) اى لسان العرب (الاخلاص) فعنى النصيحة الحالة الخالصة مأخوذة (من قولهم) اى استعمال العرب فى محاوراتهم (نصحت العسل اذا خلصته) بالخطاب وهو بتشديد اللام اى ميزته بنار لطيفة (من شمعه) بفتح الميم وبسكن اى مومه فى القاموس الشمع محركة وتسكين الميم مولد وهو الذى يستصبح به او موم العسل الواحدة بهاء (وقال ابو بكر بن اسحق الخفاف) بتشديد الفاء الاولى (النصح) بضم النون (فعل الشيء الذى به الصلاح والملائمة) اى المناسبة والمرابطة وقد تخفف الهمزة ياء فيقال الملايمة وهى الموافقة بين الاشياء (مأخوذ من النصاح) بكسر النون (وهو الخيط الذى يخاط به الثوب) اى يلائم بين اجزائه و يصلح للمرء ان يلبسه على اعضائه (وقال ابو اسحق الزجاج نحوه) اى قريبا من معناه وفى الجملة من هذه المادة قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا اى خالصة صالحة بان تكون كاملة شاملة (فنصيحة الله تعالى) اى نصيحة العبد له سبحانه وتعالى (الاعتقاد له بالواحدانية) اى فى الالوهية والربوبية (ووصفه بما هو اهله) اى من الصفات الثبوتية من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام ونحوها (وتنزيهه) اى تبعيده (عما لا يجوز) اى اطلاقه (عليه) من النعوت السلبية فانه ليس بجوهر ولاعرض ولا فى مكان وغيرها (والرغبة فى محابه) بتشديد الموحدة اى الميل فى كل ما يحبه الله ويرضاه (والبعد من) وفى نسخة عن (مساخطه) اى والتبعد عن جميع مايكرهه وينهاه (والاخلاص فى عبادته) اى فيما يأمره الله من امور دنياه وعقباه وماذكر فهو فى الحقيقة راجع الى العبد فى نصحه لنفسه لانه تعالى غنى عنه وعن عمله (والنصيحة لكتابه الايمان به) اى اولا (والعمل بما فيه) ثانيا سواء كان عالما به اوجاهلا (وتحسين تلاوته) اى وتزيين قراءته (والتخشع عنده) اى اظهار الخشوع واكثار الخضوع فى حضرته (والتعظيم له) اى لكتابه بادب يقتضى اجلاله (وبوصف يوجب اكماله والتفقه فيه) اى طلب الفهم لمبانيه والعلم بمعانيه (والذب عنه) اى الدفع عما لا يليق به وينافيه (من تأويل الغالين) بالغين المعجمة من الغلو اى الجافى وزيغ عن الحد كالمعتزلة واضرابهم (وطعن الملحدين) اى من الزنادقة واصحابهم (والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته) اى اولا (وبذل الطاعة له) اى الانقياد لحكمه (فيما امر به ونهى عنه قاله) اى جميع مايتعلق بالنصيحة اوماخص بها لرسوله وهو اقرب والى مابعده انسب (ابو سليمان) وهو الخطابى (وقال ابو بكر) اى الخفاف وقيل المراد به ابو بكر الآجرى (موازرته) اى النصيحة لرسوله هى معاونته ومعاضدته فى دينه وملته (ونصرته) اى اعانته على اعدائه واهل محاربته (وحمايته) اى المدافعة عنه وممانعة من ارادوا نوعا من اساءته (حيا وميتا) اى فى حال حياته ومماته (واحياء سنته بالطلب) اى بالعمل بها (والذب عنها) اى وبالدفع لمن يلحد فيها او يزيغ عنها (ونسرها) اى اظهارها للتمسك بها (والتخلق باخلاقه الكريمة) اى الانصاف بمحاسن شمائله وميامن فضائله الجزيلة (وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبى) بضم الفوقية وتفتح وكسر الجيم فتحتية فموحدة فياء نسبة كما مر (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به) اى مجملا ومفصلا (والاعتصام بسنته) اى باحاديثه علما وعملا (ونشرها) اى للخلق كلا (والحض) اى الحث والتحريض (عليها) اى لمن يعمل بها جملا (والدعوة) اى دعوة الخلق (الى الله) اى دينه مجملا (والى كتابه) اولا (والى رسوله) ثانيا (واليها) اى والى السنة (والى العمل بها) آخرا (وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب) اى من الواجبات المؤكدة عليها (اعتقاد النصيحة) وهى ارادة الخير (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لطريقته واهل ملته (وقال ابو بكر الآجرى) بمد همزة وضم جيم وتشديد راء وهو صاحب كتاب الشريعة (وغيره) اى من علماء الامة (النصح له يقتضى نصحين) اى باختلاف حالاته (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر) اى بالمعاونة (والمحاماة) اى بالمدافعة (عنه) اى عن ذاته

(ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له) اى وبالقبول والانقياد لامره ونهيه (وبذل النفوس والاموال دونه) اى عنده حماية لجلاله ورعاية لاحواله (كما قال تعالى) فى حقهم (رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) اى من الثبات معه حال بلائه ورخائه ووقت قتاله مع اعدائه (الآية) اى فمنهم من قضى نحبه اى نذره وعهده ومنهم من ينتظر اى وعده ومابدلوا تبديلا اى ماغيروا تحويلا وهم الانصار (وقال) اى فى حقهم ايضا (ويصرون الله) اى دينه (ورسوله الآية) اى اولئك هم الصادقون وهم المهاجرون (واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال) اى ملازمة التعظيم والتكريم (وشدة المحبة له) اى بكثرة الرغبة اليه واتقياد الطاعة لديه (والمثابرة) اى المواظبة والمداومة (على تعلم سنته) وفى نسخة على تعليم سنته (والتفقه) بالرفع اوالجر اى التفهم (فى شريعته ومحبة آل بيته) اى اقاربه وعترته (واصحابه) اى وجميع صحابته واهل عشيرته (ومجانبة من رغب عن سنته) اى مباعدة من مال عن طريقته واعرض عن متابعة شريعته وحقيقته (وانحرف عنها) اى انصرف عن ملته بكليته وجملته (و بغضه) بالرفع اى عداوته (والتحذير منه) اى من صحبته (والشفقة) اى المرحمة (على امته والبحث عن تعرف اخلاقه) اى تعلم شمائله وتفهم فضائله (وسيره وادابه والصبر على ذلك) اى ما ذكر من اقواله وافعاله واحواله (فعلى ما ذكره) اى الآجرى (النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه) اى فى تحقيق المحبة بانها نتيجة الطاعة والمتابعة (وحكى الامام ابو القاسم القشيرى) وهو الاستاذ صاحب الرسالة الصوفية (ان عمرو) بفتح اوله (ابن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار) هو بالثاء المثلثة المضمومة وتشديد الواو فى آخره راء وهم الابطال الشجعان (المعروف بالصفار) بتشديد الفاء (رؤى) بضم الراء وكسر الهمزة على انه مجهول رأى ويروى بكسر الراء فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة على انه مجهول راء لغة فى رأى على ما فى القاموس (فى النوم) اى بعد موته (فقيل له مافعل الله بك فقال غفرلى) اى ذنوبى (فقيل له بماذا) اى باى سبب غفرلك (فقال صعدت) بكسر عينه اى طلعت (ذروة الجبل) بكسر المعجمة وضمها ويحكى فتحها اى اعلاه (يوما) اى من الايام (فاشرفت على جنودى) اى اطلعت عليهم (فاعجبنى كثرتهم فتمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى بعض غزواته اوسراياه (فاعنته ونصرته) اى على عداه (فشكر الله لى ذلك) اى جازانى بمثوبته واثنى على وذكرنى عند ملائكته (وغفرلى) اى وسامحنى فيما وقع منى وصدر عنى لخلوص نيتى وصدق طويتى انتهى كلام القشيرى (واما النصح لائمة المسلمين) اى من العلماء العاملين والامراء الكاملين (فطاعتهم فى الحق) اى نابتة على الخلق وواجبة الا انه عليه الصلوة والسلام قال لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق رواه احمد والحاكم عن عمران رضى الله عنه وروى الشيخان وغيرهما عن على كرم الله وجهه ولفظه لا طاعة لاحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف وقد خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذولى الخلافة فقال اطيعونى ما اطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (ومعونتهم) اى ومعاونتهم قولا وفعلا فى مؤنتهم (فيه) اى فى امر الحق فعل العدل (امرهم) اى اياهم (به) اى بالحق اذا عدلوا عن العدل لكن بطريق اللطف والرفق كما هو شان اهل الفضل وقد قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (وتذكيرهم اياه) اى اذا نسوه (على احسن وجه) اى الطف طريق (وتنبيههم على ماغفلوا عنه بان خفى عليهم شئ من الاحكام (وكتم عنهم) بصيغة المفعول اى ستر عنهم امر (من امور المسلمين وترك الخروج عليهم) اى بالبغى ولو جاروا (وتضريب الناس) بالضاد المعجمة اى وترك اغراء العامة وتحريشهم (وافساد قلوبهم عليهم) اى على الائمة (والنصح) كان الاولى ان يقال واما النصح (لعامة المسلمين) اى لعوامهم فهو (ارشادهم) اى دلالتهم وهدايتهم (الى مصالحهم) اى الاخروية (ومعونتهم) اى مساعدتهم ومعاضدتهم (فى امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل) اى بما ينفعهم معاشا ومعادا (وتنبيه غافلهم) اى بتذكير ما غفل عنه (وتبصير جاهلهم) اى بتعريف ماجهله (ورفد محتاجهم) اى معاونة فقرائهم فى حال بلائهم وعنائهم (وستر عوراتهم) اى باللباس اوستر عيوبهم عن الناس (ودفع المضار عنهم وجلب المنافع) اى ايصالها (اليهم) وهو بفتح الجيم وسكون اللام مصدر واما الجلب محركة فما جلب من خيل وغيرها على ما فى القاموس فقول الحلبى هنا هو بسكون اللام وفتحها ليس فى محله ثم هذا كله مستفاد من قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى ومن حديثه عليه الصلوة والسلام ان الله فى عون العبد مادام العبد فى عون اخيه المسلم وان الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله

﴿ الباب الثالث ﴾

(فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره) اى فى تعظيم امره بقبوله وامتثاله والتوقير التعظيم ومحله فى ظاهره وباطنه

وجميع احواله والبر هوالاحسان اى ووجوب الاحسان الى ما يتعلق به عليه الصلوة والسلام من اهل بيته وعلماء امته (قال الله تعالى) اى تعظم شانه وظهر سلطانه و برهانه (يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) احوال مقدرة واوصاف مقررة اى شاهدا على من ارسلناك اليهم فانت مقبول عندنا لهم وعليهم ومبشرا لمن آمن منهم بالجنة والقرب ونذيرا مخوفا لمن كفر بالحرقة والفرقة (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية) اى بكمالها بالخطاب على التفات وفي قراءة بالغيبة اى تصدقوا وتقووا دينه وتعظموا امره والظاهر ان الضمائر لله لقوله سبحانه وتعالى وتسبحوه ومن فرق فقد ابعد ثم اعلم ان قوله قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك الى قوله تعالى وتوقروه هكذا وقع في اكثر الاصول وهذه الآية في سورة الفتح وليس فيها يا ايها النبي وانما هو انا ارسلناك كما هو في بعض النسخ نعم في سورة الاحزاب وقعت الآية مصدرة بقوله سبحانه وتعالى يا ايها النبي انا ارسلناك الا انه ليس فيها لتؤمنوا بالله والحاصل انه وقع تركيب بينهما بالاشتمال في تصورهما (وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا) اى امرا ومعناه لاتتقدموا ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدموا بحذف احدى تائيه وفتح الاخرى (بين يدي الله ورسوله) اى قدامهما بمعنى قبل اذنهما وآخر الآية واتقوا الله ان الله سميع عليم (ويا ايها) اى وبعدها يا ايها (الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) اى لا تجاوزوا باصواتكم حدا يبلغ صوته فضلا عن ان يعلوه بل عليكم ان تغضوها حتى يكون صوته فوق اصواتكم لتكون مزيته عليكم لائحة ومزاته عندكم واضحة بان يخفض الصوت بين يديه ويخافت المتكلم اليه تعظيما وتكريما لديه (الثلاث الايات) اى اقرأ الايات الثلاث واكلها لان البقية لها دخل في تحقيق القضية وهي قوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول اى اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم اى مخافة حبوطها وانتم لا تشعرون اى بحبوطها وبطلانها ان الذين يغضون اصواتهم اى يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب والاجلال او مخافة مخالفة النهي في الاقوال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اى جربها للتقوى ودربها لمشقتها ومرنها لمكلفتها والمعنى علم سرها وعلانيتها لهم مغفرة اى كثيرة لسيئاتهم واجر عظيم على طاعاتهم واعلم انه تنبغي هذه المراعاة ايضا بعد وفاته عليه الصلوة والسلام في مسجده لاسيما عند مشهده وكذا عند قراءة حديثه ومسنده وكذا عند سماع القرآن وتفسير الفرقان كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) اى برفع الصوت فوق صوته او بندائه باسمائه فلا تقولوا يا محمد يا احمد بل قولوا يا نبي الله ويا رسول الله كما خاطبه به سبحانه وعظم شانه ذكره مجاهد وقتادة ولا منع من الجمع بين المعنيين في الآية فالمعنى نادوه باوصافه الحميدة المذكورة في كلام الرب مع خفض صوت مراعاة للادب (فاوجب الله) اى تعالى على خلقه (تعزيره وتوقيره) اى تكريمه وتبجيله (والزم) اى اتباعه (اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعزروه تجلوه) من الاجلال (وقال المبرد) بتشديد الراء المفتوحة وقد سبق ذكره (تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه) الظاهر تنصروه اى دينه اورسوله وهذه المباني متقاربة المعاني واعلم ان من يقال له الاخفش ثلاثة اصغر وهو ابو الحسن على ابن سليمان بن الفضل المعروف بالاخفش الصغير النحوي كان عالما روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه الحريري وغيره وهو ثقة توفي في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة فجأة ببغداد واما الاوسط فهو ابو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالاخفش النحوي احد نحاة البصرة من ائمة العربية واخذ النحو عن سيبويه وكان اكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيئا الا وعرضه على رحمه الله تعالى وكان يرى انه اعلم به مني وانا اليوم اعلم به منه وهذا هو الذي زاد في العروض بحر الخبب وله تصانيف كثيرة منها الاوسط في النحو وتفسير معاني القرآن وغير ذلك توفي سنة خمس عشرة ومائتين وكان يقال له الاخفش الصغير فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالاخفش المتقدم صار هذا وسطا واما الاكبر فهو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد من اهل هجر من مواليهم وكان نحويا لغويا واول القاط لغوية انفرد بنقلها واخذ عن سيبويه وابي عبيدة ومن في طبقتهما وهذا ملخص كلام ابن خلكان والاخفش هو الصغير العين مع سوء بصره وقد يكون الخفش علة وهو الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ويبصر في الشيء في يوم غيم ولا يبصر في يوم صاح قاله الجوهري قال الحلبي والظاهر ان مراد القاضي هو الاوسط والله اعلم (وقال الطبري) بفتحتين وهو محمد بن جرير (تعينونه وقرئ) اى شاذا (تعززوه بزايين) بيائين لا بهمز وباء كما يتوهم (من العز) اى مجرد العز بمعنى الشدة والقوة كما قال تعالى فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد ونقل هنا الى التعزيز من باب التفعيل للمبالغة والتكثير (ونهى) اى الله سبحانه وتعالى وفي نسخة بصيغة المجهول (عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب) اى بالفعل (بسبقه بالكلام) و يروى في الكلام (على قول ابن عباس وغيره رضي الله

تعالى عنهم وهو اختيار ثعلب) وهو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية ابو العباس احمد بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي المقدم في نحو الكوفيين مولده سنة مائتين (قال سهل بن عبد الله) اى التستري (لا تقولوا قبل ان يقول) اى لا تبدؤا بالكلام عنده (واذا قال فاستمعوا له وانصتوا) اى اسكتوا قال الحجازي يروى بعكسه قلت فيصير عكس الآية والمعنى انه يجب السماع عند كلامه الذي هو الوحي الخفي كما يجب سماع القرآن الذي هو الوحي الجلي وفيه ايماء الى رعاية هذا الادب عند سماع الحديث المروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف (ونهوا) اى اصحابه واحزابه (عن التقدم) اى المبادرة (والتعجل) وفي نسخة والتعجيل (بقضاء امر) اى بحكم شئ (قبل قضائه فيه وان يفتاتوا) افتعال من الفوت اى يسبقوه (بشئ) اى منفردين برأيهم دونه في تصرفهم (في ذلك من قتال وغيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به) اى ولو في امر دنياهم والمعنى ان يكونوا تابعين له في جميع قضاياهم من امور دنياهم واخراهم (والى هذا) اى المعنى المذكور (يرجع قول الحسن) اى البصري (ومجاهد والضحاك والسدي والثوري) اى يوافق قول هؤلاء دلت المقال في المآل (ثم وعظهم) اى نصحهم الله (وحذرهم) بالتشديد اى وخوفهم (مخالفة ذلك) المنهي هنالك (فقال واتقوا الله) اى احذروا مخالفته واحترسوا من معاقبته (ان الله سميع) باقوالكم (عليم) باحوالكم (قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم) اى بشئ من القول و الفعل بين يديه قبل ان يعرف منه ميل اليه (وقال السلمي) وهو ابو عبد الرحمن (اتقوا الله في اهمال حقه) اى في الاوامر (وتضييع حرمته) اى في الزواجر (انه) وفي نسخة صحيحة ان الله (سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) تعظيما لمقامه وتكريما لمرامه (والجهر) اى ونهاهم عن الجهر (له بالقول) اى في محاوراتهم (كما يجهر بعضهم لبعض) في مخاطباتهم (ويرفع) اى بعضهم (صوته) اى لبعض في مجلسه (وقيل) اى روي (كما ينادي بعضهم بعضا باسمه) كما هو احد القولين في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما تقدم والله اعلم (وقال ابو محمد مكي اى لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا) بضم التاء وكسر اللام اى ولا تغلظوا (له بالخطاب) اى بالقول (ولا تنادوه باسمه) اى العلم (نداء كنداء (بعضكم بعضا) اى باسمه الذي سماه به ابواه (ولكن عظموه) اى باطنا (ووقروه) اى ظاهرا (ونادوه باشرف ما يحب) اى ما يحبه (ان ينادى به) اى من وصف رسالة او نعت نبوة بان تقولوا (يا رسول الله يا نبي الله) اى وامثالهما من نحو يا حبيب الله يا خليل الله وهذا في حياته وكذا بعد وفاته في جميع مخاطباته (وهذا) اى مقول مكي (كقوله) اى كقول الله سبحانه وتعالى (في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التأويلين) اى التفسيرين المشهورين في الآية وقد قدمنا هذا التأويل عن مجاهد وقتاده في اول الباب والتأويل الاخر هو ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره (وقال غيره) اى غير مكي (لا تخاطبوه الا مستفهمين) اى عن قول او فعل تريدون صدوره منكم ايجوز هذا ام لا وفي رواية الا مشفقين اى وجلين خائفين (ثم خوفهم الله بحبط اعمالهم) بفتح الحاء وسكون الباء اى بحبوطها وابطالها (ان هم فعلوا ذلك) اى المنهي هنالك (وحذرهم منه) اى مما يتعلق به من المهالك (قيل نزلت الآية) اى الاية التي بعد هذه الايات وهي قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه) اى على عادة الاعراب فيما بينهم عند الوقوف على الابواب (يا محمد يا محمد) مرتين (اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) اى الغالب عليهم (ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون) اى آداب اولى الالباب وابعد الدلجي حيث قال المراد بالاية قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول فانه يأبى عنه قوله فذمهم الله الى آخره ومما يدل على ما اخترناه قوله (وقيل نزلت الآية الاولى) اى ما قبل هذه الاية وهي قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم (في محاورة) بحاء مهملة اى مكالمة ومجاوبة (كانت) اى وقعت (بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قدامه (واختلاف) وروي لاختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) اى امامه فنهيا عن ذلك وغيرهما كذلك لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب روي انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه امر القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال عمر رضي الله تعالى عنه امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت (وقيل نزلت) كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما (في ثابت بن قيس بن شماس) بتشديد الميم وتخفيف (خطيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مفاخرة بني تميم) فعن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس قم فاجبه فقام فاجابه وكان احسن

قولا (وكان في اذنيه صمم) اى ثقل (فكان يرفع صوته اى عند تكلمه وربما تأذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به) (فلما نزلت هذه الآية) اى آية لاترفعوا (اقام فى منزله) اى بيت نفسه وحرم من مجلس انسه عليه الصلوة والسلام (وخشى ان يكون حبط عمله ثم) اى بعد تفقده عليه الصلوة والسلام له واطلاعه على خبره وطلبه الى محضره (اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى معتذرا (فقال يانبي الله لقد خشيت) اى بعد نزول هذه الآية (ان اكون هلكت) اى بحبوط عملي وقنوط املي (لنهانا الله ان نجهر بالقول) اى مطلقا فى السر ع (وانا امرؤ جهير الصوت) بحسب الطبع (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تسلية له عما تقدم (يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة) اى سعيدا (فقتل يوم اليمامة) فى خلافة الصديق تحقيقا للكرامة (وروى) كما اخرجه البزار من طريق طارق بن شهاب (ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية) اى لا ترفعوا اصواتكم (قال والله لا اكلمك بعدها) وفى نسخة صحيحة بعد هذا (الا كاخي السرار) بكسر السين المهملة اى الامثل صاحب النجوى والمسارة والمعنى لا اكلمك الاسرا (وان عمر رضى الله تعالى عنه) كما فى البخارى (كان اذا حدثه) اى كلمه عليه الصلوة والسلام (حدثه كاخي السرار) اى فى خفض صوته كما بينه بقوله (ماكان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الياء وكسر الميم (بعد الآية) وفى نسخة بعد هذه الآية اى بعد نزولها (حتى يستفهمه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من عمر عما ساره به لكمال اخفائه (فانزل الله فيهم) اى فى ابى بكر وعمر وامثالهما رضى الله تعالى عنهم (ان الذين يغضون اصواتهم) اى يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب اومحاذرة من مخالفة الرب (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اى جربها لها ومرنها عليها حتى صاروا اقوياء على احتمال مشاقها من انواع الابتلاء وقيل اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات فى غير وفد بنى تميم) اى كما مر وهو صريح فيما قدمناه (نادوه باسمه وروى عن صفوان بن عسال) بمهملتين وتشديد الثانية صحابى مشهور وقد اخرج عنه الترمذى والنسائى (انه قال بينا) بالف معوضة عن المضاف اليه اى بين اوقات كان ويروى بينما (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر اذ ناداه اعرابى) نسبة الى اعراب البادية ممن آثار الجهل عليهم بادية (بصوت له جهورى) بفتح الجيم والواو اى شديد عال والواو زائدة قال الجوهرى جهر بالقول رفع صوته وجهور وهو رجل جهورى الصوت وجهير الصوت (ابا محمد ابا محمد) وفى نسخة صحيحة ابا محمد ثلاث مرات (فقلنا له اغضض) بضم عينه اى اخفض (من صوتك فانك) اى فى ضمن غيرك (قد نهيت عن رفع الصوت) اى عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال الله تعالى) اى تعظيما له وتعليما لنا (ياايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا) اى لاتخاطبوه به واختلف فى سببه (قال بعض المفسرين هى لغة كانت فى الانصار) بمعنى راقبنا وتأن علينا حتى نفهم كلامك الوارد الينا (نهوا عن قولها) اى عن هذه الكلمة تعظيما (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) و (تبجيلا له) اى تفخيما (لان معناها) اى مفهوم كلمة راعنا وهو الامر بالمراعاة من باب المفاعلة (ارعنا) بفتح العين امر من الرعاية (نرعك) مجزوم على جواب الامر (فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لايرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى) بصيغة المجهول اى يلاحظ ويحافظ (على كل حال) اى سواء رعاهم ام لا (وقيل بل كانت اليهود) اى حين سمعوا هذه الكلمة من الآية انتهزوا الفرصة بما عندهم من العنجة (تعرض بها) من التعريض بمعنى الكناية (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهى الحماقة والمعنى تلوح بهذه الكلمة المستعملة فى مبناها مرادا بها غير مقتضاها من مبناها (فنهي المسلمون عن قولها) اى وامروا ان يقولوا وانظرنا بدلها (قطعا للذريعة) اى الوسيلة الى مقاصدهم السيئة (ومنعا للتشبه) اى تشبه المؤمنين (بهم فى قولها) اى فى التفوه بها (لمشاركة اللفظة) اى اللفظة فى المبنى ومخالفتها فى المعنى (وقيل غير هذا) اى غير ماذكر من التفسيرين فى معنى الآية محله الكتب المطولة

﴿ فصل ﴾

(فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلوة والسلام وتوقيره واجلاله) الاولى تأخيرعليه الصلوة والسلام لهذا المقام (حدثنا القاضى ابو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة (وابو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة (الاسدى) بفتحتين نسبة الى قبيلة (بسماعى عليهما فى آخرين) اى مع جماعة اخر من المشايخ اومن التلامذة ويؤيد الاول قوله (قالوا) بصيغة الجمع ويؤيد الثانى مافى نسخة قالا بصيغة التثنية (ثنا)اى حدثنا (احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن) وفى بعض النسخ بصيغة التصغير والصواب هو الاول (ثنا محمد بن عيسى) اى الجلودى (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) اسم مفعول من التثنية (وابو معن) بفتح فسكون (الرقاشى) بفتح الراء وتخفيف القاف ثم شين معجمة بصرى ثقة (واسحق بن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ (قالوا) اى ثلاثتهم

(ثنا الضحاك بن مخلد) بسكون خاء معجمة بين فتحتين ابو عاصم الشيبانى النبيل البصرى روى عنه انه قال مادلست قط ولا اغتبت احدا منذ عقلت تحريم الغيبة روى عنه البخارى وغيره اخرج له الائمة الستة (انا) اى انبأنا وفى نسخة اخبرنا (حيوة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال حدثنى يزيد بن ابى حبيب) عالم اهل مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء (عن ابن شماسة) بضم الشين المعجمة وفتحها فميم مخففة و بعد الالف سين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء توفى اول خلافة يزيد بن عبد الملك (قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر) وفى نسخة فذكرنا اى ابن شماسة (حديثا طويلا فيه عن عمرو قال) وفيه ايضا فحول وجهه الى الجدار فجعل يقول (وما كان احد احب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اجل) اى اعظم (فى عينى منه) وفى نسخة بصيغة التثنية (وما كنت اطيق) بضم الهمزة اى اقدر (ان املأ عينى منه اجلالا له) اى واكمالا له (ولو سئلت) وفى نسخة ولو شئت (ان اصفه) اى اذكر نعت ظاهر خلقه (ما اطقت) اى ما قدرت لعدم احاطتى باوصافه خبرا (لانى لم اكن املأ عينى منه) اى نظرا (وروى الترمذى) اى صاحب السنن لا الحكيم الترمذى وكذا الحاكم (عن انس رضى الله تعالى عنه كان) اى النبى عليه الصلوة والسلام (يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس) حال (فيهم ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) اى من جملتهم او فيما بينهم ابو بكر والجملة حال ايضا (فلا يرفع احد منهم اليه بصره) اى نظره اجلالا لحضره (الا ابا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فانهما كانا ينظران) اى يطالعان (اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) اى لكمال فضلهما على غيرهما قال الحلبى اخرجه الترمذى فى مناقب ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقال غريب لا نعرفه الا من حديث الحاكم وقد تكلم بعضهم فيه انتهى (وروى اسامة بن شريك) بفتح فكسر تغلبى كوفى صحابى وقد روى عنه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذى (قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حوله) الجملة حال وفى نسخة حوله جلوس اى جالسون والمعنى انهم محيطون به متحلقون لديه متأدبون بين يديه (كانما على رؤسهم الطير) بالرفع اى بحيث لو فرض ان يكون طير على رؤسهم لا يتحرك لسكونهم حال جلوسهم (وفى حديث صفته) بكسر ففتح اى نعته ووصفه عليه الصلوة والسلام وتصحف على بعضهم بصفية ام المؤمنين وليس لها هذا الحديث (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اى ارخوا رؤسهم (كانما على رؤسهم الطير) اخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن ابى هالة رواه عنه الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه (وقال عروة بن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى الثقفى على ما رواه البخارى عن مسود بن مخرمة ومروان بن الحكم بن ابى العاص انه (حين وجهته قريش) اى ارسلته (عام القضية) اى قضية صلح الحديبية (الى النبى صلى الله عليه وسلم) اى فى طلب الصلح سنة سبع من الهجرة النبوية سمى بها لانه كتب فيها هذا ما قاضى عليه الصلوة والسلام اى صالح واما ماذكره الانطاكى من ان القضية كانت فى السنة السابعة بعد الحديبية فهو وهم لانها تسمى عام القضاء وقد تسمى عام القضية الا انها ليست هذه القضية (ورأى) اى عروة (من تعظيم اصحابه له ما رأى) اى بما لا يكاد يستقصى (وانه) بالفتح عطفا على مارأى وبالكسر على الجملة الحالية (لا يتوضأ) اى لا يستعمل الوضوء (الا ابتدروا وضوئه) بفتح الواو وقد يضم اى سارعوا الى بقية ما توضأ به من الماء او الى ما تقاطر منه من الاعضاء (وكادوا يقتتلون عليه) اى لفرط حرصهم عن التبرك بما لديه او بما اصابه من يديه ومن لم يصب منه شيئا يكون من نصيبه اخذ من بلل يد صاحبه (ولا يبصق) بضم الصاد (بصاقا) اى ولا يبزق بزاقا من الفم (ولا تنخم نخامة) بضم النون ما يخرج من اقصى الحلق ومن مخرج الخاء المعجمة (الا تلقوها) اى اخذوها من الهواء (باكفهم) اى من غاية الهوى ونهاية الهدى (فدلكوا بها وجوههم واجسادهم) اى فبالغوا فى مسح اعضائهم بها (ولا تسقط منه شعرة) بسكون العين وتفتح (الا ابتدروها) اى بادروا الى اخذها وحفظها سواء كانت من رأسه او بقية مساسه (واذا امرهم بامر) اى من امر ونهى (ابتدروا امره) اى امتثالا له (واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده) اى ان طلب جوابا منهم والا سكتوا وسمعوا كلامه وفهموا مرامه (وما يحدون) بضم اوله وكسر ثانيه وتشديد داله اى ما يشخصون (اليه نظرا تعظيما له) اى وهيبة ونكريما له (فلما رجع) اى عروة (الى قريش قال يا معشر قريش انى جئت كسرى) بكسر الكاف و يفتح وفتح الراء وقد يقال هو لقب ملك فارس اى حضرته (فى ملكه) اى تحت سلطنته وتحت هيبته وعظمته (وقيصر) اى وجئت قيصر وهو لقب ملك الروم (فى ملكه) اى فى معظم ملكه (والنجاشى) بفتح النون ويكسر وبتشديد الياء ويخفف وهو لقب لملك الحبشة (فى ملكه) اى فى دياره وداره (وانى والله ما رأيت ملكا) اى من الملوك المذكورة معظما ومكرما (فى قوم) اى فيما بين جنده (قط) اى ابدا (مثل محمد فى اصحابه وفى رواية) اى اخرى كما فى نسخة (ان) بكسر همز وسكون نون اى ما (رأيت) اى ما ابصرت او ما علمت (ملكا) اى من الملوك (قد تعظمه اصحابه ما يعظم)

اى مثل ما يعظم (محمدا اصحابه وقد رأيت) اى ابصرت اصحابه وعلمت احبابه واحزابه (قوما لا يسلمونه) بضم الياء وسكون السين وكسر اللام اى لا يخذلونه (ابدا) من اسلمته الى الشئ ثم خص بالالقاء فى المهلكة بدليل حديث انى وهبت لخالتى غلاما وقلت لها لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا اى لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنايع فكراهة القصاب والحجام لما يباشر انه من النجاسة مع تعذر الاحتراز ولما فيه من لوازم القساوة وقلة المرحمة واما لصائغ فلما يدخل صنعته من الغش والربا وخلف الوعد والايمان الكاذبة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق يحلقه) اى يحلق شعر رأسه اما بعد عمرة او بعد الحج اذلم يحلق فى غيرهما (واطاف به اصحابه) اى داروا حوله ليأخذوا من شعره ويتبركوا باثره (فما يريدون) اى من كمال اتفاقهم (ان تقع شعرة) اى من شعراته (الا فى يد رجل) اى من طلاب بركاته واختلف فى اسم من حلق رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصحيح المشهور انه معمر بن عبد العزيز العدوى كما ذكره النووى فى شرح مسلم وفى صحيح البخارى زعموا انه معمر وعن ابن عبد البر ان خراشا حلقه يوم الحديبية انتهى واما فى عمرة الجعرانة فقيل حلقه ابو هند والله اعلم (ومن هذا) اى ومن جملة تعظيم اصحابه وتكريم احبابه (لما اذنت قريش) اى مراعاة (لعثمان رضى الله عنه) اى حين قدومه مكة (فى الطواف بالبيت) اى بعد منعه منه (حين وجهه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم فى القضية) اى فى قضية صلح الحديبية (ابى) اى امتنع عثمان ان يطوف به (وقال ما كنت لافعل) اى الطواف وحدى (حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم) لكمال ادبه وجمال طلبه وكان ذلك حين انتهى اليها النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة ليعتمر فصده المشركون فدخل عثمان الى مكة للصلح وتقدم بقية القضية فى الفصل التاسع من اول الكتاب (وفى حديث طلحة رضى الله عنه) اى ابن عبيد الله احد العشرة المبشرة وسيأتى بعض منقبته قريبا وقد روى عنه الترمذى وحسنه (ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا الاعرابى جاهل سله) يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) اى فى قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه اى وفى بنذره ومنهم من ينتظر امر قضائه وقدره فى تحقيق امره روى ان رجالا من الصحابة منهم عثمان بن عفان وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضى الله تعالى عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وقد ثبت طلحة يوم احد وبذل جهده فى القتال حتى شلت يده اذ وقى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر انه اصيب فى جسده بضعا وثمانين من بين طعن وضرب (وكانوا يهابونه ويوقرونه) اى يعظمونه ولهذا ما كانوا بانفسهم يسألونه وكان عليه الصلوة والسلام يحتمل من الاعراب ما لا يحتمل من الاصحاب (فسأله) اى الاعرابى (فاعرض عنه) اى عن جوابه ولم يلتفت الى ما يتعلق ببابه (اذ طلع طلحة رضى الله تعالى عنه) اى الراوى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) فكانه الزم نفسه ان يصدق الله تعالى فى قتل اعدائه فى الحرب وقد وفى بعهده يوم احد وقيل المراد بالنحب هو الموت فكانه التزم ان يقاتل حتى يموت ففى الحديث ايماء الى انه سيموت شهيدا وفى الحلية انه عليه الصلوة والسلام تلا على المنبر فمنهم من قضى نحبه فسأله رجل منهم فاقبل على طلحة بن عبيد الله وقال هذا منهم وفى تفسير ابن ابى حاتم ان عمارا منهم وهذا يحتمل التأويل بانه من المتقدمين وفى تفسير يحيى بن سلام المغربى هم حمزة واصحابه والظاهر ان المراد بهم شهداء احد ولا يبعد ان يقال المراد بهم الشهداء والثابتون فى مقاتلة الاعداء واختار ابن الملقن المعنى الاول حيث قال والذى يظهر لى انهم المقتولون معه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وماقلناه هو الاتم والاعم والله تعالى اعلم وقد قتل طلحة رضى الله تعالى عنه فى وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة قال الحلبى وفى الصحابة اربعة عشر غيره ممن يقال له طلحة (وفى حديث قيلة) بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة بنت مخرمة العنبرية على ما رواه ابو داود فى الادب والترمذى فى الشمائل (فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) بضم القاف والفاء اى جلسة المحتبى بيديه (ارعدت) اى اضطربت (من الفرق) بفتحتين اى الخوف والفزع (وذلك هيبة له وتعظيما وفى حديث المغيرة) الذى رواه الحاكم فى علوم الحديث والبيهقى فى المدخل (كان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعون) اى يضربون (بابه بالاظافر) وفى نسخة بالاظافير اى ضربا خفيفا ودقا لطيفا تعظيما وتكريما وتشريفا وفى حديث عمر رضى الله تعالى عنه انه اخذ قدح سويق فشربه حتى قرع القدح جبينه اى ضربه والمعنى شربه جميعه (وقال البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه) كما روى ابو يعلى (لقد كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر فأؤخر) وفى نسخة فأؤخره اى فأؤخر سؤالى له (سنتين) بصيغة التثنية وفى نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) اى من كمال هيبته وجلال عظمته صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿فصل﴾

﴿ فصل ﴾

واعلم ان حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه) بنصبها اى بعد وفاته (لازم) اى على كل مسلم (كما كان) اى ماذكر واجبا (حال حياته) اى لانه الآن حي يرزق في علو درجاته ورفعة حالاته (وذلك) اى التعظيم والاكرام (عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر حديثه) اى كلامه (وسنته) اى وذكر طريقته (وسماع اسمه) وكذا نعته (وسيرته) اى في جميع هيئاته من حركاته وسكناته (ومعاملة آله) اى اهل بيته (وعترته) بكسر اوله اى ذريته وقرابته (وتعظيم اهل بيته) اى من ازواجه وخدمه ومواليه (وصحابته) اى اهل صحبته (قال ابو ابراهيم) زيد في نسخة اسحق (التجيبي) بضم التاء وتفتح وبكسر الجيم (واجب على كل مؤمن متى ذكره) اى بنفسه (او ذكر عنده) اى على لسان غيره (ان يخضع) اى ظاهرا (او يخشع) اى باطنا (ويتوقر) اى يتكلف الوقار والرزانة في هيئته (ويسكن من حركته ويأخذ) اى يشرع ويسرع (في هيبته واجلاله) اى في مقام تعظيمه واكرامه (بما كان يأخذ به نفسه) اى يطلب منها (لو كان) اى فرضا (بين يديه) اى امام عينيه (ويتأدب) بالنصب او الرفع (بما ادبنا الله به) اى من وجوب تعظيمه وتكريمه وخفض الصوت ونحوه (قال القاضي ابو الفضل) يعني المصنف (وهذه) اى الطريقة المرضية (كانت سيرة سلفنا الصالح) يروى الصالحين اى المتقدمين من الصحابة والتابعين (وائمتنا الماضين) اى العلماء العاملين (حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية (الحاكم وغير واحد) اى وكثيرون (فيما اجازونيه) هذا لغة في اجازوه لي (قالوا) اى كلهم (اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر ابن دلهاث) بكسر داله وسكون لامه ومثلثة في آخره (قال ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن علي بن فهر) بكسر فاء فسكون هاء ثم راء (ثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج) بفتح الفاء والراء الجيم (ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم ميم فسكون نون ففوقية (قال ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل ثنا ابن حميد) بالتصغير (قال ناظر) اى جادل وباحث (ابو جعفر) هذا هو المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثاني خلفاء بني العباس (امير المؤمنين) اطلاق هذا عليه غير معروف بين المصنفين (مالكا) اى الامام (في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ورفع صوته في كلامه معه (فقال له) اى مالك كما في اصل صحيح (يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد) ى خصوصا لانه بقرب قبره عليه الصلوة والسلام (فان الله تعالى) وفي نسخة عز وجل (ادب قوما) اى معظمين (فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية) اى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون (ومدح قوما) اى مكرمين (فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية) اى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم (وذم قوما) اى من الاعراب (فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية) اى اكثرهم لا يعقلون (وان حرمته ميتا) بالتشديد والتخفيف (كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر) اى خضع وخشع لمقالة مالك رحمه الله تعالى وفيه تنبيه نبيه على انه يجب التأدب بين يدي العالم لما روي من ان الشيخ في قومه كالنبي في امته (وقال) اى ابو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا با عبد الله) بحذف الالف كتابة واثباته قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتقدير استقبلها (وادعو) اى الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة (ام استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) اى مالك (ولم تصرف وجهك عنه) اى عن رسولك (فهو) وفي نسخة صحيحة وهو اى والحال انه (وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام) اى وسائر الانام (الى الله يوم القيمة) اى كما يشير اليه قوله عليه الصلوة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة (بل استقبله واستشفع به) اى اطلب شفاعته وسل وسيلته في قضاء مراداتك واداء حاجاتك (فيشفعك الله) بتشديد الفاء اى يقبل الله به شفاعتك لامرك وامر غيرك وفي نسخة فيشفعه اى فيقبل شفاعته في حقك ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك (قال الله تعالى) اى مصداقا لذلك فيما اقرره مالك (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بالمعصية (جاؤك) اى للمعذرة والتوبة (الآية) يعني فاستغفروا الله اى بلسانهم وجنانهم واستغفر لهم الرسول فيه التفات عدل اليه تفخيما لشأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لوجدوا الله اى لعلموه توابا رحيما اى منعوتا بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعدم المؤاخذة على ما صدر منهم (وقال مالك رحمه الله وقد سئل عن ابي ايوب السختياني) اى عن مقامه ومرتبته وهو بسين مفتوحة وتضم وبسكون معجمة فتحتية مكسورة نسبة لبيع السختيان وهو الجلد المدبوغ معرب وهو عنزي وقيل جهني ولاهم يروى عن ابن سيرين وجماعة وعنه شعبة وطائفة قال ابن علية كنا نقول عنه الفي حديث وقال شعبة ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء وحدث عن ام خالد بنت خالد واسمها آمنة وحديثه عنها في البخاري وقال في اثره ولم اسمع احدا يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى من غير ذكر واسطة سوى ام خالد والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله (ما حدثتكم) اى

ماروبت لكم حديثا (عن احد) اى من اتباع التابعين (الاوابوايوب افضل منه وقال) اى مالك رحمه الله للدلالة على ذلك (وحج) اى ابوايوب (حجتين) اى مرتين (فكنت ارمقه) بضم ميم اى انظر اليه واتأمل لديه (ولااسمع منه) اى كلاما يكون عليه اولااسمع منه حديثا يحدثنى به (غيرانه كان اذاذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى) الظاهر يبكى (حتى ارحمه) اى من شدة بكائه وكثرة عنائه شوقا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلمارأيت منه مارأيت) اى من حسن فعاله مايقتضى بعض كماله واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كتبت عنه) اى الحديث ورويت عنه العلم (وقال مصعب بن عبدالله) اى ابن مصعب بن ثابت الزبيرى يروى عن مالك وغيره وعنه الشيخان وغيرهما (كان مالك اذاذكر النبي صلى الله عليه وسلم) وفى نسخة بصيغة المفعول وهو يشمل ماذكره وذكره غيره عنده و يؤيده ان فى نسخة فاذاذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يتغيرلونه وينحنى) اى يميل ظهره (حتى يصعب) بضم العين اى يشتد (ذلك على جلسائه) اى من اجل مشاهدة شدة عنائه (فقيل له يومافى ذلك) اى فى تهوين الامر على نفسه هنالك (فقال لورأيتم مارأيت) اى لوعرفتم ماعرفت من جلال مقامه وجمال مرامه (لماانكرتم على ما ترون) اى ماتبصرون من اضطراب حالى وتغير مقالى ولايبعد ان يكون المعنى لوابصرتم ماابصرت من مشاهدة جماله ومطالعة جلاله فى مقام مكاشفة كماله (لقد كنت ارى محمد بن منكدر) اى التيمى المدنى الحافظ يروى عن ابيه وعايسة وابى هريرة وهو مرسل قاله ابن معين وابوزرعة وعن ابى قتادة قال العلائى والظاهر ان ذلك مرسل وعن ابى ايوب وجابر وعنه شعبة ومالك والسفيانان امام مسن له بكاء وتوفى سنة ثلاثين ومائة (وكان سيدالقراء) جملة معترضة (لانكاد نسأله عن حديث ابدا) اى قط (الايبكى) من لوعة الاحتراق بلذعة الافتراق (حتى نرحمه) من كثرة بكائه وشدة عنائه (ولقدكنت ارى جعفر بن محمد) اى الصادق كما فى نسخة وهو بالنصب لقب جعفر ولقب ابيه الباقر وهو ابن زين العابدين بن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (وكان كثيرالدعابة) بضم الدال المهملة اى المزاح (والتبسم) يعنى لكمال خلقه وجمال خلقه والجملة معترضة (فاذاذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) بتشديد الراء اى تغيرلونه وتحول كونه (ومارأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاعلى طهارة ولقداختلفت) اى ترددت (اليه زمانا) اى كثيرا (فماكنت اراه) اى اشاهده (الاعلى ثلاث خصال) اى احدى حالات ثلاث (امامصليا واماصامتا) اى ساكتا متفكرا (وامايقرأ القرآن) كان الاولى ان يقول واما قارئا للقرآن (ولايتكلم الافيما يعنيه) بفتح الياء وكسر النون اى ينفعه فى دينه عملا بقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وامتثالا لقوله عليه الصلوة والسلام من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه (وكان) اى الامام جعفر الصادق (من العلماء والعباد) اى ممن جمع بين العلم والعمل وترك الهوى وطول الامل (الذين يخشون الله) اى يخافون عقوبته ويهابون عظمته (عز) اى شانه وسلطانه (وجل) اى برهانه سبحانه وتعالى (واقدكان عبدالرحمن بن القاسم) اى ابن محمد بن ابى بكر الصديق التيمى ولد زمن عايسة رضى الله تعالى عنها وسمع اباه وابن المسيب وعنه شعبة ومالك وابن عيينة ثقة ورع مكثر امام قال ابن عيينة كان افضل زمانه وكذلك ابوه وقدتوفى بالمدينة سنة ست وعشرين ومائة (يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه) بصيغة المفعول (كانه نزف) بضم النون وكسر الزاء اى سال (منه الدم) ولم يبق منه شئ وهو كناية عن اصفرار وجهه وضعف بدنه (وقدجف لسانه) بفتح الجيم وتسديد الفاء اى يبس (فى فمه) اى فلم يطق على تمام كلامه من كمال اكرامه واحترامه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اعظاما لمقامه (واقدكنت آتى) اى اجئ (عامر بن عبدالله بن الزبير) اى ابن العوام العابد الكبير القدر سمع اباه وجماعة وعنه مالك وطائفة قال ابن عيينة اشترى نفسه من الله تعالى ست مرات توفى بعد عشرين ومائة (فاذاذكر عندالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) اى كثيرا (حتى لايبقى فى عينيه دموع ولقد رأيت الزهرى) وهو محمد بن شهاب (وكان من اهنأ الناس) بفتح همزة وسكون هاء فنون فهمزة اى الطفهم فى العشرة (واقربهم) اى فى المودة (فاذاذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكانه ماعرفك ولاعرفته) اى لتغير حاله واختلاف مقاله فى مقام جلاله (ولقدكنت اتى صفوان بن سليم) بالتصغير وهو الامام القدوة المدنى ممن يستسقى بذكره يروى عن ابن عمر وعبدالله بن جعفر وابن المسيب وعنه مالك وغيره (وكان من المتعبدين المجتهدين) يقال انه لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة (فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) فان البكاء هو الشفاء من العناء والشقاء والمعنى استمر على البكاء (حتى تقوم الناس عنه ويتركوه) اى حذرا من رؤيته على تلك الحالة المحزنة (و يروى عن قتادة رضى الله تعالى عنه انه كان اذاسمع الحديث) اى حديثه عليه الصلوة والسلام (اخذه العويل) بفتح المهملة وكسر الواو اى صوت الصدر بالبكاء (والزويل) بفتح الزاء وكسر الواو اى القلق به والعناء واصل الزويل عدم الاستقرار يقال زال عن مكانه يزول زوالا وزويلا (ولما كثر على مالك الناس) اى اجتمعوا

عليه بكثرة بعد ما كانوا بوصف قلة (قيل له اوجعلت مستمليا) اى مبلغا للناس (يسمعهم) من الاسماع اى ليسمع القوم كلهم لكثرتهم و بعد بعضهم وجواب لو مقدر اى لكان حسنا اومعناه التمنى اى تمنينا جعلك احدا مستمليا (فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى توقيرا له وتكريما وتعزيزا له وتعظيما (وحرمته حيا وميتا سواء) لان فناءه فى الحقيقة بقاء فانه حى يرزق بدار اللقاء (وكان ابن سيرين) من اجلاء التابعين (ربما يضحك) اى يتبسم (فاذا ذكر عنده حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) اى خاف وخضع وتواضع كذا فى نسخة هنا والظاهر انه مكرر لماسيأتى فى الفصل الذى يليه (وكان عبد الرحمن بن مهدى) وهو احد الاعلام فى الحديث روى عنه احمد قال ابن المدينى اعلم الناس بالحديث هو عبد الرحمن بن مهدى وقال الزهرى مارأيت فى يده كتابا يعنى كان حافظا (اذا قرأ حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم امرهم) اى الناس اواصحابه (بالسكوت) اى رعاية لحرمته وعناية لفهم مقولته (وقال) اى عبد الرحمن مقتبسا من القرآن (لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) يعنى وكذا فوق صوت راوى حديثه (ويتأول انه يجب له) اى لاجله (عند قرأة حديثه) اى روايته بعد مماته (ما يجب له عند سماع قوله) اى كلام نفسه فى حال حياته

﴿ فصل ﴾

(فى سيرة السلف) اى طريقتهم (فى تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) ولعله اراد بالحديث قوله وبالسنة فعله (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) اى ابن سكرة (ثنا ابوالفضل بن خيرون) بفتح اوله المعجم فسكون تحتية فضم راء يمنع وقد يصرف (ثنا ابو بكر البرقانى) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام احد الاعلام احمد بن محمد بن غالب الخوارزمى الشافعى شيخ بغداد صنف التصانيف وخرج على الصحيحين روى عنه البيهقى والخطيب وابواسحق الشيرازى قال الخطيب كتبنا عنه توفى ببغداد سنة خمس وعشرين واربعمائة (وغيره) اى من المشايخ (حدثنا ابوالحسن الدارقطنى) بفتح الراء ويسكن وهو الحافظ الامام شيخ الاسلام المنسوب الى دار قطن محلة ببغداد (ثنا على بن مبشر) بفتح ميم وسكون موحدة وكسر معجمة (ثنا احمد بن سنان) بكسر اوله وتنوين آخره (القطان) بفتح القاف وتشديد الطاء هو الحافظ ابوجعفر الواسطى روى عنه الشيخان وغيرهما قال ابن ابى حاتم هو امام اهل زمانه (ثنا يزيد بن هارون) وهو ابو خالد الواسطى السلمى احد الاعلام قال احمد حافظ متقن وقال ابن المدينى مارأيت احفظ منه وقال العجلى ثبت متعبد حسن الصلوة جدا يصلى الضحى ست عشرة ركعة وقد عمى (ثنا المسعودى) اى عبد الرحمن بن عتبة الكوفى احد الاعلام روى عنه ابن المبارك ووكيع ثقة كثير الحديث توفى سنة ستين ومائة (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر المهملة ابوعبدالله مسلم بن عمران الكوفى يروى عن ابى وائل وعلى بن الحسين وابى عبدالرحمن السلمى والاعمش وابن عون ونقده احمد وغيره (عن عمرو بن ميمون) هو الازدى يروى عن عمر ومعاذ وطائفة وكان كثير الحج والعبادة (قال) اى عمرو بن ميمون كما فى رواية الدارمى (اختلفت الى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى ترددت الى خدمته (سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بصريح اسمه وكانه كان يكتفى بضمير اسمه (الا انه حدث يوما) اى وقتا من زمانه (ثم جرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) بفتح وسكون اى غلبه غم يأخذ بالنفس (حتى رأيت العرق يتحدر) بتشديد الدال وفى نسخة ينحدر بالنون اى يسيل نازلا (عن جبهته) اى من جهة كثرته (ثم قال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حديثه الذى رويته لكم عنه عليه الصلوة والسلام (هكذا) اى بهذا اللفظ (ان شاء الله تعالى) اى لكمال احتياطه (او فوق ذا) اى بقليل (او ماد ون ذا) اى ببعض شئ (او ماهو قريب من ذا) اى مما اقوله فى نقل هذا وهذا كله تفاديا من الدخول فى قوله عليه الصلوة والسلام من كذب على فليتبوأ مقعده من النار (وكان ابوالدرداء ايضا اذا حدث قال مثله وكان انس رضى الله تعالى عنه اذا حدث قال اوكما قال (وفى رواية فتربد وجهه) بتشديد الموحدة اى فتغيرلون وجه ابن مسعود وزيد فى نسخة الى غبرة وهى سواد مشوب ببياض فان الربدة لون الى الغبرة قال الهروى يقال تربد لونه اى تلون وصار كلون الرماد (وفى رواية وقد) وفى نسخة فقد (تغرغرت عيناه) اى امتلأت عيناابن مسعود دمعا يتردد فيهما من الغرغرة وهى فى الاصل ان يجعل المشروب فى الفم ويردد الى الحلق من غير ان يبلغ ومنه حديث ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر اى مالم تبلغ روحه حلقومه تشبيها لها بالشئ الذى يتغرغر به المريض (وانتفخت اوداجه) جمع ودج وهو ما احاط بالعنق من عروق الحلق التى يقطعها الذابح (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) مصغر قرم بالقاف اى مقدام فى المعركة وعن على انا ابوالحسن القرم المقدام فى الرأى وهو فى الاصل فحل الابل والمعنى انا فيهم بمنزلته (الانصارى قاضى

المدينة) اخرج له الترمذى فقط (مرمالك بن انس) وهوامام دارالهجرة (على ابى حازم) بكسر الزاء وحاؤه مهملة وهوسلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام يروى عن سهل بن سعد وابن المسيب وعنه مالك وابوضمرة قال ابن خزيمة ثقة لم يكن فى زمانه مثله (وهو يحدث) اى والحال ان اباحازم يحدث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فجازه) اى جاز الموضع او الشيخ وهو بمعنى جاز به وجاوزه والمعنى لم يجلس اليه ليأخذ الحديث عنه (وقال) اعتذار المن اورد عليه السؤال بلسان القال او بيان الحال (انى لم اجد موضعا اجلس فيه) اى متأدبا (فكرهت ان آخذ) اى اسمع واتحمل (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) قال الدلجى والعجب منه رحمه الله تعالى انه كان مع مبالغته فى تعظيم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقدم عليه عمل اهل المدينة وان خالفه و يقول هذا لم يصحبه عمل فجعل العمل بحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم مشروطا بعمل غيره مع قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ولم يوافقه احد من علماء الامصار على ذلك قال الشافعى كنت اظن انه لم يخالف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا فى ستة عشر حديثا فوجدته يعمل بالفرع و يترك الاصل فكنت سنة استخير الله تعالى فى مخالفته ولما خالفه سعى به المالكية الى السلطان فامره بان يخرج من مصر فقال له اجلنى ثلاثة ايام فاجله فليلة الثالث مات السلطان فكث الشافعى والف كتبه الجديدة بها الى ان توفى بها تاسع عشرين من جمادى الآخرة سنة اربع ومائتين رحمه الله تعالى انتهى ولايخفى ان المجتهد اسير الدليل واصول الفقهاء مختلفة فى تعليل مذهب مالك ان عمل اهل المدينة بناء على انهم اخذوا عن آبائهم من المهاجرين والانصار التابعين لسيد الابرار مقدم على حديث بظاهره يخالفهم فكانه جعل عملهم بمنزلة اجماعهم وهذا يشبه اختلاف اصول علمائنا الحنفية وهو ان الراوى اذا عمل بخلاف روايته دل على ان حديثه منسوخ اوتوهم فى نقله ورجع عنه بفعله ونظيرهذا عمل اهل مكة فى الطواف بارسال اليد حيث يكون بمنزلة الاجماع المانع من ان يكون وضع اليد فيه مستحبا بل يحكم فيه بانه مكروه لكونه بدعة واما قول الشافعى فى حقه مع قلة ادبه محمول على ظنه به انه كان يخالف ظاهر احاديث النبوة وهكذا شان كل مجتهد بالنسبة الى غيره من الائمة مع ان الفضل للمتقدم بلاشبهة وقوله فوجدته يعمل بالفرع دون الاصل هو الفعل الذى لايليق ان يصدر مثله من ارباب الفضل (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب) بتشديد الياء المفتوحة وقد تكسر (فسأله) اى الرجل (عن حديث وهو) اى والحال ان ابن المسيب (مضطجع) اى واضع جنبه على الارض (فجلس وحدثه) ولعله كان مريضا فتكلف فى جلوسه (فقال الرجل وددت) بكسر الدال الاولى اى احببت وتمنيت (انك لم تتعن) بالعين المهملة وتشديد النون اى لم تتعب ولم تتكلف العناء لنفسك بجلوسك (فقال انى كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) جملة حالية (وروى) بصيغة المجهول اى نقل (عن محمد بن سيرين) بمنع صرفه للعلمية وزيادة الياء والنون على مذهب الفارسى وهو احد الاعلام يروى عن ابى هريرة وعمران بن حصين ولم يسمع منه قاله الدار قطنى وروايته عنه فى الصحيح وقد تعقب الدارقطنى النووى فى شرح مسلم فقال بل هو معدود فيمن سمع منه انتهى وكان ثقة حجة كثير العلم ورعا بعيد الصيت قيل كان يصوم يوما و يفطر يوما وله سبعة اوراد فى الليل وترجمته طويلة (انه قد يكون يضحك) اى مع اصحابه (فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) اى ظاهرا وباطنا (وقال ابومصعب) هو احمد بن ابى بكر بن القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ابومصعب الزهرى العوفى قاضى المدينة وعالمها سمع مالكا وطائفة وعنه جماعة وهو ثقة حجة ولاعبرة بقول ابى خيثمة لابنه احمد لاتكتب عن ابى مصعب واكتب عمن شئت (كان مالك ابن انس رضى الله تعالى عنه لايحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) اى طهارة (اجلالا له) اى لحديثه عليه الصلوة والسلام (وحكى مالك ذلك) اى مثل ذلك (عن جعفر بن محمد) وهو الصادق وقد تقدم (وقال مصعب بن عبدالله) اى ابن مصعب بن ثابت الزبيرى (كان مالك بن انس رضى الله تعالى عنه اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اذا اراد تحديثه عنه (توضأ وتهيأ) اى بالمسط ونحوه (ولبس ثيابه) اى غير ثياب البذلة (ثم يحدث قال مصعب فسئل) اى مالك (عن ذلك) اى عن سبب ماذكرهنا لك (فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى المقام مقام تحديثه عليه الصلاة والسلام فيجب التوقير على الانام (قال مطرف) بتشديد الراء المكسورة وهو ابن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار ابومصعب اليسارى المدنى مولى ميمونة الهلالية وهو ابن اخت الامام مالك بن انس يروى عن خاله ونافع القارى وعنه البخارى وابوزرعة (كان اذا اتى الناس مالكا) اى وقفوا على بابه (خرجت اليهم الجارية) اى الخادمة اولا باذنه لتعلم من هو فيعامله بما يليق بشانه من دخول اوخروج ونحوه (فتقول) اى الجارية (لهم يقول لكم الشيخ تريدون) اى اتريدون (الحديث)

اى نقل الاحاديث النبوية (والمسائل) اى رواية الفروع الفقهية والاستفهام للاستعلام لا للتقرير كما وهم الدلجى على ما لا يخفى عند ذوى الافهام (فان قالوا المسائل) اى نريدها (خرج اليهم) اى على هيئته من غير تغير فى حالته (وان قالوا الحديث) اى نطلبه (دخل مغتسله) اى موضع اغتساله (فاغتسل) اى غسلا كاملا او توضأ وضوأ كاملا ومعناه فتطهر (وتطيب) الواو لمطلق الجمع فلا ينافى كونه قبل قوله (ولبس ثيابا جددا) بضمتين جمع جديد حقيقة او حكما فيشمل النظيف المغسول (ولبس ساجه) بالاضافة الى ضميره اى طيلسانه وقيل الاخضر ههنا خاصة وفى القاموس هو الطيلسان الاخضر والاسود (وتعمم) اى لبس عمامته (ووضع على رأسه رداءه وتلقى) بصيغة المجهول اى توضع (له منصة) بكسر ميم وبفتح وبفتح نون وتشديد صاد مهملة سرير العروس وقيل مثل المخدة العالية وقيل المراد بها الكرسى (فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع) اى آثاره من الخضوع (ولا يزال) قيل اى السان والظاهر ان الضمير لمالك (يبخر) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة و يروى يتبخر (بالعود) و يعاد بالعود (حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره) اى غير مطرف (ولم يكن) اى مالك رحمه الله (يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بخلاف سائر العلوم من التفسير والفقه ونحوهما (قال ابن ابى اويس) وهو اسمعيل بن عبدالله بن اويس الاصبحى ابن اخت مالك بن انس يروى عن خاله مالك وابيه وجماعة وعنه الشيخان وعلى البغوى وطائفة قال ابو حاتم محله الصدق وضعفه النسائى (فقيل لمالك فى ذلك) اى فسئل عن سبب ما فعله هنالك (فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا احدث) بالنصب و يرفع (به) اى بحديثه عليه الصلوة والسلام (الا على طهارة) اى كاملة (متمكنا) اى على حالة فاضلة لا متكئا ومعتمدا على شقة مائلة (قال) اى ابن ابى اويس (وكان) اى خاله مالك (يكره ان يحدث) بكسر الدال المشددة اى يتكلم بالحديث النبوى (فى الطريق) اى سائرا (وهو قائم او مستعجل) خوفا من الخطأ او الخطل ومن ثمة قيل

﴿شعر﴾

﴿قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل﴾

(وقال) اى مالك فى تعليل ذلك (احب ان افهم) بالتشديد اى الطالب (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالوجه الاتم (قال ضرار بن مرة) بضم ميم وتشديد راء اى ابو سنان الشيبانى الكوفى يروى عن سعيد بن جبير وعنه شعبة ونحوه وكان من العباد والثقات (كانوا) اى السلف (يكرهون ان يحدثوا) اى الحديث كما فى نسخة (على غير وضوء) اى طهارة (ونحوه عن قتادة رضى الله عنه) اى وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرؤه الا على وضوء (وكان الاعمش) اى سليمان بن مهران (اذا حدث) اى اراد ان يحدث (وهو على غير وضوء تيمم قال عبدالله بن المبارك كنت عند مالك) اى يوما (وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة) كذا فى النسخ المصححة ووقع فى اصل الدلجى ستة عشر مرة فقال صوابه ست عشرة مرة اذ التاء انما تلحق فى مثل هذا التركيب ثانى جزئيه (وهو) اى مالك (يتغير لونه) اى من شدة الالم (و يصفر) اى و يحيل الى صفرة من اثر السم (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى محافظة على اكماله ومراعاة لاجلاله (فلما فرغ من المجلس) اى مجلس التحديث (وتفرق عنه الناس) اى العامة (قلت له يا ابا عبدالله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتنى عقرب ست عشرة مرة وانا صابر فى جميع ذلك وانما صبرت) اى هنالك (اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدى مشيت يوما مع مالك الى العقيق) قال الجوهرى كل مسيل شقه ماء السيل فهو عقيق وقال الحلبى العقيق واد عليه مال من اموال اهل المدينة وهو على ثلاثة اميال وقيل ميلين وقيل سبعة قال ابن وضاح وهما عقيقان احدهما عقيق المدينة عق عن حرتها اى قطع وهو العقيق الاصغر وفيه بئر رومة والعقيق الآخر اكبر من هذا وفيه بئر على مقبرة منه وهو من بلاد مزينة وهو الذى اقطعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلال بن الحارث ثم اقطعه عمر الناس فعلى هذا تحمل المسافتان لا على الخلاف والعقيق الذى جاء فيه انك بواد مبارك هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة وهو الاقرب منهما والعقيق ميقات اهل العراق موضع قريب من ذات عرق قبلها بمرحلة او مرحلتين والظاهر انه ليس المراد وانما المراد واحد من التى بالمدينة ولعله الاول وفى بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى العقيق والله ولى التوفيق (فسألته عن حديث فانتهرنى) اى زجرنى (وقال لى كنت فى عينى اجل) اى اعظم (من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشى) جملة حالية (وسأله) اى مالكا (جرير بن عبدالحميد القاضى) اى الضبى يروى عنه احمد واسحق وابن معين وله مصنفات (وهو قائم) حال من مالك او من جرير (فامر) اى مالك (بحبسه فقيل له انه قاض فقال) اى مالك (القاضى احق من ادب) بصيغة المجهول اى هو اولى ليتأدب به غيره او ليتعلم الادب قال الدلجى ودب كذا بالواو والاصل الهمزة يعنى فابدلت الهمزة واوا كما فى

وكدوأكد انتهى لكن لااصل له هنا فات الودب سوء الحال لاعبر على ما فى القاموس زيادة على الصحاح (وذكر) بصيغة المفعول اى وحكى (ان هشام بن الغازى) وفى نسخة الغاز بلا ياء قال الحلبى هذا هشام بن الغاز بن ربيعة الجوشنى يروى عن مكحول وعطاء وقد توفى فى سنة ست وخمسين ومائة فهو معاصر لمالك وقد توفى قبل مالك والله تعالى اعلم بذلك وقال بعض الفضلاء لا نعلم لهشام بن الغازى رواية عن مالك رحمه الله وانما الحكاية عن هشام بن عمار الدمشقى ونقل ذلك عن الحافظ الرشيد العطار انتهى فاخطأ الدلجى فى جزمه بقوله وصوابه هشام بن عمار خطيب جامع دمشق ثم قوله واما ابن الغاز فتابعى لم يروعن مالك لموته قبل مالك غير صحيح لما ثبت قبل ذلك انه كان معاصرا لمالك وهو لا ينافى موته قبل مالك ثم لا يبعد انه سمع مالكا ولم يروعنه ولعل هذه القضية سبب ذلك والحاصل انه اوغيره (سأل مالكا عن حديث وهو واقف) اى قائم كما سبق (فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه) اى حن عليه لما وقع له من الاهانة لديه (فحدثه عشرين حديثا) اى استمالة لخاطره اليه واما قول الدلجى اى خاف عليه لضربه اياه بلا ذنب يوجب ذلك فغير مستقيم لانه يلزم من ذلك اسناد الذنب الى مالك مع ان للاستاذ تأديب الطالب بما يرى هنالك (قال) وفى نسخة فقال (هشام وددت) بكسر الدال اى تمنيت واحببت (لو زادنى سياطا) اى كثيرة (ويزيدنى حديثا) اى بدل كل سوط (قال عبد الله بن صالح) الظاهر انه ابو صالح الجهنى كاتب الليث روى عنه ابن معين والبخارى قال الفضل بن الشعرانى ما رأيته الا يحدث او يسبح (كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران) صفة لهما والاصل امتناع توسط الواو بين الصفة والموصوف كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون الا انها لما شابهت الحال توسطهما لتأكيد لصوقها بالموصوف كما فى قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (وكان قتادة يستحب) بصيغة الفاعل اى يستحسن (ان لا يقرأ) اى هو او احد ولا يبعد ان يضبط بصيغة المفعول (احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة) تأكيد لما قبله وضبط فى نسخة بصيغة المجهول فتحصل المغايرة بان يحمل الاول على فعله والثانى على غيره واما قول الدلجى اى بغسل بقرينة ما قبله فلا يدفع الاشكال بل يقوى الاعضال والله تعالى اعلم بالحال والاظهر ان يراد بالطهارة المعنى الاعم الشامل للتيمم ويؤيده قوله (وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء) جملة حالية اعتراضية بين الشرط وجزائه (تيمم) اى اعتناء بعظيم حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿فصل﴾

(ومن توقيره صلى الله عليه وسلم) اى تعظيمه وتكريمه (وبره) اى ومن طاعته فى امره وزجره (بر آله) اى احسان اهل بيته وعشيرته ولا وجه لتخصيص الدلجى هنا ببنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل وان خص الاولان بالخمس (وذريته) اى نسله وعترته السالمة لبناته وللحسنين واولادهما من الائمة وغيرهم (وامهات المؤمنين ازواجه) اى زوجاته الطاهرات وهن عائشة الصديقة بنت الصديق وخديجة بنت خويلد وحفصة بنت الفاروق وام حبيبة بنت ابى سفيان اخت معاوية وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابى امية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت ضرار وصفية بنت حيى كذا ذكره الدلجى وكان الاولى ان يقدم خديجة الكبرى ام فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما (كما حض عليه) بتشديد الضاد المعجمة اى حث وحرض على برهم (عليه السلام) اى فى احاديث كثيرة (وسلكه) اى مسلكه (السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم) اى بالقول والفعل كما وجب عليهم قال ابن الفقاعى السلف الصالح هم الصدر الاول من التابعين (قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) استيناف تعليل لامرهن بالامر الاهم ونهيهن عن ان يقترفن المآثم صونا لاعراضهن عن ان تتدنس بالرجس واستعير الرجس للمعصية تنفيرا لهن عنها وترغيبا فيما امرهن بخلافها ولعله سبحانه وتعالى خاطبهن بخطاب الذكور لانهن فى مقام الكمال كانهن فى حال الرجال كما قال تعالى فى حق مريم وكانت من القانتين وورد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواه احمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن ابى موسى والاظهر ان فيه تغليبا ليشمل بقية آله واهل بيته ولذا قال (اهل البيت) نصب على النداء او المدح (ويطهركم) عن الاخلاق الدنية والاحوال الرديئة (تطهيرا) اى بليغا كثيرا والرجس على ما قال الزهرى اسم لكل مستقذر من عمل واراد باهل البيت نساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانهن فى بيته وروى ذلك عن ابن عباس وعن ابى سعيد الخدرى وجماعة من التابعين انهم على وفاطمة والحسن والحسين اقول ولا منع من الجمع واما تخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما لما ورد انه عليه الصلوة والسلام خرج غداة يوم وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله فيه ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم على فادخله ثم قال انما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاجهم على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فردود بان تخصيصهم بكونهم اهل البيت يكذبه ماقبل الآية وما بعدها والحديث انما هو مؤذن بانهم من اهله لا ان غيرهم ليس باهله (وقال تعالى وازواجه امهاتهم) تشبيه لهن بالامهات فى وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن بدليل قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ولم يتعد الى بناتهن فانهن فى غير ذلك كالاجنبيات ولذا قالت عايشة رضى الله عنها لسنا امهات النساء ارادت انهن انما كن امهات الرجال لانهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم عليهم وهذا الحكم غير متحقق فى حق النساء لانهن لو كن امهاتهن لما جوز زواج بناتهن (اخبرنا الشيخ ابو محمد ابن احمد العدل) مبالغة العادل (من كتابه) متعلق باخبرنا (وكتبت من اصله) اى المروى عن مشايخه (نا) اى حدثنا (ابو الحسن المقرئ) بالهمزة فى آخره وقد يخفف اى معلم قرأة القرآن (الفرغانى) منسوب الى فرغانة بفتح الفاء وسكون الراء فعين معجمة ناحية من المشرق (حدثتنى ام القاسم بنت الشيخ ابى بكر الخفاف) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الفاء الاولى (قالت حدثنى ابى نا) اى قال حدثنا (حاتم) بكسر الفوقية (هو ابن عقيل) بالتصغير (حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحمانى) بكسر المهملة وتشديد الميم نون فياء نسبة (حدثنا وكيع) اى ابن الجراح احد الاعلام يروى عن الاعمش وغيره وعنه احمد ونحوه قال احمد مارأيت اوعى للعلم منه كان احفظ من ابن مهدى وقال حماد بن زيد لو شئت لقلت انه ارجح من سفيان وقال احمد لما ولى حفص بن غياث القضاء هجره وكيع (عن ابيه) اى الجراح بن مليح بن عدى الرواسى وثقه ابوداود ولينه بعضهم (عن سعيد بن مسروق) اى الثورى يروى عن ابى وائل والشعبى وعنه ابناه سفيان ومبارك وابوعوانة ثقة اخرج له الائمة الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح حاء مهملة فتحتية مشددة تيمى ثقة اخرج له مسلم وابوداود والنسائى (عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله) بفتح الهمزة وبضم الشين (اهل بيتى) بالنصب على نزع الخافض وفى نسخة طبق رواية اخرى فى اهل بيتى اى اسألكم الله فى حق اهل بيتى بالاحسان اليهم والشفقة عليهم او اقسم عليكم بالله ان تراعونى فى اهل بيتى (ثلاثا) اى قالها ثلاث مرات مبالغة فى الحث على احترامهم (قلت لزيد) وهو ابن ارقم راوى الحديث لان صاحب البيت ادرى بما فيه (من اهل بيته) اى من المراد بهم فى هذا الحديث (قال آل على وآل جعفر وآل عقيل) وهم اولاد ابى طالب (وآل عباس) وفى نسخة وآل العباس والمراد هم وآلهم ممن يرجع اليهم فى النسب مآلهم وقد يقحم الآل كما فى قوله تعالى آل موسى وآل هارون تفخيما لشانهما ثم اعلم ان هذا الحديث فى مسلم اخرجه فى الفضائل واخرجه النسائى فى المناقب ولو اخرجه القاضى من مسلم لوقع له اعلى من الطريق الذى ساقه وكذا لو اخرجه من النسائى الا انه اراد التنوع فى الروايات لان من شان الحفاظ ان الحديث اذا كان فى الكتب الستة او احدها يخرجونه من غيرها لكن فى الغالب انما يصنعون هذا طلبا للعلو او الزيادة فيه او تصريح مدلس بالسماع او الاخبار او التحديث او لكون الطريق اسلم او لغير ذلك مما هو معروف عند اربابه والله اعلم (وقال عليه الصلاة والسلام) اى فيما رواه الترمذى عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه (انى تارك فيكم ما) اى شيئا عظيما فما موصوفة صفتها (ان اخذتم به) او موصولة والشرطية صلتها اى ان تمسكتم به وعملتم به ويروى ما ان تمسكتم به (لن تضلوا) اى عن الحق بعده ابدا (كتاب الله وعترتى اهل بيتى) تفصيل بعد الاجمال وقع بدلا او بيانا (فانظروا) اى فتأملوا وتفكروا (كيف تخلفونى) بتخفيف النون وتشدد اى كيف تعقبونى (فيهما) اى فى حقهما ووقع فى اصل الدلجى كتاب الله وعترتى بين الشرط والجزاء وهو مخالف للاصول المعتمدة ثم المراد بعترته اخص قرابته وقيل المراد علماء امته فالتمسك بالقرآن التعلق بامره ونهيه واعتقاد جميع ما فيه وحقيقته والتمسك بعترته محبتهم ومتابعة سيرتهم (وقال عليه الصلوة والسلام) لايعرف راويه (معرفة آل محمد براءة من النار) اى من الم حرها وسقم بردها (وحب آل محمد جواز على الصراط) بفتح الجيم صك المسافر برخصة المرور والعبور اى سبب سهولة مجاوزته الصراط (والولاية) بفتح الواو اى النصرة والاعانة والمحبة (لآل محمد امان من العذاب) وبكسرها لغة ايضا كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ فقد قرأها حمزة بالكسر فقول الدلجى واما بكسرها فى الولاية بمعنى الملك ليس فى محله مع ان الولاية قد تأتى بمعنى تولى الامر وضد التبرى وبمعنى المحبة ومنه ماورد اللهم وال من والاه (وقال بعض العلماء معرفتهم هى معرفة مكانهم) اى مكانتهم وقرب شانهم (من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نسبا وحسبا (فاذا) وفى نسخة واذا (عرفهم بذلك) اى بما ذكر قربة ورتبة (عرف وجوب حقهم) فى التكريم (وحرمتهم) فى التعظيم (بسببه) اى بسبب نسبة النبى الكريم عليه التحية والتسليم (وعن عمر بن ابى سلمة) كما رواه الترمذى وهو ربيبه عليه الصلوة والسلام وابن اخيه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة مولاة عمه ابى لهب ولد بالحبشة (لما نزلت) اى هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

الآية وذلك) اى نزولها كان (فى بيت ام سلمة) اى زوجته عليه الصلوة والسلام ام الراوى وهى آخر امهات المؤمنين موتا توفيت فى امارة يزيد والجملة معترضة (دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء) جواب لما اى غطاهم به قدام وجهه (وعلى خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد ابن ابى وقاص) كما رواه مسلم (لما نزلت آية المباهلة) اى الملاعنة مفاعلة من البهلة وهى اللعنة فاذا اختلف قوم فى شئ اجتمعوا فقالوا لعنة الله على الظالمين منا والمراد من آية المباهلة قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل اى نتضرع الى الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين (دعا) جواب لما اى طلب (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلى) اى الاقربون (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما مر (فى على) اى فى حقه (من كنت مولاه) اى وليه وناصره (فعلى مولاه) اى يدفع عنه ما يكره قال الشافعى رحمه الله يعنى به ولاء الاسلام قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم والاظهر الاستدلال بقوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون لما روى انها نزلت فى على كرم الله وجهه وانما اتى بصيغة الجمع لتعظيمه او المراد به هو وامثاله مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا وذهب اكثرهم الى ان الحديث بمعنى البر والصلة ومراعاة الذمة ومنهم من ضعفه وقال ابو العباس معناه من احبنى وتولانى فليتوله وقال الحافظ ابو موسى اى من كنت اتولاه فعلى يتولاه قيل وكان سببه ان اسامة بن زيد قال لعلى لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام الحديث (وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما روى احمد عن ابى ايوب الانصارى انه عليه الصلوة والسلام قال فى على من كنت مولاه فعلى مولاه (اللهم وال من والاه) اى احب من احبه وراعاه (وعاد من عاداه) اى ابغض من ابغضه وما ارضاه قال فى الكشاف الموالاة خلاف المعاداة مفاعلة من الولى وهو القرب كما ان المعاداة مفاعلة من العدو وهو البعد (وقال) كما رواه مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فيه لا يحبك الا مؤمن) اى كامل الايمان (ولا يبغضك الا منافق) اى ناقص الايقان وقد روى عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن على رضى الله تعالى عنه قال عهد الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وورد فى بعض الاحاديث النظر الى وجه على عبادة (وقال للعباس رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن ماجه والترمذى وصححه (والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان) اى على وجه الاحسان (حتى يحبكم الله ورسوله) والخطاب لاهل بيت النبوة (ومن اذى عمى) اى العباس (فقد اذانى) اى فكأنه اذانى (وانما عم الرجل صنو ابيه) بكسر الصاد وقد تضم اى مثله فى ان اصلهما واحد فهو كالعلة لكون حكمهما فى الايذاء سواء واصله النخلتان تخرجان من اصل واحد ومنه قوله تعالى ونخيل صنوان وغير صنوان فالاخ صنو لاخيه الشقيق (وقال للعباس) كما روى البيهقى عن ابى اسيد الساعدى (اغد) بضم همزة وصل وضم الدال امر من غدا يغدو اى ائتنى غدوة وهى اول النهار (مع ولدك) بفتحتين وبضم فسكون اى اولادك من ذكور واناث لشمول الولد لهما (فجمعهم) اى غدوة عليه (وجللهم) بالجيم وتشديد اللام الاولى اى غطاهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بملاءته) بضم اوله وتخفيف اللام والمد اى ربطته او كسائه (قال اللهم هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء) اى اولاده (اهل بيتى فاسترهم من النار) اى دار القرار (كسترى اياهم) فى هذه الدار (فامنت) بتشديد الميم اى قالت آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء اى عتبته (وحوائط البيت) اى جدرانه المحيطة به من جميع جهاته (آمين آمين) اى مكررا وهو مقول على وجه التأكيد او من طريق التجريد وهو بالمد اشهر من قصره ولا يجوز تشديد ميمه على الصحيح وهو اسم مبنى على الفتح معناه استجب وفى الحديث آمين خاتم رب العالمين اى طابعه على العباد فكأنه خاتم الكتاب يصونه من الفساد (وكان اى النبى عليه الصلوة والسلام كما فى البخارى عن اسامة وغيره (يأخذ بيد اسامة بن زيد) اى ابن حارثة مولاه (والحسن) اى وبيد الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما (ويقول اللهم انى احبهما فاحبهما قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه ارقبوا محمدا) بضم القاف اى راعوه واحترموه (فى اهل بيته وقال) اى الصديق (ايضا) كما فى الصحيحين (والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احب الى ان اصل) اى صلتهم (من قرابتى) اى من صلة قرابتى لقرب مكانتهم عنده مع مراعاة قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما روى الترمذى وحسنه وابن ماجه عن يعلى بن مرة (احب الله من احب حسنا) وفى رواية حسينا وفى نسخة وحسينا والجملة دعائية ولا يبعد ان تكون خبرية (وقال) كما تقدم مرارا (من احبنى واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما) اى واحب اباهما

عليا المرتضى (وامهما) فاطمة الزهراء (كان معى) اى مشاركا لى (فى درجتى) اى جوارى (يوم القيمة) لان من احب قوما حشر معهم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله) رواه الترمذى وحسنه عن سهل ابن ابى وقاص بلفظ من يرد هوان قريش اهانه الله لانهم افضل بنى آدم اجمالا وهم ولد النضر بن كنانة من بنى اسمعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن (وقال) كما روى البزار عن على وابن ابى شيبة عن سهل ابن ابى خيثمة (قدموا قريشا) اى فى الخلافة ونحوها (ولا تقدموها) بحذف احدى التائين (وقال عليه الصلوة والسلام) كما فى البخارى (لام سلمة لا تؤذينى فى عايشة) اى لفضلها نسبا وحسبا روى ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عايشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان نساء النبى عليه الصلوة والسلام كن حزبين فحزب فيه عايشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر ام سلمة وسائر نسائه عليه الصلوة والسلام فكلم حزب ام سلمة ان كلمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول للناس من اراد ان يهدى الى النبى عليه الصلوة والسلام فليهده حيث كان فكلمته فقال لا تؤذينى فى عايشة فان الوحى لم يأتنى وانا فى ثوب امرأة الا عايشة وتمام الحديث فى المصابيح (وعن عقبة بن الحارث) كما فى البخارى (رأيت ابابكر) اى الصديق (رضى الله عنه وحمل الحسن على عنقه) جملة حالية (وهو) اى ابو بكر (يقول بابى) اى افديه بابى (شبيه بالنبى) اى هو شبيه به فى كثير من الوجوه (ليس شبيها بعلى) اى فى بعض الوجوه (وعلى يضحك) اى فرحا بفعل الصديق وقوله الدال على انه الصديق فى مقام التحقيق وممن كان شبيها به عليه الصلوة والسلام من آله جعفر بن ابى طالب وقثم بن العباس والسائب بن يزيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب جد الشافعى وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومن غير آله كثيرون منهم شخص من اهل البصرة يقال له كابس بن ربيعة بن مالك السامى بالسين المهملة قبله معاوية بين عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا رآه بكى وسيأتى قريبا ذكر كابس فى اصل الكتاب وقال الذهبى فى التهذيب فى ترجمة عبد الله بن جعفر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتاهم بعد ما اخبرهم بقتل جعفر فقال لا تبكوا بعد اليوم وذلك بعد ثلثه ثم قال ائتونى بنى اخى فجئ بنا كانا افرخ فقال ادعوا الى الحلاق فامره فحلق رؤسنا ثم قال اما محمد فشبه عمنا ابى طالب واما عبد الله فشبه خلقى وخلقى ثم اخذ بيدى فاشالها ثم قال اللهم اخلف جعفرا فى اهله وبارك لعبد الله فى صفقته فجاءت امنا فذكرت يتمنا فقال العيلة تخافين عليهم وانا وليهم فى الدنيا والآخرة هذا والحسن بن على كان يشبهه بنصفه الاعلى والحسين بنصفه الاسفل ولعل هذا هو السر فى ان اكثر الذرية من الحسين رضى الله تعالى عنه (وروى عن عبد الله بن الحسن) اى ابن حسن كما فى نسخة وهو ابن على بن ابى طالب يروى عن ابيه وامه فاطمة بنت الحسين وعنه مالك وابن علية خرج له اصحاب السنن الاربعة مات سنة خمس واربعين ومائة (قال اتيت عمر بن عبد العزيز) اى ابن مروان بن الحكم (فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل الى) اى احدا (واكتب) اى لى كتابا واذكر حاجتك ويروى او اكتب الى (فانى استحيى من الله ان يراك) وفى نسخة ان اراك (على بابى وعن شعبى) فيما رواه الحاكم وصححه البيهقى وغيره (قال صلى زيد بن ثابت) اى الانصارى (على جنازة امه ثم قربت له بغلته) بصيغة المجهول (ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد) تكريما له وتعظيما (خل عنه) اى دع الركاب وتباعد منه (يا ابن عم رسول الله فقال) اى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (هكذا نفعل) وفى نسخة هكذا امرنا ان نفعل (بالعلماء) اى اكراما واحتراما فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا) بصيغة المفعول اى امرنا الله ورسوله (ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وراى ابن عمر محمد بن اسامة) اى ابن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ليت هذا عبدى) بفتح اوله وسكون الموحدة من العبودية بمعنى المملوكية وهى كما فى المطالع رواية البيهقى ورواية الكافة بكسر اوله وسكون النون والاول اوجه انتهى وقال المزى بالنون هو المشهور وقال الحجزى وهو الصحيح فى الشفاء قيل وكذا فى البخارى الذى سمع على العراقى بالقلم (فقيل له) اى لابن عمر رضى الله تعالى عنهما (هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) اى اطرقه (ونقر بيده الارض) اى حياء مما صدر عنه (وقال) اى ابن عمر فى حقه (لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه) اى كحبه اباه اسامة (وقال الاوزاعى) كما حكى ابن عساكر فى تاريخ دمشق (دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومولاه واسمها فاطمة (على عمر بن عبد العزيز) اى حين كان امير المدينة نيابة عن ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان او فى ايام خلافته (ومعها مولى لها يمسك بيدها) اى يقودها لكبرها اولضعف بصرها (فقام لها عمر) اى ابن عبد العزيز (ومشى اليها) اى خطوات (حتى جعل يديها) وفى نسخة يدها (بين يديه ويداه فى ثيابه) اى تأدبا معها (ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه) بفتح اللام وهو موضع التكرمة وهو الذى نهى الشارع عن الجلوس فيه بغير اذن صاحبه

و بكسرها المحل الذي يجلس فيه كما يقال مسجد بالكسر للبيت الطاهر الذي يسجد فيه و بالفتح لموضع الجبهة في السجود (وجلس بين يديها) اى متوجها اليها (ومارك لها حاجة الاقضاها) لكونها بنت حبه ومولاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) اى في ديوان الارزاق على مارواه الترمذي وحسنه (لابنه عبدالله في ثلاثة آلاف) اى من الدراهم (ولاسامة في ثلاثة آلاف وخمسمائة) اى زيادة على ما فرض لابنه مع ان كليهما صحابي ابن صحابي وجلالة عمر وفضيلة ابنه غير مخفية على احد وكان التقسيم حينئذ بحسب المراتب في المناقب لا على عدد الرؤس كما في زمن الصديق رضي الله تعالى عنه (قال عبدالله لابيه لم فضلته) اى اسامة على بما فضلته (فوالله ماسبقني) اى اسامة (الى مشهد) اى من المشاهد (فقال) اى عمر (له) اى لابنه انما فضلته (لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابيك) قاله تواضعا والا فهو كان احب اليه من زيد لما في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قلت يارسول الله اى الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر ولعل زيدا كان احب الموالي اليه وفاطمة احب بناته وعليا احب اقاربه فلا تعارض (واسامة احب اليه منك) اى من حيثية كونه ابن مولاه (فآثرت) اى اخترت بالتقديم والتخصيص (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حبي) بكسر الحاء فيها بمعنى المحبوب ويجوز ان تكون مضمومة مصدر حب قال الحلبي الحديث في البخاري في الهجرة عن نافع مولى ابن عمر ان عمر كان فرض للمهاجرين الاولين اربعة آلاف وفرض لابن عمر ثلاثة الاف وخمسمائة فقيل له هو من المهاجرين فلم نقصته من اربعة آلاف قال انما هاجر به ابواه يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه ولعل مانقله القاضي كان اولا ومافي الصحيح كان آخرا انتهى ولايخفى انه لامنع من الجمع في وقت واحد ايضا ثم قال وقوله هاجر به ابواه فيه نظر لان امه زينب بنت مظعون ماتت بمكة ولم تهاجر واجيب بان المراد بالابوين هنا الاب وزوجة الاب (وبلغ معاوية) اى ابن ابي سفيان كما روى ابن عساكر (ان كابس بن ربيعة) قد سبق ذكره (يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى في الصورة فوجه معاوية اليه (فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه) اى بالاقبال بين يديه والمثول لديه (وقبل بين عينيه) اى ما بينهما (واقطعه المرغب) بميم مكسورة وقد تفتح فراء ساكنة فمعجمة فموحدة موضع اى جعله له اقطاعا ينفرد به انتفاعا (لشبهه) بفتحتين اى لمشابهته (صورة رسول الله) بالاضافة (صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله) وهو ابن انس صاحب المذهب (لما ضرب جعفر بن سليمان) اى ابن علي بن عبدالله بن عباس فهو ابن عم ابي جعفر المنصور بقول بعضهم له انه لايرى الايمان لبيعتكم شيئا لان يمين المكره لاتلزم فغضب جعفر ودعاه وجرده (ونال منه مانال) اى من ضرب وغيره فانه مدت يده حتى انخلعت كتفه او ازيلت منه (وحمل) اى الى بيته (مغشيا) اى عليه كما في نسخة (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) اى من غشيته (فقال) وفي نسخة وقال اى لمن في حضرته (اشهدكم انى جعلت ضاربي) اى الآمر بضربي ويروى صاحبي (في حل) اى في براءة من ضربه اياى (فسأل) اى مالك (بعد ذلك) اى بعد جعله في حل عن سببه هنالك ويروى فقيل له في ذلك (فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحي منه ان يدخل بعض آله) اى من ان يدخل بعض اقاربه من بني عمه (النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر) اى طلب ان يقتص له منه ويقيده ففيه تجوز والمعنى اراد ان يؤديه لقلة ادبه مع مالك (فقال له) اى مالك (اعوذ بالله) اى من ذلك (والله ماارتفع منها) اى من اسواطه (سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلم يزل مالك في علو ورفعة بعد ذلك (وقال ابوبكر بن عياش) تحتية مشددة وشين معجمة هو ابن سالم الاسدي الحناط بالحاء المهملة والنون المشددة المقرئ احد الاعلام اختلف في اسمه على احد عشر قولا وصحح ابوزرعة ان اسمه شعبة ووافقه الشاطبي وصحح ابن الصلاح والمزي ان اسمه كنيته يروى عن حبيب بن ابي ثابت وعاصم وابي اسحق وعنه احمد وعلي واسحق وابن معين والعطاردي قال احمد صدوق ثقة ربما غلط وقال ابوحاتم هو وشريك في الحفظ سواء وفي الميزان انان غيره يقال لكل منهما ابو بكر بن عياش قال الانطاكي مات في جمادي الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وله ست وتسعون سنة اخرج له البخاري والاربعة (لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما) اى قبل الشيخين (لقرابته) اى القريبة ويروى لقرباه (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا له وجه وجيه في الاقدمية من هذه الحيثية واما قوله (ولأن اخر) بفتح همزة وكسر خاء معجمة وتشديد راء اى لأن اسقط (من السماء الى الارض) اى من المقام الاعلى الى المكان الادنى (احب الى من ان اقدمه عليهما) اى في الافضلية فدفع توهم التفضيل في القضية ثم فيه انه يجب على التابع ان يقدم من قدمه المتبوع ولذا اذن عمر رضي الله تعالى عنه بالدخول لبلال وسلمان قبل العباس وابي سفيان رضي الله تعالى عنهم حين اجتمعوا على باب عمر فقال ابو سفيان للعباس اريد ان يقدم

علينا الموالي فقال العباس الذنب منا حيث تأخرنا فيما كان يجب التقدم علينا وهذا الذي اختاره ابن عباس رأى له والا فالجمهور على ان الافضل يستحق التقديم في كل شيء فتأمل (وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه ابو داود والترمذي وحسنه (ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي وسميت باسمها الا ان الراوي نسيها (فسجد) اي لعظم المصيبة وفقد الاعزة ولا يبعد ان يكون المراد بسجد صلى ركعتين لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة (فقيل له) اي لابن عباس (اتسجد في هذه الساعة) بهمزة الاستفهام التعجبية بناء على مخالفة العادة العرفية (فقال) اي ابن عباس (اليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم آية) اي علامة خارقة للعادة من نحو كسوف وخسوف وشدة ريح وكثرة ظلمة (فاسجدوا) اي فصلوا (واي آية اعظم) اي خطرا وافخم قدرا (من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي واحدة بعد واحدة حيث انهن من اخص اصحابه واقرب احزابه (وكان ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) اي مع جلالتهما (يزوران ام ايمن) واسمها بركة (مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ترجمتها (ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها) اي فينبغي علينا زيارتها تبركا بها وتأسيا بزيارته اياها والحديث رواه مسلم (ولما وردت) كما روى ابن سعد عن عمر بن سعد بن ابي وقاص مرسلا قال لما وردت (حليمة السعدية) اي امه من الرضاعة (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي زائرة مسترفدة وفي سيرة الدمياطي ان الواردة عليه انما هي ابنتها الشيماء اخته من الرضاعة (بسط لها رداءه وقضى) اي نفذ (حاجتها) رعاية لحرمة الرضاعة وفي الحديث حسن العهد من الايمان (فلما توفي) اي رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت) وفي نسخة صحيحة وفدت اي امه او اخته من الرضاعة (على ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك) اي مثل صنيعه عليه الصلوة والسلام في الاكرام ومزيد الانعام مراعاة لحرمتها وتأسيا برعايتها ثم اعلم ان العلامة ابا محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي انكر اسلام حليمة وقال ان هذه القصة للشيماء ابنتها لكن رد عليه مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة فيمكن الجمع بينهما في القضية والله تعالى اعلم بالحقيقة الحقية

﴿فصل﴾

(ومن توقيره) اي تعظيمه (وبره) اي ومن احسانه (عليه الصلوة والسلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم) اي حقوقهم من فتح البلاد ودفع اهل الفساد وايصال انواع العلوم الى اصناف العباد (والاقتداء بهم) اي في افعالهم واقوالهم لقوله عليه الصلوة والسلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (وحسن الثناء عليهم) اي اجمالا كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وكذا في مقام التفصيل اكما لا تبجيلا له عليه الصلوة والسلام واجلالا (والاستغفار لهم) لقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية (والامساك عما شجر) اي اختلف (بينهم) وما وقع لهم من التشاجر والاختلاف الصادر عنهم باجتهاد فلمصيبهم اجران ولمخطئهم اجر واحد كما ورد وكما قال الشاطبي رحمه الله تعالى

﴿ وسلم لاحدى الحسنيين اصابة * والاخرى اجتهاد رام صوبا فامحلا ﴾

وفي الحديث اذا ذكر اصحابي فامسكوا وفي حديث آخر اياكم وما شجر بين اصحابي (ومعاداة من عاداهم) اي من الرافضة والناصبة لان الصحابة لا شك انهم اولياء الله وقد ورد من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب (والاضراب) اي الاعراض (عن اخبار المؤرخين) بفتح الهمزة وكسرها اي عن اقوال اصحاب التواريخ فان غالبهم غير صحيح بل كذب صريح (وجهلة الرواة) اي ممن نقلوا الحكايات عن غير الثقات (كالرافضة) اي الطائفة التي رفضوا محبة الصحابة (وضلال الشيعة) اي ممن زعم مشايعة علي ومتابعته وهو بريء منهم ومتبعد عنهم واصل الشيعة الفرقة المتفقة على ملة من الطريقة ومنه قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء الآية وتطلق على الفرقة الذين يفضلون عليا كرم الله وجهه ويزعمون انهم من شيعته اي من اتباع سيره (والمبتدعين) اي في الدين كبعض المعتزلة (القادحة في احد منهم) اي الطاعنة في احد من الصحابة وهم برآء واتقياء فيجب ان نسكت عنهم (وان يلتمس لهم) بصيغة المفعول وكذا (فيما نقل عنهم) اي في حقهم (من مثل ذلك) اي من موجب طعنهم (فيما كان بينهم من الفتن) اي المؤدية الى المحن اي يطلب (احسن التأويلات) اذ كلهم عدول بشهادة الله تعالى لهم حيث قال وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدولا (ويخرج لهم) بتشديد الراء المفتوحة اي يحمل لافعالهم (اصوب المخارج) اي المحامل (اذ هم اهل لذلك) اي احقاء به هنالك (ولا يذكر احد منهم بسوء) لان الله قد اثنى عليهم في مواطن كثيرة من كتابه ووصى النبي عليه الصلوة والسلام امته في تعظيم اصحابه بنحو قوله لا تسبوا اصحابي مع تعميم قوله عليه الصلوة والسلام لا تذكروا موتاكم الا بخير ولانه من الفواحش المحرمة باجماع اهل السنة على خلاف انه يعزر فاعله او يقتل

(ولايغمص) بصاد مهملة على صيغة المجهول اى لايعاب (عليه) اى على احد منهم (امر) اى يعطن به فيه الحديث الله الله فى اصحابى اى اتقوه فيهم فلاتنقصوهم ولاتحقروهم بل عظموهم ووقروهم وفى الحديث لما قتل ابن آدم اخاه غمص الله الخلق اى صغرهم وحقرهم فنقصهم وطعن فيهم طولا وعرضا وقرة وقوتا وفى نسخة يغمض بضاد معجمة والظاهر انه تصحيف وقيل فى معناه اى يصغر او يحتقر واغمض نام وفى الامر والبيع استجاز مالايستجاز اوحط من ثمنه (بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم و يسكت عما وراء ذلك) اى عن غيره مما لايليق بهم هنالك (كما قال عليه الصلوة والسلام) فيما رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود رضى الله عنه (اذا ذكر اصحابى فامسكوا) اى عن الطعن فيهم وذكرهم بما لاينبغى فى حقهم (قال الله تعالى محمد رسول الله) هو خبر مبتدأ محذوف هو هو والجملة من مبتدأ وخبر (والذين معه) اى من الصحابة مبتدأ خبره (اشداء على الكفار رحماء بينهم) اى بالنسبة الى الابرار وسائر المؤمنين ولومن الفجار لقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (الى آخر السورة) يعنى (تراهم ركعا سجدا) اى راكعين ساجدين فى غالب اوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) فى سائر حالاتهم وهو بكسر الراء وضمها (سيماهم) اى علامة انوارهم لايحة (فى وجوههم من اثر السجود) اى من تأثير طاعاتهم واسرارهم (ذلك) اى الذى وصفوا به (مثلهم) اى صفتهم العجيبة وحالاتهم الغريبة المذكورة (فى التورية ومثلهم فى الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع) تمثيل مستأنف (اخرج شطأه) بسكون الطاء وفتحها اى فراخه من اشطأ الزرع اذا افرخ (فآزره) من الموازرة اى المعاونة واصل معناه من جهة مبناه شد ازره وقواه (فاستغلظ) اى صار غليظا اى بعد ما كان دقيقا رقيقا (فاستوى على سوقه) بالواو والهمز جمع ساق بالوجهين اى استقام على قصبه قيل فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (يعجب الزراع) بكثرته وقوته واستحكام حالته حتى اعجب الناس من الابرار (ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من بيانية عند اهل السنة (مغفرة واجرا عظيما) هذا وقيل قوله تعالى والذين معه كناية عن الصديق واشداء على الكفار عبارة عن الفاروق ورحماء بينهم اشارة الى عثمان تراهم ركعا سجدا ايماء الى على يبتغون فضلا من الله ورضوانا تعميم بعد تخصيص واستدل به على تكفير الروافض والخوارج الفجار حيث قال تعالى ليغيظ بهم الكفار (وقال) اى عزوجل (والسابقون) اى فى مراتب الايمان ومراتب الاحسان (الاولون من المهاجرين) وهم من اسلم قبل الهجرة او من صلى الى القبلتين اومن شهد بدرا (والانصار) اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة والعقبة الثانية وكانوا سبعين ومن آمن حين قدم عليهم ابوزراره مصعب بن عمير (الآية) اى والذين اتبعوهم باحسان اى اللاحقون بهم الى يوم القيمة رضى الله تعالى عنهم بقبول طاعتهم المرضية ورضوا عنه بما منحهم به من النعم الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى تحتها وفى قرأة المكى من تحتها الانهار خالدين فيها اى مقدرين الخلود فى نعيمها ذلك الفوز العظيم (وقال) اى عز وعلا وفى نسخة وقال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) اى فى الحديبية (تحت الشجرة) وتسمى بيعة الرضوان وقد تقدمت القضية (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من قتالهم اعداء الله وثباتهم مع رسول الله وهم عثمان ابن عفان وطلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد وحمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير ونحوهم (الآية) اى فمنهم من قضى نحبه اى نذره حتى قتل شهيدا كحمزة ومصعب وانس بن النضر ومنهم من ينتظر ان يقضى نحبه اى نذره ليفوز بالشهادة كعثمان وطلحة وسعيد ومابدلوا عهدهم تبديلا ولقد ثبت معه طلحة يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة (حدثنا القاضى ابوعلى) اى ابن سكرة (نا) اى حدثنا (ابوالحسين) اى المبارك ابن عبدالجبار الصيرفى (وابوالفضل) اى ابن خيرون (قالا) اى كلاهما (نا ابو يعلى) اى البغدادى احمد بن عبدالواحد المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو على السنجى) بكسر اوله (نا محمد بن محبوب) المشهور بالمحبوبى (ثنا الترمذى) وهو الحافظ ابوعيسى صاحب السنن (نا الحسن) وفى نسخة محمد الحسين بالتصغير (ابن الصباح) بتشديد الموحدة وهو البزار براء فى آخره (نا سفيان بن عيينة) وهو الامام الجليل (عن زائدة) اى ابن قدامة ابو الصلت الثقفى الكوفى ثقة حجة صاحب سنة توفى غازيا بالروم سنة ستين ومائة اخرج له الائمة الستة (عن عبدالملك) رأى عليا وسمع جريرا والمغيرة والنعمان بن بشير وعنه شعبة والسفيانان اخرج له الائمة الستة (ابن عمير) بالتصغير (عن ربعى) بكسر راء فسكون موحدة وكسر مهملة فتشديد تحتية (ابن حراش) بكسر مهملة وتخفيف راء وفى آخره معجمة هو ابو مريم العبسى سمع عمر وابن مسعود وعنه منصور وابو مالك الاشجعى حجة كانت الله لم يكذب قط وحلف انه لا يضحك حتى يعلم ابن مصيره فاضحك الابعد موته توفى سنة اربع ومائة اخرج له الائمة الستة (عن حذيفة) هو ابن اليمانى ابوعبدالله العبسى وفى الصحابة جماعة يقال لكل منهم حذيفة ومنهم من له رواية فلهذا ميزت هذا بابيه واليمانى

اثبات الياء فيه اصح من تركها وهو صحابي ايضا رضي الله تعالى عنهما ثم اعلم ان هذا الحديث قد اخرجه المصنف من عند الترمذي كما رأيت وقد اخرجه الترمذي في المناقب به ورواه ايضا من طريق اخرى واخرجه ابن ماجه في السنة من طريقين وقد اخرجه ابن حبان والحاكم من حديث حذيفة ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وصحح اسناده (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر) هذا امر بطاعتهما متضمن لثنائه عليهما ومؤذن بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما ومشير الى انهما يكونان خليفتيه من بعده (وقال) اي النبي عليه الصلوة والسلام كما روى عبد بن حميد عن ابن عمر (اصحابي كالنجوم) بجامع الاهتداء اذ بها يقتدى في غياهب الظلمة الشنيعة وبهم يهتدى الى محاسن مراتب انوار الشريعة (بايهم اقتديتم اهتديتم) ولعل الحديث مقتبس من قوله سبحانه وتعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ويقويه قوله عليه الصلوة والسلام العلماء ورثة الانبياء ثم اعلم ان قوله وقال اصحابي حديث آخر وقد اخرجه الدار قطني في الفضائل وابن عبد البر من طريقه من حديث جابر وقال هذا اسناد لا تقوم به حجة ورواه عبد بن حميد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال البزار منكر لايصح ورواه ابن عدي في الكامل باسناده عن نافع عن ابن عمر بلفظ فايهم اخذتم بقوله بدل اقتديتم واسناده ضعيف ورواه البيهقي في المدخل من حديث عمر ومن حديث ابن عباس بنحوه ومن وجه آخر مرسلا وقال متنه مشهور واسانيده ضعيفة قال الحلبي وكان ينبغي للقاضي ان لا يذكره بصيغة جزم لما عرف عند اهل الصناعة وقد سبق له مثله مرارا اقول يحتمل انه ثبت باسناد عنده اوحمل كثرة الطرق على ترقيه من الضعيف الى الحسن بناء على حسن ظنه مع ان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال والله اعلم بحقيقة الاحوال (وعن انس رضي الله تعالى عنه) في رواية البزار وابي يعلى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل اصحابي) زاد البغوي في المصابيح وشرح السنة في امتي (كمثل الملح في الطعام) بجامع الصلاح اذ بهم صلاح الدنيا وفلاح العقبى (لا يصلح الطعام الا به) اي بالملح بحسب الحاجة الى القدر المصلح له قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح (وقال) عليه السلام (الله الله) بنصبهما اي اتقوه اوراعوه (في اصحابي) اي خاصة (لا تتخذوهم غرضا) اي هدفا للطعن (بعدي) اي بعد موتي او بعد غيبتي لاني اقوم لهم بنصرتي في حياتي وحضرتي (فمن احبهم فبحبي) اي اياهم او فبحبهم لي (احبهم) ويؤيده قوله (ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم) وهذا بحسب الاعتقاد والاحوال واما باعتبار الاقوال والافعال فكما بينه بقوله (ومن اذاهم) اي باللسان اوالاركان (فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله) فكانه اذاه (ومن اذى الله يوشك) بكسر الشين وتفتح اي يقرب (ان يأخذه) اي اخذ شديد ويؤاخذه بعذاب اكيد ولعل الحديث مقتبس من مجموع قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعدلهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) اي النبي عليه الصلوة والسلام كما رواه مسلم وغيره (لا تسبوا اصحابي) قال النووي هو من اكبر الفواحش وسيأتي عن المصنف انه عده من الكبائر ويعزر عند الجمهور ويقتل عند بعض المالكية وكذا عند بعض الحنفية في بعض كتبهم ان سب الشيخين كفر (فلو انفق احدكم) اي كل يوم كما رواه عبد بن حميد في مسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعا لو انفق احدكم كل يوم (مثل احد) اي ما لا قدره اوانفاقا مثله (ذهبا) تمييز (مابلغ) اي جميعه (مد احدهم) وفي نسخة صحيحة مداصحابي وهو بضم ميم وتشديد دال وخص بالذكر لانه اقل ما كانوا يتصدقون به واصله كان الرجل يمد كفيه فيملأهما طعاما اي قدر مد طعام احدهم مما انفقوا في محلهم (ولا نصيفه) لمقارنه من صدق نية وصفاء طوية مع شدة الحاجة وكمال القلة وقد ورد سبق درهم مائة الف درهم والنصيف بفتح فكسر بمعنى النصف بتثليث النون كما يقال عشر وعشير وقال الارزنجاني في شرح المشارق النصيف مكيال معروف وهو دون المد والضمير في نصيفه راجع الى احدهم لا الى المد والمعنى ان احدكم لا يدرك بانفاق مثل احد ذهبا من الفضيلة ما ادرك احدهم بانفاق مد من الطعام اونصيف منه ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (وقال) اي فيما رواه الديلمي عن عويم بن ساعدة وابو نعيم في الحلية عن جابر رضي الله عنه (من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) تأكيد لمن ذكرا وللناس فقط اي كلهم اي الطرد والبعد عن الحق والسب والذم من الخلق (لا يقبل الله منه) اي ممن سبهم (صرفا) بفتح الصاد المهملة وسكون الراء اي توبة اونافلة (ولا عدلا) بفتح العين وسكون الدال اي فدية اوفريضة وقال الماوردي الجمهور على ان الصرف الفريضة والعدل النافلة وعكسه الحسن وقال الاصمعي ان الصرف التوبة والعدل الفدية ومعنى القبول تكفير الذنوب بهما قال النووي

ومعنى الفدية هنا انه لايجد فى القيامة فداء يفتدى به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله تعالى على من يساء منهم بان يفديه من النار بيهودى اونصرانى كما ثبت فى الصحيح وفى الحديث ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابوابها دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد لها مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان اهلا لها والا رجعت الى قائلها (وقال) كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه (اذا ذكر اصحابى فامسكوا) اى عن الطعن فيهم (وقال) كما رواه الديلمى (فى حديث جابر رضى الله عنه ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابى) وخيرغيرهم بطريق الاولى وكذا من الامم الاولى (وفى اصحابى كلهم خير) لحديث خيركم قرنى فهم خيرة الله من خلقه بفتح الياء وسكونها اى من اختاره الله (وقال) كما روى الطبرانى فى الاوسط عن ابى سعيد الخدرى بسند حسن (من احب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى) لما اوتيه من كرم الشيم وعلو الهمم (قال) وفى نسخة وقال (مالك ابن انس رضى الله تعالى عنه وغيره) اى من العلماء (من ابغض الصحابة) اى بجنانه (وسبهم) اى بلسانه والواو بمعنى او (فليس له فى فيئ المسلمين حق) اى فيما ينال من اهل الشرك بعد ما تضع الحرب اوزارها وحكمه ان يكون لكافة المسلمين فاراد مالك رحمه الله بنفى حق من ابغض الصحابة وسبهم من الفيئ انه يخرج بذلك عن جماعة المسلمين (ونزع) بنون مفتوحة فزاى فمهملة بصيغة الفاعل وقيل بصيغة المفعول اى بعد عن الفيئ فلاحق له فيه فهو تأكيد لما قبله فتكون الباء فى قوله (بآية الحشر) سببية والاظهر انه بصيغة الفاعل وان ضميره الى مالك وغيره يقال نزع باية من القرآن اذا تلاها محتجا بها اى واستدل كل منهم على قوله ذلك بآية الحشر وهى قوله تعالى (والذين جاؤا) عطف على المهاجرين فى قوله للفقراء المهاجرين اى وللفقراء الذين جاؤا (من بعدهم) حين قوى شأن الملة اوهم تابعوهم باحسان الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اى آمنوا قبلنا (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) اى حقدا وغشا (للذين آمنوا) اى من السابقين واللاحقين (ربنا انك رؤف رحيم) بالمحسنين روى عن مالك رحمه الله انه قال من تنقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوكان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فيئ المسلمين ثم تلا قوله تعالى وما افاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ قوله رؤف رحيم اراد ان الله تعالى قد بين من له الحق فى الفيئ فى هذه الآية ورتبهم على ثلاث منازل الفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار يعنى المدينة وهم الانصار والذين جاؤا من بعدهم يعنى التابعين الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفرلنا الى قوله تعالى ولاتجعل فى قلوبنا غلا اى بغضا للذين آمنوا قال فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين (وقال) اى مالك بن انس رضى الله عنه (من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار) وعن مالك ايضا انه قال حين تلا قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار من اصبح وفى قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان) اى صفتان كريمتان (من كانتا فيه نجا) من محن الدنيا والاخرة (الصدق) اى مع الحق والخلق (وحب اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال ايوب) وفى نسخة ابو ايوب وهى غير صحيحة (السختيانى) بفتح اوله وضمه وسكون المعجمة وكسر التحتية سبق ذكره (من احب ابابكر) اى محبة كاملة (فقد اقام الدين) اى بقدم تقدم اليقين (ومن احب عمر فقد اوضح السبيل) اى بين سبيل الله وهو الاسلام وعينه (ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله) اى عن الاستضاءة بما سواه (ومن احب عليا فقد اخذ) وفى نسخة استمسك (بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كلهم (فقد برئ من النفاق) اى فهو مؤمن كامل صادق فى الوفاق (ومن انتقص) وفى نسخة ومن ابغض (احدا منهم فهو مبتدع) اى صاحب بدعة (مخالف للسنة والسلف الصالح) اى من اكابر الامة (واخاف ان لايصعد) بفتح اوله وبضمه اى لايطلع (له عمل الى السماء) يعنى لايقبل منه طاعة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه) اى لهم كما فى نسخة (سليما) اى من الغل والحقد (وفى حديث خالد بن سعيد) اى ابن العاص بن امية بن عبد شمس كنيته ابو سعيد وخالد هو ابن عمرو بن سعيد فسعيد جده قالت بنته ام خالد واسمها امية كان ابى خامسا فى الاسلام وقيل كان رابعا اوثالثا قيل واسلم قبل ابى بكر اوقبل على رضى الله عنه والله اعلم (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال) قال الحلبى وهو صحابى مشهور لكن لااستحضر له شيئا فى الكتب الستة ولافى مسند احمد ولافى مسند بقى ابن مخلد وان كان هذا من غيرهم فان كان تابعيا كان هذا الحديث مرسلا والا فمعضلا انتهى ووجدت بخط شيخ مشايخنا الحافظ السخاوى على هامش حاشية الحلبى ماصورته وجدت بخط الحافظ ايبك على بعض نسخ الشفاء ماصورته كذا فيه خالد بن سعيد وانما هو خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشى والحديث ليس من روايته عن النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم ولاعن الصحابة وانما رواه خالد عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك بن اخي كعب بن مالك عن ابيه عن جده سهل قال لما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال(ايها الناس انى راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس انى راض عن عمر وعن على وعن عثمان) وفى نسخة وعن عثمان وعن على(وطلحة) وفى نسخة عن طلحة اى ابن عبيد الله (والزبير) اى ابن العوام (وسعد) اى ابن ابي وقاص (وسعيد) اى ابن ابي زيد بن عمرو بن نفيل (وعبدالرحمن بن عوف) اى الزهرى (فاعرفوا ذلك لهم) ولم يذكر اباعبيدة مع انه عاشرهم ولعله سقط من الراوى(ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية) بالتخفيف وتشدد وهى قرية سميت ببئرهناك عندمسجد الشجرة بينها و بين مكة مرحلة وقدجاء فى الحديث وهى بئر قال ابوحنيفة ومالك وهى من الحرم وخالفهما الشافعى رحمهم الله وقال ابن القصار والواحدى بعضها من الحلل وفى صحيح البخارى والحديبية خارج الحرام اى باعتبار بعضها فلا ينافى ما تقدم والله تعالى اعلم (احفظونى) اى راعونى(فى اصحابى واصهارى)اى خصوصا وهم آباء زوجاته ابو بكر وعمروابو سفيان رضى الله عنهم (واختانى) اى ازواج بناته عثمان وعلى وابوالعاص بن ربيعة (لايطالبنكم احد منهم بمظلمة) بكسر اللام من الظلم وهوالجور وبالفتح اسم ما يأخذه الظالم وقيل كل منهما يطلق على الاحر والكسر اكثر وعليه الاكثر(فانها)اى مظلمتهم(مظلمة لاتوهب فى القيامة غدا) والحديث رواه الطبرانى فى معجمه الكبير من رواية على بن محمد بن يوسف بن شبسان بن مسمع ثنا سهل بن يوسف بن سهل بن اخي كعب عن ابيه عن جده فذكره(وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء (ابن عمران) وهو ابو مسعود الازدى الموصلى احد الاعلام يروى عنه بشر الحافى وغيره قال سفيان الثورى رحمه الله هو ياقوتة العلماء اخرج له البخارى وغيره (ابن عمر بن عبد العزيز) اى مقامه فى العدل والفضل (من معاوية فغضب) اى من قوله لما لاح له من اضمار افضلية ابن عبد العزيز على معاوية (وقال لايقاس على اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم احد) اى لانهم خير من بعدهم لما سبق من حديث الديلمى والبزار ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين وحديث الصحيحين خير امتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم عد بعض مناقبه التى تقتضى علو مراتبه حتى بالنسبة الى بعض اصحابه فقال(معاوية صاحبه وصهره) اى اخو ام حبيبة من امهات المؤمنين(وكاتبه) اى لمكاتبه وغيرها (وامينه على وحى الله عزوجل) اى حيث كان يكتب الوحى على خلاف فيه ولعل السائل سأله عن عمله وزهده وعدله لكن المسئول عدل عن جوابه لقوله عليه الصلوة والسلام اذا ذكر اصحابى فامسكوا وللايماء الى ان كل ما وقع منه يكون مكفرا ببركة صحبته ونتيجة خدمته ولذا لما سئل بعض العلماء مثل هذا السؤال قال فى الحال لغبار انف فرس معاوية مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خير من الف عمر ابن عبد العزيز ويؤيده قوله تعالى لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ومعاوية وان اسلم عام الفتح لكن له سبق ظاهر على من اسلم بعده سواء كان من الصحابة اوالتابعين والحاصل انه لا احد من علماء هذه الامة ومشايخ هذه الملة يبلغ مرتبة الصحابة ومنقبة الخدمة فان رؤيته عليه الصلوة والسلام كانت اكسيرا تؤثر تأثيرا كثيرا لمن رآه وآمن به صغيرا اوكبيرا (واتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيئ (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها (فلم يصل عليه وقال) اى جوابا للسؤال عن الاشكال وهو امتناعه عن تلك الحال مع انها من جملة الكمال كان يبغض عثمان) اى بغير وجه شرعى(فابغضه) رواه الترمذى عن جابر وضعفه (وقال عليه الصلوة والسلام) كما فى الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه (فى الانصار) اى فى حقهم (اعفوا عن مسيئهم) اى عثراتهم (واقبلوا من محسنهم) اى كما لاتهم وللبخارى اوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (وقال) اى النبى عليه الصلوة والسلام كما روى ابونعيم والديلمى عن عياض الانصارى وابن منيع عن انس رضى الله تعالى عنه (احفظونى) بفتح الفاء اى احفظوا وصيتى(فى اصحابى) اى عموما (واصهارى) اى خصوصا ولعله تغليب يشمل اختانه ايضا قال النووى فى شرح مسلم عن اهل اللغة الاختان جمع ختن اقارب زوج الرجل والاحماء اقارب زوج المرأة والاصهار يعم الجميع (فانه) اى الشان (من حفظنى فيهم) اى راقبنى فى حقهم(حفظه الله تعالى فى الدنيا والآخرة) اى من الهوان والعقوبة (ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه) اى تبرأ منه واعرض عنه (ومن تخلى الله عنه يوشك) بكسر السين وتفتح اى يقرب ويسرع (ان يأخذه) اى يؤاخذه بما يستحقه من الوعيد ان اخذه اليم شديد(وعنه عليه الصلوة والسلام) فيما روى سعيد ابن منصور عن عطاء بن ابى رباح مرسلا (من حفظنى فى اصحابى كنت له حافظا يوم القيامة) اى من سوء العقوبة (وقال) كما رواه الطبرانى بسند ضعيف(من حفظنى فى اصحابى ورد على الحوض) اى وسقيه منه مع اصحابى رعاية

لحقوق صحبتهم وخدمتهم ومحبتهم (ومن لم يحفظني في اصحابي) اي من جهة حقوقهم (لم يرد علي الحوض) اي من قريب (ولم يرني الا من بعيد) وهذا اشد وعيد (قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به) اي ارشدنا به الى امر الدين وعلم اليقين (وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع) بالموحدة في اوله اي مقبرة اهل المدينة (فيدعو لهم) اي بالرحمة (ويستغفر لهم) اي عما فرط لهم من الزلة (كالمودع لهم) كما في حديث مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها والمعنى انه عليه الصلوة والسلام كان يبالغ في الدعاء والاستغفار لهم كالمودع عند الوداع لا يترك شيئا مما يهم المودع الا ذكره واوصى به (ولذلك امر الله وامر النبي) صلى الله عليه وسلم (بحبهم) اي بمحبة الصحابة (وموالاتهم) اي موالاة من والاهم من اهل السنة والجماعة (ومعاداة من عاداهم) اي من الخوارج والروافض وسائر اهل البدعة (وروي عن كعب رضي الله عنه) اي كعب الاحبار كما ذكره الحلبي (ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة) اي لمن يحبه و يحبه زيادة المودة وقال الدلجي وحديث كعب ابن سعد ليس مؤمن من آل محمد الا له شفاعة (وطلب) اي كعب (من المغيرة بن نوفل) اي ابن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم (ان يشفع له يوم القيامة) له رواية وكان من انصاري علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وله جماعة اخوة ووالده نوفل اسر يوم بدر ففداه عمه العباس رضي الله تعالى عنه وهو ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واما جده الحارث بن عبد المطلب فهو اكبر ولد عبد المطلب و به كان يكنى قال الحافظ عبد الغني المقدسي لم يدرك الاسلام واسلم من اولاده اربعة نوفل وربيعة وابو سفيان وعبد الله وكان نوفل اسن اخوته واسن من اسلم من بني هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم وقد ذكره الحافظ ابو عمر بن عبد البر في استيعابه فيكون خامسا غير انه يقال ومنهم من يجعل المغيرة اسم ابي سفيان والصحيح الاول يعني انه غيره انتهى ولم يتعقب هذا الحافظ ابو الفتح اليعمري حين ذكره واما الذهبي فقد ذكر في كنى التجريد ابا سفيان فقال اسمه المغيرة قاله ابراهيم بن المنذر انتهى ولم يتعقبه وقال في المغيرة بن الحارث ابن عبد المطلب قال ابن عبد البر هذا اخو ابي سفيان فوهم بل هو ابو سفيان انتهى والله تعالى اعلم (قال سهل ابن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول) اي حق ايمانه (من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره) اي ولم يترك زواجر

﴿فصل﴾

(ومن اعظامه) اي تعظيم قدره فوق قدر غيره (واكباره) اي عظام امره زيادة على عظام امر غيره (اعظام جميع اسبابه) اي اسباب وصلته ومودته وفي حديث كل سبب ونسب ينقطع الا سببي ونسبي والمراد جميع ما ينسب اليه و يعرف به صلى الله عليه وسلم (واكرام مشاهده) اي مواضعه التي حضرها او نزل بها (وامكنته) اي مساجده (من مكة) كبيت خديجة رضي الله تعالى عنها مهبط الوحي ودار الارقم بن ابي الارقم وغار حراء وثور ومولده (و) من (المدينة) كمسجده و بيوته ومواطنه (ومعاهده) اي اكرام معاهده التي كان يتعاهدها كقبا اذ قد ورد انه كان يزورها كل سبت راكبا او ماشيا (وما لمسه) اي مسه (عليه الصلوة والسلام او عرف به) بصيغة المجهول اي مما يمكن اكرامه الآن واعظامه في هذا الزمان (وروي عن صفية بنت نجدة) بفتح نون وسكون جيم فدال مهملة (قالت كان لابي محذورة) وهو مؤذنه عليه الصلوة والسلام بمكة ولم يزل مقيما بها يؤذن حتى مات سنة تسع وخمسين قال الواقدي وتوارث الاذان بعده بمكة ولده وولد ولده الى اليوم في المسجد الحرام وقيل كان مؤذنه بقبا ايضا وهو قرشي جمحي روى عنه ابن ابي مليكة وغيره اخرج له مسلم والاربعة واحمد في المسند (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة ما اقبل على الجبهة من شعر الرأس (في مقدم رأسه) سمي بذلك لانه يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهري شعر الناصية (اذا قعد وارسلها) اي لم يقعدها (اصابت الارض) اي وصلت اليها من طولها (فقيل له) اي لابي محذورة (الا تحلقها) اي الا تقصرها بحلق او قص (فقال لم اكن بالذي احلقها) آثر التكلم رعاية للمعنى على الغيبة باعتبار المبنى مع انها هنا هي القياس بدلالة اعادة الضمير الى الذي ولفظه لفظ الغائب ايثار التغليب التكلم عليها لان الذي وان كان بلفظه هو الغائب الا انه في المعنى عبارة عن المتكلم (وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وروى ابن عمر رضي الله عنهما) ماض مجهول من الرؤية انصرحال كونه (واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) اي ومسح بها تبركا بموضع لمسه (وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد) بفتحتين فسكون فضم اي في قمته او كوفيته (شعرات) بفتحتين (من شعره) بفتح العين و يسكن و يروى من شعراته (عليه الصلوة والسلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة) بفتح السين اي ربطة طالت فيها المدة (انكر) وفي نسخة حتى انكر (عليه اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي بعضهم (لكثرة من قتل فيها) اي في مدة تلك الشدة وهي يحتمل ان يكون مفعولا له لانكر

اومفعولاله (وقال) اى خالد معتذرا (لم افعلها بسبب القلنسوة) اى ذاتها كما وهمتم لانكم سببها ما سرقتم (بل) اى فعلته (لما تضمنته من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا اسلب) بصيغة المجهول اى لئلا نزع (بركتها) بالنصب على انه مفعول ثان (وتقع) اى ولئلا تقع (فى ايدى المشركين) اى الانجاس الذين لم يعرفوا قدرها (ولهذا) اى ولتعظيم مساعده وآثار مساعده (كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول) اى فى وجهه او فى جواب سائله (استحيي من الله ان اطأ) اى من ان ادوس (تربة) اى جملة تراب (فيها) اى فى فناء تلك التربة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابة) متعلق باطأ اذ لو امكن الانسان ان لا يطأها برجليه وكان يقدر على ان يمشي فيها بعينيه لكان لائقا لتعظيم ما لديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى عنه) اى عن مالك رحمه الله (انه وهب للشافعي كراعا) بضم اوله اى خيلا (كثيرا كان عنده فقال له الشافعي رحمه الله امسك منها دابة) اى واحدة تركبها عند الحاجة (فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي) بضم ففتح وهو الامام الجليل (عن احمد بن فضلويه) بضم اللام وهو على نفطويه وعمرويه ونظائرهما فى التلفظ بالوجهين على ما تقدم (الزاهد وكان) اى احمد (من الغزاة الرماة) بضم اولهما جمع الغازى والرامى يعنى ممن يحسنهما والجملة معترضة (انه قال مامسست) بكسر السين الاولى وتفتح اى مالمست (القوس) اى قوسى او قوس غيرى (بيدى الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ القوس) اى تناول قوسه او قوس غيره (بيده وقد افتى مالك رحمه الله فيمن قال تربة) ويروى ان تربة (المدينة رديئة) بالهمز وقد تشدد وهى فعيلة من الرداءة اى خبيثة غير طيبة (بضرب) بصيغة المجهول وفى نسخة بضرب بالباء السببية والصيغة المصدرية المضافة اى (ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير ونصبها على التمييز (وامر بحبسه) اى تغليظا للامر (وكان له) اى والحال انه كان لهذا المعذر (قدر) اى جاه وعظمة امر عنده ومنزلة عند غيره (وقال) اى مالك رحمه الله زيادة على ما هنالك (ما احوجه) ما التعجبية (الى ضرب عنقه) اى فى جريمة ذلك (تربة دفن بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) اى مع انه عليه الصلوة والسلام سمى المدينة طابة طيبة (وفى الصحيح) اى عند الشيخين عن على وانس رضى الله تعالى عنهما (انه قال عليه الصلوة والسلام فى المدينة) اى فى شانها (من احدث فيها حدثا) اى امرا مبتدعا منكرا لا يعرف فى السنة وقيل هو عام فى الآثام (او آوى) بالمد وبقصر اى ضم اليه او اليها (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل اى جانيا بان اجاره ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه او بفتحها فيكون نفس الامر المبتدع وايواؤه الرضى به والصبر عليه وافشاؤه من رضى ببدعة واقر عليها محدثها ولم ينكرها مع القدرة على انكارها فقد آواها وقواها (فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا) اى نافلة (ولا عدلا) اى فريضة (وحكى ان جهجاها) بفتح اوله وفى نسخة جهجاه بلا تنوين (الغفارى) بكسر اوله قال الحلبي وهذا هو ابن مسعود وقال ابو عمر هو ابن سعد بن حرام وقال الطبرى المحدثون يزيدون فيه الهاء والصواب جهجا بدون هاء انتهى قال الذهبى جهجاه بن قيس وقيل ابن سعد الغفارى مدنى روى عنه عطاء وسليمان ابنا يسار وشهد بيعة الرضوان وكان فى غزوة المريسيع اجير العمر الى ان ذكر عن ابن عبد البر انه هو الذى تناول العصا من يد عثمان رضى الله تعالى عنه فذكر القصة ثم قال وتوفى بعد عثمان بسنة وسيأتى قريبا انه مات قبل الحول اى من كسر العصا وقد تقدم الكلام على حديث كسر العصا فيما مضى (اخذ قضيب النبي) اى عصاه (صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله ليكسره على ركبته) اى معتمدا عليها (فصاح به الناس) اى لتعديه (فاخذته الاكلة) بمد وكسر كاف مرض معروف (فى ركبته فقطعها) اى فقطع ركبته خوفا من سرايتها الى بقيته (ومات قبل الحول) اى الحول الذى وقع امره فيه (وقال عليه الصلوة والسلام) كما رواه مالك وابو داود والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (من حلف على منبرى) اى فوقه او عنده او حوله (كاذبا) اى يمينا فاجرة (فليتبوأ مقعده من النار) تهديد شديد ووعيد اكيد (وحدثت) بضم الحاء وتشديد الدال اى حكى لى (ان ابا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة) اى السكينة (زائرا) اى مريدا للزيارة (وقرب من بيوتها) بضم الباء وكسرها (ترجل) بتشديد الجيم اى نزل عن دابته (ومشى باكيا منشدا) حالان متداخلان والانشاد قراءة شعر نفسه او غيره والبيتان لابى الطيب احمد بن الحسين المتنبى وسيأتى ترجمة المتنبى ان شاء الله سبحانه وتعالى (ولما رأينا رسم من لم يدع لنا) رسم الدار اثرها (فؤادا) اى قلبا (لعرفان الرسوم ولا لبا) اى عقلا (نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة) الكور بالضم رحل الناقة باداته كالسرج بآلته للفرس وكرامة نصب على العلة (لمن بان) اى ظهر رسمه (عنه) بالاشباع (ان نلم به ركبا) من الالمام اى ننزل (به ركبا) من اسماء الجمع كرهط او جمع راكب كصحب وصاحب فهو تمييز او حال من ضمير نلم اى راكبين (وحكى) يروى وروى (عن بعض المريدين) اى للزيارة (انه لما اشرف على مدينة النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم انشأ) ويروى انه جعل (يقول متمثلا) اى شاهدا او واقفا فان حقيقة المثول هو الانتصاب على القدمين وقد يراد به القيام فى الامر والنهوض فيه بالهمة ولعله المراد هنا (رفع الحجاب لنا) بصيغة المجهول اى كشف الذى كان بيننا وبين من قصدنا جناب حضرته وباب عزته (فلاح لناظر) اى لمع ولمح (ثم تقطع) بصيغة المضارع مجهولا او بحذف احدى التائين او بصيغة الماضى معلوما اى تضمحل (دونه) اى عنده (الاوهام) وتتقطع اديه الافهام بسطوع نوره بكمال ظهوره (واذا المطى بنا بلغن محمدا) جمع مطية وهى التى تركب مطاها اى ظهرها ويقال يمطى بها فى السير اى يمد ومنه قوله تعالى يتمطى (فظهورهن على الرحال) بالمهملة جمع رحل البعير وفى نسخة بالجيم (حرام) مكافاة لهن على ايصالهن كما قال (قربننا من خير من وطئ الثرى) اى التراب والارض (فلها علينا حرمة وذمام) بكسر اوله اى عهد وامان والابيات لابى نواس الحكمى يمدح بها الامين اى امين الدولة كذا بخط السخاوى وقد ذكر السهيلى فى روضه فى غزوة مؤتة كقول ابى نواس (وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك) حذرا عليه من التعب هنالك (فقال) اى فى الجواب (العبد الآبق) اى الهارب الشارد من سيده (يأتى) اى ايأتى (الى بيت مولاه راكبا) وفى نسخة لى باب مولاه وفى اخرى لايأتى (لوقدرت ان امشى على رأسى) بل على عينى (مامشيت على قدمى) وهذا علامة الحب الصادق والادب الفائق وفى نسخة بتشديد الياء مشى (قال القاضى (ابو الفضل رحمه الله) يعنى المصنف (وجدير) خبر مقدم اى حقيق ولايق وخليق (لمواطن) اى بمكة والمدينة (عمرت) بصيغة المجهول مخففا ومشددا (بالوحى) اى بوحى النبوة (والتنزيل) اى وتنزيل القرآن (وتردد فيها) وفى نسخة بهما اى فى الاتيان اليها (جبرائيل) اى دائما (وميكائيل عليهما السلام) اى احيانا (وعرجت) اى صعدت (منها الملائكة) اى المقربون (والروح) اى وارواح الانبياء والمرسلين او الروح الامين (وضجت) بتشديد الجيم اى صوتت (عرصاتها) اى اماكنها وجهاتها والمعنى ارتفعت الاصوات فى عرصاتها وهى جمع عرصة وهى كل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء (بالتقديس) اى التطهير عن التشبيه (والتسبيح) اى التنزيه (واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها) اى عن تلك الاماكن (من دين الله) اى المأخوذ من كتابه (وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات) جمع مدارس مفعال من الدرس وهو مكانه وفى الحديث تدارسوا القرآن اى تعاهدوه بتلاوته وهذا خبر مبتدأ محذوف اى وهذه مدارس آيات (بينات) اى واضحات او مبينات (ومساجد وصلوات) اى دعوات او عبادات (ومشاهد الفضائل) اى من مكارم الشمائل (والخيرات) اى الطاعات والمبرات (ومعاهد البراهين) اى لدلالات الواضحات (من الآيات) اى الخارقة للعادات (والمعجزات) اى على وفق الكرامات (ومناسك الدين) اى مذابحهم ومعابدهم (ومشاعر المسلمين) اى معالمهم ومعارفهم (ومواقف سيد المرسلين) اى اماكن وقوفه ومواطن حضوره ومنابع نوره (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الواو وكسر تاء خاتم وفتحها ويروى مثواه بسكون المثلثة اى منزله ومأواه من مكة (حيث انفجرت النبوة) اى ظهرت ظهور الماء النازل من السماء (واين) اى من مكة وعينها (فاض عبابها) بضم اوله معظم السيل وارتفاعه وكثرة تموجه كذا فى القاموس اى سال عذبها الغمر بها (ومواطن مهبط الرسالة) بكسر الموحدة اى اماكن انزالها او نزولها من مكة حين ايصالها او وصولها وفى نسخة ومواطن طويت فيها الرسالة (واول ارض مس جلد المصطفى ترابها) بالرفع كذا فى بعض الاصول والاظهر نصبه والمراد به بعد الموت وفيه تلميح الى قول الشاعر

﴿ بلاد بها نيطت على تمائمى * واول ارض مس جلدى ترابها ﴾

(ان تعظم) بتشديد الظاء المفتوحة (عرصاتها) بفتحتين جمع عرصة بفتح فسكون وهى فى الاصل كل مكان واسع لابناء فيه والتقدير تعظيم اماكنها وهو المبتدأ المقدم خبره وانما قدم عليه لمزيد تشويق السامع اليه ومن ثم طول الكلام فى المسند ليحسن كل الحسن فى المرام اذ بازدياد طوله يزداد حسنه وطوله كما ان بازدياده عليه يزداد الشوق اليه ومنه قول الشاعر

﴿ ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحق والقمر ﴾

(وتنسم) بالبناء للمفعول اى تستنشق وفى نسخة وتنسم (نفحاتها) جمع نفحة من نفح الطيب اذا فاح وفى الحديث ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وفى رواية تعرضوا لنفحات رحمة الله تعالى (وتقبل) بتشديد الموحدة المفتوحة (ربوعها) بضمتين جمع ربع بفتح فسكون موحدة وهو المنزل ودار الاقامة وفى حديث مكة وقد قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اسامة بن زيد اين ننزل غدا يارسول الله وهل ترك لنا عقيل من رباع جمع ربع ايضا (وجدراتها) بضم الجيم وبالفوقية فى اخرها لابالنون وان كان هو ايضا جمع جدار وهو ما يحاط به عليها لمراعاة السجع

(يادار خير المسلين) ويروى زين المرسلين (ومن به) قال الحلبي الذي ظهر لي ان هذا الشعر من قول المصنف انتهى وباداها من لوعة الاحتراق ولذعة الافتراق عن تلك البقعة المنيعة وسكان تلك الرفعة الرفيعة وقال يادار خير المرسلين لحديث البخاري انا سيد الاولين والآخرين ثم قال ومن به اي بسبب وجوده وكرمه وجوده (هدى الانام) اي هداية الخلق (وجعس) اي هو (بلا آيات) اي المنزلة والمعجزات المكملة (عندي لاجلك لوعة) اي سدة محبة وكثرة مودة موجبة لزيادة حرقة في حالة فرقة (وصبابة وتسوق وتوقد الجمرات) الصبابة بفتح اولها اي رقة الشوق ودقة الشوق وعن النخعي كانوا يحبون ان يكون للغلام صبوة لانه اذا تاب فربما كان ارعواؤه باعتباره على شدة اجتهاده وكثرة ندمه على ما فرط من عمله في سبق قدمه وابعد له عن ان يعجب بحاله او يتكل على كماله ولان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص (وعلي عهد) اي وعد وعقد (ان ملأت محاجري) بفتح الميم مادار بالعين اي نواظري (من تلكم الجدرات) بضمتين (والعرصات) بفتحتين (لاعفرن) بتشديد الفاء المكسورة اي لالوني واغبرن (مصون شيبي) اي شيبي المصون ووجهي المكنون بتقلبي لهما (بينها) اي بين المذكورات من الجدرات والعرصات (من كثرة التقبيل) اي بسبيل تلك الاماكن السريعة (والرشقات) بفتحتين فقاف كذا في الاصول واصل معناها رمي سائر الاعضاء على تلك الاجزاء المنيفة من الرشق وهو الرمي بالنبل ففيه تجريد وتسبيه وفي اصل الدلجي بالفاء وكذا في بعض النسخ المصححة فقال جمع رشفة وهي مص المحب ريق محبوبه انتهى ولا يخفى انه مع عدم وجوده في كتب اللغة غير موافق لكلام الشاعر ومطلوبه نعم لو صحت الرواية بالفاء لتعين ان يقال المراد بها رشفات المستاق ريقه لكمال حرارة شوقه ومرارة ذوقه في ذلك المكان الموصوف بحسنه وبريقه في القاموس رشفه مصه ورشف الماء قليلا قليلا اسكن للعطش (لولا العوادي) جمع عادية وهي شغل يصرفك عن الشيء يريد والله تعالى اعلم ما يعتري الانسان من العوارض التي تكون عوايق (والاعادي) جمع عدو (زرتها) اي تلك المنازل سير المراحل (ابدا) اي دائما (ولو) اي وان كانت زيارتي (سحبا) من قولك سحبت الشيء فانسحب اي جررته فانجر اي سيرا ومشيا (على الوجنات) بفتحتين جمع وجنة بفتح فسكون ويكسر اولها ويضم وهي اعلى الخد (لكن سأهدي) تكلم من الاهداء (من حفيل تحيتي) اي تحيتي الحافلة الكثيرة الكاملة (لقطين تلك الدار والحجرات) اي لمقيمها وخادمها من قطن بالمكان اذا لزمه وفي حديث الافاضة نحن قطين الله تعالى اي سكان حرمه بحذف المضاف ومنه قول زيد بن حارثة فاني قطين البيت عند المشاعر والحجرات بضمتين جمع حجرة بضم فسكون وهي بيت صغير من الدار منفرد عنها من الحجر وهو المنع او من الحجر لكونها مبنية منه (اذكى) بهجة اي اهدى من كثير التحية والباء ما هو اضوع (من المسك المفتق) بمثناة فوقية مشددة اي المشقق ويقال فتق المسك اذا خلط به ما يذكي رائحته وقيل معناه المستخرج الرائحة (نفحة) تمييز للنسبة في اذكى ازيل عن اصله للتفصيل بعد الاجمال ليكون اوقع في نفس ارباب الاحوال (تغشاه) اي تحل بركاته وتعطيه (بالآصال) جمع اصيل من بعد العصر الى المغرب كذا قاله الدلجي تبعا للحلبي والاولى ان يقال من بعد الزوال (والبكرات) بضمتين جمع بكرة بضم فسكون اي اول النهار والمراد بهما الدوام في الايام والليالي نا دمة لها كما لا يخفى على الانام وفي القاموس الاصيل العشي والعشاء اول الظلام او من المغرب الى العتمة او من زوال الشمس الى طلوع الفجر والعشي والعشية آخر النهار (وتخصه بزواكي الصلوات) بفتح الياء اي بطواهرها وكذا في قوله (ونوامي التسليم والبركات) اي بيواهرها ويروى بفضائل الصلوات ولطائف السلام واو روى بسرائف الصلوات ولطائف التسليم لكان الطف

﴿ الباب الرابع ﴾

اي من القسم الثاني (في حكم الصلوة عليه والتسليم) اي عليه اولديه واختير التسليم على السلام مع ان كليهما مصدر سلم لافادة زيادة التوكيد والتحقيق مطابقة لفظ التنزيل صلوا عليه وسلموا تسليما (وفرض ذلك) اي فرضيته (وفضيلته) وفي نسخة وفضله اي وفضل ذلك والمعنى في بيان الحكم في كميتها وكيفيتها واختلاف العلماء في حقيقتها (قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي) اي يعظمونه بالثناء عليه (الآية) تمامها يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اي ادعوا له وقولوا اللهم صل وسلم عليه والواو تفيد الجمعية لا المعية كما عليه الاصولية وارباب العربية فلا دلالة في الآية على كراهية افراد الصلوة عن السلام وعكسه كما ذهب اليه النووي واتباعه من الشافعية وقد اوضحت المسألة في رسالة مستقلة (قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي) اي ان الله يبارك له في امره ويزيد في قدره وتدعو الملائكة ربه ان يرفع ذكره ويظهر امره ففيه اشارة الى ان في قوله يصلون مجازا مرسلا لا جمعا بين الحقيقة والمجاز ولا استعمال المشترك في معنييه كما هو مبين في الاصول لاهل الوصول (وقيل ان الله

يترحم على النبي) اى يبالغ فى انزال الرحمة عليه فكانه يطلب من نفسه الرأفة اليه (والملائكة يدعون له) اى ويتواضعون لديه (قال المبرد واصل الصلوة الترحم وهى) وفى نسخة فهى (من الله رحمة) اى انزالها وايصالها (ومن الملائكة رقة) اى موجبة للرحمة (واستدعاء للرحمة من الله تعالى) اى على نبى الامة وكاشف الغمة (وقد ورد) ويروى وقد روى (فى الحديث صفة صلوة الملائكة على من جلس) اى فى مسجد ونحوه (ينتظر الصلوة) اى لاتية اواذانها واقامتها (اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهو ذا دعاء) لكنه يليق بالامة ولايبعد ان يكون دعاؤهم للنبى بان يقولوا اللهم عظم شانه وتمم برهانه واكثر امته واظهر ملته وارفع درجته (وقال بكر) وفى نسخة ابو بكر (القشيرى الصلوة من الله تعالى لمن دون النبى) اى لغيره (رحمة) اى عامة (وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف) وهو رحمة خاصة (وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملائكة) اى المقربين (وصلوة الملائكة الدعاء) اى بزيادة الاكرام والانعام للنبى عليه الصلوة والسلام (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وقد فرق) بتشديد الراء وتخفيفها وهو اولى اى فصل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة) اى فى الحديث الذى رواه الشيخان وغيرهما من اصحاب السنن اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (فدل انهما) اى الصلوة والبركة (بمعنيين) اى متغايرين لان المراد بالصلوة الثناء وبالبركة كثرة الخير والنما (واما التسليم الذى امر الله تعالى به عباده) اى بقوله وسلموا تسليما وهو يحتمل ان يكون بمعنى الانقياد كما قال تعالى فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ويحتمل ان يراد به التسليم الذى بمعنى التحية فان السلام تحية اهل الاسلام اوخصوص الدعاء بالسلامة من لآفة للنبى عليه الصلوة والسلام (فقال القاضى ابو بكر بن بكير) بضم موحدة فكاف مفتوحة فتحتية ساكنة (نزلت هذه الآية على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا عليه) وكذا امرهم النبى ان يسلموا عليه فى الصلوة بان يقولوا السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته (وكذلك من بعدهم) اى من التابعين وغيرهم (امروا) اى تبعالهم (ان يسلموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند حضورهم قبره) اى خصوصا (وعند ذكره) اى عموما (وفى معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك) اى حاصلة لك اوالسلامة الكاملة من الآفات الشاملة خاصة لك (ومعك) اى ومصحوبة معك لاتنفك عنك فى جميع احوالك (ويكون السلام مصدرا) اى كالسلامة (كاللذاذ واللذاذة) فانهما مصدران من لذيذ الا انهما من الثلاثى المجرد والاولان من المزيد (والثانى) اى من الوجوه (اى السلام) اى اسعد (على حفظك) اى محافظتك من موجبات قصورك (ورعايتك) اى مراعاة جميع امورك (متول له) اى متصرف لما ذكر من حفظك ورعايتك اومتول عونه ونصره له (وكفيل به) اى ضمين بقيامه ومتكفل بنظام مرامه (ويكون هنا) اى فى الوجه الثانى (السلام اسم الله) اى مصدر وصف به مبالغة ومعناه ذو السلامة من كل نقص وآفة (الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له) اى المصالحة والموافقة (والانقياد) اى بالاذعان وترك المخالفة (كما قال تعالى فلا) اى فليس الامر كما زعموا (وربك) وقيل التقدير فوربك بشهادة فوربك لنسألنهم زيدت فيه لا لتأكيد القسم لالتظاهر لافى (لايؤمنون) جواب القسم لان استواء النفى والاثبات فى زيادتها للتأكيد كما فى فلا اقسم بما تبصرون ومالاتبصرون يأبى ذلك (حتى يحكموك) اى يجعلوك حاكما (فيما شجر بينهم) اى فيما وقع لهم من التنازع والاختلاف (ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا) اى ضيقا شرعا لاطبعا اوشكا (مما قضيت) اى حكمت به (ويسلموا) اى وينقادوا لما حكمت به (تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره اى وينقادوا انقيادا ظاهرا وباطنا لا ريبة فيه

﴿فصل﴾

اعلم ان الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض) اى واجب مقطوع به (فى الجملة) وفى نسخة على الجملة اى اجمالا (غير محدد) وفى نسخة غير محدود اى غير موقت ومقدر بوقت) اى بزمان معين (لامر الله بالصلوة عليه) والاصل فى الامر الوجوب كما عليه الجمهور (وحمل الائمة) يحتمل ان يكون مصدرا اوماضيا كما فى نسختين صحيحين والمراد ائمة المجتهدين (والعلماء) اى من المفسرين والمحدثين له) اى لامر الله (على الوجوب) بمعنى الفرض (واجمعوا عليه) اى على الوجوب والمراد باجماعهم اتفاق اكثرهم لقوله (وحكى ابو جعفر) اى محمد بن جرير الشافعى (الطبرى ان محمل الآية) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اى الآية محمولة باعتبار امرها (عنده على الندب وادعى فيه الاجماع) اى على الندب (ولعله) اى الاجماع المذكور (فيما زاد على مرة) اى لئلا يخالف لاجماع المذكور (والواجب منه) مبتدأ

وهو اسم فاعل مشتق فلامه اسم موصول صلته (الذي يسقط به الجرح) بفتح الجيم وسكون الراء اي الطعن والقدح (وما تم ترك الفرض) اي يسقط به الاثم المترتب على تركه (مرة) خبر المبتدأ المقدم لانها اقل ما توجد فيها الماهية المطلوبة فيحمل عليها (كالشهادة له بالنبوة) اي المقرونة بالرسالة لوجوبهما مرة اجماعاً (وما عدا ذلك) اي واما ما زاد على مرة فيها (فمندوب) اي مستحب ومطلوب (مرغب فيه) اي مرغوب (من سنن الاسلام وشعار اهله) اي علامتهم في احكام الاحكام (قال القاضي ابو الحسن بن القصار) من المالكية (المشهور عن اصحابنا) اي علمائنا (ان ذلك) اي ما ذكر من ان الصلوة (واجب في الجملة) اي فرض غير موقت بوقت معين (على الانسان وفرض عليه) اي على كل فرد من افراد الانسان من المؤمنين (ان يأتي به) اي بهذا الفرض وفي نسخة بها اي بالصلوة (مرة من دهره) اذ به يخرج من عهدة امره (مع القدرة على ذلك) اي على الاتيان بها اذ هي شرط له ولهذا تسقط عن الابكم (وقال القاضي ابو بكر بن بكير) بضم موحدة وفتح كاف احد المالكية (افترض الله على خلقه) اي المؤمنين (ان يصلوا على نبيه) اي تعظيما وتكريما (و يسلموا تسليما ولم يجعل ذلك) اي الافتراض (لوقت معلوم) اي في وقت معين وزمان مبين (فالواجب) اي مروءة او احتياطا او المراد به الوجوب الذي دون الفرض (ان يكثر المرء منها) اي من الصلوة (ولا يغفل) بضم الفاء اي لا يذهل (عنها) والمعنى انه تعالى لم يوقت ذلك ليشمل سائر الاوقات هنالك كما قيل في الذكر انه سبحانه وتعالى قال اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا فجعل لكل عبادة وقتا معينا الا ذكره عز وجل فانه لم يجعل له زمانا مبينا سواء يكون ذكر اللسان او جنانيا وكذلك الصلوة عليه غير موقتة حيث قرن ذكره بذكره البتة (قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة في الجملة) هذا قول مجمل وفي بيان تفصيله (قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم) اي من الائمة المجتهدين (الى) وفي نسخة بدونها (ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان) اي بقيد الايمان المذكور في القرآن فلا تجب على اهل الكفر والكفران (لا تتعين في الصلوة) يعني انها لا تجب فيها ولا انها لا تصح الا بها كما قال الشافعي (وان) اي وذهبوا الى ان (من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي) اي تبعا له (الفرض منها) اي من الصلوة (الذي امر الله) اي في قديم كلامه (به) اي باتيانه (ورسوله) اي وامر به رسوله (عليه السلام) اي في حديثه (هو في الصلوة) اي منحصر فيها وهو عقب تشهدها قبل سلام تحللها واستدلوا بحديث ابي مسعود البدري في صحيحي ابن حبان والحاكم اما السلام عليك يا رسول الله فقد عرفناه اي فيما علمناه من تشهد الصلوة وهو السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره زاد ابن ماجه وغيره والسلام علي كما قد علمتم وفيه انه لا دلالة على فرضيتها على وجه خصوصيتها وبحديث ابن مسعود فيما رواه ابن ابي شيبة وسعيد بن منصور والحاكم بسند صحيح يتشهد الرجل في الصلوة ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعو لنفسه بعد وفيه ان هذا اخبار عن اقوال تقال في الصلوة ولا دلالة على وجوب الصلوة بشهادة كون الدعاء مستحبا اجماعا وبحديث ابن عمر فيما رواه العميري بسند جيد لا تكون صلوة الا بقراءة وتشهد وصلوة علي في الصلوة اللهم صل على محمد وآل محمد الخ وفيه انه يحتمل ان المراد لا تكون صلوة كاملة ومع وجود الاحتمال يمتنع الاستدلال وقال الشافعي قد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم علمهم تشهد الصلوة وورد انه علمهم كيف يصلون عليه فيها فلم يجز ان نقول بوجوب التشهد فيها دون وجوب الصلوة عليه انتهى ولا يخفى انه يجوز ان يقع الامران ويكون احدهما للوجوب والآخر للندب على ان لفظ الحديث الصلوة المشتملة على آله والشافعي لم يقل بوجوب الجمع بينهما مع انه عليه الصلوة والسلام امرهم بالدعاء فيها ايضا وهو مندوب ايضا قال الدلجي وزعم القرافي في ذخيرته انه يستدل على وجوب الصلوة عليه عليه السلام فيه بالاجماع ولم يصب في زعمه اذ لا اجماع على وجوبها فيه اقول ولعله اراد ان الاجماع على وجوب الصلوة في الجملة وتعين الوقت فيه بالسنة وهذا معنى قوله (وقالوا) اي اصحاب الشافعي رحمهم الله (واما في غيرها) اي غير الصلوة (فلا خلاف في انها غير واجبة) اي فيتعين كونها في الصلوة واجبة اذ لا بد من وجوبها مرة كما مر فقول الدلجي الامرة واحدة كما مر غير مستقيم فتدبر (واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر) وفي نسخة ابو جعفر بلفظ الكنية فانه كنية لهما (الطبري) وهو محمد بن جرير من اكابر الشافعية (والطحاوي) وهو محمد بن احمد بن سلام من اكابر الحنفية (اجماع المتقدمين) اي من الصحابة والتابعين (والمتأخرين) اي من علماء الائمة المجتهدين (على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة) وعارضهما الدلجي بنقل النووي في شرح المهذب ومسلم وابن كثير وابن قيم الجوزية وكثير من

نقلوا وجوبها عليه فيه عن ائمة من الصحابة كعمر وابنه عبدالله وابن مسعود وابى مسعود البدرى وجابر بن عبدالله رضى الله عنهم ومن التابعين محمد بن كعب القرظى والشعبى والباقر ومقاتل رحمهم الله ومن غيرهم احمد بن حنبل كما قال ابوزرعة الدمشقى الآخر عملا حتى ان بعضهم اوجب ان يقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وقد الزم من قال من الحنفية بوجوبها فيه لتقدم ذكره فيه وفيه ان لهم ان يلتزموه لذكره لا لصحتها والظاهر ان الصحابة المذكورين وغيرهم لم ينصوا بوجوبها اذ هذا اصطلاح حادث وانما كانوا يقولون بوقوعها من غير ان يتعرضوا لكونه واجبا ومندوبا بل الفهم الاان صرحوا بعدم صحة الصلوة بدونها او بصحتها من غير وجودها فحينئذ يعرف الاجماع بثبوتها اونفيها ولهذا قال ابن حجر العسقلانى لم ار من الصحابة احدا صرح بعدم الوجوب الا ما نقل عن النخعى وبهذا الاعتبار قال المصنف (وشذ الشافعى) اى انفرد هو ومن تبعه (فى ذلك) اى القول بوجوبها وعدم صحة الصلوة بدونها (فقال) اى الشافعى (من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير) وفى نسخة الآخر وهو واشهد ان محمدا رسول الله (قبل السلام) اى سلام التحليل (فصلاته فاسدة) اى لانها ركن تفسد بتركه (وان صلى عليه قبل ذلك) اى قبل اشهد ان محمدا رسول الله على ما قاله الدلجى اوقبل ذلك التشهد بان يقول بعد التشهد الاول (لم تجزه) كان حقه ان يقول لم تجزئه كما فى نسخة صحيحة لانه مهموز من اجزأه يجزئه اذا [redacted] اى لاسابقة قدم (له) اى للشافعى والمعنى ان احدا من السلف ما وافقه (فى هذا القول) اى من الصحابة والتابعين وسائر المجتهدين (ولا سنة يتبعها) بتشديد التاء وتخفيفها اى من الاحاديث الدالة على وجوبها فيه ومن اعجب العجائب قول الدلجى وان تعجب فعجب قوله بعدم وجوبها عليه فيه منكرا على رأس المجتهدين الشافعى الى آخر ما ذكره فان الشافعى لم يكن رأس المجتهدين اصلا بل رأسهم واساسهم ابو حنيفة ومالك وامثالهما قطعا فيما يتعلق بالاجتهاد فصلا فصلا فلهما على غيرهما فى الفقه والحديث فضل واما قوله من ان موضوع هذا الكتاب يقتضى وجوب الصلوة عليه عليه السلام فامر خارج عن تحقيق المرام ثم قوله انه هذا من ورطة العصبية فالمصنف منزه عن حمية الجاهلية ثم اغرب فى قوله لم اقل ذلك غمصا لمن شذ عما هدى امام الامة اليه من طيب القول بل امتثالا لقول عمر اذا رأيتم من يخرق اعراض الناس لا تقربوا عليه قالوا نخاف لسانه فقال ذلك احرى ان لاتكونوا شهداء (وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه) اى على الشافعى (لمخالفته فيها من تقدمه) اى من السلف ممن لم يقل بوجوبها عليه (جماعة) اى من علماء الخلف (وشنعوا) بتشديد النون اى طعنوا (عليه الخلاف بها) اى فى هذه المسئلة (منهم الطبرى) وهو محمد بن جرير من الشافعية (والقشيرى) اى صاحب الرسالة منهم ابو بكر ابن العلاء المالكى (وغير واحد) اى وكثيرون من غيرهم (وقال ابو بكر ابن المنذر) هو الامام الاوحد محمد بن ابراهيم ابن المنذر النيسابورى شيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع اوعشر وثلثمائة (يستحب ان لا يصلى احد صلوة) اى فرضا اونافلة (الاصلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عقب التشهد الذى بعده التحليل (فان ترك ذلك) اى الاستحباب (فصلوته مجزئة) اى كافية له (فى مذهب مالك واهل المدينة) اى من علمائها السبعة (وسفيان الثورى واهل الكوفة من اصحاب الرأى) اى اهل الرأى الثاقب الذى هو من اعلى المناقب وقد سماهم ائمة الحديث به لاخذهم فيما اشكل من الحديث اوفيما لم يرد به حديث بارائهم (وهو قول جل اهل العلم) بضم الجيم وتشديد اللام وفى نسخة جل بضم جيم وفتح ميم وتخفيف لام اى اكثرهم وجمهورهم (وحكى عن مالك وسفيان) اى الثورى انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها فى التشهد) اى الاخير (مسئ) اى ملام بترك السنة (وشذ الشافعى فاوجب على تاركها) اى عمدا اوسهوا (فى الصلوة) فرضا اونفلا (الاعادة) لانها عنده ركن من اركانها الثلاثة عشر التى لاتتم الصلوة الا بها ولا تجبر بسجود سهو (واوجب اسحق) اى ابن ابراهيم بن راهويه المروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة خلا ابن ماجه ثقة حجة توفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين (الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان) ووافقه الخرقى من الحنابلة (وحكى ابو محمد ابن ابى زيد عن محمد بن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو (ان الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) اى فى مذهب المالكية وهذا يحتمل ان يريد مرة اوكلما ذكرا وفى تشهد الصلوة (قال ابو محمد) هو ابن ابى زيد (يريد) يعنى ابن المواز (ليست) اى الصلوة عليه (من فرائض الصلوة) اى من اركانها (وقاله) اى وكذا قاله (محمد بن عبد الحكم وغيره) ومحمد بن عبد الحكم هذا هو الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى صاحب الشافعى يروى عن ابن وهب وطائفة وعنه النسائى وابن خزيمة والاصم وآخرون قال ابن خزيمة ما رأيت فى الفقهاء اعرف باقاويل الصحابة والتابعين منه مات سنة ثمان وستين ومائتين (وحكى ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد (وعبد الوهاب ان ابن المواز يراها) اى يرى الصلوة

(فريضة فى الصلوة كقول الشافعى) وصححه ابن الحاجب فى مختصره وابن العربى فى سراج المريدين وقال ابن عبد السلام المالكى وهو ظاهر كلام ابن المواز (وحكى ابو يعلى العبدى) بفتح مهملة وسكون موحدة (المالكى عن المذهب) اى مذهب مالك (فيها ثلاثة اقوال الوجوب) اى كما قال الشافعى واشياعه (والسنة) اى المؤكدة كما قال ابو حنيفة واتباعه (والندب) اى كما ذهب اليه مالك و بعضهم ولا فرق عند اكثر الشافعية بين السنة والندب واما عند غيرهم فتغايرهما بان السنة ما واظب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه و به قال بعض الشافعية كالقاضى حسين (وقد خالف الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره) بالرفع اى وغير الخطابى منهم الحافظ العراقى وابو امامة ابن النقاش (الشافعى فى هذه المسئلة) اى حيث لم يروا له حجة واضحة من الادلة (قال الخطابى وليست) اى الصلوة عليه (بواجبة فى الصلوة وهو) اى عدم وجوبها (قول جماعة الفقهاء) اى من السلف والخلف (الا الشافعى) اى بالاصالة وانما وافقه من وافقه من الخلف على سبيل التبعية (ولا اعلم له فيها) اى فى المسئلة (قدوة) بضم القاف وكسرها و يحكى فتحها اى مقتدى من السلف (والدليل على انها ليست من فروض الصلوة) وفى نسخة من فرائض الصلوة (عمل السلف الصالح) اى افتاء (قبل الشافعى) اى وجوده وظهوره (واجماعهم عليه) اى على ان ترك الصلوة عليه غير مفسد للصلوة (وقد شنع الناس) اى من المتأخرين (عليه) اى على الشافعى (هذه المسئلة) اى فيها (جدا) اى بطريق المبالغة او مبالغين له فى التخطئة (وهذا تشهد ابن مسعود) اى الذى هو اصح الفاظ التشهد حيث رواه اصحاب الكتب الستة ولهذا اختاره بعض العلماء والمشايخ من الشافعية ايضا وقد ذكر ابن الملقن التشهدات الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فى تخريج احاديث الرافعى فبلغت ثلاثة عشر تشهدا ثم اجمعوا على جواز جميع الفاظ التشهد الوارد وانما الخلاف فى الاختيار فاختار ابو حنيفة تشهد ابن مسعود لكونه اصح سندا واختار الشافعى تشهد ابن عباس واختار مالك تشهد عمر الذى قرأه فوق منبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واما قوله (الذى اختاره الشافعى) فغير مشهور عنه بل الثابت عنه فى كتب اصحابه ان الذى اختاره تشهد ابن عباس لزيادة المباركات فيه الموافقة لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة (وهو) اى تشهد ابن مسعود (الذى علمه له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلوة عليه وكذلك) مثل تشهد ابن مسعود (كل من روى التشهد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كابى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير) اى وغيرهم لما سبق (لم يذكروا فيه صلوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ولو كانت الصلوة فرضا كالتشهد لما تركوا ذكرها وفيه بحث لا يخفى اذ كل واحد منهما فرض على حدة ولا يلزم من ذكر احدهما ذكر الاخر لاسيما وقد اختلف مقام التعليم مع انه يمكن تأخير وجوب الصلوة بعد تقديم فرض التشهد (وقد قال ابن عباس) كما فى مسلم (وجابر) كما رواه الحاكم والنسائى (كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) اى ولهذا خص بالوجوب بخلاف الصلوة عليه فانه ما ورد فيها مثل هذا الاهتمام (ونحوه) اى ونحو ما ذكر عنهما روى (عن ابى سعيد) اى الخدرى (وقال ابن عمر رضى الله عنهما) كما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه (كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) اى وهو فوقه (كما يعلمون) اى الفقهاء وفى نسخة بصيغة الخطاب اى كما تعلمون انتم (الصبيان فى الكتاب) بضم فتشديد اى فى المكتب وموضع تعليم الكتاب (وعلمه) اى التشهد (ايضا على المنبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اى ولم يرد عن احد منهم ذكر الصلوة عليه فى هذا الباب (وفى الحديث لا صلوة لمن لم يصل على) رواه ابن ماجه والحاكم فى مستدركه قال وليس على شرطهما اذ لم يخرجاه والطبرانى والدارقطنى قال وليس عندهم بقوى واليعمرى والبيهقى بلفظ لا صلوة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلوة لمن لم يصل على نبيه ولا صلوة لمن لم يحب الانصار (قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل على مرة فى عمره) وانما اوله بحديث البيهقى الدال على ان المراد به نفى الكمال اذ الاجماع منعقد على صحة صلوة من لا يحب الانصار والاتفاق على صحة من لم يذكر اسم الله على وضوئه خلافا لاحمد فاندفع قول الدلجى بانه تحكم وترجيح بلا مرجح وصرف للنفى عن المبادر منه وضعا اعنى الحقيقة المجزئة الى ناقص لاغناء له ثم هذا كله لو ثبتت صحته (وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) اى بجميع طرقه و يعمل بالحديث الضعيف ولا يستدل به قال السخاوى فى القول البديع وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا وضوء لمن لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم رواه ابن ماجه وابن ابى عاصم وسنده ضعيف وفى بعض طرقه من الزيادة لا صلوة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ومعناه لا وضوء كامل الفضيلة والتسمية عندنا من الفضائل ولا اعلم من قال بوجوبها الا ما جاء عن احمد فى احدى الروايتين عنه و به قال اسحق بن راهويه واهل الظاهر فيتعين حمل الحديث على ما تقدم وهو مثل قوله لا صلوة لجار المسجد الا فى المسجد وما اشبه

ذلك (وفى حديث ابى جعفر) الصادق محمد الباقر ابن زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم (عن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلوة) اى فرضا او نافلة (لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل منه) اى قبولا كاملا وفى نسخة وقد روى موقوفا من قبل ابن مسعود رضى الله عنه (قال الدارقطنى الصواب انه من قول ابى جعفر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه) اى ابن على بن ابى طالب قال الحلبى وعلى كونه مرفوعا ايضا يكون منقطعا لان ابا جعفر لم يدرك ابن مسعود وابن ابو جعفر من ابن مسعود فانه على ما قيل ولد سنة عشر ومائة وابن مسعود توفى سنة اثنتين وثلاثين (لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته رأيت) من الرأى او معناه لظننت (انها لا تتم) اى لا تكمل وليس معناه انها لا تصح فبطل قول الدلجى قد حكم القاضى ولم يشعر على نفسه بان للشافعى فيما قاله سلفا هو ابو جعفر وقد انقلب عليه قوله الشاهد لديه

﴿ قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم ﴾

على ان الصلوة على اهل البيت ليست من فروض الصلوة اجماعا وعليه الشافعى وغيره فلو سلم ان مراد جعفر الصادق عدم صحة الصلوة بدونها فيكون ممن انفرد بها على انه لم يسنده الى نفسه بل يرويه غايته ان حديثه مسند متصل او منقطع وقد حكم بانه حديث ضعيف لا يصح الاستدلال به وزيد فى بعض النسخ (وراويه) اى ناقل هذا الحديث عن ابى جعفر (جابر الجعفى) بفتح الجيم وسكون العين (وهو ضعيف)

﴿ فصل ﴾

(فى المواطن التى يستحب فيها الصلوة والسلام) وفى نسخة التسليم (على النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب) بصيغة المجهول من الترغيب وهو ضد الترهيب وفى نسخة ويترغب (من ذلك) اى مما ذكر من المواضع وكان الاظهر ان يقول منها (فى تشهد الصلوة كما قدمناه) اى من الادلة واقوال الائمة (وذلك) اى محلها (بعد التشهد) اى الاخير على ما اعتدنا (وقبل الدعاء) اى قبل الدعاء لحديث ثم ليتخير من الدعاء ما شاء (حدثنا ابو على القاضى) اى ابن سكرة (رحمه الله تعالى بقراءتى عليه قال ثنا) اى حدثنا (الامام ابو القاسم البلخى ثنا الفارسى) بكسر الراء (عن ابى القاسم الخزاعى) بضم اوله (عن الهيثم) بفتح الهاء وسكون التحتية وفتح المثلثة وهو ابن كليب وفى نسخة صحيحة عن ابى سعيد الهيثم ابن كليب وعلى بن سعيد ضبة وكنية الهيثم ابو سعيد فلعله اراد بالضبة ان الكنية ليست فى الاصل والله اعلم (عن ابى عيسى الحافظ) اى الترمذى صاحب الجامع (ثنا محمود بن غيلان) مروزى حافظ يروى عن ابن عيينة وغيره وعنه اصحاب الكتب الستة سوى ابى داود (ثنا عبد الله بن يزيد) وفى نسخة زيد والصواب الاول وهو ابن عبد الرحمن (المقرئ) اسم فاعل من الاقراء وهو تعليم القراءة بتجويد الاداء وهو القصير مولى آل عمر بن الخطاب اصله من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن ابى حنيفة وموسى بن على بن رباح بالموحدة وحرملة وحيوة بن شريح وغيرهم وعنه البخارى واحمد وابن راهويه وابن المدينى وخلق كثير وثقه النسائى وغيره توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (ثنا حيوة) وفى نسخة عن حيوة (ابن شريح) وحيوة بفتح حاء وسكون ياء وشريح بالتصغير (حدثنى) وفى نسخة حدثنا (ابوهانئ) بكسر نون فهمز (الخولانى) بفتح الخاء (ان عمرو بن مالك) وفى نسخة عمر والصواب بالواو (الجنبى) بفتح الجيم وسكون النون فموحدة فياء نسبة الى جنب بطن من مذحج البصرى وثقه ابن معين توفى سنة اثنتين وثلاثمائة اخرج له اصحاب السنن الاربعة (اخبره انه سمع فضالة) بفتح الفاء (ابن عبيد) وفى نسخة ابن عبيد الله والصواب الاول وهو انصارى اوسى شهد احدا والحديبية وولى قضاء دمشق لمعاوية (يقول سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو فى صلوته) اى فى آخرها (فلم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل الدعاء بها (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا) بكسر الجيم مخففة اى استعجل فى دعائه لنفسه قبل ثنائه على ربه الذى هو وسيلة لقبوله وفى نسخة عجل بتشديد الجيم المفتوحة اى عجل امر الدعاء على الصلوة (ثم دعاه) اى طلبه (فقال له ولغيره) اى فخاطبه خطابا عاما غير مختص به (اذا صلى احدكم) اى وقعد فى التشهد الاخير (فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه) اى بقوله التحيات لله الخ (ثم ليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما مر (ثم ليدع بعد) اى بعد الصلوة عليه (بما شاء) اى بما احتاج اليه اى بما لا يسأل من الناس والحديث اخرجه الترمذى فى الدعوات وقال صحيح واخرجه ابوداود ونحوه فى الصلوة وكذا النسائى (ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله) اى بتعظيمه وهو بتقديم الميم على الجيم بدل بتحميده بتقديم الحاء على الميم ومعناهما متقاربان (وهو) اى اللفظ الثانى او سنده (اصح) اى مما قبله عند المصنف وفيه بحث اذ روى الاول ابوداود والنسائى وابن حبان والحاكم ثم لا دلالة فى الحديث على وجوب الصلوة كما توهمه الدلجى لان هذا امر شفقة ونصيحة فى مراعاة السنة بدليل امره بالدعاء المجمع على انه للاستحباب

بل فيه دليل على عدم الوجوب حيث انه لم يأمره باعادة الصلوٰة (وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلوٰة) اى المكتوبة والنافلة (معلق) اى كل منهما (بين السماء والارض لا يصعد) بفتح اوله وضمه اى لا يطلع ولا يرفع (الى الله) اى محل قبوله اومكان عرشه (منه) اى مما ذكر من الدعاء والصلوٰة (شئ) اى منهما (حتى يصلى) اى الداعى وفى نسخة بصيغة المجهول فى صلوته (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل دعائه رواه الترمذى الا انه فى الحصن الحصين بلفظ حتى يصلى على نبيك وفيه تنبيه نبيه على ان منشأ الحكم المذكور هو وصف النبوة ونعت الوسيلة (وعن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) رواه ابو الشيخ فى الثواب عنه (وقال) اى على فى رواية زيادة (وعلى آل محمد) ولفظ البيهقى فى شعب الايمان الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد واهل بيته وفى رواية وآل محمد وهذا معنى قوله (وروى ان الدعاء محجوب) اى ممنوع عن كمال حصوله وجمال وصوله (حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى الاقتصار عليه مرة وضم آله اخرى اشعار بان ذكر اهل بيته انما هو لبيان الاحرى ثم اعلم ان حديث على رواه الطبرانى فى الاوسط موقوفا وروى الحسن بن عرفة عن على مرفوعا وسنده ضعيف والصحيح وقفه لكن قال المحققون من علماء الحديث ان مثل هذا لا يقال من قبل الرأى فهو مرفوع حكما (وعن ابن مسعود) كما روى عبد الرزاق والطبرانى بسند صحيح عنه (اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا) اى فى الصلوٰة وغيرها (فليبدأ بمدحه) وفى نسخة بحمده (والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلى) اى هو (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ويمكن ان يكون يصلى مجزوما وبقاء الياء على لغة نحو قوله تعالى انه من يتق ويصبر على رواية قنبل عن ابن كثير وهو الملائم لما قبله وما بعده من قوله (ثم ليسأل) اى مطلوبه (فانه اجدر) اى احق واليق حينئذ (ان ينجح) بضم الياء وكسر الجيم او بفتحهما من نجح ينجح والنجح اذا اصاب طلبته وتيسرت حاجته ونجحت وانجحت وانجحه الله وفى الحديث دليل على استحباب الصلوٰة حيث علل بقوله فانه اجدر ان ينجح فتأمل وتدبر (وعن جابر) فى رواية البزار وابى يعلى والبيهقى فى شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلونى) اى مؤخرا مع كونى مقدما (كقدح الراكب) اى حيث يعلقه من ورائه ويلتفت اليه عند حاجته قال الهروى معناه لا تؤخرونى فى الذكر كأخير الراكب تعليق قدحه فى آخرة رحله بعد فراغه من التعبية ويجعله خلفه قال حسان * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد انتهى ونحوه لابن الاثير وقد اخذه منه اوالتقدير لا تجعلونى مثل ماء قدح الراكب فى الالتفات اليه عند الحاجة وتركه عند حال السعة قيل وما قدحه يارسول الله قال (فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه) اى فى رحله (ويرفع متاعه) اى على مركوبه او يضع القدح حيث وقع ويرفع متاعه حيث ارتفع (فان احتاج الى شراب) اى شربة (شربه او الوضوء) اى او احتاج اليه (توضأ والا) اى وان لم يحتج الى شربه ولا الى وضوئه (هراقه) اى صبه وفى نسخة اهراقه بسكون الهاء وقيل بفتحها والهاء فى هراق بدل من همزة اراق يقال اراق الماء يريقه وهراقه يهريقه هراقة ويقال فيه اهرقت الماء اهريقه اهراقا فيجمع بين البدل والمبدل قال الجزرى ولا تفتح الهاء مع الهمزة (ولكن اجعلونى فى اول الدعاء واوسطه وآخره) اى اذكرونى بالصلوٰة على فى هذه المواطن خصوصا فانكم لن تستغنوا عنى عموما (وقال ابن عطاء للدعاء اركان) اى يقوم بها كالاخلاص (واجنحة) اى يطير بها ويصعد بسببها ولابد من وجودها كاكل الحلال (واسباب) اى احوال للاجابة كحالة السجود والقرأة (واوقات) اى ازمنة خاصة لها كالسحر وساعة الجمعة وقد بيناها كلها فى شرح الحصن الحصين (فان وافق) اى الدعاء (اركانه) بان قارنها (قوى) اى باسناده اليها (وان وافق اجنحته طار فى السماء) اى صعد اليها (وان وافق مواقيته) اى ازمنته وامكنته (فاز) اى نجح اجابته وقضيت حاجته واستجيب قوله (وان وافق اسبابه انجح) اى ظفر بطلبته (فاركانه حضور القلب) اى لمشاهدة الرب (والرقة) اى اللينة من اثر الرحمة (والاستكانة) اى الخضوع والتضرع والمذلة (والخشوع) اى الانكسار والافتقار والخشية (وتعلق القلب بالله) اى بنفى ماسواه (وقطعه) اى الداعى (للاسباب) وفى نسخة عن الاسباب اى اعتمادا على رب الارباب (واجنحته الصدق) بان لا يجرى على لسانه الكذب ونحوه ويكون صادقا فى قوله وفعله وبارا فى عهده ووعده (ومواقيته الاسحار) اى ونحوها من مواقيت الاذكار وخصت بالاسحار لانها وقت الخلو عن الاغيار والخلوص عن الاكدار (واسبابه الصلوٰة) اى انواعها بجملها فى اول الدعاء واوسطه وآخره (على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد) اى بلا اجابة بل يستجاب البتة وقد قال الشيخ ابو سليمان الدارانى اذا سألت الله حاجة فابدأه بالصلوٰة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ادع بما شئت ثم اختم بالصلوٰة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما (وفى حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوٰة على صعد الدعاء) وهو مضمون حديث

الترمذي عن عمر (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش) بفتح مهملة ونون وشين معجمة وهو ابن عبد الله شيباني صنعاني دمشقي نزل افريقية يروي عن علي وغيره وثقه ابوزرعة وغيره توفي سنة مائة (فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان تصلي) اي بان تصلي وفي نسخة فتقول اللهم اني اسألك ان تصلي (على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ماصليت على احد من خلقك اجمعين) تأكيد لماقبله (آمين) بالمد ويقصر قال الحلبي هذا الحديث الذي اشار اليه القاضي ليس هو في الكتب الستة والذي لحنش عن ابن عباس حديث يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الحديث اخرجه الترمذي في الزهد وحديث آخر عند ابن ماجه انه عليه السلام قال لابن مسعود معك ماء قال لا نبيذ في سطيحة الحديث اخرجه ابن ماجه في الطهارة وليس له عن ابن عباس شئ في بقية الكتب ولافيها الاهذين لحنش هذا ترجمته في الميزان وصحح عليه انتهى والحاصل ان الحديث ليس له اصل صحيح لكن الضعيف يذكر في الفضائل والمصنف امام جليل في حسن الشمائل ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم والله اعلم (ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره اوسماع اسمه او كتابته) وفي نسخة اوكتابه (اوعند الاذان) اي الاعلام الشامل للاقامة (وقد قال عليه السلام) كما في رواية مسلم عن ابي هريرة (رغم) بكسر الغين ويفتح اي لصق بالتراب وذل (انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي) وفي حديث بعثت مرغمة للمشركين وفي هذا دعاء عليه اي لحقه هوان ومذلة مجازاة بتركه تعظيمي بالصلوة علي حين سمع اسمي (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك القرطبي احد الائمة ومصنف الواضحة (ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) ولعل وجه الكراهة توهم اشتراك اسمه باسم الله سبحانه بان يقول بسم الله وصلى الله تعالى عليه وسلم واما ان قال بسم الله والنبي ونحوه فلاشك انه حرام ولايحل اكل تلك الذبيحة وربما يكفر قائله والحاصل ان اصحاب ابي حنيفة كرهوا الصلوة في هذا الموطن كما ذكره صاحب المحيط وعلله بان قال لان فيها ايهام الاهلال لغير الله تعالى (وكره سحنون) بفتح فسكون فضم وهو منصرف وهو ابوسعيد عبد السلام (الصلوة عليه عند التعجب وقال) اي في تعليله (لايصلى عليه الاعلى طريق الاحتساب وطلب الثواب) عطف تفسير لماقبله ويؤيده ماقال بعض ائمتنا من ذكر الله عند فتح سلعته او نشر سلعته وارادة ترويجها واجتماع الناس عليها يكفر وفي تحفة الملوك ومنحة السلوك للعيني ويحرم التسبيح والتكبير والصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند عمل محرم اوعرض سلعة اوفتح متاع انتهى فاذكره الانطاكي من قوله كذلك كره اصحابنا الحنفية للسوقي ان يصلي عليه عليه السلام عند فتح بضاعته وعرضها على المشتري لانه يقصد بذلك تحسين بضاعته وترغيب المشتري في تجارته لا الاحتساب وطلب الثواب ينبغي ان يحمل على الكراهة التحريمية واذا قصد المثوبة وغيرها فتكون الكراهة تنزيهية والله اعلم (قال) وفي نسخة وقال (اصبغ) بفتح فسكون فموحدة مفتوحة فغين معجمة وهو غير مصروف وهو ابن فرج بن سعيد بن نافع ابوعبد الله الاموي مولى عمر بن عبد العزيز المصري الفقيه يروي عن ابن وهب والدراوردي وطائفة وعنه البخاري وجماعة قال ابن معين كان اعلم خلق الله برأي مالك صدوق عالم ورع (عن ابن القاسم) وهو ابوعبد الله المصري الفقيه صاحب مالك وثقه غير واحد ورع زاهد اخرج له البخاري والنسائي وردعنه قال خرجت الى مالك اثنتي عشرة مرة انفقت كل مرة الف دينار (موطنان لايذكر فيهما) بصيغة المفعول (الا الله الذبيحة والعطاس) بضم اوله وهو العطسة (فلاتقل) بصيغة الخطاب وفي نسخة بصيغة الغيبة مجهولا (فيهما) اي في الذبيحة والعطاس (بعد ذكر الله محمد رسول الله) اي لاختصاص ذكر الله تعالى بهما ويؤيده مارواه ابو محمد الخلال بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال موطنان لاحظ لي فيهما عند العطاس والذبح واخرج الديلمي في مسند الفردوس له من طريق الحاكم عن انس وهو عند البيهقي في السنن الكبرى عن الحاكم من غير ذكر الصحابي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه سلم قال لاتذكروني في ثلاثة مواطن عند العطاس وعند الذبيحة وعند التعجب (ولوقال بعد ذكر الله صلى الله تعالى) وفي نسخة وصلى الله تعالى (على محمد لم يكن تسميته) وفي نسخة تسمية (له مع الله)لانها جملة منفصلة عماقبلها (وقاله) اي وذكره ايضا (اشهب) وهو ابن عبد العزيز بن داود ابو عمر القيسي المصري الفقيه يروي عن الليث ومالك وطائفة وعنه سحنون وجماعة توفي بعد الشافعي بثمانية عشر يوما وله اربع وستون سنة اخرج له ابوداود والنسائي قال ابن يونس هو احد فقهاء مصر وذوي رأيها وقال ابن عبد البر كان فقيها حسن الرأي والنظر فضله ابن عبد الحكم على ابن القاسم في الرأي (قال) اي اشهب (ولاينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) اي فيما ذكر اوفي كل منهما (استنانا) وفي نسخة استنانا اي سنة واستحسانا خلافا للشافعي حيث قال لااكره مع التسمية على الذبيحة ان يقول صلى الله تعالى عليه وسلم على

محمد بل احب ذلك (وروى النسائي) وكذا ابوداود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه (عن اوس بن اوس) ثقفي صحابي سكن دمشق اخرج له اصحاب السنن الاربعة واحمد في المسند قال الحلبي وفي الصحابة من اسمه اوس خمسة وار بعون (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة) ولفظه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه الصعقة فاكثروا فيه من الصلوة على فان صلاتكم معروضة على قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت اى بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء ورواه ايضا احمد وابن ابي عاصم والبيهقي والطبراني وابن خزيمة وصححه النووي في الاذكار وجاء في هذا الباب احاديث كثيرة و في بعضها تعين عدد الصلوة بثمانين وفي بعضها بمائة وفي بعضها بالف وكذا ورد احاديث في الصلوة عليه ليلة الجمعة (ومن مواطن الصلوة عليه والسلام) اى الجمع بينهما (دخول المسجد) اى بعد تحققه وحصوله اوقصد دخوله ووصوله (قال ابواسحق ابن شعبان) اى المصري المالكي (و ينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله و يترحم عليه وعلى آله و يبارك عليه وعلى آله و يسلم) اى عليه وعلى آله كما في نسخة (تسليما و يقول اللهم اغفرلي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) اى من الصلوة والدعاء و يروى يقول مثل ذلك (وجعل موضع رحمتك فضلك) وهذا مأخوذ من حديث احمد وابي يعلى والترمذي وحسنه عن فاطمة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفرلي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج قال صلى الله على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفرلي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك واصله في حديث مسلم وليس فيه ولا في غيره وترحم وبارك ثم لايخفى مناسبة طلب الرحمة في دخول المسجد للطاعة وملائمة طلب الفضل وهو الرزق عند خروجه على وجه الاباحة كما يشير اليه قوله سبحانه فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله (وقال عمرو بن دينار) هو ابو محمد مولى قيس مكي امام يروى عن ابن عباس وابن عمر وجابر وعنه شعبة وسفيانان وحمادان وهو عالم حجة اخرج له الائمة الستة (في قوله) اى الله سبحانه (فاذا دخلتم بيوتا) بكسر الباء وضمها (فسلموا على انفسكم) اى على اهليكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال) اى ابن دينار وهو من كبار تابعين المكيين وفقهائهم (ان) وفي نسخة فان (لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله و بركاته) اى لان روحه عليه السلام حاضر في بيوت اهل الاسلام (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) اى من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين (السلام على اهل البيت) لعله اراد بهم مؤمني الجن (ورحمة الله و بركاته) وظاهر القرآن عموم البيوت لاسيما وسابقه بيوتكم و بيوت آبائكم الآية و يؤيده حديث انس متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (قال ابن عباس) اى في رواية ابن ابي حاتم (المراد بالبيوت هنا المساجد) ولعله اراد انها تسمى المساجد فانها افضل البيوت كما يشير اليه قوله سبحانه في بيوت اذن الله ان ترفع الآية فالتنوين للتنكير اواراد ان التنوين للتعظيم فيختص بالمساجد لانها اعلى المشاهد (وقال النخعي) وهو ابراهيم بن يزيد العالم الجليل (اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ولا منع من الجمع فيهما (وعن علقمة) اى ابن قيس الفقيه النبيه (اذا دخلت المسجد) اى انا (اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله و بركاته صلى الله وملائكته على محمد) اى اجمع بين الصلوة والسلام عليه (ونحوه عن كعب) اى كعب الاحبار (اذا دخل المسجد واذا خرج) اى في الوقتين (ولم يذكر الصلوة) اى كعب بخلاف علقمة (واحتج ابن شعبان لما ذكره) اى فيما مر من انه ينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي الخ و يروى لما ذكر (بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد) لكن سبق انه لم يذكر فيه ترحما ولا مباركة وحديثها اخرجه الترمذي في الصلوة وفيه ارسال فاطمة بنت الحسين ولم يذكر فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ماجه في الصلوة ايضا (ومثله) اى ومثل حديثها اومثل حديث علقمة (عن ابي بكر بن عمرو بن حزم) اى الانصاري قاضي المدينة واميرها يروى عن السائب بن يزيد وغيره وعنه الاوزاعي ونحوه اخرج له الائمة الستة (وذكر) وفي نسخة فذكر (السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث) اى حديثها (آخر القسم) اى الثاني وفي نسخة في آخر هذا القسم (والاختلاف في لفظه) اى من رواية عنها (ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلاة على الجنائز وذكر) اى وروى (عن ابي امامة انها من السنة) قال الحلبي ابو امامة هذا الظاهر انه سعد بن سهل بن حنيف بن واهب ابن الحكم بن ثعلبة ابو امامة الانصاري ولد في زمان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه عليه السلام

وكاء و برك عليه وحديثه مرسل وروى عن عمرو عنه الزهرى ويحيى بن سعد وخلق فان قيل لم قلت ان ابا امامة هذا الظاهر انه سعد فالجواب ان حديثه المشار اليه هو فى مستدرك الحاكم رواه من طريق يونس عن الزهرى اخبرنى ابوامامة ابن سهل انه اخبره رجال من الصحابة فى الصلوة على جنازة انه يكبر الامام ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويخلص الصلوة فى التكبيرات الثلاث ثم يسلم تسليما خفيفا حتى ينصرف والسنة ان يفعل من ورائه مثل مافعل امامه قال الزهرى حدثنى بذلك ابوامامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر فذكرت الذى قال لمحمد بن سويد فقال وانا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة فى صلوة صلاها على الميت مثل الذى حدثنا به ابوامامة على شرطهما سكت عليه الذهبى ولم يتعقبه وله حديث فى سنن النسائى السنة فى الصلوة على الجنازة ان يقرأ فى التكبيرة الاولى بام القرأن مخافتة ثم يكبر ثلاثا والتسليم عند الاخيرة ثم اعلم ان التكبيرات عندنا اركان واما الثناء بعد الاولى والصلوة بعد الثانية والدعاء بعد الثالثة فسنن ولو قرأ الفاتحة بنية الثناء جاز وذكر الدلجى ان الصلوة على النبى عند الشافعى من اركانها ومحلها كما جزم به فى المنهاج التكبيرة الثانية لحديث النسائى ومحمد بن نصر المروزى عن ابى امامة ابن سهل الصحابى لا ابى امامة الباهلى قال السنة فى الصلوة على الجنائز ان يكبر ثم يقرأ بام القرأن ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا فى التكبيرة الاولى ثم يسلم حديث صحيح صححه الحاكم وحكمه الرفع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن مواطن الصلوة التى مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها) اى على عاملها (الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرسائل) اى المكاتيب والوسائل (ويكتب بعد البسملة) او الحمدلة لا قبلهما (ولم يكن هذا) اى ابتداء الرسائل بها (فى الصدر الاول) اى فى زمنه عليه السلام مطلقا او فى زمن اصحابه شايعا فلا ينافى ماذكره الدلجى من انه اول من فعله من الخلفاء ابو بكر بشهادة ما فى سيرة الكلاعى ان بنى سليم لما ارتد واكتب الى عامله عليهم طريفة بن حاجر بسم الله الرحمن الرحيم من ابى بكر خليفة رسول الله الى طريفة بن حاجر سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو واسأله ان يصلى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد الخ وفى اذكار النووى عن حماد بن سلمة ان مكاتبة المسلمين كانت من فلان الى فلان اما بعد سلام عليك الخ واصله كتابه عليه السلام الى هرقل عظيم الروم ثم احدث هذه الزنادقة هذه المكاتبات المبدوءة بالطليقة اى اطال الله بقائك (واحدث) بصيغة المجهول اى وابتدع ابتداء الرسائل بها (عند ولاية بنى هاشم) اى بنى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم واولهم السفاح (فمضى به عمل الناس فى اقطار الارض) اى نواحيها (ومنهم من يختم به) اى بما ذكر من الصلوة عليه عليه السلام (ايضا) مع الابتداء به او بدونه (الكتب) اى المكاتيب (وقال عليه السلام من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب) رواه الطبرانى فى الاوسط بسند حسن والخطيب فى شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ فى الثواب وغيرهم (ومن مواطن السلام) اى بانفراده (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلوة) اى فى اثنائه (قال) كذا فى نسخة اى المصنف (حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب رحمه الله تعالى وغيره) اى من مشايخه المعروفة عنده ولا يضره قول الحلبى لا اعرفه (قال) اى ابو القاسم (حدثتنى كريمة) وفى نسخة صحيحة قالوا حدثتنا (بنت محمد) وفى نسخة بنت احمد وقد تقدمت (قالت ثنا) اى حدثنا (ابو الهيثم) اى الكشميهنى (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسمعيل) اى الامام البخارى (ثنا ابو نعيم) بالتصغير هو الفضل بن دكين الحافظ يروى عن الاعمش وطائفة وعنه البخارى وجماعة (ثنا الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن شقيق بن سلمة) اى الاسدى مخضرم سمع عمر ومعاذا وقال ادركت سبع سنين من سنى الجاهلية وكان من العلماء العاملين اخرج له الائمة الستة (عن عبد الله ابن مسعود) وقد رواه اصحاب الكتب الستة عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اعتمد الدلجى على اصله السقيم قال ظاهره على انه موقوف عليه وهو فى حكم المرفوع (قال اذا صلى احدكم) اى فرضا او نفلا (فليقل) اى فى كل قعدة من صلوته وجوبا (التحيات لله والصلوات والطيبات) اى العبادات القولية والفعلية والمالية كلها لله (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) قال الدلجى وانما قال عليك دون على النبى تبعا للفظه عليه السلام وقت علمهم وعدوله اليه ليخاطبوه اذا كان حيا فلما توفى ذهب بعضهم الى الغيبة بشهادة حديث البخارى عن ابن مسعود كنا نقول السلام عليك وهو بين ظهرانينا ولما قبض قلنا السلام على النبى قلت ان ثبت عنه انه اراد بهذا فى الصلوة فهذا مذهبه المختص به اذا جمع الائمة الاربعة على ان المصلى يقول ايها النبى وان هذا من خصوصياته عليه السلام اذ لو خاطب مصل احدا غيره ويقول السلام عليك بطلت صلوته (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها) اى جملة السلام علينا الى آخرها (اصابت) اى السلامة او كلمة السلام (كل عبد صالح فى السماء) من

الملائكة (والارض) من الانبياء والاولياء والصالح من يقوم باداء حقوق الله وحقوق عباده (هذا) اى وقت اداء الصلوة اوتشهد الصلوة (احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد) اى بعد الثناء على الله سبحانه وقيل ان يقول اشهد (وقد روى مالك) اى فى الموطأ (عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول ذلك) اى السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم) اى ليخرج من صلوته (واستحب مالك فى المبسوط) وفى نسخة فى المبسوطة (انه يسلم بمثل ذلك) اى استحب فيهما ان يقال ماروا ابن عمر (قبل السلام) اى من صلوته قال الدلجى وليس هذا من مشهور مذهبه (قال محمد بن سلمة اراد) اى مالك (ماجاء عن عايشة وابن عمر رضى الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم) اى ورحمة الله (واستحب العلماء ان ينوى الانسان) اى المصلى اماما اومأموما اومنفردا (حين سلامه) اى من صلوته عن يمينه ويساره وفى نسخة عند سلامه (كل عبد) وفى نسخة على كل عبد (صالح فى السماء والارض من الملائكة وبنى آدم والجن) اى ممن حضره فان اصحاب ابى حنيفة على ان الامام ينوى بطرفيه من ثم من الملك والبشر وكذا المقتدى الا انه ينوى امامه ايضا فى تسليمة واحدة اذا كان فى احد طرفيه وفيهما اذا كان محاذيا والمنفرد ينوى الملك فقط وذكر الدلجى ان اصحاب الشافعى على ان الامام ينوى بسلامه المقتدين به وهم ينوون سلامهم الرد عليه وغيره ينوى به من عن يمينه ويساره وهو الرد (وقال مالك رحمه الله فى المجموعة واجب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم) قال الدلجى وهذا غريب ليس من مشهور مذهبه ثم اعلم ان مواطن الصلوة عليه تزيد على اربعين موضعا ولعله سبحانه وتعالى ان وفقنى على جمعها اجعلها فى رسالة مستقلة مع ماورد فيها من الادلة

﴿فصل﴾

(فى كيفية الصلوة عليه والتسليم) اى بالفاظ وردت عنه عليه الصلوة والسلام وثبتت عند العلماء الاعلام (قال) كذا فى نسخة اى المصنف (حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتى عليه ثنا القاضى ابو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة فغين معجمة عيسى بن سهل (ثنا ابو عبدالله بن عتاب) بتشديد الفوقية (حدثنا ابو بكر بن واقد) بالقاف المكسورة (وغيره) اى من المشايخ (حدثنا ابو عيسى) المفهوم من كلام الدلجى انه الامام الترمذى وهو الظاهر عند اطلاقه وقال الحلبى هو يحيى بن عبدالله بن يحيى بن يحيى بن كثير ووافقه الانطاكى ويؤيده قوله (ثنا عبيدالله) قال الحلبى هذا عم ابى عيسى الذى قبله وهو عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثى (ثنا يحيى) هذا هو يحيى ابن يحيى الليثى احد رواة الموطأ عن مالك (ثنا مالك) وهو الامام (عن عبدالله بن ابى بكر بن حزم) وفى نسخة ابى بكر ابن عمرو بن حزم روى عنه السفيانان (عن ابيه عن عمرو بن سليم) بالتصغير (الزرقى) بضم الزاى وفتح الراء مخففة فقاف فياء نسبة انصارى يروى عن ابى قتادة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وعنه الزهرى وطائفة (انه قال اخبرنى ابو حميد) بالتصغير (الساعدى) منسوب الى بنى ساعدة من الانصار خزرجى مدنى له صحبة بقى الى حدود ستين (انهم) اى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك) وهو مطلق يشمل حال الصلوة وغيرها (قال قولوا) ربما يستدل به على فرضية الصلوة عليه فى الصلوة لان الاصل فى الامر الوجوب والاجماع على عدم وجوبها فى غير الصلوة واهل الجمهور حملوه على الاستحباب مطلقا الا انها فى الصلوة آكد والله اعلم (اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم) قيل الآل مقحمة وقيل المراد آل ابراهيم معه والتشبيه من باب الحاق مالم يشتهر بما اشتهر لا من باب الحاق الناقص بالكامل فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اكمل الخلق فالصلوة المطلوبة له من الخلق محمولة على الافضل فالمعنى صل عليه صلوة مشهورة كشهرة صلوة الملائكة على ابراهيم لقوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقد ورد فى بعض طرق الحديث زيادة انك حميد مجيد (وبارك) وفى رواية اللهم بارك (على محمد) اى ابت وادم مامنحته اليه وانعمته عليه (وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد) اى محمود بذاتك وصفاتك سواء حمدت اولم تحمد على لسان مخلوقاتك اوحامد بكلماتك على ماظهرت من آلائك فى مصنوعاتك فهو الحامد والمحمود سبحانه وتعالى لانحصى ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه واسنده اليه بنحو قوله فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (مجيد) اى كريم كثير الاحسان عظيم كثير الامتنان والحديث قد اخرجه القاضى من موطأ يحيى بن يحيى كما ترى وقد اخرجه البخارى ومسلم وابوداود والنسائى وابن ماجه كلهم عن مالك به فان قيل لم عدل عن اخراجه من الكتب المذكورة

فالجواب انه يفعله من الموطأ اعلى لان بينه و بين مالك فيه سنة استخصاص من غير اجازة في الطريق (وفي رواية مالك) اي في الموطأ (عن ابي مسعود الانصاري رضي الله عنه) اي البدري لنزوله بدرا وقيل لحضوره اياه وابو مسعود هذا هو عقبة بن عمرو وقد تقدم (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله) اي آل محمد (كما صليت على آل ابراهيم) وهو صلى الله عليه وسلم ايضا من اشرف آله فتكون الصلوة مضاعفة عليه في حاله واذا دخل في الآل يرتفع ما سبق في التشبيه من الاشكال والله اعلم بالحال واعلم انه استشكل هذا الحديث بناء على القاعدة الاغلبية من ان المشبه يكون افضل من المشبه به فقيل ان ذلك كان قبل ان يعلم انه افضل من ابراهيم عليهما السلام وقيل صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضعا عند ربه او هضما لنفسه او تأدبا مع جده وقيل سأل صلوة يتخذه بها خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وهذا لا يتم الا بما قيل من انه اراد المشابهة في اصل الصلوة لا قدرها كما في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وقيل التشبيه وقع في الصلوة على الآل والكلام تم عند قوله صل على محمد وقوله وعلى آل محمد كلام مستأنف والمعنى وصل على آل محمد كما صليت ويحكى هذا عن الشافعي لكن تكلفه لا يخفى وقيل هو على ظاهره والمراد اجعل لمحمد وآله صلوة كصلوة ابراهيم وآله فالمسئول مقابلة الجملة بالجملة لان المختار من القول في الآل انهم جميع الاتباع فيدخل في آل ابراهيم خلائق لا يحصون من الانبياء كذا ذكره الانطاكي ولا يحتاج الى تفسير الآل بالاتباع لان الانبياء عليهم السلام بعد ابراهيم كلهم من ذريته فانبياء بني اسرائيل من نسل اسحق ونبينا من نسل اسمعيل فهو صلى الله عليه وسلم من جملة آله فاآله باعتبار هذا المعنى وما آله اعظم والله اعلم (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد) اي في جميع الاحوال (مجيد) اي كثير البر والنوال (والسلام كما قد علمتم) بكسر لام مخففة مع فتح اوله اومسددة مع ضم اوله اي كما عرفتم في التشهد (وفي رواية كعب ابن عجرة) بضم مهملة وسكون جيم وهو من اصحاب الشجرة روى عنه الشعبي وابن سيرين وغيرهما مات سنة احدى وخمسين والحديث رواه الائمة الستة عنه مرفوعا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم) وفي نسخة على آل ابراهيم (وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) اي مبالغ في المجد والشرف والكرم وعن علي كرم الله وجهه اما نحن بنوهاشم فانجاد امجاد اي اشراف كرام (وعن عقبة بن عمرو) اي كما رواه مسلم وغيره عنه مرفوعا (في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي) اي الذي على اصل خلقته لم يتعلم قراءة ولا كتابة بعد ولادته فيكون ظهور كمال علمه من خوارق عاداته (وعلى آل محمد) قال الشافعي رحمه الله هم من حرمت عليهم الزكاة قال الدلجي ويؤيده قول الحسين بن علي انا آل محمد لا نأكل اولا يحل لنا الصدقة والاظهر ان المراد جميع اقاربه واهل بيته وقيل ازواجه وذريته اوجميع امته ورجحه النووي في شرح المهذب وقيده القاضي حسين بالاتقياء منهم في حديث البخاري وربما يقال امة الاجابة كلهم اتقياء فان اقل التقوى ترك الشرك وقد ورد كل تقي آلي نعم على قدر مراتب التقوى تحصل المشاركة في المقام الاعلى (وفي رواية ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه اللهم صل على محمد عبدك) اي الاكمل (ورسولك) اي الافضل فالاضافة للتعظيم والتكريم اوللعهد المخرج توهم التعميم فيه وايماء الى لاعتراف بالعبودية والتحدث بنعمة رسالة الربوبية (وذكر معناه) اي معنى الحديث ومبناه وروى وذكر بمعناه (وحدثنا القاضي ابوعبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف) بفتح مهملة (النحوي) اي المنسوب الى النحو لمهارته في علمه وشهرته في فنه (بقراءتي عليه قالا) اي كلاهما (نا) اي حدثنا (ابوعبد الله ابن سعدون) بفتح سين وضم دال مهملتين ممنوع وقيل مصروف (الفقيه) اي العالم بالفقه (نا ابو بكر المطوعي) بفتح الواو مشددة (قال نا ابو عبد الله الحاكم) اي النيسابوري شيخ اهل الحديث في عصره وصاحب التصانيف في دهره ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة في ربيع الاول وطلب من صغره الحديث باعتناء ابيه وخاله فسمع سنة ثلاثين وثلثمائة ورحل الى العراق وهو ابن عشرين وحج ثم جال في خراسان وماوراء النهر وسمع من الفي شيخ تقريبا وفي مستدركه احاديث ضعيفة وموضوعة ايضا لا يخفى بطلانها على من له معرفة بها وقد وثق جماعة فقد ضعفهم هو في مواضع اخر وذكر انه تبين جرحهم بالدليل توفي في صفر سنة خمس واربعمائة (عن ابن بكر ابن ابي دارم) بكسر الراء (الحافظ) اي الشيعي التميمي محدث الكوفة سمع ابراهيم بن عبد الله بن القصار واحمد بن موسى الحمار وغيرهما روى عنه الحاكم وتكلم فيه وابو بكر بن مردويه واخرون وكان موصوفا بالحفظ لكن كان يرفض واتهم بالكذب توفي سنة اثنين وخمسين وثلثمائة (عن علي بن احمد العجلي) بكسر مهملة وسكون جيم (عن حرب) بالموحدة وفي نسخة حارث بالمثلثة (ابن الحسن) وهو الطحان قال الازدي ليس حديثه بذلك قاله في الميزان قال الحلبي لكن ذكره ابن حبان في ثقاته (عن يحيى بن المساور) بضم الميم وكسر الواو قال الذهبي فيه عن جعفر الصادق قال الازدي

كذاب (عن عمرو بن خالد) هو ابو خالد القرشي مولى بني هاشم كوفي نزل واسط يروي عن حبيب ابن ابي ثابت وزيد بن علي وابي جعفر الباقر وجماعة وعنه حجاج بن ارطاة واسرائيل واسمعيل ابن ابي عياش وخلق كذاب له ترجمة قبيحة في الميزان (عن زيد بن علي بن الحسين) اي ابن علي ابن ابي طالب وهو ابو الحسين العلوي المدني اخو محمد الباقر وعبد الله وعمر وعلي وحسين روى عن ابيه وابان بن عثمان وعروة بن الزبير وغيرهم وعنه الزهري وزكريا ابن ابي زائدة وشعبة وعمرو بن خالد وخلق ذكره ابن حبان في الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة استشهد سنة اثنين وعشرين ومائة (عن ابيه علي) ابوه علي بن الحسين بن ابي طالب زين العابدين يروي عن ابيه وعايشة وابي هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهري وابو الزناد وخلق قال الزهري ما رأيت قرشيا افضل منه فقد مأمون (عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال) اي علي (عدهن) اي الكلمات الآتية فالضمير مبهم مفسر بما بعده (في يدي) وفي نسخة بصيغة التثنية (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع على انه فاعل عد (وقال) اي النبي عليه الصلوة والسلام (عدهن في يدي جبريل وقال هكذا) اي الكلمات المعدودة (نزلت) بتسكين تاء التأنيث وفي نسخة نزلت بهن (من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) وفي نسخة ربنا اي يا ربنا (انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وهذا المقدار تقدم انه صحيح رواه اصحاب الكتب الستة عنه صلى الله عليه وسلم (اللهم وترحم) بتشديد الحاء على صيغة الدعاء اي اظهر الرحمة الوافية والرأفة الكافية (على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن) اي اظهر الحنان وهو على ما في القاموس كسحاب الرحمة والرزق والبركة والوقار والهيبة ورقة القلب والحنان كشداد من اسمائه سبحانه وتعالى ومعناه الذي يقبل على من اعرض عنه فلا يبعد ان يقال المعنى على قصد التجريد في المبنى اللهم واقبل (على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال الحلبي هذا الحديث مسلسل وقد رويته عن غير واحد مسلسلا وقال الدلجي ما اورده المصنف هنا عن ابي عبد الله الحاكم فقد قال النميري اسناده ذاهب وفيه عمرو بن خالد الواسطي وهو متروك لوضعه على اهل البيت وفيه حرب ابن الحسين الطائي ويحيى بن المساور وهما مجهولان قلت غايته ان الحديث ضعيف وقد اجمع العلماء على انه يعمل به في فضائل الاعمال (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) اي برواية ابي داود عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره) اعجبه (ان يكتال) بفتح الياء وروي بضمها اي يأخذ الاجر الاعلى (بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت) بالنصب على المدح او بتقدير يعني وفي نسخة بالجر على انه بدل من الضمير في علينا (فليقل) اي في صلوته او في جميع حالاته (اللهم صل على محمد النبي) اي الموصوف بالرسالة (وازواجه امهات المؤمنين) ايماء الى قوله تعالى وازواجه امهاتهم (وذريته) اي اولاده وحفدته (واهل بيته) اي اقاربه وهو تعميم بعد تخصيص مشيرا الى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت (كما صليت على ابراهيم) اي بقولك رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد ولهذا ختم بقوله (انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) وهو الخزرجي الحارثي المتكلم بعد الموت على الصحيح وقيل هو ابوه وذلك وهم لانه قتل يوم احد وهذا تكلم في زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال ابن منده شهد بدرا والحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عنه (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا) اي الصلوة بشرائطها واركانها وسننها (واجتهدوا في الدعاء) اي بعد التحريمة وفي الركوع والسجود وفي آخر الصلوة (ثم قولوا) اي وقولوا وعبر بثم للترقي او للتراخي في الاخبار ولا يبعد ان يراد بالاجتهاد في الدعاء المبالغة في الثناء بالتحيات الواردة عن سيد الانبياء ثم قولوا بعد السلام المدرج في ضمن التحيات قبل السلام الصارف عن الصلوة (اللهم بارك) اي اكثر الصلوة والرحمة (على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) وفي الحديث دليل على انه يجوز الاكتفاء بهذا اللفظ الوارد وان كان ما سبق افضل واكمل فتأمل (وعن سلامة الكندي) بكسر الكاف ذكره ابن حبان في الثقات (كان علي رضي الله تعالى عنه يعلمنا) وفي رواية يعلم الناس (الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي لداخل الصلوة وخارجها وهو موقوف وقد صح سنده قال الدلجي لكن اعل وان صح سنده بان روايته عنه مرسلة اذ لم يدركه انتهى وهو مردود بما ذكره ابن حبان انه روى عن علي وروى عنه نوح بن قيس الطاحي انتهى ومثل هذا لا يقال في الارسال ثم رأيت قال الشيخ ابن كثير في تفسيره روينا من طريق سعيد بن منصور وزيد بن الحباب ويزيد بن هارون ثلاثتهم عن نوح بن قيس ثنا سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس (اللهم داحي المدحوات)

بتشديد الواو وفي رواية المدحيات بتشديد التحتية فيهما اسما مفعول من دحا يدحو ويدحي اي يا باسط المبسوطات كالارض اذ خلقها ربوة ثم دحاها اي بسطها ومدها مد الاديم قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها والى الارض كيف سطحت وفي الآيتين رد على اهل الهيئة القائلة بغير هذه الكيفية من الكرة المخالفة للادلة النقلية بمجرد التوهمات العقلية (وبارئ المسموكات) من برأ الشيء اي خلقه بريئا من التفاوت قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وفي قراءة من تفوت اي نقصان وزيادة وقصور في مادة اي خالق المرفوعات من سمكه اذا رفعه كالسموات فانها مرتفعة عن السفليات مسيرة خمسمائة عام كما ثبت في الروايات ورد وي سامك المسموكات اي رافعها وما احسن المناسبة بين الفقرتين فان معنى الاولى واضعها وخافضها كما قال تعالى والارض وضعها للانام وفي العبارة ترق في الكلام وفيه ايماء الى انه سبحانه وتعالى يرفع قوما ويضع آخرين كما تقتضيه اسماؤه الجمالية وصفاته الجلالية (اجعل شرائف صلواتك) اي خيارها وارفعها قدرا واتمها نورا قيل للاعمش لم لم تستكثر من الرواية عن الشعبي فقال كان يحقرني كنت آتي مع ابراهيم النخعي فيرحب به ويقول لي اقعد ثم ايها العبد ثم يقول

﴿لا يرفع العبد فوق سنته ※ ما دام فينا بارضنا شرف﴾

ولعله كان يعمل بما روي نزل الناس على قدر منازلهم فلا يكون تحقيرا له (ونوامي بركاتك) اي الاضافة فيها وفيما قبلها من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف اي بركاتك النامية الزاكية الدائمة في الزيادة الكافية الوافية (ورأفة تحننك) اي اجعل رأفة تنشأ من تحننك والرأفة اشد الرحمة وفي نسخة تحننك بتاء فوقية فمهملة فنونين اي رحمتك ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا اي واجعل اشد تعطفك وترحمك (على محمد عبدك ورسولك) اي الجامع لوظيفة العبودية والقيام بحق الربوبية (الفاتح لما اغلق) بصيغة المجهول اي المبين لمشكلات الامور وقال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فهو فاتح لما عسر من ابواب كنوز المبرات واسباب رموز المسرات اذ قد فتح باقامة الحجة واشاعة المحجة ابواب الهداية واسباب الرعاية المانعة عن الوقوع في الغواية وفي الحديث اوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض وكانه اراد ما سهله الله تعالى له ولامته من فتح البلاد واخراج كنوزها للعباد وفي حديث آخر اوتيت مفاتيح الكلام اي ما منحه الله تعالى من البلاغة والبراعة والفصاحة والنصاعة بالوصول الى حقائق المباني ودقائق المعاني مما اغلق على غيره من الخلق اجمعين (والخاتم) بكسر التاء وفتحها (لما سبق) اي من النبيين والمرسلين وفيه تلويح الى قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولا يبعد ان يراد بالفاتح الاسناد المجازي مشيرا الى انه الذي افتتح به الموجودات وابتدئ به الكائنات كما قال اول ما خلق الله روحي او نوري اولانه كالعلة الغائية في ظهور المراتب الاسمائية كما ورد لولاك لما خلقت الافلاك وكما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو الاكمل في مقام العبادة وحالة العبودية (والمعلن الحق) بالجر على الاضافة وبالنصب على المفعولية بنزع الخافض اي المظهر لامر الحق (بالحق) اي بطريق الصدق وليس المراد بهما معنى واحد حتى يصح للدلجي ان يقول وضعه موضع ضميره قصدا لزيادة تمكنه وتلويحا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعلن الا به نعم يمكن ان يراد بالحق اسمه تعالى فالمعنى انه مظهر للحق بمعاونة الحق ايماء الى مقام الجمع من ملاحظة فنائه وبقائه (والدامغ لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهي المرة من جاش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل على غير قياس وفي نسخة الاباطل بلا ياء واصل الدمغ اصابة الدماغ وهو مقتل والمراد به هنا الدفع ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق اي القامع لظهورها والدافع لشرورها (كما حمل) بضم الحاء وتشديد الميم المكسورة وهو خبر مبتدأ محذوف اي هذه الحال من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكر من الكمال مثل حال وصفه بما حمله من اعباء الرسالة واثقال النبوة (فاضطلع) بالضاد المعجمة افتعال من الضلاعة وهي القوة ومنها الاضلاع اي فقوي على ما حمله ونهض (بامرك) اي باذنك وتيسيرك واعانتك اياه عليه وتوفيقك له اوفقام بما مورك الذي كلفته حمله (لطاعتك) اي لاجلها اولامتثالها وفي نسخة صحيحة بطاعتك فالباء السببية فتشارك اللام في معناها (مستوفزا) بكسر الفاء بعدها زاي اي منتصبا ناهضا او قائما مستعجلا (في مرضاتك) اي لطلب ما فيه رضاك اوفي تحصيل مرضاتك وزاد الدلجي في اصله بغير نكل في قدم بضم نون وسكون كاف وكسر قاف وسكون دال من نكل به اذا جعله عبرة لغيره ومنه قوله تعالى فجعلناها نكالا والمعنى بغير جبن في اقدام ولا وهن في عزم اي ولا ضعف في امر حزم وحكم حتم وجزم وفي الحديث انه عليه الصلوة والسلام قال لابي بكر متى توتر قال اول الليل وقال لعمر متى توتر قال آخر الليل فقال لابي بكر اخذت بالحزم ولعمر اخذت بالعزم ولا خير في عزم بلا حزم واما قول المصنف (واعيا لوحيك) فهو من وعى يعي وعيا اذا حفظ وفهم ومنه قوله تعالى اذن واعية ويقال للاناء الوعاء لحفظه ما فيه من نحو الماء اي مراعيا لما اوحيته اليه وفاهما لما بينته

لديه صلى الله تعالى عليه وسلم (حافظا لعهدك) اى الذى عاهدك عليه من الايمان بالوهيتك والاقرار بوحدانيتك والاخلاص فى عبوديتك والقيام بحق رسالتك وفى هذا تلويح الى قوله عليه الصلوة والسلام وانا على عهدك ووعدك مااستطعت اى مقيم عليهما ومتمسك بهما مدة استطاعتى وحالة طاقتى لعجزى عن بلوغ كنه ما اوجبته على من اطاعتى فى عبادتى وطاعتى اوعن دفع ماقضيته على فى سابق قضائك اى ان كنت قضيت على ان انقض العهد وقتا ما فانى انتصل منه متعذرا اليك (ماضيا) اى جاريا ومستمرا اومقدما (على نفاذ امرك) بالذال المعجمة اى على امضائه ترغيبا اليك وترهيبا لما لديك (حتى اورى قبسا) من اوريت الزند اذا قدحته فاخرجت ناره والقبس بفتحتين ما اقتبس اى اخذ من النار فهو شعلة منها ومنه قوله تعالى بشهاب قبس واستعير النار هنا للنور والجملة غاية لما قبلها اى لم يزل مجاهدا فى ابلاغ ما امر به مرغبا فى موافقته مرهبا من مخالفته حتى اظهر دينا بينا كالقبس نورانيا (لقابس) اى لطالب النور الموجب للحضور والسرور (آلاء الله) بالرفع مبتدأ اى نعمه (تصل باهله اسبابه) بالنصب اى وسائله التى قدرها وذرايعه التى قررها وفى اللوح المحفوظ حررها وفى اصل الدلجى لقابس آلاء الله بالاضافة اى لمبتغى سوابغ نعمه ومواهب كرمه تصل باهله اى باهل القبس يعنى بالمبتغين له اسبابه بالرفع اى وسائله الموصلة اليه من العناية وتوفيق الهداية من البداية الى النهاية بما به الفوز ابدا معاشا ومعادا (به) اى به عليه الصلوة والسلام (هديت القلوب) بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى قلوب اهل السلام من بين الانام فانقادت مذعنة لقبول الاحكام (بعد خوضات الفتن والآثام) اى بعد دخول القلوب فى ميدان فتن الايام وشروعها فى مهاوى المعاصى والآثام (وانهج) اى عين وبين (موضحات الاعلام) وسقط فى اصل الدلجى لفظ وانهج فقال موضحات متعلق بهديت والاصل الى موضحات فحذف الجار واوصل الفعل اقول وعلى تقدير صحة ترك وانهج لا يبعد ان يقال المعنى حال كون تلك القلوب مبينات اعلام الغيوب وقال الانطاكى هو بفتح الضاد على بناء المفعول اى فاصبحت القلوب بما رزقت من الهداية به عليه الصلوة والسلام منشورات الاعلام انتهى ولا يخفى ان ما قدمنا اولى وانسب بقوله (ونائرات الاحكام) من نار لازما بمعنى ظهر اى واضحاتها وبيناتها وقول الحلبى نايرات بالنون اوله ومثناة تحت بعد الالف محمول على ما قبل الاعلال والا فيقرأ بالهمزة فلا اشكال (ومنيرات الاسلام) من انار متعديا اى ومظهرات احكامه ورافعات اعلامه (فهو) بضم الهاء واسكانها لغتان مشهورتان وقرأتان متواترتان والضمير راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (امينك المأمون) اى حافظ دينك وعهدك الذى ائتمنته عليه وفوضت امر بيانه اليه (وخازن علمك المخزون) اى وسائر ما استودعته من اسرار الربوبية التى تعجز عن ادراكها عامة ارباب العبودية كما قيل صدور الاحرار قبور الاسرار (وشهيدك) اى الشاهد عندك للانبياء والاصفياء وعلى اممهم الاشقياء (يوم الدين) اى يوم الجزاء وفصل القضاء قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقيل المراد بالاشارة الى هؤلاء امته من العلماء والاولياء وهم شهداء على امم سائر الانبياء ويدل عليه قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ولا منع من الجمع بين الشهادة للاصل والفرع (وبعيثك) اى مبعوثك الذى بعثته اى ارسلته (نعمة) اى للمؤمنين اى هداية ودلالة للكافرين (ورسولك بالحق) اى الى الخلق (رحمة) اى للعالمين لمن آمن فى الدنيا والاخرى ولمن كفر فى الدنيا الا فى العقبى (اللهم افسح له) اى وسع لاجله المقام الاعلى (فى عدنك) اى فى جنة عدنك ودار كرامتك فعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة من عدن بالمكان اذا اقام به ولم يبرح منه سمى بها جنتها للعلاقة الظرفية قيل عدن اسم جنة من جملة الجنان فهو فى الجنان كآدم فى نوع الانسان والصحيح انه اسم لجملة الجنان فكلها جنات عدن قال تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب وقال جنات عدن يدخلونها وقال ومساكن طيبة فى جنات عدن وجنات عدن التى وعدتهم والاشتقاق ايضا يدل على انه اعم والله اعلم وبروى فى عدلك ولعله بكسر العين وتخفيف الدال بمعنى وعدك اى فى موضعه ومحله (واجزه) بهمزة وصل وسكون جيم فزاء مكسورة ومنه قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وهذا هو الاصل المطابق للرواية الموافق للدراية وكانه تصحف على الدلجى حيث لم يذكر هذا الوجه الوجيه وقال يجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاء من اجازه اذا اعطاه انتهى ولا يوجد فى القاموس هذا المعنى ثم قال ويجوز ان يكون بوصل وجيم مضمومة وراء اى اعطه اجره وفيه انه لا يتعدى الى مفعولين ويجوز فى مضارعه الكسر والضم ويجوز قطع همزه ممدودا مع كسر جيمه يقال أجره يأجره ويأجره جزاه كآجره فيرجع الى المعنى الاول فتأمل ثم رأيت الحلبى قال فى النسخة المذكورة بفتح الهمزة ثم جيم ساكنة ثم الزاء المكسورة والصواب بوصل الهمزة انتهى وبه تبين خطأ الانطاكى حيث قال هو بهمزة مفتوحة مقطوعة وقوله (مضاعفات الخير) اى انواع الخير المضاعفة اضعافا كثيرة (من فضلك)

اذلايجب عليك شئ من عندك (مهنئات) بكسر النون المشددة وفى نسخة بفتحها وهو حال من مضاعفات من هنأنى الطعام يهنأنى اذا ساغ بلاتنغيص وكل ما اتاك بلاتعب كذا ذكره الدلجى وهو توهم انه من الثلاثى المجرد وليس كذلك بل هو من باب التفعيل (غيرمكدرات) بكسر الدال المشددة وفتحها صفة لمهنئات اى غيرمنغصات (من موزونائك) بالزاء اى من اجل الظفر باجرك (المحلول) اى الذى يحل فيه وفسر بالمنول وصحف الفوز على الدلجى فقال من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة اى من سريع فضلك الذى لابطؤ فيه (وجزيل عطائك) اى كثيره (المعلول) مأخوذ من العلل بفتحتين وهو الشرب ثانيا بعد النهل بفتحتين وهو الشرب اولا وقد وهم الدلجى حيث قال فى الاول بفتحات ثلاث وفى الثانى بثلاث فتحات والمعنى عطاؤك المضاعف تعل به عبادك مرة بعد اخرى فشبه وافرعطائه بمنهل عذب يرده العطاش ومنه قول كعب بن زهير رحمه الله كانه منهل بالراح معلول (اللهم اعل) بفتح الهمزة وكسر اللام امر من الاعلاء وفى نسخة عل بفتح العين وتشديد اللام المكسورة امر من التعلية اى ارفع (على بناء الناس) وفى رواية على بناء البانين جمع بان اسم فاعل من بنى يبنى بناء بالكسر (بناءه) والمعنى ارفع على عمل العاملين عمله اوعلى منازلهم فى الجنة منزله اواعل بناء دينه على بناء اديان سائر الناس فيكون ايماء الى قوله تعالى ليظهره على الدين كله اى ليعليه ويغلبه وفى نسخة بالمثلثة المفتوحة فى الموضعين بدل الموحدة المكسورة وقال الدلجى او اطال على ذواتهم ذاته حتى لايطوله احد بشهادة قول سليمان عليه السلام من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون يعنى من قتل انسانا ظلما من حيث ان اصل البناء ضم شئ الى شئ وهو اجزاء خلقها الله مضموما بعضها الى بعض مركبة فشبه بالبناء لذلك انتهى ولايخفى ان هذا الدعاء انما يناسب فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان لايكتنفه طويلان الاطالهما مع انه كان ربعة الى الطول اقرب فى سائر احواله المناسب الى التوسط فى اعتداله اللهم الاان يقال المراد باطالة ذاته بقاء جسده الشريف بعد مماته على ما كان عليه مدة حياته فان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء عليهم السلام ويلائمه قوله (واكرم مثواه لديك) اى منزله ومأواه عندك (ونزله) بضمتين ويسكن الزاء اى اجره وثوابه وجزاءه وهو فى الاصل الطعام المهيأ للضيف (واتم) بتشديد الميم المفتوحة وفى نسخة واتمم (له نوره) اى الذى سألك ان تجعله فى قلبه وبصره وسمعه وعن يمينه وعن شماله ليتحلى بانوار المعارف ويتجلى باسرار العوارف وفى الحديث تلميح الى قوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا (واجزه) بفتح الهمزة وسكون الجيم فراء اى جزاءه الذى يوجب سروره قال الحلبى الاجر معروف وهو منصوب معطوف على ما قبله من قوله نوره والمفهوم من قول الدلجى واجزه الجزاء الاوفى انه تصحف عليه الراء بالزاء وانه جعله امرا معطوفا على اكرم اواتم وكانه تبع الحجازى فى قوله ويروى واجزه بهمزة وصل من الجزاء (من ابتعاثك) مصدر من باب الافتعال من البعث اى من بعثك اياه وفى نسخة من الانفعال والجار متعلق باكرم وهو انسب او باتم وهو اقرب والمعنى لاجل اقامتك اياه من قبره (له مقبول الشهادة) اى تزكية لامته اذا شهدوا للانبياء انهم قد بلغوا امهم الرسالة بعد ما جحدوا تبليغهم اياهم يوم القيمة ونصبه على الحال من ضميره اوعلى المفعولية وكذا قوله (مرضى المقالة) اى مقبول الشفاعة (ذا منطق عدل) مصدر سمى به فوضع موضع عادل مبالغة فى جعل منطقه عدلا اى ذا منطق مستقيم وذا كلام قويم ووهم الدلجى حيث قال مبالغة فى جعل نفسه عدلا فانه لواريد به هذا المعنى لنصب عدل فى المبنى كما لايخفى (وخطة فصل) اى وذا خطة فصل والخطة بضم المعجمة وتشديد المهملة الامر والحال والقصة والفصل القطع اوالفرق او بمعنى الفاصل اى ذا حالة رشد وهداية واستقامة والمعنى اذا الم به خطب عظيم وامر مشكل جسيم فصله برأى قويم وفى حديث الحديبية لايسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا اعطيتهم اياها (وبرهان عظيم) اى وذا دليل واضح وبيان قاطع عظيم فى ميدان البيان بحيث يصير الشئ الغائب كالامر العيان (وعنه) اى وعن على كرم الله وجهه (ايضا فى الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى جملة الفاظها الواردة عنه كرم الله وجهه (ان الله وملائكته يصلون على النبى) اى فنحن اولى بذلك (الآية) يعنى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما يعنى لاسيما وقد امرنا بذلك تصريحا بعد ما اشير اليه تلويحا فيجب علينا اداء اجابته والقيام بحق اطاعته بان نقول (لبيك) اى اقامة بعد اخرى نجد منك ودمنا بحضرتك (اللهم) اى يا الله امنا برحمتك واقصدنا بمنك ونعمتك (ربى) اى ياربى (وسعديك) اى نساعد عبادتك مساعدة بعد مساعدة فى طاعتك (صلوات الله البر) بفتح الموحدة وتشديد الراء وهو ابلغ من البار ولذا لم يرد فى اسمائه ومعناه كثير البر بعباده المؤمنين من اولى البر وفى الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة اى عليكم مشفقة كالوالدة البرة بولدها البار يعنى ان منها خلقكم وفيها معاشكم ومنها بعد الموت معادكم وقد قيل البر البار باهله وقال تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا واما البحر فانه يغرق اهله ولايفرق حزنه وسهله وقد ورد البحر من جهنم

﴿رواه﴾

رواه الحاكم والبيهقي عن يعلى بن امية (الرحيم) اى كثير الرحمة بالمؤمنين وكبير العناية بالمحسنين (والملائكة المقربين) اى وصلواتهم (والنبيين) وهم اعم من المرسلين (والصديقين) اى العلماء العاملين (والشهداء والصالحين) اى القائمين بحقوق الله تعالى وبحقوق الخلق اجمعين (وماسبح لك من شئ) اى وصلوات جميع الاشياء فهذا تعميم بعد تخصيص كقوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فموصولة معطوفة على ماقبلها ومن بيانية لهـا وفى نسخة بدون العاطفة فمصدرية ومن زائدة اى صلواتهم دائمة مستمرة مدة تسبيح شئ لك اى مادام يسبحك شئ (يارب العالمين) اى مربيهم ومدبر امورهم (على محمد بن عبدالله خاتم النبيين) بكسر التاء وفتحها (وسيد المرسلين) لكونهم تحت لوائه يوم الدين (وامام المتقين) اى من ارباب اليقين (ورسول رب العالمين) اى الى كافة الخلق اجمعين (الشاهد) اى للانبياء (البشير) للاولياء (الداعى اليك باذنك) اى بامرك وتيسيرك (السراج المنير) اى من ابصر بنوره ذو العماية واستبصر بظهوره ذو الغواية (عليه السلام) اى مما يعسى غيره من الملام وسوء المقام ومن دعائه عليه الصلوة والسلام اذا دخل رمضان اللهم سلمنى من رمضان وسلمه لى وسلمنى منه اى لايغشانى فيه ما يحول بينى وبين صومه وسلمه لى اى حذرا من ان يغم على الهلال اوله وآخره فيلتبس على صوما وفطرا وسلمنى منه اى بعصمتى فيه (وعن عبدالله بن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الايمان (اللهم اجعل صلواتك) اى اجناسها (وبركاتك) اى انواعها (ورحمتك) اى الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) اى الكثير على الامة (ورسول الرحمة) اى على الكافة (اللهم ابعثه مقاما) نصبه على الظرفية اى مقاما عظيما وهو المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون بالشفاعة الكبرى والصغرى لقوله عليه الصلوة والسلام هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولايبعد ان يراد بامته جماعته المحتاجة الى شفاعته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلايق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الاتحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لاملجأ ولامنجى منك الااليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا معنى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (يغبطه) بكسر الموحدة اى يتمنى مثل مقامه (فيه الاولون والآخرون) وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط اى يخبط ورقها دون قطعها والمقصود ان الغابط كالخابط ينتفع بالمغبوط والمخبوط من غير ان يحصل هناك ضرر لاحد منهما (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم) اى من الانبياء من ذريته (انك حميد مجيد) وقد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه (وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من اراد ان يشرب بالكأس الاوفى) اى بالحظ الاعلى (من حوض المصطفى) اى من بحر شرعه المرتضى فى الدنيا ومن نهر كوثره فى العقبى (فليقل) اى دائما او كثيرا بالقلب الاصفى (اللهم صل على محمد وعلى آله) اى من يؤل اليه امره ويعظم لديه قدره وهو يحتمل التعميم والتخصيص ويروى وعلى آل محمد (واصحابه) اى من ادرك جمال صحبته وتشرف برؤية طلعته (واولاده) اى الشاملة لبناته واحفاده (وازواجه) اى زوجاته وسرياته (وذريته) ولو كان بواسطة كثيرة فى نسبته (واهل بيته) اى المتناول لمواليه وخدمه (واصهاره) اى من بينه وبينه مصاهرة كالشيخين والختنين (وانصاره) اى من المهاجرين والانصار (واشياعه) اى اتباعه من اهل القرى والامصار (ومحبيه) اى من العلماء الاخيار والصلحاء الابرار (وامته) اى الداخل فيهم المؤمنون الفجار (وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاووس عن ابن عباس) فى رواية عبد بن حميد وعبدالرزاق بسند جيد واسمعيل القاضى فى فضل الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ابن عباس (انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) اى العظمى وهى التى بفصل القضاء بين اهل الموقف بما يستحقون من الجزاء (وارفع درجته العليا) اى مرتبته العالية ومنزلته العالية (وآته سؤله) اى اعطه مسئوله (فى الآخرة والاولى) اى الدنيا وسميت اولى لتقدمها على الاخرى (وعن وهيب) بالتصغير وفى نسخة وهب (ابن الورد) وهو عبدالوهاب المكى الزاهد يروى عن حميد بن قيس وجماعة وعنه عبدالرزاق وطائفة ثقة حجة (انه كان يقول فى دعائه اللهم اعط محمدا افضل ماسألك لنفسه) اى من الخيرات (واعط محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك) اى من المقامات (واعط محمدا افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة) اى من الكرامات (وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى فى رواية ابن ماجه والبيهقى والديلمى والدار قطنى وتمام فى فوائده (انه كان يقول اذا صليتم على النبى عليه الصلوة والسلام فاحسنوا الصلوة عليه) اى فى المبنى والمعنى (فانكم لاتدرون)

اى مايترتب عليه هنالك (لعل ذلك) اى اذا قبل (يعرض عليه) اى يبلغ اليه (وقولوا) اى مثلا (اللهم اجعل صلواتك) اى انواع دعواتك العامة (ورحمتك و بركاتك) اى الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) اى لنفسه (وقائد الخير) اى لغيره (ورسول الرحمة) اى لجميع الامة فانه كاشف الغمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم) زيد فى نسخة فى العالمين (انك حميد مجيد) وقد سبق ان هذه الجملة الاخيرة من اصح انواع الصلوات مما ورد فيه الروايات (ومايؤثر) اى ماروى (من تطويل الصلوة) وفى نسخة فى تطويل الصلوة (وتكثير الثناء على اهل البيت) قال الحجازى و يروى عن اهل البيت وهو الملائم لقوله (وغيرهم) اى من اصحابه وازواجه واتباعه واشياعه (كثير) اى يطول ذكره و يحتاج الى مؤلف مستقل حصره (وقوله) اى وقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه موقوفا اومرفوعا (والسلام كما قد علمتم) اى بالوجهين المتقدمين (هوما علمهم فى التشهد من قوله السلام عليك ايها النبى ورحمة الله و بركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفى تشهد على رضى الله تعالى عنه) هذا غير معروف سنده (السلام على نبى الله السلام على انبياء الله ورسله) تعميم بعد تخصيص (السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبدالله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم) اى بالموت وغيره (ومن شهد) اى حضر عنده (اللهم اغفر لمحمد) وسيأتى الكلام على غفرانه عليه الصلوة والسلام (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته) اى من ازواجه وذريته (واغفر لى ولوالدى وماولدا وارحمهما) سيأتى تحقيقه (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) وفيه اشكال حيث دعا بالمغفرة لوالديه وماولدا والرحمة لهما مع ثبوت موت ابيه و بعض اخوته كافرين قال الدلجى ولعل الناسخ زاد الالف سهوا وانما الدعاء بهما لولديه الحسنين ومن ولداه انتهى والاظهر انه قال ذلك لتعليم غيره لا للدعاء لنفسه وفيه اشكال آخر وهو ما بينه المصنف بقوله (جاء فى هذا الحديث عن على الدعاء للنبى بالغفران وفى حديث الصلوة) بالاضافة اى الذى سنده (ايضا) و يروى فى حديث الصلوة عليه والضمير له عليه الصلوة والسلام و يروى عنه اى عن على قبل ذلك وهو المذكور فى اوائل هذا الفصل (قبل) اى من طريق الحافظ ابى عبدالله الحاكم فقبل مبنى على الضم وقوله (الدعاء له) اى للنبى عليه الصلوة والسلام (بالرحمة) خبر اى الدعاء له بالرحمة فى حديث الصلوة على النبى المروى عن على (ولم يأت فى غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة) فهل يجوز الدعاء له بهما اولا والظاهر انه يجوز اما الرحمة فظاهر فانها احد معانى الصلوة وقد قال تعالى رحمة الله و بركاته عليكم اهل البيت مرادا به ابراهيم عليه السلام وآله واما المغفرة فحيث وقع له عليه الصلوة والسلام طلب المغفرة لنفسه سبعين مرة وفى رواية مائة مرة امتثالا لقوله تعالى واستغفر لذنبك جاز لغيره غايته ان ذنبه المترتب عليه الغفران مأول بالغفلة عن المولى وارتكاب خلاف الاولى اوالاشتغال بالامور المباحة او رؤية التقصير فى مقام الطاعة وامثال ذلك مما يليق بشانه وعلو مكانه لحسنات الابرار سيئات المقربين مع انه قد غفر له ماتقدم من ذنبه فهو من باب التأكيد فى القضية اومن قبيل التلذذ بذكر العطية نحو الدعاء بقوله ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فمعنى اغفر له وارحمه اى ادم له المغفرة الشاملة والرحمة الكاملة (وقد ذهب ابو عمرو بن عبدالبر) وهو من اكابر علماء المالكية (وغيره الى انه لايدعى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة والبركة التى تختص به) وفى كون البركة تختص به نظر ظاهر (ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة) و يروى بالغفران نعم هذا هو الاولى ولكن لاجل النهى يحتاج الى دليل مثبت للدعوى وقد اغرب الدلجى حيث قال لافتقارهم اليهما دونه ووجه غرابته ان كل احد محتاج الى غفران الله تعالى ورحمته وكم ورد من دعاء له عليه الصلوة والسلام بقوله اللهم اغفر لى وارحمنى وانما الكلام فى دعاء غيره له بهما لانه كان فى مقام التواضع والادب كما يقتضى استغناء الرب ثم رأيت فى شمائل الترمذى ان واحدا من الصحابة قال له عليه الصلوة والسلام غفر الله لك فقال ولك وهذا تقرير منه عليه الصلوة والسلام على جواز مثل هذا الكلام (وقد ذكر ابو محمد بن ابى زيد) اى المالكى فى رسالته زيادة الترحم (فى الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بقوله (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت) بتشديد الحاء وفى نسخة رحمت (على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يأت هذا) اى الدعاء له عليه الصلوة والسلام بالمغفرة والرحمة و يروى ولم تأت هذه الرواية (فى حديث صحيح) قال الدلجى اذ ماورد بزيادتهما كله ضعيف وفيه انه يعمل بالضعيف فى فضائل الاعمال وانما يحتاج الى الحديث الصحيح اوالحسن فى الاحكام من الاقوال واما قول النووى فى شرح مسلم المختار ان الرحمة لاتذكر فسلم لانه خلاف الاولى واما ما جزم به فى الاذكار بان ذكرها بدعة ففيه بحث لانه قد ورد فى بعض الطرق ولو كان ضعيفا فلا يعد بدعة لاسيما وهى لاتنافى سنة وعلى تقدير التسليم فليكن بدعة حسنة ويقويه ما ذكره المصنف بقوله (وحجته) اى دليل

ابن ابي زيد الذي اخذ به استحباب طلب الرحمة (قوله) اي قول النبي عليه الصلوة والسلام حال تعليم امته (في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله و بركاته) ومما يؤيده قوله تعالى رحمة الله و بركاته عليكم اهل البيت و ينصره ان رحمته عامة للخواص والعوام ولا يستغني احد عن هذا الانعام العام ثم اعلم ان الرافعي ذكر في الشرح الكبير عن الصيدلاني انه قال ومن الناس من يزيد وارحم محمدا كما رحمت على آل ابراهيم وربما يقولون ترحمت وهذا لم يرد في الخبر وانه غير فصيح فانه لا يقال رحمت عليه وانما يقال رحمته واما الترحم ففيه معنى التكلف فلا يحسن اطلاقه في حق الله سبحانه وتعالى انتهى ولا يخفى ان نفي الصيدلاني ورود الخبر بلفظ ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم غلط نشأ من جهله بطرق الحديث فمن حفظ حجة على من لم يحفظ فهذه الرواية في مستدرك الحاكم من رواية ابن مسعود باسناد صححه وقال في موضع آخر بل قد ورد به خبر صحيح قال الحلبي وقد راجعت تلخيص المستدرك للذهبي فرأيت ما لفظه بعد انهاء مسنده الى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تشهد احدكم في الصلوة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد انتهى وقد جاء في جملة حديث وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكذا جاء في رواية علي وابن عباس وجابر وجاء ايضا في حديث مسلسل وترحم محمدا الى آخره وقد ذكر القاضي مثل هذا فيما تقدم ومما يؤيد جواز الرحمة ما في النسائي الصغير باسناده عن عكرمة قال ظاهر رجل امرأته واصابها قبل ان يكفر فذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلوة والسلام ما حملك على ذلك فقال رحمك الله يارسول الله رأيت خلخالها وساقها الحديث وقد جاء مرسلا ومسندا ففي تقريره عليه الصلوة والسلام دليل على جوازه ورد على من عده بدعة اوحكم عليه بالكراهة واما قوله ان الترحم فيه معنى التكلف فممنوع بل يراد به المبالغة في انزال الرحمة فاندفع به قول الغزالي انه لا يجوز ترحم وقول الرافعي انه لا يحسن ولعلهما ما بلغهما الرواية فبنيا الحكم على ظاهر الرواية والعجب من النووي انه قال واما ما قاله بعض اصحابنا وابن ابي زيد المالكي من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد فهذه بدعة لا اصل لها وكانه غفل عما ورد وذهل عن قول الشافعي في الرسالة وكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته وختم نبوته الى ان قال محمد عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورحم وكرم انتهى فقد قال رحم في حقه فهذا رد على مقلده هذا و قد قال شمس الائمة السرخسي من اصحابنا الحنفية لا بأس بقول وارحم محمدا لان الاثر ورد به ولا عتب على من اتبع الاثر ولان احدا لا يستغني عن رحمة الله تعالى

﴿ فصل ﴾

(في فضيلة الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له) اي وفي فضيلتهما (حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا)اي حدثنا (القاضي يونس بن مغيث) بضم فكسر (نا ابو بكر بن معاوية)اي ابن الاحمر الا ندلسي وقد روى النسائي الكبير بعضه سماعا و بعضه اجازة (نا النسائي) اي صاحب الجامع (انا) بالوحدة اوالنون اي اخبرنا اوانبأنا (سويد) بالتصغير (ابن نصر) بالمهملة وهو المروزي يروي عن ابن المبارك وابن عيينة وعنه الترمذي والنسائي ثقة (انا) اي اخبرنا اوانبأنا (عبدالله) اي ابن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم المروزي ابوعبدالرحمن شيخ خراسان يروي عن سليمان التيمي وعاصم الاحول والربيع بن انس وعنه ابن مهدي وابن معين وابوه تركي مولى تاجر وامه خوارزمية وقبره بهيت يزار و يتبرك به اخرج له الائمة الستة (عن حيوة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال اخبرني كعب بن علقمة) اي التنوخي المصري تابعي يروي عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة ذكره ابن حبان في الثقاة واخرج له مسلم وابو داود والترمذي والنسائي (انه سمع عبد الرحمن ابن جبير) بالتصغير مولى نافع قرشي مصري مؤذن ثقة فقيه مقرئ توفي سنة سبع وتسعين اخرج له مسلم وغيره (انه سمع عبدالله بن عمرو) بالواو وفي نسخة بدونه والحديث رواه مسلم وابوداود والترمذي ايضا عنه (يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) اي اذانه (فقولوا مثل مايقول) اي جوابا له واختلف في الحيعلتين والاصح انه يقول فيهما لاحول ولاقوة الا بالله وقيل يجمع بينهما (وصلوا علي) اي بعد اجابة المؤذن (فانه) اي الشان (من صلى علي مرة) اي واحدة كما في نسخة (صلى الله عليه عشرا) اي اوعده سبحانه وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا اقل مراتب اضعاف اعمالها وهو لا ينافي ما ورد في مسند احمد بسند حسن موقوفا على عبدالله بن عمرو وهو مرفوع اذ لا مجال للاجتهاد فيه من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة صلى الله عليه بها سبعين مرة نعم لا يبعد ان هذه المضاعفة تكون بخصوص يوم الجمعة اذ ورد ان الاعمال كلها فيه بسبعين

ضعفا وهو يؤيد ما ورد انه اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة كان حجة بسبعين حجة (ثم سلوا) اى الله تعالى كما فى نسخة (لى الوسيلة) وهى المرتبة الجليلة (فانها منزلة) اى درجة جليلة (فى الجنة لا تنبغى) اى لا تليق اولا تحصل (الا لعبد) اى عظيم (من عباد الله) اى الصالحين (وارجو ان اكون انا هو) اى ذلك العبد فقوله هو خبر كان ووضع موضع اياه وانا تأكيد لاسمها او مبتدأ خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون موضع اسم اشارة اى ان كون انا ذلك العبد كما اشرنا اليه (فمن سأل لى الوسيلة) اى وهى نهاية مراتب الفضيلة (حلت عليه الشفاعة) ويروى شفاعتى اى غشيته ونزلت به وفى نسخة حلت له الشفاعة اى ثبتت وفى رواية وجبت له شفاعتى اى حقت (وروى انس بن مالك رضى الله تعالى عنه) كما فى شعب الايمان (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلوة) اى واحدة (صلى الله عليه عشر صلوات) اى قياما بشكر عمله (وحط) اى وضع (عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفى رواية) اى لابى يعلى (وكتبت له عشر حسنات) اى ثوابها (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن ابى شيبة فى مسنده (عنه عليه الصلوة والسلام ان جبريل ناداني) اى خاطبنى (فقال من صلى عليك صلوة صلى الله تعالى عليه عشرا) اى عشر مرات (ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف) كما رواها الحاكم وصححها والبيهقى فى شعبه (عنه عليه الصلوة والسلام لقيت جبريل فقال لى انى ابشرك) اى اخبرك بما يسرك (ان الله تعالى) بكسر ان وفتحها (يقول من سلم عليك سلمت عليه) اى عشرا او اكثر (ومن صلى عليك صليت عليه) وفى الحديث ايماء الى جواز انفراد كل منهما عن الآخر فتدبر (ونحوه) اى نحو مروى ابن عوف (من رواية ابى هريرة ومالك بن اوس) بفتح فسكون (ابن الحدثان) بفتحهما ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى ابا بكر وسمع عمر وعثمان وبقية العشرة رضى الله تعالى عنهم وعنه الزهرى وابن المنكدر وقال انس بن عياض عن سلمة بن وردان عنه انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من ترك الكذب بنى له فى ربض الجنة واحمد بن صالح صحح هذا الحديث والاصح عند الذهبى انه عنده تابعى وحديثه مرسل (وعبد الله ابن ابى طلحة) اى زيد بن سهل الانصارى وفى بعض النسخ عبيد الله مصغرا والصواب الاول ولد فى حياته عليه الصلوة والسلام وهو اخو انس لامه حنكه عليه السلام وسماه توفى زمن الوليد فهو تابعى له رواية روى عن ابيه ثقة اخرج له مسلم والنسائى وله عشرة بنين كلهم قرأوا القرآن (وعن زيد بن الحباب) بضم المهملة وبالموحدتين (سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل) وفى رواية المقعد (المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى) وهذا الحديث سقط منه رجال فان زيد بن الحباب ليس من الصحابة ولا من التابعين ولا من اتباعهم وانما روى عن مالك بن انس والضحاك بن عثمان ومالك بن مغول وعبد الله بن لهيعة وعنه احمد بن حنبل نعم هذا الحديث محفوظ من رواية رويفع بن ثابت الانصارى مرفوعا وقد رواه زيد بن الحباب هذا عن ابن لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء عن بكر ابن سوادة عن زياد بن نعيم عن وفاء بن شريح الحضرمى قيل ولعل المصنف اورده فى اصله عن زيد بن الحباب عن رويفع ابن ثابت على جهة الارسال وسقط ذكر رويفع من بعض نسخ الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (وعن ابن مسعود) اى مرفوعا (اولى الناس بى) اى اقرب الناس منى واحقهم بشفاعتى (يوم القيامة اكثرهم على صلوة) رواه الترمذى وابن حبان (وعن ابى هريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام قال من صلى على فى كتاب) اى بان كتب فيه الصلوة (لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى اسمى) يروى مادام اسمى (فى ذلك الكتاب) رواه الطبرانى فى الاوسط وابو الشيخ فى الثواب بسند ضعيف لكنه يعتبر فى هذا الباب وربما يقال يكتب له الثواب ما نقل ايضا من ذلك الكتاب والله اعلم بالصواب (وعن عامر بن ربيعة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلوة) اى واحدة او اكثر (صلت عليه الملائكة ما صلى على) اى مدة صلوته على (فليقلل) امر من التقليل او من الاقلال (من ذلك) اى من قول الصلوة اى عبد كما فى نسخة (او ليكثر) امر من التكثير او الاكثار والمراد به الاخبار واختيار ما هو المختار رواه احمد وابن ماجه والطبرانى بالاوسط بسند حسن (وعن ابى بن كعب) على ما رواه الترمذى وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) بضمهما ويسكن الثانى وفى رواية المصابيح اذا ذهب ثلثا الليل (قام) اى من نومه اوفراشه (فقال يا ايها الناس) كانه ينادى اهل بيته اوخواص امته (اذكروا الله) اى فى حال الانتباه واتركوا ما عداه (جاءت الراجفة) اى النفخة الاولى التى ترجف الارض باهلها والمعنى قرب مجيئها ويموت كل احد عندها (تتبعها الرادفة) اى تعقبها النفخة الثانية ويبعث الخلق كلهم بعدها وبين ان ما بين النفختين اربعون سنة يقول الله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم ويجيب بذاته عز شانه لله الواحد القهار او يقول الخلق بلسان الحال فى جواب ذلك السؤال لله الواحد القهار واليوم كذلك فى نظر ارباب الاسرار واصحاب الانوار لا ملك الا لله الواحد القهار رب السموات

والارض ومابينهما العزيز الغفار وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث (جاء الموت بما فيه) اى من سكراته ومنكراته او بما فيما بعده ولا منع من الجمع من البعث والحساب والميزان والكتاب وما يترتب عليهما من الثواب والعقاب ويحتاج كل احد الى شفاعته عليه الصلوة والسلام فى ذلك الباب (فقال) الظاهر وقال اذ لا يظهر وجه رابطة بالفاء (ابى بن كعب) وهو اقرأ الصحابة (يارسول الله انى اكثر الصلوة عليك) اى لكثرة محبتى اليك رجاء حصول الشفاعة لى لديك ويروى انى اكثر من الصلوة عليك (فكم اجعل لك من صلوتى) اى من زمان دعائى لنفسى اومن اوقات عبادتى النافلة (قال ماشئت) اى قدر ما اردت من تقربك بى (قال) اى ابى (الربع) بالنصب اى اجعل لك من صلوتى ربع اوقاتى (قال) اى النبى عليه الصلوة والسلام (ماشئت) اى اخترت قليلا اوكثيرا (وان زدت) اى على الربع (فهو خير) اى لك كما فى نسخة صحيحة (قال الثلث) بضمتين ويسكن الثانى وهو بالنصب كما مر (قال ماشئت وان زدت فهو خير) قال الحجازى وذكر بعد الربع النصف الى آخره وفى غالب نسخ الشفاء ذكر الربع ثم الثلث ثم النصف الى آخره وهذا الحديث فى الترمذى ولم يذكر فيه الثلث (قال النصف قال ماشئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ماشئت وان زدت فهو خير قال يارسول الله اجعل صلوتى) اى اوقاتى دعائى (كلها لك) اى لذكرك وما يتعلق به من الصلوة عليك (قال اذا) بالتنوين اى حينئذ (تكفى) بصيغة المفعول المخاطب وفى رواية همك اى ما يهمك من امر دينك ودنياك وهو بالنصب على انه مفعول ثان لتكفى وفى نسخة يكفى بصيغة المجهول الغائب وهمك بالرفع على نيابة الفاعل ويلائمه قوله (ويغفر ذنبك) بصيغة المجهول منصوبا وذنبك مرفوعا والحاصل انه عليه الصلوة والسلام لم ير ان يعين له حدا مقدرا من الليالى والايام لئلا يغلق عليه باب المزيد فى مقام المرام اولانه به يحصل كفاية المهمات الدينية والدنيوية والاخروية على وجه النظام ونظيره قوله عليه السلام عن الله من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين وكان الحديث السابق مستندا لطائفة السنية الاويسية حيث يداومون على الصلوة المصطفوية (وعن ابى طلحة) وهو زيد بن سهل وحديثه هذا رواه النسائى وابن حبان والبيهقى فى شعب الايمان بسند صحيح انه قال (دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة بشرته (وطلاقته) اى بساطته ولطافته (مالم اره قط) اى ابدا قبل ذلك (فسألته) اى عن سبب ماهنا لك (فقال وما يمنعنى) اى عن هذا السرور (وقد خرج جبريل عليه السلام) اى ظهر (آنفا) بالمد والقصر وقد قرئ بهما فى السبعة اى هذه الساعة فكأنها قدام الانف من كمال قربها (فاتانى ببشارة من ربى ان) بفتح الهمزة اى هى ان او بان (الله بعثنى اليك ابشرك انه) بالكسر والفتح (ليس احد من امتك) اى امة الاجابة (يصلى عليك الاصلى الله عليه وملائكته بها) اى بدلها او بسببها (عشرا) فهذا الذى يوجب بشرا ويفيد بشرى ويقتضى نشرا (وعن جابر ابن عبدالله) على مارواه البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال حين يسمع النداء) اى الاذان او الاقامة او الاعلام باحدهما (اللهم رب هذه الدعوة) اى الدعاء الى العبادة (التامة) اى الكاملة الشاملة (والصلوة القائمة) اى الدائمة الفاضلة لا يغيرها ملة ولا ينسخها شريعة (آت محمدا الوسيلة) اى الذريعة المنيعة وفى نسخة والدرجة الرفيعة وفى نسخة بزيادة الفضيلة وقد ورد ان الوسيلة منزلة فى الجنة فالفضيلة اعم من الوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) وفى نسخة المقام المحمود وقد ورد هو المقام الذى اشفع فيه لامتى اى خصوصا بعد ان اشفع للخلق عموما (الذى وعدته) اى له فى الآخرة الذى بدل من مقاما محمودا وقوله وعدته اى فى القرآن قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (حلت له الشفاعة) اى الخاصة (يوم القيامة وعن سعد بن ابى وقاص) كما رواه مسلم (من قال) يروى انه قال من قال (حين يسمع المؤذن) اى صوته (يتشهد وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له) مقول (وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا) نصبه وماقبله من لاسمين على التمييز (غفر له) اى ذنبه (وروى ابن وهب) اى بسند منقطع (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة) اى فى الاجر والمثوبة (وفى بعض الآثار ليردن) من الورود يعنى ليأتين (على اقوام ما اعرفهم) يروى لا اعرفهم (الا بكثرة صلواتهم على) رواه الاصبهانى فى ترغيبه عن انس (وفى آخر) اى وفى اثر آخر (ان) بكسر الهمزة وفتحها (انجاكم) اى اسبقكم نجاة (يوم القيامة من اهوالها ومواطنها) اى مواقفها (اكثركم على صلوة وعن ابى بكر) اى الصديق كما فى نسخة (الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امحق للذنوب) اى اطفأ (من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب) رواه الاصبهانى فى ترغيبه بلفظ الصلوة عليه افضل من عتق الرقاب وحبه عليه الصلوة والسلام افضل من مهج الانفس اومن ضرب السيف فى سبيل الله وفى الجامع الصغير الصلوة على نور على الصراط فمن صلى على يوم الجمعة

ثمانين مرة غفرت ذنوب ثمانين عاما على مارواه الطبراني والدارقطني في الافراد عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه

﴿ فصل ﴾

(في ذم من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه) اى واثم من لم يصل عليه وفي معناه من لم يسلم عليه لانه ثبت في الآية الشريفة وجوبهما في الجملة الا انه ليس فيها مايدل على لزوم الاتيان بهما على وجه المعية (حدثنا القاضي الشهيد ابو علي) اى ابن سكرة (رحمه الله ثنا) اى حدثنا (ابو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف وهو البغدادي (وابو الحسين الصيرفي) وفي نسخة ابو الحسن والصواب بالتصغير (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو يعلى) اى ابن زوج الحرة (ثنا السنجي) بكسر السين (ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى) اي الامام الترمذي صاحب الجامع (ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي) اى البغدادي والدورقي نسبة الى نوع من القلانس ووهم من اعترض على المزي بانه منسوب لبلد فقط صرح ابو احمد الحاكم في الكنى في ترجمة يعقوب بما قاله المزي وله تصانيف قال ابو حاتم صدوق اخرج له مسلم وغيره (ثنا ربعي) بكسر الراء وسكون الموحدة (ابن ابراهيم) اى ابن مقسم الاسدي روى عنه احمد والزعفراني (عن عبد الرحمن بن اسحق) اى ابن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشي العامري مولاهم المدني يروي عن المقبري والزهري وعنه يزيد بن زريع وابن علية قال ابو داود قد روى ثقة وضعفه بعضهم وقال البخاري ليس ممن يعتمد على حفظه (عن سعيد بن ابي سعيد) اى المقبري (عن ابي هريرة رضي الله عنه) وكذا رواه مسلم عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم) بكسر الغين وفتحها (انف رجل) اى ذل ولصق بالتراب (ذكرت عنده) بصيغة المفعول (فلم يصل علي) اى اعراضا اوتهاونا لاكسلا ونسيانا (ورغم انف رجل دخل رمضان) اى عليه (ثم انسلخ) اى خرج عنه (قبل ان يغفر له) اى بان لم يفعل فيه مايستحق به غفران ذنوبه (ورغم انف رجل ادرك) اى بلغ (عنده ابواه الكبر) بالنصب على المفعول من ادرك والفاعل ابواه وانما خص حال الكبر لانه احوج حال الانسان الى الخدمة والاحسان (فلم يدخلاه الجنة) بضم الياء وكسر الخاء اى بان لم يبرهما حتى يكونا سببا لدخوله الجنة والمعنى ان برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة سبب لدخول الجنة (قال عبد الرحمن) اى راوي ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (واظنه) اى اباهريرة (قال او احدهما) اى بطريق الشك اوعلى سبيل التنويع ويؤيده قوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر احدهما اوكلاهما وابعد الدلجي في جعل ضمير اظنه راجعا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي حديث آخر) كما رواه الطبراني عن ابن عباس وانس وعبد الله بن الحارث بن جزء وكعب بن عجرة ومالك ابن الحويرث ورواه البزار عن جابر بن سمرة وابي هريرة وعمار بن ياسر (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) بكسر العين اى طلع عليه (فقال) اى عقب صعوده (امين) بالمد ويجوز قصره قيل معناه اللهم استجب وفي الحديث آمين خاتم رب العالمين (ثم صعد درجة فقال آمين ثم صعد درجة فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك) اى عن قوله آمين وسبب تكراره هنالك (فقال ان جبرائيل اتاني فقال يامحمد من سميت) بضم السين وتشديد الميم المكسورة على لفظ الخطاب اى ذكرت (بين يديه) اى عنده والمعنى من ذكر اسمك له وهو حاضر يسمعه (فلم يصل عليك) اى عقب ذكر اسمك (فمات) اى تاركا لصلوته عليك غير تائب مما وقع له من التقصير بالنسبة اليك (فدخل النار) اى بسبب ترك صلوته لاستهانة اوعدم مبالاة اولغيره من خطيئاته مع حرمان شفاعته في شدة حاجته (فابعده الله تعالى) اى ساحة رحمته وميدان مغفرته والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى ولذا قال جبريل للنبي عليه الصلوة والسلام (قل آمين فقلت آمين) وهذا في الدرجة الاولى من المنبر وانما قدم هذه الحالة على البقية لانها كالمقدمة في القضية (وقال) اى جبرائيل في الدرجة الثانية (فمن ادرك رمضان فلم يقبل منه) اى صيامه وقيامه (فمات مثل ذلك) بالرفع ويجوز نصبه بل هو الاظهر فتدبر اى فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وهذا في حق من حقوق الله سبحانه (ومن ادرك) وفي نسخة وقال اى جبرائيل من ادرك (ابويه او احدهما فلم يبرهما) بفتح الياء والباء والراء المشددة اى لم يقم بواجبهما (فمات مثل ذلك) وفي نسخة مثله وهذا مما يتعلق بحقوق العباد (وعن علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه) كما رواه الترمذي وصححه والبيهقي في شعب الايمان والنسائي من حديث ابنه الحسين عن ابيه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال البخيل) اى كل البخيل كما في رواية (الذي) اى هو الذي (ذكرت عنده فلم يصل علي) اى حيث بخل على زيادة الفضيلة وعلى نفسه بزيادة المثوبة الجزيلة (وعن جعفر ابن محمد) كما رواه البيهقي في شعب الايمان عنه (عن ابيه) اى مرسلا فان جعفرا هذا هو الصادق وابوه هو الباقر وهو تابعي فالحديث مرسل ورواه الطبراني في الكبير عن محمد جد الحسين موصولا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ طريق الجنة) بضم الهمزة وكسر الطاء وجوز الدلجي كونه

مبنيا للفاعل ايضا وكأنه قصد به النسبة المجازية (وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل) اى كامل البخل حيث بخل بمالم ينقص من ماله ويزيد من جماله وكماله في حاله وماله (من ذكرت عنده فلم يصل علي) وقد تقدم هذا الحديث والظاهر ان هذا من زيادة الكتاب والله اعلم بالصواب وفي الجامع الصغير بلفظ البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه احمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن الحسين مرفوعا (وعن ابي هريرة) كما رواه ابوداود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عنه (قال ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا) اى مكان جلوس او جلوسا وفي نسخة صحيحة مجلسهم (ثم تفرقوا) اى قاموا عنه وروى ثم تفرقوا عنه (قبل ان يذكروا الله ويصلوا) اى وقبل ان يصلوا (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت) اى وقعت (عليهم من الله ترة) بمثناة فوقية مكسورة وراء مخففة مفتوحة اى منقصة اوتبعة وهاء ترة عوض عن واوه المتروكة كعدة ومقة ومنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم وروى ترة بالنصب اى كانت الجلسة اوالتفرقة عليهم مضرة (ان شاء) اى الله (عذبهم) اى بتركهم كفارة المجلس لما صدر عنهم ويكون عدلا (وان شاء غفرلهم) اى مع تقصيرهم ويكون فضلا (وعن ابي هريرة) على مارواه البيهقي في الشعب عنه مرفوعا (من نسي الصلوة علي) اى تركها ترك المنسي (نسي طريق الجنة) اى تركها واخطأها وضبطه الدلجي بضم اوله وتشديد ثانيه وتبعه الانطاكي (وعن قتادة) اى من رواية عبد الرزاق عن معمر عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الجفاء) بفتح الجيم والمد ضد الوفاء وقد يرادبه الاذى (ان اذكر عند الرجل) لم يرد به رجلا معينا فهو كالنكرة في المعنى وان كان معرفة في المبنى ونظيره قوله تعالى فاكله الذئب (فلا يصلي علي) لغلظ طبعه وعدم مراعات شرعه (وعن جابر) كما رواه البيهقي (عنه عليه الصلوة والسلام ماجلس قوم مجلسا ثم تفرقوا) اى منه (على غير صلوة) حال وفي نسخة من غير صلوة صفة مصدر محذوف اى تفرقا صادرا عن غير صلوة (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى في حال من الاحوال (الا تفرقوا عن انتن) اى الا حال كونهم متفرقين عن حال انتن وروى على انتن (من ريح الجيف) بما صدر عنهم من ردى الكلام ومذمومه في مقام المرام (وعن ابي سعيد) كما رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايجلس قوم مجلسا لايصلون فيه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اولايذكرون الله تعالى فيه كما في رواية (الاكان) اى ذلك المجلس (عليهم حسرة) اى يوم القيمة كما في رواية ولان الجنة لاحسرة فيها فلابد من هذا القيد ليستقيم قوله (وان دخلوا الجنة) والمراد بالحسرة الندامة اللازمة لمقامهم من سوء آثار كلامهم فقول الدلجي بعد قوله وان دخلوا الجنة فيزدادوا حسرة ليس في محله (لما يرون) اى فيها (من الثواب) اى الاجر العظيم بالصلوة على النبي الكريم (وحكى ابوعيسى الترمذي) اى صاحب السنن (عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل) اى رجل بل اى شخص (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجلس) اى في مجلس (اجزأ) بالهمز واجزى لغة فيه اى كفى (عنه ما كان في ذلك المجلس) اى مادام فيه دفعا للحرج وهذا هو قول الطحاوي من اصحابنا وهو المعتمد المعتقد والله اعلم وعن صاحب المجتبى من ائمتنا يتكرر الوجوب بتكرره وان كثر وفي الجامع الصغير كرر آية السجدة في المجلس الواحد يكفيه سجدة واحدة وكذا في الصلوة ولاتسن السجدة لكل مرة وفي الصلوة تسن لكل مرة

﴿فصل﴾

(في تخصيصه) اى تخصيص الله اياه (عليه الصلوة والسلام بتبليغ صلوة من صلى عليه) اوسلم عليه (من الانام) اى الخلائق من طوائف الاسلام (ثنا) اى حدثنا كما في نسخة (القاضي ابوعبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد) وهو ابوعلي الغساني (ثنا ابوعمر الحافظ) اى ابن عبد البر حافظ المغرب (ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة) بالمهملتين (ثنا ابوداود) اى صاحب السنن (ثنا ابن عوف) اى الطائي الحافظ الحمصي شيخ ابي داود والنسائي وغيرهما (ثنا المقرى) هو ابوعبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير مولى عمر بن الخطاب اصله من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن ابي حنيفة وغيره وعنه البخاري واحمد وابن راهويه وابن المديني اخرج له الائمة الستة (ثنا حيوة) بفتح مهملة فسكون تحتية (عن ابي صخر) بفتح مهملة وسكون معجمة (حميد) بالتصغير (ابن زياد) وصخر هذا هو الخراط رأى سهل بن سعد وروى عن ابي صالح السمان وابي سلمة وخلق وعنه ابن وهب وجماعة قال احمد ليس به بأس (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بضم قاف وفتح سين مهملة وسكون تحتية ليثي يروى عن ابن المسيب وعنه مالك والليث ووثقه النسائي اخرج له الائمة الستة (عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن احد يسلم علي الارد الله علي روحي حتى ارد عليه) اى على من سلم علي (السلام) مفعول ارد والحديث رواه ابوداود واحمد والبيهقي وسنده حسن وظاهره

الاطلاق الشامل لكل مكان وزمان ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان والمعنى ان الله سبحانه يرد روحه الشريف عن استغراقه المنيف ليرد على مسلمه جبرا لخاطره الضعيف والاظهر المعتقد المعتمد انه صلى الله تعالى عليه وسلم حي في قبره كسائر الانبياء في قبورهم وهم احياء عند ربهم وان لارواحهم تعلقا بالعالم العلوي والسفلي كما كانوا في الحال الدنيوي فهم بحسب القلب عرشيون وباعتبار القالب فرشيون والله سبحانه اعلم باحوال ارباب الكمال هذا وقال الانطاكي يمكن ان يقال رد الروح كناية عن اعلام الله تعالى اياه بان فلانا صلى عليك او عن علمه عليه السلام باحوال المسلم من بين الانام (وذكر ابو بكر بن ابي شيبة) وهو الحافظ الكبير الحجة صاحب التصانيف روى عن ابن المبارك وجماعة وروى عنه الشيخان وطائفة ووثقه الجماعة قال الذهبي ابو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى في الثقة (عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى على عند قبري سمعته) اى من غير واسطة (ومن صلى على نائيا) اى بعيدا عني (بلغته) بصيغة المجهول مشددا اى بلغنيه الملائكة وفي رواية ابلغته والحديث ايضا رواه ابو الشيخ في الثواب والبيهقي في الشعب (وعن ابن مسعود) قال السمنى هو الصواب وقال الحلبي عن ابي مسعود وهو عقبة بن مسعود الانصاري (ان) بفتح الهمزة وكسرها (لله ملائكة سياحين) اى سيارين (في الارض يبلغوني) بتخفيف النون وتشديدها وهو من باب التفعيل او الافعال اى يوصلوني (عن امتي السلام) اى على فارده عليهم رواه احمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب (ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر) اى موقوفا ويحتمل ان يكون مرفوعا (اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه) اى السلام (يؤتى به) اى يبلغه (منكم في كل جمعة) لا يعرف من رواه لكن ورد اكثروا من الصلوة على في كل يوم جمعة فان صلوة امتي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلوة كان اقربهم مني منزلة رواه البيهقي عن ابي امامة ورواه عن انس بلفظ اكثروا من الصلوة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا او شافعا يوم القيمة وروى ابن ماجه عن ابي الدرداء اكثروا من الصلوة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي على الا عرضت على صلوته حين يفرغ منها وهذا معنى قوله (وفي رواية فان احدا لا يصلي على الا عرضت صلوته على حين يفرغ منها) اي اول ما يفرغ من غير توقف بخلاف سائر الايام فانه يكون موقوفا الى مجيء يوم الجمعة وفي نسخة حتى يفرغ منها فالمعنى ان جميع صلوته وان اطال في كالنه تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن ابي هريرة وابن عدي عن انس وابو يعلى عن الحسن وخالد بن معدان مرسلا اكثروا الصلوة على في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلوتكم تعرض على (وعن الحسن) برواية الطبراني وابي يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلوة والسلام حيث ما كنتم فصلوا على فان صلوتكم تبلغني) اى تصل الي بواسطة الملائكة يوم الجمعة وروى ابن مردويه عن ابي هريرة صلوا على فان صلوتكم على زكوة لكم وروى ابن عدي عن ابن عمر وابي هريرة صلوا على صلى الله عليكم وروى احمد والنسائي وجماعة صلوا على واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد (وعن ابن عباس) كما رواه اسحق بن راهويه في مسنده والبيهقي في شعبه موقوفا (ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه) بضم موحدة وتشديد لام مكسورة ويجوز فتحها مخففة (وذكر بعضهم ان العبد) اى من عباد الله (اذا صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه) اى اسم المصلي عليه بخصوصه (وعن الحسن بن علي) كما رواه ابن ابي شيبة وعنه ابو يعلى عن زين العابدين علي بن الحسين (اذا دخلت المسجد) اي اردت دخوله او اذا حققت وصوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاتتخذوا بيتي) اى قبري كما في رواية لانه في بيته (عيدا) والمعنى لاتجعلوا زيارة قبري عيدا ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته عليه السلام اجتماعهم للعيد من الايام وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور انبيائهم ويشتغلون باللهو والطرب مع آبائهم وابنائهم ونسائهم فنهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امته عن ذلك تحذيرا لهم عما يقع من الفساد هنالك ويؤيده حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ويحتمل ان يراد به الحث على كثرة زيارته التي هي افضل القربات وآكد المستحبات بل قريبة من درجة الواجبات فالمعنى اكثروا من زيارتي ولاتجعلوها كالعيد تزورونني في السنة مرتين او في العمر كرتين بدليل احاديث كثيرة وردت بالحث عليها وبوجوب الشفاعة لمن اتى اليها وقيل يحتمل ان يكون نهيه عليه السلام لدفع المشقة عن الامة بناء على كمال الرحمة ويؤيده قوله الآتي وصلوا على حيث كنتم او لكراهة ان يتجاوزوا في تعظيم قبره زيادة على قدره بنحو السجدة وغيره (ولاتتخذوا بيوتكم قبورا) اى كالقبور لا يصلي فيها والمعنى اجعلوا من صلوتكم في بيوتكم لما روى احمد عن زيد بن خالد لاتتخذوا بيوتكم قبورا صلوا فيها ويؤيده قول الخطابي لاتجعلوها وطنا للنوم فقط لاتصلون فيها فان النوم اخو الموت والميت لا يصلي او لاتجعلوها

قبورا لموتاكم تدفنونهم فيها قال الخطابي وليس بشئ فقد دفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ودفع بان هذا من خصوصيات الانبياء بدليل قوله عليه السلام ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه كما رواه الترمذي عن ابي بكر (وصلوا علي حيث كنتم) اي قريبا او بعيدا (فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم) رواه الطبراني وابو يعلى بسند حسن (وفي الحديث اوس) هو اوس بن اوس الثقفي صحابي وفي الصحابة خمسة وار بعون نفرا يسمون اوسا (اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة علي) اي من غير واسطة او من غير انتظار رابطة رواه ابوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه (ومن سليمان بن سحيم) بضم سين وفتح حاء مهملتين فتحتية ساكنة مدني يروي عن ابن المسيب وجماعة وعنه ابن عيينة وطائفة اخرج له مسلم وغيره (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك) اي للزيارة (فيسلمون عليك افتفقه سلامهم) اي اتعرف كلامهم وتدري مرامهم (قال نعم وارد عليهم) اي سلامهم واقضي مرامهم رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي في حيوة الانبياء وفي شعب الايمان (ومن ابن شهاب) اي الزهري كما رواه النميري مرسلا (بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء) اي البيضاء النوراء (واليوم الازهر) اي الانور وروى في الليلة الغراء واليوم الاغر يعني ليلة الجمعة ويوم الجمعة (فانهما) اي اليوم والليلة (يؤديان) اي ذلك (عنكم وان الارض لاتأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي) اي صلوة (الا حملها ملك) اي تحملها عنه (حتى يؤديها) اي يوصلها (الي يسميه) اي لدي (حتى انه) اي الملك (ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا) كناية عن الفاظ الصلوة والسلام اجمالا وتفصيلا وتكثيرا وتقليلا فناهيك به تعظيما وتبجيلا

﴿فصل﴾

(في الاختلاف في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي) وزيد في نسخة ابو الفضل يعني المصنف (وفقه الله) وفي نسخة رحمه الله تعالى فالاولى من كلامه والاخرى من كلام غيره (عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي من سائر الانبياء واقول بل هي مستحبة لما روى البيهقي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه والخطيب عن انس مرفوعا صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني فيستحقون الصلوة كما استحقها لان المراد بها تعظيم من يصلي عليه ويؤيده الحديث الصحيح كما صليت على ابراهيم وهو في المدعي كالصريح (وروي عن ابن عباس) كما في شعب الايمان للبيهقي وسنن سعيد بن ابي منصور (انه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله رضي الله تعالى عنه اخذ من قوله تعالى في حق الانبياء عليهم السلام سلام على نوح سلام على ابراهيم سلام على موسى وهرون وسلام على المرسلين ومن مفهوم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما حيث يستفاد منه ان الجمع بينهما من خصوصيته عليه السلام مما بين الانام (وروي عنه) اي عن ابن عباس كما في فصل الصلوة عليه عليه السلام لاسمعيل القاضي (لاتنبغي الصلوة على احد الا النبيين) ولعله رجع عن قوله الاول او مراده به الجمع على ما ذكرنا فتأمل فانه يمكن الجمع به على ما هو المعول (وقال سفيان) اي الثوري او ابن عيينة (يكره ان يصلي) اي على احد اصالة (الا على نبي ووجدت بخط بعض سيوخي) وفي حاشية الحلبي قوله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران القاسي بالقاف والسين المهملة نسبة الى بلد بالمغرب قال ابن ماكولا ابو عمران الفاسي فقيه اهل القيروان في وقته (مذهب مالك انه لايجوز) اي لاينبغي (ان يصلي على احد من الانبياء سوى محمد وهذا) اي النقل (غير معروف من مذهبه) لكن يمكن ان يكون مراده الجمع بين الصلوة والسلام فانه حينئذ يكون وفق مشربه (وقد قال مالك) اي الامام (في المبسوطة) وفي نسخة صحيحة في المبسوط (ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى) اي بالجمع بين الصلوة والسلام (ما امرنا به) اي من الجمع بين الصلوة والسلام مختصا به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (قال يحيى بن يحيى) اي الليثي عالم الاندلس راوي الموطأ (لست آخذ بقوله) اي بقول مالك انه لايجوزان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد (ولابأس بالصلوة على الانبياء كلهم) اي بالاصالة (وعلى غيرهم) اي تبعا ويحتمل انه اراد به استقلالا لانا نتزهد عن مخالفة العلماء اجلالا (واحتج) اي يحيى لمقاله وفي نسخة صحيحة واحتجوا اي هو ومن تبعه (بحديث ابن عمر) اي الآتي انه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر (وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي اصحابه فيما مر (الصلوة عليه وفيه) اي وفي حديث تعليمه عليه السلام (وعلى آله وازواجه) وفيه انه لاخلاف في جواز الصلوة على غير الانبياء تبعا وزيد في بعض النسخ هنا (وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي) بالفاء والسين وفي نسخة القاسي بالقاف وبموحدة بعد الالف فسين مهملة (روي عن ابن عباس كراهة الصلوة على غير النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم قال وبه اقول) وفي نسخة وبه نقول (ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فالله) وفي نسخة فان الله (بعثهم كما بعثني قالوا) اى يحيى واتباعه او جمهور العلماء وهو الظاهر من قوله (والاسانيد) اى الواردة (عن ابن عباس) من نحو قوله لا تجوز الصلوة على غير النبي عليه السلام (لينة) اى ضعيفة لا يصلح شئ منها للاحتجاج به على عدم جواز الصلوة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء) اى ونحوهما من الاستغفار وحسن الثناء (وذلك) اى بجوازه (على الاطلاق) اى بالاتفاق (حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع) اى صريح (وقد قال الله هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية) تمامها ليخرجكم من الظلمات الى النور وفي المعالم للبغوي فالصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله تعالى هذه الآية (وقال) اى الله تعالى لنبيه عليه السلام (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم) اى من رذيلة البخل (وتزكيهم) اى وتنمي مالهم (بها) اى بسببها (وصل عليهم) اى التفت اليهم وترحم عليهم واقبل عذرما اليهم (الآية) وهي ان صلاتك سكن لهم اى تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وفيه ايماء الى خصوصيته بهذا الدعاء (وقال) اى الله سبحانه (اولئك عليهم صلوات من ربهم) اى تحيات ومدحات (ورحمة) اى انواع رحمات وظاهره ان الصلوات عامة للمؤمنين ولا يبعد ان يكون من باب التوزيع والتقسيم وان تكون الصلوات خاصة للانبياء والرحمة عامة للاصفياء (وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن عبد الله بن ابي اوفى (اللهم صل على آل ابي اوفى) ومن تتمة الحديث قوله (وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) كناية عما ينسبون اليه وقد رواه ابو داود والنسائي عن قيس بن سعد بن عبادة انه عليه السلام قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة وهو مراد معهم كابي اوفى (وحديث الصلوة) اى في التشهد (اللهم صل على محمد وازواجه) وفي نسخة وعلى ازواجه (وذريته وفي آخر) اى حديث آخر (وعلى آل محمد قيل) اى المراد بهم (اتباعه) اى الى يوم القيمة (وقيل امته) اى امة الاجابة وهو قريب مما قبله وربما يقال هو اعم والاول اخص (وقيل آل بيته) اى اقاربه وازواجه وذريته (وقيل الاتباع والرهط والعشيرة) اى جميعهم ويروى الاتباع وهم الرهط وقيل رهط الرجل قبيلته وعشيرته قومه (وقيل آل الرجل ولده) اى اولاده واحفاده (وقيل قومه) اى المؤمنون من قريش او بني هاشم (وقيل اهله الذي حرمت عليهم الصدقة) عن زيد بن ارقم ان آل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من حرم الصدقة عليه وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس (وفي رواية انس) كما رواه الطبراني في الاوسط وابن مردويه (سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي) الظاهر ان كل تقي منهم والمعنى من ليس بتقي ليس بآل ولا يبعد ان يكون المعنى كل من يكون تقيا يكون آلا وعلى التقديرين يؤيده قوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون (ويجئ على مذهب الحسن) الظاهر انه الحسن البصري (ان المراد بآل محمد محمد نفسه) اى في بعض التراكيب (فانه) اى النبي عليه السلام او الحسن (كان يقول في صلوته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على ما رواه النميري (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد) زيد في نسخة يريد نفسه الشريفة الا انه لا يلائم قوله (لانه) اى قائله (كان لا يخل بالفرض) اى في الجملة وهو الصلوة على محمد (ويأتي بالنفل) وهو الصلوة على آله (لان الفرض الذي امره الله به) اى في قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه (هو الصلوة على محمد نفسه) اى ذاته دون غيره بشهادة روايته الاخرى من طرق متعددة على محمد بدون آله (وهذا) اى كون الآل مقحما (مثل قوله عليه السلام) فيما رواه الشيخان (لقد اوتي) اى ابو موسى الاشعري (مزمارا) اى صوتا حسنا (من مزامير آل داود يريد) اى النبي عليه السلام (من مزامير داود) لانه لا يعرف احد من آله انه كان له مزمار ونظير هذا من التنزيل قوله مما ترك آل موسى وآل هارون (وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلوة) اى في الفاظها (اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عند قبره (وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الاندلسي) بفتح همز ودال وضم لام وقيل بضم الثلاثة وقيده به احترازا عن يحيى بن يحيى النيسابوري وزيد في نسخة والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر (وروى ابن وهب) وهو المصري العلم (عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) اى للتهجد والاستغفار (ويصومون بالنهار قال القاضي) يعني المصنف وفي نسخة قال الفقيه القاضي (والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك) اى امام المذهب (وسفيان) اى الثوري او ابن عيينة (رحمهما الله وروي) اى وما روي (عن ابن عباس واختاره غير واحد) اى كثيرون (من الفقهاء

﴿والمتكلمين﴾

والمتكلمين انه لايصلى على غير الانبياء) وهم اعم من الرسل (عند ذكرهم) اى افرادا واما فيجوز اتباعا (بل هو) اى الصلوة وذكر باعتبار خبره وهو قوله (شئ يختص) يروى يخص (به الانبياء) اى عرفا وعادة وفيه رد على الرافضة (توقيرا لهم وتعزيزا) اى تعظيما وتبجيلا (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولايشاركه فيه) اى فيما ذكر (غيره) فيقال قال تعالى عز وجل وان كان الانبياء اعزة واجلاء وعن العيوب براء (كذا يجب تخصيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم ولايشارك) بالبناء للمفعول اوالفاعل وفى نسخة ولايشاركهم (فيه) اى فى كل واحد منهما (سواهم كما امر الله) اى المؤمنين (بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة) المجتهدين من الصحابه والتابعين (وغيرهم) من العلماء الصالحين (بالغفران والرضى) وفيه ان الرضى مختص عرفا بالصحابة وان كانوا يدخلون فى المغفرة تحت عموم الدعاء (كما قال تعالى يقولون) اى الذين جاؤا من بعدهم (ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اى ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقال تعالى والذين اتبعوهم) وفى نسخة والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم (باحسان) اى بايمان وايقان وطاعة واتقان الى يوم القيامة (رضى الله عنهم ورضوا عنه وايضا فهو) اى ذكر الصلوة والسلام على غير الانبياء (امر) ويروى فهذا امر (لم يكن معروفا فى الصدر الاول) اى من السلف والخلف (كما قال ابو عمران) اى الفاسى (وانما احدثته الرافضة) اى التاركة محبة اكثر الصحابة (والمتشيعة) اى المظهرة انهم السابقون والمتادعون (فى بعض الائمة) اى من اهل بيت النبوة (فشاركوهم) اى ائمتهم كعلى والحسنين وغيرهم (عند الذكر لهم بالصلوة) وكذا بالسلام فيقولون مثلا على عليه السلام (وساووهم) اى ائمتهم (بالنبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك) اى مقام المرام وهذا لايليق بالكرام وذكر الانطاكى ان الرافضة فرقة من شيعة الكوفة وسموا بذلك لان زيد بن على بن حسين بن على بن ابى طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره فى ابى بكر وعمر فمنعهم عن ذلك فرفضوه ولم يبق معه الاماتنا فارس فقال لهم رفضتمونى اى تركتمونى فلقبوا بذلك ثم لزم هذا اللقب كل من غلا فى مذهبه واستجاز الطعن فى الصحابة والمتشيعة هم الذين ينسبون الى الشيعة وتقدم انهم فرقة يفضلون عليا ويزعمون انهم من شيعته اى اتباعه (وايضا فالتشبه باهل البدع منهى عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) اى وجعلوه شعارا لهم هنالك (وذكر الصلوة على الال والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم (والاضافة اليه) اى فهو جائز (لاعلى التخصيص) اى بحكم الاستقلال (قالوا) اى العلماء المحققون (وصلوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على من صلى عليه) اى من آل ابى اوفى ونحوه (مجراها مجرى الدعاء) اى مجرى تلك الصلوة محمول على مجرى الدعاء والرحمة (والمواجهة) اى حسن المقابلة حال المعاشرة (ليس فيها معنى التعظيم والتوقير) اى الذى اختص بارباب الكمال (قالوا) اى العلماء (وقد قال تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) اى فى المناداة باسمه وفى رفع الصوت عنده (فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالف لدعاء الناس بعضهم لبعض) اى ليتميز به عن غيره (وهذا اختيار الامام ابى المظفر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وتفتح الفاء وتكسر (من شيوخنا) اى الفقهاء المالكية (وبه قال ابو عمرو بن عبد البر) وهو حافظ المغرب فى البحر والبر

﴿ فصل ﴾

(فى حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع) ويروى مجتمع (عليها) اى مجتمع على كونها سنة وممن ادعى الاجماع النووى وابن الهمام بل قيل انها واجبة (وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر) فيما رواه ابن خزيمة والبزار والطبرانى وله طرق وشواهد حسنه الذهبى لاجلها (قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى) اى حقت وثبتت وفى رواية حلت رواه الدارقطنى وغيره وصححه جماعة من ائمة الحديث (وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زارنى فى المدينة محتسبا) اى ناويا ذلك الجناب وطالبا للثواب ليس له غرض آخر فى هذا الباب فعن عمر رضى الله عنه ايها الناس احتسبوا اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته (كان فى جوارى) بكسر الجيم اى مجاورتى وفى نسخة بضم الجيم اى فى ذمتى وعهدى وجيرتى (وكنت له شهيدا يوم القيمة) قال الدلجى لااعرف من رواه قلت قد رواه العقيلى وغيره بلفظ من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيمة ورواه البيهقى ولفظه من زارنى محتسبا الى المدينة كان فى جوارى يوم القيمة وروى ابو عوانة من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيمة (وفى حديث آخر) اى مما رواه البيهقى وسعيد بن منصور فى سننهما والدارقطنى والطبرانى

وابو يعلى وابن عساكر عن ابن عمر رضى الله عنهما (من زارني بعد موتى) وفى رواية بعد وفاتى (فكانما زارنى فى حياتى)
والاحاديث فى هذا الباب كثيرة والروايات فيها شهيرة منها ما رواه على مرفوعا من زار قبرى بعد موتى فكانما زارنى
فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وقد استدل به على وجوب الزيارة بعد الاستطاعة وعن انس بسند ضعيف
بلفظ ما من احد من امتى له سعة ثم لم يزرنى الا وليس له عذر وعن ابن عدى بسند يحتج به من حج ليت ولم يزرنى فقد
جفانى (وكره مالك رحمه الله) قال ابن تيمية وتبعه طائفة فى ذلك (ان يقال زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد
اختلف فى معنى ذلك) اى الداعى الى كراهية مالك (فقيل كراهية الاسم) وفى نسخة كراهية للاسم وفى اخرى كراهة الاسم
اى اسم الزيارة (لما ورد) اى فى رواية احمد والترمذى وابن حبان عن ابى هريرة رضى الله عنه (من قوله عليه السلام لعن
الله زوارات القبور) بفتح الزاء وتشديد الواو اى المبالغات فى زيارة القبور وفيه انه عليه السلام انما لعنهن لانهن
مأمورات بالقرار فى بيوتهن فلا يصلح زيارتها لهن نعم قد يؤخذ منه انه لا يسن فى حقهن زيارته عليه السلام كما قال به
بعض الاعلام لكن الاصح انه لا يكره لهن ذلك اذا قمن بشرائط فيما هنالك (وهذا) اى الاستدلال (يرده قوله) اى
فيما رواه مسلم (كنت نهيتكم) وفى نسخة من الكتاب نهيتم (عن زيارة القبور فزوروها) وفى نسخة بزيادة ولا تقولوا
هجرا بضم الهاء وسكون الجيم اى كلا ما يوجب اثما وفيه بحث اذ يحتمل ان يكون خطاب الرجال بعد خطاب النساء
فيكون الحكم الثانى فى حقهم ناسخا لا فى حقهن ويؤيده التعليل فى حقهن بانهن قليلات الصبر كثيرات الجزع
والفزع لا يملكن انفسهن من الصياح والنياح واما التعليل فى حقهم فلان امواتهم فى صدر الاسلام كانوا كفرة
فمنعوا عن زيارة قبورهم فلما كثر اموات المسلمين اجازهم زيارتهم لما فيها من العبرة لاهل الحيوة ومنفعة الدعوة
للاموات فهذا حديث اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ (وقوله) اى ويرده ايضا قوله فيما مر عن ابن عمر وغيره مرفوعا
(من زار قبرى) اى وجبت له شفاعتى اوحلت له شفاعتى (فقد اطلق اسم الزيارة) اى فلم تكن الكراهة لاسم
الزيارة (وقيل) اى فى توجيه كلام مالك (لان ذلك لما قيل) اى لقول بعضهم (ان الزائر افضل من المزور وهذا)
اى الاستدلال (ايضا ليس بشئ) اى معتد به وفى نسخة ليس بين اى ظاهر فلم يلتفت اليه (اذ ليس كل زائر بهذه
الصفة) بل الغالب عكسه فى العرف والعادة (وليس هذا) اى هذا القول (عموما) اى عاما فى كل زائر (وقد ورد
فى حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ) اى اطلاق لفظ الزيارة (فى حقه تعالى) ففى حق نبيه عليه
السلام بالاولى فلا يصح الاستدلال بهذا المبنى على هذا المعنى وزيد فى بعض النسخ هنا (وقال ابو عمران) اى الفاسى
وفى كثير من النسخ ابو عمر وهو ابن عبد البر (انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض) اى فيما بينهم (فكره تسوية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس)
اى عمومهم (بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ان السلام
ايضا يستعمل عاما فلا يكون التعليل تاما (قال وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال)
وفى نسخة شد المطى (الى قبره عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض)
اى موجب تهديد وفيه ان لفظ الزيارة قضية لغوية كالحج والعمرة والصلوة والزكوة وامثالها والوجوب والندب
والنافلة من الاحكام الشرعية (والاولى عندى ان منعه) اى منع هذا القول هنالك (وكراهة مالك له) اى لذلك
(لاضافته الى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه) بكسر الهمزة وفتحها (لو قال زرنا النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لم يكرهه) اى مالك ومن تبعه وانما ذلك (لقوله عليه الصلوة والسلام اللهم لا تجعل قبرى وثنا) اى كالوثن
وهو الصنم (يعبد بعدى) اى بعد موتى (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) اى يسجدون لها
كما يسجدون للاوثان كما فعله بعض النصارى (يحمى) اى صان مالك (اضافة هذا اللفظ) اى لفظ الزيارة (الى
القبر والتشبه بفعل اولئك) اى العامة (قطعا للذريعة) اى الوسيلة (وحسما) اى قطعا (للباب) اى لفتح هذا
الباب (والله اعلم) اى بالصواب وفيه انه قد ورد بروايات متعددة التصريح بهذه اللفظة ولا يلتفت الى هذه العلة
منها ما رواه ابو داود والطيالسى من زار قبرى كنت له شفيعا اوشهيدا ومنها حديث على مرفوعا من زار قبرى
بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وجاء عنه موقوفا من زار قبر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان فى جواره عليه السلام على انا اذا قلنا زرناه فالمعنى زرنا قبره لانه لا يتصور زيارة ذاته حقيقة
ولهذا المعنى ورد من زارنى بعد مماتى فكانما زارنى فى حياتى بلفظ التشبيه مع ان المعتقد انه وسائر الانبياء
فى قبورهم من الاحياء فانهم اولى بذلك من الشهداء بل قولنا زرنا قبره اولى من زرناه عند التحقيق والله ولى
التوفيق هذا وما وقع للشعبى والنخعى مما يقتضى كراهة زيارة القبور شاذ لا يعول عليه لمخالفته اجماع غيرهما

﴿وقد فرط﴾

وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثانى اقرب الى الصواب لان تحريم ما اجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه فى هذا الباب نعم يمكن حمل كلام من حرم اوكره على صورة خاصة من الزيارة من الاجتماع فى وقت خاص على هيئة منكرة اوصفة مكروهة من اجتماع الرجال والنساء فى وقت واحد لما فيه من اتخاذ قبره عيدا الموجب لما اورد فيه وعيدا (قال اسحق ابن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل) اى من قديم الايام (من شان من حج) اى من دينه من قصد (بيت الله الحرام المرور بالمدينة) اى مدينة الاسلام لزيارته عليه السلام اى اما قبل الحج واما بعده (والقصد) اى ايضا (الى الصلوة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما ورد فيه من مزيد المضاعفة فى تلك المحال الكرام اذ قد ورد ان الصلوة فيه بمائة الف (والتبرك برؤية روضته) اى خصوصا (ومنبره وقبره ومجلسه) اى محل جلوسه فى المسجد ومكان صلوته عند الاسطوانات وغيرها (وملامس يديه ومواطئ قدميه) اى فى نحو المنبر (والعمود الذى كان يستند اليه) وفى نسخة يسند ففى الصحاح سندت الى الشئ واسندت اليه بمعنى (وينزل جبرائيل بالوحى فيه) اى فى حال اسناده (عليه وبمن عمره) اى والتبرك بمن عمر مسجده مبنى ومعنى وقيل اى زاره (وقصده) اى بين قصده (من الصحابة وائمة المسلمين) اى من التابعين واتباعهم من المجتهدين والعلماء والصالحين (والاعتبار) بالرفع (بذلك) اى بما ذكره (كله) اى جميعه والحاصل انه لا منع من الجمع بين النيات فى تحصيل الطاعات لكن ينبغى ان يكون الغرض الاصلى بعد حج فرض الاسلام زيارته عليه السلام ويتبعها حضور مشاهده الكرام (وقال ابن ابى فديك) بالتصغير وثقه جماعة واحتج به اصحاب الكتب الستة (سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا) اى فى الحديث (انه) اى الشان (من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الآية) وهى قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى) الظاهر انه يقرأ ما بعدها ايضا وهو يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ثم قال صلى الله تعالى عليك) الاولى ان يزيد وسلم (يا محمد) الاولى ان يقول يا نبى الله ونحوه (من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله تعالى عليك يا فلان) اى باسمه (ولم تسقط له) وفى نسخة لك (حاجة) بل ترفع والمعنى قضيت كل حاجة له دنيوية اواخروية والحديث رواه البيهقى من طريق ابن ابى الدنيا (وعن يزيد ابن ابى سعيد المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء فياء نسبة (قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك حاجة) اى وهى انك (اذا اتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حقيقة اومجازا وهو محله وحوله (فاقرئه منى السلام) يجوز قطع همزة وكسر رائه ويجوز وصل اوله وفتح عينه والحديث رواه ابن ابى الدنيا من طريق البيهقى فى الشعب عنه (قال غيره) اى غير المهرى وهو حاتم بن وردان كما رواه البيهقى فى شعب الايمان (وكان) اى عمر بن عبد العزيز (يبرد) بضم ياء وسكون موحدة وكسر راء اى يوجه ويسير (اليه البريد من الشام) اى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القاصد من الشام ليقرئه منه السلام (قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف) اى بين يديه (فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف) لا يعرف استحباب رفع اليدين فى ذلك المقام عن احد من الاعلام ولعله دعا الله سبحانه وتشفع به عليه السلام (وقال مالك فى رواية ابن وهب) اى عنه (اذا سلم) اى هو اواحد (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة) وذهب بعض ارباب المناسك ان الزائر يسلم اولا وهو متوجه الى القبر ثم يدعو الله وهو مستقبل القبلة فوق رأسه عليه السلام (ويدنو) اى ويقرب الى القبر قربا يناسب الادب (ويسلم ولا يمس القبر) وكذا جدار رقبته وشبابيك حجرته عليه السلام (بيده) ولا بفمه لعدم وروده عن الصحابة الكرام ولانه اقرب الى مقام الادب ولان ذلك من عادة النصارى على ما نقله الغزالى (وقال) اى مالك (فى المبسوطة لا ارى) اى لا اجوز (ان يقف) اى احد (عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضى) هذا بظاهره يناقض ما سبق عنه اللهم الا ان يقال هذا بيان الاكمل فتأمل (قال ابن ابى مليكة) بالتصغير تابعى تيمى مؤذن ابن الزبير وقاضيه قال ولانى ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت اسأل ابن عباس واما ابو مليكة فصحابى (من احب ان يقف وجاه النبى صلى الله عليه وسلم) بكسر الواو ويضم اى فى مواجهته ومقابلته (فليجعل القنديل) بكسر القاف معروف واما بفتحه فهو عظيم الرأس (الذى فى القبلة) اى فى جهتها (عند القبر على رأسه) اى محاذيا لرأسه (وقال نافع) هو مولى ابن عمر من ائمة التابعين واعلامهم (كان ابن عمر يسلم على القبر) اى على من فيه (رأيته) اى ابن عمر يفعل ذلك (مائة مرة واكثر) وفى نسخة اواكثر بمعنى بل اكثر (يجيئ الى القبر فيقول السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى) وفى نسخة السلام على ابى

حفص وهو كنية عمر وهذا اقرب الى الادب (ثم ينصرف) اى ولم يزد على ذلك رواه البيهقى وغيره (وروى) وفى نسخة ورئى اى ابصر (ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها) اى يده (على وجهه) رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى انه رآه واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابن قسيط) بفتح قاف فكسر مهملة او بالتصغير وهو الاصح (والعتبى) بضم عين فسكون فوقية فموحدة (كان اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خلا المسجد) اى عامة الناس (جسوا) بفتح الجيم وتشديد السين المهملة اى حبسوا ومسوا (رمانة المنبر) اى القعدة المشابهة للرمانة (التى تلى القبر) يعنى التى كان يأخذها عليه السلام بيمينه (بميامنهم) متعلق بجسوا اى تمسحوا بايمانهم طلبا لليمن والبركة فى زيادة الايمان وايقان الاحسان (ثم استقبلوا القبلة) يدعون اى الله سبحانه بهذه الوسيلة المشتملة على الفضيلة رواه ابن سعد (وفى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثى) هو عالم الاندلس (انه) اى ابن عمر (كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عند قبره كما فى نسخة (فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر) اى وهو فى مكان يجمع بينهم فى السلام من غير تغير المقام فى القيام (وعند ابن القاسم) وهو فقيه مصر (والقعنبى) وهو احد الاعلام روى عنه البخارى ومسلم وغيرهما (ويدعو لابى بكر وعمر) اى بدل لفظة وعلى ابى بكر وعمر (قال مالك فى رواية ابن وهب) وهو عالم مصر (يقول المسلم) بتشديد اللام المكسورة اى الزائر (السلام) ويروى سلام (عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته قال) اى مالك (فى المبسوطة ويسلم على ابى بكر وعمر) باى لفظ كان (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم وهو احد الاعلام (وعندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلوة) اى بان يقول الصلوة عليك يا نبى الله او الصلوة على رسول الله ولا شك ان الجمع بينهما وبين السلام افضل واكمل كما دل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ولابى بكر وعمر) يعنى ويدعو لهما ايضا (كما فى حديث ابن عمر من الخلاف) اى المتقدم حيث جاء فى رواية اخرى عنه انه كان يقول السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى وفى رواية اخرى عنه انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر وقد تقدم ان الصلوة على غير الانبياء تكره استقلالا فكيف يصح قول الباجى عندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلوة ولابى بكر وعمر وغايته ان حديث ابن عمر فى الرواية الثانية ان ذكر الصلوة عليهما وقع تبعا او تغليبا والحاصل ان الافضل هو الجمع بين الصلوة والسلام للنبى الاكمل واما صاحباه فنخصهما بلفظ السلام فتأمل فانه القول المعول (وقال ابن حبيب) احد الائمة ومصنف الواضحة (ويقول) اى الزائر (اذا دخل مسجد الرسول) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكره بعض العلماء اطلاق الرسول من غير الاضافة الى الله سبحانه لتوهم معناه اللغوى (بسم الله وسلام) اى تمام (على رسول الله عليه السلام) وفى نسخة عليه الصلوة والسلام (السلام علينا) اى وعلى عباد الله الصالحين (من ربنا) اى من جانبه ومن لطفه وكرمه (صلى الله وملائكته) الاولى زيادة وسلم (على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وجنتك) اى بتوفيق اكتساب طاعتك واجتناب معصيتك (واحفظنى من الشيطان الرجيم) اى من وساوسه وهواجسه (ثم اقصد) فيه اللغات اى ثم توجه (الى الروضة) اى الشريفة (وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها) اى صل (ركعتين) اى قياما بحق الربوبية كما اقتضته العبودية (قبل وقوفك بالقبر) اى للزيارة المصطفوية واداء التحية النبوية (تحمد الله) اى حال كونك تثنى على الله سبحانه (فيهما) اى فى الركعتين وفى نسخة فيها اى فى الصلوة او فى الروضة (وتسأله) اى الله فيهما او بعد الفراغ منهما (تمام ما خرجت اليه) اى من المقاصد (والعون عليه) اى فى جميع المراصد (وان كانت ركعتاك) وهما تحية المسجد (فى غير الروضة اجزأتاك) اى كفتاك عن السنة (وفى الروضة) وكذا فى المواضع الفاضلة فى المسجد (افضل) اى لورود الاحاديث فى فضلها (وقد قال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتى) المختص بعايشة المعبر عنه فى رواية ما بين قبرى (ومنبرى روضة من رياض الجنة) اى اما حقيقة بان ينتقل اليها حال وصولها واما وسيلة بان تكون العبادة فيها سببا لدخولها وباعثة لوصولها فقد قال القتيبى معناه ان الصلوة والذكر فى هذا الموضع يورثان الجنة فكانه قطعة منها اقول ولا منع من الجمع والله اعلم (ومنبرى على ترعة) بضم فوقية فسكون راء فعين مهملة اى عتبة او روضة مرتفعة (من ترع الجنة) رواه احمد بتمامه عن جابر والبزار عن ابى بكر والدارقطنى عن عمر بلفظ قبرى بدل بيتى ورواه بدون الجملة الاخيرة البيهقى عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر ورواه فقط احمد وابو عوانة عن سهل بن سعد والترعة فى الاصل الروضة على مكان مرتفع خاصة فان كانت فى مطمئن فهى روضة وورد ارتعوا فى رياض الجنة يعنى مجالس الذكر وفى رواية اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ونحو ذلك (ثم تقف) خبر معناه امر اى قف ايها الزائر

(بالقبر) اى قريبا منه ومقبلا عليه (متواضعا) اى متذللا فى نفسه (متوقرا) اى معظما لمن فى حضرته (فتصلى عليه وتثنى بما يحضرك) اى لديه (وتسلم على ابى بكر وعمر وتدعو لهما) اى بالغفران والرضوان (واكثر من الصلوة) اى الطاعة والعبادة اوالصلوة على صاحب السعادة والسيادة (فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل والنهار) اى فى ساعاتهما (ولا تدع ان تأتى مسجد قبا) اى ولاتترك اتيان ذلك المسجد وزيارة ذلك المشهد فانه كان صلى الله عليه وسلم يأتيها كل يوم سبت راكبا وماشيا وقباء يمد ويقصر ويؤنث ويذكر و يصرف ويمنع والاشهر الاكثر مده وتذكيره وصرفه (وقبور الشهداء) اى شهداء احد وغيرهم اى ولاتترك اتيان زيارتهم واستدعاء شفاعتهم (وقال مالك رحمه الله فى كتاب محمد) يعنى واحدا من اصحابه ولعله محمد بن الحسن من اصحاب ابى حنيفة فانه روى عنه الموطأ (ويسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل) اى سلام القدوم والزيارة (وخرج) اى واذا اراد ان يخرج سلام الموادعة (يعنى) اى يريد بذلك وهو (فى المدينة) اولا وآخرا (وفيما بين ذلك) اى احيانا (قال محمد واذا خرج) اى اراد الزائر ان يخرج من المدينة (جعل آخر عهده الوقوف بالقبر) اى للزيارة قياسا على طواف الوداع (وكذلك من خرج) ولو من اهل المدينة (مسافرا) اى حال كونه مريدا للسفر وهذا كله بطريق الاستحباب واستحسان الآداب الموجب لمزيد الثواب (وروى ابن وهب عن فاطمة) اى البتول الزهراء (بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) قال الدلجى بفتح تاء الخطاب ولا اعلم من رواه قلت بل الصواب ان المراد به عموم الخطاب وقد سبق روايته مع مخرجها فى الكتاب (فصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة ضبط دخلت بكسر التاء وفصلى بياء المخاطبة (وقل) وفى نسخة وقولى فيه وفيما بعده (اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك وفى رواية اخرى) اى لابى داود عن ابى حميد واسيد (فليسلم مكان فليصل وفيه) اى فى هذا المروى (ويقول اذا خرج اللهم انى اسألك من فضلك وفى اخرى اللهم احفظنى) اى احرسنى واعذنى واعصمنى (من الشيطان الرجيم) اى المطرود المبعود (وعن محمد بن سيرين) احد اعلام التابعين (كان الناس) اى الصحابة (يقولون اذا دخلوا المسجد) اى المسجد النبوى او جنس المسجد الالهى (صلى الله وملائكته على محمد) جملة خبرية مبنى انشائية معنى (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا) اى لاباسم غيره (وباسم الله خرجنا) والمعنى دخلنا مستعينين باسمه وخرجنا متمسكين باسمه ففى الحالين باسمه تعلقنا (وعلى الله توكلنا) اى وفى جميع احوالنا عليه اعتمدنا وجميع امورنا اليه فوضنا (وكانوا يقولون اذا خرجوا) اى حين خروجهم من هنالك (مثل ذلك وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها ايضا) اى كما تقدم عنها (كان النبى اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم) وفى نسخة صلى الله عليه وسلم اخرجه احمد والبيهقى فى الدعوات (ثم ذكر) اى ابن سيرين (مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية حمد الله وسمى وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مثله) وهذا نقل بالمعنى وقد ثبت باختلاف المبنى فلا عبرة بقول الدلجى لا ادرى من رواها (وفى رواية) اى للترمذى وابن ماجه (بسم الله والسلام) وفى نسخة والصلوة (على رسول الله وعن غيرها) اى وروى عن غير فاطمة من الصحابة من طرق متعددة فلا يضر قول الدلجى لم اقف عليه لان من حفظ حجة على غيره وكذا لا التفات الى قول الحلبى لا اعرفه بعينه لانه يكفى ان المصنف رواه وهو حافظ ثقة حجة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد) اى حقيقة او اذا اراد دخوله (قال اللهم افتح لى ابواب رحمتك) اى الدينية والاخروية (ويسر لى ابواب رزقك) اى الحسية والمعنوية (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى) اى ابواب رحمتك رواه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وابن حبان وابن خزيمة (وقال فى المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة) اى كلما دخل به وخرج منه (الوقوف بالقبر) اى للزيارة (وانما ذلك) اى لازم (للغرباء) اى من الزائرين دون المقيمين وهذا كما قاله العلماء من ان الصلوة النافلة فى مكة افضل لاهل الاقامة والطواف افضل للغرباء النازلة (وقال) اى مالك رحمه الله (فيه) اى فى المبسوط (ايضا لا بأس لمن قدم) بكسر الدال اى نزل (من سفر) اى من اهل المدينة وغيرهم (او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلى عليه ويدعو له) اى بالسلام (ولابى بكر وعمر فقيل له) اى لمالك (فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون) بفتح الدال اى لا يجيئون (من سفر ولا يريدونه) اى ولا يقصدون السفر غالبا (و) هم مع ذلك (يفعلون ذلك) اى الوقوف على القبر للزيارة (فى اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا) اى ان تأخروا (فى الجمعة) بضم الجيم والميم ويسكن اى فى الاسبوع (او فى الايام) اى ولو اكثر من الجمعة (المرة) اى تارة (او اكثر) اى اخرى (عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال مالك

رحمه الله لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه) اى من المتقدمين (ببلدنا) يعني المدينة (وتركه واسع) اى جائز يعني ولوفعله فسائغ شائع لانه كما قال ابن مسعود مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والقياس بوقت الوفاة على حال الحياة صحيح ولاشك ان الصحابة كانوا يكررون السلام عليه في حال حياته ويتشرفون بتكرار ملاقاته ويتبركون باخذ الفيض من انوار بركاته فاى مانع من التردد على بابه والتوسل الى جنابه على انه قد ثبت من صلى عليه نائيا بلغه ومن صلى عليه عند قبره سمعه نعم ان كانت الكثرة توجب الملالة فلاشك ان يقال في حقها الكراهة كما يشير اليه حديث زرغبا تزدد حبا واما عند كثرة الشوق ومزية الذوق فلاسبيل الى المنع من تلك الحضرة ولو على سبيل المداومة كما يدل عليه حديث ابي بن كعب في تكثير الصلوة والسلام عليه والحاصل ان تكثيرها مستحب بالاجماع فايقاعها اولى في افضل البقاع واهل السلف الصالح كان عند هم امورهاهم من ذلك فكانت تشغلهم عن كثرة الوقوف هنالك وكذا نقول ان طلب العلم وتحصيله وتدريسه وتصنيفه اذا كان خالصا في طريقه افضل من كثرة الطواف والزيارة بل ا كمل من حج النافلة وقصد العمرة فاندفع بما قررنا وارتفع بما حررنا ما يفهم من ظاهر قوله (ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك) وقد قدمنا عذرهم انهم كانوا يشتغلون بامور كانت اهم هنالك (ويكره) اى الوقوف للزيارة من اهل المدينة (الالمن جاء من سفر اواراده) اى السفر (قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها اودخلوها اتوا القبر فسلموا) لاشك ان الزيارة في تينك الحالتين اكثر استحبابا واظهر آدابا لكن لايلزم منه انهم لم يكونوا فيما بين ذلك من الواقفين هنالك وقد سبق عن نافع ان ابن عمر كان يسلم على القبر رأيته مائة مرة او اكثر ولاشك انه كان من اهل المدينة فتدبر (قال) اى ابن القاسم (وذلك رأيى) اى المختار المطابق لظاهر قول مالك (قال الباجي) وهو بالموحدة والجيم (ففرق) اى مالك وفي نسخة يفتح فسكون اى فصل فارق (بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك) اى في رحلتهم (واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم) اى على صاحبه وفيه انه لايلزمهم ترك ذلك واى مانع لما هنالك فهل ترى احدا قال بان الغرباء لهم الطواف حول الكعبة لانهم قصدوا اها في سفرهم دون اهل مكة حيث لم يقصدوها في اقامتهم (وقال عليه الصلوة والسلام) كما روى مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلا وعبد الرزاق عن معمر عن زيد بن اسلم (اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد) اى صنما يعبد من دون الله تعالى وانما قاله خوفا على امته واهل ملته ان يفعلوا مثل جهلة اهل الكتاب بالنسبة الى قبور انبيائهم ومشاهد اصفيائهم ولذا قال عليه الصلوة والسلام (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) اى مسجودا لها ومشهودا فيها حيث عبدوها (وقال) اى النبي عليه الصلوة والسلام (لاتجعلوا قبري عيدا) رواه ابن ابي شيبة موصولا عن علي وسعيد بن منصور في سننه مرسلا من طريقين وتقدم تحقيق بيانه وتدقيق برهانه (ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لايلصق به) لانه ناشئ عن قلة الادب مع رسول الرب (ولايمسه) اى لعدم وروده بل ورد النهي عن مسه ولمسه (ولايقف عنده طويلا) اى وقوفا طويلا اوزمانا طويلا لاخوفا من الرياء والسمعة اومن الملالة والسآمة (وفي العتبية) بضم العين المهملة وسكون الفوقية وكسر موحدة وتشديد تحتية منسوبة الى فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي مصنفها وهو من موالي عتبة بن ابي سفيان اخذ عن يحيى بن يحيى الليثي وطبقته (يبدأ بالركوع) اى بصلوة التحية للمسجد (قبل السلام) اى على سيد الانام حين دخوله (في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قياسا على حال حياته فانه قد ورد ان واحدا من الصحابة دخل المسجد فجاء وسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ارجع وصل ركعتين ثم سلم علي وفيه ايماء الى تقديم الحرمة الربوبية على تعظيم الخدمة النبوية (واحب مواضع التنفل منه مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق) بضم ميم وفتح خاء معجمة ولام مشددة مفتوحة اى المبخر او المطلي بالخلوق بفتح اوله وهو نوع من الطيب المعتق (واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف) اى افضل للمأمومين واما الامام فلاشك ان مقامه الافضل مصلاه الاكل (والتنفل فيه) اى في مصلاه بل في جميع مسجده افضل (للغرباء) دون اهل المدينة لحديث ورد بذلك (حالى) وكذا الى غيره (من التنفل في البيت) واهل وجهه ان لامضاعفة في الصلوة في غير المسجد من مواضع المدينة بخلاف ذلك في مكة فان الحرم كله تضاعف فيه الحسنة بمائة الف فالنوافل في البيوت افضل لهم ولوكانوا من الغرباء

﴿فصل﴾

(فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) وفي نسخة من الآداب (سوى ما قدمنا) اى من انواع الاستحباب (وفضله) اى فضل مسجده (وفضل الصلوة فيه) اى وما يتعلق به (وفي مسجد مكة) طرد اللباب

وما يتعلق به من بعض الابواب (وذكر قبره ومنبره) اى وشرف ما بينهما وقدره (وفضل سكنى المدينة ومكة) اى سكانهما ومجاورى مكانهما وقدم المدينة بناء على معتقد مالك ومن وافقه على ذلك (قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه) واختلف المفسرون فى المراد به (روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل اى مسجد هو قال مسجدى هذا) رواه مسلم والترمذى وصححه والنسائى عن ابى سعيد واحمد عن ابى بن كعب وسهل بن سعد وفى رواية لمسلم هو مسجدكم هذا مسجد المدينة فكان الاولى للمصنف ان يقول فقد ورد او ثبت اذ روى بصيغة المجهول موضوعة للتمريض غالبا (وهو قول سعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها وهو من اكابر التابعين فكان الاولى ان يؤخره عن قوله (وزيد بن ثابت وابن عمر) ثم يقول بعده (ومالك بن انس) واما ما ذكره الحلبى من ان اللايق تقديم ابن عمر على زيد بن ثابت فغير زيد بن ثابت لان زيدا من اكابر الصحابة وممن اخذ عنه ابن عباس وغيره وهو اجل كتبة الوحى وقد ورد فى حقه افرضكم زيد اى اعلمكم بالفرائض وهو امام فى علم القرأة والكتابة وغيرهما وابن عمر من صغار الصحابة والطبقة الثانية منهم رضى الله تعالى عنهم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) اى لانه اسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه ايام اقامته بها من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وهو اوفق للقصة فى سبب نزول الآية فقد روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنوا غنم بن عوف فبنوا مسجدا فقالوا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة فصل فيه حتى نتخذه مصلى فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما رجع كرر عليه فنزلت و يؤيده انه روى البخارى فى تاريخه وجماعة عن محمد بن عبد الله بن سلام انه قال لما اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد الذى اسس على التقوى مسجد قباء قال ان الله تعالى قد اثنى عليكم فى الطهور خيرا افلا تخبرونى فقالوا يارسول الله انا نجد مكتوبا علينا فى التورية الاستنجاء بالماء ونحن نفعله اليوم كذا ذكره شيخ مشايخنا الحافظ السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير المأثور ويقويه ما رواه الترمذى وابوداود ان هذه الآية نزلت فى اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا وكذا ما رواه ابن ماجه ان هذه الآية لما نزلت فيه رجال قال عليه الصلوة والسلام واقفا على باب مسجد قباء يامعشر الانصار ان الله تعالى قد اثنى عليكم فى الطهور فما طهوركم الحديث وعندى ان الجمع ممكن بان يراد به جنس المسجد الذى اسس على التقوى وان ما ذكر من الطهور لاهل قباء لاينافى الحمل على اهل مسجده من الانصار والله اعلم بحقايق الاخبار ودقايق الاسرار (حدثنا هسام) وفى نسخة هاشم (ابن احمد الفقيه بقرأتى عليه قال حدثنا الحسين) بالتصغير والاصح كما فى نسخة الحسن (ابن محمد الحافظ) اى حافظ عصره ومحدث دهره وهو الغسانى (ثنا) اى قال حدثنا (ابوعمر النمرى) بفتح النون وكسر الميم وهو ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا ابو محمد ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابوداود) اى صاحب السنن (ثنا مسدد) بفتح الدال الاولى مسددة (ثنا سفيان) اى ابن عيينة (عن الزهرى) وهو الامام ابن شهاب (عن سعيد بن المسيب) من قيل فيه انه افضل التابعين (عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاتشد الرحال) جمع راحلة وهى الصالحة لان ترحل او يشد الرحل عليها والرحل للبعير كالسرج للفرس والمعنيان يحتملان هنا وفى النهاية الراحلة من الرحيل البعير القوى على الاسفار والاحمال للذكر والانثى والهاء للمبالغة ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة والمعنى لاينبغى ان تركب دابة لزيارة مسجد من المساجد (الا الى ثلثة مساجد) لفضلها على غيرها فى كونها مشاهد (مسجد الحرام) بالجر بدل من الثلثة وفى نسخة المسجد الحرام والمراد به المسجد الذى فى بلد الله الحرام المحترم عند سائر الانام وهو افضلها كما يشير اليه تقديمه فى هذا الحديث ومزيد المضاعفة فيها كما فى الاخبار كثيرة وآثار شهيرة (ومسجدى هذا) يعنى مسجد المدينة احتراز من نحو مسجد قباء فلايدل على حصر فضل مسجده على ما كان مشارا اليه فى عهده (والمسجد الاقصى) وهو الابعد من المساجد بالنسبة الى العرب وهو الذى ببيت المقدس وهو مسجد كثير من الانبياء وقد دخله عليه الصلوة والسلام وصلى فيه فى ليلة الاسراء وقد اخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابوداود وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغى للعاقل ان لايشتغل الا بما فيه صلاح دنيوى وفلاح اخروى ولما كان ما عدا المساجد الثلثة متساوى المرتبة فى الشرف والفضيلة وكان النقل والارتحال لاجله عبثا من غير المنفعة نهى الشارع عنه لان لاتشد خبر وقع نفيا واراد به نهيا (وقد تقدمت الآثار فى الصلوة والسلام) ويروى التسليم (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد) اى مطلق المساجد فبالاولى مراعاتها فى افضل المساجد (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما) الصواب ترك الياء فى آخره كما بينا وجهه اولا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخل المسجد) اى جنسه (قال اعوذ بالله العظيم و بوجهه الكريم) اى ذاته

(وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) رواه ابوداود (وقال مالك) اى فيما رواه البخارى والنسائى (سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صوتا) اى عظيما (فى المسجد) اى مسجد المدينة (فدعا بصاحبه) اى طلب صاحب الصوت (فقال ممن انت) يروى من انت (قال رجل من ثقيف) اى من اهل الطائف (قال لو كنت من هاتين القريتين) اى مكة والمدينة اى لفعلت نكالا اولعذبتك اولعزرتك وفى نسخة صحيحة لادبتك (ان مسجدنا) اى اهل المدينة خصوصا (لايرفع فيه الصوت) اى لما ورد من قوله تعالى لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى وهو حى حاضر بعد مماته كما كان فى حال حياته فيكون موجبا لمراعاته وقد قال بعض علمائنا ان رفع الصوت فى المساجد ولو بالذكر حرام لما يشوش على اهلها العبادة و يشغل خاطرهم عما تتعلق به الارادة قال الدلجى وقد تفق العلماء عليه بشهادة الحصر فى حديث انما بنيت المساجد للذكر والعبادة هذا وفى صحيح البخارى بسنده الى السائب بن يزيد هو الكندى وله صحبة كنت قائما فى المسجد فحصبنى رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فأتنى بهذين فجئته بهما فقال من انتما او من اين انتما قالا من اهل الطائف قال لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ترفعان اصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله سامحهما لكونهما قريبى العهد من الايمان والاسلام وآدابهما او لكونهما من الغرباء فاوجب مراعاة حالهما (قال محمد بن مسلمة لاينبغى لاحد ان يعتمد) وفى نسخة صحيحة ان يتعمد اى يقصد (المسجد) اى فيه (برفع الصوت ولا بشىء من الاذى) اى من دخوله فيه او رميه من بصاق ونحوه (وان ينزهه عما يكره) اى من بيعه وشرائه وحلاقة رأسه وقص ظفره وقتل قملة ونحوها فان المساجد لم تبن لذلك وانما بنيت لذكر الله ولما يناسب هنالك (قال القاضى) يعنى المصنف (حكى ذلك كله القاضى اسمعيل فى مبسوطه) وهو الامام شيخ الاسلام اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد الازدى مولاهم البصرى ثم البغدادى المالكى الحافظ صاحب التصانيف ولد سنة تسع وتسعين ومائة وقرأ على قالون وتفقه واخذ علم الحديث وقاله عن ابن المدينى روى عنه جماعة وتفقه عليه طائفة قال الخطيب كان عالما متقنا فقيها شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند وصنف فى علوم القرآن وله كتاب احكام القرآن لم يسبق الى مثله وكتاب معانى القرآن وكتاب القراآت واستوطن بغداد وولى قضاءها الى ان توفى وقال غيره صنف موطأ وصنف كتابا كبيرا نحو مائتى جزء فى الرد على محمد بن الحسن لم يتمه توفى اسمعيل فجأة فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين روى النسائى فى الكنى عن ابراهيم بن موسى عن اسمعيل القاضى عن ابن المدينى والحاصل انه ذكر فيه (فى باب فضل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) اقول لكن لاشبهة فى تفاوت مراتب المساجد فى هذا الحكم وغيره من المقاصد (قال القاضى اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره فى مسجد الرسول عليه الصلوة والسلام الجهر) اى رفع الصوت (على المصلين فيما يخلط) بتشديد اللام المكسورة اى يلبس و يشبه (عليهم صلوتهم) اى من جهة قراآتهم وعد ركعاتهم (وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت) اى بالكلام فرفع الصوت مرفوع على انه اسم ليس ومما يخص محله النصب على الخبر والمساجد مرفوع على انه نائب الفاعل (قد كره) بصيغة المفعول اى كره جماعة (رفع الصوت بالتلبية) اى مع كونها ذكرا وسنة (فى مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى) اقول هذا الاستثناء انما هو على مقتضى مذهبه ومختار مشربه والا فالصحيح من مذهبنا انه يكره رفع الصوت مطلقا فى جميع المساجد لانه لافرق فى العلة المانعة منه فى كل المساجد وفى نسخة ومسجدنا قال الانطاكى كذا وقع فى النسخ التى وقفت عليها والظاهر انه تصحيف اذلامعنى لاضافة المسجد الى القائل هنا ولعل الصواب ومسجد منى فقد قال السروجى فى شرح الهداية وقال مالك لايرفع المحرم صوته بالتلبية فى مساجد الجماعات لانها لم تبن لها الا فى المسجد الحرام ومسجد منى قال وخالف الجماعة فيه وقد لبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد ذى الحليفة دبر صلوته ورووا تلبيته صلى الله عليه وسلم ولو لم يرفع بها صوته لما حفظوها منه هذا لفظه بحروفه انتهى كلام الانطاكى وفيه ان تلبيه فى مسجد ذى الحليفة ليس كسائر المساجد اذ هو ليس من مساجد الجماعات بل مسجد موضوع للاحرام وما يتعلق به من الصلوة والتلبية والحاصل ان مذهب الحنفية يستحب التلبية فى المسجد الحرام ومنى وسائر المساجد التى فى بقاع الحرم لانها موضع النسك ولايستحب اظهارها فى مساجد الامصار والحل لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه سمع رجلا يلبى فقال ان هذا لمجنون انما التلبية اذا برزت كذا فى الكافى وفى احكام المساجد للشافعية يستحب التلبية فى المسجد الحرام وفى مسجد منى وابراهيم بعرفات وفى استحبابه فى سائر المساجد قولان الجديد الاصح انه يستحب والقديم لا لئلا يشوش انتهى وقد علم بما ذكرنا ان الخلاف فى رفع الصوت المشوش واما امر الاضافة فسهل اذا كان القائل مثلا فى مسجد نمرة او مسجد الخيف والله تعالى اعلم (وقال

ابوهريرة رضى الله تعالى عنه) اى فيما رواه الشيخان (عنه عليه الصلوة والسلام صلوة فى مسجدى هذا) اى مسجد المدينة وقال النووى المضاعفة فيه مختصة بما كان فى زمنه عليه الصلوة والسلام وتحت نظر اصحابه الكرام (خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضى) يعنى المصنف (اختلف الناس) اى العلماء فانهم هم الناس (فى معنى هذا الاستثناء) يعنى الا المسجد الحرام هل يفيد الزيادة او النقصان او الاستواء (على اختلافهم) قال الدلجى اى مع اختلافهم والاظهر ان على على بابها والمعنى اختلافا مبنيا على اختلافهم (فى المفاضلة بين مكة والمدينة) اى كون ايهما افضل فى حق المجاورة (فذهب مالك رحمه الله فى رواية اشهب) اى ابن عبد العزيز (عنه) اى عن مالك (وقاله ابن نافع صاحبه) اى صاحب اشهب او صاحب مالك (وجماعة اصحابه) كذا بالاضافة وفى نسخة وجماعة من اصحابه اى من اصحاب مالك عنه (الى ان معنى الحديث) اى مراده ومقتضاه بحسب مبناه ومفهوم معناه (ان الصلوة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلوة فى سائر المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الالف) يعنى فالاستثناء لبيان النقص فى الجملة وسيأتى ما يرد هذه المقولة (واحتجوا بما روى) اى فى مسند الحميدى (عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صلوة فى المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه) وفيه انه يدل على ان صلوة فى المسجد الحرام خير من مائة صلوة فى مسجد المدينة لانه داخل فيما سواه من غير ذكر استثناء فى مبناه فلا يتم قوله تبعا لهم (فيأتى فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف) وسيأتى ما يناقضه و يعارضه بما هو اصح فى هذا الباب مما روى عن عمر بن الخطاب والله اعلم بالصواب (وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة) اقول بل تفضيل المدينة على مكة مبنى على هذا اذ سبب تفضيل المكانين بموجب تشريف المسجدين و لا فلاشك ان مكة لكونها من الحرم المحترم اجماعا افضل من نفس المدينة ماعدا التربة السكينة فانها افضل من الكعبة بل من العرش على ماقاله جماعة على انه لا افضلية فى العبادة بالمدينة خارج مسجدها لعدم تعلق المضاعفة فى الحسنة بها بخلاف مكة وماحولها من الحرم المحترم والله تعالى اعلم والحاصل انه ان ثبت افضلية مسجد المدينة يدل على افضلية المجاورة بها لان المقصود من السكون فيها اتيان العبادة بها على ما قدمناه (وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وفيه ان روايته الحديث السابق ليس لها دلالة على مذهبه اللاحق (ومالك واكثر المدنيين) اى علماء اهل المدينة وفقهائهم من التابعين (وذهب اهل مكة والكوفة) ومنهم ابو حنيفة واصحابه واحمد بن حنبل وسفيان الثورى وحماد وعلقمة واصحاب الشافعى وغيرهم (الى تفضيل مكة) لحديث النسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه وصححه عن عبد الله بن الحمراء قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير ارض الله الى الله تعالى والا انى اخرجت منك ماخرجت (وهو قول عطاء) وهو من اكابر التابعين (وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجى) بالسين المهملة والجيم محدث البصرة وعنه اخذ الاشعرى مقالة اهل الحديث وله كتاب جليل فى علل الحديث ذكره الشيخ ابو اسحق فى طبقاته فقال اخذ عن الربيع والمزنى وصنف كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب علل الحديث وتوفى بالبصرة سنة سبع وثلثمائة ذكره فى الميزان وقال احد الاثبات ما علمت فيه جرحا اصلا وقال ابو الحسن بن القطان مختلف فيه فى الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون (عن الشافعى) اى نصا فى هذا الباب (وحملوا الاستثناء فى الحديث المتقدم) اى عن ابى هريرة برواية الشيخين (على ظاهره) اى للزيادة (وان الصلوة فى المسجد الحرام افضل) اى منها فى مسجده عليه الصلوة والسلام (واحتجوا) اى لتفضيل مكة على المدينة (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى صلوة فى مسجدى هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام (وفيه) اى وزيد فى حديث ابن الزبير (وصلوة فى المسجد الحرام افضل من الصلوة فى مسجدى هذا بمائة صلوة) فهذا منطوق وقع صريحا فلا يعارضه مفهوم ولو كان صحيحا والحديث هذا مما ثبت فى مسند احمد بن محمد بن حنبل وغيره من حديث عبد الله بن الزبير ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلوة فى مسجدى هذا افضل من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلوة فى المسجد الحرام افضل من مائة صلوة فى مسجدى هذا وقال النووى فى شرح مسلم هذا حديث حسن رواه احمد ابن حنبل فى مسنده والبيهقى وغيرهما باسناد حسن انتهى وقد رواه ابن حبان فى صحيحه هذا وقال الدلجى فى قوله بمائة صلوة اسقط منه المضاف الى صلوة اى بمائة الف صلوة اذ قد ورد كذلك عند احمد وابن ماجه عن جابر باسنادين صحيحين بلفظ صلوة فى مسجدى افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلوة فى المسجد الحرام افضل من مائة الف صلوة فيما سواه فحديث ابن الزبير هذا روى ابو هريرة صدره وعمر آخره (وروى قتادة مثله)

وفى نسخة وروى عن قتادة مثله اى مثل حديث ابن الزبير (فيأتى فضل الصلوة فى المسجد الحرام على هذا) اى القول الصحيح المجتمع له بحديث ابن الزبير (على الصلوة فى سائر المساجد) اى ولو مسجد المدينة (بمائة الف) قال الحجازى يروى بمائة والف اقول الظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى ثم اعلم ان العلماء صرحوا بان هذه المضاعفة فيما يرجع الى الثواب فثواب صلوة فيه يزيد على ثواب مائة الف فيما سواه ولا يتعدى ذلك الى الاجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلوتان فصلى فى مسجد المدينة او المسجد الحرام او المسجد الاقصى صلوة لم تجزئه عنهما وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء خلافا لما يغتر به بعض الجهلاء (ولا خلاف) اى بين العلماء الامصار (ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض) اى بشرف قدره وكرمه عند ربه (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (الذى يقتضيه الحديث) اى الوارد فى فضل المسجدين (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) ومن جملتها مسجده عليه الصلوة والسلام بدليل حمل الاستثناء فى حديث ابى هريرة على ظاهره وحديث عمر رضى الله عنه صلوة فى المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه (ولا يعلم منه) اى من الحديث المذكور (حكمها) اى حكم مكة (مع المدينة) اى فى ايهما افضل من الاخر الا انه يدل على ان المجاورة بمكة والمداومة فى مسجدها بالجماعة افضل من المجاورة بالمدينة لما يترتب عليهما من مزيد المضاعفة الا ان حديث حسنات الحرم بمائة الف ان ثبت صريح فى ان نفس مكة افضل من نفس المدينة ما عدا البقعة السكينة ومما يدل عليه ايضا ما تقدم من حديث ابن الحمراء فانه حديث صحيح ودلالته على المدعى صريح (وذهب الطحاوى) وهو ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة العالم المشهور فى مذهب الحنفى (الى هذا التفضيل) اى فى المسجدين (انما هو فى صلوة الفرض) اى لان النافلة فى البيوت افضل (وذهب مطرف) بضم ميم وكسر راء مشددة وهو اليسارى المدنى مولى ميمونة يروى عن خاله مالك ونافع القارى وعنه البخارى وابو زرعة (من اصحابنا) اى المالكية (الى ان ذلك) اى التفضيل الوارد فى الصلوة فيهما (فى النافلة ايضا) اى منضمة الى الفريضة اخذا بظاهر عموم الحديث وكذا قاله ايضا اصحاب الشافعى على ما نقله الحلبى (قال) اى الطحاوى او مطرف فى تفضيل الصلوة والصوم فيهما (وجمعة خير من جمعة) اى فى غيرهما بما سبق فى فضلهما (ورمضان خير من رمضان) اى كذلك (وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) اى من البلاد والظاهر على غيرها (حديثا نحوه) اى نحو ما ذكر قبله رواه الطبرانى عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة خير من رمضان وجمعة بها خير من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم كذا ذكره الدلجى وفى الجامع الصغير رمضان بالمدينة خير من الف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من الف جمعة فيما سواها من البلد ان رواه الطبرانى والضياء عن بلال بن الحارث المزنى وورد رمضان بمكة افضل من الف رمضان بغير مكة رواه البزار عن ابن عمر (وقال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) رواه احمد والشيخان والنسائى عن عبد الله بن زيد المازنى والترمذى عن ابى هريرة (ومثله) اى مثل هذا اللفظ (عن ابى هريرة وابى سعيد) اى فى الموطأ (وزادا) وفى نسخة صحيحة زاد اى ابو سعيد الخدرى (ومنبرى على حوضى) اى حقيقة او مجازا كما سيأتى (وفى حديث آخر) وقد سبق مخرجه (منبرى على ترعة من ترع الجنة) بضم الفوقية وسكون الراء وقد تقدم معناها (قال الطبرى) الظاهر انه محمد ابن جرير (فيه) اى فى الحديث الاول (معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه) اى مع مايسة فى مبيته ومثواه (على الظاهر) اى المتبادر من المعنى اللغوى للبيت (مع انه روى ما يبينه) اى هذا المعنى وهو قوله (بين حجرتى ومنبرى والثانى) اى ثانيهما (ان البيت هنا القبر) اى باعتبار ما آله (وهو قول زيد بن اسلم فى هذا الحديث كما روى) اى فى بعض الروايات (بين قبرى ومنبرى قال الطبرى) اى جمعا بين الروايات (واذا كان قبره فى بيته) اى فى آخر امره واتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف) فى مبانى الاعتبارات (لان قبره عليه الصلوة والسلام فى حجرته وهو) اى حجرته وذكره لتذكير خبره وهو (بيته وقوله) اى فى الحديث الآخر (ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه) منبره اى موضعه (بعينه الذى كان فى الدنيا وهو اظهر) اى من غيره من الاقوال وذلك بان تنقل تلك البقعة بعينها الى ارض الآخرة فيقع من بقع ارض الحوض فيها (والثانى ان يكون له هنالك منبر) اى عند الكوثر (والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه) ايضا (موجب لذلك) اى لما سيق هنالك كما بينه بقوله (وان الدعاء والصلوة فيه) اى فيما بين بيته ومنبره (يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف) كان حقه ان يقول كما روى فانه حديث رواه الحاكم فى مستدركه عن ابى موسى وفى معناه الجنة تحت اقدام الامهات رواه القضاعى والخطيب فى الجامع عن انس رضى الله تعالى عنه (والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى) قيل هو الذى شرح البخارى (وروى

ابن عمر) اى كما رواه مسلم (وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في المدينة) اى في فضلها
(لايصبر على لأوائها) بفتح اللام وسكون الهمزة والمد اى ضيق المدينة وعنائها (وشدتها) اى لشدة بلائها
(احد الا كنت له شهيدا) مبالغة شاهد اى اشهد له بما اعلم من صبره عليها (اوشفيعا) مبالغة شافع اى واشفع له (ويوم
القيمة) واو ههنا ليست للشك لانه رواه جابر وسعد ابن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسماء بنت عميس
وصفية بنت ابي عبيدة وهي تابعية على الصحيح فحديثها مرسل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد
اتفاقهم على الشك وكذا يستحيل اتفاق رواتهم على الشك فاو هنا بمعنى الواو او للتقسيم كما صرح به النووي فيكون
شهيدا لبعض شفيعا لباقيهم اوشهيدا لمطيعهم شفيعا لمذنبيهم اوشهيدا لمن مات في حياته شفيعا لمن عاش بعد وفاته
وهذه خصوصية زائدة على شهادته في القيمة على جميع الامم او على اصفياء هذه الامة وزائدة على شفاعته الكبرى
للخلق اجمعين والصغرى للمذنبين وقد ورد شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم في قتلى
احد انا شهيد على هؤلاء اى شهادة خاصة توجب مزيد الرفعة والعلاء والحاصل انه عليه الصلوة والسلام له شهادات
متكاثرة وشفاعات متظاهرة في مواقف الآخرة (وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن تحمل) اى رفع
حمله وامتعته ونقلها (من المدينة) وتحول عنها الى غيرها (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) رواه الشيخان عن سفيان
ابن ابي زهير والمعنى لو علموا خيريتها لما فارقوها اولو كانوا من اهل العلم لعلموا خيريتها ولصبروا على بليتها (وقال) اى
النبي عليه الصلوة والسلام كما رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وهو كير الحداد وهو المبني
من الطين او هو الزق الذي ينفخ به النار والمبني الكور قاله ابن الاثير (تنفي) اى المدينة (خبثها) بفتحتين او بضم
فسكون وهو منصوب على المفعولية (وينصع) بنون ساكنة فصاد مفتوحة فعين مهملة اى و يخلص وقيل يبقى
ويذر (طيبها) بفتح طاء مهملة وتحتية مشددة مكسورة او بكسر فسكون وهو مرفوع على انه فاعل ولو روى
تنصع بالتأنيث وطيبها بالنصب لكان وجها وجيها قيل هذا القول صدر عنه عليه الصلوة والسلام على وجه
التمثيل لجعل المدينة ومايصيب ساكنها من الجهد والبلاء والقحط والقلاء كمثل الكير يتميز به الخبيث من الطيب
فيذهب الوسخ ويبقى نحو الذهب ازكى ما كان واخلص وقد روى في سبب ورود الحديث ان اعرابيا بايع النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فاصاب الاعرابي حمى بالمدينة فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا محمد اقلني بيعتي فابى ثم جاء
فقال اقلني بيعتي فابى فخرج الاعرابي فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وعن عمر بن عبد العزيز
لما خرج من المدينة التفت اليها وبكى ثم قال نخشى ان نكون ممن نفته المدينة (وقال) اى في حديث آخر رواه مسلم عن
جابر (لايخرج احد من المدينة رغبة عنها) اى للزهد فيها والاعراض عنها وعدم الميل اليها (الا ابدلها الله تعالى
خيرا منه) اى راغبا في سكناها صابرا على بلواها (وروى عنه عليه الصلوة والسلام) كما في سنن البيهقي والدارقطني
عن عائشة بسند ضعيف (من مات في احد الحرمين حاجا اومعتمرا) اى قاصدا لاحدهما وهو اعم من قول الدلجي
حال كونه محرما بهما (بعثه الله تعالى يوم القيمة لاحساب عليه ولاعذاب وفي طريق آخر) للبيهقي في الشعب
عن عمر والطبراني عن جابر وسلمان (بعث من الآمنين يوم القيمة) وفي الجامع الكبير من مات في احد الحرمين
استوجب شفاعتي وكان يوم القيمة من الآمنين رواه الطبراني والبيهقي وضعفه عن سلمان (وعن ابن عمر) اى مرفوعا
رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وابن حبان (من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها) تحريض على لزومه لها
واقامته بها ليأتي له ان يموت فيها اطلاقا للمسبب على سببه كما في قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون (فاني اشفع
لمن يموت بها) اى قبل ان اشفع لمن مات في غيرها قال التلمساني وروى فانها تسفع وقد اجمعوا ان الموت بالمدينة افضل
مما عداها وقد ورد عن عمر رضي الله تعالى عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتا في بلد رسولك وقد استجاب الله
تعالى دعاءه وجمع له بين ما تمناه (وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس) اى جعله الله تعالى معبدا لهم وقبلة يعبدونه
فيها و يستقبلون و يتوجهون في عباداتهم اليها (للذي ببكة) وهي لغة في مكة من بكه اذا دقه لانها تدق اعناق الجبابرة
اولان الناس يزاحم بعضهم بعضا في الطواف وقد روى انه عليه الصلوة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال اربعون سنة (الى قوله آمنا) تمامه (مباركا) اى كثير النفع
خصوصا لمن حجه اواعتمره وطاف حوله وشاهد حاله (وهدى للعالمين) اى مرشدا لهم لانه قبلتهم ومتعبدهم (فيه
آيات بينات) اى علامات واضحات على قدرته سبحانه وتعالى وعزته وعظيم شانه (مقام ابراهيم) اى منها مكان قيامه
واثر قدم من اقدامه في حجر صلد قام عليه لرفع الحجارة في البناء اوحين اذن بالنداء (ومن دخله) اى البيت اوحرمه (كان
آمنا) من التعرض في الدنيا ومن العذاب في العقبى واما ما تتوهمه بعض العوام من ارجاع الضمير الى المقام فلا يصح

فى المرام لانه لايتصور الدخول فى حقيقة المقـام والمعنى حوله من حوادث الايام (قال بعض المفسرين آمنا من النـار)
ويدل عليه حديث يبعث الله من هذا الحرم سبعين الفـا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حسـاب
يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفـا وجوههم كالقمر ليلة البدر وحديث الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يؤخذ
باطرافهمـا وينثران فى الجنة وقيل مبنـاه خبر ومعناه امر اى امنوه ولاتتعرضوا له وهذا توجيه قوله (وقيل كان)
وفى نسخة بل كـان (يامن من الطلب) اى طلب الثار (من احدث حدثا) اى جنى جنـاية من قتل نفس اوقطع
جارحة (خارجا عن الحرم ولجأ) بالهمزة اى التجأ وماذ واما قول التلمسـانى وروى اولجأ بالتنويع فلايصح فى مقام
التفريع (اليه فى الجـاهلية) وكذا فى الاحكام الاسلامية على مقتضى قواعد علمـائنا الحنفية فانه لا يتعرض اليه
مادام فى الحرم المحترم الا انه لايؤوى ولايطعم ولا يسقى حتى يضطر الى الخروج فاذا خرج منه اقتص منه ولعل عادة
الجـاهلية كـانت على الاطلاق واما فى الاسلام فمن احدث حدثا فى الحرم ولو دخل الكعبة يخرج منهـا
ويقتص منه بالاتفـاق (وهذا) اى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا (مثل قوله تعـالى واذ جعلنـا البيت) اى الكعبة
وماحولها من ارض الحرم (مثابة للنـاس) اى مرجعا لهم اومكان مثوبة لهم (وآمنا على قول بعضهم) اى العلماء
الحنفية على ماقدمنا عنهم اومعناه يأمن من حجه اواعتمره اودخله من عذاب الآخرة اوموضع امن لايتعرض لاهله
كقوله سبحـانه وتعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم (وحكى ان قوما اتوا سعدون)
بفتح السين وسكون العين وضم الدال والقياس صرف سعدون وحمدون ولكنهما وقعاغير مصروفين فى كتب الحديث
من الاصول المعتمدة (الخولانى) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو فنون قبل ياء النسبة (بالمنستير) بضم ميم وفتح نون
ويكسر وسكون سين مهملة وفوقية مكسورة وتحتية ساكنة فراء مكان بالقيروان (فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف
ففوقية قبيلة من البربر (قتلوا رجلا واضرموا) بالضاد المعجمة اى اشعلوا واوقدوا (عليه النار طول الليل فلم تعمل)
اى لم تؤثر (فيه) اى شيئا كما فى نسخة (وبقى) اى الرجل (ابيض اللون) اى زيادة على ما كان عليه اوتبدل سواده
بياضا وهو الاظهر وفى نسخة ابيض البدن (فقـال) اى سعدون (لعله) اى المقتول (حج ثلاث حجج) اى مقبولة
وهى بكسر الحـاء وفتح الجيم الاولى جمع حجة بفتح الحاء اوكسرها (قالوا نعم) اى حج ثلاث حجج (قال حدثت ان من
حج حجة) اى واحدة (ادى فرضه) اى ان قام بشرائطه واركانه (ومن حج ثانية داين ربه) اى اقرضه قرضا حسنا
وفى اصل الدلجى دان ربه اى اطاعة وعبده والظاهر انه تصحيف لما فى نسخة من زيادة فينادى غدا ملك من عندالله
من كان له عندالله دين فليقم (ومن حج ثالثة حرم الله تعالى شعره وبشره) اى ظاهر جلده من باهر جسده (على النار)
اى فى الدنيا والآخرة (ولما نظر رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم الى الكعبة) اى يوم الفتح او وقت هجرته
الى المدينة اوفى حجة الوداع (قال مرحبا بك) يحتمل التأنيث والتذكير اى سهلا وفضـلا (من بيت ما اعظمك
واعظم حرمتك) اى قدرا رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر (وفى الحديث عنه عليه الصلوة والسـلام ما من احد
يدعو الله تعـالى عند الركن الاسود) هو حيث فيه الحجر الاسود وفى الترمذى عن النبى صلى الله تعـالى عليه
وسلم انه قال نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم قال الترمذى حسن صحيح
وقال المحب الطبرى وقد اعترض بعض الملاحدة فقـال كيف يسود الحجر خطـايا اهل الشرك والكفر ولا يبيضـه
توحيد اهل المعرفة والايمـان واجيب بان بقـاءه اسود انمـا كان للاعتبـار وليعلم ان الخطـايا اذا اثرت فى الحجر
فتأثيرها فى القلوب اعظم واكثر وللحجر الاسود آيات بينـات منها انه يطفو على الماء ومنها انه لايسخن بالنار ومنها
حفظ الله تعـالى له من الضيـاع منذ اهبط الى الارض مع ما وقع من الامور المقتضية لذهابه كالطوفان ومنهـا
انه يقـال هلك تحته ثلاثمائة بعير والله تعالى اعلم (الا استجـاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب) لايعرف مخرجه
الا انا قدروينا فى رسالة الحسن البصرى الى اهل مكة ان الدعاء يستجـاب فى حرمهـا وعند البيت والركن الاسود
والملتزم وتحت الميزاب وهو الذى يقـال له ميزاب الرحمة قال الحسن البصرى وسمعت ان عثمـان بن عفـان اقبل ذات
يوم فقـال لاصحابه الا تسألونى من اين جئت قالوا من اين جئت ياامير المؤمنين قال مازلت قائمـا على باب الجنة وكان
رضى الله عنه قائمـا تحت الميزاب يدعو الله تعـالى وذكر الازرقى فى تاريخه عن عطـاء قال من قام تحت ميزاب
الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه (وعنه عليه الصلوة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين) رواه الديلمى وابن النجار ولفظهما من طاف
بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر الله ذنوبه كلهـا بالغة ما بلغت لكن قال السخاوى لايصح
وقد ولع به العـامة كثيرا لاسيما بمكة حيث كتب على بعض جدرها الملاصق لزمزم وتعلقوا فى ثبوته بمنـام وشبهه

مما لايثبت الاحاديث النبوية بمثله وقد ذكره المتوفى فى مختصره وقال فيه انه باطل لااصل له والله اعلم ثم على تقدير صحته فهو محمول على تكفير الصغاير لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات (قال الفقيه القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف (قرأت على القاضى الحافظ ابى على رحمه الله) هو ابن سكرة (حدثك) وفى نسخة حدثنا (ابو العباس العذرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (قال ثنا) اى حدثنا (ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروى) بفتح الهاء والراء منسوب الى هراة بكسر اولها مدينة عظيمة بخراسان (ثنا الحسن بن رشيق) بفتح الراء وكسر الشين المعجمة هو البشكرى مصرى مشهور عالى السند لين الحفظ وثقه جماعة وانكر عليه الدار قطنى انه كان يصلح فى اصله ويغيره (سمعت اباالحسن) وفى نسخة اباالحسين (محمد بن الحسن براشد) اى الانصارى يروى عن وراق الحميدى (سمعت ابابكر محمد بن ادريس سمعت الحميدى) بالتصغير وهو القرشى المكى الفقيه الامام احد الاعلام وهو من اصحاب الشافعى مات بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وهو اول رجل اخرج له البخارى فى صحيحه (قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مادعاء احد بشئ فى هذا الملتزم) بضم الميم وفتح زاء وهو مابين الحجر الاسود وباب الكعبة قال الازرقى ذرعه اربعة اذرع سمى بذلك لان الناس يلتزمونه فى الدعاء ويقال له المدعى والمتعوذ بفتح الواو (الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ) وروى مذ هنا ومابعده (سمعت هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا استجيب لى وقال عمرو بن دينار) اى الراوى عن ابن عباس (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفين) اى ابن عيينة الراوى عن عمرو بن دينار (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) اى ابن دينار (لا استجيب لى وقال الحميدى) وهو الراوى عن ابن عيينة (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان) اى ابن عيينة (الا استجيب لى وقال محمد بن ادريس) يعنى الراوى عن الحميدى (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى وقال ابو الحسين) وفى نسخة ابو الحسن (محمد بن الحسن) وهو الراوى عن ابن ادريس (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق) يعنى شيخه (قال فيه شيئا) اى مثل ماسبق عن بقية مشايخ السلسلة وعلى هذا فالمسلسل هنا منقطع (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لى من امر الدنيا) اى مما طلبته (وانا ارجو ان يستجاب لى من امر الآخرة) اى مما دعوته (قال العذرى) اى الراوى عن ابى اسامة (وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب لى قال ابو على) وهو تلميذ العذرى وشيخ المصنف (وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لى بعضها وانا ارجو من سعة فضله) بكسر السين وفتحها اى واسع كرمه (ان يستجيب لى بقيتها) والاحاديث المسلسلة قل ان تكون متصلة وندر ان تكون صحيحة هذا وقد ذكر شيخ مشايخنا ابو الخير محمد بن الجزرى فى الحصن الحصين انا قد روينا فى استجابة الدعاء فى الملتزم حديثا مسلسلا من طريق اهل مكة كذا ذكره مجملا من غير ان يبينه مفصلا وقد روى سعيد بن منصور والبيهقى فى سننهما من طريق ابى الزبير عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لايسأل الله تعالى احد فيه شيئا الااعطاه قال ابو الزبير وقد دعوت الله مرة هنالك فاستجاب لى (قال القاضى ابو الفضل) لعله يعنى المصنف نفسه (ذكرنا) وفى نسخة وقد ذكرنا (نبذا) بضم النون وفتح الموحدة فذال معجمة اى قدرا يسيرا (من هذه النكت) بضم ففتح جمع النكتة وهى النقطة والمراد بها الفوائد اللطيفة والعوائد المنيفة (فى هذا الفصل) اى عظيم الفضل (وان لم تكن) اى النبذ اوالنكت (من الباب) اى باعتبار الاصل وانما ذكرناها فى اثناء الوصل (لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصا على تمام الفائدة) اى وغاية منفعته (والله الموفق للصواب برحمته) وكرمه ولطفه

﴿القسم الثالث﴾

فيما يجب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يثبت له ولابد له من وقوعه (ومايستحيل فى حقه ومايمتنع) اى مع امكان وجوده (او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال تعالى وما محمد الا رسول) اى من جملة الرسل لامن الملائكة الذين لايموتون الا عند النفخة الاولى (قد خلت من قبله الرسل) اى مضوا وانقرضوا او بعضهم ماتوا وبعضهم قتلوا واستمر دينهم فى اممهم وسيخلو محمد كمن قبله (افان مات) اى محمد (اوقتل انقلبتم على اعقابكم) وهمزة الانكار التوبيخى منصبة على الانقلاب وفى الآية الايماء الى موت الناس حتى الانبياء وتمام الآية

(ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) وانما يضر نفسه حيث يجحد ربه (وسيجزى الله الشاكرين) اى الثابتين على دينهم والصابرين على يقينهم كانس بن النضر عم انس بن مالك فانه لما قيل له فى احد الا ان محمدا قد قتل قال ياقوم ان كان محمد قتل فان ربه حى لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده قاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل (وقال) اى الله سبحانه (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) اى لا الوهية لها ولا نبوت وانما هى كثيرة الصدق والتصديق بالحق (كانا يأكلان الطعام) وهو مما ينافى الربوبية ولذا قيل هو كناية عن يبولان و يغوطان فهما محتاجان الى اكله اولا ومفتقران الى دفعه ثانيا (وقال وما ارسلنا قبلك) اى احدا (من المرسلين الا انهم) اى ان شانهم (ليأكلون الطعام و يمشون فى الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم) اى لا ادعى انى ملك وانما اتميز عنكم بانى (يوحى الى انما الهكم اله واحد فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) اى و باقيهم عليهم السلام (من البشر) اى من جنس بنى آدم وهو ابو البشر وسموا بشرا لظهور جلودهم اذ البشرة ظاهر الجلد (ارسلوا الى البشر) اى من نوعهم (ولولا ذلك) اى التناسب بان كان ارسل اليهم الملائكة (لما اطاق الناس مقاومتهم) اى لما استطاعوا مقابلتهم وملابستهم لضعف البنية البشرية وقوة القدرة الملكية فقد ورد ان جبريل قلع قرى قوم لوط من اصولها على جناحه ثم قلبها اى جعل عاليها سافلها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ورأى ابليس يكلم عيسى على عقبة بالارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه على اقصى جبل بالهند (والقبول) اى ولما اطاقوا قبول الاحكام واخذ الاسلام (عنهم) اى فى تبليغهم ما ارسلوا به اليهم اذ الجنسية علة الضم قال الحجازى ويروى عليهم اقول الظاهر انه تصحيف (ومخاطبتهم) اى ولما اطاقوا حال مكالمتهم لهم ومخالطتهم معهم (قال الله تعالى) اى فى جواب جمع اقترحوا وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون (ولو جعلناه) اى الرسول الذى اقترحوه (ملكا لجعلناه رجلا) اى لارسلناه فى صورة رجل وهذا معنى قوله (اى لما كان الا فى صورة البشر الذى) افرد نظرا الى لفظ البشر وفى نسخة الذين نظرا الى معناه (يمكنهم) يروى يمكنكم (مخاطبتهم) كما كان جبرائيل يتصور له عليه السلام فى صورة دحية وغيره وفى نسخة مخالطتهم (اذ لا يطيقون) اى جنس البشر (مقاومة الملك ومخالطته ورؤيته اذا كان على صورته) اى وهو على حقيقة ذاته الا نادرا على وجه خرق العادة كما وقع لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انه رأى جبريل فى صورته الاصلية مرتين وتتمة جواب المقترحين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) اى ولو جعلناه فى صورة رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فانهم اذا رأوه فى صورته قالوا ما هذا الا بشر مثلكم فيكذبونه كما كذبوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) اى الله تعالى لنبيه (قل) اى جوابا لقولهم ابعث الله بشرا رسولا لا انكار منهم ان يرسل الله بشرا واقرارا بان يصلح ان يكون الاله حجرا (لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) اى ظاهرين كما يمشى بنو آدم فيها ساكنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) اى ليتمكنه من مخالطته وتلقنه من مخاطبته (او لمن خصه الله تعالى واصطفاه) اى بان صفى مرآة روحه (وقواه على مقاومته) اى مقابلة الملك ومواجهته (كالانبياء والرسل) فيقومون بدعوة الخلق الى طريق الحق وكان المصنف ذهب فى الفرق بين النبى والرسول الى ما قاله بعضهم ان الرسول صاحب كتاب اوشريعة مجددة والنبى بخلافه (فالانبياء والرسل وسائط بين الله تعالى) اى بواسطة ملائكته (و بين خلقه) اى المأمورين بطاعته وعبادته (يبلغونهم اوامره) اى ليمتثلوها (ونواهيه) ليجتنبوها (ووعده) اى على طاعتهم (ووعيده) اى على معصيتهم (و يعرفونهم بما لا يعلمون من امره) اى من امر ذاته وصفاته وافعاله فى مصنوعاته وقضائه من ايجاد وامداد وافناء وابقاء وغفران ذنب وتفريج كرب ورفع قوم ووضع آخرين (وخلقه) اى وما لم يعلموه من احوال خلقه ابتداء وانتهاء (وجلاله) اى ومن بيان عظمته وهيبته وجماله من رأفته ورحمته وكماله من عنايته ورعايته (وسلطانه) اى علو شانه وظهور برهانه (وجبروته) اى قهره وقدرته (وملكوته) اى عزته وغلبته وحاصل الكل بيان تصرفه فى ملكه ومملكته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه (فظواهرهم) اى الانبياء (واجسادهم و بنيتهم) اى ابدانهم المركبة من اشباحهم وارواحهم او الممتزجة من العناصر الاربعة بالوجه المعتبر (متصفة باوصاف البشر طارئ عليها) اى هو جار وهو من طرأ مهموز الفاء (ما يطرأ على البشر من الاعراض) اى العوارض فى الاجسام (والاسقام) كسائر الانام (والموت والفناء) اى ولعله عطف تفسير والا فالفناء لا يطرأ على مطلق الارواح واما الاشباح فقد ورد ان الارض لا تأكل اجساد الانبياء (ونعوت الانسانية) وفى نسخة الآدمية اى من القوى الشهوية والغضبية (وارواحهم و بواطنهم متصفة باعلى) اى باوصاف اعلى (من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى) بل متوجهة بالكلية الى المولى وهو الاولى (متشبهة) يروى مشتبهة

(بصفات الملائكة) اى فى دوام الذكر والحضور من غير السآمة والفتور وفى القوة على الطاعة والعبادة من غير الملالة ففى البخارى انه اعطى قوة ثلاثين رجلا (سليمة من التغير) اى تغير العقل المورث لتغير النقل (والآفات) اى المنافية لارباب النبوات واصحاب الفتوات (لايلحقها) اى ارواحهم واشباحهم (غالبا عجز البشرية ولاضعف الانسانية) بفتح الضاد وضمها اى فتورها وقصورها فهم اتم افعالا واصدق اقوالا واكمل احوالا الا انهم قد يغشاهم فترة لطبيعتهم على نعت العلة لكن لاتخرجهم عن كمال القوة وعلو الهمة (اذلوكانت بواطنهم) اى اسرارهم العلية (خالصة للبشرية) اى من دواعيها (كظواهرهم) اى من لزوم مراعيها (لما اطاقوا الاخذ) اى اخذ العلم وتلقى الوحى (عن الملائكة ورؤيتهم) بالنصب اى ولا طاقوا ملاقاتهم (ومخاطبتهم) اى مكالمتهم (ومخالتهم) بتشديد اللام اى مخالطتهم كما فى نسخة مخالتهم بالفك وهى موادتهم ومصاحبتهم (كما لايطيقه) اى ما ذكر من الاخذ ومابعده (غيرهم) اى غير الانبياء (من البشر) اى ولو كانوا من الاولياء (ولوكانت اجسامهم) اى اجسادهم كما فى نسخة (وظواهرهم) اى ابشارهم (متسمة) اى متصفة (بنعوت الملائكة و بخلاف صفات البشر لما اطاق البشر) اى من غيرهم (ومن ارسلوا) بصيغة المجهول (اليه) اى من اممهم (مخالطتهم) وفى نسخة مخاطبتهم اى الاخذ منهم والانتفاع باسرهم ونهيهم (كما تقدم) اى مما يدل على هذا (من قول الله تعالى) اى ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقل لوكان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (فجعلوا) بصيغة المجهول اى خلقوا متوسطين بين الارواح الملكية والاشباح البشرية جامعين بين الانوار الباطنية والاسرار الظاهرية فجبلوا (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) اى متشاركين (ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة) اى متناسبين (كما قال عليه الصلوة والسلام) اى فيما رواه البخارى وغيره (لوكنت متخذا من امتى خليلا) اى حبيبا تتخلل محبته خلال قلبى (لاتخذت ابابكر خليلا) الا ان هذه المحبة الخالصة لقلبى مختصة بمودة ربى كما يشير اليه ماروى عنه عليه الصلوة والسلام لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب ولانبى مرسل والتحقيق ان المراد بالنبى المرسل ذاته الاكمل فانه فى مقام جمع الجمع يغنى عن ذاته ومقاماته و يستغرق فى مشاهدة ذات الله تعالى وصفاته (ولكن اخوة الاسلام) اى حاصلة بينا بنعت الدوام ووصف التمام (لكن صاحبكم) يعنى نفسه الانفس (خليل الرحمن) لتخلل حبه فى قلبه بحيث لايسع فيه غير ربه (وكما قال) اى فيما رواه ابن سعد عن الحسن مرسلا (تنام عيناى ولاينام قلبى وقال) اى فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وابى هريرة وانس وعايشة جوابا لقولهم انك تواصل فكيف تنهانا (انى لست كهيئتكم) اى على صفتكم وماهيتكم (انى اظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام اى اصيرا وادوام نهارا (يطعمنى ربى و يسقينى) محلهما النصب على الخبرية لاظل ان كانت ناقصة او على الحالية المتداخلة ان كانت تامة وفى رواية ابيت عند ربى يطعمنى و يسقينى اما بافاضته سبحانه عليه مايقوم مقام طعامه وشرابه بدفع عنه مس الجوع والم العطش الناشئ لديه ويتقوى به على الطاعة ومايجب القيام اليه اى اوبايصال رزق من الجنة له ليالى صيامه كما ورد انه عليه الصلوة والسلام كان يبيت يلتوى من الجوع ثم يصبح شبعان وهذا مبنى على ان طعام الجنة لايفطر على ما قاله ابن الملقن ان كان يظل على ظاهره الموضوع للنهار وقيل اطعام الله تعالى لايفطر والصحيح الاول وهو ان المراد بالطعام ما يقوم مقامه من القوة لانه لواكل حقيقة لم يكن مواصلا و يمكن الجمع بانه يتقوى فى النهار ويأكل من طعام الجنة فى الليل كما يشير اليه رواية ابيت فالوصال حاصل فى الجملة له بخلاف غيره (فبواطنهم منزهة عن الآفات) اى المخلة بنعوتهم الملكية (مطهرة عن النقايص والاعتلالات) اى الممللة على الاجسام الحيوانية (وهذه) اى النبذة (جملة) اى قضية مجملة (لن يكتفى بمضمونها كل ذى همة) اى علية (بل الاكثر) اى من ذوى الهمم الجلية (يحتاج) و يروى محتاج (الى بسط) اى الكلام فى احوالهم (وتفصيل) ولمايتعلق بافعالهم (على ما نأتى به) اى نبينه ونذكره (بعد هذا) اى البيان الاجمالى (فى البابين) اى الموضوعين للمقام التفصيلى (بعون الله تعالى) اى بمعونته وتوفيق هدايته (وهو) اى الله ربى (حسبى) كما فى امره الجليل والقليل (ونعم الوكيل) اى هو افضل من توكل اليه الامور و يعتمد عليه وتطمئن اليه الصدور

﴿الباب الاول﴾

(فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف وهذا من ملحقات بعض تلامذه كما تشير اليه الترضية عنه (اعلم ان الطوارئ) بالهمز جمع الطارى وهو مايطرأ و يحدث (من التغيرات) اى الموجبة للفتورات و يروى التغييرات

بيائين والاولى هو الاول كما لايخفى (والآفات) اى الحاصلة بالعاهات (على آحاد البشر) اى عوامهم ويروى اجساد البشر اى ابدانهم (لايخلوان تطرأ) اى من ان تعرض (على جسمه) اى جسم البشر (اوعلى حواسه) اى الخمس وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس (بغير قصد واختيار) اى من البشر بل يخلق الله تعالى لهافيه (كالامراض والاسقام) اى الاوجاع والآلام (او بقصد واختيار) اى اوان تطرأ بهما (وكله) اى وكل ماذكر مما يطرأ بغير اختيار او باختيار (فى الحقيقة عمل وفعل) بل وعقد (ولكن جرى رسم المشايخ) اى دأبهم بتفصيله الى ثلثة انواع) اى باعتبار مواردها (عقد) بالجر والرفع (بالقلب) اى جزم وقصد به وعزم (وقول باللسان) اى يترجم عن الجنان (وعمل بالجوارح) اى الاعضاء والاركان (وجميع البشر) اى افرادهم من خواصهم وعوامهم (تطرأ عليهم الآفات والتغيرات) بضم الياء التحتية المشددة اى الحالات المختلفة بالانتقال من حالة الى حالة كنعمة ومحنة وملك وهلك ونصر وقهر وكسر وجبر (فى هذه الوجوه كلها والنبى) اى جنسه (وان كان من البشر) اى من جلتهم وعلى طبيعتهم (ويجوز على جبلته) بالكسر جيم فوحدة وملام مشددة اى خلقته (مايجوز على جبلة البشر) اى سائرهم (فقد قامت البراهين القطعية) اى الادلة اليقينية (وتمت كلمة الاجماع) اى ثبتت (على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التى تقع على الاختيار) اى لعصمة الله تعالى لهم منها (وعلى غير الاختيار) اى لكرامتهم على الله سبحانه فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما يأتى به من التفاصيل) اى نبين كل منهما فى فصل على حدة

(*فصل*)

(فى حكم عقد قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو احكامه ولزومه على الشئ وحقيقته (من وقت نبوته اعلم منحنا الله تعالى واياك توفيقه) اى اعطاناه بخلقه فيناجملة دعائية اعتراضية والخطاب عام والمعنى افهم (ان ماتعلق) اى الذى تعلق به قلب النبى (منه) اى بعضه ماهو (بطريق التوحيد) اى توحيد الذات وتفريد الصفات (والعلم بالله) اى بذاته العلية (وصفاته) الثبوتية والسلبية والفعلية والاضافية (والايمان به) اى التصديق بوجوده والتحقيق بكرمه وجوده (وبما اوحى اليه) اى من الوحى الجلى اوالخفى ليبلغه او يعمل به (فعلى غاية المعرفة) اى بجزئياته (ووضوح العلم واليقين) اى بكلياته (والانتفاء)اى وعلى غاية التنزه (عن الجهل بشئ من ذلك) اى مما ذكر من العلم المتعلق به سبحانه (اوالشك) اى مطلق التردد (اوالريب)اى الشبهة (فيه والعصمة) اى وعلى غاية الحفظ (من كل مايضاد) بتشديد الدال اى ينافى (المعرفة بذلك واليقين) اى بما هنالك (هذا) اى الذى ذكرناه اجمالا من نسبته اليه (ماوقع اجماع المسلمين عليه ولايصح) وفى نسخة فلايصح (بالبراهين الواضحة) اى الادلة البينة (ان يكون فى عقود الانبياء سواه) اى غير ما تقدم (ولايعترض على هذا) بصيغة المجهول اى وليس لاحد ان يعترض على قولنا هذا ويدفعه (بقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام) اى حيث حكى عنه سبحانه اذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن اى اما آمنت فالهمزة للتقرير ومعناه حمل المخاطب على الاقرار بايجاب مابعد النفى الموضوع له بلى (قال بلى) آمنت ولاشك فى ايمانى باحيائك الناشئ عن قوتك وقدرتك (ولكن) سألت ماسألت (ليطمئن قلبى اذلم يشك ابراهيم فى اخبار الله تعالى له باحياء الموتى) اى فى الدنيا والاخرى اذا كان اثبت ايمانا واتم ايقانا (ولكن اراد طمانينة القلب) اى بمشاهدة فعل الرب اذليس الخبر كالمعاينة على ماورد فى الاثر (وترك المنازعة) اى بسكون النفس اومنازعة اهل المخاصمة (بمشاهدة الاحياء) وفى نسخة لمشاهدة الاحياء فاللام للعلة والباء للسببية (لحصل له العلم الاول)وهوعلم اليقين (بوقوعه) اى بوقوع احيائه تعالى (واراد العلم الثانى) وهو عين اليقين (بكيفيته ومشاهدته) اى ملاحظة هيئته والحاصل انه فى مقام استزادة العلم اذلانهاية لمراتب تجليات الله وتعيناته واذا قال لاعلم الخلق بالحق وقيل رب زدنى علما وهذا الوجه الاول فى دفع لاعتراض الوارد على الخليل الاكمل (الوجه الثانى ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام انما اراد اختبار منزلته) اى باعتبار مرتبته ورفعة مكانته (عند ربه وعلم اجابته) اى واراد علم اجابة الله له (دعوته) وفى نسخة اجابة دعوته وينسب الى اصل المصنف (بسؤال ذلك من ربه)اى بطلبه منه ان يريه كيفية الاحياء باعادة التركيب والروح فى الموتى (ويكون) وفى نسخة فيكون (قوله تعالى اولم تؤمن اى تصدق) وفى نسخة صحيحة اى الم تصدق (بمنزلتك منى وخلتك) بضم الخاء وتشديد اللام اى وكونك خليلا عندى (واصطفائك)اى بالرسالة وغيرها لدى (الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين) اى معرفة لقبولها ضعفا (وقوة طمانينة) اى لاجل مشاهدة (وان لم يكن فى الاول) اى فى المقام الاول من علم اليقين (شك) اى تردد وشبهة (اذ العلوم الضرورية) اى البديهية (والنظرية) اى الفكرية (قد تتفاضل فى قوتها) اى وتتناقص فى ضعفها الا انه

لابد من ثبوت اصولها من غير تردد فى حصولها (وطريان الشك) اى حدوثه ووقوعه (على الضروريات ممتنع) اى من حيث ذاتها (ويجوز) بفتح الواو المسددة وفى نسخة و يجوزاى طريانه اوجريانها (فى النظريات) اذ قد يلحقها الوهم و يندفع عنها الفهم (فاراد) اى ابراهيم (الانتقال من النظر) اى السابق (اوالخبر) اى الصادق (الى المشاهدة) اى العينية المفيدة للزيادة اليقينية (والترقى) اى الصعود (من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة) وهذا اقتباس من قوله عليه الصلوة والسلام فيما رواه احمد وابن حبان عن ابن عباس مرفوعا ليس الخبر كالمعاينة ان الله عز وجل اخبر موسى عليه السلام بما صنع قومه فى العجل فلم يلق الالواح فلما عاين ماصنعوا القاها فانكسرت ولايبعد ان قوله ان الله عز وجل يكون مدرجا من قول ابن عباس والله سبحانه وتعالى اعلم (ولهذا قال سهل بن عبدالله) اى التسترى (سأل) اى ابراهيم (كسف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا فى حاله) اى بصيرة فى كماله ﴿الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين﴾ اى من قومه نمرود وسائر الجنود (بان ربه يحيى و يميت) كما قال تعالى حكاية عنه اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت اى لاغيره بشهادة تعريف الجزئين او بتقدير ضمير الفصل قبل الذى (طلب) جواب لما اى سأل (ذلك) اى ارادة كيفية احياء الموتى (من ربه ليصح احتجاجه) اى عليهم (عيانا) و يلجئهم الحق بيانا وهذا متوقف على صحة كون هذه الواقعة عند نمرود وجنوده وظاهر الآية انه انتقل من هذا الاستدلال وحصل له الزام لغيره فى الحال ﴿الوجه الخامس قال بعضهم﴾ يروى قول بعضهم (هو) اى قوله رب ارنى كيف تحيى الموتى (سؤال) اى طلب من الرب وارد (على طريق الادب المراد) اى المقصود به (اقدرنى) بفتح الهمزة وكسر الدال اى قدرنى وقونى (على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبى) اى حينئذ يكون معناه ليسكن (عن هذه) و يروى من هذه (الامنية) وهى التمنى والتشهى ﴿الوجه السادس انه ارى﴾ اى اظهر ابراهيم لغيره (من نفسه الشك) اى صورة (وماشك) اى حقيقة (ولكن) اى ارى ذلك تأدبا لما هنالك (ليجاوب) بفتح الواو وفى نسخة ليجاب اى ليجيبه ربه (فيزداد قربه) بالاضافة اى كمال قربه بمعرفة منزلته عند ربه وفى نسخة قربة اى عظيمة اذ المجاوبة تؤذن بالمقاربة (وقول نبينا عليه الصلوة والسلام نحن احق بالشك من ابراهيم) ليس اعترافا منه بالشك لهما بل (نفى لان يكون ابراهيم شك وابعاد) اى زجر وطرد (للخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم) اى قد ورد انه لما نزل واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى سمع قوم ذلك فقالوا شك ابراهيم ولم يشك نبينا (اى نحن) يعنى معاشر الانبياء او جماعة المؤمنين (موقنون بالبعث واحياء الله الموتى) اى ولم نشك فى قدرته على ذلك وفى ظهور هذه الحالة هنالك (فلو شك ابراهيم) اى لو جاز له (لكنا اولى بالشك منه) وهذا القول منه صلى الله تعالى عليه وسلم (اما على طريق الادب) اى مع ابراهيم لانه بمنزلة الاب (اوان يريد) اى بنحن (امته الذين يجوز عليهم الشك) لفقد عصمتهم (او على طريق التواضع) اى هضم النفس (والاشفاق) اى الخوف من تركيتها (ان جلت) بضم الحاء وكسر الميم المخففة (قصة ابراهيم على اختبار حاله) بالموحدة اى امتحان كماله كما فى الوجه الثانى ليعلم منزلة قربه من ربه (او) اى وان جلت قصته على (زيادة يقينه) اى ليزداد حصول علم يقينه بوصول عين يقينه (فان قلت فما معنى قوله) اى الله سبحانه وتعالى (فان كنت فى شك) اى قلق واضطراب (مما انزلنا اليك) اى من كتاب ربك (فاسأل) قرئ بالتخفيف والنقل (الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانهم محيطون علما بصحة ما انزلنا اليك من ربك (الايتين) يعنى لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى فيما انت عليه من الجزم واليقين ولذا قال عليه الصلوة والسلام لااشك ولااسأل ولاتكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين فيه زيادة تنبيه وتهييج له على دوام ماهو عليه من اليقين وانتفاء الشك فى امر الدين (فاحذر) اى كل الحذر (ثبت الله قلبك) او قال قلبى وقلبك لكان اولى (ان يخطر ببالك) بضم الطاء اى ان يمر بخيالك (ماذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره) اى من المتقدمين والمتأخرين (من اثبات شك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحى) اى الله كما فى نسخة (اليه وانه من البشر) اى وان الخاطرات ليس دونها عبر (فمثل هذا) اى الخاطر المذموم (لايجوز عليه جملة) لثبوت عصمته من مثل هذا الامر (بل قد قال ابن عباس وغيره) اى باسانيد صحيحة منها مارواه ابن حاتم عنه (لم يشك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسأل) اى احدا من قرأ الكتاب من قبله (ونحوه عن ابن جبير) وهو سعيد (والحسن) اى البصرى (وحكى قتادة) اى فيما رواه ابن جرير (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حين جمع الله له الرسل ليلة اسرى به (قال مااشك ولااسأل) لنزاهته وبراءة ساحته عن الشك لعصمته (وعامة المفسرين على هذا واختلفوا) اى المأولون (فى معنى الآية) اى آية فان كنت فى شك (فقيل المراد) اى المفاد بها (قل يامحمد للشاك ان كنت فى شك الآية) اى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفيه تنبيه نبيه لمن خالج قلبه شبهة ان يبادر الى دفعها و يطلب معرفتها من اهل العلم بها اذ شفاء العى السؤال كما ورد

فى حديث وقد قال تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (قالوا) اى سألوا الآية بما ذكر (وفى السورة) اى وفى سورة الآية المذكورة (نفسها مادل) يروى مايدل (على هذا التأويل قوله) اى وهو قوله تعالى وفى نسخة فى قوله اى وهو فى قوله تعالى (قل ياايها الناس ان كنتم فى شك من دينى الآية) اى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين (وقيل المراد بالخطاب) اى بقوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك هم (العرب وغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومن عداه من الامة فالمعنى فان كنت فى شك ايها المخاطب مثل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ولا يشكل بقوله مما انزلنا اليك فان القرآن كما انزل الى النبى انزل الى امته قال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا (كما قال) اى الله (لئن اشركت ليحبطن عملك الخطاب له والمراد غيره) كما فى قولهم اسمعى ياجارة اوهو وارد على سبيل الفرض والتقدير كما تفرض المحال فى مقام التقدير (ومثله فلا تك) وفى نسخة فى فلا تك اى ومثل التأويل السابق فى قوله فان كنت فى شك التأويل فى قوله تعالى فلا تك (فى مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره) اى مثل فان كنت فى شك الآية (كثير) اى فى القرآن كقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولانصير ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ماجاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (قال بكر بن العلاء) من القضاة المالكية (الاترى) اى الله تعالى (يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله الآية) اى فتكون من الخاسرين (وهو عليه الصلوة والسلام كان) اى هو (المكذب) بفتح الذال المعجمة المشددة وهو منصوب على انه خبر كان (فيما يدعو اليه) اى من التوحيد (فكيف يكون ممن كذب به) يروى يكذب يعنى فدل على انه ليس المراد بالخطاب (فهذا) اى ماذكر (كله) اى جميعه (يدل على ان المراد بالخطاب غيره) اى سواء قلنا الخطاب له اولغيره اولكل من يصلح للخطاب (ومثل هذه الاية) اى آية فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فى ان المراد بالخطاب فيهما غيره مقصود فى هذا الباب (قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هنا) اى وبيانه ان المأمور فى فاسأل به خبيرا (غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسأل النبى والنبى هو الخبير) اى به تبارك وتعالى (المسئول) اى الذى ينبغى ان يسأل منه لانه المخبر من الله تعالى (لاالمستخبر السائل) فان هذا شان آحاد الامة او الخبير المسئول به غيره عليه الصلوة والسلام اى اسأل عنه تعالى عالما يخبرك بجلال ذاته وكمال صفاته فالباء صلة اسأل بمعنى فتش عنه وعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء او اسأل احدا خبيرا به فالباء صلة خبيرا مبالغة فى الفاعل بمعنى مخبر اوخابر (وقيل) وفى نسخة صحيحة وقال اى بكر بن العلاء فى آية فان كنت فى شك (ان هذا الشك) وفى نسخة ان هذا الشاك (الذى امر) بصيغة المجهول وفى نسخة امر به (غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه) اى الله كما فى نسخة وفى اخرى بالنون بدل القاف بمعنى فيما حكاه الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام فى كتابه (من اخبار الامم) اى السابقة (لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة) وفيه انه لا فرق فى نفى الشك عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى القصتين على السويتين (ومثل هذا) اى مثل ما اريد به غيره عليه الصلوة والسلام من الخطاب وسؤال الذين يقرؤن الكتاب (قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية) اى اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (المراد به) اى بالسؤال مجازا (المشركون) اى الموجودون من اممهم لاستحالة سؤاله من مضى منهم والمعنى اسأل عن الغيب من اممهم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بالاستفهام الانكارى التكذيبى (والخطاب مواجهة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرادا به غيره (قاله القتبى) بقاف مضمومة وفوقية مفتوحة فتحتية ساكنة فموحدة فياء لنسبة وفى نسخة بضم القاف وسكون الفوقية وفتحها فموحدة فالمراد بهما ابوعبدالله عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى صاحب المصنفات وقد تقدم والاظهر انه المراد والله اعلم وفى اخرى بعين مهملة ففوقية ساكنة فموحدة فالمراد به فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبدالعزيز العتبى القرطبى مصنف العتبية و يقال لها المستخرجة ايضا من موالى عتبة بن ابى سفيان (وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض) وهو عن ولم يتعرض لحذف المفعول فى سلنا لوضوحه ولزومه (وتم الكلام ثم ابتدأ) اى الكلام كما فى نسخة بقوله (اجعلنا من دون الرحمن الى آخر الاية) اى آلهة يعبدون كما فى نسخة (على طريق الانكار) اى ماجعلنا) اى آلهة فلاعبادة لها (حكاه مكى وقيل امر النبى) بصيغة المفعول وفى نسخة بلفظ الفاعل اى امر الله تعالى النبى (صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك) اى هذا الانبياء فقد روى انه عليه الصلوة والسلام ليلة اسرى به بعث الله آدم وولده من الانبياء والمرسلين فاذن جبريل ثم قال يامحمد صل بهم فلما فرغ قال له سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (فكان) اى النبى عليه الصلوة والسلام (اشد يقينا) اى فى مراتب الكمال ان يحتاج

الى السؤال) من غيره من الرجال ولو كانوا من الكمل فى الاحوال (فروى انه قال لا اسأل) اى من احد (قد اكتفيت) اى بما ايقنت وعرفت (قاله ابن زيد) اى عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقد تقدم (وقيل امم من ارسلنا) وفى نسخة سل امم من ارسلنا يعنى انه على تقدير مضاف (هل جاؤهم) اى الرسل (بغير التوحيد) استفهام انكار اى ماجاؤا به بل اتفقوا على خلافه (وهو) اى هذا القيل (معنى قول مجاهد والسدى والضحاك وقتادة) وهم من اكابر التابعين وعمدة المفسرين (والمراد بهذا) اى بقوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا (والذى قبله) اى من قوله فان كنت فى شك الى هنا (اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بما بعثت) بصيغة المجهول اى ارسلت (به الرسل) اى من التوحيد اجماعا (وانه تعالى لم يأذن فى عبادة غيره لاحد) اى من الانبياء والامم (ردا على مشركى العرب وغيرهم فى قولهم انما نعبدهم) كذا وقع فى كثير من النسخ من الاصول لكن التلاوة انما هى ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) وكذا فى قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكذا دعوى العرب انهم على دين اسمعيل وان ابراهيم كان مشركا كما كانت اليهود والنصارى مدعين ان ابراهيم على دينهم قال تعالى ردا عليهم ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (وكذلك) اى ومثل ماذكر من الايات (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه) اى القرآن (منزل) قرئ بالتشديد والتخفيف (من ربك بالحق) ووصف جميعهم بانهم يعلمون حقيقة مشعر بان جحودهم عن عناد فى كفرهم (فلا تكونن من الممترين) اى الشاكين (اى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك) اى بما ذكر من حقيقة ما لديك وحقيقة الكتاب المنزل عليك حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق (وليس المراد به) اى بقوله فلا تكونن من الممترين (شكه فيما ذكر فى اول الاية) اى آية فان كنت فى شك اذ المراد به هناك شكهم فى كونه رسول الله وهناك الشك فيما انزل الله تعالى ولم يقع شك منه صلى الله عليه وسلم (قوله يكون) اى قوله تعالى فلا تكونن من الممترين هنا (ايضا على مثل ما تقدم) اى من انه عليه الصلوه والسلام امر ان يقول للشاك فان كنت فى شك مما انزلنا اليك او على انه المخاطب والمراد غيره (اى قل يا محمد لمن امترى فى ذلك) اى شك فيما هنالك هذا حق (فلا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية) وفى نسخة فى اول الاية اى التى فيها والذين آتيناهم الكتاب وهو قوله (افغير الله ابتغى حكما) استفهام انكارى اى اطلب غيره تعالى يحكم بينى وبينكم ليظهر المحق منا والمبطل منكم لايكون ذلك منى ابدا ولا ابتغى غيره احدا (الاية) وهى قوله تعالى وهو الذى انزل اليكم الكتاب اى القرآن مفصلا مبينا فيه الحق والباطل (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب) بكسر الطاء ويروى خاطب (بذلك غيره) اى غير نفسه (وقيل هو) اى امره عليه الصلوة والسلام بالسؤال (تقرير) اى لمشركى قريش يحملهم على الاقرار بما يعرفون من ان الله لم يجعل من دونه آلهة تعبد وتوبيخهم على عبادة الاصنام (كقوله) تعالى اى خطابا لعيسى عليه السلام والمراد بالتوبيخ غيره (وانت قلت للناس اتخذونى وامى) بفتح الياء وسكونها (الهين من دون الله وقد علم) اى الله سبحانه (انه) اى عيسى (لم يقل) اتخذونى الخ (وقيل معناه ما كنت فى شك) اى على ان ان نافية بمعنى ما واخطأ الدلجى خطأ فاحشا فى قوله ماهنا مصدرية اى مدة كونك فى شك (فاسأل) اى الذين يقرؤن الكتاب لعلمهم بصحة ما انزل اليك من ربك (تزدد) مجزوم على جواب الامر الذى هو سل اى تزدد (طمانينة) اى طمانينتك (وعلما) اى برهانا ويقينا (الى علمك ويقينك وقيل) اى فى معناه (ان كنت فى شك اى فيما شرفناك) من كرم النبوة التامة وشرف الرسالة العامة (وفضلناك) ويروى وعظمناك (به) اى على غيرك بدلالة ما فى التورية ان الله تعالى قال لابراهيم ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع وايديهم مبسوطة اليه بالخشوع (فاسألهم عن صفتك فى الكتب) اى السالفة (ونشر فضائلك) اى بين الامم السابقة ففى التوراة يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين لبس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا يجزى السيئة السيئة ولكن يعفو و يغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اى ملة ابراهيم الغراء فان العرب غيروا فيها كثيرا من الاشياء وفى الانجيل على لسان عيسى عليه السلام انا اطلب من ربى وربكم حتى يمنحكم فارقليط اى كاشفا للخفيات فيكون معكم الى الابد وفيه فاما فارقليط روح القدس الذى يرسله ربى باسمى اى بالنبوة هو يعلمكم و يمنحكم جميع الاشياء و يذكركم ماقلت لكم وقد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون فاذا كان فآمنوا به (وحكى عن ابى عبيدة) وهو معمر بن المثنى من اكابر ائمة اللغة وله كتب كثيرة فى الصفات والغريب وايام العرب ووقائعها وكان الغالب عليه الشعر والغريب واخبار العرب توفى سنة عشر وما تين وقد قارب المائة وله تفسير حديث فى الزكوة وكان ابو عبيد القاسم بن سلام يوثقه و يكثر الرواية عنه فى كتبه (ان المراد) اى المفاد من الاية (ان كنت فى شك) اى حاصل آيته (من غيرك) اى من جانب غيرك

(فيما انزلنا) اى اليك من الحق والصواب فاسأل الذين يقرؤن الكتاب يخبروك بحقيقة هذا الباب (فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل) اى يئسوا من ايمان اممهم او من النصر فى الدنيا عليهم (وظنوا) اى الرسل (انهم قد كذبوا) بصيغة المجهول (على قرآءة التخفيف) اى كما قرأ به الكوفيون لان ظاهرها ظنهم انهم قد اختلفوا ما وعدهم الله من النصر مع نزاهتهم من ان يظنوا بربهم ذلك الامر لانه سبحانه لا يخلف وعده رسله (قلنا المعنى) فى ذلك (ماقالته عائشة رضى الله عنها معاذ الله) اى حاشاه واستجير بالله (ان تظن ذلك) اى الظن المذكور (الرسل بربها) كان الاولى بربهم وكانه اراد بجماعة رسل (وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا) اى من النصر على مكذبيهم وطالت مدة امهالهم (ظنوا ان من وعدهم النصر) اى به (من اتباعهم) بيان لمن (كذبوهم) بتخفيف الذال والضمير الاول للموعودين من اتباع الرسل وهم المؤمنون والضمير الثانى للرسل اى اخلفوهم ما وعدوهم من نصرهم على عدوهم وتوهموا ان الله تعالى اخلف رسلهم (وعلى هذا) اى مقول عائشة (اكثر المفسرين) فعلى هذا ضمير ظنوا راجع الى الرسل (وقيل ضمير ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الرسل) الواو بمعنى او فالمعنى ان اتباعهم ظنوا اذلم يروا لوعدهم النصر نتيجة واثرا ظاهرا بسبب تراخيه عنهم انهم قد كذبوا فيما اخبروا به قومهم من انهم ينصرون عليهم اوالمعنى ان اممهم المكذبين لهم ظنوا انهم كذبوا اى كذبتهم رسلهم فى قولهم انهم منتصرون عليهم (وهو قول ابن عباس والنخعى وابن جبير) اى من التابعين (وجماعة من العلماء) اى المتقدمين والمتأخرين (وبهذا المعنى قرأ مجاهد) اى شاذة (كذبوا بالفتح) اى بفتح الكاف والذال والتخفيف والمعنى ان الامم ظنوا ان رسلهم كذبوا فى قولهم بالنصر عليهم (فلا تشغل) بفتح التاء والغين وفى نسخة بضم اوله وكسر ثالثه الا انه لغة رديئة (بالك) اى قلبك (من شاذ التفسير بسواه) اى بغير ما ذكرناه من قول عائشة وابن عباس واتباعهما ولا بتوهم ان الرسل ظنوا به سبحانه انه اخلفهم ما وعدهم من نصرهم على عدوهم (مما لا يليق بمنصب العلماء) بكسر الصاد اى مقامهم ومرتبتهم (فكيف بالانبياء) فما سبق من نسبة الظن المذموم بالاتباع اما ان يحمل على مجرد الخواطر التى لا تدخل تحت التكليف او على ان بعضهم كفروا بذلك وارتدوا عما هنالك (وكذلك) اى مثل آية حتى اذا استيأس الرسل وارد من الاشكال (ما ورد فى حديث السيرة) اى سيرة النبى عليه الصلوة والسلام فى ابتداء النبوة (ومبدأ الوحى) اى بالرسالة (من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم اى على ما اخرجه البخارى وغيره (بخديجة) اى بعد ما اخبرها ما جرى له مع جبريل بحراء (لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله) اى من النبوة والرسالة والهداية والمعرفة وروى فيما اتاه من الله تعالى (بعد رؤية الملك) اى واخباره انه رسول الله (ولكن لعله خشى ان لا يحتمل قوته) لضعف قوة البشرية (مقاومة الملك) اى مصابرته فانه فى غاية القوة القوية (واعباء الوحى) بالنصب اى لا يحتمل اثقال تحمل الوحى وتبليغه وهو جمع عبء بكسر العين مهموزا (لينخلع قلبه) كذا فى نسخة مصححة فلعل اللام للعاقبة والاظهر ما فى نسخة فينخلع بالفاء منصوبا اى فيزول حينئذ قلبه عن مكانه ويحصل له جنون فى شانه (اوتزهق نفسه) اى تخرج روحه (هذا) اى التأويل (على ما ورد فى الصحيح) اى صحيح البخارى وغيره (انه قاله) اى القول السابق وروى انه قال (بعد لقائه الملك او يكون ذلك) اى المقول (قبل لقاء الملك) وروى قبل لقائه الملك ولعله تكرر منه ذلك (واعلام الله تعالى) اى وقبل اخبار له (بالنبوة لاول ما عرضت) بصيغة المجهول كذا فى نسخة مصححة والاظهر انه بصيغة الفاعل والمعنى فى اول ما ظهرت اولاجل اول ما برزت (عليه من العجائب) اى خوارق العادة من الامور الغرائب كما بينه بالعطف التفسيرى حيث قال (وسلم عليه الحجر والشجر) الظاهر ان المراد بهما الجنس فانه روى الدولابى بسنده عن ابن عباس قال بعث الله محمدا على رأس خمس سنين من بنيان الكعبة وفى آخره فلما قضى اليه الذى امر به انصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منقلبا الى اهله لا يأتى على حجر ولا شجر الا سلم عليه الحديث ويحتمل ان يراد بالحجر الافراد ففى صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث الحديث وقد ورد انه الحجر الاسود على ما رواه السهيلى وقيل ان الحجر المعروف بالتكلم المركوز فى جدار زقاق بيت خديجة (وبداية المنامات) اى ابتدائه المقامات العاليات فكان لا يرى مناما الاجاء مثل فلق الصبح (والتباشير) اى المقدمات المؤذنة بالبشارات ومنه تباشير الصبح اى اوائله (كما روى فى بعض طرق هذا الحديث) اى حديث مبدأ الوحى (ان ذلك) اى ما ذكر من التباشير (كان اولا فى المنام ثم ارى) بصيغة المجهول اى اراه الله (فى اليقظة مثل ذلك) اى الذى رأه فى المنام وروى مثال ذلك (تأنيسا له عليه السلام) من الانس بالضم ضد الوحشة تسكينا لقلبه (لئلا يفجأه الامر) بفتح الجيم والهمز اى لئلا يرد عليه امر النبوة بغتة (مشاهدة)

ای مماسته (ومسافهة) ای مخاطبة (فلا يحتمله) ای قلبه (لاول حالة) بالتنوين و يروى بالاضافة ای فی اول ثهٔ وهلة من احواله (بنية البشرية) بكسر الموحدة وسكون النون لضعفها عن القوة الملكية (وفی الصحيح) ای للبخاری ومسلم (عن عايشة رضی الله تعالى عنها اول مابدئ به) بصيغة المجهول ای ابتدئ به (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحی) بيان لما واول مبتدأ خبره (الرؤيا الصادقة) وفی رواية الصالحة من النوم وانما اخبرت بذلك باخباره عليه الصلوة والسلام او بعض اصحابه لها بما هنالك والافهی لم تكن ولدت قبل بدئه به فالحديث من مراسيل الصحابة وهی حجة بلاخلاف (قالت ثم حبب اليه الخلاء) بالمد ای الخلوة والعزلة لفراغ القلب بالذكر والفكر وظهور النور وسرور الحضور والغيبة عما سواه ونفی الشعور واليه اشار الشاعر حيث قال فصادف قلبا خاليا فتمكنها (وقالت الى ان) ورواية الشيخين حتى (جاءه الحق) ای الامر المحقق (وهو فی غار حراء) بكسر الحاء وتخفيف الراء جبل على ثلثة اميال من مكة يمد ويقصر ويذكر باعتبار المكان فيصرف و يؤنث باعتبار البقعة فلا يصرف والغار الكهف والنقب بالجبل وكذا المغارة (وعن ابن عباس رضی الله تعالى عنهما) فيما روى ابن سعد عنه (مكث النبی صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الكاف وفتحها ای لبث (بمكة خمس عشرة سنة) بسكون عشرة و بالكسر لغة تميم (يسمع الصوت) ای صوت الملك (ويرى الضوء) ای نوره (سبع سنين ويرى شيئا) ای ظاهرا (وثمان سنين يوحى اليه) وهذا انما يتمشى على القول بانه عليه الصلوة والسلام عاش خمسا وستين سنة والصحيح ان عمره ثلث وستون سنة و بعد البعثة بمكة ثلث عشرة على الصحيح و بالمدينة عشرا بلاخلاف وقيل المراد بثلث وستين ماعدا سنة الولادة والوفاة فيهما يتم خمس وستون وفی المسئلة قول آخر وهو انه عليه الصلوة والسلام عاش ستين سنة وهو محمول على اسقاط الكسر (وقد روى ابن اسحق) ای صاحب المغازی (عن بعضهم) الظاهر ان المراد به بعض الصحابة فان المطلق ينصرف الى الاكمل (ان النبی صلى الله تعالى عليه وسلم قال وذكر جواره) بكسر الجيم ويضم ای مجاورته واقامته متعبدا (بغار حراء) وهو نقب فيه والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله وكرر قوله (قال) للتأكيد مع وجود الفصل (فجاءنی) يعنی جبريل (وانا نائم) ای حقيقة اوصورة ای مضطجع على هيئة النائم ولا يبعد ان يكون النوم كناية عن الغفلة اوالاستغراق فی الفكرة (فقال اقرأ فقلت ما اقرأ) ای ای شئ اقرأ فما استفهامية ويؤيده رواية وما اقرأ او ما نافية بدلالة دخول الباء فی خبرها فی رواية البخاری ما انا بقارئ (وذكر) ای ابن اسحق اومن روى عنه (نحو حديث عايشة رضی الله تعالى عنها فی غطه) بفتح معجمة وتشديد مهملة ای فی ضم جبريل عليه السلام ضما شديدا وفی نسخة اياه صلى الله تعالى عليه وسلم (واقرائه له) وفی نسخة اياه (اقرأ باسم ربك) ای صدر هذه السورة قال القاضی فی الاكمال حكمة هذا الغط له عليه الصلوة والسلام دفع اشتغاله عن الالتفات الى شئ من امر الدنيا ليتفرغ لما اتاه به وفعله به ذلك ثلثا وفيه دليل على استحباب التكرار ثلثا وقد استدل به بعضهم على جواز تأديب المعلم ثلثا (قال) ای النبی صلى الله تعالى عليه وسلم (فانصرف) ای جبريل عليه السلام (عنی وهببت) بفتح الموحدة الاولى ای استيقظت (من نومی) ای استنبهت من غفلتی اواستفقت من استغراقی (كانما صورت) ای مثلت ونقست وشكلت سورة اقرأ (فی قلبی ولم يكن) ای الشان وخبرها (ابغض الى من شاعر اومجنون) ای من قولهم له ذلك والجملة حالية افادت شدة بغضه نسبة قريش له صلى الله تعالى عليه وسلم بواحد منهما فكيف بهما (قلت) ای فی نفسی اكتم حالی (لاتحدث) بفتح الفوقية على انه حذف منه احدى التائين ای لاتتحدث (عنی قريش بهذا ابدا) ای بقولهم له شاعر اومجنون (ولاعمدن) بفتح اللام والهمزة وكسر الميم وبفتح وتشديد النون ای لاقصدن (الى عالق) بمهملة وكسر لام ای مكان عال (من الجبل فلاطرحن نفسی منه فلاقتلنها) ای حذرا من ان يسموه بشاعر اومجنون ولعل هذا بناء على انه ظن ما تبين له من جانب الجن ولذا قال (فبينا انا عامد لذلك) ای قاصد لطرح النفس ومريد لما هنالك (اذ سمعت مناديا ينادی من السماء يامحمد انت رسول الله وانا جبريل) ای مبلغ عن الله تعالى (فرفعت رأسی فاذا) ای ففاجأنی بغتة (جبريل على) ويروى فی (صورة رجل) حال من جبريل ای ممثلا فی صورة رجل اوالتقدير فظهر لی على صورة رجل (وذكر الحديث) ای بتمامه واقتصرنا على محل مرامه (فقد بين) ای اظهر عليه الصلوة والسلام و يروى بين لك (فی هذا الحديث) ای حديث ابن اسحق (ان قوله) ای النبی عليه الصلوة والسلام (لما قال) لخديجة رضی الله تعالى عنها لقد خشيت على نفسی (وقصده لما قصد) ای من طرح نفسه من الجبل (انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام) ای فی اليقظة او فی عالم الحضرة (وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره) ای الله تعالى (واصطفائه) ای اجتبائه وفی نسخة واظهار اصطفائه ای اظهار شانه بالرفعة (له بالرسالة ومثله) ای شبهه حديث ابن اسحق ان ما قال لخديجة انه خشی على نفسه انما كان قبل لقاء جبريل (حديث عمرو بن شرحبيل) بضم

معجمة وفتح راء وسكون مهملة وكسر موحدة فتحتية ساكنة وغير منصرف ابو ميسرة الهمدانى يروى عن عمر وعلى وعايشة وكان فاضلا عابدا حجة صلى عليه شريح قال الحلبي وهذا الذى ذكره القاضى عياض هنا هو فى رواية يونس عن ابن اسحق بسنده الى ابى ميسرة عمرو بن شرحبيل (انه عليه الصلوة والسلام قال لخديجة انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا) اى ما سمعه من نداء الملك (لامر) أى لم احط به خبرا يرهقنى من امرى عسرا قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وقال الدلجى الحديث رواه البيهقى عن عمرو بن شرحبيل (ومن رواية حماد بن سلمة) فيما رواه الطبرانى وابن منيع فى مسنده موصولا عن حماد عن عمار بن ابى عمار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة رضى الله تعالى عنها انى لاسمع صوتا) اى عظيما (وارى ضوأ) اى نورا كريما (واخشى ان يكون بى جنون) ولم يدر ان شانه فيه فنون (وعلى هذا) اى على قوله لاسمع صوتا الحديث (يتأول) بصيغة المجهول (لو صح قوله فى بعض هذه الاحاديث) اى رواياتها (ان الابعد شاعر او مجنون) مقول قوله الذى تنازعه الفعلان قبله واعمل الاول اى يتأول قوله بذلك لخديجة ان صح بحمله على انه كان قبل لقاء الملك واعلام الله تعالى له انه رسول ولم يكن معناه الشك وعبر بالابعد عن نفسه الاسعد تحاشيا من ان يقال له شاعر او مجنون (والفاظا) اى وان فى هذه الاحاديث الفاظا و يروى والفاظها (يفهم منها معانى الشك فى تصحيح ما رآه) اى من الضوء وسمعه من الصوت (وانه) اى فى قوله ذلك (كان كله فى ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله تعالى له انه رسوله) اى مما ينفى عنه الشك فيما آتاه الله تعالى واختصه به من المنح الالهية مالم يؤته سواه (فكيف) اى لا يكون ذلك فى ابتداء امره (و بعض هذه الالفاظ) اى التى نسب صدورها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يصح طرقها) اى اسانيدها لكون بعض من فيها متهما او مجهولا (واما بعد اعلام الله تعالى له) اى بانه رسوله (ولقائه الملك) اى و بعد ملاقاته وتحقق مخاطباته (فلا يصح) اى بان يصدر عنه عليه الصلوة والسلام (فيه ريب) اى شبهة ومرية (ولا يجوز عليه شك) اى تردد (فيما القى اليه) من المعارف الربانية والعوارف السبحانية (وقد روى ابن اسحق عن شيوخه) اى باسانيدهم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى) بصيغة المجهول اى يعوذ بالعوذ التى يرقى بها من المت به حمى ونحوها (من العين) اى من جهة اصابة العين (قبل ان ينزل عليه) اى الوحى او القرآن وهو بصيغة الفاعل او المفعول مخففا او مشددا و يؤيد الثانى (فلما نزل عليه القران) ومنه قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر (اصابه نحو ما كان يصيبه) اى قبل ذلك (فقالت له خديجة اوجه) بتشديد الجيم المكسورة اى ارسل (اليك من يرقيك) بفتح الياء وكسر القاف (قال اما الان) اى بعد نزول القرآن (فلا) اى فلا حاجة لى بها اكتفاء بربه وكتابه اذ هو هدى وشفاء لقلبه واعلم انه قد وردت احاديث كثيرة بجواز الرقى وكذا فى النهى عنها وجمع بينهما بان الجائز منها ما كان بلسان عربى مما يعرف معناه كاسماء الله تعالى وصفاته وسور كلامه وآياته ومن ثمة قال عليه الصلوة والسلام اعرضوا على رقاكم قال جابر فعرضناها عليه فقال لا بأس بها انما هى من مواثيق الجن فكانه عليه الصلوة والسلام خشى ان يكون فيها مما يقال و يعتقد من الشرك فى زمن الجاهلية وان المنهى عنه منها مالم يكن كذلك اوان يعتقدانها نافعة بنفسها كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ما توكل من استرق اى حق توكله والحاصل ان تركها مع التوكل افضل لقوله عليه الصلوة والسلام فى حديث من يدخل الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون (وحديث خديجة رضى الله تعالى عنها) اى الذى رواه ابن اسحق والبيهقى عن فاطمة بنت الحسين وابو نعيم فى الدلائل موصولا من طريق ام سلمة عن خديجة (واختبارها) اى امتحان خديجة (امر جبريل عليه السلام) اى تحقق امره (بكشف رأسها) اى من شعرها (الحديث) اى بطوله (انما ذلك) اى الاختبار والتردد (فى حق خديجة) اى واقع وحاصل (لتحقق صحة) وفى نسخة صدق (نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان الذى يأتيه) اى بما يوحى اليه من ربه و يلقيه (ملك و يزول الشك عنها) اى و يرتفع التردد لها الناشئ مما قال لها من نحو لقد خشيت على نفسى واخشى ان يكون بى جنون (لانها) اى خديجة (فعلت ذلك) اى كشف رأسها (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لاجل امره (وليختبر) اى هو كما فى نسخة اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حاله بذلك) فيكون على بصيرة من امره هنالك (بل) لانتقال من حال الى حال افاد ان ما فعلته خديجة من الاختبار لم يكن بامر السيد المختار بل نشأ عن ابن عمها ورقة اذ (قد ورد فى حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة) قال ابو حيان يروى الموضوعات عن الثقات وقال ابو حاتم الرازى متروك الحديث (عن هشام) وهو اخو عبد الله الراوى وهشام احد الاعلام روى عنه شعبة ومالك قال ابو حاتم ثقة امام (عن ابيه) اى عروة بن الزبير اى ابن العوام بن خويلد يروى عن ابويه

وخالته وعلية وطائفة وعنه جماعة قال ابن سعد كان فقيها عالما كثير الحديث ثبتا مأمونا قال هشام صام ابي الدهر ومات وهو صائم (عن عايشة رضي الله تعالى عنها) ام المؤمنين خالته (ان ورقة) وهو ابن نوفل بن اسد (امر خديجة) وهي بنت خويلد بن اسد (ان تختبر الامر) وفي نسخة تخبر بضم الموحدة اي تمحص وتجرب (بذلك) اي الذي فعلته من كشف رأسها (وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم) اي فيما رواه ابن اسحق وهو قرشي مدني يروي عن سعيد بن المسيب وغيره وعنه مالك ونحوه وثقه ابن معين وغيره قال ابن سعد كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز في خلافته توفي سنة ثنتين ومائة (انها) اي خديجة (قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عم) لاجتماعهما في قصي نسبا لانه عليه الصلوة والسلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي خديجة بنت خويلد بن اسد ابن عبد العزى بن قصي (هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك) اي تعلمني بما تاه (اذ جاءك قال نعم) اي استطيع واخبرك به اذا جاءني (فلما جاءه جبريل) ويروى جاء جبريل اي بعد سؤالها هذا (اخبرها) بمجيئه اليه (فقالت له) اي للنبي عليه الصلوة والسلام (اجلس الى شق) بكسر الشين وتشديد القاف تريد احد جنبيها (وذكر الحديث الى آخره) وفيه فجلس اليه وكشفت رأسها فلم يدخل جبريل (وفيه فقالت ماهذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت) اي على ما انت عليه (وابشر) اي بكل خير مما لديه (وآمنت به) اي حينئذ اوآمنت قبل لكن اطمأنت به فحصل لها عين اليقين بعد علم اليقين فهي اول من آمن به مطلقا ومن النساء (فهذا) اي الذي قالته (يدل انها) اي على انها كما في نسخة (مستثبتة) اسم فاعل من باب الاستفعال من الثبات اي طالبة للوثوق (لما) اي لاجل ما وفي نسخة بما اي بسبب ما (فعلته) اي من الاختبار (لنفسها) اي لايقانها (ومستظهرة به) اي مستقوية بما فعلته (لايمانها) اي به عليه الصلوة والسلام (لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) تأكيد لقوله لنفسها ولا سقطت من اصل الدلجي فقال عدي باللام لتضمنه معنى الانقياد (وقول معمر) بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة ابن راشد سكن اليمن (في فترة الوحي) بفتح الفاء اي انقطاعه عنه سنتين ونصف كذا ذكره الدلجي وقال الحلبي الحديث في صحيح البخاري في التعبير وقال الدلجي فيما رواه احمد والبيهقي (فحزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الزاء اي صار ذا حزن بسبب فتور الوحي وتأخره عنه (فيما بلغنا عنه) اي وصل الينا من مشايخنا (حزنا) اي عظيما (غدا) اي ذهب (منه) اي من اجله اوقصد فيه (مرارا) اي مرة بعد اخرى (كي يتردى) اي يقصد السقوط ويروى كاد يتردى (من) رؤس (شواهق الجبال) اي اعاليها وانما جمع باعتبار تكرار ما قصده (لا يقدح) لا يخل اي قول معمر (في هذا الاصل) الذي قدمناه من ان ما قاله لخديجة من الخشية على نفسه لم يكن على الشك فيما منحه الله تعالى (لقول معمر عنه) اي عن النبي عليه الصلوة والسلام (فيما بلغنا) اي لطريق الاجمال (ولم يسنده) ليعلم حال الرجال من الانقطاع والاتصال (ولا ذكر رواته) ليعرف نقاته (ولا من حدث به) اي من المخرجين (ولا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله) اي فيكون الحديث مرفوعا او قاله صحابي فيكون موقوفا (ولا يعرف مثل هذا) اي والحال انه لا يعرف حقيقة هذا المقال ولا حقية هذه الحال وهو انه كاد يلقي نفسه من الجبال (الا من جهة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله عليه الصلوة والسلام حدث عايشة رضي الله عنها خبر فترة الوحي وقال فيه فحزنت الى آخره بلفظ التكلم فروته عنه بلفظ الغيبة فحزن الى آخره فبلغ من لم يسمعه منها فقال فحزن فيما بلغنا الى آخره فلا يقدح فيما ذكر قال الحلبي ذكر ابو الفتح ابن سيد الناس في سيرته ما لفظه ورويناه من طريق الدولابي ثنا يونس بن عبد الاعلى ثنا عبد الله بن وهب اخبرني يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة عن عايشة رضي الله عنها فذكر نحو ما تقدم وفي آخره ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغنا حزنا الى آخره فهذا لم يكن فيه معمر بالكلية وهذا الذي ذكره هو في البخاري في التعبير من قول معمر كما عزاه القاضي اليه وقد وقفت على انه ساقه ابو الفتح من غير كلام معمر والذي يظهر انه من كلام الزهري ويحتمل ان يكون من كلام غيره والله اعلم (مع انه) اي ما بلغهم من انه حزن (قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه) اي من انه كان قبل ان يلقاه جبريل وفيه انه يدفعه انه وقع في زمن فترة الوحي ولاشك انه كان بعد لقائه جبريل (اوانه فعل ذلك) اي ما ذكر من ارادة التردي (لما احرجه) بالحاء المهملة اي من اجل ما ضيق عليه البال واوقعه في حرج ضيق الحال (من تكذيب من بلغه) اي اوصل ما ارسل به اليهم (كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك) اي ذابحها ومهلكها غيظا والمعنى اشفق على نفسك ان تقتلها (على آثارهم) اي من بعد احتبارهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) اي القرآن الجديد الانزال (اسفا) اي من اجل الاسف وهو اشد الحزن اي متأسفا عليهم كما قال تعالى في موضع آخر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات بان تلتهب على فراقهم جمرات (و يصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك) وهو ابن عبد الله النخعي يروي عنه ابو بكر بن ابي شيبة وعلي بن حجر وثقه

ابن معين وقال غيره سيء الحفظ وقال النسائي لا بأس به (عن عبدالله بن محمد بن عقيل) بفتح وكسر وهو ابن ابي طالب يروى عن ابن عمر وجابر وعدة وعنه جماعة قال ابوحاتم وغيره لين الحديث وقال ابن خزيمة واحتج به قال الواقدى مات بالمدينة قبل خروج محمد بن عبدالله بن حسن سنة خمس واربعين ومائة (عن جابر بن عبدالله) كما رواه البزار وروى الطبرانى نحوه عن ابن عباس (ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة) بفتح النون وسكون الدال المهملة وهو مكان اجتماعهم حيث يتشاورون فى مهامهم (لانساور فى شان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهى دار بناها قصى ابن كعب وجعل بابها الى الكعبة ليجتمع فيها العرب للمساورة وللختان وللنكاح واذا قدمت عيرنات فيها واذا ارتحلت رحلت منها وسميت دار الندوة من الندى بتشديد الياء وهو مجتمع القوم قال التمنى وهى الآن من الحرم والله تعالى اعلم وهى الزيادة التى تلى ناحية سويقة من المسجد وهى مستقبلة الميزاب وسيأتى قصة مشورتهم واتفاقهم على قتله عليه الصلوة والسلام (واتفق رأيهم على ان يقولوا) اى فى حقه (انه ساحر) كما مر عن ابى جهل وعن الوليد بن المغيرة (اشتد ذلك عليه وتزمل فى ثيابه) اى تلفف (وتدثرفيها) اى تغطى بهما فوق الشعار اعنى مايلى جسده من الثياب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الانصار شعارى والعرب دثارى (فاتاه جبريل عليه السلام فقال) اى مناديا له (يا ايها المزمل) اى تارة واخرى (يا ايها المدثر) لما روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت على حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت فوقى فرأيت سيئا وفى رواية عائشة رضى الله تعالى عنها فاذا به على كرسى بين السماء والارض يعنى جبريل فرعبت منه ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فقال يا ايها المدثر (اوخاف) اى اوانه عليه الصلوة والسلام فعل ذلك من اجل انه خاف (ان الفترة) اى للوحى انما كانت (لامر) اى لاجل امر صدر عنه (اوسبب منه فخشى ان تكون) اى فترته (عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد نهى عن ذلك) وفى نسخة شرع بالنهى عن ذلك اى عن التردى من الجبل لانه كان اول الاسلام ولم تتبين الاحكام (فيعترض به) اى عليه فى هذا المقام (ونحوهذا) اى من ضيق البال وشدة الحال (فرار يونس عليه السلام) وفيه ست لغات ضم النون وفتحها وكسرها مع ترك الهمزة وبه حيث ذهب مغاضبا لقومه متبرما من تكذيبهم تخويفا لهم ان يحل العذاب عليهم ظنا منه ان فراره بغير اذن ربه سائغ اذلم يفعله الاغضبا لربه وغيظا على مخالفى دينه ومع ذلك لاحظ (خسية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب) ورجاء ان يؤمنوا به بعد فقده فقد روى انهم لما فقدوه خافوا نزوله عليهم فاستغاثوا بربهم وقالوا ياحى حين لاحى وياحى محيى الموتى وياحى لا اله الا انت وقالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين (وقول الله فى يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه) كما قال تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وليس مراده انه سبحانه غير قادر عليه لان هذا لم يخطر ببال كافر فضلا عن مؤمن لاسيما نبيا ورسولا روى ان ابن عباس دخل على معاوية فقال يا ابن عباس لقد ضربتنى امواج القرآن البارحة فغرقت فما اجد لنفسى خلاصا الا بك ثم قرأ الآية ثم قال او يظن نبى الله ان لا يقدر الله عليه فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذا من القدر اى بسكون الدال اوفتحها لا من القدرة (قال مكى طمع فى رحمة الله تعالى) اى سعة كرمه (وان لا يضيق عليه مسلكه فى خروجه) بغير اذنه مغاضبا لقومه ليؤمنوا بعد فقده (وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضى عليه بالعقوبة) لما ورد فى الحديث القدسى انا عند ظن عبدى بى لكنه غفل عن ان حسنات الابرار سيئات المقربين (وقيل نقدر عليه ما اصابه) اى من الابتلاء ببطن الحوت فى الماء وهو بضم اوله فسكون ثانيه فكسر ثالثه مخفف نقدر عليه كذا ذكره الدلجى وهو غير صحيح فالصواب انه مخفف قدر بمعنى قدر مشددا وقد ضبطه الحجازى بضم النون وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة (وقد قرئ) اى فى الشواذ (نقدر بالتشديد) اى بتشديد الدال المكسورة وكذا قرئ نقدر مبنيا للفاعل وللمفعول مخففا ومثقلا (وقيل نؤاخذه) اى فظن ان لن نؤاخذه بعتابه اوعقابه (بغضبه وذهابه) اذا كان عليه ان يصابرهم ولا يفارقهم الا باذن من ربه (وقال) وفى نسخة بلا واو العطف (ابن زيد) وفى نسخة ابوزيد وفى اخرى ابويزيد والصواب الاول فقد نقل ذلك البغوى فى تفسيره عن ابن زيد والظاهر انه عبدالرحمن بن زيد بن اسلم (معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام) اى الداخل على صدر الكلام وحذف تخفيفا لدلالة المقام على المرام والمعنى اذ ذهب مغاضبا افظن ان لن نقدر عليه ويمكن ان يقدر اذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه والتأويل لازم على كل تقدير لما علله المصنف بقوله (ولا يليق) اى لا يحسن

(ان يظن بنبي) اى فضلا عن رسول (انه يجهل) وروى انه جهل (صفة من صفات ربه) كالقدرة والعلم والارادة واذا استدل اهل السنة بطلب موسى عليه السلام الرؤية انها ممكنة فى الجملة لبس فيها استحالة خلافا للمعتزلة والحاصل انه لايتصور ان نبيا يظن انه تعالى لايقدر عليه كما قدمناه (وكذلك) اى يحتاج الى تأويل (قوله) اى الله سبحانه وتعالى (اذ ذهب مغاضبا) حيث يتوهم انه ذهب مغاضبا لربه فالصواب تأويله بوجه من الوجوه (الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم) كما مر وهو المناسب ههنا لان المغاضبة مراغمة على ما فى القاموس (وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما) اى من المفسرين (لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا تليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء) لاسيما المرسلين (وقيل مستحييا من قومه ان يسموه) بفتح الياء وكسر السين وتخفيف الميم اى كراهة ان يصفوه (بالكذب) اذ قيل انه قال لهم اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا وظاهر هذا القيل ان مستحييا تفسير مغاضبا ولم ار هذا المبنى فى كتب اللغة بهذا المعنى فكان الاولى ان يقال استحياء ولايبعد ان يكون حالا اخرى مقدرة لتصحيح الكلام والله تعالى اعلم بالمرام (او يقتلوه) اى ذهب مغاضبا لهم كراهة ان يقتلوه (كما ورد فى الخبر) لم يعرف له من الآثار الا انه كما قال وهو ما روى انه كان عندهم من كذب ولم يكن له بينة قتل (وقيل مغاضبا لبعض الملوك) اى لاجله (فيما امره) اى يونس (به من التوجه الى امر امره الله تعالى) اى امر الله الملك (به على لسان نبي آخر) اى غير يونس عليهما السلام كان فى زمنه (فقال له يونس غيري اقوى عليه مني) اى اعتذارا منه او اراد المحجة السهلة حذرا من غلبة المشقة (فعزم عليه) اى حمله سبحانه وتعالى على الجد والصبر على مقاساة شدائد المر (فخرج لذلك) اى من اجل عزمه عليه مالاطاقة لديه (مغاضبا) له تاركا ما امره به لصعوبته لديه واذا قال تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت (وقد روى عن ابن عباس) رضى الله عنهما (ان ارسال يونس عليه السلام ونبوته) اى المقرونة بارسالة الى قومه بنينوى اى من الموصل (انما كان بعد ان نبذه الحوت) وقد سقط ان المصدرية بعد بعد فى اصل الدلجى فقال الحوت فاعل المصدر قبله المضاف الى معمو له اى قذفه من دطنه (واستدل) اى ابن عباس ويحتمل ان يكون بصيغة المجهول عطفا على روى اى وقد استدل لما روى عنه (بقوله) اى ظاهر قوله تعالى (فنبذناه بالعراء) اى قذفناه من بطن الحوت بمكان عار عن البناء والشجر ونحوهما (وهو سقيم) اى اليم من حرارة بطن الحوت (وانبتنا عليه) من كال رأفتنا وجمال رحمتنا (شجرة من يقطين) يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به قيل هى الدباء لان الذباب لايقع عليها جعلها الله تعالى فوقه مظلة له كالقبة ويقال ان ريح القرع من ريح يونس بق فيه منه رايحة الى القيمة (وارسلناه) اى الى مائة الف او يزيدون يعنى فى رأى العين اذا رآهم الرائى قال هم مائة الف او اكثر والمراد وصفهم بالكثرة او او بمعنى بل ويؤيده انه قرئ ويزيدون بالواو ووجه الاستدلال ان الاصل فى افادة الواو الترتيب كما يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام نبدأ بما بدأ الله تعالى به ان الصفا والمروة من شعائر الله ولايعدل عن هذا المعنى الا اذا عرف دليل خارج عن المبنى وهذا لاينافى قولهم ان الواو لمطلق الجمع وانها لا تفيد الترتيب فان مرادهم انه ليس نصا فى المعنى لاحتمال ارادة غيره من هذا المبنى اذا وجد دليل على هذا المدعى هذا وقيل المراد بارسلناه ارساله الاول اليهم اوهو ارسال ثان بعد ذلك اليهم او الى غيرهم لما قيل لما آمنوا سألوه ان يرجع اليهم فابى تحاميا من رجوعه للاقامة فيهم بعد هجرته عنهم وقال ان الله تعالى بعث اليكم نبيا (ويستدل ايضا) اى لما روى عن ابن عباس من ان ارساله اليهم انما كان بعد نبذ الحوت له (بقوله) اى الله سبحانه وتعالى خطابا لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (ولاتكن) اى حال ضجرك وقلة صبرك (كصاحب الحوت) اى يونس عليه السلام (اذ نادى وذكر القصة) وهى قوله تعالى (اذ نادى) اى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) اى مملو غيظا (لولا ان تداركه) وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس لولا ان تداركته (نعمة من ربه) بعود رحمته اليه وقبول توبته عليه وقرأ الحسن تداركه بتشديد الدال على ان اصله تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فى شانه تتداركه نعمة من ربه (لنبذ بالعراء) اى اطرح بالفضاء الخالى عن الماء والبناء (وهو مذموم) حال اعتمد عليها جواب لولا والمعنى لولا تداركه رحمته وعود نعمته لكان على حال ذمته ومذلته (ثم قال فاجتباه ربه) اى قربه واصطفاه (فجعله من الصالحين) اى الكاملين فى الصلاح والديانة وهم اصحاب النبوة والرسالة (فتكون هذه القصة اذن) اى على هذا (بعد نبوته) اى وارساله اليهم (فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام) فيما رواه مسلم عن الاغر المزنى (انه) اى الشان (ليغان على قلبي) اى ليغطى ويستر والجار نائب الفاعل وهو بصيغة المجهول من الغين وهو اطباق الغيم فى مرأى العين وهو سحاب لطيف كناية عن حجاب طريف لما يعرض له عليه الصلوة والسلام مما يصرفه عن دوام ملازمة ذكر الملك العلام على

وجه التام وهو الاستغراق فى بحر الشهود والفناء عن مطالعة ما سوى الله تعالى فى عالم الوجود لما يعرض له مما يصرفه عن ذلك المقام بسبب اشتغاله بامور امته ومصالحها من الاحكام المتعلقة بالخاص والعام اولاجل تصور قصوره فى مقام العبادة على الوجه التام (فاستغفر الله كل يوم) وفى نسخة فى كل يوم وفى نسخة فى اليوم (مائة مره وفى طريق) اى للبخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فاستغفر الله (فى اليوم اكثر من سبعين مرة) وهى لاتنافى الرواية الاولى على ان حملها على ارادة التكثير هو الاولى والحاصل انه كان يعد ما يشغله عن ربه فى الصورة ذنبا بالنسبة الى مقامه الاعلى المعبر عنه لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل والمحققون على انه اراد بالنبى المرسل ذاته الاكمل فى حاله الافضل المعبر عنه بالاستغراق فى لجة فناء بحر التوحيد والتفريد وبهذا تبين لك ان حسنات الابرار سيئات المقربين وكانت رابعة العدوية فى مثل هذه القضية قالت استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير والحاصل ان هذا سحاب غين فى الطريقة وحجاب عين فى الحقيقة وحجب الانبياء والاصفياء من الاولياء لم تكن الانورانية لطيفة لاظلمانية كثيفة (فاحذر) اى كل الحذر لخوف عظيم الخطر (ان يقع ببالك) اى ويخطر فى خيالك (ان يكون هذا الغين وسوسة اوريبا) بالموحدة اى شكا وشبهة وفى نسخة بالنون فيكون من قبيل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فالمعنى فاحذر ان تتوهم ان يكون هذا الغين رينا اى حجابا شينا (وقع فى قلبه عليه الصلوة والسلام) اى فينقلب عليك الملام (بل اصل الغين فى هذا) اى المكنى به فى المقام (ما يتغشى القلب ويغطيه) عما يقصده من المرام ولعل الحكمة فى ذلك عدم قوة البشرية لدوام ما هنالك (قاله) اى هذا المعنى اللغوى المترتب عليه المعنى الحقيقى (ابو عبيد) وهو معمر بن المثنى كذا ذكره الدلجى وقال الحلبى هو القاسم بن سلام بتشديد اللام انتهى وهو الظاهر فى هذا المقام و يروى قال ابو عبيد (واصله من غين السماء) وفيه ايماء الى مقام العلاء (وهو اطباق الغيم عليها) فهو سحاب عارض لا يمنع السماء عن مقام الاعتلاء (وقال غيره) اى غير ابى عبيد (الغين شئ يغشى القلب) بتشديد الشين وتخفيفها اى يستره ويخفيه (ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق) وهو السحاب الابيض (الذى يعرض فى الهواء) بالمد (فلا يمنع ضوء الشمس) اى بالكلية (وكذلك) اى مثل ما قدمنا لك فيما حذرناك من ان تفهم بالغين نوع وسوسة فى الدين (لا يفهم) بصيغة المجهول ليكون اعم ولا يبعد ان يكون بصيغة الخطاب والمراد به الخطاب العام (من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة فى اليوم اذ ليس يقتضيه) اى هذا المعنى (لفظه الذى ذكرناه) اى من المبنى (وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين) وفيه ان الرواية التى ذكرها المصنف بلفظ فاستغفر الله تقتضى ذلك بل الظاهر ان هذا العدد من الاستغفار يترتب على تحقيق كل ما وقع من الغين فى عين الابرار نعم هذا لم يرد على ما ورد بلفظ وانى لاستغفر الله فان صدر الحديث يشير الى انه قد يغان قلبه عن ربه وآخره يشعر بانه يستغفر الله تعالى كثيرا لاجله او بسبب غيره وحينئذ يحتمل ان يكون استغفاره لنفسه اولغيره من المؤمنين اوللجمع بينهما وهو ظاهر قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات مع ما فيه من تعليم الامة وتحثيثهم على كثرة الاستغفار والتوبة عن المعصية والغفلة والتقصير فى الطاعة والعبادة للاقتداء بسيد الانبياء على ان فى كثرة الاستغفار فتح باب الفناء وانكشاف مقام البقاء (فيكون المراد بهذا الغين) اى والله تعالى اعلم بحقيقته (اشارة الى غفلات قلبه) اى فى مقام المجاهدة (وفترات نفسه) اى فى مرام المشاهدة (وسهوها) اى اشتغالها بما هو اهم عليها (عن مداومة الذكر) اى اللسانى اذ لا يمنع مانع عن مواظبة الذكر الجنانى ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك تداركا لما فاته من ذكر اللسان فى ذلك الفضاء او اشعارا بانه قاصر عن القيام بشكر تلك النعماء كما اشار اليه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ الحمد لله الذى اذهب عنى ما يؤذينى وابقى على ما ينفعنى (ومشاهدة الحق) اى فى مقام الفناء والاستغراق المطلق (بما كان) اى بسبب كونه (صلى الله تعالى عليه وسلم دفع اليه) بصيغة المجهول اى رد اليه وحمل عليه (من مقاساة البشر) اى من مكابدة لوازم البشرية من الاكل والشرب وسائر المقتضيات الطبيعية (وسياسة الامة) اى بالاحكام الشرعية (ومعاناة الاهل) اى مقاساة احوال العيال والاولاد والخدام والاحفاد ومكابدة الاقارب القريبة والبعيدة (ومقاومة الولى والعدو) اى مقابلتهما بما يصلح فى معاملتهما (ومصلحة النفس) اى تربيتها وارتياضها حتى تنقاد بتحمل ما لها وتحمل ما عليها مما لابد منه معاشا ومعادا (وكلفه) بصيغة المجهول اى وبما كلفه الله تعالى اى حمله (من اعباء اداء الرسالة) اى من اثقال تأديتها واشتغال تبليغها (وحمل الامانة) اى الخاصة والعامة المؤدية الى كمال الديانة كما اشار اليه قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال اى على اهلها انفسها او على سكانها فابين اى امتنعن من قبول حملها بحسب القابلية حيث لم يخلقوا لها وما جعلهم الله من اهلها وحملها

الانسان لكمال قابليته وجمال اهليته انه كان اى فى علمه سبحانه وتعالى باعتبار جنسه ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ففى الآية دلالة على ان افراد المؤمنين لابد لهم من الاستغفار والتوبة ليستحقوا بذلك المغفرة والرحمة كما اشعر به قوله سبحانه وتعالى وكان الله غفورا رحيما للمستغفرين والمحسنين (وهو) اى النبى عليه الصلوة والسلام (فى كل هذا) اى ماذكرناه من اختلاف مقامه ويروى فى هذا كله (فى طاعة ربه وعبادة خالقه) فلا يكون الاستغفار على الحقيقة من التوبة عن المعصية وانما هو من حالة ادنى الى حالة اعلى فان السير فى الله تعالى لا يبلغ احد منتهاه (ولكن) اى الاستغفار مع هذا له سبب وهو انه (لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة) اى رتبة (واعلاهم درجة) اى قربة (واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه) اى عن ملاحظة غير ربه (وخلو همته وتفرده بربه) عن شهود غيره (واقباله بكليته) اى قلبا وقالبا (عليه) اى بتفويض جميع اموره اليه والقائه نفسه كالميت بين يديه (ومقامه هنالك ارفع حاليه) اى بالنسبة الى غير ذلك وجواب لما قوله (رأى عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها) اى صورة (وشغله بسواها) اى ضرورة (غضا) بتشديد المعجمة الثانية اى نقصا وانحطاطا (من على حاله) اى رفيع كماله وبديع جماله (وخفضا عن رفيع مقامه) ومنيع مرامه (فاستغفر الله تعالى من ذلك) وطلب المقام الاعلى فيما هنالك (هذا) اى التأويل الذى حررناه (اولى وجوه الحديث واشهرها) اى واظهرها فيما قررناه فى نسخة واشهدها اى وابينها وادلها فيما ذكرناه (والى معنى ما اشرنا به) اى اليه كما فى نسخة وفى نسخة والى ما اشرنا به فيه من تأويل الحديث (مال كثير من الناس وحام حوله) اى دار فى جوانبه اهل الاستيناس (فقارب) اى امره (ولم يرد) اى احد حكمه وقيل لم يصله على انه من ورد (وقد قربنا غامض معناه) اى مشكل معناه مع ما يتعلق بحل مبناه (وكشفنا للمستفيد محياه) بضم الميم وتشديد الباء اى نقاب وجهه وحجاب امره وفى نسخة مخباه بخاء معجمة وتشديد موحدة اى مخفيه واصله الهمز كما فى قوله الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبأ فكانه ابدل للتخفيف مراعاة للسجع (وهو) اى التأويل المذكور (مبنى على جواز الفترات) اى التكاسل فى الطاعات والتغافل عن العبادات (والغفلات) اى عما يجب عليهم من الامور فى الاوقات (والسهو) اى الغلط او اللهو فى بعض الامور والحالات (فى غير طريق البلاغ) اى تبليغ الآيات وما يتعلق بامور الرسالات (على ما سيأتى) اى فى بعض المقامات (وذهب طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة) بفتح الميم وكسر السين وسكونها اى مشايخهم فى الطريق المطلوب (ممن قال بتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا) اى عما ذكر من نحو الفترة والغفلة (جملة) اى جميعا بطريق الاجمال من غير تفصيل واستثناء بعض الاحوال (واجله) بتشديد اللام اى وعده عليه الصلوة والسلام جليلا وفى مقام الكمال جميلا (ان يجوز عليه) اى من ان يصدر عنه وفى نسخة بصيغة المجهول مشددة الواو اى من ان يصدر تجويز ما سبق عليه (فى حال) اى من الحالات ووقت من الاوقات (سهو) اى ذهول فى المقامات (او فترة) اى قصور فى الطاعات وكسور فى المقامات ومال (الى ان معنى الحديث) اى المذكور بحسب المآل ان المراد بالغين (ما يهم خاطره) من اهمه الامر اذا ازعجه واقلقه (ويغم فكره) بفتح الياء وضم الغين المعجمة لا كما توهم الحلبى من انه بكسرها كما قبله وفى نسخة بضم اوله اى ويشغل سره (من امر امته) اى اهل دعوته واجابته (عليه الصلوة والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم) اى بوصف الدوام (فيستغفر لهم) اى فى ساعات من الايام فالاستغفار راجع الى عصاة امته عليه الصلوة والسلام (قالوا) اى الطائفة المتصوفة (وقد يكون الغين ههنا) اى فى هذا الحديث (على قلبه السكينة) اى الوقار والطمأنينة (التى تغشاه) وفى نسخة تغشاه اى تنزل عليه مما يخشع له قلبه ويسكن روعه (لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه الصلوة والسلام عندها) اى عند نزولها وحال حصولها (اظهار العبودية) بروى لعبوديته (والافتقار) الى تجليات الربوبية (وقال ابن عطاء استغفاره وفعله) اى تضرعه وخضوعه واظهار خوفه (هذا تعريف للامة) اى تعليم لهم (يحملهم) جملة استئنافية او حالية اى يبعثهم ويحثهم (على الاستغفار) اقول وهذا المعنى لا ينافى ما سبق عن بعض الابرار (قال غيره) اى غير ابن عطاء (ويستشعرون) من الشعور اى ويدركون من تعريفه لهم الاستغفار (الحذر) من الوقوع فى المعاصى على وجه الاصرار ووقع فى اصل الدلجى الحصر اى الحبس لانه يحبسهم على الطاعة وفى نسخة الحظر اى المنع لها عن المعصية والحاصل انهم حينئذ يقعون فى الحذر والخوف على انفسهم (ولا يركنون الى الامن) اى لا يميلون ولا يسكنون اليه ولا يعتمدون عليه (وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة) فى القاموس غين على قلبه غينا تغشته السهوة او غطى عليه والبس او غشى عليه او احاط به الرين كأغين فيهما انتهى وبهذا علم ان الاغانة لغة فى معنى الغين والمراد بها ان هذه الغشية (حالة خشية واعظام) اى

ومقام هيبة (تمتلئ قلبه فيستعظم ربه حينئذ شكر الله وملازمة لعبوديته) اى ومحافظة على مداومة عبودية مولاه (كما قال فى ملازمة العبادة) اى التى هى اخص من العبودية (افلا اكون عبدا شكورا) حين قام عليه الصلوة والسلام فى صلوة الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا والحديث رواه الترمذى والفاء للعطف على مقدر تقديره اترك الصلوة اعتمادا على الغفران فلا اكون عبدا شكورا للرحمن وقد قال فى حق نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال عز وجل وقليل من عبادى الشكور وقيل المعنى ان غفر ان الله تعالى اياى سبب لان اصلى شكرا له فكيف اتركه ثم تخصيص العبد بالذكر للاشعار بان العبودية تقتضى صحة النسبة وليست تتصور الا بالعبادة وهى عين الشكر فالمعنى الزم العبادة وان غفر لى لاكون عبدا شكورا وكان من سأل ظن ان سبب تحمل مشقة العبادة اما خوف معصية اورجاء معفرة فافاده ان لها سببا آخر اتم واكمل وهو الشكر على التأهل لها مع اكمال المغفرة واجزال النعمة وقد روى عن على كرم الله وجهه ان قوما عبدوا رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا شكرا فتلك عبادة الاحرار كذا نقله عنه صاحب ربيع الابرار (وعلى هذه الوجوه) اى الاخيرة كما فى نسخة وهى من قوله وقالوا وقد يكون الغين الى آخره (يحمل ماروى فى بعض طرق هذا الحديث عنه عليه الصلوة والسلام انه) بكسر الهمزة اى الشان (ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله تعالى) ولا يخفى ان هذه الرواية تؤيد ان المراد بالعدد فى الحديث السابق هو الغين المرتب عليه الاستغفار لا الاستغفار المجرد عن الغين كما قدمنا (فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم) اى الخلق باجمعهم (على الهدى) بتوفيقهم للايمان وترك العصيان لكن لم تتعلق المشيئة بما هنالك فلم يجمعهم على ذلك واما تأويل المعتزلة بان بأيهم باية ملجئة تجمعهم عليه لكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فردود عليهم لان المشيئة لا تتعلق بالخارج عن الحكمة والحكم الا لهية لا نهاية لها ولا غاية لمعرفتها بل اكثرها مجهول عندنا (فلا تكونن من الجاهلين) اى بصفات الله تعالى المقتضية لذلك فان منها الجلالية التى توجب هلاك الكفار وانتقامهم بالنار خالدين فيها ابدا ومنها الجمالية التى توجب الرحمة على المؤمنين وانعامهم بالجنة خالدين فيها ابدا (وقد قال) اى والحال انه قد قال وفى نسخة وقوله اى وما معنى قوله (لنوح عليه السلام) فلا تسألنى ماليس لك به علم (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) وحاصل الاشكال نهاهما عن كونهما من الجهال فاجاب عنه بقوله (فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من قال فى آية نبينا عليه الصلوة والسلام) وهى الآية الاولى (فلا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى) لانه عليه الصلوة والسلام لم يكن جاهلا بهذا المقام ولا يجوز جهل الانبياء بصفاته الكرام لكن لا يلزم من نهيه عن كونه منهم انه منهم كما قال تعالى فى آيات كثيرة كقوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فان المراد به التهييج والتثبيت على تحقيق ذلك المرام والتعريض بان من كان على خلاف ذلك الاعتقاد فهو جاهل بالرشاد وضال عن طريق السداد (وفى آية نوح) وهى الآية الثانية (ولا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق) اى واخباره صدق (لقوله) اى لتصريح نوح نفسه (وان وعدك الحق اذ فيه) اى فيما قاله هذا القائل الجاهل محررا بقوله عليهما تفسيرا للآيتين (اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى) اى تجويز امكان ذلك لان النهى غالبا لا يكون الا هنالك والا فقد سبق انه لا يلزم من قوله فيهما اثبات الجهل لهما بصفة من صفات الله تعالى (وذلك) اى الجهل المذكور (لا يجوز على الانبياء) بل ولا على العلماء والاولياء (والمقصود) اى من نهى الانبياء عن هذه الاشياء (وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم) اى من احوالهم واقوالهم واعمالهم وفى نسخة ان لا يتسموا بتشديد التاء اى لا يتصفوا (بسمات الجاهلين) بكسر السين المهملة اى بصفاتهم (كما قال) اى الله سبحانه وتعالى ايماء الى ذلك (انى اعظك وليس فى آية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة) اى صفة الجهل (التى نهاهم عن الكون عليها) اى الاتصاف بها (فكيف) اى لا يكون الامر كذلك (وآية نوح قبلها فلا تسألن) فيه قرآآت اى فلا تطلبنى (ماليس لك به علم) من نجاة ابنك (فحمل ما بعدها) اى ما بعد هذه الآية وهو قوله انى اعوذ بك ان اسألك ماليس لى به علم (على ما قبلها) وهو قوله فلا تسألنى ماليس لك به علم (اولى) لصراحتهما بعدم علمه بموجب ترك نجاة ابنه (لان مثل هذا) اى سؤال ماليس له به علم من نجاة ابنه (قد يحتاج الى اذن) من ربه ليقدم عليه بامره (وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء) اى فى ابتداء الحال قبل النهى عن السؤال (فنهاه الله تعالى ان يسأله عما طوى) اى زوى الله تعالى (عنه علمه واكنه) بتشديد النون اى ستره وكتمه (من غيبه) اى عن ادراكه بالبصر او البصيرة ومن بيان لما وقوله (من السبب) بيان للغيب فكانه قال من الغيب الذى هو السبب (الموجب لهلاك ابنه) وفى نسخة لاهلاك ابنه مع انه قال تعالى واهلك الا من سبق عليه القول لكن لما

كان على وجه الاجمال حمله على هذا السؤال ليبين له جملة الاحوال وقال الماتريدي ظن انه على دينه اذ كان يظهر له ذلك ويبطن كفره نفاقا هنالك والا لما تأتى له ان يقول ان ابني من اهلي وقيل انه غلب عليه الشفقة الوالدية ومقتضى الطباع البشرية والاظهر قول الماتريدي ولذا قال المصنف (ثم اكمل الله نعمته عليه) اى هنالك باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك) اى الموعودين بالنجاة كما قدمنا الاشارة اليه باداة المستثناة او المعنى ليس من اهلك حقيقة وان كان ابنك صورة حيث خالفك سيرة كما بينه سبحانه وتعالى بقوله (انه عمل) اى ذو عمل (غير صالح) وفي قراءة الكسائي انه عمل غير صالح بصيغة الفعل ونصب غير والمراد بعمل غير صالح الكفر فكل من كان من ذرية الانبياء ولم يكن من الاتقياء فلم يكن من اهلهم وان كان من نسلهم ولذا ورد آلي كل تقي (حكى معناه مكي وكذلك) اى ومثل امره سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام (امر نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (في الآية الاخرى بالتزام الصبر) في آية ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا (على اعراض قومه) اى عن الايمان به (ولا يحرج) بالحاء المهملة وفتح الراء اى لا يضيق صدرا (عند ذلك) الاعراض (فيقارب) اى حالك (حال الجاهل بشدة التحسر) كما يشير اليه صدر الآية وهو قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية اى ملجئة الى الايمان بالانبياء والمعنى لا تقدر على ذلك فلا تكونن من الجاهلين بما هنالك (حكاه ابو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وجوز فيه الصرف وعدمه (وقيل معنى الخطاب) اى وجهه (لامة محمد) على ان الخطاب له والمراد غيره او الخطاب لغيره ابتداء (اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال) اى مكي (مثله في القرآن كثير) اى من الآيات التي فيها الخطاب له والمراد امته او التي لا يصلح فيها الخطاب له حقيقة فالمراد به خطاب غيره من الامة (فبهذا الفضل) اى الذي اوجب لهم مزيد الفضل (وجب القول) وفي نسخة فبهذا الفضل اوجب القول وفي اخرى يوجب القول (بعصمة الانبياء منه) اى مما ذكر من الجهل بالله تعالى وصفاته ومن السهو واللهو والفترة والغفلة (بعد النبوة قطعا) اى جزما من غير تردد وشبهة (فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك) اى والشرك من جملة ذلك بل هو اعظم ما هنالك (فما معنى وعيد الله تعالى) وفي اكثر النسخ المصححة فما معنى اذا وعيد الله تعالى بالتنوين بمعنى حينئذ وبجر وعيد وكان الاظهر ان يقال فاذا ما معنى وعيد الله تعالى (لنبينا عليه الصلوة والسلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه) بناء على ان الوعيد والتحذير غالبا انما يكون فيمن يتصور فيه فعل ذلك لا فيمن يكون معصوما من وقوعه فيما هنالك وصورة الوعيد والتحذير وقعت كثيرة في حق نبينا عليه الصلوة والسلام (كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية) اى ولتكونن من الخاسرين وقبله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اى من الانبياء والرسل فتوحيد الخطاب باعتبار كل واحد منهم واطلاق الاحباط ظاهر على مقتضى مذهبنا والشافعية يحملونه على انه خاص بهم او على تقييده بموتهم عليه (وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية) وهي قوله تعالى فان فعلت فانك اذا من الظالمين (وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة الاية) يعني قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اى لقاربت ان تميل الى مرادهم ما دركك تثبيتنا وعصمتنا فلم تقارب الركون اليهم فضلا عن ان تركن اليهم اذا اى لو قاربت الركون اليهم فرضا وتقديرا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة مضاعفين والاصل عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا فحذف الموصوف واقيم صفته مقامه ثم اضيفت والمعنى ان المعصوم لا يتصور منه الركون الى الكفر الموجب للعذاب (وقوله لاخذنا منه باليمين) وهو جواب لو في قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل اى لو افترى علينا ما لا يصح نسبته الينا لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اى لاهلكناه وعذبناه وهذا تصوير لقتله صبرا بافظع ما يفعله الملوك قهرا فيؤخذ بيمينه فيضرب عنقه فيقطع وتينه وهو عرق يقال له حبل الوريد مناط القلب فاذا قطع مات صاحبه والمعنى ان المعصوم لا يفترى على الله تعالى حتى يتفرع عليه ما هدد به (وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) والمعنى ان المعصوم لا يتصور منه اطاعة ارباب الضلال حتى يضلوه عن طريق الوصال (وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك) اى بعد قوله ام يقولون افترى على الله كذبا فالمعنى ان يشأ يجعلك من يختم على قلبه حتى يجترئ بالكذب على ربه او المعنى يختم على قلبك فينسيك كلام ربك وقيل المعنى يربط عليه بالصبر فلا يشق عليه مقالة اهل الكفر ولا اشكال حينئذ (وقوله وان لم تفعل) اى ما امرت به من تبليغ جميع ما انزل اليك (فما بلغت رسالته) قرئ بالافراد والجمع اى حق رسالته او فكانك ما بلغت شيئا منها (وقوله اتق الله) كذا في نسخة وقبله يا ايها النبي اتق الله كما في اخرى اى دم

على تقواه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) اى فيما يؤدى الى وهن فى الدين ومن المعلوم ان المعصوم لا يكون الا متقيا ولا يتصور فيه ان يطيع كافرا فامعنى امره بالتقوى ونهيه عن اطاعة غير المولى (فاعلم) ايها المخاطب الاعم (وفقنا الله تعالى واياك) للطريق الاقوم (عليه الصلوة والسلام لا يصح) اى له (ولا يجوز عليه ان لا يبلغ) اى شيئا مما امر به (ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك به ولا يتقول على الله تعالى) اى ولا ان يتكلف بالقول عليه (ما لا يجب) اى ما لا ينبغي ان يقال ولم يؤذن فى ذلك المقال (او يفترى عليه) اى من تلقاء نفسه (او يضل) بصيغة المجهول وفى نسخة بفتح الياء وكسر الضاد (او يختم على قلبه) بالبناء للمفعول (او يطيع الكافرين) اى اعم من المنافقين (لكن) وفى نسخة ولكن الله تعالى (يسر امره) اى سهله (بالمكاشفة والبيان فى البلاغ) اى فى تبليغه للمخالفين) اى من اليهود والنصارى والمشركين (وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل) اى الطريق المرضى (فكانه ما بلغ) والمعنى انه عليه الصلوة والسلام كان خائفا من وقوع تقصير له فى هذا المقام ولذا عتبه (وطيب نفسه) اى اراحه من تعبه (وقوى قلبه) بتوفيق ربه وتحقيق امره (بقوله والله يعصمك من الناس) اى مما بين الناس من ان يقع منك معصية او تقصير فى طاعة وهذا المعنى هو المناسب لهذا المقام كما يشير اليه السابق واللاحق للكلام وهو قوله تعالى والله لا يهدى القوم الكافرين وهو لا ينافى ما ذكر بعضهم فى معناه انه سبحانه يعصمه من تعرض الكفار له بقتل ونحوه ففيه تنبيه نبيه على انه لا بد له من اكمال تبليغه وهذه التسلية له عليه الصلوة والسلام (كما قال لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا اننى معكما) اى حافظكما وناصركما على اعدائكما وهذا كله (لتشتد بصائرهم) اى لتتقوى سرائرهم (فى الابلاغ) و يروى فى البلاغ اى فى باب تبليغ الرسالة (واظهار دين الله تعالى) فى كل حالة (و يذهب) بضم الياء وكسر الهاء وفى نسخة بفتحها اى وليزيل او يزول (عنهم خوف العدو المضعوف) بتخفيف العين وتشديدها اى الموهن (للنفس) وفى نسخة صحيحة لليقين (واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية) وقد سبقت (وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا) يجوز كسر همزة وفتحه والاشارة الى ما ذكر من الاخذ والاذاقة (جزاء من فعل هذا) اى الافتراء والميل الى كلام الاعداء (وجزاؤك لو كنت) اى فرضا وتقديرا (ممن يفعله) اى يتصور له فعله (وهو لا يفعله) اى لا شئ منه فعله وفى هذا مبالغة للزجر عما ذكر لغيره ممن يتصور منه فعله (وكذلك) اى ومثل ما تقدم من التأويل (قوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) اى ولو كان الخطاب له لظاهره (فالمراد غيره) مبالغة فى زجره عن مخالفة امره (كما قال) اى الله تعالى مخاطبا للامة يا ايها الذين آمنوا على سبيل الحقيقة (ان تطيعوا الذين كفروا الآية) يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين وقد نزلت حين قال المنافقون للمؤمنين باحد عند انهزامهم اذ ارجف بقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذبا ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم ولو كان محمد نبيا لما قتل ثم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وقوله) اى وكذلك قوله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره) اى حقيقة ولو كان الخطاب له مجازا فيكون فيه تعريض لاستيقاظ الامة من نوم الغفلة (وان هذه) اى العقوبة المتفرعة (حال من اشرك) ومال وبال من كفر ومن لم يوحد الله تعالى به وما اقر (والنبي عليه الصلوة والسلام لا يجوز عليه هذا) اى الاشراك لعصمته من ذلك اجماعا (وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين) مبتدأ وكان المصنف قدر فيه اما او توهم فاخبر عنه بقوله (فليس فيه انه اطاعهم) اذ لا يلزم من النهى عن الاطاعة مخالفة الطاعة (والله سبحانه ينهاه عما يشاء) حيث قال ولا تطع الكافرين (ويأمره بما يشاء) حيث قال اتق الله (كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية) اى بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين (وما كان طردهم عليه الصلوة والسلام ولا كان من الظالمين) والتحقيق فى مقام العصمة انه لا يأمره بالموافقة ولا ينهاه عن المخالفة لانه لا يتصور منه هذه الحالة فاما ان يحمل الآيتان على ما سبق من سائر الآيات او على انه اريد به التهييج والاثبات او الامتنان عليه بهذه العصمة والثبات فى الحيوة الى الممات

﴿ فصل ﴾

(واما عصمتهم من هذا الفن) اى من نوع المعصية مع الاجماع على عصمتهم من الكفر (قبل النبوة فللناس فيه خلاف) فى شرح العقائد للعلامة التفتازانى الانبياء معصومون من الكذب خصوصا فيما يتعلق بامر الشرائع وتبليغ الاحكام وارشاد الامة اما عمدا فبالاجماع واما سهوا فعند الاكثرين وفى عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحى و بعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية واما سهوا فجوزه الاكثرون واما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائى واتباعه وتجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة

لقمة وتطفيف حبة لكن المحققون اشترطوا ان ينبهوا عليه فينتهوا عنه هذا كله بعد الوحى واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها والحق منع مايوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة اذا تقرر هذا فما نقل عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام مما يشعر بكذب اومعصية فما كان منقولا بطريق الآحاد فمردود وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره ان امكن والا فمحمول على ترك الاولى اوكونه قبل البعثة وتفصيل ذلك فى الكتب المبسوطة(والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته) اى الثبوتية والسلبية والفعلية والاضافية (والتشكك) وروى اوالتشكك والاول اولى ومعناه التردد (فى شئ من ذلك) اى من جميع جهاته المتعلقة بالامور الدينية والاخروية (وقد تعاضدت الاخبار والآثار) اى وتعاونت وتواترت الانباء (عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة) اى منقصة الجهل فى مرتبة المعرفة (مذ ولدوا) فهم معصومون قبل البلوغ ايضا عن الكفر والاصرار على المعصية (ونشأتهم) اى و بخلقتهم وفطرتهم وتربيتهم (على التوحيد والايمان) اى فى اعلى مراتب الايقان ومناقب الاحسان (بل على اشراق انوار المعارف) واطلاع اسرار العوارف (ونفحات الطاف السعادة) ورشحات اشراف الزيادة (كما نبهنا عليه فى الباب الثانى من القسم الاول) اى فى فصل الخصال المكتسبة (من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار) اى لامن الكفار ولامن الابرار (ان احدا) من الناس (نبئ) ويروى نبأ اى جعل نبيا فى مقام الاستيناس (واصطفى) اى اختير عليهم (ممن عرف بكفر واشراك) عطف خاص على عام (قبل ذلك) اى قبل ظهور النبوة واظهار الرسالة (ومستند هذا الباب) اى مرجع هذا النوع من الكلام (النقل) اى الثابت فى مقام المرام (وقد استدل بعضهم) اى على عصمة الانبياء من بعض افراد المعصية على تقدير وقوعها منهم (بان القلوب تنفر عمن) و يروى عن كل من (كانت هذه سبيله)فيفوت غرض التبليغ وتحصيله (وانا اقول ان قريشا) وهم عمدة قبائل العرب (قد رمت نبيا عليه الصلوة والسلام بكل ما افترته) اى ذمته بجميع ماقدرت عليه من نسبته الى المسبة (وعير) بتشديد التحتية اى وعاب (كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها) اى من المعايب (واختلقته) بالقاف اى اخترعته من جميع المثالب (مما نص الله تعالى عليه) اى صرح به من الجنون والسحر والسعر والتعلم والافتراء وطلب الجاه وامثال ذلك وفى نسخة بالقاف بدل النون (ونقلته الينا الرواة) اى عن كفار الامم من الطعن فى الرسل (ولم نجد فى شئ من ذلك) اى من نص الحق ورواية الخلق (تعييرا لواحد منهم) يحتمل ان يكون الواحد معرفا وقع مضافا اليه وان يكون تعييرا مفعول لم نجد ولواحد متعلق به (برفضه) اى بترك نبى (آلهته) اى من الاصنام بعد ما كان يلتزم عبادتها (وتقريعه) اى و بتوبيخه (بذمه) متعلق بتعيير الواحد منهم (بترك ما كان قد جامعهم) اى وافقهم (عليه) اى فى اول امره واوفى حال صغره (ولو كان) اى وجد لاحد منهم (هذا) اى الامر المخالف للدين المنافى لتوحيد ارباب اليقين (لكانوا) اى الكفار (بذلك) اى باظهار ماذكر (مبادرين) اى مسارعين الى تعييره فى تغييره (و بتلونه) اى تغيره وانتقاله (فى معبوده) اى معبود غيره (محتجين) اى مستدلين على تقريعه وتوبيخه (ولكان توبيخهم)اى لومهم (له بنهيهم عما كان يعبد قبل) ان قبل دعوى النبوة (افظع) بالفاء والظاء المعجمة اى اشنع فى النسبة (واقطع) اى امنع (فى الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم)التى يدعون من دون الله (وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه) اى عن توبيخ احد منهم بعبادة غير الله (دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه) اى الى نقله (اذ لو كان لنقل) اى عنهم (وما سكتوا عنه) فانهم كانوا يفترون عليه مالم يكن فيه موجودا فكيف اذا وجدوا اليه سبيلا محققا مشهودا(كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة) اى صرفها عن الكعبة الى بيت المقدس اوعن بيت المقدس الى الكعبة و يروى عن تحويل القبلة (وقالوا) اى كفار مكة اواليهود (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها)اولا من الكعبة او بيت المقدس (كما حكاه الله عنهم) بقوله سيقول السفهاء من الناس الآية (وقد استدل القاضى القشيرى) لعله ابو نصر عبد الرحيم ابن الاستاذ ابى القاسم القشيرى صاحب الرسالة اجمع على جلالته وامامته انتفع على امام الحرمين وعلى ابيه واشتغل لسانه فى آخر عمره وكان دائم الذكر وكان لايتكلم الا بآى القرآن توفى سنة اربع عشرة وخمسمائة بنيسابور ولابى القاسم القشيرى ولد آخر اسمه عبد الرحمن كنيته ابومنصور احد اولاده من فاطمة بنت الاستاذ ابى على الدقاق وكان مستوعب العمر بالعبادة مستغرق الاوقات بالذكر والتلاوة مات سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة بمكة مجاورا وكان له ولد آخر اسمه عبد الله اكبر اولاده وكان من اكابر الامة فقيها واصوليا كان والده يحترمه و يعامله معاملة الاقران مولده سنة اربع عشرة واربعمائة ومات سنة سبع وسبعين واربعمائة قال الحلبى هذا الذى عرفته من اولاده ولم ار فيهم احدا قاضيا والله سبحانه وتعالى اعلم والحاصل انه استدل(على تنزيههم) اى براءة ساحتهم (عن هذا)عن مثل ماذكر من الشرك والكفر

(بقوله تعالى واذاخذنا من النبيين ميثاقهم) اى عهدهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد والديانة (ومنك الآية) اى ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم فخص اولو العزم من الرسل وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اما لتعظيم رتبته واما لتقديم حقيقة نبوته بتقديم روحه ونوره فى عالم ظهوره الاولى فى بدء امره وآخر عصره فهو كالعلة الغائية متقدم الوجود متأخر الشهود وتتمة الآية واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما ولعل هذا الميثاق فى عالم الارواح اوكان لهم ميثاق خاص فى ضمن عموم ميثاق اهل الاشباح (وبقوله تعالى واذاخذ الله ميثاق النبيين الى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه) اى لما آتيتكم بفتح اللام وقرأ حمزة بكسرها وقرأ نافع لما آتيناكم من كتاب وحكمة اى نبوة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فقيل المراد برسول فرد من افراد هذا الجنس فالتنوين للتنكير وقيل المراد به رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فيكون التنوين للتعظيم ويؤيده انه عليه الصلوة والسلام قال لوكان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى ثم هذا الميثاق يحتمل فيما قدمناه ان يكون جملة ويحتمل ان كل نبى حين اعطائه سبحانه وتعالى له النبوة اخذ منه هذه البيعة على هذه الموافقة والمتابعة (قال) اى القاضى القشيرى (فطهره الله تعالى فى الميثاق) باماطة مالايليق بكريم قدره واحاطة ماينا سب تعظيم امره (و بعيد ان يأخذ) اى الله (منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره) اى وباعانة دينه وتقوية امره (قبل مولده بدهور) اى بازمنة طويلة (ويجوز عليه الشرك) يروى الشك ويجوز فى يجوز بتشديد الواو المفتوحة او المكسورة (اى وغيره من الذنوب) اى الكبائر وكذا الاصرار على الصغائر فهذا هو المستبعد غاية البعد والواو للحال (هذا) اى امكان صدور الكفر والشرك منه (مالايجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه) اى القشيرى ولعله اقتصر بعض مرامه (فكيف يكون ذلك) اى مجوزا (وقد اتاه جبريل) كما رواه مسلم عن انس (وشق قلبه) اى صدره كما فى نسخة (صغيرا) اى حال صغره وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه (واستخرج منه علقة) اى يكون للشيطان بها علقة (وقال هذا حظ الشيطان منك) اى صورة لوتركها على تلك الحالة بلا طهارة كاملة تكون حائلة (ثم غسله) اى جبريل فى طست من ذهب بماء زمزم حتى ذهب عنه الحجاب الصورى وانكشف له النقاب النورى (وملأه حكمة) اى ايقانا واتقانا (وايمانا) اى تصديقا وبرهانا ثم لأمه واعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس فكنت ارى آثر المخيط فى صدره كذا فى المصابيح (كما تظاهرت) اى تواترت وتظافرت (به اخبار المبدأ) اى احاديث بدء خلقته وظهور آثار نبوته الى منتهى نعته فى اسرار رسالته ولايخفى انه عليه الصلوة والسلام شق صدره مرتين مرة فى حال صباه عند مرضعته حليمة ومرة ليلة المعراج على ماتقدم والله اعلم (ولايشبه) بتشديد الموحدة المفتوحة اى لايلتبس (عليك) الامر فى تصويب العصمة عن المعصية قبل النبوة (بقول ابراهيم فى الكوكب والقمر والشمس هذا ربى) فانه بظاهره ينافى ماقدمناه على اطلاقه واجمعوا على انه لم يكن فى حال كبره (فانه قد قيل كان هذا فى سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال) اى فى قضية الربوبية (وقبل لزوم التكليف) اى بالامور الشرعية (وذهب معظم الحذاق) جمع حاذق بالذال المعجمة المهرة المتقنين (من العلماء والمفسرين الى انه) اى ابراهيم (انما قال ذلك) اى هذا ربى (مبكتا) بتشديد الكاف المكسورة اى حال كونه موبخا (لقومه ومستدلا عليهم) اى ببطلان دينهم وما تخيل اليهم (وقيل) كان الظاهر ان يقال فقيل بفاء التفريع لتبيين وجه التبكيت والتقريع (معناه الاستفهام) اى المقدر فى الكلام (الوارد مورد الانكار) اى لتتميم المرام (والمراد فهذا ربى) وفيه انه يكفى ان يقال اهذا ربى (وقال الزجاج قوله هذا ربى اى على قولكم) يعنى فى زعمكم (كما قال) اى الله سبحانه وتعالى حكاية عما يقوله يوم القيمة مخاطبا للكفرة (اين شركائى اى عندكم) وفى رأيكم (ويدل على انه) اى ابراهيم (لم يعبد شيئا من ذلك) اى ماذكر من الكوكب والقمر والشمس (ولاشرك بالله تعالى قط) اى ابدا (طرفة عين) اى غمضة ولمحة (قول الله تعالى عنه) اى حكاية (اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون) انكارا عليهم (ثم قال) اى بعد جوابهم له كما قال تعالى حكاية عنهم قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين (افرأيتم) اى اخبرونى (ماكنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) اى اسلافكم المتقدمون (فانهم عدولى) اى فلا اعبد شيئا منها (الارب العالمين) استثناء منقطع اى لكنه ودودلى فاعبده وحده لانه موصوف بنعوت الكمال الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين (وقال) اى الله تعالى فى حقه ويروى وقوله (اذجاء ربه بقلب سليم اى من الشرك) وسائر العقائد الدنية والاخلاق الردية (وقوله) اى كما حكاه عنه سبحانه (واجنبنى) اى وبعدنى (وبنى) اى من صلبى (ان نعبد الاصنام) وثبتنا على دين الاسلام (فان قلت فامعنى قوله) اى بعد غيبوبة القمر وافوله (لئن لم يهدنى ربى لاكونن من

القوم الضالين قيل انه) اى معناه (ان لم يؤيدنى) اى ربى (بمعونته) اى توفيقه وعصمته (اكن مثلكم فى ضلالتكم وعبادتكم) اى لالهتكم فهو انما قال ذلك المقال (على معنى الاشفاق والحذر) من ان يقع فى الوبال بحسب المآل (والا فهو معصوم فى الازل من الضلال) والاظهر انه اظهار تلذذ بتلك الحال وتحدث بنعمة الله الملك المتعال هذا والازل هو القدم واصله لم يزل فلما نسب اليه اختصر فقيل يزلى بالياء ثم ازلى بالهمز بدلا منه (فان قلت فما معنى قوله) اى الله سبحانه وتعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا) اقسموا ليكونن احد الامرين اما اخراجهم من قريتهم اوعودهم فى ملتهم ولم يكونوا قط على طريقتهم (ثم قال) اى الله تعالى (بعد) اى بعد ذلك (عن الرسل) هذه البعدية لان الاية الاتية انما هى فى شعيب حيث قال له قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا قال اولو كنا كارهين (قد افترينا الاية) فهذا جواب عن شعيب ومن تبعه من المؤمنين ويمكن حمل العود على التغليب لاكما قال المصنف عن الرسل اللهم الا ان يتكلف ويقال التقدير قد افترينا نحن معاشر الانبياء وطائفة المؤمنين من الاولياء على الله كذبا اى فى دعوى التوحيد ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وعصمنا من الركون اليها (فلا يشكل عليك لفظة العود) بناء على توهم انه بمعنى الرجوع فى هذا المقام (وانها تقتضى) اى حينئذ (انهم) اى الانبياء (انما يعودون) ويروى انهم يعودون (الى ما كانوا) ويروى لما كانوا (عليه من ملتهم) اى فان هذا المعنى خطأ فاحش وللعود معان (فقد تأتى هذه اللفظة فى كلام العرب) اى احيانا (لغير ما ليس له ابتداء) كذا فى بعض النسخ والصواب كما فى بعضها لما لبس له ابتداء كما بينه بقوله (بمعنى الصيرورة كما فى حديث الجهنميين) على ما فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى (عادوا حمما) بضم الحاء المهملة وفتح الميم اى صاروا فحما سودا قد امتحشوا (ولم يكونوا) اى الجهنميون (قبل ذلك) اى كذلك كما فى نسخة يعنى حمما ويروى قبل بضم اللام و بعده كذلك (ومثله قول الشاعر) ولم يعرف قائله وثبت ان عمر بن عبد العزيز انشده وكان يتمثل به وقيل انه لامية ابن ابى الصلت فى سيف بن ذى يزن وقيل لابى الصلت ابن ربيعة الثقفى وقيل للنابغة الجعدى وفى نسخة ومثله قوله (فعادا بعد) بناء الدال على الضم (ابوالا) وهذا عجز بيت صدره

﴿ تلك المكارم لاقعبان من لبن ❊ شيبا بماء فعادا بعد ابوالا ﴾

وفى بعض النسخ المعتمدة البيت بكماله اى هذه المناقب الجميلة وهى المكارم التى يترتب عليها المراتب الجزيلة ولاقعبان ضبط بكسر النون على انه تثنية القعب وهو بفتح القاف وسكون العين المهملة فموحدة القدح الضخم ويروى الرجل وفى بعض النسخ بفتح النون على البناء وشيبا بصيغة المجهول اى خلط فعادا اى القعبان والمراد ما فيهما من اللبن بذكر المحل وارادة الحال كقوله تعالى واسأل القرية بعد اى بعد شربهما اى صارا ابوالا واستحالا بها ما لا (وما كانا) اى لبن القعبين (قبل) اى قبل شربهما (كذلك) اى ابوالا هنالك واما ما ذكره الا نطاكى شاهدا على ان عاد بمعنى صار من قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن قول ابن قتادة النعمان انه دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له من انت يافتى فقال

﴿ انا ابن الذى سالت على الخد عينه ❊ فردت بكف المصطفى احسن الرد ﴾

﴿ فعادت كما كانت لاحسن حالها ❊ فيا حسنها عينا ويا حسنها ايد ﴾

وكان قد اصيبت عين قتادة يوم احد ووقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن عبد العزيز بمثل هذا فليتوسل الينا المتوسلون فلا يخفى ان العود فيهما بمعنى الرجوع فلبس ذكرهما فى محله (فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فلبس) اى فنقول ليس (هو من الضلال الذى هو الكفر) اى اجماعا لما سبق من الدليل نقلا وعقلا واختلف فى المراد به (قيل ضالا عن النبوة) اى غائبا عنها اوغير عارف بها (فهداك اليها) ويروى وهداك ذكره الحجازى وهو الملائم للاية (قاله الطبرى) وهو محمد بن جرير (وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك) اى الحال (وهداك الى الايمان) على وجه الكمال (والى ارشادهم) اليه بحسن المقال (ونحوه عن السدى وغير واحد وقيل ضالا عن شرىعتك اى لاتعرفها) الا بالهام اووحى (فهداك اليها) اى تارة بالوحى الجلى واخرى بالخفى (والضلال هنا التحير) اى الناشئ عن عدم المعرفة (ولهذا كان عليه الصلوة والسلام يخلو بغار حراء) بالصرف وعدمه على ما سبق ضبطه (فى طلب ما يتوجه به الى ربه) من قطع العلائق ودفع العوائق (و يتشرع به) اى و يطلب شرعا يمشى فى طبقه و يعمل على وفقه ويروى يسرع من الاسراع بالسين المهملة وعند شارح فالانه يخطط المؤلف يشرع بضم الياء وسكون الشين المعجمة وكسر الراء رباعيا من اشرع جعله شريعة (حتى هداه الله تعالى الى الاسلام) اى شرائعه الاعلام وتفاصيله من الاحكام (قال) وفى نسخة حكى (معناه) اى معنى الكلام الذى

قدمناه (القشيرى) اى الاستاذ اوولده (وقيل لاتعرف الحق) اى الاجمالا (فهداك اليه) اى مفصلا (وهذا مثل قوله تعالى وعلمك مالم تكن تعلم) اى من امور الدين واحكام اليقين (قاله على بن عيسى) الظاهر ان هذا هو الرمانى المتكلم النحوى على ما ذكره الحلبى ويروى قال على بن عيسى (قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية) بالاضافة وفى نسخة ضلالة فى معصية اى لاجلها يقع فى وبالها بل ضلالة طاعة لم يدر طريق كمالها (وقيل هدى بين امرك بالبراهين) اى الادلة القاطعة والبينة الساطعة (وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة) اى ما تدرى ما يحياك ومماتك (فهداك الى المدينة) وجعلها محل حياتك ومنزلى وفاتك وهدى بك اقواما كانوا عن الحق غافلين وآخرين كانوا له مذعنين وآخرين كانوا له معاندين (وقيل المعنى ووجدك) اى هاديا (فهدى بك ضالا) يعنى فقدم وأخر مراعاة للفواصل وهذا بعيد عن القواعد القوابل (وعن جعفر) اى الصادق (ابن محمد) اى الباقر ابن زين العابدين ابن الحسين بن على (ووجدك ضالا) اى حال بدء تجلى الاول (عن محبتى لك فى الازل اى لاتعرفها) على الوجه الاكمل (فمننت عليك بمعرفتى) لتعرف بها محبتى (وقرأ الحسن بن على ووجدك ضالا) اى بالرفع على انه فاعل اى متحير فى الحال (فهدى) اى اهتدى بك فى المآل ونال مقام الوصال (وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى) فهدا لك الى طريق محبتى وسبيل مودتى (والضال المحب) اى فى بعض اللغات (كما قال) اى الله سبحانه وتعالى حكاية عن بنى يعقوب مخاطبين لابيهم (انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا) ويروى هنا اى الضلال (فى الدين اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله) اى يعقوب (لكفروا) اى بيقين (ومثله) اى فى مبناه ومعناه (عند هذا) اى ابن عطاء (قوله) اى الله سبحانه حكاية عنهم (انا لنراها فى ضلال مبين اى محبة بينة) اى ليوسف ومودة ظاهرة من كثرة التلهف والتأسف وفسر بعضهم الضلال فى هذه الآية بالخطأ حيث اختار محبة الصغير على محبة اولاده الكبار العشرة الذين هم عصبة وارباب قوة وشوكة (وقال الجنيد) هو ابو القاسم الخراز القوارير ى نسبة لبيع القوارير وهى الزجاج المشهور بسيد الطائفة وشيخ الطريقة اصله من نهاوند ومولده ومنشأه بالعراق وكان شيخ وقته وفريد عصره وكلامه فى الحقيقة معروف مدون وتفقه على ابى ثور احد اصحاب الشافعى وكان يفتى فى حلقته وعمره عشرون سنة كذا ذكر السبكى وقال بعضهم تفقه على مذهب سفيان الثورى وصحب خاله السرى السقطى والحارث بن اسد المحاسبى وابى حمزة البغدادى توفى سنة سبع وتسعين ومائتين آخر ساعة من يوم الجمعة ببغداد ودفن بالشونيزية عند خاله السرى ذكره السبكى فى طبقات الشافعية ونقل عنه انه كان يقول الافضل للمحتاج ان يأخذ من صدقة التطوع وخالفه غيره وقال الاخذ من الزكوة افضل لانها اعانة على واجب انتهى ولعله اراد التورع فان دائرة التورع اوسع فى باب التبرع وكان يقول ما اخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن بالجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات وكان يقول طريقتنا مضبوطة بالكتاب والسنة من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لايقتدى به وقال ذات يوم ما اخرج الله الى الارض علما وجعل للخلق اليه سبيلا الا وجعل لى فيه حظا ونصيبا وكان كل يوم يفتح حانوته ويسبل سترا ويصلى فيه اربعمائة ركعة (ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه) اى لاظهاره لديك ما خفى عليك (لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية) اى لتبين للناس ما نزل اليهم ويؤيده قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وقوله عز وجل ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما (وقيل وجدك) اى ضالا بينهم (لم يعرفك احد بالنبوة) منهم ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن (حتى اظهرك الله تعالى فهدى بك السعداء) وابعد عنك الاشقياء (ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها) اى فى هذه الآية (انه وجدك ضالا عن الايمان) اقول ولو فرض ان يقال يجب ان يأول بتفاصيل احكامه كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان (وكذلك) اى ومثل وجدك ضالا مما يورث اشكالا ويدفع حالا وما لا (فى قصة موسى عليه الصلوة والسلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد) اى تعمد قتل (قاله ابن عرفة) وهو من كبار المفسرين المعتبرين المشهور بالعبدى المؤدب يروى عن ابن المبارك وغيره وعنه الترمذى وابن ماجه وابن ابى حاتم والصفار وثقه ابن معين مات سنة سبع وخمسين ومائتين بسامرا وعاش مائة وسبعا او عشرا قيل المراد به نفطويه ولا يبعد ان يكون المعنى من الذاهلين الى ما يفضى اليه الوكز ويؤيده قرأة ابن مسعود من الجاهلين (وقال الازهرى) هو الامام اللغوى ابو منصور محمد بن احمد بن الازهر الهروى صاحب تهذيب اللغة وغير ذلك مات سنة سبعين وثلاثمائة (معناه من الناسين وقد قيل ذلك) اى المعنى الذى (ذكر فى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما) بفتح همزة ان وكسرها (فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب) اى على وجه الصواب (ان السمرقندى) وهو الامام ابو الليث (قال معناه

﴿ماكنت﴾

ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعوا الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال (اي السمرقندي او بكر القاضي واقتصر الدلجي على الاول لزيادة البيان (ولا الايمان) يروى وارد الايمان (الذي هو الفرائض والاحكام) وحاصله نفى تفاصيل شرائع الايمان والاسلام (قال وكان قبل) اى قبل الوحى (مؤمنا بتوحيده) اى ابه اجمالا (ثم نزلت الفرائض) اى من الصلوة والصيام والزكاة وحج بيت الله الحرام التى لم تكن تدر يها اى اصلها او تفصيلها (قبل) اى قبل الوحى (فزاد بالتكلف) اى بتكليف كل فرض (ايمانا) اى ايقانا به واحسانا لقيامه (وهذا) ويروى وهو (احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان) مخففة اى وانه (كنت من قبله) اى قبل وحينا (لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون) فان الغفلة عن آيات الله بمعنى الاعراض عنها وعدم الالتفات اليها ونفى الايمان بما يترتب عليها من توحيد الله تعالى وتحقيق قدرته فيها وتخصيص ارادته بها كفر لا يجوز ان يكون وصف مؤمن من الاولياء فضلا عن ان يكون نعت نبى من الانبياء (بل) المعنى (كما حكى ابو عبيد والهروى) اى عن المفسرين المعتبرين وتبعهما غيرهما (ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف) اى بقرينة سابقها ولاحقها (اذلم تعلمها الا بوحينا) كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن اى هذه السورة وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة فيكون اظهارك اياها لك معجزة (وكذلك) اى من المشكلات (الحديث الذى يرويه عثمان ابن ابي شيبة بسنده) اى حيث قال عن جرير عن سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل (عن جابر رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان يشهد) يروى شهد (مع المشركين مشاهدهم) اى محاضرهم وهى لا تخلو عن اصنامهم فانها كانت فى الكعبة وحولها قريبا من ثلثمائة صنم وكان من حسن خلقه يعاشرهم لكونه من عشائرهم كما قيل * ودارهم مادمت فى دارهم * والفرق بين المداراة والمداهنة مما لا يخفى (فسمع) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم) انت اونحن (خلفه) وتبركا بظله (فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام) اى قريب ولعل المراد به رؤيتها ومشاهدتها او مخالطتهم ومصاحبتهم ويؤيده قوله (فلم يشهدهم بعد) اى واعتزلهم بانفراده عنهم فى غار حراء ان كان هذا قبل الوحى اوفى مسجد دار الخيزران ان كان بعده وهذا كله على تقدير ان يصح نقله وفى اصل الانطاكى باستلام الاصنام وهو تناولها باليد او الفم (فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة اى انكارا بليغا (وقال هذا موضوع) اى بحسب المراد (اوشبيه) يروى يشبه بتشديد الموحدة المفتوحة (بالموضوع) اى فى ايراد الاسناد (وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم) بكسر الهاء ويفتح اى غلط واخطأ (فى اسناده) اى اسناد هذا الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر بن احمد بن حنبل قال ابى ابو بكر اخو عثمان احب الى من عثمان فقلت ان يحيى بن معين يقول ان عثمان احب الى فقال ابى لا وقال الازدى رأيت اصحابنا يذكرون ان عثمان روى احاديث لا يتابع عليها قال وقد يغلط وقد اعتمده الشيخان فى صحيحهما الى آخر كلامه ثم قال ان عثمان كان لا يحفظ القرآن فيما قيل ثم ذكر له تصانيف فى القرآن (والحديث بالجملة منكر) انكره الذهبي وغيره من العلماء (غير متفق على اسناده) اذ ليس هو فى شئ من الكتب الستة فلا يلتفت اليه وان كان رواه ابو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا عثمان ابن ابى شيبة ثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم الحديث ورواه البيهقى ايضا وفيه الكلام الذى تقدم والله اعلم (والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه) اى خلاف ما توهم من الحديث المذكور وهو كونه استلم الاصنام (عند اهل العلم) اى بالسير (من قوله) بيان لقوله خلافه (بغضت الى الاصنام) بصيغة المجهول اى بغضها الله الى من حال الصغر الى الكبر فانه يخالف ان يقع منه الاستلام للاصنام ولعل الاستلام كناية عن القرب منها وعدم التبعد عنها كما ان بعض المريدين تكلم مع سكران فى طريقه حال توجهه الى بعض المشايخ المكاشفين فقال له اشم منك رائحة الخمر وما ذاك الا لقربه منه وعدم تبعده عنه وبالجملة باب التأويل واسع فهو اولى من الطعن فى الحديث مع انه مشهور شائع (وقوله) اى ومن قوله (فى الحديث الآخر الذى روته ام ايمن) كما رواه ابن سعد عن ابن عباس عنها وهى حاضنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته وام اسامة رضى الله تعالى عنهما (حين كلمه عمه) اى ابو طالب (وآله) اى واقاربه (فى حضور بعض اعيادهم) اى بان يحضرها على وفق مرادهم (وعزموا عليه فيه) اى الحوا وبالغوا (بعد كراهته) يروى كراهيته اى الطبيعية (لذلك) اى المخرج (فخرج معهم) اى كرها (ورجع مرعوبا) اى مخوفا (فقال كلما دنوت منها) اى من الاصنام واحدا بعد واحد من صنم (تمثل لى شخص) يروى رجل (ابيض طويل يصيح بى وراءك) اى الزمه وقبلى

ارجع وراءك والمعنى تأخر وتباعد (لا تمسه) من المساس اى لا تمسكه اولا تقربه (فما شهد) اى فلم يحضر (بعد) اى بعد ذلك (لهم) اى للكفار (عيدا) اى محضر عيد (وقوله) اى ومن قوله (فى قصة بحيرا) بفتح موحدة وكسر مهملة مقصورا وممدودا وقد رواها ابن سعد عن نفيسة بنت منية (حين استحلف) اى بحيرا (النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه) اى بحيرا (بالشام) اى فى قريب منها (فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو) اى النبى عليه السلام (صبى) اى غير بالغ (ورأى) اى بحيرا (فيه علامات النبوة فاختبره بذلك) اى فامتحنه بحيرا بذلك الاستحلاف (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما) اى باللات والعزى (فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما) اى مثل بغضهما (فقال له بحيرا فبالله) اى فاسألك بالله ان لا اقول شيئا (الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه فقال سل عما بدا) بالالف اى ظهر (لك) الحديث (وكذلك المعروف من سيرته عليه الصلوة والسلام وتوفيق الله له) اى فى تحقيق مراعاة شرائع الاحكام (انه كان قبل نبوته يخالف المشركين) اى من قبيلة قريش (فى وقوفهم) اى عشية عرفة (بمزدلفة فى الحج) اى معللين بانهم من خواص الحرم المحترم فلا يخرجون بالكلية من الحرم خلافا لغيرهم حيث كانوا يقفون بعرفة وهذا مبنى قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس وقوله فاذا افضتم من عرفات (فكان يقف هو) اى النبى عليه الصلوة والسلام مخالفا لقومه (بعرفة) اى مراعاة لسابقة شرائع الاحكام (لانه) اى موضع عرفات (كان موقف ابراهيم عليه السلام) بل وموقف سائر الانبياء من آدم وغيره عليه الصلوة والسلام وقد بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة والله تعالى اعلم

﴿ فصل ﴾

(قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف (قد بان) اى ظهر (بما قدمناه عقود الانبياء) اى ما عقد عليه قلوبهم (فى التوحيد والايمان) اى الاجمالى قبل الوحى والتفصيلى بعده (والوحى) اى الجلى والخفى (وعصمتهم فى ذلك) اى عما ينافى ما هنالك (على ما بيناه) اى فيما قررناه وحررناه (فاما ما عدا هذا الباب) بالنصب او الجر اى غير باب التوحيد وما يتعلق به من التفريد (من عقود قلوبهم) اى ثبوتها ورسوخها (فجماعها) بكسر الجيم اى ما اجمع عليه او جملتها (انها) اى قلوبهم (مملوءة علما ويقينا) اى مقرونين (على الجملة) اى من غير تفصيل فى المسئلة (وانها) اى قلوبهم (قد احتوت) اى اشتملت (من المعرفة) اى فى الجزئيات (والعلم) فى الكليات (بامور الدين) اى جميعها (والدنيا) مما يحتاج اليه (ما لا شئ فوقه) اى شيئا لا مزيد عليه (ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث) اى اهتم بالآثار (وتأمل ما قلناه وجده) اى مطابقا لما ذكرناه (وقد قدمنا منه فى حق نبينا عليه الصلوة والسلام فى الباب الرابع اول قسم) اى فى اول قسم (من هذا الكتاب) اى فى فصل ذكر معجزاته فى اواخر القسم الاول (ما ينبه على ما وراءه) اى من فصل الخطاب (الا ان) اى لكن (احوالهم فى هذه المعارف تختلف) اى بحسب اختلاف متعلقاتها (فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط فى حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها) كما توهمت الشيعة فانه يرده قول الهدهد لسليمان عليه الصلوة والسلام احطت بما لم تحط به (او اعتقادها) اى او من عدم اعتقادهم اياها (على خلاف ما هى عليه) اى على خلاف حقيقتها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصارى وهم يؤبرون النخل لا عليكم ان لا تفعلوا فتركوا تأبيره فلم يلقح منه ذلك الاقليل فقال انتم اعرف بدنياكم وكذا رجوعه الى رأى الحباب بن المنذر ببدر على ماءٍ (ولا وصم) بسكون الصاد المهملة اى لا عيب لهم ولا عتب (عليهم اذ هممهم) اى توجههم وعزيمتهم وفى نسخة هممهم (متعلقة بالآخرة وانبائها) اى اخبارها من احوالها واهوالها (وامر الشريعة وقوانينها) اى ضوابطها الكلية المشتملة على المسائل الجزئية (وامور الدنيا) اى باعتبار توجه الهمة اليها مبتدأ خبره (تضادها) كتضاد الضرتين والكفتين وقد ورد من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى (بخلاف غيرهم) اى غير الانبياء واتباعهم وهم العلماء والاولياء (من اهل الدنيا) كالكفار والفجار (الذى) قال الله فيهم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) اى لا باطنها من انها تعبر ولا تعمر (وهم عن الآخرة هم غافلون) اى مع انهم فى امر دنياهم عاقلون (كما سنبين هذا فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولكنه) اى الشان (لا يقال) اى مع هذا (انهم) اى الانبياء (لا يعلمون شيئا من امر الدنيا) اى على وجه الاطلاق (فان ذلك يؤدى الى الغفلة) اى الى نسبة الغفلة (والبله) بفتحتين اى البلاهة المنافية لكمال العقل والفطانة فقيل الابله الذى لا عقل له وقيل الابله الكثير الغفلة ويقال الابله ايضا للذى طبع على الخير فهو غافل عن الشر وعليه الحديث اكثر اهل الجنة البله (وهم المنزهون عنه) اى عن مثل ذلك فانهم الكاملون المكملون فيما هنالك (بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا) اى لينبهوهم من غفلتهم ويمنعوهم عن بلاهتهم (وقلدوا) بصيغة المجهول اى وتقلدوا (سياستهم) اى محافظتهم عما يضرهم (وهدايتهم) اى دلالتهم الى ما ينفعهم (والنظر فى مصالح دينهم) يروى صلاح دينهم (ودنياهم) اى المرتبطة

﴿ بامور ﴾

بامور اخراهم (وهذا) اى ماذكر (لايكون) اى لايتصور (مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية) ثم فليتكون
علم ببعضها العسم التفاتهم اليها فى الامور الجزئية (واحوال الانبياء وسيرهم) اى عند العلماء (فى هذا الباب معلومة)
وفى الكتب مسطورة (ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واماان كان هذا العقد) اى عقد قلوبهم (مما يتعلق) يروى فيما يتعلق
(بالدين) اى بامور (فلا يصح من النبى الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة) اى باسرها (لانه لايخلو) اى من احد
امرين (ان يكون) اى النبى عليه السلام (حصل عنده ذلك) اى العلم (عن وحى من الله فهو ما لايصح الشك منه) اى
من النبى عليه السلام (فيه على ماقدمناه) من انه لايصح منه الا العلم بما اوحى (فكيف الجهل) اى فكيف يصح الجهل
منه به (بل حصل له علم اليقين او يكون) اى اوان يكون النبى (فعل ذلك) وفى نسخة عقد ذلك (باجتهاده فيما لم ينزل
عليه فيه شئ) بصيغة المفعول او الفاعل (على القول) اى قول بعض العلماء (بتجويز وقوع الاجتهاد منه) اى من النبى
(فى ذلك) اى فيما لم ينزل عليه فيه شئ وهو الحق المبنى (على قول المحققين) اى من علماء الدين وكبراء المجتهدين (وعلى
مقتضى حديث ام سلمة) ام المؤمنين (انى انما اقضى بينكم برأيى) اى احيانا (فيما لم ينزل على فيه شئ خرجه) اى خرج
حديث ام سلمة (الثقات) اى من الرواة كابى داود (وكقصة اسرى بدر) وهى معروفة وسيأتى بيانها وقد نزل فيها ما كان
لنبى ان تكون له اسرى حتى يثخن فى الارض (والاذن للمتخلفين) اى من المنافقين عن غزوة تبوك حيث نزل فيها
عفا الله عنك لم اذنت لهم (على رأى بعضهم) اى بان ما صدر عنه كان باجتهاد منه وقيل لايجوز له الاجتهاد بالرأى
المبنى على الظن لقدرته على علم اليقين بالوحى بانتظاره ورد بان انزال الوحى ليس فى قدرته وتحت اختياره مع انه
قال تعالى لتبين للناس مانزل اليهم (فلا يكون ايضا مايعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا) اى وصدقا (وصحيحا) اى
صريحا (هذا هو الحق الذى لايلتفت) اى معه (الى خلاف من خالف فيه) اى ممن اجاز عليه الخطأ فى الاجتهاد
كما فى نسخة فقال بمنع اجتهاده مطلقا او بمنعه فى غير الاسرى والحروب وجوازه فيهما بل اجتهاده حق وصواب
فيما لم ينزل عليه فيه شئ (لا على القول بتصويب المجتهدين) فيما لاقاطع فيه من مسائل الفروع (الذى هو الحق
والصواب عندنا) اى على ماذهب اليه الاشعرى والباقلانى ومختار ابى يوسف ومحمد وابن شريح بان كل مجتهد
مصيب (ولا على القول الآخر) وهو مذهب الجمهور (بان الحق فى طرف واحد) وان مصيبه من المجتهدين
فى كل مسئلة واحد مكلف باصابته لقيام امارة عليه واشارة اليه فان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد
ولا اثم عليه بخلاف اجتهاد النبى فان الصواب عدم خطأه فى هذا الباب (لعصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
من الخطأ فى الاجتهاد فى الشرعيات) واما القول بانه قد يخطئ وينبه عليه فمما لايلتفت اليه واما ما سبق من عتابه
فى قصة اسرى بدر واذن المتخلفين عن تبوك فمحمول على انه كان خلاف الاولى (ولان القول فى تخطئة المجتهدين)
اى على القول بان المصيب واحد منهم لابعينه (انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى تأمله وتفكره (واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شئ ولم يشرع له قبل) مبنى على الضم اى قبل نظره واجتهاده
وفى نسخة قبل هذا (هذا) اى ماتقدم (فيما عقد عليه) اى النبى كما فى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم قلبه) اى عزم
عليه واستقر لديه (فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية) اى مما يحتاج الى بيان الامر فيه رعاية للرعية
(فقد كان لايعلم منها اولا) اى قبل الوحى والاذن (الا ما علمه الله شيئا شيئا) اى فشيئا على وجه التدريج بحسب ما
يقتضيه الحكم والحكمة من الفعل والترك (حتى استقر علم جملتها) اى اجمالا وتفصيلا ويروى علم جميعها (عنده)
بعد وصوله الى مقام يوجب كمالا وتكميلا (اما بوحى من الله او اذن له ان يشرع فى ذلك) اى فيما ابداه (ويحكم بما اراه الله)
كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله اى وحيا جليا
او الهاما خفيا (وقد كان ينتظر الوحى فى كثير منها) اى من النوازل ولم يبادر الى الاجتهاد فيها ولعله فى اوائل
الكلية لافى المسائل الفرعية المعلومة من القواعد الشرعية (ولكنه لم يمت حتى استفرغ) اى استوفى واستجمع
وفى نسخة استقر اى ثبت واستمر (علم جميعها عنه عليه الصلوة والسلام) كما يدل عليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم (وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك) بصيغة المجهول اى ارتفع التردد (والريب) اى الشبهة
(وانتفى الجهل) اى بان ينسب فى شئ اليه (وبالجملة فلا يصح منه) اى من النبى عليه الصلوة والسلام (الجهل بشئ
من تفاصيل الشرع الذى امر بالدعوة اليه اذ لاتصح دعوته الى ما لايعلمه) اى الى ما لاعلم به لديه صلى الله عليه وسلم
(واما ما تعلق بعقده) اى بجزم قلبه فى معرفة ربه (من ملكوت السموات والارض) اى ظواهرهما وبواطنهما
(وخلق الله تعالى) اى وسائر مخلوقاته العلوية والسفلية (وتعيين اسمائه الحسنى) اى المشتملة على نعوت الجمال
وصفات الجلال كما يقتضيه ذات الكمال (وآياته الكبرى) اى العظمى من عجائب مخلوقاته وغرائب مصنوعاته

(وامور الآخرة) من نشر وحشر وشدائد احوالها ومكايد اهوالها (واشراط الساعة) اى علاماتها من قطيعة الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وكثرة الظلم من الانام (واحوال السعداء) فى جنة النعيم (والاشقياء) فى محنة الجحيم (وعلم ما كان) فى بدء الامر (وما يكون مما لم يعلمه) ويروى فيما لا يعلمه (الا بوحى على ما تقدم) جواب اما اى محمول على ما سبق (من انه معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم به) بصيغة المجهول (منه شك) اى تردد (ولا ريب) اى شبهة لقوله تعالى فلا تكونن من الممترين (بل هو فيه على غاية اليقين) فى طريق الدين المبين (لكنه) اى الشان او النبى عليه الصلوة والسلام (لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك) بل ربما يقال انه لا يتصور له الاستقصاء بما هنالك (وان كان عنده من علم ذلك) اى بعضه مما حكم له فى الصدر (ما ليس عند جميع البشر) اى افرادا وجمعا (لقوله) اى النبى (عليه الصلوة والسلام) فيما رواه البيهقى (انى لا اعلم الا ما علمنى ربى ولقوله) فيما رواه الشيخان عنه عليه الصلوة والسلام حكاية عن ربه اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت (ولا خطر على قلب بشر) بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم) بصيغة المفعول وقرأ حمزة بصيغة المتكلم (من قرة اعين) اى مما تلتذ به وبله اسم فعل بمعنى دع واترك (وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمن) وفى قرأة باثبات الياء (مما علمت رشدا) وقرأ ابو عمرو بفتحهما اى علما ذا رشد وفيه ان المفضول قد يتميز بشئ لم يكن عند من هو افضل منه كما يشهد له قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه الديلمى عن انس رضى الله تعالى عنه (اسألك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله) فيما رواه احمد (اسألك بكل اسم هو لك) اى خاصة (سميت به نفسك او استأثرت به) اى انفردت بعلمه عن غيرك ويروى واستأثرت به (فى علم الغيب عندك) قيل اسماء الله اربعة آلاف اسم الف استأثر بها والف اعلمها الملائكة والف اعلمها الانبياء والف فى الكتب المنزلة منها تسعة وتسعون فى القرآن وواحد فى صحف ابراهيم وثلثمائة فى التورية ومثلها فى الزبور ومثلها فى الانجيل (وقد قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم) اى من هو اعلم منه (قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله تعالى) اوفوق العلماء كلهم من هو اعلم منهم وهو الحكيم العليم (وهذا مما لا خفاء به اذ معلوماته لا يحاط بها) وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وقال ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء (ولا منتهى لها) اى لمعلوماته سبحانه وتعالى ازلا وابدا فلا يتصور ان يحيط به علم البشر (هذا) اى ما ذكر (حكم عقد النبى) اى جزم قلبه (فى التوحيد) اى فى توحيد ربه (والشرع) اى المكلف به من امره ونهيه (والمعارف الالهية) اى لاسرار الربانية (والامور الدينية) اى والانوار المتبعة عن الاحوال الدينية والافعال الاخروية

﴿وصل﴾

(واعلم ان الامة مجمعة) وفى نسخة مجتمعة (على عصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حفظه وحمايته (من الشيطان) لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (وكفايته) اى وعلى كفاية الله له وفى نسخة وحراسته (منه) اى من ضرره الظاهرى والباطنى كما بينه بقوله (لا فى جسمه) اى ظاهر جسده (بانواع الاذى) كالجنون والاغماء (ولا على خاطره بالوساوس) اى على وجه الالقاء وفى نسخة بالوسواس اى بجنسه الذى يوسوس فى صدور سائر الناس (وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو على) اى ابن سكرة (رحمه الله قال ثنا ابو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف (العدل) اى الثقة (ثنا ابو بكر البرقانى) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام احد الاعلام احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمى الشافعى شيخ بغداد (ثنا ابو الحسن الدارقطنى) وهو شيخ الاسلام والدار قطن محلة ببغداد (ثنا اسمعيل الصفار) بتشديد الفاء (ثنا عباس) بالموحدة والسين المهملة (الترقفى) بفتح المثناة فوق ثم راء ساكنة ثم قاف مضمومة ثم فاء مكسورة ثم ياء النسبة ثقة متعبدا خرج له ابن ماجة (ثنا محمد بن يوسف) هذا هو الفريابى وعاش اثنين وتسعين سنة (ثنا سفيان) اى الثورى على ما هو الظاهر (عن منصور) هو ابن المعتمر (عن سالم بن ابى الجعد) الاشجعى الكوفى يروى عن عمر وعايشة مرسلا وعن ابن عباس وابن عمرو وعنه الاعمش وجماعة ثقة (عن مسروق) اى ابن الاجدع الهمدانى احد الاعلام يروى عن ابى بكر وعمر ومعاذ ومعاوية قال الشعبى وكان اعلم بالفتيا من قريش وقال ابو اسحق حج مسروق فما نام الا ساجدا وقالت امرأة مسروق كان يصلى حتى تورم قدماه اخرج له الائمة الستة (عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما منكم من احد) من زائدة مؤكدة (الا وقد وكل) وفى نسخة الا وكل وهو بصيغة المجهول وفى نسخة الا وكل الله (به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) وفى رواية من الملك (قالوا واياك يا رسول الله) اى او انت وكل بك قرينك من الجن (قال واياى) اى وقد وكل بى قرينى (ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم) بفتح الميم اى انقاد وقيل آمن وفى نسخة بضمها اى اسلم من شره (زاد غيره) اى

غير سفيان احد رواته (عن منصور فلا) و يروى ولا (يأمرني لا بخير) هذا الحديث اخرجه المصنف كما ترى من حديث مسروق عن ابن مسعود والحديث في مسلم لكن من حديث سالم بن ابي الجعد عن ابيه عن ابن مسعود وانما كرر اخراجه من هذه الطرق دون طريق مسلم لما فيها من العلو مع صحة الاسناد كذا ذكره الحلبي وقال الدلجي هذا الحديث في البخاري ولعله بسند آخر والله تعالى اعلم (وعن عائشة بمعناه) لا يعرف مخرج معناه وروى في الباب ايضا عن ابن عباس بسند اجود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس منكم احد الا وقد وكل به قرينه من الشياطين قالوا وانت يا رسول الله قال نعم ولكن الله اعانني عليه فاسلم (وروى فاسلم بضم الميم) اى وفتح همزة المتكلم من السلامة (اى فاسلم انا منه) اى فاخلص (وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها) اى من جهة الدراية وممن صححها سفيان بن عيينة فانه زعم ان الشيطان لا يسلم كما نقله الغزالي في الاحياء (وروى فاستسلم) اى بصيغة الماضي المعلوم (يعني القرين انه انتقل من حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر) كرواية البخاري (الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث) اى بناء على الفعل الماضي مع انه يحتمل ان يكون معناه انقاد واستسلم و يؤيده رواية المتكلم (وروى بعضهم فاستسلم) اى اذعن وانقاد وقد ذكر ابن الاثير رواية فاسلم بفتح الميم ورواية فاسلم بضم الميم ورواية حتى اسلم اى انقاد كذا لفظه ثم قال و يشهد للاول يعني رواية فتح الميم الحديث الآخر كان شيطان آدم كافرا وشيطاني مسلما (قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه) يعني المصنف (فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط) اى باعتبار جنسه (على بني آدم) وفي نسخة على كل احد من بني آدم (فكيف) اى الظن (بمن بعد) اى من شياطين الجن (عنه) اى عن النبي عليه الصلوة والسلام و يروى منه (ولم يلزم صحبته ولا اقدر) بصيغة المجهول اى مكن ولا جعل له قدرة (من الدنو منه) اى القرب من حضوره والمعنى ايقع في وهم انه عليه الصلوة والسلام لا يسلم منه لا بل الاولى ان يسلم بدليل انه لم يكن له عليه كغيره من النبيين سلطان (وقد جاءت الآثار بتصدي الشيطان) اى بتعرضه (له في كل موطن) اى من الصلوة وغيرها وفي نسخة في غير موطن اى في مواطن كثيرة (رغبة) اى لاجل الميل والتوجه (في اطفاء نوره) و يأبى الله الا ان يتم نوره (وامانة نفسه) اى اهلاك ذاته واعدام صفاته (وادخال شغل) بضم فسكون و بضمتين و بفتح فسكون اى اشتغال بال (عليه اذ يئسوا) اى جنس الشيطان (من اغوائه) اى اضلاله وافساد امره (فانقلبوا خاسرين) اى فرجعوا خائبين خاسئين ذليلين صاغرين (كتعرضه) اى الشيطان (له في صلوته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره) اى استولى عليه وقهره و يروى فاسره (في الصحاح) اى البخاري ومسلم وغيرهما (قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه عليه السلام) اى مرفوعا (ان الشيطان عرض لي) اى ظهر (قال عبد الرزاق) اى الصنعاني زيادة على ما في الصحيحين (في صورة هر) لما اوتوه من قوة التشكل كالملائكة الا ان الملك لا يتصور الا بشكل حسن بخلاف الشيطان (فشد) بتشديد الدال اى حمل (على ليقطع على الصلوة) حال او استيناف وابعد الدلجي في قوله حذفت لام العلة منه للعلم بها وهو مأول بمصدر (فامكنني الله منه) اى فاقدرني من اخذه واسره وقواني على قهره (فذعته) بدال معجمة وقيل مهملة قال النووي وانكر الخطابي المهملة وصححها غيره وصوبه وان كانت المعجمة اوضح واشهر انتهى وعند ابن الحذاء في حديث ابن ابي شيبة فدعته بدال وغين معجمتين وفتح عين مهملة مخففة وتشديد فوقية اى خنقته خنقا شديدا او دفعته دفعا عنيفا او معكته في التراب كالغط في الماء وفي رواية ابن ابي الدنيا عن الشعبي مرسلا اتاني شيطاني فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة اخي سليمان اصبح طريحا في المسجد (ولقد هممت) اى قصدت (ان اوثقه) اى اربطه (الى سارية) اى اسطوانة وفي رواية بسارية من سواري المسجد (حتى تصبحوا) اى تدخلوا في الصباح او تصيروا (تنظرون) وفي نسخة ناظرين (اليه فذكرت) اى فتذكرت (قول اخي) اى في النبوة (سليمان) اى ابن داود وفي رواية دعوة اخي سليمان اى دعاءه (رب اغفر لي) قدم طلب المغفرة فانه الامر الديني على المطلب الدنيوي المشار اليه بقوله (وهب لي ملكا الآية) اى لا ينبغي لاحد من بعدي اى لا يتسهل او لا يصح او لا يكون لاحد غيري لتكون معجزة مختصة بي (فرده الله خاسئا) اى خائبا خاسرا قال المصنف في شرح مسلم كما نقله عنه النووي انه مختص بهذا فامتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من ربطه اما لانه لم يقدر عليه لذلك واما لانه لما تذكر ذلك لم يتعاط ذلك لظنه انه لا يقدر عليه او تواضعا وتأدبا انتهى او ايماء لكونه معجزة مختصة به (وفي حديث ابي الدرداء) وهو عمير وقيل اسمه عامر ولقبه عويمر واختلف في اسم ابيه على سبعة اقوال و بنته الدرداء روى عنه ابنه بلال وزوجته ام الدرداء توفي بدمشق سنة احدى وثلثين وهذا اسلم عقيب بدر الا انه فرض له عمر والحقه بالبدريين لجلالته (عنه عليه الصلوة والسلام) فيما رواه مسلم (ان) بفتح الهمزة و يجوز كسرها (عدو الله ابليس جاءني بشهاب) اى بشعلة مضيئة مقتبسة (من نار ليجعله في وجهي) اى ليحرقه

(والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الصلوة) جملة حالية معترضة بين ما رواه ابو الدرداء من لفظه صلى الله عليه وسلم
و بين ما ذكره بمعناه لبيان وقت مجيء عدو الله الى حبيب الله (وذكر) اى ابو الدرداء (تعوذه بالله ولعنه له) بلفظ
اعوذ بالله منك العنك بلعنة الله تعالى وقوله عليه الصلوة والسلام (ثم اردت اخذه وذكر) اى ابو الدرداء (نحوه)
اى نحو حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من قوله ولقد هممت ان اوثقه (وقال لاصبح موثقا) بفتح المثلثة اى
مقيدا (يتلاعب به ولدان اهل المدينة) اى صبيانهم وصغارهم (وكذلك) اى وكما في حديث ابي الدرداء (في حديثه)
فيما رواه البيهقي عن عبد الرحمن بن حبش (في الاسراء) اى الى بيت المقدس والسماء (وطلب عفريت له) برفع طلب
مضافا وفي نسخة بجره اى طلب خبيث متمرد بمعنى اقرانه اى يصرعهم ويفزعهم ويمرغهم في التراب ويهلكهم
(بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه وذكره) اى هذا الحديث (في الموطأ) بهمزة اوالف وهو كتاب
للامام مالك وفي حديث البخاري ان عفريتا تفلت على البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته
فذعته ولولا دعوة اخي سليمان لربطته بسارية من سواري المسجد فاصبح يلعب به ولدان المدينة (ولما لم يقدر)
اى عدو الله (على اذاه بمباشرته) اى اياه (تسبب بالتوسط الى عداه) بكسر العين وهو اسم جمع اى اعدائه من كفار
قريش وغيرهم (كقضيته مع قريش في الائتمار) اى التشاور (بقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتصوره)
اى ابليس (في صورة الشيخ النجدي) وانما انتسب اللعين بذلك لانهم قالوا لاتدخلوا معكم احدا من اهل تهامة فان هو
اهم مع محمد عليه الصلوة والسلام ومجمل القصة انه جاءهم وهم بدار الندوة بمكة وقد بلغهم اسلام الانصار من
اهل المدينة في العقبة فجزعوا ولدفعه اجتمعوا فدخل عليهم وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا مني رأيا
ونصحا لكم فقال ابو البختري ارى ان تحبسوه في مكان وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها
فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه منكم فقال هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل
فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم فقال ابو جهل ارى ان تأخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فاذا طلبوا عقله اى ديته عقلناه فقال صدق الفتى فتفرقوا على رأيه فاخبره جبريل بذلك وامره
ان لا يبيت في مضجعه واذن له بالهجرة الى المدينة فخرج واخذ قبضة من تراب وجعل ينثره على رؤسهم ويقرأ
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر
الى آخر القصة فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
(ومرة اخرى) اى وكتصوره (في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك) وهو ابن جعشم الكناني على ما رواه ابن
ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الآية) يعني وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم اى مجيركم من بني كنانة فانكم لاتغلبون ولا تطافون لكثرتكم عددا وعددا
واوهمهم ان لهم الغلبة ابدا حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الملتين فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
اى رجع القهقرى وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين تريد ان تخذلنا افرارا من غير قتال فدفع
في صدر الحارث وقال اني برئ منكم اني ارى ما لاترون اني اخاف الله وانطلق متبرئا من افعالهم ويائسا من احوالهم
لما رأى من امداد الله تعالى المؤمنين بالملائكة الدال على ان لهم النصرة والغلبة فان هزم الكفرة فقيل هزم الناس
سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني خبر هزيمتكم فلم يعلموا انه الشيطان حتى اسلم بعضهم (ومرة) اى
وتصوره كرة اخرى (ينذر بشأنه) اى يخبر بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم ليخوف الناس منه ويحذرهم عنه
(عند بيعة العقبة) اى عقبة منى السفلى ليلة بايع الانصار على انه ان اتاهم آووه ونصروه ودفعوا عنه كما يحمي الرجل
عن حريمه قال الامام ابو الليث في تفسيره وقدمها جرالیهم بعد هذا بحولين (وكل هذا) اى وجميع ما ذكر (فقد كفاه الله
امره وعصمه) اى حفظه ومنعه (ضره) بفتح اوله وضمه (وشره) ويروى من ضره وشره (وقد قال عليه السلام)
اى فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (ان عيسى عليه الصلوة والسلام كفى) بصيغة المجهول اى
وقى (من لمسه) اى جسه وحسه (فجاء) الفاء للتعريب فلما قصد (ليطعن) بفتح العين ويضم اى ليضرب (بيده
في خاصرته) اى جنبه (حين ولد) اى حين خرج من بطن امه (فطعن في الحجاب) اى المشيمة وهي الغشاء الذي يكون
الجنين في داخله وقيل حجاب بين الشيطان وبين مريم والله اعلم والظاهر ان عيسى عليه السلام مختص بهذا الاكرام
خلافا لما ذكره الدلجي من تعميم الانبياء في هذا المرام ففي حديث البخاري وغيره ما من مولود يولد الا ويمسه الشيطان
حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها وذلك لدعاء جدته ربها اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وقال

عليه الصلوة والسلام) فيما رواه الشيخان عن عايشة (حين لدفى مرضه) بضم اللام وتشديد الدال اى سقى دواه من احدشق فمه بغيراذنه لعسيانه وظن انه اصابه وجع فى جنبه وذلك يوم الاحدوتوفى يوم الاثنين الذى يليه مع الزوال فلما افاق قال لايبقى فى البيت احد الالد قال ذلك عقوبة لهم (وقيل له حسبنا ان تكون بك ذات الجنب) وهو علم لدمل كبير وهو قرحة تظهر فى باطن الجنب الايسر وتنفجر الى داخل فلما يسلم صاحبها (فقال)اعاده لطول الفصل (انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على) وضمير انها الى اللدهم له وانثه باعتبار صنعتهم لا كما قال الدلجى باعتبار صدوره مرة واحدة ثم نسبه الى الشيطان لانه كان سبب وسوسته لهم بذلك حتى فعلوا ما لم يأذنهم هالك(فان قيل) اذا كان الله لم يسلطه عليه (فما معنى قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ) اى نازغ وناخس منه (فاستعذ بالله الآية) اى قوله تعالى سميع عليم اى سميع لمقالك وعليم بحالك (فقد قال بعض المفسرين) اى لدفع هذا الاشكال الوارد فى السؤال (انها) اى الآية (راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين) اى المصدر بقوله خذ العفو اى ماسهل من اخلاق الناس من غير كلفة ومشقة حذرا من النفرة عن الحضرة وأمر بالعرف اى المعروف من الفعل الجميل وهذه الآية اجمع مكارم الاخلاق لشهادة قول جبريل له عليهما السلام وقد سأله عنها فقال لا ادرى حتى اسأل ربى ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (ثم قال) اى الله سبحانه وتعالى او بعضهم فى تفسير قوله (واما ينزغنك اى يستخفنك) يعنى يزعجك ويحملك على الخفة ويزيل حلمك (غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم) اى مثلا (فاستعذ بالله)ولا تطع من سواه (وقيل النزغ هنا الفساد كما قال) اى الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لابيه ومن معه تحدثا بنعمة ربه وجاء بكم من البدو (من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى وقيل ينزغنك) اى معناه (يغرينك) من الاغراء بالغين المعجمة والراء وهو الالزام وفى نسخة يغوينك بالواو من الاغواء (ويحركنك) اى بالقيام فى طلب ما له من المرام (والنزغ ادنى الوسوسة) اى حديث النفس والخطرة التى ليس لها عبرة (فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه) اى مثلا (اورام الشيطان) اى قصد (من اغرائه به) اى تسليطه وفى نسخة من اغوائه اى من اضلاله (وخواطر ادانى وساوسه) اى مقدمات هواجسه (ما لم يجعل) بصيغة المجهول اى لم يقدر الله تعالى (له سبيل اليه) اى بحيث يتسلط عليه (ان يستعيذ منه فيكفى امره) بصيغة المفعول ونصب امره ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل اى فيكفى الله امره ويدفع شره وضره (ويكون) اى استعاذته من وسوسته (سبب تمام عصمته) وظهور حالته عند امته مع افادة تعليمه لاهل ملته (اذلم يسلط عليه باكثر من التعرض له) اى بمجرد وسوسته (ولم يجعل له قدرة عليه) اى لعصمته (وقد قيل فى هذه الآية غير هذا) اى من الاقاويل فى باب التأويل (وكذلك) اى وكعصمته عليه الصلوة والسلام من ابليس ووسوسته (لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك و يلبس) بفتح الياء وكسر الباء او بضم اوله وتشديد الموحدة اى يخلط(عليه) و يشكك فى امره اليه(لا فى اول الرسالة ولا بعدها) اى بالاولى(والاعتماد فى ذلك) اى فى عدم صحة تصور الشيطان له فى صورة الملك (دليل المعجزة) فانما هى للتثبيت له بالعصمة والتأييد له بالحكمة وتوضيحه انه لما كانت المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدى لمدعى النبوة فمحال ان يجد الشيطان اليه سبيلا بالغلبة (بل يشك النبى) اى من الانبياء (ان ما يأتيه من الملك ورسوله) اى انه هو المرسل اليه يوحيه لديه وفى نسخة على يديه (حقيقة) اى من غير تردد فيه (اما بعلم ضرورى يخلقه الله تعالى له) اى فيعتمد عليه (او ببرهان يظهره لديه) وفى نسخة على يديه (لتتم كلمة ربك) اى ايها المخاطب بالخطاب العام وفيه ايماء الى ما فى التنزيل من قوله وتمت كلمة ربك(صدقا) فى الاخبار والاعلام (وعدلا فى الاحكام نصبهما على التمييز اوالحالية لا كما قال الدلجى على المفعولية (لا مبدل لكلماته) ولا محول لارادته (فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) هذا صريح فى الفرق بينهما والاظهر ان الرسول من اوحى اليه وامر بالدعوة والنبى اعم والله تعالى اعلم (الا اذا تمنى) اى قرأ وتلا (القى الشيطان فى امنيته) اى تلاوته وقراءته بما يشغله به عن استغراقه فى بحور العوارف واشتماله بكنوز المعارف (الآية) يعنى فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يبطله ويزيله ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان الآية (فاعلم ان للناس فى معنى هذه الآية اقاويل) اى كثيرة شهيرة (منها) اى من تلك الاقاويل (السهل) اى الهين المقبول (والوعر) اى الصعب الوصول وفى نسخة صحيحة بدله والوعث بسكون العين و يكسر وبالمثلثة الطريق العسير ومنه ما ورد اللهم انى اعوذبك من وعثاء السفر اى شدائد مشقته (والسمين) اى الكلام المتين القوى (والغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة اى المهزول الضعيف الردى (واولى ما يقال فيها) اى فى الآية (ما عليه الجمهور من المفسرين) كما ذكره البغوى ايضا (ان التمنى ههنا التلاوة) يقال تمنيته اذا قرأته

وفي مرثية عثمان رضي الله تعالى عنه تمنى كتاب الله اوليله * وآخره لاقى حمام المقادر * (والقاء الشيطان فيها)
اي في تلاوته (شغله) بفتح اوله وضمه وفي نسخة اشغاله اي شغل الشيطان اياه (بخواطر) اي ردية (واذكار
من امور الدنيا) اي الدنية (للتالي) اي للقارئ من النبي فضلا عن غيره (حتى يدخل عليه) من الادخال اي يوصل
اليه الشيطان او شغله اياه (الوهم) اي السهو والخطأ (والنسيان فيما تلاه) اي فيما قرأه من جهة مبناه
او طريق معناه (او يدخل غير ذلك في) وفي نسخة على (افهام السامعين من التحريف) في لفظ التنزيل ومبناه
(وسوء التأويل) اي في معناه (ما يزيله الله تعالى وينسخه) اي يدفعه ويرفعه (ويكشف لبسه) بفتح اوله اي ويبين
خلطه ويظهر غلطه (ويحكم آياته) اي ويثبت بناءه (وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد) اي بعد ذلك في فصل
(باشبع من هذا) اي ابسط واوسع (ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي) اي الامام ابو الليث الحنفي (انكار
قول من قال بتسلط الشيطان) ويروى بتسليط الشيطان (على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح)
يعني فاذا كان لا يصح تسلط الشيطان على ملك سليمان من الامور الدنيوية فالاحرى ان لا يصح له التسلط على
الانبياء فيما يتعلق بالامر الديني والاخروي (وقد ذكرنا) اي وسنذكر (قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال) اي
ونذكر من قال في تأويله (ان الجسد) اي في قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا (هو الولد الذي ولد له) اي ناقصا
جاءت به احدى نسائه فالقته القابلة على كرسيه وذلك حين قال لاطوفن الليلة على نسائي كلهن الحديث (وقال ابو محمد
مكي في قصة ايوب وقوله) اي وفي قوله اي الله سبحانه وتعالى حكاية عنه (اني مسني الشيطان بنصب) بضم وسكون
وقرأ يعقوب بفتحهما اي بتعب (وعذاب) زيد في نسخة اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (انه) اي الشان
(لا يجوز لاحد ان يتأول) اي الآية برأيه ويزعم (ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه) لعدم قدرته على
ذلك ولو قدر عليه لم يدع صالحا الا نكبه هنالك (ولا يكون ذلك) اي ما اصابه من المرض والضر العرض
(الا بفعل الله تعالى وامره ليبتليهم) اي ليمتحنهم كما ورد اشد الناس بلاء الانبياء (ويثبتهم) من التثبيت او الاثبات
اي يؤيدهم بالعصمة ويقويهم بالحكمة وفي نسخة ويثيبهم من الاثابة اي ويجازيهم على بلائهم ثوابا جزيلا وثناء
جميلا واسناد المس الى الشيطان مجاز مراعاة للادب في تعظيم الرب اقتداء بابراهيم حيث قال واذا مرضت فهو يشفين
حيث لم يقل امرضني مع ان ايوب عليه السلام ما حكى مجرد ضرر المرض بل شكا ما حصل له من نصب وعذاب كان
الشيطان لهما من الاسباب فقد روي ان ابليس اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم
والجمال على مركب ليس من مراكب الناس كالخيل والبغال فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم
قال لها هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني
فاغضبني فانت لو سجدت لي سجدة واحدة رددت عليك المال والاولاد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما
قال لها قال قد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك فعند ذلك قال مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه
اياها الى الكفر بالله سبحانه وتعالى قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه به الشيطان ما وسوس به الى اهله (فان قلت
فما معنى قوله تعالى) اي حكاية (عن يوشع) غير منصرف للعلمية والعجمة وهو ابن نون (وما انسانيه) بكسر الهاء وضمها
لحفص (الا الشيطان) اي ان اذكره (وقوله) اي وما معنى قوله تعالى (عن يوسف عليه السلام) اي في حقه (فانساه
الشيطان ذكر ربه) بان وسوس له بخواطر مما يوريه ان يكل امره الى غير ربه مستعينا به في خلاصه من السجن وتعبه
لحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة في
كشف الشدائد والضراء وان جازت في الجملة الا انها غير لائقة بالانبياء والكمل من الاولياء (وقول نبينا عليه
الصلوة والسلام) اي وما معنى قوله كما في رواية مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (حين نام عن الصلوة) اي
صلوة الفجر (يوم الوادي) اي الذي امر بلالا ان يكلأ له فيه الفجر فغلبه النوم حتى مسهم حر الشمس (ان هذا
واد به شيطان) ارتحلوا ثم قضى صلوة الصبح بعد ارتحالهم منه وهو مؤذن بجواز تأخير الفائتة بعذر فهو مخصص
لعموم حديث البخاري من فاتته صلوة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك (وقول موسى عليه السلام)
اي وما معناه (في وكزه) اي القبطي وهو ضربه في صدره بجمع كفه الذي صار سبب قتله (هذا من عمل الشيطان)
اي لصدوره منه قبل ان يؤذن له في ضربه او قتله وجعله من عمل الشيطان وتسميته ظلما واستغفاره منه جار على
كرم عادة الانبياء من استعظام ما تركه اولى من الاشياء (فاعلم ان هذا الكلام) اي منهم عليهم السلام (قد يرد
في جميع هذا) اي مما حكي عنهم (موردا مستمرا) بالنصب وفي نسخة على مورد مستمر (كلام العرب) اي مجرى دأبهم
ومطرد عاداتهم (في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله) لقبح منظره وسوء فعله في طباع الناس

لاعتقادهم انه شر محض لاخير فيه (كما قال تعالى) فى مذمة شجرة الزقوم (طلعها) اى ثمرها (كانه رؤس الشياطين) لتناهى قبحه وهول منظره وهو تشبيه تخييلى كتشبيه الفائق فى حسن عظيم بملك كريم قال تعالى ان هذا الا ملك كريم (وقال) اى وكما قال (صلى الله تعالى عليه وسلم) على مارواه الشيخان فيمن يريد ان يمر بين يدي المصلى واول الحديث اذا صلى احدكم الى شئ يستره فاراد احد ان يجتاز بين يديه فليدفعه فان ابى (فليقاتله فانما هو شيطان) اى انسى او جنى شبهه به تقبيحا لمروره بين يديه لمشابهة فعله فى قبح امره لشغل خاطره واذهاب خشوعه وخضوعه به (وايضا) مصدر من آض اذا رجع اى ونرجع ونقول (فان قول يوشع) لموسى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره (لايلزمنا الجواب عنه) وفى نسخة عليه (اذ لم يثبت له فى ذلك الوقت) اى وقت كونه فى خدمة موسى (نبوة مع موسى) بل يظهر فيه انه لم يكن نبيا وانه كان تابعا لملازمته (قال تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروى انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبل موته) ويروى قبل موته اى موت موسى نعم يلزم الجواب عنه لمن قال بعصمة الانبياء قبل النبوة وبعدها اذ لاسبيل للشيطان عليهم مطلقا وقد يقال نسبه للشيطان هضما لنفسه وتأدبا مع ربه (وقول موسى) اى فى حال وكزه القبطى هذا من عمل الشيطان (كان قبل نبوته بدليل القرآن) فانه يدل على ان قتله كان قبل هجرته الى مدين اذ وقع سببا لها وقد روى انه لما قضى الاجل مكث بعده عند صهره شعيب عشرا اخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر واتفق له ذلك السفر وارساله كان بعد رجوعه من مدين الى فرعون وفيه انه لم يحتمل انه كان نبيا ولم يكن رسولا لقوله تعالى قبل هذه القصة ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ودخل المدينة الآية (وقصة يوسف) اى وهو فى السجن (قد ذكر) ويروى قد ذكرنا (انها كانت) اى كلها كما فى نسخة (قبل نبوته) اى على قول بعضهم والا فقد قال بعضهم انه نبئ فى الجب بدليل قوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لايشعرون ثم رسالته كانت متأخرة (وقد قال المفسرون فى قوله انساه الشيطان) اى ذكر ربه بعد قول يوسف له اذكرنى عند ربك (قولين) اى تأويلين (احدهما ان الذى انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبى السجن) وهو الشرابى (وربه) اى وسيده (الملك) بكسر اللام (اى انساه) اى الشيطان الشرابى (ان يذكر) من الذكر او التذكير والاول اوفق بقوله اذكرنى (للملك) وفى نسخة الملك (شان يوسف عليه السلام) اى لينجيه من السجن ومافيه من تعب المقام ونصب الملام (وايضا فان مثل هذا) اى الانساء (من فعل الشيطان ليس فيه تسلط) اى بالاغواء (على يوسف عليه الصلوة والسلام) اى ولو كان حينئذ من الانبياء (ويوشع) اى وعليه وهو ولد ولده (بوساوس) ويروى بوسواس (ونزغ) اى خطر من هواجس (وانما هو) اى فعل الشيطان (بشغل خواطرهما) اى بسببه وفى نسخة بصيغة المضارع وفى اخرى شغل بصيغة المصدر وفى اخرى اشتغال خواطرهما (بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ماينسيهما ما نسيا واما قوله عليه الصلوة والسلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته بل ان كان بمقتضى ظاهره) اى سببا لغفلته (فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله) فى رواية مالك والبيهقى عن زيد بن اسلم (ان الشيطان اتى بلالا) اى حين قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اكلأ لنا الفجر اى احفظ وقته (فلم يزل يهدئه) بضم الياء وكسر الدال بالهمز من الاهداء او التهدية اى يسكنه عن الحركة (كما يهدأ الصبى) بصيغة المجهول بان يضرب عليه بالكف على وجه اللطف لينام من غير العنف (حتى نام) اى بلال فلم يستيقظ حتى ضربهم حر الشمس فقال ماهذا يابلال فقال اخذ بنفسى الذى اخذ بنفسك يارسول الله (فاعلم ان تسلط الشيطان فى ذلك الوادى الذى عرس به) بتشديد الراء اى نزل به فى الليل او آخره هو واصحابه حين قفلوا من غزوهم اى رجعوا (انما كان) اى فى الجملة (على بلال الموكل بكلاءة الفجر) بكسر الكاف وفتح اللام ممدودة وفى نسخة بكلائه الفجر اى حراسته ليخبرهم بطلوع الفجر ووقت صلوته (هذا) اى التأويل (ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب نوم عن الصلوة واما ان جعلناه) اى قوله ذلك (تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى وعلة ترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم) كما رواه مالك والبيهقى (فلا اعتراض به فى هذا الباب لبيانه) اى بيان حديثهما (وارتفاع اشكاله) على منهج الصواب

﴿وصل﴾

(واما قوله عليه الصلوة والسلام فقامت) ويروى فقد قامت (الدلالة) اى جنس الدلالات (اللائحة) وفى نسخة صحيحة الدلائل الواضحة (بصحة المعجزة على صدقه) من الآيات الساطعة والبينات القاطعة كانشقاق القمر وغيره من خوارق العادة (واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ) اى تبليغ الشرائع والاحكام من الله الملك العلام لسائر الانام (انه معصوم فيه من الاخبار) بكسر الهمزة اى الاعلام (عن شئ منها بخلاف ماهو به) اى من المقصود والمرام والمعنى بخلاف الواقع (لاقصدا) اى سببا (ولا عمدا) اى لا عن سبب (ولا سهوا) اى خطأ (ولا غلطا) اى

نسيانا وفى نسخة لاقصدا اوعمدا ولاسهوا اوغلطا (اما تعمد الخلف) بضم اوله وهو اخلاف الوعد وهو الآتى كالكذب فى الماضى وروى واما تعمده بالخلف (فى ذلك) اى فيما تقدم من امر البلاغ (فمنتف) اى ممتنع عقلا ونقلا (بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق) اى عبدى كما فى نسخة (فيما قال اتفاقا) بين علماء الامة (وباطباق اهل الملة اجماعا) اى فى الجملة (واما وقوعه) اى الخلف (على جهة الغلط فى ذلك فبهذه السبيل) اى فمنتف ايضا بدليل المعجزة المذكورة او بهذه الطريقة المسطورة بعينها (عند الاستاذ) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة (ابى حامد الاسفرايني) بكسر الهمزة وفتح الفاء بلدة بخراسان بنواحى نيسابور وهو امام المتبحرين فى علوم الدين كلاما واصولا وفروعا وابوابا وفصولا توفى بنيسابور يوم عاشوراء سنة ثمانى عشرة واربعمائة (ومن قال بقوله) اى ممن تابعه وشايعه فى انه منتف لصدوره (من جهة الاجماع فقط) لانه حجة قاطعة (وورود الشرع) اى ومنتف ايضا من جهة ورود الكتاب والسنة وفى نسخة وورد الشرع (بانتفاء ذلك الغلط) لقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (وعصمة النبى) اى ومنتف ايضا من جهة عصمته قطعا (لامن مقتضى المعجزة نفسها عند القاضى ابى بكر الباقلانى) بكسر القاف وتشديد اللام وقد تقدم عليه الكلام وهو امام المالكى (ومن وافقه لاختلاف بينهم) اى بين الاستاذ والقاضى ومقلديهما (فى مقتضى دليل المعجزة لانطول بذكره) فى هذا الباب (فنخرج عن غرض الكتاب) ونورث السآمة والملالة من الاطناب (فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لايجوز عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه) ويروى وبما اوحاه اليه (من وحيه لاعلى وجه العمد ولاعلى غير عمد) اعاد حرف النفى سابقا ولاحقا تأكيدا لعدم جواز خلفه فيما ذكر حقا وصدقا (ولافى حال الرضى) بكسر الراء وتضم اى المحبة وفى نسخة حالى الرضى وفى اخرى حين الرضى (والسخط) بفتحتين وبضم وكسر اى الغضب والكراهة (والصحة والمرض وفى حديث عبد الله ابن عمرو) اى ابن العاص بن وائل السهمى كما رواه احمد وابوداود والحاكم وصححه (قلت يارسول الله اكتب) باستفهام مقدر اومقرر بابدال والمعنى ءاكتب (كل ما اسمع منك قال نعم اكتب عنى كل ما سمعت منى قلت فى الرضى والغضب قال نعم فانى لا اقول فى ذلك) اى فى الذى اقوله (الاحقا) لما عصمه ربه من الزلل والخطل فى القول والعمل (ولنرد) بفتح النون وكسر الراء من الورود اى ولنذكر (ما اشرنا) اى فيما حررنا (اليه من دليل المعجزة) ويروى فى دليل المعجزة (عليه) اى على ماقررناه (بيانا) اى برهانا (فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه) اى النبى (وانه لايقول الاحقا ولايبلغ) بالتشديد والتخفيف اى ولايخبر (عن الله تعالى الاصدقا) بحيازته رعاية الامانة وحماية الصيانة والديانة (وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عنى) وروى مقام قول الله تعالى صدق عبدى فيما يذكره (وهو يقول انى رسول الله اليكم لابلغكم) بالتشديد والتخفيف اى لاخبركم (ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم) بالبناء للفاعل مخففا اوالمفعول مثقلا لتفوزوا بكرم السيادة وعظم السعادة (ومابنطق عن الهوى ان هو) اى ماهو (الاوحى يوحى وقدجاءكم الرسول بالحق من ربكم) كما فى آية اخرى (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) ونحو هذا من الآيات فى الكتاب (فلايصح ان يوجد منه فى هذا الباب) اى فى باب البلاغ عن ربه (خبر بخلاف مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة اى ماخبر به (على اى وجه كان) من قصد اوغيره (فلو جوزنا عليه الغلط والسهو) اى نسبتهما اليه (لما تميز لنا) اى لما امتاز خبره (من غيره) اى من خبر غيره قال الحجازى سياق الكلام يدل على ان الضمير فى ذلك عائد الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولااختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص) بتقييد حاله (فتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما طريقه البلاغ (عن ذلك كله) اى عن الاخبار بشيء منه بخلاف ماهو به قصدا اوعمدا اوسهوا اوغلطا (واجب برهانا) اى دليلا عقليا (واجماعا) اى اتفاقا نقليا (كما قاله ابو اسحق) اى الاسفراينى على ماتقدم والله تعالى اعلم

﴿فصل﴾

(وقد توجهت ههنا) اى فى هذا المبحث (لبعض الطاعنين) اى فى الدين (سؤالات) اى من الملحدين (منها ماروى) اى فيما اخرجه ابن جرير وابن المنذر وابوحاتم بسند منقطع عن سعيد بن جبير (من ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم) اى سورته (قال) اى وقرأ (افرأيتم اللات) صنم كان لثقيف الطائف او بنخلة من قريش وهى مؤنثة من لوى لانهم كانوا يلوون على طاعتها ويعكفون على عبادتها او يلتوون عليها اى يطوفون لديها وقيل مؤنث لفظة الجلالة (والعزى) تأنيث الاعز شجرة كانت لغطفان تعبدها بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها (ومناة) بالقصر ويمد صخرة كانت لهذيل وخزاعة تعبدها وتتقرب بها وتعتكف لديها

(الثالثة الاخرى) صفتان للتأكيد (قال) اى جرى على لسانه او حكى الشيطان بعد بيانه (تلك الغرانيق العلى) جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون ويقال غرنيق بضمها وفتح النون وسكون الراء والياء ويقال كقنديل وهى فى الاصل الذكور من طير الماء طويل العنق قيل هو الكركى ويقال للشاب الممتلئ شبابا وحسنا وبياضا اريد بها ههنا الاصنام اذ كانوا يزعمون انها تقربهم الى الله تعالى وشفعاؤهم عند الله فشبهوها بالطير الذى يعلو فى الهواء ويرتفع الى السماء (وان شفاعتها) ويروى وان شفاعتهن (لترتجى) بصيغة المجهول اى تتوقع وتؤمل فى التجاوز عن الذنب والزلل (ويروى ترتضى) اى بدل ترتجى اى تقبل (وفى رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى) بضم العين اى العلية (وفى اخرى والغرانقة العلى) والغرانقة ايضا جمع غرنيق (تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم) اى النبى عليه الصلوة والسلام (السورة) اى سورة النجم (سجد) اى لله امتثالا لامر ربه (وسجد معه) اى جميع من كان حاضرا (المسلمون) اى الابرار (والكفار) اى الفجار (لما سمعوه) بفتح اللام وتشديد الميم او بكسر اللام وتخفيف الميم (أثنى على آلهتهم) اى بقوله تلك الغرانيق الى آخره (وماوقع) اى ومنها ماوقع (فى بعض الروايات ان الشيطان القاها) اى الكلمات السابقة فى مدح الآلهة (على لسانه) اى وجرى على لسانه من غير شعور له على بيانه والاظهر انه كان على حكاية لسانه ومنوال بيانه (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتمنى) اى فيما خطر بباله (ان لو نزل) ويروى انزل (عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفى رواية اخرى ان لاينزل عليه شئ ينفرهم عنه) بتشديد الفاء اى يبعدهم عن قربه حتى ينفعهم برسالة ربه (وذكر) اى صاحب تلك الرواية (هذه القصة) اى تلاوة السورة المشتملة على القصة ويروى هذه السورة (وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة) ويروى هذه السورة اى سورة النجم (فلما بلغ الكلمتين) اى وجرى ماسبق من احدى الحالتين (قال له ماجئتك بهاتين فحزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) خشية الفتنة فى حق الامة (فانزل الله تعالى) اى عليه (تسلية له ومآ ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الآية) فقد روى ابن جرير وسعيد بن منصور عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نادى اقريش كثير اهله فتمنى ان لا يأتيه من الله تعالى ماينفرهم عنه فانزل الله تعالى والنجم فقرأها فلما بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان عليه عليه الصلوة والسلام تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فتكلم بها ثم مضى يقرأ حتى ختمها فسجد وسجدوا معه جميعا ورضوا بما تكلم به فلما امسى اتاه جبريل فعرضها عليه فلما بلغ تلك الغرانيق العلى قال ماجئتك به قال افتريت على الله وقلت مالم يقل فما زال مغموما حتى نزل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فطابت نفسه وفى هذه الرواية الفاظ ماتصح بحسب الدراية (وقوله) اى ومنها قوله او انزل عليه ايضا قوله (وان كادوا ليفتنونك) اى ان الشان قاربوا اى ليضلونك (الآية) اى عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وردت فيما ارادته قريش منه عليه الصلوة والسلام ان يبدل الوعد وعيدا او الوعيد وعدا بقولهم له اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك وكذا ما اقترحته ثقيف عليه من ان يضيف الى الله تعالى مالم ينزل عليه بقولهم له لاندخل فى امرك حتى تعطينا مانفتخر به على العرب لانعسر ولانحسر ولا نجنى فى صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا لغيرنا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولانكسرها بايدينا عند رأس الحول بل ترسل انت اليها من يكسرها وان تمنع من قصد وادى وج بعضد شجرة فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل امرنى الله تعالى به ثم جاؤا بكاتب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتعسرون ولاتحسرون فقالوا ولاتجنون وهو ينظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام عمر فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يامعشر ثقيف اسعر الله تعالى قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت (فاعلم اكرمك الله تعالى ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث) اى الوارد فى قصة سورة النجم (مأخذين) اى طريقين نمنع بهما من يتشبث بهذه الروايات او يتعلق بها من الحكايات (احدهما فى توهين اصله) اى تضعيف نقله (والثانى على تسليمه) اى على تقدير وقوعه (اما المأخذ الاول) والمخلص المعول (فيكفيك) فى توهينه ورد تبيينه (ان هذا حديث) اى منكر من جهة الرواية والدراية حيث (لم يخرجه من اهل الصحة) كاصحاب الكتب الستة (ولا رواه ثقة) اى عن ثقة (بسند سليم) اى سالم من الاضطراب والعلة بل ولا رواه ثقة بسند (متصل) اى مرفوعا وموقوفا بل رواه جماعة باسانيد ضعيفة واهية مقطوعة او موضوعة اومرفوعة (وانما اولع) بصيغة المجهول اى تولع (به و) تعلق (بمثله المفسرون) اى المعتمدون على اقاويل ضعيفة (والمؤرخون) بتشديد الراء المكسورة بعد همزة وتبدل واوا اى ارباب التواريخ (المولعون) بضم الميم وفتح اللام اى الحريصون (بكل غريب) اى بنقل كل

مروى فيه غرابة (المتلقفون) اى المبتلعون وفى نسخة الملقفون بتشديد الفاء المكسورة بعدها قاف أى المرفعون الملقطون (من الصحف) من دون سماع رواية وتصحيح دراية (كل صحيح وسقيم) اى ثابت وضعيف ثم اعلم ان ابا الفتح اليعمرى قال فى سيرته الكبرى ما لفظه بلغنى عن الحافظ عبد العظيم المنذرى انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواة بالكلية وكان شيخنا الحافظ عبد المؤمن بن خلف يخالفه فى ذلك انتهى وذكر الحلبى انه قال بعض شيوخى فيما قرأته عليه حين ذكر هذا الكلام انه باطل لايصح منه شئ لامن جهة النقل ولا من جهة العقل (وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال لقد بلى) بضم الموحدة وكسر اللام اى ابتلى (الناس) وامتحنوا (ببعض اهل الاهواء) اى المبتدعة وفى نسخة بتقصى اهل الاهواء اى بتقصصهم على ماذكره الانطاكى (والتفسير) اى اهل التفسير بالاراء المخترعة (وتعلق بذلك) اى بحديث سورة النجم (الملحدون) اى المائلون عن الحق (مع ضعف نقلته) اى رواته (واضطراب رواياته) اى من جهة اختلاف عباراته وفى نسخة روايته (وانقطاع اسناده) الموجب لعدم اعتماده و فى نسخة اسانيده (واختلاف كلماته) المقتضية لتفاوت دلالاته و يروى كلمه (فقائل) اى منهم (يقول انه) اى النبى عليه الصلوة والسلام قرأها (فى الصلوة وآخر يقول قالها) اى المقالة حين قرأها (فى نادى قومه) اى مجلسهم ومتحدثهم (حين نزلت عليه السورة) اى سورة النجم (وآخر يقول قالها وقداصابته سنة) بكسر سين وتخفيف نون اى نعاس (وآخر يقول بل حدث نفسه) اى خطر فى باله تلك المقالة (فسها) اى فجرى على لسانه ما حصل له به الملالة (وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه) اى حاكيا صوته فى تقرير بيانه وهذا اقرب الاقوال بالنسبة الى نزاهة شانه لكن يشكل قوله (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ماهكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان) اى وسوس لهم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) اى اعلام الشيطان واغواءه (قال والله ماهكذا نزلت) بصيغة المجهول مشددا او المعلوم مخففا (الى غير ذلك) اى مع غير ما ذكر من الحكايات الناشئة عن اضطراب الروايات (من اختلاف الرواة) اى الذين يقال فى حقهم انهم غير الثقات والحاصل ان الاضطراب وقع من جميع الجهات (ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين) اى المعتبرين كابن جرير وابى حاتم وابن المنذر (والتابعين) اى المعتمدين كالزهرى وقتادة وامثالهما (لم يسندها احد منهم) اى اسنادا متصلا يصلح اعتمادا (ولا رفعها الى صاحب) اى للرواية (واكثر الطرق) اى الاسانيد (عنهم فيها ضعيفة واهية) اى منكرة جدا ولو كانت متصلة (والمرفوع فيه) اى قليل و يروى فيها و فى رواية منه (حديث شعبة) وهو امام جليل (عن ابى بشر) بكسر موحدة وسكون شين معجمة تابعى صدوق ثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن سعيد بن جبير) من اجلاء التابعين (عن ابن عباس قال) كذا فى نسخة (فيما احسب) اى اظن (الشك فى الحديث) جملة معترضة من كلام المصنف يعنى شك الراوى بقوله فيما احسب فى نفس الحديث لا فى كونه مرويا عن ابن عباس والحاصل ان سعيد بن جبير وان كان معتمدا لكن تردد (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان بمكة) فى هذه القضية او بغيرها والسورة مكية بلاخلاف فيها (وذكر القصة) وكان حق المصنف ان يذكر القصة كما ثبت فى الرواية وقد بينها الدلجى بقوله اى قصة نزول سورة النجم وهو فى نادى قومه بعد تمنيه ان لاينزل عليه ما يفرق قومه عنه او ينزل عليه مايطيب نفوسهم به عسى ان يؤمنوا فنزلت عليه سورة النجم فقرأها فلما بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى ففرح المشركون ثم ختمها وسجد وسجد من حضر مسلمون وكفار (قال ابو بكر البزار) بتشديد الزاى وراء فى آخره حافظ مشهور (هذا الحديث لانعلمه روى) اى لانعرف انه روى (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره) اى و يعتمد عليه فى الجملة (الا هذا) اى الاسناد الى ابن عباس (ولم يسنده) اى الحديث (عن شعبة الا امية بن خالد) ثقة توفى سنة احدى ومائتين اخرج له مسلم (وغيره) اى غير امية ممن رواه (يرسله عن سعيد بن جبير) اى بحذف رجاله من اصحابه كابن عباس (وانما يعرف) اى اتصال سنده (عن الكلبى) وهو محمد بن السائب المفسر الاخبارى النسابة والاكثرون على انه غير ثقة خصوصا اذا روى (عن ابى صالح عن ابن عباس) اى موقوفا عليه وابو صالح هذا يروى عن مولاته ام هانئ وعن على وعنه السدى والثورى وعدة واخرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابو حاتم وغيره لايحتج به وقد تقدم انه لم يسمع من ابن عباس (فقد بين لك ابو بكر)اى البزار (رحمه الله تعالى) جملة دعائية (انه لايعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا) اى سوى طريق شعبة لقوة اسناده اذ كل رجاله ثقات (وفيه) اى فى حديث شعبة (من الضعف ما نبه عليه) اى البزار وغيره من اختلاف عباراته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده وارساله واختلاف مواطن حالاته (مع وقوع الشك فيه) اى مع ماوقع له فيه من الشك (كما ذكرناه) من انه (الذى لايوثق به) الذى صفة للشك

والضمير في به يعود اليه اى مع وقوع الشك الذى لايوثق به (ولاحقيقة) اصحة الحديث شيئا منه وأما الكلبي فمما لايجوز الرواية عنه) اى عن الكلبي مطلقا (ولاذكره) اى لهذا الحديث اصلا (لقوة ضعفه وكذبه) اى وكثرة كذبه ولذا ضعفه الجمهور (كما اشار اليه البزار رحمه الله تعالى والذى منه) اى من حديث سورة النجم (فى الصحيح) من رواية الشيخين (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم) اى من غير زيادة (وهو بمكة) اى قبل الهجرة (فسجد معه المسلمون والمشركون) ولم يبين ما سبب سجدة المشركين (والجن والانس) اى الحاضرون (هذا) اى الذى ذكرناه (توهينه) اى تضعيفه (من طريق النقل فاما من جهة المعنى) اى الذى يدركه العقل (فقد قامت الحجة) اى القاطعة (واجمعت الامة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ونزاهته) اى براءة ساحته (من مثل هذه الرذيلة) اى الخصلة الدنية و يروى النقيصة اى المنقصة (قبل النبوة) ولو قبل البلوغ فكيف يتصور وقوعها بعد تمام النبوة ونظام الرسالة لاسيما وقت التلاوة ودرجها فى القراءة والحاصل ان له عليه الصلوة والسلام عصمة ثابتة (امامن تمنيه ان ينزل عليه سورة مثل هذا من مدح آلهة غيرالله تعالى وهو) اى مثل هذا التمنى (كفر) فلا يصح نسبته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم الا ان يكون وقعت خطرة لديه (اوان يتسور) اى اومن ان يتسلط (عليه الشيطان) من تسور تصعد السور وهو الحائط المرتفع ومعناه هنا التسلط مجازا (ويشبه) بتشديد الموحدة اى يلبس (عليه القرآن) ويخلط عليه الفرقان (حتى يجعل فيه ماليس منه) اى ولا يصح ان يكون منه (و يعتقد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرآن ماليس منه) اى حقيقة (حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام) مع ان ذلك من الواضحات عند كل مؤمن موحد انه ليس من الآيات البينات (وذلك) اى ماذكر من التمنى والتسور والاعتقاد (كله ممتنع فى حقه عليه الصلوة والسلام او يقول) اى اومن ان يتفوه (ذلك الذى من قبل نفسه عمدا) اى حال كونه ذا عمد (وذلك) اى تعمده (كفر اوسهوا) اى حال كونه ساهيا (وهو معصوم من هذا كله) اى مما يكون كفرا سواء حال عمده اوسهوه بخلاف سهوه فى غير الكفر او المعصية فانه يجوز جريانه عليه (وقد قررنا) اى مرارا (بالبراهين) اى الادلة الواضحة (اوالاجماع) اى اتفاق جميع الامة (عصمته عليه الصلوة والسلام من جريان الكفر على قلبه) اى باعتقاد جنانه (ولسانه) اى جريانه بموجب عصيانه (لاعمدا ولاسهوا) تأكيد لما افاده ماقبله من نفى جريان الكفر عليه مطلقا (اوان يتشبه) اى اومن ان يتلبس (عليه ما يلقيه الملك) اى يوحيه اليه من ربه (بما يلقى الشيطان) ويوسوس اليه من مكره و يروى بما يلقيه الشيطان (او يكون) اى اومن ان يكون (للشيطان عليه سبيل) اى بالتسلط وقد قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (او ان يتقول) اى اومن ان يفترى (على الله تعالى) وهو لا يتقول على الله (لاعمدا ولاسهوا ما لم ينزل عليه) بصيغة المجهول او المعروف (وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل) اى افترى علينا ما لم يوح اليه بالفرض والتقدير (الآية) اى لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقد سبق ما يتعلق بمعناه وقيل فى تحقيق مبناه ان من صلة اى لاخذناه والاولى ان يقال فيه تضمين والتقدير لانتقمنا منه باليمين اى بالقوة القاهرة والقدرة الباهرة (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) اى قاربت تميل ادنى ميل (اذا) اى حينئذ (لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) اى عذابا مضاعفا فى الدنيا و بعد الوفات (الآية) اى ثم لاتجد لك علينا نصيرا اى معينا يكون دافعا عنا العقوبة (ووجه ثان) لتوهين هذه القضية (وهو استحالة هذه القصة نظرا) اى من جهة دلالة العقل لعصمته من مدح الآلهة واثبات شفاعتها (وعرفا) اى من جهة استبعاد العادة ان يصدر عن الانبياء مدح الشرك مع ذمهم له وحثهم على التوحيد على وجه التأكيد (وذلك) اى بيانه (ان هذا الكلام) اى المنقول فى هذا المقام (لوكان) اى بالفرض والتقدير (صحيحا كما روى) اى كما نقلوه صريحا (لكان بعيد الالتئام) بل عديم النظام (لكونه متناقض الاقسام) اى متباين المرام (ممتزج المدح بالذم) فى الشرك بان ذم الكفر فى آيات بينات ومدح فى هذه الآيات المخترعات مع انه خلاف اجماع الانبياء والمرسلين فى جميع الحالات (متخاذل التأليف) بالخاء والذال المعجمتين متفاعل من الخذلان وهو ترك النصرة اى متخالفة فى ارتباط المرام (والنظم) اى ونظم الكلام وقد قال تعالى افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فمعناه انه من عند الله ولم يجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يسيرا (ولما) بفتح لام وتخفيف ميم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين) اى من اكابر الصحابة (وصناديد المشركين) اى رؤسائهم فى مكة من قريش وغيرهم (ممن يخفى عليه ذلك وهذا) اى ومثله (مما لا يخفى على ادنى متأمل) اى من افراد الموحدين (فكيف بمن) وفى نسخة صحيحة بمن (رجح) بفتح الجيم المخففة اى غلب (حلمه) اى تأنيه وتثبته فى امر الدين اوعقله (واتسع فى باب البيان) اى بيان المرام

(ومعرفة فصيح الكلام علمه) بقوة فطرة وقدرة فطنة (ووجه ثالث) في توهين هذه القصة (انه) اى الشان (قدعلم من مادة المنافقين ومعاندى المشركين) وفي نسخة ومعاندة وفي اخرى ومعاداة المشركين (وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم) بالرفع نائب فاعل علم اى تنفر المذكورين (لاول وهلة) اى في اول ساعة في دعوى النبوة (وتخليط العدو) اى وعلم انقلابهم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاقل فتنة) اى لادنى مايؤدى الى فساد ومحنة (وتعييرهم) اى وعلم تعييبهم (المسلمين) بمتاركة المشركين (والشماتة بهم) اى وعلم شماتة الكافرين بالمؤمنين (الفينة بعد الفينة) بالفاء والنون المفتوحتين بينهما تحتية ساكنة اى الحين بعد الحين والساعة بعد الساعة ويقال بال وبدونها وضبط الحلبي الشمات بضم الشين المعجمة وتشديد الميم وهو جمع شامت جمع تكسير واما الشمات بكسر الشين وتخفيف الميم الخائبون بلا واحد قال في القاموس وهو من الشماتة التي هي الفرح ببلية العدو وفي نسخة السمات بفتح السين وتخفيف الميم وهو جنس الشماتة (وارتداد من في قلبه مرض) اى وعرف هذا ايضا (ممن تظهر الاسلام لادنى شبهة) علة للردة (ولم يحك احد في هذه القصة سببا) اى للطعن والمذمة مع العلل المتقدمة (سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل) المخالفة للنقل والعقل (ولو كان ذلك) اى صحيحا فيما ذكر هنالك (لوجدت قريش) اى كفارهم (بها) اى بهذه القضة (على المسلمين الصولة) اى الاستطالة والغلبة (ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة) اى في ان هذه غير الطريقة المحجة كيف وقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين (كما فعلوا) اى انكروا كفار قريش (مكابرة) اى معاندة (في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك) اى في اظهار ماذكر فيها (لبعض الضعفاء ردة) اى سبب ارتداد وفتنة مع انه لم يكن فيه ما يوجب كفرا وانما كان يتوهم منه ان يكون كذبا لوقوعه عجبا وهو مقتضى خوارق العادات مطلقا (وكذلك ماروى) يروى ماورد (في قصة القضية) اى في امر قضية الحديبية وذلك انه عليه الصلوة والسلام رأى رؤيا عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه بعد ما اخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس اى امتحانا لشانهم واختبارا في ضعف ايمانهم حيث قال بعض المنافقين والله ما رأينا المسجد الحرام وقوة ايمان الصحابة برهانهم حيث قال الصديق ما اخبرنا انا ندخلها هذه السنة وانا سندخلها ان شاء الله من غير شك وشبهة (ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت) اى لو صحت هذه القضية (ولا تشغيب) بالشين والغين المعجمتين اى لا تهييج للشر والفتنة والفساد (للمعادى) اى للعدو من اهل العناد (حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت) اى وقوعها في الجملة (فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم) وروى عن متكلم وهو اولى (بسببها بنت شفة) اى لفظة تخرج من الشفة (فدل على بطلها) بضم اوله مصدر اى على بطلان هذه الرواية (واجتثاث اصلها) اى استيصال نقلها لمخالفة الدراية (ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين) بفتح الفاء المشددة اى الغافلين عن الدراية في الرواية (ليلبس به على ضعفاء المسلمين) اى مايوجب الفتنة وقد قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سيكون في آخر الزمان ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم وعنه عليه الصلوة والسلام يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث مالم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم (ووجه رابع) اى في توهين هذه القصة (ذكر الرواة هذه القصة) وفي نسخة لهذه القضية اى الواقعة في سورة النجم (ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك) اى ليضلونك (الآيتين) اى عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك الآيتين (وهاتان الآيتان ترد ان الخبر الذي رووه) اى تنافيانه وتعارضانه (لان الله تعالى ذكر انهم كادوا ليفتنونه) اى قاربوا (حتى يفترى) اى فلم يقع شئ (وانه) اى الله سبحانه وتعالى (لولا ان ثبته لكاد) ويروى لقد كاد (ان يركن اليهم) اى وقد ثبته فلم يقرب ان يميل اليهم ادنى ميل فلم يتحقق شئ (فمضمون هذا) اى ماذكر من الآيتين (ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفترى وثبته حتى لم يركن) يروى حتى لم يكن يركن (اليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون) الواو للحال اى وهم راوون (في اخبارهم الواهية) اى الضعيفة المنكرة (انه زاد على الركون) اى الميل اليهم (والافتراء) اى على الله تعالى بتبديل الوعد والوعيد عليهم (بمدح آلهتهم وانه) ويروون انه (قال عليه الصلوة والسلام) حين قال له جبريل ما جئتك بهذا (افتريت على الله تعالى وقلت ما لم يقل) اى اعترافا بذنبه وتصديقا لكلام ربه (وهذا) الذي ذكروه من الرواية (ضد مفهوم الآية) اى من عدم ركونه اليهم بحسب الدراية (وهي) اى

الآية بصريح مفهومها (تضعف الحديث) وتدفعه (لو صح) لان دلالة القرآن قطعية ورواية الحديث ظنية (ولا تحقيق ولا صحة له) اى لا اصل لهذه القضية (وهذا) اى مفهوم هذه الآية (مثل قوله تعالى فى الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته) اى بالنبوة والعصمة (لهمت طائفة منهم) اى من المنافقين (ان يضلوك) عن القضاء بالحق بين الخلق (وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شئ) لان وبال ضلالهم راجع اليهم وضرر شرهم عائد عليهم (وقد روى عن ابن عباس) كما رواه ابن ابى حاتم وغيره (كل ما فى القرآن كاد) اى بمعنى قارب (فهو مالا يكون) يروى مالم يكن اى لهذا كان الكلام موجبا لان نفس المقاربة تدل على عدم المواقعة فى القاموس كاد يفعله قارب ولم يفعل مجردة تنبئ عن نفى الفعل ومقرونة بالجحد تنبئ عن وقوعه (قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب) اى بها ويروى لم يذهبها وكذا قوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم ولم يخطفها (وقال) اى الله سبحانه (اكاد اخفيها ولم يفعل) وفيه بحث اذ ما اظهرها الله لاحد كما يدل عليه سائر الآيات نحو ان الله عنده علم الساعة وقوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها وقوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو نعم قيل فى الآية اكاد اخفيها عن نفسى فيصح قوله ولم يفعل لانه لم يتصور وانما ذكره للمبالغة فتدبر او يقال اكاد اخفى مجيئها فلا اقول هى آتية للمبالغة فى ارادة اخفائها فيصح قوله ولم يفعل حينئذ ايضا وقد يقال اخفيها بمعنى اظهرها لانه من الاضداد والله سبحانه وتعالى اعلم بما اراد هذا وقال فى القاموس وقد يكون كاد بمعنى اراد ومنه قوله اكاد اخفيها اى اريد اخفاءها عن غيرى (وقال القسيرى القاضى) مر ذكره (ولقد طالبته) يروى ولقد طالبه (قريش) اى كفارهم (وثقيف) ى قبيلتهم من اهل الطائف (اذمر بالهتهم) اى معرضا عنها غير مقبل عليها (ان يقبل بوجهه اليها) و يلتفت ببصره اليها (ووعدوه الايمان به) اى والحال انهم وعدوه الايمان به بسبب اقباله (ان فعل فما فعل) اى الاقبال الصورى فى الحال الضرورى (وما كان) وفى نسخة ولا كان اى ما صح منه (ليفعل) اى الاقبال المذكور اوما كان الله بحسب تقديره ان يفعل بنبيه الرفيع هذا الفعل السنيع نقلا وعقلا فى تصويره فكيف يتصور مدحها فى صلوة اوغيرها وادراجها فى سورة وآيها (وقال ابن الانبارى) وهو الامام الحافظ ابو بكر محمد بن القاسم بن بسار النحوى كان من اعلم الناس بالادب والنحو ولد سنة احدى وسبعين ومائتين روى عنه الدارقطنى وابن حيوة والبزار وغيرهم كان صدوقا دينا من اهل السنة صنف التصانيف الكثيرة وصنف فى القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء روى عنه انه قال احفظ ثلاثة عشر صندوقا وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا باسانيدها وقيل انه يحفظ ثلاثمائة الف شاهد فى القرآن وقد املى كتاب غريب الحديث قيل انه خمس واربعون الف ورقة وكتاب شرح الكافى وهو نحو الف ورقة وكتاب الاضداد وهو كبير جدا وكتاب الجاهليات فى سبعمائة ورقة وكان رأسا فى نحو الكوفيين توفى ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (ما قارب الرسول) اى الركون الى الكفرة (ولا ركن) اى ولا مال اليهم فيما قصدوه لثبوت تثبيت الله تعالى اياه المفهوم من لولا الامتناعية فى الآية (وقد ذكرت) بصيغة المجهول (فى معنى الآية) اى آية وان كادوا ليفتنونك (تفاسير اخر) اى ضعيفة سخيفة (ما ذكرنا من نص الله تعالى على عصمة رسوله يرد سفافها) اى رديئها واصله ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل والتراب اذا اثير (فلم يبق فى الآية) اى فى معناها (الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما) وفى نسخة بما (كاده به الكفار) اى مكروا (وراموا من فتنته) اى قصد وابعض محنته و بليته ليفترى على ربه ما يخالف مقتضى نبوته ورسالته (ومرادنا من ذلك) اى ما ذكرناه كله (تنزيهه) اى براءة ساحته (وعصمته) اى حمايته بما يجب من الرعاية (وهو مفهوم الاية) عند ارباب العناية واصحاب الهداية (واما المأخذ الثانى) اى فى الكلام على مشكل هذا الحديث (فهو مبنى على تسليم الحديث لو صح) اى اسناده (وقد اعاذنا الله تعالى) اى اجارنا (من صحته) اى تصحيحه (ولكن على كل حال) وفى نسخة ولكن على ذلك من حال (فقد اجاب عن ذلك) اى عما نسب اليه من مدح الآلهة ويروى على ذلك (ائمة المسلمين باجوبة منها الغث) بفتح معجمة وتشديد مثلثة اى الضعيف ما لا يجدى نفعا (والسمين) اى القول الذى يدفع الشبهة دفعا (فمنها) اى من الاجوبة (ما روى قتادة ومقاتل) قال الحلبى مقاتل اثنان مفسران لكل منهما تفسير و ينقل عنهما فاما الاول فهو مقاتل بن حيان البلخى الخراسانى الخراز احد الاعلام روى عن الضحاك ومجاهد وعكرمة والشعبى وخلق وعنه ابن المبارك وآخرون عابد كبير القدر صاحب سنة وصدوق وثقه ابن معين وابو داود وغيرهما وقال النسائى ليس به بأس وروى ابو الفتح اليعمرى عن وكيع انه قال ينسب الى الكذب قال الذهبى واحسبه التبس عليه مقاتل بن حيان بمقاتل بن سليمان فان ابن حيان صدوق قوى الحديث والذى كذبه

وكيع فابن سليمان مات قبل الخمسين ومائة اخرج له مسلم والاربعة واما ابن سليمان فروى عن مجاهد والضحاك قال ابن المبارك مااحسن تفسيره لوكان ثقة وقال ابن حبان كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث توفي مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة انتهى ولايدري من اراد القاضي منهما والحاصل ان قتادة ومقاتل رويا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصابته سنة) بكسرة فتحة اى نوم وغفلة (عند قراءته هذه السورة) اى النجم (فجرى هذا الكلام) اى مدح الآلهة (على لسانه بحكم النوم) اى غلبته عليه (وهذا لايصح) اى اصلا لافي النوم ولافي اليقظة (اذ لايجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثله) اى مثل ماانتسب اليه (في حالة من احواله) اذ ثبت انه ينام عيناه ولاينام قلبه وايضا فان كل اناء يترشح بما فيه فمثل هذا لايتصور من النبي النبيه (ولا يخلقه الله تعالى على لسانه) مالايناسب عظمة شانه (ولايستولى الشيطان عليه في نوم) ولذا لم يكن يحتلم (ولا يقظة) بالاولى (لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الباب) اى باب الكفر والمعصية ولوصورة وقال الانطاكي يريد فيما كان طريقه البلاغ عن الله تعالى (من جميع العمد والسهو) اجماعا (وفي قول الكلبي) وهو محمد بن السائب مات سنة ست واربعين ومائة وسبق ذكره قريبا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حدث نفسه) اى خطر في خاطره (فقال ذلك الشيطان) اى الملقى في نفسه (على لسانه) اى سهوا قال الدلجي وهو باطل اذ لم يجعل الله للشيطان عليه كغيره من الانبياء سبيلا واقول لايبعد ان يكون مراد الكلبي ان الشيطان قال ذلك على لسانه وفق صوته وحكاية بيانه (وفي رواية ابن شهاب) اى الامام الزهري (عن ابي بكر بن عبد الرحمن) اى ابن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي احد الفقهاء السبعة على قول يروي عن ابي هريرة رضي الله عنه وعائشة ولد زمن عمر وكف بصره بآخره ويسمى الراهب اخرج له الائمة الستة توفي سنة اربع وتسعين (قال وسها) اى النبي عليه الصلوة والسلام فيما جرى على لسانه اوسها عن بيان حاله والقاء الشيطان في مقاله ويؤيده ظاهر قوله (فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان) اى من القائه وكان المصنف ذهب الى ان المعنى من وسوسته ولذا قال (وكل هذا) اى جميع ماذكرناه اى بحسب ظاهره (لايصح ان يقوله عليه الصلوة والسلام لاسهوا ولاقصدا ولايتقوله الشيطان على لسانه) اي حقيقة (وقيل لعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير) اى التسليم في صحته اوعلى تقدير استفهام الانكار المقصود منه حمل المخاطبين على الاقرار بان الذي يضر وينفع انما هو الاله الواحد القهار (والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام هذا ربي) اى اهذا الحقير او المخلوق مثل ربي (على احد التأويلات) في تلك الحالات (وكقوله بل فعله كبيرهم هذا) اى على وجه التورية التي هي من معاريض الكلام ففيها غنية عن الكذب في المرام (بعد السكت) وهو وقفة لطيفة على فعله كما اختاره بعض ارباب الوقوف (وبيان الفصل بين الكلامين) اى السابق واللاحق وفي رواية بين الكلمتين اشارة الى ان التقدير بل فعله فاعله مطلقا اوفاعله الذي تعرفونه ثم قال مبتدأ كبيرهم هذا وجعل الدلجي هذا من المتن وقال ماعزي لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد السكت اى بينه وبين ماتلاه قبله وبيان الفصل بين الكلامين اى كلام الله تعالى وماعزي اليه ويؤيده قوله (ثم رجع الى تلاوته) اى بقية السورة (وهذا) التأويل (ممكن مع بيان الفصل) بين الكلامين (وقرينة) اى ومع قرينة (تدل على المراد) اى من انه انما قاله توبيخا وتقبيحا لقولهم وتقريعا وتسفيها لعقولهم (وانه ليس من المتلو) اى من القرآن (وهذا) اى التأويل وفي نسخة صحيحة وهو (احد ماذكره القاضي ابو بكر) اى الباقلاني اوابن العربي المالكيان (ولايعترض على هذا بما روي انه كان في الصلوة) اى والكلام مبطل فيها (فقد كان الكلام قبل) اى قبل النهي عنه (فيها غير ممنوع) منه كما قرر في حديث ذي اليدين حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين اى ساكتين (والذي يظهر ويترجح في تأويله) اى في تأويل ماعزي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (عنده) اى عند القاضي ابي بكر (وعند غيره من المحققين) اى من سائر العلماء المجتهدين المدققين (على تسليمه) اى فرض وقوعه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان كما امره ربه) اى بقوله ورتل القرآن ترتيلا (يرتل القرآن ترتيلا) اى يقرأه مترسلا (ويفصل الاى تفصيلا) اى ويبينها تبيينا مبينا (في قراءته) اى من كمال تؤدته (كما رواه الثقات عنه) يروى كما قال الثقات فعن عائشة وقد سئلت عن قراءته لواراد سامعها ان يعد حروفها لعدها (فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات) اى خلال تلاوة الآيات (ودسه) اى ادخاله على وجه الخفاء (فيها) اى في السكتات اوفي اثناء القراآت (ماختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم) اى صوته ولهجته (بحيث يسمعه) من السماع اوالاسماع (من دنا اليه) اى قرب منه (من الكفار) اى دون الابرار (فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها) اى افشوها بينهم (ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة) باللام

والباء اى بسبب حفظهم سورة (قبل ذلك) اى قبل دس الشيطان ماهنالك (على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذم الاوثان وعيبها) اى وعيبه اياها (على ما عرف منه) ولايخفى ان ما بين السكتات لايتصور فيه جميع تلك الكلمات المختلفة ويبعد سكون كل كلمة فى حال سكتة ما لظاهر انه بعد قراءته عليه الصلوة والسلام ومذمته الاصنام بقوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقع له عليه الصلوة والسلام سكتة طويلة لعارض من نحو سعله اوفكره فانتهز الشيطان الفرصة والقى تلك الجملة وسمعها الكفار دون الابرار وهذا لبس كما توهم الدلجى ورد قول المحققين بان هذا قول غير مرضى لايدانه بان الشيطان كان له عليه سبيل بتمكنه من دسه خلال تلاوته كلام ربه انتهى هذا ولايخفى ان شيخ الاسلام خاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلانى فى شرحه للبخارى اطال فى ثبوت هذه القصة وان لها طرقا صحيحة وطرقا اخر كثيرة صريحة تدل على اصل القضية فلا بد من تأويلها وهذا احسن ماقيل فى التأويل ان الشيطان القى ذلك فى سكتة من سكناته ولم يتفطن له عليه الصلوة والسلام وسمعه غيره فاشاعه بين الانام واما ماذكره البغوى من ان الاكثرين على انها جرت على لسانه سهوا ونبه عليه وقرره الشيخ ابو الحسن البكرى على مانقله عنه شيخنا عطية السلمى انه لايقدح ذلك فى العصمة لكونه من غير قصد كحركة المرتعش فقد رده صاحب المدارك من ائمتنا فى تفسيره حيث قال اجراء الشيطان ذلك على لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه ممتنع لان الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره ففى حقه اولى والقول بانه جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة مردود ايضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه حال تبليغ الوحى ولو جاز لبطل الاعتماد على قوله ثم اختار ما اختاره العسقلانى قال وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم (وقد حكى موسى بن عقبة) اى ابن ابى عياش (فى مغازيه نحو هذا) اى نحو ماذكر عن المحققين قال الحلبى هو مولى آل الزبير ويقال مولى ام خالد زوج الزبير روى عنها وعن علقمة بن وقاص وعروة وخلق وعنه مالك والسفيانان وجماعة ثبت ثقة اخرج له الائمة الستة ومغازيه اصح المغازى كما قاله الامام مالك بن انس وهى مجلدة لطيفة وله اولاد فقهاء محدثون ووقع فى بعض النسخ محمد بن عقبة والاول هو الصواب (وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين وقلوبهم) اى صدور الشاكين (ويكون ماروى) اى فيما مر (من حزن النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى) فى هذه تسلية (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الآية) اى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته اى فى اثناء قراءته ما ليس من تلاوته (فمعنى تمنى تلا) اى قرأ والامنية معناها التلاوة (قال الله تعالى لايعلمون الكتاب الا امانى) وهى جمع امنية (اى تلاوة) اى مجرد قراءة خالية عن دراية (وقوله) اى فى بقية الآية (فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهبه) اى يفنيه ويعدم اعتباره (ويزيل اللبس به) بفتح اللام اى خلط الحق بالباطل بسببه (ويحكم آياته) فى التنزيل ثم يحكم الله آياته اى يثبتها ويبقيها (وقيل معنى الاية هو مايقع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من السهو) اى الناشئ من النسيان (اذا قرأ فينتبه) من الانتباه اوالتنبه اى فيتفطن (لذلك) ويتذكر لما هنالك (ويرجع عنه وهذا) التأويل (نحو قول الكلبى فى الاية انه حدث نفسه قال اذا تمنى اى حدث نفسه) يعنى على طريق السهو (وفى رواية ابى بكر بن عبد الرحمن نحوه) وهذا السهو بطريق النسيان الغالب على الانسان اجمعوا على جوازه منه عليه الصلوة والسلام وقد قال تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله (وهذا السهو فى القراءة انما يصح) اى صدوره عنه عليه الصلوة والسلام (فيما ليس طريقه تغيير المعانى وتبديل الالفاظ) اى المبانى (وزيادة ما ليس من القرآن) اى فى وجوه السبع المثانى (بل السهو عن اسقاط آية منه اوكلمة) اوانتقال من كلمة اوآية الى اخرى لايترتب عليه فساد المعنى (ولكنه) اى مع هذا (لايقر) بصيغة المجهول وتشديد الراء اى لايترك (على هذا السهو بل ينبه عليه) من التنبيه من باب التفعيل بصيغة المجهول وكذا قوله (ويذكر به) اى بما وقع له ليتنبه عنه (للحين) اى فى وقته (على ماسنذكره فى حكم مايجوز عليه من السهو وما لايجوز) اى عليه من السهو (ومما يظهر فى تأويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى) بضم المهملة (فان سلمنا القصة) اى صحتها (قلنا لايبعد ان هذا) اى ما وقع فيها (كان قرآنا) اى ثم نسخ تلاوته (والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية) اى رواية مجاهد الغرانقة العلى ولا يظهر وجه تخصيص هذا التأويل بهذه الرواية اذ يصح على ماتقدم من الروايات ايضا كما لايخفى على ارباب الدراية (وبهذا فسر الكلبى الغرانقة العلى) اى فى روايته ولا يلزم منه انه لايجوز هذا التفسير لرواية غيره (انها الملائكة وذلك) اى الباعث له على تفسيرها بها هنالك (ان الكفار) اى من قريش وغيرهم (كانوا يعتقدون الاوثان) وفى نسخة ان الاوثان

(والملائكة بنات الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم) اى بقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الآية وذمهم بقوله افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما وبقوله اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون افلا تذكرون (ورد عليهم فى هذه السورة) وهى النجم (بقوله ألكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا) اى الذى ذكره (من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح) وهذا التأويل وامثاله يتعين لئلا يلزم كفر صريح وبه يندفع قول الدلجى وهذا التأويل وان كان صحيحا فى نفسه فباين للمقام يأبى عن سياق الكلام قلت ويمكن تأويل سائر الروايات على وجه يحصل به الالتئام على ان التأويل من شانه ان يكون خلاف ظاهر المرام وانما يحتاج اليه للتخلص عما يرد فى الكلام من الملام (فلما تأوله المشركون على) حسب غرضهم من فساد عقيدتهم (ان المراد بهذا) وفى نسخة بذلك (الذكر آلهتهم) اى مدح آلهتهم ورجاء شفاعتهم (ولبس) من التلبيس (عليهم الشيطان) اى ابليس (ذلك) اى ماتوهموه (وزينه فى قلوبهم والقاه اليهم) ان المراد به مافهموه مما سمعوه (نسخ الله تعالى ماالقى) ويروى ما يلقى (الشيطان) اى ازال ما كان موجبا لالقائه وباعثا لاغوائه (واحكم آياته) اى اثبت بقية آياته (ورفع تلاوة تلك اللفظتين) اى احداهما وفى نسخة صحيحة تينك اللفظتين (التين وجد الشيطان بهما) اى بسبب ما يتوهم من ظاهرهما (سبيلا) ويروى سببا (للتلبيس) وفى نسخة للالباس اى للشبهة المفتنة للناس والاشتباه والالتباس (كما نسخ كثير من القرآن) اى دراسته (ورفعت تلاوته) اى مع حكمه او بدونه منها آية الرجم ومنها على ماورد لوكان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب (وكان فى انزال الله تعالى لذلك حكمة) وفى نسخة حكم اى له سبحانه وتعالى ايضا (ليضل به من يشاء ويهدى به من يشاء) كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا (ومايضل به الا الفاسقين) اى الخارجين عن طريق وفاقه الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه (وليجعل) اى ليصير الله تعالى (مايلقى الشيطان) اى مما يلبس به (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) اى داء شك من المنافقين (والقاسية قلوبهم) من المشركين المعاندين (وان الظالمين) من الجنسين (لفى شقاق بعيد) خلاف بعيد عن طريق سديد (وليعلم الذين اوتوا العلم) اى من المؤمنين (انه) اى ما نزله ثم نسخه (الحق من ربك فيؤمنوا به) اى زيادة على ايمانهم (فتخبت له قلوبهم) اى تطمئن زيادة على ايقانهم (الآية) اى وان الله لهادى الذين آمنوا بالدين القويم الى صراط مستقيم (وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ هذه السورة) اى النجم (و بلغ ذكر اللات) بالنصب على الحكاية وبالجر على الاعراب (والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتى) اى النبى عليه الصلوة والسلام (بشئ من ذمها) اى زيادة على عيبها (فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين) وفيه ما سبق ان الصواب كما فى نسخة بتينك الكلمتين (ليخلطوا) اى ليرموا (به) بالتخليط (فى تلاوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويشغبوا) بتشديد الغين المعجمة اى يثيروا الشر ويهيجوا الفتنة وفى نسخة يشنعوا من التشنيع اى ليعيبوا او يعيروا (عليه على عادتهم وقولهم) اى وعلى منهج مقالتهم (لا تسمعوا لهذا القرآن) اى مهما قدرتم (والغوا فيه) اى تشاغلوا عند قراءته برفع اصواتكم اذا عجزتم (لعلكم تغلبون) عليه فى قراءته (ونسب هذا الفعل) يعنى الالقاء (الى الشيطان) مع انه فعلهم (لحمله لهم عليه) لانه السبب الداعى اليه (واشاعوا ذلك) اى ماسبقوا به الى مدحها افتراء منهم (واذاعوه) اى افشوه فيما بينهم (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله) اى هو الذى قاله افتراء منهم فى نسبته اليه (فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى) عن حزنه (بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الآية) ايماء الى ان هذا من سنة الله التى قد خلت فى عباده واشعارا بان الكفرة من شياطين الانس وانهم من اتباع شياطين الجن (وبين) اى مبين الله تعالى (للناس الحق المنزل (من ذلك) اى مما ذكره (من الباطل) الملقى (وحفظ القرآن) اى جميع كلماته (واحكم آياته ودفع ما لبس) بتشديد الموحدة (به العدو) من الاباطيل (كما ضمنه الله تعالى) اى تكفله وتضمن حفظه المفهوم (من قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى من زيادة ونقص وتحريف وتبديل ولم يكل حفظه الى غيره بل تولاه بنفسه بخلاف الكتب الالهية قبله فانه لم يتول حفظها بل استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيها وحرفوها وبدلوها وهذا لاينافى ان حفظ القرآن بحسب مبناه ومعناه فرض كفاية لان المعنى انه تعالى تكفل حفظ القرآن بهم وانه لم يكلهم فى مراعاته الى انفسهم بل يكون دائما فى عون حملتهم (ومن ذلك) اى من سؤالات بعض الطاعنين فى مراتب النبيين (ماروى من قصة يونس) وفى نسخة فى قصة يونس (عليه السلام انه وعد قومه العذاب من ربه) اى وخرج من عند قومه (فلما تابوا) اى بعد خروجه وظهور مقدمة وعيده (كشف عنهم العذاب) قبل يوم جمعة فى عاشوراء (فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا) اى ولو بحسب الصورة استحياء من قومه (فذهب مغاضبا) اى على هيئة

الغضبان على قومه اوعلى قوله وكان عليه اولا ان يصابرهم منتظرا من ربه الاذن له فى خروجه وتائبا الى ربه راجعا
اليهم حيث تاب الله تعالى عليهم (فاعلم اكرم الله تعالى) بالعقيدة الثابتة (انه) اى الشان وفى نسخة أن (لبس
فى خبر من الاخبار الواردة فى هذا الباب) لا فى السنة ولا فى الكتاب (ان يونس قال لهم انه) اى الله سبحانه وتعالى
(مهلكهم) وفى نسخة يهلكهم وفى اخرى مهلككم وعلى التسليم فيكون مقيدا بما ان ثبتوا على كفرهم فلا يستقيم
ان يقول لا ارجع اليهم كذابا ابدا الا بظاهره (وانما فيه) اى وانما الوارد فى حقه من الاخبار (انه دعا عليهم بالهلاك)
اى ان اصروا على الاشراك (والدعاء) انما هو انشاء بطلب (لبس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه) اى يونس
(قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا) فيه ان هذا اخبار لا انشاء (فكان ذلك) اى بمجيئه لهم فيما هنالك
وفى نسخة كذلك اى كما قال فلا يكون كذابا ابدا غايته انه لما اغامت السماء غيما شديدا اسود بدخان سود سطوح يونس
لبسوا المسوح وعجوا فى السوح مظهرين الايمان والتوبة النصوح (ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم) برحمته
المخصوصة بهم فى هذا الباب (قال الله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس) استثناء منقطع
من القرى اذ المراد اهلها اى لكن قومه او متصل من ضمير آمنت والجملة فى معنى النفى اى ما آمنت قرية من القرى
المحكوم على اهلها بالهلاك الا قوم يونس (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى الآية) اى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم
الى حين (وروى فى الاخبار) اى فى بعض الآثار (انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله) اى مظانه جمع مخيلة اى مظنة
او سحابة فيها عقوبة وفى الحديث انه عليه الصلوة والسلام اذا رأى مخيلة اقبل وادبر وفى رواية اذا رأى فى السماء
اختيالا تغير لونه خشية ان يكون عذابا ارسل كما وقع لقوم هود فاذا امطرت سرى عنه (قاله ابن مسعود) كما رواه
ابن مردويه عنه مرفوعا وابن ابى حاتم موقوفا (وقال سعيد بن جبير غشاهم) اى غطاهم الله تعالى (العذاب كما يغشى
الثوب القبر) وفى نسخة كما يغشى السحاب القمر (فان قلت فما معنى ماروى) عند ابن جرير عن عكرمة مولى
ابن عباس من (ان عبدالله بن ابى سرح) بفتح السين المهملة وسكون الراء وفى آخره مهملة اسلم قبل الفتح وهاجر
وكتب الوحى ثم ارتد ثم اسلم ومات ساجدا لله (كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد مشركا) و يروى
ارتدا كافرا (وسار) وفى نسخة وصار اى رجع (الى قريش) اى بمكة (فقال لهم انى كنت اصرف محمدا) اى اغيره
(حيث اريد) اى من تغيير كلامه وتغيير مرامه (كان يملى على عزيز حكيم فاقول) اى استفهاما (اعلى حكيم)
وفى نسخة فاقول او عليم حكيم (فيقول نعم كل صواب) اى فى نفس الامر اذ نزل عليه بهذا كتاب فيكون من السبعة
الاحرف التى نسخ من كل باب (وفى حديث آخر) كما رواه ابن جرير عن السدى (فيقول له النبى صلى الله عليه وسلم
اكتب كذا) كناية عما كان يأمره بكتابته فى املاء نظرته (فيقول) اى ابن ابى سرح (اكتب كذا) بالف استفهام
ملفوظة او محفوظة واغرب الدلجى فى تقدير انما اكتب كذا (فيقول) اى النبى عليه الصلوة والسلام كما فى نسخة
(اكتب كيف شئت و يقول له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت) وهذا على
اطلاقه غير صحيح فقد روى ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم
بدل عزيز حكيم ولم يكن قارئا فانكره وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه بالعمل
(وفى الصحيح) اى فى البخارى من طريق عبدالعزيز وفى مسلم من طريق ثابت كلاهما (عن انس رضى الله تعالى عنه
ان نصرانيا كان يكتب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما اوحى اليه (بعد ما اسلم) وقرأ البقرة وآل عمران (ثم ارتد
كافرا فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب فاعجبوا به فالبث ان قصم الله عنقه فيهم الحديث (وكان يقول
مايدرى محمد ما كتبت) اى له كما فى نسخة والمعنى مايشعر بكتابتى فيما غيرت سهوا او قصدا وفى نسخة مايدرى محمد
الا ما كتبت له (فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق) اى البين دليلا (ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق) اى تخليطه
(بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية) ولو على طريق الرواية (اولا لا توقع فى قلب مؤمن ريبا) اى شكا وشبهة
(اذ هى حكاية عن من ارتد وكفر بالله) وفى حال كفره يرواه (ونحن) اى معاشر المحدثين من علماء المسلمين
(لا تقبل رواية المسلم المتهم) اى فى عدالته بالكذب والمعصية (فكيف بكافر) اى مستحق العقوبة (افترى هو ومثله)
من الكفرة والفجرة (على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا) الافتراء المروى عنهما فلا عبرة بهما (والعجب لسليم العقل)
وفى نسخة لسليم القلب (يشغل بمثل هذه الحكاية سره) اى الا بارادة انه يدفع شره (وقد صدرت من عدو كافر مبغض
للدين) اسم فاعل من ابغض ضد احب وروى منغص من التنغيص وهو التكدير وروى بالقاف من النقص (مفتر
على الله ورسوله ولم ترد) اى هذه الحكاية (عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد) لا برؤية
ولا بسماع قضية (ما قاله وافتراه على نبى الله وانما) كان حقه ان يقول وقد قال تعالى انما (يفترى الكذب الذين

لايؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون) فيه اقتباس من القرآن الكريم اشعارا بانه نزل ردا لقولهم انما يعلمه بشر وانه على الله مفتر (وماوقع من ذكرها فى حديث انس) ولو فى الصحيح (وظاهر حكايتهـا) ولو بالتصريح (فليس فيه مايدل على انه) اى انسا (شاهده) اى الحاكى حال اسلامه وفى نسخة شاهدها اى الحكاية اوالقضية (ولعله حكى ماسمع) اى من غيره وهكذا بغيرانتهـاء امره الى تحقق سنده (وقد علل البزارحديثه ذلك) اى لذلك اولعلة خفية قادحة فى اسناد ذكرهنالك (وقال) اى البزار (رواه ثابت) وفى نسخة عنه اى عن انس (ولم يتابع عليه) بصيغة المجهول (ورواه حميد) اى الطويل لطول كان فى يده مات وهو قائم يصلى ونقوه على انه كان يدلس (عن انس رضى الله تعالى عنه قال) اى البزار (واظن حميدا انه سمعه من ثابت) اى فدلس وروى عن انس (قال القاضى الامام) الظاهر انه المصنف ويؤيده انه فى نسخة قال القاضى ابو الفضل رحمه الله (ولهذا والله تعالى اعلم لم يخرج اهل الصحيح) وفى نسخة اهل الصحة (حديث ثابت ولاحميد) فيه بحث اذ سبق ان حديثهما فى الصحيحين وكانه اراد غيرهذا الحديث المتنازع فيه (والصحيح حديث عبدالله بن عزيز بن رفيع) وهوتابعى جليل ثقة روى عن ابن عباس وابن عمر وعنه شعبة وابو بكر بن عياش توفى سنة ثلاث ومائة واخرج له الائمة الستة (عن انس الذى خرجه اهل الصحة) اى كلهم (وذكرناه) اى سابقا (وليس فيه عن انس قول شئ من ذلك) اى مما حكى (من قبل نفسه فى جميع الروايات الا من حكايته عن المرتد النصرانى) على ماتقدم والله تعالى اعلم (ولو) وفى نسخة فلو (كانت) اى تلك الرواية اوالحكاية (صحيحة) اى فرضا وتقديرا (لما كان فيها) اى فى مضمونها (قدح) اى طعن (ولاتوهيم) اى نسبة الى وهم وفى نسخة ولاتوهين اى نسبة الى وهن وضعف فى ضبط (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحى اليه) اى من عند ربه (ولاجواز النسيان والغلط عليه والتحريف) اى الزيغ والميل (فيما بلغه) اى اوصله من الحق الى الخلق (ولاطعن فى نظم القرآن) اى لامن جهة مبانيه ولامن طريق معانيه (وانه من عند الله تعالى) اى العزيز الحميد (اذليس فيه) اى فيما قاله الكاتب (لوصح) اى قوله (اكثر من ان الكاتب قال له) اى للنبى عليه الصلوة والسلام (عليم حكيم اوكتبه) اى قبل ان يتم النبى عليه الصلوة والسلام كلامه وفى نسخة اذا كتبه (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك هو) اى مثل ماقلته اوكتبته (فسبقه لسانه اوقلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لهما) اى لتلك الكلمة (اذ كان ماتقدم مما املاه الرسول يدل عليهـا) او يشير اليها (ويقتضى وقوعها) اى فى محلها اللايق بها (بقوة قدرة الكاتب على الكلام) حيث كان من فصحاء الانام (ومعرفته به) اى بالكلام نظما ونثرا فى ترتيب المرام (وجودة حسه) اى ادراكه ودرايته (وفطنته) اى سرعة فهمه عند سماع روايته ونظير ذلك ماوقع لعمر رضى الله تعالى عنه فى موافقته حيث روى انه لما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية فلما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر قال عمر رضى الله تعالى عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال له النبى عليه الصلوة والسلام كذلك انزلت (كما يتفق ذلك للعارف) باساليب الكلام (اذا سمع البيت) من الشعر (ان يسبق) فهمه لقوته (الى قافيته) قبل التمام (او مبتدأ الكلام) اى اواذا سمع ابتداء الكلام (الحسن) فى النثر فانه يسبق طبعه (الى ما يتم به) اى قبل تمام المرام كما فى وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وفى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها (ولايتفق ذلك) التوافق (فى جملة الكلام) اى مما لاتدل فاتحته على خاتمته (كما لايتفق ذلك فى آية) اى كاملة (ولاسورة) اى شاملة (وكذلك) اى يأول (قوله عليه الصلوة والسلام) لعبدالله بن ابى سرح (كل صواب) اى كل ماقلته اوكتبته (ان صح) سنده يروى ان صحت اى اسانيده (فقد يكون هذا فيما) كان (فيه من مقاطع الآى) اى رؤسها وموافقهـا ويروى الآيات (وجهـان) اى جائزان فى صدر الاسلام (وقراءتان) اى متواتران (انزلتا جميعا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الا ان احداهما صارت شاذة (فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته) ببركة صحبته وانعكاس مرآته (ومعرفته بمقتضى الكلام) ومايتعلق بفصاحته وبلاغته (الى الاخرى) اى قبل ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لها كما فى نسخة (فذكرها) اى الكاتب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ذكره لهـا) كما قدمناه على ما يشير اليه قوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولولم تمسسه نار نور على نور عند ظهور الايمان يهدى الله لنوره من يشاء كعمر ويضل من يشاء كابن ابى سرح ويضرب الله الامثال للناس ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور بل له نار فى غاية من ظهور والامور مخبوءة تحت حجب ظلال وستور (فصوبها) اى القرأة الاخرى (له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بحسب الموافقة (ثم احكم الله من ذلك) اى مما ذكر من عليم حكيم بدل غفور رحيم ونحوه مما تقدم هنالك (ما احكم) اى ابقاه (ونسخ مانسخ) اى ازاله لحكمة اقتضت هنالك كقوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما وقوله و بلغوا عنا

اناالقبار شافرضى عنا زل فيمن قتل ببئر معونة من القراء ثم نسخ (كما قدوجد ذلك) الاختلاف الا انها ايضا (في)
مقاطع الآى مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك انت العزيز) اى القوى القادر على ثوابهم
وعقابهم (الحكيم) في ارادته من تعذيبه واثابته (وهذه قرأة الجمهور) وهم السبعة اوالعشرة (وقدقرأ جماعة) اى
بطرق شاذة (فانك انت الغفورالرحيم وليست) اى هذه الجملة (فى المصحف) وفى نسخة من المصحف اى فهى متلوة
لامكتوبة ولذاصارت شاذة (وكذلك كلمات جاءت على وجهين فى غيرالمقاطع) بل فى اثناء الآى من المواضع (قرأبهما
معا) اى كليهما (الجمهور وثبتا فى المصحف) اى مصحف الامام اوجنس المصاحف العثمانية (مثل وانظر الى العظام)
اى عظام الحمار (كيف ننشرها) بالراء وهى قرأة نافع وابن كثير وابى عمرواى نحييها (وننشزها) بالزاى فى قرأة
الباقين اى نحركها ونرفع بعضها الى بعض فى تركيبها (ويقض الحق) بضاض معجمة مكسورة فى قرأة ابى عمروو ابن عامر
وحمزة والكسائى وحذف ياؤه فى الرسم على خلاف القياس تنزيلا للوقف منزلة الوصل اى يقضى القضاء الحق (و يقص
الحق) بضم صاد مهملة مشددة اى يتبعه ويحكيه ويأمر به (وكل هذا) اى ما ذكر من الخلاف فى القرأة اوالرواية
(لايوجب ريبا) يورث شبهة (ولايسبب) بتشديد الباء الاولى مكسورة اى لايصير سببا وفى نسخة صحيحة لاينسب
(للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا) اى سهوا (ولاوهما) بفتح الهاء وسكونها اى توهما (وقدقيل ان هذا) اى قول
ابن ابى سرح لقريش بعد ردته كنت اصرف محمدا كيف اريد (يحتمل ان يكون فيما يكتبه) اى فيما كان يكتبه
مكاتيب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على لسانه (الى الناس) اى من الملوك وغيرهم (غيرالقرآن فيصف)
اى ابن ابى سرح (الله) سبحانه وتعالى بصفات تليق به من سميع بصير وعليم خبير وعليم حكيم وغفور رحيم
حسب مايوافق سجع الكلام ووفق المرام (ويسميه فى ذلك الكتاب) اى المكتوب (كيف شاء) على نهج المطلوب
ويروى بما شاء وكثيرا ما يقع مثل ذلك الاختلاف بين المملى والمملى عليه ثم يحصل الائتلاف

﴿فصل﴾

(هذا القول) اى الذى تقدم (فيما طريقه البلاغ) اى التبليغ فى باب الرسالة (واما ماليس سبيله سبيل البلاغ من
الاخبار التى لامستند لها الى الاحكام) المتعلقة بالامور الدنيوية فى حسن المعاش وتحسين الزاد (ولا اخبار
المعاد) بفتح الميم اى احاديث الاحوال الاخروية فى ابدالآباد (ولاتضاف الى وحى) اى الهى جلى اوخفى (بل فى امور
الدنيا) اى التى ليس لها تعلق بالاخرى (واحوال نفسه) اى من حكاية غده وامسه (فالذى يجب) اى اعتقاده
كما فى نسخة (تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تبرئته (عن ان يقع خبره) اى حديثه (فى شئ من ذلك) اى
مما قدمناه هنالك (بخلاف مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة اى بضد ما اخبر به (لاعمدا ولاسهوا) اى نسيانا (ولاغلطا)
اى خطأ (وانه معصوم من ذلك) اى من جميع ما ذكر (فى حال رضاه وسخطه) بفتحتين و بضم فسكون اى كراهته
وغضبه (وجده) بكسر الجيم وهو ضد الهزل (ومزحه) فانه كان يمزح ولايقول الاحقا ومنه قوله لامرأة لاتدخل
الجنة عجوز (وصحته ومرضه) اى لسلامة قلبه وصحة لسانه (ودليل ذلك) اى ما ذكر (اتفاق السلف) اى من الصحابة
والتابعين (واجماعهم عليه) اى على انه لايصدر شئ منه بخلاف اخباره عنه (وذلك) اى بيانه (انا نعلم من دين
الصحابة) اى و بدئهم (وعادتهم مبادرتهم) اى مسارعتهم (الى تصديق جميع احواله) اى افعاله واقواله (والثقة)
اى الاعتماد (بجميع اخباره) اى احاديثه وآثاره (فى اى باب كانت) من اطواره (وعن اى شئ) وفى نسخة وفى اى شئ
(وقعت) اى اخباره (وانه) اى الشان وفى نسخة صحيحة وانهم (لم يكن لهم توقف) اى تلبث وتمكث (ولاتردد فى شئ
منها) اى من صحة اقواله وافعاله وثبوت احواله (ولااستثبات) اى ولاطلب ثبات نشأ عن تردد بعد نقل ثقات (عن
حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو اولا) لكمال متابعتهم فى اقواله وموافقتهم لافعاله حتى ورد انه عليه الصلوة والسلام
لما خلع نعله فى الصلوة ورمى بها خلعوا نعالهم ورموابها وكذلك فى طرح الخاتم تبعا له صلى الله تعالى عليه وسلم
(ولما احتج ابن ابى الحقيق) بضم المهملة وفتح القاف الاولى وسكون التحتية (اليهودى) من يهود خيبر (على عمر) فيما
رواه البخارى فى حديث اجلاء يهود خيبر (حين اجلاهم) اى اخرجهم عمر (من خيبر) وهو وطنهم ويروى عن خيبر
(باقرار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) متعلق باحتج اى استدل اليهودى بتقريره عليه الصلوة والسلام (لهم)
فى ابقائهم فيها (واحتج عليه عمر بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لابن ابى الحقيق (كيف بك اذا اخرجت من خيبر)
بصيغة المجهول المخاطب (فقال اليهودى كانت) اى مقالته عليه الصلوة والسلام (هزيلة) تصغير هزلة وهى المرة
من الهزل (من ابى القاسم) كنيته عليه الصلوة والسلام بابنه القاسم (قال له عمر كذبت ياعدو الله) وانما كذبه
لنسبته له عليه الصلوة والسلام لما لايليق به من الهزل وللاشارة الى ان كلامه كله قول فصل وما هو بالهزل فانه كان

اخبارا انما سيقع من عزة الاسلام وقوة الاحكام فيكون معجزة جزيلة لا هزيلة رذيلة (وايضا فان اخباره وآثاره)
اى من اقواله وافعاله (وسيره) اى سائر احواله (وشمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق اى الجملة من صفات كماله
ونعوت جماله (معلنى) اى مهم (بها) وهو بصيغة المجهول وكذا (مستقصي) اى مستوفى (تفاصيلها ولم يرد)
اى وما ورد (فى شئ منها) اى من اقواله وشمائل احواله (استدراكه صلى الله تعالى عليه وسلم لغلط فى قول قاله او اعترافه
بالوهم) اى بوقوع سهو (فى شئ اخبر به ولو كان ذلك) اى ماذكر من الغلط والوهم واقعا (لنقل) اى الينا (كما نقل)
على ما رواه مسلم عن طلحة وانس ورافع بن خديج (من قصة رجوعه عليه الصلوة والسلام) وفى نسخة فى قصته عليه
الصلوة والسلام ورجوعه (عن ما اشار به على الانصار فى تلقيح النخل) اى تأبيرها وهو جعل شئ من النخل الذكر
فى الانثى وذلك انه مر بهم وهم يلقحونها فسألهم عن ذلك فاخبروه فقال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوا
فلم تخرج على العادة فقال لهم انتم اعلم بدنياكم وقال انما انا بشر اذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا امرتكم
بشئ من رأيى فانما انا بشر (وكان ذلك) اى قوله عليه الصلوة والسلام للانصار (رأيا) اى من نفسه (لا خبرا) عن وحى
من ربه ومن ثمة قال انتم اعلم بدنياكم وفيه تنبيه نبيه على انه لا يشترط فى حق ارباب النبوة العصمة عن الخطأ فى الامور
الدنيوية التى لا تعلق لها بالاحكام الدينية والاحوال الاخروية لتعلق هممهم العليا بعلوم العقبى وغيرهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا (وغير ذلك من الامور التى ليست من هذا الباب) اى باب تنزيهه عليه الصلوة والسلام عن ان يقع
خبره خلاف مخبره فى فصل الخطاب (كقوله) فيما رواه الشيخان عن ابى موسى الاشعرى قال ارسلنى اصحابى الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اسأله الحملان الى غزوة تبوك فقال والله وفى نسخة زيادة انى لا احملكم وما عندى ما احملكم
عليه ثم اتى صلى الله تعالى عليه وسلم بذود غر الذرى فاعطاه اياها فقال تغفلنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يمينه فرجع اليه فاخبره فقال ما انا حملتكم ولكن الله حملكم (والله لا احلف على يمين) اى على عقد وعزم ونية قال
الانطاكى اى على شئ مما يحلف عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين (فارى غيرها) اى فعل غير المحلوف
عليه يعنى فاعلم ان تركها (خيرا منها) اى من فعلها (الا فعلت الذى حلفت عليه) كترك حملانهم (وكفرت عن يمينى
وقوله) فيما رواه الشيخان عن ام سلمة (انكم تختصمون الى الحديث) تمامه ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض
فمن اقتطعت له من حق اخيه شيئا فكانما اقتطع له قطعة من النار (وقوله عليه الصلوة والسلام) فيما رواه الائمة
الستة عن الزبير من امره عليه الصلوة والسلام للزبير بن العوام ان يسقى نخله ولا يستوعب ثم يرسل الماء الى جاره
من الانصار فقال الانصارى ان كان ابن عمتك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (اسق) بفتح الهمزة (يا زبير)
اى نخلتك او حديقتك (حتى يبلغ الماء الجدر) بفتح الجيم وكسرها وسكون الدال المهملة وبالراء لغة فى الجدار
والمراد ههنا اصل الحائط كما ذكره النووى وقيل اصول الشجر وقيل جدر المشارب التى يجتمع فيهما الماء فى اصول
الشجر وفى نسخة الجدر بضمتين وهو جمع الجدار فاستوعب له عليه الصلوة والسلام بعد ان امره ان يسقى بدون
استيعاب رعاية لجاره (كما سنبين كل ما فى هذا) اى الذى ذكرناه (من مشكل فى هذا الباب والذى بعده ان شاء الله
تعالى مع اشباهها) اى نظائرها مما وقع فى هذا الكتاب ويروى مع اشباههما (وايضا فان الكذب متى عرف) اى
صدوره (من احد فى شئ من الاخبار) ولو جزئيا وهو بفتح الهمزة ويروى فى شئ والاخبار فهو بكسر الهمزة (بخلاف
ماهو) متعلق بعرف حال من ضميره (على اى وجه كان) من المزاح ونحوه (استريب بخبره) بصيغة المجهول وكذا قوله
(واتهم حديثه) وهو تفسير ما قبله قال ابو بكر لعمر رضى تعالى الله عنهما عليك بالرائب من الامور واياك والرائب منها
اى الزم الصافى الخالص منها واترك المشتبه منها فالاول من راب اللبن يروب والثانى من رابه يريبه اى اوقعه فى الشك
ومنه قوله عليه الصلوة والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك بضم الياء وفتحها (ولم يقع قوله فى النفوس موقعا)
اى لم يؤثر فيها تأثيرا تقبله وتطمئن به (ولهذا) اى ولكون الكذب يورث الريبة فى الخبر والتهمة فى الاثر (ترك
المحدثون) وفى نسخة ما ترك المحدثون على ان ما موصولة وقال الدلجى ما مزيدة لتأكيد معنى الترك وهو غريب
(والعلماء) اى المجتهدون فهو اعم مما قبله (الحديث) اى نقله (عمن عرف) اى شهر (بالوهم) بفتح الهاء اى الغلط
وبسكونها اى السهو (والغفلة) اى الذهول وعدم اليقظة (وسوء الحفظ) بقلة الضبط (وكثرة الغلط) فى المتن والسند
(مع ثقته) اى اعتماده فى ديانته وامانته فى روايته وقد حكى ان البخارى امتنع عن الرواية عمن اخذ بذيله مخديا لدابته
ان فى حجره شعيرا ونحوه (وايضا فان تعمد الكذب فى امور الدنيا معصية) ويروى منقصة اى خصلة تورث المذمة
عاجلا والعقوبة آجلا اذ هى الخروج عن الطاعة (والاكثار منه) اى من تعمد الكذب (كبيرة باجماع) اى من العلماء
الاعلام كابى حنيفة ومالك وغيرهما من غير نزاع (مسقط للمروءة) ومخل بالعدالة (وكل هذا) اى ماذكر (مما ينزه عنه

منصب النبوة) بفتح الميم وكسر الصاد اى ساحة الرسالة (والمرة الواحدة) مبتدأ وصفة مؤكدة لها (بعيد بالكلية من الكذب (فيما) و يروى عما (يستشنع) بصيغة المجهول من مادة الشناعة وهى القباحة وكذا قوله (ويستبشع) من البشاعة وهى الكراهة وفى نسخة ويشاع من الاشاعة وفى اخرى ويشيع بالباء اوالنون من التشبيع اوالتشنيع اى فيما يستقبح و يستنكره (مما يخل بصاحبها) اى المرة (ويزرى بقائلها) اى يعيبه و ينقصه و يحقره (لاحقة بذلك) خبر المبتدأ اى متصلة بما ينزه عنه منصب النبوة (واما فيما لايقع هذا الموقع) اى من الامر المستبشع كالكذبة الواحدة فى حقيرة من الدنيا (فان عددناها) اى هذه المعصية (من الصغائر فهل تجرى على حكمها) اى حكم المرة الواحدة من الكذب (فى الخلاف فيها) اى قبل البعثة هل يصدر من الانبياء صغيرة اولا (مختلف فيه) وقدسبق بيان الخلاف (والصواب تنزيه النبوة) اى صاحبها اوذاتها مبالغة (عن قليله) اى الكذب (وكثيره) اى بالاولى (وسهوه وعمده) بخلاف غيرها من الصغائر اذ فيها القولان المشهوران للسلف والخلف (اذ عمدة النبوة) اى مدار امورها المقرونة بالرسالة (البلاغ) اى تبليغ الاحكام (والاعلام) اى بما يتعلق به حق الانام (والتبيين) اى تبيين ما انزل اليهم من الابهام (وتصديق ماجاء به النبى) اى فيما جاء به النبى عليه الصلوة والسلام (وتجويز شئ من هذا) اى الذى يخل بمنصب النبوة سواء كان صغيرة اوكبيرة قليلة اوكثيرة (قادح فى ذلك) اى فى العمدة التى هى ابلاغ النبوة (ومشكك فيه) اى وموقع فى الريبة (مناقض للمعجزة) اى التى هى عبارة عن قول الرب صدق عبدى (فلنقطع عن يقين) اى لاعن ظن وتخمين وفى نسخة على يقين (بانه) اى الشان (لايجوز على الانبياء خلف) اى تخلف كما فى نسخة اى مخالفة وقوع (فى القول) من اقوالهم (فى وجه من الوجوه) اى فى حال من احوالهم (لابقصد ولابغير قصد ولانتسامح) اى نحن وفى نسخة بصيغة المجهول اى ولاينبغى ان يتسامح و يتساهل وفى اخرى ولا يتسامح بباء الجر والتنوين (مع من تسامح) بصيغة الماضى وفى نسخة بصيغة المضارع الغائب كلاهما من باب التفاعل وفى نسخة سامح من باب المفاعلة وفى اخرى ولا يتسامح بتسامح على لفظ المصدر (فى تجويز ذلك) اى الخلف فى القول (عليهم) ولوكان (حال السهو مما) وفى نسخة فيما (ليس طريقه البلاغ نعم) كذا فى بعض النسخ المصححة ولم يتعرض له احد من المحشين ولم يظهر لنا وجهه المستبين (وبانه) اى وكذا نقطع بانه (لايجوز عليهم الكذب قبل النبوة) اى اظهارها (ولاالاتسام) بتشديد التاء افتعال من الوسم وهو العلامة اى ولايجوز الاتصاف (به فى امورهم) المتعلقة بآخرتهم (واحوال دنياهم لان ذلك) اى الكذب لوصدر عنهم كان (يزرى) اى يحقرهم (ويريب بهم) اى يوقع اممهم فى التهمة فيما جاؤا به عن ربهم (و ينفر القلوب عن تصديقهم بعد) اى بعد ارسالهم بما امروا بتبليغ احوالهم (وانظر احوال عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم) اى من العرب والعجم (وسؤالهم) بالنصب اوالجر (عن حاله) اى تحول شانه (فى صدق لسانه وماعرفوا به) بتشديد الراء مبنيا للمفعول اوالفاعل مشددا ومخففا اى والذى عرف قريش (من ذلك) اى صدق لسانه (واعترفوا به) حين سئلوا عنه (مما عرف) بصيغة المفعول ويروى واعترفوا بما عرف به اى علم من تحقق شانه (واتفق النقل) ويروى واتفق اهل النقل (على عصمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منه) اى من الكذب ونحوه (قبل و بعد) اى قبل البعثة و بعدها (وقدذكرنا من الآثار فيه) اى فيما يتعلق به (فى الباب الثانى اول الكتاب مايبين لك صحة ما اشرنا اليه) من تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ونحوه مما يشين لديه ومن جملته قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لايكذبونك بالتشديد والتخفيف اى لا ينسبونك الى الكذب قبل النبوة ولا بعدها

﴿ فصل ﴾

(فان قلت فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام فى حديث السهو) اى الحديث الدال على السهو على ما رواه الشيخان (الذى حدثنا به العقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر ثنا القاضى ابوالاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة بعدها غين معجمة (ابن سهل) هو القاضى عيسى بن سهل (قال ثنا حاتم بن محمد) تقدم (ثنا ابوعبدالله بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة (ثنا ابوعيسى) اى الترمذى على ماصرح به الدلجى وقال الحلبى تقدم انه يحيى بن عبدالله بن يحيى بن يحيى ابن كثير الليثى (ثنا عبد الله) قال الحلبى تقدم مرارا انه ابومروان عبدالله بن يحيى بن يحيى الليثى (ثنا يحيى) تقدم انه يحيى بن يحيى الليثى (عن مالك) اى ابن انس الامام (عن داود بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وثقه جماعة توفى سنة خمس وثلاثين ومائة اخرج له الائمة الستة (عن ابى سفيان) تابعى ثقة مولى ابن ابى احمد اخرج له الائمة الستة (انه قال سمعت اباهريرة رضى الله تعالى عنه) قال الحلبى الحديث اخرجه من الموطأ كما ترى وهو فى مسلم والنسائى من رواية ابى سفيان عن ابى هريرة واخرجاه جميعا عن عقبة عن مالك به فان قلت لم لم يخرجه القاضى من

مسلم فالجواب ان بينه و بين مالك فى الموطأ سبعة اشخاص واورواه عن مسلم كان كذلك ولكن الموطأ عندهم مقدم على غيره ايضا الموطأ يقع له من بعض الطرق اعلى بما ذكره بدرجة فيعلوله على مسلم ولكن لواخرجه من عند النسائى كان يقع له اعلى من الموطأ عن ابى هريرة (يقول صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة العصر) وقيل الظهر (فسلم فى ركعتين) اى بعد فراغه منهما ومن تشهدهما (فقام ذواليدين) وسمى به لان فى يديه اواحداهما طولا وقيل لانه كان يعمل بكلتا يديه ووهم هنا الزهرى مع سعة علمه فقال ذوالشمالين ولا يصح لان ذا الشمالين قتل ببدر وذواليدين شهد قصة ابى هريرة واسلام ابى هريرة بعد خيبر تأخر موته حتى روى عنه متأخروا التابعين كطير وقيل انهما واحد ولا يصح لان ذا الشمالين خزاعى وذا اليدين سلمى (فقال يارسول الله اقصرت الصلوة) على بناء المفعول من القصر ضد الاتمام او بفتح فضم صاد وتاء تأنيث على صيغة الفاعل بمعنى النقص قاله ابن الاثير وقال النووى كلاهما صحيح والاول اشهر واصح وقال المزى الصحيح بناء قصرت لما لم يسم فاعله من قبل الرواية ومن قبل الدراية لان غيرها قصرها ولموافقة لفظ القرآن ان تقصروا من الصلوة انتهى ولا يخفى ان هذا يشير الى احتمال وجه آخر وهو ان يكون قصرت بفتحتين وتاء الخطاب وحينئذ يطابق قوله (ام نسيت) بفتح فكسر ثم تاء خطاب (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جوابا له (كل ذلك لم يكن) روى بالرفع والنصب فعلى الاول مبتدأ خبره لم يكن وعلى الثانى خبر كان مقدم عليها والمعنى كل ذلك لم يقع من قبلى بل انما كان من عند ربى ليبين الحكم فى امتى من جهتى (وفى الرواية الاخرى ماقصرت) بصيغة الغائبة للفاعل اى الصلوة كما فى نسخة (وما نسيت) بصيغة المتكلم وما يحتمل نافية واستفهامية و يؤيد الاول انه فى رواية اخرى لم انس ولم تقصر وفى نسخة ولا نسيت (الحديث بقصته) اى مشهور فى روايته (فاخبر بنفى الحالين) اى معا بناء على مااختاره المصنف من ان ما نافية (وانها لم تكن) اى حالة منهما اى مطلقا او القضية اصلا وفى رواية انهما لم يكونا اى النقص والنسيان (وقد كان احد ذلك) اى احد ما ذكر من الحالتين فى الواقع (كما قال له) وفى نسخة كما قال ذواليدين (قد كان بعض ذلك يارسول الله) فهذا يرجح كون ما نافية (فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف) اى متمسك بطريق الانصاف فى الرجوع الى الحق (ومنها) اى و بعضها (ماهو بنية التعسف والاعتساف) التعسف هو الخروج عن الجادة وركوب الامر بالمشقة وفى معناه الاعتساف وانما جمع بينهما للمبالغة ورعاية الفاصلة والمراد بالنية القصد والتوجه بالطوية وفى نسخة بتيه بكسر الفوقية فياء ساكنة فهاء وفسره الحلبى بالكبر والاظهر انه بمعنى التحير فى تيه الضلالة و بيداء الجهالة ولذا فسره التلمسانى بعدم الاهتداء (وها انا اقول) مبتدأ وخبر قرنا بتنبيه فى حق نبى نبيه (اما على القول) اى قول بعضهم (بتجويز الوهم) بفتح الهاء وسكونها اى السهو (والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ) بالنصب اى الابلاغ وفى نسخة من البلاغ اى من جهة التبليغ (وهو) اى هذا القول هو (الذى زيفناه) اى ضعفناه (من القولين) اعنى الجواز وعدمه (فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه) ولا اشكال فى تجويز نحوه (واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان فى افعاله) اى الشاملة لاقواله عليه الصلوة والسلام (جملة) اى جميعها بجملة (و يرى انه) اى و يعتقد انه عليه الصلوة والسلام (فى مثل هذا عامد لصورة النسيان) اى كالعامد فى هذه الصورة (ليسنه) فهو صادق فى خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل فى هذه الصورة ليسنه (لمن اعتراه مثله) اى اصابه نحوه من الامة فيقتدى به فى تدارك الحالة (وهو قول مرغوب عنه) اى مردود لنسبته الى التعمد فى القضية (نذكره) وفى نسخة ونذكره (فى موضعه) اى مع بيان ضعفه (واما على احالة السهو) اى على كون السهو محالا (عليه فى الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول) اى التبليغ (كما سنذكره) اى على القول الاصح (ففيه اجوبة) اى مرضية (منها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره) اى بحسب ظنه فى قوله كل ذلك لم يكن (اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا) فلا شبهة فيه (واما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده) اى وفق اجتهاده (وانه لم ينس فى ظنه فكانه قصد الخبر بهذا) اى بعدم نسيانه (عن ظنه وان لم ينطق به) اى وان لم يصرح به وان لم يقل لم انس فيما اظن به (وهذا) و يروى وهو (صدق ايضا) لاريبة فيه ولا شبهة (ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع) اى مفعوله (الى السلام اى انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد اى لم اسه فى نفس السلام وهذا محتمل) اى من جهة العربية (وفيه بعد) اى عن صحة حل القضية (ووجه ثالث وهو ابعد) و يروى ابعدها اى من النقل والعقل فى تحقيق المعنى (ماذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ) اى المبنى (من قوله كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما) وهذا بحسب مفهوم المعنى وهو غير معتبر عند الجمهور (ومفهوم اللفظ) اى المعتبر (خلافه) اى مخالف له لاسيما (مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ماقصرت الصلوة

وما نسيت) وفي نسخة ولا نسيت فانه دال على نفي وجودهما كليهما سواء تكون نافية او استفهامية وايضا لو كان مفهومه ماتقدم لم يقل ذوالیدین قد كان بعض ذلك يارسول الله (هذا) اي الوجه الثالث (ما رأيت فيه لائمتنا) اي المالكية والائمة فيشير الى انه مما ظهر له والله تعالى اعلم (وكل من هذه الوجوه) اي الثلاثة (محتمل اللفظ) وفي نسخة محتمل للفظ اي للنفي وان كان الاخيران بعيدين في المعنى (على بعد بعضها) وهو الوجه الثاني (وتعسف الاخر منها) وهو الوجه الثالث (قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (والذي اقول) اي واختاره (و يظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه) لان اصل النسيان الترك فكره عليه الصلوة والسلام ان يقول تركت باختياري (وانكره على غيره) جملة حالية اي وقد انكره عليه الصلوة والسلام فيما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي) بضم النون وتشديد السين المكسورة اي انساه الله اياها ولابي عبيد بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هو نسي ولكنه نسي وهو ابين من الاول لكن فيه ان ظاهر الحديث يخص النسيان بآي القرآن فلا يعم سائر الاقوال والافعال من الشان ولعله مقتبس من قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله اي ما اراد الله تعالى انساءه لك اياه فينسيكه نعم ربما يعم الحكم كما نبه عليه المصنف وقال (وبقوله في رواية الحديث الآخر) وفي نسخة في بعض رواية الحديث الآخر (لست انسى) بفتح الهمزة والسين (ولكن) وفي نسخة ولكن (انسى) بصيغة المجهول مشددا و يجوز مخففا (فلما قال له السائل) وهو ذواليدين (اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان) اي في نفس الامر (ونسيانه) اي وانكر نسيانه هو (من قبل نفسه) اي باختياره وتقصير من جانبه (وانه) اي الشان (ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي) بصيغة المجهول مشددا (حتى سأل غيره) اي من الصحابة كابي بكر وعمر رضي الله عنهما بقوله احق مايقول ذواليدين قالوا نعم (فتحقق انه نسي) بصيغة المجهول مشددا اي انساه الله (واجرى عليه ذلك) بالبناء للمفعول وكذا قوله (ليسن) اي ليقتدى وفي نسخة بالبناء للفاعل اي ليجعله سنة يقتدى بها الامة (فقوله على هذا لم انس ولم تقصر) البناء للفاعل او المفعول (وكل ذلك) اي وقوله كل ذلك وفي نسخة اذ كل ذلك (لم يكن صدق) خبر لقوله فقوله (وحق) تأكيد (لم تقصر) اي كما في نفس الامر (ولم ينس حقيقة) اي من قبل نفسه (ولكنه نسي) اي انساه الله تعالى اياه فكراهته عليه السلام نسبة النسيان الى النفس انما هي لاسناد الحوادث كلها لله تعالى اذ هو المقدر لها وللاشعار الى انه لم يقصد الى نسيانه ولم يكن باختياره فلم ينسب الى تقصيره (ووجه آخر) يؤذن بالفرق بين السهو والنسيان (استثرته) اي استخرجته من استثار بالمثلثة من باب الافتعال واصله استثورته ومنه قوله تعالى فاثرن به نقعا والمعنى استنبطته (من كلام بعض المشايخ) اي مأخوذ من متفرقات كلامه في تحقيق مرامه (وذلك انه) اي بعض المشايخ (قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال) اي بعض المشايخ (لان النسيان غفلة وآفة) اي بلية ناقصة ولذا قال تعالى فلا تنسى اي باختيارك الا ماشاء الله بان ينسيك من غير تقصير منك(والسهو انما هو شغل) بضم وسكون وبضمتين وفي نسخة بالاضافة الى بال اي اشتغال حال وهو لاينافي صاحب كمال لانه يتنبه منه بادنى تنبيه فيه (قال) اي ذلك البعض (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو في صلوته ولا يغفل) بضم الفاء اي ولايذهل (عنها) بالكلية (وكان يشغله عن حركات الصلوة) اي وسكناتها من قراءتها وركوعها وسجداتها (ما في الصلوة شغلا بها) اي بتحصيلها وتكميلها من حضور وحضور وخضوع وخشوع وتدبر قراءة في مبانيها ومعانيها (لا غفلة عنها) بصرف الخاطر الى غيرها من الامور الدنيوية والاحوال الدنية بل لاستغراق وقع له فيها مما لا ينافيها (فهذا) اي القول بهذا المبنى (ان تحقق) بصيغة المفعول او الفاعل اي ثبت (على هذا المعنى لم يكن في قوله ماقصرت) اي هي (ومانسيت) اي انا (خلف) بضم اي اخلاف (في قول) لعصمته عليه الصلوة والسلام من الخلف في الكلام والله تعالى اعلم بحقيقة المرام (وعندي ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ماقصرت ومانسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله تعالى اعلم اني لا اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلوة واسكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح اني لا نسي او انسى لاسن) وهذا واضح واثر التكرار عليه لائح (واماقصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة) اي في الحديث كما في نسخة (انها كذباته) جمع كذبة بفتح فكسر في المفرد والجمع خلافا للتلمساني حيث قال بفتح الذال جمع كذبة بسكونها (الثلاث المنصوصة) اي الصريحة (في القرآن) ففيما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات (منها اثنتان قوله اني سقيم) في الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم (و بل فعله كبيرهم هذا) في سورة

الانبياء قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون (وقوله للملك عن زوجته) اى سارة حين اخذها وسأله عنها فقال (انها اختى) اى فى الاسلام خشية ان يقتلها لو قال انها زوجتى ولقد نجاها الله منه بما اعتراه من الخوف واخدمها هاجر ام اسمعيل ابى العرب جد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم احد الذبيحين على ما ورد قال الحلبى فان قيل ما الحكمة فى عدوله عن قوله هذه زوجتى الى هذه اختى وظاهر الحال انه لو قال هذه زوجتى ربما كان الملك لايتطرق الى امرأة زوجها معها ان كان يعمل بالشرع ولكنه صار كما وصف فى الحديث فما يبالى اكانت زوجة ام اختا بخلاف ما اذا قال هذه اختى ربما كان يقول الملك زوجنيها ويكون عدوله عن امرأتى الى اختى ادعى لاخذ الملك لها فالجواب ما قاله بعض مشايخى فيما قرأته عليه عن ابن الجوزى انه وقع له ان القوم كانوا على دين المجوس وفى دينهم ان الاخت اذا كانت مزوجة كان اخوها الذى هو زوجها احق بها من غيره وكان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستعصم من الجبار بذكر الشرع الذى يستعمله فاذا الجبار لايراعى دينه وقد اعترض على هذا الجواب بان الذى جاء بمذهب المجوس زرادشت وهو متأخر عن ابراهيم عليه السلام واجيب بان لمذهبهم اصلا قديما ادعاه زرادشت وزاد عليه خرافات اخر انتهى وقيل كان من عادة ذلك الجبار ان لا يتعرض الا لذات الازواج ولذلك قال الخليل لها ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك وحكى ان الملك كان بمصر واراد ابراهيم ان يجتاز منها هو ومن معه من المؤمنين وكانوا ثلاثمائة وعشرين رجلا وجمع بينهما حناطه الذى يبيع طعامه وهو الذى وشى بسارة وحملها الى الملك فاهوى اليها بيده مرارا فلم يستطع وابراهيم ينظر اليهما من خارج القصر بعد ان امر الملك باخراجه ومثل الله تعالى لابراهيم القصر كالقارورة حتى انه ينظر من خارجه كل ما كان فى داخله (واعلم اكرمك الله تعالى ان هذه) اى كلمات ابراهيم عليه السلام (كلها خارجة عن الكذب) بفتح فكسر ويجوز كسر اوله وسكون ثانيه (لا فى القصد ولا فى غيره) اى من السهو والخطأ والنسيان (وهى) اى الكلمات الثلاث (داخلة فى باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب) اى سعة وفسحة عنه ومنه قول ام سلمة لعائشة قد جمع ذيلك فلا تندحيه اى لاتوسعيه وتنشريه ارادت قوله تعالى وقرن فى بيوتكن وهذا مأخوذ من حديث ابى عبيد وغيره عن عمران بن حصين يرفعه ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو جمع معراض من التعريض ضد التصريح من القول فهى فى الحقيقة صدق عرض بها ليتوصل الى غرضه من مكايدة قومه والزامهم الحجة فى ذات الله تعالى ومرضاة ربه فمعاريض الكلام ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده شئ آخر وقد كان السلف يورون عند الحاجة والضرورة فقد روى عن ابراهيم النخعى انه كان اذا طلبه فى الدار من يكرهه قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد وكان الشعبى اذا طلبه احد يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعى الاصبع فيها وقولى ليس ههنا (اما قوله انى سقيم فقال الحسن) اى البصرى (وغيره معناه سأسقم) من باب فرح وكرم والاول افصح (اى ان كل مخلوق معرض لذلك) بتشديد الراء المفتوحة اى معرض للسقم ومقابل له (فاعتذر لقومه من الخروج) اى تفاديا منه (معهم الى عيدهم) اى محل اجتماعهم (بهذا) التعريض روى انه ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا وقد اراد التخلف عنهم فنظر الى نجم فقال ان هذا النجم ما طلع قط الا اسقم اى مسارف للسقم وهو الطاعون لانه كان اغلب اسقامهم وكانوا يرهبون العدوى فنفروا عنه وتخلصوا منه (وقيل بل سقيم بما قدر على من الموت) اى عرض لهم بان من كان هدفا للمنايا وغرضا للبلايا فهو سقيم بما قدر عليه من الموت كما روى ان رجلا مات فجأة فقيل مات وهو صحيح فقال اعرابى اصحيح ومن فى عنقه الموت (وقيل بل سقيم القلب بما اشاهده) ويروى بما شاهدته (من كفركم) بالرب (وعنادكم) بالميل عن طريق الحق والادب (وقيل بل) قال سقيم لانه (كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم) له اوالهم (فلما رآه اعتذر بعادته)التى تعتريه عند طلوعه وتغيره فى حالته (وكل هذا) اى ما ذكر من الاجوبة (ليس فيه كذب) اى صريح (بل خبر صحيح صدق) اى هو قول حق (وقيل بل عرض) بتشديد الراء اى ورى فى قوله (بسقم حجته عليهم) اى بعدم نفع موعظته لديهم (وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التى كانوا يشتغلون بها) اى تعظيما لها اذ عمدة الناظر فيها التخمين وهو لايجدى نفعا فى مقام اليقين قيل كان القوم نجامين اى متعاطين لعلوم النجوم فاوهمهم انه استدل بامارة فى علم النجوم على انه سقيم وعرض بسقم حجته وضعف ما اراد من بيان بينته (وانه) اى ابراهيم عليه الصلوة والسلام كان (اثناء نظره فى ذلك) اليهم (وقيل استقامة حجته عليهم فى حال سقم) بفتحتين وبضم فسكون اى تغير (باله ومرض حاله) لديهم فجعل سقم حجته وضعف موعظته سقما مجازا عن تعب القلب (مع انه) اى ابراهيم عليه الصلوة والسلام (لم يشك هو) بل تيقن ايقانه (ولا ضعف ايمانه) بل قوى كل ساعة برهانه (ولكنه ضعف) اى بيانه (فى استدلاله عليهم وسقم نظره) اى فكره فيما يتوجه اليهم (كما يقال

حجة سقيمة و نظر معلول) اللغة الفصحى معل او معلل فقد قال ابن الصلاح قول الفقهاء والمحدثين معلول مردود عند اهل العربية وقال النووى انه لحن وقال صاحب المحكم والمتكلمون يستعملون لفظة المعلول كثيرا ولست منها على ثقة لان المعروف انما هو اعله فهو معل اللهم الا ان يكون على ما ذهب اليه سيبويه فى قولهم مجنون ومسلول من انهما جاآ على جننته وسللته وان لم يستعملا فى الكلام استغناء عنهما بافعلت واذا ارادوا جن وسل فانما يقولون جعل فيه الجنون والسل (حتى الهمه الله باستدلاله) اى الواضح لديهم (وصحة حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس مانصه الله تعالى) اى ماصرحه وفى نسخة ماقصه اى حكاه حيث ذكر تبيانه (وقدمنا) وفى نسخة وقد قدمناه (بيانه) اى مايوضح حجته و برهانه (واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية) اى فاسألوهم ان كانوا ينطقون (فانه علق خبره) اى بفعل كبيرهم (بشرط نطقه) مع غيره (كانه قال ان كان ينطق) اى كبيرهم (فهو فعله) مع علمه بانه لاينطق (فهو على طريق التبكيت) اى التوبيخ والتقريع (لقومه) فى اعتقادهم الفاسد وزعمهم الكاسد فى الوهية كواكب وحجارة لاتضر ولاتنفع وتعظيمهم لها وعبادتهم اياها (وهذا) القول بهذا المعنى (صدق) اى وحق ايضا (ولا حلف فيه) اصلا (واما قوله اختى فقد بين فى الحديث) اى الذى رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه لم يكذب ابراهيم فذكره (وقال انك) وفى نسخة فانك (اختى فى الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة) وقد روى انها كانت بنت عمه ومثل هذه قد يقال لها الاخت فى النسب ايضا (فان قلت هذا) وفى نسخة فهذا (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها) اى الكلمات الثلاث (كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة و يذكر كذباته) على مارواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (فمعناه) اى معنى وصفها بكونها كذبات (انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن) اى فى نفس الامر (الا هذه الكلمات) اى الثلاث وهى انى سقيم وفعله كبيرهم وهذه اختى (ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلوة والسلام) اى خاف (من مؤاخذته) وفى نسخة بمؤاخذته (بها) لعلو شان الانبياء عن الكناية بالحق فى باب الانباء فيقع ذلك منهم موقع الكذب من غيرهم فان حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار (واما الحديث) اى الذى رواه الشيخان عن كعب بن مالك (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد غزوة) اى ويريد سترها (ورى بغيرها) بتشديد الراء من التورية وهى الاخفاء وكانه جعل الشئ وراءه وجعل غيره نصب عينه وقيل ورى ستر مقصده واظهر غيره بان سأل عن طريق لايريده فانه كان عليه الصلوة والسلام يسأل عن ناحية وطريقها ويخرج الى غيرها لئلا يأخذ العدو حذره (فليس فيه خلف فى القول وانما هو ستر لمقصده) وفى نسخة ستر مقصده بالاضافة وفى اخرى ستر بصيغة الماضى ونصب مقصده اى اخفى جهة قصده خوفا من اشتهاره (لئلا يأخذ عدوه حذره) بكسر اوله اى احتراسه واحترازه (وكتم وجه ذهابه) بالاضافة وفى نسخة بصيغة الماضى وفى اخرى كتم لوجه ذهابه اى جهة مقصده وطريق مطلبه (بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره) اى احوال الموضع الآخر (والتعريض بذكره) اى التلويح به وعدم التصريح بمقصده وقد ورد استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان وفى الصحيح الحرب خدعة (لانه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا) بكسر الواو اى جهة قصدنا (الى موضع كذا بخلاف مقصده) ليكون خلفا (فهذا لم يكن) ولا يتصور ان يكون منه عليه الصلوة والسلام (والاول) وهو التعريض (ليس فيه خبر يدخله الخلف) بضم الخاء اى الاخلاف فيترتب عليه الكذب فى القول (فان قلت فما معنى قول موسى عليه الصلوة والسلام وقد سئل اى الناس اعلم فقال انا اعلم) بناء على ظنه (فعتب الله تعالى عليه ذلك) حيث لم ينتظر الوحى هنالك اولم يفوض (اذ لم يرد العلم اليه) بان يقول الله تعالى اعلم او يقول انا والله اعلم ومن هنا تأدب العلماء فى اجوبتهم بقول والله تعالى اعلم (الحديث) رواه الشيخان عن ابى بن كعب مطولا (وفيه قال) اى الله تعالى (بل) وفى رواية بلى (عبد لنا بمجمع البحرين) وهو ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وقال السهيلى هو بحر الاردن و بحر القلزم وقيل غيره (اعلم منك) اى فى بعض العلوم لما فى الحديث ياموسى انى على علم علمنيه الله تعالى لاتعلمه وانت على علم علمك الله لا اعلمه وذكر السهيلى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان حكمة الله تعالى فى جمع موسى مع الخضر عليهما الصلوة والسلام عند مجمع البحرين انهما بحران احدهما اعلم بالظاهر اعنى علم الشرعيات ومايتعلق بالذات والصفات وهو موسى عليه السلام والآخر اعلم بالباطن واسرار الملكوت من الكاشفات وهو الخضر عليه السلام فكان اجتماع البحرين بمجمع البحرين هذا وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى عليه الصلوة والسلام ذكر الناس يوما حتى فاضت العيون ورقت القلوب فادركه رجل فقال اى رسول الله هل فى الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله تعالى عليه

اذلم يرد العلم الى الله تعالى (وهذا) اى قول موسى انا اعلم (خبر قد انبأنا الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم انه) اى الشان (وقع) وفى نسخة قد وقع (فى هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هل تعلم احدا) اى من الناس (اعلم منك) بنصب اعلم على انه مفعول ثان وفى نسخة برفعه فتقديره هو اعلم منك (فاذا كان جوابه على علمه) اى مبنيا على ما غلب عنده من علمه (فهو) اى قوله انا اعلم بهذا الوجه (خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة) مؤكدات لكونه خبرا حقا (وعلى الطريق الآخر) اى المروى عن ابى بن كعب كما مر (فحمله على ظنه) اى الغالب (ومعتقده) انه اعلم بحسب علمه (كما وصرح به) اى بظنه ومعتقده كان يقول انا اعلم فيما اظن واعتقد وانما ظن ذلك واعتقد بما ذكر هنالك (لان حاله) اى مرتبته (فى النبوة) المؤيدة بالرسالة (يقتضى ذلك) اى كونه اعلم الناس فى زمانه (فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه) بكسر اوله لا بضم اوله كما وهم الدلجى اى ظنه (صدقا لا خلف فيه) فلا اشكال فيه اصلا (وقد يريد بقوله انا اعلم) متعلقا خاصا وهو ما بينه بقوله (بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد) المتعلقة بالذات والصفات (وامور الشريعة) اى وظائف العبادات (وسياسة الامة) اى بحدود الزواجر والمهيبات ونحو ولا ينافى ان يكون غيره اعلم منه فى غيرها كما ورد انتم اعلم بامور دنياكم وكما عرف فى قضية الهدهد قوله احطت بما لم تحط به وكما وقع لعمر فى موافقاته فانه قد يكون فى المفضول ما لا يكون فى الفاضل مما لا ينقص فى فضله ومن هنا ورد فى معرفة الانساب علم لا ينفع وجهل لا يضر بل وقد يكون بعض العلوم مضرته اكثر من منفعته فلا محذور حينئذ ان يكون بعض افراد الامة اعلم بوجه من صاحب النبوة (ويكون الخضر اعلم منه) اى من موسى ولو كان من امته على القول بولايته او نبوته (بامور اخر) اختص بها (مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى) له اياها (من علوم غيبه) الخاص به وفى نسخة من علوم غيبية (كالقصص المذكورة فى خبرهما) من قضية السفينة والغلام والجدار (فكان موسى اعلم) الناس مطلقا (على الجملة) اى عموما (بما تقدم) من علوم النبوة والرسالة وامور الشريعة واحكام السياسة (وهذا) اى الخضر عليه الصلوة والسلام (اعلم على الخصوص بما اعلم) بصيغة المجهول اى بما اعلمه سبحانه وتعالى (ويدل عليه) اى على ان ما اعلمه خاص (قوله تعالى وعلمناه من لدنا) اى مما يختص علمه بنا (علما) بطريق الوحى الجلى والخفى (وعتب الله) بسكون التاء اى ويدل عليه عتابه سبحانه وتعالى (ذلك) اى قوله انا اعلم (عليه فيما قاله العلماء) اى المحدثون (انكار هذا القول عليه لانه) كما فى حديثه (لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه) اى الله سبحانه وتعالى (لم يرض قوله) اى لم يستحسن قول موسى عليه الصلوة والسلام انا اعلم (شرعا) اى من جهته رعاية لامته والمعنى لم يرض ان يكون قوله شرعا يقتدى به (وذلك) اى وسببه (والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لا يبلغ كماله) اى كمال موسى من جهة مرتبته (فى تزكية نفسه) اى طهارة حالته (وعلو درجته من امته) متعلق بيقتدى (فيهلك) بالنصب اى يضيع من يقتدى به من امته فى قوله انا اعلم من غير تفويض واستثناء (لما تضمنه) اى قوله انا اعلم (من مدح الانسان نفسه) اى عند اطلاقه وقد قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى (ويورثه ذلك) القول وهو انا اعلم (من الكبر والعجب) الا ان يكون تحدثا بنعمة ربه ظاهرا وباطنا (والتعاطى) لاجتراء على الاعطاء واخذ الاشياء (والدعوى) الخارجة عن المعنى (وان نزه عن هذه الرذائل) اى المذكورة (الانبياء) بشرف مقاماتهم ورفع درجاتهم وان تفاوتت فى الفضائل والفواضل وحسن الشمائل (فغيرهم بمدرجة سبيلها) بفتح الميم والراء اى مسلك طريقها وفى نسخة سيلها اى ممرها (ودرك ليلها) بفتح الراء بان يدركه ظلامها وفى اصل التلمسانى نيلها بالنون اى يدركه فيصيبه ضررها ويحصل له خطرها (الا من عصمه الله تعالى) من الاتصاف بها او التخلص عنها (فالتحفظ منها اولى لنفسه) قبل وقوعه فيها (وليقتدى به) بصيغة المجهول اى ليقتدى غيره به (ولهذا) اى التحفظ او الاقتداء (قال صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظا من مثل هذا) اى مدح النفس وما يترتب عليه له ولغيره (مما قد علم به) بصيغة المجهول وفى نسخة اعلم به (انا سيد ولد آدم) اى يوم القيمة على ما رواه مسلم وغيره (ولا فخر) اى لا اقوله افتخارا لنفسى بل تحدثا بنعمة ربى (وهذا الحديث) يعنى سئل اى الناس اعلم (احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله) وفى نسخة بقوله اى الخضر (فيه) اى فى حديثه (انه) وفى نسخة انا (اعلم من موسى) وهكذا وقع فى كثير من الاصول وهو غير الصواب لان الضمير المضاف اليه القول عائد حينئذ على الخضر والضمير المجرور بفى عائد على الحديث السابق وليس فيه ان الخضر قال انا اعلم من موسى فالصواب ما فى بعض النسخ وهو لقوله فيه انه اعلم من موسى و يكون الضمير المضاف اليه القول عائدا الى الله والضمير المنصوب بان عائدا على الخضر وقد سبق ان فى الحديث بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك (ولا يكون الولى اعلم من النبى) اى جنس الانبياء وفى نسخة من نبى وفيه انه لا يجوز ان يكون الولى اعلم من النبى مطلقا الا كما بينه الخضر مقيدا (واما الانبياء

فيتفاضلون في المعارف) كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكذا في الدرجات كما قال ورفع بعضهم درجات (ويقوله وما فعلته عن امري) اى من رأيي بل فعلته بامر ربي (فدل) على (انه يوحى) اما بواسطة ملك او بدونها وايضا ليس لولى ان يقدم على قتل صبي بمجرد ما ينكشف له باعلام او الهام انه كافر في علم الله سبحانه وتعالى (ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله) للامور الثلثة اولقتل الصبي فان غيره لايحتاج ان يكون (بامر نبي آخر) كان في زمانه (وهذا) القول (يضعف) اى ضعفا ظاهرا (لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه الصلوة والسلام نبي غيره الااخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار) اى الاحاديث (في ذلك) اى في كون نبي غيرهما حينئذ (شيئا يعول عليه) اى يعتمد و يسند اليه و يستعان به لديه (واذا جعلنا) اى قول السائل لموسى هل تعلم احدا (اعلم منك ليس على العموم) اى على اطلاقه (وانما هو) اى قوله اعلم محمول (على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر) وفيه انه يشكل قتله الصبي على ما قدمنا فلابد من القول بنبوته او بوجود نبي غير موسى وهرون عليهما السلام في مدته (ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله تعالى والخضر اعلم) بالرفع او النصب (فيما رفع اليه) بصيغة المجهول (من موسى) متعلق باعلم وهذا بعينه في نفس الحديث تقدم (وقال آخر) اى من الشيوخ (انما الجئ) اى اضطر (موسى الى الخضر للتأديب) اى التهذيب (لا للتعليم) ويرده قوله هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا الآيات

﴿فصل﴾

(واما ما يتعلق بالجوارح) اى بالاركان (من الاعمال ولايخرج) بالواو لا بالفاء كما في نسخة لان جواب لما سيجي والجملة فيما بينهما معترضة والتقدير والحال انه لايخرج (من جملتها) ويروى عن جملتها اى الاعمال (القول باللسان فيما عدا الخبر الذي (وقع فيه الكلام) من قسميه الذي سبيله البلاغ والذي ليس سبيله البلاغ من المرام (والاعتقاد) اى ولايخرج من جملتها ايضا الاعتقاد (بالقلب) لان محله الجنان يروى في القلب (فيما عدا التوحيد) وما يتبعه من الايمان والاسلام والاحسان ومراتب الايقان والاتقان مما عقدت عليه قلوب الانبياء (وما قدمناه من معارفه المختصة به) اى بالقلب واحواله فانهما لاتخرج من جملتها لانها من اعماله (فاجمع المسلمون) اى السلف المعتمدون (على عصمة الانبياء من الفواحش) اى قولا وفعلا وعقدا وهي الذنوب التي فحش قبحها وحرم على هذه الامة ومن قبلها (والكبائر الموبقات) بكسر الموحدة اى المهلكات وهو عطف تفسير ويروى والموبقات والاولى مختصة بارتكاب السيئات والاخرى باجتناب العبادات (ومستند الجمهور) اى اكثر العلماء (في ذلك) اى في القول بعصمتهم (الاجماع الذي ذكرناه) من المسلمين المتقدمين (وهو مذهب القاضي ابي بكر) اى ابن الطيب الباقلاني المالكي (ومنعها) اى عصمتهم (غيره) اى غير القاضي (بدليل العقل) لعدم احالته منع عصمتهم لامكانه في نفسه (مع الاجماع) اى مع تكاثر قيامه عليها (وهو) اى الاجماع (قول الكافة) اى عامة المتأخرين (واختاره الاستاد) بالدال المهملة او المعجمة (ابو اسحق) الاسفرايني الشافعي ولعل هذا الخلاف لفظي والجواز وعدمه عقلي والا فلا خلاف في عصمة الانبياء عن الكفر قبل النبوة و بعدها وانما الخلاف فيما عداه من الكبائر والصغائر والجمهور على عصمتهم من الكبائر بخلاف ما سيأتي من الخلاف في الصغائر (وكذلك لاخلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة) لقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك (والتقصير في التبليغ) اى ومن التقصير فيه لقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك (لان ذلك) وفي نسخة لان كل ذلك اى كل واحد من الكتمان والتقصير (يقتضي العصمة) بالنصب (منه المعجزة) بالرفع ويروى مقتضى العصمة منه المعجزة (مع الاجماع على ذلك) اى على ما ذكر من ان عصمتهم من قبل الله تعالى باختيارهم وكسبهم واقتدارهم بمعنى انه تعالى لم يخلق فيهم كفرا ولاذنبا كبيرا (من الكافة) اى من جهة عامة العلماء (والجمهور قائل) يروى والجمهور قائلون (بانهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الاحسينا النجار) وفي نسخة خلافا للنجار من المعتزلة (فانه قال لاقدرة لهم) ويروى لاقوة لهم (على المعاصي اصلا) وهو بنون وجيم مشددة حسين بن محمد واليه ينسب النجارية وهم اتباعه وهم يوافقون القدرية في بعض اصولهم من نفي الرؤية ونفي الحياة والقدرة و يقولون بحدوث الكلام والقدرية يكفرونهم بسبب مخالفتهم اياهم في بعض المسائل وهم اكثر من عشر فرق فيما بينهم كالبرغوثية والزعفرانية والمستدركة وغيرهم وهم فرقة من ثلاث وسبعين فرقة (واما الصغائر فجوزها) اى وجودها ووقوعها (جماعة من السلف وغيرهم) من الخلف كامام الحرمين منا وابي هاشم من المعتزلة حيث جوزوا الصغائر غير المنفرة (على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء) اى المجتهدين (والمحدثين والمتكلمين) اى في اصول الدين والمراد

بعض من كل منهم (وسنورد بعد هذا) اى فى فصل الرد على من اجاز الصغائر على الانبياء (ما احتجوا به) اى ما استدلوا به من الادلة (وذهبت طائفة اخرى الى الوقف) اى التوقف فى امرهم (وقالوا العقل لا يحيل وقوعها) اى الصغائر لا الكبائر (منهم ولم يأت فى الشرع) اى من الكتاب والسنة (قاطع باحد الوجهين) اى بجواز صدورها عنهم (وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر) المختلف فى وقوعها منهم (كعصمتهم من الكبائر) اى المتفق على عدم صدورها عنهم (قالوا الاختلاف الناس فى الصغائر) اى فى تعريفها وتبيينها (وتعيينها) اى وعدم تمييزها (من الكبائر واشكال ذلك) اى ولاشتباه تعيينها من بين الكبائر فقال بعضهم هى كل ما يجب فيه حد وقيل ما ورد فيه وعيد وقيل هى امر نسبي وتوقف بعضهم عن الفرق (وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى ولقوله (وغيره ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة) كما رواه ابن جرير عنه (وانه) بفتح الهمز اى وان الشان (انما سمى منها الصغير باضافته الى ما هو اكبر منه) كاللمس والقبلة والمعانقة والمصالحة بالنسبة الى المجامعة فكل باعتبار ما فوقه صغير وما تحته كبير وكلها معصية حتى الخلوة بالاجنبية (ومخالفة البارى تعالى فى اى امر كان يجب كونها كبيرة) اى من حيث انها مخالفة لصاحب الكبرياء والعظمة والا فلا شبهة فى تفاوت مراتب المخالفة ولذا قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم اى الصغائر وقد انشد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تغفر اللهم فاغفر جما * واى عبد لك لا الما وعن ابى العالية اللمم ما بين حد الدنيا وحد الآخرة اى بين ما يجب به الحد فى الدنيا كشرب الخمر والزنى و بين ما اوعد الله عليه العقاب فى العقبى كعقوق الوالدين واكل الربا واموال اليتامى ظلما (قال القاضى ابو محمد عبد الوهاب) اى البغدادى المالكى صاحب الرحبة كان فقيها دياله تصانيف جيدة العبارة منها كتاب المعونة فى شرح الرسالة توفى بمصر سنة اثنتين وار بعمائة ودفن بالقرافة الصغرى فيما بين قبة الامام الشافعي و باب القرافة بالقرب من ابن القاسم واشهب (لا يمكن ان يقال فى) وفى نسخة ان فى (معاصى الله تعالى صغيرة) لما يلزم منه احتقار المعصية (الا على معنى انها تغتفر) وفى نسخة تغفر (باجتناب الكبائر) اى معها لا بعين اجتنابها فانه مذهب المعتزلة بل بشرط اجتنابها لكن بسبب اعمال حسنة بينها السارع وعينها (ولا يكون لها) فى المؤاخذة بها (حكم مع ذلك) اى مع غفران الله تعالى لها (بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها) بصيغة المفعول او الفاعل (فلا يحبطها) اى لا يذهبها ولا يرفعها ولا يهدمها ولا يبطلها (شئ) اى من الطاعات وان كان ظاهر قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات يشمل الصغائر والكبائر الا ان علماء اهل السنة اجمعوا على ان المكفرات مخصوصة بالصغائر و يجوز ان الله تعالى يعذب عليها و يغفر ما فوقها (والمشيئة فى العفو) اى فيما عدا الكفر (الى الله تعالى) كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفى نسخة فى العفو عنها اى عن الصغائر والكبائر لا عن الصغائر كما هو المتبادر (وهو) اى ما ذهبوا اليه من عصمة الانبياء من الكبائر والصغائر (قول القاضى ابى بكر) اى الباقلانى من المالكية رحمه الله تعالى (وجماعة ائمة الاشعرية) من باب عطف العام على الخاص اذ هو من اكابرهم (وكثير من ائمة الفقهاء) كاتباع الماتريدية (وقال بعض ائمتنا) اى من اهل السنة او المالكية (ولا يجب) اى ولا يثبت (على القولين) وهما قول العصمة وعدمها عقلا (ان يختلف) وكان الاظهر ان يقول و يجب على القولين ان لا يختلف (انهم) اى فى ان الانبياء (معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك) التكرار (بالكبائر) المختلف فى عصمتهم منها فان من جملة الكبائر الاصرار على الصغائر فقد ورد لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار (ولا فى صغيرة) اى ولا يجب ايضا ان يختلف فى صغيرة (ادت الى ازالة الحشمة) اى المهابة (واسقطت المروءة) بالهمز و يجوز ابدالها واد غامها وهى الفتوة وكمال الرجولية (واوجبت الازراء) بتقديم الزاء على الراء اى الحقارة (والخساسة) اى الدناءة (فهذا) اى النوع من الصغائر (ايضا مما يعصم منه) و يروى عنه (الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصبه) اى يضع منصب النبي و يروى منصب المسم اى الموصوف به (و يزدرى) بفتح اوله على ان الباء للتعدية فى قوله (بصاحبه) اى يحقره و ينقصه (و ينفر) بتشديد الفاء اى يطرد (القلوب عنه) اى عن قبول كلامه وحصول مرامه (والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا) اى فى التنزه (ما كان من قبيل المباح) الذى لا تبعة على فاعله ولا مذمة (فادى الى مثله) اى الى شبهة ما ينزهون عنه (لخروجه بما ادى اليه من اسم المباح الى الحظر) بفتح الحاء المهملة وسكون الظاء المعجمة اى المنع (وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه) اى فعله او قوله (قصدا وقد استدل بعضهم على عصمتهم من الصغائر بالمصير) متعلق باستدل اى بمرجع الامم (الى امتثال افعالهم) اى افعال الانبياء (واتباع آثارهم وسيرهم) و يروى سيرتهم اى احوالهم واقوالهم (مطلقا) اى من غير قيد ان تقع افعالهم واقوالهم قصدا كما قال تعالى اولئك

الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني (وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة) رحمهم الله لم ينصف المصنف في ترتيب ذكر الائمة لاسيما في تأخير ابي حنيفة عن الشافعي مع انه مقدم على الكل مدة ورتبة (من غير التزام قرينة) دالة على وقوع قصد وتعمد في افعالهم (بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك) اى في حكم اتباعهم من وجوب او ندب هنالك (وحكى ابن خويزمنداذ) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون التحتية وفتح زاي او كسرها وكسر ميم وسكون نون فدال مهملة فالف فذال معجمة او فذالين معجمتين بينهما الف تفقه على الابهري وهو ضعيف في الرواية مات في حدود الاربعمائة (وابو الفرج) هو المالكي صاحب كتاب الحاوي مات سنة ثلاثين وثلثمائة (عن مالك التزام ذلك) اى ماصدر عنهم (وجوبا وهو قول الابهري) بفتح الهمزة والهاء بلد عظيم بين قزوين وزنجان وجبل بالحجاز قال التلمساني هم جماعة اكبرهم التميمي مات سنة خمس وسبعين وثلثمائة (وابن القصار) بتشديد الصاد (واكثر اصحابنا) اى المالكية (وقول اكثر اهل العراق) اى الثوري واصحاب ابي حنيفة (واحمد بن سريج) بسين مهملة مضمومة وفي آخره جيم وهو ابو العباس البغدادي اخذ عن الانماطي بلغت مصنفاته اربعمائة توفي سنة ست وثلثمائة وعمره سبع وخمسون سنة قال الشيخ ابو اسحق تفضل على جميع اصحاب الشافعي على المزني (والاصطخري) بكسر الهمزة وتفتح وبفتح الطاء وسكون الخاء المعجمة وهو شيخ ابن سريج صنف كتبا كثيرة منها ادب القضاء استحسنه الائمة وكان زاهدا متقللا من الدنيا وكان في اخلاقه حدة ولاه المقتدر بالله قضاء سجستان ثم حسبة بغداد ولد سنة اربعين ومائتين وتوفي ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ودفن بباب حرب (وابن خيران) بالخاء المعجمة وسكون التحتية فراء فالف فنون البغدادي مات سنة عشرين وثلثمائة كان اماما جليلا وربما كان يعتب على ابن سريج في ولايته القضاء ويقول هذا الامر لم يكن في اصحابنا انما كان في اصحاب ابي حنيفة وطلبه الوزير ابن الفرات بامر الخليفة للقضاء فامتنع فوكل ببابه وختم عليه بضعة عشر يوما حتى احتاج الى الماء فلم يقدر عليه الا مناولة بعض الجيران فبلغ الخبر الى الوزير فامر بالافراج عنه وقال ما اردنا بالشيخ ابي علي الاخير اردنا ان نعلم ان في مملكتنا رجلا يعرض عليه قضاء القضاة شرقا وغربا وفعل به مثل هذا وهو لا يقبل (من الشافعية) اى المذكورون هو ومن قبله من علماء الشافعية ذهبوا الى وجوب اتباع افعال الانبياء (واكثر الشافعية على ذلك ندب وذهبت طائفة) اى منهم او من غيرهم (الى الاباحة) الا اذا قام دليل على الوجوب او الندب (وقيد بعضهم الاتباع) اى وجوبا او ندبا (فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة) اى التقرب في الاحوال الاخروية (ومن قال بالاباحة في افعاله) اى في اتباع افعال النبي عليه الصلوة والسلام (لم يقيد) اى اتباعهم بما تقدم (قال) اى ذلك البعض (ولو جوزنا عليهم الصغائر) اى فضلا عن الكبائر (لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم) لعدم علمنا بمقاصدهم واحوالهم (اذ ليس كل فعل من افعاله) اى كغيره منهم ويروى من افعالهم (يتميز مقصده) بكسر الصاد اى مطلبه او قصده كما في نسخة اى نيته ومستور طويته (به) اى بعمله الذي قصده اهو (من القربة) واجبا او ندبا (او الاباحة) مما لا يترتب على فعله مدح ولا ذم او لا ثواب ولا عقاب (او) من (الحظر) اى المنع حراما او مكروها او خلاف الاولى (او المعصية) اى المخالفة في الجملة ويروى والمعصية (ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لاسيما) اى خصوصا (عند من يرى من الاصوليين) اى في الفقه (تقديم الفعل) من الادلة (على القول اذا تعارضا) وجهل المتأخر منهما وهم اصحاب الشافعي فاما عندنا فيرجح القول على الفعل لانه ادل على كونه للقربة لاحتمال ان الفعل وقع وفق العادة او بحسب ما يناسب تلك الحالة ولذا قال اصحابنا ان الاعتمار من التنعيم افضل منه من الجعرانة خلافا للشافعية مع ان عمرة عايشة كانت متأخرة حيث وقعت عام حجة الوداع وعمرة الجعرانة كانت سنة الفتح (ونزيد) اى نحن (هذا) البحث (حجة) اى نزيل شبهة من زعم عدم امكان الاقتداء بالانبياء لابهام افعالهم من بين ما سبق من الاشياء (بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه الصلوة والسلام) وكذا عن سائر الانبياء عليهم السلام (يجمعون على انه) اى كغيره منهم (لا يقر) بضم ياء وفتح قاف وتشديد راء واخطأ الحلبي في قوله يقر بكسر القاف وتبعه غيره من المحشين وقال الانطاكي اى لا يقر غيره على منكر والصواب ما قدمناه وان المعنى لا يبقى ولا يترك (على منكر من قول او فعل) بل ينبه ويذكر لينتهي عنه ولم يتكرر واختلفوا هل من شرط ذلك الفور ام يصح على التراخي قبل وفاته عليه الصلوة والسلام والصحيح الاول (وانه) اى النبي عليه الصلوة والسلام (متى رأى شيئا) اى علم من امته قولا او فعلا (فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم ينكر على فاعله (دل) سكونه (على جوازه) ويسمى مثل هذا تقريرا (فكيف يكون هذا) التقرير (حاله في حق غيره ثم يجوز) مضارع جاز وفي نسخة بصيغة المفعول من التجويز وفي اخرى بصيغة المتكلم منه والمعنى كيف يتصور (وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ) اى المذكور سابقا (يجب

عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل اذا الخطر) اى المنع عن ترك الاقتداء على وجه الحرمة وكان الاظهر ان يقول
اذا الوجوب (اوالندب على الاقتداء بفعله ينافى الزجر والنهى عن فعل المكروه) اى لغيره (وايضا فقد علم من دين
الصحابة) اى دأبهم وعادتهم (قطعا الاقتداء بافعال النبى صلى الله عليه وسلم كيف توجهت فى كل فن) وفى نسخة
وفى كل فن اى ومن دينهم الاقتداء بافعاله فى كل فن اى نوع من افعاله قصدا اوسهوا من غير تفرقة بين فعل من
افعاله (كالاقتداء باقواله) اى اتفاقا (فقد نبذوا خواتمهم) اى طروحها (حين نبذ خاتمه) بكسر التاء وفتحها على
ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما انه عليه الصلوة والسلام اتخذ له خاتما من ذهب ثم نبذه فاقتدوا به
وروى انه عليه الصلوة والسلام اتخذ خاتما من ذهب ثم نبذه ثم اتخذ خاتما من ورق (وخلعوا نعالهم) كما رواه احمد
وابوداود (حين خلع صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى خلع نعله ولفظ الحاكم عن ابى سعيد صلى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم وعن ابى سعيد الخدرى قال بينا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يصلى باصحابه اذخلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى القوم ذلك القوا نعالهم فلما قضى صلوته
قال ماحملكم على القائكم نعالكم قالوا رأيناك القيت نعليك فقال ان جبريل اخبرنى ان فيهما قذرا الحديث و يناسب
البـاب حديث الصلوة الى القبلتين ومتابعة الصحابة له فى الجهتين (واحتجاجهم) بالرفع اى ومن دين الصحابة
استدلالهم بجواز محاذاة القبلة حال قضاء الحاجة استقبالا واستدبارا (برؤية ابن عمر اياه) كما فى حديث
الشيخين عنه قال رقيت يوما على بيت حفصة فرأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (جالسا لقضاء حاجته مستقبلا
بيت المقدس) ورواية المصابيح مستدبر القبلة مستقبل الشام مع نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الاستقبال
والاستدبار فى تلك الحال كما فى حديث الشيخين عن ابى ايوب اذا اتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولاتستدبروها ببول
ولاغائط ولكن شرقوا اوغربوا فجمع الشافعى بينهما بحمل رواية ابن عمر على البناء ورواية ابى ايوب على القضاء
وهو عندنا محمول على الضرورة اوعلى ماقبل النهى (واحتج غير واحد) من الصحابة اوالائمة اى كثير (منهم فى غير شئ)
اى واحد بل فى اشياء كثيرة و يروى فى رؤية شئ (مما بابه العبادة اوالعادة بقوله) اى الصحابى كانس رضى الله عنه
فيما رواه الشيخان انه قدم من سفر فروئى على حمار يصلى لغير القبلة يومى فقيل له فقال (رأيت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يفعله) ولعله عليه الصلوة والسلام كان فعله خارج البلد فاخذ انس بجوازه مطلقا وكذا ابن عمر
سئل عن اشياء فعلها فقال رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله (وقال) اى النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث
الموطأ عن عطاء بن يسار ان رجلا قبل امرأته وهو صائم فوجد من ذلك وجدا شديدا اى حزن حزنا كبيرا فارسل
امرأته تسأل عن ذلك فدخلت على ام سلمة فذكرت لها ذلك فاخبرتها ام سلمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يقبل وهو صائم فاخبرت زوجها فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحل الله لرسوله مايشاء
فرجعت امرأته الى ام سلمة فوجدت عندها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مابال هذه المرأة فاخبرته ام سلمة فقال
(هلا اخبرتيها) بتشديد الموحدة واشباع كسرة التاء ياء وفى نسخة هلا اخبرتيها اى المرأة التى سألتك (انى اقبل وانا
صائم) فقالت قد اخبرتها وذهبت الى زوجها فاخبرته فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحل الله لرسوله
مايشاء فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انى اتقاكم لله واعلمكم بحدوده (وقالت عايشة رضى الله
عنها محتجة) اى مستدلة بجواز تقبيل الرجل وهو صائم (كنت افعله انا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
لايعرف مخرجه على ما ذكره الدلجى وانما المعروف غسلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى اناء واحد على
ماروا الترمذى وكذا فى الترمذى عن عايشة اذا جاوز الختان الختان وجب الغسل فعلته انا ورسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم (وغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما مر فى حديث الموطأ (على الذى اخبر) بصيغة
المجهول (بمثل هذا) اى تقبيله وهو صائم (عنه) اى عن النبى عليه الصلوة والسلام (فقال يحل الله لرسوله مايشاء
وقال انى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده) وروى ان رجلا جاء يستفتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تدركنى
الصلوة يعنى صلوة الفجر وانا جنب فاصوم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا تدركنى الصلوة وانا جنب
فاصوم فقال الرجل يحل الله لرسوله ما يشاء فغضب عليه الصلوة والسلام وقال انى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده اى
محارمه حيث قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها مبالغة فى الزجر عنها واما قوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها
فالمراد منها سهام المواريث المعينة وتزوج الزائدة على الاربع وزيادة الحد على جلد المائة فى الزانى والزانية ونحوها
من الاحكام المبينة (والآثار) اى الاحاديث والاخبار (فى هذا) الباب (اعظم) وفى نسخة اكبر (من ان نحيط) اى نحن
(بها) وفى نسخة من ان يحاط عليها (لكنه يعلم من مجموعها على القطع) فى مدلولها (اتباعهم) اى الصحابة (افعاله

واقتداؤهم بها واوجوزوا عليه المخالفة فى شئ منها) اى من افعاله (لما اتسق) اى لما استوى وما انتظم ولاتحقق (هذا) الذى سبق (ولنقل عنهم) اى خلاف ماهنالك (وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه الصلوة والسلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه) بان الله يحل لرسوله مايشاء (واما المباحات) ولو على سبيل المشتبهات (فجائز وقوعها منهم) بل متحقق صدورها عنهم (اذلبس فيها قدح) اى منع (بل هى مأ ذون فيها وايديهم كايدى غيرهم من الامم مسلطة عليها) بجواز الامتداد اليها فقدورد فى الحديث ان الله سبحانه امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واسكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقال عز وجل ياايها الذين آمنوا كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (الا انهم) اى الانبياء وكذا اتباعهم الكمل من الاصفياء (بما خصوا به من رفيع المنزلة) ومنيع الحالة (وشرحت) اى وبما اتسعت (له صدورهم من انوار المعرفة) اى واسرار الحكمة (واصطفوا) بصيغة المجهول مخففة الفاء من الاصطفاء اى واختيروا (به) فى علو حالهم (من تعلق بالهم) اى قلبهم وتعلق حالهم ويروى من تعلق بالتنوين و بالهم بتشديد الميم (بالله والدار الآخرة) فى ما لهم (لايأخذون) اى لايتناولون شيئا (من المباحات الاالضرورات) لزهدهم فى الدنيا وتوجههم الى العقبى وطلبهم رضى المولى فيكتفون بها (ممايتقوون) اى استعانة (به على سلوك طريقهم) فى تقوية ابدانهم وتهيئة زادهم لمعادهم (وصلاح دينهم) والمتوقف على اصلاح شانهم (وضرورة دنياهم) المعينة على امور اخراهم مما لابد منه ولامحيص عنه (وما اخذ على هذا السبيل) اى وفق الشريعة والطريقة (الحق) ضبط بصيغة المجهول والمعلوم اى انقلب (طاعة وصار قربة) لان استعمال المباحات وافعال العادات اذا اقترنت بتزيين النيات وتحسين الطويات انقلبت طاعات وعبادات كما قد تنقلب بفساد النيات مكروهات بل محرمات وهذا معنى قول سيد السادات ومنبع السعادات انما الاعمال بالنيات (كما بينا منه) اى من بعض تحقيق هذا الكلام وتدقيق هذا المرام (اول الكتاب) اى فى اوله (طرفا) اى نبذا طرفا (فى خصال نبينا عليه الصلوة والسلام فبان لك) اى تبين (عظيم فضل الله على نبينا) اى خصوصا كما قال تعالى وكان فضل الله عليك عظيما (وعلى سائر انبيائه) يروى الانبياء (عليهم الصلوة والسلام) كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (بان جعل افعالهم قربات وطاعات) اى عبادات وان كانت فى صورة عادات فان عادات السادات سادات العادات (بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية) بخلاف المحرومين من هذه المرتبة فان عباداتهم رسوم وعادات وطاعاتهم عين المخالفة فى الحالات كما قال بعض ارباب الحال من لم يكن للوصال اهلا * فكل طاعاته ذنوب

﴿ فصل ﴾

(وقد اختلف فى عصمتهم) اى الانبياء (من المعاصى) اى جملة المناهى (قبل النبوة) واظهار الرسالة (فمنعها قوم) بناء على عموم العصمة الشاملة للاحوال المتقدمة والمتأخرة (وجوزها آخرون) حيث خصوا العصمة بحال النبوة (والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب) اى سابق ولاحق (وعصمتهم من كل مايوجب الريب) اى شبهة مخالفة علام الغيب (فكيف) لايكون الامر كذلك والعجب من ذكر الخلاف هنالك (والمسئلة) اى والحال انها مع ثبوت المخالفة تصورها كالممتنع) اى المستحيل فى الذهن حصولها (فان المعاصى) كالكبائر (والنواهى) كالصغائر (انما تكون) اى فى حيز المنع (بعد تقرر الشرع) اى ثبوته من الاصل والفرع (وقد اختلف الناس فى حال نبينا عليه الصلوة والسلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا للشرع) وفى نسخة لشرع (قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشئ) اى من التكاليف اولشرع كما فى نسخة (وهذا قول الجمهور فالمعاصى على هذا القول) ويروى هذا الوجه (غير موجودة ولامعتبرة فى حقه حينئذ اذا لاحكام الشرعية) من الوجوب والمندوب والحرام والمكروه (انما تتعلق بالاوامر والنواهى وتقرير الشريعة) اى باصولها وفروعها كما هى وهذا بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم ظاهر لكن يشكل بالنسبة الى اولاد ابراهيم عليه السلام مثلا كاسمعيل واسحق واولاد يعقوب على القول بنبوتهم فانه لاشك انهم كانوا متبعين شريعة ابيهم اوجدهم وكذا بالنسبة الى سليمان عليه السلام فانه كان على دين ابيه داود بل وكذا داود وسائر انبياء بنى اسرائيل حيث كانوا على شريعة ابراهيم عليه السلام وانما نسخ فى التورية والانجيل بعض الامور وايضا بنوا اسمعيل وهم العرب كانوا يتدينون بدين ابراهيم عليه السلام و يفتخرون به وانما حدث كفرهم بعبادتهم الاصنام واحداث بعض الاحكام من نحو السائبة والحام وتجويز اكل الميتة ونحوها من الحرام وكان فى جبلتهم وطريقتهم تحريم الزنى وقتل النفس بغير حق وتقبيح اكل مال اليتيم والسرقة ومذمة الكذب وامثالها مما اتفق الانبياء بالقدماء على قبح افعالها واقوالها فينبغى ان يرجع الخلاف الى كيفية عبادته لا انه عليه السلام كان قبل النبوة فى مرتبة اباحته (ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها) اى على صحة تلك الحالة اوالمقالة (فذهب سيف

السنة) اى القاطع فى الحجة المبينة (ومقتدى فرق الامة) اى فى علم الكلام والمسائل المهمة (القاضى ابو بكر) اى ابن الطيب الباقلانى المالكى (الى ان طريق العلم بذلك) اى بكونه عليه الصلوة والسلام متبعا للشرع فى عبادة ربه هنالك (النقل) اى الينا ووصل لدينا اى فوائد الاثر (وموارد الخبر من طريق السمع) اى الوارد على السنة نقلة يكونون فى مرتبة الجمع (وجته) اى القاضى ابى بكر (انه) اى الشان (لو كان ذلك) اى وقع هنالك (لنقل) اى الينا ووصل لدينا (ولما امكن كتمه وستره فى العادة) اى فى جرى العادة الغالبة علينا (اذ كان) اى نقل خبره (من مبهم امره واولى ما اهتبل به) بضم الفوقية وكسر الموحدة اى اغتنم به فى انتهاز فرصة لكون تعبده (من سيرته ولفخر) بفتح الخاء اى لافتخر (به اهل تلك الشريعة) على امته (ولاحتجوا به عليه) اى باتباع شريعة قبله بعد ادعاء نبوته (ولم يؤثر) اى لم يرو (شئ من ذلك جملة) فى سيرته من سريرته وعلانيته وفيه ان الظاهر المتبادر من حاله عليه الصلوة والسلام انه كان قبل النبوة على دين جده الخليل عليه السلام فى امر التوحيد وحج البيت السعيد وما كان معروفا من ملته وما الهمه الله سبحانه من معرفته مع انه لا احتجاج لاحد من ارباب الملل اذ كان بعضهم يدعى النبوة بعد متابعة بعض الانبياء السابقة كما وقع لانبياء بنى اسرائيل عليهم السلام (وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا) حيث لم يجدوا بتصريح القضية نقلا (قالوا لانه) اى الشان (يبعد ان يكون متبوعا من عرف ويروى من كان (تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح) العقليين (وهى طريقة غير سديدة) اى غير مستقيمة (واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضى ابى بكر اولى واظهر) وقد قدمنا من بيان النقل ما يبطل ما بنوا عليه اساس العقل ومما يقويه ان موسى عليه السلام لما قتل القبطى قبل النبوة استغفر ربه وعد قتله معصية ولا شك انه كان على دين من قبله من انبياء بنى اسرائيل وتابعا ثم صار بعد ذلك متبوعا وانما العقل يمنع فى الجملة امتناع كون واحد تابعا ومتبوعا من جهة واحدة لا من جهة مختلفة الاترى الى قوله تعالى فآمن له لوط فانه كان تابعا لابراهيم عليه السلام فى عموم ملته ومتبوعا فى خصوص امته ونظير ذلك كون عيسى عليه السلام متبوعا فى اول امره ويكون تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم فى آخر عصره (وقد قالت طائفة اخرى بالوقف فى امره عليه السلام) اى فى شانه قبل بعثته للعجز عن معرفته (وترك قطع الحكم عليه) اى على حاله هنالك (بشئ فى ذلك اذ لم يحل) من الاحالة وفى نسخة اذ لا يحيل اى لم يمنع (الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها) اى تلك الطائفة او المسئلة (فى احدهما) اى احد الوجهين (طريق النقل وهو مذهب ابى المعالى) اى ابن ابى محمد الجوينى المعروف بامام الحرمين من اتباع الشافعى وقد وافقه فى ذلك الغزلى ولا ادرى نصف العلم والعجز عن درك الادراك ادراك (وقالت فرقة ثالثة انه) ويروى ومالت فرقة ثالثة الى انه (كان عاملا بشرع من قبله) اى فى الجملة لاستحالة ان يكون عليه الصلوة والسلام مباحيا قبل البعثة (ثم اختلفوا) اى الفرقة الثالثة (هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه) لعدم ما يدل على تبيينه (واحجم) بتقديم الحاء على الجيم اى تأخر وبعكسه اى تقدم وتأخر فهو من الاضداد (وجسر بعضهم) اى اجترأ واقتحم ومنه قول الشاعر

﴿ من راقب الناس مات غما ❋ وفاز باللذة الجسور ﴾

والمعنى اقدم (على التعيين وصمم) اى عزم عليه وجزم (ثم اختلفت هذه المعينة) بكسر التحتية صفة الفرقة (فيمن كان يتبع) من ارباب النبوة قبل البعثة (فقيل نوح) وهو بعيد بحسب الزمان وكذا باعتبار معرفة احكام هذا الشان مع ان دينه منسوخ لظهور نبوة خليل الرحمن (وقيل ابراهيم) وهو الظاهر المتبادر والاظهر انه تابع لاسمعيل فانه كان رسولا بعد الخليل وهو على ملته ولم يعرف تبديل فى شريعته (وقيل موسى) وهذا لا يصح اذ ملته نسخت بعيسى (وقيل عيسى) وفيه ان موسى وعيسى انما كانا مبعوثين الى بنى اسرائيل ولم يكن نبينا منهم (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فهذا جملة المذاهب فى هذه المسئلة) حكى القاضى المؤلف هذه الاقوال الاربعة وبقى قولان احدهما آدم وهذا حكى عن ابن برهان بفتح الموحدة وثانيهما ان جميع الشرائع شرع له حكاه بعض شراح المحصول من المالكية واظن ان هذا هو الاوجه من الاوجه السابقة واللاحقة وهو المناسب لمقامه عليه الصلوة والسلام من مرتبة الجمع فى المرام ولانه كان مظهر الاسم الذات المستجمع لجميع الصفات غايته انه كان قبل البعثة على تلك الحالة الجامعة بطريق الاجمال وبعدها على وجه التفصيل فى مراتب الكمال فلا ينافى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وهذا هو غاية الايقان والله المستعان (والاظهر فيها) اى فى المسئلة (ما ذهب اليه القاضى ابو بكر) الباقلانى (وابعدها مذاهب المعينين) بكسر الياء المشددة (اذ لو كان شئ من ذلك لنقل الينا كما قدمناه ولم يخف) اى عن احد (جملة) اى جميعا هنالك (ولا حجة لهم فى ان

عيسى عليه السلام آخر الانبياء) اى انبياء بنى اسرائيل (فلزمت شريعته من جاء بعدها) وفى نسخة بدعوة (الا مكثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام) كما يدل عليه قوله تعالى واذقال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم (بل الصحيح انه لم يكن لنبى دعوة عامة الا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) فان دعوته عامة للجن والانس بل الى الخلق كافة كما بينته فى الصلوة العلية بخلاف دعوة نوح فانه كان مختصا للانس دون الجن وسليمان كان مبعوثا اليهما الا انه مخصوص ببنى اسرائيل والله تعالى اعلم بحقيقة الاقاويل (ولا حجة ايضا للآخر) يروى للآخرين (فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) لان امره باتباعها انما كان بعد الوحى اليه والكلام قبله (وللآخر) اى ولا للآخرين (فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) فانه ايضا بعد الوحى ومع هذا (فحمل هذه الآية) وفى نسخة فيحتمل وفى اخرى فتحمل هذه الآية كما قبلها (على اتباعهم فى التوحيد) اى توحيد الذات وتفريد الصفات وما يتعلق به من امور النبوات والفروع الكليات المجمع عليها فى جميع الحالات لاختلاف كل نبى فيما جاء كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهذا (كقوله اولئك) اى المذكورون من الانبياء والاصفياء (الذين هدى الله) اى هداهم واجتباهم واصطفاهم ومن متابعة الهوى زكاهم ونجاهم وعن المعاصى عصمهم ونحاهم (فبهداهم اقتده) بسكون الهاء للسكت وفى قراءة بكسر الهاء وفى رواية باشباعها والضمير الى المصدر وتقدير (وقد سمى الله تعالى فيهم) اى فى الذين هدى الله (من لم يبعث) اى بالنبوة (ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول) وهذا مردود بقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الآية نعم لم يعرف له شريعة تخصه وهو ليس من لوازم الرسالة (وقد سمى الله تعالى جماعة منهم) اى من الانبياء (فى هذه الآية شرايعهم) وفى نسخة وشرايعهم (مختلفة لايمكن الجمع بينها) اى فى الاحوال المؤتلفة (فدل) اى اختلافهم (ان المراد) بهداهم (ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى) بنعت التفريد ولا يبعد ان يكون بعض الشرايع المجمع عليها داخلا فى الامر بالاقتداء بجميع افراد الانبياء (وبعد هذا) الذى تقرر وتحرر (فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول) بالرفع (فى سائر الانبياء غير نبينا) عليه وعليهم الصلوة والسلام (او يخالفون بينهم) اى ويفرقون بينه وبينهم ففيه تفصيل مبنى على اصولهم (اما من منع الاتباع عقلا فيطرد) بتشديد الطاء اى فيستمر (اصله) ولم يختلف نقله من منعه (فى كل رسول) من غير تفرقة (بلا مرية) بكسر الميم وبضم اى بغير شك وشبهة (واما من مال الى النقل فايما تصور له) بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول (وتقرر اتبعه) وعمل كما يقتضى امره (ومن قال) ويروى من يقول (بالوقف فعلى اصله) من غير مفارقة لفصله (ومن قال بوجوب الاتباع) اى قبل الوحى (لمن قبله من الانبياء (فيلتزمه) اى القول بموجبه (بمساق حجته فى كل شئ) وفى نسخة فى كل نبى

﴿فصل﴾

(هذا) الذى قد مضى من فصل العصمة (حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال) المنكرات الصادرة (عن قصد) اى تعمد (وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف) اى ويؤاخذ به فاعله (واما ما تكون) اى المخالفة فيه من الاعمال (بغير قصد وتعمد كالسهو) وهو الذهول بالغفلة فى الجملة (والنسيان) وهو الذهول بالمرة والكلية (فى الوظائف الشرعية) سواء يكون من ارتكاب المنهيات او اجتناب المأمورات (مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه) كالسهو فى الصلوة والكلام والنسيان فى الصيام وجواب اما قوله (فاحوال الانبياء فى ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء) كما يشير اليه قوله تعالى ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا وحديث رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه كما رواه الطبرانى عن ثوبان مرفوعا بسند صحيح (ثم ذلك) اى عدم المؤاخذة بالسهو والنسيان (على نوعين) احدهما (ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع) فيما يعمل به من الاصل والفرع (وتعلق الاحكام) امرا ونهيا وحدا وسائر شرايع الاسلام (وتعليم الامة بالفعل) اى جنسه (واخذهم باتباعه) ويروى باتباعهم (فيه) اى فى ذلك الفعل ونحوه (وما هو) اى وثانيهما ما هو (خارج عن هذا) الذى طريقه البلاغ (مما يختص بنفسه) من واجبات ومندوبات ومباحات ومكروهات ومحرمات (اما الاول) اى من النوعين وهو ما طريقه البلاغ من الاحكام عملا وقولا (فحكمه) اى فى المام السهو به (عند جماعة من العلماء حكم السهو فى القول فى هذا الباب) اى باب ما طريقه البلاغ (وقد ذكرنا الاتفاق) من العلماء (على امتناع ذلك) اى امتناع المخالفة فى القول (فى حق النبى عليه الصلوة والسلام) اى من الانبياء (وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا) بالاولى (فكذلك) اى فمثل ما قالوا فى باب القول بعصمة النبى من امتناع جواز ذلك (قالوا الافعال فى هذا الباب لايجوز طروء المخالفة) بضم الطاء والراء فواو ساكنة فهمزة وقد تبدل مشددة اى طريانها وجريانها وحدوثها وعروضها (فيها)

اى فى الافعـــال (لاعمدا ولاسهوا لانها) اى الافعال منهم (بمعنى القول) الصادر عنهم (من جهة التبليغ والاداء) اذ الامم مأمورون بمتابعات الانبيـــاء قولا وفعلا ولامحيص لهم عن الموافقــة اصلا (وطرق هذه العوارض) اى من السهو والخطأ والنسيان (عليها) اى على افعال الانبياء (يوجب التشكيك) للامم الموافقة (و يسبب المطاعن) من الطوائف المخالفة والمطاعن جمع مطعن محل الطعن وفى نسخة و يسبب الطاعن اسم فاعل من طعن فيه وعليه اذاعاب وقدح (واعتذروا) اى هؤلاء العلماء (عن احاديث السهو) اى فى بعض صلواته عليـه الصلوة والسـلام (بتوجيهات نذكرها بعد هذا) فى فصل على حدة (والى هذا) اى منع طرو المخالفة (مال ابو اسحق) اى الاسفراينى (وذهب الاكـثر من الفقهـاء) اى من ارباب الفروع من الاصول (والمتكلمين) اى من اصحاب الاصول (الى ان المخالفة فى الافعـــال البلاغية والاحكام الشرعية) اى من الامور العلمية والعملية (سهوا) تمييز اومنصوب بنزع الخافض اى عن سهو (وعن غير قصد) عطف بيـان (منه) اى من النبى (جائز عليه) اى وقوعه منه (كما تقرر من احاديث السهو فى الصلوة) اى الثابتة فى الصحيحين وغيرهما من الكتب الستة قال النووى وهذا هو الحق (وفرقوا) اى المجوزون له (بين ذلك) الفعل من الافعال الشرعية (و بين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق فى القول) اى من حيث شهد الله بان صدق عبدى (ومخالفة ذلك) الصدق ولو سهوا (تناقضها) اى تعارض المعجزة (واما السهو فى الافعـــال فغير مناقض لها) اى المعجزة لانه ليس من جنسها (ولاقادح) اى وغير طاعن (فى النبوة) لثبوتها مع وقوعه منها لعدم منـافاته لها (بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر) بكسر السين اى علاماته وذلك لان الانســان مشتق من النسيان واول الناس اول النـاس فقد قال تعـالى فى حق آدم عليه السـلام فنسى (كما قال عليه الصلوة والسلام انما انا بشر انسى) بفتح اوله (كما تنسون فاذا انسيت فذكرونى) رواه الشيخان عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (نعم) ليس نسيانه كنسيان غيره من كل وجه (بل حالة النسيان والسهو) اى نسيانه وسهوه (هنا) اى فى هذا المحل بخصوصه (فى حقه عليه الصلوة والسلام سبب افادة علم) لامته (وتقرير شرع) لملته (كما قال عليه الصلوة والسلام) فى حديث الموطأ بلاغا لم يعرف وصله (انى لانسى) بفتح الهمزة والسين اى بانسائه سبحانه كما قال تعالى فلاتنسى الاماشاء الله انساك اياه (اوانسى) بصيغة المفعول مسددا و يجوز مخففا اى ينسينى الله تعـالى (لأسن) بفتح الهمزة وضم السين وتشديد النون اى لابين لكم ما يفعله احد منكم نسيانا لتأ تسوا بى وتقتدوا بفعلى (بل قد روى لست انسى) اى حقيقة (ولكن انسى) بصيغة المجهول كما مر (لأسن) وهذا نظير قوله تعـالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى ايماء الى مقام الجمع (وهذه الحالة) اى من نسيانه ليسن (زيادة له فى التبليغ) اى تبليغ الرسالة (وتمام عليه فى النعمة) حيث امر الامة بان يقتدوا به فيما صدر عنه على جهة السهو والغفلة ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى و يتم نعمته عليك (بعيدة عن النقض) بالضـاد المعجمة اى عن ورود النقض من جواز وجود السهو والخطأ ووجوب الاقتـداء (واعتراض الطعن) اى به و بغيره على السنة السفهاء وفى نسخة صحيحة بعيدة عن سمات النقص بالصاد المهملة اى النقصان واعراض الطعن اى على مجرد وقوع السهو والنسيـان حيث تبين الحكمة الالهية فى ذلك الشان (فان القـائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لاتقر) بضم التاء وفتح القـاف وتشديد الراء اى لاتبقى ولاتترك (على السهو والغلط بل ينبهون عنه) لينتبهوا و يتداركوا ما وقع لهم من السهو (و يعرفون) بصيغة المجهول مشددا الراء (حكمه) اى حكم السهو وما يترتب عليه (بالفور) فى الحـال اى من غير تراخ (على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم) اى قبل موته (على قول آخرين واما ما ليس طريقه البلاغ) اى تبليغ شرايع الاسلام (ولابيـان الاحكام من افعـاله عليه الصلوة والسلام وما يختص به من امور دينه) اى اسرار ربه (واذكار قلبه) اى انوار لبه (مما لم يفعله ليتبع فيه) بل لينتفع به فى زيادة قربه عند ربه (فالاكثر من طبقـات علمـاء الامة) وكذا من طوائف مشايخ الملة (على جواز السهو) اى الذهول والغفلة (والغلط عليه) لغلبة الاستغراق لديه (فيها) اى فى افعـاله حين نزول الواردات اليه ولا يلحقه بذلك معرة ولامنقصة (ولحوق الفترات) اى الزلات بالنسبة الى علو الحالات (واعتقلات) لعوارض الحادثات (بقلبه) المستغرق فى بحر حب ربه (وذلك) اى الحال الذى يعتريه هنالك (بما كلفه) بصيغة المجهول اى بما طوقه الحق و يروى بما تكلفه (من مقاساة الخلق) اى مكابدتهم (وسياسة الامة) اى محـافظتهم و يروى وسياسات الامة (ومعـاناة الاهل) من عاناه قاساه اى ملاحظة احوالهم ومراعاة افعالهم رفقـا بهم وعونا لهم (وملاحظة الاعداء) اى مراقبتهم ومحاذرتهم وهذا كله من حيث هو مما يشغل القلب عن تجرده للرب و يوجب فتورا يقتضى فى الجملة قصورا (ولكن ليس) صدور ذلك وظهور ما هنالك (على سبيل التكرار) اى المفضى الى حال الاكثار (ولا الاتصال) اى ولا على سبيل الاتصال فى مقام الانفصال (بل على سبيل الندور) اى القلة فى الانتقـال

عن مشاهدة جمال ذي الجلال على وجه الكمال (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم انه) اي الشان (ليغان على قلبي) بصيغة المفعول والمعنى قد يحجب قلبي عن مشاهدة ربي بالاشتغال بامره والانتقال الى امضاء حكمه (فاستغفر الله) اي في اليوم سبعين مرة اومائة مرة وهذا من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار بل كان في كل وقت وحالة مترقيا الى مقام ومرتبة بعد الحال الاولى بالنسبة الى المرتبة الثانية العليا والمنزلة الاولى سيئة ومنقصة يحتاج فيها الى الاوبة وطلب المغفرة بما فيه صورة الحوبة كما يشير اليه قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى (وليس في هذا) اي فيما ذكر (شيء يحط) اي يضع (من رتبته ويناقض معجزته) اي يعارض من كرامته (وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه الصلوة والسلام جملة) اي من غير استثناء حالة (وهو مذهب جماعة من المتصوفة) اي متكلفي طريق التصوف ومنتحلي سبيل التعرف (واصحاب علم القلوب) بالحالات السنية الجلية (والمقامات) البهية العلية ويمكن الجمع بين كلام المثبتين للسهو والنافين للغلط واللهو ان ما وقع من افعاله عليه الصلوة والسلام في صورة الغفلات وهيئة الفترات ليست على حقيقتها المترتب عليها نقصان مرتبة من الحالات اوقصور في رتبة علو المقامات فان سيئات ارباب السعادة حسنات وحسنات ارباب الشقاوة سيئات كما اشار اليه بعضهم بقوله

﴿من لم يكن للوصال اهلا * فكل طاعاته ذنوب﴾

والحاصل ان ضعف بنية البشرية لايقوى على مداومة تجليات الالهية فتارة يكون في حالة الصحو واخرى في حالة المحو وكذا تختلف المقامات بتفاوت غلبة الفناء ورجعة البقاء حتى يترتب عليه السكر والسكر والعكر والذكر والترقي والتدلي مع ان مقام جمع الجمع يقتضي ان لا تمنع الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة فلا يتصور في حق الكمل منهم صدور الغفلة بالمرة فان اتباعهم ببركة اتباعهم وصلوا الى حد لو ارادوا ان يتركوا طاعة او يغفلوا ساعة لم يقدروا على ذلك عكس حال ارباب الدنيا واصحاب الحجاب عن المولى فسبحان من اقام العباد فيما اراد وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل حزب مذهبهم (ولهم في هذه الاحاديث) اي الواردة في باب السهو (مذاهب نذكرها) وفي نسخة سنذكرها (بعد هذا) اي من غير تراخ في الفصل الذي يليه (ان شاء الله تعالى)

﴿فصل﴾

(في الكلام على الاحاديث المذكورة فيها السهو منه عليه الصلوة والسلام وقد قدمنا في الفصول) السابقة ويروى في الفصل اي الذي تقدم (قبل هذا) الفصل (ما يجوز فيه عليه السهو عليه الصلوة والسلام) من الافعال والاحوال السنية (وما يمتنع) فيه عليه السهو من الافعال البلاغية والاحكام الشرعية (واحلناه) اي وجعلنا وقوع السهو محالا (في الاخبار) بفتح الهمزة اوكسرها (جملة) اي من غير تفرقة بين كونها دينية اودنيوية (واجزنا وقوعه) اي وجوزنا وقوع السهو (في الافعال الدينية) لعدم مناقضته حكم المعجزة وعدم مباينته وجه النبوة (قطعا على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك) كما بيناه من حكمة ان كونه مع قلته انما يقع سببا لافادة علم لامته وتقرير حكم لملته (ونحن نبسط القول فيه) اي في هذا الفصل (ونقول الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه الصلوة والسلام في الصلوة ثلثة احاديث اولها حديث ذي اليدين) كما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (في السلام) اي سلامه عليه الصلوة والسلام (من اثنتين) اي ركعتين في احدى صلوتي العشي الظهر او العصر فقال ذواليدين يا رسول الله انسيت ام قصرت الصلوة قال لم انس ولم تقصر فقال اكما يقول ذواليدين قالوا نعم فقام ثم سلم ثم كبر وسجد ثم رفع قال ابن سيرين نبئت ان عمران بن حصين قال ثم سلم (الثاني حديث ابن بحينة) بضم موحدة وفتح مهملة وسكون تحتية فنون فتاء وهي ام عبد الله زوج مالك مطلبية قرشية ابن القشب بكسر القاف واسكان الشين المعجمة فموحدة الازدي ويقال الاسدي قال النووي الازد والاسد باسكان الزاي والسين قبيلة واحدة وهما اسمان مترادفان لها وهما ازد شنوءة وعبد الله هذا كان حليفا لبني المطلب بن عبد مناف قال بعض الحفاظ اسلم عبد الله ابن مالك هو وابوه وصحبا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانكر الدمياطي في حاشيته على صحيح البخاري ان يكون لمالك والد عبد الله هذا صحبة اورواية اواسلام وانما ذلك لعبد الله قال الذهبي في تجريده مالك فظه مالك ابن بحينة والد عبد الله ورد عنه حديث وصوابه لعبد الله وقال المزي في اطرافه ومن مسند مالك بن بحينة ان كان محفوظا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حديث اصلي الصبح اربعا وحديث السهو في الصلوة في مسند عبد الله ابن مالك بن بحينة انتهى وفي الكاشف مالك بن بحينة الصحابي له في السهو وعنه ابن حبان قال النسائي هذا خطأ والصواب عبد الله بن مالك كذا ذكره الحلبي وبهذا تبين خطأ الدلجي حيث جزم بقوله الثاني حديث

السيخين عن مالك بن عبدالله بن بحينة (في القيام) اى قيامه عليه الصلوة والسلام (من اثنتين) اى ركعتين سهوا قال الانطاكى وحديثه فى السهو هو ما روى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام فى صلوة الظهر وعليه جلوس وفى رواية قام فى الشفع الذى يريد ان يجلس فلما اتم صلوته سجد سجدتين الحديث (الثالث حديث ابن مسعود) فى الصحيحين (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر خمسا) قال القاضى المصنف فى الاكمال قال الامام احاديث السهو كثيرة الصحيح منهما خمسة احاديث حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه سجد سجدتين وحديث ابى سعيد سجد قبل السلام وحديث ابن مسعود فى القيام الى خامسة وحديث ذى اليدين فى السلام من اثنتين وحديث ابن بحينة فى القيام من اثنتين (وهذه الاحاديث مبنية على السهو فى الفعل الذى قررناه) اى لا فى الاخبار الذى حررناه (وحكمة الله فيه) اى فى سهوه فى فعله (ليسن به) على بناء المفعول اى ليقتدى به فى امره (اذ البلاغ بالفعل اجلى) بالجيم اى اظهر وارفع وفى نسخة بالحاء اى احسن واوقع (منه بالقول وارفع للاحتمال) اى ادفع له عند بعضهم خلافا لغيرهم كما قدمناه ولعل الاظهر فى حكمته ان يكون تسلية لامته فى مشاركتهم معه فى سيرته وطريقته واحوال بشريته كما اشار اليه بقوله انما انا بشر انسى كما تنسون (وشرطه) اى السهو فى حقه بخصوصه للامر بالاقتداء فى فعله كقوله (انه لايقر) وفى نسخة لايقرر بصيغة المجهول فيهما اى لايبقى ولايترك (على هذا السهو) اى زمانا يمكن ان يقتدى به فى ذلك الامر (بل يشعر به) بصيغة المفعول اى بل يعرف وينبه (ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه) للناس (كما قدمناه) فى مقام الايناس (وان النسيان) اى باصله (والسهو) اى المترتب عليه بفرعه (فى الفعل فى حقه عليه الصلوة والسلام غير مضاد المعجزة ولاقادح فى التصديق) بالرسالة وقدمر بيان تحقيق هذه المقالة (وقد قال عليه الصلوة والسلام) فيما رواه الشيخان (انما انا بشر انسى كما تنسون) كما يشير اليه قوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله وقوله عز وجل واذكر ربك اذا نسيت (فاذا نسيت) اى آية (فذكرونى) اوالمعنى اذا نسيت وفعلت شيئا غير ما تعرفون من شريعتى فاعلمونى (وقال) كما رواه الشيخان عن عايشة رضى الله عنها مرفوعا (رحم الله فلانا) كما يدعى رجل (لقد اذكرنى كذا وكذا آية كنت اسقطتهن) اى تركتهن نسيانا (ويروى انسيتهن) بصيغة المجهول وذكر التلمسانى عن عايشة رضى الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يقرأ من الليل فقال يرحمه الله لقد اذكرنى كذا وكذا آية الحديث انتهى وقال النووى عن الخطيب البغدادى ان فلانا المبهم هنا هو عبد الله بن يزيد الخطمى الانصارى انتهى ووقع بعد هذا الحديث فى البخارى وزاد عباد الله بن عبدالله عن عايشة رضى الله عنها قالت تهجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيتى فسمعت صوت عباد فاعلمته وهو عباد بن بشر كما نعله ابن الملقن فى شرح البخارى عن ابن التين قال الحلبى ورأيت فى نسخة صحيحة من شرح البخارى فى الشهادات فسمع صوت عباد بن تميم منسوبة الى العلامة القربرى (وقد قال عليه الصلوة والسلام) كما فى الموطأ بلاغا (انى لانسى) بفتح اللام والهمزة والسين (اوانسى) بصيغة المجهول مشددا ويجوز مخففا (لاسن) بضم سين وتشديد نون اى لابين ما يترتب على السهو من الحكم (قيل هذا اللفظ شك من الراوى) فاو للترديد ولايبعد ان تكون للتنويع فان النسيان قد يكون لغفلة من جانب الانسان وقد يكون لحكمة من جانب الرحمن (وقد روى انى لاانسى) اى غالبا او على وجه التقصير (ولكن انسى) بحسب التقدير (لاسن) فى مقام التقرير (وذهب ابن نافع) بنون فى اوله قال التلمسانى هو عبدالله بن صانع وفى نسخة ابن رافع وفى اخرى ابن قانع (وعيسى بن دينار) هو الطليطلى تفقه بابن القاسم جمع بين الفقه والزهد قال ابو اسحق فى طبقات الفقهاء صلى اربعين سنة الصبح بوضوء العشاء الآخرة وسيعه ابن القاسم وراسخ عند انصرافه عنه فموتب فى ذلك فقال اتلومونى ان شيعت رجلا لم يخلف بعده افقه منه مات سنة اثنتى عشرة ومائتين (انه) اى حديث لانسى اوانسى (ليس بشك وان معناه التقسيم) يعنى التنويع (اى انسى انا او ينسينى الله) لورود نسبته عليه الصلوة والسلام النسيان الى نفسه تارة نظرا الى مقام الفرق والى ربه اخرى اشارة الى مقام الجمع ايماء الى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وردا على القدرية والجبرية واثباتا للقدرة الجزئية كما هو مذهب اهل السنة السنية (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (يحتمل ما قالاه) اى ابن نافع وابن دينار (ان يريد) اى النبي عليه الصلوة والسلام (انى انسى) بالبناء للفاعل (فى اليقظة لتأتى السهو فيها اختيارا (وانسى) بالبناء للمفعول (فى النوم) لتأتيه فيه اضطرارا وفيه ان قلبه عليه الصلوة والسلام كان لاينام فحاله نوما ويقظة سواء فى مراتب الاحكام للاحكام (اوانسى) بصيغة الفاعل (على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشئ والسهو) اى الغفلة الناشئة عن شغل البال وتشتت الحال (وانسى) بصيغة المفعول (مع اقبالى عليه وتفرغى له) اى فراغ خاطرى اليه (فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه)

﴿وهو﴾

وهو تسبب اختيار بما شرته فى تحصيل معالجته (ونفى الآخر عن نفسه) وفى نسخة من نفسه (اذ هو فيه) باعتبار مباديه البعيدة ومجاريه (كالمضطر) اليه لانه قدر فى الازل عليه ان يصدر منه بكسبه لديه فهو مضطر فى صورة مختار وربك يخلق مايشاء ويختار وفى السنة اهل الحكمة قال الجدار للوتد مالك تشقنى فقال سل من يدقنى (وذهبت طائفة من اصحاب المعانى) وهم بعض الصوفية من ارباب المعالى (والكلام على الحديث) اى وذوى التكلم على حديث سهوه ومايتعلق به من تحقيق المبانى (الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو فى الصلوة) فيترك منها ماليس عن علم به (ولاينسى) فيها (لان النسيان ذهول وغفلة وآفة) اى عاهة مؤدية الى زوال المدرك من القوة المدركة والحافظة بما يستولى على القلب ويغشاه مما يحجبه عن عبادة الرب (قال) اى ذلك البعض (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها) اى مبعد عن الغفلة مما يؤدى الى المنقصة (والسهو شغل) بذهول لاينتهى الى زواله من الحافظة فى احواله (فكان النبى عليه الصلوة والسلام يسهو فى صلوته) اى لاعنها (ويشغله عن حركات الصلوة مافى الصلوة شغلا بها لاغفلة عنها) فلايتركها عن علم فيها غير مبال بها ولا يخرجها عن وقتها بشهادة فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون اى غافلون (واحتج) اى ذلك البعض (بقوله فى الرواية الاخرى انى لا انسى) بصيغة النفى وفى نسخة زيادة ولكن انسى وحاصله ان النسيان المذموم المنتسب الى تقصير الانسان منفى عنه صلى الله عليه وسلم بخلاف ماخلقه تعالى فيه اضطرارا لحكمة الهية كما تقدم والله تعالى اعلم (وذهبت طائفة اخرى) وهم بعض الصوفية (الى منع هذا) اى ماذكر من السهو والنسيان (كله) اى عنه كما فى نسخة (وقالوا ان سهوه عليه الصلوة والسلام كان عمدا وقصدا ليسن) بصيغة الفاعل اوالمفعول (وهذا قول مرغوب عنه)اى مردود فى الموارد (متناقض المقاصد) لمناقضة السهو للعمد (لايحلى) بالحاء المهملة على صيغة المفعول اى لايظفر (منه بطائل) اى بنفع حاصل يقال هذا الامر لم يحل منه بطائل اذا لم يكن فيه فائدة وقد صرح الجوهرى بانه لايتكلم به الافى الجحد وقد اتى به المؤلف فى صورة النفى ولعله يسوغ ايضا اووقع سهوا من القلم والله سبحانه وتعالى اعلم (لانه كيف يكون متعمدا ساهيا فى حال) اى واحد وزمان متحد (ولا حجة لهم فى قولهم انه امر) اى امره الله تعالى (بتعمد صورة النسيان) وهو بصيغة المصدر بعد باء التعدية وروى يتعمد بصيغة المضارع (ليسن لقوله انى لاانسى اوانسى) وفى نسخة زيادة لاسن وهو بالوجهين على ماسبق (وقد اثبت) اى النبى عليه الصلوة والسلام و يروى فقد اثبت (احد الوصفين) وهو النسيان من قبل نفسه اوالانساء من قبل ربه (ونفى مناقضته) بالاضافة الى الضمير (العمد والقصد) فلايصح اثبات العمد والقصد له عليه الصلوة والسلام و يروى مناقضة التعمد والقصد (وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون) وفى رواية فاذا نسيت فذكرونى (وقد مال الى هذا) اى القول بانه امر بتعمد النسيان (عظيم من المحققين من ائمتنا) يعنى المالكية (وهو ابو المظفر) و يروى ابو المطهر (الاسفراينى ولم يرتضه) بالضمير او بهاء السكت اى ولم يختره (غيره منهم) اى من المالكية وغيرهم (ولاارتضيه) يعنى انا (ايضا) لظهور تناقضه ووضوح تعارضه وقال النووى بعدما حكى هذا القول عن بعض الصوفية وهذا لم يقل به احد ممن يقتدى به الا الاستاد ابو المظفر الاسفراينى فانه مال اليه ورجحه وهو ضعيف متناقض (ولا حجة لهاتين الطائفتين) اى القائلة بانه عليه الصلوة والسلام كان يسهو فى صلوته ولا ينسى والقائلة بان سهوه كان عمدا اوقصدا (فى قوله انى لا انسى) بصيغة النفى على بناء الفاعل (ولكن انسى) بصيغة المفعول (اذ ليس فيه نفى حكم النسيان) بالاضافة البيانية (بالجملة) اى بالكلية (وانما فيه نفى لفظه) اى مبناه المشعر بعدم التفاته اليه (وكراهة لقبه) اى وصفه الذى يحمل عليه (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا) لاعترافه بدخوله تحت وعيد ظاهر قوله سبحانه كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (ولكنه نسى) مشددا اى انساه الله من غير تقصير اياه لعارض اومرض ورواه ابو عبيد بلفظ بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هو نسى ولكنه نسى وهو ابين من الاول وقد رواه احمد والشيخان والترمذى والنسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا بلفظ بئسما لاحد كم ان يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى ويمكن انه كره نسبة النسيان الى النفس لانه تعالى هو الذى انساه لاسناد الحوادث كلها اليه اولان النسيان مبناه الترك فكره له ان يقول تركت القرآن اوقصدت الى نسيانه ولم يكن باختياره اياه يقال انساه الله ونساه والحاصل ان اختلاف النفى والاثبات باعتبار لفظه ومبناه لتفاوت فحوى الكلام ومقتضاه باعتبار معناه (اولنفى الغفلة) عن ربه (وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها) اى بالصلوة عن الصلوة يعنى بفعل بعضها عن فعل بعضها (ونسى بعضها ببعضها) اى بعض الصلوة ببعض الغفلة عنها ليبين للساهى فيها مايجبرها بتركه شيئا منها (كما ترك الصلوة)على مارواه الشيخان (يوم الخندق) اى زمان حفر

الخندق وهي غزوة الاحزاب وكانت في السنة الخامسة بعد الهجرة في شهر شوال منها (حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العد وعنها) اى عن الصلوة (فشغل بطاعة) اى العليا وهي حراسة المدينة (عن طاعة). وهي اداء الصلوة الوسطى لما ورد شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله قلوبهم وقبورهم نارا (وقيل ان الذى ترك يوم الخندق اربع صلوات) بالرفع على انه خبر ان ثم ابدل منه بقوله (الظهر والعصر والمغرب والعشاء) وهذا على قول الكوفيين واما على ما قاله سيبويه فيكون اربع منصوبا وهو الثانى فيكون اربع منصوبا ذكره الحلبي ولعل الواقعة تعددت في الغزوة (وبه احتج من ذهب الى جواز تأخير الصلوة) اى الى ان يخرج وقتها (في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له) ولا يبعد ان يقال انما كان ناسخا اذا كان قادرا على التمكن من ادائها بصلوة الخوف بخلاف ما اذا لم يتمكن من ادائها كما اذا كان العدو من كل جانب محاصرا على ما وقع في الاحزاب والله تعالى اعلم بالصواب (فان قلت فما تقول في نومه عليه الصلوة والسلام عن الصلوة يوم الوادى) كما رواه البخارى وقد قيل هو وادى ضجنان وهو موضع بجوار مكة وروى عن ابى هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من خيبر سار ليلة حتى اذا ادركه الكرى عرس ونام هو واصحابه فلم يستيقظ احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولهم استيقاظا فقال اقتادوا يعنى سوقوا رواحلكم فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وامر بلالا فاقام الصلوة فصلى بهم الصبح (وقد قال) عليه الصلوة والسلام (ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) قال النووى هذا من خصائص الانبياء عليهم الصلوة والسلام انتهى والجملة اعتراض بين السؤال وجوابه ورد حالا افاد ان قلبه لا يعروه نوم فكيف نام عن الصلوة حتى خرج وقتها (فاعلم ان العلماء في ذلك) اى في دفعه وفي نسخة عن ذلك اى عن نومه فيه بالوصف المذكور هنالك (اجوبة) بالنصب على انه اسم ان (منها ان المراد بان هذا) الذى ذكر من اليقظة يريه (حكم قلبه عند نومه) اى نوم قلبه (وعينيه) اى وعند نوم عينيه او المعنى هذا حكم قلبه وعينيه حال اجتماعهما (في غالب الاوقات وقد يندر منه) بضم الدال اى يقع نادرا (غير ذلك) من غفلة قلبه حال نوم عينيه (كما يندر من غيره خلاف عادته) والحاصل انه عليه الصلوة والسلام على ما قيل كان له حالان في المنام احدهما انه كان تنام عينه ولا ينام قلبه وذلك في غالب اوقاته وثانيهما وهو ان ينام قلبه ايضا وهو نادر فصادف هذا الموضع حاله الثانى ثم اعلم ان في بعض النسخ ضبط غيبته بدل عينيه واختاره الحلبي وقال الغيبة ضد الحضور وهو ظاهر وانما ذكرته لاحتمال ان يشتبه على من لا يعرف فيصحفه بعينيه تثنية عين وهي الجارحة الباصرة قلت هذا لا يصح لا من جهة الاعراب في المبنى ولا من طريق الصواب في المعنى لان غيبته اذا كان عطفا على قلبه لا يستقيم الكلام اذ التقدير هذا حكم قلبه عند نومه وحكم عدم حضوره ولا احفاء في قصوره واذا كان عطفا على نومه فيكون التقدير هذا حكم قلبه عند نومه وعند عدم حضوره ولا يخفى ما في هذا ايضا من بعد تصوره (ويصحح هذا التأويل) الذى افاد ان قلبه لا ينام غالبا وقد ينام نادرا (قوله عليه الصلوة والسلام في هذا الحديث نفسه) اى نفس هذا الحديث المذكور وهو حديث الصلوة في الوادى لا كما توهم الدلجى من انه حديث عيناى تنامان ولا ينام قلبى وقال التلمسانى صوابه ما عند ابن مليح في اصله وقول بلال في الحديث نفسه وهو معروف من قول بلال والمحفوظ من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله قبض ارواحنا) قلت هذا هو المراد وهو الصواب ولا يظهر لقول التلمسانى وجه في هذا الباب مع ان رواية البخارى ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء (وقول بلال فيه) اى في حديث صلوة الوادى فما ايقظهم الاحر الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وادى به شيطان اقتادوا فاقتادوا رواحلهم حتى خرجوا منه وقضوا صلوة الصبح لا كما توهم الدلجى ايضا وقال اى في حديث ان عينى تنامان جوابا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد امره ان يكلأ لهم الفجر فقال عليه الصلوة والسلام اين ما قلت يا بلال فقال والله يا رسول الله (ما القيت على من نومة مثلها قط) لشدة تعب السير وقوة نصب السهر ولعل وجه كون قول بلال يصحح التأويل السابق انه وقع له عليه الصلوة والسلام من شدة الحال كما وقع لبلال فنام قلبه عليه الصلوة والسلام من كثرة الكلال (ولكن مثل هذا) اى النادر الوقوع (انما يكون منه) اى من النبي عليه الصلوة والسلام (لامر يريده الله) عز وجل وفي نسخة يريده من الله (من اثبات حكم) تحته حكم (وتأسيس سنة) اى تأصيل قضية منيعة يبنى عليها فروع شريعة (واظهار شرع) من فرض او سنة لم يكن مبينا (كما قال) اى النبي عليه الصلوة والسلام (في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا) اى من منامنا ظاهرا وباطنا (ولكن اراد) اى بغلبة النوم علينا (ان يكون) اى سنة (لمن بعدكم) يقتدون بها (الثانى) من الاجوبة (ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه) اى ناقض الوضوء في نومه (لما روى)

في صحيح البخاري وغيره (انه كان محروسا) اي محفوظا عن ان يقع منه حدث في حال نومه (وانه كان ينام حتى ينفخ) بضم الفاء (وحتى يسمع) بصيغة المجهول (غطيطه) اي ترديد صوته الخارج مع نفسه (ثم يصلي ولايتوضأ) لعدم نقض وضوئه مع يقظة قلبه او بناء على حراسة ربه اولاختصاصه به (وحديث ابن عباس) في الصحيحين (المذكور فيه) اي في حديثه (وضوءه) اي وضوء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عند قيامه من النوم) مبتدأ خبره (فيه نومه مع اهله) اي ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس (فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه) اي على كون وضوئه (لمجرد النوم) مع اهله (اذلعل ذلك) اي وضوءه هنالك (لملامسة الاهل) اي مساسه و برى للملامسة اهله (اولحدث آخر) اي وهذا اظهر اذلم يثبت انه عليه الصلوة والسلام توضأ من لمس امرأة قط فتدبر اوللتجديد المفيد للتنشيط (فكيف لايكون وضوءه بواحد مما ذكر (وفي آخر الحديث نفسه) اي المروي عن ابن عباس بعينه (ثم نام) اي ثانيا (حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ) اي اكتفاء بالوضوء الذي تقدم (وقيل لاينام قلبه من اجل انه يوحي اليه في النوم) كغيره من الانبياء فانهم يوحى اليهم فيه قال تعالى اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياابت افعل ماتؤمر ومن هنا يكفر ابن عربي حيث طعن على سيدنا ابراهيم الخليل انه اخطأ في التعبير والتأويل وانه كان تأويل منامه انه يذبح كبشا فحمل المنام على ظاهره وقصد ذبح ابنه كما بسطت هذا في محله (وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس) اي واثر طلوعها من الفجر في افق السماء (وليس هذا من فعل القلب) اذ قد يكون الشخص مستيقظا ولم يكن مطالعا لمطلع الشمس لاسيما اذا كان مغمضا عينيه خصوصا في بقاء القمر الى آخر الليل و بعده وهذا انما هو على الفرض والتقدير والا فقد صح انه عليه الصلوة والسلام كان حينئذ في استغراق المنام (وقد قال عليه الصلوة والسلام ان الله قبض ارواحنا) اي المدركة للامور الظاهرة (ولوشاء لردها علينا في حين غير هذا) وهو قبل هذا الوقت لادراك الوقت ولكن اراد ان نعرف حكم فوت الوقت والحديث مقتبس من قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت و يرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (فان قيل فلو لاعادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ) بكسر همزة وصل في اوله وفتح لامه وهمزة ساكنة في آخره اي احفظ (لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه الصلوة والسلام التغليس بالصبح) لعله في الاسفار (ومراعاة اول الفجر) اي المختار وهو الاسفار وفي نسخة لمراعاة اول الفجر (فلايصح ممن نامت عينه) وكذا ممن استغرق في شهود ربه وعدم التفاته لغيره (اذ هو) اي الصبح (ظاهر) من الامور (يدرك بالجوارح الظاهرة) بل بالجارحة الباصرة وكأنه جمع لجميع العيون الحاضرة (فوكل بلالا بمراعاة اوله) حقيقة اوحكما (ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم) من اي عمل كان (عن مراعاته) اي محافظة اوقاته وقد اغرب التلمساني في عبارته والمعنى انه عليه الصلوة والسلام كان يؤخر الصلوة الى وقت التغليس من الصبح (فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلوة والسلام عن قول نسيت) اي في حديث لايقولن احدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي بضم النون وتشديد المهملة (وقد قال عليه الصلوة والسلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت) وفي رواية انسيت (فذكروني) رواه ابو حنيفة رحمه الله في مسنده (وقال) اي في رواية اخرى (لقد اذكرني) اي فلان (كذا وكذا آية كنت انسيتها) كذا في النسخ والمناسب للسؤال الوارد نسيتها ليرد الاشكال بين النهي عن نسبة النسيان الى نفسه و بين اثباته في لفظه فانه تعارض بحسب ظاهره (فاعلم اكرمك الله تعالى انه لاتعارض في هذه الالفاظ) اي عند المحققين من الحفاظ لما سبق من التنبيه على شيء من التوجيه وهو نسبة الفعل الى الله تعالى حقيقة والى العبد مجازا فالاولى صرف القلب الى فعل الرب وايضا فعل النسيان من حيث انه ظاهر في التقصير والنقصان مذموم بخلاف ما اذا اراد الله امضاءه وقدر عليه بان انساه اياه ولايبعد ان يكون قوله انسيت بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم معناه انسانيه الله لقوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله واما بالنسبة الى غيره عليه الصلوة والسلام فمعناه انسانيه الشيطان كما قال يوشع وما انسانيه الا الشيطان وكما قال عز وجل فانساه الشيطان ذكر ربه ونتيجة الفرق ان مايكون مذموما ينسب الى الشيطان ومايكون محمودا ينسب الى الرحمن ومجمله ان كل نسيان صدر عن تقصير وتوان فيكون بسبب اغواء الشيطان وكل ما يكون بعارض مرض اوكبر ونحوهما فهو بسبب اختيار الرحمن وايضا من معاني النسيان الترك فلا ينبغي للمؤمن ان يقول تركت آية حيث يتوهم منه ان يكون قصدا ولا يراعي رعاية ومن جملة الاجوبة قوله (اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على مانسخ حفظه) الظاهر كونه وفي نسخة حفظه (من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله تعالى اضطره اليها) اي الى نسيانها (ليمحو مايشاء و يثبت) بالتشديد والتخفيف وهذا احد معاني قوله تعالى فلا تنسى الا ماشاء الله اي اراد نسخه

كما قضاه وامضاه • لكن هذا انما يكون جوابا عن قوله عليه الصلوة والسلام انى لاانسى ولكن انسى فلا يصلح ان يكون تأويلا لنهيه عليه الصلوة والسلام للامة ان يقال نسيت آية كذا فلا رابطة بين السؤال والجواب والله تعالى اعلم بالصواب (وما كان من سهو اوغفلة من قبله) اى من جانب العبد (تذكرها) وكذا اذا لم يتذكرها (صلح) بضم اللام وفتحها اى صح (ان يقال فيه انسى) بفتح الهمزة لابضمها كما توهم الدلجى فبهذا الاعتبار ورد عنه صلى الله عليه وسلم انى انسى كما تنسون فلا تعارض اصلا وقطعا (وقد قيل) اى فى الجواب عن ايراد السؤال المتضمن للاشكال وهو التعارض الظاهر فى المقال (ان هذا) اى نسبة الانساء الى الله تعالى (منه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه) وهو الله تعالى اذ لاخالق له سواه (والآخر) وهو نسبة النسيان الى نفسه (على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه) اى بنوع تسبب وتقصير منه (واسقاطه عليه الصلوة والسلام) مبتدأ (لما اسقط من هذه الآيات) حق العبارة لبعض الآيات وهى التى اذكره اياها بعض الامة (جائز عليه) وليس من باب التقصير والسهو فى التبليغ (بعد بلاغ ما امر ببلاغه) اولا (وتوصيله الى عباده) كاملا (ثم يستذكرها) يروى يستدركها (من امته) ثانيا (اومن قبل نفسه) استحضارا (الا ماقضى الله نسخه) اى رفعه (ومحوه من القلوب) اى من قلبه عليه الصلوة والسلام وقلب سائر الانام (وترك استذكاره) فى بقية الايام فانه من انواع نسخ الكلام (وقد يجوز ان ينسى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول اوالفاعل (ماهذا سبيله) اى المحو بعد البلاغ (كرة) اى بالمرة (ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ مالا يغير نظما ولايخلط حكما بما لا يدخل خللا فى الخبر) اى فى مبناه اومعناه • (ثم يذكره اياه) كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وحاصله بيان عصمته من ان يقع له خطأ فى قراءته عند تبليغ امته (ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله تعالى كتابه) بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (وتكليفه) ويروى وتكفيله (بلاغه) بقوله ياايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك

﴿فصل﴾

(فى الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به فى ذلك) اى ما استدلوا به من الظواهر هنالك (اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم) اى تابعهم كما فى نسخة (على ذلك من المتكلمين) كابى جعفر الطبرى وغيره (احتجوا على ذلك) اى على تجويزها عليهم (بظواهر كثيرة من القرآن) اى القديم (والحديث) اى السنة (ان التزموا ظواهرها) من غير ان يأولوا اكثرها واتخذوها مذهبا وطريقة (افضت بهم) اوصلتهم (الى تجويز الكبائر) عليهم (وخرق الاجماع) اى والى مخالفتهم (ومالايقول به مسلم) اى من تجويز الكبائر بعد البعثة عمدا فانه لايقول به الا الحشوية (فكيف) يجوزون الصغائر عليهم (وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون فى معناه) اى فى تأويل مبناه (وتقابلت الاحتمالات) اوالاحتمالان (فى مقتضاه) اى موجبه ومؤداه ومع وجود الاحتمال لايصح الاستدلال (وجاءت اقاويل) جمع اقوال جمع قول اى اقوال كثيرة (فى هذا البحث) وفى نسخة فيها اى فى هذه القضية (للسلف) الصالحين من الصحابة والتابعين (بخلاف ماالتزموه) اى بعض الخلف (من ذلك) اى من تجويز ماهنالك وفى نسخة فى ذلك (فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا) اى بمجمع المسلمين (وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما) من ايام المتقدمين (وقامت الادلة) اى العقلية (على خطأ قولهم وصحة غيره) اى غير مقالهم (وجب تركه) جواب اذا (والمصير الى ماصح) دليله عقلا ونقلا على ان متابعة السلف اولى من موافقة الخلف (وها) تنبيه (نحن نأخذ) اى نشرع (فى النظر فيها) اى فى التأمل والتفكر فى الادلة وما يترتب عليها من حكم المسئلة (ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى ما صدر منه جائزا وكان تركه اولى فغفر له بترك عتابه فى مقام خطابه (وقوله تعالى واستغفر لذنبك) كتقصير فى العبادة او رؤية الطاعة اوغفلة الساعة او ملاحظة ماسواه فى مقام ان تعبد الله كانك تراه (وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك) اى ثقل اعباء الرسالة ومرارة وعناء الكلفة (الذى انقض ظهرك) اى كسره لولا انه سبحانه وتعالى هون عليه وسهل امره لديه صلى الله عليه وسلم (وقوله تعالى عفا الله عنك) اى لوصدر ذنب منك (لم اذنت لهم) اى للمنافقين المتخلفين اعلاما بان اذنه لهم كان من باب ترك الاولى كما بينه بقوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ودليل ذلك انه سبحانه وتعالى فوض الاذن اليه فى مقامه هنالك حيث قال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم (وقوله تعالى لولا كتاب من الله) اى حكم ازلى ظهر منه وهو (سبق) من ان الغنائم تحل لهذه الامة (لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) فهذه قضية فرضية لايتفرع عليها نهى مسئلة فرعية يترتب على تركها

خصلة غير مرضية نعم ربما يقال كان الاولى انتظار الوحى الاعلى (وقوله تعالى عبس وتولى) اى كلح وجهه وتغير لونه (ان جاءه الاعمى) اى كراهة مجيئه فى غير محله اللايق به ثم عدم التفاته عليه الصلوة والسلام اليه لسؤاله منه قبل تمام الكلام من حضار مجلسه من الايلم (الآية) اى الآيات بعدهاما وقع فيه المعاتبة على اقباله عليه الصلوة والسلام على عباد الاصنام طمعا ان يدخلوا فى الاسلام وعلى اعراضه عمن جاءه ليستفيد منه بعض الاحكام لقوله وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى والاعمى هو عبدالله بن ام مكتوم العامرى شهد القادسية ومعه اللواء فقتل وقد هاجر الى المدينة وكان مؤذنه عليه الصلوة والسلام واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة وقيل مات بالمدينة (وماقص الله تعالى) اى حكى وفى نسخة مانص اى ماصرح سبحانه (من قصص غيره) بفتح القاف اى حكاية غيره وفى نسخة بكسرها اى حكايات غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانبياء) عليهم الصلوة والسلام (كقوله وعصى آدم) اى خالف (ربه) باكل الشجرة نسيانا اوخطأ (فغوى) فضل من المطلوب وزل عن المحبوب اوعن المنهى عنه اوعن طريق الرحمن حيث اغتر بقول الشيطان اوخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة من حيث لم يوجد له الثمرة (وقوله تعالى فلما آتاهما) اى الله تعالى اعطاهما (صالحا) اى ولدا سويا (جعلا) اى آدم وحواء (له) اى له سبحانه وتعالى (شركاء) وفى قراءة شركا حيث سمياه عبد الحارث ولم يدريا ما الحارث وهو اسم للشيطان وقد وسوس لحواء حين حملت بانه مايدريك لعله بهيمة اوكلب وانى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا فى الملكية (الآية) اى فتعالى الله عما يشركون وهذا ليس بشرك حقيقى لانهما مااعتقدا ان الحارث ربه بل قصدا انه سبب صلاحه فسماه الله شركا للتغليظ فان الذنب من العارفين المقربين اشد واعظم والله اعلم ويكون لفظ شركاء من اطلاق الجمع على الواحد اويقال انهما لمافعلا ذلك اقتدى بهما بعض الناس فيما هنالك فسموا اولادهم عبدشمس ونحوه كما فى الجاهلية وكعبد النبى فى الاسلامية (وقوله تعالى) اى حكاية عن آدم وحواء عليهما السلام (ربنا ظلمنا انفسنا) بوضع الشئ فى غير موضعه الاولى (الآية) اى وان لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين اى الخائبين الضائعين فى الدنيا والاخرى اذلايستغنى احد عن مغفرة ربه لنوع تقصير فى حقه قال تعالى كلا لما يقض ما امره (وقوله تعالى عن يونس) اى حكاية (سبحانك انى كنت من الظالمين) اى ولو فى غفلة ساعة اوتقصير طاعة (وما ذكره من قصته) اى يونس كما سبق (وقصة داود) كما سيأتى (وقوله تعالى وظن داود انما فتناه) اى ابتليناه (فاستغفر ربه وخر راكعا) اى سقط حال كونه راكعا الى السجدة شكرا للمغفرة اوعذرا للتقصير فى الغفلة (واناب) اى رجع من الغفلة الى الحضرة فان الانابة اخص من التوبة فانها من المعصية (الى قوله مآب) حيث جبر خاطره بقوله فغفرنا له ذلك ما كان فى صورة الذنب هنالك وان له عندنا لزلفى لقربة فى الباب وحسن مآب مرجع الى الجناب (وقوله تعالى ولقد همت به) اى هم الشهوة (وهم بها) اى هم الخطرة (وماقص من قصته مع اخوته) فيوسف ابت نسبة نبوته ومنزه ساحته ببراءته واما ماسبق من امور اخوته فسيأتى بعض اجوبته (وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى) اى ضربه بجمع دفعا له عن ظلمه من غير قصد لقتله (فقضى عليه) اى مات لديه (قال هذا من عمل الشيطان) نسب اليه لانه لم يكن امر ضربه نزل عليه على ان الصحيح انه كان قبل النبوة (وقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه اللهم اغفرلى ماقدمت) اى من التقصير فى العبودية (وما اخرت) اى الطاعة عن الاوقات الاولوية (وما اسررت) من الخواطر النفسانية (وما اعلنت) اى من العوارض الانسانية (ونحوه من ادعيته عليه الصلوة والسلام) من اظهار التواضع والخضوع والخشوع والمسكنة وبيان المهابة والخشية تعليما للامة وتكميلا للرتبة ورفعة الدرجة (وذكر الانبياء) بالرفع اى وذكر الله تعالى الانبياء او بالجر اى ومن ذكر الانبياء (فى الموقف) اى القيامة (ذنوبهم) خوفا من ربهم (فى حديث الشفاعة) لمشاهدة الاهوال ومطالعة الاحوال الدالة على كمال غضب ذى الجلال فعدوا تقصيراتهم سيئات وخافوا عليها من التبعات (وقوله انه) اى الشان (ليغان على قلبى) اى فيحجب عن ربى (فاستغفر الله تعالى) من ذنبى على ما تقدم (وفى حديث ابى هريرة انى لاستغفر الله) ى لاطلب مغفرة الذنوب وستر العيوب (واتوب اليه) اى ارجع عن ملاحظة اسرار الخلق الى مطالعة انوار الحق (فى اليوم الواحد اكثر من سبعين مرة) لانه عليه الصلوة والسلام كان بوصف الكائن البائن القريب الغريب العرشى الفرشى (وقوله تعالى عن نوح والا تغفرلى وترحمنى الآية) اكن من الخاسرين ومن الذى يستغنى عن مغفرة الله تعالى ورحمته ولوكان فى اعلى مراتب نبوته ومناقب رسالته (وقد كان) اى نوح قبل ذلك (قال الله له ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) اى كفروا (انهم مغرقون) وقد

خاطبه نوح فى ابنه فعاتبه ربه فى امره (وقال عن ابراهيم والذى أطمع ان يغفرلى خطيئتى) اى خطاى او ما كان من
عمد فى صورة ذنب لى (يوم الدين) اى الجزاء وفصل القضاء (وقوله عن موسى تبت اليك) اى رجعت عن سؤالى بعد
مااظهرت لك حالى وطلبت منك مالى من منالى (وقوله ولقد فتنا سليمان) اى ابتليناه بالجاه الدنيوى اولا والقينا
على كرسيه جسدا خاويا ثانيا (الى ما اشبه هذه الظواهر) مع امثاله من الايات والروايات (قال القاضى رحمه الله
تعالى) يعنى المصنف (فاما احتجاجهم) اى استدلال المجوزين للصغائر على الانبياء (بقوله ليغفرلك الله ماتقدم
من ذنبك وماتأخر فهذا) الكلام المكنون (قداختلف فيه المفسرون) اى فى تدقيق مبناه وتحقيق معناه (فقيل المراد
ماكان قبل النبوة وبعدها) من الحالة المجملة المحتملة فلايكون فيه دليل على المسئلة (وقيل المراد ماوقع لك من
ذنب) سابقا (ومالم يقع) لاحقا (اعلمه الله انه مغفورله)حقا (وقيل المتقدم ماكان قبل النبوة والمتأخر عصمتك
بعدها) والمعنى ليغفرلك الله ماتقدم بمحو السيئة وماتأخر ببركة حراسة العصمة (حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك)
اى بخطابه لك ومن ذنبك (امته عليه الصلوة والسلام) على حذف مضاف (وقيل المراد ماكان عن سهو وغفلة
وتأويل) وقع فيه زلة وهذا احسن ماقيل فى هذه المسئلة (حكاه الطبرى) وهو محمد بن جرير (واختاره القشيرى)
وهو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك امام الشريعة والحقيقة وصاحب الرسالة فى الطريقة (وقيل ما تقدم لابيك
آدم وماتأخر من ذنوب امتك) على ان الاضافة لادنى الملابسة ولك معناه لاجلك (حكاه السمرقندى) وهو الفقيه
الامام ابو الليث من اكابر الحنفية (والسلمى) بضم السين وفتح اللام هو ابو عبد الرحمن الصوفى صاحب طبقات
الصوفيه ومؤلف التفسير فى التصوف (عن ابن عطاء وبمثله والذى قبله)اى وبمثل هذا التأويل والتأويل الذى تقدم
قبله (يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكى مخاطبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ههنا هى مخاطبة
لامته) لادنى الملابسة فى اضافته او بحذف مضاف عن مرتبته (وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما امر ان يقول
وماادرى مايفعل بى ولابكم) اى تفصيلا لحالى وحالكم (سر) بضم السين وتشديد الراء اى فرح (بذلك الكفار فانزل الله
تعالى ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر الآية) اى ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله
نصرا عزيزا (وبما للمؤمنين) وفى نسخة وبمآل المؤمنين بهمزة ممدودة قبل اللام اى بمايؤولون اليه (فى الآية
الاخرى بعدها) اى بعد الآية الاولى (قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنه) فالآية الاولى قوله ليغفرلك الله ماتقدم
من ذنبك والآية الاخرى التى اشار اليها هى قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات الى آخرها وهما على هذا التأويل
جواب لقوله وماادرى مايفعل بى ولابكم وذلك لما نزلت وماادرى ما يفعل بى ولابكم فرح المشركون وقالوا واللات
والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا مزية زائدة ولولا انه ابتدع ما يقوله من تلقاء نفسه لاخبره
الذى بعثه بمايفعل به فانزل الله تعالى ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك الآية فقالت الصحابة هنيئا لك يارسول الله
قد علمنا مايفعل الله بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآيات (فمقصد الآية) بكسر الصاد
اى مرادها (انك مغفورلك غير مؤاخذ بذنب ان لوكان) اى حقيقة اوحكما (قال بعضهم المغفرة ههنا) اى فى هذه
الآية (تبرئة من العيوب) وتنزيه من الذنوب لان اصلها الستر فهو كالعصمة فى معنى الستر من الحجاب والمنع عن الوزر
(واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك فقيل ماسلف من ذنبك قبل النبوة قاله ابن زيد) اى ابن اسلم
(والحسن) اى البصرى (ومعنى قول قتادة) اى ابن دعامة (وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها) اى من الذنوب
(وعصم) بصيغة المجهول فيهما (ولولا ذلك) اى ماذكر من الحفظ والعصمة (لاثقلت ظهرك) وفى نسخة ظهره
(حكى معناه السمرقندى) اى ابو الليث (وقيل المراد بذلك ما) اى الذى (اثقل ظهره من اعباء الرسالة) بفتح الهمزة
اى اثقالها وتحمل احمالها وتصبر احوالها (حتى بلغها) الى اهلها (حكاه الماوردى والسلمى وقيل) اراد
(حططنا) اى وضعنا اورفعنا (عنك ثقل ايام الجاهلية) اى اثقال آثامهم ومشاهدة اعلامهم المنكرة فى الشرايع
الاسلامية (حكاه مكى وقيل ثقل شغل سرك) اى خاطرك (وحيرتك) اى تحيرك فى باطنك وظاهرك (وطلب
شريعتك) وفق طريقتك (حتى شرعنا ذلك لك) بحسب حقيقة ماهنالك (حكى معناه القشيرى) اى فى تفسيره
(وقيل معناه) وفى نسخة المعنى (خففنا) بالتشديد (عليك) وفى نسخة عنك (ماحملت) بضم مهملة فتشديد ميم
مكسورة اى كلفت حمله (بحفظنا) اى لك (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم او بالفتح والتشديد (استحفظت)
بصيغة المجهول اى استرعيت (وحفظ عليك) اى امرك لديك (ومعنى انقض اى كاد ينقضه) اى قارب ولم ينقض
فهو من باب مجاز المشارفة (فيكون المعنى) اى معنى الانقاض (على من جعل ذلك) اى عند من جعل ذلك الوزر
(لما قبل النبوة اهتمام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها) اى تلك الامور

(اوزارا وثقلت عليه) ويروى وثقلت وانملت (واشفق منها) اى خاف من غبا يخشيته من الله وتصور عظمته (او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته) اى حمايته (من ذنوب لو كانت) اى فرضا وتقديرا (لانقضت ظهره) واشتغلت فكره وشتت امره (او يكون) اى الوضع (من ثقل الرسالة) اى بادائها الى الامة وخلاصه عن الكفالة (او ما ثقل عليه) اى امره (وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد) بالنصب اى حتى يعد مخالفته (سيئة ولا عده الله تعالى عليه معصية) حيث اذن له بقوله فاذن لمن شئت منهم (بل لم يعده) بفتح الدال المشددة وضمها (اهل العلم معاتبة) على انه فعل خلاف الاولى كما هو ظاهر قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (وغلطوا) بتشديد اللام و بالطاء المهملة اى ونسبوا الى الغلط فى معنى الآية (من ذهب الى ذلك) اى على خلاف ما هنالك (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح مهملة وواو مفتوحة وتحتية ساكنة وهاء مكسورة (وقد حاشاه الله) اى نزهه (من ذلك) العتاب (بل كان مخيرا فى امرين) كما فى الكتاب (قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه) بالبناء للفاعل او المفعول (فيه وحى) مشتمل على نهى (فكيف وقد قال الله تعالى) اى له كما فى نسخة (فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم) اى لبعضهم وهم المنافقون بناء على ظنه انهم مؤمنون وكان الاذن مختصا بالمؤمنين لقوله تعالى واستغفر لهم الله لان الله تعالى لم يأمره بالاستغفار للمنافقين (اعلمه الله تعالى بما لم اطلع عليه من سرهم) اى باطنهم يقينا (انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج) اى لا اثم ولا تبعة (عليه فيما فعل) اى من الاذن لهم (وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط) جملة حالية (اى لم يلزمكم ذلك) من الالزام الشرعى هنالك (ونحوه عن القشيرى) فى تفسيره (قال) اى القشيرى (وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب) بطريق الحصر (من لم يعرف كلام العرب) اى مستوفيا (قال ومعنى) ويروى معناه (عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا) اى وضع عنك شيئا لو لم يضعه لكان ذنبا (قال الداودى روى انها تكرمة) اى فى اول الكلام كالتقدمة و يروى انها كانت تكرمة (قال مكى هو استفتاح كلام) لمن يكون من اهل اكرام (مثل اصلحك الله واعزك الله) خطابا للملوك والامراء او سائر العظماء (وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله) من المعافاة وفيه نكتة خفية صوفية اى عافاك عنك وخلصك منك حتى تكون بكليتك لنا و بنا وآخذا عنا وآمنا منا ممتعا بما تمنى من غير ان تعنى (واما قوله فى اسارى بدر ما كان لنبى ان تكون له اسرى الآيتين) يعنى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم روى انه لما كان يوم بدر جئ بالاسارى فقال عليه الصلوة والسلام ما تقولون فى هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم لضرب اعناقهم فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قال عمر فهوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرنى من اى شئ تبكى فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وانزل الله تعالى ما كان لنبى الآية وقوله اسرى جمع اسير مثل قتلى وقتيل وقوله حتى يثخن فى الارض اى يبالغ فى قتل المشركين ذكره البغوى وحاصل القضية ان الصديق كان مظهر الجمال كابراهيم وعيسى عليهما السلام فى قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم والفاروق كان مظهر الجلال كنوح وموسى عليهما السلام فى قوله ربنا اطمس على اموالهم وكان نبينا محمد عليه الصلوة والسلام مظهر الكمال الا انه يغلب عليه الجمال فلهذا مال الى قول الصديق وعلى طبقه ايضا نزل القرآن على التحقيق وفى قوله سبحانه وتعالى لولا كتاب من الله سبق ايماء الى قوله فى الحديث القدسى والكلام الانسى سبقت رحمتى غضبى وفى رواية غلبت والله ولى التوفيق فاذا عرفت ما تقدم (فليس فيه الزام) ويروى فليس دليل الزام (ذنب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به) من كريم السيم (وفضل من بين سائر الانبياء) وامته من بين سائر الامم (فكانه قال) تعظيما له وامتنانا وتكريما (ما كان هذا النبى غيرك) لكمال فضلك ورفعة قدرك وطولك (كما قال عليه الصلوة والسلام احلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى) روى لم تحل بضم التاء وفتح الحاء على بناء المجهول و بفتح التاء وكسر الحاء على بناء الفاعل

والاولى لمناسبة احلت هي الاولى (فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا) اى تختارونه (الآية) اى والله يريد الآخرة اى يختارها لكم والله عزيز غالب على امره حكيم فى قضائه وقدره وحكمه (قيل المعنى) بكسر النون وتشديد الياء اى المقصود (بالخطاب) والمراد بالعتاب (من اراد) و يروى المعنى بفتح النون بالخطاب لمن اراد (ذلك منهم) اى من الاصحاب لا لعزة قوة اهل الاسلام فى هذا الباب (وبجرد غرضه لغرض الدنيا) الذى فى صدد الزوال (وحده) اى لا يريد غيره (والاستكثار منها) لنفسه وهم بعض ضعفاء المؤمنين ومع هذا انما كانوا ارادوا الدنيا ليستعينوا بها على العقبى لكنه مقام ادنى بالاضافة الى تارك الدنيا كما قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا ابر (وليس المراد بهذا) الخطاب المشتمل على العتاب (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا علية اصحابه) بكسر العين المهملة وسكون اللام وفتح التحتية جمع على مثل صبي وصبية اى اشرافهم ورؤساءهم ومن هنا قال ابن مسعود ولم اكن اظن احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ولما سمع الشبلي رحمه الله تعالى قال آه فاين من يريد الله واجيب عنه بلسان العبارة ان من يريد الآخرة هو من يريد الله لقوله تعالى والله يريد الآخرة و ببيان الاشارة فكانه سبحانه وتعالى يقول ان من يريد الله فهو ليس منكم بل منافى دنياه وعقباه ومستغرق فى فناء فى مقام الاحسان المعبر عنه بان تعبد الله تعالى كانك تراه مشتغلا بمولاه معرضا عما سواه فانيا عن غيره باقيا به لا ينظر الى دنيا ولا الى اخرى وهذا معنى قول بعضهم الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله وهذا محمل قوله عليه الصلوة والسلام اكثر اهل الجنة البله وعليون لاولى الالباب والله تعالى اعلم بالصواب (بل قد روى عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب) بفتحتين وهو ما على القتيل من السلاح والثوب (وجمع الغنائم عن القتال) اى معرضين عنه فى ذلك الحال مخالفين لما كان عليه ارباب الكمال من عدم التفاتهم الى جمع المال (حتى خشى عمر ان يعطف) بكسر الطاء اى يكر (عليهم العدو) و يغلبهم (ثم قال تعالى لولا كتاب) اى مكتوب فى اللوح المحفوظ او حكم فى القضاء المحفوظ (من الله سبق) اى فى القدر وتحقق الامر بالاثر (واختلف) وفى نسخة فاختلف (المفسرون فى معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق منى) اى فى الازل (انى)وفى نسخة ان (لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا) تعليق بالفرض والتقدير (ينفى) وفى نسخة فهذا كله ينفى (ان يكون امر الاسرى معصية) اى فى مقام التحقيق والتقرير (وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق) اى القديم او المقدم رتبة على غيره من الكتاب اللاحق (فاستوجبتم به الصفح) اى الاعراض والعفو عن اختياركم الاعراض (لعوقبتم على الغنائم) اى اخذها فى جميع الاحوال او قبل الفراغ من تكميل القتال فيكون تقدير الآية بحسب الاعراب لولا ايمان كتاب عظيم الشان سبق لكم فيما مضى من الزمان لمسكم فى المستقبل لاجل ما اخذتم من الغنائم الدنيوية عذاب عظيم مشتمل على الاهوال الاخروية (ويزداد هذا القول تفسيرا و بيانا) اى تعبيرا و برهانا (بان يقال لولا) وفى نسخة لوما و فى اخرى لولا ما (كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم) فى مستقبل الزمان (لعوقبتم كما عوقب من تعدى) اى تجاوز عن الحد فى العصيان (وقيل) اى معنى الآية (لولا انه سبق فى اللوح المحفوظ انها) اى الغنائم (حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفى الذنب والمعصية) من غير شك وشبهة (لان من فعل ما احل له لم يعص) فيما فعله (قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) اى خالصا (وقيل بل كان عليه الصلوة والسلام قد خير فى ذلك) اى بين القتل واخذ الفداء وانه عليه الصلوة والسلام كان من عادته ان يختار ايسر الامرين و يستشير اصحابه فى اختيار احد الحكمين فشاور الشيخين ومال الى رأى افضلهما فى الحال واجلهما فى المال وكان امر الله قدرا مقدورا فى الازل لحسن الاحوال وزان الامال فى المآل (وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه قال جاء جبريل عليه السلام يوم بدر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خير اصحابك فى الاسارى ان شاؤا القتل) اى قتل الكفار فيها (وان شاؤا الفداء) فيكون (على ان يقتل منهم فى العام المقبل) اى فى السنة الآتية من غزوة احد (مثلهم) اى فى عددهم (فقالوا) اى جمهورهم ومنهم الصديق (الفداء) بالرفع اى مختارنا او بالنصب اى نختار الفداء (ويقتل منا) عدتهم ونكون شهداء فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى بدر قال بعض الفضلاء هذا الحديث مشكل جدا لمخالفته ما يدل عليه ظاهر التنزيل ولما صح من الاحاديث فى امر اسارى بدر ان اخذ الفداء كان رأيا رأوه فعوتبوا ولو كان هناك تخيير بوحى سماوى لم تتوجه المعاتبة عليهم وقد انزل الله تعالى اليهم ما كان لنبي ان تكون له اسرى الى قوله عذاب عظيم واجيب بانه لا منافاة بين الحديث والآية وذلك ان التخيير فى الحديث وارد على سبيل الاختبار والامتحان ولله ان يمتحن عباده بما شاء ولعله سبحانه امتحن النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم واصحابه بين امرين القتل والفداء وانزل جبريل عليه السلام بذلك هل هم يختارون ما فيه رضى
الله تعالى من قتل الاعداء او يؤثرون الاغراض العاجلة من قبول الفداء فلما اختاروا الثانية عوتبوا على ذلك
والله سبحانه وتعالى اعلم بما هنالك والاظهر فى الجواب والله اعلم بالصواب ان يقال انه عليه السلام شاور
اولا بعض اصحابه الكرام فاختاروا الفداء ووافقهم ايضا فى ذلك المرام فعوتبوا فى ذلك المقام ثم خيروا بين
احد الامرين من البلاء وهو قتل الاعداء من الاحياء او اختيار الفداء وكون سبعين منهم يصيرون شهداء فاختاروا
ما جرى به القلم ومضى به القضاء (وهذا دليل على صحة ماقلناه) اى وقوة ما قدمناه (وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم
فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين) اى فى نفس الامر وان كان هو اقوا هما فى رأيه (مما كان الاصلح غيره) اى
عند غيره (من الاثخان) وهو تكثير القتل فى العدو (والقتل) كالتفسير لما قبله (فعوتبوا على ذلك) اى اختار الاضعف
فيما هنالك حيث اخطأ وانى الاجتهاد واصاب بعضهم فى هذا الباب حين وافق رأيه فصل الخطاب كعمر بن الخطاب
(و بين لهم) بصيغة المفعول (ضعف اختيارهم) اى الاولين (وتصويب اختيار غيرهم) اى الآخرين (وكلهم
غير عصاة ولا مذنبين) لكونهم مجتهدين فى امر الدين (والى نحو هذا) التأويل (اشار الطبرى وقوله عليه الصلوة
والسلام) مبتدأ فى الكلام (فى هذه القضية) وفى نسخة فى هذه القصة (لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر) اى ومن
تبعه فى هذا الامر المقرر (اشارة الى هذا) هذا هو الخبر وفى نسخة اشار الى هذا (من تصويب رأيه) اى رأى عمر (ورأى
من اخذ بما خذه فى اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه) اى افنائهم واهلاكهم من اصله وذلك لما ورد فى حقه من دعاء
النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بعمر كما ورد فى بعض الخبر (وان هذه القضية لو استوجبت عذابا) اى بالفرض
والتقدير (نجا منه عمر ومثله) اى ومن قال بمثل قوله (وعين عمر) فى الخبر (لانه اول من اشار بقتلهم) وتبعه بعض
الصحابة فى الاثر (ولكن الله تعالى لم يقدر عليهم فى ذلك عذابا) اى نازلا يتحقق (لحله لهم فيما سبق وقال الداودى والخبر
بهذا) اى التخيير (لا يثبت) الاولى لم يثبت (ولو ثبت) اى فرضا (لما جاز ان يظن) بصيغة المجهول اى يظن احد
(ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك)
وكانه خالف جمهور العلماء الاعلام فيما قرروا ان له عليه الصلوة والسلام ان يجتهد فى الاحكام بل وقد فوض
اليه كثير من احكام الاسلام او المعنى انه عليه الصلوة والسلام ما جعل له فعل ذلك من تلقاء نفسه مستبدا برأيه
من غير تأويل فى امره (وقال القاضى بكر بن العلاء) اى المالكى (اخبر الله تعالى نبيه فى هذه الآية ان تأويله) اى
ما اختاره من الاشياء (وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان) اى وقع (قبل هذا فادوا) فعل ماض
من المفاداة اى فدى بعض اصحابه (فى سرية عبد الله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى) اخو العلاء من اكابر الصحابة
(بالحكم بن كيسان) بفتح الكاف وسكون التحتية فمهملة مولى هشام بن المغيرة المخزومى (وصاحبه) وهو عثمان
ابن عبد الله اسر ومات كافرا (فما عتب الله تعالى ذلك عليهم) اعلم ان عبد الله بن جحش بفتح الجيم وسكون الحاء
المهملة فشين معجمة هو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عليه الصلوة والسلام فى جمادى الآخرة فى السنة
الثانية من الهجرة قبل بدر بشهر ليترصد عير قريش و بعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار
احد وهم سعد بن ابى وقاص وعكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان وابو حذيفة ابن عتبة وسهيل بن بيضاء وعامر بن
ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وقيل ان هذه السرية كانت اكثر من ذلك قال ابن سعد بعث عبد الله بن جحش فى اثنى
عشر رجلا من المهاجرين انتهى وفى هذه السرية سمى عبد الله بن جحش امير المؤمنين فساروا على بركة الله حتى نزلوا
بطن نخلة بين مكة والطائف فمرت عير لقريش تحمل تجارة من الطائف فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى والحكم بن كيسان
وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله فرمى واقد بن عبد الله عمرا ابن الحضرمى فقتله فكان اول قتيل من المشركين
واستأسروا الحكم وعثمان وكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم فاستاقوا العير والاسيرين حتى قدموا
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم الحكم بن كيسان واقام بالمدينة وحسن اسلامه فقتل يوم بئر معونة
وصاحبه عثمان بن عبد الله رجع الى مكة ومات بها كافرا كذا ذكره التلمسانى وليس فيه ما يدل على فداء على انه
لو ثبت فهذا فداء كافر بمسلم وما نحن فيه فداء كافر بمال فلا يستويان فى مآل ثم رأيته ذكر فى محل آخر ان الحكم بن كيسان
كان ممن اسر فى سرية عبد الله بن جحش حين قتل واقد التميمى عمرا ابن الحضرمى اسره المقداد قال فاراد اميرنا ضرب
عنقه فقلت له دعه نقدم به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمنا به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاسلم وحسن اسلامه انتهى وهذا كما ترى ليس فيه ذكر فداء لا بمال ولا بغيره وانما هو تأخير امره الى حكم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقه وقد صرح الحجازى بان الباء فى بالحكم تتعلق بفادوا لا بقتل فان الحكم اسلم وصاحبه

لحق بمكة ومات بها كافرا والله سبحانه وتعالى اعلم (وذلك قبل بدر بازيد من عام) مل كانا فى سنة واحدة فان تلك فى رجب فى السنة الثانية و بدر فى رمضان فيكون قبل بدر بسهر (فهذا كله يدل على ان فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى شان الاسرى كان على تأويل و بصيرة) اى اجتهاد صادرا عن فكرة (وعلى ما تقدم قبل) مبنى على الضم وقوله (مثله) مرفوع فاعل تقدم (فلم يشكره الله عليهم لكن الله اراد لعظم امر بدر) ويروى لعظيم امر بدر (وكثرة اسراها) اى اسارها (والله تعالى اعلم) جملة معترضة بين الفعل ومفعوله اعنى (اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم) ويروى بتعريف (ماكتب فى اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب) فضلا عن طريق عقاب (وانكار وتذنيب) اى نسبة الى ذنب (هذا معنى كلامه) اى كلام بكر بن العلاء وتمام مرامه (واما قوله تعالى عبس) اى بوجهه (وتولى) اعرض بخده (الآيات) كما قدمناها (فليس فيه اثبات ذنب له عليه الصلوة والسلام) اى يستحق به الملام (بل اعلام الله تعالى) اى له فى ذلك المقام (ان ذلك المتصدى له) بصيغة المجهول اى المتعرض له بالتوجه والاقبال (ممن لا يتزكى) اى لا يتطهر من الشرك فى الاستقبال وان الاشتغال به من جملة تضييع الاحوال وهذا معنى قوله وما يدريك لعله يزكى اى الاعمى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى اى تتعرض وما عليك الا يزكى اى ان لم يؤمن فما عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى وهو يخشى اى الله تعالى فانت عنه تلهى اى تتلهى وتتشاغل عنه وتعرض عن التوجه اليه والاقبال عليه (وان الصواب) فى هذا الباب (والاولى) بالنسبة الى حاله الاعلى (لو كشف) وفى نسخة مالو كشف اى بين وظهر (لك) وفى نسخة له (حال الرجلين) من الاعمى فى الظواهر والبصير فى السرائر ومن عكسه وهو البصير صورة والاعمى سيرة بل هو الاعمى حقيقة فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومنه قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله وما يستوى الاعمى والبصير (لاختيار الاقبال على الاعمى) والاعراض عن الاخر من اهل الدنيا الا انه عليه الصلوة والسلام لحرصه على ايمان الانام ادى اجتهاده الى ان التفاته اليه يكون سببا لايمانه بما انزل عليه (وفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل) اى هنالك (وتصديه) اى تعرضه واقباله (لذلك الكافر) لكونه من الاكابر وايمانه باعث لقومه من الاصاغر (كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه) فى مقام رضاه (واستئلافا له) اى طلب الفة حين آواه (كما شرعه الله تعالى له) فيما اقضاه (لا معصية ولا مخالفة له) فى مؤداه (وما قصه الله تعالى عليه) اى حكاه (من ذلك اعلام بحال الرجلين) اى المؤمن والكافر اوالصالح والفاجر اوالفقير الصابر والغنى المكابر مثلا (وتوهين الكافر) اى جنسه وفى نسخة امر الكافر (والاشارة) الاولى واشارة (الى الاعراض عنه بقوله وما عليك) اى ضرر ووبال (الا يزكى) بعد ما بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت وبلغت النصيحة بقدر الطاقة (وقيل اراد) ويروى المراد (بعبس وتولى) اى بضميره (الكافر الذى كان مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ابو تمام) بتشديد الميم الاولى هو على بن محمد بن احمد البصرى من اصحاب الابهرى وكان حسن الكلام قيل ان اباه كان نصرانيا له كتاب الحماسة ومجموع سماه فحول الشعراء نشأ بمصر وقيل انه كان يسقى الماء بالجرة فى جامع مصر توفى بالموصل سنة احدى وثلاثين ومائتين وهذا التأويل مخالف لظاهر التنزيل بل كاد فى مقام النزاع ان يكون مخالفا للاجماع قال ابو محمد ابن عبد السلام فى تفسيره الصغير الاعمى عبد الله ابن ام مكتوم وكان ضريرا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستقرئه و يقول علمنى مما علمك الله فجعل يناديه و يكرر النداء وهو لا يعلم تشاغله عنه فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه لكلامه فعبس واقبل على العباس وامية وجاء آئيسا وفى تفسير البغوى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة واباجهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وابى بن خلف واخاه امية فعلى هذا يكونان فى الكافر للجنس روى انه عليه الصلوة والسلام كان بعد يكرمه و يقول اذا رأه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول هل لك من حاجة (واما قصة آدم عليه الصلوة والسلام) فى متفرقات الكلام (وقوله تعالى فأكلا) اى آدم وحواء (منها) اى الشجرة المنهية (بعد قوله) لهما (ولا تقربا هذه الشجرة) اى جنسها اوعينها (فتكونا من الظالمين) اى العاصين فيكون النهى للتحريم اومن الواضعين للاشياء فى غير موضعها على ان يكون النهى للتنزيه (وقوله لم انهكما عن تلكما الشجرة) وهى شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها معلوم الله من كل لون وطعم وقيل غير ذلك (وتصريحه تعالى عليه) اصالة وعلى حواء تبعية (بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى) اى جهل) مقامه وضل مرامه (وقيل اخطأ) فى اجتهاده حيث ظن ان الاشارة الى الشجرة بعينها والحال ان النهى كان متوجها الى جنسها اوعرف اولا ان المراد جنسها فنسى فحملها على خصوصها وانما اولنا هذه التأويلات كلها (فان الله تعالى قد اخبر) وفى نسخة قد اخبرنا (بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم) اى امرا اووعيدا (من قبل) اى قبل

خروجه من الجنة اوقبل ظهور الذرية (فنسى) امرنا بالكلية اوجعل نهيا فى الجملة (ولم نجد له عزما) على المخالفة اولم نجد له عزيمة جزما على الموافقة فانه لما اشتبه عليه الحال من ان النهى عن عين تلك الشجرة اوجنسها كانت العزيمة ان يجتنبها بالكلية ولن يعمل بالرخصة فى القضية ولذا قيل ان آدم عليه السلام لم يكن من اولى العزم فقد قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وكذا يونس عليه السلام فقد قال عزوجل فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت (قال ابن زيد) اى ابن اسلم وقد تقدم (نسى عداوة ابليس له) هنالك (وماعهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدولك ولزوجك الآية) اى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اى فتتعب انت بالاصالة وزوجك بالتبعية (وقيل نسى ذلك عما اظهر لهما) من النصيحة اى الشيطان على وجه الخديعة وخلفه فى القضية (وقال ابن عباس انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه) بصيغة المجهول (فنسى) وفيه اشكال لان الظاهر ان حروف اصول الانسان انس كما يدل عليه قوله تعالى يامعشر الجن والانس وقال فى القاموس الانس البشر كالانسان والواحد انسى جمعه اناسى وقرأ يحيى ابن الحارث واناسى كثيرا فهو مهموز الفاء واما النسيان فمادته ناقصة يسمى معتل اللام فاختلفا مادة اللهم الا ان يقال اصل الانسان النسيان فنقلت حركة الياء الى ماقبلها بعد سلب حركته فحذفت تخفيفا لكثرة استعماله فصح ما يقال اول الناس اول الناس والله اعلم (وقيل لم يقصدا) اى آدم وحواء (المخالفة استحلالا لها) اى جعلها حلالا فانه لا يصح عنهما اجماعا (ولكنهما) باشرا مكروها لاعلى قصد مخالفتهما امر ربهما بل بسبب انهما (اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لايحلف بالله حانثا) اى كاذبا كذبا يوجب الحنث اى الاثم (وقد روى عذر آدم بمثل هذا) الاغترار (فى بعض الآثار) ولاشك ان هذا نوع من الاعذار (وقال ابن جبير) وهو سعيد من اجلاء التابعين (حلف بالله تعالى لهما) اى متكررا (حتى غرهما والمؤمن يخدع) وفى الحديث المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم رواه ابوداود والترمذى والحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة (وقد قيل) يروى وقال اى ابن جبير (نسى ولم ينو المخالفة) وهذا ظاهر (فلذلك قال) اى سبحانه وتعالى (ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الجزم) اى الاحتياط فى الامر (والصبر) اى عن المخالفة بالتحمل على مرارة الموافقة (وقيل كان) اى آدم (عند اكله سكران) اى من حب المولى كما قيل فى آية لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من حب الدنيا اومن خمر الجنة (وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لاتسكر) وروى انه لايسكر لان الخمر قدتذكر ويمكن ان يقال لعلها كانت تسكر ثم سلب الله تعالى سكرها ويناسبه انها كانت حلالا فى الدنيا اولا وصارت حراما آخرا والله سبحانه وتعالى وصف خمر الجنة بما يكون نعتها بعد القيمة ويؤيده ان الجنة لا يكون فيها التكليف آخرا وقد صح تكليفهما فيها اولا (واذا) وفى نسخة فاذا (كان) اى اكله (ناسيا لم يكن معصية وكذلك اذا كان ملبسا) بتشديد الموحدة المفتوحة اى مخلطا (عليه غالطا) اى مخطئا (اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى من حكم التكليف) وفيه ان الله سبحانه وتعالى قد صرح بعصيانه فينبغى ان يقال النسيان اوالخطأ لم يكن معفوا حينئذ كما يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه رواه الطبرى عن ثوبان (وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة) بل وهو الظاهر من سياق القضية لقوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى الآية (ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه) اى بالنبوة (فتاب عليه) اى فوفقه للتوبة والثبات على الطاعة اوفرجع عليه بقبول التوبة ونزول الرحمة (وهدى) به الامة (فذكر) اى الله سبحانه وتعالى (ان الاجتباء والهدى) وفى نسخة الهداية (كانا) وفى نسخة كان اى كل واحد منهما (بعد العصيان) بدلالة الفاء التعقيبية (وقيل بل اكلها متأولا) لان المنهى عنه لم يكن مصرحا (وهو لايعلم انها) اى الشجرة التى اكل منها هى (الشجرة التى نهى عنها لانه تأول) اى حمل (نهى الله تعالى على شجرة مخصوصة) اى عليها بعينها (لاعلى الجنس) الشامل لها ولغيرها فاكل مما عداها (ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ) وهو التحرز ورعاية الاحوط فى باب الموافقة (لامن المخالفة) اى الصريحة فى الواقعة (وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم) ولم يعلم ان الاصل فى النهى ان يكون للتحريم والحاصل انه حمل النهى على التنزيه الذى يوجب للمكلف نوعا من التخيير وان كان اولى هو الانتهاء لاسيما بالنسبة الى الانبياء والاصفياء (فان قيل فعلى كل حال) اى تقدير وتأويل (فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) فاثبت له العصيان والغواية (وقال فتاب عليه) والتوبة لم تكن الاعن المخالفة (وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه) حين يخاف ربه قائلا (وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت) اعترافا بذنبه ونوع اضطرار به (فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه) مما وقع لغير آدم من اخوانه وامثاله (مجملا) شاملا له ولغيره (آخر الفصل) يعنى فى الفصل الذى يلى آخر هذا الفصل (ان شاء الله تعالى واما قصة

يونس عليه السلام) وقد تقدم انه بضم الياء والنون اشهر لغاته من تثليث النون مع الهمز وعدمه (فقد مضى الكلام على بعضها آنفا) بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما في السبعة اى قريبا (وليس وقصة يونس نص على ذنب وانما فيها ابق) اى من مولاه اومن امته لشكواه اومن تحمل اعباء النبوة ومقتضاه (وذهب مغاضبا) اى على امته او على نفسه وحالته من ضيق قلبه و قلة صبره (وقد تكلمنا عليه) بحسب ماظهر لنا من امره (وقيل انما نقم الله) بفتح القاف ويكسر اى انكر (عليه) اى عاب اوكره (خروجه عن قومه) من غير اذن ربه (فارا من نزول العذاب) اى لئلا يشاهد حلول العقاب وحصول الحجاب (وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم) برفعه لاسلامهم بعد خروجه ووصول خبرهم اليه (قال والله لاالقاهم بوجه كذاب) اى صورة (ابدا) حياء من الخلق بمقتضى العادة البشرية وهو بالوصف او الاضافة (وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك) وفيه ان اخباره بالعذاب كان مبنيا على اصرارهم بالكفر الموجب للعقاب واذا لم يقتلوه وهم مشركون كيف يتصور ان يقصدوا قتله وهم مؤمنون (وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة) اى اثقالها وشدائد اهوالها ومكابدة احوالها (وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم) بفتح اوله اى بل صدق لهم وقد شاهد واصدق كلامه بآثار العذاب ومقدمة العقاب فآمنوا فارتفع الحجاب كما اخبر الله تعالى عنه بقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى (وهذا) اى الذى ذكرنا (كله) على وجه قررنا (ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه) لطافته (وقوله ابق الى الفلك المشحون) اى المملو (قال المفسرون تباعد) اى عن قومه تباعد المملوك عن مالكه حيث امر الله تعالى بكونه عندهم وفق امره وبهذا التقرير لا يضر لو قيل ابق من ربه وسيده لتخلفه عن حكمه بتباعده وفى ابق ايماء الى بقائه على عبوديته وتحت قضائه وربوبيته (واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه) حتى قيل لمن وضع حب غير ربه فى صدره وقلبه هو ظالم لنفسه ومنه قول العارف ابن الفارض

﴿ عليك بها صرفا وان شئت مزجها ❊ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم ﴾

بل عد الصوفية السنية الغفلة عن الله تعالى وارادة ما سواه ظلما بل كفرا وشركا وقد قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم و قال العارف وايضا

﴿ ولو خطرت لى فى سواك ارادة ❊ على خاطرى سهوا حكمت بردتى ﴾

(فهذا اعتراف منه) اى من يونس عليه السلام (عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون) فعله ذنبا (لخروجه عن قومه بغير اذن ربه اولضعفه عما حمله) بصيغة المجهول اى كلفه (اولدعائه بالعذاب على قومه) بعد يأسه من ايمان قومه (وقد دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يؤاخذ) بذنبه اذ لا يجب على الله تعالى شئ من عفو اوعقوبة وسائر حكمه ويحتمل ان دعاء نوح عليه السلام كان عن اذن من ربه بخلاف يونس عليه السلام فى حق قومه وهو الظاهر لعلمه سبحانه وتعالى بايمان قومه فى آخر امره (وقال الواسطى) من اكابر الصوفية المتقدمين (فى معناه) اى معنى قوله سبحانك انى كنت من الظالمين (نزه ربه عن الظلم) اذ لا يتصور منه (واضاف الظلم الى نفسه اعترافا) بقصوره (واستحقاقا) لعفوه (ومثل هذا قول آدم وحواء) بالمد فعلاء من الحياة وهى ام بنى آدم وسماها آدم حواء حين خلقت من ضلعه فقيل له من هذه فقال امرأة قيل وما اسمها قال حواء قيل ولم ذلك قال لانها خلقت من حى (ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما) اى فى وضعه سبحانه وتعالى اياهما (فى غير الموضع الذى انزلا فيه واخراجهما) اى وكانا السبب فى اخراجهما (من الجنة وانزالهما الى الارض) وهى مكان المحنة والمشقة ودار الكلفة (واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت) الاولى فيجب ان لا يلتفت (الى ماسطره) بتشديد الطاء وتخفيف اى كتبه (فيها) اى القصة وفى نسخة فيه اى فى الامر (الاخباريون) بفتح الهمزة اى الناقلون (من اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى (الذين بدلوا) اى الفاظ التورية ومبناها (وغيروا) معناها ومقتضاها (ونقله) عنهم (بعض المفسرين) اعتمادا على اخبارهم عن اخبارهم وقد ورد ان من العلم جهلا (ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح) موافق لما هنالك (والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه) اى ابتليناه وامتحناه (فاستغفر ربه) اى طلب غفران مولاه فى دنياه واخراه (الى قوله وحسن مآب) يعنى وخر راكعا اى وسقط للسجود بالخضوع والخشوع حال انتقاله من الركوع واناب اى رجع من الغفلة الى الحضرة فان الانابة اخص من التوبة فهى الرجوع من المعصية الى الطاعة فغفرنا له ذلك اى ان كان له ذنب هنالك وان له عندنا لزلفى اى لقربى وحسن مآب مرجع الى الجناب (وقوله فيه) اى فى حقه واذكر عبدنا داود ذا الايد اى صاحب القوة فى الطاعة (انه اواب) كثير الاوبة وهى الرجعة حتى عن الخطرة

(فتنى فتناه اختبرناه) اى امتحناه (واواب قال قتاده مطيع) اى فى كل باب (وهذا التفسير اولى) فى حق اولى الالباب (قال ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم) لعل تقديم ابن عباس لكونه من ذوى القربى والا فابن مسعود افقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة بل ابن عباس اخذ عنه التفسير والحديث والقراءة (ما زاد داود) اى ان صح عنه (على ان قال للرجل) من امته تلويحا او تصريحا (انزل لى عن امرأتك) اى طلقها لانى اريد ان اتزوجها واكد الامر بقوله (واكفلنيها) اى اعطنيها وحقيقة ضمها الى واجعل كفالتها لدى ومؤنتها على وكان اهل زمان داود عليه السلام يسئل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكان ذلك مباحا بينهم غير ان الله تعالى لم يرض له بما هنالك (فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه) كما فى الآية (وانكر عليه شغله بالدنيا) وقلة رغبته فى الاخرى وازدياد النساء وقد اغناه الله تعالى عنها بما اعطاه من غيرها على ان مثل هذا الاستدعاء ليس محظورا فى مذاهب سائر الانبياء كطلب سائر المماليك وباقى الاشياء غير انه لا يستحسن عرفا بين الاحياء (وهذا) التأويل (الذى ينبغى ان يعول عليه من امره) اى يعتمد عليه لجلالة قدره (وقيل خطبها على خطبته) بكسر اوله اى قبل زواجه وهو مكروه فى ملتنا اذا وقع التراضى فى قضيته قال التلمسانى روى انه كان خطبها اورياء ثم خطبها داود عليه السلام فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطبها على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه اى بالشرط الذى قدمناه وهو غير معلوم مما نقلناه (وقيل بل احب بقلبه) وهذا مما لا يعرفه غير ربه (ان يستشهد) اى اورياء ليأخذ امرأته بعده ولعله كان خطرة من غير اصرار عليه والحاصل انه لا ينبغى ان يلتفت الى ما نقله اهل القصص من ان داود تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فقال يارب ان آبائى قد ذهبوا بالخير كله فاوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا بالبلاء فصبروا عليه قد ابتلى ابراهيم بنمرود واسحق بذبحه ويعقوب بالحزن على يوسف وذهاب بصره فسأل الابتلاء فاوحى الله تعالى اليه انك لتبتلى فى يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فجاء الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فوقفت فى كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امرأة اورياء وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب البلقاء ان ابعث اورياء وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد لديه فبعثه وقدمه فسلم وامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل فتزوج امرأته وهى ام سليمان فهذا ونحوه مما يقبح ان يتحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء والمرسلين فعن على كرم الله وجهه من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء (وحكى السمرقندى) وهو الفقيه ابو الليث الحنفى رحمه الله تعالى (ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه) بتشديد اللام اى نسبه الى ظلمه (بقول خصمه) اى من غير ان يقر المدعى عليه بذنبه وهذا غير مستفاد من التنزيل لانه ليس فيه دليل على اثباته ولا على نفيه مع انه يحتمل ان لا يكون هذا حكما بل قاله افتاء على تقدير سؤاله وقول خصمه لقوله (وقيل بل لما خشى على نفسه) من الغفلة (وظن من الفتنة) اى من جملة الابتلاء بالمحنة (لما بسط له) اى وسع عليه (من الملك) وهو كمال الجاه الصورى (والدنيا) اى كثرة المال المحتاج اليه فى الحال الضرورى كذا فى بعض النسخ قوله وقيل الى هنا وسيأتى ما فى بعض آخر مؤخرا (والى نفى ما اضيف فى الاخبار) اى من الاخبار (الى داود) اى ما نسب اليه من ذلك (ذهب) قدم عليه الجار والمجرور المتعلق به لافادة الحصر فيما ذهب اليه (احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين) وذلك لانهم الكفرة الفجرة وقد غيروا اخبار البررة قال عليه الصلوة والسلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وهذا اذا لم يكن منافيا لقواعد ملتنا وقوانين شريعتنا والا فلاشك انا نكذبهم فى اخبارهم عن رهبانهم واحبارهم وعن كتبهم واسرارهم (وقال الداودى ليس فى قصة داود واورياء) بفتح الهمزة وقد يضم وسكون الواو وكسر الراء فتحتية فالف ممدودة (خبر يثبت) اى بشروطه المعتبرة عند ارباب الاثر (ولا يظن) بصيغة المجهول اى ولا ينبغى ان يظن (بنبى محبة قتل مسلم) لحصول امر دنى ثم الخصمان قيل جبريل وميكائيل عليهما السلام وقال تسوروا بصيغة الجمع اما بناء على اطلاقه على ما فوق الواحد او تعظيما لهما او لاجلهما ومن معهما من الملائكة قال التلمسانى او حملا على لفظ الخصم اذ كان كلفظ الجمع ومشابها مثل الركب والصحب وفيه انه لو كان حملا على لفظه لافرد ضميره كالفوج والقوم على ما حقق فى قوله تعالى كالذى خاضوا وقوله هذان خصمان اختصموا اى فوجان وقد جمع اختصموا بناء على افراد الفوجين (وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه) اى الى داود (رجلان) اى لا ملكان وهو مرفوع على خبر ان على ما هو ظاهر وفى حاشية التلمسانى قيل صوابه رجلين نصبا ووجه الالف اما على لغة بنى

المسلمات فالالف فى الجر والنصب كالف المقصور اوخبر لمحذوف اى هما رجلان وهو بعيد انتهى وخطأه لايخفى (فى لعاج) وفى نسخة فى لجاج (عنهم) متعلق باختصم (على ظاهر الآية) فيكون الاختصام تحقيقيا اى لاتمثيليا وتصويريا لكن يستفاد من الحقيقة ايضا بطريق الاشارة مايراد به من مجاز الطريقة (وقيل) اى علة ذنبه الذى استغفر منه (الماخسى على نفسه وظن) فى باطنه (من الفتنة) اى البلية والمحنة (بمابسطله) اى وسع له (من الملك والدنيا) واى فتنة اعظم من الدنيا ولاعصمت المولى مع انها سبب لنقصان الدرجة فى الاخرى (واماقصة يوسف عليه السلام) وهو بضم الياء والسين اشهر لغاته من تثليث السين مع الهمز وعدمه (واخوته فليس على يوسف فيها) اى فى قصتهم وفى نسخة منها اى من جهتهم (تعقب) بتشديد القاف اى اعتراض اوتعتب كما فى نسخة اى مطالبة عتاب وملامة (واما اخوته فلم تثبت نبوتهم) اى عند بعض العلماء فلااشكال فى احوالهم (فيلزم) بالنصب اى حتى يلزمنا الكلام على افعالهم) وتأولها على تحسين آمالهم (وذكر الاسباط وعدهم فى القرآن عند ذكر الانبياء ليس صريحا فى كونهم من اهل الانبياء) حيث قال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهو جمع سبط بالكسر اولاد يعقوب واحفاد اسمعيل واسحق وسموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم جماعة وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين رضى الله عنهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبط فى بنى اسرائيل كالقبيلة فى العرب والشعوب من العجم ومنه قوله تعالى وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما وهم اخوة يوسف كلهم بحسب ظاهره ويشير اليه رؤيا يوسف اياهم على هيئة الكواكب ايماء الى ان مراتبهم فى المناقب دون مرتبة الرسالة التى كانت لابيهم يعقوب على انه يحتمل ان يكون تصويرا لكواكب اشعارا بنور الايمان وظهور المناقب (قال المفسرون) اى بعضهم (يريد من نبئ من ابناء الاسباط) قال البغوى وكان فى الاسباط انبياء ولذلك قال وماانزل اليهم وقيل هم بنوا يعقوب من صلبه فصاروا كلهم انبياء والله سبحانه وتعالى اعلم (وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف مافعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف) اى لم يعرفوه فى مصر (حين اجتمعوا عليه) وفى نسخة به (ولهذا) اى ولكونهم صغارا ايضا (قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب) على قراءة النون والظاهر انها محمولة على التغليب لقراءة يرتع ويلعب بصيغة الغيبة والرتع الاكل رغدا ثم كون كلهم صغارا فى غاية البعد عقلا ونقلا على ان لعب الكبار لايستبعد شرعا وعرفا (وان بثت) يروى فان ثبتت (لهم نبوة فبعد هذا) الامر والقصة وهذا اما لاشك فيه انه قبل البعثة وانما الاشكال فيما وقع لهم من العقوق وقطع الرحم والكذب وبيع الحر وهذه الامور كلها كبائر لايستقيم الاعند من يجوز ارتكابها على الانبياء قبل البعثة والمحققون على خلاف هذه القصة (واما قول الله تعالى فيه) اى فى حق يوسف عليه السلام (ولقد همت به) اى هم شهوة ومراودة (وهم بها) اى هم مصيبة ومكايدة والباء للسببية فيهما اوهم فكرة وخطرة شفقة عليها وحسرة على قبيح همها الديها وارادتها عدم حفظ الغيب المفوض اليها ويكون بين همت وهم صنعة المجانسة اوطريقة المشاكلة (لولا ان رأى برهان ربه) اى لولا النبوة ولوازمها من العصمة لهم هم الشهوة لكن النبوة موجودة فلم يهم هم المعصية وحذفهم فى جواب لولا لدلالة همت عليه من قبلها (فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس) اى خواطرها (لايؤاخذ به) اى وان صمم عليه (وليست بسيئة) الاصورة (لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه) اى حاكيا عنه فى الحديث القدسى والكلام الانسى (اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها) اى وتركها خوفا منى فلم يثبت عليها ظاهرا وباطنا من اجلى (كتبت له حسنة) بصيغة المجهول ويجوز ان يكون بصيغة الفاعل والمعنى امرت بان يكتب له حسنة (فلامعصية فى همه اذا) اى حينئذ (واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت) بضم الواو وتشديد الطاء المكسورة اى اذا استقرت (عليه النفس سيئة واما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا) القول الثانى (هو الحق) اى الصواب جملة معترضة بين اما وجوابها (فيكون ان شاء الله هم يوسف عليه السلام) اى ان كان هم الشهوة (من هذا القبيل) كما هو اللايق بالانبياء من حسن الظن فى احوالهم (ويكون قوله وماابرئ نفسى) اى من التقصير والزلة ولاازكيها بكمال النظافة والطهارة (الآية) اى ان النفس لامارة بالسوء اى لكثيرة الامر بمايسوء الانسان فى جميع الازمان الاما رحم ربى اى من رحمة ربى اووقت رحمة ربى فانه يعصم من خطراتها ووساوسها وتكدراتها وهواجسها ان ربى لغفور لمن فرط فى خدمته من عباده رحيم بمن احسن فى طاعته من عباده (اى ماابرئها من هذا الهم) المورث للغم (او) وفى نسخة و (يكون ذلك) القول (منه على طريق التواضع) فى ساحة الربوبية (والاعتراف بمخالفة النفس) فى زاوية العبودية (لما) وفى نسخة بما (زكى قبل وبرئ) بصيغة المجهول فيهما اى لمازكته النسوة وبرأته قبل ذلك وشهدن له بالعصمة هنالك (فكيف) اى لايأول على طريق

يعول (وقد حكى ابوحاتم) اى الرازى السجستانى الحنظلى وهو الامام الحافظ الكبير احد الاعلام ولد سنة تسع وخمسين ومائة ومات بالبصرة وسمع محمد بن عبد الله الانصارى والاصمعى وابا نعيم وغيرهم وحدث عنه يونس ابن عبدالاعلى وابوداود والنسائى وجماعة قال الدارقطنى ثقة واما ابنه عبدالرحمن فله تفسير جليل وله حال جيل (عن ابى عبيدة رحمه الله) وهو معمر بن المثنى (ان يوسف لم يهم) اى اصلا وهو بضم الهاء والميم ويفتح ويكسر (وان الكلام فيه تقديم وتأخير اى ولقد همت به) اى وتم الكلام به (ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها) وانما قال بالتقديم والتأخير لان جواب لولا لم يتقدم عليها فى الاصح (وقد قال الله تعالى عن المرأة) وهى زليخا او راعيل (ولقد راودته عن نفسه) اى طالبته ان يجامعنى وقصدت منه ان يواقعنى (فاستعصم) اى امتنع وتصمم ولم يقع منه ميل ولاهم (وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء) اى الصغيرة وهى نحو الهم (والفحشاء) اى الكبيرة وهى الزنى (وقال وغلقت الابواب) اهتماما للاسباب ومبالغة فى الستر والحجاب (وقالت هيت لك) فيه قرآت مشهورة ومعانى مذكورة فى كتب مسطورة وحاصلها هلم الى ما ادعوك اليه (قال معاذالله) اى اعوذ بالله معاذا (انه) اى الله (ربى) او العزيز من بى وسيدى (احسن مثواى) اى منزلى ومأواى (قيل ربى) وفى نسخة فى ربى اى فى معناه (الله) اى وهو المراد به (وقيل الملك) صوابه العزيز او وزير الملك (وقيل هم بها اى بزجرها) اى طردها اوضربها (ووعظها) اى نصحها ومن جملة نصيحتها انها فى اثناء مراودتها قامت وسترت على وجه صنم لها فقال لها اذا كنت تستحيين مما لاحياة له ولاسمع ولابصر ولانفع ولاضر فكيف لا استحيى من ربى المطلع على جميع امرى (وقيل هم بها) باؤه للتعدية اومزيدة وفاعله محذوف (اى غمها امتناعه عنها وقيل هم بها اى نظر اليها) نظر غضب اوادب (وقيل هم بضربها ودفعها) عن نفسه وكنى شرها وهذا كالتكرار لما تقدم والله تعالى اعلم (وقيل هذا كله كان قبل نبوته) اى قبل رسالته اذ المشهور انه نبى وهو فى الجب كما يشير اليه قوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لايشعرون ولايبعد ان الوحى هنا يكون بمعنى الالهام (وقد ذكر بعضهم مازال النساء يملن) بفتح الياء وكسر الميم (الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فسغل من هيبته كل من رأه عن حسنه) اى صورته (واما خبر موسى عليه الصلوة والسلام مع قتيله الذى وكزه) اى ضربه بمجمعه فقتله (فقد نص الله تعالى انه) وفى نسخة على انه (من عدوه قال) اى اراد ويروى قيل وهى رواية حسنة (كان من القبط) بكسر القاف امة من اهل مصر (الذين) وفى نسخة الذى اى القوم الذى (كانوا على دين فرعون) وهو الوليد ابن مصعب وفرعون لقب لكل ملك مصر كقيصر للروم وكسرى للفرس والنجاشى للحبشة وتبع لليمن وخاقان للترك قيل وكان طباخا لفرعون وقد اراد ان يحمل السبطى الحطب الى مطبخه (ودليل السورة) اى دلالتها (فى هذا كله انه قبل نبوة موسى) لانه خرج بعد قتله واجتمع بشعيب وتزوج بنته وكان عنده عشر سنين او اكثر ثم نبئ وارسل الى فرعون بدعوة الرسالة (وقال قتادة وكزه بالعصا) اى لا بآلة من السلاح (ولم يتعمد قتله) بل اراد دفعه عن الظلم ورده الى الصلاح فكان قتله على وجه الخطأ (فعلى هذا لامعصية فى ذلك) مع ان القتيل كان كافرا هنالك الا انه عليه الصلوة والسلام لم يؤمر بقتل من لم يكن من اهل الاسلام ولهذا ندم على فعله (وقوله هذا من عمل الشيطان) محمول عليه اى انه من عمل يحبه الشيطان ولايبعد ان تكون الاشارة لما جرى بين السبطى والقبطى ومادى الى معاونته عليه الصلوة والسلام لحبه على عدوه (وقوله ظلمت نفسى) حيث ضربته من غير ان اكون مأمورا به (فاغفرلى) ماصدر عنى فنى الحديث اللهم اغفرلى ذنبى وخطاى وعمدى وكل ذلك عندى (قال ابن جريج) بجيمين مصغرا القرشى مولاهم المكى الفقيه احد الاعلام يروى عن مجاهد وابن ابى مليكة وعطاء وعنه القطان وغيره قال ابن عيينة سمعته يقول مادون العلم تدوينى احدا اخرج له الائمة الستة (قال) اى موسى (ذلك) الكلام (من اجل انه لاينبغى لنبى ان يقتل) احدا (حتى يؤمر) بقتله ولما ادى ضربه الى قتله استغفر ربه فى تقصير امره (وقال النقاش) اى الموصلى (لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه يريد بها دفع ظلمه) عن اهل وده (قال) اى النقاش (وقد قيل ان هذا) اى القتل مع انه كان خطأ (كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة) لقوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة الى آخر القصة فان النبوة كانت له بعدها بمدة طويلة (وقوله تعالى فى قضيته) وفى نسخة فى قصته اى حال رفع غصته (وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء) اى امتحناك فتونا قيل اريد ابتلاؤه (فى هذه القصة وماجرى له مع فرعون) حيث ائتمر قومه فى قتله (وقيل القاؤه فى التابوت) اولا (واليم) اى البحر ثانيا ووقوعه فى يد فرعون ثالثا (وغير ذلك) مما ابتلى هنالك (وقيل معناه اخلصناك اخلاصا) لان ابتلاءه انما هو للتهذيب لا للتعذيب (قاله ابن جبير) وهو سعيد (ومجاهد) وهو ابن جبير تابعيان جليلان وهو مأخوذ (من

قولهم) اى العرب (فتنت الفضة فى النار اذا احلصتها) اى اذبتها واصفيتها من غيرها مما اختلط بها (واصل الفتنة معنى) بالثوبن اى فى اصطلاح الخاصة (الاختبار) اى الامتحان (واظهارماباطن) اى مطلقا ومنه قول بعضهم عند الامتحان يكرم المرء اويهان (الا انه استعمل فاعرف السرع فى اختبار ادى) ويروى يؤدى (الى مايكره) بصيغة المجهول اى الى امر مكروه فى الطبع (وكذلك ماروى فى الخبر الصحيح) اى فى صحيح البخارى فى كتاب الانبياء (من ان ملك الموت جاءه) اى موسى مصورا بصورة انسان (فلطم عينه) اى ضربها بباطن راحته (ففقأها) اى اخرجها (الحديث) اى الى آخره (ليس فيه) اى فى الحديث من الدليل (مايحكم على موسى عليه السلام بالتعدى) اى بسيئ يقضى عليه بالتجاوز عن الحد على ملك الموت حيث لم يعرفه (وفعل مالم) وفى نسخة مالا (يجب له) اى و بفعل شئ لايجوزله ولم يثبت شرعا ويروى مايحكم التعدى وفعل مالم يجب بالنصب فيهما اى مايمنعهما (اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل) بالعقل والنقل (لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصورله فى صورة آدمى) اراد اهلاكها (ولايمكن) اى لايتصور فى حق موسى عليه الصلوة والسلام ولاغيره من سائر الانام (انه حينئذ علم انه ملك الموت) وانه من عند ربه وعن اذنه وامره (فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصورله فيها الملك امتحانا من الله تعالى) اى اختبار الموسى عليه السلام وفى نسخة لهما ولايظهر وجهه (فلما جاءه) اى الملك (بعد) اى بعد ذهابه الى الله تعالى ورجوعه من عند مولاه (واعلمه الله تعالى) اى موسى عليه السلام (انه) اى الملك المصور (رسوله اليه) ليقبض روحه (استسلم) اى انقاد (وللمتقدمين والمتأخرين) من علماء المحدثين والمتكلمين (على هذا) ويروى عن هذا الحديث (اجوبة) اى متعددة (هذا) الجواب المتقدم (اسدها عندى) بسين مهملة وتشديد دال مهملة اى اقواها واقومها ومنه قول الشاعر

﴿ اعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى ﴾

وقيل فى البيت انها بالمعجمة (وهو تأويل شيخنا الامام ابى عبد الله المازرى) بفتح الزاى وهو الاكثر وقد تكسر وهو منسوب لمازر بلدة بجزيرة صقلية وقيل قبيلة تسمى بمازرافتى وهو ابن عشرين سنة وهو مشهور بالامام سماه النبى عليه الصلوة والسلام بذلك فى المنام مات بالمهدية سنة ست وثلاثين وخمسمائة وهو ابن ثلث وثمانين سنة واحتمل فى البحر الى المنستير فدفن بها وهو احد الاعلام المالكية وقد شرح مسلما شرحا جيدا سماه المعلم لفوائد كتاب مسلم وعليه بنى القاضى عياض المصنف كتاب الاكمال وهو تكملة لهذا الكتاب وله كتاب ايضاح المحصول فى برهان الاصول وله فى الادب كتب متعددة مفيدة (وقد تأوله قديما ابن عايسة) وهو عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى القرشى المعروف بالعيشى لانه من ولد عايسة بنت طلحة كان احد العلماء والاشراف والمحدثين روى عن حماد بن سلمة وغيره وعنه ابوداود والبغوى وخلق وثقه ابوحاتم واخرج له ابوداود والترمذى والنسائى ومات سنة ثمان وعشرين ومائتين (وغيره) اى من العلماء المتقدمين (على صكه) المعنوى (ولطمه بالحجة وفقء عين حجته) وهو كلام مستعمل فى هذا الباب فى اللغة ومعروف عند اهلها فانه يقال صكه ضربه مطلقا وضربه بشئ عريض وصكه غلبه بالحجة وكذا يقال لطمه ضربه على الوجه بباطن الراحة ولطمه غلبه بالحجة والظاهر ان المعنى الاول حقيقى والآخر مجازى (واما قصة سليمان عليه السلام وماحكى فيها اهل التفسير من ذنبه فقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه) اى امتحناه واختبرناه (وابتلاؤه بما) وفى نسخة ما (حكى) الاولى روى (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) اى سليمان عليه الصلوة والسلام فى بعض الايام (لاطوفن) وفى رواية لاطيفن بضم الهمزة اى ادورن والمراد افعن (الليلة) اى المقبلة (على مائة امرأة اوتسع وتسعين) اى امرأة والسك من الراوى (كلهن يأتين) اى كل واحد منهن تأتى (بفارس) اى بمولود يكبر ويصير راكب فرس (يجاهد فى سبيل الله تعالى) ولاشك ان هذا نية صالحة يترتب عليها مثوبة كاملة وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان فى ظهر سليمان ماء مائة رجل (فقال له صاحبه) اى مخاطبه (وهو الملك) وقيل آدمى وقيل القرين وابعد من قال خاطره (قل ان شاء الله فلم يقل) حيث سعله عنه شئ وانساه لماقدره الله وقضاه (فلم تحمل) بكسر الميم اى فلم تحبل (منهن) اى النساء كلهن (الاامرأة واحدة جاءت بسق رجل) بكسر السين وتشديد القاف اى بنصفه وفى صحيح مسلم فولدت له بنصف انسان قال النووى فى شرح مسلم عقيب قوله فقال له صاحبه اوالملك قل ان شاء الله تعالى قيل المراد بصاحبه الملك وهو الظاهر من لفظه ثم حكى القولين الآخرين (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لوقال ان شاء الله لجاهدوا) اى لجاءت كل واحدة بولد وكبروا وقاتلوا فوق الفرسان (فى سبيل الله تعالى قال اصحاب المعانى) اى المؤلون للمبانى (والسق هو الجسد الذى القى على كرسيه) اى سرير سليمان عليه السلام (حين عرض

عليه) اى ولده وذكر فى عصمة الانبياء ان الجسد عبارة عن ولد لسليمان ولدله بفرد رجل وهو ميت فوضع فى سريره (وهى) اى هذه الحالة (عقوبته) اى بليته (ومحنته) المعبر عنها بفتنته (وقيل بل مات) الولد (فالقى على كرسيه ميتا) وهو الظاهر من اطلاق الجسد والعدول عن الولد وهذا يحتمل ان يكون من اصله نزل ميتا اوكان حيا ثم صار ميتا وروى انه ولد له ابن فقال الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله فعلم ذلك وكان يغذه فى السحابة فما راعه الا ان القى على كرسيه ميتا فنبه على خطاء فى انه لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر به واناب ثم يحتمل ان هذا الابتلاء لاجل ترك الاستثناء على ماهو ظاهر الحديث (وقيل ذنبه حرصه على ذلك) اى جنس الولد (وتمنيه) اى كثرتهم فى البلد ولاينبغى للكامل ان يطلب من الله سواه (وقيل انه لم يستثن) اى لم يقل ان شاء الله تعالى (لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى) اى فكان سبب نسيان الاستثناء فى ذلك التمنى (وقيل عقوبته) المعبر عنها بفتنته (ان سلب ملكه) اى حكمه فى رعيته وفى هذا امتحان من الله تعالى لارباب الجاه (وذنبه) اى الذى كان سبب سلب ملكه (ان احب بقلبه ان يكون الحق لاحتانه) بفتح الهمزة جمع الختن اى اصهاره او كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ (على خصمهم) ولعل هذا كان على خطرة من لوازم البشرية فلا يعد من المعصية الا للكمل فى القضية وقال الانطاكى فقد ورد عن السدى انه قال كان سبب فتنة سليمان هو انه كانت فى نسائه امرأة يقال لها جرادة وهى آثر نسائه عنده فقالت له يوما ان اخى بينه و بين فلان خصومة وانا احب ان يقضى له اذا جاء فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله (وقيل ووخذ) مجهول واخذ كووري مجهول وارى وفى نسخة اوخذ اى عوقب (بذنب قارفه بعض نسائه) اى كسبته من غير اطلاعه وفيه انه تعالى لا يؤاخذ احدا بفعل غيره ولعله عوقب لتقصيره فى امره ومقارفتهن انما تكون من تأخير صلوة وصوم اوزكوة اولبس حلية محرمة او نياحة مكروهة وامثالها ولايجوز ان يتوهم فعل فاحشة منهن فقد قال المفسرون فى قوله سبحانه وتعالى فخانتاهما اى فى الطاعة لهما والايمان بهما اذ مابغت امرأة نبى قط اى مازنت ويشير اليه قوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات الآيات واما ما نقله التلمسانى عن السهيلى فى قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية ان من قذف ازواج النبى عليه الصلوة والسلام فقد سبه فن اعظم الاذية ان يقول عن الرجل قرنان واذا سب نبى بمثل هذا فهو كفر صراح انتهى فهو معلول اذلا يلزم هذا الا اذا كان عالما بالفاحشة وراضيا بها على تقدير وجودها نعم الآن قذف عائشة كفر بلاشبهة بناء على انه انكار للقرآن بخلاف من سبق له قذفها قبل نزول آيات البراءة فانه كان مرتكب كبيرة ولذا حدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حد القذف ولم يقتلهم لارتدادهم ولا امرهم بتجديد الاسلام وسائر ما يترتب عليه من الاحكام وقال الانطاكى حكى ان سليمان عليه السلام بلغه ان فى بعض الجزائر مدينة عظيمة و بها ملك عظيم الشان فخرج اليها يحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له من احسن النساء وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وكانت لايرقأ دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تعدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لتلك الصورة فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى متضرعا الى مولاه (ولايصح مانقله الاخباريون من تشبه الشيطان به) اى بصورته وفى نسخة ما قاله الاخباريون من خرافاتهم عما فعله ومن تشبه الشيطان به (وتسلطه على ملكه) اى سرير دولته (وتصرفه فى امته) وسائر رعيته (بالجور فى حكمه لان الشياطين لايسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله) قلت ومما يؤيد هذا قوله عليه الصلوة والسلام ان الشيطان لايتمثل بى ولايتصور بصورتى فهذا اذا كان ممنوعا عنه فى حال المنام فبالاولى ان لايقدر على التمثل فى حال اليقظة بشكله عليه الصلوة والسلام والظاهر ان سائر الانبياء عليهم السلام يكون امرهم على هذا النظام فان الانام مأمورون باتباع اوامرهم ونواهيهم والاقتداء باقوالهم وافعالهم فلو صور الشيطان بصور الانبياء لوقع التشكيك فى حقيقة احوالهم ومن جملة مانقله الاخباريون فى تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه ان سليمان عليه السلام كانت له ام ولد يقال لها امينة وكان اذا دخل للطهارة اولاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى خاتمه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر واسمه الصخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمى فناولته اياه فتختم به وجلس على كرسى سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان من هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فكان عليه السلام يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك و يعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ماعبد الوثن فى بيته فانكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن مايدع امرأة منا فى دمها ولايغتسل من جنابة ثم طار

الشيطـان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمـان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به فوقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه ولقد ابى العلماء المحققون قبول هذا النقل تنزيها لنساء الانبياء عما نسب اليهن من الانبيـاء (وان قيل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة) متعددة (احدها) وفي نسخة فعنه جوابان اي مرضيان احدهما (ماروي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك) اي وقوع النسيان (لينفذ مراد الله تعـالى) وفق ماقدره وقضاه فهذا كقوله تعالى ولاتقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله (والثاني انه لم يسمع صاحبه) اي كلامه (وشغل عنه) بشيء خالف مرامه (وقوله وهب لي ملكا لاينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان) اي لم يصدر عنه هذا القول (غيرة) بفتح الغين و يكسر اي حرصا وتهمة (على الدنيا) من مالها وجاهها (ولا نفـاسة بها) بفتح النون اي لارغبة فيها اذ جعل رغبتهم في حضرة المولى ونعمة الاخرى قال تعـالى وفي ذلك فليتنـافس المتنافسون لان النفاسة رغبة في الشيء النفيس دون الخسيس وقد ورد لوكانت الدنيا تعدل جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء وانما ابتلى سليمان بهذا الملك الوسيع والجاه الرفيع ليكون حجة على الملوك في القيام بحق العبودية والعمل باحكام الربوبية ومع هذا فقد ورد انه يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام لتعرف الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر ولهذا ورد ان عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة بعد فقراء المهاجرين بخمسمائة عام فكل هذا تزهيد في الدنيا وترغيب في العقبى والحكم فيهمـا للمولى رزقنا الله العمل بالاولى و بلغنا المقام الاعلى والمرام الاغلى (ولكن مقصده) بكسر الصاد اي مراده بهذا الدعاء (في ذلك) النداء (على ماذكره المفسرون) اي بعضهم (ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال) و يروى على من قال (ذلك) وقد عرفت ضعف ماهنالك (وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة) زائدة (وخاصة) اي مزية خالصة (يختص بها كاختصـاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه) كالخلة لابراهيم وكالتكليم لموسى ونحوهما فان قيامه على وجه العدالة والاستقـامة مع كثرة الرعية من الجن والانس والطير والذرة وتفقدهم بالرعاية والحمـاية لعله من خواصه لم يكن لغيره ان يقوم مقـامه فسبحـان من اقام العباد فيمـا اراد وقد قال تعـالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر انه كان بعبـاده خبيرا بصيرا فمن عباده من يصلح للفقر والفناء ومنهم من يصلح للجـاه والغنى وليس احد يطلع على حقيقة القدر والقضـاء (وقيل ليكون ذلك) اي بقاء ملكه حقيقة وحكما (دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه) اي داود كما في نسخة (واحيـاء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفـاعة) اي الكبرى وهي المقام المحمود (ونحو هذا) من اختصاص موسى بنعت الكليم ووصف ابراهيم بالخلة (واما قصة نوح عليه السلام) وهو منصرف وجوز منع صرفه قيل واسمه عبد الغفار وسمي نوحا لكثرة بكائه وتضرعه في دعائه (فظاهرة العذر فيما وقع له من الامر (وانه اخذ فيها بتأويل) وفي نسخة بالتأويل (وظاهر اللفظ لقوله تعـالى واهلك) اي عمومه في الخلاص من هلاكه وكانه صرف الاستثناء الى غير اهله (فطلب مقتضى هذا اللفظ) من عمومه (واراد علم ماطوي عنه) بصيغة المجهول اي ستر وخفي (من ذلك) خصوصه باخراجه من جملة اهله (لا انه) اي نوحا (شك في وعد الله تعـالى) بنجـاة اهله (فبين الله عليه) اي اظهر لديه وفي نسخة علته اي سببه (انه ليس من اهله الذين وعدهم) وفي نسخة وعده (بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه) اي الله (انه مغرق الذين ظلموا) بالاضافة ودونها (ونهاه عن مخاطبته) اياه (فيهم فاوخذ) بصيغة المجهول من المؤاخذة بالهمزة والواو لغتـان وقرأ أتان وفي نسخة فووخذ بواوين بناء على اللغة الاخيرة فهو كقوله تعالى ماووري والمعنى فعوتب (بهذا التاويل) حيث خالف حقيقة التنزيل (وعتب عليه) عطف تفسير وكان الاظهر وعوتب عليه وفي نسخة وعيب بكسر فسكون تحتية والظاهر انه تصحيف (واشفق) اي خاف (هو) اي نوح (من اقدامه على ربه) اي جراءته (لسؤاله) اي لاجله وفي نسخة بسؤاله اي بسببه (مالم يؤذن له) وفي نسخة مالم يأذن (في السؤال فيه) اي في حقه (وكان نوح فيما حكاه النقاش لايعلم بكفر ابنه) لانه كان منافقا في امره وتابعا لامه في كفره (وقيل في الآية غير هذا) لبعض العلماء في تفسيره (وكل هذا لايقضي) اي لايحكم (على نوح بمعصية) اي كبيرة (سوى ماذكرناه من تأويله) للمقال (واقدامه بالسؤال فيمن لم) وفي نسخة فيما لم (يؤذن له فيه ولا نهي عنه وماروي في الصحيح) اي صحيح الاحاديث مما رواه الشيخان وابو داود والنسـائي وابن ماجه عن ابي هريرة (من ان نبيـا قرصته نملة) اي عضته (فحرق) بتشديد الراء فاحرق (قرية النمل) اي بيتها وجحرها (فاوحى الله تعـالى اليه ان) بفتح الهمزة وسكون النون اي لان (قرصتك نملة) اي واحدة كما في نسخة (احرقت امة من الامم تسبح) وذلك لقوله تعـالى ومامن دابة في الارض ولاطائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقال الزكي المنذري ان هذا النبي جاء من غير وجه انه عزير انتهى ولاشك ان المهمين

في الاحاديث لا يعرفونه الا من حديث آخر مصرح بتسمية الشخص منهم و يشكل هذا بما في ابي داود مرفوعا لا ادري اعزير نبي ام لا وصححه الحاكم في مستدركه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه والجواب لعل الله اطلعه على انه نبي بعد ذلك فاخبره وفي كلام الطبري ان هذا النبي هو موسى عليه السلام ونقله عن الحكيم الترمذي وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد رواه احمد وابو داود وابن ماجه والصرد بضم الصاد المهملة وفتح الراء طائر معروف ضخم الرأس والمنقار له ريش عظيم نصفه اسود ونصفه ابيض قال الخطابي اما نهيه عن قتل النحل فلما فيها من المنفعة واما الهدهد والصرد فانما نهى عن قتلهما لتحريم لحمهما وذلك ان الحيوان اذا نهى عن قتله ولم يكن ذلك لحرمة ولا لمضرة كان ذلك لتحريم لحمه انتهى ولعل النهي عن قتل النمل محمول على حال عدم الاذية والمضرة فالمعاتبة على النبي من حيث قتله سائر النمل من غير حصول العلة والله تعالى اعلم بالحقيقة ثم النمل جنس مفرده النملة و يستوي مذكرها ومؤنثها كالحمامة ونحوها وانما استدل اماما الاعظم على ان نملة سليمان عليه السلام كانت انثى بدليل قوله تعالى قالت لانها لو كانت ذكرا لقيل قال لاسيما والفعل مقدم والتأنيث غير حقيقي وقد وهم التلمساني ولم يحقق كلام الامام الرباني واذا عرفت حقيقة القضية (فليس في هذا الحديث) اي السابق ما يقتضي (ان هذا النبي اتى معصية) ووقع في اصل التلمساني ان هذا الذي اتى معصية فتكلف له بان الذي موصول واتى صلته وعائده محذوف لانه منصوب اي اتاه معصية برفعها على خبر ان او خبر محذوف (بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا) اي بصورة (بقتل من) وفي نسخة صحيحة ما (يؤذي جنسه) ولعل وجه من ان جنس المؤذي مختلط بين من يعقل وما لا يعقل (ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى) اي من الراحة بالنوم ونحوه (الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة) وفي نسخة تحت شجرة ولعلها كانت بعيدة عن العمارة (فلما آذته النملة) اي الواحدة بان عضته (تحول برحله) اي متاعه (عنها مخافة تكرار الاذى عليه) منها (وليس فيما اوحى الله تعالى اليه) من الملامة (ما يوجب عليه معصية بل ندبه) اي دعاه (الى احتمال الصبر) على الاذية (وترك التشفي) اي انتقام في القضية (كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وفيه ان الصبر على اذى الحيوان ليس كالصبر على مضر افراد الانسان كما اينه علماء الاعيان (اذ ظاهر فعله) من الاحراق (انما كان لاجل انها آذته هو في خاصته) اي خاصة نفسه (فكان انتقاما لنفسه) اي انتصارا لروحه (وقطع مضرة يتوقعها) اي يخشاها اي يمكن حصولها (من بقية النمل هنالك) ولنا توقف في ذلك (ولم يأت) اي لم يفعل النبي (في كل هذا امرا نهي عنه فيعصي به) بضم الياء وفتح الصاد المشددة اي حتى ينسب الى المعصية (ولا نص فيما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه) اي نص بها والا فيستفاد منه تلويحا فانه وان كان لم يوح اليه نهي اولا فكانه نسب الى الخطأ في اجتهاده ثانيا وهو يستدعي في الجملة رجوعه الى الاستغفار والتوبة كما هو طريق ارباب النبوة واصحاب الفتوة هذا وفي حديث رواية الطبراني عن ابن عمر مرفوعا ما من دابة طائر ولا غيره تقتل بغير حق الا تخاصم يوم القيمة (فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام ما من احد الا الم بذنب) اي نزل به وتنزل بارتكابه (او كاد) اي قارب ان يلم به (الا يحيى ابن زكريا او كما قال عليه الصلوة والسلام) ما هذا معناه وانما الشك في مبناه وانما قال هذا لان الحديث روي بالفاظ مختلفة منها ما رواه القاضي ومنها ما من نبي الا وقد هم او لم ليس يحيى بن زكريا ومنها غير ذلك (فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت من غير قصد وعن سهو وغفلة) ويدل عليه ان اللمم انما يطلق على الصغيرة من الزلة كما قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم واللمم هو ان يلم بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود اليه كما قاله ابن عباس والمشهور انه الصغيرة من الذنوب وقد قال عليه الصلوة والسلام ان تغفر اللهم فاغفر جما واي عبد لك لا الما فهذا استثناء الدال على العموم ينافي الحديث المذكور من استثناء يحيى الا ان يحمل على الاغلب ثم الانسب ان يقال ان هذا النعت من خصائص يحيى عليه السلام وانه من صغره الى كبره ما هم بمعصية قط ولا خطر بباله سيئة قبل البعثة فضلا عما بعد النبوة ولذا قيل في قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا اي نبيء في اول امره ونشأة عمره ولذا امتنع من اللعب مع اقرانه في حال صغره وقد اعطي عيسى عليه السلام ايضا النبوة من اول الوهلة كما يشير اليه قوله تعالى حكاية عنه اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وهو يوم القيمة لم يذكر له ذنبا كسائر اولي العزم من الرسل الا انه يتعلل بانه عبد من دون الله وهو بلا شبهة ما كان يريده و يرضاه لكنه يحتمل انهم ببعض الذنوب وتركه خشية من الله فحصر الحكم في يحيى يستقيم بهذا التأويل القويم والله تعالى اعلم ثم ان الحديث الذي اورده المصنف ضعيف فلا يجوز الاحتجاج به على ما اجاب عنه النووي والمصنف انما اجاب عنه على تقدير صحته ثم اعلم ان هذا الحديث رواه ابو يعلى الموصلي في مسنده عن زهير عن عفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان

عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن احد من ولد آدم الا وقد اخطأ اوهم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا اى الا يحيى ولعل هذا لدعاء زكريا واجعله رب رضيا اى مرضيا وهذا اسناد ضعيف لاجل علي بن زيد بن جدعان وان كان حافظا لكنه ليس بالثبت وقد اخرج له مسلم والاربعة ويوسف بن مهران انفرد عنه علي بن زيد بن جدعان وقد وثقه ابوزرعة وقال ابوحاتم يكتب حديثه ويذاكر به اخرج له البخاري في تاريخه وظاهر هذا الاسناد انه حسن لاضعيف ولا صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ فصل ﴾

(فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب) اى الكبائر (والمعاصي) اى الصغائر (بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين) في الفصل السابق وحاصله ان حسنات الابرار سيئات المقربين (فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) اى جهل حكمه (وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم) في الدنيا او يوم القيمة (وتوبتهم) اى عن تقصيرهم في طاعتهم (واستغفارهم) اى طلب مغفرتهم عن سهوهم وغفلتهم (وبكائهم على ماسلف منهم) في حالتهم كداود اذ فقد وردانه بكى حتى بلت دموعه الارض (واشفاقهم) اى من عقوبتهم في عاقبتهم (وهل يشفق) بصيغة المجهول اى يخاف (ويتاب ويستغفر من لاشيء) اى من غير شيء هو باعث وفي نسخة من لايسيء اى لايذنب على ان الافعال الثلاثة فيما قبله مبنية للفاعل (فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو) اى علو الرتبة (والمعرفة بالله) واتصافه بنعوت جلاله وعظمته وكبريائه (وسنته) اى عادته الجارية (في عباده وعظيم سلطانه) وكريم برهانه وعلو شانه وفي نسخة وعظم سلطانه (وقوة بطشه) اى اخذه بالقهر والغلبة (مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله) وعظم كماله (والاشفاق) اى وعلى الحذر (من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم) كما يشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وحديث انا اعلمكم بالله واخشاكم له (وانهم في تصرفهم بامور) اى مباحة (لم ينهوا عنها ولاامروا بها ثم اوخذوا) وفي نسخة ووخذوا اى عوقبوا (عليها وعوتبوا بسببها اوحذروا) اى احترسوا وفي نسخة حذروا بتشديد الذال على بناء المجهول اى خوفوا (من المؤاخذة بها واتوها) اى فعلوها (على وجه التأويل اوالسهو) اى الخطأ والغفلة (اوتزيد) بفتح التاء والزاي وتشديد الياء اى على وجه طلب زيادة (من امور الدنيا المباحة خائفون) اى وهم مشفقون (وجلون) اى حذرون مضطربون (وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم) بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء اى علوه (ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم) وجلال عبادتهم (لاانها كذنوب غيرهم ومعاصيهم) اى معاصي غيرهم كما ان طاعات الانبياء وايمانهم ليسا كطاعات الامم وايمانهم في مراتب ايقانهم واتقانهم فلا يقال الملوك بالحداد والصعلوك (فان الذنب مأخوذ من الشيء الدني) اى الحقير الخسيس (الرذل) بفتح الراء وسكون الذال المعجمة اى المذموم الردى (ومنه ذنب كل شيء) بفتحتين (اى آخره واذناب الناس رذالهم) بضم اوله وتخفيف ثانيه جمع رذل اى خسيسهم وفي نسخة اراذلهم جمع ارذل (فكان) بتشديد النون وفي نسخة فكان وفي اخرى فكانت (هذه) اى الامور التي تصرفوا فيها (ادنى افعالهم) اى ارداها (واسوأ مايجرى من احوالهم) بالاضافة الى اعلى مراتب افعالهم (لتطهيرهم وتنزيههم) عما لايليق بهم (وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح) مما امروا به واجبا اومندوبا (والكلم الطيب) من تهليل وتسبيح وتكبير واذكار ودعاء واستغفار وفيه اشارة الى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وفي الحديث ان الكلم الطيب سبحان الله والحمد لله ولااله الاالله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم تقبل (والذكر الظاهر) اى الجلي (والخفي) اى الباطن وفي الحديث خير الذكر الخفي (والخشية لله) لما تقدم من الآية والحديث (واعظامه في السر والعلانية) بتحسين النية وتزيين الطوية (وغيرهم) من عوام الامة (يتلوث) اى يتلطخ بقاذورات الذنوب (من الكبائر والقبائح) اى الشاملة للصغائر (والفواحش) اى اعظم الكبائر وهو مايتعلق بحقوق العباد (ما) وكان حقه ان يقول كما في نسخة بما اى يتلوث غيرهم باشياء (تكون هذه الهنات) بفتح الهاء والنون اى العثرات والزلات وفي نسخة الهيئات بفتح الهاء وسكون الياء وهمزة ممدودة اى الحالات وفي نسخة بالاضافة الى هذه الهنات ويروى بالاضافة اليه هذه الهنات فالهنات بالرفع فاعل تكون والمعنى تكون الهنات التي صدرت عن اصحاب النبوات بالاضافة اليه على ان الضمير في اليه يعود الى ما اى بالنسبة الى مايتلوث به ذلك الغير من السيئات (في حقه) اى في حق غيرهم (كالحسنات) بل حسنات اذ ليست في الحقيقة سيئات بل طاعات (كما قيل حسنات الابرار) اى من المؤمنين (سيئات المقربين) من الانبياء والمرسلين (اى يرونها) اى يظنون تلك الحسنات (بالاضافة الى احوالهم كالسيئات) وهذا كما قيل كان المقربون اشد استعظاما للزلة

الصغيرة من الابرار لمعصية الكبيرة وكانوا فيما احل لهم ازهد من الابرار فيما حرم عليهم وكان الذى لاباس به عند الابرار كالموبقات عند اولئك الاخيار فبين المقامين بون بين (وكذلك العصيان) اى معناه (الزلة) اى ترك الموافقة (والمخالفة) فى الطاعة الا انه ان كان عن عمد فذنب ومعصية والا فزلة وعثرة (فعلى مقتضى اللغة) اى اطلاقها (كيف ما كانت من سهو او تأويل فهى مخالفة وترك) اى وترك طاعة اما حقيقة واما صورة (وقوله غوى اى جهل) وكان الاحسن فى العبارة ان يقول لم يعرف (ان تلك الشجرة) المأكول منها (هى التى نهى عنها) اى بعينها اوغيرها من جنسها فاكل منها غير عالم انها هى بخصوصها وهذا معنى قوله تعالى فنسى (والغى الجهل) واصل معنى غوى ضل وقد يأتى متعديا فيكون المعنى انه اغوى حواء بان تبعه فى الهوى (وقيل) اى فى معنى غوى (اخطأ ماطلب من الخلود اذ اكلها) اذ تعليلية والمعنى لانه اكلها (وخابت امنيته) بضم الهمزة وكسر النون وتشديد التحتية وهى ما يتمنى والجمع امانى متعددا ويخفف (وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ) بواوين وفى نسخة اوخذ اى عوتب (بقوله لاحد صاحبى السجن) اى ساكنيه معه وهو الشرابى للملك (اذكرنى) اى حالى (عند ربك) اى سيدك ليخلصنى من سجنى (فانساه الشيطان ذكر ربه) مصدر مضاف الى مفعوله اى انساه ذكر يوسف لسيده (فلبث فى السجن) اى مكث فى الحبس (بضع سنين) واكثر ما قيل انه عليه السلام لبث فيه سبع سنين وقيل لبثها سبعا اى بعد قوله اذكرنى عند ربك (قيل انسى يوسف) بصيغة المجهول اى انساه الشيطان (ذكر الله تعالى) حتى استعان بما سواه (وقيل انسى صاحبه ان يذكره لسيده الملك) كما قدمناه وفى الجملة (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لولا كلمة يوسف) اى هذه (ما لبث فى السجن ما لبث) اى مدة لبثه وفى رواية رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك ما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس على ما بيناه والاستعانة فى كشف شدائد البلاء وان كانت محمودة فى الجملة لكن لا تليق بمنصب الانبياء والكمل من الاولياء والاصفياء ونظيره ما حكى عن الجنيد انه كان فى جنازة فرأى سائلا يسأل فخطر بباله لو اكتسب هذا لكان خيرا له من ان يسأل فرآه فى منامه ميتا ويقال له كل منه فقال كيف اكل منه وهو آدمى فقيل له انك اغتبته فقال معاذ الله وانما خطر ببالى ذلك فقيل له انا لا نرضى من مثلك بهذا (قال ابن دينار) من اجلاء التابعين واسمه مالك مات سنة اثنتين وثلثين ومائة وهو من اجل علماء البصرة وزهادهم يروى عن انس وسعيد بن جبير وثقه النسائى وغيره وقد ذكره ابن حبان فى الثقات اخرج له الاربعة وعلق له البخارى وقد رواه ابن ابى حاتم ايضا عن انس موقوفا (لما قال يوسف) اى اذكرنى عند ربك (قيل له) اى بالوحى الجلى او الخفى وهو الالهام الغيبى (اتخذت من دونى وكيلا) بهمزة الاستفهام الانكارى مقررا او مقدرا (لاطيلن حبسك) اى عن غيرى لتطمئن الى امرى وتسلم فى قضائى وقدرى وتعرف حقيقة قدرى فحبسه كان تهذيبا لا تعذيبا كالاربعين للمريدين تأديبا وتدريبا (فقال) اى يوسف اعتذارا (يا رب انسى قلبى كثرة البلوى) النازلة على قلبى من حين القيت فى جب وفورق بينى وبين ابى وحبى (وقال بعضهم يؤاخذ) بصيغة المفعول وفى نسخة بالفاعل وفى اخرى اخذ (الانبياء بمثاقيل الذر) اى من محقرات الامر (لمكانتهم عنده) اى لرفعة مرتبتهم لديه فى القدر (ويجاوز) بالوجهين وفى نسخة ويتجاوز وفى اخرى وتجاوزه (عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم) اى لعدم عنايته ورعايته وحمايته فيهم والا لكانوا كلهم اصفياء من انبياء او اولياء فى اضعاف ما اتوا به (بقصر الهمزة) اى ما فعلوه (من سوء الادب) اى كالجبال فى مخالفة امر الرب (وقد قال المحتج للفرقة الاولى) اى المعترض المستدل الموافق للطائفة السابقة القائلة باثبات المعصية للانبياء بعد البعثة واورد (على سياق ما قلناه) ولحاق ما اولناه بطريق السؤال لما ظهر له من الاشكال حيث قال (اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا) الحال والمنوال (مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان) فى الاقوال والافعال (وما ذكرته) من حالهم بانهم يؤاخذون بمثاقيل الذر مما لا يؤاخذ به غيرهم فى مقادير الجبال (وحالهم ارفع) جملة حالية اى والحال انهم ارفع درجة فى نفس الامر (فحالهم اذن) اى حينئذ (فى هذا) اى فى حق المؤاخذة (اسوأ حالا من غيرهم) حيث يعاملون بالمسامحة والمساهلة وهذا من سخافة العلم وركاكة الفهم اذ لم يهتد الى ان الارفع درجة والاقرب منزلة من ربه لا يسامح بما يسامح البعيد عن مقام قربه كالوزراء والامراء بالنسبة الى الملوك اذا كانوا على بساط الانبساط يخاف عليهم اقوى من الرعايا فى المفازات البعيدة المشتغلين بانواع النشاط ومن هنا يعلم معنى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وحديث انا اخشاكم له واتقاكم اذا عرفت ذلك مجملا (فاعلم) ما سنلقى اليك مفصلا (اكرمك الله انا لا نثبت) بالتشديد والتخفيف (لك) اى مخاطبا لك ومبينا لاجلك (المؤاخذة) اى مؤاخذتهم (فى هذا) الباب (على حد مؤاخذة غيرهم) من حلول العقاب وحصول الحجاب الدنيوى او الاخروى (بل نقول انهم) اى الانبياء ونحوهم من العلماء (يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون ذلك) مع كونه

كفارة لما صدر عنهم هنالك (زيادة) اى لهم كما فى نسخة (فى درجاتهم) فى العقبى (ويبتلون) بضم الياء وفتح اللام على صيغة المجهول اى ويمتحنون (بذلك) اى بمؤاخذة ربهم (ليكون استغفارهم له) وفى اصل الانطاكى ليكون استشعارهم له اى ليكون وقوع ذلك فى قلوبهم (سببا لمنماة رتبتهم) بفتح الميم الاولى اى لزيادة مراتبهم ومزية مناقبهم (كما قال) عز من قائل فى حق آدم عليه السلام (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وقال فى حق يونس عليه السلام ايضا فاجتباه ربه فجعله من الصالحين اى الكاملين فى الصلاح القائمين بحقوق الله تعالى وحقوق العباد على وجه الفلاح (وقال تعالى لداود) اى فى حقه ولاجله (فغفرنا له ذلك الآية) اى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب (وقال بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس) اى برسالاتى وبكلامى (وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب) اى الى قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وامثال ذلك مما ورد فى هذا الباب (وقال بعض المتكلمين) من ارباب الاشارات (زلات الانبياء فى الظاهر زلات) اى عثرات تستوجب ملامات (وفى الحقيقة كرامات وزلف) بضم الزاى وفتح اللام اى قربات ومكرمات (واشار الى نحو ما قدمناه) من مستحسنات عبارات (وايضا فلينبه) من التنبيه بصيغة المجهول او من الانتباه بصيغة المعلوم (غيرهم من البشر) وهم خواص منهم واولياء ملتهم وعلماء شريعتهم (منهم) اى من جهة احوالهم (او ممن ليس فى درجتهم) من اهل النبوة لتفاوت مرتبتهم (بمؤاخذتهم بذلك) اى بمعاتبتهم بما فعلوا هنالك (فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة) فيما قل وكثر (ليلتزموا الشكر على النعم) بان سلموا من موجب النقم (ويعدوا) بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال اى ويهيئوا (الصبر على المحن) عند ابتلائهم بالفتن (بملاحظة ما وقع) اى حل (باهل هذا النصاب) اى القدر الكامل من النصب ويروى هذا النمط اى الطريق (الرفيع) فى الرتبة (المعصوم) اى المحفوظ من الفتنة والمحنة (فكيف بمن سواهم) ممن يدعى المحبة والمتابعة فى طريق المودة (ولهذا قال صالح المرى) بضم الميم وتشديد الراء نسبة الى قبيلة بنى مرة وهو الواعظ الزاهد يروى عن الحسن البصرى وعنه يونس المؤدب ويحيى بن يحيى ضعفوه وقال ابو داود لا يكتب حديثه وقال الترمذى له غرائب ينفرد بها ولا يتابع عليها وهو رجل صالح وقد اخرج له الترمذى (ذكر داود) مبتدأ اى ذكر الله تعالى قصة داود خبره (بسطة للتوابين) اى تسلية ونشاط وسبب انبساط للمذنبين ليتهيئوا التوبة ولا ييئسوا من الرحمة (قال ابن عطاء) وهو من العلماء الاجلاء (لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت) وهو يونس عليه السلام (نقصا له) فى المرتبة (ولكن) كان نصه (استزادة من نبينا عليه الصلوة والسلام) فى علو الدرجة (وايضا فيقال لهم) اى للقائلين بجواز صدور المعصية عن ارباب النبوة بعد البعثة بطريق الالزام فى القضية (فانكم ومن وافقكم فى هذه العقيدة (تقولون) اى اتقولون (بغفران الصغائر باجتناب الكبائر) اى بمجرد اجتنابها فيلزم منه غفران الكبائر (ولا خلاف) اى بيننا وبينكم (فى عصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم) اى بالفرض والتقدير (هى مغفورة على هذا) التقرير (فما معنى المؤاخذة بها اذن) اى حينئذ (عندكم) مع قولكم انهم منزهون عن الكبائر (وخوف الانبياء) اى وما معنى خوف الانبياء من الصغائر (وتوبتهم منها وهى مغفورة لهم) اى لاجتنابهم الكبائر (لو كانت) اى الصغائر موجودة (فما اجابوا به) لنا (فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتأويل) وفيه ان مذهب اهل السنة والجماعة انه يجوز العقوبة على الصغائر ولو اجتنب مرتكبها الكبائر لدخولها تحت قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء نعم ذهب بعض المعتزلة الى انه اذا اجتنب الكبائر لم يجز تعذيبه بالصغائر لا بمعنى انه يمتنع عقلا بل بمعنى انه لا يجوز ان يقع لقيام الادلة السمعية على انه لا يقع مستدلا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم واجيب بان الكبيرة المطلقة هى الكفر لانه الكامل فى المعصية وجمع الاسم بالنظر الى انواع الكفر الصادر من اليهود والنصارى والمشركين وان كان الكل ملة واحدة فى حكم الكفر او الى افراده القائمة بافراد المخاطبين فيكون من قبيل مقابلة الجمع بالجمع فيكون التقدير ان تجتنبوا انواع الكفر نكفر عنكم سيئاتكم السابقة واما اللاحقة فهى تحت المشية للآية المتقدمة فالخطاب على هذا للكفرة والمعنى ان تجتنبوا الكبائر يكفر عنكم الصغائر بالحسنات من الطاعات كالصلوة والزكوة وسائر العبادات والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحالات (وقد قيل ان كثرة استغفار النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتوبته) اى بوصف كثرته (وغيره من الانبياء) انما كان (على وجه ملازمة الخضوع والعبودية) ولوازمها من المسكنة والخشوع (والاعتراف بالتقصير) فى القيام بحق العبودية كما يقتضيه كمال الربوبية وجمال الالوهية (شكرا لله تعالى على نعمه) اى من احسانه وكرمه (كما قال عليه الصلوة والسلام وقد امن) بفتح وكسر وفى نسخة بضم فتشديد ميم مكسور مجهول من باب التفعيل وليس كما قال الانطاكى الظاهر انه غلط اذ البناء المجهول من هذا الباب اومن بالميم المخففة واصله اؤمن قلبت الهمزة الثانية واوا

لسكونهما وانضمام ماقبلهما هذا مقتضى القواعد التصريفية انتهى نعم هذا مقتضاها الواو في مجهول آمن من باب الافعال والله اعلم بالاحوال اى والحال انه قد اعطى الامن (من المؤاخذة بماتقدم وماتأخر) من ذنبه ومع هذا قام فى التهجد لربه حتى تورمت قدماه من طول قيامه مع علو مقامه وقلة منامه فعاتبه بعض اصحابه اتفعل هذا وقد غفرالله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال فى جوابه (افلا اكون عبداشكورا) اى كثيرالشكر لربى على مغفرة ذنبى وشرح صدرى وقلبى (وقال) فى حديث آخر فى جواب من قال يبيح الله لنبيه ماشاء من الاشياء (انى اخشاكم لله) وفى نسخة لاخشاكم لله اى اكثركم خشية (واعلمكم بما اتقى) اى احذره فاتركه من المعصية والمخالفة ورواه البخارى بلفظ انى لاتقاكم لله واخشاكم له وفى رواية ان اخشاكم واتقاكم لله انا (قال الحارث بن اسد) وفى نسخة سويد والاول هوالمعول وهوالمحاسبي العارف الزاهد المعروف البصرى الاصل صاحب التاليف منها كتاب الرعاية ومنها النصائح ومن جملة كلامه انه لا يعمل بما فيه خلاف الاولى والمحاسبي بضم الميم نسبة الى محاسبة نفسه كما قاله النووى روى عن يزيد بن هرون وغيره وعن ابن مسروق ونحوه وهوممن اجتمع له علم الظاهر والباطن والشريعة والطريقة والحقيقة ورث من ابيه سبعين الف درهم فلم يأخذ منهاشيئا قل ولا جل لان اباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع ان لا يأخذ من ميراثه ومات وهومحتاج الى درهم واحد وكان اذامد يده الى طعام فيه شبهة تحرك على اصبعه عرق فكان يمتنع منه وفى هذامن مناقبه كفاية توفى سنة ثلث واربعين ومائتين (خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله) على وجه اكرام (لانهم آمنون) من وقوع ايلام (وقيل فعلوا) اى الانبياء (ذلك) اى اظهار التوبة والاستغفار هنالك (ليقتدى بهم) غيرهم (و يستن بهم) اى يتابعهم (اممهم كما قال عليه الصلوة والسلام لو تعلمون مااعلم) اى من الاهوال وشدائد الاحوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) رواه احمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه عن انس ورواه الحاكم فى مستدركه عن ابى ذر وزاد ولماساغ لكم الطعام والشراب ورواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابى الدرداء وزاد ولخرجتم الى الصعدات بضمتين اى الطرقات تجأرون الى الله تعالى لاتدرون تنجون اولاتنجون (وايضافان فى التوبة والاستغفارمعنى آخر لطيفا) ومبنى شريفا (اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى) باستقصاء الغيبة عما سواه (قال الله تعالى ان الله يحب التوابين) اى الذين يرجعون الى الله بتو بتهم عن رؤية حولهم وقوتهم اى عن ملاحظة طاعاتهم وعباداتهم (و يحب المتطهرين) عن وجودهم وشهودهم وعن جودهم (فاحداث الرسل والانبياء) اى ايجادهم واظهارهم (الاستغفار) وفى نسخة للاستغفار اى طلب المغفرة على وجه الافتقار وطريق الانكسار (والتوبة) عن الغفلة (والانابة)اى الرجوع من المباح الى الطاعة (والاوبة) اى الانتقال من حال الى حال لطلب الكمال (فى كل حين)من زمان الاستقبال(استدعاء) اى استجلاب (لمحبة الله) بالرجوع الى ما يحبه و يرضاه (والاستغفار فيه معنى التوبة) كان فيهما معنى الاستغفار فيهما متلازمان فى مقام الاعتبار والحاصل انه لايلزم من الاستغفار والتوبة مباشرة الذنب والمعصية (وقد قال الله تعالى لنبيه) النبيه (بعد ان غفرله ما تقدم من ذنبه وماتأخر) ان كان هنالك ذنب حقيقى يتصور (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الآية) اى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة الذين خلفوا الآية والمعنى انه سبحانه وفقهم للتوبة اوقبل توبتهم اوثبتهم على التوبة وذكر النبى صلى الله عليه وسلم تحسين للتوبة وتزيين للقضية وكذا ذكر المهاجرين والانصار جبرلخواطر ارباب الانكسار من الثلثة الذين خلفوا واظهروا التوبة والاستغفار (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (فسبح بحمد ربك) اى اجمع فى دعائه بين التسبيح والحمد فى ثنائه المشعر بنفى الصفات السلبية و باثبات النعوت الثبوتية (واستغفره) اى اطلب منه المغفرة فى المجاوزة عما يصدرمنك من الغفلة اوالتقصير او الفترة (انه كان توابا) اى كثير الرجوع عليك بالرحمة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا يقول سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم و بحمده استغفرالله واتوب اليه وكان نزول هذه الآية الشريفة بعد فتح مكة المنيفة وفيه ايماء الى الارتحال بعد تحصيل الكمال والانتقال الى ما كان له من الحال فالعود احمد وانما بة هى الرجوع الى البداية فقد روت عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل موته يكثر ان يقول سبحانك اللهم و بحمدك استغفرك واتوب اليك وكان آخر كلامه اللهم الرفيق الاعلى وقد بلغنا الله تعالى المقام الاعلى والله تعالى اعلم

﴿ فصل ﴾

(قداستبان) اى ظهر وتبين (لك ايها الناظر) اى المتأمل (بماقررناه) من الكلام وحررناه من المرام (ماهوالحق من عصمته عليه الصلوة والسلام) وكذا عصمة سائر الانبياء عليهم السلام وكان الاظهران يقول من عصمتهم عليهم السلام

(عن الجهل بالله تعالى) اى بذاته (وصفاته) وافعاله ومصنوعاته (وكونه) وفى نسخة اوكونه اى كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه اى بجلسه (على حالة تنافى العلم بشئ من ذلك) اى مما ذكر من الذات والصفات (كله) بجميعه (جملة) اى اجمالا لا تفصيلا اذ لا يحيط به احد علما وهذه العصمة ثابتة له (بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا) كان الاولى بحسب السمع نقلا وسماعا ومؤداهما واحد والمراد بالسماع ما ثبت بالسنة وبالنقل ما نقل عن الائمة وذلك كحديث الصحيحين ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جدعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابوهريرة رضى الله تعالى عنه اقرأوا ان شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وحديث كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فامروهم ان يشركوا بى غيرى ومن المعلوم استثناء الانبياء اذ لم يجعل للشيطان عليهم سبيلا فى الاغواء قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقوله فاجتالتهم بالجيم اى استخفتهم فجالوا معه فى ميدان الضلالة يهيمون وروى بالحاء اى نقلتهم من حال الى حال فهم فى طغيانهم يعمهون (ولا بشئ) اى ولا على حالة تنافى العلم بشئ (مما قرره) اى النبي (من امور الشرع واداه عن ربه عز وجل من الوحى) اى الجلى او الخفى من الكتاب والسنة (قطعا) اى بلا شبهة (عقلا وشرعا) اى من الجهتين (وعصمته) اى ومن عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الكذب) فى القول مطلقا (وخلف القول) فى الاخبار (مذ نباه الله تعالى) اى من ابتداء ما ظهر نبوته خصوصا (وارسله) الى امته (قصدا او عن غير قصد) اى لا عن عمد ولا عن خطأ (واستحالة ذلك) اى ومن استحالة ما ذكر من الكذب والخلف (عليه شرعا) اى سمعا (واجماعا ونظرا) اى عقلا (وبرهانا) اى بيانا ظاهرا (وتنزيهه عنه) اى عن الكذب (قبل النبوة قطعا) لئلا يقع الامة فى الشبهة بعدها اصلا (وتنزيهه عن الكبائر اجماعا) من غير التفات لمن خالف فيه سمعا وعقلا (وعن الصغائر تحقيقا) لحملها على خلاف الاولى تدقيقا (وعن استدامة السهو والغفلة توفيقا) وقد قيل

﴿ياسائلى عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاه﴾
﴿قد غاب عن كل شئ سره فسها * عما سوى الله فى التعظيم لله﴾

(واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه لامته) من الاحكام واجبا ومندوبا وحراما ومكروها وخلاف الاولى ومباحا (وعصمته) اى ومن عصمته (فى كل حالاته من رضى وغضب وجد) بكسر الجيم ضد الهزل والمراد به هنا العزم والحزم (ومزح) فانه كما قال امزح ولا اقول الا حقا فاذا كان مزحه حقا فكيف لا يكون جده صدقا (فيجب عليك) يروى مما يجب لك (ان تتلقاه) اى تأخذ وتناول وتقبل ما صدر من مشكاة صدره فى اى حالة كانت من امره (باليمين) اى بالقوة او بالبركة وقيل باليد اليمين لان اليمين تمد الى كل حسن مرغوب ويتناول بها كل عزيز مطلوب (وتشد عليه يد الضنين) بالضاد المعجمة اى البخيل الممسك للشئ الثمين وهذا نظير رواية العضوا عليه بالنواجذ (وتقدر) بكسر الدال وضمها اى تعرف (هذه الفصول حق قدرها) اى حق معرفتها او تعظمها حق عظمتها كما قيل بالمعنيين فى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (وتعلم عظيم فائدتها وخطرها) بفتحتين وحكى سكون ثانيهما اى منزلتها وقدرها وفائدتها (فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل عليه) اى يمتنع عقلا او نقلا (ولا يعرف صور احكامه) اى فرضا ونقلا (لا يأمن) ويروى لا يؤمن اى عليه من (ان يعتقد فى بعضها) اى المذكورات (خلاف ما هى عليه) من الصواب فى القضيات المشهورات (ولا ينزهه) اى النبي (عما لا يجب) ويروى عما لا يجوز اى لا ينبغى (ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدرى) ما يترتب عليك (ويسقط فى هوة الدرك) بضم الهاء وتشديد الواو الوهدة العميقة والدرك بفتح الراء وسكونها ضد الدرج (الاسفل من النار) اى منازلها وفيه اشعار الى ان من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان ومن لم يكن فى اعتلاء فهو فى ارتداء اذ لا توقف للانسان فى مرتبة استواء ومنه قول ابى الفضل التورزى

*ونزولهم وطلوعهم * فالى درك وعلى درج * فالابرار لهم درجات * والفجار لهم دركات

(اذ ظن الباطل به) اى بالنبي عليه الصلوة والسلام (واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل) بفتح الياء وضم الحاء ويكسر وبتشديد اللام اى ينزل (بصاحبه) فيدخله (دار البوار) اى الهلاك والخسار (ولهذا) المعنى (ما) اى الامر الذى وقيل ما زائدة (احتاط النبي صلى الله عليه وسلم) اى اخذ بالحزم والثقة من جهة الشفقة (على الرجلين) اى من الانصار كما فى البخارى وغيره قيل هما اسيد بن حضير وعباد بن بشر (اللذين رأياه ليلا وهو معتكف فى المسجد) جملة معترضة (مع صفية) متعلق برأياه (فقال لهما انها صفية) اى احدى امهات المؤمنين وقد جاءت تزوره فى اعتكافه فى العشر الاواخر من رمضان فتحدثت معه ساعة ثم قام معها ليقلبها الى بيتها حتى اذا بلغت باب المسجد خرابه فابصراه فسلما على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسرعا فى المشى اما حياء منهما من النبي صلى الله عليه وسلم واما لئلا يستحيى النبي عليه الصلوة والسلام منهما فقال

لهما على رسلكما اى تئدا على مشيكما ولا تسرعا فى سيركما انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله ذلك لهما الا يظن مسلم به عليه الصلوة والسلام ما لا يليق به من قبح المقام (ثم قال لهما الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) بنفوذه فى المنافذ الضيقة للوساوس الخفية وفى النهاية المراد من قوله يجرى مجرى الدم انه يتسلط عليه وتسرى وساوسه فى العروق مجرى الدم لاان يدخل جوفه (وانى خشيت ان يقذف) اى يلقى و يرمى (فى قلوبكما شيئا) وفى رواية شرا (فتهلكا) قال الخطابى خشى صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما الكفر لوظنا تهمة برؤيته معه امرأة اجنبية فبادر الى اعلامهما بمكا نها نصيحة لهما فى حق الدين قبل ان يقعا فى امر يهلكان به انتهى وفى هذا ايماء الى عصمة الانبياء عليهم السلام من مقارفة السوء والفحشاء (هذه) اى الفائدة الجلية وهى ماذكر من احتياطه عليه الصلوة والسلام للرجلين فى هذه القضية (اكرمك الله) جملة معترضة بين المبتدأ والخبر وهو (احدى فوائد ما تكلمنا عليه فى هذه الفصول) السالفة من تعظيم ارباب النبوة واصحاب الرسالة تحذيرا من ان يعتقد بهم ما لا يليق بكريم مناقبهم لاجل جهالته بعصمتهم وغفلته عما يجب لهم ويجوز و يمتنع من حالتهم (ولعل جاهلا) اى من مراتب العلم غافلا (لا يعلم بجهله) اى بجهل كونه جاهلا و يسمى جهلا مركبا (اذا سمع شيئا منها) اى من تنزيهات الانبياء عليهم السلام و يروى من هذا اى مما ذكر (يرى) اى يظن (ان الكلام فيها) و يروى فيه (جملة) اى بجملتها او بجملة (من فضول العلم) اى زوائده وهو خبران (وان) و يروى اوان (السكوت اولى) من التعرض لذكره (وقد استبان لك انه) اى الكلام فى عصمتهم عليهم السلام (تعين) اى واجب معرفته على اهل الاسلام (للفائدة التى ذكرناها) مع فوائد اخر فى هذا المقام كما بينه بقوله (وفائدة ثانية يضطر) بصيغة المجهول اى يحتاج (اليها فى اصول الفقه و يبتنى عليها مسائل) متفرعة عنها (لا تنعد) لكنها وهى لغة رديئة فى لا تعد ذكره الدلجى وفى حاشية التلمسانى لا تبعد من البعد ومعناه قريبة تبنى عليها المسائل (من الفقه) و روى لا تتعدد تفعل من العدد ومعناه مسائل كثيرة لا يحصرها العد ومن الفقه على الاول معمول لا تنعد وهو الاظهر اوصسائل ولا تنعد صفة وعلى الثانى عامله هو المسائل فقط ولا يصح تتعدد لفساد المعنى (و يتخلص) بصيغة المجهول اى و يحصل الخلاص (بها من تشغيب مختلفى الفقهاء) اى تهييجهم الشر والفتنة والخصومة (فى عدة منها) اى من المسائل (وهى) اى الفائدة المضطر اليها فى اصول الفقه وغيره (الحكم فى اقوال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جنسها وخصوصه (وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه) لابتناء كثير من احكام الشرع عليها وتفرعها عنها (ولابد من بنائه) اى الاصل الكبير (على صدق النبى فى اخباره) بكسر الهمزة او فتحها (و بلاغه) اى تبليغه وهذا تخصيص بعد تعميم (وانه لا يجوز عليه السهو فيه) اى فى ابلاغ ما امر بتبليغه (وعصمته من المخالفة فى افعاله عمدا) احتراز من وقوعها سهوا (و بحسب اختلافهم) بفتح السين وابعد الحلبى فقال هنا باسكانها (فى وقوع الصغائر) من جواز صدورها وعدمه من الانبياء (وقع خلاف) وفى نسخة اختلاف (فى امتثال الفعل) اى بمجرد صدوره منهم والحق المصير الى امتثال افعالهم واتباع سيرهم وآثارهم مطلقا بلا قرينة على ما ذهب اليه ابو حنيفة ومالك واكثر اصحاب الشافعى (بسط بيانه) بصيغة المصدر وفى نسخة و بسط وهو يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون فعلا مجهولا اى وشرح بيان امتثال الفعل (فى كتب ذلك العلم) اى علم الاصول فى الدين المذكور فيه اختلافهم فى وقوع الصغائر منهم او علم اصول الفقه المذكور فيه اختلافهم فى امتثال افعالهم المقصودة دون افعالهم بمقتضى العادة (فلا نطول) اى الكلام (فيه) وفى نسخة به اى لا نطول الكتاب بذكره اكتفاء بما هنالك من استيفاء ذلك (وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم) قاضيا كان اوغيره (والمفتى) اى يجيب السائل عن مسئلته الحادثة (فيمن اضاف) اى نسب (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من هذه الامور اووصفه بها) اى مما يجب له او يجوز او يمتنع مما سيأتى تفصيلها (فمن لم يعرف ما يجوز) اى لفعله (وما يمتنع عليه) اى وقوعه منه (وما وقع الاجماع فيه والخلاف) اى ولم يعرف موضع الاتفاق ومحل الاختلاف (كيف) اى على اى حال (يصمم) اى يتمادى عليه و يجزم به و يعزم (فى الفتيا) بضم الفاء وأما الفتوى فبفتحها وقد يضم وكلاهما اسم للافتاء (فى ذلك) اى الذى يجب له او يجوز او يمتنع عليه اذا رفع السؤال اليه (ومن اين يدرى هل ما قاله) اى الحاكم او المفتى (فيه) اى فى حقه عليه الصلوة والسلام (نقص) اى طعن (او مدح) حتى يقدم على حكمه ليعمل به واذا لم يعلم واقدم (فاما ان يجترئ) اى يهجم (على سفك دم مسلم حرام) اى ارقته من غير استحقاقه (او يسقط حقا) اى امرا ثابتا (و يضيع حرمة النبى) وفى نسخة حرمة النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيهلك من حيث لا يعلم والثانى اقبح من الاول لانه موجب كفره وكفره فتأمل (ولسبيل هذا) اى ماذكر من الكلام فى عصمة الانبياء عليهم السلام (ما) زائدة او موصولة (قد اختلف ارباب الاصول

اى اصول الدين (وائمة العلماء) من المجتهدين (والمحققين) من المفسرين والمحدثين (فى عصمة الملائكة) المقربين والمعتمد انهم كالانبياء والمرسلين فى تنزيههم عن المخالفة فى امر الدين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

﴿ فصل ﴾

(فى القول فى عصمة الملائكة) جمع ملك اصله ملاك حذفت همزته بعد نقل حركتها لكثرة الاستعمال وقيل اصله مألك من الالوكة وهى الرسالة فاخرت ثم جمع وقد تحذف الهاء فيقال ملائك (اجمع المسلمون على ان الملائكة كلهم مؤمنون) كاملون (فضلاء) بضم ففتح اى فاضلون فى قدرهم عند ربهم (واتفق ائمة المسلمين) من علماء الامة وعظماء الملة (على ان حكم المرسلين منهم) اى من الملائكة المقربين الى الانبياء والمرسلين (حكم النبيين سواء) اى مستوين (فى العصمة) وتعظيم الحرمة (مما ذكرنا عصمتهم) اى النبيين (منه) اى من السهو فى القول والتبليغ فى الفعل (وانهم) اى رسل الملائكة (فى حقوق الانبياء والتبليغ اليهم) ما امرهم الله تعالى به من الانبياء (كالانبياء مع الامم) فى هذه الاشياء (واختلفوا) اى العلماء (فى غير المرسلين منهم) امعصومون هم كرسليهم ام لا (فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم من المعاصى واحتجوا) اى استدلوا وهم الائمة وفى نسخة واحتجت اى الطائفة او الفرقة فى عصمتهم من جميع المعصية (بقوله تعالى لايعصون الله ما امرهم) اى فيما امرهم به فيما مضى (و يفعلون مايؤمرون) فيما يستقبل اولايمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها و يؤدون مايؤمرون ولايتثاقلون عن القيام به (و بقوله ومامنا) اى معشر الملائكة احد (الاله مقام معلوم) لعبادته لايتجاوز الى غير حالته (وانا لنحن الصافون) اقدامنا فى الصلوة او الحافظون حول العرش واقفون (وانا لنحن المسبحون) اى المنزهون الله عما يشركون (و بقوله ومن عنده) اى عندية مكانة ومنزلة وهو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) تعاظما(ولا يستحسرون) اى لا يعيون ولا يتعبون ولاينقطعون تفاقما (الاية) اى يسبحون الليل والنهار لايفترون كما فى نسخة اى لاينقطعون ولايملون (و بقوله ان الذين عند ربك) اى مقربون (لا يستكبرون عن عبادته) بل يفتخرون بطاعته (الاية) اى ويسبحونه وله يسجدون حقيقة او ينقادون لحكمه و يتذللون بالخضوع والخشوع لامره (و بقوله) تبارك وتعالى فى وصفهم (كرام) اى مكرمين على الله (بررة) اى اتقياء مطيعين فى مقام رضاه (ولايمسه) اى اللوح المحفوظ او القران المحفوظ (الا المطهرون) اى الملائكة المتطهرون من ادناس الذنوب واجناس العيوب (ونحوه) اى و بامثال ماذكر (من السمعيات) من الكتاب والسنة (وذهبت طائفة) من العلماء (الى ان هذا) اى ما ذكر من قضية العصمة وعدم المخالفة (خصوص للرسلين) والمقربين (منهم) اى من الملائكة (واحتجوا) باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير) المعتمدة على ما نقله فيها عن الرهبان والاحبار (ونحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد) اى بعد ذلك (ونبين الوجه) اى الوجه (فيها)هنالك (ان شاء الله تعالى) اى اراده وقضاه وما احسن ما قال الشافعى رحمه الله تعالى

﴿ فما شئت كان وان لم اشأ * وما لم تشأ ان اشأ لم يكن ﴾

وهو مضمون كلام اتفق عليه السلف والخلف مما ثبت فى الحديث ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن (والصواب عصمة جميعهم) اى الملائكة من جنس المعصية (وتنزيه نصابهم) اى تبرئة ساحة منصبهم وقدرهم (الرفيع) عند ربهم (عن جميع ما يحط من رتبتهم) ويروى من رتبهم (ومنزلتهم عن جليل مقدارهم) وجميل درجتهم (ورأيت بعض شيوخنا اشار بان) وفى نسخة مال الى ان اى انه يعنى السان (لاحاجة بالفقيه) اى له (اى الكلام فى عصمتهم) بل يجوز له السكوت عن تفصيل حالتهم ومرتبتهم (وانا اقول ان للكلام فى ذلك) المرام من كثرة الفوائد (ماللكلام) وفى نسخة كالكلام (فى عصمة الانبياء من الفوائد التى ذكرناها) فيما تقدم من الفصول المستملة على انواع من الفوائد (سوى فائدة الكلام فى الاقوال والافعال) لعدم اطلاعنا على مايصدر عنهم من قول وفعل مفصلا وانما نعرف احوالهم مجملا مع انا لسنا مكلفين باتباعهم فيها فلاداعى الى اثبات عصمتهم فيها من طرق ما لايليق بهم فيهما عمدا اوسهوا (فهى) اى فائدة الكلام فى اقوالهم وافعالهم (ساقطة ههنا) اى غير مذكورة فى بيان عصمتهم لعدم احتياجنا اليها فاذا عرفت هذا (فما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم) اى جميع افراد الملائكة بل يوجب عصمة جنسهم الصادق على بعضهم (قصة هاروت وماروت) وهما ملكان نزلا ببابل قرية بالعراق اسمان اعجميان بدلالة منع صرفهما للعلمية والعجمة (وماذكر)عطف على قصة اى وماذكره (فيها)اى فى قصتهما (اهل الاخبار ونقلة المفسرين) عن الاخبار من ان الملائكة عيرت بنى آدم بعصيانهم الله تعالى كما رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر يارب هؤلاء ما اقل معرفتهم بعظمتك فقال لو كنتم فى مسلاخهم لعصيتمونى قالوا كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال فاختاروا منكم ملكين فاختاروهما فاهبطا الى الارض وركبت فيهما شهوات بنى آدم

ومثلت لهما امرأة فساعصما حتى واقعا المعصية فقال الله تعالى لهما اختارا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا (وماروى) اى عن اسحق بن راهويه وعبد بن حميد وغيرهما (عن على) كرم الله وجهه (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (فى خبرهما) اى هاروت وماروت فعن على رضى الله عنه ان هذه الزهرة يسميها العجم اناهيذ وكان الملكان يحكمان بين الناس فاتتهما امرأة فارادها كل منهما مخفيا من الآخر فقال احدهما ياأخى اريد ان اذكرلك ما فى نفسى فقال اذكره لعله ما فى نفسى فاتفقا فقالت لاامكنكما اوتخبرانى اى حتى تعلمانى بما تصعدان به الى السماء وتهبطان به فقالا باسم الله الاعظم قالت علمانيه فعلماها اياه فتكلمت به فطارت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا وروى ابن ابى حاتم عن ابن عباس ان ملائكة سماء الدنيا قالوا ياربنا اهل الارض يعصونك فقيل لهم اختاروا منكم ثلاثة يحكمون فى الارض وجعل فيهم شهوة بنى آدم وامروا ان لا يقترفوا ذنبا فاستقال منهم واحد فاقيل فهبط اثنان فاتتهما امرأة من احسن النساء فهوياها فاتيا منزلها واراداها فابت حتى يشربا خمرها ويقتلا ابن جارها ويسجدا لوثنها فابيا الا ان يشربا فشربا ثم قتلا ثم سجدا وقالت اخبرانى بالكلمة التى اذا قلتماها طرتما الى السماء فاخبراها فطارت فمسخت جمرة وهى الزهرة فارسل اليهما سليمان بن داود وقيل ادريس فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما مناطان بين السماء والارض قيل معلقان بشعورهما وقيل جعل فى جب ملئت نارا منكوسان يضربان بسياط الحديد (وابتلائهما) اى ماروى من اختبارهما بما ذكر وبالسحر فتنة للناس اى امتحانا لهم فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر ومن تجنبه اوتعلمه ليتوقى شره لم يكفر (فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شئ لاسقيم ولاصحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وانما رويت عن علماء اليهود والنصارى ممن لايصدق ولايكذب فى اخبارهم ولايعتمد على آثارهم لكن يشكل هذا بما رواه الامام احمد بن حنبل فى مسنده فقال حدثنا يحيى ابن ابى بكير وقال عبد بن حميد فى مسنده ثنا ابو بكر ابن ابى شيبة قال حدثنى ابن ابى بكير ثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع مولى عبدالله ابن عمر عن عبدالله بن عمر انه سمع نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم عليه السلام لما اهبطه الله تبارك وتعالى الى الارض قالت الملائكة اى رب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم مالاتعلمون قالوا ربنا نحن اطوع لك من بنى آدم قال تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى يهبط بهما الى الارض لينظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض ومثلت لهما الزهرة امرأة من احسن البشر فجاآها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الاشراك فقالا لا والله لا نشرك به ابدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبى تحمله فسألاها نفسها فقالت لاوالله حتى تقتلا هذا الصبى فقالا لا والله لا نقتله ابدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألا نفسها فقالت لاوالله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى وتكلما بكلمة الاشراك فلما افاقا قالت المرأة والله ماتركتما شيئا مما ابيتماه على الا وقد فعلتماه حتى سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا انتهى ويحيى ابن ابى بكير شيخ احمد ثقة اخرج له الائمة الستة وزهير بن احمد اخرج له ايضا اصحاب الكتب الستة ووثقه احمد وروى الميمونى عن احمد مقارب الحديث وروى المروزى عن احمد ما به بأس وروى البخارى عن احمد قال كان زهير الذى روى عنه اهل الشام زهيرا آخر وروى الاثرم عن احمد قال الشاميين عن زهير مناكير وقال الترمذى فى العلل سألت البخارى عن حديث زهير هذا فقال انا اتقى هذا الشيخ كان حديثه موضوع وليس هذا عندى بزهير بن محمد قال وكان احمد بن حنبل يضعف هذا الشيخ ويقول هذا الشيخ ينبغى ان يكونوا قلبوا اسمه قال الحلبى وله ترجمة فى الميزان وقد ذكر فيها مناكير ولم يذكر هذا منها واما موسى بن جبير فقد اخرج له ابو داود وابن ماجه وذكره ابو حيان فى الثقات واما نافع فلا يسئل عنه فيحتاج هذا الحديث الى جواب على وجه صواب قال الحلبى وقد رأيت الحديث فى مستدرك الحاكم فى تفسير سورة الشورى من طريق ابن عباس وقال فى آخره صحيح ولم يتعقبه الذهبى فى تلخيصه للمستدرك هذا وذكر فى الميزان فى ترجمة سنيد بن داود واسمه الحسين انه حافظ له تفسير وله ما ينكر ثم ساق بسند الى سنيد ثنا فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سرت مع ابن عمر فقال طلعت الحمراء قلت لا ثم قال قد طلعت قلت لا قال لامرحبا بها ولااهلا قلت سبحان الله نجم سامع مطيع قال ما قلت الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة قالت يارب كيف صبرك على بنى آدم قال انى قد ابتليتهم وعافيتهم قالوا لوكنا مكانهم ماعصيناك قال فاختاروا ملكين منكم فاختاروا هاروت وماروت فنزلا فالقى عليهما الشهوة فجاءت امرأة يقال لها الزهرة الحديث بطوله ثم قال روى عنه ابوزرعة والاثرم وجماعة وضعفه ابوحاتم وقال ابو داود لم يكن بذاك وقال النسائى الحسين سنيد بن داود ليس بثقة ثم اخرج الذهبى وفاته انتهى ولايخفى ان الحديث

كما تراه مرفوعا وموقوفا له اصل ثابت في الجملة لتعدد طرقه واختلاف سنده في مسند احمد وصحيح ابن حبان وتفسير ابن جرير وشعب البيهقي ومسند عبد بن حميد والعقوبات لابن ابي الدنيا وغيرهم مطولا ومن رواية ابي الدرداء في ذم الدنيا لابن ابي الدنيا وموقوفا عن علي وابن عباس كما مر وعن ابن عمر وابن مسعود باسانيد صحيحة وقد قيل لهذه القصة طرق تفيد العلم بصحتها فالجواب الصواب ان الكلام في عصمة الملائكة الكرام وهذان قد خرجا عن صفة الملائكة بالقاء نعت البشرية من الشهوة النفسية عليهما ابتلاء لهما في القضية والتحقيق والله ولي التوفيق ان الملائكة خلقوا للطاعة كما ان الشياطين خلقوا للمعصية وكل من الطائفتين جبلوا بما لهم من القابلية واما افراد الانسانية فمجبون مركب من الصفات الملكية والنعوت الشيطانية مرتب بين المراتب العلوية والمناقب السفلية فمن مال الى اطوار الملائكة ترقى عنهم ومن مال الى الشاذ الشياطين تنزل عنهم فالانسان كالبرزخ بين البحرين الشارب من النهر بن جامع بين نعوت الجلال وصفات الجمال وقابل لقبول ما لله من صفات الكمال فقد ورد لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ايماء الى نعت الغفور والغفار والحليم والستار ومن هنا يتبين ان الانبياء يتصور منهم المعصية في الجملة بخلاف الملائكة مع ان المعتمد في المعتقد ان رسل البشر افضل من رسل الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولعل العلة انهم مع كون الشهوة فيهم مركبة وقعت احوالهم مرتبة في رفعة منزلة وعلو مرتبة (وليس هو) اي ما نقل من الاخبار (شيئا يؤخذ بقياس) اي من الآثار في مقام الاعتبار (والذي منه) اي من خبر قصتهما (في القرآن) اي في سورة البقرة (اختلف المفسرون في معناه) فكل ذهب الى ما اطلع عليه نقلا من جهة مبناه (وانكر ما قال بعضهم فيه) اي في معناه (كثير من السلف كما سنذكره) فيما سيأتي فلا نطول هنا بذكره (وهذه الاخبار) التي اوردها المفسرون فيه (من كتب اليهود وافترائهم) على انبياء الله وملائكته من ارباب الشهود (كما نصه الله تعالى) اي صرحه (اول الآيات) اي في اولها (من افترائهم) اي كذب اليهود (بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه) في قوله واتبعوا اي اليهود ما تتلوا الشياطين اي كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرأها على ملك سليمان اي في زمن ملكه وعهده وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يخلطون بما سمعوا اكاذيب كثيرة و يلقونها الى الكهنة وقد دونوها في الكتب يقرؤنها و يعلمونها الناس وفشا ذلك في زمنه حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا به وما سخر له الجن والانس والطير والريح الا به وما كفر سليمان شهادة من الله وتكذيبا لليهود ودفعا لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به ولكن الشياطين كفروا باستعمالهم السحر وتدوينهم يعلمون الناس السحر يقصدون به اغوائهم واضلالهم (وقد انطوت القصة) اي احتوت واشتملت قصة هاروت وماروت (على شنع) بضم المعجمة وفتح النون اي قبائح (عظيمة وها) للتنبيه (نحن نخبر) بضم نون وفتح مهملة وكسر موحدة منددة اي نحسن (في ذلك) القول من العبارات (ما يكشف غطاء هذه الاشكالات) اي ما يرفع حجابها و يزيل نقابها (ان شاء الله تعالى فاختلف) اي فاختلفوا (اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان) بفتح اللام وهو الصحيح (او انسيان) اي منسوبان الى الانس اي آدميان ويمكن الجمع بانهما كانا ملكين وتشكلا بصورة رجلين (وهل هما) اي هاروت وماروت (المراد بالملكين) في آية وما انزل على الملكين وهو الصحيح (ام لا) وهذا مما لا يلتفت اليه اصلا (وهل القراءة ملكين) بفتح لامها كما في القراءة المتواترة التي اتفق عليها القراء السبعة والعشرة (او ملكين) بكسرها كما في قراءة شاذة وهما كانا ببابل انزل عليهما السحر ولا معنى للاختلاف فيهما اذ الرواية الشاذة الغير المعتبرة لا تقاوم القراءة المتواترة على انه يمكن الجمع بينهما بانهما ملكان في اصلهما نزلا على صورة ملكين حاكمين في عهدهما (وهل ما في قوله تعالى وما انزل) اي على الملكين (وما يعلمان من احد نافية) فيهما فيكون عطفا على ما كفر اي وما كفر سليمان ولا انزل على الملكين اي جبريل وميكائيل فان سحرة اليهود زعموا ان السحر انزل على لسانهما الى سليمان فردهم الله به (او موجبة) اي مثبتة موصولة معطوفة على السحر على الصحيح والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او يراد به نوع اقوى منه اي و يعلمونهم ما الهما او معطوفة على ما تتلو قال البيضاوي وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه و بين المعجزة واذا عرفت هذا الاختلاف اجمالا فاعلم ما بين لك المصنف تفصيلا (فاكثر المفسرين ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين) بفتح اللام (لتعليم السحر وتبيينه) في مقام تعيينه (وان عمله) اي تعلمه وفي نسخة عمله (كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن) بعد الهمزة اي دام على ايمانه ولم يكفر ولا يبعد ان يكون بفتح الهمزة وكسر الميم اي امن من الوقوع في الكفر واعلم ان استعمال السحر كفر عند ابي حنيفة ومالك واحمد وعند الشافعي استعماله من الكبائر اذا لم يعتقد جوازه ولم يكن في السحر ما يوجب الكفر وظاهر الآية يؤيد اطلاق قول الائمة الثلاثة حيث

(قال الله تعالى خبرا عنهما وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له) مبتدأ خبره (تعليم انذار) اى تخويف وانكار (اى يقولان لمن جاء يطلب تعلمه منهما لاتفعلوا) وفى نسخة لاتفعل (كذا) اى لاتتعلمه (فانه يفرق بين المرء وزوجه) اى هو سبب للتفريق بينهما بايجاد الله عنده البغض والنشوز فى قلوبهما فالسحر له بنفسه اثر يحدثه الله عند تعاطيه وقد لايحدثه بدليل قوله تعالى وماهم بضارين به من احد الا باذن الله (ولاتخيلوا) بخاء معجمة من التخيل وفى نسخة لاتخيلوا من التخييل من باب التفعيل وهو ظن الشئ على خلاف ما هو عليه ومنه قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وفى نسخة لاتحيلوا بالحاء المهملة (بكذا) اى وكذا (فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا) التفسير (فعل الملكين طاعة) بلاشبهة (وتصرفهما فيما امرا به) بما انزل عليهما (ليس بمعصية) وفى نسخة معصية اى مخالفة (وهى) اى هذه الحالة (لغيرهما فتنة) اى ابتلاء ومحنة (وروى ابن وهب) وهو عبد الله بن وهب المصرى المعلم وقد تقدم (عن خالد بن ابى عمران) التجيبى التونسى قاضى افريقية يروى عن عروة وجماعة وعنه الليث بن سعد وعدة صدوق فقيه عابد ثقة (انه ذكر عنده هروت وماروت وانهما يعلمان) اى الناس كما فى نسخة (السحر فقال نحن ننزههما عن هذا) اى عن تعليم السحر لانه كفر او كبيرة ويروى عن هذه النقيصة (فقرأ بعضهم وماانزل على الملكين) بناء على ان ما موصولة وهروت وماروت بدل منهما فيكون حجة على اثباته لهما (فقال خالد) دفعا لما اورده عليه بقوله وماانزل معناه انه (لم ينزل عليهما) بناء على كون ما نافية (فهذا خالد على جلالته) اى عظيم رتبته (وعلمه) اى وكثرة معرفته (نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر غيره انهما مأذون لهما فى تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه) اى امرهما (امتحان من الله تعالى وابتلاء) اى اختبار لخلقه وليس فيه محظور ولايترتب عليه محذور ويمكن الجمع بان المثبت يحمل امرهما على انهما مأموران والنافى على ضد ذلك فيرتفع الخلاف هنالك (فكيف لاننزههما عن كبائر المعاصى) من قتل النفس والزنى وشرب الخمر (والكفر) من السجدة للصنم (المذكورة فى تلك الاخبار) المسطورة المشهورة وقد قدمنا دفع الاشكال حيث حملنا حالهما حينئذ على سلب ماهية الملكية عنهما وتركيب الشهوة البشرية فيهما والكلام فى حق الملائكة الثابتة على جبلتهم الاصلية بخلاف الاحوال العارضية (وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية) كما قدمنا (وهو قول ابن عباس) اى رواية عنه (قال مكى وتقدير الكلام) على قول خالد تبعا لابن عباس ان ما نافية عطفا على قوله تعالى (وما كفر سليمان يريد) اى الله سبحانه وتعالى ان سليمان ما كفر (بالسحر الذى افتعلته عليه) اى افترته عليه (الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود) فان الشياطين كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه ثم لما مات سليمان اونزع منه ملكه استخرجوه وقالوا تسلطه فى الارض بهذا السحر فتعلموه وبعضهم نفوا نبوته وقالوا ما هو الا ساحر فبرأه الله مما قالوا فقال وما كفر سليمان (وماانزل على الملكين قال مكى هما) يعنى الملكين اللذين لم ينزل عليهما (جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجئ به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله فى ذلك) فان سحرة اليهود زعموا ان السحر انزل على لسانهما الى سليمان فردهم الله وعلى هذا فقوله ببابل متعلق بيعلمون وهروت وماروت اسمان لرجلين صالحين سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر ابتلاهما الله بالسحر وقعا بدل بعض من الشياطين هذا وعن مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما ان سليمان اخذ ما فى ايدى الشياطين من السحر ودفنه تحت كرسيه ثم لما مات اخرجه الانس بتعليم الجن وعملوا به وعن الحسن ثلث ما اخرجوا من تحت كرسيه شعر وثلثه سحر وثلثه كهانة (ولكن الشياطين كفروا) قرئ فى السبعة بتشديد لكن وتخفيفها (يعلمون الناس السحر ببابل) قرية بالعراق ومنع صرفه للعلمية والتأنيث او العجمة وعن ابن مسعود لاهل الكوفة انتم بين الحيرة وبابل وقيل بابل موضع بالمغرب وهو بعيد ولعله اسم مشترك وانما الكلام فى المراد والله تعالى اعلم (هروت وماروت) سبق انهما ملكان فى اصلهما وقع منهما ما وقع ثم ابتليا بتعليم السحر للخلق ابتلاء من الحق (قيل هما رجلان تعلماه) ويؤيده انه (قال الحسن) اى البصرى رحمه الله (هروت وماروت علجان) تثنية علج بكسر اوله وقد يفتح وهو الشديد القوى الغليظ الجافى والمعنى انهما كافران من العجم (من اهل بابل وقرأ) اى الحسن (وماانزل على الملكين بكسر اللام) بناء على انهما كانا من بابل انزل عليهما السحر ابتلاء من الله تعالى لهما ولغيرهما (وتكون ما) فى الآية حينئذ (ايجابا) اى موصولة لانافية على هذا (ومثله) اى ومثل قراءة الحسن (قراءة عبد الرحمن بن ابزى) بموحدة ساكنة وزاى مقصورا (بكسر اللام) قال صليت خلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لايتم التكبيرات انتهى ونقل الذهبى عن البخارى ان له صحبة وعن ابن ابى حاتم انه صلى خلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الكلاباذى له صحبة وحدث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا فى الاكمال قال انه صحابى وقال ابن ابى داود انه تابعى وقال ابن قرقول

في مطالعه انه لم يدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي التجريد للذهبي عده في الصحابة وكذا النووي في التهذيب وقد روى عن ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما (ولكنه) اي ابن ابزى (قال الملكان هنا) اي في آية وما انزل على الملكين (داود وسليمان وتكون ما) على قرأته (نفيا على ماتقدم) عن اليهود انهم كانوا ينسبون انزال السحر تارة الى جبريل وميكائيل واخرى الى داود وسليمان (وقيل كانا ملكين) اي آخرين (من بني اسرائيل) ساحرين فمسخهما الله حكاه السمرقندي) وهو الفقيه ابو الليث (والقرأة بكسر اللام شاذة) اي ليست متواترة (فمحمل الآية) وروي فحمل الآية اي آية وما انزل على الملكين (على تقدير ابي محمد مكي) بجعل ما نافية عطفا على ما كفر سليمان (حسن) لوقيل انهما لم يؤمرا بتعليم السحر الناس ابتلاء وامتحانا لهم اما على القول بانهما مأموران بما ذكر فلاحاجة الى ارتكاب القول بجعل ما نافية لمخالفته ظاهر الآية ولان فعلهما ذلك حينئذ طاعة (ينزه الملائكة) عن الخروج عن الطاعة بارتكاب المعصية (ويذهب الرجس) اي جنس الذنب (ويطهرهم تطهيرا) بالعصمة عن العيب (وقد وصفهم الله تعالى) اي الملائكة (بانهم مطهرون) من الادناس (وكرام بررة) عند الله تعالى وعند الناس (ولا يعصون الله ما امرهم) في جميع الانفاس ومجمل الكلام في هذا المقام ان الاصح عند العلماء الكرام في هذه القصة ان الملكين بفتح اللام يراد بهما هروت وماروت وما موصولة وبكسر اللام يراد بهما داود وسليمان عليهما السلام وما نافية وكذا اذا فسر الملكين بفتح اللام بجبريل وميكائيل يكون ما نافية فارتفع الخلاف في المرام واجتمع نظام الالتئام (ومما يذكرونه) اي الطائفة القائلة بعدم عصمة جميعهم ويستدلون به (قصة ابليس) ويروى من قصة ابليس (وانه كان من الملائكة) على زعمهم (ورئيسا فيهم) وفيه انه لا يلزم من كونه رئيسا فيهم انه في اصله منهم (ومن خزان الجنة) بضم الخاء وتشديد الزاي اي خزنتها (الى آخر ما حكوه) وليس فيه دلالة على ما ادعوه (وانه) اي الله سبحانه وتعالى (استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس) والاصل في الاستثناء ان يكون متصلا الا انه قيل بانقطاعه لقوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه وبان الملائكة ليس لهم ذرية وقال تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو والملائكة ليس هم اعداء لنا (وهذا) وروى وهو اي القول بانه من الملائكة (ايضا) قول طائفة قليلة (لم يتفق عليه) بين العلماء (بل الاكثر منهم ينفون ذلك) القول بانه منهم (وانه ابو الجن) عندهم على الصحيح (كما ان آدم ابو الانس وهو) اي القول بانه ابو الجن (قول الحسن وقتادة وابن زيد) وانما استثنى منهم لانه كان مغمورا بين الوف منهم فامر بالسجود لآدم معهم ثم استثنى استثناء واحد منهم بقوله فسجدوا الا ابليس والحاصل انه استثناء متصل مجازا ومنقطع حقيقة ولا يبعد ان يقال جمعا بين الاقوال انه كهروت وماروت كان من جنس الملائكة لكن الله سبحانه وتعالى خلق في جبلته المعصية فتغير عن حالته الاصلية فخالف الامر الالهي في السجدة الصورية فانتقل الى الخلقة الجنية وحصلت منه الذرية (وقال شهر بن حوشب) بفتح الحاء المهملة فواو ساكنة فشين معجمة مفتوحة فموحدة يروى عن مولاته اسماء بنت يزيد وعن ابن عباس وابي هريرة وعنه مطر الوراق وثابت ونفعه ابن معين واحمد وضعفه شعبة وقال النسائي ليس بالقوي توفي سنة مائة اخرج له الاربعة (كان) اي ابليس (من الجن الذين طردتهم الملائكة من الارض حين افسدوا) يعني (والاستثناء) بقوله الا ابليس منقطع لانه من غير الجنس المستثنى هو منه وهو اي الاستثناء (من غير الجنس في كلام العرب) نظما ونثرا (سائغ) بسين مهملة وغين معجمة اي جائز من ساغ الشراب في الحلق اذا جاوزه بسهولة وفي نسخة زيادة وشائع بشين معجمة وعين مهملة اي فاش ذائع من شاع الخبر اذا ذاع ومنه كل سر جاوز الاثنين شاع (وقد قال تعالى) تكذيبا لمن زعم قتل عيسى (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) لان اتباعه ليس من جنس العلم فهو استثناء منقطع اي ولكنهم اتبعوا فيه ظنهم (ومما رووه) اي الطائفة القائلة بعدم عصمة جنس الملائكة (في الاخبار) كابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم عن يحيى ابن كثير (ان خلقا من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا) اي احرقوا (وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له) اي لآدم (من ذكر الله) اي جميع الملائكة (الا ابليس في اخبار لا اصل لها) مما يعتمد عليها (يردها صحاح الاخبار فلا يشتغل) اي فينبغي ان لا يشتغل (بها) ويروى بهذا وفي نسخة بصيغة المتكلم ثم على تقدير صحتها يحمل على ان الله تعالى غير ماهيتهم عن اصل جبلتهم وعصمتهم فوقع فيهم ما اراد الله من معصيتهم وهذا كقضية بلعم ابن باعوراء حيث تغير عن جبلته الى صورة كلب وماهيته وعكسه كلب اصحاب الكهف وقد ورد ان بلعم يدخل النار بصورة ذلك الكلب وذلك الكلب يدخل الجنة بصورة بلعم ثم رأيت في حاشية الانطاكي روى ان الله تعالى لما خلق الارض خلق لها سكانها من بني الجن من نار فركبت فيهم الشهوة وامرهم ونهاهم فلما سكنوا فيها افسدوا وعصوا امر ربهم وسفكوا الدماء فانزل الله تعالى نارا من السماء فاحرقتهم الا ابليس سأله من الله ملك من الملائكة فوهب له

ثم خلق الله ثانيا وثالثا مثلهم ففعلوا ذلك فاهلكهم الله (والله اعلم) وفى نسخة والله الموفق وزيد فى نسخة الصواب

الباب الثانى

(فيما يخصهم) اى الانبياء (فى الامور الدنيوية و يطرأ عليهم من العوارض البشرية) اى مايعرض للانسان و يحدث له من الامور الكونية (قد قدمنا انه عليه الصلوة والسلام وسائر الانبياء والرسل) الكرام (من البشر وان جسمه) اى جسده (وظاهره) اى بدنه (خالص للبشر) اى لعوارضه كغيره (يجوز عليه من الآفات) اى العاهات (والتغيرات) من قبض و بسط وفرح وغم وسائر الحالات (والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام) بكسر الحاء الموت وكل منهما لايخلو عن كلفة والتجرع شرب بمهلة وقيل ابتلاعه بعجلة او القضاء والقدر والكأس مهموز وقد تبدل (ما يجوز) اى كل مايجوز وقوعه من الآفات والحالات (على البشر) اى جنس بنى آدم (وهذا كله) و يروى وذلك كله (ليس بنقيصة فيه) ولا فى غيره من الانبياء (لان الشئ انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ماهو اتم منه) اى من جنسه ويروى الى غيره مما هو اتم (واكمل من نوعه) كافراد الانسان فى تفاوت مراتب الاحسان (وقد كتب الله) اى قدر وقضى (على اهل هذه الدار) اى دار الهموم والاكدار واثبت فى كتابه (فيها تحيون) اى تعيشون (وفيها تموتون) اى وتقبرون (ومنها تخرجون) بصيغة المجهول فى قرأة و بصيغة الفاعل فى اخرى (وخلق جميع البشر بمدرجة الغير) بكسر الغين المعجمة وفتح التحتية الاسم من قولك غيرت الشئ فتغير والمدرجة بفتح الميم وسكون الدال و بالراء والجيم اى فى مسلك التغير من حوادث الدهر (فقد مرض عليه الصلوة والسلام واشتكى) الضر تكثير اللاجر وقد ورد اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وفى حديث قالوا له انك توعك وعكا شديدا قال اجل كما يوعك رجلان منكم (واصابه الحر والقر) بضم اوله و يفتح البرد مطلقا وقيل برد الشتاء وحر الصيف اذ لم يخص بهما احد دون احد وقد يطلقان مجازا على المحنة والنعمة قال عمر لابن مسعود بلغنى انك تفتى ول حارها من تولى قارها كنى بالحر عن الشدة و بالبرد عن الهينة اى ول شرها من تولى خيرها (وادركه الجوع والعطش) كغيره من البشر حتى ربط ببطنه الحجر (ولحقه الغضب) لله اذا رأى خلاف مايرضاه (والضجر) بفتحتين اى القلق والملل (وناله الاعياء) اى العجز والكلل (والتعب) اى المشقة والنصب (ومسه الضعف) اى ضعف البدن (والكبر) اى اثره بانواع الغير (وسقط) اى عن دابة وفى رواية عن فرس كما رواه الشيخان (فجحش) بضم الجيم وكسر الحاء المهملة فشين معجمة اى خدش (شقه) وقشر جلد بعض اعضائه وفى رواية جانبه الايمن وفى رواية شقه الايسر وفى رواية ساقه او كتفه فلم يخرج اياما (وشجه الكفار) فى وجهه فادموه والشج فى الاصل ضرب الرأس وكسره وشقه ثم استعمل فى غيره من الاعضاء والمعنى جرح وجهه الكريم ابن قمئة اللئيم يوم احد (وكسروا رباعيته) بتخفيف التحتية على زنة الثمانية وهى التى بين الثنية والناب وكانت السفلى اليمنى على ماذكره الحلبى واما قول الدلجى اى احدى ثنايا اثنانه فغير صحيح (وسق) بصيغة المجهول (السم) بتثليث السين والفتح افصح ثم الضم وقد تقدم ان زينب بنت الحارث اليهودية سمته فى عضد الشاة بخيبر وسبق مافعل بها واخبرته العضد بانها مسمومة (وسحر) وقد تقدم ان لبيد بن الاعصم سحره او بناته (وتداوى) لبعض اوجاعه تشريعا للاتباعه (واحتجم) كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق (وتنشر) بتشديد الشين المعجمة وهو من النشر مثل التعويذ والرقية وفى الصحيح من حديث عايشة هلا تنشرت قال اما الله فقد عافانى قال الحلبى والظاهر ان مرادها بالنشوة المعروفة عندهم وهى اغتسال مخصوصة وليس المراد الرقية بالقرآن او بغيره من الاذكار وذكر الدلجى ان النشرة هى الرقية من سحر ونحوه وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل بسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك الله يشفيك وقالت له عايشة الا تنشر فقال اما الله فقد شفانى (وتعوذ) كما رواه الترمذى والنسائى عن ابى سعيد بلفظ كان يتعوذ من اعين الجان واعين الانس فلما نزل المعوذتان اخذ بهما وترك ماسواهما وروى الشيخان عن عايشة رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلوة والسلام كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وذكر التلمسانى ان النشرة هى علاج ورقية من مرض او جنون واختلف فى النشرة فقيل يجوز وقيل لا وقال الخطابى مايؤخذ على كتبها جائز حلال اذا كان باسم الله تعالى و بما يفهم من الكلام واما بغير ذلك فحرام (ثم قضى نحبه) اى نذره او سيره او اجله والتحقيق انه كناية عن الموت اذ اصله النذر وكل حى لابد ان يموت فكانه نذر لازم له فاذا مات فقد قضاه (فتوفى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول اى توفاه الله تعالى (ولحق بالرفيق الاعلى) كما تمناه من المولى على مارواه البخارى وغيره عن عايشة اللهم الرفيق الاعلى وفى رواية الحقنى بالرفيق الاعلى اى من النبيين والملائكة وقيل هو مرتفق الجنة وقيل الرفيق اسم لكل سماء واراد الاعلى لان الجنة فوق ذلك وقيل المراد اعلى الجنة وقيل هو الله تعالى وقيل لايصح انه اسم الله ويرد بانه يقال الله رفيق بعباده وقيل معناه رفق الرفيق وقيل لايعرف

اهل اللغة الرفيق ولعله تصحيف الرفيع وماقدمناه هوالصحيح لقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو يقع على الواحد والجمع وقيل الرفيق الاعلى جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين (وتخلص من دار الامتحان والبلوى) اى المحنة والبلية (وهذه سمات البشر) بكسر السين المهملة جمع سمة اى علامات كون البشر يبتلى بها (التى لامحيص عنها) بكسر الحاء المهملة اى لامعدل ولامحيد ولامخلص (واصاب غيره من الانبياء ماهو اعظم منها) اى بحسب الصورة فيها (فقتلوا) بالتشديد للتكثير (تقتيلا) وفى نسخة فقتلوا قتلا بغير حق كيحيى بن زكريا بجز عنقه وفى حاشية التلمسانى وانما اكد بالمصدر تحقيقا للوقوع وقال ابن سيدى الحسن وجدت بخط شيخنا الامام ابى عبدالله بن مرزوق قال وجدت فى بعض كتب اهل التاريخ عن ابى هريرة قال اشتريت غلاما بربريا فرآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من هذا فقلت غلام بربرى اشتريته فقال بعه ولاتمسكه عندك فان قومه قتلوا اربعين نبيا فاكلوا لحومهم ورموا عظامهم على المزابل فسلط الله عليهم ريحا بددتهم والقتهم بالمغرب قال الشيخ ولايخفى مافى احاديث المورخين من الضعف (ورموا فى النار) كابراهيم عليه السلام فكانت عليه بردا وسلاما وقد احرق جرجيس وطبخ ثم قام سالما (ونشروا بالمناشير) وفى نسخة واشروا بالمآشير جمع منشار بهمز لغة فى المنشار بنون وفيه لغة اخرى وهى المواشير بالواو وقيل المياشير بالياء من وشروا لمعنى واحد اى شقق وقطع بالمنشار ونحت به كزكريا عليه السلام نشر بالمنشار جزلتين اى قطعتين (ومنهم من وقاه الله ذلك) اى حفظه هنالك من الآفات والبليات (فى بعض الاوقات ومنهم من عصمه) اى الله كما فى نسخة اى حفظه ووقاه من القتل كعيسى عليه السلام اذ تمالأت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه اليه ويطهره من صحبتهم ويقربه لديه فقال لبعض اصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى عليه شبهه فقتل وصلب وعصم عيسى برفع الله اياه (كما عصم بعض الانبياء من الناس) اى من شرهم جميعا وفى اصل الدلجى كما عصم بعد مبنيا على الضم اى بعد عيسى نبينا من الناس لقوله تعالى والله يعصمك من الناس اى من قتلهم اياك وقيل نزلت هذه الآية بعد ما وقعت له الجراحة ففى الجملة حصلت له الرعاية والكفاية والصيانة والحماية (فلئن لم يكف نبينا) اى محمدا كما فى نسخة (ربه) بالرفع على انه فاعل اى فلئن لم يمنع عنه (يد ابن قمئة) فعلة بكسر القاف وسكون الميم فهمزة وقيل بفتح اوله وكسر ثانيه وزيادة ياء فيه على وزن سفينة وهو الاكثر وهو من قمأ صغر وذل وهو عبدالله بن قمئة الذى جرح وجنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته (يوم احد) وكسر رباعيته وهو الذى قتله مصعب بن عمير كما حكاه الطبرى وقد نطحه تيس فتردى من شاهق جبل كافرا وضبطه الدلجى بكسر اوله وثانيه مشددا بعده همزة (ولاحجبه) اى ولئن لم يحجبه ولم يستره (عن عيون عداه) بكسر اوله ويضم اسم جنس للعدو اى عن اعين اعدائه (عند دعوته اهل الطائف) ويروى عن عيون عداه اهل الطائف عند دعوته ففى الصحيحين من حديث عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقيت من قومك وكان اشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى مااردت وانا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب الحديث وكان عبد ياليل من اكابر اهل الطائف وروى انه عليه الصلوة والسلام لما انتهى الى الطائف حين التمس من ثقيف النصرة فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويرمون رجليه بالحجارة فدميتا وطفق يقيهما بثيابه حتى اجتمع عليه الناس والجأوه الى حائط لابنى ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقى من سفهاء اهل الطائف فتحركت له رحمهما فبعثا له قطف عنب الحديث وروى الطبرانى فى كتاب الدعاء عن عبدالله بن جعفر قال لما توفى ابو طالب خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياارحم الراحمين انت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى اى يلقانى بوجه كريه ام الى صديق قريب كلفته امرى ان لم تكن غضبان على فلا ابالى غيران عافيتك اوسع لى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان ينزل بى غضبك او يحل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة الا بك (فلقد اخذ) اى الله سبحانه وتعالى (على عيون قريش) باخفائه عنها حين ارادوا قتله فخرج عليهم وقرأ وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون ونثر على رأس كل واحد منهم ترابا وذلك (عند خروجه) ويروى فى يوم خروجه (الى ثور) اى الى غار فى جبل ثور عن يمين مكة وهو المراد بقوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا

ووقع في اصل التلمساني جبل ابي ثور ثم قال وروى الى ابي ثور وصوابه الى جبل ثور او الى يوم ثور ولفظ ابي وهم اذ لا يعرف جبل ابي ثور (واسك) اى الله (عنه) اى عن نبيه (سيف ابن غورث) بالغين المعجمة وهو ابن الحارث الغطفاني وقد تقدم انه اسلم وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم والذي في البخاري انه عليه الصلوة والسلام نزل بمكان كثير العضاة فعلق سيفه بشجرة ونام في ظلها فجاء غورث فاخترطه وقال للنبي عليه الصلوة والسلام من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده الحديث (وحجر ابي جهل) فرعون هذه الامة اى امسكه عنه حين اراد ان يرميه به وكان حمل صخرة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد ليطرحها عليه فلزقت بيده وتقدمت القصة (وفرس سراقة) بضم اوله ساخت برجليها بالارض فوقاه الله شره وقد اسلم كما افاده حديث الهجرة (ولئن لم يقه) اى يحفظه ولم يمنعه (سحر ابن الاعصم) وفي نسخة من سحر ابن الاعصم وهو لبيد اليهودي هلك على كفره وقد سحره في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر كما في رواية البخاري (فلقد وقاه ما هو اعظم) خطرا او اكثر ضررا من سحره (من سم اليهودية) بيان لما وقد سمته بشاة محنوذة بخيبر فاخبره كتفها به فاكل منها وبعض اصحابه فلم يضره فعفا عنها ومات به بشر بن البراء فقتلها به كذا روى وفيه خلاف تقدم والله اعلم والحاصل انه سبحانه وتعالى ربى نبيه الذي عظم شانه تارة بصفة الجلال واخرى بنعت الجمال ليكون في مقام الكمال حيث مقتضيات اسماء الذات والصفات (وهكذا سائر انبيائه) منهم (مبتلى) كايوب عليه السلام (و) منهم (معافى) من كثرة الاسقام وشدة الالام وهم قليل من الانام (وذلك) اى ابتلاؤهم (من تمام حكمته ليظهر) من الاظهار او الظهور (شرفهم) بصبرهم على البليات (في هذه المقامات) المتفاوتة فيها الحالات (ويبين) وفي نسخة ويتبين (امرهم) اى رفعة قدرهم لغيرهم (ويتم) من الاتمام او التمام (كلمته فيهم) باظهار محنته عليهم وآثار بليته لديهم (وليحقق) اى ليثبت لهم ولغيرهم (بامتحانهم) بانواع ابتلائهم (بشريتهم) اى عجز عنصريتهم (ويرفع الالتباس) وفي نسخة ويرتفع الالتباس بعد معرفة انها من عوارض اجسام البشر اى الاشتباه (عن اهل الضعف) بالضم والفتح في مقام اليقين من الناس ازالة لما يتوهمونه (فيهم) من انهم لايصيبهم محنة و بلاء ولايغشاهم شدة وعناء استعظاما لمرتبتهم واستبعادا لمحنتهم (لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب) اى الخوارق للعادات من الغرائب (على ايديهم) كبرد النار لابراهيم الخليل وقلب العصا حية لموسى الكليم وخلق الطير من الطين واحياء الموتى لعيسى وانشقاق القمر لنبينا الاكرم (ضلال النصارى) كضلالتهم (بعيسى) اى ابن مريم كما في نسخة اذ بالغوا في تعظيمه حتى قالوا ان فيه لاهوتية وناسوتية (وليكون في محنتهم) وفي نسخة ومحنهم اى محن الله اياهم(تسلية لاممهم) لمشاركتهم بهم اذا اصابهم شئ من الآفات والبلايا ونالهم بعض المصيبات والرزايا (ووفور) اى وسبب كثرة (لاجورهم) ويروى في اجورهم (عند ربهم تماما) للكرامة الحاصلة لديهم (على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ) بالهمز وقد لايهمز اى العوارض من الآفات (والتغيرات المذكورة) من الحالات المسطورة (انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها) اى التي قصد باجسامهم (مقاومة البشر) اى مداخلتهم (ومعاناة بني آدم) اى مقاساتهم في مخالطتهم (لمشاكلة الجنس) اى لمشابهتهم (واما بواطنهم منزهة غالبا عن ذلك) اى عما ذكر (معصومة منه) اى مبرأة ومبعدة عنه مما لايجوز طروه عليهم كالجنون ولو متقطعا وقيد الغالبية مشعر بجواز وقوع ما لايشين عليهم كالاغماء لحظة او لحظتين كما في حديث البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن فوضع في مخضب وصب عليه منها ثم ذهب ليتوضأ فاغمي عليه وبهذا اندفع ما قال الحلبي من ان المصنف لو حذف لفظة غالبا لكان احسن اذ حذفها واجب(متعلقة بالملأ الاعلى) من ارواح الانبياء والملائكة المقربين وقيل نوع من الملائكة اعظمهم عند الله مرتبة واعلاهم درجة (والملائكة) اجمعين (لاخذها)اى لاستفاضة بواطنهم اخبار السماء وغيرها (عنهم وتلقيها الوحي منهم قال) اى بعض المحققين (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عيني تنامان ولاينام قلبي) اى غالبا لما سبق في نوم الوادي(وقال اني لست كهيئتكم) اى كصفتكم من جميع الوجوه (اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني) بفتح اوله وضمه يقال سقاه واسقاه قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال تعالى واسقيناكم ماء فراتا ولما كان الطعام قوت الابدان والاشباح والمعارف قوت الجنان والارواح جعلت كانها مطعومة لانه يتقوى بها قلب الانام كما تتقوى الاجساد بانواع الطعام ولما كان الماء يشفي ظمأ العليل والمعرفة تطفئ ظمأ الغليل جعلت كانها مشروبة لانها تذهب ظمأ الجهل كما يذهب الماء ظمأ العطش وهذا بناء على ان معناه مجاز للمعارف في حق العارف وقيل هو حقيقة شانه يأكل ويشرب من طعام الجنة وشرابها وقيل المراد منهما النشاط والقوة في الطاعة والعبادة (وقال) اى النبي عليه الصلوة والسلام (لست انسى) كسائر الانام (ولكن انسى ليستن بي)اى ليقتدي بفعلي في الاحكام

(فاخبر) عليه الصلوة والسلام (ان سره و باطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل) بضم الحاء وكسرها اي تنزل (ظاهره) اي بظاهره عليه الصلوة والسلام فقط (من ضعف) اي ضعف بدن (وجوع وسهر ونوم لايحل منها) اي من هذه المذكورات (شيء باطنه) اي بباطنه ولايؤثر في خاطره (بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن) مع مشاركتهم له في حكم الظاهر (لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه) اي غمرهما وغطاهما (وهو عليه الصلوة والسلام في نومه) وان استغرق جميع اعضائه فهو (حاضر القلب كما هو في يقظته) حاضر مع الرب (حتى قد جاء في بعض الآثار انه عليه الصلوة والسلام كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان) بربه (كما ذكرناه) من قبله من ان عينيه كانتا تنامان ولاينام قلبه ولعل المراد ببعض الآثار في كلام المصنف ما رواه سعيد بن منصور عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في حديث مبيته عند خالته ميمونة زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وصلوته بالليل معه عليه الصلوة والسلام وفيه ثم وضع رأسه حتى اغفى وسمعت بخخه واصله في البخاري ثم جاء بلال فاستيقظ فقام فصلى باصحابه زاد البخاري ولم يتوضأ اي بعد انتباهه من اغفائه اي نومه قال سعيد بن جبير فقلت لابن عباس ما احسن هذه فقال انها لبست لك ولاصحابك انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحفظ من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان (وكذلك) اي لايشابهه (غيره) فان غيره (اذا جاع ضعف لذلك) الجوع (جسمه) وانحل جسده (وخارت) بالخاء المعجمة اي فترت (قوته) وذهبت همته (فبطلت بالكلية جملته) اي جميع محاسن حالاته (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخبر) عن نفسه (انه لا يعتريه ذلك) اي لايغشاه ضعف هنالك (وانه بخلافهم) فانه يلحقهم ويرهقهم (بقوله) اي في حديث البخاري في حال الوصال (اني لست كهيئتكم) اي في ضعف بنيتكم وفتور حالتكم (اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني) على ما تقدم (قال القاضي رحمه الله تعالى) يعني المصنف (وكذلك) اي مثل مقول بعض المحققين من ان الطوارئ والتغيرات انما تختص باجسام الانبياء (اقول انه عليه الصلوة والسلام في هذه الاحوال كلها من وصب) بفتحتين اي الم وتعب (ومرض وسحر وغضب) للرب (لم يجر على باطنه ما يخل به) بفتح الياء وكسر الخاء المعجمة اي يضعف بباطنه عما كان يخل به ظاهره (ولا فاض) اي ولاسال ولاحدث وخرج (منه) اي مما كان يخل ظاهره (على لسانه وجوارحه مما لايليق به) من هذيانات المرضى وخرافاتهم واختلاف حالاتهم (كما يعتري غيره من البشر) ممن نزل به شيء منها من شدة الالم وقوة الضرر (مما نأخذ بعد) اي نشرع بعد هذا (في بيانه) اي في بيان شانه وتبيين برهانه

﴿ فصل ﴾

(فان قلت فقد) و يروى قد (جاءت الاخبار الصحيحة) والآثار الصريحة (انه عليه الصلوة والسلام سحر) اي اثر عليه السحر (كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي) بفتح العين وتشديد المثناة فوق و بعد الالف موحدة فياء نسبة (بقراتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد) وهو الطرابلسي (ثنا ابو الحسن علي بن خلف) وهو الحافظ القابسي المعافري القروي (ثنا محمد بن احمد) وهو ابو زيد المروزي (ثنا محمد بن يوسف) وهو الفربري (ثنا البخاري) وهو الامام محمد بن اسمعيل صاحب الصحيح (ثنا عبيد بن اسمعيل) اي الهباري يروي عن ابن عيينة وطبقته (قال ثنا ابو اسامة) هو الحافظ حماد الكوفي يروي عن الاعمش وغيره وعنه احمد واسحق وابن معين وكان حجة عالما اخباريا عنده ستمائة حديث عن هشام بن عروة عاش ثمانين سنة وتوفي سنة احدى ومائتين اخرج له الائمة الستة (عن هشام بن عروة عن ابيه) سبق الكلام عليهما (عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء) وفي رواية الفعل اي من الجماع وغيره (وما فعله) جملة حالية وهذا الحديث ساقه القاضي كما ترى من عند البخاري وقد اخرجه مسلم ايضا فهو حديث متفق عليه كما سيأتي قريبا في كلام المصنف (وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولايأتيهن) اي يظن انه واقعهن والحال انه لم يجامعهن (الحديث) قال الحكيم الترمذي ولما سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عجز عن نسائه واخذ بقلبه لبث في ذلك ستة اشهر فيما روى في الخبر ثم نزلت المعوذتان انتهى كذا في تفسير البغوي وسيأتي عن عائشة انه لبث سنة قال عبد الرزاق حبس عنها خاصة حتى انكر بصره قال ابن الملقن في شرح البخاري في تفسير قل اعوذ برب الناس ورواية ثلاثة ايام او اربعة ايام هو اصوب وسنة بعيد اقول ولعله عليه الصلوة والسلام كان سحره شديدا عليه في تلك الايام ثم خف عنه الى نصف سنة ولم يتعاف منه الا بعد كمال سنة (واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك) الوقت المذكور (وكيف جاز عليه) اي السحر وان يكون في مقام موهوم (وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث) الذي اسندناه الى عائشة (صحيح متفق عليه) لاشبهة لديه (وقد طعنت فيه الملحدة) اي الطائفة

الملاحدة الزائغة بالعقيدة الفاسدة (وتذرعت) بذال معجمة من الذريعة اى توسلت (به) الى التشكيكات الكاسدة
وفى نسخة بدال مهملة اى تسلطت به لاظهار الحجج الداحضة الشاردة (لسخف عقولها) بضم السين المهملة
وسكون الخاء اى رقتها وضعفها (وتلبيسها) اى تخليطها (على امثالها) اى اشباهها من ضعفاء اليقين
فى امر الدين (الى التشكيك) اى ايقاع الشك ويروى التشكك اى قبول الشك (فى الشرع) اى فى امور الشرع
المبين (وقد نزه الله الشرع) اى الشريف المكرم (والنبى) المعظم صلى الله تعالى عليه وسلم (عما يدخل) اى عن شئ
يدخل (فى امره لبسا) بفتح اوله اى خلطا واشتباها (وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل) اى
من جملة الاعراض (يجوز) وقوعه (عليه كانواع الامراض مما لا ينكر) بالاجماع (ولايقدح فى نبوته) من غير
النزاع (واما ماورد انه كان يخيل اليه) اى يقع فى خيال باله (انه فعل الشئ) من افعاله (ولايفعله) فى حاله ويروى
ومافعله (فليس فى هذا) التخيل (مايدخل عليه داخلة) اى ريبة وتهمة (فى شئ من تبليغه) اى لامته (اوشريعته)
اى بيان احكام ملته(او يقدح فى صدقه) وفى نسخة فى شئ من صدقه (لقيام الدليل) من انواع المعجزة (والاجماع)
من علماء الامة (على عصمته من هذا) اى من ادخال فساد فى الحال (وانما هذا) ويروى وانما هو اى التخيل (فيما
يجوز طروه عليه فى) وفى نسخة من (امر دنياه التى لم يبعث بسببها ولافضل)على غيره (من اجلها) كما يشير اليه قوله
انتم اعلم بامر دنيا كم وانما فضل بالوحى الالهى ومايتعلق بالامر الدينى والاخروى كما يومى اليه قوله تعالى قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الى (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيها) اى فى امور دنياه (عرضة للآفات) اى هدف للعاهات
(كسائر البشر) فى جميع الحالات واذا كان الامر كذلك (فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها مالاحقيقة له)
فى صدورها(ثم ينجلى عنه) اى ينكشف الامر(كما كان) على وجه ظهورها كسحابة عارضة ما نعة عن شعاع
الشمس ونورها (وايضا فقد فسر هذا الفصل) اى الكلام المجمل (الحديث الآخر) المفصل (من قوله حتى يخيل
اليه انه يأتى اهله) من النساء (ولايأتيهن) فان اتيانهن من جملة امور دنياه ولاضرر من هذه الاحوال فى دينه واخراه
(وقد قال سفيان) اى الثورى وقال الدلجى الظاهر انه ابن عيينة اذ هو المراد بالاطلاق عند ائمة الحديث وجزم الحلبى
وقال هو ابن عيينة لانه المذكور فى السند فى الصحيح (وهذا) النوع (اشد مايكون من السحر) والالم يعرض له هذا
التخيل ويشير الى كلامه قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى (ولم يأت فى خبر منها) اى
من احاديث سحره عليه الصلوة والسلام اومن الاخبار الصحيحة (انه نقل عنه فى ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه
فعله ولم يفعله) والمعنى انه لم ينقل عنه انه قال حال سحره فعلت كذا والحال انه لم يفعله لعصمته من الخلف
فى الاخبار لامته (وانما كانت) هذه السوانح واللوائح (خواطر) اى خطرات (وتخيلات) فى صورة تسويلات
ويروى بموحدة وتحتية (وقد قيل ان المراد بالحديث) اى حديث حتى يخيل اليه (انه كان يخيل الشئ) ويروى
يخيل اليه الشئ (انه فعله وما فعله لكنه تخيل لايعتقد) هو بنفسه (صحته) وفى نسخة بصيغة المجهول اى كل احد
يدرك عدم حقيقته كما يستفاد من نفس التخيل وصيغته واستقاق بنيته (فيكون اعتقاداته كلها) اى سواء تعلقت
بامور دنياه او باحوال اخراه (على السداد) اى الصواب ومنهج الرشاد (واقواله على الصحة) التى تصلح للاعتماد
والاعتقاد (هذا ماوقفت عليه للائمتنا) اى الاشعرية او المالكية اوائمة اهل السنة والجماعة (من الاجوبة على)
وفى نسخة عن (هذا الحديث) اى حديث سحره عليه الصلوة والسلام (مع ما اوضحناه من معنى كلامهم) وبيناه على
مبنى مرامهم (وزدناه بيانا من تلويحاتهم)اى من اشاراتهم من غير تصريح عباراتهم (وكل وجه منها)اى من الوجوه
المذكورة (مقنع) بضم الميم وكسر النون ويجوز فتحهما على انه مصدر للمبالغة او اسم مكان وهو من قنع
بالكسر قناعة اذا رضى ويقال فلان مقنع فى العلم وغيره على وزن جعفر اى مرضى فيه ولبس المراد به انه دليل اقناعى
وان كان يشير اليه قوله (لكنه قد ظهر لى فى الحديث) هذا (تأويل اجلى) بالجيم اى اظهر واوضح من التأويلات
السالفة (وابعد من) وفى نسخة عن (مطاعن ذوى الاضاليل) جمع ضليل مبالغة فى الضلال ومنه قول على وقد
سئل عن اشعر الشعراء فقال الملك الضليل يعنى امرأ القيس وكان يلقب به وقيل هو جمع اضلولة وهو مايضل من
ركبه (يستفاد) اى ذلك التأويل الاجلى (من نفس الحديث) ويروى من تفسير الحديث (وهو ان عبد الرزاق)
وهو الحافظ الصنعانى (قد روى هذا الحديث) فى مصنفه عن معمر عن الزهرى (عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال)
اى عبد الرزاق (فيه) اى فى حديثه (عنهما) اى ابن المسيب وعروة (سحر يهود بنى زريق) بضم الزاء وفتح الراء (رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلوه) اى ماسحروه به (فى بئر) وهى بئر ذروان (حتى كاد رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم) اى قارب (ان ينكر بصره)اضعف حدته اولا مر تخيله (ثم دله الله تعالى على ماصنعوا) اى اليهود (فاستخرجه)

بنفسه او بمأموره (من البئر وروى نحوه) بصيغة المجهول (عن الواقدى) قاضى العراق وقد سبق ذكره (وعن عبد الرحمن بن كعب) اى ابن مالك السلمى يروى عن ابيه وعايشة وعنه الزهرى وهشام بن عروة ثقة مكثر اخرج له اصحاب الكتب الستة (وعمر بن الحكم) بفتحتين تابعى جليل (وذكر) بصيغة المجهول (عن عطاء الخراسانى) من اكابر التابعين روى عنه الاوزاعى ومالك وشعبة قال ابن جابر كنا نغزو معه وكان يحيى الليل صلوة الى نومة السحر اخرج له الائمة الستة (عن يحيى بن يعمر) بفتح الياء والميم وقد يضم وحكى عن البخارى وهو غير مصروف للعلمية ووزن الفعل قاضى مرو يروى عن عايشة وابن عباس مقرئ ثقة اخرج له الائمة الستة (قال) هارون بن موسى اول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر قال الذهبى يقال توفى سنة تسعين وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن عطاء (حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عايشة) بصيغة المجهول اى منع من قربانها (سنة فبينا هو نائم اذ اتاه ملكان) وهما جبريل وميكائيل كما فى سيرة الدمياطى (فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث) اى فقال احدهما ماله فقال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم فى جف طلعة ذكر نخل فى بئر ذروان وروى عن ابن عباس وعايشة ان غلاما من اليهود كان يخدم النبى عليه الصلوة والسلام فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة رأس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها فنزلت السورتان فيه وعن عايشة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم طب اى سحر حتى انه ليخيل اليه انه قد صنع شيئا وما صنعه وانه دعا ربه ثم قال اشعرت ان الله قد افتانى فيما استفتيته فيه قالت عايشة وما ادراك يا رسول الله قال جاءنى رجلان فجلس احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيما ذا قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال واين هو قال فى ذروان وذروان بئر فى بنى زريق قالت عايشة فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤس الشياطين قالت فقلت له هلا اخرجته قال اما انا فقد شفانى الله وكرهت ان اثير على الناس منه شرا وروى انه كان تحت صخرة فى البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة واذا فيه مشاطة رأسه واسنان مشطه وعن زيد بن ارقم قال سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود قال فاشتكى لذلك اياما قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال رجل من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانما انشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى ولا رآه فى وجهه قط قال مقاتل والكلبى كان فى وتر عقد احدى عشرة عقدة وقيل وكانت مغروزة بالابر فانزل الله عز وجل هاتين السورتين وهى احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانما انشط من عقال قال البغوى وروى انه لبث فيه ستة اشهر واشتد عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ان سحر (عن عايشة خاصة) دون غيرها من نسائه (سنة) وطالت المدة (حتى انكر بصره) اى من ضعف بصره او من تخيل بعض امره (وروى محمد بن سعد) بفتح وسكون وهو كاتب الواقدى وصاحب الطبقات وكذا رواه البيهقى بسند ضعيف (عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحبس عن النساء) اى منع عنهن وحيل بينه وبينهن (والطعام والشراب) اى وعن تكثيره منهما كما هو عادته فيهما (فهبط) بفتح الموحدة اى نزل (عليه ملكان) اى بصورة رجلين فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه (وذكر القصة) اى الى آخرها على ما قدمناه ويروى القضية (فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه) اى من جهة منع جماعه ونقصان اكله وشربه (لا على قلبه واعتقاده وعقله) وكذا سلم منه آلة لسانه الذى هو عمدة بيانه وزبدة برهانه (وانه انما اثر) اى السحر بعض اثره (فى بصره) من ضعف نظره او تخيل اثره (وحبسه) اى منعه (عن وطئ نسائه وطعامه) اى بعض المنع (واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتى اهله) اى بعض نسائه (ولا يأتيهن) فى نفس الامر (ان يظهر له من نشاطه) اى كمال رغبته (ومتقدم عادته) اى سابقتها فى حالته (القدرة على النساء) بالمجامعة (فاذا دنا منهن) اى على قصد موافقتهن (اصابته) ادركته (اخذة السحر) بضم الهمزة وخاء ساكنة فذال معجمة فتاء تأنيث وهى رقية كالسحر او خرزة تؤخذ اى تحبس بها النساء ازواجهن عن النساء دونهن (فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى) اى يصيب ويغشى (من اخذ) بضم همز وتشديد خاء اى حبس عن وطئ امرأة لا يصل لجماعها يقال اخذت المرأة زوجها تأخيذا اذا فعلت به ما تقدم من السحر وفى نسخة وخذ وهو فى مبناه ومعناه ونظيرهما قوله تعالى واذا الرسل اقتت ووقتت كما قرئ بهما فى السبعة

﴿واختبر﴾

واختير التفعيل فى التأخيذ للمبالغة فى اخذه وحبسه (واعترض) بصيغة المجهول ايضا من العرض بالتحريك وهوما يعرض للانسان من حوادث الدوران (ولعل) اى الشان ويروى ولعله (لمثل هذا) السحر (اشارسفيان) اى ابن عيينة اوالثورى (بقوله وهذا) النوع (اشد مايكون من السحر) لانه غالبا يكون سببا للتفرق بين المرء وزوجه (ويكون قول عايشة رضى الله تعالى عنها فى الرواية الاخرى انه ليخيل) وفى نسخة يخيل اى يشبه (اليه انه فعل الشئ ومافعله من باب مااختل من بصره) اى لانه كناية عن جماعه مع اهله كما تقدم (فيظن انه رأى شخصا من بعض ازواجه اوشاهد) اى اويظن انه رأى (فعلا من غيره ولم يكن) ماذكر من الشخص والفعل (على ما يخيل اليه) اى موافقا لتخيله (لما اصابه) اى من ضعف (فى بصره) وفى نسخة من بصره اى لما اصابه وهن من جهة بصره (وضعف نظره لالشئ طرأ) بالهمزاى عرض وحدث (عليه فى ميزه) بفتح الميم وسكون التحتية وبالزاى اى تمييزه وتفرقته بين الاشياء قال التلمسانى وروى فى غيره اقول الظاهر انه تصحيف (واذا كان) اى امره عليه الصلوة والسلام (هذا) الذى ذكرناه فى هذا المقام (لم يكن فى اصابة السحر) وفى نسخة لم يكن ما ذكر فى اصابة السحر (له وتأثيره فيه) اى فى ظاهر امره (مايدخل عليه لبسا) اى خلطا فى باطنه (ولايجد به الملحد) المائل عن الحق فى مقاله (المعترض) بعقله التابع لباطله (انسا) بضم فسكون اى تبصرا فيما لايجدى بطائله

﴿ فصل ﴾

(هذا) الذى ذكرنا فى الفصل الذى قدمنا على ماحررنا (حاله)من جهة امراض واعراض نازلة اوحاصلة له (فى جسمه) من ظاهر جسده و باطنه (فاما احواله) اى الواردة (فى امور الدنيا) اى الخارجة عن جسمه (فنحن نسبرها) بنون مفتوحة وسين ساكنة و بموحدة مضمومة فراء من سبرها او بضم نون فكسر موحدة من اسبرها اى نقيد احواله ونروز افعاله ونوردها (على اسلوبها) و يروى على اسلوبنا (المتقدم) اى طريقها السابق (بالعقد) بمعنى الاعتقاد (والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد) اى يظن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى امور الدنيا الشئ على وجه) من جواز فعله وتركه فى بادئ رأيه (و يظهر خلافه او يكون منه على شك) اى تردد لايترجح احد طرفيه (اوظن) يترجح عنده احد شقيه ويتبين ضده بعده وهذا كله فى امر الدنيا ومايتعلق به من الفرع (بخلاف امور الشرع كما) يدل عليه ما (حدثنا ابو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة (سفيان بن العاص) بغير الياء فى آخره (وغير واحد) من المشايخ (سماعا) من بعض (وقرأة) على بعض وهما منصوبان على التمييز اوحالان (قالوا) كلهم (ثنا ابو العباس احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازى ثنا ابو احمد بن عمرويه) بفتح وسكون فضم وفتح فسكون هاء وفى نسخة ففتح تاء وفى نسخة بفتح الراء والواو وسكون الياء وكسر الهاء (ثنا ابن سفيان) هذا ابو اسحق محمد بن سفيان راوى الصحيح عن مسلم (ثنا مسلم) اى ابن الحجاج الحافظ صاحب الصحيح (ثنا عبدالله) و يقال عبيدالله (ابن الرومى) يروى عن ابن عيينة انفرد مسلم بالاخراج له (وعباس العنبرى) منسوب الى بنى العنبر ابن عمرو بن تميم من حفاظ البصرة روى عن القطان وعبدالرزاق وعنه مسلم والاربعة والبخارى تعليقا قال النسائى ثقة مأمون توفى سنة ست واربعين ومائتين (واحمد المعقرى) بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف وفى نسخة بكسر الميم وفتح القاف وفى اخرى بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة الى ناحية من اليمن توفى بعد خمس وخمسين ومائتين كان بزازا بزابين بمكة روى عنه مسلم (قالوا) اى كلهم (ثنا النضر بن محمد) هو الجرشى اليمانى يروى عن شعبة وغيره وعنه احمد العجلى اخرج له الستة الا النسائى (قال حدثنى عكرمة) اى ابن عمار (ثنا ابو النجاشى) هو عطاء بن صهيب روى عنه عكرمة والاوزاعى وجماعة اخرج له الشيخان والنسائى وابن ماجه (ثنا رافع بن خديج) انصارى اوسى حارثى شهد احدا عاش ستا وثمانين سنة توفى بالمدينة سنة ثلث وسبعين اخرج له الائمة الستة (قال قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهم يأبرون) بضم الموحدة وفى نسخة يؤبرون بضم اوله وكسر بائه مشددة وهو رواية الطبرانى يلقحون (النخل) بوضع طلع ذكورها فيها (فقال ماتصنعون قالوا كنا نصنعه) اى شيئا على عادتنا البكر فيما يعبر (قال لعلكم لولم تفعلوا) اى لو تركتم تأبيرها (كان خيرا) من تأبيرها بناء على عدم المعالجة فى تدبير تأثيرها (فتركوه (فنفضت) بفتح النون والفاء والضاد المعجمة اى اسقطت حملها من ثمرها وروى فنقصت بالقاف والصاد المهملة وقيل هو تصحيف وعلى تقدير صحته امابمعنى اسقطت واماقلت فى الحمل واماقلت فى نفسها مع كثرتها اى صارت حشفا وروى نصبت بصاد مهملة بعدها موحدة و بغين معجمة وصاد مهملة قال القاضى ولامعنى لهما وقيل فى معناهما ان نصبت من النصب وهو التعب ومعناه ان ثمرها لم يخرج الا بنكد فصار كانه تعب وان نغصت من قولهم نغص لم يتم مراده قال ابن قرقول وفى هذه اللفظة روايات كلها تصحيف الا الاول (فذكروا ذلك له) اى من نقصان الثمر (فقال انما انا

بسر اذا امرتكم بشيء من دينكم) اى ولو برأيي (فخذوا به) لانه عليه الصلوة والسلام مبين لاحكام الاسلام (واذا امرتكم بشيء من رأيي) و في رواية من رأى اى في امر دنياكم مما ليس له تعلق بامر دينكم وآخرتكم (فانما انا بشر) مثلكم فقد اصيب وقد اخطئ فالامر فيه مخير لكم (وفي حديث انس) وفي نسخة رواية انس اى لمسلم عنه (انتم اعلم بامر دنياكم) ان اردتم تبعتموني وان اردتم اخترتم رأيكم (وفي حديث آخر) رواه مسلم عن طلحة (انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن) ان لم يكن مطابقا لظنكم وموافقا لرأيكم هذا وعندي انه عليه الصلوة والسلام اصاب في ذلك الظن ولو ثبتوا على كلامه لفاقوا في الفن ولارتفع عنهم كلفة المعالجة فانما وقع التغير بحسب جريان العادة الا ترى ان من تعود باكل شيء اوشرب به يعتقده في وقته واذا لم يجده يتغير عن حالته فلو صبروا على نقصان سنة او سنتين رجع النخيل الى حاله الاول وربما انه كان يزيد على قدره المعول وفي القضية اشارة الى التوكل وعدم المبالغة في الاسباب وقد غفل عنها ارباب المعالجة من الاصحاب والله تعالى اعلم بالصواب (وفي حديث ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما كما رواه البزار بسند حسن (في قصة الخرص) بفتح الخاء المعجمة فراء ساكنة فصاد مهملة هو الحزر والتقدير لما على الشجر من الرطب تمرا ومن العنب زبيبا اى تخمينه ظنا والقصة ماروى عن ابي حميد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك فاتينا وادى القرى على حديقة لامرأة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخرصوها فخرصناها وخرص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشرة اوسق وقال لها احصيها حتى نرجع اليك ان شاء الله تعالى الى قوله ثم اقبلنا حتى قدمنا وادى القرى فسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرأة عن حديقتها كم بلغ ثمرها قالت عشرة اوسق (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا بشر) وفي كلام جنسهم خطر (فما حدثتكم عن الله تعالى) اى وحيه جليا وخفيا (فهو حق) اى صواب دائما (وما قلت فيه) اى من امور الدنيا (من قبل نفسي) اى مما خطر لي (فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا) وارد (على ما قررناه) آنفا من انه عليه الصلوة والسلام قد يعتقد الشيء من امور الدنيا على وجه و يظهر خلافه كذا قرره الدلجي على طبق ما حرره القاضي ولكن فيه انه لم يعتقده بل ظنه كما يدل عليه قوله (فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها) الجارية على منوال افعال اهلها في منالها (لاما قاله من قبل نفسه) جزما مع انه جاء مطابقا لما قاله جزما (واجتهاده في شرع شرعه) اى اظهره وبينه عزما (وسنة) وفي نسخة اوسنة (سنها) اى طريقة اخترعها لحديث ابي داود عن المقدام بن معدى كرب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اني اوتيت القرآن ومثله معه يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى الا لايحل الحمار الاهلي ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه (وكما حكى ابن اسحق) وقد رواه البيهقي عن عروة والزهري ايضا (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر) اى في ابعدها منه (قال له الحباب بن المنذر) بضم الحاء المهملة و بموحدتين الخزرجي وكان يقال له ذوالرأى توفي في خلافة عمر كهلا ولم يرو نقلا (هذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه) لا بان نتأخر عنه ولا ان نتقدم عليه (ام هو الرأى والحرب والمكيدة) وهي مفعلة من الكيد بمعنى المكر يعني قلنا المخالفة فان الحرب خدعة والمكيدة بمعنى الخديعة واقعة (قال لا) اى لم يوح الى الله تعالى فيه ولم يأمرني به وانما وقع نزولي فيه اتفاقا من غير تأمل في امره وقد امرني الله تعالى بقبول قولكم في مصلحة امركم حيث قال وشاورهم في الامر(قال فانه ليس بمنزل) مرضي بحسب العقل (انهض) بفتح الهاء والضاد المعجمة وهو القيام الى الشيء بالسرعة والعجلة اى قم لنا وانتقل بنا (حتى نأتي ادنى ماء) اى اقربه (من القوم) يعني قريشا (فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب) بضمتين جمع قليب وهو البئر ونغور بتشديد الواو المكسورة بعد عين مهملة وقيل معجمة فعلى الاول اى نفسدها عليهم وعلى الثاني نذهبها في الارض وندفنها لئلا يقدروا على الانتفاع بها وفي رواية السهيلي بضم العين المهملة وسكون الواو وهي لغة فيها (فنشرب ولا يشربون) اى منها (فقال اشرت بالرأي) اى الصحيح (وفعل ما قاله) اى الحباب في هذا الباب وقد روى ابن سعد انه نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الرأى ما اشار به الحباب (وقد قال الله تعالى) اى وامره عليه الصلوة والسلام بقوله (وشاورهم في الامر) ومدحهم في مواضع آخر فقال وامرهم شورى بينهم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما تشاور قوم الاهدوا الارشد امرهم وقد ورد ما خاب من استخار ولاندم من استشار (واراد) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة الاحزاب (مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة) من التمر وغيره وفي نسخة بالتاء الفوقية (فاستشار الانصار) كما رواه البزار عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ جاء الحارث الغطفاني الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا ثمر المدينة والا ملأناها عليك خيلا

ورجلا فقال حتى استأمر السعود يعنى سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فشاورهما فقالا لا والله ما اعطينا الدنية من انفسنا بالجاهلية فكيف وقد جاء الله تعالى بالاسلام وفى رواية ابن اسحق انه عليه الصلوة والسلام اراد فى غزوة الخندق ان يقاضى اى يصالح بذلك عيينة بن حصين الفزارى والحارث بن عوف المرى وهما قائدا غطفان فاستشار صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقال سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله تعالى وعبادة الاوثان لانعبد الله ولانعرفه وهم لايطمعون ان يأكلوا منها ثمرة الاقرى او بيعا فحين اكرمنا الله تعالى بالاسلام وهدانا له واعزنا بك و به نعطيهم اموالنا مالنا بهذا من حاجة والله لانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله تعالى بيننا وبينهم فقال عليه الصلوة والسلام فانت وذاك القصة وهذا معنى قوله (فلما اخبروه برأيهم رجع عنه) اى عن رأيه (فمثل هذا) اى ماذكر عن الحباب ببدر وعن الانصار فى الاحزاب (واشباهه من امور الدنيا) مما لم يكن به الاعتناء (وهى التى لامدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها) اى مما لم يؤمر به بيانا وتعليما وتبيانا (يجوز عليه فيها ماذكرناه) وفى نسخة ماذكروا اى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد يظن شيئا على وجه و يظهر خلافه (اذ ليس فى هذا كله نقيصة) اى منقصة (ولا محطة) له عن رفعة مرتبة وعلو منزلة (وانما هى امور اعتيادية) اعتادها الناس والفوها (يعرفها من جربها) مرة بعد اخرى (وجعلها همه) اى غاية همه فيها وشغل نفسه بها وطلبها وعاناها (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) يقول فى دعائه ولاتجعل الدنيا اكبر همنا ولامبلغ علمنا وهو (مشحون القلب) اى مملوءه بمعرفة الربوبية ومايتعلق بها من آداب العبودية (ملآن الجوانح) اى الاضلاع وفى نسخة الجوارح (بعلوم الشريعة مقيد البال) اى مربوط القلب فى جميع الحال (بمصالح الامة الدينية والدنيوية) اى التى لها تعلق بالامور الاخروية (ولكن هذا) اى مايظنه على وجه ويظهر خلافه (انما يكون فى بعض الامور) الدنيوية اى التى ليس لها تعلق اصلا بالاحوال الدينية (و يجوز) اى وقوع مثله عنه (فى النادر منها وفيما سبيله التدقيق) اى تدقيق النظر وتحرير الفكر (فى حراسة الدنيا) بكسر اوله اى محافظتها ومراعاتها (واستثمارها) اى تحصيل ثمرتها ونتيجتها المترتبة عليها (لافى الكثير) من امورها (المؤذن بالبله) بفتحتين اى المشير الى البلاهة (والغفلة) المؤذنة بقلة شعورها والحاصل انه عليه الصلوة والسلام واتباعه الكرام كانوا على ضد حال الكفار وارباب الكفر اللئام كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون (وقد تواتر بالنقل) من جمع يمتنع من تكذيبهم العقل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا) واحوالها (ودقايق مصالحها وسياسة فرق اهلها ماهو معجز فى البشر) حيث لم يقدر احد ان يأتى بنظام امور هذا الباب (مما قد نبهنا عليه فى باب معجزاته من هذا الكتاب)

﴿فصل﴾

(واما مايعتقده) وفى حاشية الحجازى و يروى بضم اوله وفتح ثالثه والقاف (فى امور احكام البشر الجارية على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقضاياهم) المرفوعة منهم اليه (ومعرفة المحق منهم من المبطل) واغرب التلمسانى فى ضبطهما بصيغة المفعول وتفسيرهما بالحق والباطل وغرابته من جهة المبنى والمعنى فى هذا المقام مما لايخفى (وعلم المصلح من المفسد) من يداخل باصلاح او افساد من العباد فى امور البلاد (فبهذا السبيل) اى ماذكر هنا من معتقده ومعرفته على الوجه الجميل (لقوله عليه الصلوة والسلام) فيما رواه الشيخان وغيرهما عن ام سلمة (انما انا بشر انما يوحى الى احيانا (وانكم تختصمون) بينكم وترفعون الامر (الى ولعل بعضكم الحن) اى اعرف وافطن (بحجته) اى خصومته وتبيين بينته وطريق تمسيته ومنه قول عمر بن عبد العزيز عجبت لمن لاحن الناس كيف لايعرف جوامع الكلم اى فاطنهم (من بعض) لبلاهته اولصفاء حالته (فاقضى له) اى فاحكم (على نحو) بالتنوين (مما اسمع) اى منه كما فى نسخة يعنى من كلامه حيث لم اعرف حقيقة مرامه وفى نسخة على نحو ما اسمع بالاضافة (فمن قضيت له من حق اخيه بشئ) فيما ظهر لى على وجه يكون الامر فى الواقع بخلافه (فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار) لبناء احكام شريعته على الظاهر وغلبة الظن فى قضيته وقد ورد نحن نحكم بالظواهر والله اعلم بالسرائر وانما صدر الحديث بقوله انما انا بشر مثلكم ايذانا بان السهو والنسيان غير مستبعد من الانسان وان الوضع البشرى يقتضى ان لايدرك من الامور الشرعية الا ظواهرها تمهيدا للمعذرة فيما عسى يصدر عنه عليه الصلوة والسلام من امثال تلك الاحكام ولو كان نادرا فى الايام وليس هذا من قبيل الخطأ فى الحكم فان الحاكم مأمور مكلف بان يحكم بما يسمع من كلام الخصمين و بما تقتضيه البينة لا بما فى نفس الامر فى القضية حتى لو حكم لمبطل فى دعواه بشاهدى زور وفق مدعاه وظن القاضى عدالتهما فهو محق فى الحكم وان لم يكن المحكوم به ثابتا فى نفس الامر (حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله تعالى) اى الباجى وهو هشام بن احمد وهو ابن العواد (حدثنا

الحسين بن محمد الحافظ) هو ابو علي الغساني (ثنا ابو عمر) اي ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا ابو محمد) هو عبد الله بن محمد
ابن عبد القرطبي من قدماء شيوخ ابن عبد البر كان تاجرا صدوقا (ثنا ابو بكر) وهو ابن داسة راوي السنن عن ابي داود
(ثنا ابو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن كثير) بفتح الكاف وكسر المثلثة العبدي البصري
يروي عن شعبة والثوري عاش تسعين سنة اخرج له الائمة الستة (اخبرنا سفيان) قال الحلبي الظاهر انه الثوري
ومستندي في هذا ان الحافظ عبد الغني ذكر الثوري فيمن روى عنه محمد بن كثير ولم يذكر ابن عيينة وفي التذهيب قال
روى عن سفيان واطلق فحملت المطلق على المقيد قلت وكلاهما امامان جليلان في مقامهما فلا اشكال في ابهامهما
(عن هشام بن عروة عن ابيه) سبق الكلام عليهما (عن زينب بنت ام سلمة) ربيبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صحابية
اخرج لها الائمة الستة لها الرواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا وكان اسمها برة بفتح الموحدة فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم فلا تزكوا انفسكم الله اعلم باهل البر منكم فسماها زينب (عن ام سلمة) احدى امهات المؤمنين
(قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث) كما تقدم وسبق انه رواه الشيخان وغيرهما (وفي رواية
الزهري) وهو الامام العالم (عن عروة) وقد تقدم (فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض) اي افصح واكثر بلاغا
يقال بلغ يبالغ مبالغة و بلاغا اذا اجتهد في الامر اي اجهد نفسه في ايصال كلامه الى ذهن سامعه واقتصر الدلجي
عليه وفيه انه لا يبنى افعل من غير الثلاثي المجرد الا بتقوية اشد ونحوه فلو اريد هذا المعنى لقيل اكثر تبليغا واشد بلاغا
ونحوهما (فاحسب انه صادق) اي اظن انه في قوله لما في نفس الامر موافق (فاقضي له) بما اظن انه يستحقه (ويجري)
من الاجراء اي ويمضي (احكامه عليه الصلوة والسلام) وفي نسخة يجري من الجريان اي ويقع احكامه عليه الصلوة
والسلام و يروى احكامهم (على الظاهر) من الامور واحوال الانام (وموجب) بفتح الجيم اي ومقتضى (غلبات
الظن) جمع باعتبار جمع القضايا (بشهادة الشاهد) اي جنسه تارة (ويمين الحالف) اخرى عند انكاره وعدم البينة
على خلافه (ومراعاة الاشبه) مما يظنه حقا وقال التلمساني يعني في الحكم بالقائف اقول وهذه مسئلة مختلف
فيها (ومعرفة العفاص) بكسر العين والصاد المهملتين بينهما فاء بعدها الف الوعاء الذي يكون فيه الشيء (والوكاء)
بكسر اوله ممدودا خيط الوعاء والمراد كل ما يربط من صرة وغيرها والمعنى انه عليه الصلوة والسلام بنى امره في الاحكام
على الامور الظاهرة من الشهادة واليمين والشبه ومعرفة الوعاء والوكاء في اللقطة من الاشياء وقد اغرب الدلجي
حيث قال كنى بالعفاص والوعاء عما يظهر له من فحوى كلام الخصمين مما يظن به حقيقة ما ادعى به (مع مقتضى حكمة
الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه) اي نبيه (على سرائر عباده) من اهل ملته (ومخبآت) اي مخفيات
(ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه) حينئذ (دون حاجة) اي من غير افتقار له (الى اعتراف) من احد
المتخاصمين بالحق (او بينة او يمين او شبهة) اي مشابهة ومناسبة ترجح الحكم لاحد وكل ذلك على تقدير مشية الله تعالى
اطلاعه عليه الصلوة والسلام في القضايا (ولكن لما امر الله تعالى امته باتباعه) في قواعد شريعته (والاقتداء به
في افعاله واحواله وقضاياه وسيره) اي طريقته (وكان هذا) اي ما امر الله تعالى امته باتباعه في جميع سيرته (لو كان
مما يختص) اي النبي عليه الصلوة والسلام (بعلمه ويؤثره الله تعالى به) اي بانفراده واختصاصه (لم يكن للامة سبيل
الى الاقتداء به في شيء من ذلك) لعدم اطلاعهم على حقيقة وقوع ما هنالك (ولا قامت) بعده (حجة) على من خالف
امرا من امور دينه (بقضية من قضاياه لاحد) من حكام ملته (في شريعته) على احد من امته (لانا لا نعلم ما اطلع)
من الاطلاع او الاطلاع اي بما اوتي به (هو في تلك القضية) المرفوعة اليه (لحكمه هو اذن) اي حينئذ (في ذلك) اي
في وقت ورودها هنالك (بالمكنون) اي المستور (من اعلام الله تعالى له بما اطلعه عليه من سرائرهم) اي ضمائرهم
(وهذا) الامر المكنون والسر المصون (مما لا تعلمه الامة) اذ لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واما الاولياء
وان كان قد ينكشف لهم بعض الاشياء لكن علمهم لا يكون لهم يقينا والهامهم لا يفيد الا امرا ظنيا و بهذا المقال
يندفع ما يرد على الحصر في الاية من نوع الاشكال والله تعالى اعلم بالاحوال ثم الاولياء من ارباب الكشوف
لا يوجدون في كل زمان ومكان ايضا وربما يدعي كل احد انه في مرتبة الولاية العلية (اجرى الله تعالى احكامه
الشرعية على ظواهرهم) في القضية (التي يستوي فيها هو) اي النبي عليه الصلوة والسلام (وغيره من البشر) في زمنه
وبعده من الايام (ليتم) من الاتمام او التمام اي ليعم (اقتداء امته به في تعيين قضاياه) اي احكام ملته (وتنزيل احكامه)
على امته وفق قواعد شريعته (ويأتون ما اتوا من ذلك) اي يفعلون ما فعلوا من الحكم بطريقته (عن علم ويقين من سنته
اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول) اي وحده على خلاف فيه (وارفع) اي ادفع كما روى (لاحتمال اللفظ وتأويل
المتأول) وفيه ان الاحكام منه عليه الصلوة والسلام كانت جامعة بين الفعل والقول والا ففي قضية الحال كلام لاهل

المقال (فكان حكمه على الظاهر اجلى) اى اظهر لكل احد (فى البيان) فى ميدان العيان (واوضح) اى ابين (فى وجوه الاحكام) لظهور المرام (واكثر فائدة لموجبات التشاجر) اى التخالف والتنازع (والخصام) اى التخاصم فى الاحكام (وليقتدى بذلك كله) اى بقضاياه وفق شريعته (حكام امته) وعلماء ملته (و يستوثق) عطف على ليقتدى اى يستمسك و ليس بتصحيف كما ظنه الانطاكى وفى نسخة يستوسق بالسين بدل المثلثة اى يجتمع وينتظم (بما يؤثر عنه) اى يروى من بيان قواعد طريقته (وينضبط قانون شريعته) المشتملة على كليات اصولية يبنى عليها جزئيات فرعية (وطى ذلك) اى عدم اطلاع ماهنالك (عنه) عليه الصلوة والسلام فيما تتعلق به القضايا والاحكام (من علم الغيب الذى استأثر) اى انفرد (به عالم الغيب) اى ماغاب عن غيره (فلا يظهر على غيبه احد) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) اى من ملك او بشر (فيعلمه منه) اى بعضه لا كله (بما يشاء) اى بشئ يشاء او بقدر يشاء (ويستأثر) اى وينفرد (بما يشاء) وفى نسخة فى الموضعين بماشاء (ولايقدح هذا) اى عدم اطلاعه ببعض قضية (فى نبوته) من رفعة مرتبته (ولايفصم) بفتح الياء فسكون الفاء وكسر الصاد اى لا يكسر اولا يحل (عروة) اى عقدة (من عصمته) اى نزاهته من طهارته

﴿فصل﴾

(واما اقواله الدنيوية) اى الصادرة منه فى غير الامور الاخروية (من اخباره) بكسر اوله اى اعلامه (عن احواله واحوال غيره ومايفعله اوفعله) مستقبلا اوماضيا (فقد قدمنا ان الخلف) اى التخلف اوصدور الخلاف اوالاختلاف وفسر بالكذب (فيها) اى فى تلك الاقوال وفى نسخة فى هذا اى هذا النوع (ممتنع عليه) ولايجوز ان ينسب شئ منه اليه لعصمته فى اخباره (فى كل حال) يكون عليها (وعلى اى وجه) يتصور فيها (من عمد اوسهو اوصحة اومرض اورضى اوغضب) اى فرح اوحزن (وانه) وفى نسخة فانه (عليه الصلوة والسلام معصوم منه) اى من الخلف فى اخباره فى جميع احواله واسراره (هذا) اى ماذكر (فيما طريقه الخبر المحض) الذى ليس فيه تورية لمصلحة (بما يدخله الصدق والكذب) اى بالنسبة الى غيره (فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها) صفة كاشفة (فجائز ورودها منه) اى من النبى عليه الصلوة والسلام (فى الامور الدنيوية لاسيما) اى خصوصا (لقصد المصلحة) المتعلقة بالاحوال الاخروية (كتوريته عن وجه مغازيه) حيث كان اذا اراد غزاة ورى بغيرها اى سترها واوهم انه يريد غيرها واصله من الوراء اى القى البيان وراء ظهره (لئلا يأخذ العدو حذره) اى احترزه واحتراسه بعد بلوغ خبره وفى الحديث ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب (وكما) عطف على كتوريته وقال الدلجى اى مثل توريته ما (روى من ممازحته ودعابته) بضم داله المهملة اى ملاعبته ومنه قوله لجابر هلابكرا تداعبها وفيه اشارة الى ملاعبة صغارهم فعن انس انه عليه الصلوة والسلام دخل على ام سليم فرأى اباعمير حزينا فقال ياام سليم مابال ابى عمير حزينا قالت يارسول الله مات نغيره الذى كان يلعب به فقال عليه الصلوة والسلام ابا عمير مافعل النغير رواه الترمذى اوالمراد بها ممازحته ومطايبته ومنه قول عمر وقد ذكر عنده على للخلافة ولا دعابة فيه فتحصل ان الدعابة اعم من الممازحة (لبسط امته معه) اى لانبساطهم معه اولانبساطه معهم وانشراح صدر وطيب خاطر فيما بينهم تأنيسا لهم ببشاشة ملاقاة وطلاقة وجه وحلاوة مكالمة (وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته) قال الدلجى من بيانية لاتبعيضية واقول الاظهر الثانى لان مزاحه عليه الصلوة والسلام لم يكن مع جميع اصحابه الكرام (وتأكيدا فى تحبيبهم) ويروى فى تحبيبهم اى فى محبتهم فيه وميلهم اليه (ومسرة نفوسهم) اى فرحها حال حضورهم لديه صلى الله تعالى عليه وسلم (كقوله) لبعض اصحابه على مارواه ابو داود والترمذى وصححه عن انس رضى الله عنه (لاحملنك على ابن الناقة) ولفظ الترمذى ان رجلا استحمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى حاملك على ولد الناقة وروى ابن سعد باسناده ان ام ايمن جاءت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت احملنى فقال احملك على ولد الناقة فقالت انه لايطيقنى فقال لااحملك الا على ولد الناقة والا بل كلها اولاد النوق فدل على تعدد الواقعة فقال يارسول الله مااصنع بولد الناقة فقال عليه الصلوة والسلام وهل تلد الابل الا النوق (وقوله) فيما رواه ابن ابى حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهرى (للمرأة التى سألته عن زوجها اهو الذى بعينه بياض وهذا اى ماقاله عليه الصلوة والسلام مداعبة (كله صدق لان كل جمل) صغيرا كان اوكبيرا هو (ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض) اى قليل غالبا (وقد قال عليه الصلوة والسلام) اى حين قالوا يارسول الله انك تداعبنا (انى لامزح ولااقول الاحقا) رواه الترمذى وقال العلماء المباح من المزاح هو الذى يفعل على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب وهذا القدر هو المستحب وهو الذى كان يفعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما الذى فيه افراط مما يورث الضحك

وقسوة القلب والشغل عن ذكر الله تعالى وامور الدين و يؤل فى كثير من الاوقات الى الايذاء و يورث الاحقاد فهو منهى عنه (هذا) اى مزاحه (كله فيما بابه الخبر) بمعنى الاخبار (فاما مابابه غير الخبر مما صورته صورة الامر) باللام او بالصيغة (والنهى) اى صورة النهى للغائب والحاضر ولو (فى الامور الدنيوية فلا يصح) القول بصدوره (منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشئ او ينهاه عنه وهو يبطن) اى يضمر (خلافه) جملة حالية (وقد قال عليه الصلوة والسلام ما كان) اى ماصح وما استقام (لنبي ان تكون له خائنة الاعين) اى ايماؤه بها على وجه الخيانة وقد قال تعالى يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور اى مايسترق من النظر الى مالايحل وقيل هو النظر لريبة وما تخفى الصدور من خبث النية وفساد الطوية والخائنة اسم فاعل اومصدر بمعنى الخيانة اى مايخان به كالعافية بمعنى المعافاة وعن الشيخ ابى الحسن الشاذلى خائنة الاعين النظر لمحاسن المرأة وما تخفى الصدور حب مواقعتها وفى بعض الكتب المنزلة من قول الله عز وجل انا مرصاد لهم انا العالم بجال الكفر وكسر الجفون اى من البصر وسبب ورود الحديث انه عليه الصلوة والسلام لما كان يوم فتح مكة آمن الناس الاجماعة منهم عبد الله ابن ابى سرح فاختبأ عند عثمان رضى الله عنه وكان اخاه لامه فلما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبي الله بايع عبدالله فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ذلك ثم اقبل على اصحابه فقال اماكان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حيث رآنى كففت يدى عن مبايعته فيقتله فقالوا ما ندرى يارسول الله مافى نفسك الا اومأت الينا بعينك قال انه لاينبغى ان يكون لنبي خائنة الاعين رواه ابو داود والنسائى من حديث سعد بن ابى وقاص واختلف فى المراد بخائنة الاعين كما قاله ابن الصلاح فى مشكله فقيل هى الايماء بالعين وقيل مسارقة النظر وعبارة الرافعى هو الايماء الى مباح من ضرب اوقتل على خلاف ما يظهر و يشعر به الحال وانما قيل لها خائنة الاعين تشبيها بالخيانة من حيث انه يخفى خلاف ما يظهر واختاره النووى وقال كان يحرم ذلك عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يحرم على غيره الا فى محظور وقال صاحب التلخيص من الشافعية لم يكن له عليه الصلوة والسلام ان يخدع فى الحرب مستدلا بهذا الحديث وخالفه الجمهور وعلله الرافعى بانه اشتهر انه كان اذا اراد سفرا ورى بغيره وهو فى الصحيحين من حديث كعب بن مالك وصح انه عليه الصلوة والسلام قال الحرب خدعة وهو بفتح الخاء لغة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها لغات الاخر والفرق لهم ان الرمز يزرى بالرامز بخلاف الابهام فى الامور العظام وعبدالله هذا كان كاتبه عليه الصلوة والسلام فارتد ثم اسلم وحسن اسلامه ومات ساجدا والحاصل انه عليه الصلوة والسلام اذا لم يكن له خيانة الاعين فى الامر الظاهر (فكيف ان تكون له خيانة القلب) وهو بيت ارب الطيب الطاهر و يروى خائنة القلب (فان قلت فما معنى قوله تعالى فى قصة زيد) اى ابن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسم فى القرآن احد من الصحابة باسمه الا زيد هذا قيل وسر ذلك انه عليه الصلوة والسلام كان تبناه وكان يدعى زيد بن محمد فلما نزل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله اى اعدل واقوم قيل زيد بن حارثة فلما فاته شرافة عظيمة ونسبة وسيمة ابدله الله من ذلك ان سماه فى كتابه هنالك اشعارا بانه سماه فى ازاله فيصبر رفعة لمحله حيث جعل اسمه فى كتابه المسطور المحفوظ فى الصدور وقد قتل فى غزوة مؤتة شهيدا بعد ان عاش مدة مديدة فى خدمته عليه الصلوة والسلام سعيدا وكان عليه الصلوة والسلام خطب زينب بنت جحش الاسدية بنت عمة النبي عليه الصلوة والسلام لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراه فى الجاهلية فاعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يارسول الله فلا ارضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره اخوها عبدالله بن جحش فنزل قوله تعالى وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فلما سمعا ذلك رضيا بما هنالك وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وكان مرة معها فرآها عليه الصلوة والسلام مرة فوقعت فى نفسه عليه الصلوة والسلام فقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت تسبيحه فذكرته لزيد ففطن له ثم كره صحبتها ورغب عنها لاجله عليه الصلوة والسلام فقال ازيد ان افارقها فقال ارابك منها شئ قال لا والله ولكنها تتعاظم على بشرفها و تؤذينى بلسانها ثم طلقها فلما انقضت عدتها قال له عليه الصلوة والسلام ما اجد احدا اوثق فى نفسى منك اخطب لى زينب قال فانطلقت اليها فاذا هى تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى نفسى فلم استطع النظر اليها لرغبة

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل (واذ تقول للذي انعم الله عليه) بالاسلام الذي هو اجل انواع الانعام (وانعمت عليه) بالعتق والتبني المنبي عن كمال الاكرام (امسك عليك زوجك) اي اصبر عليها (الآية) اي واتق الله اي لا تطلقها فان الطلاق ابغض الحلال الى الله الملك المتعال وتخفي في نفسك ما الله مبديه اي شيء الله تعالى مظهره وتخشى الناس في مقالتهم باطلاق السنتهم وقال ابن عباس والحسن اي تستحيي منهم والله احق ان تخشاه وان لا تلتفت الى ما سواه (فاعلم اكرمك الله ولا تسترب) اي لا تكتسب ريبة ولا تشك (في تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي تبرئته (عن هذا الظاهر) كما بينه بقوله (وان يأمر زيدا بامساكها وهو) اي والحال انه (يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا المعنى ما حكاه اهل التفسير) كالبغوي وغيره (عن علي بن الحسين) اي ابن علي بن ابي طالب وهو الامام زين العابدين (ان الله تعالى كان اعلم نبيه عليه الصلوة والسلام ان زينب ستكون من ازواجه فلما اشكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه) وفي نسخة عنه (في نفسه) اي في باطنه استحياء منه مع كونه مباحا (ما اعلمه الله تعالى به من انه سيتزوجها مما الله مبديه) اي مبينه (ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها) مصلحة لعباده وحكمة في مراده المبين بقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له وتوضيح هذا الكلام وتصحيح هذا المرام ما ذكره البغوي في تفسيره انه روى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول ابو الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قلت لما ان جاء زيد الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبي الله اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك قال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك فان الله قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال اني اريد ان اطلقها قال امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى فقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلمه انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محبتها او طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله تعالى انها ستكون زوجة له وانما اخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التي تحتك في نكاحك ستكون امرأتي قال البغوي وهذا قول حسن مرضي وان كان القول الآخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو حسنة لا اثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلوة والسلام قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه تعالى لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله تعالى احق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء هذا وزين العابدين احد النظراء السبعة وهم كلهم مدنيون هو وعلي ابن عبد الله بن العباس وابان بن عثمان بن عفان وسالم بن عبد الله بن عمر وابو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف وابو بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم وعبد الله بن هرمز الاعرج (وروى) وفي نسخة وذكر (نحوه عن عمرو بن فائد) بالفاء في اوله ودال مهملة في آخره وهو ابو علي الاسواري قال الدارقطني متروك وقال ابن عدي منكر الحديث وقال العقيلي كان يذهب الى القدر والاعتزال ولا يقيم الحديث (عن الزهري) هو ابن شهاب تابعي جليل (قال نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك) اي تزوجها (الذي اخفى في نفسه) واعلم ان في ازواجه عليه الصلوة والسلام زينب اخرى هي بنت خزيمة بن الحارث تسمى ام المساكين تزوجها عليه الصلوة والسلام في شهر رمضان على رأس احد وثلاثين شهرا من الهجرة ومكثت عنده ثمانية اشهر وتوفيت على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة وصلى عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودفنها بالبقيع ولذا قيد زينب في الاصل بقوله بنت جحش فان الآية نزلت فيها (ويصحح هذا) المروي عن الزهري (قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا) اي ما يصحح (ان الله تعالى لم يبد من امره) اي لم يظهر من شانه (معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه الصلوة والسلام مما كان اعلمه به تعالى) اي لا غيره (وقوله) اي ويوضح هذا ايضا قوله (تعالى في القصة) هذه (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله) اي قدره (له) وقضاه واوجبه وامضاه (سنة الله) اي سن سنة مؤكدة وقضية مؤيدة (الآية) اي في الذين خلوا من قبل اي مضوا من

قبله من ارباب النبوة واصحاب الرسالة حيث اباح لهم كثرة النساء فكان لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة امرأة وتسعمائة سرية وكان امر الله قدرا مقدورا اى قضاء مقضيا وامرا مقطوعا (فدل) اى قوله ما كان على النبي من حرج (انه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لم يكن عليه حرج) اى ضيق واثم (فى الامر) اى المفروض له عما الاثم بتركه (قال الطبرى) وهو الامام محمد بن جرير (ما كان الله ليؤثم) بتشديد المثلثة اى ينسب الى الاثم (نبيه فيما احل له مثال فعله) اى مثل فعل الله (لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله) اى شرع طريقته واظهر شريعته (فى الذين خلوا) اى مضوا (من قبل) اى من قبلك (اى من النبيين فيما احل لهم) من نكاح وغيره (ولو كان) اى ما اخفاه (على ماروى فى حديث قتادة) كما رواه عبد بن حميد عنه (من وقوعها) اى من وقوع محبة زينب (من قلب النبي صلى الله عليه وسلم) اى فى خاطره (عند ما اعجبته) اى رؤيتها (ومحبته) اى ومن محبته (طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج) وهذا يندفع بما سبق وبما سيأتى بعد ايضا (ومالايليق) اى ولكان فيه مالاينبغى (له من مدعينيه) اى طمحها وفى نسخة من مدعينه (لما نهي عنه) وفى رواية الى ما نهى عنه (من زهرة الحياة الدنيا) وفيه بحث اذ المراد بها زينتها المذمومة وبهجتها الملومة (ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لايرضاه ولايتسم) اى لايتصف (به الاتقياء فكيف سيد الانبياء) اقول هذا ليس بحسد اصلا لانه عليه الصلوة والسلام هو الذى اختارها له اولا ثم لما قدره الله وقضاه وقلب قلب نبيه بما كتب عليه وامضاه حين رأها واعجبته اراد عنها وجهه وقال سبحان مقلب القلوب تعجبا مما وقع له فى صورة مايبعد صدوره عن غيره من الذنوب وخطر بباله ان زيدا لوطلقها لادخلها فى حباله ومع هذا جاهد نفسه ولم يظهر باطن حاله وامره بامساك امرأته فى استقباله رعاية لحسن مآله ولكنه سبحانه وتعالى كما انه قلب قلب نبيه الى محبتها قلب قلب صاحبه الى كراهتها ليقضى الله امرا كان مفعولا (قال القشيرى) وهو الامام المفسر صاحب الرسالة وغيرها (وهذا) اى القول بوقوعها من قلبه ومحبة طلاق زيد لها (اقدام عظيم) اى جراءة كبيرة (من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبفضله فكيف يقال رأها فاعجبته وهى بنت عمته) اى امية بنت عبد المطلب (ولم يزل) اى دائما (يراها منذ ولدت) اى من ابتداء ماولدت الى انتهاء ما كبرت (ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل زواجها فقد روى ان آية الحجاب نزلت حين تزوج زينب واولم فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين فخرج عليه الصلوة والسلام من منزله ثم رجع ليدخل وهم جلوس وكان عليه الصلوة والسلام شديد الحياء والحديث مروى فى الصحيحين (وهو زوجها لزيد) وفيه بحث اذ لا مانع من انه كان يراها وما تعجبه ثم رأها فاعجبته ليقضى الله امرا كان مفعولا وهذا لاينافى قوله (وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى) بفوقية فموحدة مفتوحة فنون مكسورة مشددة (وابطال سببه) بموحدتين وفى نسخة سنته بنون ففوقية اى طريقته حسب عادته (كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم) اى حقيقة (وقال) اى وفع ما وقع (لكيلايكون على المؤمنين حرج) اى شك وشبهة وضيق وتهمة (فى ازواج ادعيائهم) جمع دعى وهو المدعو بالابن وفى معناه المدعو بالاب والاخ والجد والام والاخت والبنت فانه لايحرم شيئا (ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندى فان قيل فما الفائدة فى امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بامساكها فهو) اى فجوابه وفى نسخة فهى اى فائدة امره بالامساك (ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته) اى فى آخر الامر (فنهاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلاقها اذلم يكن بينهما) اى بين زيد وزوجته (الفة) الظاهر ان اذ تعليلية وحينئذ لم يتبين وجهه وكذا اذا كانت ظرفية فالاولى ان يحمل نهيه عن طلاقها لكونه عليه الصلوة والسلام شارعا وقد قال ابغض الحلال الى الله الطلاق فلايناسبه ان يأمره بالفراق ولا يبعد ان يقدر امسك عليك زوجك بمعروف اوسرحها بمعروف كما قال تعالى فامسكوهن بمعروف اوفارقوهن بمعروف ولعله كان يرجو ان الله تعالى يصلح بينهما وان يقلب قلبه عليه الصلوة والسلام عن محبتها وارادة تزوجها فلاينافى ماقررنا قوله (واخفى فى نفسه ما اعلمه الله تعالى به) من انها ستصير زوجته ان شاء الله وايضا لو امره بطلاقها لصارت سنة لمن بعده فى من تبناه بالنسبة الى زوجته اومطلقا لكل خليفة اوقاض ونحوهما ولايخفى ماينفرع عليه من الفساد ويفوت طريق السداد (فلما طلقها زيد خشى قول الناس) اى استحيى منه اوخاف تزلزل امر الامة على الاطلاق اوكلام اهل النفاق (يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزوجها) ويروى بتزويجها بل زوجها الله تعالى كما قال فلما قضى زيد منها وطرا اى حاجة بحيث ملها ولم يبق له حاجة فيها وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها (ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) اى دخلوا عليهن يعنى لئلا يظن ان حكم الادعياء حكم الابناء فانه جاز ان يتزوج موطوءة دعيه بخلاف موطوءة ابنه والظاهر انه لمسها لكن روى عن زينب انها قالت ما كنت امتنع عنه غير

ان الله تعالى منعى منه (وقد قيل كان امرء لزيد بامساكها قمعا للشهوة) اى منعها (ورد الانفس عن هواها) وانتظارا لرفع هذا الخاطر عنها (وهذا) القيل انما يعتبر (اذا جوزنا عليه) اى حملنا امره على (انه رآها فجأة) بفتح فسكون فهمزة و بضم ففتح فالف بعدها همزة لغتان وقيل الاول مصدر للمرة والثانى مصدر فجأة اذا جاءه بغتة (واستحسنها) اى واحبها (ومثل هذا) اى ماذكر من رؤيته اياها فجأة واستحسانها بغتة (لانكرة فيه) بضم نون فسكون كاف كذا فى النسخ وقال الدلجى بالتحريك اسم من الانكار كالنفقة من الانفاق وهو كذلك فى القاموس وفيه ايضا ان النكر بالضم و بالضمتين المنكر انتهى وقد قرئ لقد جئت شيئا نكرا بهما فى السبعة (لما طبع عليه ابن آدم) اى خلق وجبل (من استحسانه للحسن) بفتحتين او بضم فسكون اى ميل طبعه الى الامر المستحسن (ونظرة الفجأة معفو عنها) جملة حالية (ثم قمع نفسه عنها) اى عن رؤيتها فصد (وامر زيدا بامساكها) لزيادة قمعها او لانتظار رفعها (وانما تنكر تلك الزيادات التى) ذكرها بعض المفسرين (فى القصة) من انه عليه الصلوة والسلام اخفى عنه تعلق قلبه بها وارادة مفارقته لها (والتعويل) اى المعول عليه (والاولى) مما ينسب اليه (ماذكرناه) وفى نسخة والتعويل على ماذكرناه (عن على بن الحسين) على ما حررناه (وحكاه) اى ومارواه (السمرقندى) كما سبق عنه (وهو قول ابن عطاء وصححه) وفى نسخة واستحسنه (القاضى القشيرى) سبق انه غير الامام القشيرى (وعليه عول) اى وعلى ماذكر اعتمد (ابو بكر بن فورك وقال انه) اى ماعول عليه ابن فورك (معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال) اى ابن فورك (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه) اى مبرأ (عن استعمال النفاق فى ذلك) باخفائه خلاف ما يعلن واظهاره خلاف ما فى نفسه هنالك (وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبى من حرج) اى بأس بل له سعة (فيما فرض الله له) اى قدره وقضاه او اوجب عليه فعله وامضاه (وقال) اى ابن فورك (ومن ظن ذلك) اى ارادة مفارقتها (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اخطأ خطأ بينا) وفيه بحث لانه عليه الصلوة والسلام اذا اعلمه الله تعالى بالوحى او الالهام انها ستصير زوجته فى بقية الايام فلا مانع من ان يريد مفارقتها وفق ارادة الملك العلام (وليس معنى الخشية هنا) اى فى قوله تعالى وتخشى الناس (الخوف) اى من ملامتهم لعدم مبالاته بهم (وانما معناه) اى اللفظ او ماذكر وروى معناها اى اللفظة او الخشية (الاستحياء) اى ان يستحيى منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء جهلا منهم ان المراد بالابناء ابناء الاصلاب كما بينه تعالى بقوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم (وان) اى وانما معناه ايضا ان (خشيته عليه الصلوة والسلام من الناس كانت) اى حذرا (من ارجاف المنافقين واليهود) اى اخبار سوء وتزلزل (وتشغيبهم) اى بايقاع شر وفتنة (على المسلمين) بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان (فعتبه الله تعالى على هذا) اى على استحيائه منهم (ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له) من نكاح زوجة دعيه (كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه فى سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الآية) اى تبتغى مرضاة ازواجك والله غفور رحيم وقد ورد انه عليه الصلوة والسلام شرب عسلا عند زينب فتواطأت عايشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك رايحة مغافير فقال انما شربت عند زينب عسلا فقالتا جرست نحله العرفط فحرم شربه فلاطفه ربه بقوله يا ايها النبى لم تحرم الآية (وكذلك قوله هنا) ملاطفة له على منعه من مراعاة الناس والتفاته اليهم (وقد روى) كما فى جامع الترمذى وقد رواه ابن جرير وغيره ايضا (عن الحسن) اى البصرى رحمه الله فانه المراد عند المحدثين حال اطلاقه (وعايشة) كان المستحسن تقديم عايشة على الحسن (لو كتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من الوحى) اى مما يوحى اليه (لكتم هذه الآية) اى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه (لما فيها من عتبه) اى عتابه عليه (وابداء ما اخفاه) اى واظهار ما كتمه اليه

﴿فصل﴾

(فان قلت قد تقررت عصمته عليه الصلوة والسلام فى اقواله وفى جميع احواله) المشتملة على افعاله (وانه لا يصح منه فيها خلف) لقوله من كذب (ولا اضطراب) اى تردد من ريب (فى عمد) اى قصد (ولا سهو) اى خطأ ونسيان نشأ عن ذهول وغفلة (ولا صحة) اى فى حال عافية (ولا مرض) اى علة (ولا جد) بكسر الجيم ضد الهزل (ولا مزح ولا رضى) اى حال شرح وفرح (ولا غضب) اى حال ضيق خلق وكراهية نفس وكرر لا تأكيد النفى ماذكر من انفراد كل من ذلك كما يقتضيه عصمته هنالك (ولكن مامعنى الحديث) الذى رواه الشيخان والنسائى ايضا (فى وصيته عليه الصلوة والسلام الذى حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله) وهو ابن سكرة (قال ثنا القاضى ابو الوليد) اى الباجى

(ثنا ابوذر) اى الهروى (ثنا ابو محمد) اى ابن حمويه السرخسى (وابو الهيثم) اى الكشميهنى (وابو اسحق) اى المستملى (قالوا) ثلاثتهم (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسمعيل) اى الامام البخارى (ثنا على بن عبدالله) اى ابن جعفر بن نجيح ابن المدينى الحافظ قال شيخه ابن مهدى على بن المدينى اعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة وقال ابن عيينة تلوموننى على حب على بن المدينى والله لانعلم منه اكثر مما تعلم منى وكذا قال يحيى ابن القطان فيه وقال امام هذه الصناعة البخارى مااستصغرت نفسى الا بين يدى على قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشان مات بسامرا سنة اربع وثلثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة والمدينى نسبة الى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن الاثير فى كتابه والاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى والاقل مدينى واما المدينى فنسبة الى اماكن وساق سبعة اماكن وفى الصحاح المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور وعن ابن الصلاح ان المدينى نسبة الى مدينة اصبهان (ثنا عبدالرزاق عن همام عن معمر) قال الحلبى هكذا فى كثير من النسخ والصواب مافى بعضها وهو عبد الرزاق ابن همام اوعبد الرزاق عن معمر لان عبدالرزاق لايروى عن همام واسم ابيه همام ويروى عن معمر وهو بفتح الميمين وسكون العين المهملة ابن راشد (عن الزهرى) اى ابن شهاب (عن عبيد الله بن عبدالله) اى ابن عتبة الفقيه الاعمى يروى عن عائشة وابى هريرة وجماعة وهو معلم عمر بن عبدالعزيز وكان من بحور العلم مات سنة ثمان وتسعين وعبيدالله هذا احد الفقهاء السبعة (عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول اى احتضر والمعنى قرب اجله (وفى البيت رجال) اى من قرابته وصحابته جملة حالية (قال هلموا) اى تعالوا وهو لغة اهل نجد وتميم فانهم يثنون ويجمعون ويؤنثون واما اهل الحجاز فيستوى الكل عندهم ومنه قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا (اكتب) بصيغة المتكلم مجزوما على جواب الامر وفى نسخة بالرفع اى انا اكتب (لكم كتابا) يعنى آمر ان يكتب احد لكم مكتوبا فيه بيان مهمات الدين للامة اومحل الخلافة دفعا للمنازعة وفيه ان هذا غير محتاج الى الكتابة (لن تضلوا بعده) اى بعد العمل به ويروى بعدى (فقال بعضهم) وهو عمر رضى الله تعالى عنه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث) اى وعندنا كتاب الله تعالى حسبنا كتاب ربنا وهو بسكون السين اى كافينا (وفى رواية ائتونى) اى احضرونى (اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى) وفى نسخة بعده (ابدا فتنازعوا فقالوا) اى بعضهم كما فى البخارى (ماله اهجر) ويروى فقالوا اهجر وهو بفتحات على ان الهمزة للاستفهام الانكارى من الهجر بضم الهاء بمعنى الهذيان فى حال المرض والغشيان على من توقف فى امتثال امره عليه الصلوة والسلام بالكتابة والمعنى لم يختلف كلامه ولم يتغير من الوجع مرامه كما يقع للمرضى ممن لايرتبط نظامه (استفهموا) بكسر الهاء اى استخبروا القائل بمنعه اوالنبى عليه الصلوة والسلام عما اراده افعله اولى ام تركه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعونى) اى اتركونى فى حالى وترك مقالى (فالذى انا فيه) من مراقبة ربى ومحاسبة قلبى (خير) مما انتم فيه من تنازع وضبر ولعله عليه الصلوة والسلام ظهر له فى رأيه اواوحى اولا ان الخير فى كتابته فهم بها ثم تبين له اواوحى اليه ان الخير فى تركها فتركها (وفى بعض طرقه) كما فى مستخرج الاسمعيلى من طريق ابن خلاد عن سفيان (فقال) اى قائل (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يهجر) بكسر الجيم مع فتح اوله بتقدير استفهام انكار (وفى رواية) كما فى البخارى (هجر) اى اهجر قال ابن الاثير اى هل تغير كلامه واختلط لاجل مابه من المرض مرامه وهذا احسن ماقيل ولايصح ان يجعل اخبارا فيكون من الفحش والهذيان والقائل كان عمر رضى الله عنه ولايظن به ذلك انتهى (ويروى اهجر) بهمزة الاستفهام وضبط فى نسخة بضم الهاء وكسر الجيم اى اترك امر كتابته وفى اخرى بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح الجيم يقال اهجر فى منطقه اذا افحش واكثر فى كلامه فالاستفهام مقدر فى الكلام (ويروى اهجرا) بهمزة الاستفهام وضم هاء وسكون جيم منصوبا والتقدير ليهجر هجرا يعنى لاوقد افرد ابن دحية تأليفا فى اختلاف الرواة فى هذه اللفظة (وفيه) اى وفى الحديث من بعض طرقه (فقال عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط) بفتحتين وهو اختلاف الاصوات والكلام بحيث لم يتميز فيه الصواب والغلط (فقال قوموا عنى وفى رواية واختلف اهل البيت) اى حاضروه من اهل البيت وغيرهم (واختصموا) اى تنازعوا واختلفوا (فمنهم من يقول قربوا) اى كاتبا (يكتب لكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يملى لاجلكم (كتابا) فيه ذكركم (ومنهم من يقول ماقال عمر) اى عندنا كتاب الله حسبنا مقتبسا من قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وهذا من عمر مؤذن بحسن نظره وصحة فكره ولذا وافقه عليه الصلوة والسلام واعرض عن كلام غيره من الانام ولايعارضه قول ابن عباس ان الرزية

كل الرزية ماحال بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بين ان يكتب لان عمر كان افقه من ابن عباس لعلمه بان الله تعالى قد اكمل دينه ورسوله قد بلغ امره ثم الخير فيما اختاره الله وقدره (قال ائمتنا) اى المالكية والاشعرية اواهل السنة والجماعة (فى هذا الحديث) اى حديث ابن عباس (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من الامراض) اى العارضة على ظاهره دون باطنه كغيره من الانبياء (ومايكون من عوارضها من شدة وجع وغشى) بفتح وسكون اى اغماء (ونحوه) اى ماذكر (مما يطرأ) اى يقع ويحدث (على جسمه) اى ظاهر جسده (معصوم ان يكون منه) اى يصدر عنه (من القول) مما لاينبغى (اثناء ذلك) اى فى خلال ذلك المرض العارض هنالك (ما) موصولة اوموصوفة (يطعن فى معجزته و يؤدى الى فساد شريعته من هذيان) بفتحتين اى كلام مهجور فى حال منام (اواختلال) بنقصان اواختلاف (فى كلام وعلى هذا) القول بعصمته مما ذكر فى حال نبوته (لايصح ظاهر رواية من روى فى هذا الحديث هجر) بصيغة الاخبار الا اذا قدر له استفهام الانكار (اذ معناه هذى) اى اكثر كلامه بلا جدوى (يقال هجر هجرا) بفتح فسكون اذا هذى (واهجر) بفتح فسكون (هجرا) بضم فسكون (اذا افحش) اى اتى بكلام بقبيح ذكره (واهجر) بفتح الهمزة وسكون الهاء (تعدية هجر) وهذا وهم من المصنف والصواب انهما لغتان وفى معناهما متقاربان وانهما لازمان لايتعديان وقد قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى سامرا تهجرون فالجمهور بفتح اوله وضم جيمه على انه بمعنى الهذيان ومنه الهجر بالضم الفحش وقرأ نافع بضم اوله وكسر جيمه من اهجر اذا افحش للمبالغة فزيادة المبنى لزيادة المعنى (وانما الاصح والاولى) اى فى هذا المقام الاعلى (اهجر على طريق الانكار) بزيادة الاستفهام اخراجا له من صيغة الاخبار ومحط الانكار (على من قال لايكتب) اى لايحتاج الى الكتابة لتمام علم الامة بامر الديانة حتى قضية الامارة بامارة نصب الامامة (وهكذا) اى لفظ اهجر مع الاستفهام (روايتنا فيه) اى فى الحديث المروى (فى صحيح البخارى من رواية جميع الرواة) اى رواة هذا الحديث من الطرق الواقعة (فى حديث الزهرى المتقدم) اى المروى فى صحيح البخارى (وفى حديث محمد بن سلام) بتخفيف اللام وقد تشدد وهو البيكندى الحافظ شيخ البخارى (عن ابن عيينة) وهو سفيان والا فابن عيينة عشرة منهم خمسة لهم رواية واجلهم فى العلم سفيان فهو المراد به عند الاطلاق لانه الفرد الاكمل فتأمل (وكذا) اى اهجر بفتحات مع همزة انكار (ضبطه الاصيلى) وهو بفتح الهمز وكسر الصاد (بخطه فى كتابه) اى لابهمز وسكون هاء كما ضبطه غيره وان اراد ان الاستفهام مقدر لكن الاول هو الاظهر فتدبر (وغيره) اى وكذا ضبطه غير الاصيلى من الرواة (من هذه الطرق) و يروى من هذا الطريق اى من اهل هذا الاسناد المنتهى الى الزهرى المروى فى صحيح البخارى (وكذا) اى بفتحات وهمزة انكار (رويناه) وفى نسخة بصيغة المجهول مخففا وفى اخرى مشددا وفى اخرى روايتنا (عن مسلم فى حديث سفيان) اى ابن عيينة (وعن غيره) اى وكذا رويناه عن غير مسلم فهو اصح من رواية هجر على ظاهر الاخبار وكذا اصح من رواية اهجر بفتح الهمزة وسكون الهاء لان كلا منهما يحتاج الى تقدير همزة الانكار على من قال لا يكتب اى كيف يترك امره فى مرامه ويجعل كمن هجر فى كلامه وهو محفوظ فى اعلى مقامه واما قول عمر عندنا كتاب الله تعالى حسبنا فهو انما كان ردا على من نازعه لاردا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم والحاصل انه رضى الله تعالى عنه كان فى حزب يقولون لا احتياج الى الكتابة والله اعلم (وقد يحمل عليه) اى على لفظ اهجر انكارا (رواية من رواه هجر) اخبارا (على حذف الف الاستفهام) جمعا بين الروايتين فى مقام المرام (والتقدير اهجر) بفتحات وكذا اهجر (اوان يحمل قول القائل هجر) بفتحات (اواهجر) بفتح فسكون على ظاهره من الخبر الا انه وقع ذلك (دهشة) اى وحشة اوغفلة (من قائل ذلك وحيرة) توجبها هيبة (لعظيم ماشاهد من حال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مرضه (وشدة وجعه) وحصول غشيانه الموهم لوقوع هذيانه (وهول المقام الذى اختلف فيه عليه) بامتثاله وامتناعه تهوينا له به مع تسليم الحكم اليه (والامر) اى وهول الامر (الذى هم) اى اهتم (بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه) اى فى كلام نفسه (واجرى الهجر) بالضم الفحش وبالفتح الهذيان (مجرى) بضم الميم وبفتح اى موضع (شدة الوجع) فى مرضه (لانه) اى القائل (اعتقد انه يجوز عليه الهجر) بالضم اوالفتح (كما حملهم الاشفاق على حراسته) اى محافظته ورعايته (والله) اى والحال انه سبحانه وتعالى (يقول والله يعصمك من الناس) اى ولو لم يحفظك الناس فانهم كانوا يعدون تلك الحراسة عبادة وطاعة و يغتنمون الحضور بين يديه ولوساعة (ونحو هذا) من اشفاقهم عليه حين وقوع غضب واعراض لديه تمنيهم انه لوسكت مع كمال ميلهم اليه (واما رواية اهجرا) و يروى واما على رواية اهجرا وهو بفتح الهمزة وضم الهاء وهو بالنصب منونا على ان يكون مصدر الهجر يهجر اواسما من الاهجار (وهى رواية ابى اسحق المستملى) بميم مضمومة فسين مهملة ساكنة احد رواة البخارى (فى الصحيح فى حديث ابن جبير) وهو سعيد (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه من

رواية قتيبة) اى ابن سعيد احد شيوخ البخارى (فقد يكون هذا) اى قوله اهجرا (راجعا الى المختلفين) و يروى عن المختلفين (عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم) انكارا عليهم (اى جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بين يديه) اى والحال انكم بين يديه (هجرا) اى مايجب عليكم ان تهجروه (ومنكرا من القول) اى ماينبغى لكم ان تتركوه (والهجر بضم الهاء الفحش فى المنطق) ولايتصور ان احدا من الصحابة يخاطبه عليه الصلوة والسلام بمثل هذا الكلام فى مقام الملام وهذا ما يتعلق بالفاظ هذا الحديث ومبناه ومجمل ما يتعلق بفحواه ومقتضاه (وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث) اى حديث هلموا اكتب لكم (وكيف اختلفوا بعد امره لهم ان يأتوه بالكتاب) الموصوف بانهم لن يضلوا بعده فى هذا الباب (فقال بعضهم) اى بعض العلماء (اوامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها) تارة و (من اباحتها) اخرى (بقرائن) قالية اوحالية يدركها ارباببها (فلعله) اى الشان (قد ظهر من قرائن قوله عليه الصلوة والسلام لبعضهم) اى من الصحابة الحاضرين (مافهموا انه لم يكن منه) اى من جانبه (عزمة) اى امر عزيمة (بل امر) اى على وجه خير (رده الى اختيارهم) ولايبعد انه كان لظهور امرهم فى مقام امتحانهم واختبارهم (و بعضهم لم يفهم ذلك) لقصور فهمه ادراك حقيقة ماهنالك (فقال) اى ذلك البعض لبعض منهم (استفهموه) اى استخبروه حتى يتبين لكم ماتستبهمونه (فلما اختلفوا اى كلهم ولم يستقر على شئ رأيهم (كف عنه) اى اعرض عن امره (اذ لم يكن عزمة) فى حكمه اذ لوكان عزيمة لما تركها (ولما) اى ولاجل ما (رأوه) اى كلهم اواكثرهم ومنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من صواب رأى عمر) ثم هؤلاء) اى العلماء (قالوا ويكون امتناع عمر) على وجه حكمة يظهر (اما اشفاقا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى خوفا عليه (من تكليفه) اى تحمله (فى تلك الحال املاء الكتاب) اى كلفته ومحنته (وان يدخل) بصيغة الفاعل او المفعول مذكرا اومؤنثا اى يحمل (عليه مشقة من ذلك) الاملاء الكتابة (كما قال) اى عمر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشتد به الوجع) فلاينبغى ان يكلف املاء كتاب كتاب الله حسبنا (وقيل خشى عمر ان يكتب امورا اى احكاما (يعجزون عنها) اى عن القيام بها (فيحصلون فى الحرج بالمخالفة) اى فيقعون فى الاثم بترك الموافقة (ورأى) اى عمر (ان الاوفق) وفى نسخة الارفق (بالامة فى تلك الامور) اى المجملة المقدرة (سعة الاجتهاد وحكم النظر) اى التأمل فى ظهور المراد (وطلب الصواب فيكون المصيب) لحكم الشرعى (والمخطئ) بعد مراعاة شرعه المرعى (مأجورا) فللمصيب اجران وللمخطئ اجر واحد (وقد علم عمر تقرر الشرع) اى شرع هذه الامة و يروى الشريعة (وتأسيس الملة) برسوخ قواعده وثبوت دعائمه (وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم) واتممت عليكم نعمتى وهذا معنى قوله حسبنا كتاب ربنا (وقوله) اى وعلم ايضا قوله عليه الصلوة والسلام (اوصيكم بكتاب الله تعالى) اى بمافيه ممايتعلق باعتقاده و باوامره ونواهيه ومعرفة حلاله وحرامه وما يترتب على اجتهاده (وعترتى) اى اهل بيتى كما فى رواية والمراد به اقاربه من عشيرته واهل بيته من ازواجه وذريته وقيل المراد بعترته من يتتبع اخباره وآثاره من سيره وسيرته فكانه قال اوصيكم بالكتاب والسنة ولعل تخصيص العترة لانهم اقرب الى مشاهدة افعاله فى الجلوة والخلوة واما على التفسير الاول فالعمل بالسنة يؤخذ من الكتاب ايضا لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله (وقول عمر) مبتدأ مقوله (حسبنا كتاب الله) اى كافينا خبره (رد على من نازعه) اى خالفه فى امر الكتاب و على ما رأه عمر ان تركه هو الصواب فى مقام فصل الخطاب (لا ردا منه) اى من ابن الخطاب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)لانه لايتصور منه مثله فى هذا الباب (وقد قيل حسى عمر تطرق المنافقين) اى توصلهم (ومن فى قلبه مرض) اى شك وترددا وحقد وحسد (لما كتب) اى حين كتب اولاجل ما كتب (ذلك) وفى نسخة فى ذلك (الكتاب) اى المكتوب (فى الخلوة) اى فى الحجرة الشريفة (ان يتقولوا) اى يتكلفوا (فى ذلك) اى فى جملة ذلك الكتاب (الاقاويل) الباطلة افتراء من عند انفسهم المهلكة فى الضلالة (كادعاء الرافضة الوصية) بالخلافة لعلى كرم الله وجهه قدحا فى اكابر الصحابة بل فى على نفسه اذ لم يقم بالامر الموصى به (وغير ذلك) مما لا اطلاع لنا على ماهنالك (وقيل انه) اى قوله لهم هلموا (كان من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المشورة) بفتح فسكون ففتح وفى نسخة بضم ثانيه وسكون واوه وقيل لايصح هذا اى المشاورة (والاختبار) اى الامتحان ليظهر منهم حسن الاختيار (هل يتفقون على ذلك فيكتب لهم (ام يختلفون) فيتركه (فلما اختلفوا تركه) و يروى تركهم ولايبعد ان يكون الامتحان ليعلم انهم الى الآن محتاجون الى الكتاب والبيان اوهم متيقنون فى احكام الاديان ولايفتقرون الى زيادة التبيان فلما تبين من كلام عمر ومن تبعه انهم فى مقام العيان وفى غاية من كمال الايمان وجمال الايقان والاتقان من منازل

الاحسان ترك ما اراد كتابته مجملا لظهور امرهم مفصلا (وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث) المذكور (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب) اى فى قصده اوامره (لما طلب منه) بيان القال او بلسان الحال (لا انه ابتدأ بالامر به) من غير السؤال (بل اقتضاه) اى طلبه واستدعاه (منه بعض اصحابه) اى المخصوصين من اقاربه واحبابه (واجاب رغبتهم) واطاب طلبتهم (وكره ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها) عن عمر وغيره مما اقتضت حكمتهم فلما تعارضا تساقطا (واستدل) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى استدل القائل (فى هذه القصة) المشتملة على القصة (بقول العباس لعلى رضى الله تعالى عنهما انطلق بنا) اهل البيت اومعشر بنى هاشم الذين هم افضل من سائر قريش وقد ورد ان الخلافة فى قريش (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر) اى امر الخلافة بعده (فينا) خصوصا (علمناه) ولاينازعنا فيه احد (وكراهة على هذا) القول من عمه العباس (وقوله) لعمه (والله لا افعل الحديث) كما فى البخارى (واستدل) كما تقدم واغرب الدلجى حيث قال واستدل على (بقوله دعونى) اى اتركونى (فان الذى انا فيه خير) اى ان الذى انا فيه من الاعراض عن الدنيا والاقبال على العقبى والتوجه الى المولى خير وابقى مما تدعوننى اليه (من ارسال الامر) بلا كتابة (وترككم) اى وخير من ترك اياكم (و كتاب الله) اى معه اذ ربما اختلفتم فيه كما اختلف من قبلكم (وان تدعونى) بفتح الدال قال الدلجى عطف على دعونى والظاهر انه عطف على ترككم اى وان تركتم لى (مما طلبتم) ويروى من الذى طلبتم منى من كتابتى لكم كتابا خيرا ايضا هذا (وذكر) اى روى (ان الذى طلب) اى المطلوب (كتابته) خبران وقوله (امر الخلافة) منصوب على المفعولية (بعده) وكذا قوله (وتعيين ذلك) اى امر الخلافة وفى نسخة كتابة امر الخلافة بالاضافة وفى نسخة كفاية بدل كتابة فهى مرفوعة على انها اسم ان وكذا تعيين بالعطف عليها

﴿ فصل ﴾

(فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذى حدثناه الفقيه ابو محمد الخشنى) بضم الخاء وفتح الشين المعجمة (بقراءتى عليه ثنا ابو على الطبرى ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء (ثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم واللام (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح (ثنا قتيبة) اى ابن سعيد (ثنا ليث) وهو ابن سعيد (عن سعيد ابن ابى سعيد) هو المقبرى (عن سالم مولى النصريين) بالنون والصاد المهملة اى ابن عبد الله النصرى (قال سمعت اباهريرة رضى الله تعالى عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انما محمد) وفى نسخة ان محمدا (بشر يغضب كما يغضب البشر) وان كان غضبه لله بخلاف من سواه (وانى قد اتخذت عندك عهدا) يحتمل ان يكون اخبارا وان يكون ابتداء انشاء (لن تخلفنيه) اى ابدا فاسألك الوفاء بعهدك (فايما مؤمن آذيته) بنوع من الاذى (اوسببته) بلسانى (اوجلدته) اى ضربته بيدى او بامرى (فاجعلها) اى تلك الاذية اوالامور المذكورة (له كفارة) لذنبه كيلايقع فى الندامة (وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة) اى قربة رتبة ومكانة (وفى رواية) اى عن انس كما صرح به الحلبى فكان ينبغى من جهة الصناعة ان يقول وفى رواية الانس (فايما احد دعوت عليه دعوة) اى الى آخره (وفى رواية ليس) اى المدعو عليه (لها باهل) اى مستحق (وفى رواية فايما رجل من المسلمين سببته) اى شتمته (اولعنته) بلسانى اوطردته عن مكانى (اوجلدته) اى ضربته بالجلد وغيره (فاجعلها له زكاة) اى طهارة من سيئته او بركة فى معيشته (وصلوة) اى ووصلة لقربه (ورحمة) ينشأ منها نعمة (وكيف) اى على اى حال (يصح ان يلعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من لايستحق اللعن) اى عمدا وقصدا (ويسب من لايستحق السب ويجلد من لايستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم) بعناية الرب (عن هذا) الذى ذكر (كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله عليه الصلوة والسلام اولا ليس لها باهل اى عندك يارب فى باطن امره فان حكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر) من ان حاله (كما قال) فيما ورد عنه عليه الصلوة والسلام نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر (والحكمة التى ذكرناها) من احكامه انما كانت جارية على موجبات غلبات ظنه لتقتدى به امته فى حكمه (فحكم عليه الصلوة والسلام) فيما ظهر له من قرائن المقام (بجلده اواديه نسبه) اى بسبه (اولعنه) بصيغة المصدر اوالخبر (بما اقتضاه) من جواز ذلك (عنده حال ظاهره) بالرفع على انه فاعل لاقتضاه او بالنصب على الظرفية وفى نسخة عند حال ظاهره (ثم دعا عليه الصلوة والسلام) على وجه الابهام (لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين) اى شدة رأفته لخاصتهم وارادة نعمته لعامتهم (التى وصفه الله بها) اى فى قوله سبحانه وتعالى بالمؤمنين رؤف رحيم (وحذره) اى ولاحترازه (ان يتقبل الله فيما دعا عليه دعوته) اى فى دعوته عليه وفى نسخة فيمن دعا عليه دعوته على انها مفعول يتقبل وقوله

(ان يجعل) متعلق بقوله فيما سبق ثم دعا له اي بدل فادعا عليه ان يجعل (دعاءه) اى عليه (ولعنه له رحمة) نازلة عليه وواصلة اليه وحاصلة لديه (فهو معنى قوله) عليه الصلوة والسلام (ليس) اى المدعو عليه (لها باهل) ولذا ورد فى دعائه اللهم مالعنت من لعن فعلى من لعنت وما صليت من صلوة فعلى من صليت انت وليى فى الدنيا والآخرة (لا انه عليه الصلوة والسلام يحمله الغضب) اى يبعثه (و يستفزه) بتشديد الزاء اى و يستخفه (الضجر) بفتحتين ضيق الصدر وعدم الصبر (لان يفعل مثل هذا) الذى ذكر من اللعن والضرب والشتم (بمن) وفى نسخة لمن اى لاجل من (لايستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح) وفى المدعى صريح لاينبغى ان يفهم منه غيره (ولايفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب) الذى يعترى ابن آدم من ثور ان الدم وهو من خصال تذم (حمله على ما يجب) اى لاينبغى ان يفعله (بل يجوز ان يكون المراد بهذا) الذى ذكر من قوله اغضب كما يغضب البشر (ان الغضب لله) هو الذى (حمله على معاقبته بلعنه اوسبه) اوضربه اذورد كما مرانه ما انتقم رسول الله لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم له وقد قال له صحابى اوصنى يارسول الله فقال لا تغضب وكلما اعاد السؤال اجاب له بهذا الجواب فلا يتصور انه ينهى آحاد امته عن الغضب وهو على منوالهم يغضب (وانه) اى غضبه عليه الصلوة والسلام (مما كان يحتمل) تحمله من الخلق تواضعا مع الحق واختيارا لصفة الحلم الناشئ عن كمال العلم (و يجوز عفوه) عليه الصلوة والسلام (عنه) اى عن من عاقبه بلعن اوغيره من الايلام (اوكان) ذنب المغضوب عليه (مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه) وفى نسخة اوالعفو عنه ولكنه كان قد اختار المعاقبة لما رأى فيها من الحكمة والمصلحة (وقد يحتمل) اى دعاؤه عليه الصلوة والسلام لمن عاقبه (انه خرج مخرج الاشفاق) اى اظهار الشفقة او الخوف على من عاقبه بلعن اوغيره (وتعليم امته الخوف والحذر من تعدى حدود الله تعالى) شفقة منه عليهم ان يعاقب احدا منهم واحتراسا لهم مما يصدر عنهم (وقد يحمل ماورد من دعائه هنا) اى فى مواضع المعاقبة ومقام الغضب طلبا لرضى الرب (ومن دعواته على غير واحد) اى على كثيرين (فى غير موطن) اى فى مواضع كثيرة (على غير العقد) اى عقد القلب بالعزم (والقصد) اى قصد المعاقبة بالجزم (بل) كانت صادرة منه من غير الغضب (بما جرت) اى على وفق ماجرت (به عادة العرب) حيث لايريدون وقوع الامر وانما يقصدون به الادب او الملاحظة فى مقام الطلب اذ قد يشنعون اللفظ وكله ود و ينفونه وما من فعله بد يقولون للشئ اذا مدحوه قاتله الله ولااب له ولا ام له ولا يريدون به الذم وفى الحديث ويل امه مسعر حرب فلك ان تنظر الى القول وقائله والقرينة الدالة على حاله وما له بحسب اختلاف شمائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن فضرب الحبيب حلو كالزبيب بخلاف دعاء الرقيب (وليس المراد بها) اى بدعواته عليه الصلوة والسلام على غير واحد من الصحابة الكرام (الاجابة كقوله عليه الصلوة والسلام) فيما رواه الشيخان لعايشة وفى رواية لام سلمة (تربت يمينك) بكسر الراء اى خسرت وقيل امتلأت ترابا وقيل استغنت والظاهر ان اتربت بمعنى استغنت على ان الهمزة للسلب وروى يدك و يداك (ولااشبع الله بطنك) قاله لمعاوية لكن بلفظ لااشبع الله بطنه كما فى نسخة هنا وهو فى مسلم فى كتاب الادب من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال كنت العب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتواريت خلف باب فجاء فحطانى حطوة وقال اذهب فادع لى معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل قال ثم قال لى اذهب فادع لى معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل فقال لا اشبع الله بطنه زاد البيهقى فى الدلائل فما شبع بطنه ابدا وهذا يشير الى انه كان دعاء عليه وقد استجاب الله لديه (وعقرى حلقى) قاله لصفية بنت حيى بن اخطب فى حجة الوداع كما رواه الشيخان اى عقرها الله تعالى وحلقها اى عقر الله جسدها واصابها بوجع فى حلقها قيل وقد جعلها الله كذلك كذا رواه المحدثون غير منون لجريانه على مؤنث كغضبى والمعروف فى اللغة التنوين لانه من مصادر حذفت افعالها لفظا اى عقرها الله تعالى عقرا وحلقها حلقا و يقال للامر المتعجب منه عقرا حلقا وكذا للمرأة المؤذية المشومة وقيل يقال لطويلة اللسان وقيل عقرى عاقر لاتلد وقيل عقرا حلقا مصدران او الف للتأنيث وقد روت عايشة ان صفية حاضت ليلة النفر فقالت ما اراني الا حابستكم قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفرى (وغيرها من دعواته) مما لايريد هو وغيره اجابته كقول بعضهم انعم صباحا تربت يداك فانه دعاء له بقرينة ماقبله (وقد ورد فى صفته) اى نعته (فى غير حديث) اى فى احاديث كثيرة من شمائله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن فحاشا) اى منسوبا الى قول الفحش وفعله بل كان اقواله وافعاله كلها مستحسنة (وقال انس) كما رواه البخارى (لم يكن سبابا) اى كثير السب والشتم (ولافحاشا) وفى نسخة صحيحة ولا فاحشا وهو اولى صيانة لساحة رفيع جنابه ان يوجد نوع من الفحش فى بابه (ولالعانا) اى كثير اللعن (وكان يقول لاحدنا عند المعتبة) بفتح الفوقية و يكسر اى عند العتب فى مقام الادب

(ماله) وفى نسخة ماباله (ترب جبينه) وفى العدول عن الخطاب التفات حسن فى الاداب وقد قيل اراد به دعاء له بكثرة السجود و بتواضعه للرب المعبود وقيل يسقط فى الارض فيترب جبينه واما قوله لبعض اصحابه ترب نحرك فقتل شهيد فدعاء له لاعليه كما وهم الدلجي وقال فهو محمول على ظاهره واغرب منه قوله (فيكون حمل الحديث) اى حديث ترب جبينه (على هذا المعنى) من ان يقتل والصواب ان قوله فيكون حمل الحديث اى حديث تربت يمينك على هذا المعنى اى على معنى ترب جبينه اذ قوله ترب نحرك ليس مذكورا فى كلام المصنف فكيف يحمل عليه المعنى من غير ذكر المبنى ولا يبعد ان يراد بتربت يمينه وترب جبينه اختيار غاية الفقر ونهاية المسكنة لصاحبه كما يشير اليه قوله تعالى اومسكينا ذامتربة فيكون فى الحقيقة دعاء له لاعليه (ثم) اى مع هذا كله (اشفق عليه الصلوة والسلام) اى خاف على من جرى فى شانه هذا الكلام (من موافقة امثالها) وفى نسخة موافقة امثالها اى الدعوات التى لم يرد بها وقوعها (اجابة) مفعول اشفق اى ان يجيبها الله فى الدنيا والاخرى فتداركه (فعاهد ربه كما قال فى الحديث السابق (ان يجعل ذلك) الدعاء (للمقول له زكوة) اى طهارة (ورحمة) عليه(وقربة) تقربه اليه (وقد يكون ذلك) الدعاء (اشفاقا على المدعو عليه وتأنيساله) اى تلطفا بحاله وتداركا لمقاله (لئلا يلحقه) اى المدعو عليه (من استشعار الخوف) اى ادراكه من الله تعالى (والحذر من لعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له وتقبل دعائه) فى حقه (ما يحمله على اليأس) من رحمة الله فى الدنيا (والقنوط) فى العقبى وهو بضم القاف اشد اليأس(وقد يكون ذلك) الدعاء (سؤالا منه) اى من النبى عليه الصلوة والسلام (لربه) جل جلاله وعز كماله(لمن جلده) اى ضربه (اوسبه) اى شتمه اولعنه (على حق) اى امر يستحقه (بوجه صحيح) وفق شرعه (ان يجعل ذلك) الجلد ونحوه (كفارة لما اصابه) من الذنوب (وتمحية) مصدر محى مشددا للمبالغة اى وكثرة محو (لما اجترم) اى اكتسبه من العيوب وفيه انه يأباه ظاهر رواية ليس لها باهل اللهم الا ان يقال ليس العقوبة باهل على جهة الدوام بان يكون من اهل الاسلام (وان تكون عقوبته له فى الدنيا سبب العفو) من تقصيراته (والغفران) لسيئاته فى العقبى(كما جاء فى الحديث الآخر) مما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة العقبة بايعونى على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولاتعصونى فى معروف فمن وفى منكم بذلك فاجره على الله (ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به) اى فجوزى به فى الدنيا (فهو كفارة له) وفى نسخة فهو له كفارة اى فى العقبى وتمام الحديث ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو الى الله انشاء عاقبه وان شاء عفا عنه (فان قلت فما معنى حديث الزبير) اى ابن العوام احد العشرة المبشرة (وقول النبى) اى وما معنى قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى للزبير (حين تخاصمه) بصيغة المصدر اى وقت تنازعه واختلافه (مع الانصارى) اى المنسوب الى الانصار فانه قيل انه كان منافقا فهو من نسبهم لا من حسبهم وقيل غير ذلك واختلف فى تعيين قائله هنالك (فى شراج الحرة) بكسر الشين المعجمة جمع شرجة وهى مسيل الماء الى السهل من الحرة وهى موضع من المدينة فيه حجارة سود (اسق) اى حديقتك وهو بكسر همزة الوصل او بفتح همزة القطع (يازبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصارى ان) وفى نسخة انه (كان ابن عمتك يارسول الله) وهو علة لقوله اسق اى حكمت للزبير لاجل ان كان ابن عمتك وهى صفية بنت عبد المطلب وقيل الرواية بمد الهمزة بناء على انه بهمزتين والثانية منهما مبدلة ممدودة وهو وجه من الوجوه فى اجتماع الهمزتين للقراء السبعة ورواتهم (فتلون) اى فتغير حيث احمر واصفر (وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) غضبا لله وتنزيها لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما نسب اليه (ثم قال اسق يازبير) اى حديقتك كما ذكر (ثم احبس) الماء وامنعه عن غيرها اواصبر على جريانه (حتى يبلغ الجدر) اى جدر الحديقة اواصول الكرم وهو بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وروى بضم اوله جمع جدار وبذال معجمة من جذر الحساب بالفتح او الكسر اراد به مبلغ تمام السقى استيفاء لحق الزبير رضى الله عنه (الحديث) بطوله والمقصود حل مشكله (فالجواب ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه ان) وفى نسخة عن ان (يقع بنفس مسلم) اى فى خاطره (منه) اى من جهة امره عليه الصلوة والسلام (فى هذه القضية)وفى نسخة القصة (امر يريب) بضم اوله وفتحه اى شئ يوقع فى الريبة والشك والتهمة (ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب) اى الزبير كما فى نسخة اى امره امر ندب واحسان ودعاء (اولا) اى فى اول امره حيث اشار (الى الاقتصار) للزبير (على بعض حقه على طريق التوسط) اى مراعاة الجانبين (والصلح) الذى هو موجب صلاح العباد وفلاح البلاد (فلما لم يرض بذلك الآخر ولج) بتشديد الجيم اى وبالغ فى طلب الحكم المقرر (وقال مالايجب) اى مالا ينبغى فى ذلك المقر (استوفى) جواب لما اى اخذ (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للزبير حقه) وافيا ثانيا (ولهذا ترجم البخارى)

اى عنون فى صحيحه (على هذا الحديث باب اذا) بالاضافة منصوبا على انه مفعول ترجم وضبط باب بالرفع منونا فيكون محكيا والنصب محليا او التقدير هذا باب فيما اذا (اشار الامام بالصلح فابى) اى الخصم به (حكم عليه) بالبناء للمفعول اوالفاعل (بالحكم) اى البين كما فى البخارى وتركه المصنف لوضوحه (وذكر) اى البخارى (فى آخر الحديث فاستوعى) اى استوفى كما فى نسخة اى استوعب (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ للزبير حقه) ووقع فى اصل الحلبى والتلمسانى حقه للزبير فقالا فيه تقديم وتأخير اوالتقدير استوعى حق الزبير للزبير يعنى وقدسبق فى الحديث اى ذكر الزبير فالمرجع موجود وقال الحلبى وكذا فى نسخة صحيحة عندى بالبخارى (وقدجعل المسلمون هذا الحديث) اى حديث الزبير مع الانصارى (اصلا فى قضيته) اى فى مثل حكم الزبير (وفيه) اى وفى الحديث (الاقتداء) اى اخذ الاقتداء والاهتداء (به صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل ما فعله فى حال غضبه ورضاه وانه) عليه الصلوة والسلام (وان نهى) فيما رواه الشيخان عن ابى بكرة (ان يقضى القاضى وهو غضبان) جملة حالية افادت ان غيره من القضاة غير معصوم فلا يقضى حال غضبه بخلافه عليه الصلوة والسلام (فانه فى حكمه فى حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما) اى فى الغضب والرضى وفى نسخة فيها اى فى حالهما (معصوما) من الخطأ فى القضاء (وغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا) اى فى امر الزبير مع خصمه (انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء فى الحديث الصحيح) من انه لم يكن يغضب لنفسه وانما كان يغضب لربه هذا ولو صدر مثل هذا الكلام الذى خاطبه عليه الصلوة والسلام به من انسان اليوم من نسبته عليه الصلوة والسلام الى هوى وغرض فى الاحكام كان ارتدادا عن الاسلام فيجب قتله بشرطه المعتبر عندالاعلام وقدقال العلماء انما تركه عليه الصلوة والسلام لانه كان فى اول الاسلام يتألف الناس فى الكلام ويدفع بالتى هى احسن فى ذلك المقام ويصبر على اذى المنافقين فى تلك الايام وهذا كقول الاخر هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى فانه نسب الغرض فى العطية اليه عليه الصلوة والسلام ولم يأمر بقتله فاقرب امره ان يكون منافقا اوحديث عهد بجاهلية اوبدويا فى غلظة طبعهم وجهالة شانهم وجفاوة لسانهم (وكذلك الحديث) الذى ورد فى الحلية لابى نعيم عن ابن عباس رضى عنهما (فى اقادته) بالقاف من القود اى فى قصاصه (عكاشة) بضم العين وتشديد الكاف وتخفف وهو ابن محصن الاسدى صحابى جليل رضى الله عنه والمعنى ان يقتص لنفسه (من نفسه) عليه الصلوة والسلام (لم يكن) اى ضربه عليه الصلوة والسلام له (لتعد) بتشديد الدال اى لتجاوز حد وفى نسخة صحيحة لتعمد اى لقصد (حمله الغضب عليه) اى على ضربه (بل وقع فى الحديث) اى فى حديث قود عكاشة (نفسه ان عكاشة قال له) عليه الصلوة والسلام (وضربتنى بالقضيب) اى بالعصا (فلا ادرى اعمدا) كان ضربك لى (ام اردت ضرب الناقة) فوقع على (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعيذك بالله) اى اجعلك فى حفظه (ان يتعمدك رسول الله) وفى نسخة ان يتعمدك نبيك (صلى الله تعالى عليه وسلم) وحاصل الجواب انه وقع منه خطأ وهو جواب حسن صواب يصلح ان يكون جوابا عن الاشكال الاول فى الحديث الآخر ايضا وهو ايما مؤمن آذيته اوسببته اوجلدته بمعنى ضربته اوشتمته سهوا اوخطأ والله تعالى اعلم هذا وفى حاشية الحلبى ان حديث عكاشة فى اقادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه عليه الصلوة والسلام دفع القضيب الى عكاشة ليقتص منه ذكره ابن الجوزى فى موضوعاته مطولا وقال فى آخره هذا حديث موضوع لامحالة كاه قاتله الله تعالى من وضعه وقبح من الشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذى لايليق بالرسول ولا بالصحابة والمتهم عبد المنعم بن ادريس قال احمد بن حنبل كان يكذب على وهب وقال يحيى كذاب خبيث وقال ابن المدينى وابو داود ليس بثقة وقال ابن حبان لايحل لاحتجاج به وقال الدارقطنى فى ميزانه فيه مشهور قصاص ليس يعتمد عليه تركه غير واحد ثم ذكر كلام احمد فيه وقال قال البخارى ذاهب الحديث ثم قال وله عن ابيه عن وهب عن جابر وابن عباس رضى الله عنهما خبر اقادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم طويل وانه دفع القضيب الى عكاشة ليقتص منه وقال قال ابن حبان كان يضع الحديث على ابيه وعلى غيره (وكذلك) الكلام (فى حديثه الآخر) قال الدلجى لا اعرف من رواه (مع الاعرابى) قال الحلبى هذا الاعرابى لا اعرفه (حين طلب عليه الصلوة والسلام الاقتصاص منه) اى من نفسه التشريف للاعرابى (فقال الاعرابى قد عفوت عنك وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدضربه) اى الاعرابى (بالسوط لتعلقه بزمام ناقته) بكسر الزاء اى بخطامها (مرة بعده اخرى) علة الضرب به (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه) كل مرة عن تعلقه بزمامها (ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى) قبول قوله ذلك له (فضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ثلاث مرات) من نهيه وابائه عن قبوله ووقع فى اصل الدلجى فضربه ثلاث بعد وقال ظرف غائى قطع عما اضيف هو اليه منويا اى بعد نهيه له وهذا خطأ فاحش لان

الضرب لم يقع ثلاث مرات بل مرة واحدة بعد نهيه ثلاث مرات ثم لايتوهم ان ضربه له كان انتقاما لنفسه بل كان تأديبا وتشريعا له ولغيره للاجتناب عن مثل ذلك لقبحه (وهذا) اى ضربه الذى وقع عليه (منه عليه الصلوة والسلام لمن لم يقف عند نهيه) ولم يزجر بردعه (صواب وموضع ادب) وهما خبران لقوله وهذا وقد وهم الدلجى حيث قال ويروى انه صواب وموضع ادب يقتبس منه و يستضاء به (لكنه عليه الصلوة والسلام اشفق) اى خاف مقام ربه (اذ كان حظ نفسه) وفى نسخة حق نفسه والجملة تعليلية اعتراضية بين اشفق ومتعلقه اعنى (من الامر) اى لاجل امر ضربه (حتى عفاعنه) الاعرابى غاية لطلبه الاقتصاص منه والحاصل ان اقتصاصه انما كان لكمال خوفه من ربه حيث كان ظاهر ضربه على صورة حظ نفسه مع ما يتضمنه من تعليم امته عدم المسامحة والمساهلة فى حقوق العباد قبل يوم المعاد (واما حديث سواد) بفتح السين المهملة وتخفيف الواو (ابن عمرو) اى ابن عطية الانصارى الذى رواه ابو القاسم البغوى فى معجم الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق فى جامعه عن الحسن (اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وقال ابن عبد البر سوادة بزيادة تاء ابن عمرو الانصارى و يقال سواد بن عمرو وحديثه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اقاده من نفسه روى عنه الحسن ومحمد بن سيرين انه قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا متخلق) اى متلطخ بالخلوق من الطيب يقال خلقه تخليقا طيبه فتخلق كما فى القاموس (فقال عليه الصلوة والسلام ورس ورس) وهو نبت اصفر يصبغ به ومعناه التهديد فى النهى عن لبسه او تطيبه وكرر للتأكيد كقوله (حط حط) بضم الحاء وتشديد الطاء المهملتين اى ضع عنك هذا بلبس غيره او بغسله و يجوز فى طائه الحركات الثلاث لانه امر مضاعف كمد فيجوز الفتح للخفة والضم للاتباع والكسر للاصل فى تحريك الساكن اما قول الحلبى الظاهر ان هذا امر بالحط وكذا رأيته مضبوطا بحط باسكان الطاء فسهو قلم منه فانه اذا كان الامر بالحط فالاسكان خطأ فى الخط هذا وقال التلمسانى وروى بسكون سين ورس وفتح طاء حط ساكنين وروى بتنوين السين وسكون الطاء انتهى وخلله مما لايخفى نعم وجه السكون هو الوقوف ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ مقدر اى اهذا ورس او بفعل محذوف اى ايفعل ورس يعنى يصبغ به و يلبس واما على التنوين فظاهر اعرابهما قال التلمسانى ولعله كان محرما فنهاه عنه لانه لايلبسه المحرم اقول لبس الاصفر والاحمر مكروه عندنا مطلقا وكذا التطيب بطيب فيه لون لانه تشبه بالنساء وقال الدلجى الخلوق طيب مركب من زعفران وغيره وقد ورد الخبر باباحته و بالنهى عنه وهو اكثر والظاهر انه ناسخ لاباحته لانه من طيب النساء وهن اكثر استعمالا له (وغشيني) وفى نسخة فغشبنى اى فلحقنى (بقضيب فى يده) اى موقعا ضربه (فى بطنى فاوجعنى) ولعله كان بعد امتناعه عن امتثال الامر واجتناب النهى ثم رأيت فى حاشية الشمنى انه روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه نهى عن الخلوق مرتين اوثلاثا وانه رآه متخلقا فطعنه فى بطنه بجريدة فى يده (قلت القصاص) بالنصب مفعول لمحذوف نحو اسألك او اطلب منك (يارسول الله) ولعله ظن انه عليه الصلوة والسلام ضربه بغير ما يستحقه من الاثام (فكشف لى عن بطنه) تواضعا به وتنزلا لقومه (انما) جواب اما لخفته ان يقول فانما (كان ضربه اياه) وفى نسخة انما ضربه النبى عليه الصلوة والسلام (لمنكر رآه به) وفى نسخة رآه عليه وقد نهاه عنه وهو على حاله (ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه) بضرب لطيف فى مقام التأديب (فلما كان منه ايجاع) اى حقيقة واظهار وجع حيلة (لم يقصده) بضربه (طلب التحلل منه) اى فى قدر الزائد على ما يستحقه (على ما قدمناه) من نظير ما وقع له مع غيره قال ابن عبد البر وهذه القصة لسواد بن عمرو لالسواد بن غزية وقد رويت لسواد بن غزية انتهى ويقال سواد بن غزية مشدد الواو وسواد فى الانصار غيره مخففة وقال ابن اسحق حدثنى حبان بن واسع عن اشياخ من قومه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدل صفوف اصحابه يوم بدر ومعه قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بن عدى بن النجار وهو مستنتل من الصف قال ابن هشام ويقال مستنصل من الصف فطعن فى بطنه بالقدح وقال استو يا سواد قال يارسول الله اوجعتنى وقد بعثك الله تعالى بالحق والعدل فاقدنى قال فكشف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بطنه وقال استقد قال فاعتنقه وقبل بطنه قال ما حملك على هذا ياسواد قال يارسول الله حضر ماترى فاردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدى جلدك الشريف فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخير انتهى وقال الحلبى واما ما وقع فى بعض النسخ انه عمرو بن سواد فغلط وعلى الخطأ نقله شيخنا ابن الملقن فى شرح البخارى ثم تعقبه لكنه لم ينبه على انه مقلوب

﴿فصل﴾

(واما افعاله عليه الصلوة والسلام الدنيوية) اى المجردة عن الاحكام الاخروية (فحكمه) مبتدأ (فيها) اى فى افعاله الدنيوية (من توقى المعاصى والمكروهات) بيان لحكمه اى من تحفظه عنهما (ما قدمناه) وفى نسخة ما قد قدمناه

وهو خبر المبتدأ واما ماصدر عنه من فعل بعض المكروهات كشربه و بوله قائما بعد نهيه عنهما فانه كان لعذر لديه اوليبان الجواز مما كان واجبا عليه (ومن) اى وحكمه من (جواز السهو والغلط فى بعضها) اى افعاله كتسليمه من ركعتى احدى صلاتى العشى سهوا (ماذكرناه) فى حديث ذى اليدين (وكله غير قادح فى النبوة) المبنية على صفة العصمة (بل) وفى نسخة بلى (ان هذا) اى صدور السهو (فيها على الندور اذعامة افعاله) اى غالبها بل كلها (على السداد) اى الاستقامة والاقتصاد (والصواب) فى الاجتهاد (بل اكثرها وكلها) اى افعاله الصادرة عن وفق العادات (جارية مجرى العبادات والقرب) بضم ففتح اى القربات (على مابينا) من ان الاعمال بالنيات وان المباحات بها تنقلب طاعات (اذ كان عليه الصلوة والسلام لا يأخذ منها) اى من افعاله الدنيوية (لنفسه الاضرورته) اى حاجته المعينة على احواله الاخروية من القيام بالعبودية وفق مقتضى الربوبية وفى نسخة الاضروريته اى الا اموره الضرورية التى لايستغنى عنها افراد البشرية (ومايقيم رمق جسمه) اى مادة قوته وقوته من اكله وشربه ونومه التى بها قيام بنيته ونظام صحته قدر فريضته (وفيه مصلحة ذاته) ومايتبعه من صفاته (التى بها يعبد ربه ويقيم شريعته) ببيان احكامها (ويسوس امته) اى يراعيهم ويؤدبهم بما فيه نظامها وهذا كله فيما بينه و بين ربه (وما كان فيما بينه و بين الناس من ذلك) اى مما ذكر من افعاله الدنيوية (فبين معروف يصنعه) بين ظرف ومعروف مجرور منون مضاف اليه اى فامره دائر بين فعل معروف يصنعه اليهم (او بر) اى انعام (يوسعه) عليهم (او كلام حسن يقوله) و يلقيه لديهم (او يسمعه) بضم الياء وكسر الميم اى يرويه لهم وفى نسخة بفتحهما اى يسمعه منهم فيما صدر عنهم (او تألف شارد) اى نافر بطبعه مارد فيداريه بالاحكام ليثبت قلبه على الاسلام (او قهر معاند) اى منكر جاحد (او مداراة حاسد) اى مدافعته وهو من الدرء بالهمز وهو الدفع وقد يخفف همزه ومنه قولهم ودارهم مادمت فى دارهم (وكل هذا لاحق بصالح اعماله) وفى نسخة بمصالح اعماله (منتظم فى زاكى وظائف عباداته) اى طاهرها اوزائدها فى مقام فوائدها (وقد كان يخالف فى افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال) العارضة من الامور الاخروية (ويعد) بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال اى ويهيئ (للامور اشباهها) المناسبة لافعالها (فيركب فى تصرفه) ولتوجهه (لما) اى لسير (قرب) من البلد (الحمار) اذ لاكلفة فى ركوبه مع الايذان بعدم التكبر مع جلالة مقامه (وفى اسفاره) اى البعيدة (الراحلة) لصبرها على شدة السير ومشقة الزاملة (ويركب البغلة فى معارك الحرب دليلا على الثبات) الى الوفاة واشعارا بقوة شجاعته وشدة قلبه مع كونها لاتصلح للكر والفر وقال على كرم الله وجهه اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى جعلناه وقاية من الناس (ويركب الخيل ويعدها) من اعداء يهيئها (ليوم الفزع) اى وقت الاغاثة والاعانة (واجابة الصارخ) اى الصائح للاعلام بالحادثة الواقعة (وكذلك) كان يفعل (فى لباسه وسائر احواله) وفى نسخة افعاله اى من اكله وشربه وفراشه ومنامه وقيامه وافطاره وصيامه وسكوته وكلامه (بحسب اعتبار مصالحه) اى مهمات ذاته (ومصالح امته) اى مراعاة اهل ملته ليقدر كل احد فى الجملة على متابعته على ما بيناه فى جمع الوسائل لشرح الشمائل (وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته) على احوال العقبى (وسياسة) لبعضهم (وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه) اى من حيثية اخرى (كما) كان (يترك الفعل) اى فعل الخير (لهذا) اى لحكمة نفسه اولمصلحة امته (وقد يرى فعله خيرا منه) اى من تركه فى نفس الامر اشعارا بجوازه (وقد يفعل هذا) اى ما يرى تركه خيرا من فعله (فى الامور الدينية مما له الخيرة) بكسر الخاء وفتح الياء و يسكن اسم من خار بمعنى اختار اى ماهو مخير (فى احد وجهيه) اى فى فعلهما (كخروجه) باصحابه (من المدينة لاحد) حين محاربة ابى سفيان وقومه (وكان مذهبه) اى عادته (التحصن بها) وعدم الخروج منها (وتركه) اى وكتركه عليه الصلوة والسلام (قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم) غير شاك فى كفرهم وفى نسخة من امورهم وانما تركهم (مؤالفة لغيرهم ورعاية) اى ومراعاة (للمؤمنين المخلصين (من قرابتهم وكراهة) وفى نسخة وكراهية (لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء فى الحديث) المناسب لبابه وهو مارواه البخارى وغيره فى قصة رئيس اهل النفاق عبدالله بن ابى وقوله فى غزوة بنى المصطلق لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل واراد بالاعز نفسه و بالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعه زيد بن ارقم وهو حدث فقال له انت والله الاذل المبغض فى قومه ومحمد هو الاعز بربه وقومه ثم اخبر رسول الله بقوله فقال عمر دعنى اضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجرى فمر انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه (وتركه) اى وكتركه عليه الصلوة والسلام (بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش) حيث كانوا قريب عهد بالاسلام ولم يتمكنوا فى قبول

الاحكام (وتعظيمهم لتغيرها) وفي نسخة لتغييرها اى الكعبة بيت الله الحرام عما لهـا من ظاهر النظـام (وحذرا من نفارقلو بهم) بكسر النون اى تنافرها (لذلك) اى لتغيرها (وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله) بالارتداد ونحوه (فقـال لعايشة) كما رواه الشيخان (لولاحدثان قومك) بكسر الحاء اى قرب عهدهم (بالكفر) ويروى حداثة قومك (لاتممت البيت على قواعد ابراهيم) اى اسست او بنيت او اعليت او اتممته بادخال الحجر وقد بنـاه ابن الزبير كما تمناه وغير الحجاج بعض ما بناه وعلى ذلك البنـاء بقى الى وقتنا (ويفعل الفعل) اى احيانا (ثم يتركه) بعده (لكون غيره خيرا منه) حينئذ (كانتقاله من ادنى مياه بدر) اى من ادناها الى بدر (الى اقربها للعدو من قريش) برأى الحباب ابن المنذر كما سبق (وقوله) في حجة الوداع على مارواه الشيخـان (لواستقبلت من امرى ما استدبرت) اى الامر الذى استدبرته (ما) وفي نسخة لما (سقت الهدى) اذ بفعله ذلك لزمه ان لايحل حتى ينحر ولايجوز نحره الا يوم النحر فلايجوز له فسخ الحج بعمرة كما امر بذلك اصحابه ليخرج عن خاطرهم ما اشتهر في الجـاهلية من ان العمرة في اشهر الحج من افجر الفجور وانما امر بذلك من لم يكن معه هدى اذ يكون له فسخه هنالك وانما قال ذلك على وجه الاعتذار تطييبا القلوب اصحابه وحذرا من ان يشق عليهم ان يحلوا وهو محرم وليعلموا ان قبول مادعاهم اليه من فسخه بهـا افضل وانه لولا الهدى لفعله ثم هذا الفسخ منسوخ عند الائمة الا احمد بن حنبل (ويبسط وجهه للكافر والعدو) من المنـافق (رجاء استئلافه) طمعا في الفته وحذرا من نفرته (ويصبر للجـاهل) فيما يصدر عنه حال فترته (ويقول) كما رواه الشيخان عن عايشة (ان من شرار النـاس) وفي نسخة من شر الناس (من اتقاه الناس) اى خافوه وحذروه واحترسوا منه (لشره ويبذل له) بضم الذال المعجمة اى يعطى من ذكر وامثاله (الرغائب) اى النفـائس من ماله (ليحبب اليه شريعته) اى احكام ملته (ودين ربه) اى من طاعته وعبـادته (ويتولى في منزله ما يتولى به) اى يقوم فيه بما يقوم وفي نسخة ما يتولاه (الخـادم من مهنته) بفتح الميم هو الرواية وقد يكسر وقيـل خطأ اى خدمة منزله (ويتسمت) بتشديد الميم من السمت وهو الهيئة الحسنة اى يظهر السمت الحسن ويقصد الطريق المستحسن (في ملاءته) بضم الميم ممدودا وقيل مقصور مهموز وغلط اى في ازاره كذا قالوا والظاهر في ملابسه اذ الملاآت جمع ملاءة وهى الملحفة ويقال لها الريطة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين يستمل بها وروى في ملائه بفتحتين مقصورا اى جماعته وقومه (حتى لايبدو) اى لايظهر (منه شئ من اطرافه) اى اعضائه من ساق وقدم وساعد ونحوها من كمال ادبه ووقاره وجمال حيائه وانكساره وتواضعه لربه وافتقاره وليتأدب اصحابه بشعاره ودثاره (حتى كان) بتشديد النون (على رؤس جلسائه الطير) من كمال سكوتهم وسكونهم ووقارهم في قرارهم لان الطير لايقع الا على ساكن (ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم) اى بحكاية اوائلهم وماجرى لهم تأنسا بمقالهم وتلطفا بحالهم او بحديث اول متكلم منهم فيبنى عليه كلامه الى ان ينتهى مرامه او يتحدث مع آخرهم بحديث اولهم من جهة النشاط وطريق الانبساط من غير انقباض عن بعضهم وملالة وكلالة في آخر امرهم ولفظ الترمذى حديثهم عنده حديث اولهم (ويتعجب مما يتعجبون منه) استجلابا لخواطرهم (ويضحك ممـا يضحكون منه) في عجائب اخبارهم وغرائب آثارهم (وقد وسع الناس) اى جميعهم (بشره) بكسر فسكون اى طلاقة وجهه وبسـاسة حديثه (وعدله) اى وكذا وسعهم عدله في حكمهم او اعتداله في امرهم (لايستفزه الغضب) اى لايستخفـه ولايزعجه ولايخرجه عن مقـام الادب مع ان غضبـه كان للرب (ولايقصر عن الحق) بل يقوم به غاية القيام (ولايبطن) بضم الياء وكسر الطاء اى لايضمر (على جلسائه) خلاف مايظهره (يقول) شاهدا لامره (ماكان لنبي ان تكون له خائنة الاعين) وقد تقدم مايتعلق به مبنى ومعنى وتفصيل هذه الفضائل ذكرته في شرح الشمائل (فان قلت فما معنى قوله لعايشة) كما رواه الشيخان (في الداخل عليه) وهو عتبة بن حصين الفزارى قبل ان يسلم او مخرمة بن نوفل القرشى ولايبعد تعدد القضية (بئس ابن العشيرة) وفي نسخة هو وفي رواية او اخو العشيرة كما في رواية الترمذى على الشك واما رواية البخـارى بئس ابن العشيرة واخو العشيرة اى انما قاله حين استأذن في الدخول عليه (فلما دخل عليه الان له القول) اى لين له الكلام (وضحك معه) في المقـام وفي رواية البخارى تطلق في وجهه وانبسط اليه (فلما خرج سألته) اى عايشة (عن ذلك) ولفظ الترمذى فلما خرج قلت يارسول الله قلت ماقلت ثم النت له القول (فقال) ياعايشة متى عهدتني فحاشا (ان من شر النـاس) وفي رواية ان شر النـاس عند الله منزلة يوم القيمة (من اتقاه النـاس لشره) وفي رواية من تركه النـاس اتقاء فحشه وفي رواية اتقـاء شره (وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن) اى يضمر (ويقول في ظهره) اى في غيبته قبل ان يدخل في حضرته (ماقال) في مواجهته (فالجواب ان فعله عليه الصلوة والسلام) اى ضحكه والانة قوله له (كان استئلافا) اى مداراة له وتألفا (لمثله) من اجلاف العرب وعتاتهم في مقـام الادب (وتطييبا لنفسه ليمكن ايمـانه)

فى باطن قلبه (ويدخل فى الاسلام بسببه) اى بسبب اتباعه (اتباعه) اى قومه واشياعه (ويراه مثله) فى الجفاوة والقساوة (فينجذب) اى ينقاد (بذلك الى الاسلام) وقبول الاحكام (ومثل هذا) الاتقاء (على هذا الوجه) اى وجه الاستئلاف (قد خرج من حد مداراة الدنيا) اى مداراة الامور الدنيوية (الى السياسة الدينية) اى انتقل منها اليها بالمقاصد الاخروية (وقد كان يتألفهم) وفى نسخة يستألفهم (باموال الله العريضة) اى باعطاء الاموال الكثيرة (فكيف) لايتألفهم (بالكلمة اللينة) فانها اولى ان تقع فانها فى المرتبة الهينة (قال صفوان) اى ابن امية ابن وهب الجمحى اسلم بعد حنين وكان احد الاشراف والفصحاء وفى الصحابة ممن يقال له صفوان ستة عشر غير ما تقدم والله تعالى اعلم (لقد اعطانى) اى رسول الله كما فى نسخة (وهو ابغض الخلق الى فما زال يعطينى) اى الاموال عفوا من غير السؤال (حتى صار احب الخلق الى) فان الانسان عبد الاحسان (وقوله) عليه الصلوة والسلام (فيه) اى فى حق الرجل المذكور (بئس ابن العشيرة هو غيبة) بكسر الغين وهى ان تذكر اخاك المسلم بما يكرهه (بل هو تعريف) اى اعلام (بما علمه منه) وفى نسخة تعريف ما علمه منه (لمن لم يعلم) بحاله (ليحذر حاله ويحترز منه ولايوثق) اى لايعتمد وفى نسخة لايثق(بجانبه كل الثقة لا) وفى نسخة ولا(سيما وقد كان مطاعا) بضم الميم بفسره (متبوعا) اى لقومه لايخرجون عن رأيه (ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة) وكذا حصول منفعة وظهور مصلحة (لم يكن غيبة بل كان جائزا) بلا شبهة (بل)قد يكون (واجبا فى بعض الاحيان كعادة بعض المحدثين فى تجريح الرواة) بكذب اوسوء حفظ اوقلة ديانة ونحوها (والمزكين) بكسر الكاف عطف على المحدثين وفى نسخة بفتحها على انه عطف على الرواة (فى الشهود) قال التلمسانى بسكون الياء جمع مزكى هذا قول البصريين واجراه الكوفيون كالصحيح (فان قيل فما معنى المعضل) بكسر الضاد المعجمة اى الداء العضال المشكل الذى اعيى الفضلاء والحكماء فى باب الدواء وفى نسخة الفصل واحد الفصول بدل المعضل (الوارد فى حديث بريرة) براءين على زنة فعيلة وهى بنت صفوان مولاة عايشة وهى حبشية اوقبطية (من قوله عليه الصلوة والسلام لعايشة) كما فى الصحيحين (وقد اخبرته) اى عايشة (ان موالى بريرة ابوا بيعها) اى امتنعوا عنه (الا ان يكون لهم الولاء) بفتح الواو اى ولاء عتقها فانهم كاتبوها فعجزت فاتت عايشة تستعين بها فقالت ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك واعتقتك ويكون ولاؤك لى فابوا (فقال لها عليه الصلوة والسلام اشتريها واشترطى لهم الولاء) هذا هو المعضل من الداء الذى تحير فى معالجته العلماء (ففعلت) اى اشترتها وشرطت لهم الولاء واعتقتها(ثم قام خطيبا) اى واعظا (فقال ما بال اقوام) اى ما حالهم وشانهم (يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله تعالى) اى مما لم يرد بشرعيتها احكام ليعمل بها (كل شرط ليس فى كتاب الله) اى ولا فى سنة رسول الله (فهو باطل) ليس تحته طائل وفى بعض النسخ زيادة قوله شرط الله تعالى اوثق وقضاؤه احق (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم) وهذا مشكل (وعليه باعوا) وهذا معضل (ولولاه) اى ولولا شرط عايشة لولائها لهم (والله تعالى اعلم) جملة معترضة (لما باعوها) اى بريرة (من عايشة كما لم يبيعوها قبل) اى قبل قبول عايشة شرطهم (حتى شرطوا ذلك عليها) اى على عايشة (ثم ابطله عليه الصلوة والسلام وهو قد حرم الغش) بقوله من غشنا فليس منا كما رواه الترمذى (والخديعة) اى وكذا حرم المكر والمكيدة بقوله تعالى ولا يحيق المكر السئ الا باهله فهذا مشكل من وجوه فيحتاج الى جواب شاف كاف (فاعلم اكرمك الله تعالى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مبرا) اى منزه (عما يقع فى بال الجاهل) اى قلب الغافل (من هذا) المقام الكامل (ولتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) عن ذلك وعدم ظهور تأويل ذلك لهم فيما هنالك (ما) زائدة اوموصولة (قد انكر قوم) من المحدثين منهم يحيى بن اكثم (هذه الزيادة) اعنى (قوله) اى وهى قوله (اشترطى لهم الولاء اذ ليست) هذه الزيادة (فى اكثر طرق الحديث) اى حديث بريرة فلا اشكال فى بقية الافادة وقد اعتل بتفرد مالك به عن هشام بن عروة وانه لم يتابع عليه لكن الصحيح انه تابعه عليه ابو اسامة وجرير فى طرق متعددة (ومع ثباتها) اى ومع صحة هذه الزيادة وهو المعتمد لان زيادة الثقة مقبولة بلا شبهة (فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم) فان حروف الجر يستعار بعضها لبعض كما هو مقرر فى محله من المغنى ونحوه (قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة) اى عليهم والاظهر ان اللام فيه للاختصاص اى اللعنة حاصلة لهم دون غيرهم(وقال وان اسأتم فلها) اى فعليها وعدل عنها للمشاكلة اى للاختصاص كما قدمناه (فعلى هذا) القول باب اللام بمعنى على فالمراد (اشترطى عليهم الولاء لك) فانما هو لمن اعتق وهذا بعيد جدا من جهة المبنى والمعنى اما الاول فلانه لا يصلح كون لهم هنا بمعنى عليهم وان صح فى غيره لان اللام لاتكون كعلى الاحيث لالبس فانه يقال اشترط له واشترط عليه كما يقال دعا له ودعا عليه وشهد له وشهد عليه وقضى

له وعليه فلاينوب احدهما مناب الاخر فتدبر واما الثانى فلما قدمه المصنف من ان موالى بريرة لم يرضوا الا ان يكون ولاؤها لهم فلو رضوا لما وقع العتب فى الخطبة عليه وان تكلف المصنف فى دفعه بقوله (ويكون قيام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك) فعلى هذا معنى قوله عليه الصلوة والسلام لعايشة اشترطى اظهرى شرط الولاء لك وقيل معناه الوعيد الذى ظاهره الامر وباطنه النهى قاله محمد بن شجاع ومنه قوله تعالى اعملوا ماشئتم ومعناه التهديد على عمله ان عملوه لان صعوده على المنبر ونهيه دليل ذلك فتدبر (ووجه ثان) من وجوه الاجوبة (ان قوله) عليه الصلوة والسلام (اشترطى لهم الولاء ليس على معنى الامر المجزوم به للتأكيد ولا للتهديد (لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لاينفعهم بعد بيان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم قبل) اى قبل ذلك والمعنى قبل قولها اشترطيه لهم (ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطى اولا تشترطى) لحذفه يكون من باب الاكتفاء والمعنى وان تشترطى (فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودى وغيره) من العلماء قاله الدلجى ويؤيده انه قد ورد فى بعض طرقه اشترطى اولا تشترطى فانما الولاء لمن اعتق وفيه بحث اذ المراد به ان الولاء لمن اعتق سواء اشترط عند شرائه الولاء لنفسه اولم يشترط بان اطلق الشراء وانما الكلام فيما اذا لم يرض البائع الا بشرط الولاء لنفسه لم يرد عليه اذا علم ان الشرط باطل فى الشريعة فاراد صلى الله عليه وسلم بقوله لها اشترطى ان شرطك لايضرك هنالك بل يضرهم ذلك (وتوبيخ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك) اى تصميمهم على شرطهم وامتناعهم من بيعها الا ان يكون لهم الولاء (يدل على علمهم به) بان شرطه لهم غير نافع (قبل هذا) التوبيخ والتقريع (الوجه الثالث) كانه تفنن فى العبارة (ان معنى قوله اشترطى لهم الولاء اظهرى لهم حكمه) اى شريعته (وبينى عندهم سنته) اى طريقته وهو (ان الولاء انما هو لمن اعتق) وان شرط لغيره فشرط الله تعالى اوثق وقضاؤه احق (ثم قال) اى كما فى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى خطيبا واعظا (مبينا ذلك) لتعم الفائدة هنالك (وموبخا) لهم (على مخالفة ما تقدم منه فيه) وفى نسخة وموبخا على مخالفه بالاضافة هذا ومن قصة بريرة انها لما اعتقت وهى منكوحة مغيث اختارت نفسها ولم تقبل شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى زوجها فقد قيل انما فعلت ذلك ايثار الخدمة النبى عليه الصلوة والسلام على خدمة زوجها وهو مستحسن وذكر الغزالى فى الاحياء وجها آخر وهو انه عليه الصلوة والسلام لبس يوما واحدا ثوبا من سندس ثم نزعه وحرم لبس الحرير وكانه انما لبسه اولا لتأكيد التحريم كما لبس خاتم من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعايشة رضى الله عنها فى شان بريرة اشترطى لاهلها الولاء فلما استرطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلاثة ايام ثم حرمها لتأكيد امر النكاح انتهى وفيه بحث لايخفى اذ يقتضى هذا ان الاشتراط اولا كان حلالا ثم صار حراما فينبغى ان يكون العقد الاول بشرطه صحيحا وليس كذلك بل العقد صحيح والشرط باطل فرجع الاشكال بان فيه غررا بظاهر الحال (فان قيل فا معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه) اى شقيقه بنيامين (اذ جعل السقاية) اى الصاع الذى كان يسقى فيه ويكال به ايضا لعزة الغلة فى وقته وقد قيل كانت من زبرجد اومن ذهب اوفضة مرصعة (فى رحله) اى وسط متاع اخيه (واخذه) اى واخذ يوسف اخاه وحبسه عنده (باسم سرقتها) اى بعنوان سرقته السقاية (وما جرى على اخوته فى ذلك) بعمومهم (وقوله تعالى) حكاية عن المنادى ومن معه خطابا لاخوة يوسف (انكم لسارقون ولم يسرقوا) جملة حالية (فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف عليه السلام كان) صادرا (عن الله لقوله تعالى كذلك) اى مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) اى بينا الكيد له بان اوحينا اليه ليأخذ اخاه فى دين ابيه لانه اولى من حكم غيره وقيل الكيد هنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا بيوسف فى الابتداء فعلنا بهم حال الانتهاء حتى ضم يوسف اخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته (ماكان ليأخذ اخاه) فيضمه الى نفسه فى مثواه (فى دين الملك) اى حكمه اذ كان من دينه ضرب السارق وتغريمه مثل ما سرقه دون الاسترقاق (الا ان يشاء الله) بان يجعل ذلك الحكم حكم ملك مصر فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه (الاية) اى نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم والحاصل ان يوسف لم يكن ليتمكن من حبس اخيه فى حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما اجرى على السنة الاخوة ان جزاء السراق الاسترقاق فحصل مراد يوسف بمشيئة الخلاق (فاذا كان) الامر (كذلك فلا اعتراض به) اى فيه هنالك (كان فيه مافيه) بدل من قوله فلا اعتراض به جواب لاذا اى والذى فيه هو انه كيف يجوز ان يأمر الله تعالى به ولا يبعد ان يكون التقدير فاذا كان ذلك باذن الله تعالى وتعليمه هنالك فلا اعتراض به على اى وجه كان فيه مما وقع فيه ثم رأيت الانطاكى قال يعنى اى شئ كان بعد ان يكون ذلك بامر الله سبحانه وتعالى

لان الملك ملكه ومافيه عبيده واماؤه وللمالك ان يتصرف فى ملكه مايشاء (وايضا) يمكن ان يقال فى دفع الاشكال (فان يوسف عليه السلام لما كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا بتئس) اى لاتحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله تعالى قداحسن الينا وجمعنا بخير وتفضل علينا ونعم ماقيل

﴿ كما احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى ﴾

وروى انه قال ليوسف بعدما اعلمه انا اخوك فانا لا افارقك فقال لقد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك ازداد غمه ثم لاسبيل الى ذلك الا ان انسبك الى مالا يجمل فى حقك فقال لاابالى فافعل ما بدالك قال فانى ادس صاعى فى رحلك ثم يقال انك سرقته ليتأتى لى ردك الى بعد تسريحك معهم قال فافعل ولله در القائل

﴿ فليس لى فى سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرنى ﴾

(كان ماجرى عليه بعد هذا من وفقه) اى وفق مرافقته وفى نسخة وفقته (ورغبته) اى ميله فى اقامته (وعلى) اى وكان (على يقين من عقبى الخبر له به) اى لبنيامين بسبب يوسف (وازاحة السوء) بضم السين وفتحها والازاحة بالزاى اى ازالة الشر (والمضرة عنه بذلك) التوفق (واما قوله سبحانه وتعالى) حكاية (ايتها العير) اى اصحاب الابل ذات الاحمال من الطعام والاثقال (انكم لسارقون) اى فى ظننا (فليس من قول يوسف) بل من مناديه (فيلزم) اى فلايلزم (عليه جواب يحل شبهه) اى يزيلها وفى نسخة لحل شبهه اى لفك عقده (ولعل قائله احسن له التأويل) بصيغة المجهول مشدد السين اى ان صح (كائنا من كان) اى بامر يوسف اوغيره (ظن على صورة الحال ذلك) كما يقتضى المقال هنالك (وقد قيل قال ذلك) بامر يوسف هنالك (لفعلهم قبل) اى قبل ذلك (بيوسف) فانه كان سرقة فى المعنى من ابيه ومكيدة فى حق ابنه (وبيعهم له) حيث قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة اى باعه اخوته اواشتراه السيارة من اخوته قولان للمفسرين وقد اغرب الدلجى حيث قال بعد قوله وبيعهم له وفيه مافيه لانهم لم يسرقوا بل ذهبوا به باذن ابيهم ولم يبيعوه بل القوه فى غيابة الجب ورجعوا (وقيل غير هذا) من الاجوبة وفيما ذكرنا الكفاية (ولايلزم ان نقول الانبياء) بتشديد الواو المكسورة اى ننسب اليهم (ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه) وانما يطلب الخلاص مما ثبت انه قولهم اوفعلهم وفى اصل الانطاكى ضبط يقول بالبناء للمجهول (ولايلزم الاعتذار عن زلات غيرهم) ولو كانوا من اقاربهم وكان الشيخ المصنف ذهب الى ان اخوة يوسف ماوصلوا الى مرتبة النبوة وقد تقدم ذكر الخلاف فى هذه القضية فلا ينبغى الجزم لا بالاثبات ولابالنفى كما هو طريق الجزم والله تعالى اعلم

﴿فصل﴾

(فان قيل فما الحكمة فى اجراء الامراض) اى انواع العلة (وشدتها عليه) اى على نبينا (وعلى غيره من الانبياء) الشامل للرسل وغيرهم (على جميعهم السلام) والتحية والاكرام (وما الوجه) اى التوجيه الوجيه (فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلاء وامتحانهم) بانواع العناء (فيما) وفى نسخة بما (امتحنوا به) من الضراء فصبروا كما شكروا على السراء (كايوب) وكانت محنته رحمة بنت يعقوب وقضيته معروفة مشهورة وفى كتب التفسير وغيره مسطورة (ويعقوب) ابتلاه بفقد ولده وذهاب بصره (ودانيال) بكسر النون وكان عالما بتعبير الرؤيا حكى انه دخل بلاد الغرب وقيل قبره بالسوس ويقال انه نبى غير مرسل وكان فى ايام بخت نصر وهو اكرم الناس عنده فحسدته المجوس فوشوا اليه وقالوا ان دانيال واصحابه لايعبدون آلهتك ولاياكلون ذبيحتك فسألهم فقالوا اجل فامر بخد فخدلهم فالقوا فيه وهم ستة والقى معهم سبع ضارى ليأكلهم ثم راحوا من الغد فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه لم يضرهم فامن بخت نصر وقيل لم يؤمن والله سبحانه وتعالى اعلم (ويحيى) ابتلاه الله بذبحه (وزكريا) ابتلاه الله بنشره (وابراهيم) ابتلاه الله بالقائه فى النار (ويوسف) ابتلاه الله بفراق ابيه وغيره (وغيرهم) من الانبياء (صلوات الله تعالى عليهم) وفى نسخة على جميعهم (وهم) اى الحال انهم (خيرته) بكسر الخاء وسكون الياء وتفتح اى مختاره (من خلقه واحباؤه واصفياؤه) اجتباهم من بينهم لسرفيهم وكرم مآبهم (فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل) كما ورد يا الله المحمود فى كل فعاله (وكلماته) اى احكامه (جميعها صدق) لاخلف فى وعده ووعيده قال تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا (لا مبدل لكلماته) اى لاحكامه (يبتلى عباده) اى يمتحنهم بما اراده تارة بنعمهم واخرى بمحنهم لقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة (كما قال تعالى لهم) اى فى ضمن غيرهم ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم (لننظر كيف تعملون) من الشر والخير فنجازون وفق اعمالكم واختلاف احوالكم والابتلاء من الله تعالى ان يظهر من العبد ما كان يعلم منه فى الغيب (وليبلوكم) اى وقال خطابا عاما الذى خلق الموت والحياة

ليبلوكم اى ليعاملكم معاملة الممتحن (ايكم احسن عملا) اى اصوبه واخلصه وقد ورد مرفوعا احسن عقلا واسرع الى طاعة الله تعالى واورع عن محارمه وقيل اكثركم ذكرا للموت واستعدادا لما بعده قبل الفوت وقيل ازهدكم فى الدنيا واجهدكم فى العقبى وقال تعالى ايضا (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة مقدرة اى نداول الايام بين الانام لتتعظوا وليعلم الله ايذانا بان الحكمة فيه كثيرة وان مايصيب المؤمن من المصالح ممالايعلمه غيره او التقدير فعلنا ذلك ليتميز الثابتون على الايمان من المنحرفين عنه وهم المنافقون ام حسبتم ان تدخلوا الجنة (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) اى لم يتعلق علمه سبحانه وتعالى بجهادكم (ويعلم الصابرين) بالنصب على اضمار ان والواو للجمع اى ولم يتعلق علمه بصبركم على اجتهادكم والقصد فى امثاله ليس الى اثبات علمه ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان فى امره فان علمه تعالى اذا تعلق بشئ لزم وجوده كما ان عدم تعلقه به ينافى شهوده وقال ايضا (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم) قرئ فى السبعة بالنون والياء فى الافعال الثلاثة (فامتحانه) اى الله سبحانه وتعالى (اياهم) اى الانبياء واتباعهم من الاولياء (بضروب المحن) وفنون البلاء والفتن (زيادة فى مكانتهم) اى منزلتهم (ورفعة فى درجاتهم) اى مراتبهم العالية حسا ورتبة (واسباب لاستخراج حالات الصبر) على البلاء والجهاد مع الاعداء (والرضى) منهم بما قضى عليهم من السراء او الضراء (والشكر) على النعماء والالاء (والتسليم) فى الامور (والتوكل) فى الصدور (والتفويض) اى الاعتماد على رب العباد فيما اراد (والدعاء) فى البلاء والرخاء (والتضرع منهم) حال الاستدعاء والاستكفاء (وتأكيد) بالرفع وهو الظاهر وفى نسخة وتأكيدا (لبصائرهم فى رحمة الممتحنين) بفتح الحاء (والشفقة على المبتلين) بفتح اللام وهو كالتفسير لما قبله (وتذكر) اى تنبيه وتبصرة (لغيرهم) من اممهم (وموعظة لسواهم ليتأسوا) بتشديد السين اى ليقتدوا (فى البلاء بهم ويتسلوا فى المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم فى الصبر) على الاحوال كلها فانه كما قيل

﴿ هو المهرب المنجى لمن احدقت به * مكاره دهر ليس عنهن مذهب ﴾

(ومحو) بالرفع وفى نسخة ومحوا اى سبب عفو (لهنات) بفتح هاء وتخفيف نون اى زلات (فرطت منهم) اى صدرت عنهم وقد قال الشراح ان نسبة الهنات وهى الخصال السوء لاتليق الى الانبياء وان ذكره المصنف فلكل عالم هفوة (اوغفلات سلفت لهم) اى سبقت منهم (ليلقوا الله طيبين مهذبين) ظاهرا وباطنا مؤدبين (وليكون اجرهم اكمل) اى اكثر واجل (وثوابهم اوفر واجزل) اى اتم واعظم والله اعلم (حدثنا القاضى ابو على الحافظ) اى ابن سكرة (ثنا ابو الحسين) بالتصغير هو الصحيح (الصيرفى وابو الفضل ابن خيرون) بفتح فسكون فضم يصرف ولايصرف (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو على البغدادى) بدال مهملة ثم معجمة هو الرواية المعتمدة من الوجوه الاربعة المحتملة (قال ثنا ابو على السنجى) بكسر اوله (ثنا محمد بن محبوب) وهو راوى جامع الترمذى عنه (حدثنا ابو عيسى الترمذى) صاحب الجامع (ثنا قتيبة) اى ابن سعيد (ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة) بسكون بين فتحتين اوله موحدة قيل هى امه واسم ابيه عبد وهو ابو بكر ابن عاصم ابى النجم وبهدلة مولى بنى اسد احد القراء السبعة قرأ على السلمى وذر وحدث عنهما وعن جماعة وعنه شعبة والحمادان والسفيانان ثبت امام فى القراآت قال الذهبى هو حسن الحديث قال وقال ابو زرعة واحد ثقة اخرج له البخارى ومسلم مقرونا لااصلا واخرج له الائمة الاربعة فلا يلتفت الى ماقال يحيى القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردى الحفظ فانه منقوض بالامام عاصم هذا فانه حافظ الكتاب والسنة مات بالكوفة سنة ثمان اوسبع وعشرين ومائة (عن مصعب بن سعد) كنيته ابو زرارة روى عن على وطلحة ثقة نزل الكوفة واخرج له الائمة الستة (عن ابيه) وهو سعد ابن ابى وقاص احد العشرة المبشرة (قال قلت يارسول الله اى الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل) اى الاشبه فالاشبه من العلماء والاصفياء والافضل فالافضل من الصلحاء والاولياء (يبتلى الرجل على حسب دينه) بفتح السين اى على قدر يقينه (فمايبرح) اى فمايزال (البلاء) متعلقا (بالعبد) يطهره من الذنوب (حتى يتركه يمشى على الارض) اى ماشيا عليها (عليه خطيئة) ينسب اليها ويؤاخذ لديها والحديث رواه الترمذى وقال حسن صحيح وروى النسائى وابن ماجه والحاكم نحوه (وكما قال تعالى وكأين) وفى قراءة وكاين اى وكم (من نبى قتل) وفى قراءة قاتل (معه ربيون كثير) واحدها ربى اى جماعات كثيرة ويقال هم سادات كبيرة والربى منسوب الى الربة اى الجماعة وجمع للمبالغة وقيل منسوب الى الرب والكسر من تغيرات النسب اى علماء اوعابدون لربهم اتقياء (الايات الثلاث) وهى قوله فماوهنوا اى ماجبنوا وما فتروا وماانكسروا لما اصابهم فى سبيل الله من قتل نبيهم او بعض اكابرهم وما ضعفوا عن دينهم وماتغيروا عن يقينهم وما استكانوا ماخضعوا لاعدائهم والله يحب الصابرين على بلائهم واصر ربهم وطاعة نبيهم وماكان قولهم الاان قالوا اى الاقولهم ربنا اغفر لنا

ذنوبنا اى سيئاتنا واسرافنا فى امرنا من التقصير فى طاعتنا وانصرنا على القوم الكافرين فى مجاهداتنا فآتاهم الله ثواب الدنيا من عزة ونصرة وغنيمة وحسن ثواب الاخرة من زيادة مثوبة ورفعة ودرجة وعلو رتبة والله يحب المحسنين فى كل حالة (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى مرفوعا كما رواه الترمذى وصححه (ما يزال البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده وماله) يكفر عنه ذنوبه (حتى يلقى الله تعالى) اى يموت (وما عليه خطيئة) يؤاخذ بها (وعن انس) كما رواه الترمذى ايضا وحسنه (عنه عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله تعالى بعبده الخير) اى الكامل فى العقبى (عجل له العقوبة) اى بما يكون كفارة له (فى الدنيا واذا اراد الله تعالى بعبده الشر) اى السوء الكامل فى العقبى (امسك عنه بذنبه) اى من غيران يكفره بشئ يكون سببه (حتى يوافى) بكسر الفاء وفتحها اى حتى يأتى او يؤتى (به) اى بذنبه وافيا والمعنى يجازى به (يوم القيامة) وسبب وروده ان رجلا اصاب ذنبا من قبله او غيره فاتبع بصره الشخص فاصابه حائط فى وجهه فاقبل وهو ينضح دما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الله تعالى الحديث (وفى حديث آخر) رواه الديلمى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه) اى تذلله فى انينه وشكواه وخضوعه وبكاءه (وحكى السمرقندى) اى ابو الليث (ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد) من بلاء غيره (كى يتبين) اى ليظهر (فضله) على غيره (ويستوجب الثواب) بقدره (كما روى عن لقمان) واختلف فى نبوته (انه قال لابنه) واختلف فى اسمه (يابنى) بفتح الياء وكسرها لغتان وقراءتان (الذهب والفضة يختبران) بصيغة المجهول اى يمتحنان (بالنار) فينظفان من وسخهما (والمؤمن يختبر بالبلاء) فيطهر من دنسه وخبثه (وقد حكى ان ابتلاء يعقوب بيوسف) اى بفقده (كان سببه التفاته فى صلاته اليه وهو) اى ويوسف كما فى نسخة (نائم) لديه (محبة له) اى غيرة المحبة عليه واغرب الدلجى فى قوله ولا اقول بان هذا سببه لنزاهته عليه الصلوة والسلام عن قطعه كمال اقباله على ربه فيها انتهى وغرابته لا تخفى وروى فى سبب ابتلائه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اوحى اليه أتدرى لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته انى اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى (وقيل بل اجتمع) اى يعقوب (يوما هو وابنه يوسف) واغرب الدلجى بقوله يوسف مفعول معه (على اكل حمل) بفتح المهملة والميم وهو الجذع من الضأن له سنة او اقل (مشوى وهما يضحكان) جملة حالية اى والحال انهما منشرحان منبسطان (وكان لهما جارية يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدته لعجوز لبكائه) شفقة منها عليه (وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه) بحالهما ولعله وقع لتقصير يعقوب فى تفحص حالهما فى جميع اوقاته فاندفع اعتراض الدلجى على المصنف بان الانسان لا يؤاخذ بما لم يعلم سيما اذا لم يجب عليه (فعوقب) اى يعقوب كما فى نسخة (بالبكاء اسفا) بفتحتين اى للحزن والتأسف (على يوسف) فى جميع اوقاته (الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن) اعترض الدلجى بان قوله وابيضت عيناه يدفع قوله سالت حدقتاه وهو وهم فاحش اذ الحدقة محركة سواد العين كما فى القاموس (فلما علم بذلك) اى ببكائهما (كان بقية حياته يأمر مناديا ينادى على سطحه) اى فوق بيته (الا) للتنبيه (من كان مفطرا) فقيرا او غنيا (فليتغد) بالدال المهملة المشددة من الغداء وهو طعام اول النهار ويؤيده قوله مفطرا قال الحلبى وفى النسخة المعتمدة بالذال المعجمة وهو ابلغ منه بالمهملة انتهى وفيه ما تقدم (عند آل يعقوب) اى بنيه واهل بيته او عنده نفسه وآل مقحم تفخيما لشانه وهذا كقوله تعالى مما ترك آل موسى وآل هارون (وعوقب يوسف بالمحنة) بنون بعد الحاء المهملة كذا ضبطوه احترازا عن تصحيفه بالمحبة بالموحدة (التى نص الله تعالى عليها) فيه اشكال اذ هو كان صغيرا دون البلوغ حينئذ لكن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ولعل هذا من الحكم المجهولة عندنا كايلام الاطفال والله تعالى اعلم بالاحوال (وروى عن الليث) اى ابن سعد (ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه فى ظلمه واغلظوا عليه فى القول له الا ايوب فانه رفق به) بفتح الفاء من الرفق اى الطف معه فى كلامه رجاء ان يرتدع عن ظلمه ولا مانع من ان يكون رفقه به (مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه) وجملة الكلام فى هذا المقام على تقدير صحة نقل هؤلاء الاعلام ان الله ان يبتلى من شاء بما شاء من العمل اذ لا يسئل عما يفعل (ومحنة سليمان) اى وسبب بلائه (لما ذكرناه) فيما سبق (من نيته) اى خطور طويته (فى كون الحق فى جنب اصهاره) بفتح الجيم والنون اى جهة اصهاره كما فى نسخة (او للعمل بالمعصية فى داره ولا علم عنده) كما تقدم بيانه فى اخباره (وهذه) اى الامور المرتبة على المحنة والبلية من الكفارة فى بعض القضية اورفع الدرجة العلية وفى نسخة وهذا (فائدة شدة المرض) من الحمى وغيرها (والوجع) من الصدع ونحوه (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ما رأيت الوجع على احد اشد منه) اى من الوجع (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وعن عبـدالله) كمارواه الشيخان وهوابن مسعود فانه المراد اذا اطلق عندالمحدثين فلاوجه لقول الدلجى لعله ابن
مسعود اوابن عمرمع انه لاوجه فيماحصره اذيحتمل ابن عبـاس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم اذفى الصحابة من يقـال له
عبدالله كثير قال الحلبي عبـدالله هذا هوابن مسعود انماانبهت عليه لان فى الصحابة من يقـال له عبـد الله فوق
الاربعمائة وقال ابن الصلاح انهم نحو مائتين وعشرين قيل وثلاثين وقبلهم ثلمائة واربعـة وستون وهذا
الاختلاف فى عددهم انماوقع لان منهم من كرر لاختلاف فى اسم ابيه اوفى اسمه هو ومنهم من لم يصح له صحبة عند هذا
وصح له عنـد غيره والله تعالى اعلم اقول والاظهران يحمل على زيادة تتبع بعضهم (رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى مرضه يوعك) بصيغة المجهول (وعكا شديدا) بسكون العين المهملة وتحرك اى شدة الحمى وحدتها فى وجعها
(فقلت انك توعك وعكا شديدا قال اجل) اى نعم (انى لاوعك) وفى نسخة اوعك (كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك
ان لك) وفى نسخة ان ذلك (الاجر مرتين قال اجل ذلك) الامر (كذلك) والاظهر لذلك باللام اى اجل ذلك لاجل
ذلك (وفى حديث ابى سعيد رضى الله تعالى عنه) رواه ابن ماجه والحاكم (ان رجلا) يحتمل الراوى وغيره والاول اولى
لرواية ابن ماجه ان اباسعيد هوالذى وضع يده لكن لايبعد ان غيره ايضا (وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
ليختبر حماه اشديدة هى ام خفيفـة (فقال والله مااطيق اضع) وفى نسخة ان اضع (يدى عليك من شدة حماك فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انامعشر الانبياء) بالنصب على الاختصاص او المدح اى جماعتهم (يضاعف لنا البلاء) على
مقدار مالنا من الولاء (ان) مخففة من الثقيلة اى انه اى الشـان (كان النبى) اى فرد من افراد هذا الجنس (ليبتلى
بالقمل حتى يقتله) لكثرته وماذاك الالرفعة مرتبة النبى وعلو درجتـه (وان كان النبى ليبتلى بالفقر) اى الجوع حتى
يقتله (وان كـانوا) اى الانبياء (ليفرحون بالبلاء كما تفرحون) اى انتم (بالرخاء) المتضمن للنعماء لقوة يقينهم
فى امر دينهم وتسليم امرهم عند حكم ربهم وفى العدول عن الغيبة الى الخطاب ايمـاء الى انهم لايفرحون بالرخاء وقد
اورد المصنف فى البـاب الثانى من القسم الاول حديثـا يقرب من معنى هذا الحديث وهوانه عليه الصلوة والسـلام قال
لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم (وعن انس) كـمارواه
الترمذى وحسنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء) بكسر العين وفتح الظاء ويجوز ضمها
مع سكون الظاء اى فمن كان بلاؤه اكثر او اكبر فجزاؤه اتم واوفر (وان الله تعـالى اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى)
بالقضاء (فله الرضى) من الله تعالى وجزيل الثواب وجميل المآب (ومن سخط) بكسر الخاء اى كره (فله السخط)
بفتحتين اى الغضب واليم العذاب ودوام الحجاب (وقال) وفى نسخة وقد قال (المفسرون فى قوله تعالى من يعمل سوأ
يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيـا فتكون له كفارة) حتى لايعذب فى العقبى (وروى هذا) اى قول المفسرين
وفى نسخة وروى مثل هذا (عن عايشة وابى) اى ابن كعب (ومجاهد) كما رواه احمد والحـاكم عنهم ومثل هذا مايقـال
بالرأى فهذا الموقوف فى حكم المرفوع وقد ذكر البغوى فى تفسيره باسناده عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال
كنت عنـد رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم مانزلت عليه هذه الآية من يعمل سوأ يجز به فقـال عليه الصلوة
والسلام ياابابكر الا اقرئك آية انزلت على قال قلت بلى يارسول الله فاقرأنيهـا قال ولااعلم انى وجدت انفصـاما
فى ظهرى حتى تمطيت لهافقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك ياابابكر فقلت يارسول الله بابى انت وامى واينا
لم يعمل سوأ وانالمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم امانت ياابابكر واصحابك المؤمنون
فيجزون بذلك فى الدنيـا حتى تلقوا الله تعـالى وليست لكم ذنوب واما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيمة
وعن ابن عباس رضى الله عنه لمانزلت هذه الآية شقت على المسلمين وقالوا يارسول الله واينا لم يعمل سوأ غيرك فكيف
الجزاء قال منه مايكون فى الدنيـا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشرة
وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده عشراته واماماكان جزاء فى الآخرة فيقـابل بين حسناته وسيئاته فتلقى
مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله وفى رواية عن ابى بكر حين نزلت
الآية من يجز بمجموع هذا يارسول الله قال لا تحزن اما تمرض اما تصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هو ذاك
(وقال ابوهريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلوة السلام) كما فى صحيح البخـارى (من يرد الله تعالى به خيرا يصب منه)
بضم اوله وكسر صاده وبفتح اى ينزل به مكروها ليثاب عليه (وقال) اى النبى عليه الصلوة والسـلام كما فى صحيح
مسلم (من رواية عايشة مامن مصيبة تصيب المسلم) اى من الامر المكروه (الاكفر) وفى نسخة الايكفر (الله تعـالى بها
عنه) اى ذنوبه (حتى الشوكة) بالحركات الثلاث والاظهر الجر على ان حتى عاطفة او بمعنى الى او الرفع على انها . وكذ
مبتدأ والخبر قوله (يشاكها) بضم الياء والضمير القائم مقام الفاعل عائد الى المؤمن والتقدير يشاك المؤمن بها .

السوكة والمراد شوكة العضاة وابعد التلمسانى فى تجويزه ان الشوكة ذات الجنب اى تصيبه فيمرض منها قال فعلى الاول غاية فى الضعف وعلى الثانى غاية فى القوة انتهى والاولى اولى كما لا يخفى (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الصحيحين (من رواية ابى سعيد) اى الخدرى (ما يصيب المؤمن من نصب) بفتحتين اى تعب (ولا وصب) بفتحتين اى وجع (ولا هم) اى غم يذيب الانسان (ولا حزن) بضم فسكون و بفتحتين اى غم فوت شئ (ولا ادى ولا غم) يغم فؤاد صاحبه وقيل الهم من الامر السابق والغم من اللاحق (حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله تعالى بها من خطاياه) اى بعض ذنوبه وقيل من زائدة (وفى حديث ابن مسعود) كما رواه الشيخان (مامن مسلم يصيبه اذى) اى ما يتأذى به ولو قطع شراك نعل او انطفاء سراج (الاحات) بتشديد الفوقية من باب المغالبة للمبالغة اى اسقط (الله عنه خطيئاته) وفى نسخة خطاياه (كما يحت) اى الله (ورق الشجر) وفى نسخة بصيغة المجهول وفى نسخة تحات بصيغة الماضى من باب التفاعل وفى اخرى بصيغة المضارع على انه حذف منه احدى التائين وفى رواية تحاتت عنه ذنوبه اى تساقطت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حمى يوم كفارة ثلثين سنة (وحكمة اخرى) فى اجراء الامراض والبلاء على الانبياء والاصفياء (اودعها الله تعالى فى الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها) اى على اعضائهم (وشدتها) كمية وكيفية (عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم) فى تعلقاتهم وفى نسخة قوى انفسهم (فيسهل خروجها) اى انتقال ارواحهم (عند قبضهم) اى وفاتهم (فيخف عليهم مؤنة النزع) اى نقل نزع ارواحهم ومشقة اخراجها من اشباحهم (وشدة السكرات) وغلبة الغمرات (بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك) اى لما تقدم من الحكمة هنالك وهذا (خلاف موت الفجأة) بفتح فسكون مقصورا و بضم ممدود اى موت البغتة (واخذه) بالغفلة وان ورد فى الحديث موت الفجأة راحة للمؤمن واخذة اسف للفاجر على ما رواه احمد والبيهقى عن عايشة (كما يشاهد) بصيغة المجهول (من اختلاف احوال الموتى) اى الذين على شرف الموت وقربه (من الشدة واللين) اى الهينة (والصعوبة والسهولة وقد قال عليه الصلوة والسلام) كما فى الصحيحين عن كعب بن مالك وجابر (مثل المؤمن مثل خامة الزرع) بالخاء المعجمة وتخفيف الميم اى طاقته للينة عطفها اوضعفها (تفيؤها) بضم اوله ففاء مفتوحة وتحتية مشددة مكسورة فهمزة مضمومة واما قول التلمسانى وروى تفئها بدون ياء فخطأ فاحش اى تحركها وتميلها (الريح) اى جنس الرياح (هكذا) مرة عن يمينها (وهكذا) مرة عن يسارها والمعنى تميلها من جانب الى جانب (وفى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة لابى هريرة كما فى صحيح مسلم (من حيث اتتها الريح تكفأها) بفتح الفاء وتكسر اى تقلبها (فاذا سكنت) اى الريح (اعتدلت) اى قامت قامة الخامة على ساقها معتدلة غير مائلة (وكذلك المؤمن يكفأ) بصيغة المجهول اى يقلب و يغير حاله (بالبلاء) عما كان عليه فى النعماء (ومثل الكافر) وفى معناه الفاجر (كمثل الارزة) بسكون الراء وفتحها شجرة الارزن وهو خشب معروف وقيل الصنوبر وقال بعضهم الآرزة بوزن فاعلة ومعناها الثابتة فى الارض وانكرها ابو عبيد كذا فى النهاية (صماء) اى صلبة يابسة (معتدلة) اى مستوية ثابتة (حتى يقصمه الله تعالى) بكسر الصاد بعد سكون القاف اى يكسره (ويهلكه) ويأخذه بغتة من غير تقدم بلية فى غالب قضية وعن انس رضى الله عنه ان الله تعالى خلق عباده منهم صحيح وسقيم وغنى وفقير فمنهم من لو اسقمه لافسده ذلك ومنهم من لو اصحه لافسده ذلك ومنهم من لو اغناه لافسده ذلك ومنهم من لو افقره لافسده ذلك والله تعالى اعلم بمصالح عباده وفق مراده اقول وقد يستفاد هذا المعنى من قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفى الجملة كما ورد المؤمن مكفر على ما رواه الحاكم عن سعد (معناه) اى الحديث السابق (ان المؤمن مرزأ) بتشديد الزاى المفتوحة وفى نسخة بتخفيفها اى مبتلى بالرزايا (مصاب بالبلاء) اى بانواع البلايا كموت اعزته وفوت احبته (والامراض) وفى معناها فقد الاغراض (راض بتصريفه) اى بتغيير احواله وتغير آماله فى حاله ومآله وجاهه وماله (بين اقدار الله تعالى) اى انواع قضائه من بلائه ونعمائه (مطاع) وفى نسخة منطاع اى منقاد (لذلك) الذى اصيب به هنالك (لين الجانب) اى متواضع لربه متلبس (برضاه) وفق ما قدر له وقضاه (وقلة تسخطه) اى وعدم كراهته لبلواه (كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح) حال تقلبها يمنة و يسرة فى الصباح والرواح (وتمايلها لهبوبها) المختلفة فى السدة واللينة (وترنحها) بنون مشددة مضمومة بعد راء مفتوحة اى دورانها فى تغيير شانها وعن يزيد الرقاشى المريض يرنح والعرق من جبينه يرشح (من حيث ما اتتها) اى جاءتها رياح البلايا والرزايا (فاذا ازاح الله تعالى) بالزاى اى ازال (عن المؤمن رياح البلاء) وابدل منها رياح النعماء (واعتدل صحيحا) واستقام صريحا (كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو) بفتح الجيم وتشديد الواو اى هواء جو السماء (رجع) المؤمن من مقام صبره (الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه) اى بدفع محنته

(منتظرا رحمته وثوابه) اى مثوبته (عليه)اى على شكر ربه فى حاليه (فاذا كان) اى المؤمن (بهذه السبيل)اى بهذه
المثـابة من تحمل تواردالرزايا وترادف البلايا (لم يصعب عليه مرض الموت ولانزوله) اى حلوله وحصوله فى وقت
من اوقات الفوت (ولااشتدت) اى وخفت (عليه سكراته ونزعه) حين صعبت غمراته (لعادته) اى تعوده (لما)
وفى نسخة بما (تقدم) وفى نسخة تقدمه (من الآلام) اى تحملها فى ضمن الاسقام (ومعرفة ماله فيها من الاجر)اى
الثواب التام يوم القيام (وتوطينه) اى ولتثبيته وتمكينه (نفسه على المصائب) اى اصابتها (ورقتها وضعفها بتوالى
المرض) ولومع خفته (اوشدته) وان لم يتوالى فى مدته (والكافر) اى شانه وحاله (بخلاف هذا) المؤمن فى حاله ومآله
(فهو)وكذا الفاجر (معافى فى غالب حاله ممتع بصحة جسمه)وكثرة ماله وسعة مناله(كالارزة الصماء)اى الشجرة القوية
(حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه)اى كسره واهلكه(لحينه) بكسر الحاء اى فى وقته فورا(على غرة) بكسر غين وتشديد
راء اى على حين غرور وغفلة(واخذه) اى اماته (بغتة)اى فجأة (من غير لطف ولارفق) بل بعنف وشدة تضرب
الملائكة وجهه ودبره بسياط من نار (فكان موته اشد عليه حسرة) اى تأسفا وكآبة (ومقاساة نزعه) اى معاناة
خروج روحه (مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا) عند قبضه (ولعذاب الآخرة اشد) اى اقوى (وابقى)
وفى نسخة زيد لوكانوا يعلمون اى لآمنوا (كانجعاف الارزة) بالنون والجيم اى انقلاعها من اصلها وقال التلمسانى
وروى انجعاف بخاء معجمة اى ضعف واسترخاء (وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لايشعرون) قبل ذلك امارة
وعلامة وقد ورد الحمى رائد الموت اى بريده ونذيره (وكذلك عادة الله فى اعدائه) اى معهم خلاف عادته مع احبائه
(كما قال تعالى فكلا) من اعدائنا ممن كذب باصفيائنا (اخذنا بذنبه) بغتة فاذاهم مبلسون اى متحيرون آيسون
(فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اى ريحا عاصفة تحصبهم كقوم لوط (ومنهم من اخذته الصيحة) كثمود فاصبحوا
فى ديارهم جاثمين (الآية) اى ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كفرعون وقوم نوح وما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون (ففجأ) اى ففاجأ الله (جميعهم)حيث اخذهم كلهم (بالموت على حال عتو)اى
فرط تكبر وتجبر (وغفلة) عما خلقوا له من الموت والبعث فى العاقبة (وصبحهم به) بتشديد الموحدة اى وجاءهم بالموت
(على غير استعداد)حال كونه (بغتة ولهذا ما) كذا فى نسخة فقيل هى زائدة اوموصولة (كره السلف موت الفجأة
(ومنه حديث ابراهيم) اى النخعى كما صرح به ابن الاثير فى نهايته فلاوجه لقول الدلجى النخعى اوالتيمى وكذا القول
غيره انه ابن ادهم ولايبعد التعدد والله اعلم (كانوا) اى الصحابة والتابعون (يكرهون اخذه كاخذة الاسف) رواه سعيد
ابن منصور فى سننه وابن ابى الدنيا فى ذكر الموت والاسف بفتحتين (اى الغضب) الموجب لكثرة التأسف وشدة التلهف
وفى نسخة بكسر السين اى الغضبان المتأسف (يريد) اى ابراهيم وفى نسخة يريدون اى السلف بهذه الاخذة
(موت الفجأة وحكمة ثالثة) فى اعتراء انواع البلاء على الانبياء والاصفياء (ان الامراض) اى كلها (نذير الممات)
وفى نسخة نذير الموت اى منذر الموت ومخوف الوفات كما ورد الحمى رائد الموت لانها تنبئ عن قرب الفوت (و بقدر شدتها)
اى قوة الامراض وقلتها (شدة الخوف) اى خوف الفوت (من نزول الموت فيستعد) للموت (من اصابته) تلك
الامراض قبل الفوت (وعلم) اى المؤمن (تعاهدها له) اى تفقد الامراض وتعاودها له استعدادا تاما (للقاء ربه
عزوجل و يعرض عن الدنيا الكثيرة الانكاد) اى الكدورات وما احسن قول ابن عطاء فى حكمه مادمت فى هذه الدار
لاتستغرب وقوع الاكدار (و يكون قلبه متعلقا بالمعاد) و يكون متهيئا لتحصيل زاد ليوم التناد (فيتنصل) من باب
التفعل وفى نسخة فينتصل من باب الانفعال اى يتخلص و ينفصل(من كل مايخشى تباعته) بكسر اوله لابفتحه كما وهم
الحلبى بمعنى تبعته ومؤاخذته (من قبل الله تعالى) وهو اهون (وقبل العباد) وهو اقوى(و يؤدى الحقوق) المتعلقة به
جميعها (الى اهلها) بقدر امكان ادائها(و ينظر) اى يتأمل (فيما يحتاج اليه من وصية) بما تركه الى من يثق به (فيمن
يخلفه) بتشديد اللام المكسورة اى فيمن يعقبه من ولد وعبد(اوامر يعهده) الى من يريده(وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
المغفور له) اى ماتقدم من ذنبه وما تأخر كما فى نسخة(قد طلب التنصل)اى التخلص (فى مرضه ممن كان له عليه مال)
دينا اوقرضا(اوحق فى بدن)يورث قصاصا اوارشا(واقاد من نفسه وماله) اى اعطى القود منهما مستحقه (وامكن
من القصاص منه) اى من نفسه (على ماورد فى حديث الفضل) اى ابن عمه العباس كما مر وفيه انه صلى الله عليه وسلم
ضرب اعرابيا بعود كان بيده فقال يارسول الله القصاص فبرمر بدله فكسف له عن بطنه فالتزمه تبركا به وفى حديث
الوفاة كما تقدم والله تعالى اعلم (واوصى بالثقلين بعده كتاب الله تعالى) بالجر بدل مما قبله و يجوز رفعه ونصبه
(وعترته) بكسر اوله اى اقاربه واهل بيته وسميا بالثقلين اما لثقلهما على نفوس كارهيهما ولكثرة حقوقهما فهما
شاقان اولعظم قدرهما اولشدة الاخذ بهما اولثقلهما فى الميزان من قبل ما امر به فيهما اولان عمارة الدين بهما كما عمرت

الدنيا بالانس والجن المسميين بالثقلين فى قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان (وبالانصار عيبته) بفتح العين المهملة وسكون التحتية فباء موحدة اى لانهم موضع سره وامانته ومحل رعايته وعنايته وحراسته ووقايته كعيبة الثياب التى يضع الشخص فيها متاعه النفيس (ودعا) اى اصحابه فى مرض موته (الى كتب كتابه) اى كتابة مكتوبه (لئلا تضل امته بعده) اذا عملوا بكتابته فاختلفوا فى ذلك وتنازعوا هنالك فقال دعونى فانه لا ينبغى التنازع عند نبى وذلك الكتاب (اما فى النص على الخلافة) وفيه ان الوصية بالخلافة لا تحتاج الى امر الكتابة مع انه قد اشار اليه بنصب الامامة (والله تعالى اعلم بمراده) مما خطر بباله نصيحة لخلق الله تعالى وعباده (ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا) من الكتابة واجل (وهكذا سيرة عباد الله تعالى المؤمنين واوليائه المتقين) من الابتلاء بانواع البلاء المذكورة لحال الفناء المهيئة للاستعداد ليوم اللقاء فى دار البقاء (وهكذا كله) اى ما ذكر من حال انبيائه واوليائه الابرار (يحرمه) بصيغة المجهول اى يحرم منه (غالبا الكفار) وكذا الفجار (لاملاء الله تعالى لهم) اى امهالهم الى انصرام آجالهم (ليزدادوا اثما) ويستزيدوا ظلما ليكون لهم عذاب مهين فيما اكتسبوا جرما (وليستدرجهم) اى ليستدنيهم الله درجة درجة فى مراتبهم الى ما يهلكهم باشد عقبهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم بتواتر نعمه سبحانه وتعالى عليهم منهمكين فى غيهم وضلالتهم كلما جدد لهم نعمة زادوا فى طغيانهم وعصيانهم ظنا منهم ان تواتر النعماء عليهم تقريب واسعاد وانما هو تطريد وابعاد (قال تعالى ما ينظرون) اى ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) وهى النفخة الاولى (تأخذهم) بغتة وتهلكهم فجأة غافلين عنها لا يخطر ببالهم امرها (وهم يخصمون) بفتح الخاء وكسرها واختلاسها اى والحال انهم يختصمون فى معاملاتهم وفى قراءة بسكون الخاء وكسر الصاد من خصم اذا اختصم وفى الحديث لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما يتبايعانه فلا يطويانه فلتقومن الساعة وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا يطعمها (فلا يستطيعون) اى حينئذ (توصية) فى امرهم (ولا الى اهلهم يرجعون) اى ولا يقدرون ان يرجعوا الى قومهم بل يموتون فجأة كلهم (ولذلك) اى لكون موت الفجأة مذموما فى الجملة (قال عليه الصلوة والسلام) كما رواه ابو يعلى وابن ابى الدنيا عن انس (فى رجل مات فجأة) اى فى حقه (سبحان الله) تعجبا من شانه (كانه على غضب) اى وقع على سبب غضب يقتضى موته كذلك (المحروم من حرم وصيته) تلويح بالحث على الوصية لئلا يموت الواحد فجأة لحديث ما حق امرئ يبيت ليلتين الا ووصيته عنده وكانه عليه الصلوة والسلام كشف له ان الرجل كان واجبا عليه الوصية فى شئ من الاحكام فلا ينافى ما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه كما بينه المصنف بقوله (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حديث احمد عن عايشة بسند صحيح (موت الفجأة راحة للمؤمن واخذة اسف) اى غضب (للكافر او الفاجر) قال الدلجى شك من احد رواته واقول الاظهر انه للتنويع والمراد بالفاجر المنافق او الفاسق (وذلك) اى كون موت الفجأة مختلفا هنالك (ان الموت) وفى نسخة لان الموت (يأتى المؤمن وهو غالبا مستعد له) اى لوصوله (منتظر لحلوله) متهيئ لنزوله (فهان امره) اى سهل (عليه كيف ما جاءه) حال حصوله (وافضى) اى اوصله (الى راحته من نصب الدنيا واذاها) اى تعبها واذيتها (كما قال عليه الصلوة والسلام) فيما رواه الشيخان عن ابى قتادة حين مر بجنازة (مستريح) اى الميت مستريح (ومستراح منه) اى او مستراح منه وفى نسخة يستريح ويستراح منه قيل من هما يا رسول الله قال اما المستريح فالمؤمن يموت فيستريح من تعب الدنيا واما المستراح منه فالظالم يموت فيستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب قال النووى اما استراحة العباد منه فاندفاع اذاه عنهم واستراحة الدواب منه فكذلك لانه يؤذيها بالضرب والاجاع وتحميل ما لا تطيقه واستراحة البلاد والشجر لانها تمنع القطر بمعصيته (وتأتى الكافر والفاجر) بالواو اى الفاسق او الظالم (منيته) بتشديد تحتية اى موته (على غير استعداد) لمعاد (ولا اهبة) بضم فسكون اى تهيئة (زد ولا مقدمات) بكسر الدال وتفتح اى مؤذنات سابقة ومخوفات لاحقة (منذرة) اى مخوفة (مزعجة) مقلقة محركة (بل تأتيهم) المنية (بغتة) فجأة (فتبهتهم) اى تحيرهم وتدهشهم (فلا يستطيعون ردها) اى صرفها (ولاهم ينظرون) اى لا يمهلون حينئذ وان كانوا من قبله ليمهلون (فكان الموت اشد شئ عليه وفراق الدنيا افظع) بالفاء والظاء المعجمة اى اهيب واصعب واشنع وامر (امر) لديه من حال (صدمه) اى اصابه مما هجمه (واكره شئ له) اى اصعب شئ ارهقه واصابه (والى هذا المعنى اشار عليه الصلوة والسلام بقوله) كما فى الصحيحين عن عبادة بن الصامت (من احب لقاء الله) اى بروية الله تعالى له عند موته ما اعده له فى الجنة (احب الله لقاءه) اى اراد مصيره اليه ومنحه ما لديه (ومن كره لقاء الله تعالى) بروئيته له عند موته ما اعد له من سخطه كما ورد فى الحديث تفسيره بذلك (كره الله لقاءه) فلم يظفر بمطلوب ولم يظهر بمرغوب وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم قال اهل البيت ليتنافسون فى الخير والمعروف فيدخلون الجنة كلهم حتى ما يفقدوا خادمهم وان اهل البيت ليتنافسون فى الشر فيدخلون النار كلهم حتى ما يفقدوا خادمهم وقد يقتبس هذا المعنى منطوقا ومفهوما من قوله تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وروى الترمذى عن سالم بن عمر قال لقيت عليا رضى الله تعالى عنه وهو منصوب من مسجد القبلتين فقال يا ابن عمر انى كنت آنفا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرنى بكلمات اخبرهن جبريل عن الله عز وجل وانا نخبرك بهن وانت لذلك اهل اخبرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال جبريل عليه السلام ما من قوم يكونون فى حبرة الا استتبعهم عبرة وكل نعيم زائل الا نعيم الجنة وكل هم منقطع الا هم اهل النار واذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها سريعا واكثر من صنايع المعروف توق مصارع السوء وما من عمل بعد الفرائض احب الى الله من ادخال السرور على المؤمن ثم قال دونكهن يا ابن عمر قال فشرح الله بهن صدرى مرتين كذا ذكره التلمسانى والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ القسم الرابع ﴾

(فى تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلوة والسلام قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف (قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مجملا (وما يتعين له من بر) اى طاعة او احسان (وتوقير) اى تبجيل (وتعظيم واكرام) وامثال ذلك مفصلا (وبحسب هذا) بفتح السين اى على قدر ما يجب له و يتعين فى حقه (حرم الله تعالى اذاه فى كتابه) و بين حرمته فى فصل خطابه (واجمعت الامة على قتل متنقصه) بنوع من تحقيره خلاف ما يجب من توقيره (من المسلمين) بخلاف الكافرين (وسابه) اى شاتمه بطريق الاولى فى حقه ففى قاضيخان لو عاب الرجل النبى فى شئ كان كافرا وكذا قال بعض العلماء لو قال لشعر النبى شعير فقد كفر وعن ابى حفص الكبير من عاب النبى بشعرة من شعراته الكريمة فقد كفر وذكر فى الاصل ان شتم النبى كفر ولو قال جن النبى ذكر فى نوادر الصلوة انه كفر و يجوز ان يقال اغمى على النبى وهذا حكم المؤمن به واما الكافر اذا تنقصه او سبه قال بعضهم يقتل وقال بعضهم ينتقض عهده و يخرج من بلده فيبلغ مأمنه (قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله) اى ابعدهم عن الرحمة (فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا) وعذابا مبينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله و يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه قال البغوى وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله يؤذينى ابن آدم بسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج فى وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) اى مؤلم بفتح اللام وكسرها وصدر الآية ومنهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو اذن نزلت فى جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا ما لا ينبغى فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس بن سويد منهم بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فانما محمد اذن اى اذن سامعة فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم الآية (وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) بنوع من الاذى لا فى حياته ولا بعد مماته (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) اى لا بعد وفاته ولا بعد فراقه لها دخل بها ام لا تعظيما لقدره وتفخيما لامره (ان ذلكم) اى الاذى من قبلكم (كان عند الله عظيما) اى ذنبا جسيما نزلت فى رجل من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانكحن عايشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله عز وجل ان ذلك محرم وروى معمر عن الزهرى ان العايشة بنت ظبيان التى طلقها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له وذلك قبل تحريم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى تفسير البغوى انه نزل فيمن اضمر نكاح عايشة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما (وقال تعالى فى تحريم التعريض له) اى التلويح بما يسوءه من غير التصريح (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) فانه امر بالمراعاة فى مقام التصريح لكنه متضمن لمعنى الرعونة فى مقام التلويح (وقولوا) اى بدله (انظرنا) اى انظر الينا وراقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونعلم مرامك (واسمعوا) اى سماع قبول (الآية) اى وللكافرين عذاب اليم وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد (وذلك) اى سبب نزول الآية هنالك (ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك) بفتح الهمزة وكسر العين والمعنى راعنا يسمعك والقه الينا (واسمع منا) ولا تغفل عنا (و يعرضون) بتشديد الراء المكسورة اى و يلوحون (بالكلمة) التى هى سبه عندهم (يريدون الرعونة)

وهي بضم الراء الجافة و يضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها فقال لليهود ولئن سمعتها من احدمنكم يقولها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها (فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم) ولو في الصورة (وقطع الذريعة) اى الوسيلة وسد باب الفساد (بنهي المؤمنين عنها) اى عن كلمة راعنا (لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه) اى طعنه (والاستهزاء به وقيل بل لما فيها) اى في كلمة راعنا (من مشاركة اللفظ) اى المبنى ومشابهة المعنى (لانها عند اليهود بمعنى اسمع لاسمعت) دعاء عليه كما قال تعالى اخبارا عنهم من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا و بهذا تبين انه ما يصح كون كلمة راعنا بمعنى اسمع بل بينهما مغايرة (وقيل بل لما فيها) اى في كلمة راعنا (من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تبجيله (وتعظيمه لانها في لغة الانصار) وفي نسخة لغة النصارى ولا وجه للتقييد باحدهما اذ هي على وفق اللغة الجادة فان المراعاة مفاعلة من باب المغالبة فيكون (بمعنى ارعنا) بوصل همزة وفتح عين امر من الرعاية (نرعك) اى حتى نرعاك فحذف الالف للجزم في جواب الامر وحيث كان يؤذن بان رعايتهم له مشروطة برعايته لهم (فنهوا عن ذلك اذ مضمنه) بفتح الميم الثانية المشددة اى مضمونه (انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه الصلوة والسلام واجب الرعاية بكل حال) سواء راعاهم اولم يراعهم (وهذا هو عليه الصلوة والسلام قد نهى) الحاضرين من امته (عن التكني بكنيته) وهي ابو القاسم اما بابنه القاسم وهو الطاهر او كما ء الله تعالى بذلك لقوله انا قاسم بينكم وله كنية اخرى وهي ابو ابراهيم لابنه الآخر (فقال سموا) وفي نسخة تسموا (باسمي) اى محمد اواحمد (ولا تكنوا) من كنى مخففا اومشددا وروى ولا تكتنوا (بكنيتي) بضم الكاف ويكسر وفيه ايماء الى ان محط النهي هو الجمع بين الاسم والكنية لا نهما موجبان للشبهة (صيانة لنفسه) اى الكريمة كما في نسخة (وحماية عن اذاه) اذا احد به غيره ناداه ولعل وجه النهي عن الكنية دون الاسم كونهم متأدبين معه حيث لا ينادونه باسمه لاسيما بعد نهيهم عنه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى لاتقولوا له يا محمد ويا احمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله واما ما ثبت من حديث انس ان رجلا من اهل البادية قال يا محمد الحديث فلعله كان قبل النهي اوقبل بلوغه ونقل عن عز الدين بن عبد السلام انه يجوز ذلك في الادعية وكانوا ينادونه بالكنية لما فيه من نوع التعظيم في الجملة بحسب العرف والعادة ولما كان فيه شبهة المشاركة نهاهم عن ذلك ليكونوا متأدبين هنالك (اذ كان صلى الله عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن انس (استجاب) اى اجاب (لرجل نادى) غيره (يا ابا القاسم فقال لم اعنك) بفتح فسكون فكسر اى لم اردك بهذا النداء (انما دعوت هذا) واشار الى رجل آخر وهو ابن القاسم الانصاري مذكور في الصحابة (فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره) وفي نسخة باجابة دعوته غيره الصادرة (ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون المستهزؤن ذريعة) اى وسيلة (الى اذاه) اى اذيته (والازراء به) اى الاستحقار بدعوته والانتقاص في حالته (فينادونه) قصدا له (فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا) الواقف ونحوه (لسواه) اى لغيره عليه الصلوة والسلام (تعنيتا له) تفعيل من العنت بفتحتين وهو المشقة ادخالا للتعب عليه في امره وتنقيصا لقدره (واستخفافا بحقه على عادة المجان) بضم الميم وفتح الجيم المشددة جمع الماجن وهو الذي لا يبالي بما صنع (والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه) بفتح الحاء في الاول وكسره في الثاني اى صان حريم ساحته عن اذى يلحقه في حالته (بكل وجه) في شريعته وطريقته (فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا) اى التكني بكنيته (على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة) وهي ايذاؤه في تلك الحالة ولما سيأتي ايضا من الادلة وقد اغرب الدلجي بقوله جاؤا بلا دليل شرعي مع ترجيح ولا مرجح له وليس ارتفاع العلة بكاف في تجويزه بعدها مع صراحة عموم النهي المطلق عنه الشامل لما قبلها وما بعدها كيف وقد غير عمر عليه في خلافته اسماء كثيرة من اولاد الصحابة ممن كان اسمه محمدا بغيره كاسم ابن اخيه غيره بعبد الرحمن مع اذنه صلى الله تعالى عليه وسلم في التسمية به فلأن يمنع من التكنية بكنيته مع النهي عنها اولى وممن منعه بها مطلقا الشافعي انتهى وسيأتي الجواب عن تغيير عمر مع انه بظاهره حجة عليه لانه غير موافق لمذهبه واما قول الشافعي ليس لاحد ان يكنى بابي القاسم سواء كان اسمه محمدا او لا لظاهر النهي فيرد عليه بان الناس مازالوا يكتنون به في سائر الاعصار من غير انكار وذلك منهم بمنزلة الاجماع ولا تجتمع الامة على الضلالة على ماقاله الانطاكي وتبعه التلمساني (وللناس في هذا الحديث مذاهب) اى كثيرة (ليس هذا موضعها) وسيأتي بعضها (وما) وفي نسخة والذي (ذكرناه) من تقييد النهي بحياته (هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله) عارضه الدلجي بقوله بل الصواب المنع مطلقا وقد سمعت الجواب محققا (ان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره على سبيل الندب والاستحباب

لاعلى التحريم) وتعقبه الدلجي بانهذا دعوى مجردة عن البينة لصدوره على خلاف الاصل من ان نهيه انما كان للايذاء المؤذن بوجوب الكف عن التكنى بها اذ الاصل حمل لفظ النهي على حقيقته من التحريم حتى يقوم مايصرفه عنها انتهى واعلم ان القول الذى هو فصل الخطاب فى هذا الباب ان حديث تسموا باسمى ولاتكتنوا بكنيتى اخرجه البخارى ومسلم من رواية جماعة من الصحابة منهم جابر وابوهريرة وغيرهما فقال الشافعى ليس لاحد ان يكتنى بابى القاسم سواء كان اسمه محمدا ام لا قال الرافعى ومنهم من حمله على كراهية الجمع بين الاسم والكنية وجواز الافراد قال و يشبه ان يكون هو الاظهر لان الناس مازالوا يكتنون به فى سائر الاعصار من غير انكار قال النووى فى الروضة وهذا التأويل والاستدلال ضعيف والاقرب مذهب مالك وهو جواز التكنى بابى القاسم مطلقا لمن اسمه محمد ولغيره والنهى مختص بحياته عليه الصلوة والسلام لان سبب النهى ان اليهود تكنوا به وكانوا ينادون ياابا القاسم فاذا التفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لم نعنك اظهارا للايذاء وقد زال ذلك المعنى وهذا نقله الغزالى فى الاحياء عن العلماء (ولذلك لم ينه عن اسمه لانه) اى الشان (قدكان منع الله من ندائه به) اى باسمه (بقوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم) اى نداءه باسمه (كدعاء بعضكم بعضا) باسمائكم (وانما كان المسلمون يدعونه) اى ينادونه (يارسول الله يانبى الله وقد يدعونه) هو بصيغة الجمع على الصواب وروى يدعوه بالافراد قيل ووجهه يدعوه الداعى (بكنيته) يعنى (اباالقاسم) اوفيقولون اباالقاسم اى ياابا القاسم وفى نسخة ابى القاسم فلااشكال (بعضهم)بدل من ضمير يدعونه او فاعل يدعوه على حقيقة الافراد ولبس بعضهم فى نسخة (فى بعض الاحوال) لما استقر عندهم من ان الدعاء بالكنية اشعار بالتعظيم والاجلال وذكر الحلبى عن بعض مشايخه ان قول النووى فى الروضة ما ذكره الرافعى انه ضعيف وكذا قوله فى الاذكار ان فيه مخالفة لاصل الحديث فيه نظر لان فيه موافقة لحديث صحيح رواه احمد وابو داود والترمذى من حديث ابى الزبير عن جابر رفعه من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلايسمى باسمى قال الترمذى حسن غريب وقال البيهقى فى شعب الايمان بعد ان اخرجه هذا حديث صحيح وصححه ابن حبان وابن السكن وهو مذهب ابى حاتم وشذ آخرون فمنعوا التسمية باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جملة كيف ما كان حكاه المنذرى قال وذهب آخرون الى ان النهى فى ذلك منسوخ انتهى وما ذكره المنذرى من المنع عن التسمية باسمه عليه الصلوة والسلام حكاه النووى فى شرح مسلم فقال التسمية بمحمد ممنوعة مطلقا سواء كان له كنية ام لا قال وجاء فى حديث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسمون اولادهم ثم يلعنونهم وهذا معنى قوله (وقد روى انس) كما رواه الحاكم والبزار وابو يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلوة والسلام مايدل على كراهة التسمى باسمه وتنزيهه) اى تبعيد اسمه (عن ذلك) اى عن ان يتسمى به غيره (اذا لم يوقر) اى لم يعظم حق تعظيمه (فقال يسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم) بتقدير الاستفهام الانكارى اى التوبيخى ومحط الانكار الجملة الثانية كقوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم (وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لايسمى احد) بصيغة المجهول و يجوز كونه للفاعل (باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد به محمد لانه اشهر اسمائه او الجنس ليسمل احمد ايضا و يؤيده انه فى نسخة صحيحة باسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حكاه ابوجعفر الطبرى) وهو محمد بن جرير (وحكى محمد بن سعد) كاتب الواقدى وصاحب الطبقات عن عبد الرحمن ابن ابى ليلى (انه) اى عمر رضى الله تعالى عنه (نظر الى رجل) قيل هو ابن اخيه ابو عبد الحميد بن زيد بن الخطاب (اسمه محمد ورجل يسبه) اى يشتمه (ويقول) اى له كما فى نسخة (فعل الله بك يامحمد وصنع) الله (فقال عمر رضى الله عنه) عند ذلك (لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لاارى) لانافية لا امنية كما تصحف على الدلجى اى لا ارضى (محمدا عليه الصلوة والسلام يسب بك) اى فى ضمن سبك او بسبب سبك تصريحا (والله لاتدعى محمدا مادمت) انا وانت (حيا وسماه عبد الرحمن) ثم ارسل الى بنى طلحة بن عبيد الله وهم سبعة اكبرهم وسيدهم اسمه محمد فاراد ان يغير اسمه فقال محمد بن طلحة فوالله ياامير المؤمنين ان من سمانى محمدا لمحمد فقال قوموا فلاسبيل الى تغيير شئ سماه رسول الله وروى ان من الصحابة من اسمه محمد بضعة وثمانون انسانا (واراد ان يمنع لهذا) السبب وهو تنزيه الاسم عن السب (ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك) اى بتغيير اسمائهم هنالك (وغير اسمائهم) اى اسماء بعض من تسمى باسماء الانبياء وفى نسخة وغير اسماء جماعة تسموا باسماء الانبياء فقد روى ابن سعد قال دخل عبد الرحمن بن سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى على عمر وكان اسمه موسى فسماه عبد الرحمن وروى ان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان اسمه ابراهيم فسماه عبد الرحمن (وقال لاتسموا) اى اولادكم ويجوز ان يكون بفتح التاء والميم اى لا تتسموا (باسماء الانبياء ثم امسك) اى عمر عن منعهم وفى شرح مسلم ان المذاهب فى هذه المسئلة ستة الاول النهى عن التكنى بابى القاسم مطلقا الثانى انه خاص بحياته الثالث انه على الادب

الرابع انما يحرم الجمع الخامس التسمي بقاسم السادس المنع من التسمي بمحمد (والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلوة والسلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم) اى من الصحابة (ابنه محمدا) لقوله عليه الصلوة والسلام تسموا باسمي (وكناه بابي القاسم) كما يشير اليه قوله (وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذن في ذلك) اى في تسمية ولده محمد او تكنيته بابي القاسم (لعلى رضى الله عنه) اذنا خاصا او عاما فقد رواه ابو داود والترمذي من حديث محمد ابن الحنفية عن على بلفظ قال اى على يارسول الله ارأيت ان ولد لى بعدك اسميه محمدا واكنيه بكنيتك قال نعم ويروى انه عليه الصلوة والسلام قال لعلى سيولد لك بعدى غلام وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا يحل لاحد من امتي بعده (وقد اخبر عليه الصلوة والسلام ان ذلك) اى مجموع محمد وابي القاسم (اسم المهدى) من اهل بيته في آخر الزمان (وكنيته) رواه ابو داود والترمذي وغيرهما عن ابن مسعود بلفظ المهدى يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي ولم يعرف من زاد الكنية في روايته (وقد سمى به) اى باسمه محمد (النبي عليه الصلوة والسلام محمد ابن طلحة) بن عبيد الله التيمي على ما تقدم قيل وكناه بكنيته وقد مسح رأسه وهو المعروف بالسجاد امه حمنة بنت جحش اخت زينب قتل يوم الجمل مع ابيه سنة ست وثلاثين وكان هواه فيهما ذكر مع على بن ابي طالب وكان على قد نهى عن قتله في ذلك اليوم وقال اياكم وصاحب البرنس ويروى ان عليا مر به وهو قتيل يوم الجمل فقال هذا السجاد ورب الكعبة هذا الذى قتله بره بابيه يعنى ان اباه اكرهه على الخروج في ذلك اليوم (ومحمد بن عمرو بن حزم) الانصاري النجاري ولد سنة ست عشرة بنجران وقيل بالحرة وكان فقيها قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين من الهجرة (ومحمد بن ثابت بن قيس) ابن شماس الانصاري الخزرجي المدني اتى به ابوه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسماه محمدا وحنكه بريقه قتل يوم الحرة (وغير واحد) اى كثيرا منهم سماه عليه الصلوة والسلام محمدا كمحمد بن خليفة قال الذهبي وحكى ان اسمه عبد مناف ومحمد بن نبيط بن جابر ولد في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ومحمد بن هلال بن العلاء (وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان) وفي نسخة صحيحة وثلاثة (وقد فصلت الكلام) اى فيما ينبت فيه المرام (في هذا القسم) اى الرابع من الكتاب (على ما بين كما قدمناه)

﴿ الباب الاول ﴾

(في بيان ما هو في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سب اونقص من تعريض اونص) اى تلويح اوتصريح من شتم اوذم (اعلم) وفي نسخة فاعلم (وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى شتمه (اوعابه) اى ذمه (اوالحق به نقصا في نفسه) اى ذاته اوصفاته (اونسبه) بفتحتين (اودينه) اى شريعته وسيرته وحكوماته (اوخصلة من خصاله) اى حالة من حالاته اوكلمة من مقالاته سواء صرح به (اوعرض به) بتشديد الراء اى لوح فيه (اوشبهه بشئ على طريق السب له اوالازراء عليه) اى احتقارا به واستخفافا بحقه (اوالتصغير لشانه) اى الاحتقار لعظيم قدره (اوالغض منه) اى الخفض والنقص من امره (اوالعيب له) في حكمه (فهو) بكل واحد مما ذكر (ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل) اى اجمالا (كما نبينه) تفصيلا (ولا نستثنى فصلا من فصول هذا الباب) اى نوعا من انواع كلام الساب (على هذا المقصد) بكسر الصاد اى الذى قصدناه من صوب الصواب (ولا نمترى فيه) اى ولا نشك في قتل هذا الساب (تصريحا كان اوتلويحا) في هذا الباب اذ يستويان في الحكم عند اولى الالباب (وكذلك) بالطريق الاولى (من لعنه اودعا عليه السلام اوتمنى مضرة له) كانت تحصل لديه (اونسب اليه ما لا يليق بمنصبه) بكسر الصاد اى بمقامه الشريف ومكانه المنيف (على طريق الذم) لعله احتراز من الخطأ اوالسهو (اوعبث) بفتح العين المهملة وكسر الموحدة اى لعب ومزح اى خلط (في جهته العزيزة) اى جانبه الكريم وهو بزايين وفي نسخة بغين معجمة وراء ثم زاء اى الطبيعة (بسخف) بضم السين وسكون المعجمة اى برقة قبيحة (من الكلام وهجر) بضم فسكون اى فحش في المنطق (ومنكر من القول) اى تنكره الشريعة (وزور) اى كذب وافتراء امر منحرف عن الحق (اوعيره) بعين مهملة وتحتية مشددة اى ما به (بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه) كالفقر والكسر وغيرهما (اوغمصه) بغين معجمة وصاد مهملة اى حقده (ببعض العوارض البشرية الجائزة) جريانها (عليه المعهودة لديه) كالجوع والاغماء ونحوهما (وهذا) الذى ذكرناه (كله اجماع من العلماء) من المفسرين والمحدثين (وائمة الفتوى من المجتهدين من لدن الصحابة رضى الله عنهم اجمعين الى هلم جرا) اى الى يومنا وهلم جرا كما في نسخة وهو من الجر بمعنى السحب والمعنى استمر الاجماع واتصل من عصرهم الى الآن وكذا الى ما بعده من الزمان وانتصب جرا على المصدر اوالحال اوالتمييز (قال) القاضي (ابو بكر ابن المنذر) محمد بن ابراهيم النيسابوري (اجمع عوام اهل العلم) اى كلهم (على ان من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل) صونا لقدره وتعظيما لامره ونعم ما قيل من المبنى في هذا المعنى

﴿لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم﴾

(وممن قال ذلك) اى القتل بسببه (مالك بن انس) امام المذهب (والليث) اى ابن سعد (واحمد) اى ابن حنبل (واسحق) اى ابن راهويه (وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله) يعني المصنف (وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء المذكورين) من العلماء (وبمثله) اى بمثل قول من ذكر بقتل من سبه لا بعدم قبول توبته كما وهم الدلجي لذ يرده قول المصنف لكنهم قالوا هي ردة (قال ابو حنيفة رحمه الله) اى تصانيفه (واصحابه) وافقوا معه فيه (والثوري) اى سفيان بن سعيد (واهل الكوفة) اى جميعهم (والاوزاعي) وهو امام جليل اخذ عنه مالك والثوري (في المسلمين) وفي نسخة في المسلم احترازا ممن وقع له سب وهو من المعاهدين لاختلاف فيه على ما تقدم (لكنهم قالوا) اى العلماء المتأخرون من ابي حنيفة ومن بعده في الذكر ترتيبا لا تواهم المتقدمين في الرتبة والعمر (هي) اى سبه وانثه باعتبار خبره وهي (ردة) اى ارتداد وسيجيء بيان حكم المرتد من انه يستتاب فان ابى يقتل على الجواب الصواب (وروى مثله) اى مثل قول هؤلاء انه ردة (الوليد بن مسلم) احد الاعلام من اهل الشام مات سنة خمس وتسعين وروى ابن ابي مسلم والاول اصح (عن مالك) الامام فيكون عنه روايتان (وحكى الطبري مثله) اى مثل القول بانه ردة (عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه) بشيء ينقصه (صلى الله تعالى عليه وسلم او برئ منه) اى تبرأ منه بان قطع مودته ومحبته عليه الصلوة والسلام (او كذبه) في قول من اقواله (وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة) من الثنوية القائلين بتناسخ الارواح ودوام الدهر والاشباح ذكره الدلجي تبعا للجوهري في صحاحه ان الزنديق من الثنوية وهو معرب والجمع الزنادقة وقد تزندق والاسم الزندقة انتهى وقال ابن قرقول الزنادقة من لا تعتقد ملة من الملل المعروفة ثم استعمل في كل من عطل الاديان وانكر الشرايع وفيمن اظهر الاسلام واسر غيره وقال الرافعي هو الذي يظهر الاسلام ويخفي الكفر والاصح عند الشافعية انه الذي لا ينتحل دينا وقيل هو المباحي الذي لا يتدين بدين ولا ينتمي الى شريعة ولا يؤمن بالبعث والنشور والزندقة بالفتح عقيدته (وعلى هذا) اى القول بكونه ردة مطلقة كالزندقة (وقع الخلاف في استتابته وتكفيره) اى خروجه من الاسلام الى كفره لانه لم يعرف له دين في امره فلا يستتاب لعدم الاعتماد على تغيره (وهل قتله) اى بعد توبته (حد) اى سياسة (او كفر) حقيقة (كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى) والحاصل ان الخلاف محصور فيما ذكرنا (ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الائمة) من صلحاء الكبار (وقد ذكر غير واحد) اى كثير من الاخيار (الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد) اى ابن سعيد بن حزم اليزيدي القرطبي الظاهري (الفارسي) الاصل مات سنة سبع وخمسين واربعمائة صاحب التصانيف وله كتاب نوادر الاخبار ويسمى بنقط العروس وكان شافعيا ثم صار مجتهدا ظاهريا وصنف كتبا كثيرة (الى الخلاف في تكفير المستخف به) ولعله محمول على عدم تعمده (والمعروف ما قدمناه) من تكفيره وقتله (قال محمد بن سحنون اجمع العلماء) اى علماء الاعصار في جميع الامصار (على ان شاتم النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (المتنقص له) صفة كاشفة وكان الاولى ان يؤتى بعاطفة (كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى له) في الدارين (وحكمه) في الدنيا (عند الائمة) اى جميع الائمة (القتل ومن شك في كفره) في الدنيا (وعذابه) في العقبى (كفر) ولحق به وفي نسخة فقد كفر (واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه) بالرفع نعت لابراهيم والمعنى استدل (في مثل هذا) اى تنقصه عليه الصلوة والسلام (بقتل خالد بن الوليد) اى ابن المغيرة (مالك) بالنصب على انه مفعول قتل (ابن نويرة) بضم النون وفتح الواو وسكون التحتية وفتح الراء على انه تصغير نار او نورة وهو التميمي اليربوعي كان فارسا شاعرا مطاعا في قومه قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم واستعمله عليه الصلوة والسلام على صدقات قومه بني يربوع (لقوله) اى لاجل قول ابن نويرة وفي نسخة بقوله اى بسبب نقله (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبكم) وسبب ذلك انه منع الزكاة زمن ابي بكر رضي الله عنه فارسل اليه خالد بن الوليد في منع الزكاة فقال مالك انا آتي بالصلوة دون الزكاة فقال خالد اما علمت ان الصلوة والزكاة لا تقبل واحدة دون الاخرى فقال مالك قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت ان اضرب عنقك ثم تجادلا في الكلام فقال خالد اني قاتلك قال اوبذلك امرك صاحبك قال وهذه بعد تلك وكان عبد الله بن عمر وابو قتادة الانصاري حاضرين فكلما خالدا في امره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا الى ابي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقال خالد لا اقالني الله ان اقلتك فامر ضرار بن الازور بضرب عنقه فالتفت مالك الى زوجته وكانت في غاية من الجمال فقال لخالد هذه هي التي قتلتني فقال خالد بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام فقال مالك انا على الاسلام فقال خالد يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه اثفية لقدره وقبض خالد امرأته قيل انه اشتراها من الفيء وتزوجها

وقيل انها اعتدت بثلاث حيض وتزوج بها وقال لابن عمر وابي قتادة احضر النكاح فابيا وقال له ابن عمر نكتب الى ابي بكر ونعلمه بامرها وتزوج [illegible] ابى وتزوجها ولما بلغ ذلك ابابكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قال عمر لابي بكر ان خالدا قد زنى فارجمه [illegible] ه انه تأول فاخطأ قال فانه قد قتل مسلما فاقتله قال ما كنت اقتله انه تأول قال فاعزله قال [illegible] سيفا سله الله على المشركين وفي رواية لا اعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رثاه [illegible] بن نويرة بمراثى كثيرة وكان اعور و يبكى عليه حتى تبكى عينه العوراء وقد يكون قتله خالد بن الوليد [illegible] حين قتل مسيلمة وغيره وقد اختلف في مالك هذا فقيل انه قتل مسلما بسبب كلام سمعه خالد منه و بظن ظنه [illegible] وانكر عليه ابوقتادة قتله وخالفه في ذلك واقسم انه لا يقاتل تحت رايته ابدا وقيل بل قتل كافرا وفي الروض للسهيلي ان مالك بن نويرة ارتد ثم رجع الى الاسلام ولم يظهر ذلك لخالد في مقام الاحكام وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه الى الاسلام [illegible] انتهى ماذكره التلمساني عن الحلبي والقضية غير صافية عما يرد عليه من بعض الاشكال والله تعالى اعلم بالاحوال فلا يصح احتجاج الفقيه بهذا مع وجود الاحتمال (قال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما) اى بخلاف ما اذا كان كافرا (وقال ابن القاسم) المصري صاحب مالك (عن مالك في كتاب ابن سحنون) بالانصراف وعدمه (والمبسوط) اى وفيه وهو كتاب للمالكية (وفي العتبية) بضم فسكون فكسر فتشديد وهو كتاب آخر لهم (وحكاه) اى ماقاله ابن القاسم عن مالك (مطرف عن) خاله (مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل) اى حدا قولا واحدا (ولم يستتب) وهذا عندهم في قواعد المذهب (وقال ابن القاسم في العتبية من سبه اوشتمه اوعابه اوتنقصه) اى احتقره (فانه يقتل) اى ولم يستتب (وحكمه عند الائمة) اى الجماعة الائمة من المالكية (القتل كالزنديق) عندهم من غير الاستتابة (وقد فرض الله تعالى له) علينا (توقيره وبره) اى طاعته لدينا كما قال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه (وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة) بكسر الكاف مات سنة ست وثمانين ومائة بعد وفات مالك بسنتين (من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل) اى ذبحا (اوصلب حيا) اى وطعن اوترك الى ان يصير ميتا (ولم يستتب) اى ولم تقبل توبته على ماهو عندهم من المذهب (والامام مخير في صلبه حيا اوقتله) اى لامرتب في حكمه (ومن رواية ابي المصعب) بضم الميم وفتح العين وهو الزهري العوفي قاضي المدينة وعالمها سمع مالكا وغيره وعنه اصحاب الكتب الستة الا النسائي فانه بالواسطة (وابن ابي اويس) بفتح فسكون وهو ابن اخت مالك قالا (سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوشتمه اوعابه اوتنقصه قتل مسلما كان اوكافرا ولا يستتاب)لان حده القتل وان تاب فهذه الرواية مطلقة بخلاف ما سبق من الروايات حيث كانت بالمسلمين مقيدة (وفي كتاب محمد)اى ابن ابراهيم ابن المواز (انا) اى اخبرنا كما في نسخة (اصحاب مالك انه) اى مالكا (قال من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوغيره من النبيين من مسلم اوكافر قتل ولم يستتب) قال الدلجي بشهادة حديث من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقتله جماعة باذنه عليه الصلوة والسلام فيحتاج من قال لا يقتل الكافر بسبه الى الجواب عن هذا الحديث انتهى ولعل الجواب ان الكلام في الذمي لا الحربي والله تعالى اعلم بالصواب على انه ليس فيه دلالة على انه لم تقبل توبته اذا تاب (وقال اصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وآخره معجمة وهو ابن الفرج الفقيه المصري (يقتل) اى من سب نبيا (على كل حال اسر ذلك) اى اخفاه وثبت عليه بالبينة (اواظهره) باقراره (ولا يستتاب) اى لا تعرض عليه التوبة اذ لا تقبل توبته في الدنيا (لان توبته لا تعرف) اى صحتها باطنا وفيه انا نحكم بالظاهر والله تعالى اعلم بالضمائر كما في حق الكافر والفاجر (وقال عبدالله بن عبدالحكم) فقيه المالكية بمصر يروى عن مالك والليث وثقه ابوزرعة (من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مسلم اوكافر) اى ولو ذميا وفيه خلاف (قتل ولم يستتب) اى كالزنديق عندهم (وحكى الطبري مثله عن اشهب)اى ابن عبدالعزيز المصري (عن مالك) صاحب المذهب (وروى ابن وهب) وهو عبد الله المصري (عن مالك) وهو الامام (من قال ان رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مثلا وكذا حكم ازاره وسائر دثاره وشعاره واعضائه وابشاره (ويروى) اى بدل ان رداء (ان زر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بكسر الزاى وتشديد الراء مايشد به اطراف الجيب (وسخ) اى كان وسخا بفتح فكسر اى دنسا (اراد به عيبه) اى نقصه وطعنه لا بيان الواقع في نفس امره اذ ثبت في الشمائل انه عليه الصلوة والسلام كان يكثر القناع حتى كان ثوبه ثوب زيات وانه خطب الناس وعليه عصابة دسماء اى ملطخة بدسومة شعره اوعرقه والدسماء في الاصل الوسخة وهي ضد النظيفة (وقال بعض علمائنا) اى المالكية (اجمع العلماء) لعل المراد علماء المالكية فكان حقه ان يقول اتفق العلماء (على من دعا على نبي من الانبياء بالويل) اى الهلاك والعذاب ونحوه (او بشيء من المكروه) في حقه

(انه يقتل بلا استتابة) اى من غير مطالبة بتوبة ولا التفات الى قبولها (وافتى ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة وهو المعافرى القروى الحافظ (فيمن قال فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الجمال) اى انه الجمال بفتح الجيم وتشديد الميم وفى نسخة بالحاء المهملة (يتيم ابى طالب بالقتل لظهور استهانته) واستحقاره (بذلك) اى بكونه يتيما بقرينة الجمال هنالك والا فهو فى نفس الامر كذلك وقد قال تعالى الم يجدك يتيما فآوى اى قد وجدك ولعل الجمع بين الوصفين مطابق للواقع فى السؤال والا فكل واحد منهما يكفى فى تكفير صاحب المقال (وافتى ابو محمد بن ابى زيد) اى القيروانى (بقتل رجل سمع قوما) اى جمعا (يتذاكرون صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال) اى الذى افتى ابن ابى زيد بقتله (تريدون تعرفون صفته) اى اتريدون ان تعرفوا صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (هى) اى صفته (صفة هذا المار) وفى نسخة هى فى صفة هذا المار (فى خلقه) اى خلقته فى طلعته (ولحيته قال) اى ابن ابى زيد (ولا تقبل توبته) اى وان تاب (وقد كذب لعنه الله) فان شمائله معروفة بالحسن والجمال ونهاية الكمال وغاية الاعتدال فى الاحوال (وليس يخرج) اى ولا يظهر ما قاله هذا القائل بالبهتان (من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابى سليمان صاحب سحنون من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسود يقتل) لانه عليه الصلوة والسلام كان ابيض كانما صيغ من فضة على ما رواه الترمذى فى الشمائل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وفى رواية مسلم والترمذى عن ابى الطفيل كان ابيض مليحا مقصدا وفى رواية البيهقى عن على كان بياضه مشربا بحمرة وفى رواية الشيخين عن البراء كان احسن الناس وجها وفى رواية مسلم عن انس كان ازهر اللون هذا ولم يكن تكفير هذا القائل بكذبه اذا كان جاهلا بامره وانما يكفر بقصده استحقاره (وقال) اى ابن ابى سليمان (فى رجل قيل له) اى ردا لما قاله (لا وحق رسول الله قال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا) اى لا ينبغى ان يذكر صريحا (فقيل له) انكارا عليه (ما تقول يا عدو الله فى حق رسول الله فقال اشد) اى كلاما اقبح (من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب) فانه ارسل من عند الحق وسلط على الخلق تأويلا للرسالة العرفية بالارادة اللغوية وهى مردود عند القواعد الشرعية (فقال ابن ابى سليمان للذى سأله) اى استفتاه (اشهد عليه) اى اثبت الامر لديه (وانا شريكك) اى فى الاجر المنسوب اليه (يريد) اى ابن ابى سليمان مشاركته (فى قتله وثواب ذلك) واجر ما يترتب على ما هنالك (قال حبيب بن الربيع) اى ابن يحيى بن حبيب القروى (لان ادعاءه التأويل فى لفظ صراح) بضم اوله ويكسر مبالغة صريح كعجاب وعجيب ومعناه خالص لا لبس فيه ولا قرينة تنافيه فيكون دعوى مجردة خالية عن علامة (لا يقبل) اى ادعاؤه (لانه امتهان) اى احتقار له صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) اى والحال ان صاحب هذا القال (غير معزر) بكسر الزاى قبل الراء اى غير مبجل (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا موقر له) اى ولا معظم لشانه حيث غير وصفه الخاص به واراد به حيوانا استحق مهانة (فوجبت اباحة دمه) لتقصيره فى توقيره وقد قال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه (وافتى ابو عبد الله بن عتاب) بتشديد الفوقية (فى عشار) اى مكاس فى ظلم الناس (قال لرجل اد) بفتح همزة وتشديد دال مهملة مكسورة امر من التأدية اى اعط (المكس واشك) بضم الكاف ويكسر اى واظهر الشكوى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بانى اخذت منك والمعنى انى ما ابالى باطلاعه على ذلك وكان العشار جار على ذلك الرجل فى اخذ المكس فتضرر الرجل وقال اشكوك الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ما قال (وقال) اى العشار ايضا بعد ذلك (ان سألت) اى طلبت المال (او جهلت) بعض الحال (فقد جهل) اى النبى ايضا (وسأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من الله ما لم يعلم (بالقتل) متعلق بافتى اى بقتله للكلام الذى صدر عنه من كمال جهله ويؤيده انه روى عن مالك بن عتاهية قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا لقيتم عشارا فاقتلوه لان الغالب عليهم ان يستحلوه ويقدموا امر ملكهم على حكم نبيهم (وافتى فقهاء الاندلس) بفتح الهمزة وضمها وفتح الدال وضم اللام (بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلى) بضم الطائين المهملتين وفتح اللام الاولى وسكون التحتية وكسر اللام الثانية بعدها ياء النسبة (وصلبه) بفتح الصاد اى بجعله على جذع مع مد باعه (بما شهد عليه) بصيغة المجهول (به من استخفافه بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعل تفسيره قوله (وتسميته اياه اثناء مناظرته) اى فى خلال مجادلته فى علم الكلام ومباحثه (باليتيم) احتقارا له (وختن حيدرة) بفتحتين اى ابى فاطمة زوج على فان حيدرة بدال مهملة لقب على كرم الله وجهه وهو اسم الاسد فى اصله وكان اسم على قبل ذلك اسدا سمته امه فاطمة بنت اسد باسم ابيها فى اول ولادته وابوه غائب فلما قدم من غيبته سماه عليا ايماء الى رفعته وقيل حيدرة لقب له لحدارته وشدة حرارته وفى صحيح مسلم من الشاد على حين بارز مرحبا يوم خيبر انا الذى سمتنى امى حيدره (وزعمه) اى ظن ابن حاتم ووهمه (ان زهده عليه الصلوة والسلام لم يكن قصدا) اى

اختيارا بل كان عجزا واضطرارا (ولوقدر) بفتح الدال وبكسر اى لوتمكن (على الطيبات اكلهـا) وهذا جهل منه بحاله عليه الصلوة والسلام [illegible] المقام حيث خير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا فاختار الفقر وقال اجوع يوما [illegible] واشبع يوما فاشكر ليكون مظهرا لنعت الجلال ووصف الجمال على ان اختيار الله لعبده خير من اختيـ[illegible] وقدا كل الطيبات بلاشبهة كما يشير اليه قوله تعالى ياايها الرسل كلوا من الطيبات [illegible] الطعن فى زهده والقدح فى فقر مع انه محل فخره تواضعا لربه وانكسارا فى امره (الى اشباه لهذا) [illegible] والاستحقـار فى حقه مما يكفى ادنى [illegible] تكفيره وقتله (وافتى فقهاء القيروان) بفتح القاف والراء بلد معروف ومنهم ابوزيد (وا[illegible] النون وتضم ويصرف ولايصرف (بقتل ابراهيم الفزارى) بفتح الفاء والزاى (وكان [illegible] ماهرا (فى كثير من العلوم) ادبية وعقلية لاشرعية ونقلية ولذاوقع فى بلية جلية (وكان [illegible] القاضى ابوالعباس ابن طالب للمناظرة) فى العلوم والمباحثة (فرفعت) اى اثبتت (عليه امورمنكرة من هذا البـاب) اى باب الاستخفاف بعلى الجنـاب (فى الاستهزاء بالله) اى بكتابه وانبائه (وانبيائه ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) من عظمائه (فاحضر له) اى لاجل ابراهيم الفزارى (القـاضى) وهوابو العبـاس المذكـور (يحيى بن عمرو وغيره) بالنصب على المفعولية (من الفقهـاء وامر) اى ابوالعبـاس (بقتله وصلبه) بصيغة المجهول اى فضرب فى بطنه (بالسكين) حتى هلك (وصلب منكسا) رأسه لاسفل مدة (ثم انزل) من صلبه (واحرق بالنـار) فى الدنيا قبل عذاب العقبى لزيادة السيـاسة (وحكى بعض المورخين انه) اى ابراهيم الفزارى المصلوب بعد قتله (لما رفعت خشبته) التى صلب عليهـا (وزالت عنها الايدى) الممدودة اليهـا (استدارت) اى الخشبة (وحولته عن القبلة) اى جهة الكعبة الى غيرها (فكان) تحويلهـا له عنها (آية للجميع) من الحـاضرين (وكبر الناس) عليه من الاولين والآخرين (وجاء كلب) فى عقبه (فولغ) بفتح اللام وتكسر (فى دمه) اى شرب بلسـانه منه لعظم جرمه (فقـال) اى القـاضى (يحيى بن عمر وصدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثـا عنه عليه الصلوة والسلام انه قال لايلغ الكلب فى دم مسلم) قال الحلبى يقال ولغ الكلب والسبع بفتح اللام فى الماضى وبكسرها والظاهر ان اللام فى المضـارع مفتوحة فى اللغتين انتهى وفى القاموس ولغ الكلب فى الاناء وفى الشراب ومنه وبه يلغ كيهب وولغ كورث ووجل شرب ما فيه باطراف لسانه انتهى ولايخفى انه اذا كان من باب ورث يقع مضارعه بكسر اللام كيرث فيجوز الوجهان والله تعـالى اعلم هذا وقال الدلجى الحديث لااعلم من رواه والظاهر انه لااصل له مع مافيه من ركة التركيب انتهى ولايخفى انه لاركاكة فيه من جهـة المبنى لان الولوغ يتعدى بفى ومن والبـاء على ما تقدم واما من جهة المعنى فلعله استدل بثبوته على وقوعه فى قضيته كما حكى عن ابن عربى انه قال بلغنى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه من قال لااله الاالله سبعين الف مرة غفر له وكنت ذكرت هذا العدد وما عينته لاحد حتى اجتمعت فى ضيافة مع شاب مستهر بالمكاشفة فبكا اثناء اكله فسألته عن حاله فقـال ارى امى وابى يعذبان فقلت فى نفسى وهبت ثواب التهليل الجليل لميت هذا الرجل الجميل فضحك فسألته فقـال ارتفع عنهما العذاب فعرفت صحة الحديث بكشفه وصحة كشفه بثبوت الحديث واصله (وقال القـاضى ابوعبدالله المرابط) بصيغة الفاعل وهو محمد ابن خلف بن سعيد بن وهب مات بعد الثمانين وار بعمائة (من قال ان النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم هزم) بصيغة المجهول (يستتاب) يطلب منه رجعته (فان تاب قبلت توبته والا) اى وان لم يتب (قتل) لما اقتضته ردته (لانه) اى قوله هزم (تنقص) فى مرتبته (اذلايجوز ذلك) اى وقوع هزيمته (عليه فى خاصته) اى خاصة نفسه كما فى نسخة (عليه الصلوة والسلام) لبراءة ساحته من الهزيمة عن مقام طاعته (اذهو على بصيرة من امره و يقين من عصمته) ففى حديث مسلم عن ابى اسحق قال رجل للبراء بن عازب يااباعمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ماولى رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واحفادهم وهم حسر ليس عليهم سلاح اوسلاح كثير فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنـاك الى رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم ورسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم على بغلته البيضاء الحديث وكذا رواه البخارى وزاد عن ابى اسحق قال البراء كنا اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذيه ان يقابله عليه الصلوة والسلام وكذا روى عن على كرم الله وجهه واما خروجه عليه الصلوة والسلام من البلد الحرام فانما كان بأمر الله سبحـانه بالهجرة الى دار السلام بل قيل انه فرض عليه الجهـاد ولو لم يوافقه احد من العباد فى البلاد كما يشير اليه قوله تعـالى ياايها النبى جاهد الكفار والله سبحانه وتعـالى اعلم بالاسرار قال الحلبى واذا كان قوله هزم تنقصا فينبغى ان يقتل حدا عندهم وان تاب لان هذا هو المعروف من مذهبهم ولعل هذا اختيار لابن المرابط (وقال حبيب بن ربيع القروى) بفتح القـاف والراء نسبة الى القرية اوالى القيروان على غير قيـاس

(مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه) اى في حقه عليه الصلوة والسلام (ما فيه نقص) اى قدح وطعن (قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باذى اونقص معرضا) اى ملوحا (اومصرحا وان قل) الاذى وان كثر بالاولى (فقتله واجب فهذا الباب) اى باب ما يؤذى ذلك الجناب (كله مما عده العلماء سبا) اى شتما وطعنا (ونقصا) اى قدحا وفي نسخة اوتنقصا اى اظهار نقص في كماله (يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولامتأخرهم) اى من المالكية (وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه) انه هل يستتاب اولا وهل اذا تاب يترك او يقتل حدا اولا يستتاب و يقتل كالزنديق والله تعالى ولى التوفيق (وتبينه بعد) اى نظهر تفصيله بعد ذلك على وجه التحقيق ثم اعلم ان فصل الخطاب في هذا الباب ان هذا كله اذا اصدر عنه تعمدا ولو هزلا بخلاف ما اذا جرى على لسانه سهوا اوخطأ اواكراها لقوله عليه الصلوة والسلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقد صرح قاضيخان من ائمتنا في فتاواه بان الخاطئ اذا جرى على لسانه كلمة الكفر خطأ لم يكن ذلك كفرا عند الكل بخلاف الهازل لانه يقول قصدا انتهى ثم انه لايعذر بالجهل عند عامة اهل العلم خلافا لبعضهم ثم اعلم ان المرتد يعرض عليه الاسلام عند علمائنا الاعلام على سبيل الندب دون الوجوب لان الدعوة بلغته وهو قول مالك والشافعي واحمد و يكشف عن شبهته فان طلب ان يمهل في مدته حبس ثلاثة ايام لانها مدة ضربت لاجل الاعذار فان تاب قبل والا قتل وفي النوادر عن ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله يستحب ان يمهل ثلاثة ايام طلب ذلك اولم يطلب وفي اصح قولي الشافعي انه يستتاب في الحال والا قتل وهو اختيار ابن المنذر وقال الثوري يستتاب بما يرجى عوده وفي المبسوط من كتب مذهبنا انه ان ارتد ثانيا وثالثا فكذلك يستتاب وهو قول اكثر اهل العلم و يشير اليه قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة اوظلموا انفسهم الى ان قال ولم يصروا على ما فعلوا و يدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة فان الحكم في المعصية الصغرى والكبرى واحد فقد قال عليه الصلوة والسلام التائب من الذنب كمن لاذنب له وقال مالك واحمد لايستتاب من تكرر منه كالزنديق ولعلهم تعلقوا بظاهر قوله تعالى والذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واوله المحققون بكونهم لايتوبون او يكون توبتهم لاتكون الا نفاقا لا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء في لن تقبل توبتهم فان المبتدأ لايكون سببا للخبر بل النفاق سبب له وقيل لن تقبل توبتهم اذا اشرفوا على الموت ففيه الحث على التوبة قبل الفوت وقيل نزل فيمن مات منهم كافرا كما بينه بعده بقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية اوالآية السابقة مختصة بالزنديق والله ولي التوفيق ثم لنا في الزنديق روايتان رواية لا تقبل توبته كقول مالك وفي رواية تقبل وهو قول الشافعي وهذا في حق احكام الدنيا واما فيما بينه و بين الله تعالى فتقبل بلاخلاف وعن ابي يوسف اذا تكرر منه الارتداد يقتل من غير عرض الاسلام عليه لاستخفافه بالدين الواجب اكرامه اليه (وكذلك اقول حكم من غمصه) اى عابه (او عيره) بتشديد الياء اى احتقره (برعاية الغنم) اى برعيها بالاجرة وسيأتي تفصيل هذه القصة (اوالسهو والنسيان) مع انهما ثابتان عنه الا انه انما يكفر لاجل التعيير وسبب التحقير (او السحر) اى بالسحر وهو ظاهر في الكفر (اواصابه) اى و بما نابه (من جرح) بضم الجيم و بفتح اى جراحة مع انه عليه الصلوة والسلام كسرت رباعيته وشج وجهه فكفر القائل انما هو لتعييره به وتنقيصه بسببه وكذا قوله (اوهزيمة لبعض جيوشه) فانه هزم بعض اصحابه في احد وحنين (اواذى من عدوه اوشدة من زمنه) اى على وجه التعيير به (او بالميل الى نسائه) ففي المعالم في قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله قال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة المراد بالناس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحده حسدوه على ما احل الله له من النساء وقالوا ماله هم الا النكاح قال تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما كداود وسليمان فانه كان لسليمان الف امرأة ثلاثمائة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود عليه السلام مائة امرأة ولم يكن يومئذ لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا تسع نسوة انتهى وقد صرح بعض علمائنا ان من تزوج اربعا وتسرى الفا وعيره احد وذمه به يكفر لانه بمنزلة تحريم ما احل الله سبحانه وتعالى (فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك) اى من خلافهم هنالك هل يستتاب ام لا (و يأتي ما يدل عليه) من الجواب على وجه الصواب

﴿فصل﴾

(في الحجة في ايجاب قتل من سبه اوعابه عليه الصلوة والسلام) من الكتاب والسنة واجماع الامة (فمن القران لعنه تعالى) اى لعن الله كما في نسخة (لمؤذيه) اى لمؤذي نبيه (في الدنيا والآخرة) ظرف لعنه (وقرانه تعالى) اى وجعله

سبحانه (اذاه) اى اذى رسوله (باذاه) اى باذى نفسه (ولا خلاف فى قتل من سب الله) اى عمدا من غير خطأ واكراه وانما الخلاف فى انه هل يستتاب ام لا (وان اللعن) اى الطرد الكلى من رحمة الله (انما يستوجبه من هو كافر) واما ما ورد من لعن اصحاب الكبائر وارباب الصغائر كقوله عليه الصلوة والسلام لعن الله آكل الربا ونحوه ولعن الله المحلل والمحلل له وامثاله فهو لعن دون لعن والحاصل ان اللعن المطلق ينصرف الى الفرد الاكمل واغرب الدلجى فى هذا المحل حيث قال بخلاف المؤمن فان لعنه كقتله كما ورد وفى رواية لعنه فسوق اذ ليس الكلام فيمن لعن مؤمنا بل الكلام فيما اذا وقع لعن الله على احد فانه ان لم يكن مؤمنا فهو كافر واما اذا وقع على مؤمن فالمراد زجره (وحكم الكافر القتل) اذ لم يكن معصوم الدم (فقال) اى الله تعالى (الذين يؤذون الله ورسوله) وقد سبق بيان اذاهما وقيل ذكر الله تعالى تعظيم وتمهيد لذكره عليه الصلوة والسلام (الآية) اى لعنهم الله فى الدنيا والآخرة اى ابعدهم من رحمته الخاصة فيهما واعد لهم عذابا مهينا وحجابا مبينا (وقال) اى الله تعالى (فى قاتل المؤمن مثل ذلك) اى نظير ما هنالك حيث قال تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لكن اللعن الموجب للكفر انما يكون اذا استحل قتل المؤمن اوقتله لكونه مؤمنا والا فهو محمول على الزجر كما ان خالدا مأول بمدة مديدة (فمن لعنته فى الدنيا القتل) اما قصاصا واما حدا (قال الله تعالى) لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض اى شك وشبهة والمرجفون فى المدينة بالاخبار السيئة لتغرينك بهم اى لنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اى زمانا قليلا فهددهم بالبعد عن حضرة حبيبه وعدم المجاورة فى مكان قربه الموجب للبعد عن رحمته والطرد من جنته وهذا معنى قوله (ملعونين) بالنصب على الحال (اينما ثقفوا) اى وجدوا وادركوا (اخذوا) اى امسكوا (وقتلوا تقتيلا) اى اشد انواع القتل وافظعها ليعتبر غيرهم ويقوموا بحق النبى كما يجب له توقيرا وتبجيلا (وقال) اى الله (فى المحاربين) اى قطاع الطريق على سيارة المسلمين (وذكر عقوبتهم) بقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا ان اقتصروا على القتل او يصلبوا ان جمعوا بين اخذ المال وقتل النفس او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على اخذ المال او ينفوا من الارض بالاخراج او الحبس ان اقتصروا على الاخافة (ذلك) اى ما ذكر من قتل وغيره (لهم خزى) اى ذل وفضيحة (فى الدنيا) ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم وحاصله ان اللعن قد يجيء بمعنى القتل على ان صاحب اللعن يستحق القتل (وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون) اى لعن الكذابون المقدرون المفترون (وقاتلهم الله) اى اليهود والنصارى وامثالهم (انى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن الحق مع ظهور امره وعلو نوره (اى لعنهم الله تعالى) اى ابعدهم عن مقام حضوره (ولانه) اى الله تعالى (فرق بين اذاهما) والتقدير لان الله سبحانه وتعالى فرق بين اذاهما اى اذى الله ورسوله بان فى اذاهما الكفر والقتل وفى اذى المؤمنين القتل والضرب بحسب اختلاف الاذى حيث قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وفى اذى المؤمنين ما دون القتل) اى ان لم يكن الاذى بالقتل ونحوه مما يستحق القتل (من الضرب والنكال) اى العقوبة التى هى العبرة لغيره فى الاستقبال (وكان حكم مؤذى الله ونبيه) بخصوصه او عموم جنسه (اشد من ذلك) اى من اذى المؤمنين (وهو) اى حكمه الاشد (القتل) لمؤذيهما والكفر فى منتقصيهما (وقال تعالى فلا) اى فليس الامر كما يزعمون (وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) اى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) اى فيما اختلفوا فيما بينهم (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا الآية) اى ضيقا وشكا مما قضيت اى حكمت بينهم سواء لهم او عليهم ويسلموا تسليما اى ينقادوا انقيادا تاما لحكمك ظاهرا وباطنا دائما (فسلب) اى نفى الله (اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه) بعدم انقياده ولم يسلم له امره باذعانه وفق مراده (ومن تنقصه فقد ناقض هذا) اى عارض ما يجب عليه من انه لم يجد من نفسه حرجا من قضائه كيف ما جاء واسعا او ضيقا (وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) تعظيما لقدره وتكريما لامره ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض (الى قوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون) ومن المعلوم ان مجرد رفع الصوت فوق صوته لا يبطل العمل فان المعاصى سواء الكبائر والصغائر لا تبطل الحسنات عند اهل السنة والجماعة وانما يبطلها الكفر وهو لا يكون الا اذا تضمن رفع الصوت خفض حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واستخفاف منصبه وهذا معنى قوله (ولا يحبط العمل الا الكفر) بمجرد تحققه ولو رجع الى اسلام عند اكثر علماء الاعلام (والكافر يقتل) بالارتداد بعد استتابته اى بدونها على خلاف لارباب الاجتهاد (وقال تعالى واذا جاؤك) اى اليهود والمنافقون (حيوك) اى سلموا عليك (بما لم يحيك به الله) اى بلفظ لم يأمر الله تعالى به فيقولون السام عليك والسام الموت ويقولون فى انفسهم اى

فى صدورهم اوفيما بينهم من جورهم لولا يعذبنا الله بما نقول واقول قدعذبهم الله تعالى بعين المقول وان لم يدركوه بالعقول(ثم قال حسبهم جهنم) اى كافيهم عذابها فى العقبى ولو امهلناهم لحكمة فى الدنيا (يصلونها) اى يدخلونها ويحرقون بها ويخلدون فيها (فبئس المصير) اى المرجع هى لهم ولامثالهم فى مآلهم (وقال تعالى ومنهم) اى من المنافقين (الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) بضمتين و بسكون ثانيه الجارحة المعروفة والمراد به هنا المستمع القائل لما يقول له كل احد قال تعالى ردا عليهم قل اذن خير لكم اى نعم هو اذن ولكن نعم الاذن هو يؤمن بالله اى بوجوده وجوده ويؤمن للمؤمنين اى يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ورحمة للذين آمنوا منكم خاصة وللخلق عامة (ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) وعقاب مقيم (وقال تعالى ولئن سألتهم) اى المنافقين وهم سائرون معه فى غزوة تبوك عن قولهم فى حقه انظروا هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه بالتمام هيهات هيهات من هذا المرام(ليقولن) فى مقام الانكار على وجه الاعتذار (انما كنا نخوض ونلعب) فيما يخوض فيه الركب ليقصر السفر ويخف التعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا باعتذاراتكم الكاذبة (الى قوله قد كفرتم) سرا (بعد ايمانكم) ظاهرا (قال اهل التفسير كفرتم بقولكم فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مالايليق بجنابه المكرم (واما الاجماع فقد ذكرناه) وهو اقوى الحجج فى مقام النزاع (واما الآثار) اى الاحاديث والاخبار (فحدثنا الشيخ ابوعبدالله احمد بن محمد بن غلبون) بفتح معجمة وسكون لام وهو منصرف وقد يمنع على مذهب ابى على الفارسى كما قدمناه (عن الشيخ ابى ذر الهروى) بفتح الهاء وكسر (اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدارقطنى وابو عمر بن حيويه) بمهملة مفتوحة وتشديد تحتية مضمومة فواو ساكنة فتحتية وفى نسخة حيوه بفتحتين بينهما ساكن وهو ابوعمر محمد بن زكريا الخزاز بزايين لعمله الخز (قالا) كلاهما (ثنا محمد بن نوح) ثنا عبدالعزيز بن محمد الحسن بن زبالة) بفتح الزاء وتخفيف الموحدة المدنى من ائمة الحديث ومصنفيهم قال ابن حبان يأتى عن المدنيين بالاشياء المعضلات فبطل الاحتجاج به ذكره الذهبى فى الميزان على ماقاله الحلبى (ثنا عبدالله بن موسى بن جعفر) قال الحلبى يحتمل ان يكون هذا عبدالله بن موسى الهاشمى فان كان هو يروى عن الحسن بن الطيب والبغوى وطبقتهما وعنه ابو محمد الخلال والتنوخى قال ابن ابى الفوارس فيه تساهل شديد وقال البرقانى ابو العباس الهاشمى ضعيف وله اصول رديئة وقال ابو الحسن ابن الفرات ثقة مات سنة اربع وسبعين وثلثمائة كذا ذكره الذهبى فى الميزان فان كان هذا هو فهو لم يدرك على بن موسى يعرف ذلك بالنظر فى تاريخ موتهما فيكون الحديث منقطعا قال وان لم يكن هو فلا اعرفه والله اعلم (عن على بن موسى) هو الرضى العلوى يروى عن ابيه وجمعة وعنه ابوعثمان المازنى وعبدالسلام بن صالح وعدة مات بطرسوس سنة ثلاث ومائتين وله خمسون سنة اخرج له ابن ماجه فقط تكلموا فيه قال ابن طاهر يأتى عن ابيه بعجائب قال الذهبى انما الشان فى ثبوت السند والا فالرجل قد كذب عليه ووضع عليه نسخة سائرة كما كذب على جده جعفر الصادق (عن ابيه) ابوه هو موسى بن جعفر بن محمد العلوى الكاظم روى عن ابيه وعبدالله بن دينار ولم يدركه وعنه ابنه على الرضى واخواه على ومحمد وبنوه ابراهيم واسمعيل وحسين وصالح قال ابو حاتم ثقة امام توفى فى حبس الرشيد ولد سنة ثمان وعشرين ومائة ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة اخرج له الترمذى وابن ماجه وكان من الاجواد الحكماء ومن العباد الاتقياء وله مشهد معروف ببغداد وحديثه قليل جدا (عن جده) وهو جعفر بن الصادق (عن محمد بن على بن الحسين) هو ابو جعفر الباقر (عن ابيه) اى على بن الحسين زين العابدين (عن الحسين بن على) اى ابن ابى طالب (عن ابيه) امير المؤمنين (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابى فاضربوه) قال الحلبى الحديث هذا ليس فى الكتب الستة قلت الحديث قد ساقه القاضى بسنده من طريق الدارقطنى وهو امام جليل من اهل السنة وقد رواه الطبرانى فى الكبير ايضا لكنه بسند ضعيف عن على رضى الله عنه من سب الانبياء قتل ومن سب اصحابى جلد ورواه ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وروى احمد والحاكم فى مستدركه من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله تعالى وفى حاشية التلمسانى عن على رضى الله عنه قال لااوتى بمن فضلنى على ابى بكر وعمر الا جلدته جلد المفترى (وفى الحديث الصحيح) الذى رواه البخارى وغيره (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بقتل كعب بن الاشرف) من يهود خيبر (وقوله) بالرفع عطف على ان النبى اى وفى الحديث الصحيح قوله عليه الصلوة والسلام وفى اصل الدلجى وفى الحديث الصحيح امر النبى بصيغة المصدر فقال وقوله عطف على امر النبى (من لكعب بن الاشرف) اى من يتصدى لقتله (فانه) كما رواه الشيخان عن جابر (يؤذى) وفى رواية لهما آذى (الله ورسوله ووجه) بتشديد الجيم اى ارسل (اليه من قتله)وهو محمد بن مسلمة وقد خرج معه

سليمان بن سلامة وعباد بن بشر والحارث بن اوس وابو عبس بن جبير وهؤلاء الخمسة كلهم من الاوس وكان خروجهم اليه لاربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجره عليه الصلوة والسلام (وكان قتله غيلة) بكسر المعجمة اي خفية ومخادعة وحيلة والقضية مشهورة وفي كتب السير مسطورة (دون دعوة) اي الى الاسلام لسبق الدعوة وعدم المنفعة (بخلاف غيره) اي غير كعب (من المشركين) فان قتله كان بعد دعوته الى الاسلام رجاء ان يرجع الى طريق دار السلام (وعلل) اي النبي عليه الصلوة والسلام في قتله (باذاه له) كما تقدم (فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى) وفيه ان ذلك الاذى كان نوعا من الاشراك اذ لم يثبت له ايمان سابق واذى لاحق ليكون دليلا على ما هو فيه فانه لعنه الله قد جمع بين الكفر بالله والقدح في امر رسول الله فتقدير كلام المصنف لغير الاشراك وحده بل للاذى معه (وكذلك) اي ومثل ما قتل كعبا في الجملة (قتل ابا رافع) اي الاعور سلام بتخفيف اللام وقيل بتشديدها وهو ابن ابي الحقيق وكان يهوديا تاجرا قاله البخاري في صحيحه وزاد وقيل هو حصن بارض الحجاز (قال البراء) اي ابن عازب (وكان) اي ابو رافع (يؤذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعين) اي اعداءه (عليه) روي انه استأذن نفر من الخزرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قتل ابي رافع فاذن فخرج خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن انيس وابو قتادة ابن ربعي وخزاعي بن اسود وحليف لهم من اسلم وامر عليهم ابن عتيك وذلك في شهر رمضان سنة ست (وكذلك امر يوم الفتح) اي فتح مكة (بقتل ابن خطل) بفتح المعجمة والمهملة واختلف في اسمه رواه ابن ابي اسحق والبيهقي عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم مرسلا ورواه الشيخان عن انس بلفظ امر بقتل ابن خطل وفي الترمذي وهو متعلق باستار الكعبة واختلف في قاتله والظاهر اشتراكهم في قتله (وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلوة والسلام) وهما سارة وفرتنا بالفاء والتاء والنون واسلمت فرتنا وآمنت سارة وعاشت الى زمن عمر رضي الله عنه ثم وطئها فرس فقتلها ذكره السهيلي وقال ابو الفتح اليعمري واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما واستأمنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاخرى فأمنها فعاشت مدة ثم ماتت في حياة النبي عليه الصلوة والسلام ذكره الحلبي فحيث ما صح قتلهما ولا قتل احداهما لاختلاف وقع فيهما فلا يرد على ابي حنيفة انه لم يحكم بقتل المرتدة مع انهما لم يعرف اسلام سابق لهما وروى ابو داود والبيهقي عن سعد ابن ابي وقاص لما كان يوم فتح مكة امن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس الا اربعة وامرأتين ذكره الدلجي ولم يبين انهما قتلتا ام لا ولعلهما الجاريتان والله تعالى اعلم (وفي حديث آخر) قال الدلجي لا ادري من رواه (ان رجلا كان يسبه عليه الصلوة والسلام) قال الحلبي هذا الرجل لا اعرف اسمه وقال التلمساني هو الحويرث بن نقيذ وهو الذي نخس بزينب ابنته عليه الصلوة والسلام حين ادركها فسقطت من دابتها والقت جنينها (فقال من يكفيني عدوي) اي شره وفي اصل التلمساني يكفني على ان من شرطية قال وروى يكفيني بالرفع اي باثبات الياء وهو اما على لغة الم يأتيك والانباء تنمي وقيل اشباع وقيل من موصولة فيها معنى الشرط (فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة) وقد تصحف على الحلبي بقوله وكذلك لم يقل بضم الشاة تحت اوله ثم قاف مكسورة وهذا ظاهر انتهى وهو خطأ باهر كما لا يخفى وقد تبعه الانطاكي والدلجي ضبطه بضم اوله وكسر ثانيه من اقال عثرته اي اهلكته وتبعهما التلمساني في ضبط مبناه وقال معناه انه لم يترك جماعة انتهى ولا يخفى انه لم يثبت عن احد من الجماعة انه رجع ولم يقبل عليه الصلوة والسلام رجعته حتى يصح نفي الاقالة فتأمل ولا يغرك كثرة القائلين الغافلين بل امر بقتل جماعة غير تائبة (ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث) وهو القائل من كمال تعصبه في مذهبه وحماقته في مشربه اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو النضر ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري اخذ اسيرا ببدر وبالصفراء امر عليه الصلوة والسلام عليا فقتله وهذا هو الصواب واما ابن مندة وابو نعيم فغلطا فيه غلطين احدهما انهما قالا في نسبته كلدة بن علقمة وانما هو بالعكس ذكره الزبير بن بكار وابن الكلبي وخلائق وثانيهما انهما قالا ان النضر بن الحارث شهد حنينا معه عليه الصلوة والسلام واعطاه مائة من الابل وكان مسلما من المؤلفة وعزوا ذلك الى ابن اسحق وهذا غلط باجماع اهل المغازي والسير وقد اطنب ابن الاثير في تعليقهما والرد عليهما انتهى وقد ذكر ذلك الشيخ محيي الدين عنه وكذا الذهبي في التجريد على ما قاله الحلبي والله سبحانه وتعالى اعلم (وعقبة بن ابي معيط) بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون التحتية وطاء مهملة وهو ابان بن ذكوان بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي اسره عبد الله ابن سلمة بكسر اللام ببدر فلما انصرف عليه الصلوة والسلام من بدر وكان بعرق الظبية امر بقتله عاصم بن

ثابت الانصاري وقيل عليا فقال حين قتله من للصبية يا محمد قال النار وقال الى من الصبية يا محمد قال الى التشاره (وعهد) اي وصى (بقتل جماعة منهم) اي ممن كان يؤذيه (قبل الفتح و بعده فقتلوا) اى من عهد بقتله (الامن بادر باسلامه قبل القدرة عليه) مثل كعب بن زهير بن ابي سلمى بضم السين صاحب قصيدة بانت سعاد وقصته معروفة (وقدروى البزار) بسند ضعيف (عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى باعلى صوته يامعاشر قريش) وروى يامعشر قريش وهم ولد النضر بن كنانة سموا قريشا باسم دابة في البحر تأكل حيوانه وقد قيل فيها

﴿ وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا ﴾
﴿ تأكل الغث والسمين ولاتترك يوما لذي جناحين ريشا ﴾

(مالي اقتل) بصيغة المجهول (من بينكم صبرا) اى محبوسا ومأخوذا من غير محاربة في المعركة (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكفرك) اى اولا (وافترائك على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ثانيا اهانة له واحتقارا (وذكر عبد الرزاق) في جامعه عن عكرمة مولى ابن عباس مرسلا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي) بدفع شره عني (فقال الزبير انا فبارزه) اي الزبير او هو (فقتله الزبير وروى ايضا) في جامعه عن عروة عن رجل من اليمن (ان امرأة كانت تسبه عليه الصلوة والسلام فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها) وروى ابن ابي شيبة عن الشعبي ان رجلا من المسلمين كان يأوي الى امرأة يهودية تطعمه وتسقيه وتحسن اليه ولاتزال تؤذيه في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلها في ليلة من الليالي خنقا فرفع ذلك له عليه الصلوة والسلام فاخبره الرجل بانها كانت تؤذيه فيه وتسبه وتقع فيه فقتلها لذلك فاهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمها (وروى) كما في جامع عبد الرزاق (ان رجلا كذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه) كذا روى مختصرا وروى البيهقي عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرني ان تزوجوني فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فارسل عليا والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما تدركانه فذهبا فوجداه قدلدغته حية فقتلته ثم رواه من وجه آخر موصولا عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن الحارث وسمى الرجل الذي كذب جد جد الجندي كذا ذكره الدلجي وقال الحلبي هذا الرجل لااعرف اسمه اقول من حفظ حجة على من لم يحفظ (وروى ابن قانع) بقاف ونون وهو عبد الباقي ابن قانع بن مرزوق بن واثق الحافظ ابو الحسين الاموي (ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك) اى لم يصعب امره (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبي هذا الرجل وابوه لااعرفهما (وبلغ المهاجر) بالنصب (ابن ابي امية امير اليمن) نيابة (لابي بكر رضي الله تعالى عنه) والمعنى وصله (ان امرأة) وفي نسخة بتشديد لام بلغ ورفع المهاجر اى اوصل لابي بكر ان امرأة (هناك) اى في اليمن (في الردة) اى في حالها ولاجلها (غنت) بتشديد النون اى تغنت وتنغمت (بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقطع) اى المهاجر (يدها) وفي نسخة يديها وفي نسخة نديها (ونزع ثنيتها) وكان الانسب قطع لسانها اوقلع وجودها وشانها (فبلغ ذلك ابابكر فقال له لولا مافعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء) اى تعزير تنقصهم (ليس يشبه الحدود) المترتبة على اسبابها بالنسبة الى غيرهم فان القتل متعين الا في المرأة لاختلاف فيها والحديث رواه ابن سعد وابن عساكر والمهاجر هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي كان اسمه الوليد فكرهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه المهاجر وهو اخو ام سلمة ام المؤمنين ارسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن الى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن ثم استعمله على صدقات كندة فتوفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسر اليها فبعثه ابو بكر الى قتال من باليمن من المرتدين فاذا فرغ سار الى عمله فسار الى ما امره به ابو بكر وهو الذي فتح حصن النجير بحضرموت زمن ابي بكر مع زياد بن لبيد الانصاري وله في قتال المرتدين باليمن آثار كثيرة رضي الله تعالى عنه (وعن ابن عباس) قال الدلجي لااعرف من رواه (هجت امرأة من خطمة) بفتح معجمة وسكون مهملة قبيلة والمرأة عصماء بنت مروان بن ابي امية بن زيد (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من لي بها) اى من يقوم لاجلي بقتلها (فقال رجل من قومها انا يارسول الله فنهض) اى فقام (فقتلها) وهو عمير بن عدي بن خرسة الخطمي (فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المجهول (فقال عليه الصلوة والسلام لاينتطح فيها عنزان) بفتح مهملة فسكون نون فزاى وهو تثنية عنز اى لايجري فيها خلاف ولانزاع كنطاح التيوس والكباش وهذا من الكلام الذي لم يسبق اليه احد من الانام وصار هذا مثلا في تحقير الامر وانه لايكون فيه مكروه وان قل اومعناه ان امرها هين لايتكلم فيها ولايطلب دمها لفعلها القبيح الدال على كفرها الصريح اومعناه انه لايحصل في قتلها مايثير فتنة

من قبلها وان ايسر الاشياء ان ينتطح عنزان وهو فى قتلها غير موجود وقيل العنزان لا ينتطحان وانما ينتطح التيسان والمعنى لا توجد فيها فتنة البتة وروى ان قاتلها صلى الفجر بالمدينة بعد قتلها فقال عليه الصلوة والسلام قتلت ابنة مروان قال نعم فهل على فى ذلك شئ فقال عليه الصلوة والسلام لا ينتطح فيها عنزان وارسلته العرب مثلا يضرب فى امر هين لا يكون له تغيير ولا نكير قال الحافظ واول من تكلم به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله حين قتل عمير بن عدى العصماء (وعن ابن عباس) كما رواه ابو داود والحاكم وصححه والبيهقى فى سننه عنه (ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها) اى ينهاها الاعمى (فلا تنزجر) بقوله لها (فلما كانت ذات ليلة) اى ساعة من ساعاتها (جعلت) اى اخذت وشرعت (تقع فى النبى) اى فى عرضه (صلى الله تعالى عليه وسلم وتشتمه) بكسر العين وضمها اى تسبه كما فى نسخة (فقتلها واعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر دمها) قال الحلبى وهذه المرأة وزوجها الاعمى لا اعرفهما الآن وفى الصحابة جماعة عميان غير ان الامام السهيلى ذكر فى اواخر روضه فى مقتل عصماء بنت مروان قال وكانت تسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلها بعلها على ذلك الى ان قال ووقع فى مصنف حماد بن سلمة انها كانت يهودية وكانت تطرح المحائض فى مسجد بنى خطمة فاهدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمها قال ولم ينتطح فيها عنزان انتهى وقد ذكر ابن سعد فى سيرته ان عصماء بنت مروان من بنى امية بن زيد كانت عند يزيد بن فريد بن حصن الخطمى وكانت تعيب الاسلام وتؤذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتحرض عليه الانام وتقول الشعر فيه من نظم الكلام فجاءها عمير بن عدى فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام ومنهم من ترضعه فى صدرها فجسها بيده ونحى الصبى عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها وكان ضرير البصر الى آخر القصة فعمير ليس بزوجها وزوجها يزيد بن فريد بن حصن صحابى ولا اعلمه فى العميان (وفى حديث ابى برزة) بفتح الموحدة فسكون راء فزاى (الاسلمى) على مارواه ابو داود وصححه الحاكم ورواه البيهقى فى سننه (قال كنت يوما جالسا عند ابى بكر الصديق) رضى الله عنه (فغضب على رجل من المسلمين) اى ممن اغضبه عليه بسبب او بسبب آخر (وحكى القاضى اسمعيل) اى ابن اسحق بن حماد بن زيد المالكى البغدادى الحافظ (وغير واحد من الائمة فى هذا الحديث) اى فى سبب ورود حديث ابى برزة (انه) اى الرجل (سب ابابكر ورواه النسائى) وهو احد الائمة الستة (اتيت ابابكر وقد اغلظ لرجل) اى فى القول (فرد) اى الرجل (عليه) اى على ابى بكر (قال) اى قال ابو برزة (فقلت يا خليفة رسول الله دعنى) اى اتركنى (اضرب) بالجزم وقيل بالرفع (عنقه) اى بسببه لك كما فى نسخة وكانه فام مهتما بامره (فقال اجلس فليس ذلك) اى قتل مثله لاحد (الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم) كاخوته من الانبياء لاشتراكهم فى نعت النبوة وصفة الرسالة بخلاف غيرهم من آحاد الامة ولو كانوا من اكابر الائمة هذا والحديث رواه النسائى من طرق بالفاظ متعددة منها ما تقدم ومنها تغيظ ابو بكر على رجل ومنها مررت على ابى بكر وهو متغيظ على رجل من الصحابة ومنها اغضب ابو بكر على رجل غضبا شديدا حتى تغيرلونه ومنها كنا عند ابى بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين فاشتد غضبه عليه جدا ورواه ابو داود ايضا ولفظه عن ابى برزة كنت عند ابى بكر فتغيظ على رجل فاشتد عليه (قال القاضى ابو محمد بن نصر) ومن كلامه فى ايامه حال ضيق مرامه

﴿ بالهف قلبى على شيئين لو جمعا * عندى لكنت اذن من اسعد البشر ﴾

﴿ كفاف عيش يقينى ذل مسألة * وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى ﴾

(ولم يخالف عليه احد) يعنى فصار اجماعا انه لا يقتل مسلم بسب صحابى وينبغى ان لا يكون فيه خلاف اذ لو قتل احد ابابكر لم يكفر اتفاقا فكيف اذا سبه احد ومن المعلوم ان جناية السب دون جناية القتل وانما جوز بعض اصحابنا الحنفية قتل من سب اكابر الصحابة على وجه الزجر والسياسة واما ما نقلوه فيه من حديث سب الشيخين كفر فلا اصل له وعلى تقدير صحة ثبوته فيجب تأويله كحديث من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اى قارب الكفر او يخشى عليه الكفر او كفر النعمة او محمول على استحلال المعصية او عد سبهم عبادة وامثال ذلك والله تعالى اعلم بحقيقة ما هنالك (واستدل) وفى نسخة فاستدل (الائمة) اى علماء الامة (بهذا الحديث) المروى عن ابى برزة المنتهى الى ابى بكر الصديق (على قتل من اغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما اغضبه اوآذاه اوسبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة) قال الحلبى هذا الرجل لا اعرفه وقال التلمسانى هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب (وقد استشاره) اى ذلك العامل عمر بن عبد العزيز (فى قتل رجل سب عمر رضى الله تعالى عنه) الظاهر ان المراد به ابن الخطاب لانه الفرد الاكمل فى هذا الباب ولا يبعد ان يراد به عمر بن عبد العزيز (فكتب اليه عمر) اى ابن عبد العزيز (انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس) ولو بلا موجب وسبب (الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن سبه فقد حل دمه) اى اجماعا وذلك لخروجه عن دينه قطعا (وسأل الرشيد) وهو هارون بن محمد المهدى ابن ابى جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقد بويع له سنة سبعين ومائة فى الليلة التى مات فيها اخوه الهادى لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول وهو ابن احدى وعشرين سنة وشهرين وحج بالناس ست حجات ولم يزل واليا الى ان مات بطوس من خراسان وهناك قبره وذلك ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن سبع واربعين سنة وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوما وكان يحج عاما و يغزو عاما وهو آخر خليفة حج فى خلافته وحج بعده كثير من قبل ولايتهم والحاصل انه سأل (مالكا) امام المذهب ما تقول (فى رجل شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بخصوصه او احدا من جنسه (وذكر له) اى الرشيد (ان فقهاء العراق) اى الكوفة او البصرة او فقهاء العجم (افتوه) اذ سألهم عنه اجابوه (بجلده) اى بضربه بحد الشتم (فغضب مالك) لفتواهم بذلك (وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة) على الجادة (بعد شتم نبيها) بهذه المثابة من عدم التفرقة بينه و بين غيره فى تفاوت الرتبة (من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) احدا منهم (جلد) اى ضرب بجلد الفرية (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) اى المصنف (كذا وقع فى هذه الحكاية) اى ان فقهاء العراق افتوا الرشيد بجلده (رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك) ممن اعتنى بجمعها وفى نسخة ممن ذكر مناقب مالك (ومؤلفى اخباره وغيرهم) من رواة سيره وآثاره (ولا ادرى من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر) من انه يجلد ولا يقتل (وقد ذكرنا مذهب العراقيين) وفى نسخة مذاهب العراقيين (بقتله ولعلهم) اى من افتاه بجلده دون قتله (ممن لم يشتهر) وفى نسخة ممن لم يشهر (بعلم) وهذا بعيد جدا وكذا قوله (او ممن) وفى نسخة او من (لا يوثق بفتواه او يميل به هواه) فان مثل هؤلاء لا ينقل الرشيد عنهم فيتعين قوله (او يكون ما قاله) اى نقله الرشيد (يحمل على غير السب) الموجب لقتله (فيكون الخلاف) جاريا فيه (هل هو سب) فيقتل (او غير سب) فيجلد (او يكون) اى الساب (رجع وتاب عن سبه) وفى نسخة من سبه وهذا هو الاظهر لانه الموافق لمذهب الكوفيين على ما تقرر (فلم يقله) اى لم ينقله الرشيد (لمالك) فلم يقله مالك (على اصله) اى حقيقة وقوعه (والا فالاجماع على قتل من سبه) اى فى الجملة (كما قدمناه) وان كان منهم من قال فان تاب قبلت توبته بل يجب او يستحب ان يستتاب والله اعلم بالصواب (و يدل على قتله من جهة النظر) اى نظر العقل (والاعتبار) اى طريق القياس (ان من سبه او تنقصه عليه الصلوة والسلام) كغيره من الانبياء الكرام (فقد ظهرت علامة مرض قلبه) اى من سوء اعتقاده بربه (و برهان شر طويته) اى ودليل خبث باطنه وفى نسخة و برهان لسوء طويته اى فساد نيته (وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة) الصواب ما قاله التلسانى ان ما زائدة او موصولة بخلاف قول الدلجى حيث جعلها نافية وقال لعدم قطعهم بكفره وان حكم به ظاهرا انتهى وهو خلاف مذهبهم لانهم قالوا بكفره قطعا الا انهم يقبلون التوبة منه خلافا لمالك على ما تقدم و يدل عليه قوله (وهى) اى الردة (رواية الشاميين عن مالك والاوزاعى وقول الثورى وابى حنيفة والكوفيين) اى وسائرهم (والقول الآخر) اى الرواية الاخرى عن مالك (انه) اى سبه (دليل على الكفر) اى بحسب ظاهر الامر (فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر) قطعا وقال التلسانى ومعناه انه مسلم انتهى فيتفرع عليه انه يغسل و يصلى عليه و يدفن فى مقابر المسلمين ونحو ذلك (الا ان يكون متماديا) اى مصرا مستمرا (على قوله غير منكر له) اى لمضمونه (ولا مقلع عنه) بتركه (فهذا كافر) وفى نسخة كفر اى بلا خلاف فقتله يكون كفرا كالزنديق لا حدا كالمرتد عنده (وقوله) اى الذى تمادى عنه (اما صريح كفر كالتكذيب) به عليه الصلوة والسلام او بما جاء به عن ربه (ونحوه) كنسبة ابليس ربه تعالى الى الجور والظلم اذ امره بالسجود لآدم عليه السلام زاعما انه خير من آدم (او من كلمات الاستهزاء والذم) مما هو غير صريح كفر فى مقام الفهم (فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو) اى استحلال المعصية (كفر ايضا فهذا) المستحل (كافر بلا خلاف) اى اذا لم يتب وفيه دليل على انه ممن يستتاب فى مذهب مالك ايضا ففيه روايات والله تعالى اعلم بالصواب وقال الائمة اذا كان فى المسئلة قولان احدهما فيه تشديد والآخر فيه تخفيف فلا يجوز للمفتى ان يفتى العامة بالتشديد والخواص من ولاة الامر بالتخفيف وذلك قريب من الفسوق والخيانة فى الدين والتلاعب بالمسلمين والحاكم كالمفتى سواء وكذلك لا يأخذ فى امر نفسه بالتخفيف و يشدد على الناس بل الاولى له العكس وروى ان العبد يسئل عن فتواه هل افتى بعلم او جهل وهل فتواه نصيحة او خذلان وهل اراد وجه الله تعالى او الرياسة كذا ذكره التلسانى وقال بعض علمائنا اذا وجدت رواية واحدة بعدم تكفير مسلم وتسع وتسعون رواية بتكفيره فينبغى للمفتى ان يختار تلك الرواية لان ابقاء الف كافر فى الدنيا اهون من افناء مسلم فى امر العقبى (قال الله تعالى فى مثله) اى مثل هذا المعترف بكلمات الاستهزاء والذم (يحلفون) اى المنافقون

(بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اى اظهروا كفرهم بعد اظهار اسلامهم (قال اهل التفسير هي) كلمة الكفر (ان كان ما يقول محمد) من انه سيفتح قصور الشام (حقا) اى صدقا (لنحن) اى واشرافنا المتخلفون (شر من الحمير) والقائل الجلاس بن سويد فسمعه عامر بن قيس الانصارى فقال اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحلف بالله ماقال فصدقه النبي عليه الصلوة والسلام فجعل عامر يدعو ويقول اللهم انزل على نبيك من الصادق منا فنزلت فتاب وحسنت توبته (وقيل بل هي) (قول بعضهم) وهو علم النفاق ورأس اهل الشقاق عبد الله بن ابى بن سلول اذلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المصطلق بالمريسيع ماء لهم فهزمهم وقتل منهم وازدحم جهجاه بن سعد اجير عمر بن الخطاب وسنان حليف بن ابى واقتتلا فصاح جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال ابن ابى لجعال وانت هناك اى انت في تلك المنزلة بحيث تلطم حليفي ثم قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم (ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل) في المثل السائر يضرب لمن يحسن الى احد فيسيء اليه (سمن كلبك يأكلك) وقال لاصحابه لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فرده الله تعالى بقوله ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون (و) قال ايضا (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز) يريد نفسه (منها الاذل) يريد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرد الله تعالى عليه بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون روى انه قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لوامسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلاتنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن ارقم فقال والله انت الذليل المبغض في قومه ومحمد في عز من الرحمن وقوة من اصحابه فقال له ابن ابى انما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عمر دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجرى فأمر انصاريا قال فكيف اذن يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ثم قال عليه الصلوة والسلام لابن ابى انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ماقلت شيئا من ذلك الباب وان زيدا الكاذب فقال من حضر شيخنا وكبيرنا لانصدق عليه قول غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت تكذيبا لابن ابى لحق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا فعرك اذنه وقال له وفت اذنك ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافق ولما اراد ان يدخل المدينة قال له ابنه وكان مؤمنا مخلصا وراءك يامنافق والله لاتدخلها حتى تقول رسول الله هو الاعز وانا الاذل فلم يزل به حتى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خله يدخل وقيل قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (وقد قيل ان قائل مثل هذا) القول مما يشبه قول ابن ابى واضرابه وفي نسخة ويدل عليه ايضا ان قائل هذا (ان كان مستترا به) من الاستتار وفي نسخة مستترا من التستر فهما مأخوذان من الستر ومعناهما مختفيا قال التلمسانى وروى مستسرا من السر وهو خلاف العلانية (ان حكمه حكم الزنديق يقتل) اى لكفر الاحد ولايستتاب اصلا قال التلمسانى وقد استدل من قال بقبول توبة المستسر بكفره بما جاء في الصحيح من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله قال الخطابى في قوله وحسابهم على الله يعنى فيما يستسرون به قال وفيه دليل على ان الكافر المستسر بكفره لايتعرض له اذا كان ظاهر حاله الاسلام وان توبته مقبولة واذا اظهر الانابة من كفر علم باقراره انه كان يعتقده قبل قال وهو مقول اكثر العلماء وقال مالك لاتقبل توبة المستسر بكفره (ولانه قد غير دينه) فصار مرتدا (وقد قال عليه الصلوة والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه) رواه احمد والبخارى والاربعة بلفظ من بدل دينه فاقتلوه فلعله نقل بالمعنى اورواية بالمبنى (ولان الشان) (لحكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحرمة) اى الاحترام والعظمة (مزية) اى زيادة رتبة (على امته وساب الحر) اى من يسب حرا (من امته) ذكرا او انثى (يحد) اى يعزر على ما هو المقرر الا ان يكون قذفا فيحد (فكانت العقوبة لمن سبه عليه الصلوة والسلام القتل) وهذا امر مجمع عليه في عقوبته وانما الخلاف في قبول توبته وذلك (لتعظيم قدره) اى علو مرتبته عن امته (وشفوف منزلته) اى زيادتها (على غيره) من خلق الله سبحانه وتعالى والشفوف بضم الشين المعجمة والفاء الاولى من السف بالكسر وهو الزيادة

﴿فصل﴾

(فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهودي الذي قال له) اى النبي وحده اوله ولمن معه (السام عليكم) اى الموت اوالملل والمعنى متم اومللتم (وهذا دعاء عليه) اى بالموت اوالملل وهو السأمة من الطاعة اوالملالة من الحياة والراحة والحديث رواه البخاري وغيره ولقدفطنت عايشة اذ كانت اليهود يمرون به فيقولون السام عليك ياابا القاسم فقالت عليكم السام والذام واللعنة ومن ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم يعني الذي يقولونه لكم ردوه عليهم قال الخطابي عامة المحدثين يروون وعليكم بواوالعطف وكان ابن عيينة يرويه بغير واو وهو الصواب لايذانه برد ما قالوه عليهم خاصة واثباتها يؤذن بالاشتراك معهم فيه لانها لمطلق الجمع انتهى ولايخفى ان ترجيح الرواية الشاذة وتخطئة الجمهور من الرواة ليس على الصواب وانما يتعين تأويل روايتهم بان المراد بالعاطفة هي المشاركة في الموت لانه مشترك بين العباد في جميع البلاد اذ كل نفس ذائقة الموت فكانه قيل وعليكم ماقلتم ايضا فهو جواب دعاء عليهم معاقبة لديهم مع احتمال انهم قالوا السلام باللام ولذا لم يصرح لهم بقول عليكم السام بالواو العاطفة اوبدونها وفيه ايماء الى قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها هذا والذي دخل عليه عليه الصلوة والسلام وقال السام عليكم جاء في رواية انه يهودي وفي اخرى انه رهط من اليهود وفي رواية اناس وفي اخرى ناس ولعلها قضيتان وقد يجمع بان دخل عليه رهط من اليهود وسلم واحدمنهم والله اعلم (ولاقتل الآخر) جملة حالية اوعطف بالمعنى على ماقبله اي ولم ماقتل الكافر الآخر (الذي قال له) كما رواه البخاري في قسمة قسمها (ان هذه لقسمة) وفي نسخة قسمة (ما اريد بها وجه الله تعالى) قال الدلجي هو ذوالخويصرة وهو وهم منه فقدقال الحلبي هذا الآخر لااعرفه غير انه وقع في صحيح البخاري انه من الانصار وقدقال بعض الفضلاء انه مغيث بن قشير واما الذي قال له اعدل فذلك ذوالخويصرة يعني بالتصغير كذا صرح به في صحيح مسلم من رواية ابي سعيد الخدري وهو تميمي قتل في الخوارج يوم النهروان وهو رأس الخوارج ولهم ذوالخويصرة رجل آخر يماني يروى في حديث مرسل انه هو الذي بال في المسجد ولاثالث لهما في الصحابة ووقع في صحيح البخاري في باب من ترك قتال الخوارج للتألف في كتاب استتابة المرتدين مالفظه جاء عبدالله ابن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل انتهى قال الحلبي والصحيح انه ذوالخويصرة ويحتمل انه مرة نسب القول الى ابيه ونسبه تارة اليه لانهما قالاه والله تعالى اعلم اقول ولا يبعد ان عبدالله هو ذوالخويصرة وانه لقبه ولقب ابيه ايضا والله تعالى اعلم وكان قول هذا القائل يوم حنين لما آثر عليه الصلوة والسلام اناسا في القسمة لمصلحة رآها فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة ابن حصين مثل ذلك على ماقدمناه (وقد تأذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) ولكنه من كمال حلمه اولتألفه في جمال علمه تحمل منه هنالك (وقال قداوذي موسى باكثر من هذا فصبر) على ما آذاه به بنو اسرائيل كحمل قارون المومسة بالرشوة على قذفه بنفسها واتهامهم له بقتل اخيه هارون اذذهب معه الى الطور فمات هنالك فحملته الملائكة فمرت بهم فعرفوا انه لم يقتله ورميهم بعيب في جسده من برص وادرة به قال تعالى ياايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثرالاحيان) ويعظمونه في قليل من الزمان وفي نسخة في كل الاحيان اي غالب الازمان (فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان في اول الاسلام) اي في اول ظهوره عليه الصلوة والسلام (يستألف عليه الناس) اي يطلب ائتلافهم ويقصد تألفهم قال المزي المستعمل يتألف (ويميل) بالتشديد اوالتخفيف من الامالة اي يحول (قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم) باللطف والاحسان (ويداريهم) اي ويسامحهم ويدافعهم فهو من الدرء مهموز وقد يخفف فقول الحلبي غير مهموز وقد يهمز ليس في محله ومن المخفف قولهم

﴿ فدارهم مادمت في دارهم * وارضهم مادامت في ارضهم ﴾

(ويقول لاصحابه انما بعثتم) تغليبا لهم لكثرتهم على نفسه الشريفة تواضعا معهم او بعثتم بمعنى ارسلتم بعدي الى من بعدكم (ميسرين) بكسر السين اي مسهلين (ولم تبعثوا منفرين) بتشديد الفاء المكسورة اي مشددين رواه الترمذي عن ابي هريرة ولفظه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ولعل المصنف وجد في رواية قوله منفرين اونقله بالمعنى وقد اغرب التلمساني حيث اعترض على المصنف فقال وصوابه معسرين من العسر لمطابقة الظاهر ولكنه راعى الطباق الخفي لان التيسير لازم السكون كما ان التنفير لازم العسر (ويقول يسروا ولا تعسروا) اي هونوا ولاتشددوا (وسكنوا) اي قرروا (ولاتنفروا) رواه احمد والشيخان والنسائي عن انس رضي الله عنه بلفظ يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا (ويقول) اي في الاعتذار عن عدم قتل المنافقين (لايتحدث الناس) اي لايقول بعضهم لبعض (ان محمدا يقتل اصحابه) فيكون تنفيرا لمن اراد ان يأتي الى بابه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم

يداري) بالهمز وابداله اي يدافع (الكفار والمنافقين) ويلاطفهم وقدورد رأس العقل بعد الايمان بالله التحبب
الى النـاس رواه الطبراني في الاوسط عن علي كرم الله وجهه ورواه البزار والبيهقي عن ابي هريرة بلفظ التودد بدل
التحبب ورواه البيهقي عن علي ايضا رأس العقل بعد الدين التودد الى النـاس واصطناع الخير الى كل بر وفاجر وزاد
البيهقي عن [illegible] في رواية واهل التود د في الدنيا لهم درجة في الجنة وفي رواية له عنه رأس العقل المداراة
(ويجمل صحبتهم) من اجمل بالجيم اي يحسن اومن اجمل جمع بعد تفرقة وفي نسخة بالحاء المهملة من حمل اي يتحمل
صحبتهم (ويغضي عنهم) من الاغضـاء بالغين والضاد المعجمتين اي يغمض عينه عن عيبهم وفي نسخة عليهم
اي يخفي عليهم ذنبهم (ويحتمل من اذاهم) من تبعيضية اوزائدة ويدل عليه انه في نسخة صحيحة ويحتمل اذاهم اي يتحمل
على ايذائهم (ويصبر على جفائهم) وهذا كله لقوله تعـالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على
الله وكفى بالله وكيلا اي دع مكافأة اذيتهم اياك فانا كفيناك والحاصل انه كان يجوزله (ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم)
اي للمنـافقين ونحوهم (عليه) اي على ما صدر من فعلهم وقولهم لانا مأمورون بزجرهم على كفرهم وبعدم اكرامهم
في مرامهم (وكان يرفقهم) بفتح الياء وكسر الفـاء من الرفق ضد العنف وهو لين الجانب وبضم الياء من الارفاق يقال
رفق به يرفق وحكى ابو زيد ارفقت به وارفقته بمعنى اي يلطف بهم (بالعطاء) لهم (والاحسان) اليهم تفاديا من
نفرتهم عن حضرته وامتناعهم عن قبول ملته (وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال) اي دائما (تطلع على خائنة منهم)
اي خيانة تبدر وجناية تصدر عنهم كما هو دأبهم وديدنهم اقتداء بمن قبلهم (الا قليلا منهم) وهو من آمن منهم
او كان مقتصدا فيهم (فاعف عنهم واصفح) اي واعرض عنهم (ان الله يحب المحسنين) معهم ومع غيرهم تخلقا باخلاق
الله فيهم حيث يرزقهم ويعافيهم فقيل هذا قبل امره بقتالهم وقيل اعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم
(وقال تعالى ادفع) اي السيئة التي وردت عليك منهم بالحسد والعداوة (بالتي) اي بالحسنة التي (هي احسن) من اختها
وهي العقوبة والمكافأة بمثلها والمجازاة بنحوها او بان تحسن اليه باساءته اليك (فاذا الذي بينك وبينه عداوة) اي
بسبب مدافعة السيئة بالحسنة (كانه ولي) نصير لك مائل اليك (حميم) قريب مشفق عليك (وذلك) اي ما امره الله به
من المداراة وعدم المجـازاة (لحاجة الناس) اي همومهم (للتألف) وفي نسخة في التألف اي طلب الالفة وعدم النفرة
(اول الاسلام) في اوائل الهجرة الى مدينة السلام (وجمع الكلمة عليه) اي ولاجتماع كلمة الامة لديه (فلما استقر) امره
وثبت حكمه وعلا قدره واعلى نوره (واظهره الله على الدين) اي انواعه (كله) اي جميعه حسب ما وعده له بقوله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (قتل من قدر عليه) ممن عاداه (واشتهر امره)
فبين باداه (كفعله) عليه الصلوة والسلام (بابن خطل) وهو متعلق باستار بيت الله الحرام (ومن عهد بقتله) اي
كفعله بقتل من اوصى بقتله (يوم الفتح) من بعض الرجال والنساء فمنهم من قتل وذهب الى جهنم ومنهم من تاب
واسلم (ومن) اي وقتل من (امكنه قتله غيلة) بكسر المعجمة اي خفية اوغفلة (من يهود) كابن ابي الحقيق وابن الاشرف
(وغيرهم) اي وغير يهود على ما مر ذكرهم (اوغلبة) بفتحتين اي او قتله شهرة وعلانية كالنضر بن الحارث وعقبة ابن
ابي معيط (ممن لم ينظمه) بكسر الظاء المعجمة اي ولم يسلكه (قبل) اي قبل قتله (سلك صحبته) اي خيط محبته حياطة
مودته وحيازة معرفته (والانخراط) اي ولم ينظمه الدخول والاختلاط (في جملة مظهري الايمان به ممن كان
يؤذيه) بلسانه ويطعن في شانه (كابن الاشرف) المحروم عن الشرف (وابي رافع) الذي نسبه له غير نافع (والنضر
ابن الحارث) بالضاد المعجمة وهو الذي لم يحصل له النصر (وعقبة ابن ابي معيط) بضم العين وسكون القاف الذي دخل
في عقبة النار وعقبى الفجـار في دار البوار (وكذلك هدر) بفتح الهاء والدال المهملة والراء اي ابطل (دم جماعة)
وفي اصل الدلجي ندر بالدال وقال اي اسقط واهدر انتهى وفي القـاموس الهدر محركة ما يبطل من دم وغيره هدر
يهدر ويهدر هدرا وهدرا وهدرته لازم ومتعد واهدرته فعل وافعل بمعنى وندر الشيء ندورا سقط من جوف شيء اومن بين
اشياء انتهى فظهر انه لم يأت بمعنى اسقط واهدر نعم فيه ان اندر الشيء اسقط وهو كذا في اصل الانطاكي ولكن ليس
فيه تصريح بانه بمعنى اهدره وقال التلمسـاني ندر بفتح الدال المعجمة اي التزم قتلهم ويجوز ان يكون معناه اباح لانه لما التزم
قتله كان كانه اباح للقاتل ويجوز ان يكون ندر بالكسر اي اعلم والمعنى اعلم باباحة دمائهم والرواية بالفتح ويجوز ندر بالمهملة
اي اهدر دمه واسقطه وقد روي فاهدر دماءهم (سواهم) اي ما عدا المذكورين (ككعب بن زهير) بالتصغير المزني كان
قد خرج هو واخوه بجير بضم الموحدة وفتح الجيم فتحتية ساكنة فراء الى رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم فتقدم
بجير ليكشف امر رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم ويأتي كعبا ويخبره فلما جاءه بجير عرض عليه الاسلام فاسلم فبلغ

ذلك كعبا فانشد ابياتا ينكر فيها على اخيه اسلامه ويتعرض لغيره من ابي بكر الصديق ونحوه بقوله

﴿الا ابلغا عني بجيرا رسالة * على اي شيء ويب غيرك دلكا﴾

﴿على خلق لم يلف اما ولا ابا * عليه ولم تدرك عليه اخا لكا﴾

فقال عليه الصلوة والسلام نعم لم يلف عليه امه ولا اباه فاهدر عليه الصلوة والسلام دمه وقال من لقيه فليقتله فبعث اليه اخوه يعلمه بذلك وانه عليه الصلوة والسلام لا يأتيه احد فيسلم الا قبل منه الاسلام واسقط ما كان قبله من الآثام فاذا اتاك كتابي هذا فاقبل واسلم فجاء كعب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد القصيدة المشهورة اولها * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * فلما بلغ

﴿ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول﴾

﴿انبئت ان رسول الله اوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول﴾

اشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى من معه اسمعوا واجازه عليه الصلوة والسلام على هذه القصيدة واعطاه بردة قيل ان معاوية ابن ابي سفيان طلب البردة منه بعشرة آلاف درهم فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى اولاده بعشرين الف درهم واخذ البردة ولم تزل في خزائن بني امية تنتقل من واحد الى واحد قيل اشتراها منه معاوية بثلاثين الفا ويقال انها البرد الذي توارثه خلفاء بني العباس وكان قدومه واسلامه بعد انصرافه عليه الصلوة والسلام من الطائف وكعب بن زهير من فحول الشعراء وابوه وجده وكذلك ابنه عقبة وابن عقبة ايضا واشعرهم زهير ثم كعب وقد هلك زهير قبل المبعث (وابن الزبعرى) بكسر الزاي والموحدة فعين ساكنة مهملة فراء مقصورا القرشي السهمي الشاعر المشهور كان من اشد الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بلسانه ويده قبل اسلامه ثم اسلم بعد الفتح وحسن اسلامه واعتذر عن زلاته حين اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد انقرض ولده ومن مدحه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿مضت العداوة فانقضت اسبابها * ودعت اواصر بيننا وحلوم﴾

﴿فاغفر فدى لك والداي كلاهما * زللي فانك راحم مرحوم﴾

﴿وعليك من علم المليك علامة * نور اغر وخاتم مختوم﴾

(وغيرهما ممن آذاه) بالسنتهم (حتى القوا) انفسهم بايديهم (بين يديه) وهو كناية عن اسلامهم واستسلامهم لديه (ولقوه مسلمين) اي منقادين مخلصين متوجهين اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر) اي وحكامه على ظواهرهم مستقرة مستمرة في العلانية (واكثر تلك الكلمات المؤذية (انما كان يقولها القائل منهم خفية) بضم اوله وكسره (ومع امثاله) اي من يهودي او منافق كما قال تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن (ويحلفون عليها) انكارا لها (اذا نميت) بصيغة المجهول مخففا اي رفعت اليه (وينكرونها) اذا وصلت لديه (ويحلفون بالله ما قالوا) كما اخبر الله تعالى عنهم واكذبهم بقوله (ولقد قالوا كلمة الكفر) وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا في مرامهم من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل اي علاها فيه فاخذ عمار ابن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا (وكان) عليه الصلوة والسلام لكونه رحمة للعالمين (مع هذا) اي ما فعلوه وقالوه (يطمع في فيئتهم) بفتح الفاء وبكسر وسكون التحتية تفسيره قوله (ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم) من الآثام (فيصبر عليه الصلوة والسلام على هناتهم) اي زلاتهم في مقالاتهم (وهفواتهم) اي وسقطاتهم وفي نسخة وجفوتهم اي وغلظتهم في حالاتهم (كما صبر اولو العزم) اي اصحاب الجد والحزم (من الرسل) قيل من بيانية والاصح انها تبعيضية وانهم محمد ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل غير ذلك وقال البغوي هم الذين ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا انتهى وقدم النبي عليه الصلوة والسلام في الآية الاولى للايماء الى انه في المرتبة الاعلى وانه اول في عالم الوجود وان كان آخرا في مقام الشهود (حتى فاء) اي رجع الى الاسلام (كثير منهم باطنا) في الآخر (كما فاء ظاهرا) في الاول (واخلص سرا) في استقبال (كما اظهر جهرا) في اول الحال (ونفع الله بعد) اي بعد ذلك من اخلاصهم

هنالك (بكثير منهم) في امر الجهاد وغيره (وقام منهم للدين وزراء واعوان) اي امراء (وحماة) بضم الحاء وتخفيف الميم اي قضاة (وانصار) للدين ولو بنقل علوم اليقين (كما جاءت به الاخبار) التي ذكرها ارباب السير من المحدثين (وبهذا) الجواب (اجاب بعض ائمتنا) اي المالكية وغيرهم (رحمهم الله تعالى عن هذا السؤال) المشتمل على ما سبق من الاشكال (وقال) اي القاضي لهذا المقال (لعله) اي الشان (لم يثبت عنده عليه الصلوة والسلام من اقوالهم ما رفع) اليه وحكي لديه ويشكل هذا بقول بعضهم اعدل واتق الله (وانما نقله الواحد) القائل اذ قوله دفع ورد عليه (ومن لم يصل) اي لم يبلغ قوله او قائله (رتبة الشهادة) اي الكاملة من العدد المعتبر في الشرع المقرر (في هذا الباب) بخصوصه المقدر فيما يوجب قتل من سب نبينا كما تحرر (من صبي) كزيد بن ارقم (اوعبد اوامرأة) كعايشة اوجارية مملوكة او بنت صغيرة اوكافر (والدماء لا تستباح) اراقتها (الا بعدلين) لكن يشكل هذا بتكذيب الله تعالى لهم في قوله ولقد قالوا كلمة الكفر وكذا في شهادة ابن ارقم والله تعالى اعلم (وعلى هذا) الاحتمال (يحمل امر اليهود) اي كلامهم (في السلام) وفي نسخة في السام (والهم) على دأبهم وعادتهم (لووا به السنتهم) بتشديد الواو الاولى وتخفيفها اي عطفوها واما لوها والمعنى انهم حرفوه (ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت) النبي عليه الصلوة والسلام (عايشة رضي الله تعالى عنها) اي على ظن انه عليه الصلوة والسلام ما تفطن لقولهم السام (ولو كان) اي المنافق او اليهودي (صرح بذلك لم تنفرد) عايشة من بين الصحابة (بعلمه) روى انها قالت لهم عليكم السام والذام وفي رواية واللعنة فقال مهلا يا عايشة الم تسمعي ما اقول لهم فان الله يستجيب لي فيهم ولا يستجيب لهم في (ولهذا) اي لتنبيه عايشة (نبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على فعلهم) وكذا على كذبهم في قولهم (وقلة صدقهم) المتين المبين (في سلامهم) لعدم اسلامهم (وخيانتهم في ذلك) اي مقام كلامهم ليا (بالسنتهم) اي تحريفا بها (وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم) اي على المسلمين (فانما يقول السام عليكم) اي الموت (فقولوا عليكم) او وعليكم كما تقدم والله تعالى اعلم وفيه ان الله سبحانه اخبر عنهم بقوله واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله و يقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير فهذا ثبت بشهادة الله تعالى في حقهم فلبس الحكم السابق مبنيا على اخبار عايشة فقط (وكذلك) اي مثل هذا القول المرضي عند المصنف (قال بعض اصحابنا) اي من المالكية (البغداديون) بالرفع على انه نعت بعض والبغداديين بالجر على انه نعت اصحاب كالقاضي عبد الوهاب وابن خويزمنداد وابن الجلاب (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم) اي بمجرد علمه في حقهم (ولم يأت) اي في حديث من الاخبار ورواية من الآثار (انه قامت بينة) اي ثبتت حجة (على نفاقهم) اي بخصوصهم وما ورد في الكتاب انما هو مذكور لعمومهم سترا من الله في اسرارهم وكتما في اخبارهم وآثارهم ولذلك تركهم احياء على احوالهم في ديارهم فاندفع به ما اعترض الدلجي على المصنف بقوله وكفاك بينة عليه ما وردت به سورة المنافقين وبراءة من البحث عن اسرارهم واظهار نفاقهم واخبارهم (وايضا) يقال في دفع الاشكال (فان الامر كان سرا وباطنا) اي بالاخفاء والكتمان (وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان) احدهم (من اهل الذمة بالعهد والجوار) بكسر الجيم وتضم اي الامان فهو من الجار بمعنى المجاور اوالذي اجرته من ان يظلم (والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد) اي بعد مضي تلك الايام (الخبيث من الطيب) اي المرائي من المخلص في مقام الكلام (وقد شاع) اي فشا وذاع (عن المذكورين في العرب) بحيث ملأ الاسماع (كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين) لما فاد من عموم حديث البخاري انا سيد الاولين والآخرين (وانصار الدين بحكم ظاهرهم) انهم من المسلمين (فلو قتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر) بضم الدال المهملة بعد الموحدة اي يسرع (من الناس (منهم) وفي اصل الدلجي يبدو بالواو اي يظهر منهم (وعلمه) اي لمجرد علمه (بما اسروا في انفسهم) من النفاق والشقاق وجواب لو (لوجد المنفر) بتشديد الفاء المكسورة (ما يقول) في تنفيره (ولا رتاب النادر) في تغييره (وارجف المعاند) بصيغة المفعول اوالفاعل والمعاند بكسر النون هو المنكر الجاحد الحائد ومنه قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة الآية والمرجف هو الذي يرجف قلوب الناس بالاخبار المتزلزلة التي لا اصل لها من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى خاص في امر الفتنة والاخبار السيئة (وارتاع) اي وخاف (من صحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد) اي كثير من الانام ممن ضعف دينه وسقم يقينه وجهل ان الداخلين في الاسلام وهم مخلصون اولئك لهم الامن وهم مهتدون (وزعم الزاعم وظن العدو الظالم) وفي نسخة الفذ بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة المنفرد الواهم (ان القتل) للمنافقين (انما كان للعداوة) الباطنية المتعلقة بالامور الدنيوية (وطلب اخذ الترة) بكسر التاء الفوقية اي النقص والتبعة الكامنة في الطباع البشرية

من مطالبة دماء القتيل الواقع في الجاهلية (وقد رأيت معنى ماحررته منه و بالى مالك بن انس رحمه الله تعالى)
اى الامام وفق ماقررته (ولهذا قال عليه الصلوة والسلام لايتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه) وقد مر عليه
الكلام (وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكن لايعرف من رواه من المخرجين الكرام (اولئك الذين نهاني الله
من قتلهم) وعلى تقدير صحته يحمل على اول امره وحالته من قوله فاعف عنهم واصفح بخلاف آخره لقوله تعالى
ياايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وهذا) اى عدم اجراء احكامه عليهم من حيث بواطنهم المستورة
لديهم (بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا) اى جلدا ورجما وتغريبا وتحصينا وتحديدا (والقتل)
قودا وحدا (وشبهه) كحد السرقة والقذف وشرب الخمر (لظهورها) اى لوضوح امرها (واستواء الناس في علمها)
اى واشتراك الناس في حكمها (وقد قال ابن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو ثم زاى (لو اظهر المنافقون
نفاقهم) اى كفرهم وشقاقهم (لقتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بخصوصهم فلا ينافي ما اظهر الله
من حالهم بعمومهم كما توهمه الدلجي واعترض به على القاضي وذلك لان المنافق لذا اظهر النفاق خرج عن كونه منافقا
(وقال) يعني وقال به ايضا (القاضي ابو الحسن ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد وتصحف في اصل الدلجي
بالصفار (وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون) اى عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) اى شك
من ترددهم وشقاقهم (والمرجفون في المدينة) عن ارجافهم باخبار سوء من عند انفسهم عن سراياه عليه الصلوة
والسلام بقولهم هزموا قتلوا جرى عليهم كذا وكذا يؤذون المؤمنين ويغمونهم (لنغرينك بهم) لنسلطنك
عليهم بان نفعل بهم مايكون عبرة لغيرهم (ثم لايجاورونك فيها) بان نضطرهم الى الجلاء عن المدينة السكينة
فلا يساكنونك فيها (الا قليلا) من الزمان ريثما يخرجون بعيالهم ثم يرتحلون اوالا قليلا منهم وهو الذى ينتهى
عما ذكر من المنهى (ملعونين) نصب على الحال اى حال كونهم مبعودين عن رحمة الله العظيم ورحمة رسوله الكريم
(اينما ثقفوا) اى وجدوا بعد ذلك (اخذوا) اى امسكوا (وقتلوا تقتيلا) اى وبولغ في قتلهم تنكيلا (سنة الله) اى
سن الله سنته واجرى عادته (الآية) اى في الذين خلوا من قبل اى مضوا قبلكم من الانبياء واممهم ولن تجد لسنة الله
تبديلا اى تغييرا وتحويلا (قال) اى قتادة (معناه) اى معنى قوله لئن لم ينته المنافقون (اذا اظهروا النفاق) الذى
في باطنهم من الشقاق (وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم) وهو من فقهاء التابعين بالمدينة
(ان قوله تعالى ياايها النبي جاهد الكفار) اى بالسيف (والمنافقين) اى بالحجة (واغلظ عليهم) جميعا في محاربتهم
ومحاجتهم فعن الحسن وقتادة ومجاهد المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم
واظهار اخبارهم والاظهر ان المعنى جاهد الكفار والمنافقين اذا اظهروا كفرهم واعلنوا سرهم و بهذا
التقدير (نسخت) هذه الآية (ما كان قبلها) من المسالمة والمسامحة وفي كثير من النسخ نسختها ما كان قبلها اى
نسخ هذا الحكم ما كان قبله من العفو والصفح عنهم (وقال بعض مشايخنا) من المالكية اوالاشعرية اوعلماء
اهل السنة (لعل القائل) وهو واحد من الانصار كما في صحيح البخاري اومعتب بن قشير كما قاله بعضهم لاذوالخويصرة
كما وهم الدلجي (هذه قسمة ماارىد بها وجه الله وقوله اعدل) اى قبل ذلك او بعده هنالك كذا حرره الدلجي وقال
الحلبي قائل اعدل هو ذوالخويصرة وكلام القاضي في عطفه بقوله وقوله اعدل ظاهر في ان الكلامين قائلهما واحد
وفيه نظر فانما هما اثنان ولوقال وقول الآخر اعدل لكان حسنا (لم يفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى منه كما في نسخة اى من قوله (الطعن عليه) اى على فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والتهمة له) اى لنسبه
ونسبة التقصير اليه (وانما رآها) اى القسمة اوتلك الحالة (من وجه الغلط في الرأى) اى بناء على رأى ناقصه
(وامور الدنيا) اى في امورها (والاجتهاد في مصالح اهلها) ظنا منه ان هذا من قبيل انتم اعلم بامور دنياكم
(فلم ير) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك) الكلام (سبا) بتشديد الموحدة اى طعنا ومذمة وفي نسخة شيئا اى
من الملامة مما يستحق عليه العقوبة (ورأى انه من الاذى الذى) يجوز (له العفو) عنه (والصبر عليه) فلذلك لم يعاقبه
والصواب انه عليه الصلوة والسلام فهم من الخطاب مايستحق عليه العقاب لكنه كان مأمورا بالاعراض عنهم
في مقام العقاب والافكيف لايفهم الطعن من قوله هذه قسمة ما اريد بها وجه الله نعم قوله اعدل قد يقال انه اراد به
التسوية اللغوية والعدالة العرفية ولكنه عليه الصلوة والسلام فهم انه اراد العدالة الشرعية فقال له ويلك من
يعدل ان لم اعدل وقال في آخر الحديث يخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون
من الدين الحديث فكان كما اخبره عليه الصلوة والسلام وقتل على يد على في النهروان وهو رئيس الخوارج واهل
الخذلان (وكذلك) اى وكما قيل فيمن تقدم من الاعتذار (يقال في اليهود اذ قالوا) بدل السلام (السام) اى عليكم

كما فى نسخة (ليس فيه صريح) وفى نسخة تصريح (سب) اى شتم (ولا دعاء) اى عليه بذم (الا) اى لكن دعاء عليه (بما لابد منه من الموت الذى [illegible] الا استحالة ولا مضايقة (بمن لحاقه جميع البشر) بل كل ذى روح من الخلق كما صح فى الخبر وفيه ان [illegible] من باب الدعاء على القول فيه بحسب العرف والعادة لانه يراد به الانشاء لا الاخبار بما سبق [illegible] هذا المعنى الذى فهمته عايشة رضى الله تعالى عنها وهى من الفصحاء والبلغاء ومن اهل بيت الفهم و[illegible] والعلم والفطانة (وقيل بل المراد به تسأمون دينكم) اى تملونه وتتركونه (والسأم) بهمزة ساكنة (والسآمة) [illegible] ممدودة (الملال والملالة) قال الدلجى والرواية بلا همز لاختلاف صيغتيهما واواوهمز الثهى وارآد انه لا يصح هذا المعنى من ذلك المبنى والصواب [illegible] بين الرواية والدراية لان الهمزة الساكنة كثيرا تبدل الفا (وهذا دعاء على سآمة الدين) اى فى قلوب المؤمنين (وليس بصريح سب) اى شتم لكنه متضمن لعيب وذم (ولهذا) اى ولكونه ليس بصريح سب (ترجم البخارى على هذا الحديث باب) بالرفع منونا (اذا عرض) بتشديد الراء اى لوح (الذمى اوغيره) وفى نسخة وغيره اى المستأمن (بسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ولم يصرح به قال ابن المنير كأن البخارى كان على مذهب الكوفيين فى هذه المسئلة وهو ان الذمى اذا سب يعزر ولا يقتل (قال بعض علمائنا وليس هذا) اى قول اليهود السام عليكم (بتعريض بالسب) اى الشتم (وانما هو تعريض بالاذى) ولكنه موصوف بالذم (قال القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف (وقد قدمنا ان الاذى) بعمومه (والسب) بخصوصه (فى حقه عليه الصلوة والسلام سواء) لاستوائهما فى تنقصه والخروج عن دينه الموجب لتكفيره بخلاف غيره فانه يفرق بينهما باختلاف تعزيره حسب تقريره وفيه ان جميع مراتب الايذاء لاتكون مع السب فى حالة السواء فانه عليه الصلوة والسلام كان يتأذى من اصحابه الكرام اذا صدر عنهم ما يوجب شيئا من الآثام (وقال القاضى ابو محمد بن نصر) بصاد مهملة (مجيبا عن هذا الحديث) اى حديث السام (ببعض ما تقدم) من الكلام (ثم قال ولم يذكر فى الحديث هل كان هذا اليهودى من اهل العهد) اى الجزية (والذمة) اى الامان فينتقض عهده و يبلغ مأمنه (او الحرب) اى اهل الحرب فيهدر دمه (ولا يترك موجب الادلة) بفتح الجيم اى مقتضاها من القتل بشتم اوذم (للامر المحتمل) لواحد منهما وفيه ان ذلك اليهودى اما كان منافقا واما مستأمنا والا لما كان عليه الصلوة والسلام واصحابه الكرام يتحملون من الحربى نوعا من الكلام ولا كانوا يتركونه فى ذلك المقام بعد الامر بقتال من لم يذعن للاسلام نعم كما قال هو وغيره (والاولى فى ذلك) وفى نسخة فى هذا (كله والاظهر من هذه الوجوه) فى حكمه (مقصد الاستئلاف) بفتح الصاد وكسرها اى لمحض طلب الالفة ورفع الكلفة عن الامة (والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون) على وجه اليقين (ولذلك ترجم البخارى على حديث القسمة والخوارج باب) بالتنوين وفى نسخة بالاضافة الى قوله (من ترك قتال الخوارج) اى مقاتلتهم وفى نسخة قتل الخوارج وهم طائفة مشهورة من اهل البدعة يبغضون اهل بيت النبوة (للتألف) اى طلب الالفة ليثبتوا على الملة (ولئلا ينفر الناس) بكسر الفاء من النفر وفى نسخة من التنفير عنه اى ولدفع النفرة عن قبول الدعوة (ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل) اى قبل ذلك (وقد صبر لهم عليه الصلوة والسلام على سحره) بكسر السين اى ما سحر به وفى نسخة بفتحها وهو المصدر (وسمه) اى وعلى تسميمه (وهو اعظم من سبه) وفيه ان من سمه علله بانه اختبره على انه ان كان نبيا فلا يضره والا فيندفع به شره واذا لم يقتلها اولا ثم قتلها قصاصا بعد ما مات بشر بن البراء من اصحابه (الى ان نصره الله عليهم) واظهر امره لديهم (واذن له فى قتل من حينه منهم) بمهملة فتحتية مشددة فنون مفتوحات اى اهلكه من الحين وهو الهلاك وقيل من حينه اى انتظر وقته وروى بالخاء المعجمة من الخيانة و يجتمع خيبه بالباء الموحدة اى نسبه الى الخيبة وفى نسخة اخرى عيبه بالموحدة او النون وهذا كله فى بنى قريظة واضرابهم (وانزالهم) وفى نسخة وانزلهم (من صياصيهم) بفتح اوله اى حصونهم (وقذف) اى والحال انه سبحانه وتعالى القى (فى قلوبهم الرعب) بسكون العين وضمها اى الخوف الشديد (وكتب على من يساء منهم) كبنى النضير واحزابهم (الجلاء) بفتح الجيم و يكسر والمداى الاخراج عن وطنهم ومألوف بدنهم وكر بة الغربة وسائر محنهم (واخرجهم من ديارهم) ومدار آثارهم (وخرب بيوتهم) من دارهم (بايديهم) اى انفسهم (وايدى المؤمنين) بالنقض والهدم حتى لا يبقى منهم فى المدينة آثار دار ولا ديار (وكاشفهم) اى ظاهرهم وشافههم (بالسب) اى الطعن والتعيير (فقال يا اخوة القردة والخنازير) خطابا لسبابهم ومشايخهم وفيه ايماء الى قوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير فهم اخوتهم من حيث وقوع المسخ فى طائفتهم وقيل القردة فى اصحاب السبت من اليهود والخنازير فى اصحاب المائدة من النصارى وهم من قوم واحد يجمعهم بنو اسرائيل (وحكم فيهم سيوف) بتشديد الكاف اشارة الى قتل بنى قريظة ونزولهم من حصونهم بحكم سعد بن معاذ (واجلاهم) اى اخرجهم (من جوارهم) بكسر

الجيم و يضم اى بمجاورتهم ومحاورتهم (واورثهم) اى الله سبحانه وتعالى (ارضهم وديارهم) اى مساكنهم (واموالهم) كبنى النضير وهذا كله (لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى) فى الدنيا والاخرى قال ابن اسحق كان اجلاء بنى النضير عند مرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احد وفتح بنى قريظة عند مرجعه من الاحزاب و بينهما سنتان ومجمل قصتهما ان بنى النضير كانوا صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لايقاتلوه ولايقاتلوا معه ولما غزا احدا وهزم المسلمون نقضوا العهد فركب كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا وعاقدوهم بان تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فامر رسول الله بقتل كعب بن الاشرف فقتله ثم امر الناس بالمسير الى بنى النضير وكانوا بقرية قدس المنافقون اليهم ان لايخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدى وعشرين ليلة وقذف الله فى قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة ولهم مااقلت الابل اى حملت من اموالهم ولنبى الله ما بقى ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى اذرعات واريحاء من ارض الشام وذلك قوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذلم يصبهم قبل ذلك هذا الذل والتعب او فى اول حشرهم من اجلائه عليه الصلوة والسلام الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى ذلك المقام وقيل آخر حشرهم يوم القيمة فانهم كغيرهم يحشرون اليه عند قيام الساعة واما قضية بنى قريظة فروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما رجع من منصرف الاحزاب الى المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال وضعت السلاح يارسول الله قال نعم قال ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وكانوا قد عاونوا الاحزاب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامر النبى عليه الصلوة والسلام مناديا اذن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بن ابى طالب كرم الله وجهه برايته اليهم فسار على حتى اذادنا من الحصون سمع مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرجع حتى اتاه فقال يارسول الله لاعليك ان تدنو من هؤلاء الاخابيث قال لم اظنك سمعت فى منهم اذى قال نعم يارسول الله قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حصونهم قال يااخوة القردة والخنازير هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمة قالوا ياابا القاسم ماكنت جهولا قال فحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم سعد بن معاذ قال سعد فانى احكم فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة بان يقتل مقاتلهم ويسبى ذراريهم فحبسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى سوق المدينة فخندق بها خندقا ثم بعث اليهم فضربت اعناقهم فى تلك الخنادق وكانوا على ما قيل ستمائة اوسبعمائة وقسم الاموال والنساء والذرارى وذلك قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اى عاونوا الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فان قلت فقد جاء فى الحديث الصحيح) من رواية البخارى وغيره (عن عايشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم ماانتقم لنفسه فى شئ يؤتى اليه) اى لم يعاقب احدا على مكروه يقع عليه (قط) اى ابدا فى حال من احواله (الاان تنتهك) بصيغة المجهول اوالفاعل اى تنتقص اوتنتقض (حرمة الله تعالى) اى احترامه وعزته (فينتقم الله) اى حينئذ مع انتقامه لنفسه انتقاما لحرمة ربه (فاعلم ان هذا) الحديث (لايقتضى) مضمونه (انه لم ينتقم ممن سبه اوآذاه) اى بقوله اوفعله (اوكذبه فان هذه) المذكورات (من حرمات الله التى انتقم لها) وفى نسخة منها اى من اجلها ابتغاء لوجه الله تعالى كما تقدم من قتل ابى رافع وكعب بن الاشرف وغيرهما (وانما يكون مالاينتقم) اى منه كما فى نسخة (له) اى لاجل نفسه (فيما يتعلق بسوء ادب) من اجلاف العرب (اومعاملة) مع احد منهم (من القول والفعل فى النفس) وفى نسخة بالنفس (والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه) اى اذى النبى عليه الصلوة والسلام (لكن) اى الا انه صدر (مما) وروى بما اى بسبب ما (جبلت عليه الاعراب) اى من الاخلاق اومن الطباع التى خلقت وطبعت وتعودت عليها (من الجفاء) بفتح الجيم ومد الفاء وهو غلظ الطبع (والجهل) بآداب الشرع كما قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لايعلموا حدود ما انزل الله على رسوله (اوجبل عليه البشر) اى جنس بنى آدم كلهم (من الغفلة) اى الغيبة عن مقام الحضرة وروى من السفه وهو الخفة وقلة المبالاة بالعمل (كجبذ الاعرابى) بجيم فباء موحدة فذال معجمة اى جذ به بعنف وشدة (رداءه) وفى نسخة بردائه فالباء للتقوية اولتأكيد التعدية وفى بعض النسخ بازاره وهو خطأ فاحش كما يدل عليه

(حتى اثر) اى ارجبذه (فى عنقه) اللهم الا ان يحمل الازاره لى الجذبة وهو كل ماسترك وقد قال الاعرابى كما فى البخارى مرلى من مال الله الذى عندك (و[illegible] صوت الاعرابى) اى الاعرابى اوغيره (عنده) قال الحلبى يحتمل انه يريد ثابت ابن قيس بن شماس [illegible] بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل [illegible] الحديث فى خوفه من رفع صوته عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول قوله تعالى لاترفعوا [illegible] فوق صوت النبى الآية و يحتمل انه يريد غيره قلت المتعين ان يكون غيره لان قصته من محامد مناقبه [illegible] من مراتبه واما قول الدلجى ان الذى قال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فموقوف على ثبوت كون مقوله هذا واقعا برفع صوته وقد عينه التلمسانى [illegible] الذى طالبه عليه الصلوة والسلام فى دينه واراد اصحابه الكرام منعه فقال عليه الصلوة والسلام دعوه فان لصاحب الحق مقالا (وبجحد الاعرابى) اى له كما فى نسخة يعنى وكانكاره للنبى عليه الصلوة والسلام (شراءه منه) اى الاعرابى وهو سواد بن قيس المحاربى وقيل سواد بن الحارث (فرسه) المسمى بالمرتجز وكان ابيض وقيل البحيب (التى شهد فيها خزيمة) انه اشتراها منه فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته بشهادتين والحديث رواه البخارى (وما) وفى نسخة وكما (كان من تظاهر زوجيه) وفى نسخة زوجتيه وهى لغة والاول افصح اى تعاونهما (عليه) فيما يسوءه من فرط الغيرة بالنسبة اليه وهما عايشة وحفصة (واشباه هذا) اى الذى ذكرهنا (مما يحسن الصفح عنه) اى يستحسن الاعراض عنه وعدم الالتفات نحوه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حرام لايجوز بفعل مباح ولاغيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح مالايجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث فاطمة رضى الله تعالى عنها انها بضعة منى يؤذينى ما آذاها الا وانى لا احرم ما احل الله ولكن لاتجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا (او يكون هذا) الحديث المتقدم ذكره (مما آذاه به كافر) صريح (وجاء بعد ذلك اسلامه) كذا فى النسخ المصححة وجاء بالواو وقال الحلبى رأيت فى بعض النسخ بالراء من الرجاء وهذه ينبغى ان تكون الصواب وتلك التى تقدمت تصحيف قلت اذا كان المبنى صحيح رواية ودراية فلايقال فيه انه تحريف فلا يلزم ما ادعاه على ماقبله من دعواه (كعفوه عن اليهودى الذى سحره وعن الاعرابى الذى اراد قتله) وهو غورث بن الحارث (وعن اليهودية التى سمته وقد قيل قتلها) اى آخرا قصاصا ببشر بن البراء بعد ماعفا عنها اولا لاسلامها واعتذارها فى كلامها هذا وقال الحلبى المفهوم من عبارة القاضى المؤلف هنا ان هؤلاء الثلثة قد اسلموا لكن الذى سحره وهو لبيد بن الاعصم لم يسلم بلاخلاف فيما اعرفه واما الاعرابى الذى اراد قتله وهو غورث اودعثور على ماتقدم فقد اسلم بلاخلاف واما اليهودية التى سمته فانها زينب بنت الحارث فقيل انها لم تسلم وقتلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الزهرى كما رواه معمر بن راشد فى جامعه انها اسلمت فتركها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان وجه الخلاف والجمع قد تقدم والله تعالى اعلم (ومثل هذا مما يبلغه) اى بعض مايصل اليه (من اذى اهل الكتاب والمنافقين) من ارباب الحجاب (وصفح عنهم) جملة حالية وفى نسخة فصفح عنهم اى اعرض عن اذاهم وتركهم على هواهم (رجاء استئلافهم) اى تألف انفسهم (واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل) اى قبل ذلك على وجه التحقيق (و بالله التوفيق)

﴿ فصل ﴾

(قال القاضى تقدم الكلام فى قتل القاصد لسبه) اى المتعمد فى شتمه (والازراء به) وفى نسخة والازدراء وهو بمعنى الاحتقار (وغمصه) بمعجمة ومهملة بينهما ميم ساكنة اى عيبه (باى وجه كان من ممكن) وجوده (او محال) بضم الميم اى ممتنع شهوده (فهذا وجه بين) اى ظاهر مكشوف (لا اشكال فيه) ولاتوقف فى قتل متعاطيه (الوجه الثانى لاحق به) اى ملحق بالوجه الاول (فى البيان والجلاء) اى فى الظهور وعدم الخفاء (وهو ان يكون القائل لما قال) من الكلام (فى جهته عليه الصلوة والسلام غير قاصد للسب) اى للشتم على وجه الخفاء (والازراء) وفى نسخة الازدراء اى الاستحقار بالاستخفاف والاستهزاء (ولامعتقد) بالجر وفى نسخة ولامعتقدا (له) اى لمضمون كلامه (ولكنه تكلم فى جهته عليه الصلوة والسلام بكلمة الكفر) وفى نسخة بكلمة من الكفر اى من الفاظه كما بينه بقوله (من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة مالايجوز عليه) اى نسبته اليه (او نفى مايجب) اى ثبوته (له مما هو فى حقه عليه الصلوة والسلام نقيصة) اى منقصة ومذمة (مثل) بالرفع ويجوز نصبه اى نحو (ان ينسب اليه اتيان كبيرة) بصيغة المجهول والاظهر ان يكون بصيغة الفاعل اى ينسب القائل اليه اتيان كبيرة اى صدورها من قول اوفعل بخلاف صغيرة للاختلاف فى جواز صدورها عنه (او مداهنة) بالجر والنصب اى مصانعة (فى تبليغ الرسالة) كما نفاها الله عنه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اوجاء معه ملك (او) مسامحة ومساهلة (فى حكم بين

الناس) كما نفاها عنه فى قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله (او ينقص) بضم التحتية وتشديد الضاد المعجمتين اى يخفض و ينقص (من مرتبته) العلية (اوشرف نسبه) الى آبائه واجداده الجليلة من العيوب العرفية لا من الذنوب الشرعية فان عبد المطلب من اجداده مات كافرا بالاجماع وجزم ابو حنيفة بان والدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا على الكفر وكذا ابو ابراهيم عليه السلام من اهل الكفر اجماعا خلافا للشيعة وشرذمة قليلة من اهل السنة وقد كتبت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة (او وفور علمه) اى كثرته (اوزهده) من غير ضرورته (او يكذب بما اشتهر به من امور اخبر بها عليه الصلوة والسلام وتواتر الخبر بها) عنه (عن قصد لردخبره) اذلوانكر خبرا متواترا كفر بخلاف ما اذا انكر حديثا آحادا فان انكره فسق وفى المحيط من انكر الاخبار المشهورة فى الشرع بعد كفر مثل حرمة لبس الحرير على الرجال ومن انكر اصل الوتر واصل الاضحية كفر وفى الخلاصة من رد حديثا قال بعض مشايخنا يكفر وقال المتأخرون ان كان متواترا كفر اقول وهذا هو الصحيح الا اذا كان رد حديث الآحاد من الاخبار على وجه الاستخفاف والاستحقار واما انكار الحديث المشهور فالجمهور من اصحابنا على انه يكفر الا عيسى بن ابان فان عنده يضلل ولا يكفر وهو الصحيح (او يأتى بسفه من القول) اى بسفاهة فى عبارة (او بقبيح من الكلام) ولو باشارة (ونوع من السب) ومافيه من قلة الادب (فى جهته) عليه الصلوة والسلام (وان ظهر بدليل حاله) اى حال قائله (انه لم يعمد) اى لم يرد (ذمه) عليه الصلوة والسلام فى مقاله (ولم يقصد سبه) لاعتقاده كما له لكن صدر عنه مقاله (اما لجهالة) بنعوت جماله (حملته على ماقاله اولضجر) بفتحتين اى قلق من اثر غم ناله (اومنكر) محرم اوغيره (اوقلة مراقبة) فى شانه (وضبط) اى وقلة ضبط (لسانه وعجرفة) اى مجازفة وقلة مبالاة فى بيانه (وتهور فى كلامه) اى سرعة فى خلقه وجراءة فى نطقه (فحكم هذا الوجه) الثانى (حكم الوجه الاول) وهو (القتل) اى قولا واحدا (دون تلعثم) اى توقف فى بابه (اذلايعذر احد فى الكفر بالجهالة) اذ معرفة ذات الله تعالى وصفاته ومايتعلق بانبيائه فرض عين مجملا فى مقام الاجمال ومفصلا فى مقام الا كمال نعم اذا تكلم بكلمة عالما بمبناها ولا يعتقد معناها يمكن ان صدرت عنه من غير اكراه بل مع طواعيته فى تأديته فانه يحكم عليه بالكفر بناء على القول المختار عند بعضهم من ان الايمان هو مجموع التصديق والاقرار فباجرائها يتبدل الاقرار بالانكار اما اذا تكلم بكلمة و لم يدر انها كلمة كفر ففى فتاوى قاضيخان حكاية خلاف من غير ترجيح حيث قال قيل لا يكفر لعذره بالجهل وقيل يكفر ولا يعذر بالجهل اقول والاظهر الاول الا اذا كان من قبيل مايعلم من الدين بالضرورة فانه حينئذ يكفر ولا يعذر بالجهل اقول وفى الخلاصة من قال انا ملحد كفر وفى المحيط والحاوى لان الملحد كافر ولو قال ماعلمت انه كفر لايعذر بهذا اى فى القضاء الظاهر والله تعالى اعلم بالسرائر (ولابدعوى زلل اللسان) فيه ان الخطأ والنسيان وما استكره عليه الانسان عذر فى معرض البيان (ولابشىء مما ذكرناه) مما يظن انه يكون عذرا (اذ) وفى نسخة اذا (كان عقله فى فطرته) اى خلقته وجبلته (سليما) بان لا يكون مجنونا ولا خرفا سفيها (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) كما هو مبين فى القرآن (و بهذا) الوجه الثانى (افتى الاندلسيون) بفتح الهمزة وضم الدال واللام و بفتحهما اى المالكيون من علماء الاندلس وهو اقليم معروف من المغرب (على ابن حاتم) اى الطليطلى (فى نفيه الزهد) اى الاختيارى (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قدمناه) اى ذكره وامره (وقال محمد بن سحنون) بفتح اوله و يضم و يصرف ولا يصرف (فى المأسور) بايدى الكفار (يسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة حالية (فى ايدى العدو) اى فى تصرفهم اوفيما بينهم (يقتل الا ان يعلم تنصره) اى حدوث دخوله فى مذهب النصارى (اواكراهه) اما الثانى فظاهر و يدل عليه قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم روى ان بنى المغيرة اخذوا عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاتى عمار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكى فقال عليه الصلوة والسلام ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكره قال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت واما الاول فقد قال الحلبى هذا الكلام ينبغى ان يسئل عنه المالكية وقال الانطاكى اى الا ان يكون معروفا بالبصارة تمنعه بصارته ومعرفته عن الحوم حول الحمى المنيع بالامر الشنيع انتهى وفيه ان السب هنالك من غير ان يكره عليه فى ذلك مناف للتبصر سواء يكون معروفا به ام لا وقال التلمسانى وكان النسخة عندهما بالباء الموحدة وانما هى والله اعلم بالنون اى الا ان يعلم تنصره ولا شك ان المالكية يقولون اذا تنصر طوعا ثم وقع منه سب اولعن اوكلام يعيب به النبى اوقذفه اواستخف بحقه اوغير صفته اوالحق به نقصا ثم راجع الاسلام اقول هنا بياض فى الاصل ولم يعلم ان الحكم يقتل اولا يقتل وعلى كل تقدير فيه اشكال اما على

الاول فلانه ينافي الاستثناء وسيأتي صريحا في كلام القاضي انه يجب قتله واما على الثاني فلانه قد تقدم ان من سب النبي يقتل مسلما كان اوكافرا والذي [illegible] يظهر لي ان المعنى الان يعلم تنصره قبل ذلك وانه ما صح ايمانه هنالك بان كان منافقا اومزورا او [illegible] جاسوسا ثم لما اسر اظهر سبه عليه الصلوة والسلام ثم رجع الى الاسلام فانه حينئذ لا يقتل ففي مختصر [illegible] خليل المالكي الاان يسلم الكافر قال شارحه المشهور بحاولو واختلف في الذمي اذا سب احدا من [illegible] ثم اسلم هل يدرأ عنه القتل باسلامه فقال مالك في الواضحة والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ ان اسلم ترك قال اصبغ وسحنون لانه قال له اسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وحكى القاضي ابو محمد في ذلك روايتين انتهى واما على نسخة تبصره بالموحدة فلا يبعد ان يراد به الفرق بين المتبصر بالدين من العلماء المتقين و بين الفسقة والجهلة بمراتب اليقين فان الثاني يحتاج الى العلم با كراهه ببينة اوقرينة بخلاف الاول فان الظن به في مقام يقينه ان لايقع له سب الابعد تحقق اكراهه فيقبل قوله ويتفرع عليه ابانة امرأته منه وعدمها والله سبحانه وتعالى اعلم ومن فروع هذه المسئلة عندنا لوقالت زوجة اسير تخلص انه ارتد عن الاسلام و بنت منه فقال الاسير اكرهني ملكهم بالقتل على الكفر بالله تعالى ففعلت مكرها فالقول لها ولايصدق الاسير الا بالبينة (وعن محمد بن زيد لا يعذر احد بدعوى زلل اللسان في مثل هذا) الشان ولعل وجهه سد الذريعة لفساد اهل الزمان (وافتى ابو الحسن القابسي) بكسر الموحدة (فيمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله) اي و يقول مثله (في صحوه) فان كل اناء يترشح بما فيه وهذا بناء على سوء الظن به مع انه لايلزمه اذ السكران قد يقصد امه و بنته ونحوهما في حال سكره مع انه لا يظن به انه يفعله حال صحوه (وايضا فانه حد لايسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود) الفارقة بين الحلال والحرام المانعة من قربان الحرام كالزنى والمترتب عليه كالرجم (لانه ادخله على نفسه) باجترائه على نبيه مالايليق به (لان من شرب الخمر على علم) اي مع علمه بما يترتب عليها (من زوال عقله بها واتيان ماينكر) صدوره (منه) بسببها (فهو كالعامد لمايكون بسببه) القتل (وعلى هذا الزمناه الطلاق) على خلاف فيه بين علمائنا والصحيح وقوعه تأكيدا لزجره (والعتق والقصاص والحدود) كالقطع بالسرقة (ولا يعترض على هذا) الذي ذكر من السكران يؤاخذ بما صدر عنه حال سكره (بحديث حمزة) اي ابن عبد المطلب الذي رواه الشيخان عن علي رضي الله عنه ان حمزة قبل ان تحرم الخمر كان في شرب و بفناء الدار شارف لعلي اراد ان يأتي عليهما باذخر يبيعه ليستعين بثمنه على تزوج فاطمة رضي الله عنهم وعند حمزة واصحابه جارية تغنيهم فقالت الا ياحمز بالشرف النواء * فخرج اليهما فبقر خواصرهما وجب اسنمتهما فاخبر علي النبي صلى الله عليه وسلم فجاء فلما رآه حمزة صعد نظره اليه وخاطبه بما لا يليق لديه كما بين المصنف بعضه بقوله (وقوله) اي و بقول حمزة (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي ومن معه كعلي (وهل انتم الاعبيد لابي فعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه) وفي نسخة انما هو (ثمل) بفتح المثلثة وكسر الميم اي سكران (فانصرف) عنه ولم يؤاخذه بما صدر منه (لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة) بل كان هذا سببا لتحريمها (فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم مايحدث منها) من سكر من شرب منها (معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون) العاقبة ولهذا المالم على رضي الله عنه في حال سكره وقد قرأ اعبد ماتعبدون سومح في امره

﴿فصل﴾

(الوجه الثالث ان يقصد) اي احد من الانام (الى تكذيبه عليه الصلوة والسلام فيما قاله) اي فيما تواتر عنه من الكلام (اواتى به) اي من احكام الاسلام التي اجمع عليها الاعلام (او ينفي نبوته) مطلقا (اورسالته) الى غير العرب مثلا (او وجوده) في عالم شهوده (او يكفر به) اي يتبرأ منه سواء (انتقل بقوله ذلك) وخروجه عن الاسلام هنالك (الى دين اخر) من التهود اوالتنصر اوالتمجس (غيرملته) استثناء لمجرد تأكيد في قضيته (ام لا) اي ام لم ينتقل الى دين بان صار ملحدا زنديقا اودهريا اوتناسخيا مما لايسمى دينا عرفيا وان كان ماذكر دينا لغويا (فهذا كافر بالاجماع يجب قتله) من غير النزاع (ثم ينظر) اي في امره هنالك (فان كان مصرحا بذلك) اي معلنا غير مستتر (كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف) اي خلاف اصحاب مالك (في استتابته) اي قبول توبته (وعلى القول الاخر) بكسر الخاء اي المعتبر الناسخ للقول الاول (لاتسقط القتل عنه توبته) فيقتل حدا (لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان) الملعون (ذكره) عليه الصلوة والسلام (بنقيصة فيما قاله) هذا المنتقص (من كذب) في حقه (او غيره) بتغير في نعته وامره (وان كان مستترا) من التستر تفعل مأخوذ من الستر ضد الاخفاء وفي نسخة مستسرا بتشديد الراء من الاستسرار استفعال من السر ضد الكتم لامن السرور كما وهم الدلجي (فحكمه حكم الزنديق) اي الاصلي (لا تسقط

قبله التوبة عندنا) اى معشر المالكية قولا واحدا (كما سلبنه) اى قريبا (قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد)
اى تبرأ منه واعرض عنه (اوكذبه) اى فى نبوته وفى نسخة اوكذب به اى بوجوده او بكرمه وجوده وظهور نورشهوده
(فهو مرتد حلال الدم) اى قبل توبته (الا ان يرجع) عن برائته ولو بعد استتابته (وقال ابن القاسم) اى المصرى
صاحب مالك (فى المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبى اولم يرسل) الى الثقلين كافة (اولم ينزل عليه قران وانما هو شئ
تقوله) اى افتراه واختلقه (يقتل) وهذا مجمع عليه (قال) اى ابن القاسم (ومن كفر برسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وانكره) الواو بمعنى او (من المسلمين) اى احد منهم ولايبعد ان يكون المعنى وانكر كونه من المسلمين (فهو بمنزلة
المرتد) اى يقتل ان لم يتب وكان الاولى ان يقول فهو مرتد اويجرى عليه حكم المرتد وهذا اذا كان معلنا لامخفيا
(وكذلك من اعلن بتكذيبه) اى اظهره جهرا (انه كالمرتد يستتاب) فان تاب والا قتل وهذا مما لاخلاف فيه الاعند
بعض المالكية (وكذلك قال) اى ابن القاسم (فيمن تنبأ) اى ادعى انه نبى (وزعم انه يوحى اليه) انه كالمرتد يستتاب
(وقاله) اى مثل مقال ابن القاسم (سحنون) وهو بفتح السين وضمها واغرب الدلجى بقوله وقد يكسر ثم هو فعلون
ولذا صرف وقد يمنع بناء على مذهب الفارسى فى جعل مطلق المزيدتين علة (قال ابن القاسم دعا الى ذلك) اى الى انه
نبى (سرا اوجهرا) فانه يكون كالمرتد وكان مقتضى ماسبق انه اذ دعا سرا يكون كالزنديق فيحتاج الى فرق فى مقام جمع
التحقيق والله ولى التوفيق (وقال اصبغ) اى ابن الفرج (وهو) اى من زعم انه نبى (كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله
تعالى) حيث قال تعالى فى حق نبينا عليه الصلوة والسلام انه خاتم النبيين (مع الفرية) بكسر الفاء اى الافتراء (على
الله تعالى) قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوقال اوحى الى ولم يوح اليه شئ (وقال اشهب) اى ابن عبد
العزيز المصرى (فى يهودى) اى مثلا (تنبأ) اى ادعى انه نبى فى حق نفسه (اوزعم انه ارسل الى الناس) فى امره ونهيه
(اوقال بعد نبيكم نبى) اى يوجد بان يولد او نبى ناسخ لدين محمد لئلا يشكل بعيسى عليه الصلوة والسلام ولكن اليهودى
لم يقصد ذلك وانما يتصور من النصرانى هنالك (انه يستتاب ان كان معلنا بذلك) بخلاف ما اذا كان مخفيا فانه
معتقده هنالك (فان تاب) من اعلان مثل هذا المقال (والا قتل) فى الحال (وذلك) اى قتله (لانه مكذب للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله) كما رواه الثقات (لانبى بعدى) الاولى ان يستدل بقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم
النبيين لان الحديث ما ثبت متواترا ليفيد اليقين ولا مشهورا عند المحدثين وان كان مشتهرا على السنة المؤمنين
(مفتر على الله تعالى فى دعواه عليه الرسالة والنبوة) اى احدهما (وقال محمد بن سحنون من شك فى حرف) اى من
تردد فى صحة حرف فى القران(مما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله)اى وثبت مجيئه به متواترا (فهو كافر
جاحد) اى معاند ملحد وكان الاظهر ان يقول من انكر لان من توقف فى بعض الحروف المختلفة بين القراء السبعة
وان كانت كلها متواترة ولم يدر جزما بانه مما جاء به عن الله تعالى ام لا لايحكم بكفره فان كثيرا من الناس اذا ترددوا
فى كلمة يراجعون القراء العارفين بالقراءة لايقال مراده بالحرف هو المجمع عليه فان الاشكال باق على حاله اذ لا يخلوا
قارئ عن تردد فى حرف من حروفه نعم من شك فى حرف مع علمه بانه من القران فلاشك انه كافر (وقال) اى ابن سحنون
(من كذب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مطلقا (كان حكمه عند الامة) اى جميعهم (القتل) وانما
الخلاف فى انه هل يستتاب ولو بالاستمهال ام لا بل يقتل فى الحال (وقال احمد ابن ابى سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه الصلوة والسلام باسود) بل كان ابيض
كانما صيغ من فضة رواه الترمذى فى الشمائل عن ابى هريرة رضى الله عنه وفى رواية مسلم والترمذى عن ابى الطفيل
كان ابيض مليحا وفى رواية البيهقى فى الدلائل عن على رضى الله عنه كان ابيض مشربا بالحمرة يعنى لا انه ابيض
امهق وهو البياض المشبه بالجص المكروه عند اكثر الطباع السليمة والحاصل ان بياض لونه ثابت فى الاخبار
الصحيحة والاثار الصريحة مختلفة فى المبنى متواترة فى المعنى فمن قال فى حقه انه كان اسود يكفر حيث وصفه بغير نعته
الموجب لنفسه وتكذيبه لكن قد يعذر قائله اذا كان جاهلا بوصفه عليه الصلوة والسلام لا سيما اذا كان
من العوام الا اذا اراد به تنقصه واستهانته عليه الصلوة والسلام وهذا يختلف باختلاف العرف بين الانام
اذ السواد مرغوب بين الحبشة والهنود كما ان البياض مطلوب عند العرب والاعجام والاروام (وقال نحوه) اى
مثل مقال ابن ابى سليمان(ابو عثمان الحداد قال) اى ابو عثمان وابعد الدلجى حيث قال اى ابن ابى سليمان (لوقال) اى
احد من المسلمين (انه مات قبل ان يلتحى) اى تنبت لحيته (او انه كان بتاهرت) وفى نسخة بتيهرت وهو بمثناة
فوقية فى اوله وآخره وبفتح الهاء وسكون الراء مكان باقصى المغرب قيل هو آخر العمارة (ولم يكن بتهامة)بكسر
اوله اى مكة اوارض الحجاز (قتل لان هذا نفى) متضمن لوجوده وظهور كرمه وجوده ثم القولان كلاهما

مخـالف للكتاب والسنة المشهورة اما بطلان القول الاول فيستفاد من قوله تعـالى قل لوشاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون واما بطلان القول الثـانى فيستفاد من قوله تعـالى لتنذر ام القرى ومن حولها والمراد بام القرى مكة بالاجمـاع واما بطلا نهمـا من الحديث فقد ثبت انه عليه الصلوة والسلام بعث على رأس اربعين سنة فاقام بمكة عشرا و بالمدينة عشرا وتوفى ولبس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء (وقال حبيب بن ربيع تبديل صفتة) اى المشهورة (ومواضعه) اى المأ ثورة بغيرهما (كفر) به ولى لوجوده (وللظهرله) اى لتبديلها (كـافر) اى ابتداء اومرتد اى انتهاء (وفيه الاستتابة) اى قبول التوبة (والمسرله) اى المخفى لهذا الاعتقـاد الفـاسد والكاتم لهذا القول الكاسد (زنديق يقتل دون استتابة) اى فى مذهب مالك

﴿ فصل ﴾

(الوجه الرابع ان يأتى من الكلام بمجمل) مشتمل على تعدد معنى محتمل (و يلفظ) بكسر الفاء اى او ينطق (من القول بمشكل) باللام فى آخره اى بمعضل وتصحف على الدلجى بكافين فقال اى بمـا يوقع متأمله فى الشك (يمكن حمله) اى يجوز اطلاق ما ذكر من المجمل (على النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم او غيره او يتردد فى المراد به) اى بالمشكل (من سلامته من المكروه او شره) اى من ملامته فهو عطف على سلامته لا على المكروه كما توهم الدلجى وقال اى سلامته من شره (فههنا) من القسمين (متردد النظر) بفتح الدال الاولى مشددة اى محل تردد للمتأمل فى المقالين (وحيرة العبر) توهم الانطـاكى فقال العبر بكسر العين وفتح الموحدة جمع عبرة بفتح وسكون الموحدة وهى الدمعة وحيرتها اجتمـاعها من قولهم تحير المـاء اى اجتمع انتهى والصواب فى هذا المقام انه جمع عبرة بكسر فسكون وهى اسم من الاعتبار ومنه قوله تعـالى فاعتبروا يااولى الابصار واستدل به النظـار فى صحة القياس اى وتحير فى الاقيسة المتعارضة المنافية للقول اليقين (ومظنة اختلاف المجتهدين) بكسر الظاء اى موضع الشئ وما له الذى يظن كونه فيه (ووقفة استبراء المقلدين) اى وتوقف لطلب براءة العلمـاء العـالمين من القضاة والمفتين وهو بكسر اللام لانه فى مقـابلة المجتهدين وضبطه التلمسانى بفتح لامه (ليهلك من هلك عن بينة) اى ليضل من ضل عن حجة واضحة (ويحيى من حى) وفى قراءة من حيى اى يهتدى من اهتدى (عن بينة) اى دلالة لائحة (فمنهم من غلب) بتشديد اللام اى قدم (حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحمى حمى) بفتح الحاء الاولى وكسر الثانية اى وصان ساحة (عرضه) عن تنقصه فى طوله وعرضه (فجسر على القتل) اى اقدم واجترأ على قتل قائله من غير استتابة (ومنهم من عظم حرمة الدم) المعصوم فى اصله (ودرأ الحد) اى ودفع القتل (بالشبهة) على الناظر فيه (لاحتمال القول) اى قوله ان يراد به الذم او خلافه وهذا هو الاولى لقوله عليه الصلوة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات كما رواه جماعة من الثقات وزاد ابن عدى واقيلوا الكرام عثراتهم الا فى حد من حدود الله تعالى وروى ابن ابى شيبة والترمذى والحاكم والبيهقى عن عايشة رضى الله عنها مرفوعا ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام لان يخطئ فى العفو خير من ان يخطئ فى العقوبة ورواه ابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله عنه ولفظه ادفعوا الحدود عن عباد الله تعـالى ما وجدتم لها مدفعا هذا وفيما نحن فيه يمكن الجمع بين حمى العرض و بين الدرء بعرض التوبة عليه فان تاب والا قتل فيرتفع حينئذ الاشكال و يزول الاحتمـال بالجواب والسؤال والله تعـالى اعلم بالحال (وقد اختلف ائمتنا) اى المالكية (فى رجل اغضبه غريمه) اى طالب دينه (فقال له) غريمه (صل على النبى محمد فقال له الطالب) اى غريمه (لاصلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى منتقصا له (اوشتم الملائكة الذين يصلون عليه) صفة كاشفة وظاهره انه شتم لله وملائكته منطوقا ولرسوله ضمنا ومفهوما فان الله تعالى قال ان الله وملائكته يصلون على النبى وكان المصنف اقتصر على ذكر الملائكة لقوله لاصلى الله فان الظاهر منه المغايرة (قال) سحنون (لا) اى لاشتم هنا مطلقا (اذا كان) اى حال قائله (على ما وصفت) انت (من الغضب) اى من غضبه على مديونه (لانه لم يكن) حينئذ (مضمر الشتم) اى لا للنبى ولا لغيره من الملائكة وغيرهم بل المراد به امتناعه حينئذ من الصلوة المشعر ذكرها بالمساهلة فى المعاملة كما فى العرف والعـادة حال المجـاملة (وقال ابو اسحق البرقى) بفتح الموحدة (واصبغ بن الفرج)بالجيم (لا يقتل لانه انما شتم النـاس) اى لظاهره لا لارادة غيرهم بل اراد منهم بحسب لفظة الناس الموجودين لا الاتين والماضين لئلا يكـون شتما للنبى صلى الله تعـالى عليه وسلم واصحـابه الكرام والعلمـاء العظـام والمشـايخ الكرام والتعبير بالشتم فيه مسـامحة لغوية اذ كلامه جملة دعائية وهذا قريب من اللغو فى العبارات العرفية (وهذا) الذى ذكر عنهما (نحو قول سحنون)لا انه يغايرهمـا و يعارضهما (لانه) اى سحنون (لم يعذره) بكسر الذال اى لم يسامحه (بالغضب فى شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)اى ضمنا ولا فى شتم الملائكة

﴿ ظاهرا ﴾

ظاهرا (ولكنه) اى الشان (لما احتمل الكلام عنده) اى احتمالين فاحتاج الى قرينة مرجحة لاحد الحالين
(ولم تكن معه) اى مع كلامه (قرينة تدل على شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوشتم الملائكة صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين ولامقدمة) اى سابقة من قرائن المقال اوالحال (يحمل عليها كلامه بل القرينة) الحالية (تدل على
ان مراده الناس من غيرهؤلاء) اى النبى والملائكة ففيه نوع تغليب وقد تصحف على الدلجى وتحرف فى اصله غيرها
اى غيرالملائكة (ولاجل) اى ولامقدمة لاجل (قول الآخر) والصواب ان التقدير وهذه القرينة الحالية لاجل قول
الآخر وهوضربه (لاصل على النبى حمل قوله وسبه) اى دعاؤه عليه (لمن يصلى عليه الآن لاجل امر الآخر له بهذا
عند غضبه) وهذانظيرما قال علماؤنا فى يمين الفورمن انها محمولة على وقت اليمين دون مابعده على ان هنا احتمالا آخر
وهو ان يكون تقدير كلامه لااصلى عليه انا فى هذه الحال صلى الله على من صلى عليه فى الماضى والاستقبال
(هذامعنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه) اى لدليل البرقى واسغ على ما تقدم (وذهب الحارث بن
مسكين القاضى) قال الحلبى هذا فقيه مشهوراموى مولى مروان مصرى روى عن بن عيينة وابن وهب وابن
القاسم وسأل الليث وعنه ابوداود والنسائى وجماعة ثقة حجة عاش نيفا وتسعين سنة قال الخطيب كان ثبتا
فى الحديث فقيها على مذهب مالك حمله المأمون الى بغداد ايام المحنة لانه لم يجب الى القول بخلق القرآن فلم يزل
محبوسا الى ان ولى المتوكل فاطلقه فحدث ببغداد ورجع الى مصر وكتب اليه المتوكل بعهده على قضاء مصر
(وغيره) اى من العلماء المالكية (فى مثل هذا) القول وهو لاصلى الله (الى القتل) لشموله ظاهرا شتم كل من صلى عليه
من ملائكة وغيرهم (وتوقف ابوالحسن القابسى فى قتل رجل قال كل صاحب فندق) وهو بضم الفاء وسكون
النون ودال المهملة تضم وتفتح الخان فى عرف اهل مصر وهوموضع يأوى اليه الغرباء كالتجار من المسافرين ومن
ليس له قريب من المجاورين (قرنان) بفتح القاف فعلان وهونعت سوء فى الرجل وهوالذى يتغافل عن فجورامرأته
وابنته واخته وقرابته وهوالمسمى بالديوث وقيل المراد به القواد (ولوكان نبيا مرسلا) ولعل وجه توقفه انه حمل
كلامه على قصد المبالغة العرفية الشاملة للامور الحالية (فامر) اى القابسى (بشده) اى ربطه (بالقيود) اى
الوثيقة (والتضييق عليه) بالانكال الثقيلة (حتى يستفهم البينة) اى يستخبر ما بين امره و يبين حاله الصادرة (عن
جملة الفاظه) اى كلماته فى محاورته (ومايدل على مقصده) اى ارادته (هل اراد اصحاب الفنادق الآن) اى فى ذلك
الزمان (فمعلوم انه ليس فيهم نبى مرسل فيكون امره اخف) اذ يمكن حمله على المبالغة وارادة اعتقاده انه من
المحال فتعزيره اخف فى مقام التنكيل ويمكن حمله على انه يجوزكون نبى مرسل يظهر بعد نبينا عليه الصلوة والسلام
فيكون امره اشد ولهذا قال بعض علمائنا ان من ادعى النبوة فقال له قائل اظهر المعجزة كفر (قال) اى القابسى
(ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقدكان فيمن تقدم من الانبياء
والرسل من اكتسب المال) وفيه ان بعض الانبياء والرسل وان كانوا من اصحاب الاموال لكنهم لم يعرف مساكنهم
فى الخانات وعلى تقدير التنزل فالكلام انما هو فى تجويز صدور مثل هذا الفعل الشنيع والعمل الفظيع من النبى المرسل
فتأمل فانه من مواضع الزلل ولقد زل قلم الدلجى فى قوله هنا فلعل احدا منهم بنى فندقا لله تعالى تنزله المارة
انتهى وفيه ان الكلام ليس فيمن بنى المقام وانما المراد بصاحب الخان خادم اهله وحافظ جمعه وحاشى مقام الرسل
والانبياء عن مثل هذه الاشياء (قال) القابسى (ودم المسلم لايقدم عليه) اى على سفكه (الا بامر بين) كما قال عليه
الصلوة والسلام لايحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة
رواه الشيخان وفى الجواهر من كتب اصحابنا من قال قتل فلان حلال اومباح قبل ان يعلم منه ردة اوقتل نفس بآلة
جارحة عمدا على غير حق اويعلم منه زنى بعداحصان كفر (وما ترد اليه التأويلات) اى وما يتصور فيه
الاحتمالات (لابد من امعان) وروى انعام (النظر) اى اعماق التأمل والتفكر (فيه) اى فى امره ليظهر الوجه
المرجح فى حقه (هذامعنى كلامه) اى كلام القابسى لالفظه ومبناه وقال التلمسانى ماذكره القاضى من ان الانبياء
كانوا ذوى اموال قلنا ان اراد به صاحب المال فبين وان اراد به الحافظ والامين فلايوجد نبى فعل ذلك لانه من اعظم
النقائص فيكون معنى ذلك انه مثل كذا فهوكالاول لانه عيب ووصم فى سائر الناس فما بالك بالانبياء فيقتل
قائل ذلك لانه شبه الكامل بالناقص وفى تشبيهه الكامل بالناقص نقص ولم يبق الاسائر الناس فعليه فى ذلك
الادب الشديد لان فيهم عالما ووليا واذاية سائر المسلمين توجب العقوبة والتعزير على قدر القائل والقول والمقول
فيه (وحكى عن ابى محمد بن ابى زيد رحمه الله تعالى) وفى نسخة عن ابن ابى زيد وهو ابو محمد القيروانى (فيمن قال
لعن الله العرب ولعن الله بنى اسرائيل ولعن الله بنى آدم) اى قال احد هذه الاقوال (وذكر انه لم يرد الانبياء) لا من

العرب ولا من بني اسرائيل ولا من غيرهم بل ولا العلماء والاتقياء (وانما اردت الظالمين منهم) والفاسقين فيهم
(ان عليه الادب) اي التعزير (بقدر اجتهاد السلطان) اي الوالي والقاضي قال الدلجي ظاهره وان ادى الى التلف
وفيه انه ينافي لما تقدم ماحكي عن ابن ابي زيد (وكذلك افتي) اي ابن ابي زيد ولايبعد ان يكون مندرجا
تحت قوله ... (فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال) اي وفيمن قال او والحال انه قال (لااعلم من حرمه)
ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وسيأتي الكلام عليه (وفي) اي وافتي ايضا في (من لعن حديث لايبيع حاضر لباد)
اي سوقي لبدوي (ولعن) اي وفيمن لعن (ماجاء به) من النهي عن بيعه له وفي نسخة صحيحة ولعن من جاء به وهذا
مشكل جدا (انه) اي وافتي بانه (كان) وفي نسخة وهي ظاهرة ان كان (يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن) اي المأثورة
(فعليه الادب الوجيع وذلك) يحتمل ان يكون من كلام القاضي المألف او من كلام ابن ابي زيد في توجيه افتائه
(ان هذا) اي لان قائله اوسبب ذلك انه (لم يقصد بظاهر حاله) من اسلامه (سب الله ولاسب رسوله وانما لعن
من حرمه من الناس) وفيه ان الذي حرمه من الناس هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سب على تقدير جهله
وظنه ان المحرم انما هو بعض الناس من العلماء فمقتضى مذهبنا انه يكفر ففي الجواهر لوقال من يقدر على ان يعمل بما امر
العلماء به كفر وذلك لانه يلزم منه تكذيب العلماء على الانبياء اللهم الا ان يحمل من حرمه على من تسبب بتحريمه
(على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة) وهي من قال لاصلى الله الخ ولكن منهما فرق بين يمنع صحة
المقايسة (ومثل هذا) الاول ونظير هذا الذي تقدم (ما) زائدة اوموصولة وفي اصل الدلجي كثيرا ما (يجري في كلام
سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض ياابن الف خنزير وياابن مائة كلب وشبهه من هجر القول) بضم الهاء وسكون
الجيم اي فحشه واغرب الدلجي بان ادخل فيه قول بعضهم لبعض الاطفال ياولد الزنا مع انه قذف صريح (وشك انه
يدخل في مثل هذا العدد) و في نسخة في هذين العددين (من آبائه واجداده جماعة من الانبياء) وفيه ان الظاهر من
مقاله وقرينة حاله انه اراد به الكثرة لاحقيقة العدد وعلى سبيل التنزل فلا يدخل فيه جماعة من الانبياء لان الناس
في زماننا كلهم من نسل نوح عليه الصلوة والسلام و يتصور في غير بني ابراهيم انه لايدخل احد من الانبياء في آبائه واجداده
بل وفي بني اسرائيل ايضا يجيء هذا البحث من المائة بل من الالف وانما التوقف في السادة الاشراف مع انه قد يقال
انه يريد خلقته من نطفة جمع فساق اجتمعوا على وطئ امه فحينئذ يكون قذفا الا انه لاجل حصول الاحتمال يدرأ عنه
الحد في الحال (ولعل بعض هذا العدد منقطع) اي منفصل و في نسخة ينقطع عند نسبه (الى آدم) بل الى نوح
بل الى ابراهيم واولاده فلا محذور حينئذ في كلامه وقد اغرب الدلجي بقوله اي متصل به من انقطع اليه ولم يركن الى
غيره ومن ثم عداه بالى ولبس بمعنى منفصل اذلوكان بمعناه لعداه بعن واتت خسر بانه تعلق بتصحيح مبناه وغفل عن
تصريح معناه فالوجه مابنيناه على ماقدمناه (فينبغي) اي فيجب مع هذا (الزجر عنه وتبيين ماجهل قائله منه) وفي
نسخة بتبيين جهل قائله (وشدة الادب) اي التأديب (فيه ولوعلم) بالبناء للمفعول اي ولو عرف (انه قصد سب من
في آبائه احد من الانبياء) بالعدد الذي ذكره (على علم) منه به (لقتل) به وهذا اوضح (وقد يضيق القول في نحو هذا)
المقول (لوقال احد لرجل هاشمي) اي من بني هاشم بن عبد مناف بن قصي جد عبد الله ابي النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم (لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم) وهذا اذاكان لم يتصور وجود مائة اب والف قبل وصولهم
الى اسمعيل عليه السلام والافلا يعرف هاشمي قبل الاسلام الا طالم ثم لايظهر قيد الهاشمي لان القرشي بل وغيرهم
من العرب كلهم من نسل اسمعيل عليه السلام وحاصل كلام المصنف انه يؤدب وحمل الدلجي على انه من قبيل قول
ابن ابي زيد فيمن قال لعن الله العرب اولعن بني اسرائيل وقال اردت الظالمين منهم دون الانبياء لان نبينا عليه الصلوة
والسلام من المنسوبين الى هاشم وكذا علي والحسن والحسين وحمزة وجعفر والعباس وغيرهم اللهم الا ان ارادوا
اولاد هاشم من صلبه (اوقال) اي و يضيق الامر اذا قال احد (لرجل) معروف النسب (من ذرية النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه اومن) موصولة اي فيمن (نسله اوولده) بتخفيف السين واللام وقد يشددان والمعنى فيمن
يلده اوولده ومن بمعنى الذي وفي نسخة من بكسر الميم على انه حرف جر دخل على نسله بسكون السين وولده بفتحتين
او بضم فسكون (على علم منه) حال من ضمير قال والمعنى انه غير جاهل (انه من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم تكن قرينة في المسئلتين) المتعلقتين بالقول القبيح في آبائه ونسله و في نسخة في المسئلة اي المتقدمة (تقتضي
تخصيص بعض آبائه) اي دون بعض (واخراج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ممن سبه منهم)والمعنى انه لايوجد هنا
قرينة دالة على قصد عمومهم ومن اللطائف ان بعض الاشراف قال لمن يخاصمه و يعاديه كيف تخالفنا وقد
امرت بالصلوة علينا فقال له خرج منها امثالكم بقولي وعلى آله الطيبين الطاهرين وقد رأيت لابي موسى ابن

شاس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي رضي الله تعالى عنه (وقد كان) اى في سابق الزمان (اختلف شيوخنا) اى المالكية (فيمن قال لشاهد شهد عليه بشئ) جملة حالية ولايبعد ان يكون نعتا لماقبله (ثم قال) اى الشاهد له (تتهمني) اى اتتهمني في شهادتي اوغيرها (فقال الآخر) اى المشهود عليه (الانبياء يتهمون) ان اراد بالكذب فهذا كفر صريح وان اراد ببعض المعاصي فلا لكن السياق قرينة للاول فتأمل (فكيف انت) اى انت اولى بان تتهم (فكان شيخنا ابو اسحق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ) اى لكراهته وفي نسخة لشناعة بشين وعين اى لقبحه وان كان يمكن صرفه عن ظاهره بانهم متهمون ببعض المعاصي (وكان القاضي ابو محمد بن منصور) اللخمي ولد سنة ثمان وخمسين واربعمائة (يتوقف عن القتل) اى احتياطا (لاحتمال اللفظ عنده) اى احتمالا بعيدا (ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار) اى بالكذب في الاخبار (وافتى فيها) اى في المسئلة بتمامه (قاضي قرطبة) بضم القاف والطاء المهملة (ابو عبدالله بن الحاج) اى التجيبي قتل بجامع قرطبة يوم الجمعة ظلما وهو ساجد وقتله رجل معتوه وقتلته العامة في الموضع الذي قتله فيه وقد ضرب رحمه الله تعالى بسكين في خاصرته وقيل قتل يوم الجمعة سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة ودفن بعد صلاة العصر قال الدلجي هو غير ابن الحاج صاحب المدخل (بنحو من هذا) اى توقف ابن منصور وفي نسخة بنحو هذا (وشدد القاضي ابو محمد) اى ابن منصور (تصفيده) اى توثيقه وتقييده (واطال سجنه ثم استحلفه بعد) اى حلفه بعد ان فعل به ذلك (على تكذيب ما شهد به عليه) من الحق (اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن) اى نوع طعن يوجب ضعف اعتماد وقلة اعتقاد (ثم اطلقه) اى من القيد وتركه وفيه ان هذا التحليف ليس له دخل في اصل المقصود من المسئلة في تهمة بعض الشهود وانما الكلام في نسبة التهمة الى ارباب النبوة اللهم الا ان يقال انه كان منكرا لهذه المقالة وثبت عليه بالبينة في تلك الحالة الا ان بعض الشهود لم يكونوا مزكين (وشاهدت شيخنا القاضي اباعبدالله) اسمه محمد (ابن عيسى) اى ابن حسين التميمي ولد سنة تسع وعشرين واربعمائة وقد تفقه المصنف به (ايام قضائه اتى برجل هاتر رجلا اسمه محمد) اى قال له سفها من القول يقال هتر العرض اى مزقه وقال ابن الاثير ومن قبله الهروي في الغريبين واللفظ للثاني المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان اى يتقاولان ويتفالجان في القول (ثم قصد الى كلب هنالك) زيادة على ذلك (فضربه برجله وقال له قم يامحمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف) اى جمع كثير (من الناس) اى من قبائل شتى ومنه قوله تعالى جئنا بكم لفيفا اى مجتمعين مختلطين (فامر به الى السجن) بكسر السين اى الى ادخاله فيه وفي نسخة بفتحها اى الى حبسه (وتقصى) بقاف وضاد مهملة مشددة اى استقصى وبالغ في التفحص والبحث (عن حاله) ليظهر منه حقيقة مقاله (وهل يصحب من يستراب بدينه) اى يشك في اسلامه من ذمي ونحوه (فلما لم يجد) اى ابن عيسى (عليه مايقوي الريبة) اى التهمة والشبهة (باعتقاده ضربه بالسوط) وفي نسخة بالسياط تعزيرا له حيث خاطب الكلب بالاسم الشريف ولم يظهر منه مايدل على انه اراد الاهانة بالنبي المنيف (واطلقه) ولم يقتله

﴿فصل﴾

(الوجه الخامس ان لايقصد) اى في مجمل قوله (نقصا) لنبيه (ولايذكر عيبا) في امره (ولاسبا) اى شتما وذما في حقه (لكنه) في محتمل كلامه (ينزع) اى يميل وينجذب (بذكر بعض اوصافه) عليه الصلوة والسلام الى مايصرفه عن ان يفهم منه نقص اوذم في اثناء الكلام (او يستشهد) في بعض ماقاله (ببعض احواله عليه الصلوة والسلام الجائزة عليه في الدنيا) مماسبق بيانه وتقدم برهانه (على طريق ضرب المثل) متعلق بيستشهد (والحجة لنفسه اولغيره على التشبه به) اى في قوله عليه الصلوة والسلام اوفعله (اوعند هضيمة) اى نقيصة عظيمة (نالته) اى اصابته (اوغضاضة) بالغين والضاد المعجمتين اى مذلة وحقارة (لحقته) حصلت له عليه الصلوة والسلام (ليس على طريق التأسي) اى الاقتداء به (وطريق التحقيق) اى الاهتداء به (بل على مقصد الترفيع) بالفاء اى على جهة اعلائه (لنفسه) في ابتلائه (اولغيره) من نحو آبائه اوابنائه (اوعلى سبيل التمثيل) اى التشبيه لنفسه اولغيره به عليه الصلوة والسلام (وعدم التوقير) اى التبجيل والتعظيم في تمثيله (لنبيه عليه الصلوة والسلام اوقصد الهزل) بصيغة الماضي اوللمصدر المضاف (والتندير) مصدر ندر بدال مهملة مشددة ومعناه الاسقاط اى اوقصد الساقط من القول او الفعل (بقوله) ويجوز ان يكون من مادة الندور وهو الشذوذ فالمراد الاتيان بنادر من قول اوفعل بشئ غريب والحاصل انه خلاف التسهير مما يقتضي التعظيم والتوقير ووقع في اصل الدلجي بالموحدة والذال المعجمة والظاهر انه تصحيف في المبنى وتحريف في المعنى حيث قال اى الاعلام بقوله وقال التلمساني وعند الشارح التشديد بالدال اى

فى آخره قال وهو كالغيبة يقال ندد بفلان اذا قال فيه كلمة سوء قال الجوهرى يقال ندد به اى شهره وسمع به ومعناهما متقارب انتهى ولا يخفى انه تصحيف ايضا لان هذا وقع مجمعا فى مقابلة قوله التوقير فيتعين ان يكون براء فى آخره والله تعالى اعلم [illegible] (كقول القائل ان قيل فى) بتشديد الباء اى ان ذكر فى حق (السوء) بفتح السين [illegible] بهما فى السبعة قوله تعالى عليهم دائرة السوء وروى هنا بال و بدونها (فقد قيل فى النبى) اى [illegible] مايسوءه ويحزنه (اوان كذبت) بتشديد الذال مجهولا (فقد كذب الانبياء) وهذا وما قبله لو محمل حسن [illegible] ظاهر انه اراد به التسلية بهم فى مقام الاقتداء [illegible] الاهتداء بالصبر على اقوال الاعداء ورميهم للناس بالاشياء من الاسواء واما قوله (اوان اذنبت فقد اذنبوا) ففى خطر عظيم لعصمة الانبياء لاسيما وقد غفر لهم ما كان فى صورة المعصية وظهر منهم الاوبة فى مقام التوبة فلا يذكر الذنب المعفو بلا شبهة فى مقابلة الذى هو حقيقة المعصية وان تاب صاحبه عنه فهو تحت المشيئة لعدم صحة شرائط التوبة فلا يقاس الصعلوك بالملوك (اوانا) اى وانا (اسلم من السنة الناس) اى من ان ينسبوا الى مالم افعله (ولم تسلم منهم انبياء الله ورسله) كما قال قائل

﴿ ولا احد من السن الناس سالم * ولو انه ذاك النبى المطهر ﴾

(اوقد صبرت كما صبر اولو العزم) وهذا خطأ فاحش عند اولى الحزم بل يوهم انه فضل نفسه على بعض الانبياء الذين قيل فى حقهم انهم ليسوا من اولى العزم كآدم عليه السلام لقوله تعالى فنسى ولم نجد له عزما وكيونس عليه السلام لقوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت (اوكصبر ايوب) وهذا كذب ومجازفة فى القول (اوقد صبر نبى الله عن عداه) بكسر العين اسم جمع لعدو اى عن اعدائه و يروى على عداه (وحلم) بضم اللام اى تحمل (على اكثر مما صبرت) اى تحملت عليه (وكقول المتنبى) وهو ابو الطيب الجعفى الكوفى الشاعر الاديب المجيد الاريب صاحب الديوان المعروف وله من بدائع الشعر وحكمه اشياء عجيبة مشتملة على آداب وغيرها من امور غريبة ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة ونشأ بالشام والبادية وقال الشعر فى صغره واعتنى الفضلاء بشرح ديوان شعره قال السمعانى فى انسابه انما قيل له المتنبى لانه ادعى النبوة فى بادية السماوة وتبعه كثير من بنى كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ امير حمص بالاخشيدية فاسره وفرق اصحابه وسجنه طويلا ثم اشهد عليه انه تاب وكذب نفسه فيما ادعاه فاطلقه ثم طلب الشعر وقاله فاجاد وفاق اهل عصره فى حسن شعره واتصل بسيف الدولة بن حمدان فاكثر مدحه ثم سار الى عضد الدولة بفارس ومدحه وعاد الى بغداد فقتل فى طريقه بالقرب من النعمانية فى شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلثمائة وقيل له انما قيل له المتنبى لانه قال (انا فى امة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود) وفيه انه لا يلزم من هذا التشبيه دعوة النبوة والرسالة فى مقام التنبيه وجملة تداركها الله دعائية معترضة وقبله

﴿ مامقامى بارض نخلة الا * كمقام المسيح بين اليهود ﴾

(ونحوه) بالرفع اى ومثل شعره ويجوز جره اى وكقول نحوه (من اشعار المتعجرفين) اى المتجاوزين المفرطين فى المدح بحيث لم يبالوا فى كلامهم ولم يهموا فى اديانهم وعقائدهم (فى القول المتساهلين فى الكلام كقول المعرى) بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الراء وهو ابو العلاء اللغوى الشاعر المشهور كان متضلعا من فنون الادب وله من النظم لزوم ما لا يلزم فى خمس مجلدات وذكر ان له كتابا سماه الايك والغصون يقارب مائة جزء فى الادب ايضا ومكث مدة خمس واربعين سنة لا يأكل اللحم تدينا لانه كان يرى رأى الحكماء توفى ليلة الجمعة ثالث شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين واربعمائة بالمعرة وكان مرضه فى ثلثة ايام وقبره فى ساحة من دور اهله ذكره ابن خلكان وذكر الذهبى فى الميزان فقال روى جزأ عن يحيى بن مسعر عن ابى عروبة الحرانى وله شعر يدل على الزندقة سقت اخباره فى تاريخى الكبير انتهى و فى حاشية التلمسانى قال القراوى فى كتاب اقتراح السميرى فى شرح مقامات الحريرى يزعمون انه منتحل لمذهب البراهمة مدمن على اعتقاده وفى اشعاره واسماعه ما يدخل القلب منه ريبا منها قوله (كنت) بالخطاب (موسى وافته) اى من الموافاة اى اتته (بنت شعيب) واختلف فى اسمها (غير ان ليس فيكما من فقير) فانه شبه فيه ممدوحه وزوجته بموسى عليه السلام وامرأته وهى بنت نبى جهلا منه برفيع شانهم و بديع مكانهم (على ان آخر البيت) اى مع ان عجزه (شديد) فى القبح عند تدبره لان مضمونه التعيير لموسى بفقره (وداخل فى باب الازراء) اى الاحتقار والانتقاص (والتحقير بالنبى) اى الكليم (عليه الصلوة والسلام وتفضيل حال غيره) من الامراء الاغنياء (عليه) وسبب هذا كله التوصل للاغراض الدنية والاعراض الفانية والاعراض عن الدار الباقية بما يخفض الانبياء و يرفع السخفاء (وكذلك) اى ومثل هذا الازراء فى حق الانبياء

﴿ قوله ﴾

(قوله) اى شعر ابى العلاء المعرى المعري عن مقام الثناء (لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد) بالضم (من ابيه بديله) لغة فى بدل كمثل ومثيل وشبه وشبيه (هو مثله فى الفضل الا انه * لم يأته برسالة جبريل) قال التلمسانى اجترأ على الله ورسوله فى قوله من ابيه فاثبت له ابوة والله تعالى يقول ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين فكذب كتاب الله وجعل الفضل متساويا وهو كما قال الغزالى شبه الملا نكة بالحدادين من شبه من لبس بشيء برسول الله صلى الله عليه وسلم بل جعله مساويا له وهو محمد بن الرشيد العباسى (فصدر البيت الثانى من هذا الفصل) بالصاد المهملة اى النوع من الكلام (شديد) اى فى مقام قبح المرام وشدة الملام (لتشبيهه غير النبي فى فضله بالنبي والعجز) اى وآخر البيت الثانى (محتمل الوجهين) وفى نسخة محتمل الوجهين وفى اخرى يحتمل الوجهين اي احدهما اقبح من الآخر (احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح) بتشديد القاف اى خفضته عن رفيع مقام النبي (والاخر استغنا ؤه عنها) اى عن رسالة جبريل عليه السلام (وهذه) الارادة (اشد) كفرا من الاحتمال الاول فتأمل وان كان الاحتمال الاول هو الاظهر فتدبر (ونحو منه قول الآخر) قال الحلبي لا اعرفه وقال التلمسانى هو للمعري انتهى والاول اظهر والاقال قوله الآخر (واذا ما رفعت راياته * صفقت بين جناحي جبريل) وفى نسخة جبرئين بالنون وهو لغة كما يقال فى اسرائيل واسمعيل ونحوهما وما زائدة ورفعت مبنى للمجهول والرايات جمع راية وهي العلم وصفقت بتشديد الفاء من التصفيق بمعنى التصويت والتضعيف للتكثير وفى نسخة خفقت والمعنى اضطربت برياح النصر وهذا اجتراء على هذا الملك العظيم (وقول الآخر من اهل العصر) اى زمن المصنف قال الحلبي لا اعرفه (فر من الخلد واستجار بنا * فصبر الله قلب رضوان) بكسر الراء وضمها اى خازن الجنة قال الدلجي اى على فراقه انظلم يجاوره فيه وهذه مجرفة كاذبة وقال التلمسانى استجار من الجوار اى لجأ اليه وسئله الاستنقاذ انتهى ومع هذا كله لم يتبين خلاصة المعنى من هذا المبنى حتى يتفرع عليه مذمة من كفر او فسق على ما لا يخفى (وكقول حسان) يصرف ولا يصرف (المصيصى) نسبة الى مصيصة كسفينة بلد بالشام ولا يشدد كذا فى القاموس وقال التلمسانى بكسر الميم يخفف و يشدد وقيل لا يصح التشديد وقيل ان كسر شدد وان فتح خفف وقيل بكسر الميم ويخفف و بفتح ويخفف وهو موضع من ثغور الشام (من شعراء الاندلس) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال و يضم وضم اللام وفى نسخة شعار الاندلس على انه مبالغة شاعر (فى محمد بن عباد) بتشديد الموحدة وكنيته ابو القاسم من ملوك الاندلس (المعروف بالمعتمد) بكسر الميم الثانية اى المعتمد بالله تعالى توفى فى السجن سنة ثمان وثمانين واربعمائة لقصة عجيبة مذكورة فى تاريخ ابن خلكان (ووزيره) اى وفي وزيره و مشيره (ابي بكر ابن زيدون) يصرف ويمنع (كان ابابكر ابو بكر الرضي * وحسان حسان وانت محمد) اى كان وزيرك ايها الممدوح ابا بكر ابن زيدون ابو بكر الصديق وشاعرك حسان المصيصى حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكانك انت الممدوح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اطال الشراح تبعا للمصنف على هذا المقال لكن لا يخلو عن نوع من الاشكال فانه لا يلزم من التشبيه التسوية فى الكمال بل من القاعدة المقررة ان المشبه به اقوى فى جميع الاحوال كما هو مقرر فى زيد الاسد الذى هو ابلغ من زيد كالاسد ومنه قولهم ابو يوسف ابو حنيفة ويقال وجه فلان كالبدر او الشمس او القمر وامثال ذلك فتدبر وكان المصنف رحمه الله اراد سد باب الذريعة ليحذر الناس عن المقالات الشنيعة (الى امثال هذا) اى الذي ذكرناه من المتجرفين (وانما كثرنا) بتشديد المثلثة وفى نسخة اكثرنا (بشاهدها مع استثقالنا حكايتها) اى روايتها على ان نقل الكفر ليس بكفر لكن صيانة الالسنة عنه اولى الا لضرورة داعية (لتعريف امثالها) وفى اصل التلمسانى لتعرف بها امثلتها وروى لتعرف امثلتها ولتعريف امثلتها (ولتساهل كثير من الناس) اى من الشعراء وغيرهم (فى ولوج هذا الباب الضنك) بفتح الضاد المعجمة وسكون النون اى دخول هذا الطريق الضيق فى المعيشة وغيرها ومنه قوله تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا وقيل الطريق المظلم ويلائمه قوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى (واستخفافهم فادح هذا العبء) بكسر العين المهملة وسكون الموحدة بعدها همزة الحمل والفادح بالفاء وكسر الدال والحاء المهملتين الثقل اى وعد الناس ثقل هذا الحمل خفيفا (وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر) اى الاثم الثقيل (وكلامهم منه بما) وفى نسخة وكلامهم فيه بما (ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وهذا مقتبس من قوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا اى صغيرة وهو عند الله عظيم اى كبيرة وقد جزع بعض الاكابر عند موته فقيل له لم جزعت فقال اخاف ذنبا لم يكن منى على بال قلت ونعم ما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب (لاسيما الشعراء) الذين ورد فى حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد

ماظلموا وقليل ماهم وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال التلمسانى لاسيما يشدد ويلزمه الواو وقيل لا ويخفف ولا واو وقيل بالواو وبدونها يخفف ويشدد ويقال لاسواها ومابعد لا سيما معرفة فيجر ويرفع وينصب وقيل النصب فيه لايصح ... فالثلاثة والمختار ان ما زائدة وسى مضاف لما بعده والرفع خبر لمحذوف وما موصولة اونكرة موصوفة وهو ... المعرفة قيل وينصب المعرفة ووجهه انما كافة ولاسيما كذلك فى الاستثناء وهو ضعيف لان الاستثناء ... وهذا فيه ادخال هذا وقد قيل الشعراء امراء الكلام يصرفونه حيث شاؤه وجاز لهم مالايجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومدمقصوره وقصرممدوده والجمع بين لغاته والتأنق فى صفاته وقيل الاقتصاد محمود الامنهم والكذب مذموم الا منهم وقيل اياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بادنى زلة ولذا قيل فيهم

﴿الكلب والشاعر فى رتبة * ياليت انى لم اكن شاعرا﴾

اقول بل الكلب احسن منه كما اشار اليه الشاطبى بقوله

﴿وقد قيل كن كالكلب يقصيه اهله * ومايأتلى فى نصحهم متبذلا﴾

والمشهور ان فيه عشر خصال من خصال رجال الابدال ما اظن ان واحدة منها توجد فى شاعر الحال (وشدهم فيه تصريحا والساته تصريحا) اى ارسالا واطلاقا من غيران يكون تلويحا (ابن هانئ) بكسر النون فهمز وقد يسهل (الاندلسى) قال الحلبى هو ابو القاسم محمد الازدى وكان ابوه هانئ من قرية من قرى المهدية ولد بمدينة اشبيلية ونشأبها واشتغل وحصل له حظ وافر من الادب وعمل الشعر فمهر فيه وكان حافظا لاشعار العرب واخبارهم وكان متهما بمذهب الفلاسفة توجه الى مصر ثم عاد الى المغرب فلما كان ببرقة اضافه شخص فاقام عنده اياما فعربدوا عليه فقتلوه وقيل بل وجد مخنوقا وقيل بل نام فوجد ميتا وذلك سنة اثنين وستين وثلاثمائة وهو فى المغرب كالمتنبى فى المشرق وكانا متعاصرين ذكره ابن خلكان (وابن سليمان) وفى نسخة وابو سليمان (المعرى بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف بالدين والنقص) بالنبى (وصريح الكفر) بالله (وقد اجبنا عنه) اى عن كلامهما وما يترتب على مقامهما فيما مضى وفى هذا تنبيه نبيه على انه يحرم سماع شعرهما وامثالهما كما يحرم مطالعة كتب ابن عربى بل ومطالعة الكشاف ونحوهما حذرا من دسهما فى كلامهما مايعد من سمهما فى دسمهما كما الفت فى كفريات ابن عربى مما يتعلق بتوحيد الله تعالى اونقص النبى رسالة مستقلة (وغرضنا الآن) هو (الكلام فى هذا الفصل الذى سقنا امثلته) نظما ونثرا (فان هذه) الامثلة (كلها وان لم تتضمن سبا) اى ذما صريحا (ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا) اى عيبا قبيحا (ولست اعنى) اى اريد بهذا النفى (عجزى بيتى المعرى) فانه كفر واضح والحاد لائح واما قول الدلجى ولست اعنى عجزى بيتى المعرى فقط بل جميع ماذكرناه من الامثلة فخطأ فاحش من جهة لزوم التسوية ثم الجملة حالية معترضة بين المتعاطفين مما قبلها ومابعدها وهو قوله (ولاقصد قائلها ازراء) اى احتقارا (وغضا) اى انتقاصا كالمعرى لكن مع ذلك ماقام بحق الكلام فيماهنالك (لما وقر النبوة) اى مابجلها ولا صاحبها (ولا عظم الرسالة) ولا مرسلها (ولاعزر) بتشديد الزاى وفى آخره راء اى ولاقوى (حرمة الاصطفاء ولاعزز) بتشديد الزاى الاولى (حظوة الكرامة) بضم الحاء المهملة ويكسر وسكون الظاء المعجمة اى المرتبة المكرمة والمنزلة المعظمة (حتى شبه) من المدح وحين من الامراء والوزراء (من شبه) بما ذكر من الانبياء والاصفياء (فى كرامة نالها) اى لاجل جائزة اصابها من ممدوحه (اومعرة) اى مصيبة اومنقصة اومشقة (قصد الانتفاء منها) والتبرى عنها (اوضرب مثل) لكشف المراد (التطييب مجلسه) اى لتطييب مجلس القائل والمقول له ترغيبا فى مجالسته ومخالطته ومصاحبته ومكالمته (اواعلاء) بعين مهملة اى رفع ومبالغة وبغين معجمة اى مغالاة ومجاوزة فى مقالات (فى وصف لتحسين كلامه) وتزيين مرامه (بمن عظم الله خطره) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اى منزلته (وشرف قدره) اى مرتبته من انبيائه واصفيائه (والزم) كل حد (توقيره) اى تعظيمه (وبره) بطاعته له وانقياده اكتسابا واجتنابا بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول (ونهى عن جهر القول له) بقوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول (ورفع الصوت عنده) اى حيا ميتا بقوله عز وجل لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى قال الدلجى اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو موهم ان هذا مختص به وليس كذلك فانه يشمله وغيره فمن ادرك عيسى عليه السلام فيجب عليه ان يكون معه كذلك فى مقام الاكرام بل ويؤخذ منه التأدب مع العلماء الاعلام والمشايخ الكرام والقضاة الفخام بل مع الوالدين وسائر صلحاء الانام (فحق هذا) القائل الذى لم يقصد بقوله نقصا ولم يذكر عيبا ولاسبا لكن كلامه يذكر بعض اوصافه ينزع الى مايصرفه عن ان تفهم منه سبا اونقصا (ان درئ) اى دفع (عنه القتل) اى احتياطا (الادب) بضرب وجيع وتوبيخ فظيع (والسجن) اى فى مكان شنيع بحسب حاله (وقوة تعزيره) اى سدة تأديبه وتشهيره (بحسب شنعة مقاله)

بضم فسكون اى نكارته (ومقتضى قبح مانطق به ومألوف عادته) اى دأبه (لمثله) اى لمثل مانطق به (اوندوره) بضمتين اى مخلوف عادته (وقرينة كلامه) حالية اومقالية (اوندمه) اى اوبحسب ظهور ندامته (على ماسبق منه) وصدر عنه (ولم يزل المتقدمون) من العلماء والامراء (ينكرون مثل هذا) المدح الموهم للقدح (ممن جاءبه) من الشعراء (وقد انكر الرشيد) وهو هارون من احفاد العباس (على ابى نواس) بضم النون فهمزة و يبدل كان والده مولى الجراح ابن عبد الحكمى والى خراسان ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد ديوانه معروف توفى سنة خمس وتسعين ومائة ببغداد ودفن فى مقابر الشونيزية ومن جيد شعره قوله فى نعت النرجس

﴿تأمل فى نبات الارض وانظر ﴾ الى آثار ما صنع المليك ﴿

﴿ عيون من لجين جارات ﴾ على اطرافها الذهب السبيك ﴿

﴿على قضب الزمرد شاهدات ﴾ بان الله ليس له شريك ﴿

وقال اسحق التمار رأيت ابانواس فيمايرى النائم فقلت له مافعل الله بك قال غفرلى فانكرت ذلك فقلت الست ابا نواس قال نعم غفرلى ربى بابيات قلتها وهى فى البيت تحت رأسى فقال فبكرت الى ابنه فسألته عن الرقعة فادخلنى الدار فرفعت الحصير فاذا رقعة مكتوب فيها بخطه

﴿ياربان عظمت ذنوبى كثرة ﴾ فلقد علمت بان عفوك اعظم ﴿

﴿ ان كان لا يرجوك الا محسن ﴾ فمن الذى يدعوو يرجو المجرم ﴿

﴿ مالى اليك وسيلة الا الرجا ﴾ وجميل ظنى ثم انى مسلم ﴿

﴿ ادعوك رب كما امرت تضرعا ﴾ فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم ﴿

هذا وانما انكر الرشيد (قوله فان يك باقى سحر فرعون فيكمو ﴾ فان عصاموسى بكف خصيب) بخاء معجمة وصاد مهملة اى رحيب الجانب كريم على الاقارب والاجانب قال التلمسانى وعند الشارح ان المراد بخصيب عامل لبعض الملوك العباسيين وهو المأمون بن الرشيد وروى خضيب بالخاء والضاد المعجمتين يقال كف خضيب مخضب بالحناء اى ان يكن فى مملكتكم ارض مصر بقية من سحر فرعون فلاهى تجدى نفعا مع وجود عصا موسى بكف اميرها خصيب تلقف ما يأفكون ولا شبهة انه ما اراد به اثبات النبوة لممدوحه الا ان فى كلامه استعارة نوع من الموهمة فى ظاهر العبارة هنالك فوبخه بذلك (وقال له يا ابن اللخناء) بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة فنون فالف ممدودة من اللخن وهو النتن اى يا ابن المنتنة (انت المستهزئ) اى المستحقر (بعصا موسى) بجعلك اياها بكف خصيب (وامر باخراجه عن عسكره فى ليلته) وفى نسخة من ليلته (وذكر القتبى) بضم القاف وفتح الفوقية قال الحلبى انه عبدالله بن مسلم بن قتيبة وفى نسخة بضم العين المهملة وسكون الفوقية (ان مما اخذ عليه) اى انكر على ابى نواس (وكفر فيه) وفى نسخة بتشديد الفاء مجهولا وفى نسخة به اى بسببه (اوقارب) اى قرب ان يكفر او يكفر (قوله فى محمد الامين) اى ابن هارون الرشيد بن المهدى وتوفى الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومائة فبويع للامين بالخلافة فى عسكر الرشيد صبيحة الليلة التى توفى فيها الرشيد وكان المأمون حينئذ بمرو وكتب صالح بن الرشيد الى اخيه الامين بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم فارسل معه خاتم الخليفة والبردة والقضيب ولما وصل الى الامين ببغداد اجيرت له البيعة ببغداد وتحول الى قصر الخلافة ثم قدمت عليه زبيدة امه من الرقة ومعها خزائن الرشيد فتلقاها ابنها الامين بالاقبال ومعه جميع وجوه بغداد وقضاياه مشهورة قتل سنة ثمان وتسعين ومائة وكانت خلافته اربع سنين وثمانية اشهر وكسرا (وتشبيه) اى ابى نواس (اياه) اى محمد الامين (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال) وفى نسخة فى الشعر (تنازع الاحد ان الشبه فاشتبها) اى تشابها (خلقا وخلقا كما قد الشراكان) الشبه بكسر السين وسكون الموحدة لغة فى شبه بفتحتين والخلق بفتح اوله ظاهر الخلقة وبضمه باطنها واراد بهما الصورة والسيرة يقال هذا شبهه وشبهه اى شبيهه وقد بضم القاف وتشديد الدال المهملة اى قطع وقدر والشراك بكسر الشين سير النعل واراد المبالغة فى استوائهما فى الفضل وهذا كفر صريح ليس له تأويل صحيح الا ان يدعى انه اراد بالاحد غير محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكأنه عدل عن المحمدين الى الاحدين ليستقيم الوزن ولعله اراد بالسيرة صفة الامانة ولكن بين الامينين بون بين وانما حمله على مقاله صورة موافقة الاسمين والوصفين (وقدانكروا) اى العلماء والامراء اوهما جميعا (ايضا عليه قوله) اى على ابى نواس وفى نسخة على الآخر وهو اصل التلمسانى وقال هكذا روى وصوابه عليه لانه قوله وقال الحلبى وفى نسخة على الاخر وفى نسخة عليه وهو الصحيح اذ قد صرح السهيلى فى روضه بانه من

قول ابي نواس (كيف لايدنيك من امل) اى كيف لايقربك من رجائك (من رسول الله من نفره) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اى من رهطه [illegible] وقرابته واما اطلاق النفر على الخادم فحارث وانما انكروا عليه (لان حق الرسول) اى [illegible] (يوجب تعظيمه) بفتح الجيم اى مقتضى تكريمه وابعد الدلجي فقال بكسر الجيم اى مايوجب ترغيب [illegible] (واناقة منزلته) اى رفعة مرتبته (ان يضاف) اى ينسب غيره (اليه) اى الى شرف نسبه وكريم [illegible] (ولا يضاف) اى هو الى احد وفى نسخة الى غيره والا فالاضافة النسبية وغيرها كلها تشبيه وقد يعذر قائله بصيغة القلب كما فى قولهم عرضت الناقة على الحوض لا سيما فى ضرورة الشعر الا انه فى حقه عليه الصلوة والسلام لايعذر بمثل هذا الكلام وحكى عن على بن الاصفر وكان من رواة ابى نواس قال لما عمل ابو نواس قصيدة

ايها المنتاب عن عفره * انشدنيها فلما بلغ قوله

* كيف لا يدنيك من امل * من رسول الله من نفره *

وقع لى انه كلام مستهجن فى غير موضعه اذ كان حق رسول الله ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى احد فقلت له أعرفت عيب هذا البيت قال مايعيبه الاجال بكلام العرب انما اردت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من القبيل الذى هو الممدوح منه * اما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر دين الاسلام

* وما زال فى الاسلام من دين هاشم * دعائم عز لا ترام ومفخر *

* بهاليل منهم جعفر وابن امه * على ومنهم احمد المتخير *

قال الحلبى نقلا عن السهيلى ان البهاليل جمع بهلول وهو الوضيئ الوجه مع طول وقوله ومنهم احمد المتخير قدعابه بعض الناس لما اضاف احمد المتخير اليهم وليس بعيب لانها ليست باضافة تعريف وانما هو تشريف لهم حيث كان منهم وانما ظهر العيب فى قول ابى نواس كيف لايدنيك البيت لانه ذكر واحدا واضاف اليه قال التلمسانى وانما اراد التخلص بحجة ما فى رواية اقول لما قيل الغريق يتعلق بكل حشيش واما قول الانطاكى و يستند ايضا بقول حسان هذا على جواز التقديم والتأخير فى الواو فانه بدأ فى اللفظ بجعفر ثم جاء بعده بعلى ثم بالنبى عليه الصلوة والسلام وهو المقدم فى الحقيقة ففيه ان هذا من قبيل الترقى لا التدلى (فالحكم فى امثال هذا) الذى اوردناه وفى نسخة فى مثل هذا قال التلمسانى هو انسب (مابسطناه) اى مافصلناه و بيناه (من) وفى نسخة فى (طريق الفتيا) بضم الفاء لغة فى الفتوى بفتحها وهما مشهورتان كما ذكره النووى يعنى ان كلا يقضى عليه بحسب ماظهر منه وصدر عنه (وعلى هذا المنهج) الذى سلكناه والمعنى على طبقه ووفقه (جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه) اى اتباعه ممن ادركه وغيره (ففى النوادر من رواية ابن ابى مريم) اى الجمحى البصرى ابو محمد الحافظ يروى عن الليث وطائفة وعنه ابن معين وابو حاتم وجماعة ثقة اخرج له الائمة الستة (عنه) اى عن مالك (فى رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرنى) اى بالفقر كما فى نسخة اى أتعيرنى به (وقد رعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الغنم) قال الدلجى على قراريط لقريش والمحققون انه عليه الصلوة والسلام لم يرع لاحد بالاجرة وانما رعى غنم نفسه وهذا لم يكن عيبا فى قومه كما يعرف من رعى بنات شعيب ورعى موسى عليهما السلام بل قيل كل نبى رعى الغنم والله تعالى اعلم ليتدرب على رعاية الامة بوجه الترحم كما اشار اليه بقوله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى اهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى مال ابيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته رواه احمد والبخارى ومسلم وابو داود والترمذى عن ابن عمر وسيأتى زيادة الكلام على هذا المرام وقد حكى ان موسى عليه السلام رأى شاة شاردة فتبعها ليردها فزادت فى شرادها وتنفرها حتى بعدت عن قطيعها فلحقها فحملها على كتفه رحمة لها فنودى فى الملكوت بين المقربين ايصلح هذا العبد ان يكون من الانبياء والمرسلين فقالوا نعم يارب العالمين و يا ارحم الراحمين هذا واما رواية رعى بمراريط فقالوا انه اسم موضع (فقال مالك قد عرض) بتشديد الراء اى لوح (بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غير موضعه) اللائق به (ارى ان يؤدب) قال الانطاكى روى انه عليه الصلوة والسلام قال يوم حنين لذلك المنافق الذى قال الا ترون صاحبكم يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل ويلك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا والحديث فى الكشاف وفيه دليل على جواز اطلاق اسم الراعى على الانبياء وان ذلك لا يستوجب التأديب اذا لم يقصد القائل به منقصة ولعل هذا الحديث لم يبلغ مالكا اولم يصح عنده انتهى ولايخفى ان الحديث اذا لم يصح عنده كيف يخفى عليه ان موسى رعى الغنم (قال) اى مالك (ولا ينبغى لاهل الذنوب اذا عوتبوا) فيما صدر منهم من خطأ فى قول

اوفعل (ان يقولوا) فى جواب العتاب (قد اخطأت الانبياء قبلنا) فان هذا خطأ من وجوه اذ لا يقاس الحدادون بالملائكة فان خطأ الانبياء ما كانت الازلات نادرة فى بعض اوقات تسمى صغائر بل خلاف الاولى بل حسنات بالنسبة الى سيئات غيرهم وهى مع هذا محوة بتوبة عقيبها وتحقق قبولها كما اخبرالله بها بخلاف ذنوب الامم فانها شاملة للكبائر وغيرها عمدا وخطأ واستمرارا وعلى تقدير توبتهم لايعرف تحقق شروط صحتها وقبولها بل ولايدرى خاتمة امر صاحبها بخلاف الانبياء فانهم معصومون من الاصرار على المعصية ومأمونون من سوء الخاتمة فلا تصح هذه المقايسة (وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبى عليه السلام كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لاتكتب لى ابدا) وهذا يوافق ما قال امامنا فى الفقه الاكبر ان ابوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا على الكفر وقد كتبت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة ودفعت فيها ما ذكره السيوطى من الادلة على خلاف ذلك فى رسائله الثلاث لكن لا يجوز ان يذكر مثل هذا فى مقام المعيرة (وقد كره سحنون ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب) اى قصده (والاحتساب) اى طلب الاجر (توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وسئل القابسى عن رجل قال لرجل قبيح) اى صورته (كانه وجه نكير) هو احد ملكى سؤال القبر والآخر منكر وانما سميا بذلك لانهما يأتيان العبد بهيئة منكرة وصورة معيرة امتحانا من الله لعبده فى المقبرة (ولرجل) اى اوقال رجل لرجل (عبوس) اى وجهه وجبينه (كانه) اى وجهه (وجه مالك الغضبان) على اهل العصيان وهو خازن النار قال تعالى ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون وروى ملك بدون الالف وصوابهما ان يكونا بالتنوين وغضبان نعتهما (فقال) اى القابسى (اى شئ) بالرفع ويجوز نصبه اى ما الذى (اراد بهذا) الكلام (ونكير احد فتانى القبر) بتشديد الفوقية اى احد الممتحنين فى القبر والجملة معترضة حالية وكذا قوله (وهما) اى نكير ومنكر اونكير ومالك (ملكان) من جملة الملائكة المقربين ولما طال الفصل بالجملتين اعاد الكلام بقوله (فما الذى اراد اروع) بفتح الراء اى اخوف وفزع (دخل عليه) اى على القائل (حين رآه) اى المقول له وفى نسخة اذ رآه (من وجهه) متعلق بدخل اى من جهة هيبة وجهه (ام عاف النظر اليه) اى كره رؤيته لدمامة ووقوع بصره عليه وفى نسخة عاب بدل عاف (لدمامة خلقه) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة اى حقارة صورته (فان كان) مراده (هذا) اى القصد الثانى (فهو شديد) فى النكير (لانه جرى مجرى التحقير والتهوين) الذى يوجب التكفير وفى نسخة التوهين (فهو) اى هذا القائل بهذا المعنى وفى نسخة فهذا (اشد عقوبة) اى يستحق ان يعاقب اشد عقوبة من القائل بالمعنى الاول (وليس فيه تصريح بالسب للملك) ولا كان موجبه القتل (وانما السب واقع على المخاطب) الا انه يستحق التأديب لما فى تشبيه من قلة الادب (وفى الادب بالسوط) اى بالضرب به (والسجن) اى حبسه (نكال) اى عبرة (للسفهاء) وعقوبة تمنعهم عن مثل هذه الاشياء فان السجن قبر الاحياء ومن احسن ما قيل فى باب السجن قول بعضهم

﴿خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى﴾

﴿ اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ﴾

﴿ ونفرح بالدنيا فجل حديثنا * اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا ﴾

ثم من الفاظ الكفر رجل قال لغيره رؤيتك عندى كرؤية ملك الموت وقد اختلف علماؤنا فيه فقال اكثرهم يكون كفرا وقال بعضهم ان قال ذلك لعداوة ملك الموت يصير كافرا وان قال ذلك لكراهة الموت لا يصير كافرا كذا فى فتاوى قاضيخان وهذا الاخير هو الصحيح ودليله قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين (قال) اى القابسى (واما ذكر مالك خازن النار فقد جفا الذى ذكره) اى غلظ طبعه وقل ادبه حيث تفوه بقوله وجه مالك الغضبان وضبطه الدلجى بالهمزة وفسره برمى (عند ما انكر حاله) وفى نسخة عند ما رأى (من عبوس الآخر) وهو المقول له (الا ان يكون المعبس) بتشديد الموحدة المكسورة (ممن له يد) اى تصرف سلطنة وقدرة عقوبة (فيرهب) بصيغة المجهول مخففا ومشددا اى فيخاف وقال الحلبى يرهب رباعى مبنى للفاعل اى يخيف والاظهر انه ثلاثى بصيغة الفاعل اى فيخاف ويفزع (بعبسته) بفتحتين وفى نسخة بضم فسكون وفى نسخة بعبوسه (فيشبهه) وفى نسخة فسببه (القائل على طريق الذم) او المدح او الخوف او المزح (لهذا) الذى له يد (فى فعله) اى من اظهار سوء خلقه (ولزومه فى ظلمه صفة مالك) اى خازن النار (الملك) المعظم المطاع (المطيع لربه فى فعله) اذ هو ممن قال فيهم عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون (فيقول كانه لله يغضب غضب مالك) خازن النار فيه حينئذ لا يظهر وجه الذم (فيكون) قوله ذلك حينئذ (اخف) مما قبله (وما كان ينبغى) مع ذلك

(له التعريض)وفى نسخة التعرض [illegible]هذا) التشبيه وهوقوله كانه وجه مالك الغضبان (ولوكان) هذا القائل (اتى على العبوس بعبسته [illegible]مالك)خازن النار(كان) قوله ذلك(اشد)من ذلك الاخف (و يعاقب)عليه (المعاقبة الشديدة [illegible]حيث جعل مقام الثناء والمدح اشد من مقام الذم والقدح (وليس فى هذا) الذى ذكرناه من [illegible]مالك) اى اصلا(ولوقصد ذمه لقتل) لانه كفربه واخطأ الدلجى فى قوله قتل حدا لاكفرا [illegible]نبى عليه وانما يكون قتله حدا عند المالكية اذا تاب والله تعالى اعلم بالصواب (وقال ابوالحسن) [illegible]القابسى (ايضا فى شاب معروف بالخير) اى الصلاح(قال لرجل شيئا) من الكلام (فقال الرجل) اى له (اسكت) زجرا له عما قال (فانك امى) اى مغفل لاتفرق بين الخير والشر اوصامى ماقرأت شيئا من العلم وعند الفقهاء هو من لايحسن الفاتحة ومن معانيه منسوب الى الام اى على اصل ولادته من غير اكتساب فى قراءته وكتابته او منسوب الى ام القرى وهى مكة وما حولها اومنسوب الى الامة بمعنى الجماعة(فقال البس كان النبى اميا فشنع عليه) بصيغة المجهول مشددا اى قبح وذم (مقاله وكفره الناس) اى عامتهم فتغير له الحال (واشفق الشاب) اى خاف على نفسه ودينه(مما قال واظهر الندم) اى الندامة والتوبة (عليه)من ذلك لسوء المقال (فقال ابوالحسن القابسى اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ فى استشهاده) اى استدلاله بكونه اميا (بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) حيث لم تفرق بين الاشياء كما بينه المصنف بقوله (وكون النبى اميا آية له) اى معجزة وكرامة كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وكون هذا) الشاب وغيره (اميا نقيصة فيه وجهالة) اى فى حقه وقال الدلجى وجهالة برفع محله عليه الصلوة والسلام (ومن جهالته احتجاجه بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)دفع جهالته عن نفسه (لكنه اذا استغفروتاب واعترف) بانه مخطئ فى هذا الباب (ولجأ الى الله تعالى) على طريق الاضطراب (فيترك) عن العقاب وفى نسخة ترك (لان قوله)البس كان النبى اميا(لاينتهى الى حد القتل) اى الى حد يوجب القتل وانما يوجب التعزير والتأديب (وماطريقه) اى موجبه (الادب فطوع ماعله) اى فانقياد فاعله الاعم من قائله (بالندم عليه يوجب الكف عنه) اى بعدم التعرض له بسوء وفى الخلاصة روى عن ابى يوسف انه قيل بحضرة الخليفة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب القرع فقال رجل انا لااحبه فامر ابو يوسف باحضار النطع والسيف فقال الرجل استغفر الله مما ذكرته ومن جميع مايوجب الكفر اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتركه ولم يقتله وتأويل هذا انه قال بطريق الاستخفاف والا فالكراهة الطبيعية ليست داخلة تحت الاعمال الاختيارية ولايكلف بها احد فى القواعد الشرعية (ونزلت ايضا مسئلة) اى وردت (استفتى فيها) اى طلب الجواب عنها(بعض قضاة الاندلس) وفى نسخة بعداى بعد هذه القضية فيرفع قضاة الاندلس لانه فاعل والمفعول على كل تقدير (شيخنا القاضى ابا محمد بن منصور رحمه الله فى رجل تنقصه رجل آخر بشئ) من الكلام وفى اصل الدلجى بشئ من القول (فقال له انما تريد نقصى بقولك) لى ذلك (وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص) اى البشرى (حتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع و يجوز نصبه وجره (فافتاه باطالة سجنه)اى حبسه مدة طويلة (وايجاع ادبه) حال ضربه (اذلم يقصد السب) والافيحكم بقتله لكفره (وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله) اخذا له بظاهر قوله زجرا له ولغيره ولعل هذا كله مبنى على السياسة وسد باب الذريعة والافالمخلوق من حيث هو مخلوق خرج من العدم الى الوجود وفى صدد الزوال عن عالم الشهود ناقص الحال بالاضافة الى كمال الملك المتعال لاسيما ولايخلو احد عن تقصير فى مقام العبودية عما يجب عليه من قضاء حقوق الربوبية كما اوما اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله كلا لما يقض ماامره قال البيضاوى لم يقض الانسان من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية ماامره الله تعالى باسره اذ لايخلو احد من تقصير ما ولوكان عظيما فى قدره

﴿ فصل ﴾

(الوجه السادس ان يقول القائل ذلك)القول الذى فيه نقص من قدره (حاكيا عن غيره وآثرا) بهمزة ممدودة وكسر مثلثة اى راويا وناقلا(عن سواه) وفى نسخة واثرا بفتحتين اى رواية والاظهر انه مصدر بمعنى فاعل ليلائم المعطوف عليه(فهذا)الناقل(ينظر) من جهة قرائن روايته (فى صورة حكايته وقرينة مقالته)ودلالة حالته المؤذنة بغرضه الباعث له على روايته (ويختلف الحكم) المقضى عليه به فيه (باختلاف ذلك) ممايظهر من صورة حكايته وقرينة حالته هنالك (على اربعة وجوه) من الاحكام (الوجوب) بالجر و يجوز اخواته (والندب والكراهة والتحريم) بدل بعض من كل اوكل من كل بان يكون الربط بعد العطف وهذا ذكره اجمالا واما بيانه تفصيلا (فان كان) اى ناقله

(اخبر به على وجه الشهـادة) لاحد اوعليه نفيا اواثباتا (والتعريف بقائله) حالاوصفة (والانكار) اى عليه كما فى نسخة (والاعلام بقوله) ليعلم مايترتب عليه من قتل وتعزير وتوبيخ ونحو ذلك (والتنفير منه) اى بالاحتراس والاحتراز عنه (والتجريح له) بتقديم الجيم على الحاء المهملة يقـال جرحه بالتخفيف والتشديد اى ذكر عيبه ونقصه وهو فى الشهادة والخبر ويروى بتقديم الحاء ومعنـاه التأثيم والتضييق يقـال حرجه نسبه للحرج وهو الاثم والضيق (فهذا) القول على هذا المنوال (ممابنبغى امتثاله) ويقبل مقاله (ويحمد فاعله) اى ناقله (وكذلك) الحكم (ان حكاه فى كتاب) اى تصنيف (وفى مجلس) لوعظ اوتدريس (على طريق الرد) اى دفعه وفى نسخة على جهة الرد (له والنقض) اى ابطاله (على قائله والفتيا بمايلزمه) اى الافتاء بمايوجبه من قتل ونحوه (وهذا) الرد (منه) اى بعضه (مايجب) بيان حكمه (ومنه مايستحب بحسب حالات الحاكى لذلك) الذى حكاه ردا (والمحكى عنه) اى وكذا بحسب حالاته فى مقـالاته (فان كان القائل لذلك) الذى حكاه (ممن تصدى) اى تعرض وتصدر (لان يؤخذ عنه العلم) الشريف (او رواية الحديث) المنيف (او يقطع بحكمه) اى لان يجزم و يلزم بحكمه لكونه اميرا اوقاضيا (اوشهادته) لعدالته (اوفتيـاه) فى الحقوق لعلمه وحلمه (وجب على سـامعه) اى مستمع قوله حكما اوفتيـا (الاشادة) اى الافشاء والاشاعة (بماسمع منه والتنفير للناس عنه) تحذيرا منه (والشهادة عليه بماقاله) ليجتنب عنه (ووجب على من بلغه ذلك) الذى صدر عنه ولولم يحضر هنـالك (من ائمة المسلمين انكاره و بيان كفره) ان صدر مايوجبه (وفساد قوله) على تقدير خطأه فى تقريره (لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين) ومراعاة لحماية الدين على مقتضى قواعد المجتهدين (وكـذلك ان كان) هذا القـائل (ممن يعظ العامة) و يزجرهم عن الامور المحرمة و يزهدهم فى الدنيا و يرغبهم فى الاخرى و يبين لهم مراتب درجات العقبى و يفتح لهم ابواب العوارف ويذكرلهم اصحاب المعارف لاسيمـا اذا كـان يتكلم فى علم التوحيد ومقام التفريد ويدعى الشهود ويتفوه بمسئلة الوجود فانه مقـام خطر من الوقوع فى الحلول والاتحـاد والاتصال والالحاد فى مجمع من العبـاد المجتمعين من اطراف البلاد وقد وضعت رسالة مستقلة فى الفرق بين الوجودية من الموحدين والوجودية من الملحدين ومنهم طائفة ابن عربى الخـارجة من قواعد الدين خذلهم الله اجمعين (او يؤدب الصبيـان) بتعليم القرأن او العلوم الادبية من النحو والصرف واللغة والقواعد العربية كماذكـره الزمخشرى فى ربيع الابرار فى باب اللطافة والاسرار ان ولد اقرأ وان عليك لعنتى قال الفقيه الى يوم الدين وقال بعض الفضلاء سمعت معربا يعرب لتلميذه قوله تعـالى الحمد لله الذى انزل على عبـده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فقال قيما صفة لعوج فقلت له ياهذا كيف يكون العوج قيما (فان من هذه) الاخلاق (سريرته لايؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم) وتأثيره فى صدورهم (فيتأكد فى هؤلاء) اى فى حقهم (الايجـاب) بالانكار (لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ان كان الامر متعلقا به (ولحق شريعته) ان تعلق بطعن فى قربته (ولحق الله) ان تعلق بمسئلة ذاته وصفاته ومصنوعاته هذا وفى مجمع الفتاوى لوتكلم بكلمة الكفر مذكر وقبل القوم ذلك منه كفروا حيث لم يعذروا بالجهل وزاد فى المحيط وقيل اذا سكت القوم عن المذكر وجلسوا عنده بعد تكلمه بكلمة الكفر كفروا يعنى اذا علموا انه كفر به او اعتقدوا كلامه (وان لم يكن القـائل بهذه السبيل) الذى يؤخذ عنه العلم (فالقيام بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجب وحمـاية عرضه) اى وصيـانته عن طعن ونقص فيه (متعين) لايجوز التهاون به والعرض بكسر اوله النسب والحسب (ونصرته عن الاذى) اى ممايتأذى به وروى على الاذى (حيا وميتا) كما يدل عليه قوله تعـالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولاان تنكحوا ازواجه من بعـده ابدا (مستحق) بفتح الحـاء اى فرض عين (على كل مؤمن) ليصح ايمانه (لكنه) اى القيام بحقه فرض كـفاية وفى نسخة لكن (اذاقام بهذا من ظهر) اى علا (به الحق وفصلت به) بضم الفـاء وكسر الصاد المهملة اى انفصلت به (القضية) بالحكومة الشرعية (وبان به الامر) اى ظهر الحق وتبين الصدق (سقط عن الباقى الفرض) المتعلق بذمة كل احد فلو سكتوا كلهم اثموا جميعهم (و بقى الاستحباب) بالنسبة الى غير من قام بالحق من الدعوى والشهـادة والحكم والقتل ونحوه (فى تكثير الشهادة) عليه للتقوية والتشهير للقضية (وعضد التحذير منه) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة اى نصرته ومساعدته فى الاحتراز عنه (وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم فى الحديث) اى فى روايته بذكر جرحه وطعنه وعدالته وديانته حتى روى ان يحيى بن معين مع جلالته رؤى طائفـا بالبيت يقول فلان كذاب فلان وضاع فى روايته (فكيف بمثل هذا) المقام الذى يجب فيه القيام وقد قال الجوينى فى قوله عليـه الصلوة والسلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ان الكذب عليه عمدا كـفر وهو حديث مشهود بل قيل انه متواتر (وقد سئل ابو محمد بن ابى زيد عن الشاهد) الواحد (يسمع مثل هذا) الكلام المترتب عليه الملام (فى حق الله تعـالى) اوحق نبيه

عليه الصلوة والسلام (ايسعه ان لايؤدى شهادته) عند حاكم ليؤد به بحسب ما تقتضى حالته ومقالته (قال)
اى ابن ابى زيد (ان رجا) اى [illegible] بمعنى انه ترجح عنده (نفاذ الحكم) بفتح النون والفاء و بالذال المعجمة اى تنفيذه
وروى انفاذ الحكم [illegible] والقضاء (بسهادته فليشهد) اى وجوبا (وكذلك ان علم ان الحاكم لايرى القتل بما شهد
به) هذا [illegible] الاستتابة) اى قبول توبته (والادب) اى مع ذلك كما فى مذهب مالك (فليشهد) هنالك
و [illegible] على سبيل الوجوب (ذلك واما الاباحة) حكاية قوله) المشتمل على كفره (لغير هذين المقصدين) المتقدمين
(فلا ارى لها) اى للحكاية (مدخلا فى الباب) [illegible] الاباحة (فليس التفكه) اى التفوه من غير غرض شرعى
(بعرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتمضمض) بالضادين المعجمتين اى التحرك والتكثر (بسوء ذكره لاحد)
واما قول التلسانى ومن معانى التمضمض الاكثار وهو بعيد لان الاكثار والاقلال فى هذا سواء فمدفوع لان الاقلال
لما يترتب عليه الحكم من القتل والتعزير والجرح والتحذير متعين كما تقدم وانما الاكثار الذى لا يترتب عليه
فائدة هو الممنوع (لا ذاكرا) اى لفظه مطلقا (ولا آثرا) اى حاكيا و ناقلا اتفاقا (لغير غرض شرعى بمباح) خبر ليس
بل انه حرام او مكروه (واما للاغراض المتقدمة) كالشهادة والرد والنقض (فمتردد) بفتح الدال الاولى مشددة اى
فموضع تردد (بين الايجاب والاستحباب) والاول اولى والله تعالى اعلم بالصواب (وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين
عليه) اى الكاذبين على الله (وعلى رسله فى كتابه) بالاكثار (على وجه الانكار لقولهم) اى لمقول الكفار (والتحذير)
اى وتحذير غيرهم (من كفرهم والوعيد عليه) اى على امرهم (والرد عليهم بما تلاه الله علينا) فى لسان رسوله المعظم
(فى محكم كتابه) المكرم (وكذلك وقع من امثاله) اى امثال ما تلى علينا بالعبارة الصريحة (فى احاديث النبى الصحيحة
على الوجوه المتقدمة) من الانكار والتحذير والوعيد وغيرها (واجمع السلف) المتقدمون (والخلف) المتأخرون (من
ائمة الهدى) وهم العلماء العاملون (على حكايات مقالات الكفرة والملحدين) اى على ذكرها (فى كتبهم ومجالسهم)
حال التدريس والوعظ (ليبينوها للناس) بما خفى لديهم (وينقضوا شبهها عليهم) جمع شبهة بمعنى شك وريبة (وان كان
ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا) الذى ذكر (على الحارث بن اسد) المحاسبى بما حكاه فى كتاب الرعاية (فقد
صنع احمد مثله فى رده على الجهمية) طائفة من اصحاب جهم بن صفوان من المبتدعة بل من الكفرة المخترعة واصله
من سمرقند ومن مذهبه القول بان الجنة والنار يفنيان وان الايمان هو المعرفة فقط دون الاقرار وسائر الطاعات وانه
لافعل لاحد غير الله وان العباد فيما ينسب اليهم من الافعال كالشجرة تحركها الرياح باختلاف الاحوال فالانسان
عنده لايقدر على كسب شئ من اعماله وانما هو مجبر فى افعاله لاقدرة له ولا ارادة ولا اختيار فى الحسنات والسيئات وانما
يخلق الله تعالى فيه الافعال على حسب ما يخلق فى الجمادات ادرك صغار التابعين قال الذهبى ما علمته روى شيئا لكنه
زرع شرا عظيما انتهى واخذ ذلك عن السمنية وهم دهرية ولما شككوه فى امره ترك الصلوة اربعين يوما وقال لا اعبد
من لا اعرف (والقائلين) اى وعلى القائلين (بالمخلوق) اى بالقرآن المخلوق وهو قول المعتزلة او بالعمل المخلوق
للانسان اى هو يخلقه وهو قول المعتزلة والقدرية او بالمخلوق القديم على ان المخلوق بمعنى الخلق ومعناه انه قديم وهو
قول الفلاسفة والدهرية والاقوال الثلثة كلها باطلة اما قدم العالم فهو بين اعدام الموجد و بين الشركة وكلاهما كفر
بالاجماع واما خلق الافعال فهو كقول المجوس فى ان خالق الضوء غير خالق الظلمة لكنه يغاير قولهم بانهم من الثنوية
وهؤلاء من ارباب التوحيد فى الالوهية واما خلق القرآن فانهم لما انكروا الكلام النفسى قالوا ذلك ففى التحقيق لاخلاف
هنالك وانما ابتدعوا من حيث انكار الكلام النفسى والا فالقرآن من حيث انه مكتوب بايدينا ومقروء بالسنتنا
ومحفوظ بصدورنا فلاشك انه مخلوق بحسب اللفظ والمبنى الا انه يجب ايضا صيانته عن ان يقال مخلوق بهذا المعنى
واما ما ذكره العلامة التفتازانى فى شرح العقائد من حديث القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر
بالله العظيم فقد قال الصغانى هو موضوع وقال السخاوى هذا الحديث من جميع طرقه باطل هذا ولا يبعد ان يجمع بين
صنيع احمد وانكاره على المحاسبى بان المحاسبى ذكر ادلة المبتدعة ثم ردهم بادلة اهل السنة بخلاف احمد حيث لم يلتفت
الى شبهاتهم بل رد عليهم بالادلة العقلية والنقلية ببطلان عقيدتهم (وفى هذه الوجوه) المتقدمة (السائغة) بالسين
المهملة والعين المعجمة اى الجائزة وهى مرفوعة (الحكاية) بالجر والرفع اى الرواية (عنها) من مقالات الكفرة والفجرة
ومن نحا نحوها (فاما ذكرها على غير هذا) النمط (من حكاية سبه والازراء) وروى الازدراء (بمنصبه على وجه
الحكايات) فى المحاورات او الاسفار (والاسمار) جمع سمر بفتحتين ويسكن وهو حديث الليل واصله فى ظل القمر ويجوز
كسر همزه على انه مصدر اسمر اذا تحدث بالليل مطلقا فهو تخصيص بعد تعميم (والطرف) بضم المهملة وفتح الراء
وفى آخره الفاء جمع طرفة وهو ما يستظرف ويستجاد من المقال والمآكل (واحاديث الناس) اى كلماتهم المتحدث بها

للاستئناس

للاستئناس (ومقالاتهم) بحسب اختلاف حالاتهم (في الغث) بفتح المعجمة وتشديد المثلثة اي الهزل (والسمين) وهما كنايتان عن الضعيف والقوي او الباطل والصحيح ومنه قول ابن عباس لابنه على الحق يابني عمك يعني عبد الملك ابن مروان فغثك خير من سمين غيرك (ومضاحك المجان) بضم الميم وتشديد الجيم جمع ماجن وهو من لايبالي بكلامه في اللهو والسخرية (ونوادر السخفاء) جمع سخيف وهو رقيق العقل وروي السفهاء جمع سفيه وهو الجاهل او خفيف العقل (والخوض) اي الشروع بالمبالغة من غير الملاحظة (في قيل وقال) بفتح لاميهما على انهما فعلان محكيان ويجرهما منونين على انهما اسمان معربان لانهما مصدران وفي النهاية في حديث نهى عن قيل وقال اي نهى عن فضول ما يتحدث به المجالسون من قولهم قيل كذا وقال كذا وبناؤهما على كونهما فعلين ماضيين متضمنين للضمير والاعراب على اجرائهما مجرى الاسماء خاليين من الضمير قال فيكون النهي عن القول بما لا يصح ولا تعلم حقيقته فاما من حكى ما يصح روايته ويعرف حقيقته واسنده الى ثقة صادق فلا وجه للنهي عنه ولا ذم منه وقيل اراد به حكاية اقوال الناس والبحث على ما لايجدي عليه ضرا ولا نفعا ولا يعنيه امره اها ولذا عطف عليه المصنف عطف تفسير قوله (ومايعني) اي مالاينفعهم في دينهم ودنياهم فقد ورد من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه وفي اصل الدلجي بالغين المعجمة فيكون بضم اوله اي مالايغني الخائض فيه شيئا ولايجديه نفعا (فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة) للدفع (من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد) به شيئا (اومعرفة) اي او على غير معرفة (بمقدار ما حكاه) من الشدة والاشدية وفي نسخة بقدره (اولم تكن) تلك المقالة او الحكاية (عادته) فبعدمعرته وزلته (اذلم يكن الكلام المحكي (من البساعة) بتقديم الموحدة اي الفضاحة وفي اصل التلمساني بسبق الشين بعدها النون وفسر بالقبحة (حيث هو) اي الى الغاية في انه يشبع اوشنيع اي كريه وفظيع (ولم يظهر على حاكيه) وفي نسخة على حكايته (استحسانه) اي جعله حسنا عنده (واستصوابه) اي عده صوابا لديه والمعنى انه لم يظهر منه اعتقاد كونه حسنا ولا صوابا بل ظنه مباحا (زجر عن ذلك) بصيغة المجهول وكذا قوله (ونهي عن العودة) وفي نسخة عن العود اي الرجوع (اليه) اي الى مقاله هنالك (وان قوم) بضم القاف وكسر الواو المشددة اي ان قويل ناقله على سبيل الحكاية من غير منفعة مترتبة على الرواية روي وان قيم (ببعض الادب فهو مستوجب له) اي مستحق (وان كان لفظه) اي لفظ الحاكي او المحكي (من البشاعة) او الشناعة (حيث هو) اي بلغ غايته (كان الادب اشد) ممن لم يكن محكيه حيث هو (وقد حكى ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القران مخلوق فقال) مالك (اقتلوه) اي السائل او القائل على طريق الحكاية (فقال) اي السائل (انما حكيته عن غيري) اي لا انا الذي اقوله (فقال انما سمعناه منك) قال الدلجي وامر مالك بقتل السائل بمجرد الهامه انه القائل بمخلوقيته بدون اثبات اعتقاد مخلوقيته عجب مع انه ممن يقول لانكفر احدا من اهل القبلة قال المصنف (وهذا من مالك على طريق الزجر) اي الردع للكف عن السؤال عنه قال الدلجي وهذا ايضا عجيب بل اعجب لان القتل زجرا عن السؤال لم يقل به احد (والتغليظ) للزجر (بدليل انه) اي مالكا (لم ينفذ قتله) اي لم يبالغ في الامر بقتله وهو بتشديد الفاء المكسورة وبالذال المعجمة اي لم يمض الامر في قتله اولم يمض فيه حكم القتل ذكره التلمساني قال الدلجي وهذا العذر عنه بعيد يرده تكفير مالك له وامره انما كان بعد تكفيره اياه اقول ليس في كلام مالك تكفيره وانما اراد بهذا القول تعزيره اي اضربوه ضربا شديدا ولو قتل تحت ضربه تأكيدا لزجره عن مثل هذا السؤال لظهور امره ولعله فهم من السائل انه متردد في حكمه ولذا لما سئل مالك عن الاستواء قال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولاشك ان المبتدع يزجر فتدبر والقائل به لعله كان غائبا اوميتا فلهذا لم يتعرض الامام لتعزيره في ذلك المقام واما القول بانا لا نكفر احدا من اهل القبلة فليس على اطلاقه بل فيه تفصيل مقرر كما بينته في شرح الفقه الاكبر (فان) وفي نسخة وان (اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه) اي بانه (اختلقه) اي اخترعه من عنده وافتراه من نفسه (ونسبه الى غيره او كانت تلك) المسئلة (عادة له) يسئلها دائما ويظهرها دائبا (اوظهر استحسانه) وفي نسخة اظهر استحسانه (لذلك) السؤال او المقال (او كان مولعا) بفتح اللام اي مكثرا (بمثله والاستخفاف له) اي الاستهجان بذكره وعدم المبالاة بنقله واغرب الدلجي حيث فسر الاستخفاف بسرعة التوجه (او التحفظ لمثله) اي طلب حفظ امثاله مما يتحير العامة في اشكاله (وطلبه) اي وطلب امثاله ليضمه الى نقله (ورواية اشعار هجوه عليه الصلوة والسلام وسبه) في نثر الكلام (فحكم هذا حكم الساب نفسه) اي بعينه (يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبة الى غيره) وان حكاه عن غيره فان الامارات المتقدمة قرائن حالية اومقالية على كفره فان الاناء يترشح بما فيه وقد قال تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقال ان في ذلك لايات للمتوسمين اي المتفرسين وقد ورد اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل رواه البخاري في تاريخه والترمذي في جامعه عن ابي سعيد الخدري (فيبادر بقتله

ويجعل) بتشديد الجيم اى ويسارع به (الى الهاوية امه) بالجر بدلا [illegible] هواه ومصيره مكان الام ماوى الولد ومفزعه ايماء الى قوله تعالى فامه [illegible] الحامية) وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام) بتشديد اللام (فمن حفظ شطر [illegible] لبعضه فاندفع به قول التلمسانى كان احسن منه لو قال كلمة اوشطر كلمة (مما هو [illegible] عليه وسلم فهو كفر) اى اذا قصد حفظه او اراد نشره (وقد ذكر بعض من الف) [illegible] يعنى التصليف قال التلمسانى وفى بعض النسخ بلا مين ولا ادرى ما وجهه [illegible] المؤلف قلت ووجهه انه اتصل الالف باللام فلم ينقل من التأليف الى التصحيف والتحريف قال الانطاكى ولعل بعض من الف هذا هو ابن حزم والله تعالى اعلم هذا وقيل الانسان فى فسحة من عقله وفى سلامة من افواه الناس فى فعله ما لم يضع كتابا اولم يقل شعرا من قوله وقيل من وضع كتابا فقد استسرف للمدح والذم لابناء آدم فان احسن فقد استهدف للحسد والغيبة وان اساء فقد تعرض للشتم والمذمة وهو معنى قولهم من صنف قد استهدف وقيل من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرض على الناس نقله ومنه قول الشاعر

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تبالغ بعد فى تهذيبها

فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوس تهذى بها

[illegible] كتابه كما اشار اليه بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واما هذا الكتاب فلكونه من عند الله ما وجدوا فيه اختلافا يسيرا وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان كل احد يقبل قوله ويرد الا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه معصوم على الوجه الاتم (اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من نظمه ونثره (وكتابه) اى وكتابته كما فى نسخة (وقراءته) اى ولو من غير روايته (وتركه متى وجد دون محوه) ولو من كتاب غيره وحصول ضرره فانه ينفعه من جهة دينه (ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين) اى المحترسين (لدينهم) المحتاطين فى امر يقبتهم وتصحف المتحرزين بالمتجردين فى اصل الدلجى (فقد اسقطوا) ولذلك تركوا (من احاديث المغازى والسير) كثيرا من الخبر والاثر (ما كان هذا سبيله) من هجوه فى شعر او غيره (وتركوا روايته) ولو جوز حكايته (الا اشياء ذكروها يسيرة) اى قليلة (وغير مستبشعة) بفتح الشين اى غير مكروهة وفى نسخة وغير مستشنعة اى غير مستقبحة (على نحو هذه الوجوه الاول) بضم الهمزة وتخفيف الواو جمع الاولى اى الوجوه السابقة من الوجوب والندب والتحريم والكراهة (ليروا) اى الناس ويعتبروا ويجوز ان يكون بضم الياء والراء اى ليظهروا (نقمة الله) اى عقوبته (من قائلها واخذه المفترى عليه) اى بطشه (بذنبه) ولو من ناقلها وفى اصل الدلجى واخذه بالضمير اى ليروا اخذه سبحانه وتعالى (وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام) بتشديد اللام (قد تحرى) اى اجتهد واحتاط (فيما اضطر) اى الجئ واحتيج (الى الاستشهاد به) من الدلائل فى اثبات بعض المسائل توضيحا لوسائل فى معرفة كل طالب وسائل (من اهاجى اشعار العرب) على شعار ارباب الادب (فى كتبه) متعلق بتحرى (فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه) ولم يصرح به تفاديا عن ذكر ذمه (استبراء لدينه) اى استبقاء لامر يقينه (وتحفظا من المشاركة فى ذم احد) من المسلمين (بروايته او بنشره) بحكايته (فكيف بما يتطرق) اى يتوصل به الحاكى له (الى عرض سيد البشر) اى بنى آدم بل سيد العالم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى اعلم ان هذا التحرى انما يظهر فى الهاجى المسلم لمثله واما ان كانا كافرين او المهجو كافرا فذكر هجاويه اعظم نكاية فيستحب رواية وحكاية ولو كان الهاجى كافرا ومسلما والمهجو مسلما فالاولى ان لا يذكره او يغيره كما فعل ابن هشام فى سيرته مما يدل على حسن سريرته ومن هذا قول ابى الاسود الدؤلى

جزى ربه عنى عدى بن حاتم * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ابدله بعض الائمة بقوله * جزاء الرجال الصالحين وقد فعل وذلك لان عدى بن حاتم الطائى من اكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين

فصل

(الوجه السابع ان يذكر ما يجوز) اى اطلاقه (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او يختلف) بصيغة المجهول (فى جوازه عليه وما يطرأ) اى يحدث ويعرض عليه (من الامور البشرية) والاحوال الطبيعية (به) اى فيه (ويمكن اضافتها اليه او يذكر) اى احد (ما امتحن به) اى ابتلى عليه الصلوة والسلام (وصبر فى ذات الله تعالى على شدته) اى قوة بلائه (من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته) اى فى افعاله واقواله (وما لقيه من بؤس زمنه) بضم موحدة فهمز ساكن ويبدل اى شدة فى وقته (ومر عليه من معاناة عيشته) اى مقاساة فى امر معيشته (كل ذلك

على طريق الرواية) وسبيل الحكاية (ومذاكرة العلم) لتحصيل الدراية (ومعرفة ما صحت منه العصمة لانبيائه
اى عموما (وما يجوز عليهم) من بين سائر البشر خصوصا (فهذا) اى ما ذكرنا (فن) اى نوع (خارج عن هذه
الفنون الستة) المذكورة فى الفصول السابقة (اذ ليس فيه) اى فى هذا الفن (غمص) بفتح معجمة وسكون ميم
فمهملة اى عيب (ولا نقص ولا ازراء) اى استحقار (ولا استخفاف) اى استهزاء (لا فى ظاهر اللفظ) من جهة
مبناه (ولا فى مقصد اللافظ) من جهة معناه (لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم) اليقين (وفهماء
طلبة الدين) بضم الفاء وفتح الهاء جمع فهيم اوفهم وهو الفطن الذكى (ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده)
افرد وجمع باعتبار لفظ من ومعناه (ويجنب) بتشديد النون المفتوحة اى يصان عن (ذلك) الكلام (من عساه
لا يفقه) وروى لا يتفقه وروى لا يفهمه (او يخشى به) وروى فيه اى يخاف عليه (فتنته) اى وقوعه فى فتنة
(فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص) كيد النساء بسبب الابتلاء
(لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن) فى اصل فطرتهن (فقد قال عليه الصلوة والسلام مخبرا عن نفسه)
ما وقع له فى سابق الايام (باستئجاره) قال الدلجى لقريش واقول لعله لبعض اهله ان صح الاستئجار فى فعله كما
وقع لموسى عليه السلام (لرعاية الغنم فى ابتداء حاله وقال) كما رواه الشيخان عن جابر والبخارى عن ابى هريرة
رضى الله عنه (ما من نبى الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام) وقد ورد عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم ان موسى قضى اقصى الاجلين وهو العشر هذا وقال الحلبى اعلم ان فى الحديث الصحيح كنت ارعاها على
قراريط لاهل مكة وفى سنن ابن ماجه هذا الحديث وفى آخره قال سويد بن سعيد وهو راوى الحديث كل شاة بقيراط
انتهى والقيراط جزء من اجزاء الدينار وهو نصف عشره فى اكثر البلاد واهل الشام يجعلونه جزأ من اربعة
وعشرين جزأ والياء فيه بدل من الراء فان اصله قراط هذا لفظ النهاية وهو الصحاح القيراط نصف دانق وهو سدس
درهم وقد رأيت فى حاشية على سنن ابن ماجه اصلنا وهو اصل صحيح معتمد قال محمد بن ناصر اخطأ سويد فى تفسيره
القيراط بالذهب والفضة اذ لم يرع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد باجرة قط وانما كان يرعى غنم اهله والصحيح
ما فسره به ابراهيم بن اسحق الحربى الامام فى الحديث واللغة وغيرهما ان قراريط اسم مكان فى نواحى مكة وكان ذلك
منه وسنه نحو العشرين فيما استقرى من كلام ابن اسحق والواقدى وغيرهما انتهى وهذا يرد ما قاله القاضى وكذا
ما بوب عليه البخارى فى صحيحه فى كتاب الاجارة باب رعى الغنم على قراريط انتهى وفى القاموس القيراط يختلف وزنه
بحسب البلاد فبمكة ربع سدس دينار و بالعراق نصف عشره (فهذا) اى رعى [illegible] (لا غضاضة فيه)
اى لا منقصة (جملة واحدة) اى من حيث هو لانه من جملة كسب المال على وجه الحلال (بخلاف من قصد به
الغضاضة) اى النقص (والتحقير بل كانت) اى الرعاية بالاجرة وغيرها (عادة جميع العرب) اى طوائفهم وقبائلهم
ومثل هذا يختلف باختلاف العرف فى الزمان والمكان بل كان عادة غير العرب ايضا كما يستفاد من قصة موسى
وشعيب عليهما السلام فانهما من بنى اسرائيل وهم الاعجام فان قيل فهل لرعى الانبياء للغنم من فائدة فيقال (نعم
فى ذلك) اى رعى الغنم (للانبياء حكمة بالغة) لا يدركها الا الاصفياء (وتدريج لله) وفى نسخة وتدريج الله تعالى
(لهم الى كرامته وتدريب) اى تعويد (برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة) بالنبوة والرسالة
والامامة والامارة (فى الازل ومتقدم العلم) بكسر الدال اى سابقه الذى ظهر فى القلم الاول (وكذلك قد ذكر الله يتمه)
لموت ابيه جنينا قد دانت عليه ستة اشهر فكفله جده عبد المطلب ثم عمه ابو طالب اذ كان شقيق ابيه فاحسن التربية فيه
قال تعالى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا اى جاهلا بتفصيل الايمان فهدى ووجدك عائلا فقيرا فاغنى وهذا معنى
قول المصنف (وعيلته) اى وذكر الله فقره وحاجته (على طريق المنة عليه) بايوائه واغنائه (والتعريف بكرامته له)
اى بهدايته وهداية غيره بنور رسالته (فذكر الذاكر) اى المخبر (لها) اى لحالته من يتمه وعيلته (على وجه تعريف
حاله) المتضمن لكرامته (والخبر عن مبدأه) اى ابتداء امره وظهور قدره (والتعجب من منح الله) بكسر الميم وفتح النون
جمع منحة اى نعمه (قبله) بقاف مكسورة فموحدة مفتوحة اى فى جهته (وعظيم منته) وفى نسخة بنونين وفى نسخة
من الله (عنده ليس فيه) على ما ذكر به (غضاضة) اى ما يؤدى الى منقصته (بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته)
لجميع امته (اذ اظهره الله تعالى بعد هذا) اى اطلعه وغلبه وعلاه (على صناديد العرب) اى اكابرهم (ومن ناواه)
مفاعلة من النوء وهو النهوض فاصله الهمز وابدل اى عاداه (من اشرافهم شيئا فشيئا) اى سنة فسنة ساعة فساعة
وفى اصل التلمسانى فيما فشا من الفشو وهو الكثرة والظهور والنمو وما موصول له واقعة على الخبر وفى بمعنى على اى
على ما فشا وشاع وذاع من الخبر اى ان امره فى ذلك ليس بخفى بل هو ظاهر جلى اوفى على اصلها اى فى فاشى الخبر

وظاهر الاثر (ونمى) بتشديد الميم اى زكى (امره) وعلى قدره وفى نسخة بتخفيف الميم (حتى قهرهم) اى غلبهم فنهاهم وامرهم كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم فتح مكة من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن دخل داره واغلق بابه فهو آمن وقال للاسير ما تظنون ما كنتم تقولون فى انى فاعل بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء (وتمكن من ملك مقاليدهم) جمع مقلاد بمعنى المفتاح اى مما ملكوه من البلاد واستولوا عليه بالانقياد او بمعنى الخزانة اى مما خزنوه وجعلوه ذخيرة للنوائب واعدوه عدة للمصائب فقد ملكه النبى عليه الصلوة والسلام وحواه (واستباحة ممالك كثير من الامم) اى محال ملكهم ومواضع ملكهم وفى اصل التلمسانى مماليك بالياء فهو جمع مملوك (غيرهم) اى غير صناديد العرب ونحوهم (باظهار الله تعالى له) اى باعلاء كلمته فى الدين (وتأييده) اى تقويته (بنصره) اى با عانته من عنده (وبالمؤمنين) اى وبجعلهم اسبابا لنصره (والف بين قلوبهم) حتى صاروا اخوانا مسلمين وهذا كله مقتبس من قوله سبحانه وتعالى هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ومن قوله عز وعلا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا (وامداده بالملائكة المسومين) بكسر الواو وفتحها كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين اى معلمين بسيما خاصة اى علامة مختصة وهى اما بالملائكة وهى عمائم صفر وقيل كانت عمائم الملائكة يومئذ بيضا وعمامة جبريل صفراء وروى انه عليه الصلوة والسلام قال لاصحابه الكرام يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم واما بخيولهم فانهم كانوا على خيل بلق مجزوزة الاذان والاعراف معلمة النواصى والاذناب بالصوف والعهن والمعنى اعلموا خيلهم واعلموا انفسهم (ولوكان) اى محمد (ابن ملك) بكسر اللام (اوذا اشياع) اى صاحب اتباع (متقدمين) عليه فى الزمان (لحسب كثير من الجهال ان ذلك) اى ماذكر (موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويجوز اسكان ثانيه وكسر ثالثه وهو منصرف والمراد به عظيم الروم (حين سئل اباسفيان) اى ابن حرب وهو بايليا (عنه) اى عن احوال النبى عليه الصلوة والسلام كما رواه البخارى (هل فى آبائه من ملك) بكسر الميم على انها جارة الا انها زائدة لابيانية ولاتبعيضية كما ذكره التلمسانى اى من سلطان وروى من ملك بالفتح فيهما فمن موصولة لاشرطية كما وهم التلمسانى (فقال) اى ابوسفيان (لاثم قال) اى هرقل (ولوكان فى آبائه ملك) اى احد من الملوك (لقلنا) فى حقه هذا (رجل يطلب ملك ابيه واذ) الظاهر انها ظرفية والاولى ان تكون تعليلية اى ولان (اليتم) وفى نسخة وان اليتم وهو بضم اوله واصله الانفراد ومنه الدر اليتيم لما لانظير له فى مقام التقويم ثم استعمل فى فقد الاب قبل بلوغ ولده (من صفته واحدى علاماته فى الكتب المتقدمة) كالتوراة والانجيل (واخبار الامم السالفة) باللام والفاء اى السابقة الماضية (وكذا) اى نعت اليتم (وقع ذكره فى كتاب ارميا) بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الميم فتحتية فالف مقصورة وروى ممدودة قال التلمسانى وهو ابن حلقيا وقال الدلجى كانه من انبياء بنى اسرائيل وفى القاموس ارميا بالكسر نبى (وبهذا) اى نعت اليتم (وصفه ابن ذى يزن) بفتح الياء والزاى غير منصرف واسمه سيف وهو ملك اليمن (لعبد المطلب) على ما تقدم من انه يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه (وبحيرا) بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون التحتية فراء بعدها الف مقصورة اوممدودة وهو الراهب الذى ابصره بارض الشام وقد عد من الصحابة عند بعض الاعلام والمقصد انه ايضا كذا ذكره (لابى طالب) فى ذلك المقام فروى انه نزل من صومعته واخذ بيده عليه الصلوة والسلام وذلك حين خرج مع عمه ابى طالب الى الشام فقال لعمه ماهذا الغلام منك فقال ابنى فقال بحيرا ماهو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخى قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت وتقدمت هذه القصة فى فصل دلائل النبوة (وكذلك اذا وصف بانه امى كما وصفه الله به) بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى وقوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى (فهى) اى صفة الامية (مدحة له) بكسر الميم اى منقبة له وان كانت منقصة لغيره (فضيلة ثابتة فيه) اى فى حقه بخصوصه (وقاعدة معجزته) اى اساس كرامته فى خرق عادته الدالة على تحقق رسالته (اذ معجزته العظمى) بضم العين اى العظيمة فى الغاية (من القرآن العظيم انما هى متعلقة بطريق المعارف) اى العلوم الجزئية (والعلوم) الكلية من الاخبار السابقة والآثار اللاحقة والاصول الدينية والفروع الشرعية والاحكام والحدود فى السياسات العرفية مع قطع النظر عن جمال بلاغته وكمال فصاحته (مع ما منح) اى اعطى (صلى الله تعالى عليه وسلم) من الفضائل وحسن الشمائل هنالك (وفضل) بصيغة المفعول مشددا او مخففا اى وميز (به) عن غيره (من ذلك) اى من اجل كمالات ذاته وكمالات صفاته (كما قدمناه من القسم الاول) وفى نسخة فى القسم الاول اى من الباب الرابع (ووجود مثل ذلك) الكتاب الجامع

للابواب كما قال فى مدحه بعض اولى الالباب

﴿جميع العلم فى القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال﴾

والمعنى ان ظهوره (من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس) الممارس (ولا لقن) فى المدارس (مقتضى العجب) فى عالم الكفر (ومنتهى العبر ومعجزة البشر ولبس) اى فيه كما فى نسخة (ذلك) الوصف بالامى (نقيصة اذا المطلوب) بالذات (من الكتابة والقرأة المعرفة وانما هى) اى القرأة ونحوها (آلة لها) اى للمعرفة (وواسطة موصلة اليها غير مرادة فى نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب) كان الانسب ان يقال المطلب ليكون مسجعا مع قوله (استغنى عن الواسطة) كالشجرة (والسبب والامية فى غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة) اى ومقدمة الضلالة والعنوان بضم اوله و يكسر ما يكتب على ظاهر الكتب ليعلم مجمل ما فى باطنها و بهذا يعرف ان كشف العوارف وظهور المعارف فى بعض الاميين من هذه الامة يكون من جملة الكرامة كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمناه من لدنا علما فان العلم اللدنى فى العرف اللغوى ما يحصل للامى من غير كسب ظاهر فى الآدمى (فسبحان من باين امره) اى غاير امر النبى (من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه) اى محل خفض قدر غيره (وجعل حياته فيما فيه هلاك من عداه) اى من سواه من ارباب الارواح واصحاب الاشباح (وهذا شق قلبه) اى صدره مرة بعد مرة فى حقه (واخراج حشوته) بضم الحاء المهملة وتكسر وسكون الشين المعجمة واصله ما فى جوف الشئ مما هو محشو به كالامعاء والكرش وسائر الاشياء والمراد بها هنا علقة سوداء كما رواه البخارى كانت حظا للشيطان وتعلقاته بها فى مقام وسوسة الانسان فان شقه واخراجها (كان تمام حياته) ونظام صفاته (وغاية قوة نفسه) ونهاية قوة انسه (وثبات روعه) بضم الراء اى قلبه جنان خوفه وروعه ولله در من قال

﴿اقتلونى يا ثقاتى * ان فى موتى حياتى﴾

ولبعض ارباب الحال موتوا قبل ان تموتوا (وهو) على ما فى نسخة اى شقه واخراجها (فيمن سواه منتهى هلاكه) اى غاية اسباب هلاكه (وحتم موته) بالحاء المهملة اى وجوب وقوعه (وفنائه) والمعنى انه نهاية علة موته وافنائه (وهلم جرا) اى وهكذا الامر مستمرا (الى سائر ما روى من اخباره وسيره) المؤذنة بآثاره واسراره (وما أثره) اى مفاخره و مكارمه التى تؤثر عنه (وتقلله) اى طلب قلته وروى تبلغه اى طلب بلاغه وزاده الى معاده (من الدنيا) زهدا فيها لا اضطرارا عنها (ومن الملبس) الناعم (والمطعم) اللذيذ (والمركب) المزين (وتواضعه) مع الخلق مع كمال ترفعه عند الحق عملا بقوله من تواضع لله رفعه الله رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ومهنته) بفتح الميم وتكسر على ما ذكره التلمسانى وابو زيد فلان يلتفت الى نفى الاصمعى والزمخشرى فان من حفظ حجة على من لم يحفظ اى خدمته (نفسه فى اموره) المحتاج اليها (وخدمة بيته) تهوينا على اهله وخدمه (زهدا) فى الملك والملك والجاه المعد للهلاك وقد سئل الزهرى عن الزهد وقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (ورغبة عن الدنيا) اى اعراضا عنها لسرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها وقد ورد لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء رواه الترمذى عن سهل بن سعد (وتسوية بين حقيرها وخطيرها) اى عظيمها من قليلها وكثيرها (لسرعة فناء امورها) و بقاء شرورها (وتقلب احوالها) وتغير ارباب اموالها ولنعم المقول

﴿فلا تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى اثوابها الغول﴾

(كل هذا) الذى ذكرناه (من فضائله) اى بعض شمائله (ومآثره) اى مكارمه التى تؤثر وتروى من مفاخره (وشرفه) اى طرفه وتحفه (كما ذكرناه) فيما سبق من محله و بمجمل الكلام ما ورد عنه عليه الصلوة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (فمن اورد منها شيئا مورده) اى ذكره فى محله اللائق به (وقصد به مقصده) من تعظيم قدره وتبجيل امره (كان حسنا) اى مستحسنا عند الله وخلقه (ومن اورد ذلك على غير وجهه) بتساهل فى حقه (وقد علم منه) اى من ايراده ذلك (سوء قصده) من تنقص به (لحق بالفصول السنة التى قدمناها) فيقتل او يعزر او يحبس كما قدرناها (وكذلك ما ورد من اخباره) من افعاله واقواله وآثاره (واخبار سائر الانبياء عليهم السلام فى احاديث) وفى نسخة فى الاحاديث (مما فى ظاهره اشكال) كحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات (يقتضى امورا لا تليق بهم بحال) من احوالهم (ويحتاج الى تأويل) يصرفها الى تحسين مقالهم (وتردد احتمال) من نقصان فى جمال كمالهم (فلا يجب) اى فلا ينبغى (ان يتحدث منها) بل يجب ان يسكت عنها ولا يؤتى بشئ منها (الا بالصحيح) الثابت فيها (ولا يروى منها الا المعلوم) فى الرواية (الثابت) فى الدراية (ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة

التشبيه) المحتاجة الى التأويل المقتضي للتنزيه (والمشكلة المعنى) المبنية على استعارة في المبنى كحديث البخاري وغيره ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول هل من داع فاستجيب له هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فاغفرله فان نزوله سبحانه وتعالى كناية عن تنزلات رحمته وموجبات اجابة دعوته واسباب مغفرته او يقال انه سبحانه وتعالى له نزول يليق بشانه مع اعتقاد التنزيه له عن انتقال وتغير ووجود مكان يحيط به في ذاته وكذا الحكم في الآيات المتشابهات وسائر الاحاديث المشكلات فالسلف والخلف مذهبان فالقدماء يذهبون على التسليم والتوكيل ومنهم ابو حنيفة ومالك واحمد بن حنبل والمتأخرون على التأويل والكل قائلون بالتنزيه ومانعون عن التشبيه و بالغ الامام مالك حتى منع السؤال عن ذلك كما صرح به في قوله المجيب عن سؤاله الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (وقال) اي مالك (مايدعوالناس) اى اى شيء يلجيء العامة ويسوقهم (الى التحدث بمثل هذا) كحديث خلق الله آدم على صورته وكحديث اذا كان احدكم يصلي فلا يبصقن قبل وجهه فان الله بينه و بين القبلة (فقيل له ان ابن عجلان) بفتح اوله (يحدث بها فقال لم يكن) اى ابن عجلان (من الفقهاء) مع انه كان شيخ مالك ومن اعلام التابعين بالمدينة وروى عن ابيه وانس بن مالك وغيرهما وعنه شعبة ويحيى بن سعيد القطان ونحوهما وثقه احمد وابن معين وقال غيرهما سيء الحفظ روى انه حملت به امه ثلاثة اعوام فشق بطنها لما ماتت فاخرج وقد نبتت اسنانه وفي الميزان للذهبي قال عبد الرحمن بن القاسم قيل لمالك ان ناسا من اهل العلم يحدثون قال منهم فقيل له ابن عجلان فقال لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الاشياء ولم يكن عالما قال الذهبي قلت قال مالك هذا لما بلغه ان ابن عجلان حدث بحديث خلق الله آدم على صورته ولابن عجلان فيه متابعون وخرج في الصحيح انتهى فمعناه لم يكن يفقه ماينشأ عن هذا من الفساد للعباد والخوض في الباطل لاهل الفساد اولم يكن من الفقهاء الذين يتأولون الاخبار بل ممن يبقى على ظاهره ماورد من الآثار والحاصل انه كره التحديث مالك بامثال ذلك في مجالس العامة لا التحديث المطلق المترتب عليه كتم العلم بالخاصة كما بسطنا هذه القضية في الخطبة قال القاضي المؤلف (وليت الناس وافقوه) اى مالكا (على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها) اى عاونوه على طي ذكرها في مجلس العامة (فا كثرها ليس تحته عمل) يحتاج اليه جمهور الخلق وحمله الدلجي على كراهة مطلق التحديث بها رواية وكتابة فقال هذه دعوى بلا بينة ومن ثم لم يوافقه احد على كراهة التحديث بها اذ لم يقله عليه الصلوة والسلام لاصحابه عبثا ولا اخبر به عن ربه ليترك سدى مع انه يلزم من كراهة التحديث بها كراهة تعليم الناس متشابه القرآن والتلاوة مع امره عليه الصلوة والسلام بقوله بلغوا عني ولو آية وانما ورد في الكتاب والسنة بعض المتشابهات ابتلاء للراسخين في العلم على قدم الثبات قلت اختار مالك سد باب الذريعة للمهالك العامة في ذلك كما وقع لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه مع ابي هريرة حيث امره صلى الله تعالى عليه وسلم بان يروى عنه عليه الصلوة والسلام ان من يشهد ان لا اله الا الله حرمه الله على النار ومنعه عمر لئلا يتكل الناس و يتركوا عمل الابرار بسماع هذه الاخبار ووافقه سيد الاخيار وقال دعهم يعملوا هذا ولم يرد عن احد من الائمة جواز رواية مثل هذه الاحاديث في مجالس الجهلاء والسفهاء فلم يخالف مالك في هذه المسئلة احد امن العلماء بل ثبت عنهم منع العامة عن علم الكلام ودقائق الصوفية الكرام خوفا عليهم من تزلزل عقائدهم وعدم الانتفاع بفوائدهم (وقد حكي) بصيغة المجهول اى روى مثل ذلك (عن جماعة من السلف بل عنهم) اى عن السلف (على الجملة) اى من حيث مجموعهم لا جميعهم (انهم كانوا يكرهون الكلام) اى مع العوام (فيما ليس تحته عمل) من الاحكام مما يؤخذ منه حكم شرعي ينتفع به الانام (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوردها) اى احاديثه (على قوم عرب) في كمال ادب (يفهمون كلام العرب على وجهه) بدون صرفه عن ظاهر عبارته الالموجب يدعو اليه من حمله على اشارته (وتصرفاتهم في حقيقته) باستعمال اللفظ فيما وضع له بحسب اصله (ومجازه) باستعماله في غير ما وضع له بقرينة عقلية او حالية (واستعارته) باستعارة حرف كما في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اى عليها او فعل كما في ولما سكت عن موسى الغضب اى سكن وذهب (و بليغه) اى و بلاغته مما يطابق مقتضى الحال من فصاحته (وايجازه) الجامع لقلة مبانيه وكثرة معانيه (فلم تكن في حقهم مشكلة) اى لم توجد في الاحاديث بالنسبة اليهم كلمة مشكلة وجملة معضلة اولم تكن هذه الاشياء المتقدمة في حقهم مشكلة موهمة لمعرفتهم باساليب كلامهم وقوة ادراكهم وسرعة افهامهم وفق مرامهم وهذا كله ببركة مجالسة نبي الامة وكاشف الغمة (ثم جاء من غلبت عليه العجمة) بضم اوله اى اللكنة العجمية (وداخلته الامية) اى النسبة الجهولية والحالة الطفولية (فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب) في مراصد الادب (الانصها) اى ظاهرها الاتلويحها (وصريحها) وفي نسخة تعبيريحها (ولا يتحقق باشاراتها) وفي نسخة اشاراتها (الى غرض الايجاز) اى الاقتصار والاختصار ميلا

الى الاطناب فى عباراتها (ووحيها) اى خفى كلامها (وتبليغها) وفى نسخة صحيحة و بليغها وهو الابلغ اى الاقوال المتضمنة لبلاغتها (وتلويحها) اى اشارتها الى تحسين عبارتها بحسب فصاحتها (فتفرقوا) اى من غلبت عليه العجمة حقيقة او طبيعة (فى تأويلها) اى الاحاديث الموهمة للشبهات المشكلة (اوحملها على ظاهرها) من غير تنزيه فى باطنها (شذر مذر) بفتح اولهما وكسره فيهما اسمان جعلا اسما واحدا للتأكيد فبنيا على الفتح كخمسة عشر ومحلهما نصب على الحال اى تفرقوا فى كل وجه بحيث لا يرجى اجتماعهم بوجه ولا يقال فى الاقبال وهذا فى الامثال مثل قولهم تفرقوا ايدى سبا وتمزقوا كل ممزق (فمنهم من آمن) حق ايمانه من التنزيه (ومنهم من كفر) بحمله على التشبيه وهذا كله فى الاحاديث الصحيحة والروايات الصريحة كحديث ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب رجل واحد يصرفه كيف يشاء رواه احمد ومسلم عن عمرو (فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث) الذى اشتهرت على السنة العوام او ذكرت فى كتب بعض العلماء الاعلام (فواجب ان لا يذكر منها شئ) لاسيما الوارد منها (فى حق الله تعالى ولا فى حق انبيائه عليهم السلام ولا يتحدث بها) اى بالفاظها ومعانيها (ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها) اى حذفها وعدم ذكرها (وترك الشغل) وروى الاشتغال (بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المقاد) بفتح الميم والقاف اى ضعيفة الرجال (واهية الاسناد) فى المقال (وقد انكر الاشياخ) جمع الشيوخ من العلماء على ابى بكر ابن فورك) بضم الفاء وفتح الراء غير منصرف للعجمة والعلمية وقد يصرف لعدم ثبوت العجمة (تكلفه فى مشكله) كانه اسم كتابه (الكلام) بالنصب على انه مفعول تكلفه وفى اصل الدلجى فى مشكل الكلام (على احاديث ضعيفة) اسنادا ومتنا (موضوعة لا اصل لها) لا موقوفة ولا مرفوعة وكان الاولى ان يقال ضعيفة او موضوعة للفرق بينهما عند ارباب الاصول فان الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا (او منقولة عن اهل الكتاب) من اليهود والنصارى وغيرهم (الذين يلبسون الحق بالباطل) كما اخبر الله به عنهم (كان) وفى نسخة وكان اى ابن فورك (يكفيه) اى ابن فورك (طرحها) اى نبذها وراء ظهره بعدم التفات الى ذكرها (و يغنيه عن الكلام عليها) من جهة معانيها (التنبيه على ضعفها) ووضعها ليجتنب عن التعلق بها (اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس) اى الخلط المكائن (بها واجتثاثها) مبتدأ اى اقتطاعها (من اصلها وطرحها) وتركها فى فصلها (اكشف) اى ابين (للبس واشفى للنفس) وفيه بحث اذ الحكم على الحديث بانه ضعيف او موضوع ليس بمقطوع لاختلاف المحدثين فى رجال الاسناد بحيث لم يبق الاعتماد اذ قل حديث صحيح لم يقل بضعفه وعلته وقل حديث ضعيف بل موضوع لم يقل بصحته او بثبوته فكانه رحمه الله اى بالتأويل فى معناه على تقدير صحة مبناه ليزول الاشكال على جميع الاحتمال من الاحوال والله تعالى اعلم بمقاصد الرجال

﴿فصل﴾

(ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما لا يجوز) اى اطلاقه عليه (والذاكر من حالاته) اى صفاته ومقالاته (ما قدمناه فى الفصل قبل هذا) الفصل (على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم) اى المتكلم فى كلامه عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر تلك الاحوال (الواجب) بالنصب على المفعولية من الضمير المستكن فى يلتزم وتقدير الكلام و مما يجب على المتكلم فى كذا وكذا ان يلتزم فى كلامه الواجب ومن فى قوله (من توقيره وتعظيمه) للبيان وفى بعض النسخ الواجبة بالتاء ابقاعا لها صفة الاحوال وخطأه ظاهر الا ان يتكلف و يأول بالثابتة فى الفصول الستة (و يراقب) اى وان يراعى (حال لسانه) بعظيم شانه (ولا يهمله) اى يتركه ولا يرسله من غير يسانه (و يظهر عليه) اى على المتكلم (علامات الادب عند ذكره) خوفا من الريب ونظيره ما قاله القراء ان الواجب على القارئ اذا قرأ آية فيها فعل الكفر كقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ان يخفض صوته عند المقول وان يخضع فى مقام الخوف والنزول و يتذكر قوله تعالى لعيسى عليه السلام فى المجمع العام ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فان مقتضى العقل الباهر والدين الظاهر انه سبحانه وتعالى لولا انه ذكره فى كتابه وقرره فى خطابه لكان واجبا ان لا يتحدث احد عنهم بهذا الكلام تعظيما للملك العلام وتأمل قول ابن دينار لولا ان الله انزل فى الفاتحة اياك نعبد واياك نستعين واوجب علينا قراءته لما تلفظت بهذه الجملة لعدم اتصافى بهذه الخصلة (فاذا ذكر المتكلم (ما قاساه) اى كابده عليه الصلوة والسلام (من الشدائد) من جهة الخلق (ظهر عليه الاشفاق) اى الشفقة والرجة (والارتماض) بالضاد المعجمة اى شدة الاحتراق واصله القلق والشدة وهو من الرمض شدة الحر او شدة الغيظ ومعناه انه يتوقد له و يتغيظ به و يود لو كان فى ذلك الوقت لاوقع بعامل ذلك ما قدر من آثار المقت وهذا معنى قوله (والغيظ على عدوه) والغيظ بالظاء المعجمة الغضب او شدته او اوله وسورته واغرب التلمسانى بقوله والغيظ بالظاء

والضاد وهي لغة (ومودة الفداء) وهو بكسر الفاء ممدودا ومقصورا وبفتحها مقصورا اى و يحب ان يفدى بوجه وابيه وامه (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما اصابه (لوقدر عليه) اى على الفداء (والنصرة له لو امكنته) لديه واطهره في قرأة القرآن اذا قرأ آية الرحمة ينبسط و يطلبها واذا قرأ آية العقوبة ينقبض و يستعيذ منها (واذا اخذ في ابواب العصمة) وفي نسخة العظيمة والظاهر انه تصحيف وتحريف والمعنى اذا شرع المتكلم في ابواب حفظ الله اياه في احواله (وتكلم في مجارى اعماله واقواله عليه الصلوة والسلام تحرى) بالحاء المهملة والراء المشددة اى اجتهد في تأديته و يطلب و يقصد (احسن اللفظ وآدب العبارة) بهمزة ممدودة اى اولاها (ما امكنه) اى قدر ما قدر عليه (واجتنب بشيع ذلك) كريهه (وهجر) اى ترك (من العبارة ما يقبح) ظاهره (كلفظة الجهل والكذب والمعصية) والمعنى لاينسب شيئا منهما وامثالها اليه والى غيره من الانبياء عليهم السلام ولايستند الى ماورد في حقهم من قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي جاهلا بتفاصيل الايمان كما ينبئ عنه قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ومن قوله عليه الصلوة والسلام لم يكذب ابراهيم الاثلاث كذبات ومفهومه انه كذب ومن قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فان لله ورسوله ان يعبرا بما شاآ في حق من شاآ (فاذا تكلم) اى المتكلم (في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار) بكسر الهمزة لايقول ايجوز عليه الكذب في قول اوخبر (بخلاف ما وقع سهوا) في لسانه (اوغلطا) في بيانه (ونحوه من العبارات) كالنسيان في سانه فانه لالوم عليه ولااعتراض لديه لحديث رفع عن امتي الخطأ والنسيان (و يجتنب لفظة الكذب) اى اطلاقها عليه (جملة واحدة) اى بالكلية (واذا تكلم على العلم) اى علمه عليه الصلوة والسلام (قال هل يجوز ان لايعلم الا ما علم) كما يشير اليه قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم (وهل يمكن ان لايكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه) لقوله تعالى ولايحيطون به علما اى بذاته وقوله تعالى قل الروح من امر ربي وقوله قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وفي الحديث مفاتيح الغيب خمس لايعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة الآية وفي حديث جبريل ما المسؤل عنها باعلم من السائل وقد قال تعالى ان الساعة آتية اكاد اخفيها اى عن نفسي لوكان امكن فضلا عن غيرى والحاصل ان الانبياء لم يعلموا المغيبات من الاشياء الا ما اعلمهم الله تعالى احيانا وقد صرح علماؤنا الحنفية بتكفير من اعتقد ان النبي يعلم الغيب لمعارضة قوله تعالى قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله كذا في المسايرة للامام ابن الهمام (ولايقول يجهل) النبي (لقبح اللفظ و بشاعته) بل يقول لايدرى مثلا وقت مجيء الساعة فان حسن العبارة معتبر عند ارباب الاشارة كما حكى انه كان معبران لبعض الامراء وجعل وظيفة احدهما الفا والآخر نصفه وعجز ندماؤه وجلساؤه عن وجه الفرق بينهما لاتحادهما في مراتب العلم والصلاح والادب فسألوه عن ذلك وعن تمييزهما بما هنالك فقال رأيت في النوم ان اسناني سقطت فصاحب الالف عبر بانك تعيش بعد اقوامك كلهم وعبر الآخر بانهم يموتون قدامك جميعهم فانظروا الفرق بين العبارتين مع ان مؤداهما واحد في الاشارتين (واذا تكلم) المتكلم (في الافعال) الصادرة عنه عليه الصلوة والسلام (قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي) ولايعبر عنهما بالكبائر والمعاصي (ومواقعة الصغائر) بل الاولى ان يعبر عنها بالزلات والمكروهات بل وخلاف الاولى (فهو) اى ما ذكر من العبارات (اولى وآدب) بمد الهمزة اى اكثر تأدبا (من قوله هل يجوز ان يعصى او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي) المشتملة على الصغائر والكبائر (فهذا) الذي قدمناه (من حق توقيره) وفي نسخة زيادة و برء اى طاعته او اكرامه (عليه الصلوة والسلام وما يجب له من تعزير) اى تبجيل (واعظام وقد رأيت) ويروى ورأيت (بعض العلماء لم يتحفظ من هذا) الذى ذكرناه و يروى في هذا (فقبح منه) ما صدر عنه (ولم استصوب عبارته فيه) ولذا اكتفيت بذكر اشارته (ووجدت) وروى رأيت (بعض الجائرين) بالجيم من الجور اى المائلين عن الاقتصاد في القول وفي رواية بالحاء المهملة من الحيرة وهو التردد اى من المتحيرين في سبيل الرشاد غير متمكنين على طريق السداد (قوله) بتشديد الواو اى نسبه الى الخطأ في قوله الخاص به (لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله) والمعنى زعم لاجل ترك تحفظه انه قال ما لم يقله (وسنع) ذلك البعض (عليه) اى على من لم يتحفظ (بما يأباه) كلامه (ويكفر قائله واذا كان مثل هذا) الاستعمال بالتحفظ في الاقوال (بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشراتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه الصلوة والسلام اوجب) اى الزم (والتزامه آكد) بمد الهمزة اى اوثق واتم قال الدلجي قوله اوجب اى وجوب فرض لاوجوب تأكيد وهما عند امامنا الشافعي مترادفان سواء ثبت بدليل قطعي اوظني وفرق ابو حنيفة بان ما ثبت بقطعي ففرض وما ثبت بظني فواجب لان التفاوت بين الكتاب وخبر الآحاد يوجب التفاوت بين مدلوليهما لكنهم خالفوا قاعدتهم من اطلاقهم الفرض على ما ثبت بظني كقولهم الوتر فرض والزكاة واجبة انتهى ولايخفى ان الفرق بينهما انما هو بحسب الاعتقاد دون العمل فان كلا منهما

فرض بهذا الاعتبار لكن ثواب الفرض اكثر وعقاب ترك الواجب اقل ومما يفيد الفرق ان منكر الفرض كافر بخلاف منكر الواجب وهذا هو بحسب اصل الاصطلاح الشرعي وقد يستعار احد اللفظين مقام الآخر في الاستعمال اللغوي ومن لم يميز بين الدليل القطعي والظني فلا كلام معه لا من جهة النقل ولا من جهة العقل على ان الشافعية اضطروا الى الفرق بينهما في احكام الحج فهذا حجة عليهم ثم هذا البحث لم يكن في محله ولكنه لما ابدي هذا المقال اوجب لنا حل عقال هذا الاشكال على ان قوله وجوب فرض لا وجوب تأكيد لاطائل تحته (لجودة العبارة تقبح الشيء الواحد (او تحسنه) كما قدمناه في حكاية المعبرين (وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من البيان لسحرا) رواه مالك واحمد والبخاري وابو داود والترمذي عن ابي عمر ثم البيان فصاحة اللسان والسحر صرف الشيء عن وجهه والحديث يحتمل المدح والذم اما على الاول فمعناه انه يستميل النفوس و يأخذ بها لحسنه عندها من بلاغته وفصاحته وحسن تأليفه في عبارته واشارته وتزيين مبانيه وتحسين معانيه بحيث يرتضي به الساخط و يستذل به الصعب كما يفعل السحر من الامر العجب ولذلك قالوا فيه السحر الحلال و يؤيده ان في نفس الحديث زيادة رواية وان من الشعر لحكمة واما على الثاني فمعناه في المتشدق الذي يمدح من لا يمدح في الفعل و يطنب فيما لا يحل من القول ويحسن القبيح من ذلك و يقبح الحسن هنالك وان فعل ذلك حرام كالسحر ويكتسب صاحبه من الاثم في قوله ما يكتسبه الساحر بعمله وقد ورد مالك رحمه الله الحديث في الموطأ في باب ما يكره من الكلام ولعله اختار القول الثاني في هذا المقام والله تعالى اعلم بالمرام (فاما ما اورده المتكلم (على جهة النفي عنه والتنزيه) له عليه الصلوة والسلام منه (فلا حرج في تسريح العبارة) اي ارسالها واطلاقها (وتصريحها فيه) اي في حقه عليه الصلوة والسلام (كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة) اي مجملا ومطلقا اوجميع انواعه (ولا اتيان الكبائر بوجه) اي لا عمدا ولا سهوا (ولا الجور) اي الميل والظلم (في الحكم) بين الناس (على حال)) من الغضب والرضى (ولكن مع هذا يجب ظهور تعظيمه وتوقيره وتعزيزه) اي تبجيله (عند ذكره مجردا) عن اثبات وصف اونفيه (فكيف عند ذكر مثل هذا) الكلام المشتمل على نعته على جهة النفي اوثبوته (وقد كان السلف) من ائمة الدين كزين العابدين وجعفر الصادق ومحمد بن المنكدر (تظهر عليهم حالات شديدة) من تغيرلون و بكاء ورعدة (عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك) من ظهور التوقير (عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها مقال عداه) بكسراوله اي اعدائه من اليهود والنصارى (ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته) في تلاوته (اعظاما لربه واجلالا له) اي لقدره وامره (واسعاقا) على نفسه حذرا (من التشبه بمن كفر به سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم) فعن ابراهيم النخعي انه كان اذا قرأ قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة يخفض بها صوته اي بقولهم وامثال ذلك من كفر با نهم

﴿الباب الثاني﴾

(في حكم سابه) اي شاتمه (وشانئه) اي مبغضه اذا ظهر عليه آثره (ومتنقصه) اي طالب نقصه (ومؤذيه) اي بقوله اوفعله (وعقوبته) اي وفي عقوبة من ذكر (وذكر استتابته) من طلب توبته اوقبول رجعته وفي نسخة والصلوة عليه (ووراثته) في تركته بعد موته (قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه الصلوة والسلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله) اي ان لم يرجع الى الاسلام (وتخيير الامام) وفي نسخة او ولا وحد له وفي نسخة ويخير الامام اي وذكرنا كونه مخيرا (في قتله اوصلبه على ما ذكرناه) اي تفصيل صور امثلته (وقررنا الحجج عليه) باظهار ادلته (و بعد) اي بعد ذلك (فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه واقوال السلف) اي بعضهم (وجمهور العلماء) اي المالكية لما سيأتي ان الجمهور على خلاف قول مالك المشهور (قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه) اي من عند نفسه او من قوله اوفعله (ولهذا) اي ولكونه يقتل حدا لا كفرا (لا تقبل عندهم توبته) اي منه كما في نسخة (ولا تنفعه) اي في دفع قتله (استقالته ولا فيئته) بفتح الفاء وتكسر فتحتية ساكنة فهمزة اي رجوعه عنه (كما قدمناه قبل) اي قبل ذلك (وحكمه) اي في حتم القتل (حكم الزنديق) الذي توبته عندهم لا تقبل وهو الذي لا يتدين بدين (ومسر الكفر) ومظهر الايمان (في هذا القول) المشهور من مذهب مالك وقال غيره تقبل توبته ولا يقتل (وسواء كانت توبته على هذا) القول المشهور (بعد القدرة عليه) اي على اخذه (والشهادة على قوله) المؤدي الى قتله (اوجاء تائبا من قبل نفسه) اي من عنده بدون استتابته (لانه) اي قتله (حد وجب) عندهم (لا تسقطه التوبة كسائر الحدود) من الزنى وقتل النفس ونحوهما اتفاقا وفيه انه قياس مع الفارق فان هذه الحدود ثابتة بالكتاب والسنة واما من كفر بسبب سب ثم تاب فلا يعرف له حد في هذا الباب اذ كثير من ارتد عن الاسلام بهجاه عليه الصلوة والسلام

ثم تاب وقبل منه توبته ورفعت عنه ردته هذا وقد صح عنه عليه الصلوة والسلام ان الاسلام يجب ماقبله وهو يشمل الاسلام السابق واللاحق وفى الحدود تفصيل فى مذهبنا هو المحمود (قال الشيخ ابو الحسن القابسى رحمه الله اذا اقر بالسب) اى له او لغيره من الانبياء عليهم السلام (وتاب منه واظهر التوبة) اى ارها قبلت منه و(قتل بالسب لانه هو) اى القتل (حده وقال ابو محمد بن ابى زيد مثله) اى يقتل لانه حده وفى نسخة فى مثله اى فى نظيره (واما مابينه وبين الله فتوبته تنفعه) اجماعا (وقال ابن سحنون) بفتح اوله ويضم وبصرفه ويمنع (من شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وكذا غيره من الانبياء عليهم السلام (من الموحدين) اى المسلمين (لم تزل) من الازالة اى لم ترفع (توبته عنه القتل) وهو معنى قول القابسى وابن ابى زيد (وكذلك اختلف) اى اختلف المالكية (فى الزنديق اذا جاء تائبا) من قبل نفسه من غير استتابة والجاء اليها (فحكى القاضى ابو الحسن ابن القصار فى ذلك) اى فى مجيئه تائبا (قولين قال) اى ابن القصار (من شيوخنا من قال اقتله) اى احكم بقتله (باقراره) بانه كان زنديقا او شاتما ثم جاء تائبا (لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا) اى ظننا ومنه قوله تعالى الا ان يخافا ان لايقيما (انه خشى الظهور) اى الاطلاع (عليه) بان يجد والزندقة لديه (فبادر لذلك) بالتوبة وهذا له وجه فى الجملة اذا كان لبعض الناس اطلاع على حاله (ومنهم من قال اقبل توبته لانى استدل على صحتها) اى صحة توبته (بمجيئه) تائبا من قبل نفسه (فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة) اى اخذته وقيدته (قال القاضى ابو الفضل وهذا) القول الاخير (قول اصبغ) اى ابن الفرج فقيه مصر من شيوخ البخارى (ومسالة ساب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى) اى اشد من مسئلة الزنديق فانها من حق الله تعالى وهو مبنى على المسامحة ففيه الخلاف فى الجملة بخلاف الساب فانه (لايتصور فيه الخلاف) فى مذهب مالك (على اصل المتقدم) على ذلك (لانه) اى سبه (حق متعلق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته بسببه لاتسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين) وفيه ان حق الله هنا ايضا متعلق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجميع امته (والزنديق) وهو الثنوى او القائل ببقاء الدهر او المسر للكفر وهذا المعروف عند الفقهاء (اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث) اى ابن سعد (واسحق) اى ابن راهويه (واحمد) اى ابن حنبل (لاتقبل توبته) اى ظاهرا فلا تسقط عنه القل (وعند الشافعى تقبل) توبته ولايقتل (واختلف القول فيه عن ابى حنيفة) وهو الامام الهمام (وابى يوسف) احد اتباعه من الاعلام والمعتمد ما فى قاضيخان واما الزنادقة فاخذ الجزية منهم بناء على قبول التوبة من الزنادقة فانهم قالوا ان جاء الزنديق قبل ان يؤخذ فاقر انه زنديق فتاب من ذلك قبلت توبته وان اخذ ثم تاب لاتقبل توبته ويقتل لانهم باطنية يظهرون شيئا ويعتقدون فى الباطن خلاف ذلك فيقتلون ولا تؤخذ منهم الجزية ولا تقبل توبتهم انتهى وابو حنيفة ترجمته كثيرة ومناقبه شهيرة واما ابو يوسف فهو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب ابن خنبس بن سعد بن حبتة بحاء مهملة مفتوحة فموحدة ساكنة ومثناة فوقية مفتوحة وهى امه وهو سعد بن بجير بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل سعد بن بجير بضم الموحدة وفتح الجيم وذكر القولين الامير فى اكماله وقال الذهبى سعد بن بجير البجلى حليف الانصار روى انه قاتل يوم الخندق وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسح رأسه وقال اسعد الله جدك ومن ولده القاضى ابو يوسف صاحب ابى حنيفة وقد روى عن عطاء بن السائب وهشام بن عروة وغيرهما وكان ابو يوسف من اهل الكوفة فقيها عالما روى عنه محمد بن الحسن الشيبانى وبشر بن الوليد الكندى وعلى ابن الجعد واحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم وقد روى الشافعى عن محمد عن ابى يوسف وكان قد سكن ببغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدى وابنه الهادى ثم هارون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله قال ابن خلكان هو اول من دعى بقاضى القضاة ويقال انه اول من غير لباس العلماء الى هذه الهيئة التى هم عليها الان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا واحدا لايتميز احد عن احد بلباس قال ولم يختلف يحيى بن معين واحمد بن حنبل وعلى ابن المدينى فى ثقته فى النقل وكان كثير الحديث انتهى ولد سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفى يوم الخميس اول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد وابنه يوسف الذى يكنى به ولى القضاء فى حياة ابيه ومائة سنة اثنتين وتسعين ومائة وبلغ من العمر تسعا وستين سنة واما قول التلمسانى قالوا ابو يوسف ابو حنيفة اى يسد مسده ويغنى عنه فلبس فى محله لان ابا يوسف حسنة من حسنات ابى حنيفة وفضله وانما هو تشبيه بليغ كما يقال زيد اسد اى كاسد فالمعنى ان ابا يوسف كابى حنيفة ومن المعلوم ان المشبه به اقوى من المشبه ولايلزم من التشبيه المساواة من جميع الشبه ثم المعتمد فى المذهب انه تقبل توبته ولايقتل واما قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلوة والسلام والقرآن او كفروا بمحمد قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه او لقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا

بقولهم نتربص به ريب المنون لن تقبل توبتهم لايتوبون اولايتوبون الااذااشفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها وذلك لماسبق فى قوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق الى ان قال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم وعن ابن عباس ان قوما اسلموا ثم ارتدوا ثم اسلموا ثم ارتدوا فارسلوا الى قومهم يسألون فنزلت رواه البزار وقال ابن كثير اسناده جيد (وحكى ابن المنذر) وهو الامام الحافظ المشهور (عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه يستتاب) اى الزنديق (قال محمد بن سحنون ولم يزل) بفتح اوله وضم ثانيه اى لم يرتفع (القتل عن مسلم بالتوبة من سبه عليه الصلوة والسلام لانه لم ينتقل من دين) هو حق (الى غيره) وهو دين باطل وهذا غريب من قائله اذلاشبهة انه انتقل بسبه عليه الصلوة والسلام من دين الاسلام وما عداه باطل باجماع الاعلام (وانما فعل شيئا حده عندنا القتل ولاعفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر) اى بل الى باطن وفساد هذا التعليل ايضا ظاهر (وقال القاضى ابو محمد) اى عبدالوهاب (ابن نصر) اى البغدادى المالكى (محتجا لسقوط اعتبار توبته) اى توبة من سبه عليه الصلوة والسلام (والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته) اى استتابة من سبه تعالى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقه المعرة) بتشديد الراء اى الكراهة والمشقة (الا من اكرمه الله بنبوته) هذا استثناء غريب لايظهر وجه اتصاله ولاانفصاله اللهم الا ان يراد بالمعرة المنقصة ويلائمه قوله (والبارئ تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا) مما لاخلاف فيه اجماعا (وليس) اى الله سبحانه وتعالى (من جنس تلحقه المعرة) فى هذه العبارة مزلة لنزاهة ساحة عزته عن ان يكون من جنس تلحقه معرة اولا تلحقه فلا يصح اطلاق النوعية والجنسية عليه كما لا يصح سؤال الماهية والكيفية بالنسبة اليه وفيه لمن مقتضى قياس العقل ان من سب الله سبحانه وتعالى يكون اشد كفرا ممن سب النبى عليه الصلوة والسلام لوضوح قبحه عند جميع الانام (وليس سبه عليه الصلوة والسلام كالارتداد) اى المجرد (المقبول فيه التوبة) ولو كانت ردته بسب الله سبحانه وعز شانه وفيه بحث سيأتى بيانه (لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد) وهو كفره فقط (لاحق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته) وفيه ان من سب الله تعالى يتعلق به حق خلقه من النبى وغيره ومن غضب بسب نفسه ولم يغضب بسب ربه فهو ليس بآدمى ومما يدلك على ذلك انه كان عليه الصلوة والسلام لايسامح عن المرتد فكيف من يسب الله سبحانه وتعالى وكان يساهل من يسبه عليه الصلوة والسلام ويطعن فيه من المنافقين وغيرهم فيتعين ان سب الله تعالى اقبح من سب غيره والحاصل ان سبه سبحانه وتعالى وسب انبيائه كفر يستتاب وتقبل توبته عند الجمهور واما سب سائر الآدميين فليس بكفر فيعزر بشروطه المعتبرة (ومن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق به) وفى نسخة فيه (حق لآدمى) وهو نفسه عليه الصلوة والسلام اوامته الكرام ولاشك انه يتعلق به حقه تعالى ايضا بلا كلام وفى نسخة تعلق فيه حق للادميين قال التلمسانى فعلى الاول معناه ان ما وجب من حق النبى عليه الصلوة والسلام فقد تعلق بالناس كافة فوجب عليهم القيام به وعلى الثانى بان الامر وجب له ونحن نأخذ به وليس حقه كحق غيره (فكان كالمرتد) بل هو مرتد مالم يتب واذا تاب لامعنى له انه كالمرتد (يقتل) اى مسلما (حين ارتداده او قذف) اى محصنة (فان توبته) وان قبلت من حيث ارتداده (لاتسقط عنه حق القتل) وفى نسخة حد القتل والقذف وحاصله انه تقبل توبته عن ارتداده بالنسبة الى تعلق حق الله به ولا تقبل توبته بالنسبة الى تعلق حق غيره به (وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لاتسقط ذنوبه) التى اقترفها زمن ردته (من زنى وسرقة وغيرهما) كقتل وشرب خمر (ولم يقتل ساب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكفره) اى بعد توبته واما قول الدلجى لانه لم يسبق له اسلام فلا وجه لعلته (لكن) يقتل (لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته) فى مقام نبوته (وزوال المعرة به) اى بقتله (وذلك) المعنى (لاتسقطه التوبة قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) اى المصنف (يريد) القائل (والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضى الكفر) اى فى نفس الامر (ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف) وهذا غريب فان الطعن فى نبوته والقدح فى نعته مناقض للاقرار برسالته وقبول دعوته وقد سبق ان سبه كفر بالاجماع وانما قبول توبته فى الدنيا محل النزاع (اولانه) اى الشان (بتوبته واظهار انابته) اى رجوعه (ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا) وهو ظاهر (والله تعالى اعلم بسريرته) وهذا حكم كل كافر او مرتد يدخل فى دين الاسلام فانا نحكم عليه بالظاهر ونكل سريرته الى عالم السرائر كما يشير اليه قوله عليه الصلوة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحسابهم على الله (وبقى حكم السب عليه) عند المالكية فيقتل حدا لا كفرا واما عند غيرهم فحكم السب هو الكفر وارتفع بتوبته ورجوعه الى شريعته (قال ابو عمران القابسى من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب حق آدمى لا يسقط عن المرتد) فلا يستتاب لردته كذا قال والاولى على مقتضى مذهبهم ايضا القول باستتابته

لتنفعه توبته عند ربه وان كان يقتل حدا ان تاب عندهم (وكلام شيوخنا هؤلاء) المالكية المذكورين (مبني على القول بقتله حدا الا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل) فان سبه بما لا يقتضي كفرا قتل حدا وكذا ان سبه بما يقتضيه وتاب والا قتل كفرا كما قاله الدلجي وهو خطأ فاحش لان سبه بما لا يقتضي كفرا لا يتصور اصلا فان مطلق سبه كفر قطعا (واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه) اي مالكا او الوليد (على ذلك مما ذكرناه) فيما مر (وقال به من اهل العلم) اي كثيرون (فقد صرحوا بانه) اي سبه عليه الصلوة والسلام (ردة قالوا و يستتاب منها فان تاب نكل) بصيغة المجهول اي عوقب عبرة لغيره اذ النكال العقوبة التي تنكل الناس اي تمنعهم عن فعل ما جعلت له جزاء وهذا عندهم ايضا (وان ابى) اي امتنع عن التوبة (قتل) اجماعا (فحكم له) اي مالك الساب (بحكم المرتد مطلقا) بوجوب استتابته وقبولها مطلقا (في هذا الوجه) الذي رواه الوليد عن مالك ووافقه عليه غيره ووقع في اصل الدلجي الزنديق بدل المرتد والظاهر انه خطأ (والوجه الاول اشهر) من رواية الوليد (واظهر لما قدمناه) من انه يقتل حدا لا كفرا ان تاب واخطأ الدلجي في قوله هنا وان تاب لان مفهومه انه اذا لم يتب يقتل حدا الا كفرا وهو خلاف الاجماع (ونحن نبسط الكلام فيه) اي في سبه عليه الصلوة والسلام (فنقول من لم يره ردة) اي ارتدادا عن الاسلام وهو بعيد من مقام النظام (فهو يوجب القتل فيه) اي به (حدا) اي لا كفرا (وانما نقول ذلك) اي كونه ليس بردة (مع فصلين) اي في محلين (اما مع انكاره ماشهد عليه به) بصيغة المجهول (او اظهاره الاقلاع) اي التحول والارتحال (والتوبة) اي واظهارها (عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه) اما بالبينة او بالتوبة (في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقيره) اي سابه (ما عظم الله تعالى من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك) مما له من الحقوق (حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر) زندقته (اوتاب) عنها (فان قيل وكيف) وفي نسخة صحيحة فكيف (تثبتون عليه الكفر) باقراره (و يشهد عليه) بالبناء للمفعول (بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها) اي من القبول ورفع القتل عنه كما عليه جهور السلف والخلف وعامة الائمة (قلنا نحن) المالكية (وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع) بالجزم (عليه بذلك) الكفر (لا قراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ماشهد به عليه او زعمه) بضم الزاي وفتحها اي اولدعواه (ان ذلك) كان (منه وهلا) بفتح الهاء وسكونها اي غلطا وسهوا و يروى وهما وهو بسكون الهاء وتحريكها (ومعصية) خطأ (وانه مقلع) معرض (عن ذلك) الصادر منه هنالك (نادم عليه) اي على ما ينسب اليه (ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر) كالقتل (على بعض الاشخاص) من المسلمين (وان لم تثبت له خصائصه) اي جميع خصائصه الموجبة لحكم عليه به (كقتل تارك الصلوة) كسلا وتهاونا حدا لا كفرا عند من قال به وهو خلاف ظواهر الادلة وقواعد الائمة بخلاف من تركها جحدا او استحلالا فانه كفر اجماعا (واما من علم سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك) اي باعتقاد استحلا له مع الاجماع على حرمته (وكذلك ان كان سبه في نفسه) مع قطع النظر عن استخفافه واستحلاله (كفرا كتكذيبه اوتكفيره ونحوه) كالشك في نبوته اورسالته (فهذا مما لا اشكال فيه) بالحكم عليه بالكفر (و يقتل) حدا (وان تاب منه لانا) معشر المالكية (لا نقبل توبته) رفع القتل عنه (ونقتله بعد التوبة حدا) لا كفرا (لقوله) الذي ظهر منه (ومتقدم كفره) اي الذي صدر عنه (وامره بعد) اي بعد توبته وقتله (الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره) اي بباطن حاله (وكذلك) يقتل بل هو اولى هنالك (من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه) بان عزم وجزم على ما لديه (فهذا كافر) بلا خلاف (بقوله و باستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء) وفي اصل الدلجي اخذ ولكنه لا يلائمه قوله (واترك مختلف عبارتهم) لان المناسب ان يكون كلاهما بصيغة الامر وضبط التلمساني بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مشددة امر من حد الشيء ميزه او من حده صرفه ورتبه وفي نسخة عباراتهم بصيغة الجمع والمعنى اترك عباراتهم المختلفة التي مآلها واحد (في الاحتجاج بقتله (عليها) اي على التفصيلات (واجر) اي امض (اختلافهم في الموارثة) وروي الوراثة (وغيرها) من اجراء احكام الاسلام على من تاب وان حكم بقتله من الصلوة عليه ودفنه في مقابر المسلمين (على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى)

فصل

(اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح) منه على رواية الوليد بن مسلم عن مالك (فالاختلاف فيها) اي في الاستتابة (محمول على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما) عند مالك على الرواية السابقة (وقد اختلف السلف في وجوبها) اي الاستتابة (وصورتها) اي كيفيتها (ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب) وجوبا اوندبا (وحكى

ابن القصار انه) اى قول الجمهور (اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر فى الاستتابة) سواء يكون ايجابا اواستحبابا (ولم ينكره) اى قول عمر (واحد منهم) فيكون اجماعا سكوتيا بالنسبة الى بعضهم (وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود) اى مختارهم المنصوص عنهم (وبه) اى وبقول من تقدم من الصحابة (قال عطاء ابن ابى رباح) بفتح الراء وهو من اجلاء التابعين من اهل مكة (والنخعى) بفتح النون والخاء المعجمة و يسكن تابعى كوفى (والثورى ومالك واصحابه والاوزاعى) منسوب الى قبيلة من همدان (والشافعى واحمد واسحق) اى ابن راهويه (واصحاب الرأى) اى الثاقب الذى هو اسنى المناقب قال النووى المراد باصحاب الرأى الفقهاء الحنفية وهذا عرف اهل خرسان (وذهب طاوس) يكتب بواو واحدة كداود وهو ابن كيسان اليمنى وزيد فى نسخة ومحمد بن الحسن وهو من اصحاب ابى حنيفة (وعبيد بن عمير) بالتصغير فيهما وهو ابو قتادة الليثى يروى عن ابى وعمر وعايشة وعنه ابنه وابن ابى مليكة وعمرو بن دينار وآخرون قال الذهبى ذكر ثابت البنانى انه قص على عهد عمر وهذا بعيد انتهى وثقه ابوزرعة وجماعة توفى سنة اربع وسبعين واخرج له الائمة الستة (والحسن) اى البصرى (فى احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب) اى وجوبا الا انه لو تاب تقبل توبته ولا يقتل (وقاله) اى وقال به (عبد العزيز ابن ابى سلمة) اى الماجشون بكسر الجيم كان اماما معظما ولدته امه على ماقيل لاربع سنين توفى سنة اربع وستين ومائة اخرج له الائمة الستة روى عن الزهرى وابن المنكدر ولم يدرك نافعا ولبس بالمسكر اجازه المهدى بعشرة آلاف دينار قال ابو الوليد كان يصلح للوزارة (وذكره عن معاذ) اى ابن جبل الانصارى (وانكره) اى نقله (سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوى عن ابى يوسف وهو) اى القول بعدم وجوب الاستتابة (قول اهل الظاهر) وهم داود بن محمد الظاهرى واتباعه (قالوا) اى القائلون بعدم وجوب الاستتابة اوعلماء المالكية اوالعلماء اجمعون (وتنفعه توبته عند الله ولكن لا تدرأ القتل) اى لا تدفعه (عنه) نحن معاشر المالكية (لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه احمد والبخارى والاربعة عن ابن عباس (من بدل دينه) اى غيره (فاقتلوه) اى ان لم يتب ولا يصح حمله على اطلاقه لمخالفته الاجماع على ان المرتد اذا تاب قبلت توبته ولم يقتل واما تخصيص حكم الساب فذهب حادث من مالك واصحابه (وحكى ايضا عن عطاء انه ان كان) اى المرتد (ممن ولد فى الاسلام) اى ولد مسلما (لم يستتب) اى لا وجوبا ولا استحبابا ولبس فى كلامه مايدل على عدم قبول توبته (ويستتاب الاسلامى) اى المنسوب الى الاسلام بالدخول عليه ولعل الفرق مبنى على زجر الاول وعدم عذره فتأمل (وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة فى ذلك) اى فى القتل لا فى وجوب الاستتابة كما توهم الدلجى (سواء) لعموم الحديث السابق (وروى) كما فى مصنف ابن ابى شيبة (عن على) موقوفا عليه لكنه فى حكم المرفوع (لا تقتل المرتدة وتسترق) كما لو اسرت الكافرة (وقاله عطاء) اى وافقه (وقتادة وروى عن ابن عباس لا تقتل النساء فى الردة) واغرب الدلجى بقوله ولعله اراد من ردة العرب بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وبه قال ابو حنيفة) ويؤيده ما ورد من النهى عن قتل النساء ففى الصحيحين عن ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان وان خصه بعضهم بحال الغزاء واعلم ان المرتدة لا تقتل عندنا ولكنها تحبس ابدا الى ان تتوب و يجوز استرقاق المرتدة بعد ما لحقت بدار الحرب ولعل قول على محمول على ذلك (قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى فى ذلك) اى فى قتل كل منهم بالردة (سواء) اخذا بظاهر الحديث الذى تقدم والله تعالى اعلم (واما مدتها) اى مدة الاستتابة وجوبا اواستحبابا (فمذهب الجمهور) من العلماء (وروى عن عمر انه يستتاب ثلثة ايام يحبس فيها) فان تاب والا قتل (وقد اختلف فيه) اى فى مذهب الجمهور المروى (عن عمر) انه يستتاب ثلثة ايام (وهو) اى ماروى عن عمر (احد قولى الشافعى) قال الدلجى والصحيح من مذهبه انه يستتاب فى الحال فان تاب والا قتل (وقول احمد واسحق واستحسنه) اى ذلك (مالك وقال لا يأتى الاستظهار) اى التثبت والانتظار (الا بخير) يرجى (وليس عليه) اى على التأنى فى الامور (جماعة الناس) لاستعجالهم فيها (قال الشيخ ابو محمد ابن ابى زيد يريد به) يعنى مالكا بقوله وليس عليه جماعة الناس (فى الاستيناء) اى فى الاستمهال (ثلاثا وقال مالك ايضا الذى آخذ) اى اقول (به فى المرتد قول عمر رضى الله تعالى عنه يحبس ثلثة ايام و يعرض عليه) اى الاسلام (كل يوم فان تاب) قبلت توبته (والا قتل وقال ابو الحسن ابن القصار فى تأخيره) اى المرتد (ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب اومستحب) فظاهر مذهبه كما فى شرح المختصر لبهرام الوجوب وروى عنه الاستحباب والله تعالى اعلم بالصواب (واستحسن الاستتابة) اى نفسها (والاستيناء) اى الاستمهال (ثلاثا اصحاب الرأى) حيث ثبت عن الصحابة ولم يثبت الوجوب فى الرواية ولا القتل بعد التوبة (وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه استتاب امرأة) اى مرة اومرات (فلم تتب فقتلها) ولعله قتلها لكونها رئيسة لقومها اوكانت داعية الى طريقها من كفر بدعوى النبوة اى غيرها قيل كانت المرأة من فزارة على مارواه البيهقى وفى رواية انها ام فرقة وفى فتاوى قاضيخان

واذادخل اهل الاسلام دار الحرب مغيرين لاينبغي لهم ان يقتلوا النساء الااذاقاتلت المرأة اوكانت ملكة اوكانت
ذات رأي في الحرب واذاقاتلت فاخذها المسلمون لابأس بقتلها وان امكن سبيها (وقال الشافعي مرة) اى يستتاب
في الحال (وان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني) المصري منسوب الى مزينة قبيلة كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة
متقللا من الدنيا وكان معظما بين اصحاب الشافعي قال الشافعي في حقه لوناظر الشيطان لغلبه وصنف المبسوط
والمختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم وكتاب الرقائق والاقارب توفي سنة اربع ومائتين ودفن بالقرافة
بالقرب من قبر الشافعي (وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات) اى ولو في يوم واحد (فان ابى قتل) واغرب
الدلجي في قوله ولو في ساعة (وروى عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري مارجيت
توبته) وهو قيد لقول النخعي وجملة وبه اخذ الثوري معترضة واغرب الدلجي في قوله وبه اخذ وزاد مارجيت توبته
ووجه غرابته انه لم يتصور من الامام النخعي ان يقول يستتاب ابدا سواء رجيت توبته اولم ترج (وحكى ابن القصار)
اى المالكي (عن ابى حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام اوثلاث جمع في كل يوم) على الاول مرة (اوجمعة)
اى كل جمعة (مرة) قال الدلجي يحتمل ان يكون تخييرا من ابى حنيفة اوشكا من ابن القصار اومن المصنف قلت والمعتمد
في مذهبنا ماذكره قاضيخان في فتاويه من ان المرتد يعرض عليه الاسلام في الحال فان اسلم والا قتل الا ان يطلب
التأجيل فيؤجل ثلاثة ايام لينظر في امره ولايؤجل اكثر من ذلك ويعرض عليه الاسلام في كل يوم من ايام التأجيل
فان اسلم سقط عنه القتل وان ابى يقتل وبجحود الردة يكون عودا الى الاسلام ثم ردة الرجل تبطل عصمة نفسه حتى
لوقتله قاتل بغير امر القاضي عمدا اوخطأ اوبغير امر السلطان اواتلف عضوا من اعضائه لاشيء عليه (وفي كتاب محمد)
اى ابن المواز (عن ابن القاسم) اى ابن خالد المصري (يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات) اى في يوم اوايام كما هو
المشهور من مذهب مالك (فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا) القول باستتابته (هل يهدد) بقتل وضرب
وغيرهما (او يشدد عليه ايام الاستتابة) بجوع اوعطش ونحوهما (ليتوب) اى ولو بكره (ام لا) يهدد ولايشدد
(فقال مالك ماعلمت في الاستتابة تجويعا ولاتعطيشا ويؤتى له) اى يعطى (من الطعام مالايضره) رجاء رجوعه
(وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل) والتنكيل الوبيل (وفي كتاب ابى الحسن) ويقال ابو الحسين (الطابثي) بطاء
مهملة ثم موحدة مكسورة فمثلثة فياء نسبة الى قرية بالبصرة (يوعظ في تلك الايام) اى ايام الاستتابة (ويذكر بالجنة)
ونعيمها (ويخوف) اى ينذر (بالنار) والجحيمها (قال اصبغ واى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس) المحبوسين
(اووحده) اى مفردا عنهم (اذا استوثق منه) بصيغة المجهول (سواء) لان المقصود حفظه كي يرجع الى الاسلام اويقتل
عبرة للانام (ويوقف ماله) اى يحفظ (اذاخيف تلفه على المسلمين) فاندفع قول الدلجي لم ادر ما تحرزه بالظرف المؤذن
بانه اذالم يخف تلفه لم يوقف بل هو موقوف بسبب ردته مطلقا فان لم يتب تبين زوال ملكه عنه وكان فيئا انتهى وسيأتي
الكلام عليه وانما نشأ عدم درايته من حمل الموقوف على حكمه لاعلى حفظه عن ضياع ملكه (ويطعم منه ويسقى
وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع) الى الاسلام (وارتد) بعده من الايام (وقد استتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
نبهان) بنون مفتوحة وسكون موحدة وهو احد ثلثة من الصحابة كل منهم كان اسمه نبهان لايعلم ايهم (الذي ارتد)
منهم (اربع مرات اوخمسا) شك من الراوي وقد رواه البيهقي بسند مرسل وقال استتاب رجلا ارتد اربع مرات اسمه نبهان
قال الحلبي في الصحابة نبهان التمار ابو مقبل ونبهان ابو سعد ونبهان الانصاري انتهى ولم يذكر ابو عمر نبهان في كتابه
قيل ولم يذكر ابن الجوزي من اسمه نبهان في الصحابة الا الاول وبه جزم التلمساني حيث قال ونبهان هو التمار روى انه
اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى البيت فضمها
الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره فنزل والذين اذا فعلوا
فاحشة الآية (قال ابن وهب) اى المصري (وعن مالك يستتاب ابدا كلما رجع) الى الردة (وهو قول الشافعي واحد
وقاله ابن القاسم) المصري الفقيه المالكي (وقال اسحق) اى ابن راهويه (يقتل في الرابعة) بدون استتابة (وقال
اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة) اى من مرات الردة (قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من
السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة) اى آثار صحتها وانوار ندامتها قال الدلجي وهو عجيب لمخالفته قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف انتهى ولايخفى ان ليس في الآية نص على خلاف ذلك وانما هي مطلقة قابلة للتقييد
اذا وجد دليل مخصص يظهر للمجتهد وكفى باسحق اماما مجتهدا واما انسب الى اصحاب ابى حنيفة رحمه الله فهو
غير مشهور عنهم ففي قاضيخان رجل ارتد مرارا وجدد الاسلام في كل مرة وجدد النكاح فعلى قول ابى حنيفة تحل له
امرأته من غير اصابة الزوج الثاني لان عنده الردة لاتكون طلاقا واباء الزوج عن الاسلام يكون طلاقا وعلى قول

ابي يوسف ردته واباؤه لايكون طلاقا وعند محمد كلاهما طلاق وردة المرأة واباؤها لايكون طلاقا وتقع الفرقة عند عامة العلماء بردتها وعند البعض لاتقع واجمع اصحابنا ان الردة تبطل عصمة النكاح فتقع الفرقة بينهما بنفس الردة وعند الشافعي لاتقع الفرقة الابقضاء القضاضي (قال ابن المنذر ولانعلم احدا) من العلماء (اوجب على المرتد في المرة الاولى من ردته (ادبا اذا رجع) بنفسه عنها الى الاسلام (وهو) اى عدم وجوب الادب على المرتد اذا رجع مبنى على (مذهب مالك والشافعي والكوفي) يعني به اباحنيفة لانه الفرد الاكمل لاسيما من علماء الكوفة

﴿ فصل ﴾

(هذا حكم من ثبت عليه ذلك) الكفر (بما يجب ثبوته) اى يعتبر وجوده (من اقرار) ممن صدر عنه (او عدول) اى شهادة عدلين او اكثر (لم يدفع فيهم) اى لم يطعن في حقهم (واما) وفي نسخة فاما (من لم تتم الشهادة عليه) لنقص كمية او صفة (بما شهد عليه الواحد) ولو عدلا (او اللفيف) اى الطائفة الملتفة او الجماعة المختلفة (من الناس) المتهمين في العدالة (او ثبت قوله) باقراره او بشهادة مقبولة (لكن احتمل) قوله تأويلا (ولم يكن صريحا) في كونه كفرا (وكذلك) الحكم اى مطلقا لاحكم من لم تتم الشهادة عليه كما توهم الدلجي لانه يدفعه قوله (ان تاب على القول) المنقول عن مالك برواية الوليد بن مسلم (بقبول توبته) كما عليه الجمهور (فهذا) اى ماذكر من الشخصين (يدرأ عنه القتل) يحتمل كونه مبنيا للفاعل او المفعول اى يدفع عنه (ويتسلط عليه اجتهاد الامام) في تعزيره وتشهيره (بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه) اى على مقاله (وضعفها وكثرة السماع عنه) لما صدر عنه (وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز) بفتح النون وسكون الموحدة فزاى اى ومن دعائه وندائه بلقب السوء (بالسفه) اى بخفة العقل (والمجون) بضمتين اى و بعدم الموالاة في امور الديانات وفي نسخة الفجور فان المعاصي تزيد الكفر (فمن قوى امره) اى وضعف قدره (اذاقه) الامام (من شديد) وروى من شر (النكال) بفتح النون اى العقوبة والوبال (من التضييق في السجن والشد) اى التشديد (في القيود) و يروى في القيد (الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لايمنعه القيام لضرورته) من قضاء حاجته (ولا يقعده) اى لايمنعه (عن صلوته) من شروطها واركانها في طاعته (وهو) اى اذاقة شديد العقوبة (حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف) بصيغة المجهول اى توقف (عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به) على بناء المفعول اى انتظر (لاشكال وعائق) اى مانع شرعي او عرفي (اقتضاء امره وحالات الشدة) اى عليه كما في نسخة (في نكاله تختلف) قوة وضعفا (بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد) اى ابن مسلم (عن مالك والاوزاعي انها) اى مقالته الغير الصريحة (ردة فاذا تاب نكل) اى تنكيلا شديدا (ولمالك في العتبية) اسم كتاب (وكتاب محمد) اى ابن المواز (من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه) وهو الموافق لقول السلف والخلف لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف (وافتى ابو عبد الله بن عتاب) بتشديد الفوقية (فيمن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما) بضم العين وتشديد الدال اى زكى احدهما دون الآخر (بالادب الوجيع) متعلق بافتى (والتنكيل) الرادع (والسجن) الهالع (الطويل) زمانا الضيق مكانا (حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا) الذي ذكر (ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق) اى صرف صارف (اشكله) اى جعله مشكلا (في القتل) اى في امضائه (لم ينبغ ان يطلق من السجن ولكن يستطال سجنه ولو كان فيه) اى في السجن (من المدة) بيان مقدم لقوله (ماعسى ان يقيم) اى يطول فيه (و يحمل عليه من القيد مايطيق وقال) اى القابسي (في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا و يضيق عليه في السجن) امدا (حتى ينظر فيما يجب عليه) آخرا (وقال في مسئلة اخرى مثلها) لعلها ماسبق في فصل الوجه الخامس من ان القابسي سئل عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير الى آخره فانه افتى هنالك بنظير ماافتى به هنا (ولا تهراق) بضم اوله وسكون ثانيه و بفتح اى ولا تصب (الدماء الا بالامر الواضح) الحديث لايحل دم امرئ مسلم الا بثلاث ردة اوقتل نفس اوزنا محصن (وفي الادب) اى التأديب (بالسوط) اى الضرب به (والسجن نكال) اى زجر وردع (للسفهاء و يعاقب عقوبة شديدة) اى مدة مديدة (فان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت) للدفع عن نفسه (من عداوتهما) في امر الدنيا (او جرحتهما) بضم الجيم اى طعنهما من جهة الدين (ما اسقطهما) اى دفع شهادتهما عنه وروى مااسقطها (ولم يسمع ذلك) الامر (من غيرهما) بان انحصرت الشهادة فيهما (فامره اخف) ممن قبله (لسقوط الحكم) من قتل ونكال (عنه وكانه لم يشهد عليه) بصيغة المجهول (الا ان يكون ممن يليق به ذلك) النكال حيث يظن منه صدور ذلك المقال (و يكون الشاهدان من اهل التبريز) من البروز وهو الظهور اى بان امرهما في عدالتهما (فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم) المترتب عليه (بشهادتهما) المجروحة (فلا يدفع الظن صدقهما) فيما برز منهما وظهر عنهما (وللحاكم في تنكيله هنا) موضع (اجتهاد

والله ولي الارشاد) اي الهداية وروي الرشاد وهو الصواب والسداد

﴿فصل﴾

(هذا) الذي قد منساه (حكم المسلم) الذي ارتد (فاما الذي اذ صرح بسبه) اي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اوعرض) اي لوح (اواستخف بقدره اووصفه بغير الوجه الذي كفر به) اي الذمي وكان يتعين التصريح بذكره وهو في نسخة بصيغة المجهول مشددا ولبس على ماينبغي ثم الوجه اعتقاد عدم نبوته اورسالته وغير وجهه كقوله ليس بذي تقوى (فلا خلاف عندنا) ائمة المالكية (في قتله ان لم يسلم لانالم نعطه الذمة) اي بالجزية (او نعهد) بالمصالحة والامان (على هذا) الذي صدر عنه من السب ونحوه (وهو) اي قتله بشرطه (قول عامة العلماء) اي جميعهم (الا اباحنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة) اي فقهائهم (فانهم قالوا) اي جميعهم (لايقتل) الذمي بذلك وعللوه بقولهم (لان ماهو عليه من الشرك اعظم) مما صدر من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن يؤدب ويعزر) بقدر مقاله وقوة حاله (واستدل بعض شيوخنا) المالكية (على قتله) اي الذمي المذكور (بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم) اي نقضوا امانا بايعوا عليه من الايمان (من بعد عهدهم) المأكد بها (وطعنوا في دينكم) اي عابوه (الآية) اي فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم بفتح الهمزة جمع يمين اثبتها لهم ثم نفاها عنهم لانها في الحقيقة كلا ايمان وبه اخذ ابوحنيفة ان يمين الكافر كلا يمين وعن الشافعي هي يمين ومعنى لاايمان لهم لايوفونها وفي قرأة ابن عامر بكسر الهمزة وقوله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا قال التلمساني وفي بعض الاصول فاقتلوا ائمة الكفر الآية والتلاوة فقاتلوا ائمة الكفر ولادليل على القتل بهذا النص لان المقاتلة غير القتل ولو استدل بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية لكان اقرب انتهى ولايخفى ان الآيتين في المصالحة مع الحربي والكلام في الذمي وقد قال تعالى قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فظاهر الآية ان بعد اعطاء الجزية يرتفع عنهم القتل (ويستدل ايضا عليه) اي على قتل الذمي الذام (بقتل النبي عليه الصلوة والسلام لابن الاشرف واشباهه) قال الدلجي كابي رافع من اليهود وابي وامية ابني خلف من قريش انتهى ولايخفى ان ابن الاشرف واليهودي الآخر لم يكونا من اهل الذمة واما ابنا خلف فهم من اهل الحرب (ولانالم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولايجوز لنا ان نفعل ذلك معهم) فينبغي ان يشترط عليهم ذلك حال معاهدتهم (فاذا اتوا مالم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا) اي حربيين وفي نسخة وصاروا اهل حرب وجمع بينهما الدلجي في اصله (يقتلون بكفرهم) وفي نسخة لكفرهم على ان الباء سببية واللام تعليلية (وايضا فان ذمتهم لاتسقط حدود الاسلام عنهم) وروي عليهم (من القطع في سرقة اموالهم) اي اموال المسلمين (والقتل لمن قتلوه منهم) اي من المؤمنين (وان كان ذلك) الذي ذكر من السرقة او القتل (حلالا عندهم) واما تمثيل الدلجي بحد الزنا جلدا ورجما فليس في محله فانه لم يختلف احد منا ومنهم في تحريمه (فكذلك سبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقتلون به) وفيه انه نوع كفر مندرج في جنس كفرهم لانه فرع من جملة الاحكام المختصة بهم اوالشاملة لهم ولغيرهم (ووردت لاصحابنا) المالكية (ظواهر تقتضي الخلاف) في قتل الذمي وعدمه (اذا ذكره) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بالوجه الذي كفر به) الذمي كتكذيبه النبوة او الرسالة العامة (ستقف عليها) اي على تلك الظواهر (من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد) اي بعد ذلك (وحكى ابو المصعب) بصيغة المفعول (الخلاف فيها) اي في الظواهر قاله الدلجي والصواب في المسئلة (عن اصحابه المدنيين) قال الحلبي هو احمد بن ابي بكر القاسم ابن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبدالرحمن بن عوف ابو مصعب الزهري المدني الفقيه قاضي المدينة يروي عن مالك (واختلفوا) اي المالكية (اذا سبه) اي الذمي (ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ماقبله) كما في حديث صحيح اي يقطع ويمحو ما كان قبله من كفر ومعصية وفي رواية الاسلام يهدم ماقبله قالوا ومعناه يهدم الاسلام ما كان قبله على الاطلاق مظلمة كانت او غيرها كذا ذكره الانطاكي (بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب) فانا نقتله حدا لاكفرا (لانالانعلم باطنه الكافر) اي معتقده قال الحجازي وروي الكفر اقول ولاوجه له (في بغضه وتنقصه بقلبه لكنا منعناه) اي الذمي (من اظهاره فلم يزدنا ماظهره) من السب وغيره (الامخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ماقبله) عما كان بلام (قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف والمسلم بخلافه اذا كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف مابدا) بالالف اي ظهر (عند الان فلم تقبل بعد) اي بعد ذلك (رجوعه) بالتوبة وفيه ان كفره ساعة كيف يكون اشد من كفر سنين مع انه لاعبرة بظننا اذ يحتمل انه كان كافرا ويتستر وماصح له الايمان المعتبر ولهذا قال بعض العارفين الايمان اذا دخل القلب امن السلب وقال بعضهم

الذى رجع مارجع الامن الطريق ويشير اليه قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها اى لاانقطاع (ولااستأمنا) اى لم يظهر لنا الامن (الى باطنه) وفى بعض النسخ ولااستمنا اى ما اطمأننا الى باطنه يقال استنام اليه اى سكن واستأنس فاندفع قول الانطاكي انه لامعنى له ولعله تصحيف وقال الدلجى اى ولاارتفعنا الى ذروة سنام باطنه ولااطلعنا عليه قلت وكذلك الحال بالنسبة الى الكافر الاصلى اذا اسلم اذ يحتمل ان يكون منافقا اولم يوجد فيه شرط من شروط صحة الايمان والله المستعان (اذ قد بدت سرائره) اى ظهرت ضمائره بخلاق ظنتابه (ومائبت عليه) اى على المسلم (من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شئ) قلت فينبغى ان يكون اقرب الى القبول من الكافر الاصلى (وقيل لايسقط اسلام الذمى الساب قتله لانه حق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجب عليه) اى على الذمى (لانتهاكه حرمته) اى تناولها بما لا يحل له (وقصده الحاق النقيصة) وفى نسخة الحاقه النقيصة اى المنقصة (والمعرة) اى المشقة بالمذمة (فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذى) اى بالوجه الذى (يسقطه) وفيه ان كل الصيد فى جوف الفرا وجنس الكفر يشمل الواحد كما ترى ولايظهر قياسه بقوله (كما وجب عليه) اى الذمى (من حقوق المسلمين من قتل وقذف واذا قلنا لاتقبل توبة المسلم) اى الساب لدفع قتله (فان لاتقبل توبة الكافر) اى الذمى (اولى) بل الاولى كما تقبل توبة الحربى ان تقبل توبة الذمى والمسلم لانهما اقرب الى الدين وقد قبل النبى عليه الصلاة والسلام توبة المرتدين واليهود بعد شتمهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (قال مالك فى كتاب ابن حبيب) وهو صاحب الواضحة (والمبسوط) اى وفيه (وابن القاسم) اى وفى كتابه (وابن الماجشون) بكسر الجيم على صورة الجمع وال لاتفارقه وقال النووى الماجشون لفظ اعجمى وهو من اصحاب مالك (وابن عبد الحكم) قال التلمسانى هو اذا اطلق عند الفقهاء فهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن عثمان (واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الذمة اواحدا من الانبياء قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم فى العتبية) بضم اوله (وعند محمد) اى ابن المواز (وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لايقال له اسلم) اقول وما المانع من ذلك (ولا لاتسلم) وهذا اغرب من الاول اذ كيف يجوز لمسلم ان يقول لكافر لاتسلم وكأن مراده انه لايعتبر قول احد له اسلم اولاتسلم والمعنى انه لايجب ان يعرض عليه الاسلام (ولكن ان اسلم وحده) اى باختياره (فذلك له توبة وفى كتاب محمد) اى ابن المواز (اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوغيره من النبيين من مسلم اوكافر) اى ذمى اذ يبعد اطلاقه (قتل ولم يستتب) اى لم يقبل توبته (وروى) بصيغة المجهول (لنا عن مالك) كما فى كتاب ابن حبيب وغيره زيادة بعد قوله فاقتلوه (الا ان يسلم الكافر) ذميا اوغيره (وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضى الله عنهما ان راهبا تناول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه) ليس فيه انه اسلم وامر بقتله (وروى عيسى) ابن معين (عن ابن القاسم) الفقيه المصرى (فى ذمى قال ان محمدا لم يرسل الينا) معشر بنى اسرائيل (انما ارسل اليكم) ايها العرب (وانما نبينا موسى اوعيسى) على وجه التنويع (ونحو هذا لاشئ عليهم) ويروى عليه اى من القتل اوالضرب (لان الله اقرهم على مثله) اذا قبلوا الجزية (واما ان سبه) ذمى (فقال ليس بنبى) اى مطلقا (اولم يرسل) الى احد (اولم ينزل عليه قرأن وانما هو) اى القرأن (شئ تقوله) افتراه (اونحو هذا فيقتل) اى ان لم يسلم (قال ابن القاسم اذا قال النصرانى) وكذا اليهودى (ديننا خير من دينكم) هذا ليس عليه شئ (انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح) اى قبيح الكلام مما هو طعن فى دين الاسلام (اوسمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله) يعنى الرسالة او يجعلكم مثله رسلا (ففى هذا الادب الموجع) الرادع (والسجن الطويل) الوازع اذ ليس فيه تلويح الى نفى رسالته ولاتصريح (قال) اى ابن القاسم (واما ان) وفى نسخة من (شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شتما يعرف) تصريحا لايكون تلويحا (يقتل الا ان يسلم قال مالك غير مرة) اى كثيرا (ولم يقل يستتاب) اى يعرض عليه الاسلام (قال ابن القاسم ومحمل قوله) اى قول مالك الا ان يسلم (عندى ان اسلم طائعا) اى من غير ان يقال له اسلم والا تقتل (وقال ابن سحنون فى سؤالات سليمان بن سالم فى اليهودى يقول للمؤذن اذا تشهد) اى بالرسالة (كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل) وفيه انه مخالف لما سبق من ان الذمى لونفى النبوة اوالرسالة يقتل اللهم الا ان يقال هذا تلويح لاتصريح اذ الخطاب مع المؤذن فيحتمل ان يراد تكذيبه وانما قيدنا الشهادة بالرسالة لانه لوكذب التوحيد يصير حربيا فيقتل الا ان يسلم (وفى النوادر) لابن ابى زيد (من رواية سحنون عنه) اى عن مالك (من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى كفروا) اى به فاندفع قول الحلبى لوقال كفر لكان اولى ثم لايخفى ان من مفرد مبنى وجمع معنى فليس احد من الاستعمالين اولى قال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وما هم بمؤمنين (ضربت عنقه) بصيغة المجهول (الا ان يسلم قال محمد

ابن سحنون فان قيل فلم قتلته) اى امرت بقتل الذمى (فى سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه) جملة حالية (قيل) اى فى جوابه (لانا لم نعطهم العهد) اى الذمة والامان (على ذلك) اى على اظهاره (ولا على قتلنا واخذ اموالنا) بل على الكشف عن ذلك و بذل الجزية مع المذلة هنالك (فاذا قتل) ذمى (واحدا) اى منا كما فى نسخة (فيناله) او اخذ مالا منا اخذناه منه (وان كان من دينه استحلاله) اى عده حلالا (فكذلك اظهاره سب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم موجب لقتله وان كان معتقدا حله (قال ابن سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب) اى ولو من اهل الكتاب (الجزية على اقرارهم على سبه لم يجزلنا ذلك فى قول قائل) من العلماء (كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه) الظاهر انه اذا اخذ عليه العهد بعدم سبه حتى يصح قوله ينتقض (وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة) وهذا قياس مع الفارق ولذا لم يقل به جمهور الامة واغرب الدلجى بقوله بل اولى هذا (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (ما ذكره ابن سحنون عن نفسه) اى اولا (وعن ابيه) ثانيا (مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف) وفى نسخة يخفف (عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمل) ليظهر لك ترجيح احد الوجهين (و يدل على انه) اى ما قاله ابن سحنون عنه وعن ابيه (خلاف ما روى عن المدنيين) من اصحاب مالك (فى ذلك فحكى) قال التلمسانى صوابه كما فى نسخة ما حكى (ابو المصعب الزهرى قال اتيت) بضم الهمزة وتاء المتكلم (بنصرانى قال والذى اصطفى عيسى على محمد فاختلف) اى الرأى (على) اى عندى (فيه) اى فى امره (فضربته) اى ضربا وجيعا (حتى قتلته او عاش) بعد ضربه (يوما وليلة وامرت من جره برجله) بعد موته (فطرح على مزبلة) بفتح الميم والموحدة وقد يضم الثانى ويكسر وهو المحل الذى يكون فيه الزبل اى السرجين يلقى فيه واما ما فى بعض النسخ من كسر الميم وفتح الباء فغير معروف الا فى الالة (فاكلته الكلاب) وفى قتله محل بحث اذ قوله مشتمل على اقراره باصطفائهما بالنبوة والرسالة غايته انه فضل نبيه على نبينا وهو مقتضى دينه بل انه ليس مما كفر به اذ اصل التفضيل قطعى لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض واما تفضيل خصوص بعض الانبياء فظنى وعلى التنزل فليس مما علم من الدين بالضرورة لاسيما وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام قال لا تفضلوا بين الانبياء وفى رواية لا تخيرونى على موسى مع ان سبب وروده ان يهوديا قال والذى اصطفى موسى على محمد فلطمه مسلم (وسئل ابو المصعب عن نصرانى قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل) وهذا ظاهر لانه كفر صريح بل يخرج عن كونه كتابيا و يصير حربيا بل ولا يقول احد مثل هذا القول فى جميع الاديان قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالله خالق كل شئ باجماع الاولين والآخرين واما قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فخلق مجازى متوقف على وجود تراب وماء وتصوير من مخلوق آخر وان الله صانع كل شئ وصنعته كما فى حديث (وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصرانى بمصر) اى القاهرة (شهد عليه) بصيغة المجهول (انه قال مسكين) بالرفع منونا وفى نسخة بالسكون قال التلمسانى وقد يفتح ميمه (محمد يخبركم انه فى الجنة) اى الآن وفى نسخة فهو الآن فى الجنة قاله استهزاء (فماله لم ينفع نفسه اذا كانت الكلاب تأكل ساقيه) وهذا افتراء عليه (لو قتلوه) اى الناس (استراح الناس منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه) و يغرى على جيفته الكلاب (قال) اى مالك (ولقد كدت) اى قاربت (ان لا اتكلم فيها) اى فى مسئلة ابن القاسم عن هذا الكلب النصرانى يعنى بشئ كما فى نسخة (ثم رأيت انه لا يسعنى) اى لا يجوز لى (الصمت) اى السكوت وفى نسخة لا يسعنى الصمت اى لا ينفعنى (قال ابن كنانة) بكسر الكاف (فى المبسوط) و فى نسخة فى المبسوطة (من شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه) من الاحراق او التحريق (بالنار) اى ابتداء (وان شاء) اى الامام (قتله ثم حرق جثته) بضم الجيم وتشديد المثلثة اى جيفته (وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا فى سبه) اى تساقطوا وتكرر منهم وتبالغوا ولعل التحريق حيا من باب السياسة والا فقد ورد لا يعذب بالنار الا الله مثل تهافت الفراش فى النار وفى رواية لا تعذبوا بعذاب الله تعالى رواه ابو داود والترمذى والحاكم فى مستدركه وصححه عن ابن عباس مرفوعا قال ابن كنانة (ولقد كتب) بصيغة المجهول (الى مالك من مصر وذكر) اى ابن كنانة (مسئلة ابن القاسم المتقدمة) فى النصرانى بمصر (قال) ابن القاسم (فامرنى مالك) ان اكتب الجواب (فكتبت بانه يقتل و يضرب عنقه) تفسير لما قبله فيفيد انه لا يصلب حيا ولا يقطع اربا اربا وغير ذلك من انواع القتل لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قتلتم فاحسنوا القتلة بالكسر اى النوع منه (فكتبت) اى فرغت من كتابته (ثم قلت) اى لمالك (يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به) اى ما احقه بان يحرق بعد ضرب عنقه (فكتبته بيدى) احتراس بديعى يدفع به ما يتوهم من المجاز كقولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى ونحو ذلك ومنه قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه (بين يديه) اى قدام مالك وقدامه (فما انكره ولا عابه) وفيه ايماء الى ان التحرير فى باب الفتوى

اقوى من التقرير (ونفذت الصحيفة) بالنون والفاء والذال المعجمة المفتوحات اى ذهبت وفى نسخة بضم النون وتشديد الفاء المكسورة وفى اخرى بصيغة الفاعل اى وارسلتها الى مصر (بذلك) اى بما امر بمالك (فقتل) النصرانى (وحرق) اى بعد قتله (وافتى عبدالله بن يحيى) الليثى صاحب رواية الموطأ عن ابيه عن مالك (وابن لبابة) بضم اللام وبموحدتين وهو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبى (وجماعة سلف اصحابنا) بالاضافتين وفى نسخة فى جماعة سلف اصحابنا (الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت) اى رفعت صوتها يعنى اظهرت (بنفى الربوبية وبنوة عيسى) اى لله كما فى نسخة اى واعلنت بكونه ابناله وبينهما تناقض كما لايخفى وفى نسخة بتقديم النون على الباء والظاهر انه تصحيف (وتكذيب محمد فى النبوة) اى فى اصلها لافى عموم الرسالة لانه مقتضى مذهبهم وكذا القول بالابنية كما اخبر الله عنهم بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وانما امر بقتلها لانكار الربوبية فانها به صارت حربية وخرجت عن كونها ذمية كتابية اذليس هذا من مقتضى دينهم بل ولادين غيرهم لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها) وهذا مخالف لماسبق من ان الذمى اذا طعن فى نبوة نبيا يقتل ولم يقبل اسلامه (به) وفى نسخة وبه اى وبهذا الافتاء (قال غير واحد من المتأخرين) اى من المالكية (منهم القابسى وابن الكاتب) وهو ابو القاسم عبد الرحمن بن على بن محمد (وقال ابو القاسم ابن الجلاب) بفتح الجيم وتشديد اللام بصرى مات سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة (فى كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر) اى ذمى (قتل ولايستتاب) اى لاتقبل توبته وهذا مخالف للجمهور واغرب الدلجى حيث قال تمسكا بالآية والحديث والحال انه لادلالة آية ولااشارة رواية على ذلك بل تقبل توبة المرتد والكافر بشروط هنالك (وحكى القاضى ابو محمد) عبدالوهاب المالكى (فى الذمى يسب ثم يسلم روايتين) عن مالك (فى درء القتل عنه) اى وعدمه (باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف) والمشهور انه مختص برمى الزنى (وشبهه) وهو السب ونحوه (من حقوق العباد لايسقطه عن الذمى اسلامه) لابتنائها على المشاحة (وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله) لانها مبنية على المسامحة (واما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبى او غيره) من العباد المحترمين (فاوجب) اى الله ورسوله قال الدلجى وفيه بحث سيجئ (على الذمى اذا قذف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حد القذف) وفيه انه لم يعرف من كتاب ولاسنة حد القذف بالقتل على كافر اسلم (ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالعصمة ونحوها (على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتأمله) الى حين يتبين لك علم اليقين فى مسئلة الدين قال التلمسانى الظاهر القتل لانه اذاه ومن اذاه يقتل قلت اسلامه يأباه وكم من مؤذله عليه الصلاة والسلام اسلم وقبل منه الاسلام ولم يقتل لماصدر له قبل ذلك من الكلام

﴿ فصل ﴾

(فى ميراث من قتل بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغسله والصلاة عليه) اعلم ان المرتد عندنا لايرث من مسلم ولامن كافر يوافقه فى الملة ولامن مرتد آخر ويرث المسلم من المرتد ما اكتسبه فى حالة الاسلام وعند الشافعى يوضع ذلك فى بيت مال المسلمين واما ما اكتسبه فى حال الردة فعند ابى حنيفة هو بمنزلة الفئ ويوضع ذلك فى بيت المال وقال صاحباه يكون ذلك ميراثا لورثته المسلمين (اختلف العلماء) اى المالكية (فى ميراث من قتل بسبب النبى فذهب سحنون الى انه) اى ميراثه (لجماعة المسلمين) كالفئ فيوضع فى بيت المال (من قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة اى من جهة (ان شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق) والظاهر ان بينهما التفرقة (وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا) وفى نسخة مستسرا اى مسرا يعنى مخفيا (بذلك) السب (وان كان مظهرا له مستهلا) اى معلنا (به) اى بشتمه (فميراثه للمسلمين) اى فيئا (ويقتل على كل حال) سواء كان مسرا او مجاهرا (ولايستتاب) اى لاتقبل توبته (قال ابو الحسن القابسى ان قتل وهو منكر للشهادة عليه) بانه شتمه (فالحكم فى ميراثه على ما اظهر من اقراره يعنى) اى القابسى ان ميراثه (لورثته والقتل حد ثبت عليه) لايدرأ عنه بتوبته (ليس) اى القتل (من الميراث فى شئ وكذلك) اى مثل ماقاله القابسى (لو اقر بالسب واظهر التوبة يقتل اذهو) اى القتل (حده وحكمه) اى هذا المقتول بسببه (فى ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام) من صلاة خلفه حيا وعليه ميتا وغسله وتكفينه ودفنه فى قبورنا وكذا ماوقع له معاملة ومناكحة وانفاقا (ولو اقر بالسب وتمادى) اى استمر مدة واصر (عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا) بالاجماع (وميراثه للمسلمين) وفيه ما قد قدمنا من النزاع (ولايغسل ولايصلى عليه ولايكفن ويستر عورته ويوارى) جيفته (كما يفعل بالكفار) من دفنهم فى حفرة (وقول الشيخ ابى الحسن) القابسى (فى المجاهر المتمادى بين) اى ظاهر (لايمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب) مماوقع فيه (ولامقلع) عن تماديه

(وهو) اى قول القابسى (مثل قول اصبغ وكذلك) اى مثل قول اصبغ (فى كتاب ابن سحنون فى الزنديق يتمادى على قوله) من غير رجوعه وفيه ان الزنديق اذا تمادى على كفره خرج عن كونه زنديقا لانه خلاف مشعر به (ومثله لابن القاسم فى العتبية ولجماعة من اصحاب مالك فى كتاب ابن حبيب) واسمه عبد الملك (فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه) اى حكم الساب (حكم المرتد) اذا لم يسلما (لاترثه ورثته من المسلمين ولامن اهل الدين الذى ارتد اليه ولايجوز وصاياه ولاعتقه) حينئذ لخروج ماله بردته عن ملكه موقوفا (وقاله اصبغ) اى ماقاله ابن القاسم (قتل على ذلك اومات عليه وقال ابو محمد ابن ابى زيد وانما يختلف فى ميراث الزنديق الذى يستهل بالتوبة) اى يظهرها مع انه يضمر عقائد باطلة (فلاتقبل منه) توبته ظاهرا وان نفعته عند الله تعالى لوكان صادقا وهذا موافق لمذهبنا ونقل الدلجى عن الشافعى انها تقبل وتدفع عنه لحديث هل لاشققت عن قلبه انتهى وفيه ان الحديث لم يرد فى حق الزنديق والله ولى التوفيق (واما المتمادى فلاخلاف انه لايورث وقاله ابو محمد) اى ابن ابى زيد (فيمن سب الله تعالى) اى مثلا (ثم مات ولم تعدل) بتشديد الدال المفتوحة اى لم تقم (عليه بينة اولم تقبل) لعدم عدالة او وجود عداوة وضبطه الحجازى بالفوقية بعد القاف اى اوعدلت فات ولم يحكم بقتله (انه يصلى عليه) يعنى احتياطا (وروى اصبغ عن ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله) بتشديد الذال اى كذب برسالته (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعد الايمان كما يدل عليه السياق من السباق واللحاق (اواعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين) اى فيئا (وقال يقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة) فقيه المدينة المشهور بربيعة الرأى روى عن السائب ابن يزيد وانس وابن المسيب وجماعة وعنه مالك والليث وطائفة وثقه احمد وغيره مالك رحمه الله ذهبت حلاوة الفقه مذمات ربيعة كان له حلقة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابو جعفر محمد بن على بن الحسين وابنه محمد يجلسان فى حلقته استقدمه ابو العباس السفاح الى الانبار لتولية القضاء فلم يفعل توفى سنة ست وثلاثين ومائة (والشافعى وابو ثور) البغدادى احد المجتهدين روى عن ابن عيينة وغيره وعنه ابو داود وابن ماجه (وابن ابى ليلى) وهو القاضى الانصارى احد الاعلام روى عن الشعبى وعنه شعبة قال احمد سيء الحفظ وقال ابو حاتم محل الصدق (واختلف) اى القول (فيه عن احمد وقال على ابن ابى طالب كرم الله وجهه وابن مسعود رضى الله تعالى عنه وابن المسيب والحسن) اى البصرى وكلاهما من افاضل التابعين (والشعبى وعمر بن عبد العزيز والحكم) بفتحتين وهو ابن عتيبة بضم عين مهملة ومثناة فوق مفتوحة فياء تصغير فموحدة مفتوحة فقيه الكوفة اخذ عنه شعبة وغيره كان عابدا قانتا لله قال الحلبى ويتفق مع هذا فى اسمه واسم ابيه الحكم بن عتيبة بن نهاس ويفترقان فى الجد كان قاضيا بالكوفة وليس من رواة الحديث قال وقد جعل البخارى هذا والامام المتقدم ذكره واحدا فعد هذا من اوهامه (والاوزاعى والليث) اى ابن سعد (واسحق) اى ابن راهويه (وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين) اى على تفصيل تقدم عنه (وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه فى ارتداده) اى فى ايامه (فللمسلمين) على ما قدمناه قال القاضى (وتفصيل ابى الحسن القابسى (فى باقى جوابه حسن بين) اى ظاهر (وهو على رأى اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما) اى اصبغ وسحنون (على قول مالك فى ميراث الزنديق فمرة ورثه) بتشديد الراء اى جعل وارثه ورثته (من المسلمين قامت) اى سواء ثبتت (عليه بذلك) اى بكونه زنديقا (بينة) اى شهود عدل (فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله) اى به (اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه) اى اصحاب مالك (لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) حيث كانوا يظهرون الاسلام ويضمرون الكفر وكان يرثهم ورثتهم من المسلمين كعبد الله بن ابى ابن سلول وغيره (وروى ابن نافع) الصائغ المدنى قال البخارى فى حفظه شيء وقال ابن معين ثقة وكان يلازم مالكا لزوما شديدا وكان لايقدم عليه احدا قال ابن عدى روى عن مالك غرائب وهو مستقيم الحديث (عنه) اى عن مالك (فى العتبية وكتاب محمد) اى ابن المواز (ان ميراثه لجماعة المسلمين) اى فيئا (لان ماله تبع لدمه) وبه يغاير كونه كالمنافقين لانه ما قتل احد منهم لمجرد نفاقه لا باقراره ولا باثبات بينة عليه (وقال به ايضا جماعة من اصحابه) اى اصحاب مالك (وقاله اشهب والمغيرة) بضم الميم ويكسر للاتباع (وعبد الملك) اى ابن الماجشون او ابن حبيب (ومحمد) اى ابن المواز (وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه) اى الزنديق لا المرتد كما قاله الدلجى (ان اعترف بما شهد به عليه وتاب فقتل فلا يورث) قال الدلجى وهذا عجيب كيف لايورث وقد تاب قلت لان توبة الزنديق لاتقبل على الوجه الصواب (وان لم يقر حتى قتل اومات ورث) لان الاصل بقاؤه على الايمان (قال) اى ابن القاسم (وكذلك) الحكم (كل من اسر كفرا) ولم يظهره حتى قتل اومات (فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام) كما كان المنافقون فى زمنه عليه الصلاة والسلام (وسئل ابو القاسم ابن الكاتب عن النصرانى يسب

﴿النبى﴾

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه) اى ماله (للمسلمين) فيئا (ليس) اى ماله لهم (على جهة التوارث لانه لاتوارث بين اهل ملتين) كما ورد به الحديث (ولكن) ماله لهم (لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا) اى الذي ذكر (معنى قوله) اى ابن الكاتب (واختصاره) بالرفع اى واختصار قوله

﴿الباب الثالث﴾

(فى حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واز واجه وصحبه لاخلاف ان ساب الله تعالى) بنسبة الكذب او العجز اليه ونحو ذلك (من المسلمين كافر) قلت ومن الذميين ايضا كافر حربي (حلال الدم) بل واجب السفك (واختلف فى استتابته) اى قبول توبته (فقال ابن القاسم فى المبسوط) وفى نسخة المبسوطة (وفى كتاب ابن سحنون ومحمد) اى ابن المواز (ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون) اى هو (افترى) وفى نسخة الا ان يكون اى سبه افتراء (على الله بارتداده) اى مصحوبا به (الى دين) غير دين الاسلام (دان به) اى اتخذه دينا وفيه انه لايتصور دين يجوز سبه سبحانه فيه (واظهره) اى دينه (فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب) اى وقتل لانه لو استتيب لاظهر التوبة واخفى الكفر كالزنديق (وقال فى المبسوطة مطرف) اى ابن عبدالله وهو ابن اخت مالك (وعبدالملك) اى ابن حبيب او الماجشون (مثله) مامر من التفصيل وفى نسخة قال مطرف وعبد الملك فى المبسوطة مثله وهو اولى كما لايخفى (وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم) مات يوم الجمعة وهو ساجد فى مسجده عليه الصلاة والسلام سنة اربع وثمانين ومائة (ولايقتل المسلم بالسب) اى مطلقا اظهر اولم يظهر (حتى يستتاب) اى على طريق الوجوب او الاستحباب كما عليه الجمهور فى هذا الباب (وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم) توبتهم (وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة) فيه ايماء الى وجوبها (وذلك كله كالردة وهو) اى هذا التفصيل هو (الذى حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب) اى مذهب مالك (وافتى ابو محمد بن ابى زيد فيما حكى عنه) بصيغة المجهول (فى رجل لعن رجلا ولعن الله عزوجل فقال) اى اللاعن (انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني) اى زلق (فقال) اى ابن ابى زيد (يقتل بظاهر كفره ولايقبل عذره) لاحتمال كذبه مع ظهور كفره (وما فيما بينه وبين الله فمعذور) استصحابا لايمانه مع جزمه به واقول الصواب انه ان استغفر وتاب لايقتل لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان (واختلف فقهاء قرطبة) بضم القاف والطاء بينهما راء ساكنة فموحدة بلد بالمغرب (فى مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان) اى هارون (ضيق الصدر) اى سيئ الخلق (كثير التبرم) اى الضجر وقلة الصبر (وكان قد شهد عليه شهادات) متعددة فى حقه (منها) ولعلها اعظمها (انه قال عند استقلاله) اى قيامه (من مرض) عرض له (لقيت فى مرضي هذا ما لو قتلت ابابكر وعمر لم استوجب هذا) اى المرض الشديد (كله فافتى ابراهيم بن حسين) وفى نسخة حسن (ابن خالد) مات سنة سبع ومائتين فى رمضان (بقتله لانه) وفى نسخة وان (مضمن قوله) بتشديد الميم الثانية المفتوحة اى مضمونه (تجوير لله تعالى) اى نسبته الى الجور وهو ضد العدل (وتظلم) اى واظهار ظلم (منه) سبحانه وتعالى (والتعريض فيه) اى فى وصفه تعالى (كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسن) وفى نسخة حسين (ابن عاصم) مات سنة ثمان وخمسين ومائتين (ومنصور) وفى نسخة سعيد (ابن سليمان) القاضي (بطرح القتل) اى بتركه ووضعه (عنه) بمعنى انه لايتحتم قتله (الا ان القاضي) وهو سعيد بن سليمان (رأى عليه التثقيل) اى التضييق والتنكيل (فى الحبس) كمية وكيفية (والشدة فى الادب) بكثرة الضرب (لاحتمال كلامه الكفر) الموجب لقتله (وصرفه) اى واحتمال صرفه (الى التشكي) وهو اظهار الشكاية من الخالق الى المخلوق وهو احتمال بعيد كما لايخفى ولعل المراد به المبالغة فى بيان شدة مرضه وله تأويل آخر كما سيأتي وهو اظهر فكان الصواب انه يستتاب هذا وقد حكى النووي فى الروضة ما افتوا به ولم يرجح منه رأيا لكن قوله وقد حكى القاضي عياض جملة من الالفاظ المكفرة يقتضي ترجيح رأي من افتى بقتله (فوجه من قال فى ساب الله بالاستتابة) كالمخزومي وغيره هو (انه) اى سبه تعالى (كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى) اى من عباده وفيه بحث اذ عباده مماليكه وحق المولى حق للموالي فيجب ان يقوموا بحقهم كما يجب على الامة ان يقوموا بحق رسولهم والصواب فى المسئلتين ان يستتاب لقوله تعالى الا من تاب (فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار) اى واشبه اظهار (الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة لدين الاسلام) وفيه انه لايعرف دين جوز فيه سب الله سبحانه وتعالى حتى عبدة الاصنام يقولون مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهو لاشك انه اعظم من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (ووجه ترك استتابته) كما قاله ابن القاسم وغيره (انه) اى الساب (لما) وفى نسخة اذا (ظهر منه ذلك) اى سب مولاه سبحانه وتعالى (بعد اظهار

الاسلام) وقبول الاحكام (قبل) اى قبل اظهاره السب (اتهمناه) بتشديد التاء اى اوقعناه فى التهمة بالكفر (وظننا ان لسانه لم ينطلق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا) السب (احد) بان ينطلق به بدون اعتقاده (فحكمناله) اى لقائله (بحكم الزنديق ولم تقبل توبته) اذ قد يتمادى على اخفاء كفره واظهار ايمانه وهذا كالمنافق لكن فيه ان الزنديق من تحقق كفره باطنا وايمانه ظاهرا وهذا ليس كذلك وايضا الزنديق فى التحقيق من لا ينتحل دينا وبهذا يفارق المنافق لثبوته على عقيدة واحدة فاسدة (واذا انتقل من دين الى دين آخر فاظهر السب بمعنى الارتداد) وفيه انه لا يوجد دين يجوز فيه سبه سبحانه كما قدمناه (فهذا) المنتقل (قد اعلم) بصيغة المجهول اى من حاله وفى نسخة قد علم (انه خلع ربقة الاسلام) بكسر الراء فوحدة ساكنة فقاف مفتوحة اى قيده وتعلقه (من عنقه) فيستتاب فان تاب والا قتل وفى الحديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه (بخلاف الاول المتمسك) وفى نسخة المستمسك (به) اى بالاسلام فانه بمجرد سبه تعالى لم يعلم انه خلع ربقته من عنقه لتمسكه به ظاهرا كذا ذكره الدلجى وفساده ظاهر لا يخفى (وحكم هذا) المنتقل (حكم المرتد يستتاب على مشهور مذهب) وفى نسخة مذاهب (العلماء) وفى نسخة مذاهب اكثر اهل العلم كابى حنيفة والشافعى واحمد (وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل) اى قبل ذلك فى اوائل الباب (وذكرنا الخلاف فى فصوله) بسبب الاختلاف فى بعض اصوله واغرب الدلجى فى قوله اى فى فصوله الآتية بعد

﴿ فصل ﴾

(واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب) حال من الضمير قبله (ولا الردة) وفى نسخة ولا على الردة (وقصد الكفر ولكن ذلك) المضاف (على طريق التأويل) الفاسد (والاجتهاد) الكاسد (والخطأ المفضى) وفى نسخة واجتهاد الخطأ المفضى اى الموصل (الى الهوى) اى هوى النفس (والبدعة) من بدع الضلالة الناشئة عن الجهالة بتحقيق الكتاب والسنة (من تشبيه) بيان لما لا يليق به سبحانه كتشبيه المجسمة له سبحانه وتعالى من انه على صورة شاب فى جهة العلو مماسا للعرش او محاذيا له (اونعت بجارحة كالوجه والعين) واليد واليمين والقبضة والجنب والاستواء والنزول ونحوها من حملها على ظاهرها من غير تنزيه ولا تأويل (اونفى صفة كمال) كنفى المعتزلة صفاته القديمة الذاتية حذرا من تعدد القدماء واما ما ذهب اليه بعض الحكماء من انه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات فليس فى كفرها خلاف للعلماء (فهذا) الذى اضيف اليه تعالى على التأويل فى التنزيل (مما اختلف السلف والخلف فى تكفير قائله ومعتقده) والحق عند الاشعرى واكثر اصحابه واكثر الفقهاء كابى حنيفة لا يكفر ويعدم تكفيره يشعر قول الشافعى لا ارد شهادة اهل الاهواء الا الخطابية لا ستحلالهم الكذب فى الشهادة بناء على غلبة الظن وقد اوضحت هذا المبحث فى شرح الفقه الاكبر (واختلف قول مالك واصحابه فى ذلك) اى هل يكفر معتقده ام لا وسيأتى قريبا (ولم يختلفوا) اى اصحاب مالك او سائر العلماء لذلك (فى قتالهم اذا تحيزوا) اى انفردوا (فئة) اى جماعة مجتمعة بمكان معين منعزلين عن اهل الحق لا شعارذلك بجحا لفتهم ومنا واتهم واظهار معاداتهم كالخوارج فى زمن على كرم الله وجهه والروافض فى زماننا خذلهم الله سبحانه وتعالى (وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا) اى اصحاب مالك (فى المنفرد منهم فاكثر قول مالك) اى المنقول عنه (واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم) بالرفع (والمبالغة) بالرفع (فى عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم) اى اعراضهم عنه ورجوعهم منه (وتستبين توبتهم) الا ان الرافضة القائلين بالتقية لا يتحقق منهم التوبة الباطنية (كما فعل عمر رضى الله تعالى عنه بصبيغ) بفتح مهملة وكسر موحدة فتحتية ساكنة فغين معجمة تميمى بصرى خارجى الرأى وكان يتبع مشكل القرآن ويسأل الناس عنه وكان كما اخبرالله به فى كتابه فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فقدم على عمر رضى الله عنه وكان اعد له جرائد ليضربه بهن فلما جلس بين يدى عمر قال له من انت قال له انا عبدالله صبيغ فقال له عمر وانا عبدالله عمر فضربه عمر حتى شجه بتلك العراجين فجعل الدم يسيل على وجهه فقال حسبك يا امير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت اجده فى رأسى وفى رواية ضربه عمر حتى صار ظهره كالبرذعة ثم سجنه حتى قارب البرء ثم ضربه كذلك ثم سجنه فقال له ان اردت قتلى فاقتلنى والا فقد شفيتنى شفاك الله فارسله عمر ونهى ان يجالس فكان بالبصرة لا يكلمه احد ولا يجالسه ولا يرد على حلقة الا قاموا وتركوه وكان مع ذلك وافرا لشعر لا يحلق رأسه (وهذا) اى القول بالمبالغة فى عقوبتهم (قول محمد ابن المواز فى الخوارج) وهم فرق شتى متفقون على ان من اذنب صغيرة اوكبيرة فقد كفروهم يكفرون عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة ويعظمون ابا بكر وعمر ذكره فخر الدين الرازى (وعبدالملك ابن الماجشون) بالجر اى وقوله (وقول سحنون) بالرفع اى وكذا قوله (فى جميع اهل

الاهواء) كالرافضة وغيرهم من المبتدعة كالقدرية والمرجئة ممن خالف الكتاب والسنة واجماع الامة وهم اثنان وسبعون والناجية منها اهل السنة و بها ثلاث وسبعون وقد تكلم عليها بالتعيين في جميعها ابو اسحق الشاطبي في الحوادث والبدع بما يؤدي ذكره الى طوله والله الموفق للحق بفضله وقد قال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفي الحديث ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة قالوا وما هي يارسول الله قال ما انا عليه واصحابي (وبه) اي بالقول بالمبالغة في عقوبتهم (فسر قول مالك) بصيغة المجهول (في الموطأ وما رواه عمر) عطف تفسير لما قبله وفي نسخة عن عمر وفي اصل الدلجي ما رواه على انه بدل من قول مالك اي فسر بعض اصحابه ما قاله رواية عن عمر (ابن عبد العزيز وجده) اي مروان بن الحكم (وعمه) عبد الملك بن مروان (من قولهم في القدرية) بفتح الدال ويسكن (يستتابون فان تابوا والا قتلوا) وهم طائفة ينكرون ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى في الازل انها ستقع في اوقات معلومة وعلى صفة مخصوصة بحسب ما قدره سبحانه وتعالى وعظم شانه وسموا بذلك لانكارهم القدر واسنادهم افعال العباد الى قدرتهم قال النووي وقد انقرضوا باجمعهم ولم يبق احد من اهل القبلة على ذلك ولله الحمد انتهى وصارت القدرية في هذا الزمان الذين يعتقدون الخير من الله والشر من غيره كالمعتزلة ومن تبعهم كما سيأتي (وقال عيسى) قال الحلبي لعله ابن ابراهيم بن مزيد وقال الدلجي لعله ابو موسى الغافقي (عن ابن القاسم في اهل الاهواء) اي البدع المختلفة الاراء (من الاباضية) بكسر الهمزة فموحدة مخففة بعدها الف فضاد معجمة فياء نسبة طائفة من الخوارج اصحاب عبد الله ابن اباض التميمي ظهر في زمان مروان بن محمد آخر ملوك بني امية وقتل آخر الامر كانوا يزعمون ان مخالفيهم من اهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وغنيمة سلاحهم وكراعهم عند الحرب دون غيرهم ودارهم دار الاسلام الا معسكر سلطانهم وتقبل شهادة مخالفيهم عليهم (والقدرية) وهم اتباع واصل بن عطاء سموا قدرية لانكارهم القدر وان العبد يخلق فعله الشر دون الخير ومنهم المعتزلة والزيدية والرفضة وقد قال عليه الصلاة والسلام القدرية مجوس هذه الامة لمشاركتهم المجوس في اثبات خالق للخير وخالق للشر (تنبيه) قالت القدرية لسنا بقدرية بل انتم يعنون اهل الحق القدرية لاعتقادكم اثبات القدر واجيب بان هذا تمويه منهم فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله سبحانه وتعالى ويضيفون الافعال السيئة الى قدرته سبحانه وتعالى وهؤلاء يضيفونها الى انفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه اليه اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه هذا وقد ورد في الاحاديث اوصاف القدرية بحيث ترتفع هذه الشبهة بالكلية (وشبههم) بفتحتين وبكسر فسكون اي وامثالهم (ممن خالف الجماعة) الذين هم اهل السنة (من اهل البدع) اي المخترعين عقائد الضلالة التي لم يخرج بها عن الاسلام واما قول الدلجي كالنصيرية فخطأ فاحش فانهم طائفة يعبدون عليا فهم كفرة اجماعا (والمحرفين لتأويل كتاب الله تعالى) بتأويل باطل ظاهرا على مقتضى ارائهم الفاسدة واهوائهم الكاسدة (يستتابون) اي مطلقا سواء (اظهروا ذلك) اي معتقدهم (اواسروه فان تابوا قبلت) توبتهم (والا قتلوا وميراثهم لورثتهم) اجماعا لان قتلهم انما هو لارتكابهم البدعة زجرا لهم عنها على طريق السياسة (وقال مثله) اي مثل قول عيسى (ايضا ابن القاسم في كتاب محمد) اي ابن المواز (في اهل القدر وغيرهم) من المبتدعة مخالفي اهل السنة (قال) اي ابن القاسم او محمد عنه (واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه) من الاعتقاد الفاسد والعمل الكاسد فان تابوا فيها وان تمادوا فاقتلوا واحدا وميراثهم لورثتهم وفيه ان المبتدعة لا توبة لهم الا اذا اظهروها من عند انفسهم (ومثله) اي مثل ما قال ابن القاسم في كتاب محمد (له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع) من انهم يستتابون (قال) اي ابن القاسم (وهم مسلمون) اي داخلون في فرق اهل الاسلام والتوارث قائم بينهم (وانما قتلوا لرأيهم السوء) اي حدا للسياسة زجرا عن البدعة (وبهذا) اي وبقول ابن القاسم (عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل) لكفره اجماعا بانكاره تكليمه مع وروده في القرآن وكلم الله موسى تكليما قال الانطاكي ونحو قول ابن القاسم هذا عن احمد بن حنبل فانه روى عنه انه قال من زعم ان الله لم يكلم موسى فهو كافر اقول ولا يتصور ان يكون فيه خلاف وتحقيق بحث الكلام محله علم الكلام (وابن حبيب) مبتدأ (وغيره من اصحابنا) المالكية (يرى تكفيرهم) اهل البدع (وتكفير امثالهم) اي من التابعين لاقوالهم (من الخوارج والقدرية والمرجئة) بالهمز والياء اسم فاعل وهم فرقة يزعمون انه لا يضر مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة وان الله تعالى لا يعذب الفسقة من هذه الامة سموا بذلك لاعتقادهم انه ارجأ تعذيبهم من المعاصي اي اخره عنهم يقال ارجأت الامر وارجيته اي اخرته ومنه قوله تعالى حكاية ارجئه واخاه ففيه ست قراآت في السبعة هذا وفي المنتقى

من كتب اصحابنا عن ابي حنيفة لانكفر احدا من اهل القبلة وعليه اكثر الفقهاء ومن اصحابنا من قال بكفر المخالفين وقالت قدماء المعتزلة بكفر القائل بالصفات القديمة و بخلق الافعال وقال الاستاذ ابو اسحق نكفر من يكفرنا ومن لا فلا ولعل من كفر لاحظ التغليظ والزجر والسياسة ومن امتنع راعى الاحتياط في حرمة اهل القبلة وهذا اسلم والله تعالى اعلم (وقد روى ايضا من يكفرون مثله) اى مثل قول ابن حبيب وغيره بتكفير من ذكر (فيمن قال ليس لله كلام) اى نفسي ولفظي (انه كافر) وهذا لاخلاف فيه لانكاره ما نص الله به في كتابه (واختلفت الروايات عن مالك) اى في تكفير المبتدعة من اهل القبلة (فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر) الغساني وفي نسخة ابو مسهر بتعزيرهم (ومروان بن محمد الطاطري) بفتح الطاء الثانية من المهملتين كان يبيع ثيابا بيضا يقال لها الطاطرية روى عن مالك وعنه الدارمي وغيره امام ثابت ثقة (الكفر عليهم) مفعول اطلق ولعله اراد التغليظ للزجر فيهم (وقد شوور) اى مالك وهو مجهول شاور (في تزويج القدري فقال لا تزوجه) يحتمل ان يكون على وجه الكراهة او الحرمة وهذا يجمع عليه خوفا على المرأة لقلة عقلها ان تميل الى مذهب زوجها ويحتمل ان يكون لنفي الصحة بناء على تكفيره و قوله في الاستشهاد (قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم) يحتمل احتمالين في الاعتضاد لاتساع باب الاجتهاد (وروى عنه) اى عن مالك (ايضا اهل الاهواء) اى البدع في الاراء (كلهم كفار) اى حقيقة او كفرا دون كفر اى مجازا (وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار) في وصفه (الى شيء من جسد او يد او سمع او بصر) اى ونحوها من اذن او لسان او رجل او غيرها (قطع ذلك) العضو (منه) اى سياسة جزاء وفاقا (لانه شبه الله تعالى بنفسه) وهو سبحانه ليس كمثله شيء (وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه) وروى التفتازاني هنا حديثا وتقدم انه موضوع والمحققون على انه لم يكفر لقوله تعالى قرآنا عربيا ولكونه مقروا بالسنتنا ومكتوبا بايدينا وانما الكلام في الكلام النفسي ولهذا قال بعضهم من قال كلام الله مخلوق فهو كافر وهو ظاهر (وقال) اى مالك (ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي) بكسر الفوقية والنون المشددة فتحتية ساكنة وسين مهملة فياء نسبة الى موضع قرب دمياط اكله البحر المالح وصار بحيرة ماء روى عن الاوزاعي وغيره وعنه الشافعي ونحوه (عنه) اى عن مالك (يقتل ولاتقبل توبته) وهذا قريب جدا (وقال القاضي ابو عبد الله البرنكاني) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فنون مفتوحة نسبة الى ضرب من الاكسية (والقاضي ابو عبد الله التستري) بضم اوله وبفتح ثانيه ويضم وقيل بفتح اوله وبضم ثانيه (من ائمة العراقيين) اى من المالكية وفي نسخة بزيادة من اصحابنا (جوابه) اى جواب مالك فيمن قال القرآن مخلوق (مختلف يقتل) وفي نسخة فقال يقتل وهو مضارع مجهول وقال التلمساني مصدر دخل عليه حرف جر (المستبصر) اى الذي له خبرة بامور شريعته وهو معجب بضلالته وجها لته (الداعية) اى الذي يدعو غيره الى بدعته والتاء للمبالغة او بتأويل الفرقة او الطائفة بناء على ان المراد بالمستبصر جنسه (وعلى هذا الخلاف) الذي ذكره القاضيان (اختلف قوله في اعادة الصلاة) اى التي صليت (خلفهم) فقال مرة تعاد ومرة لاتعاد ويمكن الجمع بينهما ايضا بان يقال تعاد احتياطا ولاتعاد وجوبا والاظهر على مقتضى مذهبه انه لاتجوز الصلاة خلف الفاسق انه تجب الاعادة ولعل الخلاف محمول على انه لم يعلم بحاله اولا ثم تبين بدعته ثانيا وقد نقل الشيخ ابو حامد الاسفرايني والماوردي عن نص الشافعي ان من صلى خلف من ظنه مسلما فبان مرتدا اوزنديقا وجوب الاعادة وعدمه ورجحه عامة اصحابه (وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري) وفي نسخة القدرية وهو مناف لما سبق عنه انه لانكفر احدا من اهل القبلة (واكثر اقوال السلف) اى العلماء المتقدمين (تكفيرهم) لانهم خالقين على ما مر (وممن قال به) اى بتكفيرهم (الليث) ابن سعد (وابن عيينة وابن لهيعة) بفتح اللام وكسر الهاء والعين مهملة وهو ضعيف (روى عنهم) اى عن السلف ومن تبعهم من المذكورين (ذلك) اى تكفيرهم (فيمن قال بخلق القرآن وقاله) اى وقال بتكفير من قال بخلق القرآن (ابن المبارك) وهو عبد الله المروزي من اصحاب ابي حنيفة ممن جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع والاجتهاد والجهاد (والاودي) بفتح الهمزة وسكون الواو ومنسوب الى قبيلة اود وهو عثمان بن حكيم (ووكيع) اى ابن الجراح ابو سفيان الرواسي (وحفص بن غياث) بكسر معجمة فتحتية مخففة فالف فمثلثة وهو ابو عمر والنخعي قاضي الكوفة روى عن الاعمش وغيره وعنه احمد وغيره (وابو اسحق الفزاري) بفتح الفاء والزاي ونقه غير واحد (وهشيم) بفتح الهاء وكسر الشين المعجمة وضبطه التلمساني مصغرا وهو ابن بشير يكنى ابا معاوية السلمي الواسطي حافظ بغداد روى عن عمرو بن دينار وغيره وعنه احمد وابن معين ثقة مدلس (وعلي بن عاصم) اى الواسطي يروى عن يحيى البكاء وعطاء بن السائب وعنه ابن حنبل وغيره ضعفوه وكان عنده مائة الف حديث مات وله بضع وتسعون سنة (في آخرين) اى من المجتهدين

﴿والمعنى﴾

والمعنى مندرجين فيهم اى متوافقين معهم (وهو) اى ماقاله هؤلاء الائمة (من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين) اى من علماء اصول الدين (فيهم) اى فيمن ذكر من المبتدعة (وفى الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة) كالرافضة وهو اسم فاعل اومفعول اى الجامعين بين الضلال والاضلال (واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد ابن حنبل وكذلك قالوا) اى هؤلاء الائمة (فى حق الواقفة) اى ليسوا متأولين ذكره الدلجى والاظهر ماقاله التلمسانى من انهم قوم توقفوا اذلبس عندهم جواب اما لجهلهم اولتعارض الادلة عندهم وتوقفهم يوجب لهم مايوجب لاصحابهم من المبتدعة والخوارج وغيرهم انتهى وفيه ان التوقف لتعارض الادلة لايوجب التكفير كما لا يخفى لان الايمان الاجمالى معتبر اجماعا (والشاكة) اى المترددة (فى هذه الاصول) اثابتة هى ام ضعيفة اواحقة هى ام باطلة قال التلمسانى هم قوم وقع لهم الشك فى القرأن هل هو مخلوق املا (وممن روى عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم) اى الفرق المذكورة وفى نسخة بتكفيرهم وهوخطأ اذلم يقل بتكفيرهم (على بن ابى طالب) كرم الله وجهه (وابن عمر) رضى الله عنهما (والحسن البصرى وهو رأى جماعة من الفقهاء النظار) بضم النون وتشديد الظاء جمع الناظر من النظر بمعنى التأمل والفكر ومنه المناظرة كابى حنيفة والشافعى واتباعهما (والمتكلمين) اى علماء الكلام وسموا به لان جل مباحثهم معرفة الكلام (واحتجوا) اى هؤلاء الائمة (بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء) بحاء مهملة مفتوحة وضم الراء الاولى بمد ويقصر موضع بالعراق على ميلين من الكوفة اجتمع بها الخوارج وتعاقدوابها على رأيهم فنسبوا اليها وهم الذين ثاروا على على كرم الله وجهه بعد وقعة الجمل وكان زعيمهم ابن الكواء تعاقدوا واجتمعوا على قتال على ثم مضوا الى النهروان فقاتلهم على كرم الله وجهه وهم ثلاثون الفا فتفلت منهم عشرة فذهب رجلان الى عمان ورجلان الى سجستان ورجلان الى اليمن ورجلان الى الجزيرة ورجلان الى تل مروان وظهرت مذاهب الخوارج بهذه المواضع قال التلمسانى ومذهبهم ان الامام لايختص بآل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بل كل من اجتمع فيه زهد وعلم وشجاعة فهو امام اذا بويع وخرج وان كان من العبيد والموالى وتفاصيل اعتقاداتهم فى الصحابة ومرتكبى الكبيرة مذكورة فى كتب الكلام انتهى ولا يخفى ان مذهب اهل السنة ايضا ان الامام لايختص بآله عليه الصلاة والسلام بل يختص بقريش لقوله عليه الصلاة والسلام الائمة من قريش وبه ثبت خلافة الشيخين وانما الشيعة يقولون باختصاص الامامة لاهل بيت النبوة (ومن عرف بالقدر) بصيغة المجهول وهو معطوف على اهل حروراء (ممن مات منهم) اى جميعهم (ودفنهم فى مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام) من اعتاقهم وتنفيذ وصاياهم وسائر الاحكام (عليهم قال اسمعيل القاضى وانما قال مالك فى القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه) اى لان ابتداعهم نوع (من الفساد كما قال) اى مالك او الله تعالى (فى المحارب) اى قاطع الطريق حيث قال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا اى ان قتلوا او يصلبوا ان قتلوا ونهبوا اوتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان نهبوا او ينفوا من الارض بالاخراج اوالحبس ان اخافوا فقط فاو فى الآية للتنويع والحكم مرتب عليهم عند الجمهور وعند مالك او للتخيير كما يشير اليه قوله (ان رأى الامام قتله) اى حدا (وان لم يقتل) اى احدا وان وصلية (قتله) اى الامام لكونه مخيرا فى قتله وهذا من باب قياس الاولى كما بينه بقوله (وفساد المحارب انما هو فى الاموال) اى فى حقها وبسببها يحصل سفك الدماء (ومصالح الدنيا) اى فى جهتها من حفظ الاموال والدماء (وان كان) اى الفساد (ايضا قد يدخل فى امور الدنيا) بالتبعية (من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه) اى اكثره واقع (على الدين) وان كان يتفرع عليه ايضا فساد فى الدنيا كما بينه بقوله (وقد يدخل) اى الفساد (فى امر الدنيا بما يلقون) بضم الياء والقاف اى يغرون (بين المسلمين من العداوة) والبغضاء وقد حرم الله الخمر والميسر لهذه العلة كما قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر فالعلة مركبة مفيدة لقتل اهل البدعة ولكن المرتبة المعتدلة ماصدر عن على امام الائمة وتبعه جمهور علماء الامة انهم يقتلون حال المحاربة اووقت خروجهم للدعوة واما اذا اخذوا اوكانوا منفردين غير مجتمعين على الفساد فلا يقتل احد منهم وهذا جمع حسن وهو اسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ فصل ﴾

(فى تحقيق القول فى اكفار المتأولين) اى فى تكفيرهم (قد ذكرنا مذاهب السلف) اى اختلاف مقالهم (واكفار اصحاب البدع) الفاسدة (والاهواء) الكاسدة (والمتأولين) للكتاب والسنة (ممن قال) اى بعض المبتدعة (قولا يؤديه) بهمز ويبدل اى يوصله (مساقه) اى مرجعه ومآله (الى كفر هو) اى المبتدع (اذا وقف عليه) بصيغة المجهول اى اذا اطلع على حقيقة امره (لايقول بما يؤديه قوله اليه) وذلك لانه بحسب اجتهاده وقع عليه وذلك

كما اذا قال المعتزلى ان الله عالم ولكن لا علم له فقيل له قولك هذا يؤدى الى نفى ان يكون الله عالما اذ لا يوصف بعالم الامن
له علم يقول هو نحن لا نقول انه ليس بعالم فانه كفر وقولنا لا يؤدى الى ذلك على ما هو اصلنا وكقول من قال منهم انه
الله لا يريد الفحشاء ما ولا له بان ارادة القبايح قبيحة ويجاب بانه سبحانه منزه عن ان يقع فى ملكه الا ماشاء (وعلى
اختلافهم) اى بناء على اختلاف مراتب المبتدعة وتفاوت المسئلة المخترعة وقال الدلجى اى على اختلاف السلف
(اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك) اى فى تكفيرهم (فمنهم من صوب التكفير الذى قال به الجمهور من السلف ومنهم
من اباه) اى التكفير (ولم يراخراجهم من سواد المسلمين) اى عمومهم (وهو قول اكثر الفقهاء) كابى حنيفة والشافعى
وغيرهما (والمتكلمين) اى اكثرهم من الاشعرية والماتريدية (وقالوا) اى الجمهور من الطائفتين وفى نسخة وقال اى
من اباه ومابينهما معترضة (هم) اى المبتدعة (فساق) بعملهم وهو بضم الفاء وتشديد السين جمع فاسق (عصاة)
باعتقادهم وهو جمع عاص (ضلال) فى اجتهادهم وهو بضم فتشديد جمع ضال (ونوارثهم) بالنون وفى نسخة بالياء
(من المسلمين) قال التلمسانى وروى توارثهم مصدرا اقول والظاهر انه تحريف وتصحيف (ونحكم لهم) بالوجهين
وفى نسخة بصيغة المجهول الغائب (باحكامهم) اى باحكام سائر المؤمنين مما لهم وعليهم فى امور الدنيا والدين وفى قوله
نوارثهم ونحكم لهم ايماء الى صحة القول الاخير وهو عدم التكفير (ولهذا قال سحنون لا اعادة على من) وفى نسخة لمن
(صلى خلفهم قال) اى سحنون (وهو) اى هذا القول بعدم الاعادة (قول جميع اصحاب مالك) كلهم (المغيرة وابن كنانة
واشهب قال) اى مالك اوكل واحد من اصحابه (لانه) اى المبتدع (مسلم) اى من اصله المنسحب عليه فى حاله (وذنبه)
اى بابتداعه (لم يخرجه من الاسلام) وان كان بدعته كبيرة (واضطرب آخرون) اى من اصحاب مالك (فى ذلك)
التكفير (ووقفوا) اى توقفوا (عن القول بالتكفير اوضده) وهو عدم التكفير (واختلاف قولى مالك) وفى نسخة قول
مالك (فى ذلك) اى فيما ذكر من التكفير وعدمه (وتوقفه) اى وفى توقفه والاظهر انه مرفوع اى وتوقف مالك (عن
اعادة الصلاة خلفهم) اى عقب المبتدعين (منه) اى من قبيل ما اضطرب فيه الآخرون (والى نحو من هذا)
الاختلاف فى ذلك والتوقف من مالك (ذهب القاضى ابو بكر) اى الباقلانى (امام اهل التحقيق) اى فى مقام
التدقيق (والحق) اى وامام اهل الحق المزيل للباطل (وقال) اى الباقلانى (انها) اى مسئلة القول بالتكفير (من
المعوصات) بضم الميم وكسر الواو المخففة اى المشكلات (اذ القوم) اى المبتدعة (لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا
قولا يؤدى اليه) ولابد من الفرق بينهما فى مقام التحقيق والله ولى التوفيق والحاصل ان مقتضى الاشكال وهو ان
المعتزلى انما قال مثلا ان الله عالم ولكن لا علم له فهل يقول ان نفيه للعلم له سبحانه وتعالى نفى ان يكون الله عالما وذلك
كفر بالاجماع او يقول قد اعترف بانه تعالى عالم وانكاره العلم لا يكفره وان كان يؤدى الى انه ليس بعالم والله سبحانه
وتعالى اعلم (واضطرب قوله) اى قول القاضى ابى بكر (فى المسئلة) اى هذه ايضا (على نحو اضطراب قول امامه مالك
ابن انس) كان الاولى حذف امامه (حتى قال) اى الباقلانى (فى بعض كلامه انهم) اى اهل البدع (على رأى من كفرهم
بالتأويل لا يحل) اى لاحد منا اهل السنة (مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم) لموته فى اعتقاد من
يكفرهم على الكفر (ويختلف فى مواريثهم) بصيغة المجهول (على الخلاف فى ميراث المرتد) على ما مر عن ابن القاسم
وغيره (وقال) الباقلانى (ايضا نورث) بتشديد الراء المكسورة (ميتهم) وفى نسخة منهم (ورثتهم من المسلمين
ولا نورثهم) اى المبتدعة (من المسلمين واكثر ميله) اى الباقلانى (الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه) اى
فى القول بتكفيرهم (قول شيخه) اى فى الطريقة (ابى الحسن الاشعرى واكثر قوله) المنقول عنه (ترك التكفير وان
الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى) اى وما يتعلق به من التوحيد والنبوة (وقال) اى الاشعرى (مرة
من اعتقد ان الله جسم) اى له جسم كالاجسام (او المسيح) اى انه عيسى (او بعض من يلقاه فى الطريق) كما تصور
ابليس فوق عرش بين السماء والارض وصور فى خاطر بعض المريدين انه الاله فوق عرشه واعتقده حتى بلغه الحديث
المشهور فى ذلك فتاب الى الله وقضى صلواته المتقدمة هنالك ولا يبعد ان يكون مراده ان القول بان الله جسم او المسيح
او بعض من يلقى فى الطريق مستوى فى حد كفره (فليس بعارف به) اى بوجوده سبحانه وتعالى (وهو كافر) حيث لم
يفرق بين وجود واجب الوجود وبين وجود الحادث فى مقام الشهود ومن هنا كفر ارباب الحلول والاتحاد والوجودية
من اهل الالحاد الذين ضرر فسادهم على العباد اكثر من سائر اهل الكفر والعناد (ولمثل هذا) المقال المروى
عن الاشعرى من عدم تكفير المبتدعة من اهل القبلة (ذهب ابو المعالى) وهو امام الحرمين رحمه الله تعالى وهو من
اكابر الشافعية (فى اجوبته لابى محمد عبد الحق) اى الاشبيلى ذكره الدلجى وقال الحلبى هذا ليس الاشبيلى الحافظ
صاحب الاحكام بل آخر غيره ولد سنة عشر وخمسمائة ومات سنة احدى وثمانين وخمسمائة وولد امام الحرمين

سنة تسع عشرة واربعمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وسبعين واربعمائة فالامام توفى قبل مولد عبد الحق الحافظ صاحب الاحكام بما ترى قال ورأيت فى نسخة ما لفظه ولمثل هذا ذهب ابو الوليد سليمان رحمه الله فى اجوبته لابى محمد عبد الحق وهذا ايضا لا يصح ان يكون عبد الحق الحافظ الاشبيلى وذلك لان ابا الوليد سليمان بن خالد الباجى توفى سنة اربع وسبعين واربعمائة وعبد الحق ولد سنة عشر وخمسمائة وقيل سنة اربع عشرة فلا يصح ذلك والله تعالى اعلم وعبد الحق الذى جاوبه ابو المعالى لم اعرفه الى الآن انتهى وقال التلمسانى هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمى مات سنة ست وستين واربعمائة (وكان) اى والحال ان ابا محمد (سأله عن المسئلة) التى ميل الاشعرى فيها الى عدم التكفير اكثر (فاعتذر له بان الغلط فيها) اى فى المسئلة بالقول بالتكفير وعدمه (يصعب) اى يعسر جدا (لان ادخال كافر فى الملة الاسلامية (او اخراج مسلم عنها عظيم فى الدين) والثانى اصعب من الاول فتأمل ولعله عليه الصلاة والسلام من اجل هذا قال اجرأكم على الفتيا اجرأكم على النار (وقال غيرهما) اى الاشعرى وابى المعالى (من المحققين الذى) مبتدأ اى القول الذى (يجب) ان يقال (هو الاحتراز من التكفير فى اهل التأويل) وان كان تأويلهم خطأ فى فهم التنزيل (فان استباحة دماء) المصلين (الموحدين) المصلين (الصائمين المزكين القارئين للكتاب التابعين للسنة فى جميع الابواب (خطر) بفتحتين اى ذو خطر ويجوز ان يكون بفتح فكسر (والخطأ فى ترك الف كافر اهون من الخطأ فى سفك محجمة) بكسر الميم الاولى وهى آلة الحجامة (من مسلم) وفى نسخة من دم مسلم (واحد) وقد قال علماؤنا اذا وجد تسعة وتسعون وجها تشير الى تكفير مسلم ووجه واحد الى ابقائه على اسلامه فينبغى للمفتى والقاضى ان يعملا بذلك الوجه وهو مستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام لان يخطئ فى العفو خير له من ان يخطئ فى العقوبة رواه الترمذى وغيره والحاكم وصححه (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك وفى رواية (فاذا قالوها يعنى الشهادة) اى جنسها (عصموا) بفتح الصاد اى حفظوا (منى دماءهم واموالهم الا بحقها) اى بحق الشهادة مما يتعلق بها وفى رواية الا بحق الاسلام (وحسابهم على الله) اى نحن نحكم بالظواهر والله تعالى اعلم بالسرائر وورد ما امرت ان اشق عن قلوب الناس وصح انه قال لاسامة هلا شققت عن قلبه وظاهر هذه الاحاديث على انه تقبل توبة المرتد والزنديق وجاحد مجمع عليه وجوبا كالصلاة ونحوها والله ولى التوفيق (فالعصمة) للدماء والاموال (مقطوع بها مع الشهادة) بالوحدانية والرسالة (ولا ترتفع) اى العصمة (ويستباح خلافها) اى من دم اومال (الا بقاطع) من الادلة (ولا قاطع من شرع) الا قوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث وهى الردة وقتل مسلم وزنا محصن (ولا قياس عليه) صحيح حتى يماثل به (والفاظ الاحاديث الواردة فى هذا الباب) اى فى باب مذمة المبتدعة (معرضة) بتشديد الراء المفتوحة وروى عرضة اى قابلة (للتأويل فما جاء منها فى التصريح بكفر القدرية) كقوله عليه الصلاة والسلام القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم كما رواه ابو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر وقوله عليه الصلاة والسلام من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فانا منه برئ رواه ابو يعلى فى مسنده (وقوله) بالرفع عطفا على ما اى وقول النبى عليه الصلاة والسلام (لا سهم لهم فى الاسلام) اى لا نصيب للقدرية مطلقا او كاملا فى سهام الاسلام (وتسميته) عليه الصلاة والسلام (الرافضة بالشرك) هذه رواية غير معروفة ولعل المراد بهم غلاتهم القائلون بالهية على ويسمون النصيرية ولا شبهة فى كفرهم اجماعا (واطلاق اللعنة) وفى نسخة واطلاقه اللعنة (عليهم) اى على القدرية والرافضة (وكذلك الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء) فروى الدار قطنى فى العلل عن على كرم الله وجهه لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا وروى الطبرانى عن ابن عمر لعن الله من سب اصحابى وروى الطبرانى ايضا عن ابن عباس من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وروى احمد والحاكم عن ام سلمة من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله (فقد يحتج بها) اى بظاهرها (من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر) وهو القائل بعدم التكفير (بانه) اى الشان (قد ورد مثل هذه الالفاظ فى الحديث) النبوى (فى غير الكفرة على طريق التغليظ) كقوله عليه الصلاة والسلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد رواه احمد والحاكم عن ابى هريرة وفى رواية من اتى كاهنا فصدقه بما يقول او اتى امرأة حائضا او امرأة فى دبرها فقد برئ مما انزل على محمد وفى رواية ملعون من اتى امرأة فى دبرها (وكفر) اى وبانه كفر اى كفران (دون كفر) اى صريح (واشراك) اى خفى (دون اشراك) اى جلى كقوله عليه الصلاة والسلام من حلف بغير الله فقد اشرك رواه احمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر (وقد ورد مثله) اى فى انه شرك

دون شرك (فى الرياء) كقوله عليه الصلاة والسلام الشرك الخفى ان يعمل الرجل لمكان الرجل رواه الحاكم عن ابى سعيد وقدقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا اى بان يرائيه او يطلب منه اجرا وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الا صغر قيل وماالشرك الاصغر قال الرياء وفى نسخة الزنا بالزاى والنون كحديث لايزنى حين يزنى وهو مؤمن ولايبعد ان يكون الربا بالراء والموحدة لقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (وعقوق الوالدين) كحديث من ادركه ابواه او احدهما فلم يدخلاه الجنة لم يرح رائحة الجنة (والزور) اى شهادة الزور وهى المعادلة للشرك فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وروى بدله والزوج كقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله المسوفات التى يدعوها زوجها الى فراشه فتقول سوف حتى تغلبه عيناه رواه الطبرانى عن ابن عمر (وغيرمعصية) اى وفى غير معصية اى متفق عليها كقوله عليه الصلاة والسلام ملعون من لعب بالشطرنج رواه ابن حزم وغيره وكقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله المحلل والمحلل له رواه احمد والاربعة عن على كرم الله وجهه (واذا كان) الحديث الوارد فى الآحاد (محتملا للامرين) من كفر وغيره (فلا يقطع) اى الحكم بالجزم (على احدهما الا بدليل قاطع) واغرب الدلجى بقوله اوغيرقاطع وكانه قاس على مسائل الفروع حيث لافرق عندامامهم بين القطعى والظنى فى احكامها وغفل عن انه لابد فى مسائل الاصول من الادلة القطعية (وقوله) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه مسلم عن ابى ذر وروى لانه قال (فى الخوارج هم من شر البرية) بالهمز والتشديد اى الخليقة (وهذه صفة الكفار) كما فى سورة البينة (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقى فى حقهم (هم شر قتيل) فعيل يستوى فيه الواحد والجمع وفى رواية شر قتلى جمع قتيل وروى شر قبيل بالموحدة اى جمع قبيلة (تحت اديم السماء) اى ماظهر منها (طوبى) فعلى من الطيب واصلها طيبى وقديقال به قلبت ياؤه واوا لسكونها وانضمام ماقبلها وهى الحالة الطيبة او الجنة اوشجرة عظيمة فيها (لمن قتلهم) وقد قتلهم على كرم الله وجهه يوم النهروان (اولمن قتلوه) لفوزه بالسعادة المترتبة على الشهادة (وقال) فيما رواه الشيخان عن ابى سعيد الخدرى (فاذا وجدتموهم) اى مجتمعين (فاقتلوهم قتل عاد) اى كقتل عاد فى الشدة اوالمعنى اهلكوهم اهلاكا مستأصلا والافهم اهلكوا بريح صرصر عاتية (وروى ثمود) وهو ابن عم عاد (وظاهر هذا) القول (الكفر) اى كفرهم بناء على صدر الحديث (لاسيما مع التشبيه) اى لهم وفى نسخة مع تشبيهم (بعاد) قوم هود (فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر) ممن لايرى تكفيرهم (انما ذلك) التغليظ (من قتلهم) اى جهة قتلهم لامن جهة كفرهم (لخروجهم على المسلمين وبغيهم) اى ظلمهم وتعديهم (عليهم) اى على المؤمنين (بدليله) اى دليل خروجهم وبغيهم عليهم المستفاد (من الحديث نفسه) وروى بدليل من الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام (يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد) اى قصاص للعباد اودفع للفساد (لاكفر) على وجه العناد (وذكر عاد) وروى وقتل عاد (تشبيه للقتل) فى الشدة والاستئصال (وحله) اى وكونه الحلال (لا) تشبيه (للمقتول) من الخوارج بالمقتول من عاد حتى يلزم الكفر مع انه لايلزم من التشبيه تسوية المشبه والمشبه به من جميع الوجوه (وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره) كما يعرف فى باب القصاص والرجم (ويعارض) الآخر (بقول خالد) بن الوليد سيف الله (فى الحديث) كما رواه الشيخان عن ابى سعيد (دعنى) اى اتركنى (اضرب) بالجزم اوالرفع (عنقه) اى ذى الخويصرة (يارسول الله قال لعله يصلى) يعنى وهو مؤمن وقدروى الطبرانى عن انس مرفوعا نهيت عن المصلين اى عن قتلهم هذا وفى صحيح البخارى ايضا انه سئل قتله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولامنع من الجمع (فان احتجوا) اى من يرى تكفيرهم (بقوله عليه الصلاة والسلام يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم) جمع حنجرة وهى الحلقوم (فاخبر) اى بهذا (ان الايمان) المستفاد من القرآن (لايدخل فى قلوبهم) والاظهر ان المعنى لاتقبل قراءتهم ولاتصعد الى السماء تلاوتهم واما نفى الايمان فلا يستفاد من حالتهم (كذلك قوله) اى فى حقهم (ويمرقون) بضم الراء اى يخرجون بسرعة (من الدين مروق السهم) اى نفوذه (من الرمية) فعيلة بمعنى مفعولة اى مرمية مما يرمى فيمرق منه السهم من صيد اوغيره (ثم لايعودون اليه) اى الى الدين (حتى يعود السهم الى فوقه) بضم الفاء وهو موضع الوتر من السهم وهذا تعليق بالمحال كقوله تعالى لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فما فى بعض النسخ حتى لايعود خطأ فاحش (وبقوله) وفى نسخة وقوله اى فى الصحيحين عن ابى سعيد وروى وكذلك قوله (سبق) اى السهم بمروقه سريعا (الفرث) وهو مافى الكرش (والدم) والمعنى مر سريعا فى الرمية وخرج منها لم يعلق منها بشئ من فرثها ودمها لسرعته شبه به خروجهم من الدين بسرعة (يدل على انه) اى الخارجى (لم يتعلق من الاسلام بشئ) من سهام الاحكام (اجابه الآخرون) الذين لايكفرونهم (ان معنى لايجاوز حناجرهم لايفهمون) وروى لايفقهون

(معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم) اى لايمتثلون اوامره ولا يجتنبون زواجره (وعارضوهم) الاولون (بقوله) عليه السلام (ويتمارى) بصيغة المجهول اى يشك اويجادل (في الفوق) اى في السهم هل فيه اثر علق به شئ من الفرث والدم ام لا وفي نسخة بصيغة الفاعل للخطاب وفي اخرى بالغيبة اى يجادل ظنه ونفسه فيما يشك فيه (وهذا يقتضي التشكك) ويروى الشك اى التردد في حاله ايحكم بكفره ام لا (وان احتجوا) اى من يرى تكفيرهم (بقول ابى سعيد الخدرى في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة) قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم (ولم يقل منها) اى الامة كما في نسخة (وتحرير ابى سعيد الرواية) اى وبتحريره (واتقانه اللفظ) الدال على تحقيقه في الدراية اذ قال في دون من وهذا مؤذن بانهم كفرة ليسوا من امة الاجابة وهذا في غاية من البعد كيف وهم يقرؤن القرآن ويصلون ويصومون ويبالغون في الزجر عن المعاصي حيث يكفرون مرتكب الكبيرة واما تعبيره بفي دون من فقد (اجابهم الآخرون) ممن لايرى تكفيرهم (بان العبارة بفي لاتقتضي تصريحا بكونهم) وروى صريحا كونهم (من غير الامة) اى امة الاجابة بل هم من امة الدعوة (بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روى عن ابى ذر) اى الغفارى (وعلي) اى ابن ابي طالب (وابي امامة) سهل بن حنيف كذا قاله الدلجي وقال الحلبي تقدم انه صدى بن عجلان الباهلي (وغيرهم في هذا الحديث) اى حديث الخوارج (يخرج من امتي وسيكون من امتي) ونحوهما مما هو ظاهر في كونهم منهم (وحروف المعاني مشتركة) في معانيها ينوب بعضها عن بعض في مبانيها فاذا كانت مشتركة (فلا تعويل) اى لا اعتماد (على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن) اى بمجردهما لاحتمال كل منهما انها وقعت في موضع اختها فقوله تعالى اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة اى فيه ويقال هذا ذراع في ارض كذا اى منها (لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ماشاء) اى فيما افاد (في التنبيه الذى نبه عليه) اى على اخراجهم من الامة بظاهر في دون من لانهم ليسوا منهم (وهذا) التعبير بفي دون من من ابي سعيد (مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني) بايراد الفاظها الدالة عليها بدون احتمال الى غيرها (واستنباطها) اى اخراجها من القوة الى الفعل (من الالفاظ) الموضوعة لها الدالة عليها (وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية) وفيه ان هذا يوهم ان الصحابي له التصرف في الفاظ النبوة من الرواية فيعبر بها كما يظهر له من الدراية وقد اختلف ارباب الاصول في نقل الحديث بالمعنى والتصرف في المبنى والمحتاطون منعوه بالكلية والمحققون جوزوه عند الضرورة بالنسيان في اصل الرواية على ان ابا سعيد وقع شاذا في هذه الرواية بالنسبة الى بقية الصحابة الذين هم اقوى منه في باب الدراية لاسيما عليا كرم الله وجهه المبتلى بمقاتلتهم ومحاربتهم ومباحثتهم (هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق) المختلفة كالمعتزلة والشيعة (فيها) وفي نسخة عليها (مقالات كثيرة مضطربة) اى مختلة مختلفة (سخيفة) اى خفيفة ضعيفة (اقربها قول جهم) اى ابن صفوان من المعتزلة (ومحمد بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى وهو منهم ايضا على ماذكره الدلجي قال التلمساني وهو الخارجي من المرجئة ممن جمع بين الارجاء في الايمان وبين القول في القدر (ان الكفر بالله هو الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك) اى بغير الجهل به وجودا ذكره الدلجي وفيه انه يلزم منه ان لايوجد في الكون كافر الا الدهرية فقد قال تعالى في حق عبدة الاصنام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وما جاء الانبياء الا للتوحيد لا لمجرد اثبات وجوده تعالى ولهذا امروا الخلق بان يقولوا لااله الا الله لا بمجرد ان الله موجود ومع هذا من اتى بالتوحيد ولم يقر بالانبياء او اقر ببعض الانبياء ولم يقر بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته كاهل الكتاب فلاشك انه كافر بالاجماع فكيف قائله يكون من المبتدعة وان هذا اقرب اقوالهم (وقال ابو الهذيل) بالتصغير وهو العلاف البصرى شيخ المعتزلة توفي سنة ست وعشرين ومائتين وقد نيف على المائة (ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه) كبعض المجسمة (وتجويرا) اى ظلما له (في فعله) على خلقه (وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما) كالارواح وعنصر الاشياء وقدم العالم كقول الحكماء (لايقال له الله) ولعله احترز به عن صفات الذات فانه يطلق عليه انه الله قال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى (فهو كافر) فاندفع قول الدلجي بان هذا مؤذن بكفر من قال بقدم صفاته الثبوتية كالعلم والقدرة كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة (وقال) وروى وقول (بعض المتكلمين ان كان) المتأول (ممن عرف الاصل) اى من الكتاب والسنة (وبنى عليه) قوله (وكان) اى تأويله (فيما هو من اوصاف الله فهو كافر) لان الجهل بذاته وصفاته كفر ولاعذر له في تأويله (وان لم يكن) تأويله (من هذا الباب) اى باب مايؤدى الى كفره (ففاسق) في فعله وقوله بتأويله ومبتدع في اعتقاده (الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل) وبنى تأويله على غير اساس منه فيما لم يعرفه من صفاته سبحانه وتعالى (فهو مخطئ) في تأويله لعدم اصابته الحق يحكم عليه

بالاثم والفسق (غير كافر) لقيام عذره بجهله (وذهب عبيدالله بن الحسن) اى ابن الحصين بن مالك بن الخشخاش (العنبرى) منسوب لبنى العنبر ومالك والخشخاش صحابيان وكان قاضى البصرة بعد سوار بن عبد الله روى عن عبدالرحمن بن مهدى ومحمد بن عبدالله الانصارى قال ابن سعد كان محمودا ثقة عاقلا وقال النسائى فقيه ثقة اخرج له مسلم توفى سنة ثمان وستين ومائة ومن غرائبه مانقلوه عنه انه يجوز التقليد فى العقائد والعقليات وخالف فى ذلك العلماء كافة ذكره الحلبى وتبعه الانطاكى وسكت عنه التلمسانى وفيه ان ايمان المقلد مقبول عند جمهور العلماء وقال الدلجى انه من المعتزلة وقد ذهب (الى تصويب اقوال المجتهدين) اجمعين (فى اصول الدين) ولو كانوا من المبتدعين (فيما كان عرضة للتأويل) اى قابلا له مما لم يرد فيه نص صريح كتأويل المعتزلة انه تعالى متكلم بخلقه الكلام فى جسم متمسكين بشجرة موسى عليه السلام (وفارق) العنبرى (فى ذلك) القول (فرق الامة) اى طوائفها من الناجية وغيرها (اذا جمعوا سواه على ان الحق فى اصول الدين واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف فى تكفيره) على ماسبق بعض تحريره واما فروع الدين فالمخطئ فيها معذور بل مأجور باجر واحد والمصيب له اجران كما فى حديث ورد بذلك (وقد حكى القاضى ابوبكر الباقلانى) ابن الطيب المالكى (مثل قول عبيدالله) اى العنبرى (عن داود) اى ابن خلف (الاصبهانى) وفى نسخة الاصفهانى وهو امام اهل الظاهر وكان زاهدا ورعا متقللا ناسكا اخذ العلم عن اسحق بن راهويه وابى ثور انتهت اليه رياسة العلم ببغداد قيل كان يحضر مجلسه اربعمائة صاحب طيلسان اخضر سمع من سليمان بن حرب والقعنبى ومسدد وطبقتهم وفى كتبه حديث كثير لكن الرواية عنه عزيزة وقد اختلف العلماء فى نفاة القياس مثل داود وشبهه هل يعتبر قوله فى الاجماع ام لا فعن طائفة من الشافعية انه لااعتبار لخلاف نفاة القياس فى الفروع ويعتبر خلافهم فى الاصول وقال امام الحرمين والذى ذهب اليه اهل التحقيق ان منكرى القياس لايعدون من علماء الامة وحملة الشريعة وقال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح والذى اختاره الاستاذ ابو منصور البغدادى من الشافعية ان الصحيح من المذهب انه يعتبر خلاف داود وقال الشيخ وهو الذى استقر عليه الامر آخرا فان الائمة المتأخرين اوردوا مذهب داود فى مصنفاتهم ثم قال والذى اجيب به ان داود يعتبر قوله ويعتد فى الاجماع الا فيما خالف فيه القياس الجلى وما اجمع عليه القياسيون وبناه على اصوله التى قام الدليل القاطع على بطلانها فاتفاق من سواه على خلافه اجماع منعقد وقول المخالف حينئذ خارج من الاجماع وذكر الذهبى فى الميزان ان داود اراد الدخول على الامام احمد فمنعه وقال كتب الى محمد بن يحيى فى امره انه زعم ان القرآن محدث فلا يقربنى فقيل يااباعبد الله انه ينتفى من هذا وينكره فقال محمد بن يحيى اصدق منه (وقال) اى الباقلانى (وحكى قوم عنهما) اى عن داود والعنبرى (انهما قالا ذلك) اى تصويب المجتهدين فى اصول الدين (فى كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع) اى بذل طاقته واجتهاده (فى طلب الحق) وان اخطأ (من اهل ملتنا اومن غيرهم) هذا باطل قطعا لان غير اهل ملتنا كل منهم يدعى من حاله استفراغ الوسع فى طلب الحق وكيف لا سيما اهل الكتاب وقد اخبر الله انهم وغيرهم اجمعون كل حزب بما لديهم فرحون (وقال نحو هذا القول) المنسوب اليهما (الجاحظ وثمامة) بضم المثلثة وكلاهما من المعتزلة قال الحلبى اما الجاحظ فهو الكنانى الليثى البصرى العالم المشهور صاحب التصانيف المشهورة فى كل فن قال المسعودى ولانعلم احدا من الرواة واهل العلم اكثر كتبا منه وله مقالة فى اصول الدين واليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة وكان تلميذا لابى اسحق ابراهيم بن يسار البلخى المتكلم المشهور ومن احسن تصانيفه كتاب حياة الحيوان الكبير فقد جمع فيه كل غريبة وكتاب البيان والتبيين وهو كبير جدا وكتاب فى اللصوصية يعلم فيه الشخص كيف يسرق وينقب ويتسلق ويدخل البيوت فى مجلد وكتاب فى مدح البخل يحبب الناظر فيه بجلس اليوم واليومين لايأكل شيئا ويبقى اياما لاتطيب نفسه باخراج شئ وكان الجاحظ مع فضله مسوء الخلق قيل له الجاحظ لان عينيه كانتا جحظتين والجحوظ النتوء واصابه فى آخر عمره فالج فكان يطلى شقه الايمن بالصندل والكافور من شدة الحرارة وشقه الاخر لوقرض بالمقاريض لما احس به واصابه الحصى وعسر البول توفى سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على التسعين واما ثمامة فهو ابن اشرس النميرى قال الذهبى فى الميزان من كبار المعتزلة ومن رؤس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون وكان ذا نوادر وملح قال ابن حزم كان ثمامة يقول ان العالم فعل الله بطباعه لان المقلدين من اهل الكتاب وعباد الاصنام لايدخلون النار بل يصيرون ترابا وان من مات مصرا على كبيرة خلد فى النار وان اطفال المؤمنين يصيرون ترابا انتهى ولا يخفى انه بقوله صاحب الكبيرة مخلد فى النار مبتدع موافق للخوارج والمعتزلة وبقوله المقلد للكفار لا يدخل النار داخل فى جملة الكفرة (فى ان كثيرا من العامة) اى الجهلة (والنساء والبله) بضم الباء جمع ابله اى المغفلون عن الشر المطبوعون على الخير وكانه اراد بهم من لم يكن لهم عقل الاخرة بخلاف حديث اكثر اهل الجنة البله فان المراد بهم من ليس لهم عقل الدنيا ولهم اقبال كلى

على العقبى (ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذا) وفى نسخة اذ (لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال) وهذا كلام باطل لاقتدارهم فى الجملة على معرفة اوائل الادلة ولقوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ففيه ايماء الى ان المدار على المشيئة الالهية لا بالادلة العقلية ولا النقلية (وقدحها) اى مال (الغزالى) بتشديد الزاى وتخفيفها نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس او الى بنت كعب الاحبار فانها جدته وقيل كان والده غزالا يغزل الصوف و يبيعه (قريبا) وروى الى قريب (من هذا المنحى) اى المسلك (فى كتاب التفرقة) وهو صاحب المؤلفات الفائقة وهو الامام حجة الاسلام ولد بطوس بلد بخراسان لا بالعراق كما قاله التلمسانى سنة خمسين واربعمائة ثم وتفقه ببلده على احمد بن محمد الرادكانى ثم سافر الى جرجان الى ابى نصر الاسماعيلى فكتب عنه التعليقة ثم خرج الى طوس ثم ارتحل الى امام الحرمين بنيسابور فاشتغل عليه ولزمه وصار اماما فى مذهب الشافعى فلما انقضت ايام الامام خرج من نيسابور فجال فى اقطار خراسان مدة وقدم بغداد سنة اربع وثمانين فولى تدريس النظامية بها ثم حج واستناب اخاه فى التدريس ورجع الى دمشق واستوطنها عشر سنين بجامعها بالمنارة الغربية منه واجتمع بالشيخ نصر المقدسى فى زاويته التى تعرف اليوم بالغزالية واخذ فى العبادة والتصنيف ويقال انه صنف الاحياء وعدة من الكتب هنا لك ثم انتقل الى القدس ثم سار الى مصر والاسكندرية ثم رجع الى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وتوجعه كثيرة ومرتبته شهيرة توفى سنة خمس وخمسمائة عن خمس وخمسين سنة بطوس لا ببغداد كما ذكره الحلبى وغيره وعن الشيخ تقى الدين ابن تيمية انه ذكر فى شرح العقيدة الاصفهانية كان ابو حامد مزجى البضاعة فى الحديث ولهذا يوجد فى كتبه من الاحاديث الموضوعة مالا يعتمد عليه من له علم بالآثار ويوجد فيهما من مقالات المتفلسفة ما انتقده عليه علماء الاسلام حتى قال صاحبه ابو بكر ابن العربى مع شدة تعظيمه له شيخنا ابو حامد دخل فى بطن الفلاسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر انتهى وقال ابو بكر ابن العربى لقيت اباحامد وهو يطوف وعليه مرقعة فقلت يا شيخ العلم والتدريس اولى لك من هذا اذ بك يقتدى وبحكمك الى معالم المعارف يهتدى فقال هيهات لما طلع قمر السعادة فى فلك الارادة اشرقت شموس الافول على مصابيح الاصول فتبين الخالق لارباب الالباب وذوى البصائر اذ كل لما طبع عليه راجع وصائر وانشد

﴿تركت هوى ليلى وانى بمعزل * وصرت الى مصحوب اول منزل﴾
﴿ونادتنى الاكوان حتى اجبتها * الا ايها السعارى رويدك فانزل﴾
﴿فعرست فى دار الندا بعزيمة * قلوب ذوى التعريف عنها بمعزل﴾
﴿غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد * لغزلى نساجا فكسرت مغزلى﴾

وهى ابيات لرومية (وقائل هذا كله) كاتبا حفظ وتمامه (كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود) يعنى المقلدين منهم وكذا المجوس على مايلوح كلام بعضهم

﴿وان نار بالتنزيل محراب مسجد * فما نار بالانجيل هيكل بيعة﴾
﴿وان عبد النار المجوس وما انطفت * كما جاء فى الاخبار من الف حجة﴾
﴿فما عبدوا غيرى وما كان قصدهم * سواى وان لم يظهروا عقد نية﴾

نعم لاشك ان الكل يزعمون انهم يعبدون الله ويطلبون رضاه كما اخبر الله عن بعضهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله لكنهم اضلهم الله وابعدهم عن طريق الحق الموصل الى الله وكل حزب بما لديهم فرحون * واكثرهم فى طغيانهم يعمهون * صم بكم عمى فهم لا يرجعون (وكل) اى والاجماع على كفر كل (من فارق دين المسلمين) بردة قولا وفعلا (ووقف) اى توقف فى تكفيرهم او فى الدين (اوشك) اى تردد فيه (قال القاضى ابو بكر) اى الباقلانى (لان التوقيف) اى بالسماع من الله ورسوله (والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف فى ذلك فقد كذب النص) اى نص الكتاب (او التوقيف) به من السنة على الصواب (اوشك فيه والتكذيب والشك فيه) اى فى كفرهم (لا يقع) كل منهما (الا من كافر) ومن هنا قال العلامة ابن المقرى فى متن الارشاد من شك ان طائفة ابن عربى شر من اليهود والنصارى فقد كفر

﴿فصل﴾

(فى بيان ماهو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر) وهذا فصل مهم يتعين معرفته على كل من له فضل ليكون اعتقاده على اساس اصل يوصله الى كمال وصل (اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس) اى ازالة الخلط والشبهة (فيه مورده الشرع) اى النقل من الكتاب والسنة (ولا مجال) اى لا مدخل (للعقل) والطبع (فيه) من الادلة الكاسدة والاقيسة الفاسدة (والفصل البين) اى الفرق الواضح (فى هذا) الفصل (ان كل مقالة صرحت

بنفي الربوبية) كالمعطلة (اوالوحدانية) كالوثنية (او عبادة احد غيرالله) كالاتحادية (او مع الله) كالحلولية (فهي كفر) اي مقالة كفر (كمقالة الدهرية) بنفي الالوهية كما اشار اليه قوله تعالى وقالوا ما هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الاالدهر وهوالزمان الطويل ولم يعلموا ان المتصرف في الامر هوالله لاالدهر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لاتسبوا الدهر فان الدهر هوالله وفي رواية فان الله هوالدهر ردا لاعتقادهم نسبة الخير والشرالى الدهر (وسائرفرق اصحاب الاثنين) اي القائلين بان خالق الخير غير خالق الشر وقد قال تعالى لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وقد بينهم المصنف بقوله (من الديصانية) بكسر الدال المهملة وتفتح وهم يقولون النورحي والظلمة ميت (والمانوية) بفتح الميم فسكون الهمز ويبدل وفتح النون وفي اصل الحجازي المنانية بفتح الميم وتشديد النون وفي نسخة المانية منسوب الى ماني زنديق مشهور ظهر في زمان سابوربن اردشير وادعى النبوة وقال ان العالم اصلين قديمين نور هو مبدأ الخير وظلمة هو مبدأ الشر فصدقه فلما تولى بهرام سلخه وحشا جلده تبنا وقتل اصحابه الامن هرب الى الصين ودعا الى دينه واهل الصين الى زماننا هذا على مذهبه كذا ذكره بعضهم فاجيب وقد كذبهم المتنبي في شعره فقال

﴿وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبران المانوية تكذب﴾

قال وللمانية مذهبان منهم من يقول ان النور والخير والروح خلقه الله والشر والظلمة والجسد خلقه الله وهم ثنوية ومنهم من يقول الخير كله في النور والشر كله في الظلمة والفرق بينهم وبين الديصانية انهم يقولون النور والظلمة حيان وفي اصل التلمساني المنانية بفتح الميم والنون المشددة والظاهرانه تصحيف (واشباهم) اي ممن عبد غير الله تعالى (من الصابئين) بالهمز ودونه من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر وهم فرقة عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة لاعتقادهم تأثيرها في عالم العناصر مدبرة لامور قديمة شفعاء للعباد عند الله مقربة لهم اليه زلفى ويزعمون انهم على دين نوح عليه السلام (والنصارى) وهم طوائف ثلاث مشهورة يقولون تدرع الناسوت باللاهوت بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكانية وبطريق الاشراق كالشمس في كوة بلور عند النسطورية وبطريق الانقلاب لجاودما بحيث صار الاله هو المسيح عند اليعقوبية (والمجوس) القائلين بخالقين يزدان وهو مبدأ الخير واهرمن وهو الشيطان مبدأ الشر وهم يعبدون النار لمحبتهم في النور وفي الحديث القدرية مجوس هذه الامة قيل لمشابهتهم في قولهم باصلين نور وظلمة فالخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة وكذا القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى الانسان او الشيطان (والذين اشركوا بعبادة الاوثان) اي الاصنام (والملائكة او الشياطين) اي الجن فان ابليس لم يعبد قط واما قوله تعالى لاتعبدوا الشيطان فمعناه لا تطيعوه فيما يأمركم بالعصيان (او الشمس) وكذا القمر (او النجوم) اي جنسها او نجم خاص منها كالشعرى (او النار) فيه نوع من التكرار (او احد غيرالله من مشركي العرب واهل الهند) وهم الهنود (والصين) مملكة بالمشرق فيها الترك من الكفرة (والسودان) بضم اوله جمع اسود وهم كثيرون قيل معمور الارض مسافة مائة سنة منها الياجوج وماجوج ثمانون سنة ومنها للسودان ست عشرة سنة وقيل ثماني عشرة ومنها لاولاد سام مابقي (وغيرهم ممن لايرجع الى كتاب) او يرجع اليه لكن لاعلى طريق صواب (وكذلك القرامطة) وهم الاسماعيلية لاثباتهم الامامة لاسمعيل بن جعفر الصادق واصل دعوتهم الى بطلان الشرائع لان طائفة من المجوس عند استيلاء الاسلام وغلبة اهله الكرام راموا تأويلها على وجوه تعود الى قواعد اسلافهم يستدرجون بها ضعفاء المسلمين واهل غفلتهم استدراجا يوقعهم اختلافا واضطرابا في شريعتهم ورأسهم حمدان من قرمط قرية من قرى واسط فلقبوا بالقرامطة ورتبوا في الدعوة الى ذلك مهملات باطلة ابتدعوها وخرافات عاطلة اخترعوها منها اباحة المحرمات والترغيب في اللذات كقولهم الوضوء موالاة الامام الذي هو الحجة والتيمم الاخذ عمادونه في غيبته والصلاة الوصول والزكاة تزكية النفس بمعرفة ما هو عليه من الدين والاحتلام افشاء شئ من اسرارهم الى من ليس من اهله بلا قصد والغسل تجديد العهد والجنة راحة الابدان من التكاليف والنار مشقتها بمزاولة التكاليف وامثال ذلك مما يقتضي تكفيرهم هنالك ولهم القاب سبعة (واصحاب الحلول) من النصارى والباطنية والوجودية والنصيرية يزعمون ان الله حل في علي واولاده (والتناسخ) القائلين بانتقال الارواح من ابدانها الى ابدان اخر في الدنيا (من الباطنية) وهم الاسماعيلية وهذا من القابهم السبعة ولقبوا به لقولهم بباطن القرآن دون ظاهر المفهوم منه لغة ويدعون انه هو المراد منه وان نسبته اليه كنسبة اللب الى القشر فظاهره عذاب بمشقة التكاليف وباطنه مؤدى الى تركها وتمسكوا فيه بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبل العذاب وهذا مذهب المنصورية ايضا فان

﴿قيل﴾

قيل المبتدعة وهذه الطائفة المخترعة يتمسكون بالقرآن وكذلك اهل السنة والجماعة فالجواب انه تعالى قال
يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فان القرآن كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما اشار اليه قوله تعالى
وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا وبهذا يعلم ان الفرقة الناجية هم الذين
على ماعليه النبي واصحابه الكرام وان معالم القرآن لاتنكشف حقيقة الايمان التي عليه الصلاة والسلام مافيه من
الاحكام النازلة على طريق الابهام كما يدل عليه قوله عز وجل لتبين للناس مانزل اليهم فاضل قلّ من ضل ولازل قلّ
من زل الا من ترك علم الحديث من صريح النقل وتبع اهواءه وآراءه الناشئة من اثر الجهل والخيالات الفاسدة
والتصورات الكاسدة الكائنة من مجرد العقل فالجمع بين النقل والعقل نور على نور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور
ثم هنا دقيقة يترتب عليها حقيقة وهي ان الواجب على السالك ان يجعل العقل تابعا للنقل لا بالعكس لئلا يقع
في المهالك هذا ومن التناسخية طائفة الخطابية وهم اتباع ابي الخطاب محمد ابن ابي وهب كان يزعم ان عليا الاله الاكبر
وجعفر بن محمد الصادق الاله الاصغر يقولون بالتناسخ يزعمون ان الله حل في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في زين
العابدين ثم في الباقر ثم في الصادق حكى ذلك عنهم فخر الدين الرازي في مختصره في الملل والنحل قلت والجنس منهم
والجنس من النصارى ايضا طائفة ابن عربي حيث يقولون في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
انما كفروا لحصرهم الالوهية في ابن مريم بناء على اصلهم الفاسدة ان الله عين الاشياء وضررهم على المسلمين اكثر
من ضرر جميع الكفرة والمبتدعين فان كثيرا من الناس يعظمونهم ويسمعون كلامهم ويطالعون كتبهم ويتبعون
مرامهم ويسمون رئيسهم بالشيخ الاكبر الذي يدعى انه خاتم الاولياء وانه يستفيض منه خاتم الانبياء وشبه نفسه بلبنة
ذهب وسيد البشر بلبنة فضة ونحو ذلك كما بينته في رسالة مستقلة قال التلمساني ومن الباطنية طائفة ينسبون
الى التصوف يتظاهرون بالاسلام وان لم يكونوا مسلمين في الاحكام والفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنيفي اكبر
من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار فانهم يصرفون الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لايسبق
منها الى الافهام شئ كقول بعضهم في تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اشارة الى قلبه وقال هو المراد
بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله تعالى الق عصاك اى كل ما يعتمد عليه مما سوى الله وفي قوله
عليه الصلاة والسلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار في الاسحار انتهى والحق انهم ان ارادوا بذلك
ابطال ظواهر الكتاب والسنة فهم كفرة وان ارادوا بذلك ان للكتاب والسنة عبارات واضحات واشارات لا خفيات
فهذا نور على نور وسرور على سرور ويشير اليه قول مالك من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف
فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق وانا بحمد الله وحسن توفيقه وبركة متابعة سيد الانبياء جمعت تفسيرا جامعا
بين عبارات الاصفياء واشارات الاولياء (والطيارة من الروافض) ويسمون الجناحية وهم اصحاب عبدالله بن معاوية
ابن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين قالوا الارواح تتناسخ وروح الله كانت في آدم ثم في شيث ثم في الانبياء والائمة حتى
انتهت الى علي واولاده الثلاثة ثم الى عبد الله بن معاوية المذكور وهو في جبل باصبهان وسيخرج وانكروا القيامة
واحلوا المحرمات (وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي اوغير قديم وانه محدث) اى
موجود بعد عدم (اومصور) بصورة كالهشامية اصحاب هشام بن الحكم وهشام بن سالم فانهم اتفقوا على انه سبحانه
وتعالى جسد وهو كسبيكة بيضاء صافية يتلألأ من جانب وله لون وطعم ورائحة وليست هذه الصفات غيره ويقوم
ويقعد وله مشابهة بالاجسام ويعلم ماتحت الثرى بشعاع ينفصل منه اليه وهو سبعة اشبار باشبار نفسه مماس للعرش
بلا تفاوت بينهما وارادته حركته لاعينه ولاغيره والائمة معصومون دون الانبياء لانهم يوحى اليهم ويتقربون اليه
بخلافهم لايوحى اليهم فوجب ان يكون الامام معصوما وقال ابن سالم هو على صورة انسان له يد ورجل وحواس
خمس وانف واذن وعين وفم ووفرة سوداء نصفه الاعلى مجوف والاسفل مصمت ليس بلحم ولادم انتهى وابطله كله
قوله تعالى ليس كمثله شئ ولعل الحكمة في عدم تجويز رؤيته تعالى في الدنيا ان لايدعى كل مبطل انى رأيته على هذه
الصورة سبحانه وتعالى (اوادعى له ولدا) اى ابنا كاليهود والنصارى او بنات كبعض العرب (اوصاحبة) اى زوجة
كالنصارى (او والدا) اى بان يكون له اصل اوعنصر او منبع اومعدن اومصدر بحسب ذاته وجبل صفاته (اوانه
متولد من شئ) هو كالتفسير لماقبله وكذا قوله (اوكائن) اى حادث (عنه) اى عن شئ قديم اوحادث والحاصل انه ليس
بحادث ولايحل للحوادث كما اشار الى ذلك كله قوله تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
(اوان معه في الازل شيئا قديما) اى فضلا عن حادث اذ لايتصور (غيره) اى غيرذاته وصفاته واما ماذكره بعض شراح
الفصوص من قدم الارواح مطلقا اوقدم الارواح الكمل فباطل قطعا وكفر اجماعا (اوان ثم صانعا للعالم سواه)

اى سوى الله كالدهرية واما قول الدهلجى كمشركى العرب فلبس فى محله لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (اومد برا غيره) كما يقول المنجمون من ان النجوم مدبرات والله سبحانه وتعالى يقول انها مسخرات (فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة) القائلين بالوجود المطلق وكذلك اتباعهم الوجودية الملحدة طائفة ابن عربى وقال التلمسانى هم قوم من حكماء الهند يدعون قدم الطينة ويرجون ان العالم قديم وينكرون حشر الاجساد (والمنجمين) الباحثين عن النجوم واحوالها قيل للاسكندر الرومى كان عند منجم فى بستانه فارانا النجوم نهارا واحدا واحدا ببرهانه فوقع فى بئر فيه وهو لايدرى فقال من تعاطى علم ما فوقه جهل علم ماتحته وقال التلمسانى من نسب التدبير الى النجوم واعتقد انها فعالة فهو كافر لانه جعل مع الله شركاء ولقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث القدسى اصبح من عبادى مؤمن وكافر الحديث فقائله تجرى عليه احكام المرتد وان كان يقول عادة الله بان يخلق عندها فقيل كافر وقيل فاسق والاول اولى سدا للذريعة وقال بعضهم الافلاكية يقولون بالهيئة الكواكب ومايقوله المنجم من كسوف وغيره هو بالحساب ولكن فيه فتنة ضعفاء العقول فيؤدب على ذلك واما من يحكم بالكواكب فى مولد اووفاة اوغلاء اورخص اودولة اوزوالها فهو من اصول الكفر وروى ان النجوم انما خلقها الله زينة للسماء الدنيا ورجوما للشياطين وهداية فى البر والبحر (والطبائعين) القائلين بتأثير الطبيعة فى الايجاد والتدبير فى امر البدن على ما عليه الاطباء التابعين للحكماء المعتقدين الهيئة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وقيل هم الذين يقولون ان النار بطبعها محرقة وان الماء بطبعه مغرق وان الطعام والشراب بنفسهما مشبع ومزيل للعطش وقد ابطلها الله سبحانه وتعالى بقوله يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وبتنجية موسى وقومه واغراق فرعون وجنده وبعلة جوع البقر ومرض الاستسقاء ونحن نقول يقع ذلك الاحراق والاغراق ونحوهما عند وجود اسبابها بخلق الله عز وجل فيها لا بمجرد وجودها لاحتمال انقلابها (وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته) وكذا من ادعى رؤيته سبحانه وتعالى فى الدنيا بعينه كما بينته فى شرح الفقه الاكبر (اوحلوله فى بعض الاشخاص) كعلى ونحوه مما سبق بيانه اوفى جميع الاشخاص والاشياء (كقول بعض المتصوفة) اى المتشبهة بالصوفية من الحلولية والوجودية والاتحادية كابن سبعين والعفيف التلمسانى والشمس التبريزى زعموا ان السالك اذا امعن فى سلوكه وخاض فى لجة وصوله واستغرق فى بحر حضوره فربما حل فيه سبحانه وتعالى كالنار فى الفحم فيرتفع الامر والنهى ويظهر من العجائب والغرائب مالا يتصور من البشر وعن بعض متصوفة اهل مصر انه كان يقول لاصحابه طوفوا ببيت الرب يعنى قلبه فيدورون حوله (والباطنية والنصارى والقرامطة) وقد سبق الكلام عليهم (وكذلك نقطع) اى القول (على كفر من قال بقدم العالم) اى جميعه او بعضه (اوبقائه) اى بذاته سواء يبقى اويفنى كما يشير اليه قوله تعالى كل شئ هالك الاوجهه اى قابل للهلاك والفناء الا الله سبحانه وتعالى فانه بذاته دائم البقاء (اوشك فى ذلك) اى فى كونه قديما (على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية) القائلين باستناد الحوادث الى الدهر (اوقال بتناسخ الارواح) وانتقالها من الاشباح (ابد الآباد) جمع بينهما للتأكيد اى دائما فى الدنيا (فى الاشخاص) من بدن الى بدن آخر (وتعذيبها اوتنعيمها فيها) اى فى الاشخاص (بحسب زكائها) بالهمزة اى طيب عنصرها (وخبثها) بضم اوله اى خبث اصلها (وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما) كان يقول مانبأ الله احدا من خلقه (او جحد نبوة نبينا خصوصا) وكذا اذا اقر بنبوته ونفى رسالته عموما (اواحد) اى جحد نبوة احد (من الانبياء الذين نص الله عليهم) بانه نبى (بعد علمه بذلك) اى بانه نبى (فهو كافر بلاريب) اى من غير شك وشبهة (كالبراهمة) وهم قوم بارض الهند لايجيزون على الله بعثة الرسل (ومعظم اليهود) ينكرون نبوة عيسى مطلقا وعموم رسالة نبينا عليهما الصلاة والسلام (والاروسية) بضمتين اوبفتح اوله وفى آخره ياء نسبة ويقال ارسية (من النصارى) قيل هم فرقة من رهط هرقل وقيل هم اتباع عبدالله ابن ادريس كان فى الزمن الاول قتلوا نبيا بعث اليهم (والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان) اى هو (المبعوث اليه جبريل) وسموا بذلك لقولهم على اشبه بمحمد من الغراب بالغراب فغلط جبريل حين بعث الى على لشبه النبى به وهذا كذب وبهتان لان عليا ماكان شبيها بالنبى عليه الصلاة والسلام كما يعلم من شمائلهما الكرام وقد سبق فى اول الكتاب بيان شمائله عليه الصلاة والسلام واما شمائل على كرم الله وجهه فانه كان آدم شديد الادمة عظيم العينين اقرب الى القصر من الطول ذابطن كثير الشعر عريض اللحية اصلع ابيض الرأس واللحية كذا فى اسماء رجال المشكاة لمصنفه بل اقول ولم يوجد احد يشبهه من جميع الوجوه نعم كان الحسن يشبهه بالنصف الاعلى والحسين بالنصف الاسفل لكن لاشباهة تورث الشبهة انما هى شباهة فى الجملة وقد قال الصديق الاكبر حين حمل

احد هما انت شبيه بالنبي دون ابيك ولا يخفى وجوه كفرهم من انكار النبوة لمحمد واثباتها لعلي وتخطئة جبريل وتجهيل الرب الجليل ونقل انهم يلعنون صاحب الريش و يعنون جبريل عليه السلام (وكالمعطلة) اى للوجود بنفى صانعه كالدهرية اوالنافية لحقيقة الاشياء القائلة بان الاشياء كلها خيالات وتمويهات كالمنامات وهم السوفسطائية (والقرامطة) وهم الملاحدة الذين قتلوا اهل مكة حتى دفنوا ببئر زمزم موتاهم وصعدوا احدمنهم فوق باب الكعبة وقال لم تقولوا ان الله قال ومن دخله كان آمنا فاى امن لكم مع هذا القتل فيكم فاجابه قائل بان معناه ومن دخله آمنوه ولا تتعرضوا له وحاصله انه ليس بخبر حتى يلزم الخلف فى قوله وانما هو حكم ولايلزم من تخلف الحكم نقصان فى الحاكم وهم الذين اخذوا الحجر الاسود معهم قيل ومات تحته سبعون جملا وقداعطاهم امراء المسلمين مالا كثيرا لتخليص الحجر الاسود فارضوا حتى وقع فيهم الوباء والغلاء وانواع البلاء فارسلوه وقيل جاء به جمل واحد بعون الله سبحانه وتعالى وفيه ايماء الى اشتياقه الى الخروج من مكة واستخفافه اشتياقا الى الكعبة (والاسماعيلية) وهم هم وانما اختلف القابهم كذا قاله الدلجي وقال التلمسانى الاسماعيلية من الباطنية وهم قوم اثبتوا امامة اسمعيل بن جعفر الصادق وقيل لان رئيسهم ينسب لمحمد بن اسمعيل بن جعفر و هوالصادق وقيل فرقة من الامامية من الرافضة ينسبون الى اسمعيل بن جعفر الصادق حيث يزعمون ان الامام بعد جعفر الصادق اسمعيل ابن جعفر ولكن لما مات اسمعيل فى حال حياة اخيه عادت الامامة الى اخيه قال تقى الدين ابو العباس ابن تيمية ان الاسماعيلية من القرامطة الباطنية اتباع الحاكم الذى كان بمصر وكان دينهم دين اصحاب رسائل اخوان الصفا من ائمة منافقى الامم الذين ليسوا مسلمين ولايهودا ولانصارى انتهى وكأنه اشار الى طائفة ابن عربى والله سبحانه وتعالى اعلم (والعنبرية من الرافضة) وهم المنسوبون الى عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة الذى جوز التقليد فى العقائد والعقليات وقد تقدم فى الفصل قبله كذا ذكره التلمسانى وقدسبق ان ايمان المقلد صحيح عند عامة العلماء وفى نسخة صحيحة والعبيدية وهم من بنى عبيد بن بنت القداح اليهودى اسلمت امه فتزوجها شريف فزعم عبيد انه ابنه ودعا الناس الى ان يبايعوه بالخلافة فطلب فلحق بالمغرب وبويع له بها وتولى من بنيه بمصر اربعة عشر خليفة ثم اخذها منهم نورالدين الشهيد (وان كان بعض هؤلاء) الطوائف المذكورين (قداشركوا) بصيغة الفاعل اوالمفعول ويروى اشتركوا (فى كفر آخر مع من قبلهم) ككفر بعض الرافضة بتكفيرهم الصحابة وقذف عائشة مع مشاركتهم من قال بالهين فى كفره باعتقاد هم الهية على واولاده اوحلوله سبحانه فيهم (وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة) اى نبوة الانبياء جميعهم (ونبوة نبينا عليه الصلاة والسلام) اى ورسالته عامة (ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى فى ذلك) الكذب (المصلحة بزعمه اولم يدعها فهو كافر باجماع) بلا نزاع (كالمتفلسفين) من الحكماء (وبعض الباطنية) كالوجودية (والروافض) اى وبعضهم (وغلاة المتصوفة) اى من الجهلة (واصحاب الاباحة) وهم الملاحدة وفى نسخة الاباحية وهم فرقة من غلاة المتصوفة وجهلتهم ويقال لهم المباحية يدعون محبة الله وليس لهم من المحبة حبة يخالفون الشريعة ويزعمون ان العبد اذابلغ فى الحب غاية المحبة يسقط عنه التكليف ويكون عبادته بعد ذلك التفكر وهؤلاء شر الطوائف وكأنهم استندوا فى معتقدهم الى قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقد اجمع المفسرون على ان المراد باليقين الموت هنا لان عين اليقين متوقف على ذلك الحين فالمعنى اعبد ربك بالعلم اليقين حتى يأتيك عين اليقين وقديقال ان العبادة حال اليقين اولى واعلى كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقد قيل له عليه الصلاة والسلام حين تورمت قدماه فى القيام بعد المنام اتتكلف هذا وقدغفر الله لك ذنبك فقال افلا اكون عبدا شكورا (فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ماجاءت به الرسل من الاخبار) بكسر اوله اى الانباء (عما كان ويكون من امور الآخرة) كعذاب القبر (والحشر) اى الجمع وكذا النشر (والقيامة) الى مواقفها من الميزان والحوض والصراط (والجنة والنار ليس منها شئ على مقتضى لفظها) الظاهر (ومفهوم خطابها) الباهرة (وانما خاطبوا) اى الرسل (بها) اى بالاشياء المذكورة (الخلق) اى الامة (على جهة المصلحة لهم) اذلم يمكنهم التصريح لتحقيق مرامهم لقصور افهامهم (فضمن مقالاتهم) بضم الميم الاولى وفتح الثانية المشددة اى مضمونها (ابطال الشرائع) بهذه الذرائع (وتعطيل الاوامر والنواهى) بهذه الهذيانات الداعية الى الملاهى (وتكذيب الرسل) تلويحا (والارتياب) اى الايقاع فى الشك (فيما اتوا به) اى الانبياء تصريحا (وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه) بتشديد اللام اى اوصله عن ربه (وخبره) احدا من امته (اوشك فى صدقه) تهمة منه فى حقه (اوسبه) اى شتمه اوتنقصه (اوقال انه لم يبلغ) جميع ماانزل عليه وقدقال تعالى ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقدقال فلعلك تارك بعض مايوحى اليك واراد

نفيه عنه (اواستخف) اى احتقر واستهزأ (به او باحد من الانبياء اوازرى) اى عاب (عليهم) اى جميعهم او بعضهم (اوآذاهم اوقتل نبيا اوحاربه فهو كافر باجماع) من علماء المسلمين (وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء) من الحكماء (ان فى كل جنس من الحيوان نذيرا) اى رسولا منذرا (ونبيا) غيرمأمور بالتبليغ (من القردة والخنازير والدواب والدود وغيرذلك) كالحيوانات المائية والطيور الهوائية (ويحتج بقوله تعالى وان من امة الاخلافيها نذير) اى مضى ويجعل الامة اعم لقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه الاامم امثالكم (اذذلك) الذى زعمه غيرثابت بالنقل الصريح ويدل على بطلانه العقل الصحيح لانه (يؤدى الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه) اى وفى كل جنس من صور بشيعة وسير شنيعة (من الازراء) اى العيب والمنقصة (على اهل هذا المنصب) بكسر الصاد اى منصب النبوة (المنيف) بضم الميم اى الرفيع الشريف (مافيه) مما لايليق بعلو شانهم وسطوع برهانهم (مع اجماع المسلمين على خلافه و) على (تكذيب قائله) ولعل سند الاجماع قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا اى لانساء ولا جنا وانما الخلاف فى انه هل كان فى الجن رسول من جنسهم ام لا فالجمهور على ان الرسل من الانس خاصة وتعلق قوم بظاهر قوله تعالى يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم واجيب بان الآية من قبيل قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح دون العذب وقيل المراد رسل من الجن ارسلهم الرسل من البشر لينذروهم ويدعوهم الى الايمان فيصدق عليه انه اتى الجن رسل لكن لامن الله بل من الانبياء ويؤيده قوله تعالى واذصرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الآيتين (وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بماتقدم) من الالوهية والوحدانية وللنبوة مطلقا (و بنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام) اى ورسالته الى عامة الانام (ولكن قال كان اسود) وينبغى ان يقيد هذا بمااذا اراد احتقاره به واما اذا قال عن جهل بشمائله فتكفيره ليس فى محله لان العلم بكونه عليه الصلاة والسلام ابيض ليس قطعيا ولانه مما علم من الدين بالضرورة والسواد لاينافى النبوة فقدقال جمع بنبوة لقمان (اومات قبل ان يلتحى) فانه كذب فى نفس الامر لكن انما يكفر اذا كان استخفافا اواستهزاء اوتكذيبا لنبوته (اوليس الذى كان بمكة والحجاز) الشامل لها وللمدينة يحتمل ان يكون جهلا وان يكون تكذيبا (اوليس بقرشى) وفيه ان العلم بكونه قرشيا ليس ضروريا فغايته انه يكون كاذبا به جاهلا بوصفه ولايلزم منه كونه مكذبا به واغرب الدلجى حيث قال لانه كذبه عليه الصلاة والسلام فى قوله انا افصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش فان الحفاظ اجمعوا على انه حديث موضوع والحال انه يكفر بهذا كله اذا اراد نفى نبوته عليه الصلاة والسلام كما يشير اليه قوله (لان وصفه بغير صفاته المعلومة) عند كل واحد (نفى له) اى لوجوده (وتكذيب به) اى بشهوده وسيأتى ان الجهل ببعض صفات البارى سبحانه وتعالى لايخرجه عن الايمان كما عليه اكثر علماء الاعيان فكيف الجهل ببعض صفاته عليه الصلاة والسلام لاسيما ولم يتعلق به حكم من شرائع الاسلام (وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه الصلاة والسلام) كاصحاب مسيلمة والاسود العنسى (او بعده كالعيسوية) اصحاب عيسى بن اسحق بن يعقوب الاصبهانى كان موجودا فى خلافة المنصور وهو (من اليهود) الا انه خالفهم فى اشياء منها انه حرم الذبائح (القائلين بتخصيص رسالته) اى نبينا (الى العرب) خاصة (وكالخرمية) بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء المفتوحة لانهم تبعوا بابك الخرمى فنسبوا اليه قال الجوهرى هم اصحاب التناسخ والاباحة وفى نسخة بجيم مفتوحة فراء ساكنة قال التلمسانى ويجوز كسر الحاء المهملة وسكون الراء لقولهم ماحرم حلال لانهم اباحوا المحرمات (القائلين بتواتر الرسل) اى لاينقطعون ما دامت الدنيا (وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة على فى الرسالة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حال وجوده (وبعده) اى وبعد فقدشهوده (وكذلك كل امام) اى من الائمة الاثنى عشر (عندهؤلاء) الرافضة (يقوم مقامه فى النبوة والحجة) يعنى ان ارادوا بها الحقيقة والا فالمنزلة المجازية لاتوجب الكفر ولاالبدعة (وكالبزيغية) بموحدة مفتوحة وزاى مكسورة فتحتية ساكنة فمعجمة اومهملة (والبيانية) بفتح موحدة فتحتية بعدها الف فنون وقيل الصواب بموحدة مضمومة ونونين بينهما الف (منهم) اى من الرافضة لامن البزيغية كما توهم الدلجى (القائلين بنبوة بزيغ) رجل غير معروف (وبيان) اى ابن اسمعيل النهدى من غلاة الروافض وقدتقدم ان اعتقادهم ان الله تعالى حل فى على واولاده كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى بنان بن سمعان التميمى (اومن ادعى النبوة لنفسه) كالمختار ابن ابى عبيد الثقفى (اوجوز اكتسابها) اى تحصيل النبوة بالمجاهدة والرياضة (والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها) اى منزلة النبوة باخذ الفيض من جهة القلب عن الرب (كالفلاسفة) اى الحكماء ومنهم ابوعلى ابن سينا صاحب الشفاء الذى يورث مرض الشقاء (وغلاة المتصوفة) اى الجهلاء واجهلهم ابن عربى حيث جعل نفسه خاتم الاولياء وزعم انه كان يستفيض منه

خاتم الانبياء (وكذلك من ادعى منهم) وكذا من غيرهم (انه يوحى اليه) اى وحيا جليا الا الهاما يسمى وحيا خفيفا كما يحصل لبعض ارباب المكاشفة واصحاب الفراسة كما يشير اليه قوله تعالى ان فى ذلك لايات للمتوسمين اى المتفرسين وقوله عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المؤمن وقوله فى امتى محدثون اى ملهمون (وان لم يدع النبوة) كعبد الله ابن ابى سرح من قريش كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين تعجب من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها كذلك نزلت فشك وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه او كاذبا لقد قلت كما قال والتحق بمكة مرتدا فاهدر دمه النبى عليه الصلاة والسلام فاخذله عثمان عام الفتح امانا فاسلم وحسن اسلامه وكان اخاه لامه وولاه زمن خلافته مصر (او انه) اويدعى انه حال اليقظة (يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمرتها ويعانق الحور العين) اى البيض الواسعة الاعين وفيه ان هذا كله يقتضى الكذب لا الكفر كما لا يخفى (فهؤلاء) الطوائف (كلهم كفار) اى فانهم (مكذبون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اخبر) عن نفسه (انه خاتم النبيين لا نبى بعده) اى بنبأ فلا يرد عيسى لانه نبى قبله وينزل بعده ويحكم بشريعته ويصلى الى قبلته ويكون من جملة امته (واخبر عن الله تعالى انه خاتم النبيين) وهذا اقوى دليلا مما قبله فتأمل (وانه ارسل كافة) اى رسالة جامعة (للناس) لقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اى اصالة والجن تبعا (واجمعت الامة على حمل هذا الكلام) الذى صدر عنه عليه الصلاة والسلام (على ظاهره) لعدم صارف عنه (وان مفهوم المراد به) هو المقصود منه (دون تأويل) فى ظاهره (ولا تخصيص) فى عمومه (فلا شك فى كفر هؤلاء الطوائف كلها) اى لتكذيبهم الله ورسوله (قطعا) اى بلا شبهة (اجماعا) بلا مخالفة (وسمعا) اى وسماعا من الكتاب والسنة ما يدل على كفرهم بلا مرية (وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب) القديم وحمله على خلاف ما ورد به من المعنى القويم كحمل ابن عربى قوله تعالى فى قوم نوح مما خطيئاتهم اغرقوا وادخلوا نارا على ما حاصله اغرقوا فى بحر المحبة فادخلوا انارها ووجدوا الله دون غيره انصارهم وكذلك قوله فى قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته ان الكلام تم فى اوتى وان رسل الله مبتدأ وخبره الله واعلم خبر مبتدأ محذوف وامثال ذلك مما صدر عنه وعن غيره هنالك (او نص حديث) اى او دافع صريح حديث (مجمع على نقله مقطوع به) اى بصحته (مجمع على حمله على ظاهره) من غير تأويله وفى نسخة او خص حديثا مجمعا على نقله من جهة مبناه وحمله على ظاهره من جهة معناه (كتكفير الخوارج بابطال الرجم) بالجيم للمحصن الثيب ولم يشرط الشافعى الاسلام فى الرجم لظاهر حديث الموطأ وغيره ان اليهود اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فرجمهما وشرطه ابو حنيفة ومالك لحديث من اشرك بالله فليس بمحصن ثم اعلم ان العلماء اجمعوا على وجوب جلد الزانى البكر مائة وهو الثابت بالاية ورجم المحصن الثيب المأخوذ من الآية المنسوخة تلاوة لا حكما وهو قوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وقد عمل بها صلى الله تعالى عليه وسلم فى حال حياته وكذا الصحابة بعد وفاته ولم يخالف فى هذا احد من اهل القبلة الا ما حكوه عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام واصحابه فانهم لم يقولوا بالرجم ومن مذهبهم ان الاجماع ليس بحجة ويرده قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله لا يجمع امتى على الضلالة وبالاجماع على ان الاجماع حجة بل اقوى الحجة وان كان سندهم من الكتاب والسنة (ولهذا) اى ولقولنا بتكفير الخوارج بما ذكر كذا ذكره الدلجى وكان الاولى للمصنف ان يقول وكذا (نكفر من دان) اى تدين (بغير ملة المسلمين من الملل) اى الخارجة عن ملتهم (او وافق فيهم) اى او وافق بعض الاحكام اى مع بقائه على ملة الاسلام وفى اصل الدلجى او وقف فيهم اى توقف فى تكفير من ذكر (او شك) اى تردد (او صحح مذهبهم) بدليل عقلى او نقلى (وان اظهر مع ذلك) التوقف او الشك او التصحيح (الاسلام) اى الايمان وانقياد ما فيه من الاحكام (واعتقده) اى الاسلام (واعتقد ابطال كل مذهب سواه) اى فى باطنه وفيه ان توقفه او شكه ينافيه (فهو كافر باظهاره ما ظهر من خلاف ذلك) ففى الفتاوى الصغرى من شبه نفسه باليهود او النصارى على طريق المزح والهزل كفر (وكذلك نقطع بتكفير كل قائل) وروى كل من (قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة) المرحومة (وتكفير جميع الصحابة) وهذا للاجماع ولقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذلك تكفير بعض الصحابة عند اهل السنة والجماعة بخلاف الخوارج والروافض (كقول الكميلية من الروافض) قيل والصواب كما قال الامام الرازى من غلاة الروافض الكاملية اتباع ابى كامل وقيل ولعل الكميل تصغير الكامل ايماء الى تحقير شانه واتباعه القائلين (بتكفير جميع الصحابة بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم تقدم) اى الصحابة

(عليا) الخلافة بل قدمت ابابكر كما قدمه عليه الصلاة والسلام للامامة (وكفرت عليا اذلم يتقدم ويطلب) اى ولم يطلب (حقه) من الخلافة (في التقديم) الموجب لزيادة التكريم (فهؤلاء) الكميلية (قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة) اي لعيرها (باسرها) اى جميعها (اذقد انقطع نقلها ونقل القرآن معها) اى عندهم (اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا) الوجه (والله اعلم) جملة معترضة للاحتياط (اشار مالك في احد قوليه يقتل من كفر الصحابة) اى جميعهم اوبعضهم فلبس كما قال الدلجي بناء على كفر من قال لمسلم يا كافر وقيه ان هذا شتم ليس بكفر الاان اعتقد كفره حقيقة وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام من قال لاخيه ياكافر فقد باء به احد هما اى ان كان كما قال والا رجع عليه قال وقوله الآخر لا يقتل لانه كبيرة لم يخرج عن اصل الايمان اقول والاظهر ان هذين القولين فيمن كفر بعض الصحابة واما من كفر جميعهم فلا ينبغي ان يشك في كفره لمخالفة نص القرآن من قوله سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وبيانه ان هذه الايات نص قطعي فلا يبطله قول مموه لا اصل له من جهة النقل ولا من طريق العقل على ان امر الخلافة ليس من اركان الايمان ثم هو لا يتعلق الا ببعض من اهل الحل والعقد فلا وجه اصلا لتكفير الكل قطعا (ثم كفروا) اى الكميلية (من وجه) وفي نسخة من وجه آخر (بسبهم النبي) اى لطعنهم فيه (صلى الله تعالى عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي) بالخلافة بعده (وهو) اى النبي عليه الصلاة والسلام (يعلم انه) اى عليا (يكفر بعده) اى بعد النبي عليه الصلاة والسلام (على قولهم) اى بزعمهم والجملة حالية (لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله واله) الشامل لاصحابه واحبابه (وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل) الذي لا يصدر الا عن كافر (كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب) الذي للنصارى (والنار) بخلاف السجود للسلطان ونحوه بدون قصد العبادة بل بارادة التعظيم في التحية فانه حرام لا كفر وقيل كفر (والسعي الى الكنائس) جمع الكنيسة معبد اليهود (والبيع) بكسر ففتح جمع بيعة معبد النصارى (مع اهلها) احتراز من سعيه اليهما منفردا عنهم لقصد التفرج دون العبادة (والتزي بزيهم) اى بكسوتهم وهيئتهم بخلاف من سعي اليهما معهم لكن بخلاف صورتهم وانما كفروا بزيهم لان الظاهر عنوان الباطن ولا يتجانس الا يجنون (من شد الزنانير) جمع زنار بكسر اوله مايشد به النصارى اوساطهم (وفحص الرؤس) بفتح الفاء وسكون الحاء وبالصاد المهملتين قال الجوهري وفي الحديث فحصوا عن رؤسهم كانهم حلقوا وسطها وتركوها مثل افاحيص القطا انتهى وفي المجمل لابن فارس نحوه وقال الهروي في غريبه في حديث ابي بكر انه قال لعامله انك ستجد اقواما يعني بالشام قد فحصوا رؤسهم فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه اى حلقوا مواضع منها كافحوص القطا وهم الشمامسة انتهى وفي حديث انه عليه الصلاة والسلام قال لامراء جيش مؤتة ستجدون آخرين للشيطان في رؤسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف والمعنى ان الشيطان استوطن في رؤسهم كما تستوطن القطا مفاحصها ومنه الحديث من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة (فقد اجمع المسلمون ان هذا) الذي ذكر من الافعال (لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها) وروى صاحبها (بالاسلام) ولعل فحص الرأس كان شعارا للكفرة قبل ذلك واما الآن فقد كثر في المسلمين فلا يعد كفرا (وكذلك اجمع المسلمون على كفر من استحل القتل لمسلم) اى ظلما (اوشرب الخمر) اى طوعا (اوالزنا) بالزاى والنون وفي معناه الز باو الربا او اشياء اخر (مما حرم الله بعد علمه بتحريمه) وفيه ايماء الى ان جهله عذر ولعل هذا بالنسبة الى حديث عهد بالاسلام اوالبلوغ فان انكار ماعلم من الدين بالضرورة كفر اجماعا (كاصحاب الاباحة من القرامطة) يحتمل ان تكون من بيانية اوتبعيضية (وبعض غلاة المتصوفة) الزاعمين انهم وصلوا الى الله فرفع عنهم التكليف قال الدلجي وقد ادركت بعضا منهم يقول اسقط الله عني التكليف فاستباح فطر رمضان والخلوة بالاجنبيات من النساء ونحو ذلك من الفحشاء (وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب) اى باصل من اصول الدين (وانكر قاعدة من قواعد الشرع) المبين مما بنى عليه كما بينه عليه الصلاة والسلام بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج (وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول وقطع الاجماع المتصل) الذي لم يتخلله عدم اجماع (عليه) مما علم من الدين بالضرورة عند الخاص والعام (كمن انكر وجوب الصلوات الخمس) اى جميعها او احدا ها (وعدد ركعاتها) المختصة بها (وسجداتها) المكررة فيها (ويقول) اى مدعيا (انما اوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة) اى اجمالا من غير بيان نحوكونها خمسا وتعيين عدد ركعاتها وسجداتها (وكونها) اى ويقول كونها (خمسا او على هذه الصفات) اى من الاركان المقررة (والشروط) المعتبرة من طهارة وستر عورة ودخول وقت واستقبال قبلة ونية (لا اعلمه) يقينا (اذ لم يرد فيه)

في كل منها (في القرآن نص جلي) على وجوبها وان اشتملت على بعضها اجمالا كآية اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر وآية اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اى فرضا موقتا وقوله وقوموا لله قانتين وقوله فاقرؤا ما تيسر منه وقوله ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ونحو ذلك من الايات المجملة التي وقع بيانها بالاحاديث الموصلة (والخبر) اى ويقول الحديث الوارد (به عن الرسول خبر واحد) لايفيد القطع اذا لم يكن متواترا عنه قلنا نعم لكن يجب العمل به اجماعا لقوله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه ومانهيكم عنه فانتهوا ولانه عليه الصلاة والسلام مبين لمجمل الكتاب بفصل الخطاب كما قال تعالى لتبين للناس مانزل اليهم وايضا قد اخبر به اصحابه وعمل به وتبعه اتباعهم وهلم جرا الينا في بيان الشروط والاركان الثابتة لديناووقع الاجماع عليه فيكفر جاحده (وكذلك اجمع) بصيغة المجهول وفي نسخة اجمع المسلمون (على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار) اى بكرة وعشية فقط كما كان في صدر الاسلام ويسمون الاطرافية (وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم) من الائمة (والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة) اى وفي قولهم (ان العبادة) المورثة للمشاهدة (وطول المجاهدة المفضي الى المراقبة (اذا صفت نفوسهم) عن الكدورات (افضت بهم) اى اوصلتهم (الى اسقاطها) اى المكلفات (واباحة كل شئ لهم) من المحرمات (ورفع عهد الشرائع) بضم العين وفتح الهاء جمع عهدة وهي في نسخة بدل جمعها (وكذلك ان انكر منكر مكة) اى وجودها (اوالبيت اوالمسجد الحرام) لان انكارها انكار المنصوص عليها في الكتاب والسنة واجماع الامة (اوصفة الحج اوقال الحج واجب في القرآن) لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت (واستقبال القبلة كذلك) واجب في القرآن لقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (ولكن كونه) اى كل من الحج والاستقبال (على هذه الهيئة المتعارفة) عند الناس (وان تلك البقعة) اى المأمور بالحج اليها (هي مكة والبيت والمسجد الحرام) الوارد بها ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس (لاادري هل هي) اى مكة والبيت والمسجد الحرام (تلك) الامكنة المتعارفة (ام غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا) بكسر اللام اى اخطأوا (ووهموا) بكسر الهاء اى توهموا انها هي تلك الامكنة (فهذا) المنكر المذكر (ومثله) في غيره (لامرية) بكسر الميم وتضم اى لاشك ولاشبهة (في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك) الذي ذكر من اسماء الامكنة ومع ذلك ينكرها اويتردد فيها عنادا (وممن خالط المسلمين) اى ليس من اهل البادية لقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدران لايعلموا حدود ماانزل الله على رسوله (وامتدت صحبته لهم) واشتدت مخالطته بهم لان الغالب انهم ذكروها له (الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك) الذي يورثك معرفتها (ان تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد) اى بعد اسلامك الى الآن (كافة المسلمين) بالنصب على انه معمول تسأل (فلا تجد فيهم) اى فيما بينهم (خلافا) اصلا (كافة عن كافة) اى حال كونهم جماعة راوية عن جماعة من كل طائفة في كل قرن وامة (الى معاصري النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذه الامور المذكورة هي هي (كما قيل لك ان تلك البقعة) المشهورة (هي مكة) المعمورة (والبيت الذي) هو (فيها هو) وفي نسخة هي (الكعبة) المسماة بها لعلوها حسا ومعنى كما قيل

﴿ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول﴾

والمعنى ان بيت العز والشرف هو الكعبة (والقبلة التي صلى اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون) من اهل مكة وغيرهم (وحجوا اليها) من كل فج عميق (وطافوا بها) وهي البيت العتيق (وان تلك الافعال) المتعلقة بالحج من الاحرام والطواف والسعي والوقوف والحلق والرمي (هي صفات عبادة الحج والمراد به) في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت وقوله عليه الصلاة والسلام حجوا يبشر بكم (وهي) اى الصفات المذكورة والافعال المسطورة هي (التي فعلها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون) معه في زمانه روى انهم مائة وعشرون الفا وكذا فيما بعده قرنا فقرنا وهلم جرا الينا (وان صفات الصلوات) الخمس (المذكورة) في الاحاديث الصحيحة المشهورة من التحريمة والقيام والقراءة والركوع والسجود والقعدة (هي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وشرح) اى فسر وبين (مراد الله بذلك) الاجمال (وابان حدودها) اى واظهر اوقاتها وشرائطها واركانها (فيقع لك العلم) آخرا (كما وقع لهم) اولا فان العلم بالتعلم وقد قال تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقد ورد انما شفاء العي السؤال (ولا ترتاب بذلك) اى لايقع لك فيها شك وتردد (بعد) بالبناء على الضم اى بعد ماعلمته بسؤالك منهم وهذا حال من بعذر بجهله (والمرتاب في ذلك) اى السالك فيما ذكر (والمنكر بعد البحث)

ظرف لهما اى بعد الفحص عنها وحضور المعرفة بها (وصحبة المسلمين) اى و بعد مخالطتهم الدالين عليه والهادين اليه (كافر باتفاق) للائمة والامة (لايعذر بقوله لاادرى ولا يصدق فيه) اى فى قوله المنسوب الى جهله (بل ظاهره التستر عن التكذيب) على وجه التصريح اكتفاء بالتلويح فا ن كل اناء يترشح بما فيه (اذ لايمكن انه لايد ر ى) بعد البحث والسؤال من المؤمنين او مخالطة المسلمين وهو عاقل ليس من المجانين (وايضا) يلزم منه فساد آخر (فانه اذا جوز) هذا المنكر (على جميع الامة الوهم) اى السهو (والغلط) اى الخطأ ولو بلغوا فى الكثرة حد التواتر الذى يحيل العقل تواطئهم على الكذ ب (فيما نقلوه من ذلك) الذى تقد م (واجمعوا انه قول الرسول) عليه الصلاة والسلام (وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة) اى الشك والشبهة (فى جميع الشر يعة) قولا وفعلا ولا يخفى فساد هذه الذر يعة (اذ هم الناقلون لها) اى للشريعة المستفادة من السنة (وللقرآن) الينا بالطر ق المواترة (وانحلت عرى الدين) اى انفسخت عقده وعهده (كرة) اى دفعة واحدة ولم يبق منها عروة و يروى كلمة (ومن قال هذا) القول وامثاله (كافر) فى حاله ومآله يسوء مقاله (وكذلك من انكر القرآن) اى جميعه (اوحرفا منه) اى مما تواتر فيه (اوغير شيئا منه) بان نقص منه شيئا (اوزاد فيه) شيئا من تلقاء نفسه من غير قراءة متواترة او ر وا ية شاذة (كفعل الباطنية) و يروى كقول الباطنية (والاسمعيلية) اى من التغير اوالزيادة وهذا غير معر و ف عنهم اللهم ان كا ن المراد با لتغير تغيير المعنى دون المبنى كما قال تعالى فى ذم اهل الكتاب يحرفون الكلم عن مواضعه اى يأ و لو نها على ما يشتهونها و يميلون اليها عما اراد الله سبحانه وتعالى بها (اوزعم انه) اى القرآن (ليس بحجة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) خاصة (اوليس فيه حجة) لاحد (ولا) اى هو فى نفسه (معجزة) اى لامبنى ولا معنى (كقول هشام الفوطى) بضم الفاء اوالباء وسكون الواو اوفتحها والطاء مهملة (ومعمر) بسكون عين مهملة بين ميمين مفتوحتين (الصيمرى) بفتح الصاد المهملة اوالمعجمة وسكون التحتية وفتح الميم فراء بعدها ياء نسبة الى بلدة اوقبيلة قال الدلجى انهما من المعتزلة اى فى الصورة ومن الكفرة فى السيرة (انه) اى القرآن (لايدل على الله) اى على طريق رضاه (ولاحجة فيه لرسوله) اى على صحة مقو له (ولايدل على ثواب ولاعقاب ولاحكم) من حلال وحرام وآداب وهذا كله مكابرة وعناد وفتح باب فساد والحاد (ولامحالة) بفتح الميم وتضم اى لا شـك وفى نسخة ولا مخالفة (فى كفرهما بذلك القول) وفى نسخة بهذا (وكذلك تكفيرهما) وفى نسخة نكفرهما (بانكارهما ان يكون فى سائر معجزات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى باقيها باسرها (حجة له) قاطعة وبينة ساطعة (وفى خلق السموا ت والارض دليل على الله) اى وجوده سبحانه وتعالى مع انه قال تعالى لا يا ت لاولى الالباب (لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه بهذا) الذى ذكر (كله وتصريح القرآن به) بقوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فا توا بسورة من مثله (وكذ لك من انكر شيئا مما نص فيه القرآن) به كوجود الملائكة ومجيء القيامة (بعد علمه انه من القرآ ن الذى فى ايدى الناس) اى من الحفا ظ الماهر ين (ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به) اى بانه منه (ولاقر يب عهد) وفى نسخة ولاحديث عهد اى جديد زمان (بالاسلام واحتج) الواو فيه وكذا الواو ان فيما قبله للحال اى تعلق (لانكاره امابانه لم يصح النقل) للقرآن (عنده ولابلغه العلم به) من غيره (اولتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطر يقين المتقد مين) وهما الاجماع والنقل المتوا تر (لانه مكذب للقرآن) الثابت تواترا قطعا (ومكذب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) المحقق اجماعا (لكنه تستر بدعواه) الجهل فيما ادعاه (وكذلك من انكر الجنة اوالنار) اى وجود هما بالكلية فان اهل السنة على انهما موجود تا ن والمعتزلة على انهما ستوجدان (والبعث) فى القبور (والحساب) الموجب للثواب والعقاب بخـلاف انكار الميزا ن والصراط فانه من عقائد المعتزلة (والقيامة فهو كـا فر باجماع) وفى نسخة بالاجماع (للنص عليه) فى الكتاب (واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك) اى اقول كما روى (من اعترف بذ لك) فى الجملة (ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر) اى الجمع فى الموقف (والنشر) اى النشور وهو الخروج من القبور اوالتفرق الى الجنة والنار (والثواب) على الحسنات (والعقاب) على السيئات (معنى غير ظاهره) وفى نسخة معنى على غير ظاهره (وانها لذات وعقوبات (روحانية) بفتح الراء ويجوز ضمها لاجسمانية (ومعان باطنة كقول النصارى) لعل هذا قول بعضهم (والفلاسفة) من الحكماء الجاهلية (والباطنية وبعض المتصوفة) كالوجودية القائلة بالعينية (وزعم ان معنى القيامة الموت) ولم يدر ان الموت مقدمة القيامة ولذا ورد من مات فقد قامت قيامته (اوفناء محض) اى عدم ليس بعده وجود وبقاء اوزعم المراد بالقيامة الفناء عن السوى والثبات على البقاء كما يتوهم جهلة المتصوفة متمسكين بظاهر ما ر و ى موتوا قيل ان تموتوا مع انه ليس بحديث (وانتقاض هيئة) وروى بنية (الافلاك) اى انهدامها وتغيرها وانتقالها من اوضاعها بالكلية (وتحليل العالم) اى فساده وخروجه عن نظام هيئته الاولية (كقول بعض الفلا سفة) بذ لك

ممن ينكر البعث هنالك والا فالتغيير والتبديل ثابتان في التنزيل كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات واذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت (وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة المعصومين (افضل من الانبياء) والمرسلين وهذا كفر صريح يستفاد من قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وفي هذا المحل مباحث ذكرتها في شرح الفقه الاكبر (واما) وفي نسخة فاما (من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير) اي الآثار المتعلقة بالغزوات والشمائل في الصفات كقتل عمار بصفين مما ورد انه تقتله الفئة الباغية (والبلاد) النائية كالعراق وخراسان (التي لا يرجع) اي انكارها (الى ابطال الشريعة ولا يفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك) المذكورة في سورة التوبة وهي ارض بين الشام والمدينة (اومؤتة) بضم الميم وسكون همزة وتبدل مكان بادنى البلقاء من ارض الشام (اووجود ابي بكر) وفيه ان بعض العلماء قال من انكر صحبته للنبي عليه الصلاة والسلام كفر لمخالفة النص وهو قوله تعالى ثاني اثنين اذهما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا حيث اجمع المفسرون على انه ابو بكر ولا يبعد ان يفرق بين من انكر وجوده وبين من انكر صحبته بناء على ان دلالة الآية على صحبته اجمالية ورواية كونها له خاصة غير قطعية فلا يكفر من انكر وجوده (وعمر) مع شهرته (اوقتل عثمان اوخلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم) بما هنالك (اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة) مفاعلة من البهتان اي الكذب والمعاندة يقال باهته اذا قال عليه ما لم يقل (كانكار هشام) اي الفوطي (وعباد) بفتح مهملة فتشديد موحدة وهو الصيمري (وقعة الجمل) وهي كانت في اول خلافة علي ونقل مغلطاي في سيرته ان ابن حزم انكرها وفيما قاله نظر اذ قد تواتر نقلها وهي ان جماعة من الصحابة خرجوا مع عائشة في هودج على جمل آخذا بخطامه كعب بن المسور بن مخرمة الى البصرة للصلح بين علي ومعاوية وتسكين الفتنة فنشبت بينهم الحرب فلتة من غير قصد وكانت سنة ست وثلاثين واما وقعة صفين كسجين وهو موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت الوقعة العظمية بين علي ومعاوية غرة صفر سنة سبع وثلاثين فمن ثمة احترز الناس السفر في صفر ذكره في القاموس (ومحاربة علي من خالفه) كمعاوية والخوارج فيما تقدم والله تعالى اعلم (واما ان ضعف) بتشديد العين اي نسب الى الضعف (ذلك) النقل المجمع عليه (من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع) بتشديد الهاء اي نسبهم الى الوهم اجمعين (فنكفره بذلك) الاتهام (لسريانه) اي افضائه وروي لسرايته (الى ابطال الشريعة) فكانه جعل هذا التوهيم لالحاده نوعا من الذريعة (فاما من) وفي نسخة ان (انكر الاجماع المجرد) اي المنقول عن بعض الائمة (الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع) المفيد كونه قطعيا بل طريقه الآحاد المقتضي كونه ظنيا (فاكثر المتكلمين والفقهاء والنظار) بضم النون وتشديد الظاء المعجمة جمع ناظر بمعنى المناظر اسم فاعل من المناظرة (قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع) كما هو مبين في اصول الفقه (المتفق عليه عموما) لانه حجة اجماعا وان كان طريقه آحادا (وحجتهم) في تكفيره بمخالفة الاجماع (قوله تعالى ومن يشاقق الرسول) اي يخالفه (من بعد ما تبين له الهدى) اي طريق الحق (الآية) اي ويتبع غير سبيل المؤمنين الذي هم عليه من الدين لايذانه بانه حجة لا تجوز مخالفته كما لاتجوز مخالفة الكتاب والسنة بدلالة جمعه بين المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين في الشرط وجعل جزائه الوعيد الشديد المفاد بقوله تعالى نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه وندعه وما اختاره من متابعة هواه بما لا يرضاه الله وهذا في الدنيا ونصله جهنم اي ندخله ونحرقه وساءت مصيرا اي مرجعا ومسيرا في العقبى (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من خالف الجماعة) اي جماعة المسلمين وفي نسخة كما في رواية من فارق الجماعة اي بترك السنة واتباع البدعة (قيد شبر) بقاف مكسورة فتحتية ساكنة ونصبه على المصدر اي قدر شبر يعني ولو مقدارا يسيرا وامرا حقيرا (فقد خلع) اي نزع (ربقة الاسلام) بكسر الراء وسكون الموحدة اي عقدته وعهدته (من عنقه) اي رقبته وذمته وقد روى الترمذي عن ابن عمر ان الله تعالى لا يجمع امتي على الضلالة ويد الله على الجماعة من شذ شذ في النار (وحكوا) اي الفقهاء ومن معهم (الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف) اي التوقف (عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء) اي مطلقا سواء كان نظريا ام لا وفي نسخة الذي يختص نقله بالعلماء (وذهب آخرون الى الوقف) وفي نسخة التوقف (في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر) اي تأمل وفكر كالقياس لان الاجتهاد المأخوذ في تعريفه لابد له من مستند اما من كتاب اوسنة فذكره منكر لاحدهما (كتكفير النظام) بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة كان احد فرسان المتكلمين من المعتزلة وكان في دولة المعتصم (بانكاره الاجماع) وانما كفروه به (لانه بقوله هذا) وهو انكاره الاجماع (مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به) اي بالاجماع بل جعلوه اقوى الحجة (خارق الاجماع) وفي نسخة خارق للاجماع (قال القاضي ابو بكر) اي الباقلاني (القول

المعول (عندى) اى فى رأيى (ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده) وبشهود كرمة وجوده (والايمـان بالله هو العلم بوجوده) وما يتعلق به من توحيد ذاته وتفريد صفاته واثبات كلامه المشتمل على سائر المؤمن به من ملائكته ورسله والا فمجرد العـلم بوجوده حاصل لعامة خلقه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والا رض ليقولن الله وانما انكر وجوده سبحانه وتعالى طائفة من الدهرية والمعطلة (وانه) اى الشـان (لايكفر احد بقول ولارأى) اى اعتقاد ممايكفربه (الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى الله) ورسوله (بقول اوفعل نص الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (اواجمع المسلمون على انه لايوجد الامن كافر اويقوم دليل آخر) نقلا اوعقلا (على ذلك) اى على انه لايوجد الامن كافر لكونه من شعارهم (فقد كفر) لكن (ليس) الحكم بكفره (لاجل قوله اوفعله) الذى لايوجد الامن كافر (بل لما قارنه) اى قوله اوفعله (من الكفر فالكفر بالله لايكون الا باحد ثلاثة امور احدهـا هو الجهل بالله) اى بوجوده وهو الاصل فى باب التكفير (والثانى ان يأتى فعلا اويقول قولا يخبرالله ورسوله اويجمع المسلمون على ان ذلك) الفعل اوالقول (لايكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشى الى الكنائس) اى فى زيهم (بالتزام الزنا) مشددابه وسطه غيرمكره فيه وروى الزنانير وهو بفتح الزاى جمع الزنار بضمها (مع اصحابها فى اعيادهم) اوغيرها (اويكون ذلك القول اوالفعل لايمكن) اى لايتصور (معه العلم بالله) كانكار فرض مجمع عليه والقاء مصحف فى قاذورة (فهذان الضربان) اى النوعان من اتيان الفعل اوالقول الموصوفين وقول الدلجى فهذان اى الجهل والاتيان مردود بقوله (وان لم يكونا جهلا بالله تعالى فهما علم) بفتحتين اى علامة وفى اصل التلمسانى علم بكسر اوله وسكون ثانيه اى دليل (ان فاعلهما كافر) فى الاصل (اومنسلخ من الايمان) اى خارج عنه (فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية) من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام (اوجحدها) اى انكرها بعد مااعترف بها (مستبصرا) اى متيقنا غيرشاك (فى ذلك) اى فى جحدها (كقوله ليس بعالم ولاقادر ولامريد ولامتكلم) كان الاولى ان يأتى باو بدل ولا (وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى) كقوله ليس سميعا اوبصيرا اوحيا (فقد نص ائمتنا) المالكية (على الاجماع على كفرمن نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها) اى اخلاه منها بلا وصفه بها وهذا قول الباقلانى ولااعرف خلافا فى ذلك لانه سبحانه وتعالى وصف ذاته بهذه الصفات فى كلامه القديم الذى يستفـاد منه الدين القويم فمن انكرشيئا من ذلك فقد انكرالقرأن العظيم قال المصنف (وعلى هذا) القول بنفى الوصف (حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام) اى نفسى (فهو كافر) لانه نسبه الى وصم البكم (وهو) اى سحنون (لايكفر المتأولين) اى من المعتزلة المنافقين قدمها وزيادتها على ذاته القائلين بانه تعالى خلق الكلام فى الشجرة وكلم موسى و بخلق القرأن وحدوثه وانه مركب من حروف واصوات تفاديا من تعدد القدماء (كما قدمناه فامامن جهل صفة من هذه الصفات) اى ونفاها غير مستبصر فيها (فاختلف العلماء هنا) اى فى مقام تكفيره (فكفره بعضهم وحكى ذلك) اى تكفيره (عن ابى جعفر الطبرى) الشافعى (وغيره وقال به ابوالحسن الاشعرى مرة) اى هواحد قوليه (وذهبت طائفة الى ان هذا) الجهل للمؤمن (لايخرجه عن اسم الايمان) اى اصله وان كان يخرجه عن كمال الايقان (واليه) اى الى هذا المذهب (رجع الاشعرى) فهو المعتمد فى المعتقد (قال لانه لم يعتقد ذلك) النفى مع الجهل (اعتقادا بقطع بصوابه ويراه دينـا) متبعا (وشرعا) مبينـا بل انما يظنه ظنا وقع خطأ (وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء) المتأخرون (بحديث السوداء) اى الجارية (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلب منها التوحيد) اى توحيد الذات (لاغير) اى لاغير ذلك من تحقيق الصفـات وهو ان ام ابن سويد التسريد الثقفى اوصته ان يعتق عنها رقبة مؤمنة فاتى النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم وقال يارسول الله ان امى اوصت ان اعتق عنها رقبة مؤمنة وعندى جارية سوداء نوبية وذكر نحوه معاوية بن الحكم السلمى فذكر الحديث الى ان قال اين الله قالت فى السمـاء قال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقهـا فانها مؤمنة اخرجـه ابوداود فى الايمـان بفتح الهمزة والنسائى فى الوصايا وحديث معاوية بن الحكم السلمى اخرجه مسلم فى الصلاة والطب واخرجه ابوداود فى الصلاة والنسـائى فى اماكن من مسنده انتهى كلام الحلبى وذكر التلمسـانى ان حـديث السوداء هوان رجلا ظاهر فلزمه الظهار فاتى بامة سوداء فقال له النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم لاتجزئك حتى تعرف انهـا مؤمنة قال سلها يارسول الله فسألها فقال لها اين الله فاشارت الى السماء فقال اعتقها فانها مؤمنة وهو حديث رواه ابو داود والنسائى ومالك انتهى وكان اشارتها الى السماء ايماء بان الله هو الذى خلقها او انه ليس بالهة الارض اوهو الموصوف بانه اله فى السماء اى معبود فيها فاكتفى بهذا التوحيد الاجمالى على كونها مؤمنة لكن يشكل بسؤاله عليه الصلاة والسـلام حيث قال اين الله ولعله كوشف له عليه الصلاة والسلام بانها لا تعرف الاله الابهذا الوصف ولعل القائلين بجهة

العلو لله سبحانه وتعالى تمسكوا بظاهر هذا الحديث وامثاله والمحققون انه تعالى منزه عن المكان والزمان واما قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض فمعناه انه هو المستحق لان يعبد فيهما لا غيره كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله (وبحديث القائل لئن قدر الله على) بتخفيف الدال وجاء فى صحيح البخارى ان قائله كان نباشا من كلام عقبة بن عمر الصحابى والحديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه من قول القائل لبنيه عند موته احرقونى ثم انظروا يوما راحا اى ذا ريح شديدة فاذروني فيه فوالله لئن قدر الله على والرواية بتخفيف الدال من القدرة لا كما قال التلمسانى قدر يشدد من التقدير ويخفف بمعنى ضيق فانه لو كان المروى كذلك لما كان اشكال هنالك (وفى رواية عنه) اى عن القائل وفى نسخة فيه اى فى الحديث وهو كذا فى تفسير ابن ابى حاتم (لعلى اضل الله) بفتح الهمزة والضاد وتكسر ورفع اللام المشددة اى افوته ويخفى عليه مكانى وقيل لعلى اغيب من عذاب الله تعالى من ضللت الشئ وضللته اذا جعلته فى مكان ولم تدر اين هو وضل الناسى اذا غاب عنه حفظ الشئ ومنه قوله تعالى ائذا ضللنا فى الارض اى خفينا وغبنا والمعنى اضل عنه اى اخفى واغيب منه على انه من باب نزع الخافض وايصال الفعل فيكون جاهلا بكمال علمه سبحانه وتعالى (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فغفر الله له) اى مع كون كلامه مشعرا بنفى القدرة فى الصورة المقدرة والمعنى فغفر الله له لعذره بجهله على ان قدر جاء بمعنى ضيق كما فى قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه ومعنى الرواية الثانية اغيب عن عذاب الله تعالى لكن لا يخفى بعد هذه التأويلات عن قوله احرقونى وسائر المقالات والله تعالى اعلم بالحالات وتمام الحديث على ما فى الصحيح قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت اوصى بنيه اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وانت اعلم فغفر له (قالوا) اى هؤلاء العلماء (واو بوحث اكثر الناس عن الصفات) اى فتشوا عن معرفتها (وكوشفوا عنها) اى طلب منهم الكشف عن بيانها (لما وجدوا من يعلمها الا الاقل) من القليل (وقد اجاب الآخر) اى من العلماء الاولين (عن هذا الحديث بوجوه) خمسة (منها ان قدر مخففا (بمعنى قدر) مشددا اى حكم وقضى (ولا) وفى نسخة فلا (يكون شكه فى القدرة على احيائه بل فى نفس البعث الذى لم يعلم الا بشرع) دون عقل وطبع (ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا) وفيه انه لو كان شاكا فى بعثه لما اوصى بما يدل على كمال خوفه (فاما ما لم يرد به شرع) كالبعث (فهو من مجوزات العقول) بتشديد الواو المفتوحة فلا يكفر بالشك فيه لعدم العلم به وهذا لا يخفى بعده لاطباق الانبياء والرسل على وجوب الايمان باليوم الآخر ووعد الثواب ووعيد العقاب حتى قال تعالى لآدم ومن معه فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون نعم قد يقال انه آمن ايمانا اجماليا وتقليدا عرفيا وما بلغه تفاصيل المؤمن به فوقع له الشك فى وقوعه او التوهم بدفع العذاب عنه على تقدير تصوره (او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه) من وصية بنيه باحراقه (ازراء عليها) اى اهانة وتنقيصا بها (وغضبا) عليها (لعصيانها) او ظن انه يتخلص بعذاب الدنيا من عقاب العقبى (وقيل انما قال ما قاله) وهو قوله لئن قدر الله على (وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه) اى لمؤدى مرامه (اى مما استولى عليه من الجزع) اى غلب عليه من شدة الفزع (والخشية التى اذهلت) وفى نسخة اذهبت (لبه) اى اغفلت قلبه واشغلت عقله (فلم يؤاخذ به) فيعد من خطأه فى خطابه كقول من قال لربه فى غاية من الفرح انت عبدى وانا ربك (وقيل كان هذا القائل (فى زمن الفترة) اى انقطاع الرسالة كما بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام فقيل ستمائة سنة وقيل خمسمائة وستون وقيل اربعون (وحيث ينفع مجرد التوحيد) كما فى زمن الجاهلية وهو ما بين اسماعيل ونبينا عليهما الصلاة والسلام ولا يبعد ان يكون ممن نشأ بعيدا عن الخلق ولم يبلغه دعوة رسول الحق وعرف الله بعقله او بالنظر فى آيات الله من خلقه (وقيل بل هذا) القول (من مجاز كلام العرب) من اهل التدقيق (الذى صورته الشك ومعناه التحقيق) ويقال له مزج الشك باليقين وعد منه قوله ولكن ليطمئن قلبى واشار الى ذلك العارف ابن الفارض بقوله

﴿ عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم ﴾

(وهو يسمى) بصيغة المجهول مشددا ومخففا اى يدعى (تجاهل العارف وله امثلة فى كلامهم) اى العرب كقول بعضهم

﴿ بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن ام ليلى من البشر ﴾

وكقولهم أوجهك هذا ام بدر طلع عليهم باب الوجه غير البدر للمبالغة فى تحسين القدر والمعروف ان هذا لا دلالة على

شدة الشبه بين المتناسبين فان خلا سؤاله عما يعلمه من الشبه لم يكن تجاهلا كما فى وما تلك بيمينك ياموسى بل هو استفهام تقرير اى حمل المخاطب على اقرار وتحرير نعم قد يحمل عليه قول النسوة ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم اى كالملك فى الصورة والعصمة على وجه المبالغة (كقوله تعالى) اى المنزل على وفاقهم اذ هبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا (لعله يتذكر او يخشى) والمحققون على ان معناه لكى يتذكر اوكونا على رجاء ان يتذكر (وقوله) قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله (وانا اواياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين) والمحققون على ان هذا من ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان ليتأمل ويتفكر حتى يظهر له البرهان فى عالم العيان والا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتيقن انه على هداية والمخاطبون على ضلالة ونظيره قول حسان بن ثابت الانصارى لابى سفيان ابن حرب قبل اسلامه

﴿ اتهجوه ولست له بكفو * فشركما لخيركما فداء ﴾

فانه لاشبهة انه يريد بخيرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وفى تمثيله بما اورده من الكتاب مع تسميته له بتجاهل العارف نوع تهاون فى الآداب مع رب الارباب ولوقال فى المفتاح للسكاكى ويسمى مساق المعلوم مساق غيره لنكتة لكان اقرب الى صوب الصواب (فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة) كالمعتزلة (فقال اقول عالم ولكن لاعلم له ومتكلم ولكن لاكلام له وهكذا فى سائر الصفات) كقادر ولاقدرة له ومريد ولاارادة له وحى ولاحياة له وسميع ولاسمع له وبصير ولابصر له (على مذهب المعتزلة) تحرزا عن تعدد القدماء فانه كفر وهو مردود بان الكفر انما هو تعدد ذوات قدماء لاذات واحدة مع صفات متعددة على ان مذهب اهل السنة والجماعة ان الصفات لاعين الذات ولاغيرها (فمن قال بالمآل) اى باخذهم بالمرجع (لمايؤديه اليه قوله) اى قول نافيها عالم ولاعلم له (ويسوقه اليه مذهبه) من انه يلزم من نفى العلم نفى الوصف بعالم على وجه برهانى كما سيأتى بيانه (كفر) بتشديد الفاء اى كفره كما فى نسخة واما ماضبط فى بعض النسخ بفتح الكاف وتخفيف الفاء وكذا بصيغة المصدر فتصحيف واما ما فى بعض النسخ ممن بدل فمن فتحريف والصواب فمن جواب اما الا قوله فقال كما يتوهم والله اعلم (لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم) عن موصوفه ضرورة انتفاء الوصف بالمشتق بانتفاء المشتق منه (اذلا يوصف بعالم الا من له علم) اذلا يعقل مثلا من العالم الا من له العلم وله معلوم يتعلق به علمه ولاتنافى بين كون العلم قديما وكون المعلوم حادثا كما قرر فى محله اللائق به (فكأنهم) اى المعتزلة (صرحوا عنده) اى عند القائل بالمآل (بما ادى اليه قوله) من لزوم نفى الوصف بالمشتق لنفى المشتق منه (وهكذا) الحكم عند هذا القائل بالمآل (سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم) اى بما يؤول اليه آخر مقولهم (ولا الزمهم موجب مذهبهم) بفتح الجيم اى مقتضى مافهم من فحوى كلامهم (لم ير اكفارهم) اى تكفيرهم (قال) اى من لم ير ماسبق (لانهم اذا وقفوا) بصيغة المجهول مشددا اومخففا اى اطلعوا (على هذا) الذى ذكرنا من ان مال قولهم عالم ولكن لاعلم له نفى علمه تعالى (قالوا لانقول) على اصلنا (ليس بعالم) سلبا معطلا له تعالى عن العلم بل هو كما قال ابو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة عالم بعلم هو ذاته حى بحياة هى ذاته مريد بارادة هى ذاته لا عالم بعلم ومتكلم بكلام وحى بحياة زائدات على ذاته وهكذا فى بقية صفاته (ونحن ننتفى من القول بالمآل الذى الزمتموه لنا ونعتقد نحن) معشر المعتزلة (وانتم) اهل السنة (انه) اى مآل اليه القول (كفر بل نقول ان قولنا) مثلا عالم ولكن لاعلم له (لايؤول اليه) اى انتفاء علمه سبحانه وتعالى اصلا (على ما اصلناه) بتشديد الصاد اى جعلناه اصلا وقاعدة فالخلاف لفظى فى المآل والله تعالى اعلم بحقيقة الحال (فعلى هذين المأخذين) اى ممن رأى اخذهم بالمآل ومن لم ير اخذهم (اختلف الناس فى اكفار اهل التأويل واذا فهمته) اى التأويل على نسق مامر من الاقاويل (اتضح لك الموجب) اى الباعث (والسبب لاختلاف الناس فى ذلك) التكفير لاختلافهم فى مقام التقرير (والصواب ترك اكفارهم) كما عليه الجمهور من الائمة (والاعراض عن الحتم) اى حكم الجزم (عليهم بالخسران) المبين (واجراء احكام الاسلام عليهم) كسائر المسلمين من حرمة ايذاء وعصمة دم ومال الابحق الاسلام (فى قصاصهم) لهم ومنهم وحد هم شربا وسرقة وجلدا ورجما وتعزيرالهم ومنهم (ووراثاتهم ومناكحاتهم وديّاتهم) فى جراحاتهم منهم ولهم (والصلاة عليهم) اذا ماتوا وخلفهم اذا اموا (ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم) فى الدنيا والدين (لكنهم يغلظ عليهم) تعزيرا لهم (بوجيع الادب) ضربا وحبسا (وشديد الزجر) من الطرد والهجر (حتى يرجعوا عن بدعتهم) ويزدجر غيرهم بعبرتهم (وهذه) الحالات (كانت سيرة الصدر الاول) من صلحاء الامة (فيهم) اى فى حق اهل البدعة (فقد كان نشأ) بالنون اى ظهر وانتشا وابتدأ وفشا (على زمان الصحابة وبعدهم فى التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر) وهو رأى المعتزلة كمعبد الجهنى ومن قال كما فى صحيح مسلم به

وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد (ورأى الخوارج) من خروجهم على علي وتكفيرهم له وافترائهم عليه لقولهم انزل الله فيه ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا و يشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام وفي ابن ملجم ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله حتى قال فيه كلبهم عمر بن حطان اذ قتل عليا

(ياضربة من تقي ما اراد بها * الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا * اني لاذكره يوما فاحسبه * اوفى البرية عند الله ميزانا)

وعارضه بعض اهل السنة بقوله

(ياضربة من شقي لم يزل ابدا * بها عليه اله الحق غضبانا * اني لاعلم ان الله جاعله * اوفى البرية عند الله خسرانا)

(والاعتزال) لعل المراد به طائفة خاصة من المعتزلة (فما ازاحوا) بالزاي والحاء المهملة اي فما انال الصدر الاول مع هجرهم (لهم قبرا) متبعدا مفرد امتميزا عن مقابر المسلمين وفي نسخة قبورا (ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا) اي من مورثه مبتدعا اوغيره (لكنهم هجروهم) في الكلام والسلام والمقام والطعام (واد بوهم بالضرب والنفي) اي الاخراج من بلادهم اوالحبس لدفع فسادهم (والقتل) لارباب عتوهم وعنادهم (على قدر احوالهم) واختلاف اقوالهم (لانهم) باعتقادهم مايخالف الحق مما لايكفرون به (فساق) لخروجهم عن طاعة الله (ضلال) عن الحق لعدم قبولهم (عصاة) اي اهل فساد وبدعة (اصحاب كبائر عند المحققين) من المجتهدين (واهل السنة) من علماء الدين (ممن لم يقل بكفرهم) اي بكفر ارباب الاراء الكاسدة واصحاب التأويلات الفاسدة (منهم) اي من العلماء المتقدمين (خلافا لمن رأى غير ذلك) من عدم هجرهم اولمن رأى اكفارهم وتحتم قتلهم والله الموفق للصواب (قال القاضي ابو بكر) الباقلاني (واما مسائل الوعد والوعيد في قول المعتزلة) انه يجب عليه سبحانه وتعالى اثابة المطيع وتعذيب العاصي مع انه سبحانه وتعالى يقول يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقولهم يجوز خلف الوعيد لانه محض كرم مع انه تعالى قال ان الله لا يخلف الميعاد وقد جعلت في هذه المسئلة رسالة مستقلة مسماة بالقول السديد في خلف الوعيد ردا على بعض اهل السنة حيث وافق المعتزلة (والرؤية) اي رؤية الله سبحانه وتعالى في الدار الآخرة انكرها المعتزلة (والمخلوق) اي الخلق كالمعقول بمعنى العقل اي خلق القرآن ومعناه ان القرآن مخلوق كما قالوه وقال الدلجي اي وانكر مخلوقيته له تعالى كالمفوضة اذ قالوا ان الله خلق محمدا وفوض اليه خلق الدنيا فهو الخالق لها بما فيها ومثلهم من انكر مخلوقية الشر له تعالى واثبتها للشيطان اوغيره انتهى ولا يخفى ان هذا المعنى لايلائم لانه كفر وزندقة والكلام في اعتقادات اهل البدعة (وخلق الافعال) كالجبائي واشياعه حيث اثبتوها للعباد (وبقاء الاعراض) بانواعها وهو جمع عرض بفتحتين وهو في اصطلاح المتكلمين ما لا بقاء له كالالوان و الاشكال والحركة والسكون والحق ما عليه الاشعري واتباعه انه لايبقى اكثر من زمن واحد لانها كلها على التقضي والتجدد كالحركات والازمنة والاصوات وبقاؤها عبارة عن تجدد امثالها كلما انقضى واحد تجدد مثله بمجرد ارادته تعالى بوقته الذي خلقه فيه وقد قال ابن عربي بنفي بقاء الذوات ايضا وان بقاءها في نظر الناظر انما هو بتجدد امثالها سريعا في ادبارها واقبالها حتى تختفي حقيقة حالها ومآلها (والتولد) الذي قالته المعتزلة وهو ان حركة النظر مثلا في الدليل تولد العلم بالنتيجة عقبها كحركة اليد تولد حركة المفتاح للفتح وقيل ان الاثار التي توجد عقيب افعال العباد بمجرى العادة كالالم عقيب الضرب والانكسار عقيب الكسر تسميها المعتزلة المتولدة بفتح الواو على صيغة المجهول ويزعمون انها حاصلة بايجاد العبد لا صنع لله تعالى فيها وقال اهل الحق انها حاصلة بايجاد الله تعالى واحداثه لا بفعل العبد واكتسابه والمسئلة معروفة في اصول الكلام (وشبهها من الدقائق) التي يتوهمون انها من الحقائق كالقول بقيام العرض بالعرض وامثال ذلك مما اخذوها من كلام الفلاسفة والحكماء (فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح) اي اظهر واصح من القول باكفارهم (اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى) اي بذاته وصفاته وفيه بحث اذ الوعد والوعيد والرؤية والكلام والخلق من جملة العلوم المتعلقة بصفاته ولعله اراد انه ليس جهلا بوجوده على ما سبق في كلامه اوليس جهلا عظيما مما لايسامح ولا يساهل فيه ويشير اليه قوله (ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها) انتهى مانقله عن القاضي ابو بكر ثم قال المصنف (وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا) المرام (ما اغنى عن اعادته) في هذا المقام (بحول الله تعالى) ذي الجلال والاكرام

﴿فصل﴾

(هذا) الذي ذكر سابقا (حكم المسلم الساب) اي المتنقص (لله تعالى واما الذمي) وهو الكتابي الذي يعطي الجزية (فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول) اي تكلم بما لايجوز اقدامه عليه (من حرمة الله) اي مما لايحل الوقوع فيه (غير ماهو عليه من دينه) اي من الكفر كقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ونحوه (وحاج) اي جادل (فيه فخرج

ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب) وهذا واضح لانه بينا وله ذلك خرج عن كونه ذميا هنالك (وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة) بالتاء (وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد) اى ابن المواز (وابن سحنون من شتم الله من اليهود) سموا بذلك لقولهم هدنا اليك فيهود بمعنى يتوب وقيل لانهم نسبوا الى يهودا ابن يعقوب وهو بذال معجمة وعرب بالمهملة (والنصارى) سموا بذلك لقولهم نحن انصار الله وقيل لناصرية قرية (بغير الوجه الذى به كفروا) وفي نسخة كفرا اى من اثبات الولد والصاحبة والتثليث (قتل ولم يستتب) اى لم تطلب منه التوبة بالاسلام (قال ابن قاسم الا ان يسلم) اى بنفسه فلا يقتل على ماسبق في كلامه (قال في المبسوطة طوعا) اى الا ان يسلم اختيارا لاجبرا (قال اصبغ) انما يقتل اذا لم يسلم مع انه ذمى (لان الوجه الذى به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا) اى اعطوا العهد والذمة (من دعوى الصاحبة والشريك) للنصارى (والولد) لليهود والنصارى وفي اصل الدلجى وغيرها كشرب الخمر وبيعها وضرب الناقوس انتهى ولايخفى انها ليست مما كفروا بها (واما غير هذا) الذى عوهدوا عليه (من الفرية) على الله (والشتم) اى الانتقاص في حقه سبحانه وتعالى (فلم يعاهدوا عليه فهو) اى صدوره عنهم (نقض للعهد) الذى عاهدوا (قال ابن القاسم في كتاب محمد) اى ابن المواز وقال الدلجى لعله ابن سحنون وقال التلمسانى وهو ابن المواز فقال نسبة للموز واختلف هل لقى ابن القاسم اولا والصحيح انه روى عنهما بواسطة (ومن شتم من اهل الاديان) الذى اعطى لهم الامان (الله تعالى بغير الوجه الذى ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم) اى طوعا عند المالكية ومطلقا عند الجمهور وبه قال بعضهم كما تقدم (وقال المخزومى في المبسوطة ومحمد بن مسلمة) بفتح الميم الاولى واللام (وابن ابى حازم) وهم من اصحاب مالك ورواة مذهبه (لا يقتل) اى من شتم الله (حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والاقتل) وهذا اوفق لقاعدتهم من ان حق الله تعالى مما يسامح بخلاف حق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال مطرف) اى ابن عبد الله الفقيه (وعبد الملك) وهو ابن الماجشون (مثل قول مالك) اى في كتاب ابن حبيب وغيره مما هنالك من انه يقتل ولايستتاب (وقال ابو محمد ابن ابى زيد) اى القيروانى (من سب الله تعالى بغير الوجه الذى به كفر قتل الا ان يسلم) كما قال ابن القاسم (وقد ذكرنا قول ابن الجلاب) بفتح الجيم وتشديد اللام وفى آخره موحدة وهو البغدادى الضرير (قبل) اى قبل ذلك (وذكرنا قول عبيد الله) اى ابن يحيى (وابن لبابة) بضم اوله (وشيوخ الاندلسيين) بفتح الهمزة وضم الدال وتفتح وبضمهما (في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذى كفرت به ولرسوله) متعلق بسبها ولعل المراد به اعلانها (واجماعهم على ذلك) اى على قتلها بفتياهم (وهو) اى اجماعهم المذكور (نحو القول الآخر فيمن سب النبى عليه الصلاة والسلام) اى اعلانا به (منهم) اى من الكفار (بالوجه الذى كفر به) فانه يقتل الا ان يسلم طوعا (ولافرق في ذلك) اى في قتله بالوجه الذى كفر به بين سب الله وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لايظهروا لنا شيئا من كفرهم ولايسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم) وموجب لقتلهم فيظهر ان منشأ الخلاف بين الاقوال هو العهد به وعدمه في الاحوال (واختلف العلماء في الذمى اذا تزندق) باظهار دينه مبطنا عقيدة باطلة هى كفر اتفاقا (فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لايقتل لانه خرج من كفر الى كفر فقال عبد الملك بن الماجشون) صاحب مالك (يقتل لانه) اى ما اضمره مما هو كفر اتفاقا (دين لايقر عليه احد) وينبغى ان يكون هذا هو المعتمد (ولايؤخذ عليه جزية) كمن انتقل من دين باطل الى مثله وفي شرح الدلجى قال الشافعى ولايقر عليه فان لم يسلم بلغ المأمن وصار حربيا انتهى وهو فرع غريب والصواب انه حيث تزندق يقتل ولم تقبل توبته كمسلم تزندق بل هو اولى كما لا يخفى (قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره) من العلماء ان الذمى اذا تزندق يقتل مع ان وجهه ظاهر جدا لانه بتزندقه خرج عن كونه ذميا وصار حربيا بل ادون منه لانه يقبل اسلام الحربى اجماعا ولم تقبل توبة الزنديق عند كثير من العلماء

﴿ فصل ﴾

(هذا) الذى قدمنا (حكم من صرح بسبه واضافة ما لايليق بجلاله والهيته) عظم شانه (فاما مفترى الكذب عليه سبحانه وتعالى بادعاء الالهية) لنفسه اولغيره (او الرسالة) وكذا النبوة (او النافى ان يكون الله خالقه) او خالق غيره (او ربه) اى مربيه فى عالم ظهوره ومدبر جميع اموره (او قال ليس لى) اولغيرى (رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك) الذى ذكرناه كله (في سكره) اى حال ذهاب عقله (او غمرة جنونه) اى شدته (فلاخلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله) وهذا يناقض قوله غمرة جنونه الا ان يحمل على غاية حماقته وسوء خلقه وسيجئ مزيد تحقيق لذلك في كلامه (كما قدمناه لكن تقبل توبته على المشهور) من مذهب مالك الموافق للجمهور (وتنفعه انابته) اى رجوعه وتوبته (وتنجيه من القتل فيئته) بفتح الفاء وتكسر اى عودته وزواله عن عادته وسوء حالته (لكنه لايسلم من عظيم النكال)

بفتح النون اى العقوبة الشديدة فى الدنيا (ولايرفه) بفتح الفاء المشددة اى لايخفف غمه ولا ينفس كربه (من) وفى نسخة عن (شديد العقاب) فى مذهب مالك (ليكون ذلك زجرالمثله عن قوله وله عن العود لكفره) مع علمه (اوجهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته) اى عدم مبالاته (بما بى به) فى حالاته (فهو دليل على سوء طويته) اى ضميره وفساد نيته (وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لايؤمن باطنه) لانقلابه (ولايقبل رجوعه) لعدم ثباته (وحكم السكران) فى هذا الباب (حكم الصاحى) زجرا عليه قياسا على صحة طلاقه (واما المجنون) وهو المسلوب العقل وفى الحديث انه مر على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقالوا هذا مجنون فقال عليه السلام لاتقولوا مجنون انما المجنون المقيم على المعصية ولكن قولوا رجل مصاب قال التلمسانى وقيل صوابه لوقال المصاب الذى مس من جنون (والمعتوه) اى المصاب بعقله المختبط فى قوله وفعله الناقص فى شعوره (فما علم انه قاله من ذلك فى حال غمرته) اى اغمائه (وذهاب ميزه) اى تمييزه (بالكلية فلانظر فيه) اى بحكم (وما فعله من ذلك فى حال ميزه وان لم يكن معه عقله) كلا (وسقط تكليفه) بنقصان عقله (ادب على ذلك ليتزجر عنه) اى عن عوده لمثالك (كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه) اى يتابع مرارا (على ذلك حتى ينكف عنه) اى يتزجر منه (كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق) من جوح وعض ونحوهما (حتى تراض) بصيغة المجهول اى حتى يستقيم طبعها (وقد حرق على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه من ادعى له الالهية) وهو عبدالله بن سبا واتباعه اذ قال له انت الاله حقا فنفاه الى المداين وزعم ان ابن ملجم لم يقتله وانما قتل شيطانا تصور بصورته وهو فى السحاب سوطه البرق وصوته الرعد واذا سمعوه قالوا السلام عليك يا امير المؤمنين قالوا وسينزل ويملاء الارض عدلا انتهى ماذكره الدلجى ولايخفى لمناقضة بين نقله وكلام المصنف وقال التلمسانى من ادعى له الالوهية فرقة من غلاة الروافض وهم من اتباع عبدالله ابن سبا وكان يزعم ان عليا هوالله وقد احرق على رضى الله عنه منهم جماعة زاد الانطاكى وقال على رضى الله عنه انى اذا رأيت امرا منكرا * اججت نارا ودعوت القنبرا (وقد قتل عبدالملك بن مروان) اى ابن الحكم ابن ابى العاص ابن ابى امية كان معاوية جعله على ديوان المدينة وهو ابن ست عشرة سنة وولاه ابوه مروان هجر ثم جعله الخليفة بعده وكانت خلافته بعد ابيه سنة خمس وستين توفى عبدالملك بدمشق سنة ست وثمانين (الحارث) اى ابن سعيد (المتنبى) الكذاب (وصلبه وفعل ذلك) اى مثل ذلك (غير واحد من الخلفا) اى من بنى امية والعباسيين (والملوك) المتغلبين من الامراء والسلاطين (باشباههم) من الشياطين (واجمع علماء وقتهم على تصويب فعلهم والمخالف فى ذلك) الفعل (من كفرهم) اى من جهته (كافر) لجحده كفرهم (واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر بالله) جعفر ابن المعتضد بالله ابى العباس احمد بن طلحة الموفق ابن جعفر المتوكل ابن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد (من المالكية) بيان لمن اجمع من فقهاء بغداد (وقاضى قضاتها ابوعمر المالكى على قتل الحلاج) وهو الحسين بن منصور الحلاج المشهور من اهل البيضاء بلدة بفارس ونشأ بواسط والعراق وصحب ابا القاسم الجنيد وغيره (وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول) كغيره من المتصوفة المتصفة بسمة الاسلام من الوجودية وغيرهم قالوا ان السالك اذا وصل فربما حل الله فيه كالماء فى العود الاخضر بحيث لاتمايز ولاتغاير ولا اثنينية وصح ان يقول هو انا وانا هو مع امتناعه حقيقة لصيرورة احد شيئين بعينه الاخر والاخر بعينه هو لحكم العقل ضرورة بدون احتياج الى حجة ولايمتنع مجازا بان يكون بطريق واحدة اما اتصالية كجمع ماءين فى اناء واحد اواجتماعية كامتزاج ماء وتراب حتى صار طينا واما بطريق كون وفساد كصيرورة ماء بالغليان هواء واحد اواستحالة اى تغير كصيرورة جسم بعدكونه سوادا بياضا اوعكسه وهذا كله فى حق الله تعالى محال لتنزهه عن الحلول والاتصال والانفصال وماللتراب ورب الارباب وانما هو انعكاس نور من انواره وسر من اسراره يلمع فى قلب السالك المتصف بالتخلية والتحلية وكمال التصفية فقد يتوهم انه حل فيه كما يتوهم الطفل انه يرى الشمس فى الماء (وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر) من حاله (بالشريعة) فى سائر اقواله وافعاله حتى قيل انه كان دابه كل ليلة يصلى الف ركعة فى الحبس (ولم يقبلوا توبته) بمقتضى مذهب المالكية مع ان قوله انا الحق ليس بظاهر فى دعوى الالوهية لان الحق يأتى بمعنى الثابت وضد الباطل هذا وقد اعتذر الغزالى فى مشكاة الانوار عن الالفاظ التى كانت تصدر منه قيل ضرب الحلاج بامر المقتدر الف سوط وقطعت اطرافه وجزرأسه واحرقت جثته وكان ذلك نهار الثلثاء لسبع بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلثمائة قيل انه لما صلب جرى دمه فى الارض وينقش الله الله قال القطب الربانى الشيخ عبدالقادر الجيلانى عثر الحلاج فلم يجد من يأخذ بيده ولوادركته لاخذت بيده ويقال انه قال يوما للجنيد انا الحق فقال له الجنيد انت بالحق اى خشبة تفسد فكوشف فيه لمايؤول حاله من الصلب قال بعضهم والدليل على صحة

باطنه انه كان يقطع يداه ورجلاه وهو يقول حسبي الواحد بافراد الواحد وقد زار قبره بعض اهل الكشف فرأى نورا ساطعا من قبره الى السماء فقال يارب ما الفرق بين قوله وبين قول فرعون انا ربكم الاعلى فالهم ان فرعون رأى نفسه وغاب عنا وهذا رآنا وغاب عن نفسه واستدل بعضهم على كفره بما حكى عنه انه كان يقول من هذب نفسه بالطاعة وصبر عن اللذة والشهوة وصفا حتى لايبقى فيه شائبة من البشرية حل فيه روح الاله كما حل فى عيسى عليه الصلاة والسلام قيل ولا يريد بذلك مايعتقده النصارى فى عيسى والله تعالى اعلم وانما اراد ان تكون افعاله كلها فعل الله تعالى كما يشير اليه الحديث القدسي والكلام الانسي لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه وبصره ويده الحديث هذا وان صحت توبته فلا شك انه عاش سعيدا ومات شهيدا واما ماذكره التلمساني من انه وجد له كتاب كتبه الى اتباعه عنوانه ممن هو رب الارباب الى عبده فلان وانا اتباعه كانوا يكتبون اليه ياذات الذات ومنتهى غاية اللذات نشهد انك تتصور فيما شئت من الصور وانك الآن متصور فى صورة الحسين بن منصور ونحن نستجير بك ونرجو رحمتك ياعلام الغيوب فلو صح هذا النقل لم يبق مجملا وقد افرد ابن الجوزى ترجمته بالتأليف فى كراسين او اكثر (وكذا حكموا) اى فقهاء بغداد من المالكية (فى ابن ابى العزاقر) بمهملة فزاى وبعد الالف قاف فراء وفى نسخة بزيادة تحتية ساكنة بينها القاف والراء وفى اصل التلمساني بغين معجمة وراء فالف فقاف فباء فدال مهملة قال وروى العزاقيد بعين مهملة وزاى وآخره دال مهملة (كان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا) اى متأخرا عنه وفعل به مثل مافعل بالحلاج واسمه ابو جعفر محمد بن على يقال له السمعانى نسبة الى قرية بنواحى واسط وكان ظهوره سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة احدث مذهبا فى الرفض ببغداد ثم قال بالتناسخ وحلول الالهية فيه واضل جماعة فقبض عليه الوزير ابن مقلة (ايام الراضى بالله) ابى العباس احمد بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر (وقاضى قضاة بغداد يومئذ) وروى اذ ذاك (ابو الحسين ابن ابى عمر المالكى) وهو محمد بن يوسف المذكور قبل فاحضر الملعون فى مجلس الخلافة بحضرة القضاة والعلماء وحكم باباحة دمه واحراقه (وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه اوقال ليس لى رب فهو مرتد) اى لازنديق فيستتاب فان تاب والاقتل (وقال ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب ومحمد) اى قال (والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه فهو كالمرتد وقاله) اى مثل مقاله (سحنون وغيره وقال) اى مثل ذلك (اشهب فى يهودى تنبأ) ولم يدع الرسالة (اوادعى انه رسول الينا) اوالى غيرنا (ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والاقتل) وجهه انه ان كان مسرا لا يستتاب ويقتل لكونه زنديقا (وقال ابو محمد ابن ابى زيد فيمن لعن بارئه) اى خالقه خلقا بريئا من التفاوت (وادعى ان لسانه زل) اى زلق واخطأ (وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولايقبل عذره) وهذا خلاف ماسبق من القول ولهذا قال (وهذا) اى الذى ذكرناه مبنى (على القول الآخر) بفتح الخاء اوكسرها (من انه لاتقبل توبته وقال ابو الحسن القابسى فى سكران يصرف ويمنع (قال انا الله انا الله ان تاب ادب) ولم يقتل (فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين) المتسترين الكفر فى لباس منكر فيقتل ولاتقبل توبته والله ولى التوفيق

﴿ فصل ﴾

(واما من تكلم من سقط القول) بفتح السين والقاف اى رديئه (وسخف اللفظ) بضم اوله اى دنيئه (ممن لايضبط كلامه) لجهله (واهمل لسانه) لخفة عقله (بمايقتضى الاستخفاف) اى التهاون (بعظمة الله) اى ذاته (وجلالة مولاه) من جهة صفاته (اوتمثل فى بعض الاشياء) اى جعله مثلا اوشبها (ببعض ماعظم الله من ملكوته) كقول قائل

﴿ وليت فلان كعبة الجود فانضا * يطوف به العافون يبغون نائله ﴾

(اونزع) بفتح الزاى اى اخذ (من الكلام لمخلوق) وخاطبه (بما لايليق الا فى حق خالقه) كقول قائل لعظيم من الانام ياذا الجلال والاكرام وكما لونادا ه رجل باسمه فاجابه بقوله لبيك اللهم لبيك (غير قاصد للكفر والاستخفاف) اى الاستهانة بربه (ولاعامد للالحاد) من فساد الاعتقاد المقتضى للحلول او الاتحاد (فان تكرر هذا منه وعرف به) بانه يصدر عنه (دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه) وقلة يقينه (وجهله بعظيم عزته) اى غلبة ربه وبهائه (وكبريائه وهذا) الذى دل على تلاعبه (كفر لامرية فيه) لتماديه واصراره على مقاله (وكذلك ان كان ما اورده يوجب) وفى نسخة يقتضى (الاستخفاف والتنقص) وروى التنقيص (لربه وقد افتى ابن حبيب) قال الحلبى الظاهر انه عبد الملك بن حبيب القرطبى وقد تقدم (واصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفى آخره معجمة (ابن خليل) يروى عن يحيى ابن يحيى الليثى ذكره الذهبى فى الميزان فقال متهم بالكذب مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين قال وحدثنى شيخ المالكية ابو عمرو السعدى انه بلغه ان اصبغ هذا قال لان يكون فى كتبى رأس خنزير احب الى من ان يكون فيها مصنف

ابي بكر ابن ابي شيبة اوكما قال وروى اصبغ بن خليل هذا عن الغازى بن قيس عن سلمة بن وردان عن ابن شهاب عن
الربيع بن خيثم عن ابن مسعود قال صليت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر ثنتي عشرة سنة
وخلف عثمان ثنتي عشرة سنة وخلف علي بالكوفة خمس سنين فلم يرفع احد منهم يديه الا في تكبيرة الافتتاح وحدها
قال القاضي عياض في المدارك فوقع في خطأ عظيم بين من وجوه منها ان سلمة بن وردان لم يرو عن الزهري ومنها
ان الزهري لم يرو عن الربيع بن خيثم ومنها قوله عن ابن مسعود صليت خلف علي بالكوفة خمس سنين وقد مات
ابن مسعود في خلافة عثمان بالاجماع (من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب) وفي نسخة بابن من اخته عجب
وعجب لا ينصرف للعلمية والتأنيث المعنوي لانه اسم عمة المعروف المذكور واسمه يحيى بن زكريا وقد تجبر وعتا (وكان
خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا) بالقصر اى ظهر وفي نسخة بالهمز اى ابتدأ (الخراز) بخاء معجمة وراء مشددة
وفي آخره زاى (برش) بضم الراء وتشديد المعجمة (بجلوده) وفي نسخة بحرف جر وما بعده بصيغة المصدر المضاف الى
جلوده (وكان بعض الفقهاء بها) اى بقرطبة (ابو زيد) كان الظاهر ابا زيد ليكون خبر كان وكان بعض الفقهاء
في قوة من الفقهاء وهو محمد بن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن خارجة ولا يبعد ان يكون ابو زيد بدل بعض من بعض
الفقهاء وخبر كان قوله (صاحب الثمانية) بمثلثة مضمومة وياء مشددة ولعلها بلدة او قرية وكان اميرا عليها او ابو زيد
خبر مبتدأ محذوف اى هو يعني ذلك البعض ابو زيد (وعبد الاعلى بن وهب) مات سنة احدى وستين ومائتين (وابان
ابن عيسى) فعال او فعل فيصرف او يمنع والاكثر منعه (قد لو قفوا عن سفك دمه) فلم يقدموا على شيء من قتل وهدمه
(واشاروا الى انه) اى مقوله (عبث من القول) اى لعب ومزح في تشبيهه (يكفي فيه الادب وافتى بمثله) اى بمثل ما
اشاروا به (القاضي موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي) اى قتله متعلق بذمتي وفي عهدتي اطالب به يوم القيامة
(ايشتم رب) وفي نسخة ربا (عبدناه ثم لا ننتصر له) اى لا ننتقم لاجل رضاه (انا اذا) بالتنوين اى ان لم ننصره
(لعبيد سوء وما نحن له بعابدين) حق عبادته في امر الدين (وبكى) بكاء الحزين قال الدلجي وان تعجب فعجب من
ابن حبيب اذا فتى حين شهد على اخيه حين قال كامر لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب
هذا كله بعدم قتله مع ما يتضمنه قوله من نسبة الجور والظلم اليه تعالى فكانه قال غاية امري اني لو قتلتهما قتلت بهما
ولم استوجب ما عاقبني الله به في مرضي هذا (ورفع المجلس) المنعقد لهذا القول (الى الامير بها) اى بقرطبة (عبد
الرحمن بن الحكم الاموي) بفتح الهمزة وتضم نسبة الى بني امية (وكانت عجب عمة هذا المطلوب) للقتل او التعزير
(من حظاياه) بالظاء المعجمة اى من اقرب حلائله منه واسعد هن به (واعلم) بصيغة المجهول (باختلاف الفقهاء فخرج
الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه) اصبغ بن خليل (وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة) وفي نسخة
بمحضر (الفقيهين) اى ابن حبيب وخليل (وعزل القاضي) موسى بن زياد (لتهمته بالمداهنة) اى المصانعة والملاينة
(في هذه القصة) وفي نسخة القضية (ووبخ) بتشديد الموحدة فخاء معجمة اى هدد (بقية الفقهاء وسبهم) لتوقفهم
عن سفك دمه مع وضوح كفره (واما من صدرت عنه) وفي نسخة منه (الهنة) بتخفيف النون اى المقالة القبيحة
(الواحدة والفلتة الشاردة) بفتح الفاء اى الزلة الصادرة النادرة (ما لم يكن تنقصا وازراء) اى احتقارا (فيعاقب عليها
ويؤدب بقدر مقتضاها هو شنعة معناها) بضم اوله اى شناعة مبناها وبشاعة معناها (وصورة حال قائلها وشرح
سببها) الباعث عليها وفي نسخة سبيلها اى طريقها (ومقارنها) الذي جر الكلام اليها (وقد سئل ابن القاسم رحمه
الله عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا) بتفصيل معتقده (اوقاله على وجه سفه)
اى خطأ لا عن اعتقاد (فلا شيء عليه) اى من القتل ونحوه وفيه بحث فان ظاهره الكفر ولعله حمل الكلام على انه
قابل ان يكون لبيك الاول جوابا له ثم قوله اللهم لبيك قاله التفاتا كما يقول كثير من الجهلة والعامة عند استلام الحجر
اللهم صل على نبي قبلك وسببه انه سمع اللهم صل على نبي قبله وكذا صلى الله على نبي قبلك وكلاهما صحيح فلفق هذا
القائل بين الكلامين من غير فرق لجهله بين المقامين والحاصل انه لا بد من ان يردع ويزجر هنالك ليكف عن ذلك
(قال القاضي ابو الفضل) اى المصنف (وشرح قوله) اى لا شيء عليه (انه لا قتل عليه) لانه لا يؤدب ولا يضرب بقدر
ما يليق اليه (اذ الجاهل يزجر) عن عوده (ويعلم) ما يجهله (والسفيه) اى القليل العقل (يؤدب ولو قالها) اى المجيب
كلمة لبيك اللهم لبيك (على اعتقاد انزاله) اى المجاب (منزلة ربه) الذي هو رب الارباب ورب العالمين من جميع الابواب
(لكفر هذا) الحكم بكفره (مقتضى قوله) بحسب ظاهره وقيل هذا مقتضى قول ابن القاسم وقد بلغني عن بعض
الوجودية انه سمع نباح كلب فقال لبيك اللهم لبيك فهذا كفر صريح ليس له تأويل صحيح فان المستحب انه يقال لانسان
نادى احدا في جوابه لبيك كما ورد في السنة بخلاف ما اذا سمع الانسان صوت كلب فانه يستحب له ان يتعوذ بالله فانه

انما يتبع اذا رأى شيطانا كما ثبت في الحديث (وقد اسرف) اي تجاوز عن الحد (كثير من سخفاء الشعراء) اي جهلائهم (ومتهميهم في هذا الباب) اي باب الديانة لكثرة ما وقع منهم من التهاون في الامور والخفة (واستخفوا) اي استهانوا (عظيم هذه الحرمة) اي جرمة الله سبحانه وتعالى (فأتوا) اي سخفاء الشعراء (من ذلك) النوع من الكلام (بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا) وكذا اسماعنا وافهامنا (عن ذكره) لشناعة مبناه و بشاعة معناه (ولولا انا قصدنا) اي اردنا (نص مسائل) اي صريحها وفي نسخة قص مسائل اي حكايتها وروايتها (حكيناها) لبيان ما تعلق به من روايتها (لما ذكرنا شيئا منها) اعراضا عنها (مما ينقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول) المتقدمة (واما ما ورد في هذا) الباب (من اهل الجهالة) بمنطق الصواب (واغاليط اللسان) في ميدان البيان (كقول بعض الاعراب) مما لا يجوز نسبته الى رب الارباب (رب العباد) بالنصب على حذف حرف النداء (مالنا ومالكا) اي لك والالف للاشباع وما فيهما للاستفهام وهو محل الجهالة في الكلام لانه من كلام الاكفاء لاسيما وفيه قبح اشنع من الاول وهو ان ما استفهام انكار وهو مقام الاقوياء على الضعفاء (قد كنت تسقينا) بفتح اوله وضمه (فابدالكا) اي فاظهر لك الان حتى ما تسقينا كدأبك معنا وهذا ايضا موضع الجهالة ومحل الضلالة لان البداء عيب في الحال وهو على الله من المحال لانه في اصله ان يفعل الانسان فعلا ثم يظهر له ما هو افضل منه وهذا يتصور من البشر لا من خالق القوى والقدر ولم يقل بالبداء الا اليهود قاتلهم الله انى يؤفكون (انزل علينا الغيث لا ابا لكا) قال ابن الاثير هو اكثر ما يستعمل في المدح اي لا كافي لك غير نفسك وقد يذكر ذلك في معرض الذم وقد يذكر في معرض التعجب ودفعا للعين انتهى وحاصله انه لبس بكفر صريح في المبنى قال وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الاعراب في سنة مجدبة يقول رب العباد فذكره الى آخره فحمله سليمان على احسن محمل وقال اشهد ان لا ابا له ولا صاحبة ولا ولدا انتهى وفيه ايماء الى انه من باب الاكتفاء قال التلمساني ووقع في كثير من كلام خيار المسلمين من الصحابة والتابعين ما هو على اصل لغة الحجاز في استعمال المجاز ومنه قول ابي عامر الاشعري وروي لعبد الله بن رواحة فاغفر فداء لك ما اقتفينا ووجه ذلك ان الفداء انما يكون فيمن تلحقه المقدرة والله سبحانه وتعالى منزه عنه فيحاشى منه واختلف فقيل على مجاز كلام العرب ومبناه ولا يلتفت الى حقيقة معناه وقيل اراد بالتفدية التعظيم لان الانسان لا يفدي الا من يعظم فيكون فيه معنى التجريد او معناه ابذل نفسي ومن يعز علي في رضاك وقيل روي فاغفر لنا فداء لك ما اقتفينا وهو بين ويحتمل ان قوله فاغفر البيت لبس من الكلام الاول وانما هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه انه سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يغفر له ما قصر في حقه والقيام به والتفدية عليه صحيحة ومنه

❊ فان ابي ووالده وعرضي ❊ لعرض محمد منكم فداء ❊

(في اشباه لهذا) الشعر (من كلام الجهال) نثرا ونظما (ومن) اي ومن كلام من (لم يقومه) اي يعدله (ثقاف تأديب الشريعة) بكسر المثلثة وبالقاف اي ما يسوى و يقوم به الرماح ثم استعير للزواجر التي وردبها الشرع (والعلم في هذا الباب) المتعلق بتعظيم رب الارباب (فقلما يصدر) مثل ذلك (الا عن جاهل يجب تعليمه) على الناس كما يجب عليه تعلمه (وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله) وهذا التأديب على نسق الترتيب كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن (قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول) اي مبالغة في المجاوزة عن الاستقامة (والله تعالى منزه عن هذه الامور) لانه سبحانه وتعالى كما ورد يحب معالي الامور ويبغض سفسافها (وقد روينا) بصيغة الفاعل او المفعول مخففا وقيل مشددا (عن عون بن عبد الله) ابن عتبة الهذلي الكوفي الزاهد (ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء) من طيب وخبيث بل يخصه بالطيب فان الله طيب يحب الطيب وقد قال تعالى الطيبات للطيبين (حتى لا يقول اخزى الله الكلب وفعل) اي الله (به كذا وكذا) من المكروهات (وكان بعض من ادركنا من مشايخنا) المالكية (قلما يذكر اسم الله) ما مصدرية لا نافية كافة كما اختاره التلمساني (الا فيما يتصل بطاعته وكان) اي ذلك البعض (يقول للانسان) اذا دعا له (جزيت خيرا) بصيغة المجهول (وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن) اي يستعمل بكثرة (في غير قربة) ولا يخفى ان الدعوة للاخ المسلم قربة وقد ورد من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثناء رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن اسامة ونظير هذا ما ذكره التلمساني عن ابن عرفة في تفسيره ان بعضهم كان يكره ان يقال للسائل يفتح الله تنزيها لاسم الله تعالى ان يذكره لمن يكره سماعه وانما يقول ما حضر لك في الوقت شيء او نحوه اقول السائل لم يكره سماع اسم ربه نعم انما يكره حرمانه وهو يحصل باي مقال يقال في جوابه فالدعاء اولى له فانه ربما يفرح به بدعائه اكثر من عطائه ثم قيل لابن عرفة قال المفسرون في قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة

من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ان القول الميسور هو ان يقول لهم رزقنا الله واياكم من فضله فقال ابن عرفة الكراهة لاتنافي الاباحة انتهى وفساده ظاهر لايخفى لان الامر في الآية للاستحباف والكراهة غير ثابتة في هذا الباب (وحدثنا الثقة) اي بعض من اثق به في الرواية (ان الامام ابا بكر الشاشي) قال الحلبي الظاهر انه محمد بن علي ابن اسمعيل القفال الكبير الشاشي والشاش مدينة بما وراء النهر قال العبادي فيه افصح الاصحاب قلما واثبتهم في دقائق العلوم قدما واسرعهم بيانا واثبتهم جنانا واعلاهم اسنادا وارفعهم عمادا توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة (كان يعيب على اهل الكلام) اي علماء اصول الدين (كثرة خوضهم فيه) اي في ذاته (تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء) اي اهل الكلام (يتمثلون بالله) اي يتداولونه ويتناولونه كالمثل بل بكثرة تداولهم السنتهم له في الاقاويل (جل) اي جلالة (وعز) كما له وهذا مخالف للكتاب والسنة حيث قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الحديث اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون رواه احمد في مسنده وابو يعلى الموصلي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه والبيهقي في شعبه عن ابي سعيد وفي رواية لاحمد اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقول المنافقون انكم مراؤون وقد ورد من احب شيئا اكثر ذكره رواه الديلمي عن عائشة رضي الله عنها والاحاديث في هذا اكثر من ان تذكر وقد صح عن رئيس اهل التحقيق ابي بكر الصديق ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله ولله در القائل

﴿ اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع ﴾

هذا وعن بعض التابعين انه كانت له بضاعة يتجر فيها فقيل له في ذلك فقال لولاها لتمندل بي بنو العباس اي لابتذلوني بالتردد اليهم لطلب ماليديهم واغرب منه قوله (ويتزل) اي الشاشي (الكلام) وفي نسخة بصيغة المجهول (في هذا الباب) اي باب كثرة الكلام في اسمه سبحانه وتعالى (تنزيله في باب ساب) وفي نسخة (سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها) من قتله وصلبه وحبسه وضربه وفيه انه لاملائمة بين من تمندل بالله ومن سب نبيه نعم يلزم على زعم هذا القائل ان المحدثين لكثرة خوضهم في ذكر سيد المرسلين ينزلون في باب سب النبي وحاشا هم من ذلك لعلو مرتبتهم هنالك بل هذا القائل هو الاحق بان يلحق بمن سب الحق عند المحقق (والله الموفق) نعم ذم السلف الكرام اهل الكلام من حيث انهم يتعلقون بذات الله تعالى وصفاته العلية بالادلة العقلية والقواعد الفلسفية وقد قال تعالى ولايحيطون به علما وورد عنه عليه الصلاة والسلام لاتتفكروا في ذات الله وتفكروا في مصنوعاته وقد بسطت الكلام على هذا المرام في شرح الفقه الاكبر فتأمل وتدبر

﴿فصل﴾

(وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته) اي جميعهم (واستخف بهم اوكذبهم فيما اتوا به) من وحيهم وفعلهم (اوانكرهم) اي وجودهم (وجحدهم) اي نزولهم كقول مالك بن الصيف ما انزل الله على بشر من شيء حين قال له النبي عليه الصلاة والسلام اليس في التورية ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فمن صدر منه شيء من ذلك فحكمه (حكم نبينا على مساق ماقدمناه) اي نهجه وسبيله في وجوب قتله كفرا ان لم يتب وحدا ان تاب كما هو مذهب مالك في هذا الباب (قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله) بشرا وملكا (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) ايمانا وكفرا (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد وكالنصارى كفروا بمحمد (الآية) اي ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا متوسطا بين الايمان والكفر اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا (وقال تعالى) بالخطاب العام (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا) اي من القرآن (وما انزل) اي من الصحف (الى ابراهيم الآية) واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اي اولاد هم واحفاد هم من الانبياء وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وما اوتي النبيون من ربهم كالزبور لداود (الى قوله لانفرق بين احد منهم) في الايمان لافي التفضيل (وقال) اي الله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون (كل) اي كلهم اوكل واحد منهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) ايمانا اجماليا قائلين (لانفرق بين احد من رسله) بل نؤمن بكلهم ونعتقد ان بعضهم افضل من بعض وان نجهل تفضيل بعضهم (قاله) وفي نسخة قال (مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد) هو ابن المواز كما جزم به الحلبي وقال الدلجي لعله ابن سحنون (وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم) وفي نسخة وابن عبد الملك (واصبغ) اي ابن الفرج (وسحنون فيمن شتم الانبياء) اي عموما (اواحدا منهم) اي خصوصا (اوتنقصه قتل ولم يستتب) اي اذا كان مسلما (ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به) وفيه

الله ليس بسب الانبياء في وجه من الوجوه التي كفروا به فلا يحتاج الى هذا القيد الزائد على ماقبله (ضرب عنقه الاان يسلم) وفى المبسوطة قيده بقوله طوعا (وقد تقدم الخلاف فى هذا الاصل) اى فيمن سب الله تعالى بغير هذا الوجه فقال ابن القاسم فى كتاب محمد الا ان يسلم كماهنا وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن سلمة وابن ابى حازم لايقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وهذا هو الصواب ولكن لا يخفى ان الذمى بسب الله او واحد من انبيائه يخرج عن كونه ذميا و يصير حربيا فان اسلم سلم والا قتل فليس قوله تاب على ظاهره من التوبة عن سبه مع بقائه على ذمته (وقال القاضى بقرطبة) بضم القاف والطاء (سعيد بن سليمان) وفى نسخة ابن عبد الرحمن (فى بعض اجوبته) لبعض اسئلته (من سب الله او ملائكته او انبيائه قتل) اى مطلقا الا ان يسلم (قال سحنون من شتم ملكا من الملائكة) معينا او مبهما (فعليه القتل) واجب (وفى النوادر) لابن ابى زيد (عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحى) بتأديته الى محمد (وانما كان النبى على بن ابى طالب استتيب فان تاب والاقتل) لكفره بافترائه على امين الوحى وتجهيله الله سبحانه وتعالى وانكار نبوة محمد واثبات نبوة على (و نحوه عن سحنون) منقول (وهذا) القول بتخطئة جبريل (قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبى اشبه بعلى من الغراب بالغراب) والذباب بالذباب وقد ابطلنا قولهم فيما سبق من باب الكتاب (وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم) المعتمد عندهم وجمهور اهل العلم (من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه) اى تبرأ من احد منهم (فهو مرتد) يقتل ان لم يتب (وقال القابسى فى الذى قال لاخر كانه) اى وجهه (وجه مالك) اى خازن النار وفى نسخة وجه ملك (الغضبان لو عرف) من قرائن قاله او حاله (انه قصد ذم الملك قتل) بخلاف ما اذا اراد تشبيهه به من حيث الهيبة والخشية (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وهذا كله فيمن تكلم فيهم) اى فى الانبياء والملائكة (بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين) اى عموما او اجمالا بان شتم نبيا او ملكا غير معين (او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين مما نص الله تعالى عليه) اى على كونه نبيا او ملكا (فى كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر) بفتح الهاء وكسرها اى المشهور عند ائمة الحديث (المتفق عليه) اى على صحته (بالاجماع) الظاهر او بالاجماع (القاطع) اى مما لا خلاف فيه انه منهم (كجبريل وميكائيل) قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وفيهما قراآت معروفة (ومالك) فى قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك (وخزنة الجنة وجهنم) فى قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم (والزبانية) فى قوله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية من الزبن وهو الدفع (وحملة العرش) فى قوله تعالى الذين يحملون العرش وهم ثمانية فقيل صفوف وقيل الوف وقيل صنوف وقيل ثمانية انفس وقيل هم الآن اربعة و تزيد يوم القيامة اربعة وهو ظاهر قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (المذكورين فى القرآن) كما حررنا مواضعها فى البيان (من الملائكة) المسطورين (ومن سمى فيه من الانبياء) اى كآدم وادريس ونوح وهود وصالح ولوط وابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب ويوسف وموسى وهارون وشعيب وداود وسليمان وايوب وذكريا ويحيى وعيسى ويونس والياس واليسع وذى الكفل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وكذا شيث بن آدم كما هو مشهور (وكعزرائيل) المعبر عنه فى القرآن بملك الموت فى قوله تعالى قل يتوفى كم ملك الموت الذى وكل بكم وهو بفتح اوله ممدودا ويقال عزريل بكسر العين وكسر الراء (واسرافيل) وهو صاحب الصور المكنى عنه بقوله ونفخ فى الصور (ورضوان) بكسر الراء وضمها اى خازن الجنة (والحفظة) المعبر عنهم بقوله سبحانه وتعالى كراما كاتبين (ومنكر) بفتح الكاف واما كسره فنكر (ونكير) الفتانان فى القبر من الملائكة (المتفق) على وجودهم عند العلماء بناء (على قبول الخبر بها) لاجل كثرة طرقه التى كادت ان تكون متواترة وفى نسخة بهما وفى اخرى بهم (فاما من) وفى نسخة ما (لم يثبت الاخبار بتعيينه) انه نبى او ملك (ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت) المعدودين (فى الملائكة) على خلاف فيهما هل هما ملكان بالفتح او ملكان بالكسر بناء على القراءتين والاظهر انهما من الملائكة (والخضر) اختلف فى كونه وليا او نبيا والاظهر الثانى (ولقمان) قيل كان نبيا وقيل حكيما وهو الاظهر وكان عبدا حبشيا وقيل نوبيا وقيل كان ابن اخت داود وقيل ابن خالته (وذى القرنين) فقيل رجل صالح وهو قول على وقيل نبى وروى عن عمر وقيل انه ملك بكسر اللام وسمى بذلك لانه بلغ قرنى الدنيا وهما المشرق والمغرب وقيل كان له قرنان صغيران تواريهما عمامته وقيل لانه دعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات ثم حيى ثم دعاهم فضربوه على قرنه الآخر فمات وقيل لانه كريم الطرفين من ابيه وامه وقيل كان يقاتل بيده وركابه وقيل علم علما باطنا وظاهرا وقيل دخل الظلمة والنور وقيل لانه عاش مضى قرنين روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه انبى كان ام لا فقال لا ادرى رواه الحاكم فى مستدركه وكذا قال عليه الصلاة والسلام فى عزير على مارواه ابو داود والحاكم وكذا دانيال

مختلف فی نبوته (ومریم) ابنة عمران لقوله تعالی اذ قالت الملائکة یامریم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
علی نساء العالمین ونحو ذلك وکذا ام موسی ویشیر الی نبوتها قوله تعالی واوحینا الی ام موسی والمحققون علی ان المعنی
الهمنا لقوله تعالی وما ارسلنا من قبلك الا رجالا یوحی الیهم وفیه بحث علی مذهب الفرق بین النبوة والرسالة (وآسیة)
ابنة مزاحم امرأة فرعون وابنة عمه وقیل هی عمة موسی علیه الصلاة والسلام لکن لا اعرف احدا قال بنبوتها ولا دلیلا
علی ثبوت نسبتها (وخالد بن سنان) بسین مکسورة وهو العبسی بموحدة منسوب لبنی عبس قوم من العرب وکان
بین عیسی ومحمد علیهما الصلاة والسلام قال ابن عباس رضی الله تعالی عنهما کان خالد بن سنان نبیا فی عبس مبشرا
برسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم قال ووردت ابنة له عجوز قد عمرت علی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم فتلقاها بخیر
واکرمها واسلمت فقال لها مرحبا بابنة نبی ضیعه اهله وسمعته صلی الله تعالی علیه وسلم یقرأ قل هو الله احد فقالت
کان ابی یقولها (المذکور انه نبی اهل الرس) بتشدید السین المهملة ای البئر غیر المطوی قیل کذبوه ورسوه ای دسوه فیها
حتی مات وقیل نبیهم حنظلة بن صفوان وکانوا مبتلین بالعنقاء اعظم طیر کانها سمیت عنقاء لطول عنقها وکانت تسکن
جبالهم وتخطف صبیانهم اذا اعوزها الصید فدعا علیها حنظلة فاخذتها صاعقة فقتلوه فاهلکوا والمشهور عند الجمهور
ان اصحاب الرس المذکور فی القرآن قوم کانوا یعبدون الاصنام فبعث الله الیهم شعیبا فکذبوه فبینما هم حول الرس
فانهارت فخسف بهم وبدیارهم واما قوم تبع فقال قتادة هو تبع الحمیری کان سار بالجیوش حتی حیر الحیرة وبنی سمرقند
وکان من ملوك الیمن سمی تبعا لکثرة اتباعه وکان هذا یعبد النار فاسلم ودعا قومه الی الاسلام فکذبوه وله قصة طویلة
ذکرها البغوی فی المعالم وهو اول من کسا البیت وقد آمن بمحمد علیه الصلاة والسلام قبل ان یبعث بسبعمائة عام
وقد ثبت فی مسند احمد عن سهل بن سعد مرفوعا لا تسبوا تبعا فانه قد کان اسلم وحدیث آخر بروایة ابن ابی
شیبة عن ابی هریرة مرفوعا ما ادری تبع کان نبیا اوغیر نبی وفیما ورد من الاحادیث الواردة عنه صلی الله تعالی علیه
وسلم فی حق بعضهم ما ادری اهو نبی او غیر نبی دلیل جلیل علی صحة الایمان الاجمالی وایماء الی تحقیق ما ورد من ان لا ادری
نصف العلم ومتمسك للمجتهدین فی توقفهم فی بعض مسائل الدین (وزردا شت) بزای مفتوحة ونضم فراء فالف ودال
مهملة مضمومة وقیل معجمة مفتوحة فشین معجمة ساکنة ففوقیة ممنوع وهو صاحب کتاب المجوس (الذی تدعی المجوس
والمؤرخون نبوته) وینسبون الیه اصولهم الفاسدة وقواعدهم الکاسدة وقیل انه کان نبیا وان اتباعه غیروا وشیر بعتهم
کالیهود والنصاری غیروا وشرائعهم وابدعوا بدائعهم (فلیس الحکم فی سابهم او الکافر بهم) لکون الخلاف فی نبوتهم
(کالحکم فیمن قدمناه) ممن اتفق علی نبوتهم اورسالتهم (اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة) قطعا بل ظنا (ولکن یزجر من تنقصهم
واذاهم بلسانه (ویؤدب بقدر حال المقول فیه) وفی نسخة فیهم ای ضعفا وقوة من جهة الادلة (لاسیما من عرفت صدیقیته)
ای ولایته (وفضله) ای صلاحه (منهم وان لم تثبت نبوته) بدلیل قاطع (واما انکار نبوتهم) لکون الخلاف فی نبوتهم
(اوکون الآخر) کهاروت وماروت (من الملائکة) ام لا فاسمع جوابه مفصلا (فان کان المتکلم فی ذلك من اهل العلم)
ای علم الشریعة من الکتاب والسنة اذ لا عبرة بغیرهم فی هذا المسئلة (فلا حرج علیه) ای فی انکاره ونفیه عن علم ودلیل
او نقل (لاختلاف العلماء فی ذلك) لکن لا یخفی ان الاحوط فی حقه ان لا ینفیه ولا یثبته لئلا یدخل فی الانبیاء
من لیس بنبی ولا یخرج نبی منهم فانه فی خطر عظیم بل ینبغی ان ینقل الخلاف ویرجح ما ظهر عنده او عند غیره
(وان کان) المتکلم فی ذلك (من عوام الناس زجر عن الخوض فی مثل هذا) الکلام (فان عاد ادب اذ لیس له الکلام
فی مثل هذا) الکلام لئلا ینجر الی ما یرد علیه من الملام (وقد کره السلف) الکرام (الکلام فی مثل هذا) المقام (مما لیس
تحته عمل لاهل العلم فکیف للعامة) وفیه بحث لان العلماء هم الذین یبینون مراتب الانبیاء وعلمهم کله عمل بل خیر عمل
کما یدل علیه قوله علیه الصلاة والسلام فضل العالم علی العابد کفضلی علی ادناکم فالعلم اما فرض عین او کفایة
فهو افضل من عبادة نافلة ولکون نفع هذا قاصرا ونفع الاول متعدیا واما العامة فینبغی لهم السکوت عما لا یدرون

﴿فصـــل﴾

واعلم ان من استخف بالقرآن) ای بمبناه او معناه او باهله الوارد فی حقهم ان اهل القرآن اهل الله وخاصته تعالی
(او المصحف) بضم المیم وکسرها والاول اشهر وفی القاموس بتثلیث المیم من اصحف بالضم اذا جعلت فیه
الصحف انتهی ولعل الکسر علی انه آلة والفتح علی انه اسم مکان والضم علی انه اسم مفعول وقد کفر الولید
بسبب اهانة المصحف فانه روی انه فتحه یوما فوضع بصره علی قوله تعالی واستفتحوا وخاب کل جبار عنید
فامر بالمصحف فنصب غرضا ورماه بالنبل حتی تمزق وانشد

﴿اتوعد كل جبار عنيد * فها انا ذاك جبار عنيد﴾
﴿اذا ماجئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقني الوليد﴾

والوليد هذا هو الذي وبدفيه لله فرعون هذه الامة ونزلت ايات كثيرة في حقه من المذمة (اوبشئ منه) كورق اولوح او درهم مسطور فيه (اوسبهما اوجحده) اى انكر القرآن كله (اوحرفا منه) فى القراآت السبع (اواية) ولوكانت حرفا (اوكذب به) اى بالقرآن جميعه (اوبشئ منه اوكذب بشئ مما صرح به) اى بذلك الشئ (فيه) اى فى القرآن (من حكم) كامر ونهى (اوخبر) عن سابق اولاحق (اواثبت مانفاه اونفى ما اثبته على علم منه بذلك) اى دون نسيان اوخطأ (اوشك فى شئ من ذلك فهو كافر عند اهل العلم) قاطبة (باجماع) لاخلاف فيه (قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز) اى بديع اومنيع (لايأتيه الباطل) اى الناسخ الذى يبطله او يدفعه (من بين يديه) اى من قدامه (ولا من خلفه تنزيل) منزل (من حكيم) اى ذى حكمة فى احكامه واقواله (حميد) محمود فى ذاته وصفاته وافعاله (حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله تعالى ثنا ابو على) الغسانى (ثنا ابن عبد البر) حافظ الغرب (ثنا عبد المؤمن) القرطبى (ثنا ابن داسه) راوى سنن ابى داود عنه (ثنا ابو داود) السجستانى صاحب السنن ومحدث العصر (ثنا احمد ابن حنبل) امام اهل السنة (ثنا يزيد بن هارون) هو ابو خالد السلمى الواسطى احد الاعلام (ثنا محمد بن عمرو) اى ابن علقمة بن وقاص الليثى يروى عن ابيه وعن ابى سلمة وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله الانصارى وجماعة (عن ابى سلمة) احد الفقهاء السبعة عند اكثر علماء الحجاز (عن ابى هريرة) قال الحلبى وفى كلام بعض متأخرى الحنفية المصريين انه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثة واربعين قولا (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المراء) بكسر الميم مصدر بمعنى المماراة (فى القرآن كفر) ورواه الحاكم ايضا وفى رواية لاتماروا فى القرآن فان المراء فيه كفر (تؤول) بصيغة المجهول اى فسر المراء (بمعنى الشك) ومنه قوله تعالى فلاتك فى مرية (وبمعنى الجدال) ومنه قوله تعالى فلاتمار فيهم الامراء ظاهرا وقد قال تعالى مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقال ابن الاثير تبعا للهروى المماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مماراة لان كل واحد يستخرج ماعند صاحبه ويمتريه كما يمترى الحالب اللبن من الضرع قال ابو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف فى التأويل ولكنه على الاختلاف فى اللفظ وهو ان يقرأ الرجل على حرف فيقول الاخر ليس هو هكذا ولكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء بهما فاذا جحد كل واحد قراءة صاحبه لم يأمن ان يكون ذلك يخرجه الى الكفر لانه نفى حرفا انزله الله على نبيه ثم التنكير فى مراء ايذان بان شيئا منه كفر فضلا عما زاد عليه وقيل انما جاء هذا فى الجدال والمراء فى الايات التى فيها ذكر القدر ونحوه من المعانى على مذهب اهل الكلام واصحاب الاهواء والاراء دون ما تضمنته من الاحكام وابواب الحلال والحرام فان ذلك قد جرى بين الصحابة الكرام فمن بعدهم من العلماء الاعلام وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز (وعن ابن عباس) كما رواه ابن ماجه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل) اى اجمالا لاآية منهما لاحتمال كونها محرفة اولا تكون فيهما اصلا وذلك لقوله تعالى وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان وكان حقه ان يقول والزبور لقوله تعالى وآتينا داود زبورا وفسر به القرآن ايضا وكذا صحف ابراهيم مذكورة بالخصوص (وكتب الله المنزلة) اى بعمومها الواجب الايمان مجملا بتمامها (اوكفر بها) اى كلها اوبعضها (اولعنها) اى شتمها (اوسبها) اى عابها (او استخف بها) اى اهانها (فهو كافر) واما لو جحد آية من التورية اوالانجيل ففيه خطر لاحتمال كونها منهما فيكفر اولا تكون منهما لما وقع من التحريف فيهما فلايكفر ولذا قال عليه الصلاة والسلام لاتصدقوا اهل الكتاب ولاتكذبوهم وقد قال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون اى منقادون للحق تابعون للصدق (وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو) على السنة اهل الايمان (فى جميع اقطار الارض) اى اطرافها واكنافها (المكتوب فى المصحف) اى جنسه من المصاحف (بايدى المسلمين) احتراز عما قد يوجد فى ايدى غيرهم من الملحدين فربما يزيدون او ينقصون فى امر الدين (مما جمعه الدفتان) بتشديد الفاء وهما مايضمه من جانبيه (من اول الحمد لله رب العالمين) برفع الحمد على الحكاية ويجر بالكسر على الاعراب (الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ايماء الى ان تنكيس القرآن ليس سنة بل بدعة ولعله لم يذكر البسملة لانها ليست من القرآن فى مذهب مالك لكنه لاشك انها مما بين الدفتين للاجماع على ان الصحابة كتبوا البسملة فى اوائل كل السور الابراءة ولهذا ذهب المحققون من ائمتنا الحنفية

﴿انها﴾

انها آية من القرآن انزلت للفصل ولا يدع ان يراد بالحمد لله رب العالمين سورة الفاتحة فتشمل البسملة الفاتحة ولكن يأباه ان الكلام فى التكفير فالقدر المتعلق به هو الذى يبنه فى مقام التقرير والاحاديث فى باب البسملة متعارضة مع كونها احادا فلا تفيد القطع وانما توجب الظن ولهذا اختلف العلماء فى مسئلة البسملة والله سبحانه وتعالى اعلم (وان جميع ما فيه حق) اى ثابت وصدق (وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك) النقص (او بدله بحرف آخر مكانه) ولو لم يغير شانه (اوزاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذى وقع عليه الاجماع) اى كتابة وقراءة (واجمع) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى وجزم وعزم (على انه ليس من القرآن عامدا) اى لا سهوا ولا نسيانا (لكل هذا) الذى ذكر من النقصان والزيادة (انه كافر) الا القراآت الشاذة التى ثبتت فى الجملة بحسب الرواية بشرط ان لا يلحقها بالمصاحف فى الكتابة (ولهذا) الذى ذكرنا من ان جميع ما فى القرآن حق (رأى مالك قتل من سب عائشة رضى الله عنها بالفرية) اى الافك (لانه خالف القرآن) اى بعضه النازل فى براءة ساحة عائشة ان تكون فاحشة (ومن خالف القرآن) اى اعتقادا لا عملا (قتل لانه كذب بما فيه) من آيات دالة على براءتها وانما اكتفى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحد القذف على قاذفيها الماصدر عنهم قبل براءة ساحتها فحينئذ لا وجه لتخصيص مالك فان اجماع العلماء على ذلك (وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل) لتكذيبه قوله تعالى فيه وكلم الله موسى تكليما وهذا مجمع عليه وانما الكلام فى معنى الكلام من النفسى وغيره بين اهل السنة والمعتزلة (وقاله) اى قال به ونص عليه ايضا (عبد الرحمن بن مهدى) من اصحاب الشافعى قال التلمسانى مهدى مفعول وكره مالك التسمية بمهدى قال وما علمه بانه مهدى واباح التسمية بالهادى وقال لان الهادى هو الذى يهدى الطريق انتهى ولا يخفى ان المهدى ايضا هو الذى يهدى الى الطريق وما علمه بانه هاد وليس بمهدى ومن اين له حمل المهدى على الهداية الشرعية وحمل الهادى على الدلالة اللغوية او العرفية على ان الاسماء كلها تسمى على جهة التفاؤل والتبرك والا لما كان يصح لاحد ان يسمى محمودا ومحمدا واحمد ولا عليا ولا فاطمة ولا عائشة وامثال ذلك (وقال محمد ابن سحنون فيمن قال المعوذتان) بكسر الواو وتفتح وهما سورة الفلق والناس (ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب) لنفيه لهما مع ثبوتهما فى المصاحف العثمانية التى وقع عليها اجماع الامة قال النووى فى شرح المهذب اجمع المسلمون على ان المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة فى المصحف قرآن وان من جحد شيئا منها كفر وما نقل عن ابن مسعود فى الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه قال ابن حزم فى اول كتابه المحلى هذا كذب على ابن مسعود وانما صح عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود وفيها الفاتحة والمعوذتان انتهى واما ما روى عن عبد الله بن احمد فى زوائد المسند ان ابن مسعود كان يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستا من كتاب الله فالجواب على وجه الصواب ما قال ابن الباقلانى انه لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن انما انكر اثباتهما فى المصحف لانه كانت السنة عنده ان لا يثبت الا ما امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باثباته ولم يبلغه امره به وهذا تأويل منه وليس جحدا لكونهما قرآنا واجيب ايضا بانه كان يقول ذلك فلما رأى المصاحف التى كتبت فى زمن عثمان وفيها اثباتهما رجع عن ذلك ويؤيد هذا ما سبق عن ابن حزم واما ما اجاب بعضهم عنه بان عاصم ابن بهدلة المذكور فى المسند وان قرنه البخارى بعيدة فهو فى الحديث دون الثبت ثقة فى القراءة فغير مستقيم لانه راوى القراءة عن ابن مسعود وهذه الرواية من متعلقات القراءة هذا وفى جواهر الفقه من انكر المعوذتين من القرآن غير مأول كفر انتهى وقال بعض المتأخرين كفر ولو اول والاول هو المعول (وكذلك) اى كفر (من كذب بحرف منه) اى من القرآن فيقتل الا ان يتوب (قال) اى ابن سحنون (وكذلك ان شهد شاهد) اى واحد (على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه) اى على من قال ذلك (انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا) فان مؤداهما واحد وهو تكذيب بعض القرآن وهذا التعليل اولى من قوله (لانهما اجتمعا على انه كذب النبى) وفى نسخة تكذيب للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما نقله عن الله سبحانه وتعالى (وقال ابو عثمان الحداد) قال الانطاكى وقد يقع فى بعض النسخ ابو عثمان ابن الحداد بزيادة ابن والصواب والله تعالى اعلم سقوطه (جميع من ينتحل التوحيد) اى ينتسب اليه ويدعى اعتقاده (متفقون) على (ان الجحد بحرف من التنزيل) اى القرآن الكريم والفرقان القديم (كفر وكان ابو العالية) احد ائمة القراآت (اذا قرأ عنده رجل) اى بقراءة لم يعرفها (لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا) وهذا من كمال احتياطه فى تورعه (فبلغ ذلك) القول من ابى العالية (ابراهيم النخعى والتيمى (فقال اراه) بضم الهمزة اى اظنه (سمع انه) اى الشأن (من كفر) اى جحد (بحرف منه فقد كفر به كله) لان الكفر ببعضه يؤذن بالكفر بكله بخلاف الايمان ببعضه فانه لا يقوم مقام الايمان بكله (وقال عبد الله

ابن مسعود) كما فى مصنف عبد الرزاق (من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله) وهذا لكن كفر برسول فقد كفر بالرسل كلهم (وقال اصبغ بن الفرج) المصرى (من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله) اى بكلامه (وقد سئل القابسى عمن خاصم يهوديا فحلف) اليهودى (له بالتورية فقال الآخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد) اى واحد (ثم شهد آخر انه) اى الآخر (سأله) اى من خاصم (عن القضية) فى الكيفية (فقال اللاعن الملعون (انما لعنت تورية اليهود) التى يتداولونها بينهم (فقال ابو الحسن) القابسى (الشاهد الواحد لا يوجب القتل) اى ولو حمل على اطلاقه ولم يقبل قصده (والثانى علق الامر بصفة) اى خاصة تلتبسة عن الاضافة (يحتمل التأويل) لهذا القيل (اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشئ من عند الله لتبديلهم وتحريفهم) وفيه ان الظاهر من هذه الاضافة اختصاصهم بها واما كونهم لا يتمسكون بها فلا دخل له فيما نحن فيه من انه اهان كتاب الله وقد سمى الله سبحانه كتابهم مع علمه بتحريفهم وتغييرهم كتاب الله فى قوله ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فلو فرض ان بعض هذه الامة المحفوظة الحافظة للكتاب والسنة حرفوا بعض القرآن وغيروه فقال احد الشاهدين لعن القرآن وقال آخر لعن قرآن المسلمين فلا نشك انه كافر على ان الاحكام مبنية على اكثر فتأمل وتدبر مع ان اليهود كلهم ما غيروا التورية ولا بدلوها وانما كان بعض علمائهم نقلوا اضنها مالم يثبت فيها اوتصرفوا فى معانيها دون مبانيها (لو اتفق الشاهدان على لعن التورية مجردا) اى عن التعليق (لضاق التأويل) او لى لما احتمل التأويل والله ولى التوفيق (وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ) بمعجمة مفتوحة ونون ساكنة كما صرح به الحلبى والتلمسانى وقيل بضمها فموحدة مضمومة وذال معجمة وهو غير منصرف للعجمة والعلمية كما جزم به الحلبى واغرب التلمسانى فى قوله يجرى ولا يجرى وهو اسم اعجمى وضبطه الدلجى بنون مشددة وفى القاموس محمد بن احمد بن شنبوذ بفتح الشين والنون مجاب الدعوة وعلى بن شنبوذ وكلاهما من القراء انتهى والمراد به هنا ماذكره الحلبى وتبعه التلمسانى من انه ابو الحسن محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ (المقرى احد الائمة المقرئين المتصدرين بها) اى ببغداد (مع ابن مجاهد) متعلق باتفق وهو امام جليل فى علم القراءة (بقراءته) اى ابن شنبوذ بنفسه (واقرائه) اى لغيره (بشواذ من الحروف) اى من القرآآت التى لم يثبت تواترها ومع هذا (مما ليس فى المصحف) وهو احد اركان القراءة والثانى موافقة العربية والثالث وهو الاصل المعتمد المدار عليه وهو نقل المتواتر قال التلمسانى كان اماما دينا لا ينكر موضعه من العلم وكان فيه سلامة الصدر وممن يرى جواز القراءة بالاختيار مما يجوز فى العربية وان لم ينقل ذلك عن السلف وكان يقرأبها فى المحراب ويقربها بعض الاصحاب (وعقدوا) اى الفقهاء مع ابن مجاهد مجلسا بالحكم (عليه بالرجوع عنه) اى عن فعله من القراءة والاقراء بالشواذ (والتوبة منه) فيما بقى من عمره وهذا لا ينافى فى جواز رواية الشاذ فان الفرق بين القراءة والرواية واضح عند ارباب الدراية (سجلا) اى وسجلوا عليه (انه اشهد فيه بذلك على نفسه) بالرجوع عنه وبالتوبة منه (فى مجلس الوزير ابى على ابن مقلة) بضم الميم (سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة) قال ابن خلكان كان ابن شنبوذ من مشاهير القراء واعيانهم قيل كان كثير اللحن قليل العلم تفرد بقرآآت من الشواذ فانكرت عليه وبلغ امره الوزير محمد بن مقلة الكاتب فاعتقله بداره واستحضره هو والقاضى اباالحسين عمر بن محمد وابابكر احمد ابن موسى بن مجاهد المقرى وجماعة من اهل القرآآت فاغلظ القول عليهم فامر الوزير بضربه فضرب سبع درر فدعا على الوزير ان يقطع الله يده ويشتت شمله وكان الامر كذلك ثم كتب محضر بما كان يقرؤه واستتيب ان لا يقرأ الا بمصحف امير المؤمنين عثمان وكتب خطه فى آخره واطلق فخشى عليه من العامة فاخرج الى المداين ثم عاد الى بغداد سرا ولم يزل بها الى ان توفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة (وكان فيمن افتى عليه) مع فقهاء بغداد (بذلك) اى بالرجوع (ابو بكر الابهرى) المالكى وهو بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء وقيل بفتحتين وسكون الهاء نسبة الى بلد عظيم بين قزوين وزنجان وبليدة بنواحى اصفهان وجبل بالحجاز (وغيره) من العلماء المالكية اوغيرهم (وافتى ابو محمد ابن ابى زيد) القيروانى (بالادب فيمن قال لصبى) يتعلم القرآن (لعن الله معلمك وما علمك وقال) اى اللاعن (اردت سوء الادب) اى فى الاداء (ولم ارد القرآن) وفى التسامح عنه نظر اذ قوله وما علمك بعيد عن هذا التأويل بل ظاهر فى طعن التنزيل فينبغى ان يستتاب الا ان يثبت لحن فقيه الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (قال ابو محمد) اى ابن ابى زيد (اما من لعن المصحف) اى صريحا (فانه يقتل) اى اجماعا

﴿فصل﴾

(وسب آل بيته) وفى نسخة آل النبى وفى نسخة اهل بيته اى اقاربه (وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام

ملعون قاطه اى مذموم وملام قائله (حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا ابو الحسين الصير فى ابو الفضل العدل) وهو ابن خيرون (ثنا ابو يعلى) المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو على السنجى) بكسر السين المروزى (ثنا ابن محبوب) هو ابو العباس المحبوبى راوى الجامع عن الترمذى وشارح القدورى على ماذكره الانطاكى (ثنا الترمذى) هو الحافظ ابو عيسى صاحب الجامع (ثنا محمد بن يحيى) الظاهر انه الذهلى ابو عبد الله النيسابورى (ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة) وفى نسخة بالتصغير (ابن ابى رائطة) بالهمز قبل الطاء المهملة قال الحلبى هو بفتح العين وكسر الموحدة نص عليه غير واحد من الحفاظ منهم ابن ماكولا فى اكماله والذهبى وضبط فى بعض النسخ بضم العين وهو خطأ انتهى وقال التلمسانى فى اصل المؤلف عبيدة بالتصغير وصوابه عبيدة بالفتح وبه ذكره الدارقطنى وهو كوفى نزل البصرة يروى عن عاصم ابن ابى النجود وغيره عن عبد الرحمن بن زياد قال المزى فى الاطراف يقال انه اخو عبيد الله بن زياد (عن عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله) بنصبهما وكرر للتأكيد اى اتقوا وراعوه اوراقبوه اواحفظوا عهده اواحذروا عقابه (فى اصحابى) اى من جهتهم (الله الله فى اصحابى) وهذا تأكيد بعد تأكيد ووضع الظاهر موضع الضمير للمبالغة فى التحذير وكان الخطاب لمن بعدهم من القرون اولبعضهم من المنافقين اوللعامة والمراد باصحابه الخاصة كما يشير اليه ياء الاضافة (لاتتخذوهم عرضا) اى هدفا للطعن ولوم الظاعن (بعدى) اى فى غيبتى او بعد موتى (فمن احبهم فبحبى) اى فبسبب محبته اياى (احبهم) اوبسبب محبتى اياهم ويؤيد الاول قوله (ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) ولايخفى ان المرتد تبطل صحبته بردته ولوصحت توبته (ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله) اى خالفه فكانه اذاه (ومن آذى الله يوشك ان يأخذه) اى يعاقبه فى الدنيا والعقبى (وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتسبوا اصحابى) المشتملين على اقاربى وازواجى واحبابى (فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لايقبل الله منه صرفا) اى توبة ونافلة (ولا عدلا) اى فدية اوفريضة وقد روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وروى احمد والحاكم عن ام سلمة من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله تعالى (وقال عليه الصلاة والسلام لاتسبوا اصحابى فانه يجئ قوم) وروى اقوام (فى آخر الزمان يسبون اصحابى فلاتصلوا عليهم) ان ماتوا للعبرة وهذا محمول على ما اذا قام بها البعض (ولاتصلوا معهم) ان صلوا اماما فانهم اهل بدعة (ولاتناكحوهم) اى ديانة (ولاتجالسوهم) اى من غير ضرورة (وان مرضوا فلا تعودوهم) مبالغة فى الاهانة والظاهر ان النهى فى هذا الحديث للتنزيه (وعنه عليه الصلاة والسلام من سب اصحابى فاضربوه) روى الطبرانى عن على كرم الله وجهه من سب الانبياء قتل ومن سب اصحابى جلد اى ضرب وهذا فرق حسن بين الانبياء والصحابة وفى معناهم العلماء والاولياء وهو قول الجمهور واما قتل من سب الصحابة كما قال به بعضهم فانما يحمل على السياسة فى الشريعة وسد باب الذريعة على ما بينته فى رسالة مستقلة ولما كان فيها بعض الاطالة اختصرتها وسميتها السلالة (وقد اعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان من سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حرام) بل كفر (فقال لاتؤذونى فى اصحابى) اى لاجل اذاهم (ومن آذاهم فقد آذانى) اى فكانه اذانى (وقال لا تؤذونى فى عائشة) اى خصوصا فانها احب الزوجات وقال الانطاكى قوله لاتؤذونى فى عائشة الخطاب لام سلمة وتمام الحديث فان الوحى لم يأتنى وانا فى ثوب امرأة الا عائشة (وقال فى فاطمة) لانها احب البنات بضعة منى بفتح الموحدة وتكسر اى قطعة منفصلة منى (يؤذينى ماآذاها) وروى البخارى عن المسور فاطمة بضعة منى فمن اغضبها اغضبنى (وقد اختلف العلماء فى هذا) اى ساب الصحابة (فمشهور مذهب مالك) رحمه الله الموفق للجمهور (فى ذلك الاجتهاد) فى ايقاع النكال لدفع الفساد (والادب الموجع) لاصلاح العباد (قال مالك رحمه الله من شتم النبى) اى جنس الانبياء (قتل ومن شتم اصحابه ادب) اى جلد وضرب وقد تقدم الحديث بذلك (وقال) اى مالك (ايضا من شتم احدا من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ابابكر اوعمر اوعثمان اوعليا اومعاوية اوعمرو بن العاص) وسقط اوعليا من اصل الدلجى فقال ولم يذكر المصنف عليا لان محبيه كثيرون انتهى ولايخفى ان الكثرة انما هى بالنسبة الى معاوية وعمرو بن العاص لابالاضافة الى من قبله فقد اختلفت المبتدعة فى حب على كالروافض وبغضه كالخوارج (فان قال) شاتمهم (كانوا) اى الصحابة كلهم (على ضلال وكفر) عطف تفسير (قتل) لتكذيبه القرآن فيما اثنى عليهم لقوله تعالى رضى الله عنهم وحديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وحديث لوانفق احدكم مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولانصيفه اى نصفه (وان شتمهم) اى كلهم اوبعضهم (بغير هذا) الذى ذكر (من مشاتمة الناس نكل) بصيغة المجهول مسددا ومخففا اى ردع وزجر وعوقب (نكالا شديدا وقال ابن حبيب

من غلا) اى تجاوز عن الحد وتعدى (من الشيعة) اوالخوارج (الى بغض عثمان والبراءة منه) اى والى التبرى من محبته (ادب ادبا شديدا ومن زاد) اى الى ذلك كما فى نسخة اى ضم اليه (بغض ابى بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد) اى كمية وكيفية (ويكرر ضربه) بقدر زيادة بغض صحبه عليه الصلاة والسلام وحربه (ويطال سجنه) اى مدة حبسه (حتى يموت ولايبلغ به) اى فيه (القتل الا فى سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والا فى انكار صحبة ابى بكر وكذا فى صحة خلافته المجمع عليهما ولاعبرة بمخالفة الشيعة فيهما وكذا اذاقيل له قل رضى الله عنهم فابى فانه كالانكار لما فى القرآن (وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا اوعثمان او غيرهما) كمعاوية وعمرو ابن العاص (يوجع) بصيغة المجهول مخففا اومشددا (ضربا) بالنصب على التمييز وانما خص عليا وعثمان بالذكر لان الخوارج قالوا بتكفيرهما بناء على قواعدهم الفاسدة واصولهم الكاسدة ولم يختلفوا فى تعظيم الشيخين للاجماع على خلافتهما وعدم مايقتضى هتك حرمتهما فمن كفرهما كفر خلافا للروافض ولاعبرة بقولهم المناقض بل التحقيق ان اصل مذهب الشيعة ليس تكفيرهما بل ينسبونهما الى المخالفة فى امر الخلافة بناء على انهم يفضلون عليا عليهما وانما اللعن والتكفير صدر من غلاتهم ولعل هذا معنى ماروى من ان سب الشيخين كفر المفهوم منه ان سب غيرهما ليس كذلك لتفاوت رتبتهما هنالك واما معاوية واتباعه فيجوز نسبتهم الى الخطأ والبغى والخروج والفساد واما لعنهم فلا يجوز اصلا بخلاف يزيد وابن زياد وامثالهما فان بعض العلماء جوز والعنهما بل الامام احمد بن حنبل قال بكفر يزيد لكن جمهور اهل السنة لايجوزون لعنه حيث لم يثبت كفره عندهم وعلى التنزل فلعله مات تائبا ولهذا قالوا لايجوز لعن كافر بعينه الا اذا ثبت كفره وقوله عليه بدليل قطعى من كتاب اوسنة كفرعون وابى لهب وابى جهل وامثالهم والله تعالى اعلم وبماقررنا اندفع اعتراض الدلجى بان هذا مخالف لما مر عن مالك انه اذا قال كانوا اى الصحابة على ضلال وكفر قتل فان المراد بهم اما جميعهم اواكابرهم (وحكى ابو محمد بن ابى زيد عن سحنون فيمن قال فى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى انهم) اى كلهم (كانوا فى ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم) اى غير الخلفاء الاربعة (من الصحابة) كمعاوية وغيره (بمثل هذا) القول (نكل النكال الشديد وروى عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة) اى قذفها (قتل قيل له) اى لمالك (لم) اى لاى شئ يقتل بسبها وقد قلت فى ابيها يجلد من سبه وهو بالاجماع افضل منها (قال) اى مالك (من رماها) اى قذفها (فقد خالف القرآن) النازل ببراءة ساحتها فعلم بهذا انه لوشتمها احد بغير القذف لم يجب قتله وهذا اذا سب ابا بكر مع اقراره بصحبته فانه لوانكرها لكفر لانكاره القرآن على ماسبق به البيان واما اذا قذف احدى سائر الازواج الطيبات فلا يكفر لعدم ورود براءتهن فى الايات (وقال ابن شعبان عنه) اى عن مالك (لان الله يقول يعظكم الله) اى تحذيرا من (ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر) وفيه ايماء الى ان من قذفها قبل الوعظ لم يكفر وانما حد حد القاذف (وحكى ابو الحسين الصقلى) بفتح اوله ويكسر وسكون القاف قال الحلبى نسبة الى صقلية جزيرة بالمغرب وقال الدلجى بفتح المهملة والقاف وقال التلمسانى بكسر الصاد والقاف واللام مشددة وبفتح الصاد والقاف واللام مشددة (ان القاضى ابا بكر بن الطيب) اى الباقلانى المالكى امام المتكلمين (قال ان الله تعالى اذا ذكر مانسب اليه المشركون) من الشريك والولد والصاحبة والبنات (سبح نفسه لنفسه) وفى نسخة بنفسه (كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه فى آى كثيرة) كقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه وقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه (وذكر تعالى مانسبه المنافقون) فيه تغليب اذ الذى تولى كبره هو ابن ابى بن سلول رئيس المنافقين وقد تبعه بعض المؤمنين كحسان ومسطح وحمنة وغيرهم (فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا) المأفوك عليها (سبحانك سبح نفسه فى تبرئتها من السوء) المنسوب اليها (كما سبح نفسه فى تبرئته من السوء) وماذاك الا لجلالة مقامها العلى فى رفيع صحبة النبى (وهذا) القول من الباقلانى (يشهد لقول مالك) ولا اعرف احدا يخالفه فى ذلك (فى قتل من سب عائشة) اى قذفها (ومعنى هذا) القول بقتل من قذفها (والله تعالى اعلم) جملة معترضة (ان الله لما عظم سبها) اى بالافتراء عليها المسمى بالافك (كما عظم سبه تعالى) بالافتراء عليه حيث قال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون (وكان سبها سبا لنبيه) فيه بحث لايخفى على النبيه لان سبها ليس سبا لنبيه فى حقيقة الكلام ولايلزم من قذفها قذفه عليه الصلاة والسلام ولهذا لم يقتل من قذفها قبل نزول براءتها بل جعل قذفها حينئذ كقذف سائر اهل الاسلام فى عموم الاحكام فالكفر الموجب للقتل انما هو لمخالفة القرآن ولهذا اختصت عائشة الصديقة بهذا الاجلال فى الطريقة وبهذا علم معنى بقية كلامه من قوله (واذاه) اى وقرن اذى نبيه (باذاه سبحانه وتعالى) اى فى قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة (وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذى نبيه

﴿كذلك﴾

كذلك كما قدمناه) ولايخفى ان ذلك لواجرى على حقيقته لكان سب كل احد من اهل بيته كفرا موجبا للقتل هنالك
والامر على خلاف ذلك لانه لم يقصد بذلك اذاه صلى الله تعالى عليه وسلم وفرق بين ان يقع شيء اصالة وقصدا وبين
ان يقع تبعية وضمنا فى مقام التحقيق والله ولى التوفيق (وشتم رجل عائشة) اى بغير القذف (بالكوفة فقدم) اى
فاحضر الشاتم (الى موسى بن عيسى العباسى فقال من حضر هذا) المجلس اوهذا الرجل حين شتم قال التلمسانى
ويروى من خصم (فقال ابن ابى ليلى انا) وهواحد المجتهدين وقدتولى القضاء ولعل هذا هوالموجب للاكتفاء (فجلد)
اى الشاتم (ثمانين جلدة وحلق رأسه) اى تعزيرا (واسلمه) اى تركه وفى نسخة وسلمه (للحجامين) يعذبونه باخراج دمه
لزيادة سياسة فى امره (وروى) كما فى تاريخ الخطيب وابن عساكر (عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان ابنه
عبيدالله) بالتصغير (ابن عمر اذشتم المقداد) بكسر الميم (ابن الاسود) تبنيا فان اباه غيره (فكلم) بصيغة المجهول اى
فشفع عمر (فى ذلك فقال دعونى اقطع لسانه حتى لايشتم احدا بعد) اى بعد ذلك (من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم) وحيث منعوه ولم يقروه حتى يفعل لايكون اجماعا فلا يجوز قطع لسان من سب صحابيا وانما اراد عمر تخويفه
اوالسياسة (وروى ابوذر الهروى ان عمر بن الخطاب اتى باعرابى يهجو الانصار فقال) اى عمر (لولا انه) اى للاعرابى
(صحبة) اى سابقة له عليه الصلاة والسلام (لكفيتكموه) من شره بما يليق بامره ورواه ايضا محمد بن قدامة المروزى
فى كتاب الخوارج عن ابى سعيد الخدرى بسند رجاله ثقات ذكره الدلجى (وقال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذكر بعض معايبهم وغفل عن جملة مناقبهم ولم يعرف انهم السابقون فى الايمان
ولم يعمهم بالاستغفار والرضوان (فليس له فى هذا الفيء) الذى يعم المسلمون (حق) اى حصة ونصيب لانه (قد قسم الله
الفيء فى ثلاثة اصناف فقال للفقراء) بدلا من لذوى القربى ومابعده وان المبدل منه فى حكم الطرح اوالشامل لهم
ولغيرهم المهاجرين) الى المدينة (الآية) الذين اخرجوا من ديارهم واموا لهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون اى فى ايمانهم ومعرفتهم اوفى تصحيح نية هجرتهم (ثم قال والذين) عطفا على
للفقراء (تبوؤا الدار) اى سكنوا المدينة واتخذوها دار الوطن والقرار (والايمان) اى واختاروا واخلصوا (من قبلهم)
اى قبل هجرة اهل الاسلام اليهم (الآية) اى يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون
على انفسهم ولوكان بهم خصاصة اى ضرورة ومجاعة (وهؤلاء هم الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم) اى من
التابعين واتباعهم الى يوم الدين (يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) من المهاجرين والانصار
خصوصا (الآية) اى ولاتجعل فى قلوبنا غلا اى حقدا وحسدا للذين آمنوا عموما ربنا انك رؤف رحيم بالمؤمنين فى
الدنيا والاخرى (فمن تنقصهم فلاحق له فى فيء المسلمين) بل يخرج عن دائرة المؤمنين لحصرهم فى الاصناف المذكورين
(وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد) وفى نسخة احد (منهم) اى من الصحابة (انه ابن زانية وامه مسلمة) جملة
حالية (حد عند بعض اصحابنا) المالكية (حدين حدا له وحدا لامه) لعله اراد بالاول التعزير مبالغة فى التحذير
(ولا اجعله كقاذف الجماعة فى كلمة) نحو يااولاد الزانى ويا ابناء الزانيات لغيرهم حيث تتداخل الحدود جملة وذلك
الفرق (لفضل هذا) الصحابى (على غيره ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من سب اصحابى فاجلدوه) اى فاضربوه
كما فى رواية تقدمت (قال) اى ابن شعبان (ومن قذف ام احدهم وهى كافرة حد حد الفرية) اى الكذب (لانه)
اى قذف ام احدهم ولوكانت كافرة (سب له) اى لولدها الكريم فيستحق به التأديب الاليم (فان كان احد من
ولد هذا الصحابى) اى اولاده واحفاده (حيا) وابوه ميتا (قام) مقامه (فيما يجب له) من استيفاء الحد (والا فمن قام به
من المسلمين) حسبة فى مرامه (كان على الامام) اونائبه (قبول قيامه قال) اى ابن شعبان (وليس هذا) الحكم
المذكور (كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء) الصحابة (بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم) احياء وامواتا (ولو سمعه
الامام) اى السلطان اونائبه (واشهد عليه كان) اى الامام (ولى القيام به) اى بالحد (قال) اى ابن شعبان (ومن سب
غير عائشة من ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بقذف احداهن (ففيها) اى ففى المسئلة اوفى حقها (قولان
احدهما يقتل لانه سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبه حليلته) وفى نسخة بسبب سب حليلته وهى
زوجته من الحلول وهوالنزول لانها تحل معه حيث حل اوهو يحل بها حيث حلت وقيل من الحلال ضد الحرام فيشمل
السرية (والآخر انها) اى حليلته (كسائر الصحابة) رجالهم ونسائهم (يجلد حد الفرية) وفى نسخة حد المفترى
(قال) اى ابن شعبان (وبالاول) وهوالقول بالقتل (اقول) وهذا بعيد عن الاصول فتأمل فانه يلزم منه عدم الفرق
بين عائشة المبرأة بالكتاب وبين غيرها والله تعالى اعلم بالصواب (وروى ابو مصعب عن مالك فيمن سب من انتسب
الى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من جهة القرابة والنسب المعروف وفى بعض النسخ عن مالك من انتسب

الى بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اى الى اولاده وظهر انه لبس منهم (يضرب ضربا وجيعا ويشهر) من الشهرة وهو الظهور ومعناه يطاف به فى الاسواق (ويحبس طويلا) من الزمان (حتى تظهر توبته) اى آثارها عند الاعيان (لانه استخف بحق الرسول عليه الصلاة والسلام وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة) بفتح اللام والقاف وقال التلمسانى فا ملقة بالمعلقة اعادها الله تعالى دار اسلام (فى رجل انكر تحليف امرأة) وجه عليها يمين واريد تحليفها بالليل) لكونها مخدرة فامتنع الرجل عن تحليفها بالليل (وقال لو كانت بنت ابى بكر الصديق) اى فرضا وتقديرا (ماحلفت) وفى نسخة بصيغة المجهول (الا بالنهار وصوبه بعض المتسمين بالفقه) اى المتصفين به نظرا الى انه اراد المبالغة فى الشئ لا الاهانة كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن شفع لسارقة حيث قال له لو كانت فاطمة لقطعت يدها وذلك لانه سبحانه وتعالى عمم الحكم بين الخاص والعام فى قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ولا تجوز الشفاعة فى الحدود (فقال ابو المطرف ذكر هذا) الكلام (لابنة ابى بكر فى مثل هذا) المقام (يوجب عليه) به (الضرب الشديد والسجن الطويل) اى الحبس المديد (والفقيه الذى صوب قوله احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه فى ذلك ويزجر) وفى نسخة ولا يؤخر (ولا تقبل فتواه ولا شهادته) وهذا من المجازفة فى الكلام فان غايته انه اخطأ فى فتواه والمجتهد قد يخطئ ولا يفسق ولا ترد شهادته بالاجماع (وهى) اى فتواه (جرحة) بضم الجيم اى طعنة (ثابتة فيه ويبغض فى الله) اى لاجل رضاه وهذا كله نشأ من حظ نفس ابى المطرف ومتابعة هواه ومن عدم الاطلاع على الحديث الذى قدمناه (وقال ابو عمران) اى القابسى (فى رجل قال لو شهد على ابى بكر الصديق) حذف سببه وجوابه لظهورهما عنده (انه) اى الشان (ان كان) اى القائل (اراد ان شهادته فى مثل هذا الحكم) وفى نسخة فى مثل ما اى حكم او الحكم (لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شئ عليه) وهو ظاهر كلامه ومرامه من المبالغة (وان كان اراد غير هذا) المعنى الذى ذكر مما يقتضى اهانته فرضا (فيضرب ضربا) اى شديدا (يبلغ به) بصيغة المجهول اى يوصل بضربه (حد الموت) او يبلغ هو بالضرب الموت وفى اصل الدلجى اوذكروها اى مقالة ابى عمران رواية عن مالك او غيره من اصحابه وهذا يرد على ابى المطرف فى شدة جوابه (قال القاضى ابو الفضل) وهو المؤلف (هنا انتهى القول بنا فيما حررناه) اى قدمناه وقررناه (وانجز) بالنون والجيم والزاى اى تم وانقضى (الغرض الذى انتحيناه) بالحاء المهملة اى قصدناه وملنا نحوه واعتمدناه (واستوفى) بصيغة المجهول اى استكمل (الشرط الذى شرطناه) فيما اوردناه من الاقسام الاربعة التى اردناها (مما ارجو ان يكون) وفى نسخة ان بتشديد النون اى الشان (فى كل قسم منه للمريد) اى لمن يريده (مقنع) يقنع به ويرضاه ويكتفى به عما سواه (وفى كل باب منهج) اى طريق واسع (الى بغيته) بكسر اوله ويضم اى طلبته وحاجته (ومنزع) اى حجة لمن يحتج به فى قضيته (وقد سفرت) بفتح الفاء المتكلم اى كشفت واوضحت (فيه عن نكت) جمع نكتة وهى حكمة دقيقة (تستغرب وتستبدع) اى تعد غريبا وبديعا عجيبا لقلة استعمالها ودقة احوالها (وكرعت) اى وشربت شربا خاصا حيث تناولت من الحوض شربا بما حصل لى من التوفيق (فى مشارب من التحقيق) اى التحرير بالتدقيق (لم يورد لها قبل) اى لم يذكرلها قبل ذلك (فى اكثر التصانيف مشرع) اى مورد به ينتفع (واودعته) اى ضمنته (غير ما فصل) ما صلة للمبالغة فى الكثرة والمعنى اودعته فى فصول كثيرة واضرب الانطاكى فى قوله اى غير فصل واحد وهذا الفصل هو الذى حكى القاضى المؤلف فيه ما وقع من الزنادقة واهل الاهواء الضالة بعض الالفاظ البشيعة الشنيعة (وددت) بكسر الدال الاولى اى احببت وتمنيت (لو وجدت من بسط قبلى الكلام فيه او مقتدى) وفى نسخة او مفيدا (يفيدنيه) اى يفيدنى ذلك (عن كتابة او فيه) اى عن فمه وهو تجنيس تام مع ما قبله (او تلفيق) وهو المركب والمتشابه (لاكتفى بما ارويه) من الرواية اى اخبره (عما اروية) من التروية وهو تجنيس محرف واغرب الانطاكى فى قوله هو من رويت الحبل اذا اغلظت قواه وهو كناية عن بسط الكلام فيه (والى الله تعالى) لا الى غيره (جزيل الضراعة) اى كثير الخضوع والخشوع والاستكانة (فى المنة) اى فى طلبها وقبولها (بقبول منه) اى بقبول شئ وقع من عنده لطفا (لوجهه) فضلا (والعفو) بالرفع (عما تخلله) اى تداخل فى خلاله مما يخل بكماله (من تزين) اى تكلف (وتصنع لغيره) اى لغير وجهه سبحانه من رياء او سمعة او حظ نفس وشهوة (وان يهب لنا ذلك) اى على تقدير تقصير هنالك (بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه) اى لاجل ما اوردناه فيه وبيناه (من شرف مصطفاه وامين وحيه وما) اى ولاجل ما (اسهرنا به) اى بسببه (جفوننا) اى عيوننا (لتتبع فضائله) ونشر شمائله (واعملنا) اى اتعبنا واجلنا (فيه خواطرنا) اى عقولنا وسرائرنا (من ابراز خصائصه) اى اظهارها (ووسائله) التى يتوسل بها الى اغراضنا (وان يحمى اعراضنا) اى ارواحنا واشباحنا (عن ناره الموقدة) التى تطلع على الافئدة (لحمايتنا كريم عرضه عليه السلام) من الكلام المترتب عليه الملام (ويجعلنا) اى الله سبحانه وتعالى (ممن لا يذاد) بضم اوله من الذود وهو الطرد اى ممن لا يدفع ولا يمنع (اذا ذيد)

مجهول ذاد اى طرد (المبدل) المبدل لدينه بعد موت نبيه (عن حوضه ويجعله) اى وان يجعل هذا المؤلف ومايتبعه من المصنف (لنا) معشر المسلمين الحاضرين (ولمن يهم) اى اعتنى واهتم (باكتتابه واكتسابه) ولو بشرائه (سبيلا) اى وسيلة (يصلنا باسبابه) التي لا انفصام لها في بابه (وذخيرة) اى نتيجة مدخرة محفوظة عنده سبحانه وتعالى (يجدها) حاضرة (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) ينفعها في يوم الجمع محضرا (نحوز) اى نظفر ونفوز (بها رضاه وجزيل ثوابه) الذى هو لقاه (ويخصنا بخصيصى) بكسر الخاء وتشديد الصاد المكسورة وفى آخره الف مقصورة قال التلمسانى وعد وهو خطأ مصدر بمعنى الخصوصية وقيل اسم مبالغة في التخصيص اى بمن هو من خواص (زمرة نبينا وجماعته وان يحشر نافى) وفى نسخة مع (الرعيل) اى الجمع (الاول) من اهل السعادة في الازل وهم علماء اهل السنة والجماعة وقيل هم الزمرة الاولى التى تدخل الجنة بغير حساب فيكون قوله (واهل الباب الايمن) الذى هو الاحسن والازين (من اهل شفاعته) من قبيل عطف التفسير فقد ورد في حديث الشفاعة ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة جعلنا الله منهم من كمال الفضل والمنة (ونحمده) اى نثنى عليه بما يوافى نعمه ويكافى كرمه (على ما هدى) اى دلنا (اليه من جمعه والهم) من عزمه (وفتح البصيرة) الباطنية (لدرك) بسكون الراء وفتحها اى لادراك (حقائق ما اودعناه) وفهم دقائق ما بيناه وعيناه مما يتعلق بمصطفاه (ونستعيذه) اى نعوذ به ونلوذ (جل اسمه) كمسماه (من دعاء لا يسمع) اى لا يقبل (وعلم لا ينفع) اى غير نافع صاحبه (وعمل لا يرفع) اى لا يصعد بل يرد على وجه كاسبه ويرد زيادة ونفس لا تشبع ومن هؤلاء الاربع ما استعاذ به الا بعد تحصيل الكمال (فهو الجواد) بفتح الجيم وتخفيف الواو وقد ورد في الحديث غير انى جواد ماجد اى صاحب الجود والعظمة في مقام الشهود (الذى لا يخيب) بفتح الياء وتضم وكسر الخاء المعجمة وفى نسخة بضم الياء الاولى وتشديد الثانية اى لا يضيع ولا يخسر (من امله) بتشديد الميم اى قصده ورجاه (ولا ينتصر) على عدو (من خذله) اى ترك نصرته ومنع حرمته (ولا يرد دعوة القاصدين) لقوله تعالى ادعونى استجب لكم ولحديث ان الله ليستحيى ان يرد بعبد صفرا اذا رفعهما اليه (ولا يصلح عمل المفسدين) لامر الدين (وهو حسبنا) اى كافينا في كل قليل وجليل (ونعم الوكيل) اى الموكول اليه والمعتمد عليه وهى كلمة قالها ابراهيم الخليل لما القى في النار ومحمد الجليل وصحبه الجليل لما قيل ان الناس قد جمعوا لكم وروى انه من خشى عدوه فليقل حسبى الله ونعم الوكيل وقيل لما القى يوسف في الجب قال حسبى الله ونعم الوكيل فعذب ماؤها بعد ما كان مالحا فهو سبحانه وتعالى حسبنا ونعم الوكيل ربنا ونعم الشفيع نبينا ونسأل الله دوام العافية وتوفيق تمام الطاعة وحسن الخاتمة الحمد لله اولا وآخرا و باطنا وظاهرا على جميع ما انعم من ما علمت منها وما لم اعلم والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد الاولين والآخرين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ربنا توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين وادخلنا الجنة آمنين برحمتك يا ارحم الراحمين آمين * فرغ مؤلفه رحم سلفه اواسط رمضان المبارك عام احد عشر بعد الالف من الهجرة النبوية الى المدينة السكينة وذلك بمكة المكرمة الامينة وانا الفقير الى ربه البارى على بن سلطان محمد القارى الحنفى عاملهما الله بلطفه الخفى وكرمه الوفى ومن احسن ما نظم في مدح هذا الكتاب ما قاله بعض اولى الالباب من الاصحاب

﴿شفى داء النفوس لنا الشفاء * اضاء النور منه والسناء﴾ ﴿ونال محبه كل الامانى * وزال به عن القلب الصداء﴾
﴿تلألأ نوره ابدا علينا * ظلام الليل عاد لنا ضياء﴾ ﴿جواهر لفظه درر وابهى * من اليا قوت حققه الامراء﴾
﴿حوى حكما وموعظة وحكما * فصاحة من له شهدت ظباء﴾ ﴿فصاحة خير رسل الله فيه * ومدح الله فيه والثناء﴾
﴿فصاحة منطق وبليغ لفظ * وحكمة حاكم وله العطاء﴾ ﴿واخبار به تتلى علينا * كلام جامع فيه الهداء﴾
﴿فذحل الشفاء بنا شفينا * وزال البؤس عنا والشقاء﴾ ﴿اثاب الله جامعه عياضا * جنان الخلد فيه له الجزاء﴾

وزاد محبه شرفا وفضلا * وبلغه المهيمن ما يشاء (وقال آخر) انى سألتك بالله الذى خضعت * له السموات وهو الواحد البارى اذا تأملت فاستغفر لكاتبه * لعل كاتبه ينجو من النار (وقال آخر) تم الكتاب بحمد الله ذى الجود * رب البرايا ومجرى الماء فى العود ﴿يا قارى الخط قل بالله مجتهدا * اغفر لكاتبه يا خير معبود﴾ ﴿وصلى الله على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه اجمعين﴾

الحمد لله الذى انعم علينا بفضله العميم * وامتن الينا بطوله الفخيم * فى اكثار نسخ هذا الشرح الرصين * وابرازه فى عرصة الوجود وقاعة الشهود بالطبع والترسيم * على كتاب الشفا فى شمائل صاحب الاصطفا * المنسوب الى الكامل الالمعى والفاضل اللوذعى * المولع الى بر به الرؤف البارى * الحبر المشتهر بعلى بن سلطان محمد القارى الحنفى عامله المولى حسن سعيه بجميل لطفه الوفى * بدار الطباعة العامرة * فى زمن من احكم اساس الدولة * وشيد اركان معالمها وايد من جاهد لتأييد عضاضة الاسلام وصابر فى مقاعدها السلطان ابن السلطان ﴿السلطان عبد المجيد خان﴾ لا زال ظلال صولته على من عتا و بغى * وحاد عن الصراط السوى واطغى * بنظارة اطمع البرايا الى اهناء زلال عواطف الرب الجيد * محمد سعيد * وقد تيسر انتهاء طبعه واتمام ختمه فى اواسط المحرم الحرام لسنة اربع وستين ومائتين والف * من هجرة من له الفضل والشرف على الاتباع والاجداد والخلف *